خطب الجمع والأعياد

أُلقيت على منبر خير العباد ﷺ

أعدها وألقاها

عبد الله بن محمد بن زاحم

الإمام والخطيب بالمسجد النبوي الشريف

ورئيس محاكم منطقة المدينة المنورة المساعد

خرّج آياتها وأحاديثها

الشيخ عبد القادر حبيب الله السِّندي

نزيل المدينة المنورة

دار المنار

خطب الجمع والأعياد

ألقيت على منبر خير العباد صلى الله عليه وسلم

أعدها وألقاها
عبد الله بن محمد بن زاحم
الإمام والخطيب بالمسجد النبوي الشريف
ورئيس محاكم منطقة المدينة المنورة المساعد

المجلد الأول

الإيمان

خرج آياتها وأحاديثها
الشيخ عبد القادر حبيب الله السندي
نزيل المدينة المنورة

دار المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

خطب الجمع والأعياد

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ ١٩٩٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة تعريفية موجزة

الحمد لله رب العالَمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فقد شرع الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ - عن طريق الكتاب والسُنَّة - أحكاماً وعبادات وسلوكاً وسياسة وغيرها من الأمور السامية العظيمة ، ثم شرح ربنا جلَّ وعلا كيفية إبلاغ وإسماع هذا التشريع العظيم إلى كافة الناس ، وإلى هذا المعنى الواضح المبارك يشير الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه مسلم في الصحيح : « كتاب الجمعة » ، وذلك من حديث عمار بن ياسر ، رضى الله عنهما ، بإسناده عن واصل بن حيان الأسدي الكوفي (المتوفى سنة ١٢٠ هـ) قال : قال أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي رحمه الله تعالى : خطبنا عمار ، فأوجز وأبلغ ، فلما نزل ، قلنا : يا أبا اليقظان ، لقد أبلغتَ وأوجزتَ ، فلو كنت تنفستَ - أي أطلتَ قليلاً - فقال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن طول صلاة الرجل ، وقصر خطبته مئنة - أي علامة - من فقهه ، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة ، وإن من البيان سحراً » [١] .... الحديث ، فهذا هو الحديث النبوي الشريف الذي قد حمل المعاني الكثيرة في طياته ، ومنها هذا المعنى الواضح البيِّن الذي يلمع في هذه الخطب القيمة التي ألقاها سماحة الأخ الشيخ « عبد الله بن محمد بن زاحم » على منبر مسجد رسول الله ﷺ منذ

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب « الجمعة » ، حديث رقم (خاص ٤٧) ، و (عام ٨٦٩) : ٢/٥٩٤

عشرات السنين عند مقدمه الميمون إلى هذه البلدة الطاهرة المقدسة عام ١٣٩٠ من هجرة رسول الله ﷺ ، ولقد أجاد فيها وأفاد وأبلغ فيها وأوجز ، وقد شملت هذه الخطب العالية العظيمة ، الجوانب العديدة المهمة في حياة المسلم المادية والمعنوية بأسلوبه البلاغي الجذّاب مع إلقائه إياها على أكبر وأعظم منبر عرفه التاريخ الإسلامي الحافل ، ألا وهو منبر مسجد رسول الله ﷺ ، وقد وضعت هذه الخطب السامقة الرائعة ، نقاطاً على حروف الخلاف ، مع ما حملت في طياتها عدة عناصر قوية تتركز عليها حياة الفرد المؤمن والجماعة المؤمنة ، في كل زمان ومكان بذاك الشمول والوفاء بعبارات فصيحة جزلة بليغة دعا فيها إلى الحق والإنصاف والعدل والصواب وجمع كلمة المسلمين ، ووحدتهم في أنحاء المعمورة ، ويأمر بسد الخلل والحد من الفساد والانحراف بجميع أنواعه وأشكاله ، ويقوي عزائم المسلمين نحو السير الحثيث إلى التقدم ، والازدهار والأمن والاستقرار والمحبة والوئام والحرية الحقيقية المستمدة من كتاب الله تعالى وسُنَّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة المسلمة المرحومة في القرون المتقدمة ، نعم : إنها خطب تتصل اتصالاً مباشراً بالضمائر الحية والقلوب الواعية ، والأرواح المنورة فتزيدها قوةً وبهاءً ونبراساً أصيلة وقواعد ثابتة لا تتزعزع ولا تضطرب أمام التحديات ، وتدعو إلى الخير والنور والعلم بأساليب حكيمة ، كما سوف يشاهدها - إن شاء الله تعالى - مَنْ تعمق فيها أو قرأها أو نظر فيها ، وسوف ينفع الله تعالى بها الأمم والخلائق فى أنحاء الدنيا لما فيها من معاني الحق والإنصاف والعدل والخير والعزة والعزيمة والإخلاص والزهد والورع ، والخوف والرجاء في النفس بجزالة الأسلوب ، وفصاحة الكلمة والكلام مع الاستدلال القوى والاستنباط الأصيل من آيات القرآن الكريم إما نصاً أو إشارة أو اقتباساً ، وهكذا تثنى بالسُنَّة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام في جميع المشاكل والحلول التي وضع لها حلولاً أو منهجاً محكماً لا يتزعزع ، ولا يضطرب أمام تحديات العصر .

ومن هنا جاز لي أن أقول - وأنا لست ممن يفصل أو يشرح أو يقوم بإبداء ما ينبغى أن يظهر جلياً - بما في هذه الخطب المنبرية على طول الزمن وكر الدهر ، من منهج مبارك وبرنامج سامق ، يتصل بالإنسان وبحياته الفردية والجَماعية في هذه الدنيا والآخرة وحياته البرزخية بعد الموت ، فإن سماحة الخطيب قد برع في بيانه فيها وإيضاحه وأظهر ودعا إلى الحقوق والواجبات والفرائض ، التي افترض اللّه تعالى على عباده على لسان رسوله محمد ﷺ ، وقد مكث سماحة الخطيب عشرات سنين على هذا المنبر المبارك ، وهو يؤدي واجبه الديني - ولا يزال - نحو إخوانه المسلمين في أنحاء العالَم الإسلامي وغيره من بني الإنسان بصفة عامة ، وكنت أسمع إلى هذه الخطب أثناء تواجدي بهذه البلدة الطيبة المباركة عندما كنت بجوار أم القرى (من عام ١٣٨٨ هـ إلى نهاية عام ١٣٩٩ هـ) ، وكنت أحرص أشد الحرص على سماعها والاستفادة منها لأمور عديدة :

١ - لكون هذه الخطب البارعة مركزة ومنظمة تعتمد على نصوص الكتاب والسُنَّة وآثار الصحابة رضى اللّه عنهم والتابعين رحمهم اللّه ، فيطمئن السامع والقارئ إلى صدق القول وصحة الأحكام .

٢ - إن هذه الخطب مع قصرها وجزالة لفظها ، وفصاحة معانيها منقولة مرتبطة برباط وثيق بمعاني كتاب اللّه تعالى وسُنَّة رسوله الكريم ﷺ ، إما نصاً وروحاً ، وإما إشارة واستنباطاً أو اقتباساً ، كما سوف يظهر ذلك جلياً واضحاً من تخريج نصوصها في الهامش ، وهذه ميزة ممتازة جيدة فيما أرى .

٣ - إن طريقة الأداء والإيصال إلى أسماع الناس بتلك الكيفية التي سمعها العالَم الإسلامي هنا وهناك عن طريق الإذاعة أو شاهدها مَنْ شاهدها هنا وهناك عن طريق البث المباشر التلفازي كان أروع صورة حية أثرت في النفوس وحركت الضمائر والقلوب ، إلى الحق والصواب والعدل والإنصاف في جميع حركات الإنسان مادياً ومعنوياً .

٤ - الشيء المهم العظيم الذي لاحظت أنا - وأنا لست ممن يلاحظ - أن النصوص التي أوردها سماحة الخطيب في خطبه استدلالاً بها أو استشهاداً لم تكن نصوصاً ضعيفة البتة ، وإنما كانت نصوصاً صحيحة كما يظهر لك واضحاً جلياً من التخريج ، وإذا كان هناك ضعف في بعض الأسانيد فقد أشار إليه سماحة الخطيب مع إيراد نص آخر صحيح بمعناه ، ومن هنا نرى أن كثيراً من الخطباء في العالم الإسلامي ، لا يهتمون بهذا الموضوع البتة إلا نادراً ، والنادر لا حكم له إلا ما شاء الله تعالى .

٥ - ولقد اهتم سماحة الخطيب فيها اهتماماً بالغاً بأمر العقيدة الإسلامية الصحيحة ، فوضّحها وبيّنها بياناً شافياً كافياً بذاك الأسلوب الفصيح الذي لم يكن مملاً ولا مخلاً ، وإنما كان جذاباً بارعاً بالحكمة المثالية والموعظة الحسنة والمجادلة الطيبة مع سلامة الألفاظ من الشدة والغلظة ، وكأنه - حفظه الله ورعاه - وضع نصب عينيه إلى ما قاله جَلّ وعلا مخاطباً نبيه محمداً ﷺ وذلك في سورة آل عمران : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (١)

هَذا هو المَنهج المبارك الذي أمر الله تعالَى نبيه ﷺ بالَسير عليهَ في السراء والضراء ، ومن هنا كان سماحة الخطيب مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بهذا المعنى الواضح المبارك ، وهذا هو سر نجاح الخطيب والداعي والموجه والمربي في جميع تصرفاته ، وقد لاحظتُ هذا المعنى وهو عنصر أساسي أثناء عملي في تخريج نصوص هذه الخطب رغبة مني في الخير لأستفيد أولاً ثم الآخرون ممن كتب الله تعالى لهم الهداية والرشاد والسداد والتوفيق من هذه الآثار الحقة . وقرأ في هذه الخطب .

٦ - ولقد جاءت هذه الخطب المنبرية في أوقات مناسبة بمقتضى الحال والطلب ، لها صلة قوية بالمشاكل الاجتماعية والأخلاق والضمائر ، فلا بد من دراستها

---

(١) آل عمران : ١٥٩

دراسة جدية وأسباب وجودها ، ثم يتكلم الخطيب في هذه الأسباب ثم في المسببات ، ومن هنا كانت هذه الخطب موضع إعجاب وتقدير لدى كل مَن له صلة بالعلم والعلماء والحكمة والحكماء ، وإن هناك ميزات كثيرة أخرى سوف يجدها القاريء أثناء دراسته ونظرته في هذه الخطب ولو في أوقات فراغه ، لكي يتسنى له المتعة الروحية بعد أن يستيقظ من نومه المبكر ، ويستشعر بالمعاني السامية المثالية التي وردت في هذه التوجيهات القيمة ، ولقد شرفني الرجل بهذا الشرف وطلب إليّ لرغبة أكيدة سابقة في نفسي نحو تحقق هذا الحلم ، مع أن كل كلمة صافية نقية تصدر اليوم للدفاع عن الحق ورفع الظلم وبث الخير والنور ورد الظلم والعدوان ودفع الفساد والبغي ، لفيها خير عظيم ونفع عميم لجميع الكائنات على وجه الأرض فضلاً عن الإنسانية ، فكيف وقد صدرت هذه الكلمات المباركات التي حملت الخير والرشاد من فيّ رجل حافظة لكتاب اللّه تعالى وعامل به إن شاء اللّه وهو واقف على أعظم وأكبر منبر عرفه التاريخ الإسلامي الحافل ، يدعو إلى الخير والعلم والتواضع والمحبة والنور والهداية . تقبّل اللّه تعالى منه هذا الجهد الجيد المبارك وجعله خالصاً لوجهه الكريم ويتقبل منه مع رفع درجاته في الأولى والآخرة ، إنه سميع مجيب ، وبالإجابة جدير .

وصلى اللّه وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وعملي المتواضع في تحقيق هذه المادة العلمية المنقولة كما يلي :

١ - قراءة مادة الخطبة الواحدة بالإمعان والتمحيص .

٢ - وضع الفواصل بين الكلمات والجمل حسب المنهج المعروف في الكتابة الحديثة .

٣ - تخريج الآيات القرآنية التي أوردها سماحة الخطيب بوضع العزو في هامش الخطبة بالوضوح ثم ذكر اسم السورة ورقم الآية .

٤ - تخريج الأحاديث النبوية المرفوعة بالاختصار ، فإذا كانت هذه الأحاديث مخرَّجة لدى الشيخين « البخاري » و « مسلم » أو في أحدهما عزوتها في

الهامش مع ذكر رقم الحديث والباب وعنوانه .. وإذا كانت في غير هذين المصدرين مثل السنن الأربعة أو مسند الإمام أحمد ، أو المعاجم الثلاث للإمام أبي القاسم الطبراني أو الحاكم في المستدرك أو البيهقي في السنن الكبرى أو ابن حبان أو غيرهم ، عزوتُ الحديث إليهم مع ذكر اسم الصحابي ودرجة الإسناد وذلك نقلاً عن أئمة الحديث ونقاده ، وإذا وجد - لا سمح الله - حديث ضعيف الإسناد فأورد له شاهداً صحيحاً أو حسناً حسب القدرة والإمكان .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

العبد الفقير إلى مولاه

عبد القادر بن حبيب الله

أحد علماء المدينة المنورة

* * *

موجز عن حياة سماحة الشيخ عبد اللّه بن محمد بن زاحم « أمدَّ اللّه في عمره المديد »

● **اسمه ، ونسبه :**

هو الشيخ عبد اللّه ، بن محمد ، بن عبد الوهاب ، بن عثمان ، بن محمد بن عبد الوهاب ، بن زاحم ، من آل فضل ، من المرازيق من قبيلة البقوم ، من الأرد من قحطان .

● **أما مولده ونشأته :**

فإنه ولد - حفظه اللّه - في قرية القصب من قرى اليمامة بنجد في الوشم ، فى عام ١٣٥٠ هـ ، ونشأ فيها عند والديه ، على التقوى ، والصلاح ، وكان والده الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » - رحمه اللّه - حافظاً للقرآن الكريم ، وإماماً لمسجد في القصب .

فدرس على والده ، في دروس بعد العصر ، وبعد المغرب ، يقرأ القرآن الكريم ، وقد بدأ بالحفظ ، من قصار المفصل ، إلى آخر سورة طه ، وكما أنه قرأ ودرس ، على المقريء في القصب « الشيخ عبد العزيز بن محمد المحارب » ، وعلى المقريء « الشيخ عبد العزيز بن عليّ بن عوجان » .

ولما توفي والده الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » في عام ١٣٦٢ هـ في القصب ، وقد بلغ سن الشيخ « عبد اللّه بن محمد » ، اثني عشر عاماً ، انتقل إلى عمه الشيخ « عبد اللّه بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن زاحم » في الرياض ، وكان عمه رئيساً للمحكمة الكبرى الشرعية هناك ، وفى عام ١٣٦٣ هـ انتقل عمه الشيخ « عبد اللّه بن عبد الوهاب » رحمه اللّه تعالى إلى المدينة المنورة ، عن طريق مكة المكرمة ، فانتقل معه ، وقد أدوا فريضة الحج في العام

نفسه ، ويقول الشيخ عبد الله - صاحب هذه الترجمة - : وتلك أول مرة في حياته يرى فيها مكة المكرّمة ، والكعبة المشرّفة ، والبقاع المطهّرة ، قلت : لا شك أنها لحظة مباركة ، يتمناها كل مسلم ، وموقف عجيب ، وهو محبب للنفس ، ووقت نفيس لا يمكن نسيانه ، بل هو ثابت في الذاكرة .

وبعد أداء فريضة الحج ، توجه مع عمه والأسرة إلى المدينة المنورة ، فوصلوا في ١/١/١٣٦٤ هـ ، ثم التحق بالمدرسة الناصرية الابتدائية ، بالسنة الرابعة ، وقد بلغ سنه - آنذاك - ثلاث عشرة سنة ، وكان يدرس فيها علم الفرائض بالسنة الرابعة ، وهذا دليل قوي على مستواه التعليمي الجيد ، وهكذا أنهى دراسته الابتدائية بالمدينة المنورة ، ثم التحق بوظيفة في المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة لظروف الحياة التي قد تتعرض للإنسان ، فعين مساعداً لكاتب ضبط ، وفى هذه الأثناء كان يأخذ العلم مساءً على كل من مشايخ المدينة المنورة :

١ - عمه الشيخ « عبد الله بن زاحم » رحمه الله .

٢ - الشيخ « محمد الخيال » رحمه الله .

٣ - الشيخ « عبد العزيز بن صالح » ، بارك الله في حياته .

وكان يأخذ على هؤلاء الأجلاء العقائد والفرائض ، واللغة العربية ، والفقه .

٤ - وكان يأخذ الحديث وعلومه على « الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي » ، رحمه الله (١) . ولما فتح المعهد العلمي في عام ١٣٧١ هـ في الرياض ، ترك الوظيفة ، فالتحق به للدراسة ، وكان يحضر دروس سماحة الشيخ « محمد بن إبراهيم » ، والشيخ « عبد اللطيف بن إبراهيم » في المسجد (٢) ، والشيخ « عبد اللطيف سرحان » والشيخ « حمد الجاسر » والشيخ « عبد الرحمن ابن عودان » والشيخ « عبد العزير بن رشيد » - جزاهم الله خيراً (٣) ، وكان

---

(١) وأخذ في التفسير وعلومه عن العلامه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي .

(٢) وممن أخذ عنهم في المعهد والكلية سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بار الله فى حياته . والشيخ عبد الرزاق العفيفي .

(٣) وغفرنيتهم .

يعود إلى المدينة المنورة خلال العطلات الصيفية لملازمة علمائها المذكورين للأخذ عنهم ، وكان من أساتذته (١) .

٥ - في هذه الأثناء كان يقرأ على الشيخ « محمد بن الأمين الشنقيطي » رحمه الله للأخذ عنه في التفسير .

وبعد تخرجه من المعهد العلمي بالرياض التحق بكلية الشريعة بالرياض ، وفى عام ١٣٧٨ هـ تخرج من الكلية وأتم دراسته الجامعية .

وفى ١٣٧٩/٤/١١ هـ عين مساعداً لرئيس محكمة حائل ، وبعد إحالة رئيس المحكمة للتقاعد عين « الشيخ عبد الله » رئيساً لها بتاريخ ١٣٨٠/٤/٤ هـ .

ثم عين رئيس محكمة (ب) في ١٣٨٥/٧/١ هـ ، ثم رئيس محكمة (أ) في ١٣٨٦/٧/١ هـ .

وفي عام ١٣٩٠ هـ عاد إلى المدينة المنورة وكلف بعمل مساعداً لرئيس المحكمة بالمدينة المنورة .

وفي آخر عام ١٣٩١ هـ عين إماماً وخطيباً للمسجد النبوي الشريف .

وفي ١٣٩٧/١٢/١٢ هـ عين على وظيفة قاضي تمييز ، ولا يزال على هذه الوظيفة ويعمل مساعداً لرئيس محاكم منطقة المدينة المنورة وإماماً وخطيباً للمسجد النبوي ، ولم يرغب الخروج من المدينة المنورة طوال هذه المدة ، وأحب البقاء في المدينة النبوية الشريفة والموت فيها .

أمد الله تعالى في عمره بالعمل الصالح وأجزل له مثوبته (٢) .

عبد القادر حبيب الله

أحد علماء المدينة المنورة

* * *

---

(١) في التجويد الشيخ قاري عبد الرؤوف . والشيخ خليل عبد الرحمن .

(٢) أكثر هذه المعلومات التقيت من بعض الإخوة القريبين من الشيخ عبد الله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، أوجب الموعظة في كل أسبوع على المؤمنين ، وأوجب السعى إليها عند النداء ، وترك البيع والشراء .. والصلاة والسلام على رسول الله القدوة الحسنة .

وبعد ..

فإن خطبة الجمعة واجبه بنص الكتاب والسنّة قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ (١)

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : « كانت للنبى ﷺ خطبتان يجلس بينهما ، يقرأ القرآن ويُذكِّر الناس ، فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً » (رواه مسلم) (٢) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : « كان النبى ﷺ يخطب خطبتين . كان يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ آذان المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس ولا يتكلم ثم يقوم فيخطب » (رواه أبو داود) (٣) .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : « كان النبى ﷺ يخطب قائماً ثم يجلس ثم يقوم ويخطب قائماً » (رواه مسلم) (٤) .

---

(١) الجمعة : ٩

(٢) المشكاة : ٤٤١/١

(٣) المشكاة : ٤٤٣/١

(٤) المشكاة : ٤٤٤/١

فخطبة يوم الجمعة من هَدْي النبي ﷺ ، ولما كان المقصود من الخطبة هي الموعظة والتذكير بحق الله تعالى على خلقه وحق المخلوقين بعضهم على بعض والتذكير بتقوى الله وبكتاب الله العزيز وبفعل الخير . حرصْتُ على أن تكون الخطب مشتملة على مقاصدها الشرعية . مستمدة من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ مقتدياً بأهل الفضل والتقوى والهدى ، مستمداً من كتب التفسير والحديث وشروحها وكتب الفقه .

وتلبيه لطلبات بعض الإخوة الأعزاء بطلب طبع الخطب التى ألَّفتها وألقيتها على منبر رسول الله ﷺ . رأيتُ طبع الخطب رجاء أن ينفع الله بها كل مَن يقرأها ، ورجاء أن يكون علماً يُنتفع به . وهى جهد المقل ، ورتبتها على أبواب الفقه ، كل مجموعة تتعلق بموضوع أو متقاربة تحت عنوان واحد تسهيلاً للقاريء وتقريباً للراغب في أي موضوع ، ابتداءً بالخطب التي تتعلق بالإيمان – وعددها ستون خطبة – في المجلد الأول ، ثم التفسير والفضائل – وعددها ستون خطبة – في المجلد الثاني ، ثم الطهارة والصلاة والزكاة والصوم – وعددها سبعون خطبة – في المجلد الثالث ، ثم الحج والبيوع والأطعمة – وعددها خمسة وستون خطبة – في المجلد الرابع ، ثم الجهاد والنكاح والجنايات – وعددها ستون خطبة – في المجلد الخامس .

وأسأل الله أن يجعله عملاً خالصاً لله يعود عليّ ثوابه يوم الحاجة إليه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (١) .

ورجائى ممن يطلع عليها أن يدعو لى بالرحمة والمغفرة ، سواء أكنتُ حياً أو ميتاً .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم .

المؤلف

عبد الله بن محمد بن زاحم

* * *

---

(١) الترمذي ص ١٣٩٦

الباب الأول

الإيمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - بعثة الرسول ﷺ من أكبر النِعَم [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه على نعمه ، فلا نحصى لها عداً .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ اللّه ، وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

أرسله بالهدى ، ودين الحق ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجاً منيراً .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومَن آمن برسالته ، وعمل بسُنَّته ، إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن أعظم نعمة على أمة محمد ﷺ هى نعمة الإسلام .

أرسل اللّه إلينا رسولاً من أنفسنا نعرف نسبه خياراً من خيار من خيار .

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٢] فأخرجهم اللّه به من الظلمات إلى النور ، ومن الغفلة إلى

---

(١) ألقيت في ١/٥/١٤٠٢ هـ .

(٢) آل عمران : ١٦٤

اليقظة ، ومن الجهالة إلى المعرفة ، ومن الفُرْقة إلى الوحدة ، ومن العداوة إلى الألفة ، ومن الذلة إلى العزة . ومن الشحناء إلى الأخوة ، ومن اللهو واللعب إلى الجد والعمل ، ومن العبودية إلى الحرية . ومن الهلاك إلى النجاة ، ومن شفا حفرة من النار إلى رياض الجنة .

اختار الله لهم ديناً قيماً ، وملة سمحة ، وشريعة كاملة شاملة ، وافيةً ضافيةً ، في اعتقادها وتصوراتها ، وفي عباداتها وشعائرها ، وفي معاملاتها واقتصادها ، وفي سلوكها وأخلاقها ، وفي صلاتها وسياستها .

فأيس أعداء الإسلام أن ينالوا منه ، أو أن يحرفوه أو ينقصوه .

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾ (١)

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ (٢)

لقد شهد الله تعالى لهذا الدين بالتمام والكمال ، وجعله خاتم الرسالات ، وكلَّفَ به جميعَ الثقلين - الجنَ ، والإنس - فى جميع الأوقات ، وفي كل الأجيال والشعوب

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾(٣)

---

(١) المائدة : ٣

(٢) الأنعام : ١١٥ - ١١٦

(٣) آل عمران : ٨٥

لقد تكفل اللّه بحفظ هذا الدين . وحمايته ، من أهواء الضالين ، وتحريف المحرِّفين ، وغلو الغالين ، فلم يستطع أحد من أعدائه أن ينال منه .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ ﴾(١)

ولقد صمدَ أمام أعدائه وخصومه ألفاً وأربعمائة سنة غضاً طرياً كيوم أنزل . ولن يزال كذلك إلى أن يرث اللّه الأرض ومَن عليها ،. إن شاء اللّه تعالى .

ولقد تكفل اللّه لمن اتبع هذا الدين - قولاً وعملاً واعتقاداً - أن يمكن له ، وأن يعزه وأن ينصره وأن يرد عنه كيد أعدائه .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ ﴾

إن هذا الدين له أعداء وخصوم ، من أول ما أنزل وفي وقت الوحي والنبوة والقرون المفضلة ، وفي كل زمان ومكان .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

فهم يحاولون أن يصدوا المسلمين عن دينهم ، وأن يشككوهم في عقيدتهم ، ونظام ربهم ، والتحريشَ بينهم ، وتفريقَ جمعهم ، وتشتيتُ شملهم ، وإضعاف قوتهم ، وعزيمتهم .

---

(١) الحجر : ٩

(٢) النور : ٥٥

(٣) الأنعام : ١١٢

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (١)

وكل مَن تمسك بهذا الدين نصب لهم خصومه العداء ، وكل صاحب نعمة محسود ، فأنتم أيها المؤمنون في هذه البلاد المحروسة . محسودون على ما أنتم فيه ، نعمَ متكاثرة مترادفة ، إيمان بالله ، وعمل بسُنَّة رسول الله ﷺ ، وأمن واستقرار ، ورخاء ، وعافية ، يترك أحدُكم بابه مفتوحاً في الليل والنهار ، لا يخشى إلا الله ، ويسافر الرجل بما شاء من الأموال ، ويبيت في الصحراء لا يخاف إلا الله .

وأنتم تعلمون ما كانت عليه الحال من قبل ، من الخوف والجوع . والسلب والنهب ، وسفك الدماء . والفوضى .

فأبدل الله ذلك الخوف أمناً .. وذلك الجوع شبعاً ورياً .. وتلك الفوضى عدلاً ونظاماً ، كل ذلك بفضل الله سبحانه ثم بفضل هذه الحكومة التي جعلت دستورها القرآن .. ومنهجها الإسلام ، حكمت بما أنزل الله ، واتبعت شريعة الله . شعارها كلمة الإخلاص والتوحيد : « لا إله إلاَّ الله ، محمد رسول الله » . وخُلُقها العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . تخشى الله وتخافه ، فانتشر الأمن وفتح الله عليها كنوز الأرض ، فعمت الخيرات . وصارت لبلادنا وأمتنا مكانةٌ عالية في العالَم . وصفة مرموقة في الدنيا . تجبى إلينا ثمرات كل شيء . من جميع المعمورة .

وهذه من نعَم الله علينا يجب شكرها ، والاعتراف بها والمحافظة عليها .. يجب أن نتقى الله فيها .. فاتقوا الله أيها المؤمنون ، يجب أن نعرف الأمور ونعطيها حقها ، ونعترف بالفضل لأهله .

---

(١) البقرة : ١٢٠

كما أنه من عذاب اللّه على الأمة أن يُولى عليها شرارُها وسفهاؤها . يحكمون فيهم بغير ما أنزل اللّه ، ويمنعونهم من إقامة شعائر اللّه .، ينهبون أموالهم . ولا يعدلون بينهم .

وأعظم من ذلك الذين يطعنون في دين اللّه ، ويردون سُنَّة نبيه صلى اللّه عليه وسلم ، وينالون من أئمة الهدى والتقوى .

فكونوا على حذر يا أمة الإسلام من أعدائكم وأعداء دينكم .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

اللّهم احفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا .، وآخرتنا التي إليها معادنا .، وارزقنا شكر نعمك وأتمها علينا ، واكفنا شرور أعدائنا ، وجنبنا كل سوء وبلاء .، واغفر لنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم ....

* *

---

(١) إبراهيم : ٤٢

١ - ما يراد بالأمة (١)

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر ، وأشكره ، وقد وعد بالزيادة لمن شكر .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له إرغاماً لمن جحد به وكفر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد البَشر الشافع المشفع في المحشر ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه السادة الغرر ، ما اتصلت عين بنظر ، وأُذن بخبر .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى . ثم اعلموا أن أعداءكم وأعداء دينكم يبذلون كل جَهدهم ، وطاقاتهم ، لصدكم عن دينكم ، وصرفكم عن صراط ربكم، والعدو السافر معلوم يُخشى ويُتقى ، ولكن الخوف من المنافق الذي يدَّعي الإسلام . وهو عدو الإسلام ، يستهزيء به ويُحاول أن ينال منه فيرد سُنَّة رسولنا صلى الله عليه وسلم . وصدق الله العظيم : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ﴾ (٢)

يجب على الأمة الإسلامية في كل مكان . أن تعرف ما أحيط بها ، وأن تعرف ما يُراد بها ، وأن تتمسك بدينها وعقيدتها ، وقرآنها ، فإنه لا عزَّ لها ولا نصر ولا كرامة ، إلا بهذا الدين .

وصلوا على البشير النذير ، صلى الله عليه وسلم ....

* * *

(١) ألقيت في ١/٥/١٤١٠ هـ .

(٢) الأعراف : ١٧٥ - ١٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ - رسالة محمد ﷺ رحمة للعالَمين [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالَمين . ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾[٢]

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له ، هو الرحمن الرحيم .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً ، ومنةً على المؤمنين ، ورحمة للعالَمين .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإنَّ في كتاب اللَّه العزيز آيةً محكمةً موجزةً معجزةً ، كثيراً ما تقرع الأسماع ، وتمر على الشفاه ، وكثيراً ما ترِد في سياق الاستدلال ، إنها تقرر القاعدة الأساسية لرسالة نبينا محمد ﷺ ومهمتها في العالَمين .

قال تبارك وتعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣] ، قال الحافظ ابن كثير : يخبر تعالى أن اللَّه جعل محمداً ﷺ رحمة للعالَمين . أي أرسله رحمة لهم ، فمَن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ، ومَن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة .

---

(١) ألقيت في ١٤١٠/٨/١٢ هـ .

(٢) الفتح : ٢٨

(٣) الأنبياء : ١٠٧

وقال مسلم في صحيحه وساق السند عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله ، ادع على المشركين قال : « إني لم أبعث لعّاناً وإنما بعثتُ رحمة »(١) .

وفي حديث آخر : « إنما أنا رحمة مهداة »(٢) .

فمَن نظر بعقل وبصيرة وتأمل شريعة محمد ﷺ وآثارها . وحال مَن لم يؤمن بها عَلِم حاجة العالَم إلى رسالته عليه الصلاة والسلام ، أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، فإنَّ مَن فقد الغذاء مات في الدنيا ، ويكون في الآخرة بحسب إيمانه وعمله ، وأما مَن حُرِم الإيمان بشريعة محمد ﷺ فله العذاب .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٣) من آمن به ومَن لم يؤمن به ، فمَن آمن كتبت له الرحمة في الدنيا والآخرة . ومَن لم يؤمن به شملته الرحمة في الدنيا . بالمعافاة مما أصاب الأمم السابقة من الخسف والقذف والمسخ والهلاك الجَماعي . ويتمتع في ظل الإسلام الوارف بالأمن والعدل والاستقرار ، وبما دل عليه لإصلاح الأبدان والمعاش . وبما أرشد إليه للبحث والإنتاج والتصنيع .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٣) بُعث صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل في زمن طغت فيه الجاهلية وغلبت العادات ، وتحكمت الأهواء ، تحريفٌ وتبديل ، وكفر وإلحاد ، وشرك واستبداد .. نزعاتٌ عنصرية ، وتجمعات قومّية ، القوى يأكل الضعيف ، الأمْن مفقود . ليس إلا السلب والنهب والقتل ، والمنكراتُ ظاهرة ، والفواحش مشتهرة .

---

(١) مسلم في الصحيح ، كتاب « البر والصلة » برقم (خاص ٢٨٧) ، و (عام ٢٥٩٩) : ٢٠٠٦/٤

(٢) أورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٦٠٤/٤ وهو مرسل أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف برقم (١١٨٣١) : ٥٠٤/١١ ، وهكذا قال البخاري إنه مرسل ولم يكن مرفوعاً ، والمرفوع لم يصح ، ولم يخرج هذا الحديث أصحاب الكتب الستة ولا الإمام أحمد في المسند ، وقد أطال الإمام ابن كثير كلامه حول هذا المتن والإسناد وإنّ معناه لصحيح بلا شك ولا شبهة ، والله أعلم .

فكان الناس في جاهلية وضلال . وأهلُ الكتابين في حيرة من دينهم لحصول التحريفِ في كتبهم والتبْديل في منهجهم ، فلم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب ، فأرسل اللّه نبيه محمداً ﷺ بالكتاب والسُنَّة ، فصدع صلى اللّه عليه وسلم بما أُمِر ، ورغَّب وحذَّر وبشَّر وأنذر ، وشرع الأحكام ، وبيَّن الحلال والحرام : فأحلَّ الطيبات وحرَّم الخبائث ، ووضع عنهم الآصار والأغلال . وبيَّن سَبيل الثواب ورغَّب فيه ، وحذَّر من سُبُل الضلال ، وحفظ الحقوق وصان الكرامات ، وعرَّف كلاًّ من الذكر والأنثى بالحق الذى له والحق الذى عليه ، وأخذ بأيدي الناس إلى الهدى ، ومسك بُحُجُزِهم عن النار . ورسم نظام الفرد والجماعة والدولة ، وربط بين السياسة والدين ، ووضع قواعد ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، قادرةً على معالجة القضايا في كل العصور والأجيال ، شاملةً لكل متطلبات البَشر ، متَّسِعةً للحالات المتجددة في مستقبل العصور ، وقَسَّم المسئوليات وفرض الحدود وبيَّن التعزيرات ، لإصلاح الأمة ولقمع مَن في نفسه شره .

فأرسَى الأمن وقواعده . ووضع العدل وميزانه ، وصار الإنسان يسير من إقليم إلى إقليم ، لا يخشى إلا اللّه . فسُعد العالَم برسالة خاتم الأنبياء صلى اللّه عليه وسلم . وكان للحيوان والطيور حظ وافر في تلك الرحمة ، فقد أمر صلى اللّه عليه وسلم بالإحسان إلى الحيوان ونهى عن تكليفه ما لا يطيق ، ونهى عن تعذيبه وعن قتله عبثاً وعن اتخاذه غرضاً (١) وعن جعلها منابر (٢) . وأمر صاحب الجمل بإطعامه كفايته (٣) ، وقال في الحُمَّرَةَ : « مَن فجع هذه في ولدها ؟

(١) إشارة إلى حديث من حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما ، مسلم في الصحيح ، برقم (خاص ٥٩) ، و (عام ١٩٥٨) ، و (٥٨) من حديث عبد اللّه بن جعفر رضى اللّه عنهما .

(٢) أبو داود : برقم (٢٥٦٧) : ٣٧/٣ من حديث أبي هريرة رضى اللّه عنه ، وإسناده فيه ضعف .

(٣) أحمد في المسند : ٢٠٤/١ ، ٢٠٥ ، وأبو داود : برقم (٢٥٤٩) من حديث عبد اللّه بن جعفر رضى اللّه عنهما .

ردوه عليها » [١] ، وأخبر بأن امرأة دخلت النار في هِرة [٢] تحذيراً ، وأن بغياً دخلت الجنة في كلب ترغيباً في الإحسان إلى الحيوان [٣] ، وقال : « في كل ذِي كبد رطبة أجر » [٤] فلما رغب المسلمون عن منهج الله إلى وضع البَشر أبعد الإسلام عن القيادة وصار المسلمون أتباعاً في مؤخرة مسيرة الحياة . فكانت النكسة الكبرى والجاهلية العمياء فصارت القيادة لإبليس وحزبه ، ظلم واستبداد وقهر وتشريد ، وأقوام يحرقون فائض الطعام وأقوام يموتون جوعاً ، وأقوام يخرجون من مساكنهم وأرْض معاشهم وتعطى للغزاة ولا حول ولا قوة إلا بالله : إن الإسلام منهج متكامل متوازن - لا يُعذب الجسد لتسمو الروح . ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد ولا يكبت طموحات الفرد لمصلحة أحد ، ولا يطلق للفرد نزواته يؤذي أحداً .. وكافة التكاليف التي جاء بها الإسلام ملحوظ فيها طاقة البَشر ومصلحتهم . وقد زُود الإنسان بالاستعدادات والقدرات التي تعينه على أداء تلك التكاليف وتجعلُها محببةً إليه .

ولهذا كان هذا الدين ظاهراً على كل الأديان : بالنصر والتمكين . وبالحُجَّة والتبيين ، يوافق الفطرة والعقل السليم ، ولقد أثبتت التجارب والحس والواقع أن الإسلام سابق لخطوات البَشر وتصوراتهم قابلاً لنمو الحياة وتنوع مطالبها بكل ارتباطاتها نمواً مطرداً .

---

(١) أحمد في المسند : ٤٠٤/١ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وإسناده صحيح .

(٢) البخاري في الصحيح : ٣٧٩/٦ - ٣٨٠ ، ومسلم : (٢٧٥٦ عام) و (خاص ٢٥) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

(٣) مسلم في الصحيح برقم (١٥٤ ، ١٥٥ خاص) و (عام ٢٢٤٥) : ٣ / ١٧٦١ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

(٤) جزء من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أخرجه الشيخان في الصحيح ، البخاري : ١١٦/٢ - الفتح ، ومسلم برقم (٤٣٧) في الصلاة ، باب « تسوية الصفوف » ، وبرقم (١٩١٤) ، وبرقم (٢٢٤٤) ، باب « فصل ساقي البهائم المتمرنة وإطعامها » .

ولقد حاول الناس اتباعَ خُطا الإسلام فصاروا يتعثرون لأنهم لا يهتدون بنور الإيمان .

وقد يقول وسواس من الجن أو الإنس : إن المسلم تصيبه مصائب وكوارث ، فيقال له : ما يصيب المسلم فَبِما كسبت يداه من المعاصي .

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾(١)

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

إن ما جاء به الرسول ﷺ لم يكن سبباً لشيء من المصائب ولا تكون طاعة الله ورسولهِ قط سبباً لمصيبة ، بل طاعة الله والرسول لا تقتضي إلا جزاءَ أصحابها بِخَيْرَيَ الدنيا والآخرة . ولكن قد تصيب المؤمن بالله وبرسوله مصائبُ بسبب ذنوبهم كما لحقهم يومَ أُحد بسبب ذنوبهم لا بسبب طاعتهم ، وكذلك ما ابْتُلوا به في السرَّاء والضرَّاء والزلازل ليس بسبب إيمانهم وطاعتهم لكن امتحنوا به ليَتَخلَّصوا مما فيهم من الشر وفُتنوا به كما يُفْتَن الذهب بالنار ليتميز طيبُه من خبيثه ، والنفوس فيها شر ، والامتحان يُمحص المؤمن من ذلك الشر الذي في نفسه قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾(٣)

---

(١) النساء : ٧٩

(٢) الشورى : ٣٠

(٣) آل عمران : ١٤٠ - ١٤١

﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾(١)

ولهذا كانت المصائب تُكفِّر سيئات المؤمنين . وبالصبر عليها تُرْفَع درجاتهم ، وأما ما يلحقهم من الجوع والعطش والتعب في سبيل الله فذاك يُكتب لهم به عمل صالح ..

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾(٢)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٣)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾(٤)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾(٥)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم . اللّهم بارك لنا في شعبان وبلغنا رمضان ....

* *

---

(١) آل عمران : ١٥٤

(٢) التوبة : ١٢٠

(٣) الأنبياء : ١٠٧

(٤) الحج : ١

(٥) فاطر : ٣

٢ - متابعة النبى عليه الصلاة والسلام

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾[١]

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإنَّ متابعة النبي ﷺ . وإخلاص العبادة للّه وحده تشْرحُ الصدر وتريح النفس وتصلح البال .

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[٢]

فالإيمان له نورٌ يجعلُه اللّه فى قلب المؤمن يَشْرح به صدرَه . رُوى عن عبد اللّه ابن مسعود رضي اللّه عنه بطرُق متعددة يشُد بعضها بعضاً عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا دخل النورُ القلبَ انفسح وانشرح » ، قالوا : وما علامة ذلك يا رسول اللّه ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله » .

فإذا فقد القلبُ هذا النورَ ضاق الصدر فلا يطيب لصاحبه عيش ولا يهدأ له بال . مهما كان ومهما نال من الدنيا وملذاتها. فالكفر والشرك من أعظم أسباب ضيق الصدر قال تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٣]

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) الزمر : ٢٢

(٣) الأنعام : ١٢٥

فعلماء الإسلام صدورهم منشرحة وقلوبهم مطمئنة مَهْما حصل لهم من البلاء والاختبار .

والأعمال الصالحة كبيرُها وصغيرها من أسباب شرح الصدر .

والأعمال السيئة كبيرُها وصغيرُها من أسباب ضيق الصدر . ومحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ والإحسان إلى خلق الله ونفعُهم بالمال والجاه وبأنواع الإحسان من أسباب شرح الصدر . كما أن الكفر والشرك والبدع من أسباب ضيق الصدر .

وأيضاً فُضُول البصر .. فالنظر وفضولُ القول والاستماع . وفضول الأكل والمخالطة ، وفضولُ النوم من أسباب ضيق الصدر . فهى تتحول آلاماً وهموماً في القلب تَحْصُره وتحبسه وتعذبه في الدنيا وفي الآخرة .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . وراقبوا ربكم أيها الناس ، واسألوا ربكم الهداية والثبات ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[1]

* * *

---

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣ - ضرورة الإيمان للإنسان (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، وجاهد في اللَّه حق جهاده .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فكما أن الإنسان لا يستغني عن الطعام والشراب والهواء فإذا فقدها مات . فكذلك لا يستغني عن الإيمان بربه ، فإذا فقد الإيمان مات .. غذاءُ أبدان وغذاءُ أرواح ، موت أبدان وموت أرواح ، موتٌ حسي وموتٌ معنوي .

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (٣)

---

(١) ألقيت في ١٤٠٢/٢/٨ هـ .

(٢) جزء من آية البقرة : ٢٥٥

(٣) الأنعام : ١٢٢

فالإنسان بلا إيمان كسائر الحيوان . يُسيم في شهواته كما تسيم بهيمة الأنعام في الأعشاب .

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (١)

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (٢)

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ (٣)

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ (٤)

هذه أمثالٌ للذين ليس عندهم إيمان .. إنها حقيقة واقعية يقررها القرآن في هذه الأمثال .

الإيمان الحقيقي هو الذي تظهر آثاره على الجوارح . قول سديد وعملٌ صالح ، وخضوعٌ لخالق هذا الكون واعترافٌ برسالاته قولاً وعملاً ، اتباعاً وتطبيقاً .

الإنسان في ذاته خاضع لنظام الله في هذا الكون ، ففي جسمه حركات غير

---

(١) الأعراف : ١٧٩

(٢) الأعراف : ١٧٥ - ١٧٦

(٣) المدثر : ٤٩ - ٥١

(٤) الجمعة : ٥

اختيارية ، في أجهزةٍ من بدنه تعمل وتتحرك بقدرة الله ليس للإنسان الاختيار في تشغيلها ، ولا توقيفها .

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ (١)

لكن حركات الإنسان الخارجية خاضعة لإرادته هو واختياره ، فبإرادته يتَّبعُ الهُدى ،. وبإرادته يتَّبع سبيل الغي والردى ، وبإرادته يتكلم ويسكت ،. وبإرادته يضرُّ وينفع ، ويعطي ويمنع في إطار النظام العام الإلَهي ، والمشيئة الربانية ، والإنسان تَتَوارد عليه شهواتٌ ورغباتٌ ، ووساوسُ وأوهامٌ ، وفي نفس الوقت أمامه نور وبرهان ، وآيات ونظام ، فإن أخضع إرادته للنظام الإلَهي وسار بها في النور واتبع البرهان ، فاز ونجى وأصلح وأفلح . وإن اتبع الشهوات والأوهام ضل وهوى

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (٢)

وروى مسلم في الصحيح عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » (٣) .

فإذا اجتمعت عواملُ الغَيِّ والغُرور مع شهوات النفس ووساوس إبليس على

---

(١) فصلت : ٥٣ - ٥٤

(٢) النازعات : ٣٧ - ٤١

(٣) مسلم : ١٣٤/١ رقم ١٥٣/٢٤٠

الإنسان غلبت على بصيرته وعقله .. فتُخرجه إلى منزلة الاستعلاء والكبرياء وادعاء ما ليس له بحق .

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ (١)

ومن هذا القبيل ما أخبر الله به عن الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه – ويقال إنه نمرودُ بن كنعان ملكُ بابل – :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨ ﴾ (٢)

فلم يؤمن ولم يخضع لرسالة الله ولا لحكم الله فأرسل الله إليه جُنداً من أضعف خلقه وأحقره ، جيشاً من البعوض سلَّطه الله على نمرود وحزبه ، مزَّق لحومهم وامْتَصَّ دماءهم . (ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره) (٣) .

وفرعون لما مكَّن الله له في الأرض وأعطاه من الخيرات والأشجار والأنهار طغى وتكبر ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ ﴾ (٤) ، فاستعبد خلق الله بقتل أبناءهم وسامهم سوء العذاب . فبإرادة الله ، بإرادته النَّافذة وقدرته القاهرة : نشأ موسى عليه السلام في قصر فرعون رغم أنفه ورغم حذره ، ليكون لهم عدواً وحزناً . فلما أوحي الله إلى موسى بالرسالة إلى فرعون : ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ﴾ (٥) ، فكانت العاقبة نجاةُ موسى وقومه وغرق

---

(١) العلق : ٦ – ٧

(٢) البقرة : ٢٥٨

(٣) ابن كثير : تفسيره تحت هذه الآية : ٥٥٦/١ – ٥٥٧ بدون إسناد .

(٤) النازعات : ٢٤

(٥) النازعات : ٢٠ – ٢١

فرعون وجنوده : ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ (١) هذه سُنَّة اللّه في خلقه . وهذا هو نظام اللّه في ملكوته .. لا يختص بها أحد عن أحد ، ولا بلد عن بلد ، ولا زمن عن زمن ، لا تبديل لكلمات اللّه ، ولا تغيير لسُنَّة اللّه . فاتقوا اللّه أيها الناس .. أنقذوا أنفسكم من عذاب اللّه .

إن الذين يتحكمون في خلق اللّه بغير نظام اللّه . ويُسيطرون على أرض اللّه بغير شرع اللّه ، ويستعبدون عباد اللّه ، ويسومونهم سوء العذاب بدون حق . ويطفئون نور اللّه بأفواههم وبأيديهم . وبقواتهم الّتي أعطاهم اللّه يحادون كتاب اللّه ، وينكرون سُنَّة رسول اللّه ﷺ ؛ ويَنسبُونها إلى القصور ، وعدم الكمال واللّه تعالى يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾(٢)

إنها رِدَّة هذا العصر ، وفراعنة القرن الرابع عشر شر من أسلافهم ، ففرعون موسى يقتل الأبناء ويستحي النساء ، وأولئك يقتلون الأبناء والنساء .

إن طغاة عصرنا لم يكونوا أقوى من فرعون ونمروذ في وقتهما ، ولم يكونوا خارجين عن إرادة اللّه ، وقهره . فمصيرهم إن شاء اللّه تعالى كأسلافهم .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾(٣)

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾(٤)

---

(١) النازعات : ٢٥

(٢) المائدة : ٣

(٣) إبراهيم : ٤٢

(٤) القصص : ٥ - ٦

يجب على الأمة المسلمة أن تُصلح معاملتها مع الله . وأن تُقوى صلتها بالله . وأن تستمد قوتها من الله – مع فعل الأسباب التي أباحها الله ، وأن تسير على نظام الله ، وأن تكون من حزب الله : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[1]

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ....

* *

---

(١) طه : ٨٢

٣ - من خوارق العادات

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالَمين .. خلق العالَم بقدرته ، ورباهم بنعمته .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له . وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وعلى أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الله تبارك وتعالى أجرى الأشياء على سُنن كونية منتظمة متقنة من أجل مصالح العباد ، ولكنه تعالى يغير ما شاء متى شاء لحكم ومصالح ، فالمعروف من سنن الكون الربانية أن الولد يُخلق من أب وأم ، ولكن الله تعالى خلق عيسى عليه السلام من أم دون أب .

والمعروف أن الإنسان إذا مات تعفن ، ويبس وعاد عظاماً ورفاتاً .. إلا الأنبياء فلا يأكل لحومهم الدود بل تبقى على ما كانت عليه غضة طرية (١) .

والطعام إذا مضى عليه زمن فسد ، والماء إذا طال مكثه أسن ونضب ، إلا طعام عزير وشرابه بقى مائة عام لم يتغير .. وجسده أيضاً وهو ميت لم يتغير ، أما حماره فقد مضت عليه السُنَّة العامة . فتمزقت أشلاؤه وتبدَّدت عظامه . قال

---

(١) إشارة إلى حديث أوس بن أبي أوس رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند : ٨/٤ ، وإسناده لا بأس به وهو مجال سكنه دمشق ، وقد أخرج حدثه السنن الأربعة أبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ما عدا الترمذي والدارمي في سننه أيضاً ، وله ترجمة طويلة في تاريخ دمشق لابن عساكر : ١٨٦/٣ - ١٨٩ . وقد أشار الحافظ في الإصابة رقم الترجمة (٣٣٧) من : ٨٢/١ إذ قال : روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه وصح من طريقه أحاديث .

قلت : وإلى هذا المتن أشار الحافظ مع عدم إيراد لفظه ، والله أعلم ، وصححه ابن حبان (٥٥٠) ، وابن خزيمة في الصحيح (١٧٣٣) ، والحاكم في المستدرك : ٢٧٨/١

الله تعالى ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ (١)

آيات بيِّنات لأولي الأبصار ولأولي الألباب ، إننا نشاهد دائماً خوارق عادات . وتغيراً في نظام بعض الموجودات ، مثل الكسوف والخسُوف ، والزلازل ، والفيضانات ، والجدب والقحط ، ونزع البركة والعز والذل والفقر والغنى ، وسقوط بعض الطائرات .. وفشل بعض المصنوعات ، ومواليد تنقص خلقتُهم عن السنن المعتادة ، كل هذه الآيات تدل على أن الله تعالى قاهر فوق عباده ، متصرف في هذا الوجود بحكمته وإرادته : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٢)

فاتقوا الله عباد الله ، واعرفوا لربِّكم حقه وأقدروا قدره حَسَب استطاعتكم ، واسألوه الهداية والثبات فإن القلوب بين إصبعين يقلبها كيف يشاء (٣) . وصلُّوا على البشير النذير ....

* * *

---

(١) البقرة : ٢٥٩

(٢) الأنعام : ٣٣

(٣) أخرجه أحمد في المسند : ١٦٨/٢ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وأخرجه مسلم في الصحيح رقم (٢٦٥٤) وله شاهد بهذا اللفظ أخرجه الترمذي برقم (٢١٤١) من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه وإسناده حسن ، وأخرجه أيضاً البغوي في شرح السنَّة برقم (٨٨) : ١٦٤/١ - ١٦٥ ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وله شاهد ثالث من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ١٨٢/٤ وإسناده صحيح وأن هناك خطأ في نسخة المسند .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤ - إفراد اللّه بالعبادة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾[١]
وأشهد أنْ لا إله إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن اللّه تعالى بعث رسوله محمداً ﷺ ، بالهدى ودين الحق .، أرسله رحمة للعالَمين ، فأخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وهداهم به إلى صراط مستقيم ، فبلّغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، وعرّف العباد بخالقهم جلَّ جلاله ، وبيّن حقوقه عليهم ، وكان أحرص ما يكون صلى اللّه عليه وسلم على تثبيت قواعد الإيمان في النفوس ، وتحقيق العبادة للّه ، وحده لا شريك له .. وحماية جناب التوحيد من شوائب البدع ، وأعمال الجاهلية ، وصيانة قواعد الإيمان من الزيغ والشكوك ، كل ذلك حرصاً على سعادة أُمته وفلاحِها في الدنيا والآخرة .

أيها المسلمون .. تأملوا هذه الكلمات الموجزات التي علّمها النبى ﷺ لابن عمه عبد اللّه بن عباس . وما اشتملت عليه من المعاني وأسمى المقاصد ، والخير الكثير .

---

(١) ألقيت في ١٣٨٣/٨/١٠ هـ .

(٢) جزء من آية الملك : ١

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً . فقال : « يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تُجاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفِعت الأقلام وجفَّت الصحف » [١] .

وفي رواية : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة . واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك . واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفَرَج مع الكرب ، وأن مع العُسر يُسراً » [٢] .

هذا الحديث أصل عظيم في مراقبة الله ومراعاة حقوقه والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه ، وتحقيق توحيده وإفرادِه بالعبادة وحده لا شريك له ، وأن المخلوقين كلهم عاجزون ومفتقرون إليه .

فهو قاعدة من قواعد الدين ، وحصن يحمي حمى التوحيد والإيمان ، وهو صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بربهم وأعلم بما فيه سعادة أمته ، وأحرص على أمته من أنفسهم ، أمر بمراقبة الله في السر والعلانية وملازمة طاعته ، واجتناب نواهيه ، واستحضار عظمته وقدرته . والإكثار من ذكره ، وحمده وتسبيحه ، فإذا فعل العبد ذلك حفظه الله في نفسه وأهله ، وماله ودينه ، ودنياه ، وثبَّته على الصراط المستقيم ، الموصل إلى الله وإلى جنات النعيم ، يوفقه ويعينه ويكون له أنيساً في جميع أحواله . يشرح صدره ويطيب نفسه ، ويغنيه عمن سواه ، فهو الذي بيده ملكوت كل شيء ، وبيده أزِمَّة الأمور ،

---

(١) أحمد في المسند : ٢٩٣/١ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وإسناده حسن .

(٢) أحمد في المسند أيضاً : ٣٠٧/١ - ٣٠٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، من وجهين عنه وإسناده لا بأس به جيد .

وعنده خزائن الكون ، ومفاتيح كل شيء . وهو الذي يقضي الحاجات ، ويجيبُ الدعوات ، وهو القادر على كل شيء .

فهو المستحق لأن يُسألَ ويُستعانَ به في جميع الأمور والأحوال ، وأما الخلق فكلهم فقراء إليه ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً .

وأقربُ الناس إلى الله تعالى وأعزهم على الله وأعرفهم بالله هو صفوتهُ من خلقه وخيرته من أنبيائه ، نبينا محمدٌ ﷺ فهو أكرم الخلق على الله وأقربُهم منزلة عند الله ، ومع هذا يقول صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة وعمه وعمته رضي الله عنهم : « سلوني من مالي ما شئتم لا أغني عنكم من الله شيئاً »[(١)] ، ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾[(٢)] فما بالكم بمن دونه صلى الله عليه وسلم ؟ فإذا كان المخلوق - كائناً مَن كان - لا يملك لنفسه خيراً . ولا يدفع عن نفسه ضراً . فهو إذاً لا يملك لغيره نفعاً ولا يدفع ضراً .

أخي المسلم .. كيف تسأل عبداً من عباد الله أن يعطيك ما لا يستطيعه لنفسه ؟ وكيف تطلب منه أن يدفع عنك ما لا يدفعه عن نفسه ؟﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ ﴾[(٣)] وإن تعجب فعجب[(٤)] فعل مَن يلجأ إلى بعض المخلوقين ، من النبيين والصالحين ، يدعوهم ويطلب منهم العون والمدد . وقضاء الحوائج وكشف الضر ، وتفريج الهم والكرب ، ويقرِّبون لهم القرابين وأنواع العبادة التي لا يجوز صرف شيء منها لغير الله تعالى ، ويطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله جلَّ

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هرير رضي الله عنه . البخاري في الصحيح : الوصايا برقم (٣٧٥٣) : ٣٨٢/٥ : الفتح ، وأحمد في المسند : ٢٠٦/١

(٢) يونس : ٤٩

(٣) يونس : ١٠٧

(٤) إشارة إلى آية ٥ من سورة الرعد .

جلاله ، بل ويعلقون آمالهم بالجمادات والأشجار من الحديد والأحجار والحيطان .

ويزعمون أن لها بركة تلحقهم إذا تمسحوا بها لا يفرِّقون بين ما شرعه الله ورسوله وبين ما نهى الله عنه ، ورسوله .

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾(١)

فاتقوا الله عباد الله ، وراعوا حقوق الله ، وتمسكوا بكتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ففيهما الخير والبركة والسعادة والفوز والنجاة ، وإياكم وبدع المبتدعين ، الذين شرَّعوا ما لم يأذن به الله ، فإن كل عمل يخالف أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وتشريعه مردود على صاحبه .

عباد الله .. لقد اشتمل هذا الحديث على بشارتين من المصطفى صلى الله عليه وسلم لعباد الله المؤمنين ، أولاهما : أن مَن تقرَّب إلى الله في وقت سعته وقدرته على العمل فامتثل أمره واجتنب نهيه وأكثر من ذكره ، واستحضار عظمته ، يجد ذلك ذخراً عند الله في وقت شدته وضعفه وعجزه عن العمل ، فيكتب له من الأجر مثل ما كان يعمل ، ويؤيده ويؤنس وحشته ، وأحوج ما يكون الإنسان إلى ذلك وقت الموت ونزعات الروح فيرحمه مولاه ويثبته ويقوى أمله ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦ ﴾(٢)

وثانيهما : أن الشدة لا تدوم على حال فلا بد أن تكشف ، وكل شيء إذا بلغ منتهاه أعقبه ضده ، فآخر الصبر هو أول النصر . وآخر الكرب هو أول الفَرَج ، وآخر العُسر هو أول اليُسر ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾(٣)

---

(١) فاطر : ٨

(٢) الأعراف : ٥٦

(٣) الشرح : ٥ – ٦

وكلما اشتد الأمر على المؤمن إزداد إيماناً بالله وتوكلاً عليه ، ورغب فيما عنده ، وأيس من جميع المخلوقين ، لأنه تيقن أنهم لا يملكون له نفعاً ولا يدفعون عنه ضراً ، وإنما الأمر كله لله وحده لا شريك له ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾(١)

اللّهم إنّا نسألك إيماناً صادقاً ، ويقيناً كاملاً ، ونسألك نعيماً لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، ونسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك الكريم .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) الأنعام : ١٧

٤ - قول العالم الحنفى

(الخطبة الثانية)

الحمد للّٰه رب العالَمين ، تفرَّد بتصريف هذا الكون في أُولاه وأُخراه .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاَّ اللّٰه وحده لا شريك له ، ليس له شبيه ولا نظير ، ولا ند له ولا وزير ، لا يشغله شأن عن شأن ولا كبيرٌ عن صغير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، تركنا على المحَجَّة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك [١] .

اللّٰهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فقد ذكر عالِم من علماء الأحناف - رحمه اللّٰه - في كتاب له نفيس دافع فيه عن الإيمان والتوحيد سماه « الرد على مَن ادعى أن للأولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامات » .

ومما قاله : قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعاتٌ يدَّعون أن للأولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم ويُستغاث بهم في الشدائد والبليات ، وبِهمَمِهِم تُكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات . مستدلين أن ذلك منهم كرامات ، وقالوا : منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء ، وسبعون وسبعة .

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّٰه عنه ، أحمد في المسند : ١٢٦/٤ ، وإسناده صحيح أيضاً ، المقدمة باب (٦) .

وأربعون وأربعة ، والقطب هو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس [١] وجوّزوا لهم الذبائح ، والنذور ، وأثبتوا لهم فيها الأجور قال : وهذا كلام فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي ، لما فيه من روائح الشرك المحقق ، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق . ومخالفة لعقائد الأئمة ، وما اجتمعت عليه الأمة ، وفي التنزيل : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[١]

ثم أخذ رحمه الله برد تلك المغالي فقرة فقرة من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، ولا يتسع لها المقام ، فيُرجى من إخواننا المغرورين بتلك المقالة أن يراجعوا ذلك الكتاب وأمثاله من كتب أهل السُنَّة والجماعة ، ليعرفوا الأمر على حقيقته ، وليُكشف تلبيس إبليس وجنوده .

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

اللّهم إنّا نعوذُ بك من مضلات الأهواء ومن زَيْغ القلوب ، ومن سوء الاقتداء ، إخوة في الله . لقد أمرنا الله بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[٣]

* * *

(١) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد : ٣ / ٧٤ - ٧٦ في ترجمة محمد بن عليّ بن جعفر الكتاني .

(٢) النساء : ١١٥

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥ - الإسراء ثابت بالكتاب والسُنَّة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه رب العالَمين ، كل شيء خاضع لإرادته منقاد لمشيئته ..

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[١]

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ الأرْضِ ، يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٢]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اصطفاه وأدناه ، ورفعه منزلة لم يبلغها أحد من الخلق سواه .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع ملّته وعمل بسُنّته .

أما بعد ..

فإن قدرة اللّه لا تُدركها عقول البَشر . ولا تُقاس بقدرة الناس وطاقاتهم . فمَن الذي يحيط بالقدرة التي جاءت بعرش بلقيس من اليمن إلى نبي اللّه سليمان عليه الصلاة والسلام في القدس قبل أن يرتد إليه طرفه .

وأين العقل الذي يدرك القدرة التي قَلَبت عصى موسى صلى اللّه عليه وسلم حينةً تسعى تلقف الحِبَال والعِصى فلا يبقى لها أثر .

---

(١) ألقيت في ١٤١٣/٧/٢٢ هـ .

(٢) الأنعام : ١٨

(٣) الأنعام : ٣

أم كيف يُدْرك القدرة التى رَدّت الروحَ والحياةَ في الطيور التي مَزَّقها إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وجعل على كل جبل منهن جزءاً ، فلما دعاهن أتينه سعياً ، يَطِرْن ليس بهن بأس ، فسبحان العزيز الحكيم .

فكذلك الإسراء والمعراج قدرة إلَهية وحكمة ربانية خارجة عن إدراك البَشر وطاقاتهم . إنها حركة مختارة من اللطيف الخبير ، ربط الله بالإسراء والمعراج بين عقيدة التوحيد من إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ ، وربط بين المسجدين المطهرين - المسجد الحرام والمسجد الأقصى - فَنَبيُّنا محمد ﷺ وارث الرسالات ، ومُقدسات الرسل قَبْله . فالقدس حق للمسلمين أتباع الرسول محمد ﷺ .

والإسراء آية صاحبتها آيات ، فالنقله الخارقة التى ربطت بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في برهة وجيزة لم يَبْرُد فيها فراش رسول الله ﷺ آية من آيات الله وقدرة عظيمة ، فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، آمنا بالله وبقدرة الله .

وأما قصة الإسراء والمعراج ، فرواها أهل الحديث فى كتبهم عن عشرين صحابياً ، ومنها ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس (١) بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « أُتيتُ بالبراق وهو دابة طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرْفه ، قال : فركبته حتى أتيتُ بَيت المقدس ، قال : فربطته بالحلقة التى يَرْبط به الأنبياء ، قال : ثم دخلت المسجد فصليتُ فيه ركعتين ثم خرجتُ فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترتُ اللبن فقال جبريل ﷺ : اخترتَ الفطرة ، ثم عَرَج بنا إلى السماء فاستفتح (٢) جبريل فقيل : مَن أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : مَن معك ،

---

(١) صحيح مسلم مع النووي : ٢٠٩/٢ . قال القرطبي (٢١٠/١٠) : المسجد الحرام قبل المقدس بأربعين سنة ، البخاري كتاب « التوحيد » ابن كثير : ٣٤/٣

(٢) صحيح مسلم مع النووي باب « الإسراء » : ٢٠٩/٢ . المتن : ١٧/١ - عدد (عام ٢٧٩) و (خاص ١٧٣) كتاب الإيمان .

قال : محمد ، قيل : وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففُتِح لنا . فإذا أنا بآدم فرحبٌ بى ودعا لى بخير . ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل : مَن أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومَن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات اللّه عليهما فرحَّبا ودَعَوا لى بخير ، ثم عَرَج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل - وذكر المناقشة كما تقدم - قال : ففُتِح لنا فإذا أنا بيوسف صلى اللّه عليه وسلم ، فإذا هو قد أعطى شطر الحُسن فرحبٌ بي ودعا لى بخير . ثم عَرَج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل - وذكر كما تقدم - ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحبٌ ودعا لي بخير .. قال اللّه عَزَّ وجَلَّ : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾(١) ، ثم عَرَج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل - وذكر مثلما تقدم -- ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون صلى اللّه عليه وسلم فرحبٌ بي ودعا لي بخير . ثم عَرَج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام - وذكر مثلما تقدم - ففتح لنا فإذا أنا بموسى صلى اللّه عليه وسلم فرحبٌ ودعا لي بخير . ثم عَرَج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل - وذكر مثلما تقدم - قال : ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى اللّه عليه وسلم مُسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه . ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة . وإذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها من أمر اللّه ما غشى تغيرت . فما أحد من خلق اللّه يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى اللّه إليّ ما أوحى ، ففرض عليّ خمسين صلاةً في كل يوم وليلة ، فنزلتُ إلى موسى صلى اللّه عليه وسلم فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإنى قد بلوتُ بني إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعتُ إلى ربي فقلت : ياربِّ ؛ خفف على أمتي فحَطَّ عني خمساً فرجعتُ إلى موسى فقلت :

---

(١) مريم : ٥٧

حطَّ عني خمساً ، قال : إنَّ أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال : فلم أزل أرْجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد ؛ إنهن خمسُ صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرٌ فذلك خمسون صلاة . ومَنْ هَمَّ بحسنه فلم يعملها كُتبت له حسنة ، فإن عملها كُتبت له عشراً ، ومَنْ هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم تُكتب شيئاً ، فإن عملها كُتبت سيئةً واحدة . قال : فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . فقال رسول الله ﷺ : قد رجعت إلى ربي حتى استحييتُ منه » .

قال القرطبي في التفسير [١] : ومما ليس في الصحيحين ما خرَّجه الآجري عن أبي سعيد الخدري في قوله : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [٢] ، ذكر بعدَ صفة البراق قال : « فسمعت نداء عن يميني : يا محمد على رِسْلك حتى أسألك ، فمضيتُ ولم أعرج عليه ، ثم سمعتُ نداء عن يساري : يا محمد على رِسْلك ، فمضيتُ ولم أعرج عليه ، ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة الدنيا رافعة يديها تقول : على رِسْلك حتى أسألك فمضيتُ ولم أعرج . فأخبر جبريل بذلك . فقال جبريل : إن الداعي على اليمين داعي اليهود ولو وقفتَ لتهوَدت أمتك ، وإن الداعي على الشمال داعي النصارى ولو وقفتَ لتنصَّرت أمتك ، وقال في المرأة : تلك الدنيا ولو وقفتَ لاخترتَ الدنيا على الآخرة » .

وأخبر النبي ﷺ أم هانيء بالقصة ثم قام ليخرج فتشبَّثت بثوبه فقال : « مالكِ » ؟ قالت : أخشى أن يكذِّبك قومك إن أخبرتهم . قال صلى الله عليه وسلم : « وإن كذَّبوني » فخرج وجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول ﷺ بحديث

---

(١) الجزء العاشر ص ٢٠٦ . وقال : ذكرها أبو الربيع سليمان بن سبع في كتاب « شفاء الصدور » .

(٢) الإسراء : ١

الإسراء ، فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي هلم ، فحدَّثهم فمَنْ بين مصدِّق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً . وارتدّ ناس ممن كان آمن به صلى اللّه عليه وسلم ، وسعى رجال إلى أبى بكر الصدِّيق رضى اللّه عنه فقال : أوَ قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : فتصدقه في أن يأتى الشام في ليلة واحده ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح . قال أبو بكر رضي اللّه عنه : نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء . فسُمِي الصديقُ رضي اللّه عنه وأرضاه . ثم سألت قريش النبي ﷺ عن البيت المقدس فوصفه لهم . وسألوه عن عيرهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها . فوجدوا الأمر كما ذكر الصادق المصدوق صلى اللّه عليه وسلم .

والرسول ﷺ لم يتخذ من واقعة الإسراء والمعراج معجزةً لتصديق رسالته مع إلحاح قومه في طلب الخوارق ، لأن دعوة الإسلام لا تعتمد على الخوارق ، إنما تعتمد على منهاجها وأسلوبها ومخاطبتها للفطرة القويمة المتفقة مع صحة الإدراك وصحة التصور . وحكمة الإسراء والمعراج كما قال تعالى : ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَتِنَآ ﴾ .

والربط بين افتتاح السورة بالتسبيح والعبودية للّه . وبين الإسراء والمعراج . ﴿ سُبْحَٰنَ الَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ فيه تقرير الألوهية والكمال للّه . وتقريرُ العبودية للنبى ﷺ فى مقام الإسراء والمعراج الذي هو من خوارق العادات لكى لا يلتبس على الناس مقام العبودية بمقام الألوهية كما التبسا على النصارى بسبب ما أُعطى عيسى عليه الصلاة والسلام من خوارق العادات .

وبمعرفة الفرق بين العبودية والألوهية تبقى عقيدة الإسلام صافيةً نظيفةً خالصة للّه وحده منزَّهة من كل شبهه من قريب أو بعيد . ولا يجوز للمسلم أن يقتدي بالنصارى فى أعيادهم وحفلاتهم ، فقد أُمرنا بمخالفة اليهود والنصارى والاقتداء بالنبي ﷺ في هَدْيه . فيوم عاشوراء يوم نجى اللّه فيه موسى وقومه فصامه صلى اللّه عليه وسلم وأمرنا بصيامه وبمخالفة اليهود ، بصوم يوم قبله أو يوم

بعده . ولم يكن من سُنَّته عليه الصلاة والسلام ولا من سُنَّة الخلفاء الراشدين ولا من عادات أهل الإيمان والتقوى الاحتفال بالمناسبات والذكريات الإسلامية . فيجب على المسلم أن يقتدي بالنبي المطهر صلى الله عليه وسلم . وبأهل القرون المفضَّلة في سيرتهم . فمَن كان يُحب الرسول ﷺ فليقتد به ولا يزيد عن شريعته وسُنَّته . فإن العبادات مبناها على التوقيف . فلا يجوز للإنسان أن يعمل عبادة باستحسانه أو استحسان غيره . قال صلى الله عليه وسلم : « مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (متفق عليه) (١) .

وفي رواية لمسلم : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم : هذا الحديث مما ينبغي حفظه في إبطال المنكرات . وقال ابن حجر : هذا حديث معدود من أصول الدين وقاعدةٌ من قواعده .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، عليكم بسُنَّة النبي المختار ﷺ وسُنَّة الخلفاء الراشدين ، عضوا عليها بالنواجذ . وإياكم ومحدثات الأمور فإنها شر وضلالة كما قال صلى الله عليه وسلم : « وشر الأمور محدثاتها وكلُّ بدعة ضلالة » (٢) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٢١ ﴾ (٣)

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ....

* *

(١) رياض الصالحين ص ٨٥

(٢) رياض الصالحين ص ٨٦

(٣) الأنفال : ٢٠ - ٢١

٥ - سعادة الأمة في صلاح أخلاقها

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه رب العالَمين . نظَّم سلوك المسلمين ودلَّهم على مسارب الخير ونهاهم عن مصائد الشيطان .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . حثَّ على الفضائل ونهى عن الرذائل وبيَّن طرق السلامة والنجاة .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . صاحب الخُلُق العظيم والدين القويم .

اللّهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستقام .

أما بعد ..

فإن سعادة الأمة وفلاحَها مبنية على أخلاقها ، فمتى صلحت الأخلاق توفر أسباب الفلاح .

وأخطر المعاصي على المجتمع جريمة الزنا . فيه انتهاك حُرُمات اللّه ، وتعدٍ على حدوده . وفيه خيانة للبيت والفراش . وجريمة على النطفة التي توضع في رحم حرام . وفيه اختلاط الأنساب ، وفيه تحطيم مستقبل الزانية وهتكُ أستار الحياء والعفة .

والزنا محرَّم في دين الإسلام ، ورتَّب عليه عقوبة . فإن كان الزاني ذكراً أو أنثى محصناً فحده الرجم بالحجارة حتى يموت .

وإن كان بكراً فيُجلد مائة جلدة ويُغرَّب عاماً . قال تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي

دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢)

« يا معشر الشباب ؛ مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١)

* * *

---

(١) النور : ٢

(٢) الإسراء : ٣٢

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦ – سورة الإسراء لم تذكر المعراج (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين . وهو القاهر فوق عباده وهو الحليم الخبير .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له . بيده ملكوت السموات والأرض ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله اصطفاه لعبادته . وشرَّفه برسالته وكرَّمه برفع ذكره . وخرق له العادات تكريماً لنبيه وإظهاراً لقدره وتثبيتاً لفؤاده .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وخلفائه وأزواجه ومَن اهتدى بهَدْيه واستقام على سُنَّته .

أما بعد ..

فإن القرآن حينما يتحدث عن واقعة من الوقائع ، أو عن قصة من القصص ، لا يهتم بالتاريخ الزمني الذي وقعت فيه لأن العبرة بمدلولاتها التشريعية .

ومن ذلك قصة الإسراء والمعراج قال تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ (٢)

والآية الكريمة لم تذكر المعراج من البيت المقدس إلى السموات العلا وإلى

(١) ألقيت في ١٤٠٤/٧/٢٦ هـ .

(٢) الإسراء : ١

سدرة المنتهى . لكن أشير إليه في سورة النجم بقوله تبارك وتعالى : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ (١)

فالإسراء آية من آيات الله صاحبتها آيات : ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢)، تفتح قلوب المصطفين من عباد الله على مكنونات هذا الوجود . وتكشف من أسرار هذا الكون لمن شاء الله من أنبيائه .

فالقصة إذاً أبعد من حدود الزمان والمكان ، وتشير إلى أبعاد أوسع وإلى معاني أعظم .

والقرآن الكريم لم يُفَصِّل الآيات التي رآها نبينا محمد ﷺ . وهكذا أسلوب القرآن فهى آيات أضخم وأعظم من إدراك البشر لكيفيتها ووصفها ، وجاء فى الأحاديث أن النبى ﷺ رأى الجنة على حقيقتها (٣) . ورأى النار على طبيعتها وفوقها الصراط ، ورأى في كل سماء عُمَّارها واستقبله مقرَّبوها (٤) ، ورأى البيت المعمور وما يدخله من الملائكة ، ورأى سدرة المنتهى وما يغشاها . وسمع صريف الأقلام (٥) وتلقى الوحي من الكبير المتعال دون واسطه . وناجاه وراجعه في تخفيف الصلوات من خمسين حتى جُعِلت خمس صلوات في كل يوم وليلة . ثم هبط ومعه الأنبياء إلى بيت المقدس وصلى بهم - عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم - هذه النقلة العجيبة . وهذه الرحلة السريعة في برهة من الزمن .

---

(١) النجم : ١٣ - ١٨

(٢) طه : ٢٣

(٣) مسلم مع النووي : ٢٠٩/٢ ، مسلم مفرد : ٧/١

(٤) مسلم مع النووي : ٢٢٢/٢ ، مسلم مفرد : ١٤٩/١

(٥) مسلم مع النووي : ٢٢٢/٢ ، مسلم مفرد : ١٤٩/١

غادر فيها صلى اللّه عليه وسلم فراشه ورجع إليه في ليلته ولم يبرد بعد . إنها قدرة إلَهية وكرامة نبوية لها حكمتها وغاياتها .

ولعل من ذلك تمرين النبي ﷺ على تلك الآيات التي حُجبت عن البَشر . حتى إذا كان يوم القيامة يكون قد عرفها وتمرن على رؤيتها ، ليتفرغ للشفاعة الكبرى والمقام المحمود الذي خُص به صلى اللّه عليه وسلم في ذلك الموقف العظيم . كما أن الإسراء والمعراج حركة تشريعية . ربطت بين عقائد التوحيد من إبراهيم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ، تربط بين الأماكن التي قدَّسها ربها بوَحْيه ورسالاته لديانات التوحيد .

ومنها إعلان وراثة الرسول ﷺ لمقدسات الرسل قبله ، وأن رسالته مصدِّقة لتلك الرسالات ، فالرسالة المحمدية مصدِّقة لما قبلها ومهيمنة عليها . فلا يقبل اللّه من أحد ديناً إلا دين اللّه الذي أنزله على خاتم رسله محمد ﷺ . ولقد جمع اللّه لنبيه صلى اللّه عليه وسلم بين الإيمان بعلم اليقين وبين الإيمان بعَيْن اليقين . ليكون ذلك أقوى له في تلقي الرسالة . والنهوض لتبليغها والصبر على ما يلاقيه فيها من أذى وتكذيب . وجهاد وقتال . كما أنه صلى اللّه عليه وسلم حصلت له في هذه القصة المقارنة بين الدنيا وما فيها . وبين الآخرة وما فيها ، ولذلك زهد في الدنيا ورغب في الآخرة . وخرج من الدنيا ولم يشبع فيها ثلاثة أيام متواليات من خبز الشعير ، فهو عرف الآخرة وأعطاها حقها ، وعرف الدنيا وأعطاها حقها .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾(١)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ....

* *

(١) الأحزاب : ٢١

٦ - لا يجوز إطراء الرسول عليه الصلاة والسلام

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه الولي الحميد . وهو على كل شيء شهيد .

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . ذو العرش المجيد ، فعَّال لما يريد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، حَمى حِمَى التوحيد ، صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإذا تأملنا مستهل سورة الإسراء وجدناها بُدِئت بالتسبيح وهو تنزيه اللّه تعالى عن كل ما لا يليق به . وإذا تأملنا خاتمتها وجدناها ختمت بقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾(١) ، كما أنه تعالى قرن قصة الإسراء بنبيه صلى اللّه عليه وسلم بأشرف صفاته وهي العبودية للّه تعالى . فالجمع بين مقام التسبيح للّه . وبين مقام عبودية محمد ﷺ لربه . وبين الحمد للّه وتنزيهه عن الولد والشريك والولي من الذل . والأمر بتكبيره وتعظيمه .

في هذا سر عظيم لتنبيه هذه الأمة وإنقاذها من الأخطاء التي وقعت فيها النصارى . حيث اختلط عليهم مقام العبودية ومقام الألوهية بسبب خوارق العادات التي حصلت لعبد اللّه ورسوله عيسى عليه السلام . فكانت خوارق العادات التي أعطاها الخالق تبارك وتعالى لعبده عيسى سبباً لفتنتهم .

---

(١) الإسراء : ١١١

ولذلك كان نبينا محمد ﷺ يحذرنا من الأخطاء التي وقعت فيها النصارى . وكان صلى الله عليه وسلم حريصاً على حماية جناب العقيدة والإيمان من الشوائب التي دخلت على النصارى .

فقال عليه الصلاة والسلام : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد الله ورسوله » .

ولما جاء إليه رجل فقال : ما شاء الله وشئتَ . قال عليه الصلاة والسلام : « أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده » .

فالواجب على المسلم أن يتبصَّر في دينه وأن يأخذ عقيدته وعباداته من وحي الله الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسُّنَّة .

وأن يتثبت فيما يقول ويفعل .

فاتقوا الله عباد الله . وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[1]

* * *

---

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧ - الاحتفال بالإسراء [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه رب العالمين ..

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[٢]

وأشهد أنّ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، كل شيء خاضع لقدرته . وكل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه تُرجعون .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . اصطفاه ربه فأواه . شرح له صدره . ورفع له ذكره ، واتخذه كليماً وخليلاً . ورفعه منزلة لم يبلغها أحد من الخلق سواه .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومَن أحسن اتباعه واستقام على شريعته .

أما بعد ..

فحينما اتكلم عن الإسراء والمعراج ، لا على سبيل الاحتفال به ، ولا على أن لمناسبته وتاريخه أعمالاً مخصوصة ، وإنما على أنه حقيقة واقعية اشتملت على فوائد وتشريع وحكم وأسرار تتصل بالإيمان وعقيدة التوحيد يجب أن تكون محل اهتمام المسلم وأن يعمل بها في كل الأوقات .

---

(١) ألقيت في ١٤٠٢/٧/٢٨ هـ .

(٢) الفرقان : ١

الإسراء والمعراج ثابتان بالكتاب والسُنَّة .

فاسري بنبينا محمد ﷺ من المسجد الحرام فى مكة المكرَّمة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس في الشام .

ثم عرج به إلى السموات يستقبله من كل سماء مقرِّبوها ، حتى تجاوز السمواتِ السبعَ وبلغ سدرة المنتهى .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾[1]

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الرسول ﷺ حدَّثهم عن ليلة اسري به . وجاء فيه : « أنه صلى الله عليه وسلم أُتِى بالبراقِ وهو دابة دون البغل وفوق الحمار ، يضع حافره عند أقصى طَرْفه . فركبه حتى أتى بيت المقدس . فصلى فيه ركعتين . وجاءه جبريل عليه السلام بإناءٍ فيه خمرٌ وإناءٍ فيه لبنٌ ، فاختار اللبن فقال جبريل : اخترتَ الفِطْرة .

ثم عرج به إلى السموات . فكلما مرَّ بسماء رحب به مقرِّبوها ورأى الأنبياء في السموات .

ورأى عن يمين آدم أَسْوِدَةً ، وعن شماله أسودَة . فإذا نظر إلى يمينه ضحك وإذا نظر إلى شماله بكى ، فقال جبريل : هذا آدم وهؤلاء نَسَمُ ذريته . فأهل الجنة على يمينه وأهل النار على شماله .

ورأى البيت المعمور يدخله كلَّ يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه .

ثم رُفع إلى سدرة المنتهى ورأى ما يغشاها ، ورفع منزلة حتى سمع صريف الأقلام تكتب بأمر الله ما شاء من الأقدار .

---

(١) الإسراء : ١

وفُرِضت عليه الصلواتُ : خمسين صلاةً في كل يوم وليلة ، وَحْياً من اللّه دون واسطة المَلَك . فما زال يراجع ربه ويسأله التخفيف حتى جُعِلت خمس صلواتٍ وهى تعْدل خمسين صلاة في الأجْر والثواب . وأعطى معها خواتيم سورة البقرة : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1] .... إلى آخر السورة .

وغُفر لمن لا يُشرك باللّه من أمته شيئاً . ثم أُدخل الجنة ورأى فيها كُثْبانَ اللؤلؤ والمسك .

ثم عاد إلى الأرض . وصلَّى بالأنبياء في المسجد الأقصى .

لقد رأى من آيات ربه الكبرى . ورأى من عظيم قدرة اللّه وأسرار خلق اللّه .

شُقَّ صدره وبطنه قبل الإسراء ومُلِئ إيماناً وحكمه لتثبيت روعه صلى اللّه عليه وسلم ليتحمل ما يرى من أسرار هذا الكون .. عمليةٌ جراحية فى لحظة ، ثم عاد كل شيء على ما كان عليه ، إنها آية كبرى .

وتلك الرحلة الطويلة والمسافات البعيدة ذهاباً وإياباً وما صاحبها من كلام وسلام ومناجاة وتشريع ومراجعة لطلب التخفيف .

تلك الرحلة التي ربطت بين علم اليقين وعَيْن اليقين لنبينا محمد ﷺ ، وربطت بين أول النبوات وآخرها ، وربطت بين حَمَلة الرسالات وخاتمهم - عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم .

ربطت بين الإيمان والتوحيد من أول وجود بني آدم على الأرض إلى أن تقوم الساعة .

كل ذلك في جزء من ليلة . فسبحان ذي القوة المتين ، فكل شيء خاضع لأمره وداخل تحت قهره ، يصطفى مَن يشاء من خلْقه ، ويعطي الحكمة مَن يشاء من عباده . فالذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من اليمن إلى سليمان في الشام في طرفة عَيْن .

---

(١) البقرة : ٢٨٦

وعصا موسى غُصن يابس من شجرة . ينقلب بأمر اللّه حيةً تسعى ، تلقف ما يأفك سحرة فرعون وتبطل كيدهم . ثم تعود إلى سيرتها الأولى .

الإسراء والمعراج حركة تشريعية . وتعريف لنبينا محمد ﷺ وأمته بالفوارق بين الدنيا والآخرة . وبين قدرة اللّه وقدرة خلقه . وبين مُلْك اللّه ومُلْك عباده . لتثبت قلب محمد ﷺ في تبليغَ رسالة ربه . وحمل راية الجهاد لِيُعبد اللّهُ وحده . وتعليمٌ لأمته لتسير على منهاجه وطريقته .

إنَّ للإسراء والمعراج آفاقاً بعيدة أبعد مما يظنه بعض العوام وأشباه العوام .

فاتقوا اللّه عباد اللّه . وتعرَّفوا على مقاصد التشريع وحكمه ، ولا تتبعوا سُنَن الأمم التي كانت قبلكم ، وتوبوا إلى اللّه جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ....

* *

٧ - تاريخ الإسراء غير ثابت

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه . ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

مَن يهده اللّه فلا مضلّ له ، ومَن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإنَّ الشريعة الإسلامية لا تُعَلّق شيئاً من الأحكام والتشريع على تاريخ الوقائع والأحداث . ولذلك لم نرَ فى القرآن ولا فى السُنَّة المطهره تحديداً لتاريخ واقعة مثل الإسراء أو البعثة أو المولد ، ولم يخصها بأحكام ولا عبادات .

ولم يرد عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين . ولا عن الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة الهدى العارفين بكتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ .

والعبادات مبناها على التوقيف والتشريع من اللّه على لسان رسوله ﷺ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾(١)

---

(١) النجم : ٣ - ٤

إنَّ الاحتفال بالإسراء والمعراج لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن الخلفاء الراشدين ولا عن أئمة الدين . فاتقوا الله أيها المسلمون .

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا ربنا بذلك في كتابه المنير فقال جلّ وعلا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

* * *

---

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨ - الحكمة في الإسراء والمعراج (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ ﴾ (٢)

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، قائماً بالقسط .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خصَّه بخصائص ، وفضَّله بكرامات ، فقرَّبه وأدناه ورفعه فوق السموات .

صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم وأصحابه الذين اختارهم لصحبة رسوله ، وطهَّرهم لتلقي رسالته ، وتبليغ دعوته ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيقول الخالق تبارك وتعالى في محكم التنزيل : بسم اللّه الرحمن الرحيم :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ (٣)

الإسراء والمعراج حق ، ثابتان بالكتاب والسُنَّة .

فلقد أسرى بنبينا محمد ﷺ من المسجد الحرام في مكة المكرَّمة . إلى البيت المقدس . ثم عُرِج به إلى السموات العلى يستقبله من كل سماء مقرَّبوها ، حتى بلغ سدرة المنتهى . فأوحى اللّه إلى عبده ما أوحى . وفرض عليه الصلوات

---

(١) ألقيت في ١٤٠١/٨/٢٣ هـ .

(٢) الكهف : ١

(٣) الإسراء : ١

المكتوبة فكانت أول ما فُرِضت خمسين صلاةً . فما زال صلى الله عليه وسلم يراجع ربه ويسأله التخفيف لأمته ، حتى جُعلت خمس صلوات ، في كل يوم وليلة ، وثوابُها يعدل [١] خمسين صلاة .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [٢]

والإسراء آية من آيات الله . دالة على قدرة الله الخالق تبارك وتعالى ، وكمال قهره لهذا الكون فهو نظَّمه وسيَّره ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [٣] وهو سبحانه يغيِّر ما شاء كيف يشاء . ويخرق العادات على ما شاء متى شاء لمن يشاء ، يفتح قلوب المصطفين من عباده على آفاق عجيبة في هذا الوجود .

ويكشف عن بعض الطاقات المخبوءة عن أنظار البَشر وقدرتهم ، في أسرار هذا الكون ، لمن يشاء من عباده المصطفَيْن ، والإسراء مع أنه معجزة عظيمة وخارق عاده . تخرج عن إدراك البَشر . لأنه عليه الصلاة والسلام أُسْرِيَ به وعُرِجَ به ، ورأى ما رأى ، وأوحِي إليه ما أوحى وصلّى بالأنبياء ، ورجع إلى فراشه في جزء من ليلة [٤] . وروي أن فراشه لم يبرد [٥] ، فسبحان ذي القوة المتين .

ومع هذا فلم يكن المقصود منه إقامة الحُجَّة على منكري رسالة نبينا محمد

---

(١) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه أخرجه الشيخان في صحيحيهما وعزاه السيوطي في الدر : ١٨٤/٥ إليهما وإلى ابن جرير وابن مردويه وهذا لفظه .

(٢) التوبة : ١٢٨

(٣) طه : ٥٠

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى وابن عساكر عن ابن عمر وأم سلمة وعائشة وأم هانيء وابن عباس رضي الله عنهم وإسناده صحيح . انظر الدر المنثور : ٢٠٩/٥ - ٢١٠ .

(٥) لم أقف عليه من شدة البحث والله أعلم بصحته .

صلى الله عليه وسلم ، فكان الإسراء والمعراج ليلاً على غفلة من الناس ، ولم يطلع عليه أحد من أهل مكة ، وإنما كان المقصود منه ما ذكره الله تعالى في الآية الكريمة : ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾(١) . وفعلاً قد رأى من آيات ربه الكبرى .

وكذلك خوارق العادات التي أعطيت لخاتم الرسالات صلى الله عليه وسلم . مثل تسبيح الحصى في كفه (٢) . ونبع الماء من بين أصبعيه الشريفتين (٣) ، وحنين الجذع (٤) ، وسلام الحَجَر عليه (٥) وكلام الحيوان معه (٦) ، ونزول البركة في الطعام والماء الذي دعا فيه (٧) ، وإجابة دعوته على الفور فَيَبْرأ المريضُ ويُشفى العليل (٨) وما أشبه ذلك . ليست لإقامة الحُجَّة على المعاندين وإنما هي

(١) جزء من آية الإسراء : ١

(٢) إشارة إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه بسياق طويل أخرجه البيهقي في الدلائل وعزاه الإمام ابن كثير في شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله ص ٢٥٢ - ٢٥٤ بطرق عديدة وبمجموعها يكون قد حسن هذا المتن والذي عقد عليه الإمام ابن كثير عنوانه : قائلاً : باب « تسبيح الحصى في كفه عليه الصلاة والسلام » .

(٣) مسلم : الفضائل حديث رقم (٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه والبخاري برقم (٣٥٧٢) .

(٤) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنه : البخاري برقم (٣٥) - الفتح : ٦٠١/٦ ، وأحمد في المسند : ١٤٩/١

(٥) إشارة إلى حديث مسلم في الصحيح : الفضائل برقم (٢ خاص) ، و (عام ٢٢٧٧) : ١٧٨٢/٤ من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه .

(٦) إشارة إلى حديث أنس بن مالك : أحمد في المسند : ١٥٨/٣ - ١٥٩ ، وإسناده جيد بسياق طويل .

(٧) إشارة إلى أحاديث كثيرة أخرجها البخاري في الصحيح : المناقب باب (٢٥) حديث رقم (٣٥٧١) : ٥٨٠/٦ وهو من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنهما .

(٨) إشارة إلى أحاديث كثيرة جداً وعقد لها الإمام ابن كثير (الشمائل ص ٣٠٢ - ٣٢٣) عنواناً مستقلاً بهذا المعنى وبعضها في الصحيح وبعضها في السنن والمسانيد وقد بلغت حد التواتر .

لتكريم سيد الأوَّلين والآخرين صلى اللّه عليه وسلم وتطمين قلبه ، وشد أزره في تبليغ رسالته ، والدعوة إلى ربه ، وبيان منزلته عند خالقه تبارك وتعالى ، فلم تكن معجزاته صلى اللّه عليه وسلم بالآيات الكونية الظاهرة . ولا بخوارق العادات ، كما حصلت للأنبياء قبله ، بل كانت أقوى وأبقى وأعم ، فالآيات الكونية الظاهرة والخوارق ، تأتي للتخويف والترهيب فقط . وتنتهي بانتهائها . ومصير الأمة التي تكذِّب بها الهلاك والدمار مثل قوم نوح ، وعاد وفرعون وثمود وقوم لوط ، وأصحاب الأيكة وقوم تبع (١) .

والنبي ﷺ لا يريد هلاك أمته . لا أمة الدعوة . ولا أمة الإجابة . فلما استأذنه مَلَك الجبال في أن يُطْبق الأخشبين - جبلي مكة - على المكذِّبين ، قال عليه الصلاة والسلام : « لا ، لعل اللّه أن يخرج مَن أصلابهم مَن يعبد اللّه » (٢) . وإنما كانت معجزة نبينا صلى اللّه عليه وسلم معجزة رحمة وترغيب وترهيب ، وإقناع ، تخاطب العقول بالحسنى والحكمة ليحصل التجاوب بالرغبة والرهبة ، وهي هذا القرآن العظيم ، فهي باقية ما بقيت رسالته ، ورسالته هي خاتمة الرسالات إلى يوم القيامة .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (٣)

---

(١) إشارة إلى آيات كثيرة وردت في كتاب اللّه تعالى ومنها قوله تعالى في سورة (ق آية ١٤) : ﴿ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ، كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ .

(٢) إشارة إلى حديث أخرجه البخاري : بدء الخلق رقم (٣٢٣١) : ٣١٣/٦ - ٣١٤ من حديث عائشة رضي اللّه عنها ، وكذا مسلم في الجهاد حديث رقم (١١١) من هذا الوجه واللفظ بسياق طويل عنها .

(٣) الحجر : ٨٧

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾(١)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾(٢)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾(٣)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .... إلخ .

* *

---

(١) الإسراء : ٨٨

(٢) هود : ١٣

(٣) يونس : ٣٨

٨ - الإسراء حركة تشريعية

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه الولي الحميد . وهو علي كل شيء شهيد .

وأشهد أنْ لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له . ذو العرش المجيد ، فعّال لما يريد .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، حَمَى حِمَى التوحيد ، صلى اللّه عليه وسلم .

اللّهم صلِّ على نبينا وعلى آله وأصحابه ، ومَن اهتدى بهَدْيه ودعا بدعوته وسلّم تسليماً كثير .

أما بعد ..

فإذا تأملنا المقاصد السامية التي تشتمل عليها قصة الإسراء والمعراج نجدها أبعد مدى وأوسع آفاقاً مما يتصوره بعض الناس ، فليست مجرد خارقة عادية ، وليست رحلة استطلاعية . وإنما لها أهداف سامية ومقاصد عالية ، لا تَرْتبط بزمان دون زمان ، ولذلك لم يثبت تاريخ الإسراء والمعراج .

وإنما الإسراء والمعراج . حركة تشريعية . ربطت بين إيمان محمد ﷺ بعلم اليقين ، وبين إيمانه بعَيْن اليقين ، ليكون ذلك أقوى له في تبليغ الرسالة ، وأصلب لعوده في تحمل المشقة التي ستلحقه . وأطمن لقلبه أمام تكذيب قومه له ، ولمعرفة هذه الدنيا وفنائها ، ومعرفة الآخرة وبقائها ، فكان صلى اللّه عليه وسلم كما أراد له ربه . رغب عن الدنيا إلى الآخرة ، فلم يشْبَع ثلاثة أيام متوالية من خبز الشعير (١) . وصبر وكافح وجاهد وبلّغ رسالة ربه وأدى أمانته .

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٥٤١٤) : ٥٤٩/٩ - الفتح ، وأخرجه مسلم في الصحيح في الزهد حديث رقم (٢٢) .

ونصح لأمته - صلى الله عليه وسلم - كما أن الإسراء والمعراج ربط بين عقائد التوحيد الكبرى من وقت إبراهيم عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ ، ربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً المسجد الحرام وبيت المقدس .

وقصة الإسراء والمعراج تنبه لنبينا محمد ﷺ بأنه وارث لرسالات الأنبياء والرسل قبله من نوح عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ .

﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾(١)

وأن رسالته مهيمنة على جميع الرسالات حيث صلّى بالأنبياء في بيت المقدس

﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾(٢)

فالإسراء والمعراج إذاً عقيدة وتشريع لأمة محمد ﷺ ، تربط القلوب المؤمنة بخالقها تبارك وتعالى . ثم بالملأ الأعلى بالجنة وبالملائكة وبالنبيين ، يعطي الخالق حقه ، ويعطي المخلوق حقه . ولا يعطي أحداً من الخلق شيئاً من حق الله ، ولذلك بدأ السورة بتسبيح الله . أي تنزيهه وتقديسه ، ثم ثنى بأشرف مقام يتصف به نبينا محمد . وهو العبودية لله . فقال جلّ شأنه : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾(٣)

فأشرف مقام يتصف به الإنسان هو مقام العبودية لله . والجمع بين مقام التسبيح لله ، ومقام العبودية لمحمد ﷺ لحماية هذه الأمة من الأخطاء الفظيعة التي وقعت فيها النصارى . حيث اشتبه عليهم مقام الألوهية ومقام العبودية بسبب خوارق العادات التي حصلت بإذن الله لعيسى عليه السلام مثل كلامه في

---

(١) النساء : ١٦٣

(٢) المائدة : ٤٨

(٣) الإسراء : ١

المهد [١] وخلق كهيئة الطير من الطين [٢] وإبراء الأبرص والأكمه [٣] وإحياء الموتى [٤] والإخبار عن المغيَّبات في البيوت [٥] وكل ذلك بأمر اللّه وإذنه ، فكانت سبباً لفتنتهم . والتباس مقام الألوهية ، ومقام العبودية .

ولذلك كان نبينا محمدٌ ﷺ أحرص ما يكون في حماية العقيدة الإسلامية . من أخطاء المسيحية فقال عليه الصلاة والسلام : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد اللّه ورسوله » [٦] . وقال له رجل : ما شاء اللّه وشئتَ فقال : « أجعلتني للّه نداً . بل ما شاء اللّه وحده » [٧] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إنه لا يُستغاث بي إنما يُستغاث باللّه » [٨] . وغير ذلك من الأحاديث التي حمى بها المصطفى حمى العقيدة والتوحيد . فواجب على كل مسلم أن يقتدي به صلى اللّه عليه وسلم .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[٩]

* * *

---

(١) إشارة إلى آية آل عمران : ٤٦ ، والمائدة : ١١٠

(٢) إشارة إلى آية آل عمران : ٤٩ ، والمائدة : ١١٠

(٣) إشارة إلى نفس الآيتين من آل عمران : ٤٩ ، والمائدة : ١١٠

(٤) إشارة إلى نفس الآيتين من آل عمران : ٤٩ ، والمائدة ١١٠

(٥) إشارة إلى نفس الآيتين من آل عمران : ٤٩ ، والمائدة ١١٠

(٦) إشارة إلى حديث عمر رضي اللّه عنه ، أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٣٤٤٥) : ٤٧٨/٦ : الفتح ، وأحمد في المسند : ٢٣/١ ، ٢٤ ، ٤٧ من هذا الوجه واللفظ .

(٧) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما أخرجه أحمد في المسند : ٢١٤/١ ، ٢٤٧/١

(٨) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت رضي اللّه عنه أحمد في المسند : ٣١٧/٥ ، وفي إسناده عبد اللّه بن لهيعة ورجل مبهم يروي عن عبادة بن الصامت رضي اللّه عنه وقد روى من طرق أخرى بمعناه بغير هذا اللفظ والإسناد ، واللّه أعلم .

(٩) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩ - نبي الرحمة صلى اللّه عليه وسلم [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه رب العالَمين ، اللّهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، أرسل إلينا أكرم رسله وشرع لنا أفضل شرائعه ، وهدانا لمعالم دينه الذي ارتضاه لنفسه .

وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله . اصطفاه لتبليغ رسالته وهيأه لحمل أمانته : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[٣]

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله الذين اختارهم لصحبته ، وأكرمهم لمؤازرته ، وأهَّلهم لحمل سُنَّته ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن اللّه تعالى لما أراد أن يجعل رسالة محمد ﷺ خاتمةَ الرسالات ومهيمنةً عليها جعلها شاملةً كاملةً عامةً . وافيةً بكل متطلبات البَشر . ضافية على كل حاجاتهم واختار لها رسولاً من البَشر خياراً من خيار من خيار . اصطفاه من

---

(١) ألقيت في ١٤٠٧/٧/٢٠ هـ .

(٢) إشارة إلى دعاء النبي ﷺ : أخرجه أحمد في المسند : ٩٦/١ من حديث عليّ رضي اللّه عنه ومن حديث عائشة رضي اللّه عنها : ٥٨/٦ وإسنادهما صحيح .

(٣) القلم : ٤

بَني هاشم ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام [١] ، فأبوه الذبيح إسماعيل فُدي بذبح عظيم [٢] ، وأبوه الذبيح الثاني عبد الله فُدِي بمائة بعير [٣] .

تابَعَتْه عناية الله وهو في أصلاب آبائه ، وكان نوراً في جبين أبيه عبد الله حتى وضعه في قرار طاهر مكين ، سَقَطَتْ لِولاَدَته شُرُفاتُ قَصْر فارس ، وحُجبت السماء بالشهب ، مات أبوه وهو حمل . وماتت أمه وهو رضيع ، وتولى الله تربيته فكان مباركاً أينما حل . نشطت العجاف بعد ضعفها ، وسمنت بعد هزالها ، وربحت التجارة بعد كسادها . شرح الله صدره حِسّاً ومعنى . فغسلت الملائكة قلبه من ماء حوضه ، وحماه الله وطهَّره من عادات قَومه . ألهمه التفكر في ملكوت السموات والأرض . وهيَّأه ليَتَلَقَّى قولاً ثقيلاً . وليتحمل عبئاً كبيراً ، وليواجه قوماً عنيداً . فأعطاه عقلاً متكاملاً وصدراً رحباً . جعله أميناً قوياً ، رحيماً وَقُوراً ، أوَّاهاً حليماً ، مشفقاً كريماً .

فكان قبل البعثة صورةً واضحةً للإيمان . وبعد الرسالة خُلُقه القرآن [٤] ، نُبِّيء بـ « اقْرَأْ » . وأرسل بـ « المدثر » و بـ « المزمل » صار عبداً شكوراً ، عَرَض عليه قومه المُلك والمال وأجمل النساء على أن يتخلى عن دعوته ، فقال :

---

(١) إشارة إلى حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه : مسلم في الصحيح الفضائل برقم (خاص ١) ، و (عام ٢٢٧٦) : ١٧٨٢/١ باب « فضل نسب النبي ﷺ » ، وأحمد في المسند : ١٠٧/٤ من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى ما ذكره الله تعالى في سورة الصافات : ١٠٧

(٣) إشارة إلى ما ذكره الإمام ابن كثير في البداية والنهاية من مصادر موثوقة : ٢٤٨/٢ - ٢٤٩ ، ومنها رواية ابن جرير الطبري بإسناده الصحيح وأن هناك لفظاً بمعناه أخرجه الحاكم في المستدرك : ٥٥٩/٢ ، وإسناده فيه ضعف .. ولفظه : « أنا ابن الذبيحين » .

(٤) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم حديث (خاص ١٣٩) و (عام ٧٤٦) : ٥١٢/١ ، وأحمد في المسند : ٥٤/١٦

« واللهِ لو وُضِعت الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الأمر ما تركته حتى يظره الله أو هلك دونه » (١) .

ناصَبَتْه عشيرتُه العداء وهم يعلمون أنه على حق . وحاكُوا له الشِباك وتمالؤوا على مقاطعته وحصروه في الشعْب ، فأكلت دابةُ الأرض صحيفة عهدهم (٢) ، وسلَّط عليه أعداؤه سفهاءهم فأدْموا عَقبيه بالحجارة . واستأذنه مَلَك الجبال في إهلاك المشركين فقال : « لعل الله أن يُخرج من أصلابهم مَن يعبد الله » (٣) فاتفقوا على قتله فأنجاه الله . ولحقوا به فأعماهم الله : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾(٤) ، أرادت يهود قتله فأنبأه الله ، ودسَّت له عجوز يهود سماً في اللحم فأخبره العضو بأنه مسموم (٥) ، تخللت خلةُ الله في قلبه واختلط نور الإيمان بلحمه ودمه ، فعرفه الشجر والحجر والإنسان الواعي ، وهابة إبليس ومردة الجان ، سلَّم عليه الحجر (٦) ، وحنَّ له الجذع (٧) ، وشكى إليه البعير (٨) ، وماد به أحُد (٩) ، ونَبَع الماء من بين أصبعيه (١٠) .. دعوته

---

(١) أورده ابن كثير في البداية والنهاية : ٣ / ٤٨ نقلاً عن ابن إسحاق أو قال : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث أن قريشاً ... ثم ذكره .

قلت : هذه الرواية التاريخية جاءت من طرق عديدة وليس لها رد والله أعلم بصحتها .

(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية : ٨٤/٣ نقلاً عن موسى بن عقبة رحمه الله .

(٣) إشارة إلى حديث عائشة ، البخاري برقم (٣٢٣١) : ٣١٣/٦ : الفتح .

(٤) التوبة : ٤٠

(٥) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : البخاري برقم (٢٦١٧) : ٢٣٠/٥

(٦) إشارة إلى حديث مسلم – الفضائل ، برقم (٢) ، وعام (٢٢٧٧) : ١٧٨٢/٤ من حديث جابر ابن سمرة رضي الله عنه .

(٧) حديث البخاري برقم (٣٥٨٣) ، الفتح : ٦٠١/٦

(٨) أحمد في المسند : ٧٦/٦ من حديث عائشة رضي الله عنها وإسناده فيه ضعف .

(٩) البخاري : فضائل الصحابة حديث (٣٦٧٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(١٠) البخاري برقم (٣٥٧٢) من حديث أنس رضي الله عنه : ٥٨٠/٦ : الفتح .

مستجابه دعا في قَدَح لبن فسقى أهل الصُفَّة [١] ، وبارك على صاع جابر [٢] وعناقة فأشبع ألفاً [٣] ، خيّره ربه بين المُلك فاختار أن يكون عبداً رسولاً ، واختار الآخرة على الدنيا . فلم يَشْبع ثلاث ليال متتاليات من خبز الشعير [٤] ويَمضي الشهر والشهران ما أُوقد في أبياته نار [٥] .

كل حياته دروس وتعليم ، وكلها جهاد وتنظيم ، أمرنا الله تعالى بطاعته والتأسي بأخلاقه وسيرته في جميع الأمور وفي كل الأحوال ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[٦] ، مَن تأمل هذه الآية وجدها داخلةً في الآيات التي تتحدث عن قصَة الأحزاب ، وهي قصة تَهزُّ المشاعر وتُحرك الهمم وتربط القلب والبدن بالله . وتتخلّى عن كل مَنْ سوى الله ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [٧]

﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[٨]

﴿ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾[٩]

يصوِّر الخالق تعالى في كلامه قصة الأحزاب وهو المطلّع على السرائر

---

(١) البخاري برقم (٣٥٨١) ، الفتح : ٥٨٦/٦ من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه .

(٢) البخاري برقم (٣٥٨٠) : ٥٨٧/٦ من حديث جابر الأنصاري رضي الله عنه .

(٣) البخاري برقم (٣٥٧٨) : ٥٨٦/٦من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) البخاري برقم (٥٤١٤) ، الفتح : ٥٤٩/٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) البخاري برقم (٢٥٦٧) ، الهبة : ١٧٩/٥ ، الفتح : من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٦) الأحزاب : ٢١

(٧) الأنفال : ٣٧

(٨) آل عمران : ١٥٤

(٩) الأحزاب : ٢٤

والضمائر . وعلى الصور والأحداث . وهو المقدِّر وهو المسيطر وهو المدبر وهو المنفذ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾(١)

(أكملوا قراءة الآيات حتى الآية السابعة والعشرين . واقرأوا القصة في سيرة ابن هشام المجلد الثالث ، وفي فتح الباري المجلد السابع ، وفي القرطبي المجلد السابع) (٢) ليعلم المسلم كيف يواجه النبي ﷺ الأحداث والبلاء ووطأة الشقة بالصبر والقبول والرضا . يتلقاها لأنها تربية لأمته وصياغةٌ للشخصية المسلمة للفصل بين الجوهر الأصيل والزَبَد الزائف ولتكشف عن حقائق النفس ومعادنها لتكونَ صافية خالصة لله . سامعة منقادة لأوامر الله صالحة لمناجاة الله . مستحقة عناية الله ورحمته وثوابه . والقرآن ينزل وقت البلاء أو بعد انقضائه يصوِّر الأحداث . فيكشف الموقف والمشاعر والنوايا والضمائر ، ثم يخاطب القلوب بعد تمحيصها وتطهيرها . وليعلم المسلم تلك الفترة العجيبة التي قضاها المسلمون في حياة الرسول ﷺ فترة اتصال السماء بالأرض ، حينما كان كل مسلم وكل فرد وكل بيت يشعر أن الله مطلع عليه ، يراه ويسمعه ، يعلم سرائر نفسه ، ومكنونات ضميره ؛ وأنَّ كل كلمة منه وكل حركة وكل خاطرة وكل نيّة قد يصبح مكشوفاً للناس إذا نزل في شأنه وحي على رسول الله ﷺ .

---

(١) الأحزاب : ٩ - ١٢

(٢) فتح الباري على البخاري : ٣٩٢/٧ - ٤٠٧ فقد جمع الروايات الكثيرة التي تتعلق بغزوة الأحزاب في الحكم على أسانيدها ، وقد نقل شيئاً كثيراً من أهل المغازي والسير فلله دره رحمه الله تعالى .

وكان يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب - في زمن قلّت فيه المؤنة على المسلمين . وأشتد الجوع ، وفي زمن شديد البرد .

تمالأت يهود مع قريش وغطفان على حرب النبي ﷺ واستئصاله .. ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢﴾[1] ، فحفر عليه الصلاة والسلام الخندق وعمل فيه بنفسه ، يضرب بالفأس والمسحاة ، وينقل التراب مع أصحابه كواحد منهم . وظهرت لهم كدية صلبة فضربها صلى الله عليه وسلم بالمعول قائلاً : « باسم الله » فبرقت وانكسر ثلثها فكبّر وكبّر المسلمون وقال : « أعطيتُ مفاتيح الشام » . وضرب الثانية كذلك وقال : « أعطيتُ مفاتيح فارس » . وضربها الثالثة فزالت وقال : « أعطيتُ مفاتيح اليمن » ، فلما حصل للمؤمنين ما ذكره الله في الآيات أرسل على الأحزاب ملائكة وريحاً نكفأت قدورهم وطارت بمتاعهم وقلعت خيامهم وزلزلتهم وأرعبتهم وخوّفتهم ، فلم يقر لهم قرار ولم يهدأ لهم بال ففروا هاربين .. ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾[2]

وكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم : فُتحت الشام وفارس واليمن ، وامتدت الفتوحات إلى ما وراء ذلك حينما كانوا سائرين على نهج رسول الله ﷺ معتمدين على الله وحده صافيةً قلوبهم طاهرةً عقائدهم .

حينما كانوا متآخين في الله معتصمين بحبل الله معتمدين على الله ، أما بعد أن ظهرت فيهم البِدع والخرافات وأدخلوا في دين الله ما لم يأذن به الله . وعبدوا القبور من دون الله ، وهجروا كلام الله وجَهِلوا سُنّة رسوله ﷺ تسلط عليهم أعداؤهم فصاوا إلى الواقع الأليم ، خلافٌ وشقاق . وتنافر وتناحر ، تلعب بهم الأعداء ، ويوجهونهم كيف شاءوا .

---

(١) التوبة : ٣٢

(٢) الأحزاب : ٢٥

ولا نجاة لهم . إلا بإخلاص التوحيد للّه ، والبُعد عن كل بدعة وضلالة ، والاعتصام بحبل اللّه . وتحكيم شرع اللّه ، وتعليق القلوب باللّه والعمل من أجل اللّه .

اتقوا اللّه أيها المسلمون ، استغفروا ربكم وتوبوا إليه ، إنه هو الغفور الرحيم ....

* *

٩ - نداء الرسول عليه السلام للشباب

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام .، ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾(١)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خَلْقه .

صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى في السر والعلانية : « اتقوا اللّه حيثما كنتم وأتبعوا الحسنة السيئة تمحها » (٢) .

أيها الشباب .. هذا نبينا محمد ﷺ يناديكم يوجه لكم نداءً خاصاً فاسمعوه : « يا معشر الشباب ، مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفَرْج .، فمَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (٣) .

هذه وصية نبي الرحمة . وصية رسول الإصلاح صلى اللّه عليه وسلم اقبلوها واتبعوها ، فمَن قدر منكم على الزواج فليتزوج فور إحساسه بالرغبة الزوجية فإن السعادة والسكينة الروحية والاطمئنان النفسي في الحياة الزوجية :

---

(١) الأعراف : ٤٣

(٢) إشارة إلى حديث أبي ذر رضي اللّه عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ١٥٣/٥ ، والترمذي في الجامع البرهان وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأحمد في المسند : ٣٧٨/١ كلهم من حديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(١)

ويا معشر الآباء والأولياء .. يسِّروا وأعينوا وتسامحوا ولا تُثقلوا الكواهل بكثرة الطلبات . والإسراف في الحفلات ، في المظاهر ومراسم الزواج ، فإنَّ ذلك زَبَد يذهب جُفاءً وفخراً - وخيلاء ومجارات ومباهات ، فعليكم بما ينفع الناس ويبقى لإسعاد الحياة الزوجية : « فإن خير الزوجات أيسرهن مؤنة » (٢) .

وصلُّوا على الرسول الكريم فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ٥٦ ﴾(٣)

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد الذي بعثته رحمة للعالَمين فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة .

اللَّهم ارض عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية الصحابة والتابعين وأهل البيت الطيبين الطاهرين . وارض عنا معهم بمنك ياأرحم الراحمين .

اللَّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذلّ الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام ، يارب العالَمين .

اللَّهم انصر جيوش المسلمين ، وأيدهم بالتوفيق والهداية والتمكين ، اللَّهم اهزم اليهود وأعوانهم وأنزل الرعب في قلوبهم .

---

(١) الروم : ٢١

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، أخرجه أحمد في المسند : ٦ / ٨٢ ، وإسناده صحيح .

(٣) الأحزاب : ٥٦

اللّهم آمنا في أوطاننا ، وانصر واحفظ إمامنا وأيده برعايتك وعنايتك وتوفيقك ، وكلل مساعيه بالتوفيق والنجاح .

اللّهم اغفر لجميع المسلمين الأحياء والميتين . اللّهم فَرِّج هم المهمومين ، ونَفِّس كرب المكروبين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

فاذكروا اللّه العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم .. ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[١]

* * *

(١) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠ - التفكر في ملكوت السموات والأرض [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه الواحد القهار .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، ألا هو العزيز الغفار .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، المصطفى المختار صلى اللّه وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإذا سمع الناس بمتحف تُعرض فيه أنواع من الصناعات وبقايا من الآثار ، سارعوا إليه للاستطلاع والتجارة ، فإذا رأوا صنعاً متيناً قوياً ، أو جميلاً لطيفاً أنيقاً ، أو أثراً قديماً ، أخذهم الإعجاب والدهشة ، فيأخذون في الثناء على صانعها ، ويتعجبون من قدرته ، ومهارته ، فيأتون لرؤيته .

وإنني أذكركم بأعظم متحف وأكبر معرض ، فيه أنواع الصناعات ، وأشكال الموجودات ، فيه كل ما يحتاجه الإنسان ، لحياته ، وسعادته ، فيه من المشاهد ما يذهل العقول ، ويبهر النفوس ، ويسر الناظرين ، ويعجب المشتاقين ، فمَن الذي يحب أن يراه ؟ إن أبوابه مفتوحة ، ومالكه يدعو الناس إليه ، لا نحتاج إلى بطاقات ، ولا استئذان ، فيه أشياء تُعرض في النهار ، وأشياء تُعرض في الليل ، وأشياء تُعرض في الليل والنهار .

فهل اشتاق أحد لرؤيته ؟ فهلم نقف عند الأبواب ، لننظر نظرة مجملة ،

---

(١) ألقيت في ١٣/٤/١٤٠٠ هـ .

ثم على كل فرد أن يدخله بنفسه ويتجول في أرجائه فسيجد ما يعجبه ، لكن بشرط أن يكون مستيقظاً ، وأن يكون متبصراً ، وأن يكون مدركاً وفاهماً ، فإن النائمَ لا ينتفع ، والأصمَ لا يسمع ، والغافل لا يفهم ، والمعتوه لا يعقل .

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١ ﴾(١) ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(٢) ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۝٢٧ ﴾(٣) ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤ ﴾(٤)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝١٩ ﴾(٥) ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ ﴾(٦)

---

(١) يونس : ١٠١

(٢) الحج : ٤٦

(٣) السجدة : ٢٧

(٤) البقرة : ١٦٤

(٥) الملك : ١٩

(٦) الغاشية : ١٧ - ٢٠

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾(١) ﴿ هُوَ الَّذِي
أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾
يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ
فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ
وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾
وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾(٢)

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾
فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٣)

كل آية في القرآن ، كل سورة في القرآن ، جميع القرآن يحث على النظر في موجودات هذا الكون ، يفتح الأبواب للداخلين وينير الطريق للسائرين ، ويبرز الأشياء للاعتبار يلفت الأنظار ، ويفتح القلوب ، ويربي المدارك ، ويشحذ الأذهان ، لمعرفة أسرار هذا الكون ، وأهدافه .

إن هذه الأرض التى نعيش فيها معرض هائل لآيات الله وعجائب صُنعه ، وِهادٌ وبطاحٌ ، جبالٌ ووديانٌ ، بحار وأنهار وبحيرات ، وخزائن ومعادن ، موادٌ معمِّرة ومواد مدمرة ، موادٌ نافعة ومواد ضارة .

---

(١) النحل : ٤

(٢) النحل : ١٠ – ١٨

(٣) المرسلات : ٢١

لم يقف العالَم حتى الآن إلا على القليل من بدائع الصنع وأسرار الخلق ، ومكونات الإبداع ، وما خفي أكثر وأكثر .

كل مشهد من مشاهد الأرض ، وكل مادة من المواد خاضعة لقدرة الخالق المدبر ، نَمُرّ بِقِطع من الأرض وهو ممحل ميت مغبر ، فيسوق الخالق إليه رحمته ، وينزل عليه من رزقه فتدب إليه الحياة فإذا هو معشب مخضر .

ونمر بروضة من الرياض طيب ريحها ، فاقع نُوارها أو جنة قد أينعت ثمارها ، فتأتيها قدرة الله فإذا هي هشيم تذروه الرياح .

الأفلاك والكواكب ، التي نراها تسبح في الفضاء ، مَن الذي أمسكها ونظم سيرها ؟ لو اختلفت عن نظامها لتصادمت ، ولو اختل نظام الأرض لانقلبت ، ولو اختل نظام الشمس لأحرقت العالَم .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤ ﴾[١] ﴿ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٢] ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣] ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٤] ﴿ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[٥]
فاتقوا الله عباد الله . اتقوا الله أيها الناس . انظروا في ملكوت السموات والأرض . وتأملوا ما ترون من خلق الله وعجائب قدرته . فبذلك تحيا القلوب . يجب على الإنسان أن تكون تقلباته مُتميزةً عن غيره من الحيوانات ، يجب عليه أن ينظر وأن يتدبر ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا ﴾[٦] ،

---

(١) الرعد : ٤

(٢) الأنعام : ١٢٦

(٣) يونس : ٢٤

(٤) النحل : ٧٩

(٥) يونس : ٦٧

(٦) آل عمران : ١٩١

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾(١) ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٢) ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾(٣)

اللّهم انفعنا بالقرآن العظيم .

اللّهم نوِّر قلوبنا بالإيمان . وافتح بصائرنا للتفكر في مخلوقاتك ، والاعتبار بآياتك ، وثبِّت قلوبنا على الإيمان . وأحينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، غير خزايا ولا مفتونين ، وألحقنا بالصالحين ، واغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) الأنبياء : ١٦

(٢) الحجر : ٨٥

(٣) الحشر : ٢

١ - الخلائق التى تعمر الأرض

(الخطبة الثانية)

الحمد لله لا نحصي ثناءً عليه .

وأشهد أنْ لا إلهَ إلاّ الله وحده لا شريك له ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١)

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وصَفْوَته من خلقه ، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله .

أما بعد ..

فإذا نظرنا نظرة تأمل في الخلائق التي تعمُر الأرضَ من الكائنات الحية ، نباتات بأشكالها وألوانها وأجناسها وأنواعها ﴿ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾(٢)

وحيوانات برية وبحرية ، وبرية بحرية ، طيور وأسماك ، زواحفُ وحشراتٌ . وحشية وأنسية . كل خليقة منها أمة ، وكل فرد منها عجيب . وكل شيء منها آية . فلو مضى الإنسان ، بل لو مضى جميع الناس ، يتأملون ويتدبرون ما في الأرض من عجائب ، وإلى ما تشير إليه هذه العجائب من آيات ما انتهى لهم قول .. ولا بقى لهم قلم ، ولكن لا يدرك هذه العجائب إلا القلبُ الحي الواعي . المبصر السميع ، أما القلب الميت ، والقلب الغافل ، والقلب الأعمى . والقلب الأغلف فلا يدرك حقائق الأشياء ، ولا يفهم أسرار الموجودات ، ولا يعْقل

---

(١) الحديد : ٣

(٢) الرعد : ٤

المعاني الحقيقية ، فكثير من الناس يمر بهذه الآيات في السموات والأرض ، وعيونهم مغمضة . وقلوبهم عمياء ، وآذانهم صمًّا ، وقد يكون منهم مخترعون ، وعلماء في أمور الدنيا ، ومفكرون في متطلبات هذه الحياة ، فإنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا يُعرف بالتجارب والتكرار ، أما حقيقة الواقع وأسرار هذا الكون ، والهدف الذي خُلِقَ من أجله فقلوبهم محجوبة عنه ، وأبصارهم عمياء لا تراه ، وآذانهم صم لا تسمع نداء الحق ، ذلك أن المفتاح الذي يَفْتح القلوب . ويعالج الحواس . مفقود عندهم ، فالقلوب لا تفتح لحقيقة الوجود إلا بمفتاح الإيمان . والأعينُ لا تبصر إلا بنور اليقين ، والآذان لا تسمع إلا بوحي من السماء ، ﴿ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾(١)

فاتقوا الله يا بني آدم ، اتقوا الله أيها الناس ، اتقوا الله أيها المسلمون :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٢)

اللّهم صلِّ وسلِّم ، وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأيدهم وانصرهم بالحق يا أرحم الراحمين .

اللّهم انصر المجاهدين في كل مكان ، وأعنهم على طاعتك وطاعة رسولك محمد صلى الله عليه وسلم .

اللّهم آمنا في أوطاننا واحفظ إمامنا واجعله من الراشدين .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، واقض الدَيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين يارب العالمين ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٣)

* * *

(١) يونس : ١٠١

(٢) الأحزاب : ٥٦

(٣) العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

١١ - في التوحيد (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالَمين ، لك الحمد ربنا على جزيل عطائك ، ولك الحمد على قدسية ذاتك ، وعظمة جلالك .

وأشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له ، فهو الذي خلق وفرق . وهو الذي لطف ورزق ، وهو الذي بيده النفع والضرُّ ، وهو الذي يحيي ويميت ، منه المبتدى وإليه المنتهى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أرسله رحمة للعالَمين ، بشيراً ونذيراً ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾(٢)

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله ، وأصحابه ، وأتباعه على ملّته وحملة لواء دعوته ، إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإذا تأملنا القرآن الكريم ، وجدناه يُركز على قاعدة أساسية هي الهدف لكل رسالة سماوية ، وهي الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة ، مَن قام بها على وجهها فقد حقق غاية وجوده ، ومَن قَصَّر فيها أو نكل عنها ، فقد أبطل غاية وجوده ، وصار عاطلاً بلا وظيفة .

إنها العُبودية الخالصة لله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾(٣)

---

(١) ألقيت في ١٤٠٩/١١/٢٨ هـ .

(٢) الأحزاب : ٤٦

(٣) الذاريات : ٥٦ - ٥٨

هذه هي وظيفة الإنسان التي من أجلها خُلِق ومن أجلها وُجِد في هذه الدنيا.

فيجب أن تكون حياة الإنسان وتصوُّره مَبْنية على هذه الوظيفة، متجهة إليها، فإن كل الرسالات السماوية جاءت لتحقيق هذه الوظيفة للإنسان، فجميع الرسل عليهم السلام من أولهم نوحٍ إلى آخرهم محمدٍ ﷺ كان أساس دعوتهم تذكير أممهم بهذه الوظيفة، وتحقيق العبودية لله.

فهذا نُوح عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ ﴾(١)

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ ﴾(٢)

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾(٣)

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾(٤)

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾(٥)

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٦ ﴾(٦)

---

(١) نوح: ٢ - ٣
(٢) الأعراف: ٥٩
(٣) الأعراف: ٦٥
(٤) الأعراف: ٧٣
(٥) الأعراف: ٨٥
(٦) العنكبوت: ١٦

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾(١)

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾(٢)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾(٣)

والقرآن لم يحدد نوع العبادة . ولم يَحْصرها ، فهي شاملة لكل ما يدخل تحت مسمى العبادة من الأقوال والأفعال والاعتقاد . فكلها حق لله . وحرام صرف شيء منها لغير الله ، كائناً مَن كان . حياً كان أو ميتاً ، ولا تَتحقَّق العبودية لله إلا بأمرين متلازمين ، الأول : الإيمان بأن هناك عبداً ورباً . وأنه ليس في الوجود إلا رب واحد ، وما سواه فعبيد له .

وأن الرب موصوف بصفات الكمال كما وصف نفسه ووصفه رسوله ﷺ ، وهذا هو توحيد المعرفة والإثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾(٤)

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾(٥)

---

(١) المائدة : ٧٢

(٢) النحل : ٣٦

(٣) الأنبياء : ٢٥

(٤) سورة الإخلاص كاملة .

(٥) الشورى : ١١

والثاني : التوجهُ إلى الله في كل حركة للجوارح ، وكل حركة للفؤاد ، والتجردُ من كل تصور آخر ومن كل أمرٍ يخالف مقتضى العبودية .

وهذا هو توحيد القصد والطلب ، وهو توحيد الألوهية ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾(١)

فبتحقيق توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الألوهية يتحقق معنى العبادة .

ومن واجبات العبادة أن تكون قِيْمةُ الأعمال مستمدةً من قواعدها لا من نتائجها ، فالإنسان مكلَّف بأداء العبادة وليس مكلَّفاً بنتائجها ، وإنما النتائج راجعةٌ إلى قَدَر الله ومشيئته .

ومقتضى العبودية لله نبذ الأنداد والأضداد ، والبراءةُ من كل عبودية لغير الله : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦ ﴾(٢) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾(٣)

● والأنداد : قد لا تكون آلهة تُعبد من دون الله على النحو الذي كان في الجاهلية الأولى .

بل قد تكون صوراً أخرى خفية ، قد تكون في تعلق الرجاء بغير الله ، وقد تكون في الخوف من غائب غير الله أو من ميِّت تحت الثرى ، وقد تكون في

---

(١) سورة الكافرون كاملة .

(٢) البقرة : ٢٥٦

(٣) الزخرف : ٢٦ - ٢٧

اعتقاد أن أحداً من الخلق يملك التصرف في هذا الكون أو شيء منه ، وقد تكون في مضاهات الله في عظمته وكبريائه وربوبيته ، وقد تكون في الطاعة والانقياد ، كما قال تعالى﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(١) قال عدي بن حاتم رضي الله عنه : لسنا نعبدهم - أو قال : إنهم لم يعبدوهم - فقال رسول الله ﷺ : « بلى ، إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحلُّوا لهم الحرام فاتبعوهم . فصارت طاعتهم في المعصية عبادة » (٢) وبها اتخذوهم أرباباً ، فمَن أطاع مخلوقاً في معصية الخالق فقد اتخذه رباً وعبده من دون الله .

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

هناك أنواع من العبادة تُصرف لغير الله في بعض البلاد الإسلامية . ولا موجِّه ولا مرشد .

من ذلك : الركوع للمخلوقين . ومعلوم أن الركوع ركن من أركان الصلاة مثل السجود ، فبعض الناس إذا قابل أحداً يحترمه أو له فضل عليه ركع له ركوعاً جُزئياً أو كلياً . كما هو المشاهَد في بعض الخدم وفي بعض الممثلين إذا خرج على الجمهور . وقد يكون القصد التحية لكنها عبادة خاصة لله لا تُصرف لغير الله ولا يحيي بها . ومن ذلك الطواف . فهو عبادة لله وقُربة يُطاف حول الكعبة المشرّفة ، ومن شعائر الإسلام فلا يجوز أن يطوف أحد بضريح أو تمثال . أو نُصُبٍ ، ومن ذلك طلب النجاح ، أو طلب الهداية للأولاد ، أو طلب الولد ، أو طلب المدد ، والغوث . أو طلب تفريج الهم والغم والكرب وغير ذلك من

---

(١) التوبة : ٣١

(٢) أورده ابن كثير في تفسيره : ٣/٣٨٥ - ٣٨٦ ، وعزاه إلى الإمام أحمد في المسند ، والترمذي ، وابن جرير الطبري في تفسيره من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه ، قلت : إسناده صحيح .

(٣) البقرة : ٢١

أنواع العبادة أو طلب الحاجات التي لا يقدر عليها إلا الله ، لا يجوز طلبها من أحد غير الله ، كائناً مَن كان لأنها دعاء والدعاء مخ العبادة [١] ، وحرام صرف العبادة لغير الله .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تناصحوا فيما بينكم ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تأخذنكم المجاملات إلى عدم المبالات ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ ﴾[٢]

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

اللّهم أعنا على شكرك وعلى ذكرك وحسن عبادتك [٣] ، وألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

اللّهم رد المسلمين إليك رداً جميلاً ، واهدهم سبل السلام ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه برقم (٣٣٧١) : ٤٥٦/٥ ، وفي إسناده ضعف وله شاهد قوي جداً من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، أخرجه الترمذي برقم (٣٢٤٧) : ٥ / ٣٧٤ برقم (٣٣٧٢) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ولفظه : « الدعاء هو العبادة » .

(٢) المائدة : ٧٨ - ٧٩

(٣) من دعاء النبي ﷺ ، أخرجه أحمد في المسند : ٢٩٩/٢ من حديث معاذ بن جبل وإسناده صحيح وعزاه السيوطي في الدر المنثور : ٣٦٩/١ ، أحمد ، وأبو داود ، والنسائي عن معاذ بن جبل .

١١ - ونبلوكم بالشر والخير فتنة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على نعمه المتوالية ، لا نحصي لها عداً .. ولا نقدُر لها قدراً .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ لله وحده لا شريك له : ﴿ أَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾[١]، و ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[٢]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اختارَه لتبليغ رسالته .. واصطفاه لعبادته .

صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن العمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى ، هو الوسيلةُ التي يتقرب بها العبد إلى ربه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٣]

وفي حديث النفر الثلاثة قُدوةٌ وعبرةٌ ، عن عبد الله بن عُمَر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه . فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم ، قال رجل منهم : اللَّهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران

---

(١) الجن : ٢٨ بلفظ : ﴿ وأحْصَى .... ﴾ .

(٢) الطلاق : ١٢

(٣) المائدة : ٣٥

وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلبُ الشجر يوماً ، فلم أرح عليهما حتى ناما فَحَلبتُ لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهتُ أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً ، أو مالاً ؛ فلبثتُ والقدحُ على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجرُ والصبية يتضاغون عند قدميَّ فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللّهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر : اللّهم إنه كانت لي ابنةُ عم كانت أحبَّ الناس إليَّ فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمَّت بها سَنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسها ، ففعلت حتى إذا قدرتُ عليها ، قالت : اتق الله ولا تفُضَّ الخاتم إلا بحقه ، فانصرفْتُ عنها وهي أحبُّ الناس إليَّ وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتها ، اللّهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللّهم إني استْأجرتُ أُجراء وأعطيتهم أجورهم غير رجلٍ واحدٍ ، فتركَ الذي له وذهب ، فثمَّرتُ أجرَه حتى كَثُرتْ منه الأموال . فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله ، أدِّ إليَّ أجري ، فقلت : كلُّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله ، لا تستهزيء بي . فقلت : لا أستهزيء بك ، فأخذه كله ، فاستاقه فلم يترك منه شيئاً ، اللّهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون » (متفق عليه) (١) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٢)

* * *

---

(١) الشيخان في صحيحيهما : البخاري برقم (٢٢٧٢) : الإمارة باب (١٢) : ٤٤٩/٤ الفتح من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ومسلم من الصحيح من كتاب الدعوات برقم (١٠١) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٢ - تحريم الرقى والتمائم (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾(٢)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾(٣)

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٣٣ ﴾(٤)

عباد الله .. إن الله تبارك وتعالى هو الذي خلقنا من العدم ، وربانا بجميع النِعَم . وهو الذي بيده تصريف الأمور كلها ، وبيده النفع والضر وبيده الخير كله

---

(١) ألقيت في ١٣٩٦/٧/٢٧ هـ .

(٢) الإخلاص ٣ - ٤

(٣) التغابن : ١

(٤) لقمان : ٣٣

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾(١)

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾(٢)

أما مَن سوى الله فهو مخلوق لله واقع في ملكه وتحت قهره وتدبيره مفتقر إليه كائناً مَن كان ، وأعرف الناس بربهم هم رسله وأنبياؤه وصفوته من خَلْقه ، وأعلاهم منزلة عنده ، تبرؤوا إلى الله تعالى من كل مَن سواه ، وأعلنوا فقرهم وحاجتهم إليه . كما قال أبونا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لقومه :

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾(٣)

وقال نبينا محمد ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(٤) ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾(٥)

---

(١) يونس : ١٠٧

(٢) الأنعام : ١٧ - ١٨

(٣) الشعراء : ٧٥ - ٨٢

(٤) الأنعام : ٥٠

(٥) الأعراف : ١٨٨

فإذا كان أولو العزم من الرسل لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم من دون الله نفعاً ولا ضراً . فما بالكم بمن دونهم من الأولياء والصالحين الذين جعلت قبورهم معابد ومطافات في كثير من البلاد الإسلامية . بل ما ظنكم بمن دونهم من الأحجار والأشجار والصور والتماثيل التي يتعلق بها بعض الناس ويتبركون بها ويطلبون قضاء حوائجهم منها ، بل ما ظنكم بالتمائم والطلاسم والأسماء المجهولة التي يعلقها بعض الناس في أعناقهم إنها لا تنفع ولا تضر ولا تدفع ضراً ولا تجلب خيراً ، فأي نفع يحصل من خيط يربطه الإنسان في يده أو حلقة صُفَر يلبسها ، أو مجموعة مسامير أو لفافة من قراطيس وطلاسم . يعلقها في عنقه ، وماذا ينفع وضع صورة حيوان مفترس في سيارة أو على باب أو حائط ؟ إنها لا تدفع عَيْناً ، ولا تطرد شيطاناً ، ولا تجلب خيراً بل هي ضعيفة في ذاتها وصفاتها ، وإنما فيها تعلق القلب بغير الله والانصراف عن الله تبارك وتعالى ، ومَن تعلق بشيء وُكِلَ إليه [١] .

فأما مَن تعلق بالله وأنزل حوائجه به وفوَّض أمره إليه كفاه كل أمر يهم . ويسَّر له كل عسير ، وقرَّب له كل بعيد ، لأنه هو الخالق لكل شيء ، وهو القاهر فوق كل شيء ، وهو القادر على كل شيء .

وأما مَن تعلَّق بغير الله وسكن إليه وُكِل إلى ذُل وضعف وهوان ، ففي الحديث عن النبي ﷺ : « فمَن تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومَن تعلق ودعة فلا ودع الله له » [٢] ، ورأى النبي ﷺ رجلاً في يده حلقه من صُفَر فقال :

---

(١) من حديث عبد الله بن عكيم رضي الله عنه ، أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٣١٠/٤ ، والترمذي في جامعه برقم (٢٠٧٢) : ٤٠٣/٤ الطب ثم قال : وحديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ وكان في زمن النبي ﷺ يقول : كتب إلينا رسول الله ﷺ .

قلت : إسناده حسن لغيره ، وله شاهد من حديث عقبة بن عامرأشار إليه الترمذي في الجامع ، وقد عقد عليه باباً بقوله : ما جاء في كراهية التعليق .. والله أعلم ، وأخرج الحديث النسائي في الصغرى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه : ١١٣/٧ في التحريم ، باب « الحكم في السحر » .

(٢) الإمام أحمد في المسند : ١٥٤/٤ من حديث بقية بن عامر رضي الله عنه وإسناده جيد .

« ما هذا » ؟ قال : من الواهنة ، فقال : « انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً . إنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحتَ أبداً » [١] . وأقبل على النبي ﷺ رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقالوا : يا رسول الله ، بايعتَ تسعة وأمسكتَ عن هذا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ عليه تميمة » ، فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال : « مَن تعلق تميمة فقد أشرك » [٢] .

هذا هو شأن التمائم وخطرها على الدين والعقيدة ، فاتقوا الله أيها المسلمون ، لا ترجعوا إلى أعمال الجاهلية الأولى . طهِّروا إيمانكم وعقيدتكم من شوائب الشرك ، وانزعوا جمع التمائم أيّاً كان نوعها ، وعلِّقوا آمالكم بالله وتوكلوا عليه . واكتفوا بالأسباب المباحة كالعقاقير النافعة والأدوية المعلومة والطب الواضح المبين . مع الاعتماد على الله والالتجاء إليه وطلب الشفاء منه ، فإنَّ الأسباب قد تنفع إذا شاء الله نفعها وقد لا تنفع ، أما الأسباب المحرَّمة ، والأمور المجهولة ، والتخيلات الخفية فإنها ضرر على النفس والعقل والبدن والدين .

فمَن كان عليه تميمة أو خيط من الحمى . أو حلقة من الواهنة أو حرز عن المكروهات فلينزعها فإنها لا تزيده إلا وهناً وضعفاً ووبالاً . ومَن كانت في سيارته أو على بيته أو في متجره شيء من ذلك لدفع العين ، أو طرد الشياطين فليزلها فإنها ضرر بلا نفع ، وإنما الذي ينفع هو ذكر الله تبارك وتعالى . والاعتصام به والالتجاء إليه ، وحسن المتوكل عليه .

---

(١) الإمام أحمد في المسند : ٤/٤٤٥ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ، ابن ماجه في المسند برقم (٣٥٣١) : ٢/١١٦٧ - ١١٦٨ من هذا الوجه واللفظ وإسناده حسن .

(٢) الإمام أحمد في المسند : ٤ / ١٥٦ من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، وإسناده صحيح : من طريق دخين - بالمعجمة مصغراً - ابن عامر الحجري - بفتح المهملة وسكون الجيم - أبو ليلى المصري ، قال الحافظ في التقريب رقم الترجمة (٥٣) : ١ / ٢٣٥ ثقة من الثالثة ، مات سنة مائة .

اللّهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

اللّهم ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر اللّه لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

١٢ - الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه الواحد القهّار العزيز الغفار .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

« فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » (١) فإذا وجد ناحية ضعف دخل منها على الدين والعقيدة لإفسادها ، أو الإخلال بها ، أو لتعكير صفوها . ومن ذلك قصة زينب امرأة عبد اللّه بن مسعود قالت : دخل عبد اللّه علينا يوماً فجلس بجانبي فمسني فوجد مس خيط فقال : ما هذا ؟ قلت : رقى لي فيه من الحمى . فجذبه فقطعه فرمى به ثم قال : لقد أصبح آل عبد اللّه أغنياء عن الشرك ، سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك » فقلت : لقد كانت عيني تغزف وكنت أختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقى سكنت ، فقال عبد اللّه : إنما ذاك من الشيطان ، كان ينخسها بيده فإذا رقى كف عنها ،

---

(١) إشارة إلى حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي اللّه عنها ، أخرجه البخاري في الصحيح في مواضع عديدة من جامعه : الأحكام ، رقم الباب (٣١) ، بدء الخلق برقم (١١) ، وأبو داود في السنن : الصوم ، وكذا ابن ماجه في السنن : الصيام ، والإمام أحمد في المسند : ٣٣٧/٦

إنما يكفيكِ أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول : « أذهب الباس رب الناس ، واشف أنتَ الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لا يغادر سقماً » [١] .

فإذا كانت الرقية بأسماء الله وصفاته وآيات القرآن والأدعية الواردة عن النبي ﷺ بالطريقة المشروعة فإنها مباحة مع وجود الاعتماد على الله والاعتقاد بأنها لا تنفع بذاتها وإنما هي سبب والنفع بيد الله .

أما الرقية بالأسماء المجهولة وأسماء الجن والشياطين والطلاسم والإشارات فإنها محرّمة . وقد تصل إلى حد الكفر ، أعاذنا الله من ذلك أجمعين ، فاتقوا الله وأطيعوه .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾[٢]

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية الصحابة أجمعين وزوجاته أمهات المؤمنين ، وعن التابعين ومَن ينفعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمينَ .

اللّهم أعز الإسلام وأزل الشرِك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الدين يارب العالَمين .

---

(١) إن هذا الحديث أخرجه البخاري في الصحيح - كتاب المرضى - حديث رقم (٥٦٧٥) : ١٣١/١٠ - الفتح ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، وكذا مسلم في الصحيح ، وأما هذا السياق فقد أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٣٦١٥) بسياق طويل ، وابن ماجه في السنن رقم (٣٥٣٠) ، في الطب وإسناده حسن لغيره مع الشواهد الكثيرة أخرجها الحاكم في المستدرك : ٤١٧/٤ - ٤١٨ ، ٢١٦/٤ - ٢١٧ ، وذلك من حديث زينب امرأة ابن مسعود رضي الله عنها .

(٢) الأحزاب : ٥٦

اللّهم آمنا في أوطاننا ، واحفظ أئمتنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما تحب وترضى ، ولما فيه صلاح البلاد والعباد .

اللّهم اغفر لجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، ونوِّر قبور المسلمين ، واقض الدَّيْن عن المدينين . واشف مرضى المسلمين ..

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٣ - الاعتراف بالفضل للمتفضل

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾[١]

خلق الإنسان في أحسن تقويم [٢] ، وفضّله بالعقل والفهم الإدراك .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾[٣]

أيها المسلمون .. إنَّ من محاسن دين الإسلام وفضائله العظيمة ومقاصده العالية : الاعتراف بالفضل للمتفضل ، وبالجميل لفاعله . والحثُّ على مجازاة الإحسان بالإحسان ، ومقابلة المعروف بالمعروف . كما يقتضي ذلك العقل القويم . والفِطرة السليمة . والشِيَم الكريمة [٤] .

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) إشارة إلى معنى الآية الرابعة من سورة التين .

(٣) النساء : ١

(٤) إشارة إلى عدة نصوص من كتاب اللَّه تعالى وسُنَّة رسوله الكريم ﷺ منها قوله تعالى فى =

وإن أعظمَ متفضل على الإنسان . وأكبرَ منعم على الأنام ، هو ربنا جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه .

فهو الذي أوجدنا من العدم . وصوّرنا في أحسن تصوير . وركّبنا على أتقن وأجمل تركيب . وربانا بجميع النعَم ، ويسَّرَ لنا طريق الحياة ، وبيّن لنا سبل النجاة . وفضّلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً (١) ، وخلق لنا ما في الأرض جميعاً (٢) . فحقه علينا أول الواجبات . وهو يسير على مَن هداه الله وسهل على مَن وفقه الله . وقرة عين لمن آمن بالله واحتسب الأجر عند الله . وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له بما شرعه على لسان حبيبه وخليله محمد ﷺ .

كما أنَّ الوالدين لهما فضل إحسان على ولدهما ، فهو بضعة منهما . خُلِق من خلاصة جسديهما ، نالهما بسببه التعب والمشقة . من أول أطواره حتى أصبح إنساناً سوياً وبَشراً قوياً . قد أشربت محبته في قلبيهما . يسهران لسهره ، ويمرضان لمرضه ، ويبذلان كل ما في وسعهما لإصلاحه وتربيته .

لذلك أمر الله تعالى ببرهما ، وقرن حقهما بحقه قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (٣) ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (٤) وقال صلى الله عليه وسلم : « رَغِمَ أنف امرىء أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخل الجنة » (٥) .

= سورة الرحمن : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإحْسَنِ إلا الإحْسَنُ ﴾ (آية رقم ٦٠) ، والآيات كثيرة في هذا المعنى ، وأما الأحاديث فكثيرة ومنها قوله عليه الصلاة والسلام : « خيركم أحسنكم قضاءً » رواه مسلم في الصحيح - المساقاة - حديث رقم (خاص ١٢٢) و (عام ١٦٠١) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١) إشارة إلى معنى الآية ١٥ من سورة النمل .

(٢) إشارة إلى معنى الآية ٢٩ من سورة البقرة .

(٣) الإسراء : ٢٣

(٤) النساء : ٣٦

(٥) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : الترمذي في الدعوات برقم (٣٥٣٩) وصححه ابن حبان كما في الموارد (٢٣٨٧) وهو حسن لغيره بشواهده الكثيرة .

إنّ بر الوالدين والإحسان إليهما حق واجب على الأولاد ، لمجازاة الإحسان بالإحسان ، ومقابلة المعروف بالمعروف ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (١)

وبر الوالدين وصلة الأرحام طاعة للرحمن . وفيه خير وبركة للإنسان . وسعة في الرزق ، وطول في العمر . قال صلى الله عليه وسلم : « مَن أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أجله فليصل رحمه » (٢) .

فأوصيكم وإياي ببر الوالدين والإحسان إليهما ، فالبر بالحي منهما كالخضوع ولين الجانب والبشاشة . وطلاقة الوجه وإدخال السرور عليه والاعتراف له بالجميل وبذل المعروف وكف الأذى . وطيب الكلام والتحمل والترحم عليه ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣)

وأما البر بالميت منهما فقد سأل رجل النبي ﷺ عنه فقال : هل بقي من بر والديّ شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم ، الصلاة عليهما - أي الدعاء لهما - والاستغفار لهما . وانفاذ عهدهما من بعدهما . وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما » (٤) .

---

(١) الرحمن : ٦٠

(٢) في الأدب باب « مَن بُسِط له في الرزق لصلة الرحم » : ٣٤٨/١٠ - الفتح من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه ، ونحوه مسلم في الصحيح في البر والصلة برقم (خاص ٢١) و (عام ٢٥٥٧) باب « صلة الرحم » .

(٣) الإسراء : ٢٣ - ٢٤

(٤) إشارة إلى حديث أبي أسيد صاحب رسول الله ﷺ ، أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٤٩٧/٣ - ٤٩٨ بهذا اللفظ وإسناده صحيح ، وأخرجه ابن ماجه في السنن كتاب الأدب ، باب رقم (٢) باب « صل مَن كان أبوك يصل » حديث رقم (٣٦٦٤) بهذا اللفظ : ١٢٠٨/٢ - ١٢٠٩

إنَّ بر الوالدين من شيم الكرام ، وهو دليل الفضل والكمال ، والبار بوالديه قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة .

وعقوق الوالدين من صفات اللئام الذين يتنكرون للفضائل ويجحدون المعروف . ويقابلون الإحسان بالإساءة . والعاقُّ بوالديه بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة .

فإياكم وعقوق الوالدين فإنه كفر وفسوق . ولا يدخل الجنة قاطع رحم . إنَّ عقوق الوالدين موجب للطرد والإبعاد من رحمة الله ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۝٢٣ ﴾[١]

فيجب على الإنسان أن يتذكر ماضيه مع والديه من حين نشأته وأول خلقه حتى كملت قوته واستقل بنفسه . وأن يكون لهما مثلما كانا له . وأن يعطف عليهما مثلما عطفا عليه . وأن يخدمهما مثلما خدماه . وأن يسعى لراحتهما مثلما سعيا لراحته . ولا شك أن كل عامل سيجد نتائج عمله . فمَن برَّ بوالديه برَّ به أولاده وطابت نفسه ، وقرَّت عينه ، واتسع عيشه .

ومَن عقَّ بوالديه عقَّ به أولاده ، وخبثت نفسه ، وضاق رزقُه .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أسرع الخير ثواباً البر والصلة . وأسرع الشرّ عقاباً البغي وقطيعة الرحم »[٢] .

فاتقوا الله عباد الله ، وأدوا حق الوالدين فإن حقهما عظيم . وبِرُّوا بهما أحياء وأمواتاً . تفوزوا وتفلحوا في الدنيا والآخرة .

---

(١) محمد : ٢٢ - ٢٣

(٢) لم أقف على هذا الحديث في المراجع التي بين يديّ - والله أعلم - وإن معناه لصحيح وثابت في أحاديث أخرى مفرقة .

اللّهم ألهمنا رشدنا . وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا [١] . ووفقنا لبر والدينا على الوجه الذي يرضيك عنا . وأصلح نياتنا وذرياتنا . واجعلهم قُرّة عين لنا ومن عبادك الصالحين .

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[٢]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه : ابن ماجه برقم (١٨٩٢) النكاح باب (١٩) باب « خطبة النكاح » وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : ابن ماجه برقم (١٨٩٣) وفيه هذا اللفظ أيضاً وإسناده صحيح .

(٢) لقمان : ١٤

١٣ - الحازمُ يحتاطُ الأمور

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾[١]

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾[٢]

وأشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، إلهٌ كريم ورب رحيم ، يقبل القليل ويعطي الجزيل .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى . فما جاع مَن تزود بزادها ، ولا عرى مَن اكتسى بلباسها . ولا خاب مَن تجمل بجمالها ، ولا خسر من اتجر ببضاعتها .. فاتقوا اللّه في سركم وعلانيتكم .

فإنه يراكم ويسمع كلامكم . ويعلم ما تكن صدوركم [٣] ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ ﴾[٤]

وصلُّوا على النبي العربي فقد أمرنا اللّه بذلك في كتابه الكريم . فقال عزَّ مِن

---

(١) الملك : ١

(٢) الحديد : ٣

(٣) إشارة إلى معنى الآية ٧٤ من سورة النمل ، و ٦ من سورة القصص .

(٤) الأنفال : ٢٤

قائل عليماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾(١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلّى عليّ مرة واحدة صلّى الله عليه بها عشراً » (٢) .

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر الشافع المشفع في المحشر .

وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية الصحابة أجمعين وأهل بيته الطيبين الطاهرين . ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وارض اللّهم عنا معهم بمنك وإحسانك يا ارحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين . ودمر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين . واحم حمى الدين ، يا أرحم الراحمين .... (٣)

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : مسلم في الصحيح باب « الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » بعد التشهد برقم (عام ٤٠٨) ، والترمذي في جامعه برقم (٤٨٥) ، باب « فضل الصلاة على النبي ﷺ » .

(٣) إلى بقية الدعاء ، والدعاء لإمام المسلمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤ - القرآن الكريم يربي الأجيال

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾(٢)

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له .

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ ﴾(٣)

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله .. كان خُلُقه القرآن (٣) ، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن سار على سبيله ، إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن هذا القرآن الكريم قد صمد أمام جميع التيارات الباطلة ، مع كثرة خصومه ، والمعاندين ، فقد تحدى خصومه وقت نزوله ، بأن يأتوا بمثله ، فعجزوا ، ثم خفف فتحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله ، فعجزوا ، فتحداهم بأن يأتوا

---

(١) فاطر : ١

(٢) فاطر : ٢

(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها ، أخرجه مسلم في الصحيح حديث رقم (١٣٩ خاص) و (عام ٧٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها : ٥١٢/١ - ٥١٤ ، وأحمد في المسند : ٥٤/٦

بسورة واحدة من مثله ، فلم يستطيعوا أن يأتوا ولو بآية . وهو كذلك ولا يزال . قد حفظه الله من كيد الأعداء ومن شرور الأهواء .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾(١)

فالقرآن الكريم أنزل لتكوين أمة مؤمنة بربها ، تصمد أمام الأحداث ، تهدي إلى الحق وتجادل من أجل الحق ، وتدافع عن الحقوق ، وقد كوّن القرآن بإذن الله أمة متعاطفة متراحمة فيما بينها ، قويةً شديدة على عدوها ، ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾(٢)

لقد كانت تلك الأمة آيةً من آيات القدرة الإلهية . أنشأت في الأرض - بإذن الله - ما شاء أن تنشيء ، وسارت في الأرض ما شاء الله أن تسير . قررت للإنسانية عقيدةً طاهرة نقية ، وتصوراً سليماً ، وقِيَماً وموازينَ . حققت العدالة والأمن والاستقرار .

والقرآن الآنَ قادرٌ بإذن الله على أن يربي أمة كذلك على غرار تلك الأمة ، ولكن لا بد من الشباب الذي يُحس للقرآن أحاسيس معانيه ، ولا بد من الطائفة التي تعيش مع القرآن الكريم ، في جو الحقيقة التي تمليها آيات القرآن ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧ ﴾(٣)

فالإيمان الراسخ بالله ، والتوكل على الله ، والاعتصام بالله وحده ، والإيمان

---

(١) الحجر : ٩

(٢) الفتح : ٢٩

(٣) يونس : ١٠٧

بِقَدرِ الله ، والتصديقُ بوعد الله ووعيده ، هي المعاني التي كانت خُلُقَ النبي ﷺ وأصحابه والقرون المفضلة ، وهذه الصورة لو استقرت في قلب إنسان لصمد أمام جميع الأحداث . وأمام جميع الخصوم .

قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفِعت الأقلام وجفت الصحف » (١) .

هذه هي صورة المسلم الصحيح التي أرادها الإسلام ، وهي الصفة التي كان عليها محمد ﷺ وأصحابه . كما رباها القرآن ، وهذه هي الصفة التي تُقلق الأعداء وتوحشهم ، فالقرآن الكريم يوقظ الهمم العالية ويحرك المشاعر الحية ، ويخاطب العقول السليمة . ويربط العبد بربه ، ويربط الأحداث بخالق الكون ، فهو خالقها ومدبرها .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ۝٧ ﴾(٢)

قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآيات : « المكلّف قد يكون ضعيف الذهن قليل العقل سخيف الرأى فيغتر بأدنى شيء . وقد يكون فوق ذلك فلا يغتر به

---

(١) أحمد في المسند : ٢٩٣/١ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وإسناده صحيح ، وأخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٥١٦) : ٦٦٧/٤ ، وقال الترمذي في نهاية الحديث : هذا حديث حسن صحيح . وأيضاً أحمد في المسند : ٣٠٣/١ ، وكذا : ٣٠٧/١ بسياق طويل .

(٢) فاطر : ٥ - ٧

ولكن إذا جاءه غَارٌ وزَين له ذلك الشيء وهوّن عليه مفاسده وبيّن له منافعَ يغتر لما فيها من اللذة مع ما ينضم إليه من دعوة ذلك الغار ، وقد يكون قويٌ الجأش عزيز العقل فلا يغتر ولا يُغَر . فقال تعالى : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾(١) إشارة إلى الدرجة الأولى . وقال : ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾(٢) إشارة إلى الدرجة الثانية ، ليكون واقعاً في الدرجة الثالثة وهي العليا : لا يغْتر ولا يُغَر » اهـ .

واستشعار الإنسان بالعداء بينه ، وبين عدوه يجعله يزن الأمور بموازين العدالة ولا ينتظر في العواقب . فيزن وسوسة الشيطان بميزان القرآن ، ويزن آراء العدو من الإنس واقتراحاته بميزان الإسلام . فلا يتخبط في تصرفاته تخبط التائه ، ولا يلتمس الشاطيء إلتماس الغريق ، بل يكون ثابتاً على اتجاه مستقيم ، ومسيرُه على نور ، وتصرفاتُه على سداد ، وأعمالهُ على توفيق ونجاح .

ولكن المصيبة كل المصيبة فيما إذا أصيب الإنسان بالغرور وأعجب بنفسه وأغرى بتصرفاته . وادعى الكمال لنفسه والعصمة من الخطأ ، فيخطيء ويرى أنه مصيب ، ويُسيء ويراه محسناً . سواء فيما بينه وبين ربه أو فيما بيه وبين الناس ، وهذه هي نقطة الضعف التي يدخل منها عدوه . عدوه من الجن وعدوه من الإنس ، يُزينُ أعماله ويُحسِّنها في عينه ، فلا يُفرِّق بين الحق والباطل ، ولا يَعرف الطيب من الردي ، ولا النافع من الضار ، ولا الصالح من الفاسد ، ولا يُفرق بين السلم والاستسلام ، ولا بين النصر والهزيمة ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨ ﴾(٣)

الغرور هو مفتاح الشر وهو طريق الفشل والهزيمة . فمتى أعجب الإنسان

---

(١) ، (٢) لقمان : ٣٣

(٣) فاطر : ٨

برأيه ورأى أن كل عمل يعمله هو الحق والصواب هلك ، لأنه لا ينظر في عمله ولا يقيسه بالمقاييس ، هذا هو البلاء الذي يصبه الشيطان على الإنسان ، وهو المِقْودُ الذي يقوده به إلى الضلال والخسران .

فالجاهل الذي يعلم جهله . والمسيء الذي يعلم إساءته يعيد النظر ويتوب ويرجع ، أما المسيء الذي لا يعلم إساءته لا يرجع ولا يتوب فيتمادى في الإساءة حتى ترديه إلى الهلاك ، وكل ذلك بإرادة اللّه ومشيئته وهو الحكيم الخبير ، وهو العزيز الحكيم .

فالثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك عرفوا الإساءة فتابوا فتاب اللّه عليهم (١) ، والذين رجعوا من منتصف الطريق في غزوة أُحد تمادوا في غيهم فهلكوا (٢) .

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾(٣)

فاتقوا اللّه أيها المسلمون .

إن المسلم دائماً في معركة مع الشيطان . فيعد له عُدَّته من ذكر اللّه والقرآن ، ودائماً يتوقع المعركة مع عدو الرحمن فيعد له عُدَّته بما استطاع من قوة وإيمان . والذي لا يكون كذلك قد استسلم لعدوه ووقع في حباله واللّه المستعان .

اللّهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم ....

* *

(١) إشارة إلى آية التوبة : ١٨

(٢) إشارة إلى حديث المنافقين الذين رجعوا من غزوة تبوك وذلك من حديث كعب بن مالك رضي اللّه عنه . البخاري برقم (٤٤١٨) - المغازي باب رقم (٧٩) ، وعنوانه : باب « حديث كعب بن مالك رضي اللّه عنه » : ٨/١١٣ - ١١٦

(٣) النساء : ١٤٥

١٤ - مَن كان يريد العزة فللّه العزة جميعاً

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه حمداً كثيراً ، وسبحان اللّه بكرة وأصيلاً .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإذا كان الإنسان له عدو فأمامه في أمره أحد طريقين ، إما أن يتخذه عدواً ، ويقابله بالمثل . وإما أن يرضيه وينزل على رغبته فيكون تابعاً له يقوده إلى أسوأ مآل .

وقد ينقاد الإنسان إلى عدوه . رغبة في رئاسة وعزة ورفعة في هذه الدنيا ، ولكن العزة بيد اللّه تعالى وملكه يعطيها مَن يشاء ، فمَن أرادها فليطلبها من مالكها ، وليعمل الأسباب لينالها ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾(١) ، والأسباب لنيلها هى المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(٢)

---

(١) فاطر : ١٠

(٢) الحج : ٤١

فاتقوا اللّه أيها المسلمون - حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا ، والرجوع إلى الحق أحق من التمادي في الباطل ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾(١)

وصلُّوا على البشير النذير فقد أمرنا اللّه بذلك في كتابه المنير فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٢)

اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود ، وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبيك أمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بيمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين واحم حَوْزة الإسلام يارب العالَمين .

اللّهم آمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لكل خير وصلاح . ولما فيه السعادة والنجاح .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين ،

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٣)

فاذكروا اللّه العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم .. ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٤)

* * *

(١) فاطر : ٥
(٢) الأحزاب : ٥٦
(٣) النحل : ٩٠
(٤) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٥ - الناس في الإيمان بالله قسمان [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالَمين ، والحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الحمد في الآخرة والأولى ، وله الحكم وإليه ترجعون .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله رحمة للعالَمين ، شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه ودعا بدعوته .

أما بعد ..

فإن الناس ينقسمون في اتصالهم بخالقهم قسمين . كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٢] فالإنسان عنده مقومات التمييز بين الطيب والخبيث ، وبين النافع والضار ، وعنده صلاحية الاختيار ، فبرغبته يختار ، وبإدراكه يميِّز .

والطريق التي يسير عليها الإنسان إلى دار الآخرة واحدة من طريقين : طريق مستقيم معتدل على اتجاه واحد نيِّر واضح ، أو طريق ملتوية معوجه لها فروع ومنافذ ومتاهات وظلمات ، فكل إنسان برغبته وإرادته الاختيارية على وفق

---

(١) ألقيت في ٢٧/٤/١٤٠٠ هـ .

(٢) التغابن : ٢

نظام الكون يختار ، الطريق التي يسلكها . وكل فريق يسير على الطريق التي توافق اتجاهاته وميولاته .

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(١)

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾(٢)

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾(٣)

فريقان متضادان ، وطريقان متباعدان : ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾(٤)

وليس أمام الإنسان إلا هاتان القاعدتان - قاعدة الخير وقاعدة الشر - طريق النجاة أو طريق الهلاك ، سبيل المؤمنين وسبيل غير المؤمنين ، وإذا أراد الإنسان أن يطبق الجزئيات على قواعدها فلينظر إلى الأقوال والأفعال فإنها تعبر عن عقيدة المرء ، وتسير على اتجاهه .

---

(١) التوبة : ٦٧

(٢) التوبة : ٦٨

(٣) التوبة : ٧١ - ٧٢

(٤) الشورى : ٧

وقد يحاول المنافق إخفاء سريرته خشية من العقوبة . أو للمخادعة . أو لمقصد دنيوى ، ولكن لا بد أن تظهر آثار السريرة في القول والعمل . فالإناء الذي فيه ماء عذْب سائغٌ للشاربين ، يكون نَضْحه كذلك ، والإناء الذي فيه ماء مالح أجاج تظهر آثار الملح على الإناء .

وإذا تأملنا وسائل الإعلام في العالَم وجدناها تسير على واحد من الاتجاهين ، فهي تعبر عن الصورة الواقعية للقائمين عليها ، هل اتجاههم على طريق المؤمنين ، أم على طريق غير المؤمنين ؟

وقد يُلاحَظُ أحياناً تغيرٌ في اتجاه بعض الإعلام بالحُسن أو القبح ، لتغيير بعض القائمين عليه . أو تغيير بعض الأحوال .. ومن المعلوم أن الإعلام بجميع وسائله أداةُ تبليغ وتوجيه . وأداة تصوير وعرض . فقد تعرض الأمور على واقعها وحقيقتها . وقد تُغيِّر بتجميل قبيح أو تشويه جميل من أجل أهداف مغرضة واطماع دنيئة ، لذلك يجب على علماء المسلمين وقادة الفكر الإسلامى ألا يتخلوا عن الإعلام والاستفادة منه لإظهار صورة الإسلام وجماله على حقيقته . وكشف الاستار والتشويهات التي تجعل بينه وبين العالَم غشاوة .

وينبغي أن تكون الدعوة بأسلوب حسن على بصيرة وعبارات مقنعة مقرونة بالعمل وكل ما يحصل به المقصود . مع القدرة على العرض والتشويق . فهو جميل ويرجى فيه الخير والقبول . وأعظم دعوة للإسلام وإظهار محاسنه هو الدعوة إليه بالعمل به في السلوك والمعاملات والعرض والأحكام والتعاطف والتراحم .

ولكن الإهمال موجود في كل مكان . والتساهل موجود أيضاً ، فقد يتحكم فرد في إفساد مجموعة . وقد يستغل منحرف وسائل الدعوة لبث سمومه سواء بصراحة ووقاحة ، أو بأسلوب مسموم عليه طلاء برَّاق .

والمسئولية لا تقع على السُلْطة وحدها بل وعلى رجال الفكر الإسلامى وعلماء الإسلام .

فالأمانة محملة على الجميع ، والإسلام عقيدة الجميع ، والمصالح تعود على الكل ، والمضار مثل ذلك ، فالمسئولية على الجميع وإن اختلفت درجاتها ونَوْعيتها بحسب القدرات والمسئولية ، والمطلوب التحرك الإسلامي وإظهار الشعور الإسلامي ، والدعوة إلى الخير والمعروف ، وإنكار الباطل والمنكر ، وترك التواكل والتلاوم والمنافسة في أمور الدنيا . والاشتغال عن الأهم وفتح المجال للعابثين ودعاة التحلل والتفرقة .

وأضرب لذلك مثلاً للإفصاح أكثر .. إذا أرادت حكومة مسلمة أن تعود بنظامها إلى نظام الإسلام ، وإلى نظام العدالة والاستقرار وتحكيم شرع الله ، صارت تقدم رِجلاً وتؤخر أخرى لأنها تحس بأن لها مخالفين وأضدادا ، وتخشى من بعض وسائل الإعلام المعادية للإسلام والمسلمين أن تشن عليها غارات التشويه والتفنيد ، ولا ترى ركيزة إعلامية إسلامية تقاوم هذا الهجوم المعادي وتردُ عليه ، ولا قوة فكرية تقاوم ذلك الإلحاد ، ومن عدة سنين أرادت دولة مسلمة ذاتُ شعب مسلم أن تحكم بحكم الله لإصلاح الرعية ونشر الأمن والعدل في بلادها ، فقامت ضدها حركة تشويه للحقيقة وتنديد وتفنيد للاتجاه ، فجمد المشروع ولم تجد مَن يشجعها على فعل الخير ، فالواجب على المسلمين الاقتداء بالرسول ﷺ ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ ﴾[١] ، لا يبالون بالأقوال المغرضة والأفكار التائهه والأبواق المستهزئه ، وينتقم منهم . والله عزيز ذو انتقام .

فالله حسبنا ونِعْم الوكيل . ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

فاتقوا الله أيها المسلمون . اتقوا الله يا علماء الإسلام .

إلى متى هذا الخمول ؟ إلى متى هذا السُّبات ؟ إلى متى هذه الذله والمهانة ؟

---

(١) الحجر : ٩٤

أنقذوا أنفسكم .. أنقذوا أمتكم وبلادكم . إنه لا هيبة لكم ولا قيمة لكم في الوجود إلا بالرجوع إلى الله وإلى كتاب الله . ولا عزة لكم ولا عصمة إلا بكتاب الله .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللّهم افتح بصائر المسلمين لمعرفة الحق واتباعه ، وافتح بصائرهم لمعرفة الشر واجتنابه .

اللّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل معصيتك ، ويُحكم فيه بكتابك وتسود فيه سُنَّة نبيك ، ويؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى فيه عن المنكر .. إنك على كل شيء قدير .

اللّهم اغفر لنا ولأصولنا وفروعنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

١٥ - ولاية المسلم نعمة من اللّه

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه . ولا حول ولا قوة إلا باللّه العليّ العظيم .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . هو ربنا وإلَهنا وهو حسبنا ونِعْم الوكيل .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في اللّه حق جهاده . جاء بملّة بيضاء نقية وتركنا عليها بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك (١) ، صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع رسالته وحكم بحكمه إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن من فضل اللّه على البلاد وأهلها أن تكون ولايتُها فيَ يد مسلم مؤمن ، إذا قيل له اتق اللّه تذكر عظمة اللّه وقدرته . وإن من النقمة على البلاد وأهلها أن تكون ولايتها في يد كافر أو منافق لا يخاف من اللّه ولا يرجوه فإذا وعظه أحد تكبر وتجبر وتعاظم ، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾(٢)

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه ، ابن ماجه : المقدمة برقم (٤٣) ، وأحمد في المسنَد : ١٢٦/٤ ، وإسناده حسن لغيره .

(٢) البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٥ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١)

فاتقوا اللّه أيها المسلمون .. اعملوا بجميع شرائع الإسلام .. وشُعب الإيمان ، لا تأخذوا ببعضها وتتركوا بعضها ، فمَن أقام الصلاة وَجَبَ عليه أداء الزكاة ، ومَن صام رمضان وَجَبَ عليه فريضة الحج لمن استطاع إليه سبيلاً ، ومَن أخذ بقوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ أخذ بقوله : ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾(٢) ومَن آمن بأن القرآن كلام اللّه وَجَبَ عليه الحكم بأحكامه ، ومَن آمن برسالة محمد ﷺ وَجَبَ عليه العمل بسُنَّته . ليس أمامكم إلا واحد من طريقين : إما اتباع الرحمن ، وإما اتباع خطوات الشيطان ، إما هدىً وإما ضلالة ، إما إسلام وإما جاهلية . الطريق الموصل إلى اللّه واحد مستقيم فليس للمسلم إلا منهج واحد يوصله إلى اللّه ، فإن لم يسلكه ذهبت به الأهواء إلى المتاهات . ولا يجوز للمسلم أن يتأرجح بين الطريقين ، فاتقوا اللّه أيها المسلمون وصلوا على النبي المنذر ....

* * *

---

(١) البقرة : ٢٠٦ - ٢٠٨

(٢) البقرة : ٢٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦ - الدين شامل كامل (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالَمين ..

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾(٢)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾(٣)

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أرسله رحمة للعالَمين ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾(٤)

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الخالق تعالى أكرم هذه الأمة وشرَّفها واختار لها ديناً قيماً ، ملةً سمحةً متلائمة مع فطرة الإنسان ، وافية بمتطلبات الحياة ، ومقتضيات التقدم والبيئات المتنوعة . وما من صاحب ديانة - أيّاً كان نوعها - غير الإسلام ينظر إلى هذا

---

(١) ألقيت في ١٤١٢/١٢/١١ هـ .

(٢) الكهف : ١

(٣) طه : ٩٨

(٤) التوبة : ١٢٨

الدين نظرةً مجردة عن التعصب والهوى إلا ويقرُ بأن دين محمد ﷺ شامل كامل قادر على قيادة البَشر وسياسة الحياة . فهذه الشريعة السماوية صامدة ثابتة لا تتغير بتغير البيئات . ولا بتَغَيِّر القيادات والأشخاص ، فلا يستطيع أحد أن ينال منه . ولا يستطيع زنديق أن يغيرٍ أو يبدِّل . ولا يستطيع مخلوق أن يوهن من قوته ولا أن يغيِّر من طبيعته . فهو محفوظ بقدرة القوى العزيز ، فما كان لأعدائه أن ينالوا من ذاته أبداً .

وما كان لأعداء الإسلام أن ينالوا من المسلمين إذا تمسكوا به لأن الله حفظه ويحفظ مَن حفظه .

أما إذا انحرفوا عن دين الله . فلم يعملوا بأحكامه ولم يحافظوا على كيانه ، بل نبذوه وراءهم ظهرياً ، فلم يبق إلا مَظاهرُ خاليةٌ من الحقيقة والمعنى ، تَسلّط عليهم أعداؤهم .

فلا يحل لمسلم أن يعتقد نقصان هذا الدين فيضيفَ إليه ما ليس منه ، أو يفترى عليه ما لا يحتمله . ولا أن يعتقد فيه زيادة لا تتلاءم مع العصر فيلغيها . فإن ذلك كفر وطغيان ومحادة لله ورسوله ﷺ .

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾(١)

إن اختيار الخالق هذا الدين خاتمةً للرسالات . وارتضاءَه لهذه الأمة خير الأمم يقتضي بذل جهدها وطاقاتها في إدراك هذا الاختيار . وبذل الوسع في معرفة تلك النعمة التي أتمها .

فأما اختيار هذا الدين لهذه الأمة فلأنها خيرُ الأمم ، تمتاز بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإيمان بالله . فاختار لها ديناً قيماً شاملاً كاملاً . يتناول حياة الإنسان من جميع أطرافها ومن كل جوانب نشاطاتها ، يضع لها الأحكام التفصيلية والقواعد الثابتة الكلية التي لا تتغير .

---

(١) المائدة : ٣

فكمال الدين هو كمال العقيدة وكمال الشريعة معاً . فلم يعد لأحدٍ أن يتصور أن في هذا الدين نقصاً يستدعي الإكمال . ولا قُصُوراً يستدعي الإضافة . ولا أن يصدق الادعاءات الكاذبة والارجافات المغرضة ضد دين الإسلام .

فمن صدَّق بما نفاه القرآن ، أو كذَّب بما نطق به القرآن ، فليس بمؤمن . وما هو بمُصدِّق لله . وما هو مرتضٍ ما ارتضاه الله .

وأما إتمام النعمة ، فهي نعمة الإسلام ، ونعمة إكمال هذا الدين وهى النعمة التامة التي تُمثِّل مولد الإنسان . فالإنسان لا وجود لإنسانيته قبل أن يعرف خالقه ومعبوده ، وإنما عرَّفه هذا الدين ، ولا ميزة للإنسان على غيره من المخلوقات قبل أن يعرف حقيقة خلقه ومعاشه وما بعده . والذي عرَّفه هو هذا الدين .

وما تميَّز الإنسان على الحيوان إلا بمعرفة خالقه ومعبوده ، فبهذا الدين صار ابن آدم إنساناً وامتاز عن بقية الحيوانات .

أليست هذه أكبر نعم الله على الإنسان ؟

إنَّ نعم الله على الإنسان متتابعة ، فوجوده في هذه الدنيا مع ما سُخِّرَ له من مخلوقات الله . وما علَّمه وهَداه وفهَّمه كلها نِعَم ، ولكن طول الألفة على هذه الأرض وسهولة استقرار الناس عليها وسَيْرهم فيها والاستفادة من مائها وتربتها وهوائها وأرزاقها . هذه الألفة تنسيْ الناس التفكر في هذه النِعَم .

إن الإنسان قوي بالقَدْر الذي أعطاه الله . وعالِم بالقدر الذي علَّمه الله .

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١)

فلا يملك الإنسان من هذا الكون إلا التفكر والانتفاع بما سُخِّرَ له ، وما وراء ذلك فهو إلى الله ﴿ وَمَا أوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إلا قَلِيلاً ﴾ (٢) . فلو وحد إنسان

(١) النحل : ٧٨

(٢) الإسراء : ٨٥

أخذه الإعجاب بما أتاه اللّه ، واستحوذ عليه الشيطان فأنساه ذِكْر اللّه ، وأنساه قدرة الرحمن ونعمة المنان فينسب لنفسه ما أعطاه اللّه من علم وقدرة وتجارب وخبره ، فيقول : إنما أوتيته على علم عندي ، وينسى خالق الموجودات ومسخِّر الكائنات ومعلِّم المعلومات ، فبذلك يكون جاهلاً خارجاً عن الإنسان مقطوعاً عن العلم الحقيقي الذي يرفع الروح إلى مصدرها الرفيع ، ويصلها بمدبر هذا الكون ومسخِّر ما يحتاجه الإنسان .

أما العالِم المؤمن فيجُول بإيمانه في أرجاء الوجود ، ويحلِّق بإيمانه في الفضاء ، ويتفكر بإيمانه في ملكوت السموات والأرض ، وهذا شعور حسن ومتاع وراحة لا يعرفه إلا مَن ذاق حلاوة الإيمان .

ومهما تقدَّم العلم ومهما تبحر العلماء ، ومهما عرفوا بالتجارب ظاهراً من الحياة الدنيا ، فإن القدرة الإلَهية الخالقة المبدعة تلجيء الإنسان وتضطره إلى موقف العجز والتسليم ، سواء عن هداية وإيمان ، أم عن عجز وخذلان . والغرور والكبرياء والكفر والطغيان جعلت مِنَ الناس مَنْ يقول : إن الإنسان سيد الوجود .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون .. إن الإيمان يستدعي العمل والتفكر وأخذ الاحتياطات والنظر في العواقب .. المؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ .

اللّهم اهدنا وسددنا وألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا . واغفر لنا ولآبنائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم ....

* *

١٦ - ما نقص مال من صدقة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين . يعلم سعي الإنسان فيجزيه الجزاء الأوفى .

وأشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . منه المبتدأ وإليه المنتهى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . كليم اللّه وخليله ، وصفي اللّه وحبيبه .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾(١) .

روي الإمام مسلم في الصحيح عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « بيْنا رجل في فلاة من الأرض فَسَمِعَ صوتاً من سحابة : اسقِ حديقة فلان . فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة ، فإذا شرجةٌ من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كلّه ، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يُحَول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد اللّه ، ما اسمك ؟ قال : فلان - للاسم الذي سمع في السحابة - فقال له : يا عبد اللّه ، لِمَ سألتني عن اسمي ؟ قال : قد سمعتُ في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسقِ حديقة فلان ، لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ قال : أما إذ قُلتَ هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثه ، وأرد فيها ثلثه » (٢) .

---

(١) الطلاق : ٢ - ٣

(٢) الترغيب : ٢/٧

وعن أبي كبشه الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ثلاثٌ أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال : ما نقص مال عبد من صدقة . وما ظُلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً . وما فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر - أو كلمة نحوها » .

وأحدثكم حديثاً فاحفظوه .. قال : « إنما الدنيا لأربعة نفر : عَبْدٍ رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمة ويَعْلم لله فيه حقه ، فهذا بأفضل المنازل . ورجل رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية ، يقول : لو أنَّ لي مالاً لعملتُ بعمل فلان ، فهو بنيِّته فأجرهما سواء . وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً ، يخْبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقه ، فهذا بأخبث المنازل . وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أنَّ لي مالاً لعملتُ فيه بعمل فلان ، فهو بنيِّته فوِزْرُهما سواء »[(١)] .

ثم اعلموا - وفقني الله وإياكم لفعل الخيرات وترك المنكرات - أنَّ الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[(١)]

* * *

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وصححه .

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧ - من قواعد الدين الأمر بالمعروف [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له . أمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن الفحشاء والمنكر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ..

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى في السر والعلانية . واعلموا أن لديننا الحنيف قاعدة عظيمة لها أهمية كبرى ومكانة عظمى ، لأنها تحافظ على أركانه وأسسه وتعاليمه ، وتحمى كيانه وعزته ، ألا وهى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهي أساس دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وهي من فضائل هذه الأمة المحمدية . لذلك اعتنى ديننا بهذه القاعدة عناية تامة . وحثَّ عليها ورغَّب فيها . وبيَّن أن بها صلاح الأمة وفلاحها . قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾

(١) ألقيت في ١٣٩٣/٦/١٣ هـ .

(٢) آل عمران : ١١٠

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾(١)

وقد حذّر الله تعالى عباده المؤمنين من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبيّن أن ذلك معصيةً لله . وعدواناً على حدود الله . وسبباً للطرد والإبعاد من رحمة الله . قال تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي ، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم ، وآكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، فلعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

وجلس صلى الله عليه وسلم وكان متكئاً فقال : « كلا والله ، لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر ، ولتأخذنّ على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنُكم كما لعنهم » (٣) .

فاتقوا الله عباد الله فإنه لا صلاح للأمة ولا فلاح لها إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن جميع المنكرات . ولا تستقيم أحوال الأمة الإسلامية إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فهو يهذب النفوس ويزكي القلوب ويطهر الأعمال ، ويحمل على التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق . ويسمو بالأمة إلى ذروة الفضل والعزة والرفعة والكمال .

---

(١) آل عمران : ١٠٤ - ١٠٥

(٢) المائدة : ٧٨ - ٧٩

(٣) أبو داود (٤٣٣٦) ، والترمذي (٣٠٥٠) ، وابن ماجه (٥٠٠٦) ، وإسناده ضعيف لانقطاعه ، فإن راويه عن ابن مسعود ولده أبو عبيدة وهو لم يسمع من أبيه .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين الصادقين الذين جمعت بينهم الأخوة الإسلامية وربطت بينهم المحبة والولاية في الله ، حتى أصبحوا كالجسد الواحد كل فرد منهم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(١)

إن الأمر بالمعروف واجب من واجبات هذا الدين القويم ، على كل فرد من أفراد المسلمين حظه من ذلك بحسب استطاعته وقدرته وقوة إيمانه وضعفه ، وبحسب قوة سلطانه على المأمور . قال صلى الله عليه وسلم : « مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه .. وذلك أضعف الإيمان » (٢) .

وقد بيَّن سبحانه وتعالى طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموصل إلى المقصود . النجاح والاستجابة بدون أي رد فعل . فقال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾

فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يعالج أمراضاً اجتماعية . وأمراضاً روحية ، وأمراضاً في البصائر ، فدوره في علاجها كدور طبيب أمراض الأبدان ، يشخصُ المرض ويتحرى العلاج النافع الذي لا ضرر فيه ، وقد يَكره المريضُ العلاج فيُحمل عليه حرصاً على سلامته وسعادته ، وقد يتطلب الأمر استئصال بعض الأعضاء ، أو عزله في مكان عن الناس .

---

(١) التوبة : ٧١

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) ، وأبو داود (١١٤٠) و (٤٣٤٠) ، والترمذي (٢١٧٣) ، والنسائي : ١١١/٨ ، وابن ماجه (٤٠١٣) .

(٣) النحل : ١٢٥

(٤) يوسف : ١٠٨

عباد الله .. إنَّ المعاصي إذا ظهرت فلم تُغَيَّر عمّ ضررها وخطرها جميع الأمة ، الصالح منهم والطالح ، فالعاصي يؤخذ بفعله ، وغير العاصي يؤخذ بمداهنته ومجاملته للعصاة وعدم إنكاره عليهم ، وقد ضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلاً محسوساً - لعلكم تذكرونه - فقال صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ المدهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها ، فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به . فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه فقالوا له : مالك ؟ قال : تأذيتم بي ولا بد لي من الماء . فإن أخذوا على يديه أنجوه وأنجوا أنفسهم . وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم » (١) .

فيا عباد الله .. ما لنا تقاعسنا عن القيام بهذا الواجب الإسلامي ، يرى الواحد منا ابنه أو أباه . أو جاره أو أخاه يترك الواجبات . ويقع في المحرّمات فلا يأمره ولا ينهاه . فلا بد أيها المسلمون من التعاون والتكاتف وقيام كل واحد بحقه من هذا الواجب العظيم طلباً للنجاة . والوصول إلى أشرف المقاصد ، وأعلى المراتب ، طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، والخلود في جنات النعيم .. فاتقوا الله عباد الله ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾(٢)

مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وخذوا على يد السفيه ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٣)

---

(١) صحيح البخاري : ٩٤/٥ و ٢١٦ و ٢١٧

(٢) المائدة : ٢

(٣) الأنفال : ٢٥

اللّهم أصلح شأن المسلمين . واهدهم صراطك المستقيم .

اللّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر .. إنك على كل شيء قدير .

أقول قولي هذا وأستغفر اللّه لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب .. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

١٧ - خيركم مَن تعلم القرآن وعلَّمه

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾(١)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم أجمعين .

أما بعد ..

فيا أيها الناس .. اتقوا اللّه تعالى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى . إن أحسن الحديث كتاب اللّه ، وخير الهَدْي هدى نبينا محمد ﷺ ، فأوصيكم بكتاب اللّه العزيز الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾(٢)

احرصوا على تعلُّمه وتعليمه ، فخير هذه الأمة مَن تعلم القرآن وعلَّمه . وأكثروا من تلاوته وتدبروا معانيه . وأتمروا بأوامره وقفوا عند حدوده . واحذروا الصدود عن كتاب اللّه وهجرانه ، فما انصرفت أمة من الأمم عن كتابها وما انحرفت عن دينها إلا كان عاقبة أمرها الذل والهوان . والضلال والخسران .

وأكثروا من الصلاة والتسليم على النبي الكريم . فقد أمرنا اللّه بذلك في

---

(١) الملك : ١ - ٢

(٢) فصلت : ٤٢

كتابه المبين فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه بها عشراً » (٢) .

اللّهم صلِّ وسلّم على صاحب المقام المحمود والحوض المورود . وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء ، الأئمة الحنفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وارض عنا معهم بمنك وجودك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين . واحم حَوْزة الإسلام يارب العالَمين .

اللّهم أدم علينا نعمة الأمن والإيمان . وادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والزلازل والمحن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن ، عن بلدنا هذا خاصة وعن جميع بلدان المسلمين .

اللّهم احفظ إمامنا ووفقه لما يصلح العباد والبلاد ، وارزقه بطانة صالحة تعينه على الخير وتفتح له أبوابه ، وتنهاه عن الشر وتقطع أسبابه .

اللّهم اجعل ولاية المسلمين في خيارهم لديك ، وانزعها من أشرارهم وأبغضهم إليك .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، ونفِّس كرب المكروبين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ،

---

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) صحيح مسلم (٣٨٤) ، وأبو داود (٥٢٣) ، والترمذي (١٦١٩) ، والنسائي : ٢/ ٢٥

واشف مرضى المسلمين ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١ ﴾[١]

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٢]

وأكثروا من ذكر الله فإن به حياة القلوب وسعادة الشعوب ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥ ﴾[٣]

* * *

---

(١) البقرة : ٢٠١

(٢) النحل : ٩٠

(٣) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨ - منافع التشريع الإسلامي

وبيان العقيدة الصحيحة (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الغني الحميد .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى الله عليه وعلى آله وجميع أصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى فإنها أساس كل خير وفلاح . وطريق كل سعادة ونجاح ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾

---

(١) ألقيت في ١٨/١١/١٣٩٥ هـ .

(٢) الطلاق : ٢ - ٣

وقد ورد الحديث بهذا المعنى عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٧٩/٧) إلى ابن مردويه والبيهقي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، ولفظه : خطبنا رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق خطبة الوداع ، فقال : « يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، ألا إن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ؛ قال : « فليبلغ الشاهد الغائب » ... الحديث ، وأصل الحديث في مسلم دون هذا اللفظ برقم (١٤٧) بسياق طويل والله أعلم .

أيها الناس .. إذا تأمل المتأمل قواعد دين الإسلام . وهَدْيه ونظامه في التشريع . وسياسته في التربية والإصلاح : عرف أن دين الإسلام وما اشتمل عليه من أمر ونهي . وأحكام وحدود . وعبادات . كل ذلك في صالح الإنسان . لإصلاح بدنه وإصلاح سلوكه وإصلاح ماله . والمحافظة على مقومات حياته . وتحقيق رفعته وعزته وكرامته .

لقد رسم دينُ الإسلام . دينُ اللّه الذي رضيه لعباده . دينُ المصطفى صلى اللّه عليه وسلم الذي اختاره لأمته . لقد رسم للأمة طريقاً مستقيماً تسير عليه في حياتها . وضع نظاماً سماوياً ثابتاً ودستوراً قيماً عدلاً . لا يخضع لرغبات الأهواء ، ولا دخل فيه لآراء البَشر والأغراض .

فيه العدالة والمساواة . لا يفرِّق بين غني وفقير ، ولا بين شريف ووضيع ، ولا بين ذكر وأنثى .. لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى [١] .

به يتحقق الأمن والاستقرار . وبه تُعطَى الحقوق لأهلها . وبه يأمن الإنسان على دمه وماله وعِرضه .

فأركان الإسلام ودعائمه إذا اتبعها الإنسان بحق وإيمان . وأداها كما شُرِعت ، تعود عليه بالخير والعزة في دينه ودنياه .

فشهادة أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وأنَّ محمداً رسول اللّه . تربط العبد بخالقه الذي أوجده من العدم ، ورباه بجميع النِعَم . الذي بيده حياته وموته . وعزه وذله ، ونصره وخذلانه ، وصحته ومرضه ، وغناه وفقره ، منه المبتدأ وإليه المنتهى . فلا يستغني الإنسان عن خالقه طرفة عَيْن . فهو محتاج إليه دائماً وأبداً ، محتاج لنصره على النفس الأمَّارة بالسوء ، والشهوات المنحرفة ، والشيطان العدو المبين . وعلى الأعداء من جميع المخلوقين .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحجرات آية رقم ١٣ : ﴿ إنَّ أكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أتْقَكُمْ ﴾ ، وإلى حديث جابر بن عبد اللّه الأنصاري رضي اللّه عنه الذي مضى الآن تخريجه وإسناده حسن ، واللّه أعلم .

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ ﴾ (١)

واتصال الإنسان بخالقه في عباداته وإفراده بالعمل وإخلاص النية له والتوكلُ عليه يكسبه قوة وعزيمة وصبراً وجلداً .

وإقامُ الصلاة في أوقاتها مع جماعة المسلمين في المساجد يربط المسلم بأخيه المسلم ، يتعرف بعضهم على أحوال البعض الآخر . فمَن كان مريضاً عادوه . ومَن كان فقيراً أعانوه . ومَن كان غائباً حفظوا له .

وإيتاء الزكاة طُهْرة للمال (٢) ونماء له . ومواساة للفقراء . يحصل بها التعاطف والتراحم الذي هو أساس التعاون والتكاتف .

وصوم رمضان . صحة للأبدان . وتضييق لمجرى الشيطان . به يحس الغنى حاجة الفقير إلى الطعام طيلة أيام العام . فيعطف عليه ويواسيه .

وحج بيت الله الحرام تعظيم لشعائر الله وتجمع كبير شامل حافل ، فيه منافع كثيرة ، يحصل التعارف والتآخي . والتضامن والتكاتف وتوحيد الرأى والصفوف . والاعتصام بحبل الله جميعاً وحضور المنافع .

والحكُم بأحكام الإسلام . وإقامة حدود الله تقويم لحياة المجتمع وإصلاح لفساده . ومعالجة لأمراضه . ومحافظة على استقامته . وصيانة لحقوقه ، فلا يحصل الأمن والاستقرار إلا بتحكيم الإسلام وتنفيذ أحكامه . في جميع القضايا والحدود .

فالحمد لله الذي هدنا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله (٣) .

---

(١) آل عمران : ١٦٠

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التوبة آية رقم ١٠٣ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ ، وقد وردت الأحاديث الكثيرة في هذا المعنى ، والله أعلم .

(٣) إشارة إلى الآية ٤٣ من سورة الأعراف

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ارجعوا إلى دينكم وحكِّموه فيما شَجَرَ بينكم :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾(١)

اتقوا الله أيها الناس ، لا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من رحمة الله ..

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾(٢)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر والحكيم .. واستغفروا الله إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) النساء : ٦٥

(٢) الزمر : ٥٣ - ٥٩

١٨ - يجب أن تكون العبادة على وفق الشريعة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . شهادة أرجو بها النجاة يوم العرض عليه .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن الأعمال الصالحة التي تُقرِّب إلى اللّه تعالى هي التي تكون على وفق هَدْي نبينا محمد ﷺ ، وكل عمل يخالف سُنَّة المصطفى صلى اللّه عليه وسلم مردود على صاحبه . قال عليه الصلاة والسلام : « مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (١) .

فما يفعله بعض الناس من العكوف عند قبور الصالحين والنياحة عندها ولطم الخدود . وما يفعله البعض الآخر من طلب الغوث والمدد وقضاء الحوائج من الأنبياء والمرسلين . وما يفعله البعض من طلب البركة من الحيطان والأعمدة والأبواب والشبابيك . كل هذا وأمثاله لم يكن من هَدْي النبي ﷺ ولا خلفائه الراشدين ولا أئمة الهدى .

وكذلك ما يفعله بعض الناس من التمسح بالأئمة والمؤذنين والعلماء والموظفين ، لطلب البركة منهم . كل هذا وأمثاله غير سائغ شرعاً ، وغير لائق

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي اللّه عنها ، البخاري برقم (٢٦٩٧) الصلح : ٥/٣٠١ - الفتح ، ومسلم في الصحيح في الأقضية باب (١٧) .

من إنسان مسلم يؤمن بالله وبرسوله ﷺ . فاتقوا الله أيها المسلمون ، تَفَّهموا دينكم وتعرَّفوا على قواعده وأصوله .

وخذوا دينكم عن أئمة الهدى . واحذروا دعاة الزيغ والضلال . فلا تتخذوهم أولياء ، ولا تطيعوهم في معصية الله ومعصية رسوله ﷺ . وصلوا على البَشير النذير والسراج المنير . فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩ - التحذير من الشذوذ

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه الذي هدانا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة .

صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن التعاطف وتبادل المعروف هو أساس المحبة .

والمحبةُ هي قاعدة التعاون . والتعاون هو طريق القوة والمنعة والنجاح .

ولهذا اعتنى دينُ الإسلام كلَّ العناية بأسباب التراحم والتعاون وأمر بها وحثَّ عليها . وبيَّن فوائدها وثمارها .

كما نهى عن أسباب الفُرقة والخلاف والشقاق ، وبيَّن أضرارها وعواقبها . فالرابطة القوية بين المسلم وأخيه المسلم هو الإيمان والمنهجُ المستقيمُ الموصل إلى اللّه تعالى . والاعتصام بهذه الرابطة والالتفاف حولها لا بد له من التعاطف والتراحم والتعاون على البر والتقوى .

---

(١) ألقيت في ٢/٢/١٤٠٠ هـ .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١) .

فهذه الصفات الإسلامية السامية يجب أن تكون هي النظام لأفراد الأسرة . ولأفراد المجتمع وجماعاته . وللراعي والرعية . فبها تتحقق المصالح وتدفع المفاسد . وهي أساس الحياة العزيزة الكريمة المتكافئة . وهي القوة التي تحصل بها الحصانة والمنعة . وهذه المعاني الخيِّرة شعور يغرسه الإسلام في قلب المسلم تظهر آثاره على الأفعال ، وقد لا تبرز إلا عند الحاجة إليها ، أو عند الاختبار .

والأحداث هي المحك الجلي والمختبر المتقن لفحص حقائق المعاني في النفوس .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾(٢)

فالأحداث هي التي تحرك المشاعر والهمم وتكسبها خبرةً ومعرفة . فرُبَّ ضارة نافعة .

إن تتبع الشذوذ وترك ما عليه جماعةُ المسلمين وسَلَف الأمة وصُلحاؤها . يُحدث تصدعاً ومسارب يدخل منها الشيطان لتنفيذ مخططاته ونصب شراكه .

الشيطان هو ذئب الإنسان يتحين الفرص لاصطياده . وإنما يأكل الذئبُ من الغنم القاصية . فعليكم - أيها المسلمون - بلزم جماعة المسلمين ، فإن يد الله مع الجماعة ، ومَن شذَّ شذ في النار ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(١)

---

(١) مسلم : ١٦ / ١٤٠
(٢) البقرة : ٢١٦
(٣) آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في صحيح مسلم رحمه الله . قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية » . أي تكون حاله ومآله مثل أهل الجاهلية والعياذُ بالله .

قوة التآخي والتعاطف بين أفراد هذه الأمة المسلمة المؤمنة في هذه البلاد المطهّره . وبين ولاة الأمر فيها . والتحام المشاعر والقوى ، وهي كذلك - إن شاء الله تعالى دائماً وأبداً - تمثل صفاً واحداً على اتجاه واحد وخلف إمام واحد . فليس في صفها فرج يتخلل منه الشيطان وأعوانه . إنما هم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً . فلا فرحة لعدو ولا مدخل لمفسد . فالحمد لله الذي جمع القلوب بالإيمان فأصبحنا بنعمته إخوانا .

لقد رأينا بعين اليقين الصفات التي يتمتع بها قائد البلاد وإخوته . والروابط الوثيقة بينهم وبين أبنائهم متمثلة في زيارتهم للجرحى على أسِّرة العلاج ، تلك المشاعر الإسلامية التي برزت فيها روح الرحمة والشفقة والعطف والمشاركة في المشاعر والأحاسيس . وهذه من صفات المسلم المقتدي برسول الله ﷺ ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾(١)

فالحمد لله الذي جعل ولايتنا فيمَن هو من خيارنا ديناً ونسباً وعقلاً وأخلاقاً .

التضامن الإسلامي بين المسلمين في جميع أنحاء العالَم والوقوف صفاً واحداً ضد أى عدوان على الإسلام ومقدساته .

فالإسلام قوة فعَّالة مترابطةٌ وعزيمةٌ صادقة تسير على نور الله الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ .

إن الأحداث تزيد المسلمُ قوة إيمان بالقدر . فالله سبحانه له حِكَمٌ وأسرارٌ في قدره وإرادته . لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .

---

(١) التوبة : ١٢٨

إن العاقل يأخذ من الأحداث عبراً ودروساً . وإن أكبر عدو وأخطره على الإنسان هو العدو الأول الذي أخرجه من الجنة وبسببه تحصل المصائب والكوارث والعداوات بين الأمم .

فانتبه أيها المسلم وخذ حذرك وتحصن من عدوك بما آتاك الله من قوة وحصانة . تمسَّك بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ونظام الإسلام . ولا تحسبنَّ الأمر سهلاً لأنك لا تراه ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾(١) . وقد أقسم قسماً مؤكداً على أن يعمل على إهلاكك وتدميرك يابن آدم ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾(٢) ، فكل ما ترى في الكون من الفتن والقلاقل والشقاق والخلافات ، إنما هو من أعمال عدو الإنسان تبريراً لقسمه وحسداً من عند نفسه .

إن الشيطان لا يرضى عن الإنسان بالمال ولو أعطاه الدنيا كلها . لا يرضى إلا أن يكون من حزبه وجنوده وأتباعه . لا يرضى إلا أن يكون الإنسان مثله ظالماً مفسداً مخرباً حقوداً حسوداً . خائناً مكاراً مُحاداً لله ورسوله . يقوده معه إلى سخط الله وعقابه . وأخيراً يتخلى عنه في أشد العُسره وأمرّ الحسرة . لا تغفلوا عن مكره وغروره ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾(٣)

فاتقوا الله يا أمة الإسلام ، اتقوا الله يا شباب الإسلام ، تعرَّفوا على

---

(١) الأعراف : ٢٧

(٢) الأعراف : ١٦ - ١٧

(٣) الأنفال : ٤٨

الإسلام وحقيقته . واعرفوا العدو من الصديق . واعرفوا الناصح من الغاش . وخذوا العلم من أفواه العلماء ، وجالسوا الأخيار والصلحاء . فما من سائر إلا وله دليل . فاجعلوا هداتكم من أهل المعرفة بالطريق لئلا تضلوا ، ولازموا جماعة المسلمين فإن يد اللّه مع الجماعة ، ومَن شذَّ شذ في النار . وتوبوا إلى اللّه جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

اللّهم ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأعذنا من الشيطان وجنوده . واغفر لنا ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

١٩ - التعاون واجب

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه الهادي إلى سبيل الرشاد . مَن يَهْدِ اللّه فهو المهتدي ، ومَن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه .

صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ، ومَن تبعهم بإحسان ، وسلّم كثيراً .

أما بعد ..

فإنه من واجب الأمة الإسلامية التعاون لتحقيق مصالحها ودفع المفاسد عنها . والالتفاف تحت راية الإسلام . والاعتصام بحبل اللّه جميعاً . ويحرّم الإهمال والغفلة والتنصل من المسئولية . فكل فرد مسلم عليه واجب النصح والإصلاح لأمته . وجلب المصالح لهم ودفع المفاسد عنهم . يجب الانتباه واليقظة ومساندة ولاة الأمور ، والدعاء لهم بالتوفيق والصلاح ، فبصلاح الراعي تصلح الرعية ، وتجب مساعدتهم في أداء واجبهم لحفظ الأمن وإقامة العدل وتحكيم شرع اللّه . وتحقيق المصالح ودريء المفاسد ، والأخذ على يد السفهاء ، فولاة الأمر الذين يدينون بدين الحق ويحكمون بما أنزل اللّه ويقيمون العدل بين الناس . تجب طاعتهم ومعاونتهم بكل الإمكانيات في طاعة اللّه . ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَن أطاعني فقد أطاع اللّه . ومَن عصاني فقد عصى اللّه ، ومَن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومَن يعص الأمير فقد عصاني » .

يجب على مَن رأى إنساناً يريد السعي بالفساد أن يأخذ على يده أو يرفع أمره . وليس هذا مما ينبغي ستره . وإنما ستر عورات المسلمين في الأمور التي ليس فيها ضرر على العامة ، وليس فيها خطر على أمن البلاد ، وإنما يستر

المسلم في الجزئية الخفية التي يقتصر ضررها على فاعلها وحده . مع مناصحته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون ، وكونوا أمة مسلمة متناصحة متعاضدة ، وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا اللّه بذلك في كتابه المنير فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[١]

اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يارب العالَمين .

اللّهم آمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد ، واجعلهم هداة مهتدين ، يقولون بالحق وبه يعدلون .

اللّهم أصلح شأن المسلمين واجمع كلمتهم ، ووحِّد صفوفهم وانصرهم على عدوك وعدوهم ، إنك على كل شيء قدير .

عباد اللّه .. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[٢]

فاذكروا اللّه العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولَذِكْرُ اللّه أكبر واللّه يعلم ما تصنعون .

* * *

---

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) النحل : ٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

٢ - قبول التوبة رحمة من الله [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله ، أحمده وأستعينه . وأسغفره وأتوب إليه . وأعوذ بالله من شرور أنفسنا .وسيئات أعمالنا ، ومن نزغات الشيطان وتضليله .

وأشهد أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾[٢]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن الله تعالى قد أنعم على خلقه نِعَماً كثيرة لا تُعَد ولا تحصى . ومن أعظم هذه النعَم وأجلّها وأكثرها نفعاً للناس عامة ، وللمؤمنين خاصة ، رحمة الله التي وسعتَ كل شيء . فهو الرحمن الرحيم . رحمن بجميع المخلوقين . ورحيم بالمؤمنين رحمة خاصة .

ومن رحمة الله تعالى بعباده فتح لهم باب التوبة . يسير الراكب في عَرضه أربعينِ عاماً . لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها [٣] ، والله يبسط يده بالليل ليتوب مسيىء النهار . ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل [٤] .

---

(١) ألقيت في ١٣٩٣/٧/٢٦ هـ .

(٢) غافر : ٣

(٣) أحمد في المسند : ٤ / ٣٤٠ من حديث صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه وفيه : « سبعون سنة » ، وإسناده حسن مع الشواهد .

(٤) مسلم في الصحيح : كتاب التوبة حديث رقم (خاص ٣١) ، و (عام ٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : « يابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي . يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي . يابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفره » (١) .

فعلى الإنسان مهما أسرف على نفسه . ومهما تمادى في معصية ربه . ومهما طال زمن معصيته أن يعلم أن له رباً كريماً رؤوفاً رحيماً قريباً يجيب دعوة الداع إذا دعاه . ويقبل توبة التائبين ، ويغفر ذنوب المستغفرين .

فلا ييأس من روح الله . ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾(٢).

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٣) ، فهو جلَّ شأنه يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه . ويُقبل إلى عبده إذا أقبل عليه . قال صلى الله عليه وسلم : « للهُ أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوبُ إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة . فانفلتت منه . وعليها طعامه وشرابه . فيئس منها . فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد يئس من راحلته . فبينما هو كذلك ، إذ هو بها قائمةً عنده فأخذ بخطامها . ثم قال من شدة الفرح : اللّهم أنت عبدي وأنا ربك - أخطأ من شدة الفرح » (٤) .

---

(١) حديث قدسي أخرجه أحمد في المسند : ١٦٧/٥ من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وإسناده حسن ، وأخرجه أيضاً : ١٧٢/٥ ، والترمذي في جامعه والدارمي في سننه من هذا الوجه والله أعلم .

(٢) يوسف : ٨٧

(٣) الزمر : ٥٣

(٤) البخاري : الدعوات (الفتح) : ١١/ ٩٠ - ٩١ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، ومسلم في الصحيح برقم (٢٧٤٤) : التوبة .

فانظر أيها المسلم إلى رحمة الله بعباده المؤمنين . وأعظم من ذلك فضلاً وإحساناً من الله تعالى أنَّ مَن تاب إليه وأناب صادقاً وعمل صالحاً يبدل الله سيئاته حسنات .

قال سبحانه في وصف عباد الرحمن : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾(١)

فاتقوا الله عباد الله . وبادروا بالتوبة النصوح إلى الله . فإن الإنسان دائماً يخطيء بالليل والنهار ، ولا يدري متى تدركه المنية . هل يتمكن من التوبة في وقت أوانها . أو تدركه المنية وهو في غفلة فتأخذه على غرة . واعلموا أن الله كما أنه غفور رحيم فعذابه أليم . إن الله قوي شديد العقاب : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾(٢)

فلا يجوز للإنسان أن يأمن من مكر الله . ولا أن يغره بالله الغرور ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾(٣) فينبغي للمسلم أن يسير بين جانب الرجاء وجانب الخوف . فيحرص على أسباب المغفرة والنجاة . ولا يتكل على عمله ، فإنه لن يدخل الجنة أحد بعمله . فإذا صح وقوى على العمل غلّب جانب الخوف . وإذا مرض وضعف عن العمل غلّب جانب الرجاء ، فاتقوا الله عباد الله . وأكثروا من ذكر الله وحمده واستغفاره ، فمَن لازم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً . ومن كل هم فرجاً . ورزقه من حيث لا يحتسب .

---

(١) الفرقان : ٦٨ - ٧٠

(٢) هود : ١٠٢

(٣) الأعراف : ٩٩

اللّهم أنت اللّه لا إلَهَ إلاً أنت ، نستغفرك اللّهم ونتوب إليك .

اللّهم اغفر لنا جدنا وهزلنا . وخطأنا وعمدنا .. وما قدّمنا وما أخّرنا ، وما أسررنا وما أعلّنا ، وما أنت أعلم به منا .

اللّهم اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

٢ - الاستغفار مفاتيح الخير

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه (١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون : اتقوا اللّه تعالى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى . واحذروا أسباب سخط الجبار فإن أقدامكم على النار لا تقوى . واعلموا أن الاستغفار هو مفاتيح الخير . وسبب الرحمة والغفران ، يحت الخطايا كما تحت الرياح ورق الشجر عند جفافها . وتقرّبوا إلى اللّه بالأعمال الصالحة ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾(٢)

وأكثروا من الصلاة والتسليم على النبي الكريم ، فقد أمرنا اللّه بذلك في كتابه المبين فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

---

(١) هذه جزء من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي اللّه عنه - البخاري برقم (٧٩٩) الفتح ، - الأذان باب رقم (١٢٦) .

(٢) هود : ١١٤

(٣) الأحزاب : ٥٦

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى عليّ مرة صلَّى الله عليه بها عشراً » [١] .

اللّهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور ، والجبين الأزهر ، وآته الوسيلة والفضيلة . والدرجة الرفيعة . وابعثه المقام الذي وعدته .

اللّهم ارض عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء ، أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين وأهل بيته الطيبين الطاهرين . وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . وأذل الشِرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين . واحم حَوْزة الإسلام يارب العالَمين .

اللّهم أدم علينا نعمة الإيمان والأمان . واجعل ولايتنا وولاية جميع المسلمين في يد مَن آمن بك واتقاك واتبع رضاك ياحى يا قيوم .

اللّهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، وجميع المحن وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، عن بلدنا هذا خاصة وعن جميع بلدان المسلمين .

اللّهم فَرِّج هم المهمومين . ونفِّس كرب المكروبين . واجبر قلوب المنكسرين . واخلف على الغارمين . واقض الدَّيْن عن المدينين . واشف المسلمين .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات .

اللّهم نَوِّر على أهل القبور قبورهم . اللّهم تب على التائبين واغفر ذنوبهم . وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ

(١) مسلم : في الصلاة ، باب « الصلاة علي النبي ﷺ » حديث رقم (٤٠٨) ، والترمذي في جامعه برقم (٤٨٥) ، وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه أحمد في المسند : ٤/٣٠ ، وذلك من حديث أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه بهذا المعني ومع زيادة .

وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

فاذكروا الله العظيم يذكركم . واشكروه على نعمه يزدكم .. ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢)

* * *

---

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١ - الولاية لله لا للعمال غير المسلمين (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله القوى العزيز .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾(٢)

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسى قواعد الإيمان وحمى حماه ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الولاء والبراء قاعدتان من قواعد الإيمان لا يستقيم أمر المؤمن إلا بهما ، ولا تقوم عزة المسلمين إلا عليهما ، ولا تحصل الوقاية والمنعة للمسلمين إلا بهما ، وهاتان القاعدتان هما المذكورتان فى قوله تعالى ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾(٣) وقوله ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(٤) وقوله : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٥)

---

(١) خُطب بها فى ٢١/١٠/١٤٠٩ هـ ، ونقلت حية على الهواء فى التلفاز .

(٢) المنافقون : ٨

(٣) البقرة : ٢٥٦

(٤) التوبة : ٧١

(٥) آل عمران : ٢٨

فالولاء هو محبة حزب الله والنصح لهم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) ، « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد » (٢) ، « المسلم أخو المسلم » (٣) ، « مَن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » (٤) .

وأما البراء فهو بغض كل ما يُعبد من دون الله ومقاطعته ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾(٥)

وعلى قاعدتي البراء والولاء نظّم الإسلام صلة المسلم بغير المسلم باعتبار حال غير المسلم ومعاملته مع المسلمين .

ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي :

أولاً : إذا كان غير المسلم معاد للمسلمين يقاتلهم ويؤذيهم ويخرجهم من ديارهم ويقف أمام دعوة الإسلام ، فهذا تجب معاداته ومنابذته وجهاده ، ولو كان

---

(١) أخرجه الشيخان : البخاري في الإيمان ، باب « من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » حديث رقم (١٣) : ٥٦/١ – الفتح ، ومسلم برقم (٤٥) ، الإيمان كلاهما من حديث أنس بن مالك .

(٢) الشيخان من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما : البخاري في الأدب : ٣٦٧/١٠ – الفتح ، ومسلم برقم (٢٥٨٦) في البر والصلة .

(٣) الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : البخاري في المظالم : ٧١/٥ ، ومسلم برقم (٢٥٨٠) في البر والصلة .

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك : ٣١٧/٤ من حديث حذيفة رضي الله عنه وإسناده فيه متروك وهو إسحاق بن بشر البخاري ، انظر : لسان الميزان : ٣٥٤/١ ، ولكن معناه صحيح والله أعلم .

(٥) الممتحنة : ٤

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾(٢) ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾(٤) ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾(٥) ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾(٧)

ثانياً : أن يكون غير المسلم معاهداً للمسلمين مسالماً لهم لا يؤذيهم ولا يعين عليهم ، فهؤلاء يجوز برهم والإقساط إليهم والوفاء بعهدهم ، دون الموالاة في الدين ، بل مع بغض أعمالهم ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٨) ، وخاصة منهم من له قرابة أو ليست له شوكة ولا مناصرة كالرهبان والنساء والأطفال .

---

(١) المجادلة : ٢٢

(٢) الممتحنة : ١

(٣) التوبة : ٣

(٤) المائدة : ٥١

(٥) المائدة : ٥٧

(٦) الممتحنة : ١٣

(٧) التوبة : ٢٨

(٨) الممتحنة : ٨

ثالثاً : أن يكون غير المسلم يُخشَى منه شرٌ على المسلمين في بلد أو زمن ، فللمسلم أن يتقي شره ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾(١)

ومن هذا تظهر عدالة الإسلام وحفظه للحقوق ورحمته للخلق واحترامه للإنسانية ، فهو يسالم مَن سالمه ويعادي مَن عاداه ، ويرحم المستضعفين ويعدل بين العالمين .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢) ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾(٣) ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾(٤)

بقي أن نعرف هل استعمال غير المسلمين من الولاء الممنوع وإن كانوا معاهدين مسالمين ؟

الحكم في ذلك لقول نبي الرحمة ورسول الهداية صلي الله عليه وسلم .
عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ : « خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فقال : إني أردتُ أن أتبعك فأصيبُ معك . قال : « أتؤمن بالله ورسوله » ؟ قال : لا . قال : « ارجع فلن نستعين بمشرك » .. وأعاد الرجل الطلب ثلاث مرات وفي الثالثة أسلم فتبعه » (٥) .

(١) آل عمران : ٢٨

(٢) الأنبياء : ١٠٧

(٣) الأنفال : ٦١

(٤) النساء : ٩٠

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٥١) حديث رقم (١٥٠ خاص) ، (عام ١٨١٧) : ١٤٤٩/٣ ، وكذا السنن الأربعة وذلك من حديث عائشة رضي الله عنها .

وفي حديث حبيب بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده أنه أتى هو ورجل معه رسول الله ﷺ قبل أن يسلما . للخروج معه في غزوة فردهما فأسلما وتبعاه [١] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تستضيئوا بنار المشركين » - يعني لا تأخذوا برأيهم ولا تستنصحوهم ولا تشاركوهم وباعدوهم ولا تساكنوهم [٢] . كما فى الحديث : « أنا بريءٌ من كل مسلم بين ظهراني المشركين » [٣] .

وعلى هذا سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، قال أبو موسى الأشعري لعمر رضي الله عنهما : إن لى كاتباً نصرانياً . قال : مالك قاتلك الله ؟ أما سمعت الله يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[٤] ألا تتخذ حنيفاً ؟ قال : يا أمير المؤمنين لى كتابتُه وله دينه قال : لا أُكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أُدْنيهم إذْ أقصاهم الله [٥] ، وكتب عمر إلى عماله : أما بعد .. فإنه مَن كان قبَله كاتب من المشركين فلا يعاشره ولا يوازره ولا يجالسه ولا يعتضد برأيه ، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر باستعمالهم ولا خليفته من بعده .

وكتب إلى أبي هريرة رضي الله عنه : أما بعد .. فإنَّ للناس نُفْرة من سلطانهم فأعوذُ بالله أن تدركني وإياك ، أقم الحدود ولو ساعة من النهار ، وإذا

---

(١) الحاكم في المستدرك : ١٢٢/٢ ومن ذلك طريق خبيب بن عبد الرحمن بن الأسود وعن أبيه عن جده وإسناده صحيح ، انظر : نصب الراية للزيلعي : ٤٢٣/٣

(٢) أورده الترمذي معلقاً : ١٥٦/٤ من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الترمذي فى جامعه برقم (١٦٠٤) كتاب السير ، وذلك من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ، وقد حكم عليه الترميذ بالإرسال ، والله أعلم .

(٤) المائدة : ٥١

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ، ذكره ابن كثير في التفسير : ٥٩١/٢ وفي إسناده سماك ابن حرب وهو ثقة - إن شاء الله - يحتج بحديثه .

حضرك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله فإن الدنيا تنفد ، والآخرة تبقى ، عُد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح بابك وباشرهم ، وأبعد أهل الشرِّ وأنكر أفعالهم ، ولا تستعن في أمر من أمور المسلمين بمشرك ، وساعد على مصالح المسلمين بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم غير أنَّ الله تعالى جعلك حاملاً لأثقالهم .

ودرج على ذلك الخلفاء الذين لهم ثناء حسن في الأمة ، والحمد لله الذي حَمَى هذه البلاد من الشرك وأهله فلم يسكنها مشرك ولا مستعمر . ولم يستعمل على المصالح العامة للمسلمين أحد غيرهم : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(١)

اللّهم إنَّا نعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

اللّهم بارك لنا فى قرآننا وانفعنا بهَدْيه وأنواره ، وثبتنا على الحكم بأحكامه والتأدب بآدابه : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾(٢)

* *

(١) الممتحنة : ٥

(٢) النور : ٣١

٢١ - الذين يستقدمون عمال غير مسلمون

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً مباركاً كثيراً .

أما بعد ..

فإن نبينا محمداً ﷺ قد جاهد وصبر وصابر ، حتى أظهر اللَّه دينه وأعلى كلمته : ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) . وطهّر هذه البلاد من أدناس الوثنية وأرجاس الطاغوت ، وأمر بالمحافظة عليها فقال صلى اللَّه عليه وسلم : « لا يُترك في جزيرة العرب دينان » (٢) . وفي لفظ : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » (رواه الإمامان مالك وأحمد رحمهما اللَّه) (٣) ، وقال في شرح الموطأ : لا يبقى فيها يهودياً ولا نصرانياً ولا ذمياً يقيم فيها . وإنما يُسمح لهم بالمرور فيها .

وقال النووي : قال العلماء : لا يُمكّنون من الإقامة فيها أكثر من ثلاثة أيام ..

---

(١) التوبة : ٤٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٦/ ٢٧٥ ، وذلك من حديث عائشة رضي اللَّه عنها ، وذلك من طريق محمد بن إسحاق المطلبي صاحب السيرة ، وقد صرح بسماعه عن شيخه صالح بن كيسان وإسناده حسن وأخرجه مالك في موطئه ، في فضائل المدينة باب (١٧ - ١٩) ، وهو بلاغ عن الزهري . حديث رقم (١٧١٦) باب (٦٢) : ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة .

(٣) ولفظ مالك : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » .

أما مكة وحرمها والمدينة وحرمها فلا يُمكّن كافر من دخولهما ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾(١)

فمن عهد النبوة إلى هذا الزمن لم يدخلهما مشرك من فضل اللّه ورعايته ، أما غيرهما ففي الأعوام القريبة لما فتح اللّه علينا كنوز الأرض وأنعم علينا بنِعَم لا تحصى . وكثرت الخيرات استولى داء الترف على كثير من الناس واشتغل البعض بالدنيا عن الاهتمام بدينهم ومصالح بلادهم ، وعن واجب الأخوة الإسلامية ، صاروا يستقدمون عمالاً من غير المسلمين من الفلبين وغيرها ، إنَّ مواطناً عربياً مسلماً استقدم لإحدى الشركات خمسة آلاف عامل ليس فيهم مسلم واحد ، ويفخر بهذا ويتحدث به في المجالس ، نسأل اللّه لنا وله الهداية ولأمثاله . أليس عمله هذا مخالف لأمر رسول اللّه ﷺ ؟ أليس هذا العمل عقوق بإخوانه المسلمين ؟ أليس هذا إهدار لكرامة البلاد ؟ أليس هذا يدل عدم المبالاة بمصالح البلاد ودينها وعقيدتها وأخلاقها ؟ أيظن هذا المسكين أن الكافرين أنصح له من المسلمين ؟ إنهم كما قال اللّه فيهم : ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾(٢) ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ﴾(٣) ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ﴾(٤) ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١ ﴾(٥) ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾(٦)

(١) التوبة : ٢٨

(٢) النساء : ٨٩

(٣) آل عمران : ١٢٠

(٤) جزء من آية آل عمران : ١١٨

(٥) النساء : ٥١

(٦) جزء من آية آل عمران : ١١٩

اتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾(١) ، الرجوع إلى الحق أحق من التمادي في الباطل ، ومَن تاب تاب الله عليه .

أحضر رجل عمالاً لمزرعته من غير المسلمين .. وكأنه لم يتأمل الفرق بين المسلم وغيره .

وفي يوم من الأيام وعند طلوع الشمس رآهم يُخرجون صورة يعبدونها من دون الله ، فأزعجه ذلك وتاب إلى الله وأرسلهم إلى بلادهم واستعاض عنهم عمالاً مسلمين فكانت موعظة له فانتبه من غفلته .

هناك دعايات بأن غير المسلمين أكثر نصحاً وأكبر كفاءة من المسلمين . وإنما هذه أوهام من وحي الشيطان وأعوانه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(٢) غش وتضليل وكذب وبهتان : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾(٣) ، الواقع من التاريخ والواقع الحاضر يكذّب هذه الدعاية . مَن الذي غدر برسول الله ﷺ في المؤامرة والسم (٤) والمعاندة ؟ مَن الذي غدر بأمير المؤمنين عمر (٥) وعليّ ؟ (٦) مَن الذي أدخل الشقاق بين المسلمين ؟ إنما هم

---

(١) النساء : ١٤٤

(٢) الأنعام أول الآية ١١٢ وآخرها ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ .

(٣) طه : ١٢٠ .

(٤) إشارة إلى حديث اليهودية التي وضعت السم في الشاة ، أخرج حديثها البخاري في الصحيح حديث رقم (٤٢٤٩) : ٤٩٧/٧ ، المغازي - الفتح ، وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) إشارة إلى استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث أخرجه البخارى في الصحيح كما أشار إليه الحافظ في الإصابة ، رقم الترجمة (٥٧٣٦) : ٥١٨/٢

(٦) اقرأ قصة استشهاد على بن أبي طالب رضي الله عنه في الإصابة للحافظ ابن حجر ، رقم الترجمة (٥٦٦٨) : ٥٠٧/٢ - ٥١٠ ، وقد استشهد رضي الله عنه ليلة السابعة عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ .

اليهود والنصارى والمجوس . والذين أشركوا . ولو وُجِدَ مَن يتصنع - في الظاهر - بالنصح والأمانة في المعاملة فإنما هو لهدف دنيوي ينتهي بانتهائه .

أما المسلم فيعمل من أجل الله ، والله تعالى حي قيوم .

وقد أثبتت التجارب أن الأطباء المسلمين والمهندسين المسلمين أكثر ذكاءً ونجاحاً وإتقاناً من غيرهم ، لأنهم يستعينون بالله في أعمالهم فيُعينهم ويوفقهم ويوجههم للتي هي أقوم ، ولكن ضعف الإيمان والجهل بقواعد الإيمان مصيبة من المصائب يحمل الإنسان على أن يقول بدون تفكير ، وإذا وُجِد في المسلمين مَن يخالف ما يوجبه الدين من نصح وأمانة فقد اختلسه إبليس ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون . أليس من الواجب موالاة المسلمين دون الكافرين ؟ أليس من الأفضل أن نستغل أموالنا وطاقاتنا وإمكانياتنا في الدعوة إلى الإسلام ؟ ومناصرة المسلمين بدلاً من تشجيع المشركين وإيثارهم على المسلمين ؟ توبوا إلى الله : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ ﴾(٢) ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ١١٩ ﴾(٣)
وصلُّوا على البشير النذير صلى الله عليه وسلم ....

* * *

(١) إشارة إلى حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٥/١٩٦ ، ٦/٤٤٦ ، وإسناده جيد ، وكذا أبو داود في الصلاة باب (٤٦) ، والنسائي في الصغرى : الإمامة (٤٨) .

(٢) المائدة : ٣٩

(٣) النحل : ١١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢ - التحذير من البدع (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٢)

وأشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى ، ومراقبته في السر والعلانية .

عباد اللّه .. لقد أكرم ربنا تبارك وتعالى أمة محمد ﷺ بكرامات ، وخصها بخصائص ، وفضَّلها على سائر الأمم ، بعث فيهم رسولاً من أنفسهم هو أفضل الخلق ، وأقربهم عند اللّه تعالى ، أدَّبه فأحسن تأديبه ، وربَّاه فأحسن تربيته : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٣) ، ورفعه منزلة لم يبلغها أحد سواه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾(٤)

شرع لها ديناً قيِّماً ، وأنزل إليها قرآناً عربياً منزهاً مطهراً ، فيه قول الحق .

---

(١) ألقيت في ١٣٩٧/٧/١٤ هـ .

(٢) فاطر : ١

(٣) القلم : ٤

(٤) التوبة : ١٢٨

وفصل العدل . جعلها أمة وسطاً ، خير أمة أخرجت للناس ، هم الآخرون في الدنيا ، وهم الأوَّلون يوم القيامة [(١)] .

لقد أكرمنا الله تعالى بهذا الرسول العظيم ، نبينا محمد بن عبد الله ﷺ ، أعطاه فواتح الكلام ، وخواتمه [(٢)] ، وجوامع الحديث ومحاسنه . اتخذه الله خليلاً وكليماً ، وخصَّه بالشفاعة العظمى والمقام المحمود ، وأعطاه الحوض المورود ، أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، قطع مسيرة أربعين ليلة في جزء من ليلة ، وعُرِجَ به إلى السماء حتى بلغ سِدْرة المنتهى ، فرأى من آيات ربه الكبرى ، رأى البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك يعبدون الله ، ولا يعودون إليه ، رأى سدرة المنتهى وما غشيها من أمر الله تبارك وتعالى ، ورأى الجنة والنار .

فرض الله عليه في ذلك الموقف ، خمسين صلاة ، فما زال يراجع ربه ويسأله التخفيف لأمته ، حتي جُعلت خمس صلوات ، وهي تعدل في الأجر خمسين صلاة ، وهذا دليل على عظمة الصلاة وأهميتها ومكانتها عند الله تعالى ، ثم أُهْبِط صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء وصلّى بهم إظهاراً لشرفه وفضله عليهم [(٣)] .

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ [(٤)]

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم في الصحيح ، حديث رقم (خاص ٢٠) ، و (عام ٨٨٥) - الجمعة : ٥٨٥/٢ - ٥٨٦ ، وابن ماجه في الزهد من سننه باب (٣٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : البخاري برقم (٦٩٩٨) التعبير : ٣٩٠/١٢ ، وكذا مسلم : المساجد - حديث رقم (٥ - ٨) .

(٣) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه : البخاري برقم (٣٢٠٧) : ٣٠٢/٦ (الفتح) .

(٤) الإسراء : ١

أيها المسلمون .. إنه لم يرد في القرآن الكريم ولا في السُنَّة المطهرة ذكر تاريخ الإسراء والمعراج ، كما أنه لم يرد في القرآن ذكر تاريخ فرض أركان الإسلام . ومَن حدده بيوم معلوم فهو قول بلا دليل صحيح ، ومن هنا يُعلم أن تاريخ الوقائع الشرعية وتاريخ التشريع ، والأحكام ، كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، لا يترتب عليه عبادة مشروعة . ولا مقصد ديني ، ولا مصلحة للأمة ، وإنما المشروع هو فهم النصوص والأحكام والآيات والعملُ بها في أوقاتها المشروعة لها ، فلا يجوز أن يُتخذ تاريخ شيء من هذه الوقائع الإسلامية ، ولا الأحداث التاريخية عيداً وذكرى ، ولا أن يُخَص بعبادة دون بقية الأيام لم تكن مشروعةً بنص من القرآن الكريم ، أو السُنَّة الصحيحة ، ولذلك لم يُذكر في القرآن ولا في سُنَّة النبي ﷺ تاريخ الإسراء والمعراج ، لعدم وجود فائدة شرعية في ذكر التاريخ ، وإنما الفائدة في فهم ما ورد في قصة المعراج والإسراء من الآيات والمعجزات الدالة على وحدانية اللّه ، وكمال قدرته ، وعظيم صنعه ، وقوة قهره ، والعمل بما فيها من تشريع .. وذلك يكون في جميع الأيام .

والعبادات مبناها علي التوقيف ، والنصوص ، والتشريع ، فلا يجوز أن يُعبد اللّه إلا بما شرعه على لسان رسوله محمد ﷺ ، ومن المعلوم أن نبينا محمداً ﷺ ما ترك أمراً من أمور الخير إلا ودلَّ أمته عليه ورغَّبها فيه : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾(١)
فلم يشرع الإسلام عيداً ولا ذكرى ، ولا عبادات مخصوصة كيوم الإسراء والمعراج ، ولا يوم المولد النبوي المطهَّر – صلى اللّه عليه وسلم ، ويعلم أيضاً أن الخلفاء الراشدين وأصحاب النبي رضي اللّه عنهم أجمعين . هم أسرع الناس إلى فعل الخير . وهم أشد الناس حباً لنبينا محمد ﷺ ، وأحرصُهم على القرب من اللّه تعالى ورسوله ، فلم يُنقل عن أحد منهم أنه فعل عبادة مخصوصة ، ولا أنه اتخذ شيئاً من هذه التورايخ عيداً وذكرى ، ولا أنه حثَّ على ذلك ورغَّب فيه ،

---

(١) المائدة : ٣

وكذلك لم يُنقل عن أحد من التابعين . ولا عن أحد من أئمة الهدى والراسخين في العلم أنه فعل شيئاً من ذلك أو حثّ عليه ، وإنما هذه كلها وما شاكلها بدع مُحْدَثه في الدين غير مشروعة ، بدعة دينية غير حسنة حدثت في القرون المتأخرة : لما ضعفت قوة الإيمان من النفوس .

حدثت لما تقلص الفهم الصحيح لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، حدثت لما ابتعد المسلمون عن إسلامهم ، ونشطت دعوة أعداء الإسلام ، ووجدت رواجاً وقبولاً في الأوساط الإسلامية ، فصاروا يكيدون للإسلام ويدسون عليه الدسائس ، فمَن انقاد لهم أخرجوه من دينه وأبعدوه عن إسلامه وعقيدته ، ومَن أبي أدخلوا عليه هذه البدع لإضعاف عقيدته واشتغاله بالبدعة عن السُنَّة ، وإيجاد مجتمعات غير مشروعة يحصل فيها المعاصي ، واللعب واللهو والفساد باسم الإسلام وتحت ستار الإسلام .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تمسكوا بقواعد دينكم وعقيدتكم ، وحافظوا على قوة إيمانكم ، وتمسكوا بسُنَّة نبيكم ، عضواً عليها بالنواجذ [١] فإن في ذلك كلّ الخير والسعادة والنجاة ، وفيه الكفاية والكمال ، واحذروا البدع والمحدثات من الأمور : « فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار » [٢] ، « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » [٣] . « مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » [٤] .

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه : أحمد في المسند : ١٢٦/٤ ، وإسناده صحيح .

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، انظر الفتح : ٥١١/١٠

(٣) مسلم برقم (١٧١٨) ، وعلقه البخاري في الصحيح : ٢٩٨/٤ (الفتح) .

(٤) البخاري : ٢٩٥/٤ ، ومسلم برقم (١٥١٦) كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها .

قيسوا الأمور بمقياس الكتاب والسُنَّة ، وأي عمل ليس عليه أمر اللّه وأمر رسوله ﷺ ، فهو مردود على صاحبه ، لا تقبلوه ولا تعملوا به ، واستعينوا باللّه في جميع الأمور ، واسألوه التوفيق والهداية والسداد ، فكل شيء بيده وكل الأمور منه وإليه .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

أقول قولي هذا ، وأستغفر اللّه العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

٢٢ - الوصية بالتقوى واتباع الكتاب والسنة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه .

وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مَن يَهْدِ الله فلا مضل له . ومَن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . حبيبُ الله وخليله ، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى . واتباع كتابه وهَدْي نبيه ﷺ . وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعده . عضواً عليها بالنواجذ . واحذروا البدع في الدين : « فإن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » (١) .

وصلّوا على الرسول الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين . فقال جلَّ منْ قائل عليماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلّى عليَّ مرة واحدة صلّى الله عليه بها عشراً » (٣) .

---

(١) انظر : الفتح : ٥١١/١٠ ، وقد مضى الآن وهو من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) الأحزاب : ٥٦

(٣) فضل الصلاة على النبي ﷺ ، لإسماعيل القاضى ص ٦٢ حديث رقم (٨) ، (٩) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، صاحب المقام المحمود والحوض المورود . وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء الراشدين الهادين المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين . وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللّهم مَن أراد المسلمين بسوء أو مكيدة فاشغله في نفسه . واجعل تدميره في تدبيره .

اللّهم وَحِّد صوف المسلمين . واجمع كلمتهم . ولمَّ شعثهم وقوِّ شوكتهم . وانصرهم على أعدائهم .

اللّهم آمنا في أوطاننا . وانصر واحفظ إمامنا ووفقه لما فيه صلاح الدين والدنيا .

اللّهم أصلح جميع ولاة أمور المسلمين ، وانشر الأمن في أوطانهم .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات . الأحياء منهم والأموات .

اللّهم فَرِّج هم المهمومين . واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف أمراض المسلمين .

عباد اللّه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾(١)

فاذكروا اللّه العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢)

* * *

---

(١) النحل : ٩٠ - ٩١

(٢) العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٣ - التفريق بين السنَّة والبدعة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٢)

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾(٣)

وأشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، أمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن الفحشاء والمنكر (٤) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة (٥) وجاهد في اللّه حق جهاده .

صلَّى اللّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه . ومَن آمن به واتبع مِلَّته .

أما بعد ..

فإن التشريع الإسلامى مرتبط بعضه ببعض . فكل أوامره ونواهيه . وتوجيهاته متلازمة . فلا بد من الأخذ بها كلها . فلا يصْلحُ أن يُؤخذ ببعض . ويُترك بعض . ولا أن يُعمل بجانب ويُترك جانب . ولا أن يأخذ الإنسان بما هو

(١) ألقيت في ١٤٠٠/٧/٢٥ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) غافر : ١٩

(٤) إشارة إلى آية النحل : ٩٠

(٥) إشارة إلى حديث جابر رضي اللّه عنه في حج النبى ﷺ ، أخرجه مسلم برقم (١٤٧) وابن ماجه برقم (٣٠٧٤) .

له ويترك ما عليه . ولا أن ينقاد لما وافق رغبته وهواه ويترك ما خالفه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[(١)] ، فكما أن المسلم ملتزم بأوامر العبادات . كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، يجب عليه أن يلتزم بالنواهي عن المبتدعات والمحرَّمات في جميع أموره ، في الفكر والعقيدة . وفي السلوك . وفي البيع والشراء والاكتساب . فمَن أهمل جانباً . فقد خالف نظام الإسلام بقدر ما ترك من تعاليمه . ومَن زاد في عباداته ما لم يأذن به الله ، وما لم يتفق مع شرعه ، فقد خالف دين الله بقدر ما أحدث فيه وابتدع .

والعبادات مبناها على النص والتوقيف من المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو المبلِّغ عن الله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[(٢)] فيجب على المسلم أن يُفرِّق بين السُنَّة والبدعة . فيعبُد ربه بما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ . يجب على المسلم أن يعلم أن السُنَّة يثاب عليها وأن البدعة المحدَثة يُعاقَب عليها .

قال صلى الله عليه وسلم : « مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (رواه البخاري ومسلم) [(٣)] .

يجب على المسلم أن يعرف حقيقة ما يعمل . وأن يفهم معنى ما يقول . وأن يميز بين الهدى والضلال . قال صلى الله عليه وسلم في خطبته : « أما بعد .. فإنَّ خيرَ الحديث كتاب الله . وخير الهَدْي هديُ محمد ، وشرُّ الأمور محدثاتها . وكل بدعة ضلالة » (رواه مسلم) [(٤)] .

---

(١) النساء : ٦٥

(٢) الحشر : ٧

(٣) البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم الأقضية برقم (١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) مسلم برقم (خاص ٢٤٣) و (عام ٨٦٧) ، وذلك من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا إنَّ مَن كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملِّة . وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين . ثنان وسبعون في النار . وواحدة في الجنة وهي الجماعة » (رواه أحمد) (١) .

وروى الطبراني عن غُضَيف بن الحارث أن رسول الله ﷺ قال : « ما من أمه ابتدعت بعد نبيها في دينها إلا أضاعت مثلها من السُّنَّة » (٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » (رواه الطبراني) وقال المنذري : « إسناده حسن » (٣) ، ورواه ابن ماجه وابن أبي عاصم من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله ﷺ : « أبَى اللَّهُ أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » (٤) .

وفي صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « مَن دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مثلُ أجور مَن تبعه لا يَنقصُ ذلك من أجورهم شيئاً ، ومَن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام مَن تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » (٥) .

---

(١) الإمام أحمد في المسند : ١٢٠/٣ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأبو داود برقم (٤٥٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع : ١٨٨/١ وعزاه إلى الطبراني في الكبير وفي إسناده راوٍ ضعيف ، وقد أورد له الشواهد فيكون الإسناد حسناً لغيره إن شاء الله .

(٣) أورده العلامة الهيثمي في المجمع : ١٨٩/١ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروى وهو ثقة ، قلت : إسناده حسن .

(٤) ابن ماجه في مقدمة السنن برقم (٥٠) وهو من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وقال المعلق في الزوائد : رجال إسناده كلهم مجهولون ، قاله الذهبي .

قلت : وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، وبذلك يكون الإسناد حسناً لغيره .

(٥) مسلم برقم (خاص ١٦) و (عام ٢٦٧٤) : ٢٠٦٠/٤ وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فاتقوا الله أيها المسلمون . إن نبينا محمداً ﷺ قد جاءنا بدين شامل متكامل . لا يقبل النقص ولا الزيادة ، فمَن خالفه فقد ابتدع وضلَّ : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١) ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾(٢)

روى عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال : مَن أتى بدعة فقد ظن أن محمداً ﷺ أخطأ فى الرسالة .

فحال صاحب البدعة تقول : إن رسالة محمد ﷺ ناقصة فهو يكملها ببدعته . كما صرَّح بذلك بعض دعاة الضلال .

سبحان الله والحمد لله ولا إلَهَ إلاَّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على نبينا الأمين . لقد تركنا على المحجة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (٣) .

فماذا بعد الحق إلا الضلال (٤) .

فاتقوا الله أيها المسلمون . تفهموا سُنَّة نبينا محمد ﷺ ، فما ورد عنه بنقل صحيح فخذوه وعضوا عليه بالنواجذ (٥) ، وما لم يرد عنه فهو بدعة وضلالة

---

(١) المائدة : ٣

(٢) الأنعام : ١٥٣

(٣) ابن ماجه فى مقدمة السنن من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه برقم (٤٣) : ١٦/١ ، وإسناده حسن مع الشواهد وهو بسياق طويل ، ورواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٤) إشارة إلى آية يونس : ٣٢

(٥) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، أحمد فى المسند : ١٢٦/٤ ، إسناده صحيح .

فاتركوه . ولا يُعْذر المسلم بأن يقول : رأيتُ الناس يفعلون شيئاً ففعلته . ولا يُعْذر بأن يقول : سمعتُ فلاناً يقول كذا فاتبعته﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(١)

فعليكم بجماعة المسلمين فإن يد الله مع الجماعة ، ومَن شذَّ شذ فى النار (٢) .

اللّهم إنّا نسألك الهداية والتوفيق . ونسألك إيماناً كاملاً . ويقيناً صادقاً . وعملاً صالحاً مقبولاً . وتوبة نصوحاً . ونسألك رحمة تهدى قلوبنا . وتلمُّ بها شعثنا وتوحِّد بها صفوفنا . وتقوي بها ضعفنا . وتحفظ بها ذمارنا وديارنا . ونسألك مغفرة تمحو بها ذنوبنا ، وتسترُ بها عيوبنا . إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) التوبة : ٣١

(٢) أخرجه الترمذى فى جامعه برقم (٢١٦٦) ، (٢١٦٧) الأول من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، والآخر من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وإسنادهما صالح للاحتجاج بهما ، والله أعلم .

٢٣ - الشيطان ينزغُ بين الناس

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه .. لا نحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك [١] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . صلى اللّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الشيطان له شِراكٌ ومصائدُ يصيد بها بنى آدم ، وخاصة المسلمين ، لأن المعركة قائمة بينه وبينهم ، أما غير المسلمين فهم من جنده وحزبه .

وكما أنَّ له شِراكاً فى الأفكار والعقائد والأخلاق ، فكذلك له شِراك فى المعاملات والحقوق . وغاية مراده أن يبعد المسلم عن الجنة ويقرِّبه إلى النار ، وأن يخرج الناس من الوفاق إلى الشقاق . ومن الراحة إلى التعب والشقاء .

ومن أخطر شراكه : الشح والطمع ، والنزعات النفسانية ، فمن الناس مَن يجمله حب المال . إلى التعدى على أموال الآخرين . وغمط حقوقهم . بالسرقة والنهب والغصب ، والخيانة . والغش والتدليس .

ومنهم مَن يمنع الأجير حقه ، وقد أمر نبينا محمد ﷺ بإعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عَرَقهُ [٢] .

---

(١) هذا جزء من دعاء النبى ﷺ ، أخرجه مسلم فى الصحيح ، كتاب الصلاة ، حديث رقم (خاص ٢٢٢) ، و (عام ٤٨٦) ، وهو من حديث أبى هريرة رضي اللّه عنه .

(٢) إن هذا اللفظ عزاه الهيثمى فى المجمع (٩٨/٤) : إلى أوسط الطبرانى وفى إسناده ضعيف ، ثم أورد له شاهداً من حديث أبى هريرة رضي اللّه عنه ، والأول من حديث جابر رضي اللّه عنه ، =

ومن الناس مَن يأخذ من ملك جاره فيدخله فى ملكه بدون حق .

ومن الناس مَن يضيِّق الطريق العام للمسلمين ويوسع ملكه .

ومن الناس مَن يكذب ويفتري . ويشهد زوراً . بان فلاناً بنى وغرس . وهو لم يبن ولم يغرس .

وغير ذلك من الحيل الباطلة والأكاذيب من أجل المال ومن أجل الدنيا . وهذا كله إثم وخطيئة يشترك فيها المدَّعى والشاهد ومَن علمه وأقره ، ولا شك أن هذا ناشىء عن الغفلة والصدود عن كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ ، قال الله تعالى :

﴿ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٨ ﴾ (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من ظلم شبراً من أرض طوقه من سبع أرضين » (رواه البخاري ومسلم) (٣) .

= وعزاه الحافظ فى التلخيص برقم (١٢٨٤) إلى ابن ماجه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما والآخرين .. ومما قال أبو يعلي وابن عدى والبيهقى من حديث أبى هريرة وذكره البغوي فى المصابيح فى قسم الحسان .

(١) البقرة : ١٨٨ ، بلفظ : ﴿ ولا ... ﴾ .

(٢) جزء من خطبة النبى ﷺ ، أخرجه الشيخان فى صحيحهما : البخاري برقم (٦٧) : ١٥٧/١ - ١٥٨ ، وهو من حديث أبى بكرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الشيخان فى صحيحهما : البخاري برقم (٢٤٥٢) ، وهو من حديث سعيد بن زيد ، وبرقم (٢٤٥٣) ، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها بهذا المعنى .

وروى الإمام أحمد والطبراني . عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ أنه قال : « أعظم الغلول عند الله عزَّ وجَلَّ ذراع من الأرض . تجدون الرجلين جارين فى الأرض ، أو فى الدار ، فيقتطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعاً . إذا اقتطعه طوقه من سبع أرضين » [١] .

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾[٢] ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾[٣]

وصلُّوا على البشير النذير [٤] ....

* * *

---

(١) هذا اللفظ لأحمد فى المسند : ٣٤١/٥ ، وإسناده حسن

(٢) التوبة : ١١٩

(٣) فاطر : ٦

(٤) إشارة إلى آية الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤ - سبب انحطاط المسلمين مخالفة الشريعة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين . واحدٌ أحدٌ ، فردٌ صمدٌ .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ ﴾[٢]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمة للعالمين ، وهُدىً وبُشرى للمؤمنين .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقى ، ومَن تبعهم بإحسان ثم اهتدى .

أما بعد ..

فإنَّ من أعظم نِعَم اللّه على المؤمنين ، وأكبر مِنَّة على الخلق أجمعين ، مِنَّة لا يقابلها منَّة . ونعمةً لا يقابلها نعمة ، هي رسالة خاتم النبيين ﷺ ، فاشكروا نعمة اللّه وأدوا حقها بالاقتداء والاتباع : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٣]

لو تأمل المسلم هذه النعمة لهزت مشاعره ، ولعرف قدرها وفوائدها ، لقد فتح

---

(١) ألقيت في ١٤٠٧/٧/٢٧ هـ .

(٢) الحشر : ٢٢

(٣) الحجرات : ١٧

الله بها قلوباً غلفاً ، وآذاناً صماً ، وأعيناً عُمياً ، أخرج الله بها الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الضلالة إلى الهداية ، ومن الجهالة إلى المعرفة ، ومن الرذائل إلى الفضائل ، ومن الظلم إلى العدل .

نزلت رسالة محمد ﷺ من السماء في زمن طغت فيه الجاهلية ، وتحكمت فيه الفلسفات ، واتُبعت فيه الأهواء والشهوات ، فعُبد غير الخالق ، وشُكِر غير الرازق ، ودُعِي غير القادر : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾(١) ، تحكمت العصبيةُ فلا يُحترم دم ولا مال ، فقد تقوم الحرب وتستمر عشرات السنين من أجل ناقة ، مثل حرب البسوس (٢) وقد تصبح النساء أرامل والأطفال أيتاماً من أجل لطم فرس في السباق ، مثل حرب داحس والغبراء (٣) .

فجاءت رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالقول الفصل ، والحق العدل ، فألّفت القلوب ، وطهّرت النفوس ، ونظّفت السلوك ، وفتحت للناس آفاق النظر في العواقب والمصالح ودرء المفاسد ، فكوّنت أمةً متحدة ، متكاتفة ، متعاونة ، متسامحة ، كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وكالجسد الواحد يتألم إذا تألم منه أحد أعضائه (٤) : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾(٥)

---

(١) الحشر : ١٩

(٢) إشارة إلى حرب البسوس وقد أشار إليها قول الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ (آل عمران : ١٠٣) .

(٣) وقد أشار إليها الإمام ابن كثير في التفسير : ٨٥/٢ فراجعه .

(٤) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، البخاري : ٣٦٧/١٠ ، الأدب (الفتح) ، ومسلم في البر والصلة ، حديث رقم (٢٥٨٦) باب « تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم » .

(٥) آل عمران : ١٦٤

فحملوا مشعل الهداية ، وأناروا الطريق ، ورفعوا راية الإسلام عالية خفّاقة ، وباعوا أنفسهم وأموالهم لله ، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله ، ولرفع الظلم عن خلق الله ، ولنشر العدل بين عباد الله ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمةُ الذين كفروا هي السفلى . فأنجز الله لهم وعده ، وحقق لهم نصره ، ومكّنهم في أرضه ، وصارت لهم السيادة ، وبأيديهم القيادة .

فلما كثرت الفتوحات ، وكثر اختلاط المسلمين بالأمم الأخرى من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والفلاسفة والمتكلمين ، وكان أعداء الإسلام يتربصون الدوائر ويتحينون الفرص ، لبس بعضهم ثوب الإسلام لإنفاذ مخططاتهم ، وبعضُ المسلمين أعجبهم علم الكلام ، والفلسفة ، فوقعوا في تحريف النصارى ، وسفسطة اليهود ، وتأويلات المجوس ، ومتاهات المتكلمين . فنشأت مذاهب في الإسلام مثلُ الخوارج والقدرية والجهمية والروافض والجبرية ، وما تفرع عنها من مذاهب وطوائف وملل ونحل : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣ ﴾(١)

وتدرج الأمرُ ببعض الناس حتى زعم أن الله حالٌّ في خلقه ، وآخرون أنه متحد مع خلقه . حتى قال بعضهم : ما في الجبة إلا الله (٢) . وما عبدك سواك . فالعبد عندهم رب ، والرب عبد - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - وأنكر بعضهم أن يكون في السماء إلَه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وبعضهم زعم أن الأعمال لترويض النفس لتلقّي العلم اليقيني ، فإذا وصل إلى العلم اليقيني سقطت عنه التكاليف . مستدلين بقوله تعالى ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾(٣) فيَشْتغلون بالغناء والكشوفات والأوراد المبتدعة عن

---

(١) المؤمنون : ٥٣

(٢) هذه مقالة أبى يزيد البسطامي نقلها الذهبي في الميزان : ٣٤٧/١

(٣) الحجر : ٩٩ ، وذكر ذلك كله فخر الدين الرازى في كتابه : اعتقادات فرق المسلمين . واليقين في الآية الموت أى اعبد ربك طول حياتك ص ٧٣ - ٧٤

العبادات . وبعضهم يزعم بأن ورده أفضلُ من القرآن ، وأن رؤيته أفضلُ من رؤية النبي ﷺ (١) .

ظن بعضهم أنه يرى الله ، أو أنه يرى النبي ﷺ ، أو الخضر ، أو أحداً من الصالحين يقظة . وما هي إلا تخيلات شيطانية . فإن الجن أعطاهم الله قدرة ليظهروا للعيان ، إما لقصد الإضرار بأحد ، أو لطمع في إغواء أحد . ففي صحيح مسلم عن أبي الدرداء أنه قال : قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول : « أعوذ بالله منك ، ثم قال : ألعنك بلعنة الله - ثلاثاً - وبسط يده » ، فلما فرغ سألوه ، فقال : « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر » (٢) .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في المجلد الأول من الفتاوى أن بعض الفقهاء الصالحين قال : كنت مرة في العبادة فرأيتُ عرشاً عظيماً وعليه نور ، فقال : يا فلان .. أنا ربك وقد أحللتُ لك ما حرَّمتُ على غيرك ، قال : فقلت له : ءأنت الله الذي لا إلَهَ إلاَّ هو ؟ اخسأ يا عدو الله ، فتمزق ذلك النور وصار ظلمة ، قال : يا فلان ، نجوتَ مني بفقهك في دينك وعلمك . لقد فَتنْتُ بهذه القصة سبعين رجلاً . فقيل له : كيف عرفتَ أنه شيطان ؟ قال بقوله : أحللتُ لك ما حرَّمتُ على غيرك ، وقد علمتُ أن شريعة محمد ﷺ لا تُنسخ ولا تُبدَّل ، ولأنه قال : أنا ربك ، ولم يقدر أن يقول أنا الله الذي لاَ إلَهَ إلاَّ أنا (٣) .

---

(١) ذكره عبد القاهر الجرجاني في الفرق بين الفرق ص ٢٥٤

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث رقم (خاص ٢٤٠) ، و (عام ٥٤٢) وذلك من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، وأخرجه النسائي في الصغرى كتاب السهو باب رقم (١٩) .

(٣) ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى في مجموعة فتاويه : ١/١٧٢ - ١٧٣ نقلاً عن الشيخ عبد القادر الجيلاني .

فبعض الناس يحصل له مثل هذه القصة أو غيرها فيُفْتن بها .

وقد يكون شخص محبّاً لأحد المشيخة ، فيأتيه جني ، ويقول : أنا الشيخ فلان ، وقد يُعطيه طعاماً وشراباً ، أو يدله على ما تاه عنه . ليعتقد بأن ذلك الشيخ له تأثير في الكون ، فيقع في شراك إبليس .

ويجب أن يُعلم أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه في هذه الدنيا .

سئل النبى ﷺ هل رأيتَ ربك ؟ فقال : « نور أنَّى أراه » [(١)] .

فحجابه النور سبحانه ، فلو تجلى لأحد من خلقه في هذه الدنيا لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره [(٢)] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٣)]

فمَن زعم أنه يرى الله في هذه الدنيا يقظة ، فإما أن يكون كاذباً دجالاً ليخدع العامة ، وليكثر المريدين والأتباع . وإما أن يكون رأى شيطاناً ، أو أشباحاً أو تخيلات .

وأما رؤية الموتى بعد الممات في اليقظة فلم يقله أحد من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولم يقله أحد من الأئمة المُعْتدِ بهم . ومَن ظن أنه رأى الخضر فإنما أُتِيَ من جهله ، وقلة بضاعته من علوم الإسلام ، ومن ضعف اليقين

---

(١) إشارة إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه ، أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان ، حديث (٢٩١ خاص) ، و (عام ١٧٨) ، وأحمد في المسند : ١٥٧/٥

(٢) إشارة إلى حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : مسلم في الصحيح ، الإيمان ، برقم (٢٩٣) : ١٦١/١

(٣) الأعراف : ١٤٣

والإيمان ، والميتُ قَضَى عليه الخالق تعالى بأنه لا يرجع إلى الدنيا . كما في حديث الشهيد [١] . والعقل يمنع أن يكون شخص واحد في أكثر من مكان . وإنما هو تصور الجنى على صور الصالحين .

هذه سياسة إبليس وجنوده من الجن والإنس أعداء الإسلام والمسلمين ، شغلوا المسلمين عن دينهم ، وشغلوهم عن دنياهم . وأخذوا من الإسلام ما نفعهم في دنياهم ، فسبقوا في الصناعات والإنتاج . وسيطروا على المسلمين بما توصلوا إليه من القوة المالية والحربية ، فصار المسلمون إلى هذا الواقع المؤلم ، وشبابنا المؤمن المعاصر عنده من المعرفة واليقظة والفطنة ما لا يقبل معه دجل الكذَّابين ، ولا تلبيس الشياطين ، ولا يقبل ما يخالف قواعد إسلامنا ، ولا ما يخالف ما عليه سَلَفنا .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ارجعوا إلى ربكم ، وعُودوا إلى دينكم . لقد كتب الله على نفسه النصر لأوليائه وحملة رايته ، وأصحاب عقيدته ، وعلّق هذا النصر بكمال الإيمان في قلوبهم ، واستيفاء مقتضيات الإيمان في معاملاتهم وقضاياهم وسلوكهم . فليس للمسلمين في الوجود واجب أهم من واجب العقيدة والمحافظة عليها . وليست لهم رسالة في هذه الحياة إلا رسالة الإسلام يحملونها إلى العالَم ، فإما أن يحملوا هذه الرسالة كما حملها أسلافهم إيماناً ، وعملاً ودعوة وجهاداً ، وإما أن ينبذوها فيبقون على حالهم لا يعرفهم أحد ، ولا يحترمهم أحد ، ولا يخشاهم ولا يرجوهم أحد . غثاء كغثاء السيل [٢] . وهشيم يابس لا حياة فيه ، تلعب به الأهواء وتذوره الرياح .

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه البخاري في الصحيح ، الجهاد ، باب (٦) باب « الحور العين ، وصفتهن » ، حديث رقم (٢٧٩٥) : ١٤/٦ - ١٥ (الفتح) ، وكذا مسلم في الصحيح ، كتاب الإمارة حديث رقم (خاص ١٠٨) ، (١٠٩) وأحمد في المسند : ١٠٣/٣

(٢) إشارة إلى حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أخرجه أحمد في المسند : ٢٧٨/٥ ، وإسناده صحيح ، وكذا أبو داود برقم (٤٢٩٧) في الملاحم ، باب « تداعى الأمم على الإسلام » من وجه آخر في إسناده مجهول وإسناد أحمد صحيح . وأخرجه البغوي في شرح السُنّة برقم (٤٢٢٤) : ١٦/١٥

اتقوا اللّه وراقبوه ، وتوبوا إلى اللّه جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

اللّهم إنّا نعوذ بك من مضلات الفتن ، ونعوذ بك من زيغ الأهواء ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال .

اللّهم بارك لنا فى القرآن العظيم ....

* *

٢٤ - التحذير من محدثات الأمور

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه .

وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مَن يَهْدِ الله فلا مضل له . ومَن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . حبيب الله وخليله . صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون . أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، واتباع كتابه وهَدْي نبيه ﷺ . وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعده . عضوا عليها بالنواجذ . واحذروا البدع في الدين : « فإن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » (١) .

وصلُّوا على الرسول الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين . فقال جلَّ مِنْ قائل عليم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلّى عليَّ مرة صلّى الله بها عليه عشراً » (٣) .

---

(١) انظر الفتح : ١٠ / ٥١١ ، وقد مضى الآن وهو من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) الأحزاب : ٥٦

(٣) فضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي ص ٦٢ حديث رقم (٨) ، (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، صاحب المقام المحمود والحوض المورود . وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء الراشدين المهديين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ وسائر أصحاب نبيك محمد ﷺ .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين .

اللّهم انصر المجاهدين في كل مكان .

اللّهم آمنا في أوطاننا واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه الخير والصلاح والرشاد .

اللّهم فرِّج هم المهمومين واقض الدَّيْن عن المدينين .

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(١)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢)

فاذكروا الله .... إلخ .

* * *

(١) العنكبوت : ٤٥

(٢) النحل : ٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٥ - الإيمان بالقدر [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[٢]

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن [٣] ، ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢ ﴾[٤]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له ، تفرد بتصريف الأمور جملة وتفصيلاً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقدوة الصابرين . وقائد الغر المحجلين [٥] .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقى . وأُولو العزائم والمُضَى ، ومَن سلك سبيلهم بإحسان واقتفى .

أما بعد ..

فإن هذا الوجود الذى لا نعرف منه إلا القليل ولا يُكشف لنا منه إلا على قدر الحكمة والمصلحة .

---

(١) ألقيت فى ٢١/١٠/١٤٠٤ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى ما ورد فى كتاب الله تعالى من الآيات الكريمة ومنها سورة الأنعام آية : ١٤٩ ، والأحاديث كثيرة فى هذا المعني ومنها ما أخرجه البخاري في الترجمة ، كتاب الإيمان باب (٨) ، انظر الفتح : ٥٤٠/١١

(٤) يس : ١٢

(٥) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخاري برقم (١٣٦) الوضوء ، ومسلم في الطهارة حديث رقم (٣٤) .

لا يقع فيه حركة ولا سكون ، ولا محبوبٌ ولا مكروه ، إلا وهو مقدَّر فى أصل تصميمه . وواقعٌ فى حسبان تكوينه ، لا محل فيه للصدفة . ولا سبيل فيه للجزاف . إنما هو تقدير العزيز العليم [١] . وإرادة الحكيم الخبير .

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[٢]

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾[٣]

فكل ما يحصل فى هذا الوجود منذ نشأته إلى نهايته من أحداث عالَمية أو إقليمية ، جَماعية أو فردية . من خير وشر ، ومن خوف وأمن ، ومن صحة ومرض ، ومن إيمان وكفر ، ومن معصية وطاعة ، ومن نصح وغش .

وما يُشاهَد من حوادث وإصابات . وأنواع الأمراض والأسقام . وما فى البيوت من مشاكل وخلافات ، وما فى الأسواق من رِخْص وغلاء ، واختلاف أحوال الناس من فقر وغنى . وخصب وجدب . وعِز وذُل ، وعلم وجهل . وغير ذلك من الأحداث والأحوال .

كل ذلك فى علم الله وبِقَدَر الله . فما كان من خير فمن الله . وما كان من سيء فبمعصية المخلوق .

روى مسلم فى صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « قدَّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنعام : ٩٦ ، وسورة يس : ٣٨

(٢) الأنعام : ٥٩

(٣) هود : ٦

بخمسين ألف سنة » [١] إنه لا يسع الإنسان فى مقابلة الأحداث والمصائب إلا الرضا والتسليم . والصبر والاحتساب . وليس ذلك إلا للمؤمن .

أما الثالثة فهى حال الحيوان : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[٢]

قال علقمة : هى المصيبة تصيب الرجل - أى والمرأة - فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى .

وروى البخارى رحمه الله من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « مَن يرد الله به خيراً يُصِب منه » [٣] .

وروى الترمذى وحسَّنه وصححه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة » [٤] .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن عِظَمَ الجزاء مع عِظَمَ البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمَن رضى فله الرضا ، ومَن سخط فله السخط » (رواه الترمذي وحسّنه) [٥] .

---

(١) مسلم فى الصحيح ، كتاب القدر ، باب رقم (١٦) حديث رقم (خاص ١٦) ، و (عام ٢٦٥٣) ، وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٢) التغابن : ١١

(٣) البخاري فى المرض ، باب « ما جاء فى كفَّارة المرض » : ٩٣/١٠ (الفتح) ، ومسلم : البر والصلة (٢٥٧٣) وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٤) الترمذى فى جامعه ، كتاب الزهد حديث رقم (٢٣٩٩) ، وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٥) الترمذى فى جامعه برقم (٢٣٩٦) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ثم قال : حديث حسن غريب .

وروى الشيخان عن أبى سعيد عن النبي ﷺ قال : « ما يصيب المسلمَ من نَصَب ولا وَصَب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم – حتى الشوكة يشاكها – إلا كفَّر الله بها خطاياه » (١) .

إن الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا . ومستراح العابدين . كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى يحيى صهيب بن سنان : « عجباً لأمر المؤمن ، إنَّ أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له . وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » (٢) .

وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمة المبتَلِى وخيرته لعبده ، وتارة يلاحظون ثواب الرضا . وتارة يلاحظون عظمة المبتَلِى وغِناه عن خلقه ، وأنه إنما يبتلى عباده لصالح أنفسهم . فيهوِّن ذلك ألم المصيبة ويخفف .

وأما الصبر فهو حبس النفس عن التسخط من القضاء . وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع . وإنما ينفع الصبر فى محله عند الصدمة الأولى ، ولا ينافى الصبر ما يظهر على ملامح المصاب من آثار الحزن . والتألم من الوجع . والإخبارُ بالواقع وحزنُ القلب ودمعُ العين ، وأمثال ذلك ، فإنما هى غرائز بَشرية لا تنافى الصبر والرضا .

وفعل الأسباب المباحة لإزالة الآلام لا تنافى الصبر أيضاً .

وإنما الذى ينافى الصبر أعمال الجاهلية ، لطمُ الخدود وشق الجيوب (٣) والصراخ والعويل والدعاءُ بالويل والثبور .. فعلى المسلم أن يتلقى الأحداث بالصبر والاحتساب فذلك خيرٌ له .

---

(١) البخاري فى المرض باب : ما جاء فى كفَّارة المرض : ٩١/١٠ ، ومسلم فى الصحيح برقم (٢٥٧٣) من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما .

(٢) أحمد فى المسند : ١٧٣/١ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ومسلم فى الصحيح برقم (٢٩٩٩) الزهد ، مسلم من حديث صهيب الرومى رضى الله عنه باب (١٢) ، باب : المؤمن أمره كله خير ، وأما عند الإمام أحمد فهو من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٣) إشارة إلى حديث ابن سمعود رضى الله عنه برقم (١٢٩٤) ، الجنائز ، باب (٣٥) ، =

والإنسان معرَّض للأخطاء ومحل للذنوب والخطايا ، وفيه نَقْص وإهمال وغفلة وصدود ، وكله تقصير فى حق الله ، فإذا أحب الله عبده طهَّره بالمصائب . ونقَّاه بها من أدران الذنوب . وكان أشد الناس وجعاً حبيب الله وخليله وكليمه وصفوته من خلقه محمداً ﷺ ، فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : « ما رأيتُ أحداً الوجع عليه أشدُّ من رسول الله ﷺ » (متفق عليه) (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك - أي من الحمى حرارة وألماً - فَمَسَّتْه يدى فقلت : يا رسول الله ، إنك توعك وعكاً شديداً ، فقال النبي ﷺ : « أجل ، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم » قال : فقلت : ذلك أن لك أجرين ، فقال : « أجل » . ثم قال : « ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطَّ الله تعالى به سيئاتِه كما تَحطُّ الشجرة ورقها » (متفق عليه) (٢) .

والله تعالى لم يجعل هذه الدار دار بقاء وسرور ، وإنما هى دار سفر وابتلاء واختبار . دار عمل وجهد . والمسافر يصبر على مشقات السفر . وينتظر الوصول إلى دار المقر .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تُميله . ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء . ومَثَلُ المنافق كمثل شجرة الأرزة لا تهتز حتى تُحصد » (٣) .

= باب « ليس منا مَن شق الجيوب » ، ومسلم فى الإيمان ، باب « تحريم لطم الخدود » ، حديث رقم (خاص ١٠٣) ، و (عام ١٦٦) من هذا الوجه واللفظ .

(١) البخاري برقم (٥٦٤٦) المرض ، الباب الثاني وعنوانه : شدة المرض ، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها ، ومسلم في الصحيح : البر والصلة حديث رقم (٤٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) البخاري : كتاب المرض باب : وضع اليد على المريض : ١٠/١٠٣ وهو من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، ومسلم في البر والصلة برقم (٢٥٧١) باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك .

(٣) البخاري كتاب المرض : ١٠/٩٣ (الفتح) ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وكذا مسلم في الصحيح في صفات المنافقين برقم (٢٨٠٩) .

وفي الصحيحين عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ المؤمن كمثل الخامة من الزرع تُكَفِئُها الرياح ، تَصْرَعُها مرة وتعدِّلُها أخرى حتى يأتيه أجلُه . ومثل المنافق كمثل الأَرْزة المجذية التي لا يصيبها شيء ، حتى يكون انجعافها مرة واحدة » (١) .

وفي الصبر خير كثير ، فإن الله أمر به ووعد عليه بجزيل الأجر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾(٢) ، وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(٣)

وقال تبارك اسمه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(٤)

إن تربية النفس بالبلاء وامتحان المؤمن بالمكروه ، تُطهِّر القلب وتزكِّي النفس وتنظم السلوك إلى أحسن . وتُبرز حقيقة ما عليه المرء ومكنون صدره .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾(٥)

---

(١) البخاري : المرض باب : ما جاء في كفَّارة المرض : ١٠/٩١ - ٩٢ (الفتح) ، ومسلم (خاص ٦٠) ، و (عام ٢٨١٠) في صفات المنافقين .

(٢) الزمر : ١٠

(٣) آل عمران : ٢٠٠

(٤) البقرة : ١٥٥ - ١٥٧

(٥) العنكبوت : ١ - ٣

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾(١)

فالشدائد تُظهر مكنون القوي ومدَّخَر الطاقة وتفتح للقلب منافذَ ما كان يعلمها المؤمن من نفسه .

والمصائب تصحح أموراً ما كان تصلَحُ ولا تستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون والران عن القلوب ، وقد يَضْعف صبر الإنسان وتنفد طاقته ، لكن الله يعلم واقع الإنسان فجعل له سنداً يقوى ما ضعف . ومداداً يشد ما وهى . وهما الصلة بالله والاستعانة به ، وإظهار العجز أمامه . والاعتراف بالحاجة إليه والتقرب إليه بأعمال يحبها ، وبكلمات يرضاها . ولذلك قُرِن الصبر بالصلاة ، وبالذكر ، وبالاسترجاع .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣ ﴾(٢)

وكان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر استعان بالصلاة (٣) .

فالعبادة لها أسرار تتصل بالله لا يعلمها العبد . فهي زاد الطريق ومددُ الروح ، وهي عدةِ الصابرين ، وقوة المصابين . قال سعيد بن جبير رحمه الله : لم تُعط هذه الكلمات : « إنا لله وإنَّا إليه راجعون » نبياً قبل نبينا ، ولو عرفها يعقوب لما قال : ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾(٤)

فاتقوا الله أيها المسلمون . واستعدوا لمواجهة طوارق الليل والنهار . تعرَّفوا

---

(١) العنكبوت : ١٠

(٢) البقرة : ١٥٣

(٣) إشارة إلى حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٣٨٨/٥ ، إسناده جيد

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة يوسف : ٨٤

إلى اللّه في الرخاء ، يعرفكم في الشدة ، وخذوا من صحتكم لمرضكم ، ومن فراغكم لشغلكم ، ومن حياتكم لموتكم . ومن غناكم لفقركم ، ومن قُدْرتكم لعجزكم . ومن قوتكم لضعفكم ، ومن شبابكم لهرمكم [(١)] .

اللّهم إنّا نعوذ بك من جهد البلاء ، ومن درك الشقاء ، ومن سوء القضاء .

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ ﴾ [(٢)] .. إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) جزء من حديث ابن عباسْ رضي اللّه عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٣٠٧/١ ، وإسناده حسن .

(٢) البقرة : ٢٨٦

٢٥ - لا يؤاخذ اللّه بحزن القلب ودمع العين

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾(١)

﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠ ﴾(٢)

وأشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨ ﴾(٣) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد ..

فإنَّ الناس يختلفون في الرقة والرحمة . وفي التجلد وكظم الغيض . والنبي ﷺ أكمل الناس في كل الأحوال والصفات . وهو المشرِّع يبيِّن ما يحل وما يحرم . فلما توفى ابنه إبراهيم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنتَ يا رسول اللّه ؟ فقال : « يا بن عوف إنها رحمة » (٤) ، ولما قُتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحه رضي اللّه عنهما ، جلس صلى اللّه عليه وسلم

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) القصص : ٧٠

(٣) الأنعام : ١٨

(٤) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه : البخاري برقم (١٣٠٣) ، الجنائز باب (٤٣) : قول النبي ﷺ : « إنّا بك لمحزونون » .

يُعرف فيه الحزن ، وهذا هو الاعتدال في هذا الباب . لا تفريط في الحزن حتى يحصل المحذور . ولا تفريط في التجلد حتى يفضي إلى القسوة والاستخفاف بقدْر المصاب .

وهو القدوة صلى الله عليه وسلم لكل مسلم ، فاتقوا الله عباد الله .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[1]

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٦ - إبليس يتوعد بني آدم [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه الذي هدانا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، أكمل ديننا ، وأتم علينا نعمته ، ورضي الإسلام لنا ديناً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ، ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى باللّه شهيداً .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإنَّ اللّه تبارك وتعالى خلق بني آدم حنفاء ، على فطرة الإيمان ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، فلا يولد أحد إلا على هذه الفطرة ، لا تفاوت بينهم ، فإذا عبَّر عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً .

فمن الناس مَن هداه اللّه فثبت على العهد ، واستقام على الفِطرة ، فآمن بخالقه ، وصدَّق برسله ، والتزم بدين اللّه وشرعته ، لا زيادة ولا نقصان .

ومنهم مَن اجتالته الشياطين فأضلتهم عن دينهم ، فأحلُّوا ما حرَّم اللّه ، وحرَّموا ما أحلَّ اللّه ، وشرعوا في الدين ما لم يأذن به اللّه [٢] : ﴿ وَلَقَدْ

---

(١) ألقيت في ١٤/٧/١٤٠٠ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي اللّه عنه ، أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم (خاص٦٣) ، و (عام ٢٨٦٥) باب رقم (١٦) وعنوانه : =

صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۝٢١ ﴾(١)

لما أمر الله تعالى إبليس بالسجود مع الملائكة لآدم عليه السلام ، تكريماً لآدم ، وإظهاراً لقَدْره ، امتنع إبليس عن السجود ، وتوعّد آدم وذريته بأن يصدهم عن الإيمان ، وأن يحملهم على كفر النعمة ، وأن يصدهم عن الصراط الموصل إلى الله ، وإلى الجنة ، وأن يحرفهم إلى طريق المهالك ، والمتاهات ، الموردة إلى النار ، قال الله تبارك وتعالى في ذلك :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢ ﴾(٢)

أي لآخذنهم من تحت حنوكهم فلا يفلتون مني ولأضلنهم ، ولأمنينهم ، ولأزينن لهم في الأرض ، ولأحملنهم على اتباع الشهوات ، كما قال الله مخبراً عنه :

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧ ﴾(٣)

. فأجابه عزّ وجلّ : ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ ﴾ أي فقد أنظرتك إلى يوم القيامة : ﴿ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ۝٦٣ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾(٤) كل صوت يأمر بمنكر وينهى عن معروف

= باب « الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار » : ٢١٩٧/٤ - ٢١٩٨ وسياقه طويل وفيه هذا اللفظ .

(١) سبأ : ٢٠ - ٢١

(٢) الإسراء : ٦١ - ٦٢

(٣) الأعراف : ١٦ - ١٧

(٤) الإسراء : ٦٣ - ٦٤

أو يدل على معصيته فهو من صوت إبليس .بما في ذلك المعازف والمزامير والملاهي والمسلسلات الخليعة .

﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾(١) كل دعاة السوء ، ودعاة البدعة ، ودعاة الضلالة ، ودعاة الشهوات المحرَّمة ، والذين يصدون عن طاعة الله ويشغلون الناس عن ما أوجب الله ، وكل راكب في معصية الله ، وكل ماشي إلى ما يغضب الله .. كل هؤلاء من جنود إبليس ومن خَيْله ورَجِله .

﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾(٢) المشاركة في الأموال ، كل مال حرام بأى نوع كان سواء بالربا ، أو السرقة ، أو الاختلاس ، أو الغش ، أو الخيانة ، أو الرشوة ... وما إلى ذلك ، فهو من سهم إبليس يشارك به بني آدم .

وأما المشاركة في الأولاد . فكل عمل محرَّم من نصيب إبليس وصدُّ الأولاد عن الفطرة القويمة إلى الكفر أو للأديان التائهه ، أو البدع المحرَّمة ، أو الديانات المنسوخة وما أشبه ذلك ، إنه يخرج الأولاد من حزب الله إلى حزب الشيطان .

وأيضاً كل تسمية محرَّمة مثل عبد النبي وعبد الرسول وعبد عليّ ، وعبد الحسن ، وعبد الحسين ، وعبد الكعبة ، وما أشبهها .

وكل اسم مُعَبَّد لغير الله ، يجعل إبليس مشاركاً في الأولاد لأنهم اتبعوه وأطاعوه في هذه التسمية المحرَّمة ، فإن العبودية لله وحده ، وهو الخالق وحده ، وهو الرازق وحده ، وهو المحيي وهو المميت وإليه النشور .

﴿ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤ ﴾(٣) ، يقول : أنت الآن

---

(١) الإسراء : ٦٤

(٢) الإسراء : ٦٤

(٣) الإسراء : ٦٤

شاب . فتمتع بشهواتك وأنت لاحق على التوبة ، ولا يزال به حتى تدركه المنية وهو على هذه الأمنية .

ويقول : هذه الأموال التى تتدفق من البنوك تتركونها تذهب ، لا تنفقون منها ، أرباح كثيرة وأعمال سهلة ، خذوها فانتفعوا بها ، إنها من أمانى إبليس .

ويقول أيضاً : « إن الضغط يورث الانفجار » اترك الأولاد يأخذون حريتهم ، وينطلقون في هذه الحياة ويفتحون أذهانهم على آفاقها ، وينظرون بأعينهم إلى حياة التقدم والرقي ، لا تعارضهم ولا تأمرهم بالمعروف ، ولا تنههم عن المنكر . فإذا كبروا ونضجت عقولهم لحقوا الخير ، ويريد بذلك إخراج الولد من بيئة الإيمان إلى بيئة الكفر ، من توجيه الخير إلى داعى السوء ، من الأخلاق العالية إلى التردي فى حضيض الشهوات ، من أداء شعائر الإسلام إلى نسيانها ، ومن تلاوة القرآن إلى لهو الحديث الماكر ، ومن مناجاة الله إلى السمر الفاجر ، ومن مخالطة الصالحين إلى مخالطة الفسقة المارقين ، فيكون في قبضة إبليس ، وقد احتنكه وأجلب عليه بخَيْله ورَجِله .

فاتقوا الله عباد الله ، اتقوا الله أيها المسلمون . اتقوا الله أيها الرعاة .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾(١)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروا الله إنه هو الغفور الرحيم ....

* *

(١) الأعراف : ٢٧

٢٦ - إبليس يستدرج الإنسان

(الخطبة الثانية)

إنَّ الحمد للّه ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن عدونا - أعاذنا اللّه منه - لا يكل ولا يغفُل عن تنفيذ توعُّده لبني آدم . لذلك فهو يضع الشراك في طرقاتهم ، ويخبيء الكمائن من خَلْفهم ، ويُخَوِّفهم من كل جهة ، ويغلبهم على كل الأمور ، حتى إذا أخفق في حالةَ أدرك فريسته في حالة أخرى ، فأول ما يحاول الدعوة إلى أشد الأمور وأصعبها وأنكاها ، وهى الدعوة إلى إنكار الخالق تبارك وتعالى ، فيصبر الإنسان لا فرق بينه وبين الحيوان ، فيقول ليس إلا الطبيعة ، والتسلسل والتطور ، ليس من بعث ولا نشور ، ولا من ثواب ولا عقاب ، فيكون الإنسان دهرياً زنديقاً ، لا دين له ولا خُلق . فإذا لم ينجح ، دعاه إلى الشرك الأكبر وعبادة القبور وتقريب القرابين لهم والنذور ، ويقول : إنهم يقربونكم إلى اللّه زلفى [(١)] خداعاً منه . لأن الشرك يُحبط العمل ، ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[(٢)]

---

(١) إشارة إلى سورة الزمر : ٣

(٢) الفرقان : ٢٣

فإذا لم ينجح في ذلك دعاهم إلى البدعة . لأن البدعة أشد خطراً على بني آدم من كبائر الذنوب ، فإن البدعة تتعلق بالقلب وتتوغل فيه حتى تكون عقيدة .

أما الكبائر فإنها تتعلق بالشهوات ، شهوة المال أو شهوة الفَرْج أو شهوة اللسان . فقد تزول المعصية بزوال الشهوة إما بالاستغناء بالحلال . أو لزوالها ، أو للعجز عنها ، فالتوبة من الكبائر أيسر من التوبة من البدع .

ولذلك إذا جاء الداعي إلى صاحب الكبيرة يدعوه إلى تركها يلبيه ويستجب ويعترف بالخطأ سواء أقلع أم لا ، أما صاحب البدعة فإذا جاءه الداعي إلى السُنَّة كابر وعاند ولم يقبل أي جدل ، أو نقاش .

فالبدعة إذاً أحب إلى إبليس من الكبائر ، وأشد خطراً على بني آدم من الشهوات .

فإذا لم يتمكن إبليس من إدخال ابن آدم في البدعة ، رغَّبه في الكبائر . وزينها له . وحرَّك قلبه إليها ، وأنساه الوعد والوعيد .

فإذا لم يتمكن من ذلك حثه على الصغائر ، حتى يُكثر منها ويكون مدمناً لها .

فإذا لم يستطع أن يوقعه في الصغائر أوقعه في الاشتغال بالمفضول عن الفاضل . يشغله بالأعمال غير المشروعة عن المشروعة .

فإذا لم يستطع سلَّط أولياءه من الجن والإنس على الناس . فيسلط هذا على هذا ، ويضع بينهم الضغائن والإحن ، والبغضاء حتى يتقاتلوا ويتحاربوا ، ويهلكوا دينهم ودنياهم وإبليس يضحك .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون ، المؤمن كيِّسٌ فَطِن ، خذوا حذركم من عدوكم ، وكونوا متيقظين منتبهين لتوعُّدِه وآخذين العدة لدفعه والإفلات منه ، فإنه عدو

مبين . وليس من نجاة إلا بالاعتصام بالله وسُنَّة الرسول ﷺ والالتجاء إلى الله والاعتصام بحبله (١) ، والاستمساك بالعروة الوثقى (٢) والالتفاف إلى جماعة المسلمين (٣) المخلصين لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (٤) .

وصلُّوا على البشير النذير ، صلى الله عليه وسلم ، فإنه قال : « مَن صلَّى عليَّ مرة صلى الله عليه عشراً » .... (٥) .

* * *

(١) إشارة إلى سورة آل عمران : ١٠٣

(٢) إشارة إلى سورة البقرة : ٢٥٦ ، ولقمان : ٢٢

(٣) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف ، أخرجه البخاري معلقاً من حديث الحارث بن الحارث الأشعرى . (الفتح : ٣١٦/١٣) .

(٤) إشارة إلى حديث تميم الدارى رضي الله عنه : مسلم في الصحيح ، الإيمان برقم (٥٥) ، والبغوي برقم (٣٥١٤) .

(٥) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : مسلم برقم (٤٠٨) والترمذي (٤٨٥) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧ - ثبات الأمة خير لها [(١)]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[(٢)] .

نزّل الذكْر وحفظه من كيد الآثمين : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[(٣)].

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له : حي قيوم﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[(٤)] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، الصادق الأمين ، تركنا على المحجة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك [(٥)] .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإنَّ الإسلام منهج واضح بيِّنٌ لا يقبل التدليس ولا يَتَّفق معه ما ليس منه . ومهما حاول أعداؤه الدس عليه وإدخال خيوط في لُحْمَتِه أو سُدَتِه انكشفت

---

(١) ألقيت في ١٤٠٦/٨/٢ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) الحجر : ٩

(٤) البقرة : ٢٥٥

(٥) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه برقم (٥٠) المقدمة : ١٩/١١ إسناده صحيح وأخرجه الترمذي وابن حبان في الصحيح ، انظر من هذه المجموعة : ٢١/١

كالخيط الأسود في النسيج الأبيض ، ولكن الخطر العظيم فيما إذا جُعل على الأعين غشاوة فيلتبس عليها البياض بالسواد ، فهو أعظم خطراً إذا كانت القلوب عمياء لا تبصر وإنما تقاد إلى حيث يشاء القائد .

المعركة بين الإسلام وأعدائه لم تنفك في يوم من الأيام ، ولم تضع الحرب أوزارها في لحظة من اللحظات ، وإنما انتقلت من اللهب الحامي الذي يؤلم الأجساد ، ويثير الشعور ، ويحث على التجمع والدفاع ، إلى لهب حرارته خفية ، مثل بعض أشعة الكهرباء تفتك بلا حرارة . وتنضج بلا وهج ، وتمزق بلا صوت . ومن هذا القبيل صار الهجوم من جانب أعداء المسلمين ، والمسلمون غافلون ، فلم يشعر أبناء المسلمين بما حَوْلهم ولو أحس بعضهم فلم يُسمع منه صوت الإنذار .

لقد بذل أعداء المسلمين شتَّى المحاولات لصدهم عن إسلامهم وإدخالهم في دينهم ، أو عزلهم على الأقل عن الإسلام وتركهم على الجاهلية . ولم تنجح المحاولات العسكرية . ولا المحاولات الفكرية الماسونية والعلمانية والإلحادية ، ولا محاولات الكنيسة والبِيَعْ . حتى وجدوا حيلة شيطانية وأسلوباً خبيثاً ، فأخذوا أناساً ألبسوهم ثياب الإسلام . وأظهروا للمسلمين بأنهم دعاة دين وسعاة إصلاح ، فخدعوا قليلي البضاعة من الإسلام بالدعاية المباشرة وباستنكار جزئيات ضعيفة يوهم استنكارها بأن ما سواها صحيح . وهذا من أخبث الدس والمكيدة ، والمحاولة جادة . بكل الوسائل وبكل الأشكال والأساليب لتفريغ المفهومات الدينية ، والحماسات الإسلامية من أدمغة المسلمين ، يحاولون تبديل الدين من نظام السماء إلى نظام بَشري باسم الدين ، يحاولون إفساد العقائد الإسلامية . وطمس معالم التوحيد باسم الدين ، يحاولون جعل الإسلام في جانب بعيداً عن الحياة ونظامها ، ويأخذون ثوب الإسلام ويلبسونه الجاهلية المعاصرة لتكون من الدين ، لتؤدى دورها في كل البقاع التي لا زالت فيها عاطفة دينية لقيادتها بهذا الدستور المزور إلي محاضن الصليبية واليهودية أو الإلحاد ، والهدف الأساسي هو استعباد البَشر وجعلهم أرقاء أتباعاً لهم .

وإذا نظرنا إلى البلاد الإسلامية التي خدعت بتلك المخادع ، ودخلت تحت رق الغازين المستعمرين نراها في انحدار وتقهقر دائماً ، وجميع مجالات الحياة في الفكر والتطور ، وفي التعليم والتنظيم ، وفي القوة العسكرية ، وفي الطاقة الاقتصادية . .

وإذا تأملنا قوله صلى الله عليه وسلم : « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » (١) وجدناه قد حصل بسبب الغزو الفكري الذي غفلت عنه الأمة الإسلامية ، حتى تمكن منها .

إن العقيدة الإسلامية التى يضيق أعداء الإسلام وأتباعهم وأشياعهم صدراً بالذود عنها وكشف ما يراد بها . ويضيقون صدراً بصقلها وكشف الغشاوات عنها ، إنها هي الهدف الأساسي الذي من أجله أرسلت الرسل وهي القاعدة الأساسية لرسالة نبينا محمد ﷺ التي ظل ثلاثة عشر عاماً يدعو إليها وحدها . وهي التي لم تنفك سورة من سور القرآن - بل ولا آية من آياته - إلا وتدعو لها وتذود عنها .

إن البيت هو المدرسة الأولى للأولاد . ومسئوليته هي المسئولية الأولى . فلا يحل لرب البيت أن يتخلى عن واجباته نحو أبنائه ، فلا يتركهم للدعايات الخادعة فريسة ، إن أهل الأهواء قلّ أن ينفك صبيهم عن عقيدتهم لأنه يُلاحظ ويُعلَّم ويُزال عن فكره كل ما أدخل فيه من غير عقيدتهم ، ولأن الشيطان يذكرهم ويحثهم ويحرضهم . ودعاة السوء من حولهم من جنود إبليس يحذرونهم ويؤنبونهم في التساهل عن عقيدتهم .

أما أبناء أهل السنَّة والجماعة فقد أهملهم البيت وأبعدتهم الدعايات عن المسجد ، وهم في المدرسة بين منهج لا يتعداه ، وبين مدرس هزيل ، أو جاهل عنيد .

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٣٣٢/٢ وابن ماجه في الفتن ، حديث رقم (٣٩٩١) ، وأبو داود في السنة برقم (٩٦٤٥) ، والترمذي في جامعه برقم (٢٦٤٢) ، وقال : حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وتأملوا قول الخالق تبارك وتعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾(١)

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾(٢)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ....

* *

(١) البقرة : ١٠٩

(٢) البقرة : ٢١٧

٢٧ - مَن أراد الاستقامة فليتبع القرآن

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالَمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ..

فإن القرآن نور لا يستضيء به إلا مَن تدبره وعمل بما فيه . والقرآن هُدىً لا يهتدي به إلا مَن عرفه وأخلص فكره وعقيدته للّه .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾[1]

فكل الأمور القيِّمة المستقيمة سواءً في العقائد والشعور أو في العبادات أو في العلاقات والسلوك . أو في السياسة والتدبير أو في الاقتصاد أو تنمية الأموال أو في إصلاح المجتمع وتنظيم الحياة . نجدها في القرآن ، فمَن أراد أن يسير في كل أعماله وأقواله وتصرفاته إلى أقوم الطرق ، وأفضل الوسائل فليجعل القرآن أمامه يسير عليه ، إنه كلام اللَّه ورسالته إلى خلقه ، وهو معجزة نبينا محمد ﷺ ، وهو نظام الإسلام .

---

(١) الإسراء : ٩

والسُنَّة المطهرة مثل القرآن في وجوب الإتباع ، فهى توضحه وتفسره .
فاتقوا اللّه أيها المسلمون ...

ارجعوا إلى كلام اللّه . عودوا إلى كتاب اللّه . اعملوا بسنة رسول اللّه .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[1]

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٨ - الانتصار على النفس [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[٢]

﴿ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٤٢ ﴾[٣]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨ ﴾[٤]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾[٥]

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فليست المعركة العسكرية هي التي يخوضها الإنسان وحدها في هذه الحياة . بل أمام الإنسان معركة كبرى أهم وأخطر . وتعتبر المعركة العسكرية جزئية

---

(١) ألقيت في ١٤١١/٢/١١ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) البقرة : ١٤٢ ، ٢١٣

(٤) الأنعام : ١٨

(٥) المنافقون : ٨

بالنسبة للمعركة التي بين الإنسان وبين نفسه وضميره وهواه وشهواته :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾(١)

وبين المعركتين ارتباط . فمَن انتصر على النفس والهوي وتغلب على الشهوات . أياً كان نوعها . بسلاح التقوى والإيمان وتحكيم الشريعة . واستطاع أن يطبقها على نفسه وعلى أهله وأولاده وحاشيته ومَن في حكمهم فإن انتصاره في المعركة الجزئية العسكرية أرجى وأقوى .

ولا قيمة في شرع الله للانتصار العسكري ما لم يكن شاملاً للانتصار على النفس والغلبة على الشهوة والهوى .

أما الحرب الإعلامية وحرب الأعصاب وما يقال من دعايات ودعوة إلى مبادىء لم يأذن بها الله . وليست في دين الله . فهي دعايات كاذبة ماكرة . قد تُغلّف بغلاف برّاق ماكر لغدر العامة واقتناصها والتشويش عليها وتغيير اتجاهها . ولكنها لا تنطلي علي ذوي الإدراك والإنصاف . ومآلها للفشل والاضمحلال وعاقبتها للخزي والعار .

والإسلام بطهارته ورفعة شأنه وعلو هدفه لا ينزل إلى مستوى السفهاء ولا يهبط إلى المقاصد الدنيئة ، بل يأمر بالصبر وترك الأمر إلى الله : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٣٣ ﴾(٢)

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦ ﴾(٣)

---

(١) النازعات : ٣٧ - ٤١

(٢) الأنعام : ٣٣

(٣) يس : ٧٦

والواجب على المسلمين مقابلة الأحداث والفتن بالصبر والتقوى والتماسك والتعاون والترابط والاعتصام بحبل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[1]

فالتقوى والاعتصام بحبل الله قاعدتان تقوم عليهما الأمة المسلمة وتؤدي بهما مُهمَتها في هذه الحياة وخصوصيتها في البَشر : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾[2]

ولئن أمر الإسلام بالاستعداد للعدو وأخذ الاحتياطات من كل جوانبها فهو لا يُحرض على مقابلة الإساءة بالإساءة ولا يقابل الغدر والخيانة بمثلها . ولا السفه والطيش والكذب والافتراء والبهتان بمثلها .

وإنما يأمر بما فيه وقاية الأمة وحماية حقوقها وكرامتها . كما أن الإسلام يأمر بالتعامل مع الناس جميعاً بسماحة الإسلام : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾[3] ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ ﴾[4] ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٦ ﴾[5]

(١) آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣
(٢) آل عمران : ١١٠
(٣) الأعراف : ١٩٩
(٤) الأعراف : ٢٠٠
(٥) فصلت : ٣٤ - ٣٦

ويجب على الإنسان أن يعلم واقعه في هذه الدنيا ومكانته عند الله ورسالته في هذه الحياة ومهمته في هذا الوجود ، فلم يُخلق الإنسان عبثاً ولم يُترك هملاً ، ولن يذهب سدى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾(٢)

وقدرة الله تعالى تلاحق الإنسان أينما توجُّه . وعلم الله يُلم بالشارد والوارد ، ويحصى على الإنسان الخواطر والخوالج ، والغيبُ المكنون الذي لا تدركه الظنون مكشوف لعلم الله .

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾(٣)

ومع كمال علم الله بالإنسان وإحاطته به . جعل سبحانه مع كل فرد من بني آدم ملائكةً لحراسته ولإحصاء أعماله وأقواله : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾(٤) ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾(٥)

وكما يكون الناس يُولِّ الله عليهم ، وكما يكونوا يكونُ الله معهم أو يتخلى عنهم ، وكما يكونوا ينصرُهم الله أو يخذلُهم ، وكما يكونوا يعزهم الله أو يذلُهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٦)

(١) الذاريات : ٥٦
(٢) المائدة : ٤٨
(٣) الرعد : ١٠
(٤) الانفطار : ١٠ - ١٢
(٥) الرعد : ١١
(٦) الرعد : ١١

فالخالق تعالى يتعقب خلقه بعلمه وبسمعه وبصره وإحاطته وبالحفظة من أمره . ويراقب ما يُحدثون من تغيير في دينهم ومعاملاتهم ومكاسبهم وسلوكهم وأخلاقهم ، فَيُنْفِذُ فيهم قَدَرَه على وفق ما غيَّروا .

فالإنسان بإرادته وبرغبته يقرر مصيره ، فهو يملك المحافظة على نعمة الله بشكرها وبطاعة الله وباجتناب حرماته في كل حركة من حركاته وفي كل مرفق من مرافق حياته وفي كل صغيرة وكبيرة . وربط قلبه بالله في شأنه كله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣ ﴾(١)

وهذا عدل من الله ورحمة . فلم يسلبْ نعمة وهبها لقوم حتى يكونوا هُم السبب في سلبها : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾(٢)

وهذا نبي الرحمة الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - يُقْسِم قَسَماً مؤكداً ناصحاً لأمته مشفقاً عليهم ، عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم » (٣) . وعن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال : أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾(٤) فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك

---

(١) الأنفال : ٥٣

(٢) إبراهيم : ٧

(٣) الترمذي : برقم (٢١٦٩) : ٤٦٨/٤ ، وحسَّن إسناده الترمذي ، وأحمد في مسنده : ٣٨٨/٥ ، ٣٨٩ ، من هذا الوجه واللفظ .

(٤) المائدة : ١٠٥

أن يعمهم اللّه بعقابه » [١] . فكما أن المسلم مكلّف هداية نفسه ، فهو أيضاً مكلّف هداية ولده وأهله ومَن تحت رعايته . فلا يغفُل عنهم ولا يترك الحبل على الغارب بل يَتَفقدهم ويتابع أعمالهم وسلوكَهم . فمَن كان في مرضاة اللّه شجّعه وقرّبه وأحبه . ومَن كان على معصية اللّه تاركاً لشيء من أوامر اللّه منتهكاً شيئاً من حرمات اللّه أمره ونهاه . وأخذ على يده ومنعه عن هواه .

روى البخاري ومسلم رحمة اللّه عليهما عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « كلكم راع ومسؤول عن رعيته . الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، والولد راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته ، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته » [٢] .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون ، توبوا إلى اللّه ، استغفروا ربكم وحاسبوا أنفسكم وتفقدوا شؤونكم وزنوا أعمالكم بموازين الشريعة ، فما وافق منها فاحمدوا اللّه والزموه . وما كان مخالفاً فاتركوه حتى لو كان فيه قناطير الذهب والفضة ، فإن مآلها إلى القلة والهلاك ، وحتى لو كان فيها موافقة النفس والهوى . فإنه لا عزّ مع معصية اللّه ولا ذلّ مع طاعة اللّه ، فاتقوا ربكم وتوبوا إليه واستغفروه لكل صغيرة وكبيرة .

---

(١) ابن ماجه برقم (٤٠٠٥) الفتن باب (٢٠) باب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإسناده صحيح وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١٥/٣) : إلى ابن أبي شيبة وأحمد ، وعبد بن حميد ، والعدني ، وابن منيع ، والحميدي في مسانيدهم ، والترمذي وصححه ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن يعلي وثم ذكر الآخرين .

(٢) البخاري في عدة مواضع من صحيحه (١) - الأحكام حديث رقم (٨٩٣) الجمعة ، ومسلم برقم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما .

روى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس ، توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة » (١) .

وعليكم بالتوبة النصوح . قال ابن تيمية رحمه الله : هي الخالصة لله من كل غش . والتوبة النصوح قطع جذور الذنب من القلب والهوى . فإن العبد إنما يعود إلى الذنب لبقايا في نفسه . فمَن خرجَ من قلبه الشبهة والشهوة لم يعد إلى الذنب .

والتوبة النصوح واجبة . لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾(٢)

ولا يجوز للمسلم أن يُصر على المعصية حتى ولو كانت صغيرة ، وحتى ولو كانت سهلة في نفسه ، وحتى لو رأى الناس يعملونها . وحتى لو تاب ثم عاد في المعصية فتجب التوبة . ولو تكررت منه التوبة والعودة .

روى الإمام أحمد في مسنده عن عليّ رضي الله عنه أنه قال : « إن الله يحب العبد المفْتَن التواب » (٤) .

وفي حديث آخر رواه أحمد : « لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار » و « ما أصر مَن استغفر » (٥) وهو من حديث أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

---

(١) مسلم : الذكر والدعاء والاستغفار ، حديث رقم (٢٧٠٢) .

(٢) التحريم : ٨

(٣) ذكر ذلك كله ابن الأثير في النهاية : ٦٣/٥ ومنه أخذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

(٤) مسلم برقم (٢٩٦٥) الزهد ، ورواية أحمد بهذا اللفظ : ٨٠/١ ، ١٠٣ عن عليّ رضي الله عنه .

(٥) أبو داود برقم (١٥١٤) : الصلاة ، من حديث أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه . والترمذي : برقم (٣٥٥٤) .

نستغفر اللّه ونتوب إليه .

اللّهم استر عوراتنا ، واغفر زلاّتنا ، وتجاوز عن إهمالنا وتقصيرنا ، واكتب لنا رحمتك التى وسعت كل شيء .

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

اللّهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وآخرتنا التي إليها معادنا .

اللّهم ألّف بين قلوب المسلمين ووحّد صفوفهم واجمع كلمتهم على الحق المبين .

اللّهم اخذل الظلمة المعتدين والمارقين المفسدين ، الذين يتعدون حدودك وينقضون عهدك ويقتلون عبادك ويهتكون حرماتك .

اللّهم اهزمهم وزلزل أقدامهم وردهم على أعقابهم خاسرين .

اللّهم إنّا نجعلك في نحورهم ، ونعوذُ بك من شرورهم .

اللّهم اغفر لنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم .

*　　*

٢٨ - الرب لا يطرد الإنسان إذا عصى

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾[١]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدي بهَدْيه ، واتبع سبيله .

أما بعد ..

فإن الخالق تبارك وتعالى يعلم ضعف البَشر . هذا الإنسان الذي كرَّمه اللّه وفضَّله . ثم تهوى به الشهوة إلى مكان سحيق . وتدفعه الميولات والرغبات النفسية إلى فعل ما يفعله المتوحش من الحيوان .

فالذي خلق الإنسان أعلم بما خلق : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٢] ، فهو لا يطرد الإنسان إذا عصى ، وإنما يرده إلى الصواب ويأمره بالرجوع إلى اللّه وبالتوبة النصوح .

ولئن جاء في الشريعة عقوبات وتعزيرات وحدود ، فإنما هى للتربية والتطهير . وليست للانتقام والتعذيب ولا للتنفير .

والإسلام حينما يدعو إلى السماحة والتعقل ، ويختار أيسر الأمرين وأسهلهما للبَشر ، فهو لا يدعو إلى الترخيص ولا التشجيع على المعصية . وإنما يجمع بين التربية والرحمة ، فأنجح أساليب التربية ما جمع بين الترغيب والترهيب .

وصلوا على البشير النذير ....

* * *

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) الملك : ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ - التحذير من الدسائس [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله على نعمة الإسلام ، والحمد لله على آلائه وفضله التام .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، واحدٌ أحدٌ ، فردٌ صمدٌ .

اللّهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك [٢] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيقول الخالق تبارك وتعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٣] ، لقد أكمل الله لأمة محمد ﷺ دينها . وأتم نعمته على المسلمين ، ورضى لهم رسالة محمد ﷺ منهجاً لحياتهم ، بل ولجميع الناس أجمعين ، فلم يعد هناك من سبيل لتعديل شيء منه ولا لتبديله ، ولا لترك شيء من حكمه إلى حكم غيره ، لم يبق مجال للعدول من شريعته إلى شريعة أخرى ، وقد علم الله حين رضيه للناس أنه يسع الناس جميعاً ، وأنه يحقق الخير للناس جميعاً .. فجعله خاتم الرسالات .

---

(١) ألقيت في ١٤٠٦/٦/٢٣ هـ .

(٢) من دعاء النبي ﷺ في الصحيح لمسلم (الصلاة) حديث رقم (٢٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) المائدة : ٣

وقد علم الله أن معاذير كثيرة يمكن أن تقوم أمام هذا المنهج القويم ، وأن خواطر ورغبات قد تتسرب إلى النَيْل من قدسية الإسلام وكماله .

وقد علم الله أن دسائس وشبهات ستوقع خلافاً في المسلمين . وأخطر هذه المعاذير والدسائس : الرغبة في تأليف القلوب بين الطوائف المختلفة والعقائد المتعددة . فيحصل بذلك إهمال ما هو من صميم الإسلام أو إدخال ما ليس منه إليه ، فيحصل اهتزاز العقيدة وتصدع قواعد الإيمان ، وترجع الأمة إلى الجاهلية الأولى . كما هو الحال في بعض الأقطار .

إن شريعة الله أبقى وأعلى من أن يضحي بجزء منها في مقابل شيء ، قدّر الله ألا يكون . فالناس قد خُلقوا ولكل منهم مشرب ، ولكل منهم مطمع ، ولكل اتجاه هدف ، فالواجب اتباع الحق . والواجب اتباع العدل : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾(١)

والحكمة من حكم الله خُلقوا مختلفين : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ ﴾(٢) ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾(٣) ، وإن التساهل في شيء من شريعة الله . أو السكوت على شيء لم يأذن به الله . ولم يشرِّعه رسول الله ﷺ لإرضاء الناس . أو لكف كلام الناس أو لاستمالة قلوب الناس . إنما هي محاولة فاشلة لا مبرر لها من الواقع ، ولا قيمة لها في ميزان الله ، ولا سند لها من

---

(١) النساء : ٥٩

(٢) هود : ١١٨ - ١١٩

(٣) الأنعام : ١١٦ - ١١٧

شريعة الله ، ولا قبول لها في حس المسلم الحقيقي الذي يعرف قدر الله ويعرف قدرة الله ، ويؤمن بأن الأمر كله لله ، وأن الكون ملك لله . وأن المآل إلى الله : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ١٦٤﴾[1]

لقد مَنَّ الله على هذه البلاد فجمع شتاتها ، وآخى بين أهلها ووحَّد اتجاههم في عقيدتهم ، وفي عباداتهم ومعاملاتهم وأحكامهم على منهاج الإسلام . فاعتصموا بحبل الله وساروا على صراط الله ، ذلك بفضل الله وتوفيقه ، ثم بفضل القادة المصلحين المخلصين لدينهم وأمتهم وبلادهم ، عرفوا للإسلام حقه . وللعقيدة طهارتها ، وللعدل قواعده ، وللأمن أسبابه ، وللنعم شكرها ، فبلادنا في نعمة ولله الحمد لا توجد في غيرها . فتجب المحافظة على مقوِّمات هذه النعمة . وتقوية روابط وحدتها . والأخذ على يد مَن يحاول فك رباطها وإثارة الخلافات بأى سبب كان وفي أي مجال كان . فمنهاج الله واضح ، متكامل لا يقبل الزيادة ، ولا النقصان ؛ فمَن أراد أن يزيد فيه ما ليس منه فقد أخطأ وتاه ، ومَن أراد أن ينقص منه فقد اعتدى وضل .

وقد نهى الله تعالى عن الخلاف في العقيدة ومخالفة نصوص الشريعة في الفروع وحذَّر من نتائجه . أمر بالاعتصام بحبله وبيَّن فوائده . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[2] ، وقال سبحانه :

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾[3]

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[4]

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو

---

(١) الأنعام : ١٦٤

(٢) آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

(٣) آل عمران : ١٠٥

(٤) الأنفال : ٤٦

رد » . (رواه البخارى ومسلم) [١] وفي رواية لمسلم : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » [٢] . أى مردود على صاحبه ، وروى الإمام مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته ، واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ويقول : « أما بعد : فإن خير الحديث كتابُ الله ، وخير الهَدْى هَدْيُ محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » [٣] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » (رواه الطبراني وإسناده حسن) [٤] ، ورواه ابن ماجه وابن أبى عاصم في كتاب السُنَّة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ولفظهما : قال رسول الله ﷺ : « أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » [٥] ، وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ،

---

(١) البخاري برقم (٢٦٩٧) الصلح باب (٥) من حديث عائشة رضي الله عنها : ٣٠١/٥ (الفتح) ، مسلم في الصحيح : الأقضية (١٧) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) هذا لفظ مسلم في الصحيح برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها وعلّقه البخاري : ٢٩٧/٤

(٣) هذا لفظ مسلم (الجمعة) برقم (خاص ٤٣) ، و (عام ٨٦٧) : ٥٩٢/٢ وذلك من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه .

(٤) أورده الهيثمي في المجمع : ١٨٩/١ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروى وهو ثقة .

قلت : هارون بن موسى بن أبى علقمة عبد الله بن محمد الفروى المدني قال الحافظ : لا بأس به .

قلت : إسناده حسن .

(٥) ابن ماجه برقم (٥) المقدمة (٧) باب : اجتناب البدع والجدل : ١٩/١ وإسناده ضعيف ولكن حديث عائشة بمعناه : « مَن أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد » - صحيح .

فقلنا : يا رسول اللّه ، كأنها موعظة مودِّع فأوصنا قال : « أوصيكم بتقوى اللّه ، والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبدٌ ، وإنه مَن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » (رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي : حديث حسن صحيح) [١] .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون .. إنَّ المعصية إذا خفيت لا تضر إلا صاحبها . أما إذا ظهرت ولم تُنكر عمَّت الخاصة والعامة : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٢]

اللّهم إنَّا نسألك الثبات على الحق ، والعزيمة على الرشد ، والهداية إلى الصراط المستقيم .

اللّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ، ويذل فيه أهل المعصية ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر ، إنك على كل شيء قدير .

اللّهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة (٦) باب : إتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين حديث رقم (٤٢) وذلك من حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه ، وإسناده صحيح لدى الجميع .

(٢) الأنفال : ٢٥

٢٩ - المعصية إذا خفيت لا تضر إلا صاحبها

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالَمين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، إلَهُ الأوَّلين والآخرين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه ، وبالتمسك بكتاب اللّه وبسُنَّة رسول اللّه ﷺ ، عَضواً عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور [١] التي لم تكن في عهد رسول اللّه ﷺ وأصحابه . ولا في عهد التابعين المحسنين ، احذروها فإنها ضلالة .

روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد اللّه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أما بعد .. فإن خير الحديث كتابُ اللّه ، وخير الهَدْيُ هَدْى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها . وكل بدعة ضلالة » [٢] - وزاد النسائي : « وكل ضلالة في النار » [٣] . وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ :

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ١٢٦/٤ وإسناده جيد .

(٢) مسلم في الصحيح كتاب الجمعة - حديث رقم (خاص ٤٣٠) ، و (عام ٨٦٧) من حديث جابر بن عبد اللّه الأنصاري رضي اللّه عنه .

(٣) النسائي : من حديث جابر بن عبد اللّه الأنصاري : ١٨٨/٣ - ١٨٩ ، وإسناده صحيح .

« يكون في آخر الزمان دجَّالون كذَّابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » (رواه مسلم) [١] .

وروى مسلم أيضاً عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « ما من نبي بعثه اللّه في أمته قبلي إلا كان في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسُنَّته ويقتدون بأمره . ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون . فمَن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » [٢] .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون .. مَن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .

ومَن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام مَن تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً .

إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاذة والقاصية والناحية ، وإياكم والشِعاب وعليكم بالجماعة .. مَن فارق الجماعة شِبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه [٣] ، وما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السُنَّة . فتمسكَ

---

(١) مسلم في المقدمة برقم (٧) : ١/١٢ وذلك من حديث أبي عثمان مسلم بن يسار عن أبي هريرة رضي اللّه عنه .. ثم ذكر هذا الحديث .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (الإيمان) حديث رقم (خاص ٨٠) ، و (عام ٥٠) من حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه .

(٣) أخرجه أحمد في المسند : ٤/ ١٣٠ وذلك من حديث الحارث الأشعري رضي اللّه عنه ، وإسناده جيد .

بسُنَّة خير من إحداث بدعة [١] ومَن وقَّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[٢]

* * *

(١) أحمد في المسند : ١٠٥/٤ ، وذلك من حديث غضيف بن الحارث رضي الله عنه .

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣ - الحث على العلم النافع

من كتاب اللّه والسنة

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه رب العالمين ، أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . مَن يَهْدِهِ اللّه فلا مضل له . ومَن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى ومراقبته في السر والعلانية .

عباد اللّه .. إننا نلاحظ في زمننا هذا كثرة العلوم وتنوع مقاصدها ، وتفاوت نتائجها ، وإقبال الناس على العلم باختلاف نياتهم ، وتفاوت رغباتهم ، وينبغي أن نعلم أن العلوم تختلف فضلاً وشرفاً باختلاف مقاصدها ، ومباحثها ، وتتفاوت سمواً ورفعة باختلاف مصادرها ومواردها .

وإن أفضل العلوم وأشرفها وأنفعها للإنسان هو ما تحصل به سعادته . وراحة قلبه ، واطمئنان نفسه وتحقيق عزته وكرامته في الدنيا والآخرة .

وهو ما أُخذَ من كتاب اللّه تعالى ، وسُنَّة رسوله ﷺ ، إذ المقصود به هو أشرف المقاصد ، وجه اللّه تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾(١)

---

(١) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

وأما ثمرته فراحة النفس ، واطمئنانها وتحقيق عزتها وكرامتها ، وحفظ حقوقها .

وأما غايته فأعلى المطالب ومنتهى الأماني : جنات النعيم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[1] . وعلم الشريعة تبقى آثاره بعد فناء صاحبه وبقية العلوم تزول آثارها بزواله .

فهذا العلم هو الذي تحيا به القلوب . يغرس فيها محبة الله وعظمته ، ويقر فيها معرفته وخشيته ، فيسكن القلب وتخشع الجوارح ، فتكون عاملة للخير بعيدة عن الشر ، كلها صلاح وفلاح ، من أجل هذا أثنى الله تعالى على العلم ومدح أهله وبيّن منزلتهم عنده ومكانتهم من خلقه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[2] ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[3] ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[4] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾[5]

وبشّر نبينا محمد ﷺ طالبي العلم الذي جاء به وأوضح فضلهم عند الخالق جلّ وعلا . ومنزلتهم لدى جميع الخلائق مَن في الأرض ومَن في السماء ، كما في حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله له به طريقاً إلى الجنة [6] ، وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب [7] ، وإن العالم ليستغفر

---

(١) الكهف : ١٠٧ - ١٠٨

(٢) الزمر : ٩

(٣) فاطر : ٢٨

(٤) المجادلة : ١١

(٥) مريم : ٩٦

(٦) البخاري معلقاً : ١ / ١٦٠ (الفتح) ، وأبو داود موصولاً برقم (٣٦٤١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه من حديث أبي هريرة .

(٧) أحمد في المسند : ١٣٩/٤ من حديث صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه ، وإسناده حسن .

له مَن في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء [١] ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً . وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » [٢] .

هذا هو العلم النافع الذي جاء به نبينا محمد ﷺ . فهو الموصل إلى الله . وهو المورد إلى جنات النعيم ، وهو الذي يُهتدى به في ظلمات الجهل والشبه والشكوك والحيرة : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣]

هذا هو العلم الذي يجب أن يُعلَّم ويُتعلَّم . فهو الذي يُعرف به الخبيث من الطيب ، والحلال والحرام ، وبه ينتشر الأمن ويقوم العدل ، وتعم به الخيرات ، وهو الذي ينظم حياة الفرد والجماعة والأسرة ، فحملة هذا العلم قادة الأمة وهداتها في مسيرتها كالنجوم يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا فقدت الأمة الهداة ضلّت في المتاهات وهامت في الظلمات ، قال صلى الله عليه وسلم : « إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا طمست النجوم أوشك أن تضل الهداة [٤] . إن الله لا يقبض

---

(١) أحمد في المسند : ١٩٦/٥ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه الطويل وإسناده جيد مع الشواهد .

(٢) هو نفس حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ٥ / ١٩٦ ، وأبو داود : (العلم) الباب الأول من هذا الوجه ، وابن ماجه برقم (٢٢٣) : ١٨/١ بسياق طويل .

(٣) المائدة : ١٥ - ١٦

(٤) أخرجه أحمد في المسند : ١٥٧/٣ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وإسناده فيه ضعف ، أورده الهيثمي في المجمع : ١٢١/١ ، وقال : رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد واختلف في الاحتجاج به وأبو حفص صاحب أنس مجهول والله أعلم .

قلت : إن هناك أحاديث أخرى بمعناه وهي صحيحة .

العلم انتزاعاً . ينزعه من صدور الرجال ، ولكن يذهب العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »[١] .

وإذا تأملنا الأمم التي لم يكن لها حظ من هذا العلم ولا هداة حق ، يهدونهم الطريق السوي . وجدناهم في حيرة مظلمة ومتاهة موحشة ، قد سئموا حياتهم وتفككت أسرهم لأنهم تقلبوا في جميع ما يخطر على بالهم من ملذات الدنيا ، وأطلقوا لأنفسهم الحرية الفردية العائمة ، فسلكوا جميع سبلها حتى نهايتها ، ودخلوا مع أبوابها حتى أقصاها فلم يبق لهم تطلع إلى مستقبل أفضل ولا تشوق إلى حياة أكمل ، ولم يكن لهم نور يهتدون به . فلم يكن لهم إيمان بالله فيتجهون إليه ، ولا إيمان باليوم الآخر فيعملون له ، ولا بالجنة فيتسابقون إليها ، ولا بالنار فيهربون منها ، وإن هم إلا ﴿ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[٢] . هذه حالهم مع ما هم فيه من علوم الدنيا وتطورها ومع ما هم فيه من الحرية الفردية المطلقة .

ومما يؤسف له - أيها المسلمون - أن بعض المسلمين قد انحرفوا عن معرفة دينهم ، وتلقي علومه التي هي أفضل العلوم وأشرفها ، وما ذاك إلا لقصر النظر وضعف الإدراك . وقصور التفكير . والجهل بحقيقة الإسلام .

فظنوا أن الإسلام وعلوم الإسلام تحول بينهم وبين العمل في الحقل العام ، وأنه يوجب العمل في حقل خاص ، وتوهموا أنه يدعو إلى الركود والسكون والدعة ، وأنه يمنع من التمتع بالطيبات ، والتلذذ بالخيرات ، فقالوا : إنه علم ليس له مستقبل . وهذا تصور خاطيء وقول بلا علم ، وحكم بلا دليل ، بل يخالفه نص كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ وتاريخ الإسلام .

---

(١) أخرجه الشيخان في صحيحهما وأحمد في المسند : ٢/ ١٦٢ كلهم من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه ، البخاري : برقم (١٠٠) كتاب العلم (الفتح) : ١/ ١٩٤ ، ومسلم في الصحيح (العلم الحديث) رقم (خاص ١٣) ، وكذا أحمد في المسند : ٢/ ١٩٠

(٢) الأعراف : ١٧٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾(١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾(٢) ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ ﴾(٣) ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(٤) ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾(٥) ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾(٦) ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾(٧)

« احرص على ما ينفعك ولا تعجزنّ » (٨) ، « ذهب أهل الدثور بالأجور » (٩) ، « لا حسد إلا في اثنتين » (١٠) .

إن دين الإسلام وعلوم الإسلام تحث على الجد والعمل والتعاون ، وتدعو إلى القوة والعزة والمنفعة وحفظ الكرامة . قد وضع لجميع مرافق الحياة نظاماً متقناً ، طاهراً نقياً .

---

(١) البقرة : ١٦٨

(٢) المؤمنون : ٥١

(٣) البقرة : ٢٠١

(٤) الجمعة : ١٠

(٥) البقرة : ٢٧٥

(٦) الأنفال : ٦٠

(٧) هود : ٣٧

(٨) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند : ٣٦٦/٢ ، ٣٧٠ ، إسناده صحيح .

(٩) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٨٤٣) ، الفتح : ٣٢٥/٢ ، ومسلم – المساجد (١٤٢) ، وأحمد في المسند : ٢٣٨/٢

(١٠) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه – البخاري برقم (٧٣) العلم (الفتح) : ١٦٥/١ ، ومسلم : المسافرين برقم (٢٦٨) ، وأحمد في المسند : ٣٥٦/١

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾(١) .

فيا أيها المسلمون .. يا شباب الإسلام : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾(٢) . لا ترغبوا عن علوم الإسلام . ولا يفتنكم الشيطان وأعداؤكم عن مصدر عزتكم ومورد كرامتكم ، تعلموا العلم النافع واطلبوه من ينابعه ومناهله الصافية ، ولازموا حلق الذكر ومجالس العلم ، وكونوا من حزب الله المفلحين ومن الهداة العاملين .

اللّهم اشرح صدورنا للإسلام واملأ قلوبنا بالإيمان وفقهنا في الدين وارزقنا العمل به . واجعلنا من عبادك الصالحين ﴿ الَّذينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) النساء : ١٣٤

(٢) المائدة : ١٠٥

(٣) البقرة : ٢٧٧ ، بلفظ : ﴿ ولاَ .... ﴾ .

٣٠ - لا يجوز حمل الناس على الشواذ

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه ، وله الحمد في السموات والأرض وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه ، صلى اللّه عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومَن استن بسُنَّته واقتفى أثره .

أما بعد ..

فاتقوا اللّه عباد اللّه ، لقد اتفق أئمة الهدى وعلماء الإسلام على قواعد الدين وأصوله ، واختلفوا في أشياء من الفروع ، اختلافاً ناشئاً إما لأن الدليل بلغ البعض ولم يبلغ الآخر . أو لأنه صح عند البعض ولم يصح عند الآخر ، أو لاختلاف في التأويل والفهم ، وكل منهم يُرجَى له الخير على اجتهاده وإصابته .

ويوجد بعض الناس يتبعون شواذ الأقوال ويحملون الناس على الأخذ بها ، ويخطئونهم في كل عمل يخالفها . ومنهم مَن يذهب إلى العوام في القرى والبوادي حيث لا علم عندهم فيشككونهم في دينهم ويخطئونهم في أعمالهم طوال حياتهم الماضية ويجعلونهم في حيرة من أعمالهم المستقبلية . وقد تكون في مسائل فرعية مسنونة لا يجب فعلها ولا يُعاقَب تاركها ، فيقيمون الدنيا ويقعدونها من أجلها ومن أجل التعصب للرأي .

فهؤلاء شذّاذ الأقوال قد يكون لبعضهم نيِّة صالحة وغفلة حملته على الثقة بقول فرد والشك في أقوال جماهير المسلمين وأئمة الهدى من حُفَّاظ القرآن الكريم ، والسُنَّة المطهرة ، وبعضهم قد تكون عنده نيِّة غير حسنة إما لحب الظهور واتخاذ أتباع . وإما رغبة في نشر شيء من آراء الطوائف الضالة . فيجب على المسلمين العوام منهم وطلاب العلم التروي في قبول الأقوال الشاذة .

وسؤال الراسخين في العلم عنها ليعرفوا الدليل الصحيح من غيره ، والراجح من المرجوح ، ولا يجوز أن يكون المسلم إمعة مع كل صاعق وناعق .

وصلُّوا على البشير النذير والسراج المنير . فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[١]

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلّى عليَّ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرة »[٢] .

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود .

اللّهم ارض عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية الصحابة أجمعين . وأهل بيته الطيبين الطاهرين . ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللّهم آمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد .

---

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) رواه الإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٣) ص ٢٣ ، وإسناده حسن لغيره وهو من حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة رضي الله عنه ، وله شاهد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه العلامة القاضي رقم (٩) ص ٢٦

اللّهم أصلح جميع ولاة أمور المسلمين .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

واذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢)

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣١ - اختبار المؤمن [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين ، وهو الحكيم العليم ، يعلم ما كان وما لم يكن كيف يكون إذا كان .

وأشهد أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له ، خلق القلم وأمره بكتابة ما هو كائن إلى يوم القيامة : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين اختارهم لصحبة نبيه وطهّرهم تطهيراً .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى فلا سعادة ولا صلاح إلا بالتقوى .

عباد الله .. إذا أراد الإنسان أن يشتري مصاغاً من المجوهرات . ذهب به إلى المختبر ليتأكد من جودته وسلامته من الغش .. فإذا كان مغشوشاً لم يقبله ، وإذا أراد إنسان أن يلتحق بالوظيفة أُرْسِل للمختبر الصحي للتأكد من لياقته طبياً للخدمة وإذا لم يصلح لم يوظف ، وإذا دخل الطالب في سلك المدرسة اختبر لمعرفة نشاطه وحرصه على العلم والتحصيل . فإذا لم ينجح أدى الأمر إلى طرده من المدرسة ، أفلا يُختبر مَن أراد دخول الجنة .

---

(١) ألقيت في ١٤٠١/٣/٣ هـ .

(٢) يس : ١٢

وأمامنا اختبارٌ أهم من اختبارات الدنيا ، اختبار عام شامل ، فيه نجاح وتفوق وقبول ، وفيه رسوب وطرد ، وإبعاد ، أسئلته مُقدَّمة قبله مفتوحة معلومة للناس . حرصاً من المختبِر على النجاح رحمة بالحريصين على السبق ، وكأنى بسائل يسأل : ما هو موضوع هذا الاختبار وما هي أسئلته . وما هي أسباب النجاح . وأين مكان الاختبار . وما هي درجة النجاح . وما فائدته وثمرته ؟

١ - فأما موضوع الاختبار فهو الإيمان . كما قال تبارك وتعالى : بسم اللّٰه الرحمن الرحيم ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ ﴾(١)

٢ - وأما الأسئلة فهي المذكورة في قوله سبحانه ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾(٢)

وقوله : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥ ﴾(٣) ، فأخبر قبل وقوعها بأنها اختبار وابتلاء وامتحان .

٣ - وأما مكان الاختبار ، فهو هذه الحياة الدنيا ، فما دام الإنسان حياً فيها فهو تحت الاختبار . فليأخذ حذره واستعداده .

٤ - وأما أسباب النجاح . فهي المذكورة في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾(٤)

وقوله : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾(٥) .. فالصبر والصلاة وتفويض الأمر لله وشكر النعمة هي أسباب النجاح .

---

(١) العنكبوت : ١ - ٢

(٢) البقرة : ١٥٥

(٣) الأنبياء : ٣٥

(٤) البقرة : ١٥٣

(٥) البقرة : ١٥٥ - ١٥٦

٥ - وأما تقدير النجاح . فهي قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾(١)

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾ تقدير ممتاز

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ ، درجة الشرف الأولى .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نِعْمَ العدلان ونعمت العلاوه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾ فهذان العدلان :﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ فهذه العلاوه . فهؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا عليه أيضاً (٢) .

٦ - وأما فائدة الاختبار . فكما قال سبحانه : ﴿ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾(٣) ، وقوله : ﴿ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾(٤) لمعرفة القلوب الطيبة النظيفة المستنيرة بنور الإيمان . التي تصلح لتحمل أمانة الله والعمل بها وتبليغ رسالة نبيه ﷺ والدعوة إليها .

٧ - وأما ثمرته . فالاختبار كسب درجة عالية في الإيمان والحث على تطهير النفس وإزالة الغشاوة عن العيون وإزالة الران عن القلوب . كما يمحو السيئات

---

(١) البقرة : ١٥٧

(٢) ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : ١/٣٤٧ - ٣٤٨ ، تحت هذه الآية الكريمة من سورة البقرة : ١٥٧ .

قلت : أخرجه الحاكم في المستدرك : ٢/ ٢٧٠ ، وإسناده على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١ / ٣٧٨) إلى وكيع وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في كتاب العزاء ، وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان ثم ذكر لفظ الحديث .

(٣) العنكبوت : ٣

(٤) العنكبوت : ١١

ويشدُّ العزائم ويُصفِّي العقائد . ويُقوِّي الصلة بالله . فيكون المؤمن طاهراً نقياً . مؤهلاً لأن يكون في خدمة الله ومن حزب الله . من أولياء الله . من المقربين إلى الله . فمَن كان مع الله وصبر على بلاء الله . وشكر نِعَم الله كان الله معه يوفقه . ويسدده ويحفظه ، ويوجهه لكل خير ويصرفه عن كل شر . ينير الطريق أمامه . وهذه حال المؤمن الحقيقي ، المؤمن الصادق .

قال صلى الله عليه وسلم : « عجباً لأمر المؤمن . إن أمره كله خيرٌ وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له » (رواه مسلم) [١] .. خير عام شامل في أمور الدين والدنيا .

هذا له في هذه الدنيا .

أما في الآخرة . فكما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٢] لا يُقدَّر له قدرٌ ولا يُحَد له أجر ، إنما هو من فضل الجواد الواجد الكريم .

ذكر ابن كثير في تفسيره : أن عليَّ بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهما قال : « إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي مناد : أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب ، قال : فيقوم عُنُقٌ من الناس - أي جماعة - فتتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين يا بني آدم ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون : قبل الحساب ؟ قالوا : نعم . قالوا : ومَن أنتم ؟ قالوا : نحن الصابرون . قالوا : وما صبركم ؟ قالوا : صبرنا على طاعة الله . وصبرنا عن معصية الله . حتى توفانا الله . قالوا : أنتم كما قلتم ، ادخلوا الجنة فنِعْمَ أجرُ العاملين » [٣] .

---

(١) مسلم في الصحيح : الزهد ، حديث رقم (٢٩٩٩) عن صهيب الرومي رضي الله عنه ، وأحمد في المسند : ١٧٣/١ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وإسناده قوي .

(٢) الزمر : ١٠

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٨٠٨٦) : ٢٦٣/٦ ، ثم قال في نهاية الحديث : هذا متن غريب وفي إسناده ضعف ، والله أعلم . =

ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١)

فاتقوا الله أيها المؤمنون . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(٢)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

= وهو من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، وأما قول عليّ بن الحسين رحمه الله تعالى فقد أورده ابن كثير في تفسيره : ٣٤٦/١ ، دون العزو إلى أحد ، والله أعلم . أورده تحت قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ ﴾ (البقرة : ١٥٤) .

(١) الزمر : ١٠

(٢) البقرة : ١٥٣ - ١٥٧

٣١ - الحلال بيِّن والحرام بيِّن

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه رب العالَمين ، قلوب العباد بين أصبعيه يقلبها كيف يشاء .

وأشهد أنْ لا إلهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع مِلّته .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه ، واعلموا أن مدار التقوي على صلاح القلب ، فبصلاح القلب تصلح الجوارح والأعمال ، وبفساده تفسد الجوارح والأعمال ، والقلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده ، ففى الصحيحين عن النعمان ابن بشير رضي اللّه عنه قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمَن اتقي الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعِرضه ، ومَن وقع في الشبهات ، وقع في الحرام كالراعي يرعي حول الحمي يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمي ، ألا وإن حمى اللّه محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » [(١)] .

(١) أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، البخاري : برقم (٥٢) ، الإيمان : ١٢٦/١ الفتح ، ومسلم : المساقاة برقم (١٠٧ خاص) ، وذلك من حديث النعمان بن بشير رضي اللّه عنهما .

ولا صلاح للقلوب حتى تستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته . ولا صلاح لأهل الأرض إلا بالإيمان بالله ورسوله ﷺ ، وبصلاح الرعاة تَصْلح الرعايا . فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾(٤)

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٢ - نعمة الهداية للإسلام [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[٢] ، أكملَ ديننا وأتمَّ علينا نعمته ورضى الإسلام لنا ديناً [٣] ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس [٤] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه لا شريك له . خلقنا من العدم وربانا بالنعم من أجل عبادته وطاعته : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾[٥]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[٦] ، ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [٧].

صلَّى اللَّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدجى .

أما بعد ..

فإن أعظم نعمة يرفل المسلم في خيرها وسعادتها هى نعمة الإسلام . فالهداية والتوفيق بيد اللَّه وحده يهدي بها مَن يشاء من عباده . فالإسلام نعمة

---

(١) ألقيت في ١٤٠٠/١١/١٠ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى آية المائدة : ٣

(٤) إشارة إلى آية آل عمران : ١١٠

(٥) الذاريات : ٥٦

(٦) التوبة : ٣٣

(٧) التوبة : ٣٢

يجب على المسلمين شكرها ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(١)

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ (٢)

الإسلام يضيء بصيرة المسلم فيرى بها الأمور على حقيقتها .. يرى بها الطيب طيباً وإن قلّ أنصاره . ويرى الخبث خبيثاً وإن كثر أتباعه ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾(٣)

والكفر عمى في القلب . عمي في الاتجاه والسلوك . عمى في التصور . عمي البصيرة لا يرى حقائق الأمور : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ، وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِى ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ (٤) .

الإسلام نور يهتدي به السائرون في هذه الحياة لا يراه إلا المبصرون ، والكفر والإلحاد ظلمات يتيه فيها السائرون في ظلمات الغي والحيرة .

الإسلام ظلٌ وارفٌ بارد يستظل به المسلم من هاجرة الشك والقلق .

والكفر وهَجٌ مُحرقٌ وَحُرورٌ مُقْلق . يُحرق النفس ويُقْلقُها بوهج الحيرة وعمي البصيرة . وظلمة الطريق .

---

(١) الأنعام : ١٢٥

(٢) الحجرات : ١٧

(٣) المائدة : ١٠٠

(٤) فصلت : ٤٤

الإسلام حياة القلوب . وحياة المشاعر . والكفر موت القلوب وموت الضمائر . وهكذا طبائع الخير وطبائع الشر ، وصفات الخبيث وصفات الطيب . والفرق بينهما شاسع .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(١)

الإسلام يَزِنُ الأمور بموازينها الحقيقية لا يداهن ولا يحابي ، ولا يمدح إلا في موضع المدح . ولا يذم إلا في موضع الذم . ولا يعاقب إلا في موضع العقوبة . ولا يعفو إلا في موضع العفو . يزن الذهب بميزانه ، ويكيل العطر بمكياله . ويرد الخبيث في أوكاره . ويكبت الشر في صدوره .

الإسلام يربي ويُعلِّم ويُثقف . ينقل الإنسان من طور الوضاعة إلى طور الرفعة والعزة .

ينقله من مشابهة الحيوان إلى سمو الأخلاق والمكارم . والإنسانية الضالة تعلم أن الإسلام له شرفُ العُلا وقوةُ الظهور . وكمالُ القدرة والقهر . ولكن الشياطين تصدهم عن إتباع الهُدَي : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(٢)

الإنسانية التائهة تُحسُّ ما هي فيه من الحصار النفسي والقلق الروحي . وانهيار الأخلاق وتفكك المجتمع . والانفصال بين الراعي والرعية في البيت الواحد والأسرة والدولة . يرون ما عليه المسلمون من التآخي والتعاطف والتعاون والشكر على النعماء والصبر على البلاء والارتياح النفسي والارتباط بين الأسرة والمجتمع . وبين الراعي والرعية .

---

(١) فاطر : ١٩ - ٢٣

(٢) الأنعام : ٣٣

من أجل ذلك فأعداء الإسلام يحسدون المسلمين على ما هم فيه : يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله (١) . ويكيدون لهم المكائد بشتَّى أنواعها وأساليبها . والمعركة بين الحق والباطل مستمرة من حين خُلِق آدمُ وامتنع إبليس من السجود حتى تقوم الساعة . مثارها الحقد والحسد . وللباطل صولة ثم يضمحل . فمتى انتفض الإسلام وانتشر إشعاعه في الوجود انتصر ، لكن إذا تقاعس المسلمون وركنوا إلى الدنيا والراحة وتركوا الجهاد صال الباطل صولته : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾(٢) وقد حان الآن انتفاضة الإسلام وأعداؤه يدركون هذا ، فدخل عليهم الخوف والذعر من كلمة « إسلام » حتى ولو باللسان . فجُنَّ جنونهم فصاروا يقتلون المسلمين في كل مكان ويشردونهم ويسعون بينهم بالتخريب والفساد .

ولقد كان صمود المجاهدين في أفغانستان مع قِلّة عددهم وعُدَّتهم وقلة قُوْتِهم أمام دولة كبيرة غنية قوية شرسة . لقد كان صورةً حية لروح الإيمان وإباء الإسلام . آية على قوة الإيمان وصموده . وفورة المسلم وصبره وكفاحه . يقول المجاهدون الأفغان : لو أن عندنا من السلاح واحدٌ في المائة مما عند عدونا لأذقناه درساً لا ينساه .

فواجب على المسلمين أن يتفهموا حقيقة إسلامهم وإيمانهم ، وأن يحافظوا عليه من الشكوك والبدع والغزو الفكري . يجب على المسلمين أن يكونوا يقظين

يحب على المسلم أن يكون صلب العود قوي الشكيمة ، وأن يعلم أنَّ ما أخطأه لم يكن ليصبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه [(١)] فبذلك يجد حلاوة الإيمان .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[(٢)]

اللّهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ....

* *

---

(١) إشارة إلى ما أخرجه أحمد في المسند : ٣١٧/٥ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وإسناده حسن في الشواهد ، وأخرجه أيضاً من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه : ٤٤١/٦ - ٤٤٢ ، والترمذي في جامعه برقم (٢١٤٤) باب القدر ورقمة (١٠) ، وفي إسناده عبد الله ابن ميمون قال الترمذي : منكر الحديث ، وإسناد الإمام أحمد ليس فيه هذا الرجل فهو حسن مع الشواهد ، والله أعلم .

(٢) آل عمران : ٢٠٠

٣٢ - يد اللّه مع الجماعة

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه الذي هدانا للإسلام .

وأشهد أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى اللّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن أصدق الحديث كتاب اللّه . وخير الهَدْي هَدْى محمد ﷺ . وشرُّ الأمور محدثاتها ، فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار [١] . أوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى . والتمسك بكتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعده . عَضوا عليها بالنواجذ [٢] ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾[٣] ، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٤] وحجوا فرضكم . واسمعوا وأطيعوا لولي أمركم ، وكونوا مع جماعة المسلمين ، فإن يد اللّه مع الجماعة ، ومَن شذَّ شذَّ في النار [٥] . افعلوا الأسباب فإنكم

---

(١) مسلم في الصحيح – الجمعة – حديث رقم (خاص ٤٣) ، و (عام ٨٦٧) من حديث جابر رضي اللّه عنه .

(٢) النسائي في الصغري : ٣/ ١٨٠ – ١٨٩ من حديث جابر رضي اللّه عنه ، انظر : الفتح ٥١١/١٠ .

(٣) النساء : ٣٦

(٤) البقرة : ٤٣

(٥) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما ، أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢١٦٧) الفتن ثم قال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ثم كأنه حسَّن إسناده ، واللّه أعلم .

مأمورون بها . وآمنوا بالقضاء . وتوكلوا على الله واصبروا على البلاء . واشكروا النعماء . فذلكم خير لكم .

الحكمة جمالُ كل شيء ، وهي سبب النجاح . وأزِمّة الأمور بيد الله يُصرِّفها كيف يشاء . واعلم أيها المسلم أن : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » [١] « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزنّ [٢] ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا . ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل . فإن « لو » تفتح عمل الشيطان » [٣] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [٤] ....

* * *

---

(١) مسلم في الصحيح ، القدر ، حديث رقم (خاص ٣٤) ، و (عام ٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأحمد في المسند : ٣/ ٣٧٠ من هذا الوجه واللفظ .

(٢) هو نفس هذا الحديث الذي مضى الآن في الرقم الأول .

(٣) هو نفس هذا الحديث عند مسلم والإمام أحمد في المسند : ٢/ ٣٧٠

(٤) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣ - التحاكم إلى القرآن والسُنَّة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢] .

﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٤٢ ﴾[٣] .

وأشهد أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . بفضله اهتدى المهتدون ، وبعدله ضلَّ الضالون .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في اللّه حق جهاده وتركنا على المحجة ليلها كنهارها بيضاءً نقيةً واضحةً جلية . نورها ساطع وطريقها مستقيم لا يزيغ عنها إلا هالك [٤] .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدجى .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه ، وهي فعل ما أمر اللّه به واجتناب ما عنه نهى .

---

(١) ألقيت في ١٤٠٦/٦/٤ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) البقرة : ١٤٢

(٤) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه - ابن ماجه في مقدمة السنن برقم (٥٠) وإسناده صالح للمتابعات والشواهد ، وحديث عائشة رضي اللّه عنها بمعناه : « مَن أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد » ، وللحديث شواهد كثيرة جداً .

إن الإسلام عقيدةٌ وعملٌ وسلوك ، ينشىء في بالقلب نوراً وضّاءً يكشف للسائر طريق السعادة . فيعطى النفس قوة مع طمأنينة ، ويضفي على الجوارح خشوعاً ووقاراً . ويكسب العمل توفيقاً وسداداً ، ويلبس الشخصية المسلمة رفعة ومهابة . لأنه يصلها بمصدر الحياة وبمصدر التوفيق . وبمصدر العزة ، خالقها تبارك وتعالى .

أما الكفر .. فهو انقطاع عن الحياة الحقيقية ، لأنه انعزال عن مصدر الحياة : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢٢ ﴾[2]

قد جعل اللّه للهدى طريقاً ، مَنْ توجه إليه وجد فيه انشراح الصدر وطيب النفس والعزة والرفعة ، فيُوفّق للسير عليه حتى يصل إلى المنتهى الذي منه المبتدا .

ومَنْ أعرض عن طريق الهدى ، وصدَّ عنه وانحرف فَقَد النُّوْرَ ودخل في ظلمات الضلال ليس بخارج منها .

فالذين سمعوا القرآن وقالوا : « آمنا به إنه الحق من ربنا » هداهم اللّه للإيمان بسبب اختيارهم طريق الهدى .

والذين قالوا : ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥ ﴾[3] حرموا الإيمان وتاهوا في ظلمات الكفر والطغيان بسبب انصرافهم عن طريق الهدى واختيارهم طريق الردى .

---

(١) الأنعام : ١٢٢

(٢) الزمر : ٢٢

(٣) المدثر : ٢٤ - ٢٥

الإنسان له اختيار وإرادة لا تتنافى مع إرادة الله ومشيئته .

هناك صنف من الناس لهم مصالح عند المسلمين ولهم أهداف ، فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ ﴾[1] وهم أخطر على المسلمين من الكافر الصريح . ولذلك اعتنى الإسلام بإيضاح علامات هؤلاء ومميزاتهم لأخذ الحذر منهم . وقد يحاول أولئك التلبيس على المسلمين . ولكن هناك علامةٌ لا يتحملونها وتضيق بها صدورهم فلا بد أن تظهر . وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١ ﴾[2]

إن الإيمان الصحيح متى استقر في القلب ظهرت آثاره على الجوارح ، أما إذا كان قولاً باللسان ولم يدخل الإيمان في القلب فليس بإيمان ، إنما هو خداع وما يخدعون إلا أنفسهم . إنما هو مرض الكفر في القلب فزادهم الله مرضاً .

من المعلوم بالضرورة أن حكم الله وحكم رسوله ﷺ لا يحيد عن الحق ، ولا ينحرف مع الهوى ، ولا يتأثر بالمودّة والشنآن ، ولكن بعض الناس لهم أهداف واتجاهات وهم موجودون في كل زمان ، والإسلام يحول بينهم وبين مصالحهم وإنفاذ غاياتهم . لذلك يقفون أمام دعوة الإسلام . ويقفون أمام رغبة المسلمين في تحكيم شريعتهم .

إن مقتضى الإيمان أن يتحاكم الإنسان إلى ما آمن به ، فإذا زعم أنه آمن بالله وبما أنزل الله . وأنه آمن برسول الله ﷺ وبما أُنزل عليه . ثم دعى إلى التحاكم إلى ما آمن به كانت التلبية الكاملة . فأما حين يصد ، وحين يماطل

---

(١) البقرة : ٨ - ٩

(٢) النساء : ٦١

ويعارض ، فهو مخالف لدعوى الإيمان ويكشف عن حقيقة النفاق الذي هو أخطر على المسلمين من الكفر الصريح .

لقد شهد اللّه تعالى بعدم إيمان الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمِروا أن يكفروا به .

وأقسم اللّه تعالى بأن الناس لا يؤمنون ولو ادعوا الإيمان . حتى يُحَكِّموا رسول اللّه ﷺ في أقضيتهم ثم ينفذوا حكمه ويتلقونه بالقبول والتسليم .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللّه في تفسير هذه الآية ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾(١)

قال : « ينكر تعالى على مَن خرج عن حكم اللّه المُحكَم المشتمل على كل خير والناهي عن كل شر . وعَدَلَ إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة اللّه ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، كما يصنعونها بآرائهم وأهوائهم .

إننا ولله الحمد في مملكتنا العزيزة نعيش في ظل وارف من عدالة الإسلام ، وننعم بعيش رغيد تحت الحكم الرشيد . ونتقلب في أمن شامل ، حَسدنا عليه القريب والبعيد . ونتمتع بإخاء وتراحم تحت راية التوحيد ، كتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ يُعلَّم في مدارسنا في كل مراحلها ، وحكم اللّه ورسوله نافذ في كل قضايانا وعلى كل طبقاتنا . وذلك بفضل اللّه وحده ثم بفضل دعوة الإصلاح . والنصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (٢) . وبفضل تحكيم

---

(١) المائدة : ٤٩

(٢) إشارة إلى حديث « الدين النصيحة » : مسلم من حديث تميم الداري رضي اللّه عنه برقم (٥٥) ، انظر : المجموعة الأولى : ١/٥٤

شريعة الله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(١)

اللّهم احفظ علينا إسلامنا . واحفظ لنا أمننا واستقرارنا ، وارزقنا شكر نعمك علينا .

اللّهم إنّا نعوذُ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك . وفجاءة نقمتك .

استغفروا ربكم وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم .

* *

---

(١) آل عمران : ٢٠٠

٣٣ - الإسلام قواعد مترابطة

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه رب العالَمين ، هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه .

وأشهد أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، المَلِكُ الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين ، وسيد الخلق أجمعين .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن للإسلام قواعد ظاهرة بيِّنة . مترابطة متماسكة ، يؤيد بعضها بعضاً ويصدق بعضها بعضاً ويكمل بعضها بعضاً ، فيجب على المسلم أن ينقاد لجميع قواعد الإسلام . فلا يصلح أن يأخذ بعضاً ويترك بعضاً ، لا يصلح أن يعمل به في العبادات ويتركه في المعاملات . ولا أن يُحكَّم في الحدود ويُبعَد عن الحقوق ، ولأن يُتْلى القرآن في المناسبات ويُبعد عن حقل التعليم . لا يصلح أن تكون الدولة مسلمة والشعب مسلم ولا يُدَرسُّون في مدارسهم نظام الإسلام . لا يستقيم الحال إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل المجالات .

لا بد من التناصح والتعاون في كل الميادين .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون .

اتقوا اللّه يا حكام المسلمين ، إنكم إنما وصلتم إلى ما أنتم فيه إلا بإرادة اللّه

لينظر ماذا تعملون ، تذكروا قول الله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾(١)

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(٢)

وكفى بالقرآن معلماً وواعظاً .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٣)

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾(٤)

* * *

---

(١) آل عمران : ٢٦

(٢) الحج : ٤١

(٣) الأحزاب : ٥٦

(٤) سورة ق : ٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٤ - واقع الحال فتنة (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾(٢)

وأشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد (٣) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . عرف الدنيا فصير على بلائها . وعرف الآخرة فأقبل عليها . وعرف ربه فاجتهد في عبادته وتبليغ رسالته .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه وسلك سبيله .

أما بعد ..

فإن الإيمان عقيدةٌ ، وتكليفٌ وإخلاص للّه ، وصبْر واحتساب وتحمُّلٌ ومسئولياتٌ ونظامٌ .

فلا يكفي أن يقول الإنسان إنه مؤمن ، لا يكفي أن ينطق بالشهادتين بلا عمل ، بل لا بد من العمل بمقتضاها ، ولا بد أن يُمْتَحن المؤمن لمعرفة صدق

---

(١) ألقيت في ١٤٠٧/٣/١٩ هـ .

(٢) الملك : ٢

(٣) إشارة إلى معناه في سورة ق : ١٦

إيمانه وقوته وضعفه . وهذه سُنّة الله قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾[١] .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : « ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ : استفهام إنكار ومعناه أن الله تعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان . كما جاء في الحديث الصحيح : « أشد الناس بلاءً الأنبياءُ ، ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابةٌ زيد له في البلاء »[٢] .

والله جلّ شأنه يعلم حقيقة ما في القلوب قبل أن يَبْتلي ، ولكن الابتلاء يكشف للمشاهدة ما هو معلوم في علمه مُغَيّبٌ على البَشر . فيحاسب الناسَ على ما يقع من عملهم . وذلك فضل من الله من جانب . وعدل من جانب ، وتربية للناس من جانب ، فلا يأخُذُ أحداً إلا بما ظهر من أمره وبما حققه فعله ، وكُلُّ ما يُصيب المؤمن من نكد وتعب ، ونَصَب ، وأذى فهو ابتلاء : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٣] ليظهر صبره واحتسابه وقوة إيمانه أو ضد ذلك .

كما أن ما يحصل للإنسان من زخارف الدنيا وشهواتِها ومتَاعها . وعزها وشرفها وعلوها ورفعتها وكثرة المال والولد ، ذلك أيضاً امتحان وفتنة ليظهر مدى شكر العبد لنعَم الله وتجاوبه مع شرع الله وأداء حق الله فيها : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٥ ﴾[٤] ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ

---

(١) العنكبوت : ١ - ٣

(٢) أحمد في المسند : ١٧٢/١ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وإسناده صحيح .

(٣) البقرة : ١٥٥

(٤) التغابن : ١٥

فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾(١) ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾(٢)

وإن من أعظم الفتن وأشدِّها خطراً على العقيدة والإسلام ، وعلى الفرد والجماعة ، ما نشاهده في هذا الزمن من واقع المسلمين وواقع الكافرين ، نرى أمماً ودولاً كافرة لا تدين بدين الحق ولا تحافظ على الفضيلة . ولا تقيم العدل . منغمسة في شهواتها لاهيةً في دنياها . ومع هذا فهي متقدمةٌ في صناعاتها ، متوفرة اقتصادياتها شديدةٌ قوتها ، ترفل في نِعَم الله ولا تشكرها ، وتعيش تحت إرادة الله ولا تؤمن بها . بينما نرى كثيراً من المسلمين في ابتلاء وامتحان ، فمنهم مَن هو في فقر وفاقة وضعف ، ومنهم مَن يُطارَد في بلاده ، ويُمْنَع من إظهار شعائر إسلامه ويماط عن وجهه حجابُ العفة والحصانة ، ومنهم مَن تتابعه بالمُغْريات والمرغبات ، ومنهم مَن تخدعه الماسونية بدعايتها ، ومنهم مَن تلعب به الأهواء في عقيدته وليس من موجه ولا مَنْ يأطره على الحق أطراً ، ومنهم مَن أُخْرِج من دياره . وشُرِّد عن بلاده وسُلبت حقوقه وأمواله وليست لديه قوة يدافع بها ولا يجد مَن يُناصره ويسانده ، إنما يدافع بقوة الإيمان .

وذلك اختبار وفتنة : ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾(٣) وإذا وضعنا حال المسلمين في كفة الميزان السماوي ، ووضعنا حال الكافرين في الكفة الأخرى ، رجحت كفة المسلمين مهما كان الأمر وعلى أي حال . وهذا ميزان الله في آخر سورة آل عمران يكشف الحقيقة ويبيِّن الواقع فلم يكن الله ليترك عباده

---

(١) الأنعام : ١٦٥

(٢) طه : ١٣١

(٣) محمد : ٤ - ٦

المؤمنين يلتبس عليهم الأمر ، ولم يكن ليسلمهم لتفكير تائه ولا إلى نظرة سطحية
قال تعالى ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾[١] ، وهذا في كفة : ﴿ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾[٢] هؤلاء في الكفة الثانية .

فانظر أخي المسلم نظرة اعتبار وتأمل وإنصاف ، أيهما أفضل وأيهما أرجح ؟ امتاع قليل يزول عن قريب بآفة أو بالموت ، وبعده جهنم يُلف فيها الكافر كما يمهد الصبي تضغطه وتصهره من كل جانب : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[٣]

أم الإيمان والصبر على المكاره قليلاً من الزمن وبعده جنات متعددات ، أنهارها جارية ، و ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[٤] ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ﴾[٥] ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾[٦] ﴿ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾[٧] ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[٨] ﴿ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾[٩] ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾[١٠]

---

(١) آل عمران : ١٩٦ - ١٩٧
(٢) آل عمران : ١٩٨
(٣) فاطر : ٣٦
(٤) الحاقة : ٢٣
(٥) الرحمن : ٥٢
(٦) مسلم (الإيمان) المغيرة بن شعبة حديث رقم (٣١٢) وأحمد في المسند : ٣٥٢/١٠٥ - والآية من سورة الزخرف : ٧١
(٧) الرحمن : ٥٦
(٨) الرحمن : ٧٠
(٩) الواقعة : ٣٦ - ٣٧
(١٠) الرحمن : ٥٨ ـ

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[١] ، لا نكد فيها ولا تعب ، ولا هم فيها ولا نَصَب . لا يَبْغُون عنها حِولاً .

فاتقوا الله أيها المسلمون ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[٢] ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾[٣]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[٤]

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ....

* *

---

(١) الصافات : ٤٩

(٢) الحشر : ٢٠

(٣) لقمان : ٣٣

(٤) آل عمران : ٢٠٠

٣٤ - كفالة الأطفال وحضانتهم

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا (١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله واستقام على مِلّته .

أما بعد ..

فإن كفالة الأطفال وحضانتهم واجبة لحقهم ولحفظهم وتعليمهم وتربيتهم . فلا يقر الطفل عند مَن لا يحسن التربية أو يهمل فيها . ولا يقر عند مَن سلوكه سيِّء . وأخلاقه مُتدهورة . لأن في ذلك ضرراً على الطفل ويقدم من الأبوين والأقربين من تتوفر فيه مصلحة الطفل : « جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول اللّه ، إنَّ ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجري له حواء ، وإن أباه طلّقني وأراد أن ينزعه مني . فقال صلى اللّه عليه وسلم : « أنتِ أحق به ما لم تنكحي » (٢) .

---

(١) خطبة الحاجة والنكاح - أحمد في المسند برقم (٤١١٦) ، (٣٧٢١) ، والنسائي في النكاح : ٦/٨٩ ، وابن ماجه برقم (١٨٩٢) ، والبغوي في شرح السُنَّة برقم (٢٢٦٨) كلهم من حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه ، وإسناده صحيح والبيهقي في السنن الكبرى : ٣/٢١٤

(٢) أحمد في المسند : ٢/١٨٢ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد اللّه بن عمرو ابن العاص رضي اللّه عنه ، وإسناده حسن ، وأخرجه أبو داود أيضاً (الطلاق) باب رقم (٣٥) .

وروي أنّ أبا بكر الصدِّيق رضي اللّه عنه قضى على عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه بتسليم ابنه عاصم لأمه وقال : ريحها ولطفها خير له منك (١) .

وإذا بلغ الطفل سبع سنين فالذكر يُخيَّر بين أبويه ، فمَن اختار منهما صار عنده (٢) .

جاءت امرأة إلى رسول اللّه ﷺ فقالت : يا رسول اللّه ، إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عنبه وقد نفعني . فقال عليه الصلاة والسلام للصبي : « هذه أمك وهذا أبوك فخذ بيد أيهما شئتَ » ، فأخذ بيد أمه فانطلقت به .

أما الأنثى .. فإذا بلغت سبع سنين فالأصلح لها أن تكون عند أبيها لرعايتها ولرفع شأنها وقدرها (٣) .

وإذا كان الطفل عند أحد الأبوين لنشوز أو فراق . فلا يُمنع من زيارة الآخر ، بل يجب أن يُعلَّم البر والصلة ، ولا يجوز أن يُجعل الأولاد أداة انتقام فيُمنع من زيارة الأب أو الأم لقصد الإساءة والانتقام .

الطفل يتأثر نفسياً وبدنياً إذا رأى الخلاف بين أبويه ، فما بالكم إذا رأى الفُرقة . وجُعِل أداة انتقام دون مراعاة لمصلحته . ودون إحساس بشعوره .

---

(١) أخرجه مالك في موطئه برقم (١٤٥٤) ص ٥٤٥ بمعنى هذا الآخر وأخرجه البغوي في شرح السُنّة (٢٤٠٠) : ٣٣٣/٩٤ ، المغني : ١١٤/٧

(٢) أحمد في المسند برقم (٧٣٤٦) ، وأبو داود : (٣٢٧٧) ، والترمذي : (١٣٥٧) ، وابن ماجه : (٢٣٥١) كلهم من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه ، وإسناده صحيح .

(٣) أخرج معناه الإمام أحمد برقم (٦٧٠٧) ، وأبو داود برقم (٢٢٧٦) وهو نفس حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنه ، انظر : شرح السنة للبغوي : ٣٣٣/٩ - ٣٣٦ في هذا الموضوع .

ليس في مصلحة الصبى أن يُترك هائماً في الشوارع وفي النوادي دون رعاية .

وليس من مصلحة الصبية أن تُترك تتردد على الباعة والخياطين ، وتنتقل من دكان لآخر ، فاتقوا الله أيها المسلمون ، وأحسنوا رعايتكم وقوموا بولايتكم وأدوا أماناتكم .

ثم اعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[1]

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥ - الأمر بالمعروف (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له . خلق فقدَّر وشرع فيسَّر وربى فطهَّر . وأعطى وكثَّر . ونهى وأمر .

وكل أمر مستقر : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾(٢) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الطاهر المطهَّر ، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك ونبيك محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه وسار على سبيله .

أما بعد ..

فإنَّ اللَّه تبارك وتعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ووضع الحدود ، للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإقامة العدل بين الخلق . فمَن عمل بالمعروف وترك المنكر دخل الجنة . ومَن عمل بالمنكر وترك المعروف دخل النار .

والإسلام - وهو دين اللَّه الذي أنزل على رسوله محمد ﷺ - إنما شَرع الولاية وقسَّم المسئوليات وشرع الجهاد وفصَّل النظم والتعاليم إلا للعمل بها ولا تحصل الاستقامة عليها إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

---

(١) ألقيت في ١٤٠٣/٢/١٩ هـ .

(٢) الأنعام : ١٨

والإسلام سلطان يستمد قوته من الله تبارك وتعالى فهو مأمن للمسلم من شرور نفسه ومن غوائل شهواته .

ومأمن لجميع الناس يحافظ على دمائهم وأعراضهم وأموالهم وينشر العدل بينهم .

والخالق تعالى جعل في الإنسان غرائز وميولات من أجل عمارة هذا الكون .

فإذا لم يكن في قلبه قوة إيمان وتقوى تجعله يخاف الله ويرجوه . وتنير له طريق الهدى في هذه الحياة مالت به تلك الرغباتُ عن الصراط السوي .

فإذاً لا بد له من سلطان آخر يرد الظالم عن ظلمه . ويهدي الضال التائه إلى صوابه .

فإذا فُقد هذا وذاك أشرفت الأمة على الهلاك والدمار كما نشاهد في بعض الأقطار الإسلامية : إسلام بلا تطبيق . وشعائر دين بلا تنفيذ . اسم بلا مسمى .

إننى حينما أتكلم في هذا الأمر المهم لا أقصد إنساناً بشخصه ولا بلداً بعينه .

أيها المسلمون في كل مكان .. اسمحوا لي أن أصارحكم وأناصحكم ؛ إنَّ أكثر الناس غفلوا عن الحياة الحقيقية . وغفلوا عن مهمتهم في هذه الدنيا . نسوا ربهم ونسوا وعده ووعيده ، ونسوا قرآنهم وأحكامه . وإسلامهم وشرائعه . الروح الإسلامية قد ماتت ، والدم الإسلامى مثلج بارد ، والغيرة لله فقدت .

الصلوات ضُيِّعت . والجماعات أهملت . والزكاة مُنِعت ، وأرباح الربا أُكِلت . والخمر والمخدرات شُرِبت . والفواحش بأنواعها انتشرت . والنساء على الرجال سيطرت . والجِمَالُ استنوقت . وآيات القرآن هُجِرت وشعائر الإسلام حوربت . وعقيدة التوحيد حوصرت ، والدراسات الإسلامية قلِّصت ، وشهادة الزور ظهرت . والكذب والغش والغيبة والنميمة حدِّث ولا حَرَج ، وأكل أموال الناس بالباطل والرشوة سيطرت على النفوس ، والناس في حب الدنيا تفانت . فكل شيء للدنيا ومن أجل الدنيا : ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝١٨٥﴾(١)

---

(١) آل عمران : ١٨٥

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب إسلامي لا يستقيم الأمر إلا به . ولا يُرفع الظلم إلا به ، ولا يُنشر العدل إلا به . ولا تصلح الشعوب والحكومات إلا به .

إنه واجب على كل مسلم بحسب قدرته وطاقاته .

قال صلى الله عليه وسلم : « مَن رأى منكم مُنكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان » [١] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلٌ مسئول عن رعيته » [٢] .

بعض الناس يظن أن الأمر بالمعروف مجرد وظيفة ومعاش ، وليس الأمر كذلك بل هي منصب إسلامي من أعلى المناصب وأشرفها .

فهو وظيفة سيد الخلق نبينا محمد ﷺ وإخوانه الرسل من قبله . وهو دعوةٌ إلى الله وإلى شرع الله . وإلى فضائل الإسلام ومكارم الأخلاق .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [٣] ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [٤]

فأي منصب أشرف من هذا المنصب . فما بال الناس عنه معرضين . إنني أحذركم خطر التهاون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأنتم ترون وتقرؤون

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان رقم (٤٩) .

(٢) البخاري : ٣١٧/٢ ، ومسلم (١٨٢٩) ، وأحمد : ٥/٢ ، ٥٤ ، ١١١

(٣) يوسف : ١٠٨

(٤) الأعراف : ١٥٧

وتسمعون الكوارث والمحن التي تنزل في بعض الجهات . إنها آثار المعاصي . ونتائج ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾(١) فكم للريح من غارات تُهلك الحرث والنسل . وكم للبحار من صفيان تغمر ما حولها . وكم للأنهار من فيضانات تسحق ما تمر عليه . وكم للأمطار والصواعق من كوارث . وكم للزلازل من رجفات تدمر المدن والقرى . وكم للبراكين من حمم ولهب .

وكم سلّط الله أحقر خلقه - الجراد والقُمّل والضفادع والبعوض - على الطغاة ، وكم سلّط الله شرار الأمة على خيارها إذا عصوه . ولم تتمعر وجوههم لله .

وكم من نعمة زالت بمعصية المنعم ، وكم من شرف وجاه عاد صاحبه حقيراً ذليلاً ، وكم ظهر من أنواع الأمراض التي لم تكن في أسلافنا ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾(٢)

وكم لله عزّ وجلّ من قوة قاهرة تَخْرق العادات وتهز الأرض والسموات ، إنها سياط يؤدب الله بها خلقه رحمة بهم لينقذهم من عذاب أليم سرمدي . وليدخلهم في رحمته ودار نعيمه .

لكن مَن أبَى . فلم تنفعه المواعظ . ولم توقظه العِبَر . ولم يتأدب مع خالقه . فلا يلومنّ إلا نفسه .

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾(٣)

---

(١) الأنفال : ٢٥

(٢) الروم : ٤١

(٣) العنكبوت : ٤٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ٣٣ ﴾(١)

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾(٢)

توبوا إلى الله واستغفروه : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ ﴾(٣)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ....

* *

(١) لقمان : ٣٣

(٢) فاطر : ٦

(٣) الزمر : ٥٤

٣٥ - صدق أبيٍّ

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(١)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾(٢)

ثم اعلموا أن ليوم الجمعة آداباً يعلمها الكثير ولكن المهم هو العمل .

روى أبو داود وابن خزيمة عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « مَن اغتسل يوم الجمعة ومسَّ من طيب امرأته إن كان لها . ولبس من صالح ثيابه ثم لم يتخط رقاب الناس ولم يلغُ عند الموعظة كان كفارةً لما بينهما » (٣) .

والذي يتخطى رقاب الناس إنما يتخذ جسراً إلى جهنم لأنه آذى إخوانه المسلمين . أتَى متأخراً فأخذ يبحث عن مكان في مقدمة المسجد . يركض هذا برجله . ويلْطِم رأس هذا بنعله التي في يده ، وأخيراً يفرِّق بين اثنين بدون إذنهما .

---

(١) غافر : ٣

(٢) الطلاق : ٥

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٣٤٧) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٧٧٥) ، وهو صحيح .

هذا منكر أنكره نبينا محمد ﷺ وهو يخطب على المنبر فقال : « اجلس فقد آذيت وآنيت » (١) .

أما الكلام والإمام يخطب ؛ فإنه مبطل لأجر الجمعة الذي يكفِّر سبعة أيام ، فإذا شرع الإمام في الخطبة وجب الإنصات وحرم الكلام إلا مع الإمام . فإذا قلتَ لصاحبك : أنصت والإمام يخطب فقد لغوت . كما في حديث البخاري ومسلم (٢) .

وروي البزار وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً » (٣) ، وقرأ رسول الله ﷺ سورة براءة وهو يخطب يوم الجمعة . فقال أبو ذر لأُبَيّ : متى نزلت هذه الآية ؟ فلم يجبه . فلما انصرف من الصلاة قال له : ما لكَ من جمعتك إلا ما لغوت . فأخبر أبو ذر النبي ﷺ فقال : « صدق أُبَيّ » (٤) .

وسأل ابن مسعود أُبَيّ بن كعب والإمام يخطب عن مسألة علمية فلم يرد عليه ، فلما انصرف قال : إنك لم تحضر معنا الجمعة لأنك تكلمت والنبي ﷺ يخطب ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « صدق أُبَيّ .. أطع أُبَيّاً » (٥) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، إذا جاء أحدكم إلى المسجد فليجلس حيث وصلت الصفوف . وإذا خطب الإمام فأنصتوا . وصلّوا على البشير النذير ....

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (١١٨) ، والنسائي : ١٠٣/٣ ، وابن خزيمة : ١٥٦/٣ ، وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري : ٢١٤/٢ (الفتح) ، ومسلم (٨٥١) .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٤/٢) : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير وعنه مجالد بن سعيد وقد ضعفه الناس ووثقه النسائي في رواية .

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٨٠٧) ، وابن ماجه : الإقامة (٨٦) ، وأحمد : ١٤٣/٥ وهو صحيح .

(٥) قال المنذري في الترغيب والترهيب (٥٠٧/١) : رواه أبو يعلي بإسناد جيد وابن حبان في صحيحه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٦ - الحديث القدسي : يا عبادي [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [٢] .

﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له . قيومُ السموات والأرضين . ومدبرُ الخلائق أجمعين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . وصفوته من خلقه . أعطاه القرآن ومثله معه [٤] وخصه بجوامع الكلم [٥] ، وسماحة الدين ، وشمول الرسالة .

صلَّى اللَّه وسلم عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى آلهم وأتباعهم بإحسان أجمعين .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أوصيكم وإياي بتقوى اللَّه ومراقبته في السر والعلانية :

---

(١) ألقيت في ١٣٩٥/٤/٧ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢ - ٣

(٣) التغابن : ١

(٤) إشارة إلى حديث أبي رافع رضي اللَّه عنه : أحمد في المسند : ٨/٦ ، وأبو داود (٤٦٠٥) وإسناده صحيح .

(٥) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه : البخاري برقم (٦٩٩٨) ، التعبير ، ومسلم : المساجد رقم (خاص ٥) ، و (عام ٥٢٣) ، وفيه هذا اللفظ : « أعطيت جوامع الكلم » ، وفي البخاري : « أوتيت فواتح الكلم » .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١)

أيها الإخوة في الإسلام .. إنَّ اللّٰه تبارك وتعالى قد أنعم على بني آدم . إذ أوجدهم من العدم . ورباهم بجميع النعَم .

خلق لهم ما في الأرض جميعاً . وتكفل بأرزاقهم ورعايتهم وتدبير شئونهم . وحفظ مقومات حياتهم . ويسّر لهم طرق الخير والسعادة .

ومع هذا الفضل العظيم . والإحسان الكبير فإنه سبحانه يتودد إلى عباده . ويتحبب إليهم . يُعرِّفهم بعظمته وجلاله وقدرته وكبريائه . ويبرهن لهم على كمال ربوبيته ، ووحدانيته في ألوهيته . وكمال قدرته واستغنائه عن خلقه . ويُعرِّفهم بأنفسهم ويبيِّن لهم ضعفهم وفقرهم وشدة حاجتهم إليه . لعلهم أن يقدِّروه حق قدره . وأن يؤدوا الواجب له . وأن يشكروه على آلائه ، فهلم بنا - أيها المؤمنون - نتأمل هذا الحديث الشريف القدسي من كلام المصطفي صلى اللّٰه عليه وسلم .

روى الإمام مسلم رحمه اللّٰه في صحيحه ، عن أبي ذر الغفاري رضي اللّٰه تعالى عنه ، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عزَّ وجَلَّ أنه قال : « يا عبادي ، إني حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا . يا عبادي ، كلكم ضالٌّ إلا مَن هديته فاستهدوني أهدكم . يا عبادي ، كلكم جائع إلا مَن أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ، كلكم عارٍ إلا مَن كسوته فاستكسوني أكسُكم . يا عبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً . فاستغفروني أغفر لكم » (٢) .

« يا عبادي ، إنكم لن تبلغوا ضُري فتضروني . ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني .

---

(١) الحشر : ١٨

(٢) مسلم : البر (٥) ، والنسائي : القيامة (٨٨) ، وابن ماجه : الزهد (١٥٤) .

يا عبادي ، لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في مُلْكي شيئاً . يا عبادي ، لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من مُلْكي شيئاً . يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد ، فسألوني فأعطيتُ كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادي ، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمَن وجد خيراً فليحمد الله ، ومَن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه »[(١)] .

تأملوا أيها المسلمون هذا الحديث النبوي الكريم .

تأملوا هذا الأسلوب الرائع .. تأملوا الفصاحة والبيان .

تأملوا جوامع الكلم التي اختُص بها المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

تأملوا هذه الكلمات الموجزات وما اشتملت عليه من المعاني .

تأملوا هذا النداء الكريم من رب العالمين .. نداءٌ يلفت الانتباه ويأخذ بمجامع القلوب الطيبة . فمَن أنت يابن آدم ومن أي شيء خلقت وما هي حياتك وما هو مآلك .

هذا رب العالَمين .. مالك الملوك . وقيوم السموات والأرضين يتودد إليك ويتحبب إليك بنعمه وآلائه ، ويناديك بأشرف الصفات : يا عبادي . يا عبادي . يا عبادي ، يكررها في هذا الحديث عشر مرات ، وأنت لاهٍ عن ربك متنكر لآلائه وإحسانه . تقابلها بالمعاصي والجحود . نسيت حقيقة أمرك فاغتررت بما آتاك ربك من الصحة والنعَم والعقل والإدراك والإبداع والاختراع والتقدم والنجاح . ونسيتَ ربك الذي منه منشأك وإليه معادك .

---

(١) مسلم في الصحيح البر والصلة ، باب (١٥) ، باب : تحريم الظلم ، حديث رقم (خاص ٥٥) ، و (عام ٢٥٧٧) ، وذلك عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنه بسياق طويل :

٤/١٩٩٤ - ١٩٩٥

تأملوا هذا الحديث القيم لعل الله أن يفتح بصائرنا لمعرفته سبحانه . ومعرفة عظمته وجلاله . ولعلنا أن نعرف أنفسنا وضعفنا وواقع الحال منا .

يقول سبحانه : « يا عبادي ، إني حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا » .

الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه . والله تبارك وتعالى هو الحكيم العليم يضع الأشياء في مواضعها .

ورحمة الله وفضله وإحسانه جعل الظلم مستحيلاً في حقه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١) ، فهو سبحانه لا يرجو أحداً ولا يخاف من أحد . ولا يحتاج إلى أحد . بل هو مستغن عن كل أحد ، وكل شيء ملكه وتحت أمره ، لكن ابن آدم ظلوم جهول ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾(٢) طماع يتطلع إلى ما ليس له ، يحب الغلبة والقهر والسيطرة وليست له ، ويخاف من غيره ويحتاج إلى غيره . فالظلم حينئذ من صفاته ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(٣) ، وحيث إن الظلم فيه فساد الدنيا والدين ، واستعباد الناس لغير الله ، حرَّمه الله وتوعَّد الظالمين بالطرد والإبعاد من رحمته . وتوعَّدهم بالذل والهوان والعذاب الأليم .. ألا لعنة الله على الظالمين (٤) .

« يا عبادي ، كلكم ضال إلا مَن هديته » .

خُلِق ابن آدم لا يعلم شيئاً ، فلو تُرِك الإنسان لنفسه وشهواته لاستهوته الشياطين ولغلبت عليه الشهوات . لذلك فإنه في أشد الحاجة إلى خالقه

---

(١) النساء : ٤٠

(٢) إبراهيم : ٣٤

(٣) إبراهيم : ٣٤

(٤) إشارة إلى معناه في سورة الأعراف : ٤٤

والاعتصام بربه ليسأله التوفيق ويلهمه طريق الرشد والصلاح : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١]

ولما كانت الهداية هي أساس السعادة والصلاح . وهي طريق النجاة ، أوجب الله على عباده المؤمنين أن يطلبوا منه الهداية في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة على الأقل . فيقول في كل ركعة من الصلاة المكتوبة : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾

« يا عبادي ، كلكم جائع إلا مَن أطعمته » .

الخلق كلهم فقراء إلى الله . والله هو الغني الحميد . فلا يستطيع الإنسان أن يتحصل على ما يطرد جوعه وما يستر عورته إلا ما كتب الله له ، فلو اجتمعت الجن والإنس على أن ينفعوا إنساناً بشيء لم ينفعوه إلا بما كتب الله له [٢] ، لذلك حثنا الرب جلَّ جلاله على طلب الرزق منه والاعتماد عليه وحده والطمع فيما عنده وحده مع فعل الأسباب المشروعة .

« يا عبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم » .

هذا هو واقع الحال منا : كلنا خطّاؤون . كلنا مذنبون . وكلنا مقصرون . كلنا إعراض وصدود وإهمال . فرغّبنا سبحانه في عفوه وسعة رحمته ، فما على الإنسان إذا وقع في معصية الله إلا أن يتوجه إلى الله بنِّيةٍ صادقة وقلب ناصح ،

---

(١) آل عمران : ١٠١

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه : الإمام أحمد في المسند : ١٩٣/١ وإسناده حسن ، وأخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب صفة القيامة حديث رقم (٢٥١٦) من هذا الوجه واللفظ ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

فيقول : أستغفر اللّٰه العظيم الذي لا إلَهَ إلاَّ هو الحي القيوم وأتوب إليه ، واللّٰه يفرح بتوبة عبده (١) ، فيغفر ذنوبه ويستر عيوبه .

إنَّ الاستغفار يحط الخطايا كما تحت الرياح ورق الشجر وقت جفافه . والتوبة تَجُبُّ ما قبلها (٢) وإن كانت كبائر الذنوب كالجبال الشامخات . وباب التوبة مفتوح على مصراعيه للتائبين حتى تطلع الشمس من مغربها (٣) . ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٤)

« يا عبادي ، إنكم لن تباغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني » .

الخلق كلهم مِلْكٌ للّٰه وفي قبضته وتحت قهره . ولكهم ضعفاء فقراء إليه . فلم يتعرف إليهم بآياته . ولم يتودد إليهم بالنعم لا رجاء نفعهم ولا خوف ضرهم . وإنما رحمة بهم وإحساناً إليهم . ومهما أعطى الإنسان من الصحة والقوة ، ومهما بلغ من الفهم والإدراك والتقدم ، فهو ضعيف للّٰه يعيش في مجال ضيق محدود مآله إلى الفناء والزوال .

ما السموات في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم إن شاء قبضها وإن شاء أرسلها (٥) ، وإن شاء أفناها وإن شاء أبقاها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه ، مسلم : برقم (٣٧٤٧) ، والبغوي في شرح السُنَّة (١٣٠٣) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث عمرو بن العاص رضي اللّٰه عنه بسياق طويل وفيه أن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله ، أخرجه : أحمد في المسند : ١٩٨/٤ ، ١٩٩

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه : مسلم في الصحيح ، الذكر والدعاء رقم (خاص ٤٣) ، و (عام ٢٧٠٣) .

(٤) الزمر : ٥٣

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الزمر : ٦٧ ، وأما هذا الحديث فلم أقف على لفظه وإنما أخرج البخاري ومسلم ، والترمذي والنسائي وابن جرير الطبري وغيرهم كما عزاه السيوطي إليهم في الدر المنثور (٢٤٦/٧) ، بهذا المعنى أو قريباً منه ، واللّٰه أعلم .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾(١)

« يا عبادي ، لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في مُلْكي شيئاً » .

إنما أمر الله عباده بطاعته ونهاهم عن معصيته لصالح أنفسهم والله غني عنهم : « سبحان الله والحمد لله والله أكبر » . فلا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي . وكل أمره سبحانه وكل نهيه جلَّ وعلا في صالح العباد لإصلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم . فهو قادر على أن يُذهب هذا الكون كله ويأت بخلق جديد ، ﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ١٣٣ ﴾(٢) ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠ ﴾(٣)

فالقادر على خلق كل شيء وإفناء كل شيء مستغنٍ بذاته عن كل شيء .

« يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر » .

هذا خبرٌ حقٌ مُشاهَدٌ بالعيان . ومَثَلٌ رائع . فخزائن الله سحاء الليل والنهار لا تغيض مع كثرة الإنفاق : و ﴿ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾(٤) فلا تنقص من كثرة الانفاق ، فنحن نشاهد السحاب المسخَّر بين السماء والأرض

---

(١) فاطر : ٤١

(٢) النساء : ١٣٣

(٣) النحل : ٤٠

(٤) المائدة : ٦٤

ينشأ غماماً في جو الصحراء . ثم يؤلِّف الله بينه . ثم يجعله ركاماً : ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾(١) وفى لحظة واحدة ترتوى الأرض وتسيل الشعاب . وتجري الأودية وتمتليء السدود . ونرى السحاب لم ينقص بل ازداد تكثفاً وتراكماً وثقلاً بالماء . فسبحان مَن عطاؤه كلام . ومنعه كلام : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾(٢)

الله أعلم بمصالح خلقه وأحوالهم وعاقبة أمورهم : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾(٣)

ثم ختم هذا النداء والتوجيه بقوله : « يا عبادي ، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها » ؛ لبيان الحكمة في الخلق والرزق . والأمر والنهى .. وهو إنفاذ القدرة الشاملة . والحكمة البالغة ، ومعرفة المطيع من العاصي ، ثم : ﴿ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾(٤).

« فمَن وجد خيراً فليحمد الله » – على توفيقه وهدايته . « ومَن وجد غير ذلك » – فبما كسبت يداه – « فلا يلومنَّ إلا نفسه » (٥) .

فاتقوا الله عباد الله .. تعرَّفوا إلى الله بآياته ودلائل قدرته وآثار رحمته ونعمه وآلائه . وتقرَّبوا إليه بطاعته وطاعة رسوله . واعرفوا فقرنا وحاجتنا إليه أشد من حاجتنا إلى الماء والهواء . فكونوا دائماً وأبداً على صلة بربكم . اطلبوا منه الهداية والتوفيق ، توجهوا إليه في قضاء حوائجكم . واطلبوا منه

---

(١) النور : ٤٣

(٢) يس : ٨٢

(٣) الشورى : ٢٧

(٤) البقرة : ٢٨١ ، آل عمران : ١٦١

(٥) إشارة إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه ، مسلم : البر والصلة رقم (خاص ٥٥) ، و (عام ٢٥٧٧) .

المدد وحده ، واطلبوا منه كشف الكربات وحده ، فإنه هو القادر على ذلك كله وحده . ومَن سواه من الأنبياء والصالحين والأولياء والمقرّبين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء اللّه [١] .

تعرّفوا إلى اللّه في الرخاء يعرفكم في الشدة [٢] ، فإنه قريب مجيب دعوة الداعي إذا دعاه [٣] .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم . وانفعنا به وبسُنّة نبينا الكريم .

اللّهم الهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . واهدنا الصراط المستقيم .

أقول قولي هذا ، وأستغفر اللّه العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى سورة الأعراف : ١٨٨ ، ويونس : ٤٩

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي اللّه عنه بسياق طويل وفيه هذا اللفظ ، أحمد في المسند : ١٠٧/١ وإسناده صحيح كما مضى عند الترمذي .

(٣) إشارة إلى سورة البقرة : ١٨٦

٣٦ - ليس بين الله وبين خلقه واسطة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله أحمده وأستعينه . وأستغفره وأتوب إليه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . صلَّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. اتقوا اللّه تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(١) .

اعتصموا بكتاب اللّه . وبهَدْي نبيه ﷺ .

واحذروا البدع ومحدثات الأمور في التشريع : « فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة . وكل ضلالة في النار » (٢) .

اعبدوا اللّه بما شرعه اللّه على لسان نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم . توجهوا إلى اللّه تجدوه أمامكم . تقرَّبوا إليه بصالح الأعمال ، وتعرَّفوا إليه بطاعته وطاعة رسوله تجدوه ذخراً لكم .

ولا تجعلوا بينكم وبينه واسطة . فإنه قريب منكم يراكم ويسمع دعاءكم ويعلم

---

(١) الطلاق : ٢ - ٣

(٢) هذا جزء من حديث جابر الأنصاري رضي اللّه عنه : مسلم في الصحيح كتاب : الجمعة حديث رقم (٤٣ خاص) ، و (عام ٨٦٧) .

أحوالكم . وهو مستوٍ على عرشه بائن من خلقه [١] فأنتم في قبضته وتحت إحاطته . فعلقوا آمالكم به : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا ﴾[٢] ورغبة ورهبة ولا تعلقوا آمالكم بما لا ينفع ولا يضر من القبور والأبواب والحيطان والشبابيك . وما ذلك إلا من دسائس أعداء الدين .

فاتقوا الله عباد الله ، وقيسوا أعمالكم بمقياس الشريعة الإسلامية : كتاب الله وسُنَّة نبيه الثابتة الصحيحة .

وصلُّوا على النبي الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين ، فقال جلَّ منْ قائل عليم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾[٢] .

اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الحوض المورود والمقام المحمود .

اللَّهم ارض عن الأربعة الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين . ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهم ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهم أعز الإسلام والمسلمين . وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، يارب العالَمين .

اللَّهم أدم الأمن والاستقرار في أوطاننا . وانصر واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما يصلح العباد والبلاد ، وكن لهم مؤيداً وناصراً .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سبع مواضع في كتاب الله تعالى ومنها طه : ٥

(٢) الأعراف : ٥٥

(٣) الأحزاب : ٥٦

اللّهم أصلح ولاة أمور المسلمين ، واهدهم سبل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللّهم انصر جيوش المسلمين ووحِّد صفوفهم واجمع شملهم وقوِّ شوكتهم . وثبت أقدامهم وانصرهم على القوم الكافرين .

اللّهم اخذل اليهود وأعوانهم . اللّهم فرِّق جمعهم وشتت شملهم وأذهب ريحهم وأنزل الرعب في قلوبهم ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم واجعلهم عبرة في الهزيمة للمعتبرين .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات .

اللّهم فَرِّج هم المهمومين ونفِّس كرب المكروبين . واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

اللّهم اهدنا الصراط المستقيم : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾(١)

عباد الله .. اذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ۝٤٥ ﴾

* * *

(١) الفاتحة : ٧

(٢) العنكبوت : ٤٥

الباب الثاني

الاعتصام .. والطاعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٧ - الدين النصيحة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه رب العالَمين . قسَّم بين العباد أخلاقهم كما قسَّم أرزاقهم .

اللّهم اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، أمر بالتناصح وبعث به المرسلين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله متمماً لمكارم الأخلاق ، فكوَّن أمة ذات أدب رفيع ، وخُلُق كريم ، فكان أحدُهم مرآة أخيه .

اللّهم صلِّ وسلِّم على الناصح الأمين ، عبدك ورسولك محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن التناصح قاعدة من قواعد الدين ، فلا تتحقق المصالح ولا تُدرأ المفاسدُ ولا تستقيم الأمور إلا بالتناصح ، والنصح دليل حُسْن الخُلُق . وحُسْنُ الخُلُق أساس كل خير ، ومصدر كل فضيلة . وأحسن الناس أخلاقاً وأنصحهم وأنفعهم للناس رسول اللّه ﷺ فقد أدَّبه ربه فأحسن تأديبه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[٢]

وللمسلم في رسول اللّه ﷺ أسوةٌ حسنة ، يتأدب بآدابه ويتحلى بأخلاقه ، ويقتفي أثره ، ويعمل بسنَّته وينصح لأمته .

---

(١) ألقيت في ١٤١٠/١٠/٢٣ هـ .

(٢) القلم : ٤

فالمسلم عليه واجبات لربه الذي خلقه . ولكتاب الله الذي هو نظام حياته . ولرسوله الذي هداه وأنقذه . ولولاة أمره الذين يتعبون لراحته . ولأخوته في الله الذين يشدون أزره ويعتصمون بحبل الله معه ، وبين أيدينا حديث من جوامع كلمه - صلى الله عليه وسلم - له شأن عظيم وهو أحد قواعد التشريع . يدور عليه الفقه وخصال الدين . وهو قوله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم : « الدين النصيحة » ، وعند الترمذي كررها ثلاثاً .

روى مسلم رحمه الله عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه : أنَّ النبي ﷺ قال : « الدين النصيحة » قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ، ولكتابه ولرسوله . ولأئمة المسلمين . وعامتهم » (١) .

قال النووي (٢) : هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام ، وأما ما قاله جماعة من العلماء بأنه أحد أرباع الإسلام . أي : أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام ، فإنما لهم وجهة نظر من ناحية والمدار على هذا وحده . والنصيحة كلمة جامعة معناها - أي في حق المخلوق - حيازة الحظ للمنصوح له ، وهو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام . وليس في كلام العرب كلمة أجمعُ لخيري الدنيا والآخرة منه .

و « النصيحة » مأخوذة من « نَصَحَ الرجل ثوبه » إذا خاطه بالمنصحة - وهى الإبرة - فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب .

وقيل : « النصيحة » مأخوذة من نصحتُ العسل إذا صفيتُه من الشمع . شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط .

---

(١) مسلم : الإيمان برقم (٥٥) ، والبغوي في شرح السُنَّة برقم (٣٥١٤) كلاهما من حديث تميم الداري رضي الله عنه ، وللإمام البغوي - رحمه الله تعالى - عليه كلام جيد مفيد للغاية فراجعه : ١٣/٩٤ - ٩٦

(٢) شرح سملم : ٢/٣٧

وقال في فتح الباري : يقال : نصح الشيء إذا أخلص ، ونصح له القول إذا أخلص له . والمعنى : أنه يَلُم شعث أخيه بالنصح كما تلم المنصحة . ومنه التوبة النصوح : كأن الذنب يُمزق الدين والتوبة تَخيْطُه .

ومن المعلوم أن الله تعالى غني عن نصح كل ناصح . وغني عن طاعة الطائعين . ولا تضره معصية العاصين ، فلو كان الخلق كلُهم على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في مُلْكه شيئاً . ولو كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من مُلْكه شيئاً . فسبحان الواحد القهار .

فالنصيحة لله شدة العناية باتباع محبته فى أداء ما افترض ومجانبة ما حرَّم وإيثارُ محبة الله على محبة الإنسان نفسه وأهله وولده وماله والخلق أجمعين . والإيمان به وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال . وتنزيهُه سبحانه وتعالى عن جميع النقائص . وصحةُ الاعتقاد في وحدانيته . وإخلاصُ النيِّة له في عبادته . ووصفُه بما وصف به نفسه ووصفَه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾(١)

ومن النصح لله القيام بطاعته واجتنابُ معصيته والحبُ فيه والبغض فيه ، وموالاة مَن أطاعه ومعاداة مَن عصاه ، وجهاد مَن كفر به ، والاعتراف بنعمته وشكره عليها . والدعوة إليه وإلى صراطه . والتلطف بالناس في ذلك ، قال بعض الصحابة : إنَّ أحبَّ عباد الله إلى الله الذين يُحَبِّبون الله إلى عباده ، ويُحَبِّبون عباد الله إلى الله ، ويسعون في الأرض بالنصيحة .

ومنفعة النصح لله راجعة إلى العبد نفسه في صلاح أمره كله ، والله غني عن خلقه ونصحهم . ولكنه بهم رؤوف رحيم .

وأما النصيحة لكتاب الله فالإيمان بأنه كلام الله وشدةُ محبته وتعظيم قدره .

---

(١) الشورى : ١١

والحرصُ على فهمه وتدبرُ معانيه . والتعبدُ بتلاوته . وإقامة حدوده والحكم بأحكامه والتصديق بوعده ووعيده والاعتبار بمواعظه وقَصَصِه . والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه . والدعوة إليه وتعلمه وتعليمه . وذب تحريف المبطلين عنه ، ورد طعن الملحدين ، والدعوة إليه والتحلي بآدابه .

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ . فالإيمان برسالته والتصديق بما أخبر به . وطاعته في أمره ونهيه . وإعظام حقه وإحياء سُنَّته ونشر شريعته والدعوة إليها والدفاع عنها . ومحبته أحب من النفس والأهل والولد والناس أجمعين . وموالاة مَن والاه ومعاداة مَن عاداه ، والاقتداء بأخلاقه والاهتداء بهَدْيه . ومحبة أزواجه وأصحابه وآله ومَن سار على نهجه .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين - وهم الولاة الذين يلون أمر هذه الأمة - فالنصح لهم حبُ صلاحهم ورُشدِهم وعدلِهم ، وحبُ اجتماع الأمة عليهم وكراهةُ الافتراق وتأليفُ القلوب عليهم وجمعُ الكلمة بهم ورُد القلوب النافرة .

والتدينُ لله بطاعتهم في المعروف . ومعاونتُهم على إنفاذ الحق وعلى قمع المفسدين ، وعلى الأخذ على أيدي السفهاء والمخربين ، وسدُ خلتهم عند الهفوة . وتذكيرُهم بلطف ورفق ، ووعظُهم بالحكمة والموعظة الحسنة . وإعلامُهم بما غفلوا عنه من حقوق الرعية . وتحذيرهم من الاغترار بالثناء الكاذب والتملق المزيف ، وحثهم على التمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وأداء الصدقات إليهم ، والدعاء لهم بالصلاح والاستقامة والتوفيق . وحبُ إعزازهم في طاعة الله . واجتناب الخروج عليهم ، ولو ظهر منهم حيف أو تصرف لا يرضاه المرء فيجب السمع والطاعة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩ ﴾(١)

---

(١) النساء : ٥٩

وأما النصيحة لعامة المسلمين فإرشادهم إلى مصالحهم ، وتعليمُهم أمور دينهم ودنياهم ، وسترُ عوراتهم ، وسدُ خلاتهم ، ونصرةُ المظلوم منهم ، وكفُّ الظالم عن ظلمه ، ومجانبةُ غشهم ، ودفعُ الأذى عنهم ، ومواساة فقيرهم ، وتوقيرُ كبيرهم ، ورحمةُ صغيرهم ، والتلطفُ باليتيم ، والدعاء لهم والاهتمام بأمورهم ، والمحافظة على أموالهم وأعراضهم ودمائهم ، وكفُ جميع وجوه الأذى عنهم ، والحذر من غشهم ، ومن الحقد والحسد ، وتخللهُم بالموعظة الحسنة . وأمرُهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بلطف ورفق وحكمة ، والتواضع لهم .

ذكر ابن رجب [١] عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال : ما أدرك عندنا مَنْ أدرك بكثرة الصلاة والصيام ، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنُصْحِ للأمة . وكان السَلَف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً . حتى قال بعضهم : مَنْ وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ، ومَنْ وعظه على رؤوس الناس فإنما وبَّخه . وقال بعض الفضلاء : المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويُعيِّر . وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن أمر السلطان بالمعروف فقال : إن كنتَ فاعلاً ولا بد ففيما بينك وبينه . أ هـ .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. أدُّوا النصيحة لأهلها ، وتناصحوا فيما بينكم ، وليكن أحدكم مرآة أخيه ، فإن رأى به أذىً فليمطه عنه وينبهه عليه .

اللّهم ألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونسألك اللّهم سلامة الصدور ، وسخاء الأنفس ، وحلاوة المنطق ، ولين الجانب ، والنصح لكل مسلم ، وحب المساكين .

ونسألك الرحمة والمغفرة لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين .

استغفروا ربكم وتوبوا إليه وراقبوه واتقوه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٧١ ، شرح الحديث السابع .

٣٧ - الاستحياء من الله

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [١] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه .

قال ابن رجب [٢] رحمه اللّه : إن آداب الخير وأزمتَه تتفرع من أربعة أحاديث : قول النبي ﷺ : « مَن كان يؤمن باللّهِ واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » ، وقوله صلى اللّه عليه وسلم : « مِنْ حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ، وقوله للذى اختصر له في الوصية : « لا تغضب » ، وقوله صلى اللّه عليه وسلم : « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » أ . هـ .

والاستحياء من اللّه جُماع الأمر .

روى الترمذي عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه مرفوعاً : « الاستحياء من اللّه تعالى : أن تحفظ الرأس وما وعَى ، وتحفظ البطن وما حوى . ولْتذكر

(١) الفاتحة : ٢ - ٤

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٩٧ ، شرح الحديث (١٢) .

الموت والبلى ، ومَن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا .. فمَن فعل ذلك فقد استحيا من اللّه حق الحيا » [١] .

وقال بعض العلماء : استح مِنَ اللّهِ على قدر قربه منك ، وخف من اللّه على قدر قدرته عليك . وإذا تكلمت فاذكر سمع اللّه لك . وإذا سكتَ فاذكر نظره إليك : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[٢]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [٣] ....

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٨) ، وأحمد : ٣٨٧/١ ، قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده ضعيف .

(٢) سورة ق : ١٦

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٨ - الشورى من قواعد الشريعة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه رب العالمين . أمرنا بالتآخي والوفاق ، ونهى عن أسباب الفرقة والشقاق .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . جعل العقول كالمصابيح ، إذا اجتمعت ازداد نورها واستنار طريقُها .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أرسله معلماً ومربياً .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد . وعلى آله وأصحابه ومَن سار على منهاجه .

أما بعد ..

فقد أمر الخالق تعالى نبيه محمداً ﷺ بأسباب المودّة والألفة ومسايرة الأمة ومشاورة أهل العلم والرأي ، فقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٢]

---

(١) ألقيت في ١٤١٣/٣/٢٩ هـ .

(٢) آل عمران : ١٥٩

وأثنى الخالق تعالى على المؤمنين بخصال الفضل والكمال ومنها الشورى ، فقال تعالى : ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾(١)

فالشورى في الأمور العامة المهمة من قواعد الشريعة . ومن عزائم الأحكام ، فما ندم مَن استشار ولا خاب مَن استخار . وما شقي عبد بمشورة ، وما سَعُد باستغناءٍ برأي .

نقل القرطبي عن بعض العلماء قال : واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون . وفيما أشكل عليهم من أمور الدين . ومشاورةُ وجوه الجيش فيما يتعلق بالحروب . ومشاورة وجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح . ومشاورةُ وجوه الكُتّاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها .

والشورى خيرٌ وبركة وسبب للصواب ، فيها إصلاح النفوس وتصفيةُ القلوب . وبعثُ النشاط وألفة الجماعة . وسبر العقول . وما تشاور قوم إلا هُدُوا لأرشد أمورهم .

وقد ذكر الخالق تعالى الشورى في الآية بعد الصلاة التي هي عماد الدين : وقبل الزكاة التي هي أخت الصلاة ، وهذا دليل على أهمية الشورى ومكانتها في الإسلام .

وقد أمر الحكيم العليم نبيه محمداً ﷺ بالشورى مع استغنائه عنها بالوحي من اللّه . لتعليم أمته وتربيتهم على النهوض بواجباتهم ولبيان ما في المشاورة من الفضل ليقتدوا به .

---

(١) الشورى : ٣٦ - ٣٨

وقد استشار النبي ﷺ أهل الرأي من أصحابه في أمور عامة وخاصة ، فاستشار في شأن المنبر ، وفي النداء للصلاة ، واستشار في غزوة بدر أربع مرات . شاورهم في الخروج إلى عير قريش ، وشاورهم لما علم بخروج قريش ، وأن العير فاتتهم . فقالوا له : امض لما أمرك الله فنحن معك نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك . فأشرق وجه رسول الله ﷺ . وشاورهم في المنزل يوم بدر . فأشاروا أن ينزلوا على آخر ماء يلي العدو . ويدفنون ما وراءها . وشاورهم الرابعة في أساري بدر .

وشاور عليه الصلاة والسلام أصحابه يوم أحد أيخرجون للقتال ، وكان صلى الله عليه وسلم يرى التحصن في المدينة . إلا أن قوماً من الشباب تأسفوا على فوات يوم بدر فحثوا الناس على الخروج . فرأي أكثرهم الخروج ، فأخذ صلى الله عليه وسلم برأي الأكثرية . وفي تلك الليلة – ليلة الجمعة – رأى رسول الله ﷺ في منامه رؤيا قصَّها عليهم قال : « رأيتُ بقراً تُذبح والله خير وأبقى . ورأيت سيفي « ذا الفقار » انفصم من عند ضبته – أو قال : به فلول – فكرهته وهما مصيبتان ، ورأيت أني في درع حصينه وأني مُرْدفٌ كبشاً » . ثم قال : « أوَّلتُ البقر . بَقْراً يكون فينا . وأوَّلت الكبش كبش الكتيبة ، وأوَّلت الدرع بالمدينة فامكثوا » .

وقيل : وأوَّل ما في السيف برجل يُصاب من أهل بيته .

فقال الذين يرون الخروج : يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم .

فلما صلى الجمعة دخل ولبس سلاحه ، فقال بعضهم لبعض : أكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج . فلما خرج إليهم قالوا : لا نريد إكراهك فامكث كما رأيت .

فقال صلى الله عليه وسلم : « ما ينبغي لنبي إذا لبس سلاحه أن يرجع حتى يقاتل » . فحصل يوم أحد ما قدَّر الله وله حكمة في أمره وقدره .

وشاور صلى اللّه عليه وسلم الصحابة يوم الخندق مرتين . الأولى : أشار عليه سلمان الفارسي رضي اللّه عنه بحفر الخندق . فحفره .

والثانية : استشارهم في مصالحة المشركين على ثلث ثمار المدينة تلك السنة ، فرأي سعد بن عبادة وسعد ابن معاذ رضي اللّه عنهما ألا يعطيهم منها شيئاً .

وشاورهم في سبى هوازن بعد أن أسلموا وطلبوا رده إليهم .

وسار الخلفاء الراشدون رضي اللّه عنهم مقتدين بالنبي ﷺ في شريعته ومنهجه . يشاور بعضهم بعضاً ، فتشاوروا فيمن يتولى الخلافة بعد رسول اللّه ﷺ . ثم اتفقوا على أبي بكر رضي اللّه عنه . واستشارأبو بكر في إنفاذ جيش أسامة . وفي قتال أهل الردِّة فأنفذه .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يستشير في كل أمر له أهمية . فاستشار في غزو القادسية . وفي اختيار الولاة ، وفي تنظيم شئون الدولة ، واستشار في دخول البلد الموبوءة فأشاروا عليه بالانصراف عنها .

والمستشار مؤتمن ،. يجب عليه النصح والتأمل والنظر في العواقب وخشية اللّه فيما يقول .

وينبغي للمستشير أن يختار لمشورته أهل العلم والتقوى والأمانة . ومَن يخشى اللّه تعالى .

وإن اختلفت الآراء في المشورة ، نظر المستشير أقربها إلى الكتاب والسُنَّة . ويستخير اللّه في الرأى الذي يأخذ ، فإذا أرشده اللّه إلى الأخذ بأحسن المشورات . عزم عليه وأنفذه متوكلاً على اللّه كما قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(١) .

فإذا عزم المستشير على إنفاذ الشورى توكل على اللّه . لا على المشوره .

---

(١) آل عمران : ١٥٩

وهكذا فعل رسول الله ﷺ في كل أموره ، يتوكل على الله لا على غيره . كما تقدم في خروجه يوم أُحد .

والعزم هو الأمر الرَّويُّ المنقَّح . وليس ركوب الرأي دون روية عزماً . وليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه .

والأمر بالتوكل على الله لا يعني نقصاً في الشورى . ولا يعني رفض رأي الجماعة . وإنما التوكل على الله في كل الأمور واجب لأن الأمور ونتائجها عند الله ، وإذا أخطأ الشائر في مشورته فلا تقطع عنه الاستشارة لأن الله تعالى أمر رسوله ﷺ بالعفو عنهم يوم أحد وبالاستغفار لهم ومشاورتهم .

والحمد لله الذي وفق إمامنا لاتباع سُنَّة النبي ﷺ في الشورى . ونسأل الله لنا ولهم التوفيق والرشد والسداد وإخلاص العمل لله . والنصح للبلاد والعباد .

فاتقوا الله أيها المسلون : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾(١) .

اللّهم بارك لنا في القرآن . وانفعنا بما فيه من دلائل قدرتك ووحدانيتك والمواعظ الحسان . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* * *

---

(١) المائدة : ٢

٣٨ - محاسبة النفس

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالَمين . جعل الدنيا دار ممر لا مقر . وجعلها مزرعةً للآخرة . ودار عمل .

وأشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له . مطلّع يسمع ويرى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، عرف الآخرة فسعى لها سعيها . وعرف الأولى فأعطاها حقها .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ...

فواجب على المسلم أن ينظر في أعماله وأقواله وتصرفاته ويحاسب نفسه على ما سَلَف ، فيفرح بما يسر ، ويندم على ما يسوء . قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾(٢)

على المسلم أن يفتح أمامه صحيفة أعماله وصحيفة حياته ، ويتأمل في سطورها وينظر في رصيد حسابه . بمفرداتها وتفصيلاتها . وهذا النظر كفيلٌ بأن يوقظه من رقدته . وأن يدله على مواضع الضعف والنقص والتقصير .

روى الترمذي في صحيحه عن شداد بن أوس رضي اللَّه عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الكيِّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والعاجز مَن اتبع نفسه هواها وتمنى على اللَّه » (٢) .

---

(١) الحشر : ١٨

(٢) الترمذي : ٩/٢٨٢

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . وتَزَيَّنوا للعرض الأكبر . وإنما يخف الحساب يوم القيامة على مَن حاسب نفسه في الدنيا .

فاتقوا الله أيها المسلمون . ما حاسب نفسه مَن لَهَى وسَهَى وسهر على المسليات واللعب والقيل والقال . ونام عن الصلوات .

ما حاسب نفسه من توجه إلى الدنيا كأنه يعيش فيها أبداً ونسى الآخرة وأحوالها .

أخي المسلم .. اعمل في دنياك متاعاً وللآخرة ذخراً ومدخراً .

ثم اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾(١) ....

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٩ - الرجوع إلى الكتاب والسُنَّة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه رب العالَمين .

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ ﴾[٢]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . كل عمل من خَلْقه ، وكل قدرة خاضعة لقدرته . هو الواحد القهار .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة كاملة غير منقوصة ، وأدى الأمانة بصدق ووفاء ، ونصح للأمة وأشفق عليها .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد ..

فما أحوج الأمة المسلمة إلى الرجوع إلى اللّه فهو خالقها وربُها وناصرُها ، وأعتقد أن كل مسلم مخلصٍ يحس بهذا ، والرجوع إلى اللّه واضح بيِّن في نصوص الكتاب والسُنَّة . له طريق واحد وهو العودة إلى كتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ في مرافق الحياة كلها . وليس الأمر اختيارياً ولا نافلةً ، وإنما هو واجب الإيمان ، فكما أن المسلم يصلي ويصوم ويحج طاعة للّه . فكذلك يجب عليه التحاكم إلى

---

(١) ألقيت في ١٤١١/١٢/٢٣ هـ .

(٢) الرحمن : ٧ - ٩

كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، طاعة لله وتقرباً إليه . قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١)

فمقتضى الإسلام : الاستسلام لأحكام الله . ومقتضى الإيمان : امتثال أوامر الله . فليس للمسلم أمر يخالف أمر الله . وليس له اتجاه يخالف منهج الله .

لقد كوّن النبي ﷺ - بوحي الله وإعانته وهدايته - أمةً مؤمنة منقادة لأحكام الله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾(٢)

لقد أنشأ نبينا محمد ﷺ بهذا الدين أمةً طاهرة نظيفة في تصوراتها واتجاهاتها معتدلة في أقوالها وأفعالها . ذات مستوى رفيع وعظمة وسماحة وتصور للحياة والقيم . ذات تراحم وتعاطف وتآخي وتعاون . كالجسد الواحد وكالبنيان ، فكانت كما أراد بها أمة وسطاً شهيدة على الناس ، والنبي ﷺ عليها شهيد . تسلمت قيادة العالم بوحي السماء وبالمنهج الرباني فقادت العالم إلى العدل والتوازن . وحفظ الكرامات واحترام الحقوق وأداء الأمانات . إلا أن أعداء الإنسانية وأعداء العدل وأعداء الإسلام لما جاء الإسلام فاتهم من المصالح

---

(١) النور : ٤٦ - ٥١

(٢) الأحزاب : ٣٦

الدنيوية ما كانوا يتعاملون في المعاملات المالية ، كانوا يأكلون أموال الناس بالباطل ويستعبدون عباد الله وكانت لهم القيادة والسيادة . فصاروا يُبَيِّتُون للإسلام والمسلمين شراً ، ويتربصون بهم الدوائر . ووجدوا فرصاً ففصلوا المسلمين عن عقيدتهم الصحيحة وعن المنهج القويم وأبعدوهم عن مصدر قوتهم . وطبيعة هذا الدين الرفعة والعزة والقيادة ، لا يرضى أن يكون تابعاً في مؤخرة ركب الحياة مهجوراً . والقرآن والسُنَّة يعدان مَن عمل بهما بالعز والنصر والتمكين والسيادة ، والتاريخ يثبت أن المسلمين متى رجعوا إلى ربهم وإلى دينهم رجوعاً حقيقياً ، قولاً وعملاً ، في كل مرافق الحياة ومتطلبات الأمة ، في الفرد والجماعة والبيت والدولة ، رجعت إليهم عزتهم وكرامتهم وسيادتهم : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[1] ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[2] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾[3] ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[4] ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[5]

روى الإمام أحمد والترمذي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون فتنة » فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله .. فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم

---

(١) آل عمران : ١٢٣

(٢) التوبة : ٢٥

(٣) محمد : ٧

(٤) الحج : ٤٠ - ٤١

(٥) آل عمران : ١٦٠

وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، مَن تركه من جبار قصمه الله ، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَق مع كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾(١) . مَن قال به صدق ، ومَن عمل به أجر ، ومَن حكم به عدل ، ومَن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم » .

وقيل : إن هذا القول موقوف على عليٍّ رضي الله عنه وهو كلام حسن صحيح .

ومَن أراد دليلاً معاصراً فلينظر إلى المملكة العربية السعودية لما حكم إمامنا بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام حدود الله وعدل ، بسط الله على هذه البلاد الأمن والرخاء والاستقرار . وفتح عليها كنوز الأرض وبركات السماء ، وأحاطها الخالق تعالى برعايته وعنايته ، فلا يريدها أحد بسوء إلا خَذَله الله وردّ كيده في نحره . ولم يُضْمر لها أحدٌ شراً إلا فضحه الله وأخزاه . ولم يحسدها أحد على نِعَم الله إلا مات بغيظه .

اللّهم لك الحمد ، أنت أهل الحمد على فضلك ونعمك وإحسانك ، وحمدنا من جودك وهدايتك .

فأخبرني - أيها المسلم - هل يوجد في العالم دولة تُحكم بما أنزل الله غير هذه المملكة ؟

هل يوجد دولة نظامها القرآن غير هذه البلاد ؟

هل يوجد دولة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، وتقيم حدود الله غير هذه المملكة حرسها الله ؟

هل توجد المحاكم الشرعية في كل القضايا في غير السعودية أعزها الله ؟

---

(١) الجن : ١ - ٢

الجواب : لا يوجد .

وهذه سُنَّة اللّه في خلقه .. مَن آمن به ووحَّده وأخلص العبادة له وعمل بشريعته وضع له القبول وبسط له الرزق وحفظه وحرسه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾(١) ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾(٢) .

وهناك دعاة سوء وضلال يخادعون ويَغُشُون . يَضَعُون المنهج الإلهي في كفة ويضعون الاختراعات والصناعات المادية في الكفة الأخرى . ويقولون للناس : اختاروا ما شئتم ، إما الإيمان وشرائع الدين ولا صناعة ولا اختراع ، وإما الأخذ بثمار المعرفة والتخلي عن الإسلام . وهذا دس خبيث وتخطيط ماكر وتصديقه خطأ فاحش . إن الإسلام لم يكن عدواً للاختراع والصناعة . وإنما هو أساسها ويحث عليها في كل المجالات الحيوية : في الزراعة ، والصناعة ، وإخراج كنوز الأرض والاقتصاد والانتفاع بما خلق اللّه . وربط بين الإيمان والعمل والإنتاج :

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾(٣) ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾(٤) ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾(٥) ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾(٦) ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾(٧) ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٨) ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾(٩) ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾(١٠)

(١) الأعراف : ٩٦
(٢) طه : ١٢٤
(٣) الصافات : ٩٦
(٤) النحل : ٨
(٥) النساء : ٥
(٦) البقرة : ٢٧٥
(٧) فاطر : ٢٧
(٨) الأنفال : ٦٠
(٩) الأنبياء : ٨٠
(١٠) المائدة : ٢

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾(١) ، والخالق تعالى وهب الإنسان عقلاً وفكراً وطاقات إنسانية يدرك بها حاجاته ومتطلبات حياته . ويملك بها العمل والاختراع والإبداع والتجربة والمحاولة ، فالعقل الذي اخترع به المخترعون هو العقل الذي عند المسلم . والإسلام لا يمنع المسلم أن يعمل وينتج ويصنع ، بل إذا بدأ عمله باسم الله بارك الله له ، وإذا ذكر الله أثناء عمله وفقه الله لضبط عمله وإتقانه . وإذا ترك العمل دقائق معدودات لأداء الصلاة بارك الله له في وقت عمله .. والغذاء الروحي والراحة النفسية أهم من الغذاء والراحة البدنية ، وهذه الدعايات الماكرة جعلت بعض الناس ينبهرون من الصناعات وتقدُمها وتطورِها وأثرها في حياة البَشر . وهي من عمل غير المسلمين ، فظن أنه لا علاقة بين الإسلام والتصنيع ، فوقع في نفسه تعظيم أولئك وتعظيم ما عملوا ، واحتقار المسلمين ودينهم : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾(٢)

فاتقوا الله . اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ....

* *

---

(١) الروم : ٧

(٢) الشعراء : ٢٢٧

٣٩ - إنما خُلِقَ الإنسان للعبادة

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه رب العالَمين .

وأشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه .

ثم تأمل أيها الإنسان مَن الذي خلقك ، ولأي شيء خُلِقت ، ومن أي شيء خُلِقت .

فاللّه كرَّم الإنسان وخلقه بيده وصوَّره فأحسن صورته . خلقه من تراب من جميع أجزاء الأرض . ثم عجنه بيده فصار طيناً ، ثم صوره ، ثم جففه فصار صلصالاً ، ثم نفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته المقرَّبين تكريماً وتعظيماً . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾(١) ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾(٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾(٣) ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾(٤)

---

(١) الحجر : ٢٨

(٢) سور ص : ٧٥

(٣) الحج : ٥

(٤) الحجر : ٢٩

وإنما خُلق الإنسان وكُرِّم وفُضِّل وأعطى مميزات لم تُعط غيره من مخلوقات الأرض . إلا ليعبد الله بما شرع الله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ ﴾(١)

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اعبدوا ربكم ووحدوه ، في ذاته وصفاته وأسمائه ، وأمره ونهيه وقدرته .

وأخلصوا له العبادة ، واحذروا وساوس إبليس ودسائس أعدائكم ، وعليكم بسُنَّة نبينا محمد ﷺ وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعده ، عضواً عليها بالنواجذ ، واعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾(٢)

* * *

---

(١) الذاريات : ٥٦ - ٥٧

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٠ - منَ الإيمان الصلاة والذبح للَّه [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه رب العالَمين . أكمل ديننا وأتم علينا نعمته وهدانا للإسلام ، فللّه الحمد وهو أهل الحمد ، ولا يحمد أحد سواه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له . بعث فينا رسولاً بالهدى ودين الحق . بشَّر المؤمنين وأنذر الكافرين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . اصطفاه وكرّمه وشرح صدره ورفع ذكره ، واتخذه خليلاً وكلّمه تكليماً . وأعطاه الكوثر والمقام المحمود .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد ..

فإن الخالق تبارك وتعالى بيَّن في سورة الكوثر جانباً من عناية اللّه بنبيه ﷺ والدفاع عنه . وتثبيت فؤاده : بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾[٢]

فالكوثر مشتق من الكثرة ، وهو مُطْلَق غير محدود . ولهذا اختلف المفسرون في معنى « الكوثر » على قولين ..

الأول : - وهو المشهور والمستفيض عند السَّلَف والخَلَف - أنه نهر في الجنة .

---

(١) ألقيت في ١٤١٣/٥/٢٠ هـ .

(٢) سورة الكوثر كاملة .

الثاني : أنه عامٌ شامل لكل ما أعطاه اللّهُ نبيَه ﷺ ، فهو الكوثر الذي لا نهاية لفيضه ولا إحصاء لمدلوله ، يشمل كل ما يكثر من الخير ويزيد [١] .

فأدلة الجمهور . ما رواه مسلم [٢] رحمه اللّه عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال : بيْنا رسول اللّه ﷺ بَيْن أظهرنا في المسجد إذ أغْفَى إغفاءة ثم رفع رأسه مُتَبسِّماً ، قلنا : ما أضحكك يا رسول اللّه ؟ قال : « لقد أُنزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأها . ثم قال : « أتدرون ما الكوثر » ؟ قلنا : اللّه ورسوله أعلم . قال : « فإنه نهر وعدنيه ربي عَزَّ وجَلَّ ، عليه خير كثير ، هو حوضي ، ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم في السماء ، فيُخْتَلَج العبد منهم فأقول : يا ربِّ إنه من أمتي ، فيقول : إنك لا تدري ما أحدث بعدك » [٢] .

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أعطيتُ الكوثر فإذا هو نهر يجري ولم يُشَق شقاً ، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ ، فضربتُ بيدي في تربته فإذا هو مسك أذفر ، وإذا حصباؤه اللؤلؤ » [٣] .

وروى البخاري [٤] عن عبد اللّه بن عمرو قال : قال النبي ﷺ : « حوضي مسيرةُ شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانُه كنجوم السماء ، مَن شرب منه فلا يظمأ أبداً » .

وفي الصحيح عن ابن أبى مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي اللّه عنهما قالت : قال النبي ﷺ : « إني على الحوض حتى أنظر مَن يرد عليَّ منكم ، وسيُؤخذ ناس دوني ، فأقول : يا ربِّ مني ومن أمتي . فيقال : هل شعرتَ ما عملوا بعدك ؟ واللّهِ ما بَرِحُوا يرجعون على أعقابهم » ، فكان ابن أبي مليكة

---

(١) تفسير ابن كثير : ٥٥٦/٤

(٢) ابن كثير : ٥٥٦/٤

(٣) فتح الباري : ٤٦٣/١١

(٤) مسلم : ٣٠٠/١ ، في كتاب الصلاة في « البسملة » .

يقول : اللّهم إنّا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نُفْتَن عن ديننا [١] . والأحاديث في الصحيحين والسنن والمسانيد كثيرة . ولعله سمي النهر « كوثراً » لكثرة ما فيه من المنافع . كما قال صلى اللّه عليه وسلم في حديث أنس عند مسلم المتقدم : « عليه خير كثير » .

وأدلة أصحاب القول الثاني : ما رواه البخاري عن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما قال : « الكوثر » الخير الكثير الذي أعطاه إياه . وقال سعيد بن جبير : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه اللّه إياه [٢] . وقال بذلك ابن عباس وسعيد ابن جبير وعكرمة ومجاهد بن دثار والحسن البصري . حتى قال مجاهد : هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة [٣] ، فيدخل تحت هذا التفسير كل ما أعطاه اللّه عَزَّ وجَلَّ لنبيه ﷺ من الكرامات والمعجزات ، فيشمل النهرَ والحوضَ والشفاعَة . والنبوة والقرآن والسُنَّة . والنصر والتمكين . وإخباره ببعض الغيبيات ، وذكرُ اسمه صلى اللّه عليه وسلم مع اسم اللّه ، والصلاة والسلام عليه ، وجعلُ طاعته طاعة للّه . وشمولُ رسالته وهيمنتها على ما قبلها ، وكونه آخر الأنبياء بعثة . وهو أولهم ذكراً ونعيماً .

وقد جمع اللّه تعالى لنبينا محمد ﷺ من الفضائل والمزايا والخصوصيات ما كان لجميع الأنبياء [٤] وكل هذه من الكوثر . وعلى هذا لقد وجده صلى اللّه عليه وسلم الكوثر في النبوة والقرآن والسُنَّة ، وفي كثرة الأتباع ، وفي الفضائل والخُلُق الحسن العظيم . وفي العلم ، وفي علماء أمته الذين يبلّغون رسالته ويدعون الناس إلى شريعته . وسيجده في المقام المحمود إن شاء اللّه .

---

(١) فتح الباري : ٤٦٦/١١

(٢) فتح الباري : ٤٦٣/١١

(٣) ابن كثير : ٥٥٨/٣٠ ، تفسير مجاهد (٧٩٠) .

(٤) تفسير الرازي : ١٢٥/٣١

والسورة دليل على أن شكر النِعَم يكون بالتوحيد والإخلاص والتمسك بما جاء به النبي ﷺ بلا زيادة ولا نقصان .

ولهذا عقَّب بفاء السببية بعد نعمة الكوثر : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ فإخلاص العبادة لله واجب سواء في العبادات البدنية - وأعظمها الصلاة ، أو في العبادات المالية الاعتقادية - وأهمها النُسُك والنحر . فالذبح إذاً عبادة وقُربة يُتقرب بها إلى الله مثل الصوم والحج والصلاة . فحرام على المسلم أن يذبح لغير الله ، وحرام عليه أن يُقرِّب الكبش للسدنة قرباناً لموتى الصالحين ، وحرام على المسلم أن يذبح على أساس البناء لطرد العَيْن أو لدفع الشيطان . فإن الشيطان يتعاظم ويشيط إذا ذُبِحَ من أجله ، وإنما يُطرد بذكر الله وبالتوحيد وإخلاص العمل لله .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٢)

والذبح عند القبور والأنصاب من عادات المشركين .

وتخصيص الصلاة والنحر في السورة بالإخلاص والوحدانية لله . لأنهما دالتان على القُرب والتواضع والافتقار وحُسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى وعده .

والذي يذبح لغير الله مطرود من رحمة الله .

روى مسلم عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : حدَّثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات : « لعن الله مَن ذبح لغير الله . ولعن الله مَن لعن والديه . ولعن الله مَن آوى محدثاً . ولعن الله من غيَّر منار الأرض » .

فاللعن من الله البُعد والطرد من مظان الرحمة ، واللعن من الخلق السبب

---

(١) الكوثر : ٢

(٢) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

والدعاء [١] . وذكر العلماء - رحمهم اللّه - أن ما ذبح بمناسبة مرور السلطان أنه مما أُهلَّ به لغير اللّه فيحرم أكله . فإذا كان ما يذبح لاستقبال السلطان تقرباً إليه محرَّماً لا يحل أكله وأنه مما أُهِلَّ به لغير اللّه - مع أنه يُذكر عليه اسم اللّه - فكذلك ما ذبح من أجل الولي أو الصالح أو من أجل الجن أو الكواكب فهو حرام أُهِلَّ به لغير اللّه وإن ذُكر عليه اسم اللّه . فهو حرام لا يؤكل .

وقوله في السورة : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[٢] : أي مبغضك يا محمد ومبغض ما جئتَ به ﴿ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ : الأذل الأقل المنقطع ذكره . فكل أعداء الصادق الأمين - صلى اللّه عليه وسلم - انقطع ذكرهم وذلت نفوسهم وأصابهم من الحقارة والمهانة ما يليق بهم .

أما نبينا محمد ﷺ فقد بقى ذكره خالداً دائماً عالياً ، والحق الذى جاء به ممتد الفروع عميق الجذور .

إن الدعوة إلى اللّه وإلى الحق والخير والإصلاح - لا يمكن أن تكون بتراء ولا أن يكون صاحبها أبتر . لأنه موصول بالحي القيوم ، وإنما الأبتر هو الكفر والباطل وأهله . فمَن اتبع الموصول فهو موصول . ومَن رضى بالمبتور فهو مبتور .

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه . والتمسك بكتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ . ولا ينبغي للمسلم أن يستوحش إذا رأى قلة السائرين . وكثرة التائهين . فإنه متوجه إلى رب العالَمين .

اللّهم بارك لنا في قرآننا . وانفعنا بما فيه من الآيات والبيان ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) فتح المجيد ص ١٤٥

(٢) الكوثر : ٣

٤٠ - بركة دعاء النبي ﷺ

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين ..

اللّهم ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[1]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد ..

فأوصيكم بتقوى اللّه . وبشكر نِعَم اللّه ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾[2]

روى البخاري رحمه اللّه في صحيحه عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال : رأيت رسول اللّه ﷺ يوم الخندق وبطنُه معصوب بحجر (أي من الجوع) ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً . إلى أن قال : فقلت : يا رسول اللّه ، ائذن لي إلى البيت - وكانوا لا يبرحون أماكنهم حتى يأذن لهم حتى في قضاء الحاجة . أما المنافقون فكانوا يتسللون لواذاً - قال جابر : فقلت لامرأتي : رأيتُ بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء ؟ فقالت : عندي شعير وعناق - وفي رواية أن الشعير صاع - فذبحتُ العناق وطحنتُ الشعير حتى جعلنا اللحم

(١) الفاتحة : ٦ - ٧

(٢) إبراهيم : ٧

بالبرمة ، ثم جئتُ النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي - أي المناصب - قد كادت أن تنضج فقلت : طُعَيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال : « كم هو » ؟ فذكرتُ له فقال : كثير طيب ، قال : « قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي » .. فقال الرسول ﷺ لأهل الخندق : « قوموا » فقام المهاجرون والأنصار - وفي رواية كانوا ألفاً . قال صلى الله عليه وسلم : « ادخلوا ولا تضاغطوا » - وفي رواية : « ادخلوا عشرة عشرة » . فجعل صلى الله عليه وسلم يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرِّب إلى أصحابه ثم ينزع ، وفي رواية : « أنه صلى الله عليه وسلم : بصق في البرمة وبارك . وفي العجين وبارك » ، فلم يزل يكسر الخبز ويفرق حتى شبعوا وبقى بقية . قال : « كل وأهد ، فإن الناس أصابتهم مجاعة » (١) .

أسوق هذا الحديث - وأمثاله - إلى إخواننا الذين نشأوا في النعمة ولا يعرفون ضدها .

إلى إخواننا الذين يسرفون في المأكولات فلا يتركون للنفس مسلكاً .

إلى إخواننا الذين يسرفون في المصروفات ويلقون بقايا اللحم والشحم والطعام في الزبالات .

اتقوا الله فتلك حال نبينا وصلحاء الأمة فاتقوا الله : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾(٢)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (٣) ....

* * *

---

(١) البخاري برقم (٣٥٧٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : ٥٨٦/٦ ، (الفتح) .
(٢) الأعراف : ٣١
(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١ - تعيين الإمام ومبايعته من أصول الإيمان (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَلَمِينَ ﴾ (٢) .

بحكمته دبَّر أمور العباد . وبحُجَّته دمغ أهل الزيغ والفساد . وحمَّل أهل العلم الدعوةَ إلى الهدى والرشاد .

وأشهد أنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له ، واحد في ذاته وفي أسمائه وصفاته وفي أمره ونهيه وتشريعاته . فهو الإله الحق ، وله الحمد في الآخرة والأولى .

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أُنزِلَ عليه الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدىً ورحمة للعباد .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد ..

فإنَّ الدين لا يستقيمُ . والحدود لا تُقام . والأمور لا تُضبط إلا بسلطان يتولاها ويحرسها .

فالدين بالسلطان يقوى . والسلطان بالدين يبقى .

وبالسلطان تتألف الأهواء المختلفة . وبهيبته تنكف الأيدي المتسلطة . ومن

---

(١) ألقيت في : ١٤١٣/٦/١٧ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

خوفه تنقمع النفوس المعاندة . وبإقامة الحدود والتعزيرات تهدأ الشهوات الثائرة . والغرائز الشريرة ، قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه [١] : « الناس لا يصلحهم إلا الإمام ، براً كان أو فاجراً » . أي : إن كان براً صلحت الرعية بصلاحه . وإن كان فاجراً عبد المؤمن ربه . وحمل غير المؤمن إلى أجله .

والله تبارك وتعالى يدفع الناس بعضهم ببعض للإصلاح ودفع الفساد ، قال العليم الخبير : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[٢]

وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[٣]

فالإنسان لا يعيش وحده . ولا يستطيع أن يقوم بمصالحه كلّها فلا تتم إلا بالتعاون والاجتماع . وفي طبائع البشر واتجاهاتهم اختلاف . وفي رغباتهم تفاوت . فإذا اجتمعوا حصلت خلافات ومنازعات فيهيج الغضب وتثور الشهوات .

والسلطان يقيم شرع الله . وينفذ أحكام الإسلام . ويقيم الحدود وشعائر الدين .

ومواطن العبادات لا بد لها من حماية تمنع عنها الذين يصدون عن سبيل الله . وتحميها من المعتدين . فالإسلام آمرٌ والسلطان حارس ، ومَنْ لا أمير له فهو مهزوم ، وما لا حارس له فهو ضائع . والله سبحانه يدفع عن خلقه وأرضه الشرور والفساد ويحمي العبادات وأماكنها بالسلطان الصالح .

---

(١) جامع العلوم ص ١٨٩

(٢) البقرة : ٢٥١

(٣) الحج : ٤٠

قال بعض الحكماء [١] : السلطان زِمام الأمور ونظام الحقوق وقوام الحدود والقطبُ الذي عليه مدار الدين والدنيا . وهو حمي الله في بلاده وظله الممدود على عباده . به يمتنع المجرم وينتصر المظلوم ويأمن الخائف .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في « السياسة الشرعية » في آخرها : « يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلا بها ، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس » ...

إلى أن قال رحمه الله : « فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقُربة يُتقرب بها إلى الله » ...

إلى أن قال : فإذا كان المقصود بالسلطان والمال هو التقرب إلى الله وإنفاق ذلك في سبيله كان ذلك صلاح الدين والدنيا ، وإن انفرد السلطان عن الدين ، أو الدين عن السلطان ، فسدت أحوال الناس » [٢] .

وليست منافع الإمام محصورة في عجالة من عرض الدنيا ولكنه : حَقْنُ الدماء . وصيانة الأعراض . وحراسة الأموال . وهذا نَفْع عظيم وخير كثير لمن عقل ورشُد .

وطاعة ولي الأمر واجبة بنص الكتاب والسُنَّة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [٣]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله [٤] : والظاهر أن الآية عامة في كل أولى الأمر من الأمراء والعلماء ، وفي الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة

---

(١) الشهب اللامعة ص ٥٨

(٢) السياسة الشرعية ص ٢١٧

(٣) النساء : ٥٩

(٤) ابن كثير : ٥١٨/١

رضي اللّه عنه عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : « مَن أطاعني فقد أطاع اللّه ، ومَن عصاني فقد عصى اللّه ، ومَن أطاع الأمير فقد أطاعني ، ومَن عصا الأمير فقد عصاني » .

وقال القرطبي في التفسير [١] : أمر اللّه الرعية بطاعته أولاً . ثم بطاعة رسوله . ثم بطاعة الأمراء على قول الجمهور .

قال سهل بن عبد اللّه : وإذا منع السلطان العالِم أن يفتي فليس له أن يفتي فإن أفتي فهو عاص ، وإن كان أميراً جائراً .

وذُكر في مناقب أبي حنيفة رحمه اللّه أن والي الكوفة منعه من الفتيا فسألته ابنته عن مسألة فقال رحمه اللّه ، اسألي أخاك حماداً فإن الأمير منعني من الفتيا .

فطاعة ولي الأمر واجبة على الرعية فيما رضوا وكرهوا ، ما لم يأمر بمعصية فلا يُطاع فيها ، مع الاستمرار على طاعته في غيرها .

روي الإمام مسلم رحمه اللّه [٢] عن حذيفة بن اليمان رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ وفيه قال : « تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » [٣] .

وعن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَن رأي من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه مَن فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهليه » [٤] .

وفي حديث الحارث الأشعرى : « فإنه مَن فارق الجماعة فقد خلع رِبْقة الإسلام من عنقه » [٥] .

إن الخروج على طاعة ولي الأمر يسبب الفوضى والمفاسد والشرور ، وفي الصبر تكفير السيئات ومضاعفة الحسنات [٦] .

---

(١) القرطبي : ٣/٢٥٩
(٢) مسلم ٣/١٤٧٦ رقم (٥٢) .
(٣) مسلم : ٣/١٤٧٦
(٤) مسلم : ٣/١٤٧٧
(٥) أحمد : ٤/١٣٠
(٦) شرح الطحاوية ص ٤٢٨

ويُستحب الدعاء لولاة الأمر بالهداية والحماية والرعاية والصلاح والتوفيق والسداد . والإعانة والرشاد . قال القاضي عياض رحمه الله (١) : لو كان لي دعوةٌ مستجابةٌ لم أجعلها إلا في الإمام . وروي مثله عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

فإذا صلح الإمام صلحت البلاد وأمنت العباد وتألّفت عليه الرعية ، فأكْثِروا أيها المؤمنون من الدعاء لإمامنا وأمرائنا وأعوانه .

ولا يجوز لمن وجد في نفسه شيئاً أن يدعو على ولاة الأمر ، فإن مَن استُحِب له الدعاء كُره الدعاء عليه . قال في العقيدة الطحاوية (٢) : ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم ولا ننزعُ يداً من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله .

ونحن بفضل الله في هذه المملكة العربية السعودية لم يؤمر أحد بمعصية - ولله الحمد - ولم يُنه عن طاعه .. بل تُحكَّم الشريعة وتُقام الحدود ، ويُؤمر بالمعروف ويُنهي عن المنكر ، ويُرغَّب في أفعال الخير .

ولهذا أعطانا الله هذا الأمن والرخاء والهدوء والاستقرار والتعاون على البر والتقوى ، والتلاحم والتآلف بين الراعى والرعية . نعَمٌ متتابعة ، وخيراتٌ متوالية ، ولن يجد عدو مدخلاً ولن يجد حاسد في صفوفنا سبيلاً إن شاء الله تعالى .

فاتقوا الله أيها المؤمنون .. اشكروا نعَم الله واسألوه المزيد والتوفيق والثبات ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾(٣)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم . اللّهم افتح بصائرنا لمعرفة الحق وقبوله . وأعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن الشيطان الرجيم .

واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) السياسة النافعة ص ٦٣

(٢) شرح الطحاوية ص ٤٢٨

(٣) إبراهيم : ٧

٤١ - حال المسلمين المضطهدين

(البوسنة .. وفلسطين)

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ [١] . له العزة ولرسوله وللمؤمنين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن واقع المسلمين في كثير من البلاد محزن مؤلم . نرى القُوَى الكافرة قد تضافرت ضد المسلمين وفرَّقتهم طوائف ومللاً وأحزاباً وشيعاً .

فلما تحركت الصحوة الإسلامية خاف أعداء المسلمين من هذه الصحوة فأخذوا يؤذون المسلمين ويعذبونهم بأنواع العذاب ، يقتلونهم ويشردونهم من بلادهم وينتهكون حرماتهم لئلا تقوم للإسلام قائمة .

تأملوا حال إخواننا في البوسنة والهرسك مع الصليبيين الصرب الظلمة المعتدين : يقتلونهم جَماعياً بما فيهم النساء والأطفال . وحاصرتهم القُوَى الماكرة عن المدد والإعانات .

---

(١) الفاتحة : ٢

تأملوا حال إخواننا في فلسطين مع الصهاينة : ذل وإهانة . فاليهود يبنون للقادمين عليهم مستعمرات ، وأهل البلد المسلمين يُشرَّدون ويُطارَدون ، وجعل مَن بقى في المخيمات مع شدة البرد وضعف الحال وقلة ما في اليد .

تأملوا حال إخواننا في كشمير والهند مع عُبَّاد النار ، قتلوهم ومثَّلوا بهم وهدموا مسجداً لجعله معبداً للنار . ويأبى الله ذلك إن شاء الله .

تأملوا حال إخواننا الأفغان ، بعد كفاح مرير وجهاد طول وعند قرب الانتصار دخلتهم العناصر الفاجرة والدخائل الماكرة فأوضعوا خلالهم ، فكرٌ بعضهم على بعض .

تأملوا حال الأقليات المسلمة في العالَم .

وما من بلد إسلامي إلا وفيه دَخن وحركاتٌ معادية للإسلام والمسلمين .

ومن المؤسف أن هناك مَن يلبس ثوب الإسلام ويحمل شعار الإسلام ولكنه يطعن من الخلف في قلب الإسلام . فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، وهو حسبنا ونِعْمَ الوكيل .

والحل الوحيد هو الحل الذي اتبعه نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخلفاؤه . الرجوع إلى الله حقيقة . والدعوة إلى الله وتوحيده والعمل بشريعة الإسلام .

أما بقاء بعض المسلمين لا فرق بينهم وبين أعدائهم : في الاعتقاد ، والعادات ، واللباس ، والسلوك ، والعبادات . فهو أساس المصائب . فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾(١) ....

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٢ - المقارنة بين النعم وضدها [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .

له مُلك السموات والأرض . ومَن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له ، أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة . ونسأله المزيد من فضله وشكر آلائه .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . إمام المتقين وقدوة الشاكرين وقائد الغرِّ المحجلين .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدي بهَدْيه وعمل بسُنَّته .

أما بعد ..

فكثيراً ما يَمْتَنُّ الله تعالى على خلقه بالنعم ويذكرهم بالحالات الرديئة التى اختيرهم بها وبِذكْر الضد تَبِينُ الحقائق ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [٣]

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ

(١) ألقيت في ١٤١٣/٦/٢٤ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) المائدة : ١١

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ ﴾[١]

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢]

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[٣]

إن المقارنة بين النعَم وضدها يفتح آفاق التفكير . ويُعَرِّفُ بقيمة النعمة ويحث العاقل على شكرها والمحافظة عليها .

كانت هذه البلاد قبل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، نسأل الله أن يغفر له وأن يَرْحمه وأن يسكنه فسيحَ جناته وأن يجزيه عن هذه البلاد وأهلها بما يجزي به المصلحين والمحسنين .

كانت البلاد قد غَلَبت عليها الفوضى وتغيَّرت فيها الأوضاع وانفلت فيها زمام السُلطة . فكانت الغارات والقتل والسلب والنهب وكل فرد أو مجموعة تفخر بما تفعله . فلا سلطان يردع ولا وازع من الدين والتقوى يمنع .

يؤخذ المسافر فيُسلب كل ماله حتى ثوبه الذي يستر عورته يؤخذ ويُترك أملطاً وإن عاند قُتِل . وكانت الحالة الاقتصادية في الجملة ضعيفة ، فبعض الناس لا يجد قوته ولا يضيء في منزله مصباح . وكانت المواصلات صعبة والطرق وعرة ، وكانت الديانة في بعض الجهات مدخولة . يتعلقون بالأشجار والأحجار والقبور .

فلما أراد الله بهذه المملكة خيراً ورفع مستواها في كل المجالات ، أيقظ الله الملك عبد العزيز رحمه الله ووجّهه وجهة الخير والإصلاح ، فشمر عن ساعد الجد

---

(١) البقرة : ٢٣١

(٢) الأنفال : ٢٦

(٣) الأعراف : ٨٦

والعمل . وجانب الراحة والكسل ، ورفع راية الإيمان والتوحيد « لا إله إلاَّ اللَّه محمد رسول اللَّه » ، ثم دعا الناس إلى تحقيق الدين . وإخلاص العمل للَّه والاعتصام بحبل اللَّه ، وجمع الشمل وتوحيد الصف والهدف ، والتآخي في اللَّه ، فاستجاب له أهل الإيمان والتقوى فشع نور الإيمان وتحركت المشاعر إلى اللَّه والْتَفُّوا حول راية الحق والتوحيد ، فأيَّده اللَّه ونصره ومكَّنه في أرضه فوحَّد أطراف المملكة وجمع شتاتها سائراً على شريعة نبي الرحمة ورسول الهداية صلى اللَّه عليه وسلم ، فجعل القرآن دليله والسُنَّة سبيله . فنظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصب القضاة والأئمة وأوصاهم بتقوى اللَّه والنصح لكل مسلم ، وبسط العدل ورفع الظلم ، فألَّف اللَّه القلوب عليه وجمع اللَّه به الشمل .

وفتح اللَّه عليه بعض كنوز الأرض ووسع له في الرزق : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] ولم ينْسَ رعيَّته ففعل ونظم ورتب ما في وسعه . وبفضل اللَّه ثم بفضل تحكيم الشريعة وإخلاص القصد والعمل للَّه صارت هذه المملكة في أمن واستقرار وراحة وهدوء ورخاء ، يقصدها الناس من كل مكان . اللَّهم لك الحمد لا نحصى ثناءً عليك .

وسار ابناء عبد العزيز على طريقته متمسكين بكتاب اللَّه وسُنَّة رسوله ﷺ .

ولما تحسنت الأحوال الاقتصادية توسع التعليم في جميع المراحل والتخصصات . وفتحت المستشفيات على أعلى المستويات . ودخل الماء في كل بلد . والكهرباء والعلاج في كل قرية ، وعُبِّدت الطرق . وتَيَسَّرت المواصلات والاتصالات .

فصار الناس يتعالمون بدخول شهر رمضان ويوم الحج في زمن وجيز ، وصارت المواعظ والتذكرة ودعوة الخير والإصلاح تصل إلى مَن أرادها في بيته .

كما فتحت الدولة صناديق القروض البنكية والاستثمار والزراعة . والصناعة . والحيوانات . وغير ذلك من القروض والمساعدات فإن كان هناك إهمال أو تقصير

---

(١) الأعراف : ٩٦

فهو من المسئولين المباشرين . والإنسان معرَّض للخطأ والزلل ولا مَعْصُوم إلا مَن عصمه الله . فلا يوجد في العالم دولة تَحكم بما أنزل الله إلا المملكة العربية السعودية ، ولا أعرف دولة تعطف على شعبها وتحرص على مصالحه ورفع مستواه العلمي والاقتصادي مثل هذه المملكة أدام الله عزها وتوفيقها . وكفي المرء نبلاً وشرفاً أن تكون أخطاؤه وعيوبه معدودة . ولا يوجد بلد فيها الأمن كما هو عندنا ، وهى الداعية وحدها لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وهى المرجع للعالَم الإسلاميَ والسند القوي . إن هذه المملكة محسودة على نِعَم الله . مغبوطة بما أتاها الله .

لذلك فإن أعداء الإسلام يدسون الدسائس : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾(١) يحاولون إطفاء نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره . يحاولون التفريق وتشويه الحقائق . والحق يعلو ولا يعلى عليه .

فاتقوا الله أيها الناس ، اشكروا نِعَم الله . واحذروا دسائس الأعداء وابتعدوا عن الخلاف . فإن التفرقة سبب للفشل والخذلان .

كونوا عباد الله إخواناً وتناصحوا بينكم سراً ، فإن مَن نصح أخاه سراً فقد نصحه ، ومَن نصحه جهاراً فقد وبخه ، واجعلوا عملكم خالصاً لوجه الله . فالحب في الله والبغض لله . فمَن كانت وجهته إلى الدنيا صار معادياً لأكثر الخلق . ومَن كانت وجهته إلى طاعة الله لا يعادي أحداً لأن الدنيا تضيق بقاصديها فتحصل المشاحة .

أما طاعة الله فكلٌ يعمل ولا مضايقة . وصراط الله يتسع للسالكين . روي مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به

شيئاً . وأن تعتصموا بحب الله جميعاً ولا تفرقوا . ويكره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥ ﴾[1]

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

* *

(١) الكهف : ٤٥

٤٢ - بعدل السلطان تتوفر الخيرات

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ [١] .. ربٌّ كل شيء ومليكه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . حثَّ على الاتفاق ونهى عن الفُرقة والشقاق .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أمر بالاعتصام وحثَّ على الأخوة والوئام .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [٢] ، فالتقوى يبلغ بها المؤمن أداء حق اللّه بامتثال أمره واجتناب نهيه . وأداء حق ولاة الأمر بالسمع والطاعة في المعروف . فبالسلطان توفر الخيرات وبه تُزال المكروهات . وتُكف الأيدي الشريرة . وتُقمع النفوس الخبيثة . وبه يُحفظ الأمن . وتحقن الدماء وتصان الأموال والأعراض .

روى مسلم رحمه اللّه عن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنه قال : قال

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

رسول الله ﷺ : « مَن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه مَن فارق الجماعة شبراً فمات فميته جاهلية » (١) .

فمَن خرج عن طاعة الإمام فقد فارق الجماعة وانفلت من حبل الله وخالف أمر الله والرسول ﷺ مثل الخوارج الذين يسألون عن دم الذباب في المسجد تَورُّعاً ويقتلون ابن بنت النبي ﷺ فاستحلوا دم الحسين رضي الله عنه .

الخوارج الذين ينتقدون المكروهات . ويستحلون الدماء المعصومة التي حرَّمها الله فقتلوا خليفة رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه .

نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ومن الشيطان الرجيم ومن وساوسه ودسائس أوليائه .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾(٢)

* * *

---

(١) مسلم : ١٤٧٧/٣

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣ - طاعة ولي الأمر [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .

ومَن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠ ﴾ [٣]

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن سلك سبيله بإيمان واحتساب .

أما بعد ..

فإن الأحداث توقظ الهمم وتنبه العقول وتحرك النفوس للرجوع إلى اللَّه تعالى والالتجاء إليه والانكسار بين يديه . وأداءِ شرائعه وإخلاص العبادة له وملازمةِ طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، فاكثروا - إخواني - من ذكر اللَّه ومن دعائه والتضرع إليه : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥

(١) ألقيت في ١٤١١/٥/١٣ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) النساء : ٨٠

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(١) ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(٢) ، فالدعاءُ مخ العبادة ، وليس شيء أكرم على اللّه من الدعاء . ولا يَرُد القضاء إلا الدعاءُ فهو ينفع مما نزل ومما لم ينزل . ومَن فُتِح له باب الدعاء فُتح له باب الرحمة . وأفضل العبادة ملازمة الدعاء وانتظار الفرج من اللّه ، فاسألوا ربكم حوائجكم كبيرها وصغيرها عاجلها وآجلها ، ولو يعلم الناس ما لذكر اللّه من منزلة وثواب لما فترت ألسنتهم عن ذكر اللّه ، فذِكرُ اللّه أكبر من كل شيء . يحيي القلوب ويُنَورها ، ويزكي النفوس ويُسْعدها . فأكثروا من ذكر اللّه والثناء عليه .. عظِّموا الكبير المتعال وسبِّحوا الملكَ القدوس . واحمدوا الجواد الكريم . أكثروا من قول لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحققوا معناها . فإنها ترجح بالسموات والأرضين ومَن فيهن وهي مفتاح الجنة . وهي البطاقة التي ترجح في الميزان وتَطيشُ بالسيئات . وهي أساس دعوة الرسل أجمعين . وهي سَفِينة النجاة في الدنيا والآخرة . « لا إلَهَ إلاَّ اللّه محمد رسول اللّه » .

« سبحان اللّه ، والحمد للّه ، ولا إلَهَ إلاَّ اللّه ، واللّه أكبر » .

إن ذكر اللّه : خيرُ الأعمال وأزكاها . وأعظمُ منزلة عند اللّه وأعلاها . الذكر خير للمسلم من إنفاق المال وخير له من القتل والقتال في سبيل اللّه . فاجعلوا ألسنتكم رطبة من ذكر اللّه . كل كلام بني آدم عليه لا له إلا أمرٌ بمعروف أو نهيٌ عن منكر أو ذكرُ اللّه .

ولكل شيء صُقاله ، وصُقالة القلوب ذكر اللّه ، يجلو عنها الران والغفلة ، واللّه تعالى يباهي ملائكته بالذاكرين اللّه كثيراً والذاكرات .

---

(١) الأعراف : ٥٥ - ٥٦

(٢) غافر : ٦٠

إن الأحداث توجب على المسلمين التآخي والتآلفَ والتراحمَ والتعاطفَ . والعملَ والتكاتفَ والنظرَ في النتائج والعواقب . وإدراك الواقع والحقائق ، وإحساس كل واحد بشعور الآخر : « مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١) .

ولا ينبغي أن تكون الخلافات في أحكام الحوادث سبباً للفُرقة وقطع الأخوة . وانفصام المودّة . فكان الصحابة رضي الله عنهم يختلفون في أحكام الحوادث وهم مع ذلك متآلفون متحابون متعاونون يُحب كل واحد منهم للآخر ما يحب لنفسه . والقول الفصل في كل مسألة وحادثة لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ فهُما المرجع في كل خلاف : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾(٢) ، قال القرطبي : لما أمر الله تعالى في الآية التي قبل هذه : ولاة الأمر بأداء الأمانات وأن يحكموا بين الناس بالعدل ، أمر في هذه الآية الرعيةَ بطاعته تعالى أولاً وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه . ثم بطاعة رسوله ﷺ ثانياً فيما أمر به ونهى عنه . ثم بطاعة الأمراء ثالثاً .

فطاعة ولي الأمر في المعروف واجبة على كل مسلم ، والتعاون مع الإمام فيما فيه مصلحة راجحة واجب . والاختلاف على الإمام ومنازعته حرام .، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن أطاعني فقد أطاع الله ومَن عصاني فقد عصى الله ، ومَن يطع الأمير فقد أطاعني ومَن يعص الأمير فقد عصاني » (٣) .

---

(١) رياض الصالحين ص ١٠٩

(٢) النساء : ٥٩

(٣) المشكاه برقم : ٣١٦/٢ - كتاب : الإمارة ، وقال : متفق عليه .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَن كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه مَن خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » (١) (متفق عليه) .

وروى الترمذي بسند حسن عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَن أهان السلطان أهانه الله » (٢) ، الإمام حماية ودرع وجُنَّة لإخوانه في الله ، يتحمل عنهم الأعباء ، والمشقة ، والعناء ، يتْعَب ليرتاحوا ، ويسهرليناموا ، ويعملُ ليسعدوا ، ويكدح لتحصيل متطلباتهم ، ويجتهد في دفع الأذى والخطرِ عنهم ، والإمام أعرف بمسئولياته ، وأعلم بمصالح شعبه وبلاده ، وخبيرٌ بتحقيق المصالح ودرء المفاسد وأعرف بحال الشعوب الأخرى والحكومات . فيجب علينا أن نحبه لله ومن أجل الله ، وأن نقف وراءه وأن نشد عضده وأن ننصح له من صميم قلوبنا وبكل إمكانياتنا ، يجب علينا أن نكون مع الجماعة فإن يد الله مع الجماعة ومَن شذَّ شذ في النار : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(٣) ، قال في الجامع لأحكام القرآن : ولا تفرَّقوا متابعين الهوى والأغراض المختلفة ، وكونوا في دين الله إخواناً ، فيكون ذلك مانعاً لهم من التقاطع والتدابر .

وقال الحافظ ابن كثير : أمرهم بالجماعة ونهاهم عن الفُرقة . وقد وردت أحاديثُ متعددةٌ بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف كما في صحيح مسلم من حديث سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنهم أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً . يرضى لكم : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً . وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .

---

(١) رياض الصالحين ص ٢٦١ ، باب : وجوب الطاعة .

(٢) رياض الصالحين ص ٢٦١ ، وقال : رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

(٣) آل عمران : ١٠٣

وأن تُناصحوا مَن ولاه أمركم . ويسخط لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال . وقد ضُمِنَتْ لهم العِصمة - عند اتفاقهم من الخطأ » [١] .

واعلم أخي المسلم أن لك ولدينك خصوماً وأعداءً . ولك ولإخوانك حسّاداً يحسدونكم على نعمة الإسلام وتحكيم شرع الله . وحساداً على هذا الأمن والرخاء . والهدوء والاستقرار . يحاولون سلب النعمة فتكونون أنتم وهم سواء ، يحاولون بكل وسيلة تفريقَ الجماعة وتشتيتَ الشمل وتمزيقَ الأخوة وقطعُ حبلِ التُرابُط بين المسلمين وقياداتهم . فكن أخي المسلم كيِّساً فَطِناً . حذراً . لا تترك مجالاً للإرجافات والدعايات . واحذر كلمة « يقولون » ، فبئس مطية الكذب « زعموا » ، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[٢]

فعليك بالتثبت . فقُل عن يقين . وأنْهَ عن يقين ، وإذا حصل خلاف في مسألة من المسائل أو في حكم حادثة من الحوادث فمرده إلى كتاب الله ورسوله : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾[٣]

واعلم أخي أن لكل مقام مقالاً ولكل نقاشٍ أسلوباً ولكل دعوة سبيلاً : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

فإذا كان المدعو عنده بعض الجفاء والاعتراض يُدْعى بالحكمة والموعظة الحسنة . بالآيات والأحاديث والدلائل الموضحة للحكم الشرعي . والمرغبةِ في طاعة الله

---

(١) مسلم : ٣/ ١٣٤٠ رقم (١٠) كتاب : الأقضية ، النووي : ١٠/١٢

(٢) الإسراء : ٣٦

(٣) الشورى : ١٠

(٤) النحل : ١٢٥

وطاعة رسوله ﷺ وبالوعد والوعيد . وإذا كانت عنده شبهة فيُجادَل بالتي هي أحسن ولا يُغلَظ عليه في القول . ولا يُعنف ولا يقبح . ولا يشهَّر به ولا تُحاوَلُ إهانته ولا التنقيصُ من شأنه ، بل تُكشف الشبهة وتُوضح الأدلة بأسلوب لين حسن ، فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج المعاندة ، بل من شأن القول اللين اللطيف والأسلوب الحسن إيقاظُ القلب من السكرة وجذبُه من الصدود والغفلة فيتذكر بالذكرى وينتفع بالمواعظ . فيخَشْى العواقب الرديئة والنتائج السيئة .

تأمل أخي المسلم أسلوب القرآن في الدعوة ، قال تعالى لموسى وأخيه : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] ومَن هو فرعون ؟ أخبث خلق الله واطغى البَشر وأكفر مَن وُجِد على وجه الأرض ، فدُعي بهذا الأسلوب لعله يتذكر أو يخشى . ورغّبه في قبول الحق فقال : ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

هذا أسلوب الدعوة . وهذا طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . الهدف الإصلاح . والهدف إنقاذ الإنسان من التهلكة ، لا للتشفي ولا للانتصار ، ولا للإعجاب والغرور .

فاتقوا الله عباد الله ، وكونوا عباد الله إخواناً .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

---

(١) طه : ٤٣ - ٤٤

(٢) طه : ٤٧

٤٣ - النصح حقٌ للمسلم على المسلم

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾(١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾(١) .

واعلموا أن النصح قاعدة من قواعد الإسلام وحق للمسلم على أخيه المسلم وحق للوالي على شعبه وحق لهم عليه ، فهو أمانة في الأعناق ، يجب أداؤها نصحٌ في الولاء ونصحٌ في الأخوه ، ونصحٌ في الرعاية . والنصح ضد الغَدْر وضد الخيانة ، وضد الغش ، وضد الغيبة والنميمة ، فما من نبي إلا وهو ناصح لأمته . وما من شيطان إلا وهو غاش لقرينه . وصاحب موسى أخبره بأن الملأ أجمعوا على قتله وأمره بالخروج فَنَجَى منهم بسبب تلك النصيحة .

وإبليس - أعاذنا اللّه جميعاً منه - قال لآدم وحواء - وهما في الجنة :

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) الأحزاب : ٧٠ - ٧١

مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] . وحَلَفَ لهما أنه ناصح ، وهو يعلم في قرارة نفسه أنه كاذب عليهما وأنه خادع وغاش لهما . وإنما أراد أن يوقعهما في معصية اللّه ليخرجهما من الجنة فيكونون سواء .

وإخوة يوسف طلبوا من أبيهم خروج يوسف معهم إلى البرية ليلعب ويمرح ، وزعموا بأنهم له ناصحون ، وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم كاذبون في دعواهم ، وأنهم أرادوا إبعاده عن وجه أبيه إما بالقتل أو إلقائه في غَيابة الجب . ومن مكرهم زعموا بأن الذئب أكله حتى لا يرسل أبوه مَن يبحث عنه .

وهكذا الجلساءُ والندماءُ والأصدقاءُ ، منهم ناصح حقيقة ومنهم مَن يظهر النصح ويخفى ضده ، واللّه تعالى مُطلّع على الضمائر والسرائر ، والنوايا والمقاصد .

فاتقوا اللّه أيها المؤمنون .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[2]

* * *

(١) الأعراف : ٢٠

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤ - الجماعة قوة ومنعة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ [٢] .

جعل في كل أمة إماماً يتحمل المسئوليات والأعباء والتبعات ، يُتَّقى به ويُدفع به الأعداءُ والأخطار ، يقيم العدل ويدفع الظلم وينظر في المصالح .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له . أمر بالجماعة وحثَّ على السمع والطاعة . ونهى عن الفُرقة والاختلاف .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ما بعث سرية إلا أمَّر عليهم واحداً منهم . وأمرهم بطاعته ونهاهم عن الشقاق .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد نبي الرحمة ، شفيع الأمة . وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واستقام .

أما بعد ..

فبفضل اللَّه وبرحمته جَمَع قلوب المؤمنين وألَّف بينها من عهد النبوة إلى أن تقوم الساعة ، لا يَضُرهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم لأنهم معتصمون بحبل اللَّه متمسكون بكتاب اللَّه وسُنَّة رسوله ﷺ ، يشُدهم الترابط والتعاون والسمع والطاعة لولاة أمورهم . فحرسهم اللَّه برعايته وتوفيقه ويسَّر أمورهم وحماهم من كيد الحاسدين .

---

(١) ألقيت في ١٤١٢/٦/٧ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

ولما كانت الطاعةُ مرتبطةً بالجماعة والاعتصام ، أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ بلزوم الجماعة والاعتصام بحبل الله . ونهى عن الفُرقة . لأن الجماعة قوة ومَنَعه . والفُرقةَ فشلٌ وهلكة . قال تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(١) وقال جلّ جلاله : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾(٢).

فمتى تمسكت الأمة بكتاب ربها . وعضّت على سُنّة نبيها ، والتفّت حول ولي أمرها . فهي مؤمنةٌ معتصمةٌ بحبل الله ملازمة لجماعة المسلمين . فطاعة ولي الأمر من طاعة الله . ومن طاعة رسول الله ﷺ . لأن الله أمر بطاعة ولي الأمر في محكم التنزيل . وأمر صلى الله عليه وسلم بطاعته في صحيح المنقول . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾(٣)

روي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : حقٌ على الإمام أن يحكمَ بالعدل ويؤديَ الأمانة ، فإذا فعل ذلك وجب على المسلمين أن يطيعوه .

وقال سهل بن عبد الله : لا يزال الناس بخير ما عظّموا السلطانَ والعلماءَ ، فإذا عظّموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم ، وإذا استخفوا بهذين أفسد الله دنياهم وأخراهم .

أولو الأمر هم الأئمة والأمراء .

قال ابن جرير الطبري : « فإذا كان معلوماً أنه لا طاعة واجبةً لأحد غير الله أو رسوله أو إمام عادلٍ وكان الله قد أمرنا بقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) آل عمران : ١٠٣

(٢) آل عمران : ١٠١

(٣) النساء : ٥٩

وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ بطاعة ذوي أمرنا ، كان معلوماً أن الذين أمر الله بطاعتهم - تعالى ذكره - من ذوي أمرنا هم الأئمة ومَن ولاَّه المسلمون دون غيرهم من الناس .

وقال القرطبي : لما أمر الله تعالى الولاةَ في الآية المتقدمة بأداء الأمانات وأن يحكموا بين الناس بالعدل ، أمر تعالى في هذه الآية بطاعته أولاً . وطاعة رسوله ثانياً . ثم بطاعة الأمراء ثالثاً .

وقال ابن كثير : الآية عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء . وصحت الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعةٌ . ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « مَن أطاعني فقد أطاع الله ، ومَن عصاني فقد عصى الله . ومَن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومَن يعص الأمير فقد عصاني ، وإنما الإمام جُنَّةٌ يُقاتَل من ورائه ويُتقى به ، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً ، وإن قال بغيره فإن عليه منه » (١) .

وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « اسمعوا وأطيعوا وإن استُعْمل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة » (٢) .

وفي الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شِبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية » (٣) .

---

(١) المشكاة : ٣١٦/٢ ، كتاب الإمارة ، وقال : متفق عليه - مسلم : ١٤٦٦/٣ رقم (٣٢) ، وفي رواية : « مَن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني » رقم (٣٣) .

(٢) البخاري في الصحيح : ٧٨/٩ باب « السمع والطاعة » ، ورواه مسلم : ١٤٦٨/٣ رقم (٣٧) بلفظ : « عبد حبش مجدع الأطراف » .

(٣) البخاري في الصحيح : ٧٨/٩ باب « السمع والطاعة » .

الجاهلية ما قبل الإسلام . فمَن مات في الجاهلية فليس له إمام وقيل : بلا إسلام ، وكذلك الذي يفارق الجماعة ويشق الطاعة ولم يتُب حتى مات فهو كالذي مات في الجاهلية . فالسمع والطاعة لولي الأمر من أصول الإسلام يجب التمسك بها في المنشط والمكره . ولا تتوقف على الرغبة والهوى ولا على المحبة والرضا .

وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه ستكون بعده أثرة وأمورٌ تُنكر ، وأمر عليه الصلاة والسلام بأداء الحق وسؤال الله ما فات .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها » ، قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم » (١) .

روي مسلم عن وائل بن حُجر رضي الله عنه قال : سأل سلمة بن زيد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ، أرأيتَ إن قام علينا أمراءُ يسألون حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ قال : « اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » (٢) .

والتمسك بالبيعة والثباتُ عليها واجب امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ .

روي مسلمٌ عن عبد الله بن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حُجَّة له . ومَن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » (٣) .

اتقوا الله أيها المسلمون .. اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، والزموا

---

(١) مسلم : ١٤٧٢/٣ رقم (٤٥) .

(٢) مسلم : ١٤٧٤/٣ رقم (٤٩) كتاب الإمارة ، باب « طاعة الأمراء » .

(٣) مسلم : ١٤٧٨/٣ رقم (٥٨) كتاب الإمارة ، باب « تحريم الخروج على الطاعة » .

كتاب اللّه يهديكم للتي هي أقوم . وتمسكوا بسُنَّة رسوله ﷺ فيما لكم وعليكم تفلحوا وترشدوا . وأطيعوا ذا أمركم تُوفَّقوا وتُسدَّدوا وتُنصَروا .

اللّهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

اللّهم لك .. الحمد ربنا أنت أهل الحمد والثناء .. حفظت عقيدتنا من الشوائب وحميت بلادنا من دسائس إبليس ، وهديتنا للإيمان والتوحيد .

لك الحمد جمعتَ شملنا على إمامنا ووحَّدت صفوفنا خلف قائدنا ونصرتنا وأعززتنا وكبتَّ عدونا وحفظتنا من الفتن .

اللّهم ارزقنا شكر نعمك وزدنا من فضلك وإحسانك ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

٤٤ - ردُ الخلاف إلى الكتاب والسُنَّة

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ..

جعل الكتاب والسُنَّة حَكَماً بين المختلفين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له ، عدلٌ يحب المقسطين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين أسوة المؤمنين .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على خاتم النبيين قائد الغر المحجلين وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن قواعد الإسلام وفروض الإيمان واضحةٌ بيِّنةٌ متفق عليها . ولا يخالف فيها إلا مَن قدَّم عقله وهواه على النصوص . وإن حصل خلاف بين المسلمين في بعض المسائل الفرعية فكما حصل بين الصحابة رضي اللَّه عنهم في مسائل اجتهاديه في فهم نص أو استنباط حكم . أو أمر استجدَّ . ولكنهم كانوا إذا اختلفوا في أمر رجعوا فيه إلى اللَّه وإلى رسوله . فكان التوفيقُ منارهم والسداد هدفهم والسمعُ والطاعة رائدهم ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢) ولا يخرجهم تنازعهم عن دائرة الإيمان ولا يزحزحهم عن الحق والصدق ولا عن صراط اللَّه السوى .

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) النور : ٥١

فاتقوا الله أيها المؤمنون ..

يجب علينا جميعاً - أخوتي في الله - أن نَرُدَّ ما اختلفنا فيه من أمور الدين إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وذلك مقتضى الإيمان عملاً بقوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾(١)

وواجب رد ما تنازع الناس فيه من أمور الدين إلى كتاب الله وسُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَىۡءٍ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾(٢) .. فما حكم به الكتاب والسُنَّة فهو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال . والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل وخير من التنازع وأحسن من آرائكم وتأويلكم أحسن مرجعاً ومآلاً .

ثم اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٣)........

* * *

(١) النساء : ٥٩

(٢) الشورى : ١٠

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥ - ضرر تفريق الكلمة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

والحمد للّه الذي هدانا لدين الإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، له الحمد في الآخرة والأولى ، وله الحكم وإليه تُرجعَون .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالَمين﴿ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾(٣) ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾(٤) صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومَن اهتدى بهَدْيه ودعا بدعوته .

أما بعد ..

فإنَّ اللّه تعالى خلق الإنسان وجعل فيه مقومات الفهم والتمييز ، والعقل والإدراك ، فهو يعرف النافع من الضار ، والطيب من الخبيث ، وأعطاه قوة عقلية ، يختار بها ، فَبِرغبته يختار ، وبإدراكه يميز ، وطريقُ اللّه مستقيم ، معتدل واضح منير ، على اتجاه واحد ، إلى رب العالَمين ، وما عداه فطرق منحرفة ملتوية معوجة . لها فروع ومنافذ ، تؤدي إلى متاهات ، وظلمات ، وكل إنسان بقدرته

---

(١) ألقيت في ١٣٩٨/٨/٢ هـ

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) الفتح : ٨

(٤) الأحزاب : ٤٦

الاختيارية يختار الطريق التي يسلكها في هذه الحياة ، ولن يخرج عن النظام القدري العام : « اعملوا فكلٌ مُيَّسرٌ لما خُلِقَ له » (١) .

ليس أمام الإنسان إلا واحد من طريقين . إما طريق الخير الموحد المستقيم . أو طريق الشر بشعبه وأقسامه وانحرافاته ، وضلالاته ، ومتاهاته ، وإذا أراد الإنسان أن يطبق الجزئيات على القواعد ، فلينظر إلى الأقوال والأفعال ، فإنها تُعَبِّر عن عقيدة المرء وسريرته .

والعلمانية العالَمية . هي أخفى منظمة يهودية شيوعية مشتركة . تعمل بسرية مكتومة ، وخفاء . تعمل لهدم الإيمان وعقيدة التوحيد ؛ وتفريق كلمة المسلمين ، وإثارة الخلافات والمشاحنات والشقاق بين الأمة المسلمة ، والعائلة الواحدة ، تفرِّق بين الشعوب والحكومات ، تفرِّق بين الرئيس والمرؤوس ، وبين الأب وابنه ، والأخ وأخيه ، بإثارة الخلافات . في مسائل في المعاملات ، والعبادات ، والعقائد ، والميول والاتجاه ، وهي بعملها هذا إما أن تحرف المسلمين - حكومة وشعباً - عن صراط االله المستقيم ، إلى المتاهات والظلمات ، فتضعف قوتها ، وتتفرق كلمتها ، فلا تقاوم أعداءها ، أو أنها تجعل بأس الأمة بينها فتتضارب الآراء والأفكار ويشتد الجدل وأخيراً إلى شر مستطير .

والأمور إذا عولجت في أول أمرها . قضي عليها بسهولة ، أما إذا استهين بها حتى تمتد أغصانها وتبث عروقها . وتقوى أعوادها فبَعْد هذا يحتاج الأمر إلى مشقة وعناء ، وقد مَنَّ اللّه تعالى على هذه البلاد ، بأن جمع شملها ، ووحَّد صفوفها ، وطهَّر عقيدتها على يد جلالة الملك المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيَّب اللّه ثراه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، فكان ما نَرْفُل فيه من الأمن والرخاء ، والدعة ، والسكون والهدوء والعز ،

---

(١) إشارة إلى حديث عمران بن الحصين رضي اللّه عنهما ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما : البخاري برقم (٧٥٥١) التوحيد باب (٥٤) : ٥٢١/١٣ (الفتح) ، وكذا مسلم في الصحيح برقم (٦) ، (٧) ، (٨) كتاب « القدر » من هذا الوجه واللفظ .

وجمع الشمل وتوحيد الكلمة ، وإخلاص العبادة للّه وحده ، واتباع سُنَّة نبينا محمد ﷺ ، غضة طرية ، كما جاء بها حبيبنا وقرة عيوننا محمد بن عبد اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، والأمة الإسلامية محسودة بهذه النعمة بصفة عامة .

لذلك فإن الحاسدين يعملون بكل جد ونشاط وبكل أسلوب وإغراء ، وبكل إرجاف وتخويف وبكل شيطان مريد ، لتفريق الكلمة وشق العصا وتصديع الصف ، وبلبلة الأفكار . وإثارة الخلافات الفقهية والعقائدية الميِّتة المدفونة يَنْبُشُونها من قبورها ، لتكون هي القائد في تحقيق أهدافهم الماسونية الخبيثة ومخططاتهم الصهيونية الشيوعية المشتركة .

لم يبق في العالَم أمة مسلمة ، تحكم بشرع اللّه وبرسالة محمد ﷺ إلا هذه البلاد ، لذلك فإن كل القوى المعادية للإسلام مركزة عليها .

ويجب أن يعلم المسلمون وولاة الأمر ، أنه لا ناصر لهم إلا اللّه وحده ، ولا عز لهم إلا باللّه وحده ، ولا مؤيد لهم إلا اللّه وحده ، ولا ينصرهم إلا مَن كان على دينهم وعقيدتهم .

وإننا نأسف كل أسف ، ونَحزْن الحزن العميق أن يكون من بين قوى الأمة المسلمة « من يرفل في خيراتها وينعم في رخائها . ويَسْعَد بأمنها واستقرارها . ويتمتع بخصوصيته في ثقة المسئولين فيه ، فإذا به يتابع الفرقة التي تثير الخلافات وتشق العصا . وتنقر في أصل الدولة الذي بُنيت عليه » مَن يحاول تدنيس العقيدة الصافية . والإيمان الخالص باللّه ، والتصديق النقي برسول الرحمة ونبي الهداية محمد ﷺ .

إن المسئولية تقع على كل مسلم ، ويتأكد علي القيادات الدينية . ويتعين على القيادة العامة أن تحافظ على كيانها . ومقدساتها . ومقوِّمات عزِّها ونصرها ؛ فاتقوا اللّه أيها المؤمنون . اتقوا اللّه أيها المسئولون . اتقوا اللّه يا أنصار الإسلام .

نسأل اللّه تعالى أن ينصر دينه ، وأن يُعلي كلمته ، وأن يرفع راية الإيمان قوية عزيزة كريمة خفّاقة ، على جميع أقطار الدنيا ، وأن يحفظ بلادنا وأمننا واستقرارنا ، وعقيدتنا من كيد الأعداء ودسائس المغرضين الحاسدين ، وأن يحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وآخرتنا التي إليها معادنا ، إنه جواد كريم ، فاستعينوا باللّه أيها المؤمنون واستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

٤٥ - الحذر من النفس الأمَّارة بالسوء

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه كثيراً . وأشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها الناس .. اتقوا اللّه تعالى . واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى . واحذروا سخط الجبار فإن أقدامكم على النار لا تقوى .

واعلم أخي المسلم أن لك نفساً أمَّارة بالسوء تدْعوك لشهواتها ورغباتها . وتُزيِّن لك وساوس الشيطان وتحثك على اتباعها . فاحذر منها كل الحذر وتحصن بكتاب اللّه وسُنَّة نبيه ﷺ ، واجعل لسانك مشغولاً بذكر اللّه ، وبدنك معموراً بطاعة اللّه ، يحفظك اللّه من كل سوء ويهديك لكل خير وسعادة .

واتق اللّه حيثما كنت يجعل لك من كل همٍ فَرَجاً ومن كل ضيق مخرجاً . ويرزقك من حيث لا تحتسب .

عباد اللّه .. إن اللّه تعالى قد أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وعن بقية الصحابة أجمعين . وأهل بيته

---

(١) الأحزاب : ٥٦

الطيبين الطاهرين . وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بيمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . واجمع كلمتهم ووحِّد صفوفهم . واهدهم سبل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللّهم انصر جيوش المسلمين وثبت أقدامهم واربط على قلوبهم وانصرهم على القوم الكافرين .

اللّهم اذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين .

اللّهم اخذل اليهود وأعوانهم وأتباعهم . اللّهم أنزل الرعب في قلوبهم . وشتت شملهم وفرِّق جمعهم . واجعل الدائرة عليهم . إنك أنت القوي العزيز .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات . اللّهم فرِّج هم المهمومين ، ونفِّس كرب المكروبين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله .. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2]

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦ - إن اللّه يدافع عن المؤمنين (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .. وعد المؤمنين بحمايتهم والدفاع عنهم .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ﴾ (٣)

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه ، أوتي الكتاب ومثله معه (٤) .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (٥)

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك ، محمد الذي شرحتَ له صدره ورفعتَ له ذكره ، وأعطيته الحوض والمقام المحمود .

وصلِّ اللّهم على آله وأصحابه وزوجاته ومَن تبعهم بإحسان وسلِّم تسليماً كثيراً .

---

(١) ألقيت في ١٤١١/٤/٨ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) الحج : ٤٠

(٤) إشارة إلى حديث أخرجه أحمد في المسند : ١٣١/٤ ، وابن ماجه رقم (١٢) المقدمة ، إسناده حسن ، وذلك من حديث المقدام بن معد يكرب رضي اللّه عنه .

(٥) النجم : ٣ - ٤

أما بعد ..

فإن الجماعة التي تَكفَّل الله بِنَصْرِها ، والدِّفاع عنها هي التي تحب الله ويحبها ، وتحب ملائكته وكتبه ورسله ، وتحب القرآن كلام الله ، وتحب السُنَّة شريعة رسول الله ﷺ ، فجعلت القرآن والسُنَّة نظام سلطانها ، ومنهج حياتها ، وقائدَها في مسيرتها ومرشدها لما بعد مماتها ، تلك الأمة التي تسود فيها السماحة . وتربط بين أفرادها الأخوة في الله ، وتجمع قواها بحبل الله ، وتعمل لله ومن أجل الله فهي تتحسس مواقع أقدامها ، ومنتهى أبصارها ، وما يَطْرُق سمعها ، وما تمتد إليه أيديها ، تعرف الحلال فتكتفي به لبناء أجسادها ، وتعرف الحرام وسوء عاقبته فتبتعد عنه ، حياتُها كلها عبادة ، ومحياها ومماتُها لله ، أمة متعاونةٌ متكاتفةٌ متفاهمةٌ ، يأخذ الحليم منهم على يد السفيه ، والتقي على يد الشقي ، والصالح على يد الطالح ، والعابد على يد الشارد ، متوكلة على الله . معتصمة به ، لائذة بحماه ، مستجيرة بذي القوة المتين .

هذه هى الأمة التي يدافع عنها ربها ، وتكفَّل الله بنصرها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾(١) ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ﴾(٢) وكيف ينصر العبد الضعيف القويَّ العزيز . إنما ينصر دينه وشريعته وكتابه وسُنَّة نبيه ﷺ ، إيماناً وتطيقاً . ودعوة وجهاداً لإعلاء كلمة الله ولإظهار دينه على الأديان كلها ، وقد وصف الخالق تعالى تلك الأمة بأربع صفات فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١ ﴾(٣)
فهذه أربع صفات عليها مدار التشريع ، فإذا أتى بها المسلم ونهض بها سهل

---

(١) الحج : ٣٨

(٢) الحج : ٤٠

(٣) الحج : ٤١

عليه الإتيان ببقية التكاليف ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وأداء الزكاة يُسيطر على الشح ووساوس إبليس . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هما أساس دعوة الرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ، فقوله تعالي : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى الْأَرْضِ ﴾ أى صار لهم السلطان ، وأقاموا الصلاة بأنفسهم وأمروا بها من تحت ولايتهم . وإقامة الصلاة أداؤها في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها ومستحباتها ، فبقدر كمال الصلاة وتمامها تكون الصلة بين العبد وربه ، فمَن ترك الصلاة انقطعت صلته بالله فليس من أنصار الله الذين تكفل بنصرتهم .

والزكاة حق أوجبه الله تعالى ، وأوجبه رسول الله ﷺ ، يؤخذ من الأغنياء ويعطى الفقراء ، وإخراج الزكاة دليل قوة الإيمان . يسيطر على شح النفس ، ووسوسة إبليس . ودليل الشفقة والرحمة بالفقراء ، وبه يتحقق قوله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » [(١)] ، وإخراج الزكاة دليل شكر النعمة لله والاعتراف له بالفضل والإحسان ، فمَن منع الزكاة لم يكن من حزب الله الذين يدافع عنهم .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما القاعدة الأساسية لدين الإسلام . فلا تُقام الحدود ولا تُصان الأعراض ولا تُحفظ الكرامات ولا تُقام الشعائر . إلا بالأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر . وهما تكليف ليس بالهيِّن . ومسئوليةٌ ليست سهلة ، ففيهما تصادم مع شهوات الناس وأطماعهم ونزواتهم ، وغرور بعضهم .. والناس على طبائع شتَّى وتصورات مختلفة ، فينبغي أن يكون الآمر والناهي على جانب

---

(١) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه – البخاري : ٣٦٧/١٠ الأدب ، ومسلم : في الصحيح برقم (٢٥٨٦) في البر والصلة ، باب « تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم » من هذا الوجه واللفظ .

من العلم ، والمعرفة والحكمة ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١)

فواجب على مَن ولي أمر المسلمين في كل إقليم أن يجعل في كل بلد جماعةً تقوم بهذا الأمر ، كما هو موجود في مملكتنا آدام الله عزها وأمنها واستقرارها . وإنما تميزت هذه الأمة على غيرها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبه صارت خير الأمم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(٢)

فيجب على الأمة المسلمة أن تعرف وظيفتها وأن تنهض بواجبها ، وأن تكون كما وصفها ربها ..

يجب على الأمة المسلمة أن تعرف منزلتها عند بارئها ، وأن تقوم بصيانة الحياة من الشرور والفساد ، وأن تنهض بواجبها كما أمرها ربها على نهج نبيها محمد ﷺ ، وعليها أن تتحمل ما يُلقي السفهاء والطغاة من دعايات وإرجافات . ومن أكاذيب وافتراءات ، عليها أن تحطم كل ما يلقى في طريقها من أشواك وأذى وعقبات .

إن الآمر بالمعروف ، والناهي عن المنكر سيُواجه شهوات ثائرة ، ورغبات هابطة ، وعزائم كالة ، ومطامع ثقيلة ، فلا بد له من التزود بزاد الإيمان والتقوى والاحتساب ، والصبر والمصابرة لينجح في مهمته ، لإقامة مجتمع صالح ، ولصيانة الأمة من العابثين المفسدين ، ولحمايتها من سخط الله وأليم عقابه ومن غضبه وشديد انتقامه .

إن الأحداث التي تمر بالأمة الإسلامية بمثابة التربية والتعليم . لصقل إسلامها من غبش المعاصي ، وجلاء أفكارها وعقولها من أدران الغفلة والألفة ولتحريك الهمم ، وبعث النشاط لتنهض الأمة بواجبها .

---

(١) آل عمران : ١٠٤

(٢) آل عمران : ١١٠

فاتقوا اللّه أيها المسلمون ، مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، وأدوا زكاة ما أتاكم اللّه فلكل نعمة زكاة ، المال له زكاة ، والملك له زكاة ، والرئاسة لها زكاة ، والجاه له زكاة ، والإسلام له زكاة ، والصحة لها زكاة ، والسُلطة لها زكاة ، فأدوا زكاة ما أتاكم اللّه ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾(١)

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(٢)

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾(٣)

عن حذيفة بن اليمان رضي اللّه عنه عن رسول اللّه ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكن اللّه أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم » (رواه الترمذي وقال حديث حسن) (٤) .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم وفي سُنَّة سيد الأوَّلين والآخرين .

---

(١) الأنفال : ٢٥

(٢) التوبة : ٦٧

(٣) التوبة : ٧١

(٤) الترمذي : برقم (٢١٦٩) : ٤٦٨/٤ ، وقال الترمذي عقبه : هذا حديث حسن .

اللّهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء همومنا وغمومنا ، وشفاء أسقامنا ، وقائدنا إلى مرضاتك وجناتك .

اللّهم علّمنا منه ما جهلنا ، وذكّرنا منه ما نسينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا .

اللّهم اغفر لنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

٤٦ - صفات المتقين

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾(١) .

وأشهد أن لا إلهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه في السر والعلن ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(٢) ، ومَن كان مع اللّه كان اللّه معه ، ومَن توكل على اللّه كفاه . ومَن اعتصم بحبله عصمه . ومَن لجأ إليه حماه .

اللّهم اجعلنا واجعل إمامنا وولي عهده وحكومته ممن قلت فيهم : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾(٣)

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) الطلاق : ٢ - ٣

(٣) البقرة : ١ - ٥

ومن الذين قلت فيهم : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(١)

ذكر ابن كثير في التفسير عن ابن سوادة الكندي قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول : ﴿ الَّذِينَ إن مَّكَّنَّهُمْ فِى الأَرْضِ ﴾ ... الآية ، قال : ألا إنها ليست على الوالي وحده ولكنها على الوالي والمُولَّي عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم وبما للوالي عليكم منه ، إنَّ لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتي هي أقومُ ما استطاع ، وإن عليكم من ذلك : الطاعةُ غيرُ المبزوزة ولا المستكرهُ بها ، ولا المخالفُ سِرُها علانيتها ، ثم اعلموا إخواني في الله أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٢) ....

* * *

(١) الحج : ٤١

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧ - حاجة الإنسان إلى خالقه (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ ﴾(٢)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله

صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها الناس اتقوا اللّه تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾(٣) ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥ ﴾(٤).

أيها المؤمنون .. إنَّ الإنسان في هذه الحياة الدنيا غرض لسهامها . وهدف لمصائبها . فإن أخطأه هذا أصابه هذا . وقد جعل اللّه لعباده من كل هم فَرَجاً ، ومن كل ضيق مخْرَجاً . فالصبر مفتاح الفَرَج . والصلاة راحة للمؤمن ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم

(١) ألقيت في ١٣٩٤/٢/٢١ هـ .
(٢) سبأ : ١
(٣) الطلاق : ٢ - ٣
(٤) الطلاق : ٥

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾(٢)

مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾(١)

كما أن الاعتراف لله تعالى بالعبودية والملك فيه سكينة للقلب وراحة للنفس ومغفرة للذنب . ورفع للدرجات . وتعويض عن كل ما فات ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(٣)

فالإنسان ضعيف مسكين تتنازعه عوامل الخير والشر . وتهدده في كل صباح ومساء ، فهو فقير إلى الله تعالى ومحتاج إليه في جميع أحواله وأوقاته . في سرّائه وضرّائه . فيجب على الإنسان أن يكون دائماً على صلة بربه وخالقه وملجئه وحافظه وناصره ، رب الأرباب ومَلِك الملوك وسيد السادات ، جلّت عظمته وتقدست أسماؤه ولا إله غيره ولا رب سواه . فالانقياد لله بالعبودية هي أعلى المراتب . وأسمى المنازل ، ترفع بالإنسان من الطبائع الحيوانية . إلى درجات الفضل والكمال والعزة النفسية والرفعة العامة ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾

---

(١) البقرة : ٤٥ - ٤٦

(٢) البقرة : ١٥٣

(٣) البقرة : ١٥٥ - ١٥٧

(٤) المعارج : ١٩ - ٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾(١)

فالإنسان تتناوبه أحزان وأفراح . فمنهم مَن يسلو عن أحزانه بالصبر والاحتساب والاسترجاع ، ويتمتع بأفراحه فى طاعة ربه وما يصلح دينه ودنياه . ومنهم مَن يسلو عن أحزانه كالبهائم بطول الزمن والنسيان . ويتمتع بأفراحه متاع الغرور والشيطان ، والله سبحانه حكيم في شرعة وقدره . عليم بما يصلح عباده وخلقه . وهو أرحم بعباده من أنفسهم ، فمن الناس مَن نفسه خبيثة شريرة فلا يصلحها إلا المصائب ، ومنهم مَن ذنوبه كثيرة لا يكفِّرها إلا ما أصابه . ومنهم مَن كتب الله له درجة عالية في الجنة فلا يصل إليها إلا بمصيبة تصيبه . ومنهم مَن هو كسول عن طاعة الله وغافل عن ذكر مولاه فلا ينشطه ولا يذكره إلا ما ألمَّ به . فالله سبحانه هو الذي يعلم عواقب الأمور .

أما المخلوق فإنه جهول عجول . فقد تصيبه سرَّاء فيفرح بها وفيها دماره وهلاكه . وقد تصيبه ضرَّاء يستاء لها . وفيها سعادته وصلاحه . كما قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢١٦ ﴾(٢) والفرق في هذا بين المؤمن وغير المؤمن أن المؤمن دائماً على خير ، فإن أصابته سرَّاء شكر الله تعالى على فضله وإحسانه وتوفيقه . فكان خيراً له . وإن أصابه ضرَّاء صبر (٣) ، واحتسب الأجر والثواب من الله تعالى فكان خيراً له ، بخلاف الكافر والمنافق فهما بضد ذلك .

---

(١) سورة العصر كاملة .

(٢) البقرة : ٢١٦

(٣) إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، هذا لفظ الإمام أحمد في مسنده : ١٧٣/١ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم (٢٩٩٩) في الزهد ، باب « المؤمن =

ولما كانت النفوس جُبِلت على الفرح بالخير والحزن من الشر . لم يؤاخذ اللّٰه تعالى عباده بما هو خارج عن اختيارهم وقدرتهم كحزن القلب ودمع العين . فكان صلى اللّٰه عليه وسلم أعرف الناس باللّٰه وأخشاهم له وأتقاهم . فلما عاد سعد بن عبادة رضي اللّٰه عنه بكى عليه الصلاة والسلام فبكى مَن عنده . فقال صلى اللّٰه عليه وسلم : « ألا تسمعون ؟ إن اللّٰه لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا ويرحم » - وأشار إلى لسانه .

ولما رُفِع إليه ابن ابنته وهو في الموت . فاضت عيناه فقال له بعض الحاضرين : ما هذا يا رسول اللّٰه ؟ فقال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم : « هذه رحمة جعلها اللّٰه في قلوب عباده ، وإنما يرحم اللّٰه من عباده الرحماء » [١] .

وكان صلى اللّٰه عليه وسلم هو أرفقُ الناس بأصحابه وأهل بيته وأشدهم شفقة ورحمة عليهم وعطفاً وحناناً . فلما أرسلت إليه ابنته تدعوه وتخبره أن ابنها في الموت قال صلى اللّٰه عليه وسلم للرسول : « ارجع إليها وأخبرها أن للّٰه ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى [٢] ، فمرها فلتصبر ولتحتسب » فنعْمَ التعزيه منه صلى اللّٰه عليه وسلم لابنته . ونِعْم الوصية لأمته . فالعالَم كله مِلْكٌ للّٰه ، فما أعطاه لخلقه من شيء فهو في ملكه وتحت قهره ، فإذا أخذ شيئاً مما أعطاهم فإنما هو ملكه يفعل به ما يشاء ، كالعارية المردودة على مالكها ، فمم يجزع الإنسان ، وإلى مَن يفزع ؟ فما دام الأمر كذلك ولا بد من حصوله فمَن رضى وصبر فله الرضا ومَن سخط فعليه السخط .

= أمره كله خير » وهو من حديث صهيب الرومي رضي اللّٰه عنه ، وأخرجه البغوي في شرح السُنَّة برقم (١٥٤٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللّٰه عنه .

(١) إشارة إلى حديث أسامة بن زيد رضي اللّٰه عنه : البخاري برقم (١٢٨٤) الجنائز ، وكذا مسلم في الصحيح برقم (خاص ١١) ، و (عام ٩٢٣) : ٦٣٥/٢ من هذا الوجه واللفظ .

(٢) هذا هو الحديث الذي مضى الآن ومسلم عنده هذه الزيادة دون البخاري ، وذلك من حديث أسامة بن زيد رضي اللّٰه عنه برقم (خاص ١١) ، و (عام ٩٢٣) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ولكن يعذب الله بهذا ويرحم » - يعني باللسان - بيان أن الناس في تلقي المصائب قسمان . فمنهم يتلقاها بالرضا والتسليم للقضاء ولا يقول إلا ما يرضي ربنا : « إنّا للّه وإنّا إليه راجعون . اللّهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها » [١] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[٢]

ومنهم هلوع جزوع إذا أصابته المصيبة نسي نفسه ونسي ربه . أو قد يفتعل الحزن كالنائحات المرتزقات . فترفع صوتها بالبكاء بما يُسمع القريب والبعيد . وتندب الميت بصفاته : واكذا واكذا .

وكالذين يبالغون في الرثاء والتأبين ويتعدون حدود الجائز المباح بتعداد المحاسن ومخاطبة الميت بفعاله بما يصل إلى حد النياحة المحرَّمة . يلتمسون رضا المخلوق بما هو اعتراض على فعل الخالق جلَّ جلاله . بل قد يكون في وصفهم ما لا يوصف به إلا رب الأرباب وملك الملوك تقدَّست أسماؤه .

وأشنع من ذلك وأعظم ؛ عمل الذين يجمعون بين هذا وذاك ، ويلطمون الخدود والصدور . ويشقون الجيوب [٣] وهذا كله مخالف للصبر الذي أمر اللّه به رسوله ، وفيه جزع من قضاء اللّه وقدره ، وقد نهي اللّه ورسوله عنه . ولذلك لعن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم النائحة والمستمعة [٤] . وتبرأ صلى اللّه عليه وسلم ممن

---

(١) إشارة إلى حديث أم سلمة رضي اللّه عنها : مسلم في الصحيح برقم (خاص ٤) ، و (عام ٩١٨) ، والبغوي في شرح السُّنّة برقم (١٤٦٣) .

(٢) البقرة : ١٥٧

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه : البخاري برقم (١٢٩٤) - الجنائز ، وأحمد في المسند : ٤٢٢/١ ، ٤٥٦ من هذا الوجه واللفظ .

(٤) إشارة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه : أبو داود برقم (٣١٢٨) - الجنائز ، وفي إسناده ضعف ، والبغوي في شرح السُّنّة برقم (١٥٣٦) : ٤٣٩/٥ ، محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي ضعيف وكذا أبوه وجده ، هكذا قال الذهبي في الميزان رقم الترجمة (٧٣٧٩) ، وقال البخاري : لم يصح حديثه ، واللّه أعلم .

شقَّ الجيوب ولطم الخدود ودعا بدعوى الجاهلية [١] . وقال صلى اللّه عليه وسلم : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطرانٍ ودرعٌ من جرب » [٢] ، وروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه : أنه ضرب نائحه وقال : إنها لا تبكي بشجوكم وأنها تُهريق دموعها لأخذ دراهمكم ، وإنها تؤذي موتاكم في قبورهم وأحياكم في دورهم ، لأنها تنهي عن الصبر وقد أمر اللّه به ، وتأمر بالجزع وقد نهى اللّه عنه [٣] .

فالنياحة لا تأتي بخير ولا تدفع شراً ولا ترد فائتاً . وإنما فيها فقد سرور وحرمان أجر واكتساب وزر وهذه مصيبة أعظم . فاتقوا اللّه عباد اللّه وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . وما من مصيبة إلا وهناك أخرى أعظم منها . روى بعض العلماء أنه رأى امرأة في البادية . فأعجب بنضارة جلدها فظن أنها مسرورةٌ منعمه فسألها فقالت له : إنه كان لي زوج ولي منه ابنان فذبح أبوهما شاة في يوم أضحى . والصبِيَّان يلعبان . فقال الأكبر للأصغر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة ؟ قال : نعم . فذبحه ، فلما نظر إلى الدم جزع . ففزع نحو الجبل فأكله الذئب . فخرج أبوه في طلبه فتاه أبوه فمات عطشاً فأفردني الدهر . فقال لها : كيف أنتِ والصبر ؟ فقالت : لو دام لي لدمتُ له ، ولكنه كان جرحاً فاندمل [٤] .

فاتقوا اللّه عباد اللّه . فإذا أصابت أحد مصيبة فليصبر وليحتسب وليقل : إنَّا للّه وإنَّا إليه راجعون . اللّهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها [٥] .

---

(١) هو حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه : البخاري برقم (١٢٩٤) ، ومسلم برقم (١٠٣) ، (١٦٦) - ، الإيمان ، باب « ما ينهى من دعوى الجاهلية » .

(٢) إشارة إلى حديث أبي مالك الأشعري رضي اللّه عنه : مسلم في الصحيح ، برقم (٩٣٤) ، باب « التشديد في النياحة » ، والبغوي في شرح السُنَّة برقم (١٥٣٤) : ٥/٤٣٦ - ٤٣٧

(٣) لم أقف على هذا الأثر الموقوف واللّه أعلم . ولا بأس في ضرب النائحة وذلك تعزيراً لها وتأديباً إذا رأى الحاكم فيها .....

(٤) لم أقف على مصدر هذه القصة وقد وقعت بمثلها في أزمان كثيرة .

(٥) إشارة إلى حديث أم سلمة رضي اللّه عنها في الصحيح برقم (خاص ٤) ، و (عام ٩١٨) .

ثم ليحمد اللّه إذ لم تكن أعظم ، وليحمد اللّه إذ رزقه الصبر . وليحمد اللّه إذ وفقه للاسترجاع . وليحمد اللّه إذ لم يجعل مصيبته في دينه .

اللّهم إنّا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة .

اللّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا [١] .

أقول قولي هذا وأستغفر اللّه لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي اللّه عنها : الترمذي الدعوات برقم (٣٥١٣) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٥٨٣/٨ إلى الإمام أحمد في المسند والترمذي في جامعه وصححه ، والنسائي وابن ماجه في سننيهما ، ومحمد بن نصر المروزي ، والبيهقي عن عائشة رضي اللّه عنها .

٤٧ - الأموال والأولاد ودائع

(الخطبة الثانية)

الحمد لله .. ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾(١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلَّى اللّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٢)

واعلموا أن الأموال والأولاد إنما هي عوار في أيدينا لا بد أن يأخذها مالكها جلَّ جلاله ، وإنما أعطانا إياها للابتلاء والاختبار وهو أعلم سبحانه بما نحن فاعلون فيها ، وإنما ليقيم الحُجَّة علينا بفعل أنفسنا ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾(٣)

فاحسنوا التصرف في أماناتكم ، واصبروا على ما فاتكم منها واحتسبوه ذخراً عند اللّه . قال صلى اللّه عليه وسلم لرجل من أصحابه مات ابنه : « يا فلان ، أيما كان أحب إليك : أن تمتع به عمرك . أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلا

---

(١) القصص : ٧٠

(٢) الحشر : ١٨

(٣) الأنفال : ٢٨

وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك » ؟ فقال : يا نبي الله ، يسبقني إلى الجنة يفتحها لي هو أحب إليّ ، قال : « فذلك لك » ، فقال : يا رسول الله ، هذا له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال : « بل للمسلمين عامة » [١] .

عباد الله .. إنّ الله قد أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[٢]

اللّهم صلّ وسلّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد . وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين . اللّهم انصر جيوش المسلمين وثبت أقدامهم وانصرهم على القوم الكافرين .

اللّهم اخذل اليهود وأعوانهم ومَن والاهم . اللّهم فرّق جمعهم وشتت شملهم وأنزل الرعب في قلوبهم . إنك أنت العزيز الحكيم .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، اللّهم فرّج هم المهمومين ونفّس كرب المكروبين ، واقض الدّيْن عن المدينين واشف مرضى المسلمين .

---

(١) أخرجه النسائي في سننه : ١١٨/٤ باب في التعزية ، وإسناده حسن . وقد انفرد بهذا الحديث النسائي في سننه .

(٢) الأحزاب : ٥٦

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢).

* * *

---

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٨ - الزلازل إما امتحان أو عقوبة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾(٢)

له الحمد في السرَّاء والضرَّاء ، و ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠ ﴾(٣)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له . وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالَمين . مَن أطاعه سعد وفاز . ومَن عصاه خسر وخاب .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سُنَّته وعمل بشريعته .

أما بعد ..

فإن الخالق تبارك وتعالى يبتلى عباده ويختبرهم ليميز الخبيث من الطيب : بسم اللَّه الرحمن الرحيم : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾(٤) ، فلا بد من تربية النفس بالبلاء بالمخاوف

(١) ألقيت في ١٤١٣/٤/٢٠ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) القصص : ٧٠

(٤) العنكبوت : ١ - ٣

والشدائد والجوع ونقص من الأموال والأرواح والمحاصيل . كما قال جلّت عظمته وتقدست أسماؤه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(١)

لا بد من البلاء والامتحان لتصفو عقيدة الإيمان ولتعرف قيمتها ، فمتى ثبت الإيمان بأهله فلم يهتز ولم يتغير بحصول المصائب . ظهرت قيمة العقيدة . وبرز دورها الفعال في تهذيب النفس وتربيتها . وربطها بخالقها ، فكلما تألم المؤمن في سبيل عقيدته . وكلما تحمل المشاق في سبيل دينه ، كانت أعز عليه وأغلى وكان عليها أحرص . فلا يرضى عنها بديلاً . ولا يقبل فيها عوضاً مهما كان ومهما ارتفع .

ولا يُدّرِك الآخرون قيمة الإيمان عند أهله وغلاءَه عندهم إلا حين يرون صبر المؤمنين على المصائب والكوارث والمحن من أجل إيمانهم .

لا بد من البلاء لتثبيت العقيدة في القلوب وتمكينها من الجوارح ، فيصلب عود المؤمن . ويشتد ويقوى . وتتحرك قواه الكامنة وطاقاته المدخره التي لا يعرفها المؤمن في نفسه إلا حين تبرزها المصائب .

لا بد من صقل العقيدة . ولا بد من تقوية الإيمان ، ولا يكون ذلك إلا بالاتصال بالله . والالتجاء إليه والاعتماد والتوكل عليه ، كما أن الخالق تعالى يغار على محارمه ، فيعاقب مَن شاء بما شاء ، والمصائب سوط تربية وتأديب . تنبه الغافلَ وترد الشاردَ وتوقظ النائمَ ، وتحرك الوجدان وتُشع نور الإيمان في قلبه ، فإذا التمس المصابُ ملجأً من مصيبته فلا ملجأ إلا إلى الله .

وإذا بحث عن الواقي الحافظ فلا واقيَ ولا حافظ إلا الله ، وإذا بحث عن

---

(١) البقرة : ١٥٥ - ١٥٧

النصير القريب فلا أقرب من الله ولا ناصر إلا الله ، وإذا التمس من يربط على قلبه . ويثبت أعصابه . فذلك إلى الله .. يحصل بالتوكل على الله والاعتصام بالله . والالتجاء إلى الله والرضا بقدر الله . والتسليم لإرادة الله . والأنس بقرب الله ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾(١) ، لقد ذكر الخالق تعالى الصبر في أكثر من سبعين موضعاً من القرآن الكريم ، ووصف الصابرين بأوصاف الخير وحسن العاقبه ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٢) ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾(٣) ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾(٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾(٥) ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾(٦) ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾(٧)

وفي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ما يصيب المسلمَ من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفَّر الله بها من خطاياه » (متفق عليه) (٨) .

---

(١) البقرة : ١٥٥ - ١٥٦

(٢) السجدة : ٢٤

(٣) النحل : ٩٦

(٤) المؤمنون : ١١١

(٥) البقرة : ١٥٣

(٦) القصص : ٥٤

(٧) الزمر : ١٠

(٨) مسلم جـ ٤ كتاب البر والصلة والأدب (٥١) .

وعن أبي يحيي صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كلّه له خير ، ولس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له » (رواه مسلم) [١] .

وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إذا سَلّمَ المؤمن الأمر لله تعالى ورجع واسترجع عند مصيبته كتب الله له ثلاث خصال : الصلاة من الله . والرحمةَ . وتحقيق سبيل الهُدَى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧ ﴾[٢]

فالمؤمن يعلم أن الخق كلّه مِلْكٌ لله . وأن العالَم كله في قبضة الله يفعل به ما يشاء وفق إرادته وحكمته ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣ ﴾[٣] ، فمَن رضى بقضاء الله وقدره فله الرضا والثواب ، ومَن سخط فعليه السخط وسُخطه لا يرد القضاء . فالواجب على المؤمن أن يكون دائماً مع الله فى كل أحيانه ، في عُسره ويُسره . في شدته ورخائه ، فيعلّق قلبه وآماله وحوائجه ومتطلباته بالله . ومَن سوى الله مُلك لله ، هو الذي أحياه وأماته . وجعله رهينة عقيدته وأعماله . فلا يملكون لأنفسهم - فضلاً عن غيرهم - ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله . ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « كنتُ خلف النبي ﷺ يوماً فقال : « يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تُجاهك . إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعِن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن

---

(١) مسلم جـ ٤ كتاب الزهد والرقاق ، باب « المؤمن أمره كله خير » (٦٤) .

(٢) البقرة : ١٥٧

(٣) الأنبياء : ٢٣

اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفِعَت الأقلام وجفَّت الصحف » [(١)] .

وفي رواية غير الترمذي : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة . واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك . واعلم أنَّ النصر مع الصبر وأن الفرَج مع الكرب وأن مع العسر يُسراً » .

إنَّ المؤمن لأخيه المؤمن كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وإننا في هذه المملكة العربية السعودية مع إخواننا في كل الظروف والأحوال نشارك إخواننا المؤمنين في جميع أقطار الأرض . نشاركهم في مشاعرهم ، في أفراحهم وأحزانهم ، لقد تألمنا كثيراً لأحداث الزلزال الذي أصاب مصر الشقيقة . فأحدث نقصاً في الأموال والأنفس ، إننا مع أحبابنا في الله في أرض الكنانة . أهل العلم والقرآن ، أهل الفصاحة والبيان ، وخير ما نقول ما قاله عبادُ الله الصالحون : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[(٢)] ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اللَّهم ارحم ضعفهم أمام قدرتك . وارحم حاجتهم إليك . وانكسارهم بين يديك .

اللَّهم هيئ لهم من أمرهم رشداً . وارزقهم توبةً نصوحاً ورجوعاً إليك صادقاً .

اللَّهم اغفر لموتى الزلزال وآنس وحشتهم وتغمدهم برحمتك وأسكنهم فسيح جناتك وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم وافتح لهم أبواباً إلى الجنة والنعيم .

اللَّهم اشف الجرحى والمصابين بشفائك العاجل وخفف مصائبهم وآلامهم .

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح – قيامة (٥٩) ، جامع العلوم والحكم ص١٣٢ ، الأحوزي : ٣١٩/٩

(٢) البقرة : ١٥٦

اللّهم اربط على قلوب أهلهم وذويهم . واكفل الصغير . واحفظ الكبير .

اللّهم وفق ولاة أمور المسلمين إلى تحكيم كتابك والعمل بسُنَّة نبيك محمد صلى اللّه عليه وسلم . واهدهم إلى الرجوع إليك وإلى تحكيم شريعتك ، واملأ قلوبهم محبة لك وخشية منك وغبة فيما عندك .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون ، توبوا إلى اللّه واستغفروه . توجهوا إلى اللّه واسألوه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾(١)

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾(٢)

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾(٣)

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، ونفِّس كرب المكروبين ، وارفع البلاء عن المؤمنين .

اللّهم ادفع عنا وعن كل المسلمين الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والزلازل والمحن ، وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، إنك على كل شيء قدير .

اللّهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) البقرة : ١٨٦

(٢) الممتحنة : ٤

(٣) الحشر : ١٠

٤٨ - متى يجب الإنصات للقراءة

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له . ألا له الخلق والأمر ، تبارك اللَّه رب العالَمين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . دلَّ أمته على الخير ورغَّبها فيه ، وحذَّرها من الشر ونهاها عنه .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن القرآن بصائرُ للناس وهديً ورحمة . وشفاءٌ وضياءٌ ، ولهذا أوجب الخالق تعالى الاستماع له إذا قرىء ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾(٢)

وجمهور العلماء على أن وجوب الاستماع للقرآن إذا قريء في الصلاة الجهرية ، فلا يقرأ المأموم مع إمامه إلا الفاتحة في سكنات الإمام .

روي عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : كانوا يتكلمون في الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية : وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ أمروا بالإنصات ، ولما انصرف رسول اللَّه ﷺ من صلاة جهرية قال : « هل قرأ أحد منكم معي

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) الأعراف : ٢٠٤

أنفاً » ؟ قال رجل : نعم يا رسول الله ؛ قال : « إني أقول : ما لي أنازَع القرآن » !! فانتهى الناس .

فاتقوا الله أيها المسلمون إذا كان وجوب الاستماع للقرآن في الصلاة فإنه لا ينبغي للمسلم أن يستمع البرامج من المذياع المسموع أو المريء . فإذا جاء القرآن قفله فَيَنْبَغِي أن يترك القرآن يقرأ . فإن لم يستمع له استمع غيره من خلق الله .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦ ﴾[1]

* * *

---

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٩ - المؤمن واقع بين الخوف والرجاء

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١ ﴾(١)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى اللّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله .

أما بعد ..

فإن الإنسان واقع بين حالين مخيفتين ، بين ماض من حياته قد سُجلت فيه جميع أعماله وأقواله وجميع تحركاته واتجاهاته . فلا يدري ما اللّه صانع فيها . وبين مستقبل من حياته لا يدري ما اللّه قاض فيه . وهو يرى مِنْ حوله أعراض هذه الحياة وسهامها تتخطى أناساً إلى آخرين ، يرى مِنْ حوله صحةً ومرضاً . وغنىً وفقراً . وعزاً وذُلاً . وأمناً وخوفاً . وشباباً وهرماً . وحياةً وموتاً . فلا يدري أيّ عرض منها يدركه ، ولا أيّ السهام يُصيبه . فهذه الحياة لا تَدوم على حال ، فلا السرور يدوم ولا الحزن يدوم . والعاقل يأخذ بوصية نبينا محمد ﷺ حيث قال : « بادِرْوا بالأعمال سبعاً : هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً . أو غِنَى مطغياً . أو مَرَضاً مُفْسدا ، أو هرماً مُفَنِّدا . أو موتاً مجهزا . أو الدجال ... فشرُ غائبٍ ينتظر . أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر » (٢) .

(١) الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة القمر : ٤٦

فالواجب على المسلم أن يقدِّر للأمور قدرها . وأن يحسب للمستقبل حسابَه . وأن يسير في هذه الحياة بين جانب الخوف وجانب الرجاء [١] . يخاف من ذنوبه وسيئاته ، ويرجو رحمة ربه ورضوانه . فمَن خاف هرب ومَن طلب أدلج . ولا يكون الإنسان كذلك حتى يستحظر عظمة الله تعالى وقدرته القاهرة وحكمته الباهرة . وحتى يعرف الإنسان نفسه وحقيقته وأصله ومآله .

فإن من أعظم الدوافع للإنسان إلى قَبُول الحق واتباعه التبصر في نفسه . وما فيه من أجهزة متعددةٍ منافعها مختلفة وظائفها . تؤدي أعمالها . بدون إرادته وبدون جَهْده . وإنما بقدرة الله وإرادته ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[٢] ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٣]

ألا تبصر أيها الإنسان بديعَ صنع الله في ذاتك . ألا تبصر عجائب قدرة الله في نفسك ، ألا تخلُ بنفسك ساعة من الزمن في كل يوم وتتأمل في نفسك من شَعْرِ رأسِك إلى أظفارك . فإذا عرفتَ نفسك – ولن تعرف إلا القليل من الكثير . ولن تعرف إلا الظاهر وتخفى عليك الأسرار ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

ثم بعد ما تحصل عليه من نتائج التبصرُّ والتفكر . تأمل مَن الذي خلق هذا الصنع البديع . ومَن الذي أودع فيه هذه الأسرار . ومَن الذين سخَّر هذه الأجهزة

---

(١) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه ، ابن ماجه ، كتاب « الزهد » حديث رقم (٤٢٦١) ، والترمذي في جامعه برقم (٩٨٣) كتاب الجنائز . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وقد روي بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلاً .

(٢) فصلت : ٥٣

(٣) الذاريات : ٢٠ – ٢١

لأداء وظائفها . فستعرف أنه هو اللّه الواحد القهار . وحينئذ تقول : آمنتُ باللّه ، اللّهم أنت ربي لا إلَهَ إلاَّ اللّه ، خلقتني وأنا عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعتُ ، أبوءُ بنعمتك عليَّ ، وأبوءُ بذنبي فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم قل : آمنتُ باللّه ثم استقم (١) ، وكن كما تقول أنْجز وعدك وأوف بعهدك . ولازم طاعة ربك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١٩ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠ ﴾(٢)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم . وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللّهم علّمنا منه ما جهلنا ، وذكّرنا منه ما نسينا ، ووفقنا للعمل بما علمنا . وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا .

اللّهم احفظنا بالإسلام واحفظ الإسلام بقدرتك يا عزيز يا حكيم .

اللّهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث شداد بن أوس رضي اللّه عنه : البخاري برقم (٦٣٢٣) - الدعوات .

(٢) الحشر : ١٨ - ٢٠

٤٩ - الإنسان يطغى إذا استغنى

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه . لا نُحصي ثناءً عليه . لك الحمد يا ربنا أنت كما أثنيتَ على نفسك (١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد ..

فإنّ بعض الناس إذا أنعم اللّه عليه بنعمة الصحة والمال . تعاظمت نفسه وترفعت عن مستواها فلا يملك السيطرة عليها . فلا يقوم بواجب النعمة للّه ، ولا يؤدي حق اللّه فيها . تأخذه الخيلاء والكبرياء ، يمشي في الأرض مَرَحاً . ويصعّر خده للناس (٢) . احتقاراً واستكباراً . ويفخر بما هو فيه من نعَم اللّه تكبراً وتعاظماً ، كأنه هو الذي حصّلها لنفسه ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾(٣) ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾(٤)

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح : الصلاة برقم (٢٢٢) من حديث عائشة رضي اللّه عنها .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة لقمان : ١٨

(٣) العلق : ٦ - ٧

(٤) فصلت : ٥١

فالكِبْر بطر الحق وغمط الناس (١) ، أما كون الإنسان يُحبُّ أن يكون مَلْبسُه حسناً . ومظهرُه جميلاً فذلك من الجمال ، واللّه تعالى جميل يحب الجمال (٢) ، وهو من الزينة التي أخرج اللّه لعباده وأمرهم باتخاذها عند كل مسجد (٣) فاتقِ اللّه أيها الإنسان ، إنك من أصغر مخلوقات اللّه ومن أضعفها ، فمهما بلغتَ من العزة والشرف والمال فإنك لن تبلغ الجبال طولاً (٤) . ومهما بلغتَ من الصحة والقوة فإنك لن تخرق الأرض بقدميك .

فلا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً (٥) ، تفكر في نفسك أيها الإنسان واتخذ منها عبراً . وتبصَّر في نفسك واتخذ منها آيات على عظمة خالقك . وضعف ذاتك ، وصلُّوا على البشير النذير ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾(٦)

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود . وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين . وزوجات نبيك أمهات المؤمنين . وعن التابعين لهم بإحسان يارب العالَمين . وارض عنا معهم بِمَنِّكَ وإحسانك ياأرحم الراحمين .

---

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه : مسلم في الصحيح : الإيمان حديث رقم (خاص ١٤٧) ، و (عام ٩١)

(٢) هو نفس هذا الحديث : مسلم في الصحيح - الإيمان رقم (١٤٧) ، وأحمد في المسند : ١٣٣/٤ وذلك من حديث أبي ريحانة وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف : ٣٢

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء : ٣٧

(٥) هو نفس قوله تعالى في سورة الإسراء : ٣٧

(٦) الأحزاب : ٥٦

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يارب العالَمين .

اللّهم آمنَّا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد . ولما تُحبُ وترضى .

اللّهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا . ولا مبلغ علمنا . ولا إلى النار مصيرنا .

اللّهم أصلح جميع ولاة أمور المسلمين ، واهدهم سبل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور . وافتح قلوبهم لقبول الحق واتباعه . إنك أنت الغفور الرحيم .

اللّهم فَرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْنَ عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]

فاذكروا اللّه العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2]

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) النعكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠ - التواصى بالحق (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) .

لك الحمد ربنا أنعمتْ علينا نِعَماً لا نحصى لها عداً ولا نوفيها شكراً .

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له ، إلَهُ الأوَّلين والآخرين ، ورب الخلق أجمعين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ رسالة ربه ونصح لأمته . اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللَّه . وبصدق الحديث . ووفاء العهد وأداء الأمانة ، وترك الخيانة . ورحمة اليتيم . وحفظ الجوار . وكظم الغيظ ، ولين الكلام . وبذل السلام . ولزوم الإمام ، والتفقهِ في القرآن . وحبِ الآخرة ، والاستعداد للحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العملَ .

إخوتي في اللَّه .. إنَّ من قصار المفصل في القرآن الكريم سورةً آياتها ثلاثُ . تُمثل منهجاً إسلامياً كاملاً . وترسم نظاماً للبَشر شاملاً ، وتبيِّن وظيفة أمة محمد ﷺ . في كلمات موجزة تتكون من قَسَم وجوابه . واستثناء .

---

(١) ألقيت في ١٤٠٨/٣/٨ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾

قال ابن كثير رحمه الله : ذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت بن عبيد الله بن حفص قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر (٢) .

وقال الشافعي رحمه الله : لَوْ تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم (٣) .

وقال بعض السَلَف : تعلمتُ معنى السورة من بائع الثلج ، كان يصيح ويقول : ارحموا مَن يَذُوب رأس ماله - يكررها . فقلت : هذا معنى ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ ، يمر به العصر فيمضي عمره ولا يكتسب (٤) .

أقسم تبارك وتعالى بالعصر وهو الدهرُ على أصح الأقوال .

والإله جلَّ شأنه يُقسم بما شاء من مخلوقاته ، أما المخلوق فلا يُقسم إلا بالله، فأقسم تعالى بالنجم (٥) . وبالبلد الأمين (٦) . وبالشمس (٧) ، وبالضحى (٨) وبالقمر وبالليل وبالنهار . وبالتين والزيتون (٩) وأقسم بحياة نبينا محمدٍ

---

(١) سورة العصر كاملة .

(٢) أورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٦٥/٧ وعزاه إلى الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله بن حفص ثم ذكره .

(٣) كما أورده ابن كثير في تفسيره : ٣٦٥/٧ نقلاً عن الشافعي رحمه الله .

(٤) لم أقف عليه مسنداً ولعله موجود في تفسير القرطبي ، والله أعلم .

(٥) إشارة إلى سورة النجم : ١

(٦) إشارة إلى سورة البلد : ١

(٧) إشارة إلى سورة الشمس : ١

(٨) إشارة إلى سورة الضحى : ١

(٩) إشارة إلى سورة التين : ١

صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢ ﴾(١)

والقسم دليل على شرف المقسم به وعلو قدره . وعظيم نفعه . فالدهر مشتمل على الأعاجيب التى تحيط بالإنسان في عصره . تقع فيه السرّاء والضرّاء . والصحة والمرض ، والغنَى والفقر ، والعز والذل ، والطاعة والمعصية ، والنوم واليقظة ، والغفله والصحوة ، والاجتماع والافتراق ، والعمل والكسل ، والربح والخسارة ، والحياة والموت . فالدهر مركب الإنسان إلى الآخرة يحمله ويحمل متاعه وبضاعته ، وهو مزرعة الأعمال . فكل يوم يمر على الإنسان يقدمه إلى الآخرة . وقد يفرح المرء بمضى الزمن ومر الليالي وهو هدم لعمره . ولا ينظر فيما أمضاه ، أفى ربح أم في خسارة

وجواب القسَم : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ أى منغمس في الخُسر يحيط به من كل جانب إلا مَن استثْنى الله .

والخسر هو الخسران . وهو النقصان وذهاب رأس المال ، ورأس مال الإنسان عمره . فإذا أضاعه في اللهو واللعب فهو خاسر . فأي خسارة أعظم من حرمانه من مناجاة ربه ؟! كل الناس يغدو ، فمعتق نفسه أو موبقها ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾(٢)

فحياة الإنسان إما أن يصرفها في المعاصي وذلك أقبح الخسران وأشده . وإما أن يصرفها في المباحات ، فالخسران حاصل لأنها إذا ذهبت لا يبقى لها أثر . وإذا صرفها في الطاعات فإن مراتب العبادة والخشوع متفاوته . فما من طاعة إلا ويمكن الإتيان بها بصورة أفضل وأكمل . فهو وإن كان رابحاً إلا أنه يحس بفوات ربح أكبر فيندم ويحس بالخسران .

وعلامة الربح : حب الآخرة وإيثارها على الدنيا .

---

(١) الحجر : ٧٢

(٢) الشمس : ٩ - ١٠

وعلامة الخسران : حب الدنيا وإيثارها على الآخرة .

والوسط فيه النجاة : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ ﴾(١)

روي الإمام أحمد عن أبي موس الأشعري رضي اللّه عنه : قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَن أحب دنياه أضرٌ بآخرته ، ومن أحب آخرته أضرٌ بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى » (٢) .

ولما كانت الأسباب المرغبة في الآخرة خَفيّة . والأسباب المرغبةُ في الدنيا ظاهرة ، صار أكثر الناس يُؤثر الدنيا على الآخرة فوقعوا في الخسران .

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾(٣)

استثناء من الإنسان الخاسر فما بعد أداة الاستثناء هم أهل الربح والسعادة .

الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾(٤)

وروي البخاري رحمه اللّه عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : إنَّ النبي ﷺ قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن . ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » (٥) .

---

(١) البقرة : ٢٠١

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٤١٢/٤ من حديث أبي موسي الأشعري وإسناده جيد .

(٣) العصر : ٣

(٤) التوبة : ١٢٤

(٥) رواه البخاري في المظالم : ٨٦/٥ باب « النهي بغير إذن صاحبه » ، ومسلم في الصحيح (خاص ٥٧) ، و (عام ١٠٢) - الإيمان ، وهو من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه .

وحقيقة الإيمان اتصالُ القلب بالخالق في كل شئونه ، والتجاءُ الإنسان إلى ربه في كل أحواله . فيكتسب بذلك قوةً وثباتاً وطمأنينةً وعزاً وفخاراً بإيمانه وبمنهج خالقه ، وبكونه من حزب الله .

فاتصالُ الإنسان بالقوة الإلَهية التي خلقته هو مصدر حياته كالغصن إذا كان متصلاً بأصله صار حياً نامياً مثمراً مفيداً .

أما إذا انفصل الغصن عن أصله فَقَد الحياة ويَبِس فلا فائدة فيه إلا كما ينتفع بالأغصان اليابسه .

والعمل الصالح ثمرة الإيمان ، فالإيمان قوة متحركة في قلب المؤمن ، ونور وضّاء ثاقب لا بد أن تظهر آثاره على الجوارح . فإذا لم تظهر آثاره فهو إيمان ميت أو مزيف ، ولا يكون العمل صالحاً إلا إذا كان موافقاً لهَدْى نبينا محمد ﷺ وكان خالصاً لله .

والتواصي بالحق من مميزات الإسلام ، فلا يكفي المرء أن يصلح نفسه ، بل لا بد من العمل وبذل الجهد والاستطاعة لإصلاح إخوانه ، فلا ينبغي للمسلم أن يرى الناس يتهافتون على النار ويسكت ، بل لا بد أن يصيح بهم ويدلهم على طريق النجاة أسوة بنبينا محمد ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[1]
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾[2]

وروي مسلم رحمه الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[3] .

---

(١) الشعراء : ٢١٤

(٢) التحريم : ٦

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح : الإيمان برقم (٤٩) ، وأخرجه أحمد في المسند : ١٠/٣ ، ٢٠ ، ٥٢ ، ٩٢ وهو من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨ ﴾[(1)]

ولما كان الحق ثقيلاً وكف الناس عن الشهوات أمر عسير ، والقيام على العدل وحراسة الأمن حِمْلٌ ثقيل ، فلا بد من الصبر والتحمل والتواصى به . الصبر على جهاد النفس وجهاد الآخرين ، والصبر على الأذى والمشقة وعناد الباطل وطول الطريق ، وقلة الرفيق . وندرة المستجيب .

هذه الصفات الأربع : الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر . هي التي تُنْقِذ الإنسان من ردغة الخسران . وهي منهج الإسلام . وهي صفاة الأمة التي رباها نبينا محمد ﷺ . تضافرت فيها قوة الإيمان وقوة البدن والدين والأخلاق مع قوة العلم وقوة الأدوات المادية . تضافرت فيها القوة المعنوية والقوة الحسية ، فصارت لها القيادة والسياسة والأمر والنهي . فأقامت العدل ونشرت الأمن . وكانت مع اللّه في كل شئونها فكان اللّه معها في كل أحوالها ، فقادوا العالَم إلى طريق الربح والسعادة .

فلما وضعت أمتنا راية الإسلام « لا إلَهَ إلاَّ اللّه محمد رسول اللّه » ، وانصرفت عن مصدر قوتها ومصدر سدادها وتوفيقها . انصرف اللّه عنها فصارت في مؤخرة الركب وفي ذيل القافلة وصار أكثر المسلمين غثاء كغثاء السيل ، فلا حول ولا قوّة إلا باللّه .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون . ارجعوا إلى دينكم تعليماً وعملاً . ارجعوا إلى ربكم تجدوا عنده ما وعدكم : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ﴾[(2)]

---

(١) يوسف : ١٠٨

(٢) الحج : ٤٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾[1]

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ......

اللّهم أبرم لأمة الإسلام أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر .

اللّهم اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) محمد : ٧

٥ - التواضع فى غير مذله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[١] ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٢٨ ﴾[٢]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، المَلِكُ الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه وبالتواضع في غير منقصة . وباحتقار النفس في غير مسألة . وإنفاق المال في غير معصية . وبرحمة أهل الفقر والمسكنة . وبمخالطة أهل الفقه والحكمة .

أوصيكم وإياي بطيب المكسب وإصلاح السريرة . وبذل الندى وكفِّ الأذى . فإن هذه من عزائم الأمور ، ثم اعلموا أن اللّه تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾[٣]

اللّهم احفظ إمامنا من كل سوء .

اللّهم كن له حافظاً وناصراً ومؤيداً على ما يرضيك .

اللّهم انصر به دينك ، وأعل به كلمتك . ووفقه لما تحب وترضى . يا سميع الدعاء .... إلخ .

* * *

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) الأعراف : ١٢٨

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥١ - التقوى قوة للمؤمنين [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[٢]

هو الذي ألَّف بين قلوب المؤمنين [٣] ، وجعلهم إخوة في اللّه متحابين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين عرفوا للأخوة حقها واعتصموا بحبل اللّه ولم يتفرقوا .

أما بعد ..

فكل مسلم يهتم بأمر المسلمين يجد في نفسه آلاماً شديدة لواقع المسلمين .

يجب أن ندرك الواقع على حقيقته .

فإن معرفة الواقع تحث على الإصلاح ، والاستعداد ، كما أن الإقرار بالخطأ هو طريق التصحيح .

والتوكل على اللّه هو أساس التوفيق والفلاح ، والاعتصام بحبل اللّه هو قاعدة النصر والفلاح .

إن الإسلام لا يرضي بالذلة والهوان ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] ولا يرضى للمسلم أن يكون مع كل زاعق وناعق .

---

(١) ألقيت في ١٤٠١/١١/٢٥ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران : ١٠٣ ، وسورة الأنفال : ٦٣

(٤) المنافقون : ٨

« المؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ » ، « لا يُلْدَغ مؤمن من جُحْرٍ مرتين » (١) .

الإسلام لا يرضى أن يكون المسلمون في مؤخرة المسيرة ، بل يوجب أن تكون له القيادة والأمر والنهى . لنشر العدل بين الناس ورفع الظلم عن البَشر . ولإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(٢)

الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه (٣) .

إن السبب الذي تردى بالمسلمين إلى ما هم فيه سبب واحد هو معصية الله وطاعة عدو الله . خالف بعض المسلمين أوامر الله . ونبذوا كتاب الله وهجروه واتخذوا أنظمة من وضع البشر تخالف دين الإسلام ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾(٤)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾(٥)

فخالف بعض المسلمين واختاروا آراء أعداء الله على رأى عباد الله .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾(٦)

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : البخاري في الأدب : ٤٣٩/١٠ (الفتح) ، ومسلم في الصحيح (الزهد والرقائق) برقم (٢٩٩٨) كلاهما باب « لا يلدغ المؤمن من جُحْرٍ مرتين » .

(٢) آل عمران : ١١٠

(٣) البخاري معلقاً ، الجنائز ، باب ٧٩ ، وقد أثبت الحافظ في الفتح (٢٢٠/٣) هذا المتن في الإسناد .

(٤) آل عمران : ١١٨

(٥) الممتحنة : ١

(٦) آل عمران : ١٠٠

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾(١)

ولكن بعض المسلمين لا يُفرِّق بين المعروف والمنكر .

وكلما قرأنا آية من آيات القرآن الكريم التى تقرر دعائم الإيمان وترسُم المنهج القويم . نرى واقع المسلمين يخالفه . هذا هو السبب المؤلم . هذا هو الذي فرَّق شمل الأمة الإسلامية . وأنزلها من قمة العزة والهيبة إلى التأخر ، وهل ترون أيها المسلمون من مخرج . وهل ترون من سبيل إلى العودة إلى المجد والرفعة .

نعم .. إن الإسلام لم يترك الأمة الإسلامية لقمة لأعدائها . ولم يغفل عن أي مشكلة من مشكلاتها .

بل وضع حلولاً لكل المشاكل وفتح مخارج من كل المآزق ، فطريق العودة واضح بيِّن قد رسمه القرآن الكريم ، ومنارة واضحة جلية . فاقرأوا من سورة آل عمران قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾(٢)

هذه الآيات جاءت بعد النهي عن طاعة بعض أهل الكتاب لبيان المخرج الصحيح فيما لو وقع المسلم في طاعة أعدائه .

ثلاث ركائز هي مجامع الطاعات ومعاقد الخيرات ، إذا عمل بها المسلمون رجعوا إلى ما كانوا عليه في القرون المفضلة .

فتقوى الله هي الركيزة الأولى وهي ملازمة ذكره وطاعته والتمسك بشريعته مدى الحياة تحت رعاية الله وتوفيقه .

---

(١) آل عمران : ١٠٤

(٢) آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

والاعتصام بحبل الله هو الركيزة الثانية . فحبل الله هو السبب الذي يصل الخلق بالله ، والاعتصام هو التمسك به . ورابطة الأخوة الصحيحة هي المنبعثة من التقوى والاستسلام لله ، تلك الرابطة التي تربط بين قلوب المؤمنين . وما عدها من القوميات والحزبيات ، لا تربط بين القلوب أبداً ، فمتى تآلفت القلوب . توحدت الأهداف وتكاتفت القُوَى وتعاطفت النفوس وإن تباعدت الأبدان ، أما إذا اختلفت القلوب فلن يكون هدفٌ موحد ولا صفٌ ملتحم . ولا تعاطفٌ ولا تراحم . مهما اجتمعت الأبدان .

والركيزة الثالثة هي شكر الله وتذكرُ نعمه على الناس عامة ، فهو الخالق الرازق القيوم على خلقه ، وتذكر نعمته على المؤمنين خاصة إذْ هداهم إلى صراطه المستقيم وألّف بين قلوبهم (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون . كونوا عباد الله إخواناً .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٢) .

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ولا يخذله » (٣) .

« كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعِرضه » (٤) .

﴿ ٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(٥)

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران : ١٠٣

(٢) البخاري . باب في الإيمان : « أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » : ٥٧/١ و٥٤ (الفتح) ، ومسلم الإيمان برقم (٤٥) وهو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) البخاري . المظالم : ٧١/٥ من حديث ابن عمر رضي الله عنه ، ومسلم : البر والصلة برقم (٢٥٨٠) .

(٤) مسلم : البر والصلة حديث رقم (خاص ٢٣٢) ، و (عام ٢٥٦٤) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) آل عمران : ١٠٢ بلفظ : ﴿ واعتصموا ... ﴾ .

كونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١) .

كونوا كالبنيان يشد بعضه بعضاً (٢) .

ارجعوا إلى إسلامكم ، وحكّموا كتاب اللّه وسُنَّة نبيه ﷺ بينكم .

كلوا من الطيبات . واجتنبوا الخبائث والمحرَّمات .

علّقوا قلوبكم باللّه وحده . واستمدوا قوتكم منه ، وانصحوا لإخوانكم . وأصلحوا ذات بينكم .

كونوا مع اللّه يكن اللّه معكم .

وانصروا كتابه وسُنَّة نبيه ينصركم ويثبت أقدامكم .

فإذا فعلتم ذلك عاد لكم مجدكم وعزتكم وسيادتكم ، أما إن بقيتم على ما أنتم عليه فأنتم في هبوط وانحدار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار .

اللّهم ارحمنا وألطف بنا . وألّف بين قلوبنا . وانصرنا على عدوك وعدونا . واغفر لنا ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم ....

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضي اللّه عنه : البخارى برقم (٦٠١١) ، و مسلم : البر والصلة برقم (خاص ٦٦) ، و (عام ٢٥٨٦) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه : البخارى برقم (٤٨١) الصلاة باب (٨٨) باب « تشبيك الأصابع في المسجد وغيره » ، ومسلم : البر والصلة رقم (خاص ٦٥) ، و (عام ٢٥٨٥) من هذا الوجه واللفظ .

٥١ - تبرز الأخوة في تجمع الحج

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

اللّهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

ففي هذه الأيام المشرقة ، تهوي أفئدة من الناس إلى بيت اللّه الحرام استجابة لداعي اللّه . فتجتمع تلك القلوب المؤمنة عند بيت الجواد الكريم ، أُخوةً في اللّه . قد اعصتموا بحبل اللّه . وربطت بينهم : « لا إلَهَ إلاَّ اللّه محمد رسول اللّه » .

إنها عبادة وتجمع إسلامي تبرز فيه الأخوة الإسلامية في أعلى صورها وأجمل معانيها ، فيجب على المسلم أن يعرف لشعائر الحج أهدافها . وأن يعرف لهذه البقاع المقدسة حرمتها ومكانتها ، وأن يعرف لإخوانه المسلمين حقوقهم ، ولحجاج بيت اللّه الحرام منزلتهم . فإنهم ضيوف اللّه ووفود بيته المطهَّر .

فاتقوا اللّه عباد اللّه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (٣)

* * *

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي اللّه عنها ، مسلم : الصلاة حديث رقم (٢٢٢) كما مر مراراً .

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٢ - الزجر عن الظلم [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله .. أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأتوب إليه . وأعوذُ باللهِ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون أوصيكم وإياي بتقوى الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾[٢]

أيها الناس .. إنَّ اللَّه تعالى هو أحكم الحاكمين ، وهو أرحم بعباده من جميع العالَمين ، حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرَّماً ، وتوعَّد الظالمين بالعقاب الأليم في الدنيا . والعذاب الشديد في الآخرة ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢ ﴾[٣]

---

(١) ألقيت في ١٣٩٤/٨/٥ هـ .

(٢) الأنفال : ٢٩

(٣) هود : ١٠٢

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾(١)

وحذّر نبينا محمد ﷺ من الظلم ومغبته وعواقبه ، وأمر برد المظالم إلى أهلها . قال عليه الصلاة والسلام : « مَن كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحُمِلت عليه » (٢) .

عباد الله .. أتدرون ما هو الظلم ؟ إنه وضع الشيء في غير موضعه . فهو ضد الحكمة التي هي وضع الأشياء في مواضعها . وأعظم الظلم الإشراك بالله . وعقوق الوالدين . والتعدي على أموال المسلمين ودمائهم وأعراضهم ، فمن الظلم الذي وقع فيه كثير من الناس جحد الحقوق والمماطلة بها والإدلاء بها إلى المحاكم مُضَارة لصاحب الحق ومعاندة . وقد نهى الله تعالى عن ذلك وسماه إثماً فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾(٣)

وأعظم من ذلك إثماً الذي يحلف يميناً كاذبة يقتطع بها حق إنسان مسلم سواء أكان قليلاً أو كثيراً ، إنها اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار .، وهي من السبع المهلكات . قال صلى الله عليه وسلم : « مَن اقتطع حق إنسان مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة » ، فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ فقال : « وإن كان قضيباً من أراك » (٤) .

ومن أشنع الظلم ما تجرأ عليه بعض الناس من الاستيلاء على أراضي وبيوت

---

(١) إبراهيم : ٤٢

(٢) صحيح البخاري : ١٣٨/٨

(٣) البقرة : ١٨٨

(٤) صحيح مسلم : ١٢٢/١ حديث (١٣٧) .

معمورة مملوكة لأناس غائبين . أو غافلين عنها . فيستغل غفلتهم أو غيبتهم أو إهمال المحافظ عليها أو مداهنته فيتصرف فيها ويتملكها لنفسه بدون حق . أو يكون استأجرها فيجحد الإجارة ويدّعي بأنه احتكرها ومَلَكها . أو يكون استعارها فينكر العارية ويدّعي بأنه تملكها بالاستيلاء أو الإحياء ، وهو يعلم أنها مملوكة لمسلم ملكاً شرعياً . فيدلي به إلى الحاكم ليأكله بالباطل ، وقد يحضر بيِّنة كاذبة تشهد له ظلماً وزوراً ، ولعل بعض الخصمين أن يكون ألحن بالحُجَّة من الآخر فيقضي الحاكم بينهم على نحو ما يسمع من حججهم وبيِّناتهم .

وحكم الحاكم لا يحل حراماً ولا يحرِّم حلالاً . فمَن حُكِم له بشيء من مال أخيه بدون حق فهو حرام على آخذه ، وظلم ولهب من نار جهنم . إن تصدق به لم تُقبل صدقته . وإن صلَّى فيه لم تصح صلاته ، « لأن اللّه طيب لا يقبل إلا طيباً » [1] .

ورد في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع . فمَن قضيتُ له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار » [2] .

ومن الظلم المركَّب ما يفعله بعض الناس إذا جنى على إنسان أو مال خطأ أو عمدا يهرب ويختفي ليلصق الجريمة بغيره . إنه ظالمٌ لنفسه بتعريضها لسخط اللّه وعقابه . وظالم للمجني عليه إذ لم يؤده حقه ولم ينصفه من نفسه . وظالم للسلطات المكلفه ببذل الجهد للبحث عن الجاني . وظالم لأبناء جنسه الذين سيجري التحري بينهم عن الجاني .

أيها المسلمون .. احذروا الظلم فإنه همٌ وغمٌ في الدنيا . وهلاك وعار في

---

(١) صحيح مسلم : ٧٠٣/٢ حديث (١٠١٥) .

(٢) صحيح البخاري : ٣٢/٩ ، وصحيح مسلم : ١٣٣٧/٣ حديث (١٧١٣) .

« مَن ظلم شِبراً من أرض طوقه من سبع أرضين » (١) ، « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » (٢) .

واعجباً للظالم ؟! كيف يهدأ له بال ، وكيف تَقَر له عَيْن ، أم كيف يتلذذ بالحياة ونعيمها والله هو خصمه مع المظلوم حتى ينتصر له ؟! أما يعلم الظالم أنه تحت قهر الله وفى قبضته ؟! أما يخاف من عقوبة عاجلة في الدنيا ؟! هل أمن من مكر الله ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩ ﴾(٣)

فكم من نفس شابة يافعه قتلها الظلم . وكم من مال كثير سحقه الظلم وفرَّقه. وكم من نعمة ضافية وعيشة راضية أزالها . وكم من قصر مشيد هدم شرفاته ، وأورثه غير أهله . وكم من عز ورفعة أبدلها ذلاً وهواناً .

ألم يؤمن الظالم باليوم الآخر الذي تُقضى فيه المظالم لأهلها ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ؟ أم لم يؤمن بأنه سيقف بين يدي حَكَم عدل يعلم السرائر ؟ أم لم يصدق بأنه سيشهد عليه سمعه وبصره ويده ورجله وجوارحه بما كان يعمل ؟

فاتقوا الله عباد الله . واتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب . وردوا المظالم إلى أهلها ما دمتم في سعة من الأمر ، وتسامحوا تفوزوا وتفلحوا ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(٤)

اللّهم أكفنا بحلالك عن حرامك . وبفضلك عمَّن سواك (٥) .

---

(١) صحيح البخاري كتاب المظالم ، باب « مَن ظلم شيئاً من الأرض » ، ومسلم : ١٢٣٢/٣ حديث (١٦١٢) .

(٢) صحيح البخاري : ٩٣/٦ - ٩٤ ، ومسلم : ١٩٩٧/٤ حديث (٢٥٨٣) .

(٣) الأعراف : ٩٩

(٤) الطلاق : ٢ - ٣

(٥) حديث أخرجه الترمذي (٣٥٥٨) ، وإسناده حسن .

اللّهم أقنعنا بما رزقتنا . وبارك لنا فيما أعطيتنا .

اللّهم ثبتنا على الصراط المستقيم . وأنفعنا بالقرآن العظيم وبسُنَّة خاتم النبيين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين . وتوبوا إلى اللّه جميعاً أيها المؤمنون واستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

٥٢ - الخيانة من الظلم

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه .

وأشهد أنْ لاَ إله إلاَّ الله وحده لا شريك له

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾(١)

واعلموا - رحمني الله وإياكم - أنَّ من الظلم والخيانة أن يؤتمن إنسان على شيء من أموال المسلمين . سواء أكانت لبيت المال أو للفقراء والمساكين . أو لليتامى والمستضعفين . ثم يخون أمانته ويخفر ذمته فيختلس من هذه الأموال ويأكلها ظلماً وعدواناً ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾(٢)

واحذروا دعوة المظلوم فإنها لا تُرَد بل تُرفع فوق الغمام . وتُفتح لها أبواب السماء . وأقسم الله بعزته أنه ينصرها ولو بعد حين .

واعلموا أنَّ الله تعالى قد أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال عزَّ مِن قائل عليم :

---

(١) الأحزاب : ٧٠ - ٧١

(٢) النساء : ١٠

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(١)

اللّهم صلِّ وسلِّم على البشير النذير والسراج المنير ، عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارضَ اللّهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين وزوجاته أمهات المؤمنين . وأهل بيته الطيبين الطاهرين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم ارضَ عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين .

اللّهم انصر جيوش المسلمين وأيدهم بالنصر والتمكين . واجمع شملهم . ووحِّد صفوفهم . واربط على قلوبهم وثبت أقدامهم ، وانصرهم على القوم الكافرين .

اللّهم اخذل اليهود وأعوانهم وفرِّق جمعهم وشتت شملهم وأذهب ريحهم . وصدِّع صفوفهم ، وأنزل الرعب في قلوبهم ، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يُرد عن القوم المجرمين .

اللّهم احفظ إمامنا إمام المسلمين ، ووفقه لما يصلح العباد والبلاد واجعله للحق ناصراً ومؤيداً ، وأيده بتوفيقك وانصره على الظالمين .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات .

اللّهم ادفع عنا الغلا والربا ، والزنا والزلازل . وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن . وعن جميع المسلمين .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْنَ عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢)

---

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) النحل : ٩٠ - ٩١

وأكثروا من ذكْر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[1] ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾[2]

* * *

(١) الرعد : ٢٨

(٢) العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٣ - احفظ الله يحفظك [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] ..

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[٣] ، والذى يطعم ويسقى .
والذي يميت ثم يحيي . وهو المرجو في كل الحالات ، والمستجيب للدعوات .
وهو قاضي الحاجات ، فله الحمد في الآخرة والأولى [٤] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له . لا مُعقب لحكمه ، ولا راد لقضائه [٥] . فسبحان الواحد القهار .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . بلَّغ وأدى ونصح وأبلى .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد في الأولى والأخرى . وعلى آله وأصحابه ومَن سلك سبيله وعلى إثره اقتفى .

أما بعد ..

فإن جميع المخلوقات في هذا الوجود الضخم لم تُوجد إلا باللَّه . فكلها محتاجه إليه ولا بقاء لها إلا به ، والإنسان جنس من أجناس هذا الوجود . كرَّمه

---

(١) ألقيت في ١٤١٠/٦/٨ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) الأعلى : ٢ - ٣

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القصص ٧٠

(٥) إشارة إلى معنى قوله تعالى في سورة الرعد آية رقم ٤١ ، ونحو هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى في سورة الرعد آية رقم ٤١ : ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ .

الله فخلقه بيده . واختاره لعبادته ومناجاته . فكلّفه وخاطبه . وعلّمه ووجّهه ، ورغّبه وحذّره ، فهو مرتبط بالله في كل أحواله . في حركاته وسكناته . ودقات قلبه وأنفاسه ، فلو انفك عنه لحظة هلك . وما أجمل كلمات علّمها النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . كما في مسند الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كنتُ رديف النبي ﷺ . فقال : « يا غلام - أو يا غُليم - ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن » ؟ . قلت : بلى . قال : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشده . إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله . قد جف القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق كلّهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه . واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرَج مع الكرب ، وأنّ مع العُسْرِ يُسْراً » (١) .

وفي بعض الروايات : « واعلم أنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك » (٢) .

هذه عشر كلمات مَنْ عمل بهن وأيقن بمعناهن نفعه الله بهن .

« احفظ الله يحفظك » ، أى احفظ حقوق الله واعمل بشريعته وأقم حدوده . واجتنب حرماته . تكن تحت رعايته وعنايته وهدايته وتوفيقه في أمور دينك ودنياك .

فمَن أمن بالله ورسالاته وألوهيته وربوبيته وبأسمائه وصفاته من غير تشبيه ولا تمثيل . ومن غير تحريف ولا تعطيل . وأقام شريعة الإسلام كما جاء بها النبي ﷺ فأقام الصلاة . وآتى الزكاة . وحج البيت ، وأمر بالمعروف ونهى عن

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٣١٧/٥

(٢) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند : ٣١٧/٥ ، وإسناده حسن لغيره مع الشواهد .

المنكر بحسب قدرته . وجاهد في اللّه بحسب طاقته وإمكانياته ، واستحيا من اللّه فاجتنب المحرّمات والموبقات ، وحفظ قلبه عن البدع والأهواء والشكوك وحَفِظ فَرْجه عن الزنا واللواط . وحفظ لسانه عن كلام الفُحْش والخرافات والغيبة والنميمة . وحَفِظ بطنه عن أكل أموال الناس بالباطل ، واجتنب الربا واحترم أموال الناس ودماءهم وأعراضهم : فقد حفظ اللّه .

روى الإمام أحمد والترمذي عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « استحيوا في اللّه حق الحيا » ، قال : قلنا : يا رسول اللّه ؛ إنّا نستحيي والحمد للّه . قال : « ليس ذاك . ولكن الاستحياء من اللّه حقَّ الحيا أن تحفظ الرأس وما وعى . والبطن وما حوى . ولْتَذْكر الموت والبلى . ومَن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا . فمَن فعل ذلك فقد استحيا من اللّه حق الحيا » .. واللفظ للترمذي [١] .

وروي أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَن حفظ ما بين فقْميه وفرجَه دخل الجنة » [٢] .

والجزاء من جنس العمل .. ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[٣] ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ

---

(١) الترمذي : برقم (٢٤٥٨) كتاب صفة القيامة ، وذلك من حديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه وقال الترمذي عقب هذا الحديث : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد .

قلت : أخرجه أحمد في المسند : ٣٨٧/١ من هذا الوجه واللفظ وإسناده فيه ضعف ، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك : ٣٢٣/٤ ، وفي إسناده الصباح بن محمد بن أبي حازم البجلي الأحمسي الكوفي . قال الحافظ في التقريب (٣٦٤/١) : ضعيف أفرط فيه ابن حبان .

قلت : لو وقف الأمر في الموضوع لنجد أن معناه قد روي بألفاظ أخرى وصحيحة كما سوف يأتي إن شاء اللّه تعالى ، واللّه أعلم .

(٢) أحمد في المسند : ٣٩٨/٤ من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه ، وفي إسناده رجل مبهم لم يسم ولكن رواه الطبراني من حديث أبي رافع رضي اللّه عنه وإسناده جيد - المجمع : ٣٠٠/١٠ .

(٣) البقرة : ١٥٢

يَنصُرْكُمْ ﴾(١) ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾(٢) فمَن حفظ الله حفظه الله في مصالح دينه ودنياه ، في أهله وماله وولده . فالمسلم الذي يحفظُ أوامر الله ونواهيَه وحدودَه يحفظه الله بأنواع من الحفظ قد لا يشعر العبد ببعضها وقد يكون كارهاً لها .

قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾(٤). قال : « يحول بين المؤمن وبين التي تجره إلى النار » .

وقال الحسن البصري رحمه الله في أهل المعاصي : « هانوا على الله فعَصَوْه ولو عزُّوا عليه لعَصَمهُم » (٤) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إنَّ العبد ليَهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى يتيسر له فينظر الله إليه فيقول لملائكته : اصرفوه عنه . فإنه إن تيسَّر له ادخلته النار . فيصرفه الله عنه فيُقْبل يتطير يقول : شتمني فلان وأهانني فلان (٥) وما هو إلاَّ فضل الله عزَّ وجلَّ .. ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ (٦) .

ومَن حفظ أوامر الله حفظ عليه دينه فلا يقع في الشبهات المضلة ولا في الشهوات المحرَّمة . ويموت على الإيمان ، إن شاء الله ، ويحفظه من شياطين الجن والإنس ومن النفس الأمَّارة بالسوء .

---

(١) محمد : ٧

(٢) البقرة : ٤٠

(٣) الأنفال : ٢٤

(٤) أظن هذا القول رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة الحسن البصري وابن الجوزي في صفة الصفوة له ، وكنت قد وقفت عليه في مصادر أخرى . والله أعلم .

(٥) لم أقف عليه مسنداً والله أعلم بصحته وإن معناه لصحيح .

(٦) البقرة : ٢١٦

ومَن حفظ الله في شبابه وقوته ، حفظه الله حال كبره وضعفه ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ ﴾(١) فيُمتعه بسمعه وبصره وعقله وقوته . وإن الله تعالى ليحفظ بالرجل الصالح ولده وأهله وجيرانه ، قال الله تعالى في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام في شأن الجدار : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾(٢) فحفظ الله الغلامين اليتيمين وحفظ مالهما بصلاح أبيهما .

وقال ابن المنكدر : إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدُّويرات التي حوله ، فما يزالون في حفظ من الله وستر . والضد بالضمد ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ ﴾(٣) ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ ﴾(٤) فمَن ضيَّع الله ضيَّعه الله فضاع بين خلقه حتى يدخل عليه الضرر والأذى ممن كان يرجو نفعه من أهله وغيرهم .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « احفظ الله تجده أمامك » ، وعند الترمذي : « تجاهك » . قال ابن رجب رحمه الله : معناه مَن حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه . يحوطه وينصره ويحفظه ويسدده ويوفقه .

ومَن يكن الله معه ، حصلت له القوة التي لا تُغلَبَ والركن الشديد الذي لا يُهدم . والحارس الذي لا ينام ، والهادي الذي لا يضل .

كتب بعض الصالحين إلى أخ له : أما بعد ،. فإن كان الله معك فمن تخاف ، وإن كان عليك فمَن ترجو .

---

(١) التين : ٤ - ٦

(٢) الكهف : ٨٢

(٣) التوبة : ٦٧

(٤) الأنفال : ٣٠

وأيضاً فإن المسلم الصالح من ذكر وأنثى يسير على صراط مستقيم . عليه داع إلى الله ، والصراط يؤدي إلى الجنة ، والجنة سقفها عرش الرحمن ، والرحمن على العرش استوى .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » [١] .

التعرف إلى الله يكون بطاعته وطاعة رسوله ﷺ واتباع شريعته ودوام الاتصال به بالذكْر والدعاء والطاعات والعبادات المشروعة والرغبة والرهبة . والخوف والرجاء ، فمَن أقبل على الله أقبل الله عليه . ومَن توجه إلى الله توجه الله إليه . ومَن مشى إلى الله شبراً مشى الله إليه ذراعاً [٢] . كما جاءت بذلك الأحاديث ، فمَن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته .

فهذا نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام لما دعا الله وهو في بطن الحوت قالت الملائكة : يارب .. هذا صوت معروف في بلاد غريبه . يارب .. أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء ، قال : بلى . فأمر الله الحوت فطرحه في العراء [٣] .

أما مَنْ نسي ذكر الله وأهمل أوامره نسيه الله . قال تعالى عن المنافقين : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [٤] ﴿ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [٥]

---

(١) أخرجه أحمد في المسند : ٣٠٧/١ ، وذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وهذا جزء من الحديث الطويل وإسناده جيد .

(٢) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : البخاري برقم (٧٥٣٦) - التوحيد ، باب رقم (٥٠) وهو حديث قدسي يرويه رسول الله ﷺ عن ربه ، ومسلم في الصحيح : الذكر والدعاء ، حديث رقم (خاص ٢) ، و (عام ٢٦٧٥) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ ورقم (٣) خاص أيضاً : ٢٠٦١/٤ - ٢٠٦٢

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٦٦٨/٥ إلى ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في الفرج ، وذكره الإمام ابن كثير في تفسيره : ٥٨٧/٤ - ٥٨٨ في سورة الأنبياء .

(٤) التوبة : ٦٧

(٥) طه : ١٢٦

وهذا فرعون كان طاغياً ناسياً لذكر الله ، فلما أدركه الغرق وصار في شدة قال : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ، فلم يبال الله به ولم يستجب لدعائه ولم يقبل إيمانه ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾(١)

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : إذا كان الرجل - أى والمرأة - دعا في السراء فنزلت به ضراء فدعا الله تعالى قالت الملائكة : صوت معروف ، فَشَفَعُوا له . وإن كان غير ذلك قالت الملائكة : صوت غير معروف فلا يشفعون له (٢) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾(٣)

« اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » (٤) ، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) يونس : ٩٠ - ٩١

(٢) لم أقف عليه والله أعلم به .

(٣) فصلت : ٣٠ - ٣١

(٤) من دعاء النبي ﷺ أخرجه أحمد في المسند : ٢٩٩/٢ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٣٦٩/١ إلى الإمام أحمد وأبو داود و النسائى وغيرهم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه .

٥٣ - إذا سألت فاسأل اللّه

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله ودعا بدعوته .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه . ومراقبته في السر والعلانية . ثم نتابع بقية وصية النبي ﷺ لعبد اللّه بن عباس .

قال : « إذا سألت فاسأل اللّه » : الدعاء مخ العبادة (٢) ، وقد حثَّ اللّه تعالى عليه فقال : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾(٣)

وروي الترمذي عن عبد اللّه بن مسعود مرفوعاً : « سَلُوا اللّه من فضله فإنَّ اللّه يحب أن يُسأل » (٤) .

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) الترمذي برقم (٣٣٧١) من حديث أنس رضي اللّه عنه بهذا اللفظ وبلفظ : « الدعاء هو العبادة » من حديث النعمان بن بشير رضي اللّه عنه برقم (٢٩٦٩) إسناده صحيح .

(٣) النساء : ٣٢

(٤) الترمذي برقم (٣٥٧١) الدعوات - من حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه وقد تكلم الترمذي على إسناده ومعناه صحيح .

وعن أبي هريرة : « مَن لم يسأل اللّٰه يغضب عليه » [١] .

وسؤال اللّٰه تعالى هو المتعَيِّن ، ففيه إظهار الذُّل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار ، وفيه الاعتراف بقدرة المسئول على رفع الضر أو قضاء الحاجة .

وأما المخلوق فهو مسكين ضعيف شحيح .. إذا سُئل غضب .

وقال طاووس لعطاء : إياك أن تطلب حوائجك ممن أغلق دونك بابه وجعل دونها حُجَّابه ، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة ، أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك [٢] .

وقوله : « وإذا استعنتَ فاستعن باللّٰه » [٣] هو معنى : « لا حَوْلَ ولا قوة إلا باللّٰه » .

فالعبد محتاج إلى الاستعانة باللّٰه على فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات في الدنيا وعند الموت وفي الآخرة . وعلى الثبات على الإيمان . وعلى شكر نعَم الرحمن . وعلى جلب الرزق الحلال ، فلا يقدر على ذلك إلا اللّٰه تعالى . ومَن ترك الاستعانة باللّٰه واستعان بغيره وكله اللّٰه إلى مَن استعان به فصار مخذولاً .

وقوله : « جف القلم بما هو كائن » [٤] هذا هو القدر . قد كتب اللّٰه نظام هذه الدنيا أفرادها وجماعتها ودولها وشعوبها ومقاديرها إلى يوم القيامة .

---

(١) الترمذى برقم (٣٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه وإسناده جيد .

(٢) أحمد : من هذا قوله تعالى في سورة البقرة آية ١٨٦ ، وأما طاووس فهو ابن كيسان اليماني ، ذكره الحافظ في التقريب فقال : ثقة ، فقيه فاضل من الثالثة ... إلخ .

(٣) جزء من حديث ابن عباس رضي اللّٰه عنهما : الترمذى برقم (٢٥١٦) صفة القيامة ، وإسناده حسن وقد حسَّنه الترمذي .

(٤) إشارة إلى حديث عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص رضي اللّٰه عنه أخرجه البخارى معلقاً : القدر باب (٢) ، وقال الحافظ في الفتح (١١/٤٩١) : أخرجه أحمد وصححه ابن حبان ثم ذكره .

فكل ما يحصل فمن ذلك الكتاب ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[(١)]

وقال جابر للنبي ﷺ : ففيم العمل اليوم ؟ أفيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يُسْتقبل ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « بل فيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير » [(٢)] . وقال : « اعملوا فكلٌ مُيَّسرٌ لما خُلِق له » [(٣)] .

وقوله : « فلو أنَّ الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه اللّه لك ... » ... إلخ [(٤)] .

معناه أنَّ كل ما يحصل للإنسان من نفع وما يحصل عليه من ضُر كله مقدَّر مُسَطر في اللوح المحفوظ . وهذا لا يُنافي فعل الأسباب والاجتهاد في تحصيل المطلوب ودفع المكروه ، فإن الأشياء معلقةٌ بأسبابها ولن يحصل إلا ما كتبَ اللّه ، فالمسلم يعمل بالأسباب ويوقن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

والصبر على الأذى وعلى الطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها . والصبر من أخلاق الأنبياء والصالحين .

واللّه تعالى بيَّن جزاء الأعمال وجعل لها نهاية وحداً فقال : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[(٥)]

---

(١) الحديد : ٢٢

(٢) مسلم في الصحيح كتاب القدر حديث رقم (خاص ٢٨) ، و(عام ٢٦٤٨) من حديث جابر رضي اللّه عنه .

(٣) هذا جزء من هذا الحديث : مسلم (٨ خاص) ، و(عام ٢٦٤٨) ، ومن حديث عمران ابن الحصين ، مسلم : برقم (٢٩ خاص) ، و(عام ٢٦٤٩) .

(٤) جزء من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما : الترمذى (٢٥١٦) صفة القيامة ، وقد حسَّنه الترمذي ، وقد أورده فضيلة الخطيب بمعناه هنا .

(٥) الأنعام : ١٦٠

وجعل جزاء الصدقة في سبيل الله فوق ذلك إلى سبعمائة ضعف .

وجعل جزاء الصابرين بغير حساب .

والصبر سبب للنصر والظفر بالمطلوب .

وكلما اشتد الكرب وتعسر الأمر وصبر العبد فإن الفَرَج أقرب له ، واليُسْر أسرع إليه . وذلك لأن القلب يكون أخلص في الدعاء وأكثر رجاء لله وتوجهاً الله .. ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾(١) . ولن يغلب عُسْرٌ يُسرين .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠ ﴾(٢)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾(٣)

* * *

---

(١) الشرح : ٥ - ٦

(٢) آل عمران : ٢٠٠

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤ - فضل الرباط في سبيل الله (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالَمين ، يتودد إلى عباده المؤمنين ، ويدلُّهم على تجارة تنجيهم من عذاب أليم .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له . يَبْتَلي الناس بعضَهم ببعض ، ليعلم الذين صدقوا ، ويعلم الكاذبين ، ويعلم الذين آمنوا ويعلم المنافقين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، نُصر بالرعب مسيرة شهر (٢) وجُعلت الذلة والصغار على مَن عصاه وخالف أمره .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وصلِّ اللَّهم على آله وأزواجه وأصحابه وعلى أتباعهم بإحسان ، وسلِّم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن وظيفةَ المؤمنين في هذه الحياة أشرف الوظائف ، ومهمتهم أصعبُ المهمات ، فهم أمناء على دين الله ، وخلفاء في أرض الله ، وشهداء على الناس ، وهم حملةُ راية الدعوة إلى دين الله ، والإصلاح في خلق الله .

والنفسُ البَشرية تُلم بها لحظاتٌ طارئة تَعُوقها عن أداء واجباتها ، ولا عصمة للنفس من تلك الطوارئ إلا بذكر الله الدائم ، والاتصال المستمر بالله ، وبتربية

---

(١) ألقيت في ١٤١١/٤/١٥ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الاعتصام ، باب « قول النبي ﷺ : بعثت بجوامع الكلم » - الفتح : ٢٠٩/١٣ ، وأخرجه مسلم : المساجد ، ومواضع الصلاة برقم (خاص ٥) ، و (عام ٥٢٣) : ٣٧١/١

النفس على نظام الإسلام الثابت ؛ لتسمَو إلى المستوى الذي أراده اللّه لها ولتؤدي واجباتها كما أمر اللّه .

وهناك عناصر شريرة لا تريد للإسلام أن يستقر في النفوس على حقيقته ، لأنه يحرمُها كثيراً من الأطماع . وهذه العناصر تَسْتغل ميول النفس ، وما يُلقى الشيطان من وسواس ، وتَستغلُ اتجاهات الأفراد كما تستغل ضعفاء العقول ، وما يثور في النفس من حقد وحسد وضغائن لتقف بها ضد الإسلام ، ولتعوق مسيرته . والشرُّ عارم والباطلُ له صَوْلة ، وإبليس متربص .

فعلى حملةِ الإيمان وحُرَّاسِ العقيدة ، ودُعاة الإصلاح أن ينتبهوا لهذه العناصر ، وأن يكونوا كما أراد اللّه لهم أقوياءُ في عقيدتهم ، وفي دينهم ، وأن تكون أعمالهم وأقوالهم للّه ، ومن أجل اللّه ، ومن أجل المصالح العامة لخلق اللّه ، ولإعلاء كلمة اللّه ، ولو شاء اللّه لأعلى كلمته بكلمته ، ولأعلى دينه بأمره ، ولكن يبتلي بهذا الدين ويختبر ، ويخفض ويرفع ، ويُعز ويذل ، ويُقرْب ويُبعد ، ويرحم وينتقم ، ويغفر ويُعذِّب .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾(١)

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾(٢)

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾(٣)

ولو شاء اللّه لانتصر من أعدائه وأعداء أوليائه وأعداء شريعته ، ولكن أراد

---

(١) المائدة : ٤٨

(٢) النحل : ٩٣

(٣) الشورى : ٨

أن يكون لهذه الأمة المحمدية دورٌ في سبيله ، لتربيتها ، ولصقل عقيدتها ، ولتصفيتها من الدخائل والعناصر الفاسدة ، ولتثقيف عُوْدِها من العلائق وتقويته ليكون صلباً يتحمل النهوض بالمسئولية .

فعلى أمة الإسلام النهوض بدورهم في قضاياهم ، والدفاع عن عقيدتهم وشعائر دينهم ، ليذوقوا طعم الإيمان ، بعد ظهوره ، وطعم النصر بعد الحرب ، وطعم الراحة بعد الجهد ، ولذة المغفرة من ثِقَل الآثام .

وليست هذه الدنيا هي منتهى إرادة المؤمن ، ولا غايةُ مطلبه ، بل هو يتطلع إلى ما هو أعلى ، وأفضل ، إلى ما عند الله من المغفرة والرضوان ، والنعيم المقيم ، ويعلم أن الدنيا دارُ عمل وكد وكفاح ، وصراعٍ بين الحق والباطل ، وبين العدل والظلم ، ويعلم ما ادخر الله له ، إذا وفى بعهده وامتثل أمره واجتنب نهيه ، والخالقُ تبارك وتعالى لم يترك عباده المؤمنين وحدهم أمام التيارات المعاكسة لاتجاه الإسلام . بل هو معهم يؤيدهم وينصرهم ويشد أزرهم ، ويشد عضدهم ، بشرط أن يكونوا معه ، كما جعل حوافز ومقرِّبات ومشجعات ، ووعده لا يُخْلَف ، وحزبه لا يُخْذَل ، وجنده لا يُهْزَم : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾(٢)

---

(١) آل عمران : ١٣٩

(٢) الصف : ١٠ - ١٣

نَعِمَتِ البشارة ، ونعمت التجارة ، ونعم الربح .

فياله من شرف عظيم . وتكريم كبير . وتوددُ الرب للمربوب والخالق للمخلوق ، إنه النداء العُلْوي للذين آمنوا . نداءٌ بتلك الصفة التي ربطتهم بالله ، وأكرمتهم في الأرض والسماء ، وجعلتهم لله أنصاراً وشهداء . ومَنْ ذا الذي لا يَشتاق لأن يَدُله الله على هذه التجارة . تجارة لا تبور ، محصلةٍ للمقصودِ مزيلةٍ للمحذور .

فلو أن رجلاً أتجَّر بريال فربح عشرةً لَغبطه الناس . فكيف بمن يتجر بأيام قليلة ومتاع زهيد مَحْدود ويكسب حياة الأبد ، وسعادة الآخرة ، ونعيم الفردوس ؟؟

إنها تجارةٌ مع الله الواجد الجواد الكريم .

فرأس المال : الإيمان والجهاد بالنفس والمال .

والربح : المغفرة ، والرضوان ودخول الجنات .

ذلكم خير للمؤمنين من الركون إلى الكسل والخمول . ومن الميول إلى الراحة والملذات ، وخير من حوافز الدنيا ومغرياتها .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (١) : أي إن أطعتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرتُ لكم الزّلات وأدخلتكم الجنات . والمساكنَ الطيباتِ والدرجاتِ العاليات .

إن الإسلام منهج حياة واقعي ، يُصَغى الضمائر ويزكي الأنفس ، وينظم المعاملات وتطهر الأموال . منهج عدل واستقامة ، ولا يجيز اعتداءَ أحد على أحد ظلماً وعدواناً ، وتجبراً وطغياناً ، وغطرسة وغروراً ، ولكن الأشرار لا يستريحون لمنهج الخير ، والباطل لا يحب العدل ، والطغيان لا يحترم الحقوق ، ولا يحفظ الكرامات ، فلا بد من رفع الفساد من أرض الله ، ودفع الظلم عن

---

(١) قاله ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : ٦٤٩/٦ - ٦٥٠ - والآية من سورة الصف : ١٢

حلق الله . وهذا يتطلب عدداً وعُدَّة . مع الصبر والمصابرة ، والاستعداد والمرابطة . ألا تسمعون عن فلسطين . وعن القضايا الإسلامية .

فهنيئاً لمن أبرم صفقة بيع مع الله ، وأوفى بعهده من الله ، هنيئاً لإخواننا جنودِ الرحمن المنتظمين والمتطوعين . في المواجهة والمرابطة ، أو على الاستعداد للمثابرة . يقفون في وجه الطغاة المعتدين .

فأوصيكم يا شباب الإسلام بالانضمام إلى جُند الله . متطوعين أو منتظمين ، تعلموا ما يحتاج له كفاح الأعداء ، وما تدافعون به عن الأنفس والأموال ، والمحارم والكرامات﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾(١)

في الصحيحين عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » (٢) .

وعن فضاله بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال : « كُل ميِّت يُختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه يُنمي له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر » (رواه أبو داود والترمذي وإسناده صحيح) (٣) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى

(١) آل عمران : ٢٠٠

(٢) البخاري برقم (٢٨٩٢) : ٨٥/٦ (الفتح) ، وأخرجه مسلم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، حديث رقم (١٦٣) الإمارة : ١٥٢٠/٣

(٣) أبو داود برقم (٢٥٠٠) ، و الترمذي برقم (١٦٢١) في فضائل الجهاد ، وإسناده صحيح ، وأحمد في المسند : ٢٠/٦

ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ (١)

اللّهم خذ بأيدينا لما فيه سعادتنا وصلاحنا ونجاتنا . وما يرضيك عنا . واكفنا كل أمر يهمنا .

اللّهم اجمع كلمة المسلمين على الهدي وألّف بين قلوبهم على البر والتقوى .

اللّهم عليك بالظلمة الذين يخلفون وعدك وينقضون عهدك ويقتلون عبادك ، وينتهكون محارمك ، ويفسدون في أرضك .

اللّهم خذهم أخذ عزيز مقتدر ، وأرنا فيهم عجائب قدرتك .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء والأموات ، إنك غفور رحيم .

* *

(١) التوبة : ١١١

٥٤ - واقع المسلمين مؤلم

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه القوي العزيز . لا يَذل مَن والاه . ولا يَعز مَن عاداه .

وأشهد أنْ لا إلهَ إلا اللّه وحده لا شريك له . نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ رسالة ربه وجاهد في اللّه حق جهاده . صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع مِلَّته .

أما بعد ..

فإنَّ واقع المسلمين الآن مؤلم لا يُرضِي الإسلام .. صاروا أداة في يد عدوهم يُحرِّض بعضهم على بعض . ويحمل بعضهم على بعض . وهم منقادون مستسلمون . رغبة في هذه الدنيا وصدوداً عن الآخرة .

فيا أمة الإسلام .. يا أهل الخير من قادة الإسلام .

إنَّ نور الإيمان كامن في قلب كل مؤمن . وبذور الإسلام موجودةٌ في شعور كل مسلم . فالنور يحتاج إلى إزالة الحواجز ليضيء من الخارج . والبذور تحتاج إلى سقي ورعاية لتؤتي ثمارها . والمسلمون في حاجة إلى راية جهاد صادق يلتفون حولها . لقد سئم المسلمون حالهم . وحتى غير المسلمين من الشعوب سئموا نظامهم ، فالكل يبحث عن الطريق الذي خُلِقَ من أجله وعن النظام الذي يتفق مع فطرته ، فالنفس مجبولة على التطلع إلى التقدم واستمرار الآمال ، وهذه الدنيا تنتهي آمالها عند بلوغ غاياتها وهي قريبة المدى ، أما المسلم فإنه لا تنتهي آماله حتى يبلغ منتهاه ، ومنتهاه عند مولاه في جنة لا يبلغها تصوره ولا مناه ؛ ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ (١) .

---

(١) النجم : ٤٢

أيها المسلمون .. يا شباب الإسلام ..

إن المسلم لا يصلح أن يكون كسولاً ولا خذولاً ولا جباناً ولا بخيلاً . وإنما هو عضو في جسم الأمة وجندي من جنودها . دائماً مرابطٌ في سبيل اللّه . وعلى استعداد لتحمل مسئولية الحياة والجهاد لإعلاء كلمة اللّه والدفاع عن مقدسات اللّه ، فكونوا كذلك وأعدوا للأمر عُدّته وأطيعوا ذا أمركم . واحرصوا على التدريب والتمرين على جميع الآلات والأساليب . فتحويل أوقات الفراغ في التدريب أفضل من صرفه فيما لا ينفع ، واحتسبوا الأجر من اللّه تؤجروا ، والأجل قريب ، فكل ميت يُختم على عمله إلا المرابطُ في سبيل اللّه فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ، ويُؤمَّن فتنة القبر وسؤال منكر ونكير . قال صلى اللّه عليه وسلم : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتَّان » .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾(١)

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد . وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وعن بقية الصحابة أجمعين . وزوجات النبي أمهات المؤمنين . وعن التابعين لهم بإحسان . وارض عنا معهم بمنّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حَوْزة الإسلام يارب العالَمين .

اللّهم أقم علم الجهاد وانشر رحمتك على العباد . يا مَن له الدنيا والآخرة وإليه المعاد .

---

(١) الأحزاب : ٥٦

اللّهم آمنّا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد . ولصناعة القوة والعتاد .

اللّهم حبّب الإيمان وزيّنه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ..

اللّهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والمحن وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا وعن جميع بلاد المسلمين عامة يارب العالمين .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

فاذكروا اللّه العظيم يذكركم .... إلخ .

* * *

(١) النحل : ٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥ - سبعة يظلهم اللّه في ظله (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

ففي أيام الصيف التي تشتد فيها وطأة الحر . ويحمىَ فيها وهج الشمس ويتسابق الناس إلى الظل . نتذكر قول اللّه تعالى﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾(٣)

ونتذكر قول رسولنا ﷺ : « سبعة يظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظلُّه : الإمام العادل ، وشابٌ نشأ في عبادة اللّه عزَّ وجَلَّ ، ورجل قلبه معلَّق بالمساجد، ورجلان تحابا في اللّه اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه . ورجل دعتْه امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف اللّه ، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينُه ، ورجل ذكر اللّه خالياً ففاضت عيناه » (٤) .

---

(١) ألقيت في

(٢) الفاتحة : ٢ - ٤

(٣) الواقعة : ٤١ - ٤٤

(٤) الشيخان في صحيحيهما : البخارى : ٢٣٢/٣ (الفتح) الزكاة - ، ومسلم برقم (١٠٣١) - الزكاة ، من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه ، وقد عقد عليه النووي باباً بقوله : باب « فضل إخفاء الصدقة » .

الله أكبر .. ما عظم شأنه هو الحكم العدل جلّت عظمته وتقدّست أسماؤه ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾(١)

إنَّ ما في هذه الدنيا من النعَم والملّذات . وما فيها من الكدر والمنغصات . إنما هو مجرد أسماء مما في الآخرة . ألا تدركون حرارة الشمس وتأثيرها ، فتأملوا ما بينكم وبينها من المسافات البعيدة . ثم تصوروا حرارة الشمس يوم القيامة إذا كانت قريبة من الرؤوس . مع حرارة الخوف والفزع ، وتلاطهم الأنفاس . ليس هناك سقوف يُسْتَظل بها ، ولا مكيِّفاتٌ ولا مراوح . ليس هناك في الموقف الأعظم إلا ظلُّ عرشِ الرحمن (٢) .

فمَن الذي يستحق أن يستظل فيه . إنهم أهل الإيمان الخالص . وأهلُ التقوى والعمل الصالح . أهل العمل الصافي النقي من شوائب الرياء والسمعة . ومن أرجاس الشرك والوثنية ، والأطماع الدنية . فهؤلاء السبعة صدرت أعمالهم من قلوب امتلأت بالإيمان . ومن نفوس زكت بالتقوى . عرفت الخير فرغبت فيه . وعرفت الشر فهربت عنه . وعرفت ربها فأخلصت له العمل .

فالإمام العادل بصلاحه تصلح الرعية . وبعدله يُنشر الأمن وبنصحه تنزل الخيرات وتعم البركات . وسواء أكانت الإمامة عامةً . أو خاصة . حتى ربُّ البيت . والعدل يكون بإقامة شرع الله والسير على منهج الإسلام الذي هو مصدر العدل والأمان . والشاب الذي لم يشغله شبابه عن طاعة ربه . ولم تصرفه نزعات الشباب إلى معصية خالقه . بل سيطر على شهواته وسيَّرها على طريق النجاة فكمَّله الله وجمله ووهبه تلك المنزلة . والشابة المسلمة إذا نشأت في طاعة الله وعبادته تكون كذلك .

---

(١) القيامة : ٢٢ - ٢٥

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة : ٣/٢٣٢ ، ومسلم في الصحيح - الزكاة (١٠٣١) .

والرجل الذي قلبه معلّق بالمساجد [١] . يعمرها بالعباده وبالبناء . يتردد عليها لأداء الفرائض . لم تشغله أعمال دنياه عن أعمال دينه ، ولم تلهه تجارته عن بيت ربه . فهو مهتم لأداء الصلوات في أوقاتها مع جماعة المسلمين في المساجد . يترقب داعي الله فيجبه فوراً . فكان من عباد الله المقرّبين ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨ ﴾[٢]

الرجلان تحابا في الله . وكذلك المرأتان جمعتهما رابطة الأخوة في الله . وألّفت بينهما شُعَب الإيمان ، فبائتلافهما يحصل التعاون على البر والتقوى . والتناصحُ على سبيل الخير . والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، لم يكن اجتماعهما لغرض دنيوي . ولا لمصالح زائلة ، وإنما هدفهما مرضاة الله والسيرُ على صراط الله حتى الوصول إليه .

والرجل الذي دعته امرأة توفرت فيها حوافز الرغبة ومثيرات الغريزة . دعته لعمل محرَّم إنما يغتر بها ذو النفس الضعيفة وناقص الإيمان . أما قوى الإيمان لم يبال بها ولم تغلبه شهوته لإجابتها . وإنما كانت الغلبة لسلطان الإيمان الراسخ القوي . فضرب بصفاتها المغرية عرض الحائط خوفاً من الله ، فمَن غلبته نفسه وشهوته في هذه الحال فهو فيما سواها أغلب . أين هذا من الذين يصرفون الأموال ويخسرون الأوقات في طلب البغايا والمومسات ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾[٣]

والرجل الذي تصدَّق بصدقة ، والمرأة كذلك سواء أكانت الصدقة واجبة

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه الشيخان : البخارى : ٢٣٢/٣ ، ومسلم برقم (١٠٣١) .

(٢) التوبة : ١٨

(٣) الأحزاب : ٥٨

أو تطوعاً أخفاها وبالغ في إخفائها فلم يعلم بها أحد إلا الله . قصد بإعطائها وبإخفائها وجه الله . فهو بعيد عن الرياء ولم يكن إخفاؤها خشية أن يسأله آخر .

ولم يكن أعطاها ليقال إنه جواد . وإنما هو عمل خالص لله مع حب النفس للمال . وحب النفس للثناء فهذا دليل على صدق القصد وإخلاص النيِّة لله . والرجل الذي كان في مكان ليس عنده أحد من الناس . فراجع نفسه وتذكر مولاه فعرف عظمته وكمال قدرته وقهره . وتذكر ذنوبه وتفريطه ، وتذكر نِعَم الله عليه فأدركه الخوف والفزع . وخنقته الحسرة والعَبْرة . ثم تذكر رحمة الله وسعة جوده وإحسانه فتأثرت نفسه بين الرغبة والرهبة . وتحركت مشاعره بين الخوف والرجاء ، فحزن قلبه لخُلو صحيفته من الصالحات ، وتأثرت جوارحُه لسواد صحيفته من السيئات ، وتاقت نفسه إلى رحمة الله ولطفه . فتوجه إلى مولاه متضرعاً إليه خوفاً وطمعاً ، ففاضت عيناه بالدموع وبكى من خشيه الله . فهذا تاب وأناب لله ولجأ إليه وتوجه إليه فاستقبله الله بكرمه وإحسانه .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. خذوا من دنياكم متاعاً لآخرتكم . وتزوَّدوا من حياتكم الدنيا لما بعدها ، وتعرَّضوا لنفحات ربكم والتمسوا أسباب النجاة ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١ ﴾(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ١٠

---

(١) النور : ٣١

وَلا شُكُوراً * إنَّا نَخافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً *

فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾(١)

اللّٰهم بارك لنا في القرآن العظيم ....

* *

(١) الإنسان : ٥ - ١٢

٥٥ - مسجد المرأة في قعر بيتها حفاظاً على كرامتها

(الخطبة الثانية)

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإنَّ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة رجل معلَّق قلبه بالمساجد . أما المرأة فمسجدها في بيتها وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد . لما رُوي عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : « خير مساجد النساء قعرُ بيوتهن » [(١)] ، ولما روت أم حُميد رضي الله عنها أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : « يا رسول الله ، إني أُحب الصلاة معك قال : « قد علمتُ أنكِ تُحبين الصلاة معي وصلاتكِ في بيتك خير من صلاتِك في حُجرتك ، وصلاتِك في حُجرتك خير من صلاتِك في دارك ، وصلاتِك في

---

(١) أخرجه أحمد في المسند : ٢٩٧/٦ من حديث أم سلمة رضي الله عنها ، و ٣٠١/٦ ، وإسناده حسن لغيره ، الموضع الأول في إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف ، والموضع الثاني في إسناده عبد الله بن لهيعة وهو أيضاً ضعيف ، ولكن المتن حسن لغيره كما لا يخفي على أحد والله أعلم .

دارِك خير من صلاتِك في مسجد قومِك ، وصلاتِك في مسجد قومِك خير من صلاتِك في مسجدي » (١) . وهذا للمحافظة على كرامتها وصيانتها وحصانتها .

فالمرأة كلما أبعدت عن الرجال كان خيراً لها وأعظم لأجرها وأكثر لثوابها ، وكلما اختفت بعبادتها وخلت بربها فهو أقرب لرضوان الله عليها .

فيا أيتها المسلمة .. ألا ترضين لنفسك ما اختاره لك رسول الله ﷺ . اكتفي بصلاتك في قعر بيتك خيرٌ لك . فاتقوا الله أيها المسلمون وتفهموا دينكم والتمسوا طاعة ربكم وطاعة رسوله ﷺ .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦ ﴾(٢)

اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود . وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن أزواج نبيك أمهات المؤمنين وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وارض عنا معهم بمنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشِرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يارب العالَمين .

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن برقم (٥٥٧١) ، باب « التشديد في خروج النساء إلى المساجد » وأخرجه الحاكم في المستدرك : ٢٠٩/١ وصححه ، ووافقه الذهبي على تصحيحه وهذا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وأما حديث أم حميد رضي الله عنها فقد أخرج حديثها هذا بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند : ٣٧١/٦ ، وإسناده حسن وليس عند الإمام أحمد لها حديث إلا هذا الحديث الواحد فقط .

(٢) الأحزاب : ٥٦

اللّهم أدِم الأمن في أوطاننا واحفظ إمامنا وولاة أمورنا واجعلهم هداة مهتدين يقولون بالحق وبه يعدلون .

اللّهم أصلح جميع ولاة المسلمين . واهدهم سبل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، واقضِ الدَّيْن عن المدينين واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢)

* * *

---

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٦ - التفكر في المـــآل [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّٰه الذي له ما في السموات وما في الأرض ، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّٰه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى اللّٰه عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان وسلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٢]

وتأملوا في مآلكم بعد هذه الحياة الدنيا ، فكل إنسان يؤمن إيماناً صادقاً بأن الموت محتوم على جميع المخلوقين ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[٣]

وقد استأثر اللّٰه تعالى بالآجال في علم الغيب عنده ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[٤]

فللّٰه الحكمة البالغة ، والحُجَّة القاطعة ، والقدرة القاهره .

---

(١) ألقيت في ١٣٩١/٤/٨ هـ .

(٢) آل عمران : ١٠٢

(٣) الرحمن : ٢٦ - ٢٧

(٤) لقمان : ٣٤

وكل إنسان يجزم بأن الموت سيلاقيه في يوم من الأيام ، طالت به الحياة أو قصرت . فنحن نشاهد في كل يوم عدداً من الراحلين إلى الآخرة . من الآباء والأمهات ، والأبناء والبنات ، والإخوان والأحباب والجيران ، من الشبان والشيبان والأطفال والكهول ، فليس الموت للكبير دون الصغير ، ولا للسقيم دون الصحيح . ولا للفقير دون الغني ، ولا للوضيع دون الشريف ، فكم من شاب في عنفوان شبابه ومستقبل حياته . وافته المنية فقطعت عليه آماله وهدمت شبابه . وكم من غني مشتغل بماله عن مآله أنشبت فيه المنية أظفارها . ففارق أهله وثروته . وكم من صاحب جاه وسلطان جاءه مَلَك الموت بين الأعوان والخلان ، فقبض روحه على أي حال كان . وكم من صبي حبيب لدى أبويه يسهران لسهره ويؤمِّلان في مستقبله ، أدركه الأجل فأخذ قرة عينيهما وأمل مستقبلهما ، فما المال والأهل والأولاد إلا ودائع عندنا . ولا بد أن نرد هذه الودائع إلى مالكها جلَّ جلاله .

فعلى العاقل أن يفكر كيف تكون حاله إذا دنت منيَّته وتقلصت قوته وشُلَّت أعضاؤه وبلغت الروح الحلقوم وأيقن بالفراق . والأهل والأولاد حوله يبكون لا يملكون له نفعاً ولا يدفعون عنه شراً . هل يجد عملاً صالحاً أمامه يقوي أمله بالله . وهل يجد إحساناً يحتسبه عند الله . وهل قدَّم لنفسه زاداً من التقوى يجده في مآله . فتستقبله ملائكة الرحمة بالبِشر والسرور . ويقول ملك الموت لروحه : أيتها النفس الطيبة .. اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان . فتخرج بسهولة وارتياح . فتأخذها ملائكة الرحمة وتجعلها في حنوط من الجنة طيب الرائحة ، ويصعدون بها إلى السماء ويشيعها من كل سماء مقربوها. حتى تنتهي إلى السماء السابعة فيقول الجبار جل جلاله : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض . فتعاد مع الملائكة الأبرار .

أو يكون بضد ذلك قد نبذ كتاب الله وراء ظهره وضيَّع حدود الله . وانتهك محارم الله . فيقع في حسرة وندامة . وتستقبله ملائكة العذاب سود الوجوه معهم مسوح من النار . ويقول مَلَك الموت لروحه : أيتها النفس الخبيثة ،

اخرجي [١] إلى سخط من اللّه ، فتتفرَّق في جسده فيتنزعها مَلَكُ الموت بشدة كما تُنزع شناكير الحديد من الصوف المبلول . فتأخذها ملائكة العذاب فيجعلونها في ذلك المسوح المنتن . ويصعدون بها إلى السماء فلا يُفتح لها . ويقول الجبار جلَّ جلاله : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتُطرح إلى الأرض طرحاً فيخر من السماء في مكان سحيق .

وعلى الإنسان أن يفكر أيضاً إذا وُضِع في قبره وعادت روحه إلى جسده وأتاه الملكان يسألناه : مَن ربك ، وما دينك ، ومَن نبيك ؟ هل يثبته اللّه بالقول الثابت . فيقول : ربي اللّه ، وديني الإسلام . ونبيي محمد صلى اللّه عليه وسلم .. فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة . وافتحوا له باباً إلى الجنة ، فيأتيه من روحها وطيبها ، ويُفسح له في قبره مد بصره .

أو يكون بضد ذلك فيكله اللّه إلى نفسه ، فكلما سأله الملكان قال : هاه هاه .. لا أدري . فينادي مناد من السماء : أن كذب فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه .

وليفكر الإنسان أيضاً في جليسه في قبره ، هل عمل صالحاً فيأتيه عمله في صورة رجل حسن الوجه حسن الثياب . طيب الريح فيقول له : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعد . أنا عملك الصالح . فتشتاق نفسه إلى نعيم أعظم وسعادة أكبر فيقول : ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

أو يكون بضد ذلك فيأتيه عمله في صورة رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن

---

(١) إشارة إلى ما في حديث البراء بن عازب رضي اللّه عنه ، رواه الإمام أحمد : ٢٨٨/٤

الرائحة فيقول له : أبشر بالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنت توعد . أنا عملك الخبيث . فيخشى من عذاب أشدٌ وأنكى فيقول : ربٍّ لا تُقِم الساعة .

وعلى الإنسان أن يتصور ما بعد ذلك من البعث والنشور والعَرْض والحساب . والصراط المعروض على متن جهنم هل يقوم من قبره فرحاً مسروراً . ويظله اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله . أو يكون في خوف وقلق واضطراب في حر وسموم وظل من يحموم . وهل ترجح حسناته بسيئاته ، أو تطيش سيئاته بحسناته ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾(١) . وهل يُعْطَى كتابه بيمينه وينقلب إلى أهله مسروراً . أو يُعْطَى كتابه بشماله أو من وراء ظهره ويدعو ثبوراً ويصلى سعيراً . وهل يمر على الصراط كالبرق الخاطف . أو كالريح المرسلة . أو يمشي على قدميه . أو يحبو حبواً على ركبتيه . أو تأخذه الكلاليب فتلقيه في النار .

فعلى العاقل أن يفكر في هذا الطريق الذي لا بد من سلوكه . وفي هذه المضايق التي لا بد من العبور فيها . فيعد لكل طريق زاده ولكل حال عُدَّتها .

فاتقوا اللّه عباد اللّه ، ولتنظر نفس ما قدَّمت لغد .. فمَن كان محسناً فليزد في إحسانه . ومَن كان مسيئاً فليتق اللّه في نفسه وليقلع عن إساءته وليتب إلى اللّه ، فإن اللّه يقبل توبة التائبين ويغفر ذنوب المستغفرين .

اللّهم بك آمنا ، وعليك توكلنا ، وبنبيك صلى اللّه عليه وسلم صدَّقنا ، فهوِّن علينا سكرات الموت . وآنس وحشتنا في قبورنا . وثبتنا عند السؤال . وآمن

---

(١) القارعة : ٦ - ١١

فزعنا يوم البعث والنشور . واغفر ذنوبنا واستر عيوبنا يوم العرض والحساب . وآتنا صحائفنا بإيماننا . وتجاوز عنا وجاوزنا الصراط . وأدخلنا الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

٥٦ - النفوس مجبولة على الاتصال بالله

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإنّ الإسلام منهجٌ ذو خصائص متميزةٍ من ناحية التصور والاعتقاد ، ومن ناحية التشريع والتنظيم لشئون الحياة . فلا بد أن تكون هناك جماعة من الناس تحمل هذا المنهج لتقود به العالَم التائه . ولخير البَشر جميعاً جاء هذا المنهج ، ولخير البَشر يدعو الدعاة لتحكيم هذا المنهج .

والعالَم يعاني مما هو فيه ما يعاني . ولا منقذ لهم إلا هذا المنهج الذي جاء من الله على لسان خير خلق الله صلى الله عليه وسلم . الإنسان جُبِل على حُب الاتصال بالله . فإذا تاه عن طريق الله أحس بأنه فقد شيئاً مضطراً إليه . فيأخذ يلتمسه فتحول شياطين الجن والإنس بينه وبين ما يريد ، ويوجهونه إلى الأوهام والخرافات وعبادة غير الله يزعم أنها توصله إلى الله .

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ ﴾(٢)

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤

فاتقوا الله أيها المسلمون . إن حبل الله ممدود من السماء إلى الأرض فتمسكوا به كما تمسك به نبينا محمد ﷺ وأصحابه ، ولا تُفلتوه ، فمَن أفلته انزلقت قدمه في هاوية المهالك .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٧ - ماضي المرء ومستقبله [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾[٢] . له المُلك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أَنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ، ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى فإنها أساس كل خير وصلاح . وسبيل النجاة والفلاح .

عباد اللّه .. إن الإنسان محصور بين حالين مخيفتين ، فهو واقع بين ماض من حياته قد عمل فيه أعمالاً سُجِّلت في صحيفته ، ودوِّنت في ديوانه ، لا يدري ما اللّه صانع بها . وبين مستقبل لا يدري ما اللّه قاضٍ فيه . فأمامه صحة ومرض ، وغنيً وفقر ، وعِز وذُل ، وأمن وخوف ، وشباب وهرم ، وشقاوة وسعادة ، وحياة وموت ، وجنة ونار .

فلا يدري أي الأمرين يدركه . ولا أي عرض يصيبه ، فالواجب على الإنسان

---

(١) ألقيت في ١٣٩٣/١/٣٠ هـ .

(٢) الأنعام : ١

أن يكون بين الخوف والرجاء - دائماً يخاف من ذنوبه وسيئاته . ويرجو رحمة ربه ورضوانه . ويخاف من عذاب الله وسخطه ، فيلجأ إليه ويبتعد عن محارم الله وحدوده . ويرجو ثواب الله وعظيمَ فضله ، فيعمل على ما يوصله إليه : على وفق كتاب الله وسُنَّة نبيه محمد ﷺ .

فمَن خاف هرب . ومَن طلب أدلج في السير حتى يصل . ولا يكون الإنسان كذلك حتى يستحضر عظمة الله تعالى وقدرته . ويتيقن أنه مطلع عليه وهو مستوٍ على عرشه . يرى أفعاله ويسمع أقواله . ويعلم خفيات نفسه . وأنه وكَلَ به كراماً كاتبين ، عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾[1] . يسجل أعماله وأقواله في ديوان لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها [2] .

وواجب على المسلم أن يحاسب نفسه على أفعالها في الصباح والمساء . وأن يكون هواه تبعاً لما جاء به النبي ﷺ [3] .

فيعرض أعماله على مقاييس كتاب الله تعالى وهَدْي نبيه محمد ﷺ ، فإن وجد خيراً حمد الله تعالى على هدايته وتوفيقه . وسأله الثبات . وازداد من الخير خيراً . وإن وجد إهمالاً للواجب . وعملاً للمحرمات . وجرأةً على الله وتعدٍ لحدوده أقلع عنها وندم على فعلها وتاب إلى الله منها . فإنه رؤوف رحيم يقبل توبة التائبين ويغفر ذنوب المستغفرين ، وإن من أهم الدوافع للإنسان على معرفة قدرة الله تعالى . والصبر على فعل الخير والأعمال الصالحة والابتعاد عن المعاصي والآثام . والتزام جانب الأدب مع الله تعالى . أن يتذكر مبدأه ونشأته

---

(١) سورة ق : ١٨

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الكهف : ٤٩

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أخرجه البغوي في شرح السُنَّة برقم (١٠٤) ص ٢١٢ - ٢١٣ وإسناده حسن ، وقد تكلمت على إسناده نقلاً عن ابن عدي والجرح والتعديل .

ومحياه ومماته . وأن يفكر فيما أمامه من الموت وسكراته ، وخروج الروح من الجسد ونزعاتها ، والقبر ووحشته ، والبعث وهوله ، والحساب وشهوده ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ۝٧ ﴾(١)

فتأمل أيها الإنسان في هذه الآية الكريمة واطلع على أسرارها وحقائق ما فيها من واقع نفسك وأبنائك وإخوانك واعرف قدرة الله تعالى . ومقدار نفسك .

وتأمل ما بعد ذلك إذا دنت منيتك وصرتَ في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة . فهل تستقبلك ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب . وهل تخرج روحك من جسدك بسهولة وشوق إلى لقاء ربها . أم تتفرق في الجسد فينتزعها مَلَك الموت بشدة . وهل تُجعل في حنوط من الجنة طيب الريح . أو في مُسوح من النار منتن الريح . وهل تُفتح لها أبواب السماء ويشيعها من كل سماء مقرّبوها . أو تُغلق دونها الأبواب فتُرَد خائبة ذليلة . وهل يُثبتك الله عند سؤال منكر ونكير بالقول الثابت الصحيح ، أو تقول : هاه هاه .. لا أدري (٢) ، وهل تجد القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، وهل يكون عملُكَ جليسُك على هيئة حسنة تُدخل عليك السرور . أم على هيئة قبيحة موحشة مؤلمة ..

---

(١) الحج : ٥ - ٧

(٢) إشارة إلى حديث البراء بن عازب رضي الله عنهم . أحمد في المسند : ٢٨٧/٤ و ٢٨٨

وتأمل ما بعد هذا ﴿ ويوم يُنفخ في الصور فصعق مَن في السموات ومَن في الأرض إلا مَن شاء الله وكل أتوه داخرين ﴾ [(١)] . ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [(٢)] فينادي تبارك وتعالى : أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ لمن المُلك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد !! فيجيب نفسه - جلّت عظمته وتقدست أسماؤه - : المُلك للهِ الواحد القهار [(٣)] .

ثم يُنفخ في الصور مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، يجتمعون في صعيد واحد من أول الدنيا إلى آخرها . ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي . لا ينظر أحد إلى أحد ولا يلوي أحد على أحد . لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه ، فيصيبهم من الخوف والقلق والشدة والفتك ما لا يعلم إلا الله . في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، فيلتمسون مَن يشفع لهم عند الله تعالى لفصل القضاء بينهم حتى يصلون إلى سيد الأوَّلين والأخرين وقائد الغر المحجلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى أتباعه أجمعين . فيقول : أنا لها أنا لها ، فيذهب عليه الصلاة والسلام فيسجد تحت العرش يحمد الله ويدعوه ويتضرع إليه بما يفتح عليه . حتى يأذن له بالشفاعة فيشفع فينزل تبارك وتعالى لفصل القضاء وتُوضع الموازين وتُنشر الصحف [(٤)] ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[(٥)]

---

(١) سورة الزمر .

(٢) الرحمن : ٢٦ - ٢٧

(٣) إشارة إلى آية غافر : ١٦

(٤) إشارة إلى حديث الشفاعة : البخاري برقم (٧٤١٠) : ٣٩٢/١٣ (الفتح) ، وهو من حديث أنس رضي الله عنه .

(٥) الزمر : ٦٩

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ ﴾(١)

ثم يوضع الصراط على متن جهنم ويؤمر الناس بالمرور عليه ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢ ﴾(٢) فيمرون على الصراط يسيرون حسب أعمالهم فأولهم كالبرق . ثم كالريح ... وهكذا حتى مَن هو يحبو حبواً . فمخدوش ناج . ومأخوذ ملقى في النار . ثم يدخل أهل الجنة منازلهم . خلود بلا موت . ونعيم بلا نكد . ويدخل أهل النار مقاعدهم لا يُقضى عليهم فيموتوا . ولا يخفف عنهم من عذابها (٣) .

فاتقوا الله عباد الله ، وتأملوا هذا الهول العظيم وهذا الطريق الذي لا بد من المرور عليه . وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا وزنوها قبل أن توزنوا .

وتأهبوا للقاء ربكم وتزوَّدوا لدار مقامكم . وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

اللَّهم اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت (٤) ، واصرف عنا سيئاتها لا يصرفها عنا إلا أنت ..

---

(١) الانشقاق : ٧ - ١٢

(٢) مريم : ٧١ - ٧٢

(٣) أورده الترمذي في الجامع ، كتاب صفة القيامة معلقاً بصيغة التمريض : ٦٣٨/٤ إذ قال : ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم ذكر الأثر بهذا اللفظ .. أورده البغوي في شرح السنَّة بدون إسناد : ٣٠٩/١

(٤) إشارة إلى دعاء النبي ﷺ رواه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب صلاة المسافرين حديث رقم (خاص ٢٠١) ، و(عام ٧٧١) : ٥٣٤/١ - ٥٣٦ ، وأحمد في المسند : ٩٤/١ ، ١٠٢

اللّهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفِّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار .

اللّهم ارحمنا يوم الوقوف بين يديك ، وأظلنا تحت ظل عرشك يوم العرض عليك . وآتنا صحائفنا باليمين . ونجنا من نار الجحيم ، وأدخلنا الجنة دار النعيم .

أقول قولي هذا وأستغفر اللّه العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

٥٧ - الحذر من النفس الأمَّارة

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه حمداً كثيراً .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريكَ له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها الناس اتقوا اللّه تعالى ، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، واحذروا سخط الجبار فإن أقدامكم على النار لا تقوى .

واعلم أخي المسلم أن لك نفساً أمَّارة بالسوء تدْعوك لشهواتها . ورغباتها . وتزين لك وساوس الشيطان وتحثك على اتباعها . فاحذر منها كل الحذر ، وتحصن بكتاب اللّه وسُنَّة نبيه ﷺ . واجعل لسانك مشغولاً بذكر اللّه ، وبدنك معموراً بطاعة اللّه ، يحفظك اللّه من كل سوء ويهديك كل خير وسعادة .

واتق اللّه حيثما كنت يجعل لك من كل همٍ فرجاً ومن كل ضيقٍ مخرجاً . ويرزقك من حيث لا تحتسب .

عباد اللّه .. إن اللّه تعالى قد أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦ ﴾(١)

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارض اللّهم عن الأربعة

---

(١) الأحزاب : ٥٦

الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين . وأهل بيته الطيبين الطاهرين . وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، واجمع كلمتهم ووحِّد صفوفهم . واهدهم سُبل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللّهم انصر جيوش المسلمين وثبت أقدامهم واربط على قلوبهم وانصرهم على القوم الكافرين .

اللّهم أذل الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين .

اللّهم اخذل اليهود وأعوانهم وأتباعهم . اللّهم أنزل الرعب في قلوبهم . وشتت شملهم وفرِّق جمعهم . واجعل الدائرة عليهم . إنك أنت القوي العزيز .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، ونفِّس كرب المكروبين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله .. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥ ﴾(٢)

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨ - الإيمان قوة مضادة للأعداء [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [٢]

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الإيمان نورٌ يجعله الله في قلب المؤمن يصله بربه . له إشعاع ، ونفوذ أقوى من أي إشعاع آخر . فيخالط الدم واللحم ، فتظهر آثاره على الجوارح والملامح ، فينظر بنور الإيمان إلى هذا الكون ، فيراه عرضاً زائلاً ، لا بقاء له ولا خلود ، ويرى أن الدوام والخلود لموجد هذا الوجود ، فلا يرغب إلا إلى الله ، ومَن عداه مخلوق فان ، ولا يتشوق إلا لثواب الله . وما عداه عرض تالف ، ولا يخاف إلا من عذاب الله . وما عداه بلاء منقطع ، ولا يرغب إلا في الدار الآخرة ، وما عداها ظل زائل .

وبهذه المشاعر الروحانية يصمد المؤمن ، أمام جميع الفتن والمصائب أيّاً كان نوعها ، وبها ينجح في الابتلاء ، وينصره الله على الأعداء .

---

(١) ألقيت في ٢٦/١٠/١٤٠٠ هـ .

(٢) إبراهيم : ٤٢

عباد الله .. إن ما يحصل في كثير من الأقطار الإسلامية من القتل ، والسلب ، والتعذيب ، والتشريد .. قد يكون ابتلاء واختبار من الله ، وقد يكون للتقوية والتثقيف والتصفية من الدخائل الرديئة في الإيمان ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾(١) . يقرب الله به المؤمن إلى دار كرامته ، ويرفع به الصابرين إلى أعلى درجاته ، ويستعجل به الشهداء إلى النعيم المقيم ، ويُعظم به الأجر للمرابطين . ويفتح به الطريق للآخرين ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾(٢)

قد لا يكون الابتلاء دليل السخط من الله ، كما لا يكون تكامل القوة وتوافر الصحة وتواجد النعم دليل رضاه ، ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « إنَّ أشد الناس بلاءً : الأنبياءُ ، ثم الصالحون ، ثم الأمثلُ فالأمثل ، يُبتلى الرجلُ على حَسَب دينه (٣) فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء » (٤) . ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤ ﴾(٥)

(١) النور : ١١

(٢) محمد : ٤ - ٦

(٣) البخارى معلقاً : ١٠ / ١١١ (الفتح) ، وقال الحافظ : أخرجه الدارمي والنسائي في الكبرى ، وابن ماجه والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . قلت : أخرجه أحمد في المسند : ٣٦٩/٦ من حديث أخت حذيفة رضي الله عنهما .

(٤) ابن ماجه برقم (٤٠٢٣) هو نفس الحديث من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وفيه هذه الزيادة .

(٥) البقرة : ٢١٤

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾(١)

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾(٢)

بسم الرحمن الرحيم : ﴿ الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾(٣)

فيا أيها المجاهدون في كل مكان ، ويا أيها المستضعفون ، ويا أيها المعذبون بدون حق .. اصبروا إنَّ اللّه مع الصابرين ، إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء (٤) . فاصبروا .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(٥)

ويا أيها المسلمون الآمنون في أوطانهم .. اتقوا اللّه واهتموا بأمر إخوانكم المسلمين وشاركوهم في آلامهم وآمالهم ، وأروهم منكم ما يشجعهم ويضمِّد جراحهم ، ويقوي شوكتهم ومعنوياتهم ﴿ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٦) ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾(٧)

(١) التوبة : ١٦

(٢) آل عمران : ١٤٢

(٣) العنكبوت : ١ - ٣

(٤) الترمذي برقم (٢٣٩٨) من حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه وإسناده حسن مع الشواهد .

(٥) آل عمران : ٢٠٠

(٦) التوبة : ٤١ بلفظ : ﴿ وَجَاهِدُوا.... ﴾ .

(٧) العنكبوت : ٦

« ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء » [١] .

اللّهم اجعل لجميع المسلمين من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ومن كل بلاء عافية . واجعل لهم من لدنك ولياً ، واجعل لهم من لدنك نصيراً [٢] .

اللّهم إنّا نستغفرك فاغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) هذا لفظ رواه أبو يعلي في المسند وأورده الهيثمي في المجمع : ١٨٧/٨، وقال : منقطع رواه أبو عبيدة عن أبيه ولم يسمع منه ، ولكن روي من طرق أخرى . انظر شرح السنّة للبغوي : ٣٩/١٣

(٢) معناه في النساء : ٧٥

٥٨ - تسلط الأعداء على المسلمين فتنة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى [١] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى اللّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن آمن به وعمل صالحاً ثم اهتدى .

أما بعد ..

فإنَّ الفتن التي تحيط بالمسلمين من كل جانب متعددة الجبْهات . فكما أن الأمراض والأسقام فتنة . فكذلك الشهوات والنزعاتُ ، وتوفر أسباب الشر فتنة ، وكما أن تسلط الأعداء على المسلمين فتنة . فكذلك قلّة الناصر والمعين فتنة . وكما أن تقدم أعداء الإسلام في الصناعات والاختراعات فتنة . فكذلك تأخر المسلمين وابتعادُهم عن نظام إسلامهم فتنة ، وكما أن انفتاح الدنيا على الأمم المُنغمسَة في الرذائل وصفائها لهم فتنة ، فكذلك الفقر في المسلمين ، وكدر الحياة فتنة ، وهكذا كل ما في هذه الحياة فتن ومختبرات ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥ ﴾[٢]

---

(١) معناه في النمل : ٥٩

(٢) الأنبياء : ٣٥

ولكن حال المؤمن دائماً على خير « إن أصابته سراًء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراًء صبر فكان خيراً له » (١) .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون . واعلموا أنكم في دَوْر الاختبار وستظهر النتائج عن قريب . فَقَوُّواْ صلتكم باللّه وشدوا عزائمكم وشمروا عن سواعدكم ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾(٢)

وصلّوا على البشير النذير (٣) ....

* * *

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح : الزهد ، حديث رقم (٦٤ خاص) ، و (عام ٢٩٩٩) : ٢٢٩٥/٤ من حديث صهيب الرومي رضي اللّه عنه .

(٢) المائدة : ٢

(٣) معناه في الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٩ - تذكر الموت [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الواحد القهار ، كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون.

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بعثه اللّه رحمة للعالَمين ، ونوراً وهدىً للمتقين ، صلَّى اللّه عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعهم أجمعين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [٢]

أيها الناس .. إذا أرد الإنسان سفراً من بلد إلى بلد فماذا يفعل ؟ أليس يهتم له ويعد له عُدَّته ؟ وإذا أراد الإنسان الانتقال كلياً من بلد إلى بلد ، ليقيم بها فماذا يفعل ؛ أليس يصفي حساباته من هذه وينقلها إلى تلك ، ويعمل كل ما فيه راحتُه وسلامتُه في سفره ومقامه ؟

إنَّ أمامنا - عباد اللّه - سفراً من دار إلى دار ، وانتقالاً من دار إلى دار ، انتقالٌ من هذه الحياة الدنيا إلى دار الآخرة .. دار القرار .

---

(١) ألقيت في ١٩/٨/١٣٩٤ هـ .

(٢) آل عمران : ١٠٢

أمامنا طريق صعب لا بد من سلوكه ، وأمامنا عقبات لا بد من المرور عليها، يجب أن نستعد لها بما يناسبها ، يجب علينا أن نتزود بزاد سفرنا ، وأن نقدِّم أمامنا لدار مقامنا ، وأن نجعل هذه الدار متاعاً لآخرتنا ، فهذه مزرعة تلك ، ومن زرع اليوم حصد غداً ، فأين الآباء والأجداد ، أين الأبناء والأقارب والأحفاد ؟ أين الملوك والرؤساء ؟ أين القضاة والأمراء ؟ إنهم قدموا إلى ما قدَّموا وحصدوا ما زرعوا ، وإنكم ستسيرون مسيرهم . فتذكروا هذا الطريق الموحش ، تذكروا سكرات الموت ، ونزعات الروح ، تذكروا القبر وسؤال منكر ونكير ، كيف يكون حال الإنسان إذا بلغت الروح التراق ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾[(١)] إذا تذكر أعماله السيئة ، وتقصيره في جانب اللّه ، وإهماله .

ورد عن النبي[(٢)] ﷺ في صفة قبض الروح حديث صحيح فقال صلى اللّه عليه وسلم : « إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع في الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيء مَلَكُ الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من اللّه ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء فيأخذُها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون - يعني بها - على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان بن فلان . بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا . حتى ينتهون بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له ، فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقرَّبوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهون به إلى السماء السابعة ، فيقول اللّه عَزَّ وجَلَّ : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم

---

(١) القيامة : ٢٨ - ٢٩

(٢) حديث البراء بن عارب رضي اللّه عنه رواه الإمام أحمد في المسند : ٥٨٧/٤

ومنها أخرجهم تارة أخرى . قال : فتعاد روحه في جسده فيأتيه مَلَكان فيُجْلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي اللّه ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقولَ : ديني الإسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول اللّه ﷺ . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأتَ كتاب اللّه فآمنتُ به ، وصدَّقت ، فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويُفسح له في قبره مد بصره . قال : ويأتيه رجل حسنُ الوجه حسنُ الثياب طيبُ الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنتَ توعد . فيقول له : مَن أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسُوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء مَلَكُ الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من اللّه وغضبه ، قال : فتفرق في جسده فينتزعها ما يُنتزع السفود من الصوف المبلول . فيأخذها . فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسُوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون : فلان بن فلان . بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يُفتح لهم .

ثم قرأ رسول اللّه ﷺ : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾(١) ، فيقول اللّه عزَّ وجلَّ : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحاً . ثم قرأ ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾(٢)

---

(١) الأعراف : ٤٠

(٢) الحج : ٣١

فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه مَلَكان فيُجْلِسانه فيقولان له : مَن ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بُعِث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء : أن كذب عبدي فافرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ويُضيِّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه . ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب مُنتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنتَ توعد . فيقول : مَن أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر . فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : ربِّ لا تقم الساعة » (١) .

فاتقوا اللّه عباد اللّه . وتأهبوا للرحيل ، وتزوَّدوا لمقامكم واسألوا اللّه الهداية والتوفيق والثبات ، فإنه ولي ذلك والقادر عليه .

اللّهم أعذنا من عذاب النار ومن عذاب القبر ، وأعذنا من فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال (٢) .

اللّهم ارحمنا عند سكرات الموت ، ووسِّع لنا في قبورنا ، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

وتوبوا إلى اللّه جميعاً أيها المؤمنون واستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) أحمد في المسند : ٤/٢٨٧ - ٢٨٨ من حديث البراء بن عازب رضي اللّه عنهما ، إسناده صحيح وأخرجه الترمذي في جامعه - أبواب القيامة - باب (٢٢٦) ، وكذا أبو داود في سننه - الجنائز - باب (٢٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح : ٢/٢٦٣ - ٢٦٤ في صفة الصلاة ، باب « الدعاء قبل السلام » ، وذلك من حديث عائشة رضي اللّه عنها ، وكذا مسلم في الصحيح برقم (٥٨٩) ، وأخرجه البغوي في شرح السُنَّة برقم (٦٩١) : ٣/٢٠٠

٥٩- النِعَم .. إما عقوبة ، وإما استدراج ، أو انتقام
(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (١)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، وصفوته من خلقه .

صلى اللَّه عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الابتلاء بالنِعَم أو بالمكروهات قد يكون جزاء على معصية ، وقد يكون لمجرد الاختبار لتميز الطيب من الخبيث . ولرفع درجات الصابرين .

أما الأول فكقوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾(٢) ... وهذا هو الاستدراج .

وقوله : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾(٣) ... وهذا هو الانتقام .

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) الأنعام : ٤٤

(٣) العنكبوت : ٤٠

وأما النوع الثاني . فكما قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾(١)

وقوله : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥ ﴾(٢)

ومن هذا يُعلم أن الإيمان نصفان . نصفٌ شكرٌ ونصف صبرٌ . فالشكر هو الثناء على الله بما هو أهله ونسبة الفضل إليه وأداء حقه وحق النعم ، وهذا عيْن الصبر ، والصبر ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله وإن ثقلت على النفس ، وصبر عن معاصي الله وإن تنازعت الأهواء والشهوات ، وصبر على أقدار الله وإن تألم القلب والبدن . وقد يكون إنعاماً كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾(٣)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠ ﴾(٤)

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾(٥)

* * *

---

(١) البقرة : ١٢٤

(٢) الأنبياء : ٣٥

(٣) الأعراف : ٩٦

(٤) آل عمران : ٢٠٠

(٥) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٠ - بر الوالدين [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ [٢] .

خلق الإنسان من طين [٣] ، وشقَّ له السمع والبصر والفؤاد [٤] . ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ [٥] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . صلى اللَّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فاتقوا اللَّه ما استطعتم [٦] . واتقوا اللَّه الذي تَسَاءلون به والأرحام ، إن اللَّه كان عليكم رقيباً [٧] .

عباد اللَّه .. إن الإنسان يجب عليه حقان عظيمان أساسيان لا ينفكان عنه طول حياته . وهذان الحقان من باب مقابلة الإحسان بالإحسان . والمعروف بالمعروف ، فالحق الأول هو حق خالقه تبارك وتعالى . فهو الذي أوجده من العدم . وصوَّره في أجمل صورة ، وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلاً . وربّاه بجميع

---

(١) ألقيت في : ١٣٩٦/٨/٣ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى آيات كثيرة من القرآن الكريم ومنها فى سورة الأنعام الآية رقم (٢) .

(٤) إشارة إلى عدة آيات من القرآن الكريم ومنها آية في سورة المؤمنون الآية رقم (٧٨) .

(٥) الأعراف : ٥٤

(٦) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التغابن آية (١٦) .

(٧) إشارة إلى آية النساء رقم (١) .

النِعَم ، ويسَّر له طرق الحياة . وخلق له ما في الأرض جميعاً . وسخَّر له والديه . ووضع له العطف والحنان في قلبيهما ، وهذا هو أول الحقوق وأعظمها وأهمها . وهو الإيمان بالله وبما جاء من عند الله على لسان رسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ ، وأن يعبد الله على وفق ما جاء في شرع الله ، مخلصاً العبادة لله . طاهرة نقية من شوائب الشرك وشُبَه الخرافات والبدع .

والحق الثاني : هو حق الوالدين اللَّذين خُلِق منهما . ونالهما بسببه التعب والمشقة . والهم والنكد . مِنْ أول أطواره حتى يصبح إنساناً قوياً وبَشراً سوياً . قد غُرِست محبته في قلبيهما . لا يتركان شيئاً في وسعهما إلا بذلاه لإصلاحه وسعادته وتربيته . يسهران لسهره ، ويمرضان لمرضه . ويفرحان لفرحه ، ويحزنان لحزْنه . فهو قرَّة عينيهما . وزينة دنياهما . وأُنس حياتهما . وأمل مستقبلهما . فإذا كبر واستقل بنفسه بقي قلباهما متعلقان به مهما بلغ ، وحيثما كان ، يفكران في حياته . كيف هو وعلى أي حال ،. يعطفان عليه ويسعدان برؤيته .

إنها رحمة جعلها الله في قلوب عباده ومَوَدّة ذاتية لإصلاح هذا الكون وعمارته .

والابن له حق على والديه ما دام محتاجاً لهما ؛ وهو حق التربية والتوجيه والإصلاح . فإذا بلغ أشده واستوى واستقل بنفسه صدر حقه عليهما وورد حقهما عليه .

لذلك أمر تبارك وتعالى في كتابه العزيز ببر الوالدين وأكَّد أمره وكرره وبالغ في الوصية بهما . وقرن حقهما بحقه ، فقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[١]

---

(١) الإسراء : ٢٣ - ٢٤

إن بر الوالدين في حاجتهما إليه أفضل من الجهاد في سبيل الله . فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال : « أحي أبواك » ؟ قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد » (١) .

إنَّ بر الوالدين طاعة للرحمن . وخيرٌ وبركة للإنسان ، سبب لسعة الرزق وطول العمر . كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « مَن أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أجله فليصل رحمه » (٢) .

إنَّ بر الوالدين من شيم الكرام . ودليل الفضل والكمال . والبار بوالديه قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة .

وعقوق الوالدين من صفات اللئام ودليل الخسة والرذالة . والعاق بوالديه بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة . قريب من النار .

قال صلى الله عليه وسلم : « رغم أنف امرىء أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخل الجنة » (٣) .

أتدرون ما هو بر الوالدين ؟

البر بالحي منهما لين الجانب . وبشاشة الوجه . وطلاقة اللسان . وإدخال السرور عليه . والاعتراف له بجميله . وبذل المعروف ، وطيب الكلام وكف الأذى .

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما - البخاري برقم (٣٠٠٤) ، (الجهاد) باب رقم (١٣٨) : الجهاد بإذن الأبوين ، ومسلم في البر والصلة برقم (٥) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الأدب من صحيحه : ٣٤٨/١٠ - (الفتح) ، مسلم في البر والصلة (خاص ٢١) ، و (عام ٢٥٥٧) باب : صلة الرحم .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذي في الدعوات برقم (٣٥٣٩) ، وصححه ابن حبان كما في الموارد برقم (٢٣٨٧) ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم في الصحيح : البر والصلة والآداب برقم (خاص ٢٩) ، و (عام ٢٥٥١) ، وقد عقد النووي عليه الباب قائلاً : باب « رَغِمَ أنف مَن أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة » .

والبر بالميت منهما : الدعاء له والاستغفار . وإنفاذ وصيته . وإكرام صديقه . وصِلَة أقاربه [١] .

سأل رجل النبي ﷺ فقال : هل بقى من بر والديّ شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم . الصلاة عليهما (أى الدعاء لهما) والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وصِلَة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما » [٢] .

فأوصيكم أيها الناس ببر الوالدين وصلة الأرحام ، واحذروا عقوق الوالدين وقطع الأرحام . فإنه لئم وفسوق بالإنسان . ولا يدخل الجنة قاطع رحم .

والعقوق من أكبر الكبائر ومن أعظم الآثام . سبب للطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾[٣]

يجب على الإنسان أن يتذكر دائماً ما مضى من حياته مع والديه ، وأن يكون لهما إذا احتاجا إليه مثلما كانا له وقت حاجته إليهما .

يجب على الإنسان أن يتذكر حنان أبويه وعطفهما عليه ، فيحن لهما ويعطف عليهما . ولن يعرف أحد حق الوالدين وحقيقة حنانهما وعطفهما حتي يكون والداً حنوناً .

ويجب أن نعلم يقيناً أن كل عامل سيجد نتائج عمله وثمار غرسه ، فمَن برَّ بوالديه برَّ به أولاده وطابت نفسه وقرَّت عينه واتسع عيشه .

ومَن عقَّ بوالديه عقَّ به أولاده وخبثت نفسه وضاق عيشه . كما أخبر بذلك

---

(١) إشارة إلى حديث أبي أسيد رضي الله عنه - أحمد في المسند : ٣/٤٩٧ ، ٤٩٨ ، وإسناده صحيح بهذا اللفظ .

(٢) هذا هو حديث الإمام أحمد في المسند : ٣/٤٩٧ ، ٤٩٨

(٣) محمد : ٢٢ - ٢٣

المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال : « بروا آباءكم تبركم أبناءكم ، وعفوا تعف نساؤكم » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أسرع الخير ثواباً البر والصلة . وأسرع الشر عقاباً البغي وقطيعة الرحم » (٢) .

فاتقوا الله عباد الله ، أدوا حقوق الوالدين وصلوا الأرحام : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾(٣)

* *

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما أورده الهيثمي في المجمع : ١٣٨/٨ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني أحمد غير منسوب .

قلت : هو الإمام أحمد بن زهير التستري إمام كبير ثقة كبير القدر .

(٢) هذا معنى حديث أخرجه : أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه في سننهم وهو من حديث أبي بكر رضي الله عنه ، وعزاه إليهم الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٢٠/٦ ، انظر الترمذي : برقم (٢٥١٣) ، وأبو داود (٤٩٠٢) ، وابن ماجه (٤٢١١) .

(٣) آل عمران : ١٣٢

٦٠ - التقوى أساس الصلاح ..

(الخطبة الثانية)

الحمد لله .. أحمده واستعينه ، وأستغفره ، وأتوب إليه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك [١] .

صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيا أيها الناس .. اتقوا اللّه تعالى فإن التقوى هي أساس الصلاح والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة ، واعلموا أن الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم إليكم ، فخذوا حذركم . فأنتم تشاهدون أسباب المنايا قد نُوِّعت وكثر موت الفجأة فهو راحة للمؤمن وحسرة على الكافر . فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، ومَن كان له شيء يوصي فيه فلا يبت ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه [٢] يقدِّم فيها خيراً لنفسه بلا إثم ولا قطيعة ، ويوضح فيها ما له وما عليه .

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه ، ابن ماجه برقم (٤٣) : ١٦/١ وإسناده حسن إن شاء اللّه تعالى .

(٢) إشارة إلى حديث أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، والنسائي وابن ماجه في سننهما والترمذي في جامعه والإمام أحمد في المسند : ٤/٢ ، ١٠ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٨٠ كلهم من حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنه ، ولفظه : « لا يبت أحد ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة » قال - أي ابن عمر - : فما بتُّ من ليلة بعد إلا ووصيتي عندي موضوعة .

فكتابة الوصية لا تقرِّب أجلاً . وتركها لا يدفع قدراً .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[1] ....

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦١ - أسباب شرح الصدر

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (١) .

حبِّبَ إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا ، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، اللّهم اجعلنا من الراشدين (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . إلَهُ الأوَّلين والآخرين . وقيومُ السموات والأرضين ، لا فوز إلا بطاعته . ولا عز إلا بالتذلل لعظمته ، ولا غنىً إلا بالافتقار إليه ، ولا راحة للنفس إلا بالاعتماد عليه .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحْيه وخيرته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين ، وإماماً للمتقين ، وحُجَّة على الخلق أجمعين .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد الذي شرحت له صدره ، ووضعتَ عنه وزره ، ورفعتَ له ذِكره ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) من دعاء النبي ﷺ أخرجه أحمد في المسند : ٤٢٤/٣ ، وذلك من حديث عبيد بن رفاعة الزرقي رحمه اللّه تعالى الذي ولد في عهد النبي ﷺ وهو مرسل عنه ، كما قال الحافظ في التهذيب (٦٥/٧) ، وهو من التابعين وإن رجال الإسناد كلهم ثقات عند الإمام أحمد ولا بأس بهذا الدعاء ولم ينسب لفظه إلى رسول اللّه ﷺ .

أما بعد ..

فإنَّ من مطالب الإنسان راحةَ باله وانشراحَ صدره ، فلا لذة للحياة ولا طِيبَ للعيش إلا بانشراح الصدر ، وراحة النفس .

فأعظم أسباب شرح الصدر : الإيمان الخالص ، التوحيد الصافي . وعلى حسب كماله وقوته يكون انشراح الصدر . قال تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾(١) ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٢)

فالهُدَى والتوحيدُ من أعظم أسباب شرح الصدر ، والشركُ والضلالُ من أعظم أسباب ضيق الصدر ، ومهما يجد بعض الناس من راحة نفسية في مبدأ من المبادىء غير التوحيد أو اطمئنان إلى هدف غير الإسلام فإنما هي راحة مؤقتة ، وانشراح خادع لا يلبث إلا أن ينقلب حسرة وضيقاً .

ومن أسباب شرح الصدر : العلم بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ . فإنه يشرح الصدَر ويوسِّعه حتى يكون أوسع من الدنيا .

والجهل يسبب الضيق وحَصْر الصدر ، فكلما اتسع علم العبد في دين الله انشرح صدره ، فعلماء الإسلام أشرح الناس صدوراً ، وأوسعهم قلوباً ، وأحسنهم أخلاقاً وأطيبهم عيشاً على ما كانوا وأنفعهم للناس ، وأنصحهم للأمة ، ومن أسباب شرح الصدر ، الإنابةُ إلى الله تعالى ، ومحبتُه بكل القلب والإقبالُ عليه ، والتنعم بعبادته ، ودوامُ ذكره على كل حال ، وفي كل موطن : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٣) فمحبة الله ودوام ذكره هي جنة الدنيا

---

(١) الزمر : ٢٢

(٢) الأنعام : ١٢٥

(٣) الرعد : ٢٨

وسرور النفس ، وراحة القلب ، ونعيم الروح ، وغذاؤها ، ودواؤها ، وكلما كانت المحبة أقوى كان الصدر أشرح وأفسح .

والإعراض عن الله وتعلق القلب بغيره والغفلة عن ذكره من أسباب ضيق الصدر وسجن القلب ، وعذاب الروح ، وغَم النفس وألمها ونكدها وعنائها .

والإحسانُ إلى خلق الله ونفعُهم بما يمكن من المال والجاه من أسباب شرح الصدر ، فإن الكريم المحسن أشرحُ الناس صدراً وأطيبُهم نفساً ، والبخيل الذي ليس فيه إحسان لأحد ، أضيقُ الناس صدراً وأنكدهُم عيشاً .

وصفاء القلب ، وطهارة النفس ، وحسنُ الظن ، وحمل الناس على أحسن المحامل ، وتأويلُ القول على أحسن احتمالاته من أسباب انشراح الصدر ، وطِيْب النفس وراحة القلب وحفظ اللسان عن فضول القول ، وحفظُ العين عن شطحات النظر ، وحفظ الأذن عن سماع المحرَّمات ، من أسباب رفعة النفس وقوتها ، كما أن فضولَ القول وفضولَ النظر والاستماع والإسرافِ في المباحات من الأكل والشرب والنوم ، يتحول آلاماً وهموماً على القلب تمرضه وتؤلمه .

والإيمان بالقدر من أسباب شرح الصدر ، فإذا علم الإنسان أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه لم يفرح بما أوتي ولا ييأس على ما فاته ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي : « يا غلام ، إني أعلمك كلماتٍ : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك ، رُفعت الأقلام ، وجفَّت الصحف » . (رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح) (١) .

---

(١) أحمد في المسند : ١/١٩٣ ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وإسناده صحيح ، وكذا الترمذي في الجامع – أبواب القيامة (٥٩) .

وفي رواية غير الترمذي : « احفظ اللّه تجده أمامك ، تعرَّف إلى اللّه في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك . واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفَرَج مع الكرب ، وأن مع العُسر يُسراً » (١) .

ورسولنا محمد ﷺ كان أكمل الخَلْق في كل صفة ، يحصل بها انشراح الصدر واتساعُ القلب ، وقُرَّةُ العين وحياة الروح ، شرح اللّه صدره حساً ومعنى ، بسم اللّه الرحمن الرحيم : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾(٢)

وأكمل الخَلْق متابعةً له أكملهم انشراح صدر ولذة باليقين ، وبطعم الإيمان ، وعلى حسَب متابعته ، ينال العبد من انشراح صدره ، وقُرَّة عينه ، ولذّة روحه ، ما ينال ، كما أن لاتْباعه حفظٌ من اللّه ، وعصمة ورعاية ، وعناية ، وإعزاز ونصر .

والصلاة على النبي ﷺ من أسباب شرح الصدر ، وهي من حقه على أمته ، ومن واجبات المسلم فلا يُرفع دعاء إلا بالصلاة عليه ، ولا تصح الصلاة إلا بالصلاة عليه ، ولا تصح الخطبة يوم الجمعة إلا بالصلاة عليه (٣) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد أيضاً من وجه آخر عن ابن عباس رضي اللّه عنهما : ١/٣٠٧ وإسناده صحيح .

(٢) الشرح : ١ - ٤

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه : أخرجه الترمذي في الجامع (الدعوات) برقم (٣٥٤٥) : ٥/٥٥٠ وكذا برقم (٣٥٤٦) من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه ، وإسناده صحيح بالشواهد الكثيرة ، وابن حبان في الصحيح كما في الموارد برقم (٢٣٨٧) وله لفظ آخر من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أخرجه ابن حبان في الصحيح برقم (٢٣٢٢) - الموارد ، والإمام أحمد في المسند : ٣/٤٦٣ ، ولفظه : « ما قعد قوم مقعداً لا يذكرون اللّه عزَّ وجَلَّ ويصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب » .

ومَنْ أكثر من الصلاة عليه – عليه السلام – كفاه اللّه همه وقضي حاجته ويغفر له ذنبه ، وعلا قدرُه واستحق شفاعته ..

فاتقوا اللّه أيها المؤمنون ، قَوُّوا صلتكم باللّه . وأحسنوا متابعتكم لرسوله صلى اللّه عليه وسلم .

اللّهم اشرح صدورنا ويسِّر أمورنا واغفر ذنوبنا واستر عيوبنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، واغفر لنا ، ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

٦١ - الإنابة إلى دار الخلود

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾(١)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن متابعة النبي ﷺ ، وإخلاص العبادة للّه وحده ، تشرح الصدر ، وتريح النفس ، وتصلح البال ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾(٢) ، فالإيمان له نور يجعله اللّه في قلب المؤمن يَشْرح به صدره . رُوي عَن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه - بطرق متعددة يشد بعضها بعضاً - عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا دخل النورُ القلبُ انفسح وانشرح » قالوا : وما علامة ذلك يا رسول اللّه ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله » (٣) فإذا فقد القلبُ هذا النورَ ضاق الصدر فلا يطيب لصاحبه عيش ولا يهدأ له بال . مهما كان ومهما نال من

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) الزمر : ٢٢

(٣) أورده ابن كثير في التفسير : ٩٧/٣ - ٩٨ ، ثم قال : فهذه الطرق مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً .

قلت : أخرج هذه الأحاديث ابن جرير الطبري في تفسيره وكذا ابن أبي حاتم من طرق عديدة وإنما يُحتج بها حسب الدراسة ، واللّه أعلم .

الدنيا وملذاتها . فالكفر والشرك من أعظم أسباب ضيق الصدر ، قال تعالى :
﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(١)

فعلماء الإسلام صدورهم منشرحة وقلوبهم مطمئنة مَهْما حصل لهم من البلاء والاختبار .

والأعمال الصالحة كبيرُها وصغيرُها من أسباب شرح الصدر . والأعمال السيئة كبيرُها وصغيرُها من أسباب ضيق الصدر ، ومحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ ، والإحسان إلى خلق الله ونفعُهم بالمال والجاه وبأنواع الإحسان من أسباب شرح الصدر ، كما أن الكفر والشرك والبدع من أسباب ضيق الصدر .

وأيضاً فُضُولُ البصر بالنظر ، وفضول القول والاستماع ، وفضول الأكل والمخالطة ، وفضول النوم من أسباب ضيق الصدر ، فهي تتحول آلاماً وهموماً في القلب تحْصُره وتحبسه وتعذبه في الدنيا وفي الآخرة .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . وراقبوا ربكم أيها الناس ، واسألوا ربكم الهداية والثبات . وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾(٢)

* * *

---

(١) الأنعام : ١٢٥

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٢ - وصف قيام الساعة والبعث [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى اللّه عليه وعلى آله وصحبه ، ومَن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن الإنسان إذا أراد السفر إلى جهة لم يسبق أن رآها يتشوق إلى وصفها ومعرفة الطريق الموصل إليها ، ويتأمل متى يكون وصوله إليها ، وكيف يكون مقامه فيها ؟ ولما كان الإنسان لا بد له من الانتقال من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة ، أرسل رب العالَمين جلّ شأنه إلى عباده رسلاً منهم . لتعريفهم بالدار التي سيُنتلقون إليها ، وبصفة الطريق الموصل إليها .

ولقد أنزل تبارك وتعالى على رسوله محمد ﷺ وصفاً موجزاً واضحاً شافياً كافياً لقيام الساعة ، وفناء العالم كله ولما بعده من البعث ، حتى يدخل كل إنسان منزلته ، أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم ، قال وهو أصدق القائلين :

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

---

(١) ألقيت في ٩٥/٨/٢٣ أو ٩٤ هـ .

(٢) فاطر : ١

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟
بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ
إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ
عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا
وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾
وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم
بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾(١)

فتأمل أخي المسلم هذه الآيات من آخر سورة الزمر . وتعرّف على ما دلّت عليه . وتفكر في عظمة الله وكمال قدرته . حتى تتيقن بأنه واحد أحد ، فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، حي قيوم ليس له شريك ولا معين ولا وزير . بل جميعُ الخلق في قبضته وتحت قهره ، يراهم ويسمع كلامهم ، ويعلم سرهم ونجواهم .

فلا يجوز لك أيها المسلم أن تجعل واسطة بينك وبين ربك . فإنه قريب إليك أقرب إليك من حبل الوريد . وهو سبحانه بائن من خلقه مستوٍ على عرشه .

فاتق الله أيها المسلم .. علّق آمالك بالله وحده . والجأ إليه في جميع الأمور ، واستحضر عظمة الله وقدرته في كل الأحوال . اطلبوا منه المدد وقضاء الحوائج فهو الذي بيده مقادير الأمور وخزائنُ السموات والأرض . ومفاتيح كل شيء .

---

(١) الزمر : ٦٨ - ٧٥

وما سواه مِلك لله ففروا إليه : ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[١]
إلا ما شاء الله ، واسئلوا الله الهداية والتوفيق فلا يملكهما أحد سواه .

اللّهم ألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

اللّهم إنّا نسألك شفاعة نبيك محمد ﷺ فشفعه فينا .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم . وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) الفرقان : ٣ بلفظ : ﴿ ولاَ .... ﴾ .

٦١ - مفتاح الجنة : لا إلَهَ إلاَّ اللَّه

(الخطبة الثانية)

الحمد للَّه على نعمه وآلائه .

وأشهدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه ، وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . صلَّى اللَّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن أحسن الحديث كتاب اللَّه ، وخير الهَدْي هَدْي نبينا محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدَثة بدعة . وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار [١] .

فتحصنوا بكتاب اللَّه وسُنَّة نبيه ﷺ من محدثات الأمور ، واعبدوا اللَّه على علم وبصيرة ، واتقوا اللَّه وراقبوه فإنه يراكم ويسمعكم فاجعلوا هواكم تبعاً لما جاء به رسوله ﷺ [٢] .

وأكثروا من قول لا إلَهَ إلاَّ اللَّه ، فإنها مفتاح الجنة [٣] وحققوا معناها . وصلُّوا على البشير النذير فقد أمرنا اللَّه بذلك في كتابه المنير . فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[٤]

(١) إشارة إلى حديث جابر بن عبد اللَّه الأنصاري رضي اللَّه عنه : مسلم في الصحيح برقم (٤٣٠ خاص) ، و (عام ٨٦٧) : الجمعة .

(٢) إشارة إلى حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما : أخرجه البغوي في شرح النسة برقم (١٠٤) : ٢١٢/١ - ٢١٣ ، وإسناده حسن إن شاء اللَّه .

(٣) إشارة إلى حديث وهب بن منبه رحمه اللَّه تعالى : البخاري معلقاً ، انظر الفتح : ١٠٩/٣

(٤) الأحزاب : ٥٦

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صلّى عليّ مرة واحدة صلّى الله عليه بها عشراً » (١) .

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على صاحب المقام المحمود والحوض المورود نبينا محمد .

اللّهم ارض عن الأربعة الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وزوجاته أمهات المؤمنين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم ارض عنا معهم بمنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللّهم أدم الأمن والاستقرار في أوطاننا . واحفظ إمامنا ووفِّقه لما تحب وترضي ولما فيه صلاح بلاده ورعيته . اللّهم أيده بالإسلام وانصر به المسلمين .

اللّهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزلازل والمحن وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، عن بلادنا هذه وعن سائر بلاد المسلمين .

اللّهم اغفر لجميع المسلمين الذين شهدوا لك ، بالوحدانية ولنبيك بالرسالة ، وماتوا على ذلك .

اللّهم فَرِّج هم المهمومين ، ونفِّس كرب المكروبين ، واقض الدَّيْنَ عن المدينين ، واشف مرضى المسملين .

﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢)

* * *

---

(١) أخرجه العلامة إسماعيل بن إسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٨) وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢٦) وإسناده صحيح .

(٢) العنكبوت : ٤٥

قائمة المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - الجامع لأحكام القرآن : للإمام الشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - دار إحياء التراث .

٣ - جامع البيان في تفسير القرآن : للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبري - دار المعرفة - بيروت .

٤ - أضواء البيان : للعلامة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكي الشنقيطي - مطبعة المدنى .

٥ - أحكام الأحكام القرآن : للإمام الشيخ عماد الدين بن محمد الطبري - مطبعة حسان - القاهرة .

٦ - تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ الشيخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير - دار الكتب المصرية .

٧ - زاد المسير : لابن الجوزي طبعة المكتب الإسلامي .

٨ - فتح القدير : للإمام الشوكاني - مطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة .

٩ - تفسير القاسمي : للشيخ محمد جمال الدين القاسمي - دار الفكر - بيروت .

١٠ - تفسير التحرير والتنوير : للإمام الشيخ محمد الطاهر عاشور - الدار التونسية للنشر .

١١ - الكشاف عن حقائق التنزيل : للإمام محمود بن عمر الزمخشري - مطبعة مصطفى محمد .

١٢ - دقائق التفسير لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية . طبعت دار الأنصار في مصر .

١٣ - التفسير الكبير للفخر الرازي . المطبعة البهية المصرية .

١٤ - صحيح البخاري : للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبه البخاري - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر .

١٥ - فتح الباري : للشيخ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - المطبعة السلفية - مصر .

١٦ - عمدة القاريء : للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر .

١٧ - شرح السُنَّة : للإمام الحافظ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي - المكتب الإسلامي .

١٨ - جامع الأصول : للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد الأثير الجزري - مطبعة السُنَّة المحمدية .

١٩ - مشكاة المصابيح : للشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمري - المكتب الإسلامي - دمشق .

٢٠ - الترغيب والترهيب : للإمام زكي الدين عبد العظيم المنذري - إحياء التراث - بيروت .

٢١ - جامع العلوم : لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن الحنبلي البغدادي - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .

٢٢ - رياض الصالحين : للإمام الشيخ زكريا بن يحيى النووي - دار العهد الجديد .

٢٣ - السنن الكبرى : للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - مطبعة مجلس دائرة المعارف - الهند .

٢٤ - سنن أبي داود : للإمام سلمان بن الأشعث طبعت دار الحديث .

٢٥ - شرح مختصر سنن أبي داود : لابن القيم الجوزية مطبعة السنة .

٢٦ - بذل المجهود : للشيخ خليل أحمد الهارنفوري - دار الكتب العلمية .

٢٧ - مسند الإمام أحمد : للإمام أحمد بن محمد بن حنبل - دار صادر - بيروت .

٢٨ - الفتح الرباني : للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا (الساعاتي) - دار الحديث - القاهرة .

٢٩ - المنتقى : لسليمان بن خلف بن وارث - مطبعة السعادة - القاهرة .

٣٠ - الموطأ : للإمام مالك بن أنس تحقيق : فاروق سعد - دار الآفاق الجديدة - بيروت .

٣١ - التمهيد : للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي - مطبعة فضالة - المغرب .

٣٢ - صحيح الإمام مسلم : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - دار إحياء التراث العربي .

٣٣ - شرح النووي : للإمام النووي - المطبعة المصرية .

٣٤ - المغني : للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي - دار المناخ .

٣٥ - زاد المعاد : للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الذرعي ابن القيم - دار المعاد - بيروت .

٣٦ - إعلام الموقعين : للإمام محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم - مطبعة السعادة .

٣٧ - الإنصاف : للشيخ علاء الدين بن الحسن علي بن سليمان المرداري - مطبعة السنة المحمدية - غزة .

٣٨ - تصحيح الفروع : لعليّ بن سليمان المقدسي - مطبعة المنار - مصر .

٣٩ - كشاف القناع عن متن الإقناع : للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي - مطبعة الحكومة - مكة .

٤٠ - فتاوى الشيخ ابن تيمية : جمع : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي - مطابع الرياض .

٤١ - فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم : جمع : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم - مطعبة الحكومة - مكة .

٤٢ - الرسائل والمسائل : علماء نجد - مطبعة المنار - القاهرة .

٤٣ - البحر الرائق شرح كنز الرقائق : لزين الدين بن نجيم الحنفي - دار المعرفة - بيروت .

٤٤ - شرح فتح القدير : للإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسى - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر .

٤٥ - البناية في شرح الهداية : لأبي محمد محمود بن أحمد العيني - دار الفكر .

٤٦ - بدائع الصنائع : للفقيه إمام الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي - مطبعة الإمام - القاهرة .

٤٧ - المدونة الكبرى : للإمام مالك بن أنس - دار صادر - بيروت .

٤٨ - روض الطالب : للإمام أبي يحيي زكريا الأنصاري الشافعي - المكتبة الإسلامية .

٤٩ - شرح منح الجليل : للشيخ محمد عليش - مؤسسة عبد الحفيظ البساط .

٥٠ - الخرشي : على مختصر سيدي الخليل - دار صادر - بيروت .

٥١ - روضة الطالبين : للإمام أبي زكريا يحيي بن شرف النووي - المكتب الإسلامي .

٥٢ - المبدع في شرح المقنع : لإبراهيم بن محمد بن عبد اللّه بن مفلح - المكتب الإسلامي .

٥٣ - حاشية الدسوقي : للشيخ شمس الدين محمد عرفة الدسوقي - دار إحياء الكتب .

٥٤ - المبسوط : لشمس الدين السرخسي - دار المعرفة - بيروت .

٥٥ - المجموع شرح المهذب : للإمام محيي الدين النووي - مطبعة الإمام .

٥٦ - المبدع : لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد اللّه - المكتب الإسلامي - بيروت .

٥٧ - إحياء علوم الدين : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي - دار المعرفة - بيروت .

٥٨ - المستدرك : للحافظ أبي عبد اللّه محمد الحاكم النيسابوري - دار الفكر - بيروت .

٥٩ - معالم السنن : للإمام أبي سليمان محمد بن محمد الخطابي البستي - المكتبة العلمية - لبنان .

٦٠ - حاشية الأحوزي على الترمذي : للإمام الحافظ ابن العربي المالكي - دار الكتب - بيروت .

٦١ - تحفة الأحوزي : للإمام الحافظ أبي العليّ محمد عبد الرحمن عبد الرحيم المباركفوري - مطبعة المعرفة - مصر .

* * *

الفهـــرس

فهرس المجلد الأول - الإيمان

الصفحة

كلمة تعريف من الشيخ عبد القادر ٥

موجز عن حياة المؤلف ١١

مقدمة المؤلف ١٥

الباب الأول : الإيمان

(١٧ - ٢٩٤)

١ - ألقيت في ١٤٠٢/٥/١٧ هـ .

الخطبة الأولى : بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام ١٩

الخطبة الثانية : ما يراد بالأمة ٢٤

٢ - ألقيت في ١٤١٠/٨/١٢ هـ .

الخطبة الأولى : رسالة محمد عليه الصلاة والسلام رحمة ٢٥

الخطبة الثانية : متابعة النبي عليه الصلاة والسلام ٣١

٣ - ألقيت في ١٤٠٢/٢/٨ هـ .

الخطبة الأولى : ضرورة الإيمان للإنسان ٣٣

الخطبة الثانية : من خوارق العادات ٣٩

٤ - ألقيت في ١٣٨٣/٨/١٠ هـ .

الخطبة الأولى : إفراد الله بالعبادة ٤١

الخطبة الثانية : قول العالم الحنفي ٤٦

٥ - ألقيت في ١٤١٣/٧/٢٢ هـ .

الصفحة

الخطبة الأولى : الإسراء ثابت بالكتاب والسنة ٤٨
الخطبة الثانية : سعادة الأمة فى أخلاقها ٥٤
٦ - ألقيت في ١٤٠٤/٧/٢٦ هـ .
الخطبة الأولى : سورة الإسراء لم تذكر المعراج ٥٦
الخطبة الثانية : لا يجوز إطراء الرسول عليه الصلاة والسلام .. ٥٩
٧ - ألقيت في ١٤٠٢/٧/٢٨ هـ .
الخطبة الأولى : الاحتفال بالإسراء ٦١
الخطبة الثانية : تاريخ الإسراء غير ثابت ٦٥
٨ - ألقيت في ١٤٠١/٨/٢٣ هـ .
الخطبة الأولى : الحكمة فى الإسراء ٦٧
الخطبة الثانية : الإسراء حركة تشريعية ٧٢
٩ - ألقيت في ١٤٠٧/٧/٢٠ هـ .
الخطبة الأولى : نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ٧٥
الخطبة الثانية : نداء من الرسول عليه السلام للشباب ٨٢
١٠ - ألقيت في ١٤٠٠/٤/١٣ هـ .
الخطبة الأولى : التفكر فى ملكوت السموات والأرض ٨٥
الخطبة الثانية : الخلائق التي تعمر الأرض ٩٠
١١ - ألقيت في ١٤٠٩/١١/٢٨ هـ .
الخطبة الأولى : في التوحيد ٩٢
الخطبة الثانية : ونبلوكم بالشر [١] والخير فتنة ٩٨

(١) الإشارة ٣٥

الصفحة

١٢ - ألقيت في ١٣٩٦/٧/٢٧ هـ .
الخطبة الأولى : تحريم الرقي والتمائم ١٠٠
الخطبة الثانية : الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ١٠٥
١٣ -
الخطبة الأولى : الاعتراف بالفضل للمتفضل ١٠٨
الخطبة الثانية : الحازم يحتاط للأمور ١١٣
١٤ -
الخطبة الأولى : القرآن الكريم يربي الأجيال ١١٥
الخطبة الثانية : من كان يريد العزة فللّه العزة جميعاً ١٢٠
١٥ - ألقيت في ١٤٠٠/٤/٢٧ هـ .
الخطبة الأولى : الناس في الإيمان باللّه قسمان ١٢٢
الخطبة الثانية : ولاية المسلم نعمة من اللّه ١٢٧
١٦ - ألقيت في ١١ /١٤١٢/١٢ هـ .
الخطبة الأولى : الدين شامل كامل ١٢٩
الخطبة الثانية : ما نقص مال من صدقة ١٣٣
١٧ - ألقيت في ٩٣/٦/١٣ هـ .
الخطبة الأولى : من قواعد الدين الأمر بالمعروف ١٣٥
الخطبة الثانية : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٤٠
١٨ - ألقيت في ٩٥/١١/١٨ هـ .
الخطبة الأولى : منافع التشريع الإسلامي ١٤٣
الخطبة الثانية : يجب أن تكون العبادة على وفق الشريعة ١٤٧

الصفحة

١٩ - ألقيت في ٢/٢/١٤٠٠ هـ .

الخطبة الأولى : التحذير من الشذوذ ١٤٩

الخطبة الثانية : التعاون واجب ١٥٤

٢٠ - ألقيت في ٢٦/٧/٩٣ هـ .

الخطبة الأولى : قبول التوبة رحمة من الله ١٥٦

الخطبة الثانية : الاستغفار مفاتيح الخير ١٦٠

٢١ - ألقيت في ٢١/١٠/١٤٠٩ هـ .

الخطبة الأولى : الولاية لله لا للعمال غير المسلمين ١٦٣

الخطبة الثانية : الذين يستقدمون عمال غير مسلمين ١٦٩

٢٢ - ألقيت في ١٤/٧/٩٧ هـ .

الخطبة الأولى : التحذير من البدع ١٧٣

الخطبة الثانية : الوصية بالتقوى وإتباع الكتاب والسنة ١٧٨

٢٣ - ألقيت في ٢٥/٧/١٤٠٠ هـ .

الخطبة الأولى : التفريق بين السنة والبدعة ١٨٠

الخطبة الثانية : الشيطان ينزغ بين الناس ١٨٥

٢٤ - ألقيت في ٢٧/٧/١٤٠٧ هـ .

الخطبة الأولى : سبب إنحطاط المسلمين (مخالفة الشريعة)... ١٨٨

الخطبة الثانية : التحذير من محدثات الأمور ١٩٥

٢٥ - ألقيت في ٢١/١٠/١٤٠٩ هـ .

الخطبة الأولى : الإيمان بالقدر ١٩٧

الخطبة الثانية : لا يؤاخذ الله بحزن قلبي ودمع العين ٢٠٥

الصفحة

٢٦ - ألقيت في ١٤٠٠/٧/١٤ هـ .

الخطبة الأولى : إبليس يتوعد بني آدم ٢٠٧

الخطبة الثانية : إبليس يستدرج الإنسان ٢١١

٢٧ - ألقيت في ١٤٠٦/٨/٢ هـ .

الخطبة الأولى : ثبات الأمة خير لها ٢١٤

الخطبة الثانية : من أراد الاستقامة فليتبع القرآن ٢١٨

٢٨ - ألقيت في ١٤١١/٢/١١ هـ .

الخطبة الأولى : الانتصار على النفس ٢٢٠

الخطبة الثانية : الرب لا يطرد الإنسان إذا عصاه ٢٢٨

٢٩ - ألقيت في ١٤٠٦/٦/٢٣ هـ .

الخطبة الأولى : التحذير من الدسائس ٢٢٩

الخطبة الثانية : المعصية إذا خفيت لا تضر إلا صاحبها ٢٣٤

٣٠ -

الخطبة الأولى : الحث على العلم النافع ٢٣٧

الخطبة الثانية لا يجوز حمل الناس على الشواذ ٢٤٣

٣١ - ألقيت في ١٤٠١/٣/٣ هـ .

الخطبة الأولى : اختبار المؤمن ٢٤٦

الخطبة الثانية : الحلال بيّن والحرام بيّن ٢٥١

٣٢ - ألقيت في ١٤٠٠/١١/١٠ هـ .

الخطبة الأولى : نعمة الهداية للإسلام ٢٥٣

الخطبة الثانية : يد الله مع الجماعة ٢٥٧

الصفحة

٣٣ - ألقيت في ١٤٠٦/٦/٤ هـ .

الخطبة الأولى : التحاكم إلى القرآن والسنة ٢٦٠

الخطبة الثانية : الإسلام قواعدْ مترابطة ٢٦٥

٣٤ - ألقيت في ١٤٠٧/٣/١٩ هـ .

الخطبة الأولى : واقع الحال فتنة ٢٦٧

الخطبة الثانية : كفالة الأطفال وحضانتهم ٢٧٢

٣٥ - ألقيت في ١٤٠٣/٢/١٩ هـ .

الخطبة الأولى : الأمر بالمعروف ٢٧٥

الخطبة الثانية : صدق أبيّ ٢٨٠

٣٦ - ألقيت في ١٣٩٥/٤/٧ هـ .

الخطبة الأولى : الحديث القدسي يا عبادي ٢٨٢

الخطبة الثانية : ليس بين الله وبين خلقه واسطة ٢٩١

الباب الثاني : الاعتصام .. والطاعة

(٢٩٥ - ٤٩٤)

٣٧ - ألقيت في ١٤١٠/١٠/٢٣ هـ .

الخطبة الأولى : الدين النصيحة ٢٩٧

الخطبة الثانية : الاستحياء من الله جماع الأمر ٣٠٢

٣٨ - ألقيت في ١٤١٣/٣/٢٩ هـ .

الخطبة الأولى : الشورى من قواعد الشريعة ٣٠٤

الخطبة الثانية : محاسبة النفس ٣٠٩

الصفحة

٣٩ - ألقيت في ١٤١١/١٢/٢٣ هـ .
الخطبة الأولى : الرجوع إلى الكتاب والسنة ٣١١
الخطبة الثانية : إنما خلق الإنسان للعبادة ٣١٧
٤٠ - ألقيت في ١٤١٣/٥/٢ هـ .
الخطبة الأولى : من الإيمان الصلاة والذبح لله ٣١٩
الخطبة الثانية : بركة دعاء النبي ﷺ ٣٢٤
٤١ - ألقيت في ١٤١٣/٦/١٧ هـ .
الخطبة الأولى : تعيين الإمام ومبايعته من أصول الإيمان ٣٢٦
الخطبة الثانية : حال المسلمين المضطهدين (البوسنة وفلسطين) . ٣٣١
٤٢ - ألقيت في ١٤١٣/٦/٢٤ هـ .
الخطبة الأولى : المقارنة بين النعم وضدها ٣٣٣
الخطبة الثانية : بعدل السلطان تتوفر الخيرات ٣٣٨
٤٣ - ألقيت في ١٤١١/٥/١٣ هـ .
الخطبة الأولى : طاعة ولي الأمر ٣٤٠
الخطبة الثانية : النصح حق للمسلم على المسلم ٣٤٦
٤٤ - ألقيت في ١٤١٢/٦/٧ هـ .
الخطبة الأولى : الجماعة قوة ومنعه ٣٤٨
الخطبة الثانية : رد الخلاف إلى الكتاب والسنة ٣٥٣
٤٥ - ألقيت في ١٣٩٨/٨/٢ هـ .
الخطبة الأولى : ضرر تفريق الكلمة ٣٥٥
الخطبة الثانية : الحذر من النفس الأمارة بالسوء ٣٥٩

الصفحة

٤٦ - ألقيت في ١٣١١/٤/٨ هـ .
الخطبة الأولى : إن الله يدافع عن المؤمنين ٣٦١
الخطبة الثانية : صفات المتقيين ٣٦٧
٤٧ - ألقيت في ١٣٩٤/٢/٢١ هـ .
الخطبة الأولى : حاجة الإنسان إلى خالقه ٣٦٩
الخطبة الثانية : الأموال والأولاد ودائع ٣٧٦
٤٨ - ألقيت في ١٤١٣/٤/٢٠ هـ .
الخطبة الأولى : الزلازل إما امتحان أو عقوبة ٣٧٩
الخطبة الثانية : وجوب الإنصات للقراءة في الصلاة ٣٨٥
٤٩ -
الخطبة الأولى : المؤمن بين الخوف والرجاء ٣٨٧
الخطبة الثانية : الإنسان يطغى إذا استغنى ٣٩٠
٥٠ - ألقيت في ١٤٠٨/٣/٨ هـ .
الخطبة الأولى : التواصي بالحق ٣٩٣
الخطبة الثانية : التواضع في غير مذله ٤٠٠
٥١ - ألقيت في ١٤٠٣/١١/٢٠ هـ .
الخطبة الأولى : التقوى قوة للمؤمنين ٤٠١
الخطبة الثانية : تبرز الأخوّة في تجمع الحج ٤٠٦
٥٢ - ألقيت في ١٣٩٤/٨/٥ هـ .
الخطبة الأولى : الزجر عن الظلم ٤٠٧
الخطبة الثانية : الخيانة من الظلم ٤١٢

الصفحة

٥٣ - ألقيت في ٨/٦/١٤١٠ هـ .

الخطبة الأولى : احفظ الله يحفظك ٤١٥

الخطبة الثانية : إذا سألت فاسأل الله ٤٢٢

٥٤ - ألقيت في ١٥/٤/١٤١١ هـ .

الخطبة الأولى : فضل الرباط في سبيل الله ٤٢٦

الخطبة الثانية : واقع المسلمين مؤلم ٤٣٢

٥٥ - ألقيت في ٢٥/٧/٩٨ هـ

الخطبة الأولى : سبعة يظلهم الله في ظله ٤٣٥

الخطبة الثانية : مسجد المرأة في قعر بيتها ٤٤٠

٥٦ - ألقيت في : ٨/٤/١٣٩١ هـ .

الخطبة الأولى : التفكر في المآل ٤٤٣

الخطبة الثانية : النفوس مجبولة على الاتصال بالله ٤٤٨

٥٧ - ألقيت في : ٣٠/١/١٣٩٣ هـ .

الخطبة الأولى : ماضي المرء ومستقبله ٤٥٠

الخطبة الثانية : الحذر من النفس الأمارة ٤٥٦

٥٨ - ألقيت في : ٢٦/١٠/١٤٠٠ هـ .

الخطبة الأولى : الإيمان قوة مضادة للأعداء ٤٥٨

الخطبة الثانية : تسلط الأعداء على المسلمين فتنة ٤٦٢

٥٩ - ألقيت في ٩/٨/٩٤ هـ .

الخطبة الأولى : تذكر الموت ٤٦٤

الخطبة الثانية : النعم إما عقوبة وإما استدراج . أو انتقام ... ٤٦٨

الصفحة

٦٠ - ألقيت فى ١٣٩٦/٨/٣

الخطبة الأولى : بر الوالدين ٤٧٠

الخطبة الثانية : التقوى أساس الصلاح ٤٧٥

٦١ -

الخطبة الأولى : أسباب شرح الصدر ٤٧٧

الخطبة الثانية : الإنابة إلى دار الخلود ٤٨٢

٦٢ - ألقيت في ٩٥/٨/٢٣ أو ٩٤

الخطبة الأولى : وصف قيام الساعة والبعث ٤٨٤

الخطبة الثانية : مفتاح الجنة لا إله إلا الله ٤٨٧

قائمة المراجع ٤٨٩

محتويات الكتاب ٤٩٥

* * *

خطب الجمع والأعياد

ألقيت على منبر خير العباد صلى الله عليه وسلم

أعدها وألقاها

عبد الله بن محمد بن زاحم

الإمام والخطيب بالمسجد النبوي الشريف

ورئيس محاكم منطقة المدينة المنورة المساعد

المجلد الثاني

التفسير

خرج آياتها وأحاديثها

الشيخ عبد القادر حبيب الله السندي

نزيل المدينة المنورة

دار المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

خطب الجمع والأعياد

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

رقم الإيداع ٥٧١٤/ ٩٣
I. S. B. N
977 - 06 - 5254 - 41 - 8

دار المنار
للطبع والنشر والتوزيع
٩ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين
ص ب ٦١ هليوبوليس ت ٥٩١٥٠٨٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة تعريفية موجزة

الحمد لله رب العالَمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فقد شرع الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ - عن طريق الكتاب والسُنَّة - أحكاماً وعبادات وسلوكاً وسياسة وغيرها من الأمور السامية العظيمة ، ثم شرح ربنا جَلَّ وعلا كيفية إبلاغ وإسماع هذا التشريع العظيم إلى كافة الناس ، وإلى هذا المعنى الواضح المبارك يشير الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه مسلم في الصحيح : « كتاب الجمعة » ، وذلك من حديث عمار بن ياسر ، رضي الله عنهما ، بإسناده عن واصل بن حيان الأسدي الكوفي (المتوفى سنة ١٢٠ هـ) قال : قال أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي رحمه الله تعالى : خطبنا عمار ، فأوجز وأبلغ ، فلما نزل ، قلنا : يا أبا اليقظان ؛ لقد أبلغتَ وأوجزتَ ، فلو كنت تنفستَ - أي أطلتَ قليلاً - فقال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « طول صلاة الرجل ، وقصر خطبته مئنة - أي علامة - من فقهه ، فأطيلوا صلاة وأقصروا الخطبة ، وإن من البيان سحراً » (١)

(١) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب « الجمعة » ، حديث رقم (خاص ٤٧) ، و(عام رقم ٨٦٩) : ٢/ ٥٩٤

. . . الحديث ، فهذا هو الحديث النبوي الشريف الذي قد حمل المعاني الكثيرة في طياته ، ومنها هذا المعنى الواضح البيِّن الذي يلمع في هذه الخطب القيمة التي ألقاها سماحة الأخ الشيخ « عبد الله بن محمد بن زاحم » على منبر مسجد رسول الله ﷺ منذ عشرات السنين عند مقدمه الميمون إلى هذه البلدة الطاهرة المقدسة عام ١٣٩٠ من هجرة رسول الله ﷺ ، ولقد أجاد فيها وأفاد وأبلغ فيها وأوجز ، وقد شملت هذه الخطب العالية العظيمة ، الجوانب العديدة المهمة في حياة المسلم المادية والمعنوية بأسلوبه البلاغي الجذَّاب مع إلقائه إياها على أكبر وأعظم منبر عرفه التاريخ الإسلامي الحافل ، ألا وهو منبر مسجد رسول الله ﷺ ، وقد وضعت هذه الخطب السامقة الرائعة ، نقاطاً على حروف الخلاف ، مع ما حملت فى طياتها عدة عناصر قوية تتركز عليها حياة الفرد المؤمن والجماعة المؤمنة ، في كل زمان ومكان بذاك الشمول والوفاء بعبارات فصيحة جزلة بليغة دعا فيها إلى الحق والإنصاف والعدل والصواب وجمع كلمة المسلمين ، ووحدتهم في أنحاء المعمورة ، ويأمر بسد الخلل والحد من الفساد والانحراف بجميع أنواعه وأشكاله ، ويقوى عزائم المسلمين نحو السير الحثيث إلى التقدم ، والازدهار والأمن والاستقرار والمحبة والوئام ، والحرية الحقيقية المستمدة من كتاب الله تعالى وسُنَّة نبينا محمد ﷺ وإجماع الأمة المسلمة المرحومة في القرون المتقدمة ، نعم : إنها خطب تتصل اتصالاً مباشراً بالضمائر الحية والقلوب الواعية ، والأرواح المنوَّرة فتزيدها قوةً وبهاءً ونبراساً أصيلة وقواعد ثابتة لا تتزعزع ولا تضطرب أمام التحديات ، وتدعو إلى الخير والنور والعلم بأساليب حكيمة ، كما سوف يشاهدها - إن شاء الله تعالى - مَنْ تعمق فيها أو قرأها أو نظر فيها ، وسوف ينفع الله تعالى بها الأمم والخلائق في أنحاء الدنيا لما فيها من معاني الحق والإنصاف والعدل والخير والعزة والعزيمة والإخلاص والزهد والورع ، والخوف والرجاء في النفس بجزالة الأسلوب ، وفصاحة الكلمة والكلام مع الاستدلال القوي

والاستنباط الأصيل من آيات القرآن الكريم إما نصًا أو إشارة أو اقتباساً ، وهكذا ثنّى بالسُنَّة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام في جميع المشاكل والحلول التي وضع لها حلولاً أو منهجاً محكماً لا يتزعزع ، ولا يضطرب أمام تحديات العصر .

ومن هنا جاز لي أن أقول - وأنا لست ممن يفصل أو يشرح أو يقوم بإبداء ما ينبغي أن يظهر جلياً - بما في هذه الخطب المنبرية على طول الزمن وكر الدهر ، من منهج مبارك وبرنامج سامق ، يتصل بالإنسان وبحياته الفردية والجَماعية في هذه الدنيا والآخرة وحياته البرزخية بعد الموت ، فإن سماحة الخطيب قد برع في بيانه فيها وإيضاحه وأظهر ودعا إلى الحقوق والواجبات والفرائض ، التي افترض الله تعالى على عباده على لسان رسوله محمد ﷺ ، وقد مكث سماحة الخطيب عشرات سنين على هذا المنبر المبارك ، وهو يؤدي واجبه الديني - ولا يزال - نحو إخوانه المسلمين في أنحاء العالَم الإسلامي وغيره من بني الإنسان بصفة عامة ، وكنت أسمع إلى هذه الخطب أثناء تواجدي بهذه البلدة الطيبة المباركة عندما كنت بجوار أم القرى (من عام ١٣٨٨ هـ إلى نهاية عام ١٣٩٩ هـ) ، وكنت أحرص أشد الحرص على سماعها والاستفادة منها لأمور عديدة :

١ - لكون هذه الخطب البارعة مركزة ومنظمة تعتمد على نصوص الكتاب والسُنَّة وآثار الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله ، فيطمئن السامع والقارىء إلى صدق القول وصحة الأحكام .

٢ - إن هذه الخطب مع قصرها وجزالة لفظها ، وفصاحة معانيها منقولة مرتبطة برباط وثيق بمعاني كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله الكريم ﷺ ، إما نصاً وروحاً ، وإما إشارة واستنباطاً أو اقتباساً ، كما سوف يظهر ذلك جلياً واضحاً من تخريج نصوصها في الهامش ، وهذه ميزة ممتازة جيدة فيما أرى .

٣ - إن طريقة الأداء والإيصال إلى أسماع الناس بتلك الكيفية التي سمعها العالَم الإسلامي هنا وهناك عن طريق الإذاعة أو شاهدها مَنْ شاهدها هنا وهناك عن طريق البث المباشر التلفازي كان أروع صورة حية أثّرت في النفوس وحرَّكت الضمائر والقلوب ، إلى الحق والصواب والعدل والإنصاف في جميع حركات الإنسان مادياً ومعنوياً .

٤ - الشيء المهم العظيم الذي لاحظت أنا - وأنا لست ممن يلاحظ - أن النصوص التي أوردها سماحة الخطيب في خطبه استدلالاً بها أو استشهاداً لم تكن نصوصاً ضعيفة البتة ، وإنما كانت نصوصاً صحيحة كما يظهر لك واضحاً جلياً من التخريج ، وإذا كان هناك ضعف في بعض الأسانيد فقد أشار إليه سماحة الخطيب مع إيراد نص آخر صحيح بمعناه ، ومن هنا نرى أن كثيراً من الخطباء في العالَم الإسلامي ، لا يهتمون بهذا الموضوع البتة إلا نادراً ، والنادر لا حكم له إلا ما شاء الله تعالى .

٥ - ولقد اهتم سماحة الخطيب فيها اهتماماً بالغاً بأمر العقيدة الإسلامية الصحيحة ، فوضَّحها وبيَّنها بياناً شافياً كافياً بذاك الأسلوب الفصيح الذي لم يكن مملاً ولا مخلاً ، وإنما كان جذاباً بارعاً بالحكمة المثالية والموعظة الحسنة والمجادلة الطيبة مع سلامة الألفاظ من الشدة والغلظة ، وكأنه - حفظه الله ورعاه - وضع نصب عينيه إلى ما قاله جَلَّ وعلا مخاطباً نبيه محمداً ﷺ وذلك في سورة آل عمران : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (١) .

هَذا هو المَنهج المبارك الذي أمر الله تعالَى نبيه ﷺ بالسَير عليه في السَّراء

(١) سورة آل عمران : ١٥٩

والضّراء ، ومن هنا كان سماحة الخطيب مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بهذا المعنى الواضح المبارك ، وهذا هو سر نجاح الخطيب والداعي والموجه والمربي في جميع تصرفاته ، وقد لاحظتُ هذا المعنى وهو عنصر أساسي أثناء عملى فى تخريج نصوص هذه الخطب رغبة مني في الخير لأستفيد أولاً ثم الآخرون ممن كَتب الله تعالى لهم الهداية والرشاد والسداد والتوفيق من هذه الآثار الحقة . وقرأ في هذه الخطب .

٦ - ولقد جاءت هذه الخطب المنبرية في أوقات مناسبة بمقتضى الحال والطلب ، لها صلة قوية بالمشاكل الاجتماعية والأخلاق والضمائر ، فلا بد من دراستها ، ودراسة جديدة وأسباب وجودها ، ثم يتكلم الخطيب في هذه الأسباب ثم في المسببات ومن هنا كانت هذه الخطب موضع إعجاب وتقدير لدى كل مَن له صلة بالمعلم والعلماء والحكمة والحكماء ، وإن هناك ميزات كثيرة أخرى سوف يجدها القارىء أثناء دراسته ونظرته في هذه الخطب ولو في أوقات فراغه ، لكي يتسنى له المتعة الروحية بعد أن يستيقظ من نومه المبكر ، ويستشعر بالمعاني السامية المثالية التي وردت في هذه التوجيهات القيمة ، ولقد شرفني الرجل بهذا الشرف وطلب إليّ لرغبة أكيدة سابقة في نفسي نحو تحقق هذا الحلم ، مع أن كل كلمة صافية نقية تصدر اليوم للدفاع عن الحق ورفع الظلم وبث الخير والنور ورد الظلم والعدوان ودفع الفساد والبغي ، لفيها خير عظيم ونفع عميم لجميع الكائنات على وجه الأرض فضلاً عن الإنسانية ، فكيف وقد صدرت هذه الكلمات المباركات التي حملت الخير والرشاد من فيّ رجل حافظ لكتاب الله تعالى وعامل به إن شاء الله وهو واقف على أعظم وأكبر منبر عرفه التاريخ الإسلامي الحافل ، يدعو إلى الخير والعلم والتواضع والمحبة والنور والهداية . تقبَّل الله تعالى منه هذا الجهد الجيد المبارك وجعله خالصاً لوجهه الكريم ويتقبل منه مع رفع درجاته في الأولى والآخرة ، إنه سميع مجيب ، وبالإجابة جدير .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وعملي المتواضع في تحقيق هذه المادة العلمية المنقولة كما يلي :

١ - قراءة مادة الخطبة الواحدة بالإمعان والتمحيص .

٢ - وضع الفواصل بين الكلمات والجمل حسب المنهج المعروف في الكتابة الحديثة .

٣ - تخريج الآيات القرآنية التي أوردها سماحة الخطيب بوضع العزو في هامش الخطبة بالوضوح ثم ذكر اسم السورة ورقم الآية .

٤ - تخريج الأحاديث النبوية المرفوعة بالاختصار ، فإذا كانت هذه الأحاديث مخرَّجة لدى الشيخين « البخارى » و« مسلم » أو في أحدهما عزوتها في الهامش مع ذكر رقم الحديث والباب وعنوانه ، وإذا كانت في غير هذين المصدرين مثل السنن الأربعة أو مسند الإمام أحمد أو المعاجم الثلاثة للإمام أبي القاسم الطبراني أو الحاكم في المستدرك ، والبيهقي في السنن الكبرى أو ابن حبان أو غيرهم ، عزوتُ الحديث إليهم مع ذكر اسم الصحابي ودرجة الإسناد وذلك نقلاً عن أئمة الحديث ونقاده ، وإذا وجد - لا سمح الله - حديث ضعيف الإسناد ، فأوردت له شاهداً صحيحاً أو حسناً حسب القدرة والإمكان .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

العبد الفقير إلى مولاه

عبد القادر بن حبيب الله

أحد علماء المدينة المنوَّرة

* * *

موجز عن حياة سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم « أمدَّ الله في عمره المديد »

● **اسمه .. ونسبه :**

هو الشيخ عبد الله ، بن محمد ، بن عبد الوهاب ، بن عثمان ، ابن محمد بن عبد الوهاب ، بن زاحم ، من آل فضل ، من المرازيق من قبيلة البقوم ، من الأرد من قحطان .

● **أما مولده ونشأته :**

فإنه ولد - حفظه الله - في قرية القصب من قرى اليمامة بنجد في الوشم ، في عام ١٣٥٠ هـ ، ونشأ فيها عند والديه ، على التقوى ، والصلاح ، وكان والده الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » - رحمه الله - حافظاً للقرآن الكريم ، وإماماً لمسجد في القصب .

فدرس على والده ، في دروس بعد العصر ، وبعد المغرب ، يقرأ القرآن الكريم ، وقد بدأ بالحفظ ، من قصار المفصل ، إلى آخر سورة طه ، وكما أنه قرأ ودرس ، على المقريء في القصب « الشيخ عبد العزيز بن محمد المحارب » ، وعلى المقريء « الشيخ عبد العزيز بن عليّ بن عوجان » .

ولما توفي والده الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » في عام ١٣٦٢ هـ في القصب ، وقد بلغ سن الشيخ « عبد الله بن محمد » ، اثني عشر عاماً ، انتقل إلى عمه الشيخ « عبد الله بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد ابن زاحم » في الرياض ، وكان عمه رئيساً للمحكمة الكبرى الشرعية هناك ، وفي عام ١٣٦٣ هـ انتقل عمه الشيخ « عبد الله بن عبد الوهاب » رحمه الله

تعالى إلى المدينة المنورة ، عن طريق مكة المكرمة ، فانتقل معه ، وقد أدوا فريضة الحج في العام نفسه ، ويقول الشيخ عبد الله صاحب - هذه الترجمة - : وتلك أول مرة في حياته يرى فيها مكة المكرمة ، والكعبة المشرفة والبقاع المطهَّرة ، قلت : لا شك أنها لحظة مباركة ، يتمناها كل مسلم ، وموقف عجيب ، وهو محبب للنفس ، ووقت نفيس لا يمكن نسيانه ، بل هو ثابت في الذاكرة .

وبعد أداء فريضة الحج ، توجه مع عمه والأسرة إلى المدينة المنورة ، فوصلوا في ١/١/١٣٦٤ هـ ، ثم التحق بالمدرسة الناصرية الابتدائية ، بالسنة الرابعة ، وقد بلغ سنة - آنذاك - ثلاث عشرة سنة ، وكان يدرس فيها علم الفرائض بالسنة الرابعة ، وهذا دليل قوي على مستواه التعليمي الجيد ، وهكذا أنهى دراسته الابتدائية بالمدينة المنورة ، ثم التحق بوظيفة في المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة لظروف الحياة التي قد تتعرض للإنسان ، فعُيِّن مساعداً لكاتب ضبط ، وفي هذه الأثناء كان يأخذ العلم مساءً على كل من مشايخ المدينة المنورة :

١ - عمه الشيخ « عبد الله بن زاحم » رحمه الله .

٢ - الشيخ « محمد الخيال » رحمه الله .

٣ - الشيخ « عبد العزيز بن صالح » ، بارك الله في حياته .

وكان يأخذ على هؤلاء الأجلاء العقائد والفرائض ، واللغة العربية ، والفقه .

٤ - وكان يأخذ الحديث وعلومه على « الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الإفريقي » ، رحمه الله (١) . ولما فتح المعهد العلمي في عام ١٣٧١ هـ في الرياض ، ترك الوظيفة ، فالتحق به للدراسة ، وكان يحضر دروس سماحة الشيخ « محمد بن إبراهيم » ، والشيخ « عبد اللطيف بن إبراهيم » في

(١) وأخذ في التفسير وعلومه عن العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

المسجد ، ومن مشائخه في الكلية والمعاهد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد الرزاق العفيفي والأستاذ « عبد اللطيف سرحان » ، والشيخ « حمد الجاسر » ، والشيخ « عبد الرحمن بن عودان » ، والشيخ « عبد العزيز بن رشيد » وغيرهم - جزاهم الله خيراً [(١)] ، وكان يعود إلى المدينة المنورة في خلال العطلات الصيفية لملازمة علمائها المذكورين والأخذ عنهم ، وكان من أساتذته في التجويد الشيخ قاري عبد الرؤوف ، والشيخ خليل عبد الرحمن .

٥ - في هذه الأثناء كان يقرأ على الشيخ « محمد بن الأمين الشنقيطي » رحمه الله للأخذ عنه في التفسير وعلومه والمنطق والأصول .

وبعد تخرجه من المعهد العلمي بالرياض التحق بكلية الشريعة بالرياض ، وفي عام ١٣٧٨ هـ تخرج من الكلية وأتم دراسته الجامعية .

وفي ١١/٤/١٣٧٩ هـ عُيِّن مساعداً لرئيس محكمة حائل ، وبعد إحالة رئيس المحكمة للتقاعد عُيِّن « الشيخ عبد الله » رئيساً لها بتاريخ ٤/٤/١٣٨٠ هـ .

ثم عُيِّن رئيس محكمة (ب) فى ١/٧/١٣٨٥ هـ ، ثم رئيس محكمة (أ) فى ١/٧/١٣٨٦ هـ .

وفى عام ١٣٩٠ هـ عاد إلى المدينة المنورة وكُلِّف بعمل مساعد لرئيس محاكم منطقة المدينة المنورة .

وفي آخر عام ١٣٩١ هـ عُيِّن إماماً وخطيباً للمسجد النبوي الشريف .

---

(١) وغفر نيتهم .

وفي ١٣٩٧/١٢/١٢ هـ عُيِّن على وظيفة قاضي تمييز ، ولا يزال على هذه الوظيفة ويعمل مساعداً لرئيس محاكم منطقة المدينة المنورة وإماماً وخطيبا للمسجد النبوي ، ولم يرغب الخروج من المدينة المنورة طوال هذه المدة ، وأحب البقاء في المدينة النبوية الشريفة والموت فيها .

أمدَّ الله تعالى في عمره بالعمل الصالح وأجزل له مثوبته (١)

عبد القادر حبيب الله

أحد علماء المدينة المنوَّرة

* * *

---

(١) أكثر هذه المعلومات تلقيت من بعض الإخوة القريبين من الشيخ عبد الله .

الباب الأول
التفسير

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المجلد الثاني من خطب الجمع والأعياد

الحمد لله رب العالَمين . هدانا لمعالم دينه الذي ارتضاه لنفسه ، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى أصحابه ومَن والاه .

أما بعد . .

فمن توفيق الله وإعانته أقدم لك - أخي القاريء - المجلد الثاني من خطب الجمع والأعياد ، التي ألقيت على منبر خير العباد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، والمجلد يتكون من قسمين :

الأول : تفسير آيات من القرآن الكريم على أسلوب الخطابة .

والقسم الثانى : بعض الفضائل .

أسأل الله أن ينفع بها كل مَن اطلع عليها وسمعها ، وأن يجعلها عملاً خالصاً لوجهه ، وعلماً أجد ثوابه يوم الحاجة إليه .

وصلى الله على نبينا محمداً وعلى آله وأصحابه وسلم .

المؤلف

عبد الله بن محمد بن زاحم

* * *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - من فوائد سورة الفاتحة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه .

أما بعد . .

فاتقُّوا الله تعالى ، تأملوا كتاب الله ، واقرؤوه قراءة تدبر وتفكر وتأمل في هذه السورة التي نقرؤها في كل يوم سبعَ عَشْرَةَ مرة في الصلوات الفرائض ، عدا الرواتب والنوافل ، إنها فاتحة الكتاب ، هى أخْيَر سورة في القرآن العظيم ، لا يقرأ المسلم حرفاً منها إلا أُوتيَه [٣] . إنها تشتمل على القواعد الأساسية لمعانى القرآن ، تشتمل على معرفة العبادة وأركانها ، وهي المحبة والخوفُ والرجاءُ . تشتمل على كليات العقيدة الإسلامية ، وفيها وصف الله تعالى بصفات الكمال ، والجلال . ولذلك سميت بأمِ الكتاب [٤] ،

---

(١) ألقيت في ٧/٢/١٣٩٩ هـ .

(٢) سورة الكهف : ١

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، عزاه ابن كثير فى تفسيره : ٢٢/١ إلى مسلم والنسائي ، ولفظه هذا عند النسائي . . .

(٤) البخارى برقم (٤٧٠٣) من حديث أبي سعيد بن المعلي رضي الله عنه ، الفتح : ٣٨١/٨

وبأم القرآن [١] ، وبالكافية [٢] ، والكنزِ [٣] ، والسبعِ المثاني والقرآنِ العظيم [٤] . أسماءٌ تدل على الشمول والكمال .

وسورة الفاتحة تنقسم من حيث المعنى الإجمالي قسمين : قسم لله ، وقسم للعبد . كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : قَسَمت الصلاة بيني وبين عبْدي نصفين ، فنصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : ﴿ الحمد لله رب العالَمين ﴾ قال الله : حَمدني عبدي ، وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الله : أثني عليّ عبدي ، فإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال الله : مجَّدني عبدي ، فإذا قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضَّالين ﴾ قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل [٥] .

وأما المعاني الجزئية للكلمات فتشتمل على المعاني الكلية للقرآن ؛ وَبين القواعد والأسس للمعاني التفصيلية ، وهلم بنا نتعرف على بعض معانيها :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ [٦] .

الابتداء بالبسملة بصرف النظر عن الخلاف فيها هل آية من الفاتحة أم آية من

---

(١) البخاري برقم (٤٧٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، الفتح : ٨/ ٣٨١

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره : ١/ ١٧ ، سماها يحيى بن أبي كثير : لأنها تكفى عما عداها .

(٣) عزاها ابن كثير في التفسير : ١/ ١٧ ، وعزاه إلى الزمخشري في كشافه .

(٤) عزاه ابن كثير في تفسيره : ١/ ١٧٥ إلى البخارى في الصحيح ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور : ١/ ١٢ إلى البخاري والدارمي في سننه ، وأبو داود والترمذي وابن المنذر ، وغيرهم من حديث أبي هريرة .

(٥) مسلم في الصحيح : الصلاة ، حديث رقم (خاص ٣٨) ، وعام (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) سورة الفاتحة : ١

كل سورة (١) ، أو آية من القرآن ، أو هى فاصلة بين السور . فالبدء بها هو الذي يقتضيه المقام ، وهو الذي يتناسب مع الأدب الذي أوحى الله لنبيه محمد ﷺ في أول ما أنزل عليه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (٢) ، وهو إيحاء رباني يتفق مع الحقيقة ، فإن الله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن (٣) ، فباسمه يكون الابتداء في كل شيء والانتهاء ، وباسمه تكون كل حركة وسكون ، ثم بعد البدء باسم الله الرحمن الرحيم يناسب الدخولُ في المقصود لتحصل الإعانة والبركة .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) : تشتمل هذه الآية على أربع كلمات ، وكل كلمة منها لها معان ومدلولات ، وتحتها فوائد وأسرار لا يمكن استقصاؤها ولا الإحاطة بها من البَشر ، وفي هذا المقام لا يمكن ذكر ما قاله العلماء ، وإنما أشير إشارة موجزة تحصل بها الفائدة . وهذه الآية هي القاعدة الكلية لمعاني سورة الفاتحة ، وسورة الفاتحة هي الأسس الإجمالية لمعاني القرآن الكريم .

﴿ الحمد لله ﴾ : هو الثناءُ على الله تعالى بجميع المحامد ، على نعمه ، وآلائه ، ثناءٌ على الله بإيجاده الخلق ورعايته ، ثناءٌ عليه بأسمائه وصفاته ، ثناءٌ برسالته وشرعه وتوفيقه وهدايته .

ولفظ الجلالة عَلَم على الرب تبارك وتعالى ، ويقال : إنه الاسم الأعظم ، لأنه يوصف بجميع الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

---

(١) عزاه الإمام ابن كثير في تفسيره : ١/١٨ - ١٩ إلى الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره ، ثم قال : رواه البيهقي عن علي وعن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم ، بإسناد صحيح عنهم .

(٢) سورة العلق : ١

(٣) إشارة إلى الآية الثالثة من سورة الحديد .

(٤) سورة الفاتحة : ٢

﴿ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ (١) ، واسم الجلالة هو الذي يضاف إليه التصرف والمُلْك والرعاية ، كما في سورة الفاتحة ، وكقوله : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ (٢) ، ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ﴾ (٣) .

« والرب » : هو المالك المتصرف بالإصلاح والتربية والإنعام والمسيطرُ على مَرْبوبيه والقاهر لهم .

﴿ العالَمين ﴾ : كل مَن سوى الله فهو عالَم ، والله سبحانه خالق العالَمين ، وهو مدبر هذا الكون ، وهو المسيطر عليه والحافظ لنظامه وكيانه ، وهو المنظم لشئونه بجميع أجناسه وأنواعه ، بإنسه وجنه ، وأرضه وسمائه ، وحيواناته وجماداته ، وأشجاره وزروعه ، وبَرِّه وبحره ، وما بين الأرض والسماء : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ (٤) .

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ ﴾ (٥) : بعد ذكر وجوب الحمد لله ، والتعريف بأنه هو الرب المسيطر ، يستشعر العبد بالخوف والرهبة ، ويحس بالتقصير في الحمد ، ويرهب من سطوة الرب المهيمن . فأخبر سبحانه عن نفسه بأنه الرحمن الرحيم ، لتطمئن نفس العبد وليتعلق بالرجاء والأمل ، ولبيان أن الصلة بين الرب تعالى وبين خلقه ليست من طريق الرهبة فقط ، بل منها ومن طريق الرجاء ، فالطريق إلى الله له جانبُ خوف ، وجانبُ رجاء ، وبينهما قارعة الطريق السهلة الهيِّنة المستقيمةُ ، وهى العبودية الخالصة لله تعالى على وفق شرع الله ، وهي التي توصل إلى الله .

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (٦) : ارتباطها بما قبلها لما أخبر تعالى أنه المستحق للحمد وأنه هو الخالق الرازق المتصرف الرحمن الرحيم ، أخبر جَلَّ شأنه بأنه

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥
(٢) سورة الرعد : ١٦
(٣) سورة غافر : ١٦
(٤) سورة فاطر : ٤١
(٥) سورة الفاتحة : ٣
(٦) سورة الفاتحة : ٤

مع هذه الصفات له المُلْك المطلق يوم القيامة ، يوم الجزاء والحساب ، ليس هناك ملوك ولا رؤساء ولا قادة ولا زعماء : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (١) ، وفي ذلك إخبار وتوكيد بأن بعد الموت حياة أخرى وجزاء وحساب ، وبيان أن الربوبية والمُلْك لله في هذه الدنيا وفي الدار الآخرة ، فلا يتعلقون بما في هذه الدنيا وحدها من خيرات وآمال ، ولا يجزعون مما فيها من شرور وآلام . بل يجب الاستعلاء من ضرورات الدنيا إلى التطلع إلى ما هو أعلى وأسمى عند الله تعالى ، وذلك يحمل المؤمن على العمل مع الاطمئنان على الثواب ، فإن وجَدَه في هذه الدنيا وإلا وجده في الآخرة ، وثواب الآخيرة خير وأبقى . وفيه أيضاً لفتة إلى الترهيب بعد الترغيب ، وتنبيه إلى أنه ينبغى في هذه الدنيا تغلب جانب الخوف على جانب الرجاء ، ليحصل العمل والاجتهاد في الطاعة .

و« المالك » هو الذي له كمال التصرف المطلق وتمامُ الاستيلاء ، وهو سبحانه له الملك التام في الدنيا وفي البرزخ وفي يوم القيامة وفي الآخرة ، فليس هناك ملك غير الله .

و﴿ يوم الدين ﴾ : هو يومٌ تُقْضَى فيه الديون وتُسلَّم لأهلها وتُؤخذ فيه الحقوق وتُعطَى لمستحقيها ، وهو يوم القيامة .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢) : التفات في الخطاب من الغيبة إلى خطاب الحاضر ، فكأن العبد بعد معرفته ما تقدّم من الآيات ومعانيها توجّه إلى الله وتفرّغ له عن كل ما سواه . ووصل إليه ، وقف بين يديه كأنه يراه ، يناجيه ويدعوه : « إياك نعبد وإياك نستعين » .

وهذه الآية عهد بين العبد وبين ربه (٣) ، يلتزم العبد بألا يعبد إلا الله ،

---

(١) سورة غافر : ١٦

(٢) سورة الفاتحة : ٥

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه - مسلم في الصحيح ، الصلاة ، حديث رقم (خاص ٣٨) ، وعام (٣٩٥) ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند : ٢٤١/٢ ، ٣٢٠ ، ٤٦٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وألا يستعين إلا بالله . وهذا هو السر الذي من أجله أرسلت الرسل ، ومن أجله أسست قواعد الإسلام والإيمان . فالدين كله يرجع إلى هذين الأصلين العظيمين : عبادة الله تعالى والتوكيل عليه .

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ﴾ (١) : بعد تأسيس القواعد الإسلامية في النفوس بما تقدّم من الآيات ، وبيان ثمرتها وهي العبودية الخالصة لله . توجه العبد إلى الله تعالى بالدعاء وطلب الهداية لصراط الله المستقيم والاستقامة عليه . و﴿ الصراط ﴾ : هو الطريق الموصل إلى الهدف . و﴿ المستقيم ﴾ : هو المعتدل المستوى الذى ليس فيه اعوجاج وليس فيه مطبات ، فيكون السائر على الصراط المستقيم مرتاحاً مهتدياً إلى مراده . و﴿ الصراط المستقيم ﴾ : الذى نسأل الله الهداية له ، هو طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ على وفق شرع الله .

وهذا الصراط هو الذى يسلكه عباد الله المخلصون ، ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٢) .

وهو غيرُ طريق المغضوب عليهم ، وغيرُ طريق الضَّالين . والمغضوب عليهم قوم عندهم علم ، فلم يعملوا به فعصوا الله على بصيرة ، وهم اليهود ومَن عمل عملهم ، والضَّالون قوم ليس عندهم علم فتاهوا عن الهدف وأخطأوا الطريق ، وهم النصارى ومَن نحا نحوهم ممن قال على الله بغير علم ، وعبدَ الله على جهل ، فأعظم أمر يحتاجه الإنسان في حياته وبعد موته وفي آخرته ، هو الهداية إلى صراط الله المستقيم ، وهو أجلّ ما يطلب المؤمن من ربه ، وأول ما ينبغي أن يستعين العبد بربه عليه ، فأخلصوا الدعاء بطلب الهداية ، فإن فيها سعادةَ الدنيا وفوز الآخرة .

اللَّهم اهدنا الصراطَ المستقيم ، وجنبنا طريق المغضوب عليهم وطريق الضَّالين ، وألهمنا القول السديد . والعمل الرشيد ، وانفعنا بالقرآن المجيد .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة الفاتحة : ٦ – ٧ (٢) سورة النساء : ٦٩

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لسان المؤمن دائماً رطباً من ذكر الله

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام .. ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فيقول الرسول ﷺ : « كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أجذمٍ » (٢) ، أى أقطع ناقصُ البركة . وقد جاء في القرآن الكريم : أن الله تبارك وتعالى أرشد أول رسله نوحاً عليه السلام لتقديم اسم الله عند العمل ، فقال : ﴿ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ (٣) ، وأرشد خاتم رسله وأنبيائه محمداً ﷺ إلى ذلك فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ (٤) .

فينبغى للمسلم أن يذكر اسم الله تعالى في جميع أوقاته وعلى كل أحواله ،

---

(١) سورة الأعراف : ٤٣

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٢٦/١ إلى ابن عساكر عن الحافظ عبد القادر الرهاوي في الأربعين بسند حسن عن أبي هريرة ، ثم ذكره مرفوعاً بهذا اللفظ .

(٣) سورة هود : ٤١

(٤) سورة العلق : ١

عند قيامه وقعوده ، ونومه ويقظته ، وأكله وشربه ، ودخوله وخروجه ، وعند فراشه مع أهله ، فإن ولد بينهما ولد لم يضره الشيطان (١) .

وينبغي للمسلم أن يذكر اسم الله تعالى عند وضوئه وطهوره (٢) ، وعند كتابته وقراءته ، وأخذه وعطائه . فباسم الله تعالى تحصل البركة ، وبه يحصل التوفيق والنجاح ، وبه تكون الرعاية والحراسة ، وبه يحصل الهدوء والاطمئنان .

وحمدُ الله تعالى ينبغي أن يكون ملازماً للعبد ، عند تجدد النعم وبعد التمتع بها ، ونِعَم الله تعالى على العبد متواليةٌ ومتتابعة ، فكل حياة الإنسان وحركاته وسكونه ، وكل نَفَس من أنفاسه كلها نِعَم الله تعالى على العبد : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، حافظوا على نعَم الله بشكرها : لئن شكرتم ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ (٤) .

وصلّوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾ (٥) . صلوا عليه

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما برقم (٢٧١) بدء الخلق : ٦/ ٣٣٥ ، الفتح ، مسلم في الصحيح ، الطلاق : حديث رقم (خاص ٦) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح ، كتاب « الحيض » ، حديث رقم (خاص ١١٧) ، و(عام ٣٧٣) ، وأخرجه البخاري معلقاً : ١/ ٤٠٨ كتاب « الحيض » .

(٣) سورة النحل : ١٨

(٤) سورة إبراهيم : ٧

(٥) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهم صلِّ وسَلِّم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود (١) .

اللَّهم ارض عن الخلفاء الراشدين ، أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن أصحاب نبيك أجمعين وزوجاته أمهات المؤمنين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهم ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذِّل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين . وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهم آمنَّا فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا ، واصلح ولاة أمورنا ، واكفنا كل أمر يهمنا ، واحفظنا من الشقاق والنفاق والخلافات والاضطرابات والفتن ما ظهر منها وما بطن .

اللَّهم أصلح شأن المسلمين ، وأصلح ذات بينهم ، وانصرهم على عدوك وعدوهم .

اللَّهم اغفر لجميع المسلمين الأحياء والميتين ، واقضى الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء ، آية ٧٩ ، وإلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنهما برقم (٦١٤) ، الآذان ، باب (٨) : الدعاء عند النداء ، الفتح : ٢/ ٩٤

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ – من سورة البقرة أول السورة (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين ، جعل لكل شيء علاماتٍ وموازين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

قوله حق ، ووعده صدق ، وأمره عدل ، ونهيه رحمة ، وجنده هم الغالبون ، وحزبه هم المفلحون .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح للأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومَن دعا بدعوته واتبع سبيله .

أما بعد . .

فأوصيكم أيها الناس وإياي بتقوى الله : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ (٢) ، ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ (٣) .

ثم اعلموا أن بنى آدم ينقسمون فى تقبُّل رسالة نبينا محمدٍ ﷺ ثلاثة أصناف ، لا يخرج واحد من العالَم عنها ، إنه تقسيم من عليم خبير .

---

(١) ألقيت في ٢٤/٥/١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة النساء : ١٣١

(٣) سورة النساء : ١٣٣

فالصنف الأول تلقوا شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالتصديق والقبول ، والسمع والطاعة ، والعمل . قلوبهم مؤهلةٌ للانتفاع بالهدى ، وأسماعهم واعية لسماع البشير النذير ، وأبصارهم صافية لرؤية النور ، فاهتدوا بهَدي القرآن العظيم ، وأبْصروا النور الذي نزل مع النبي الكريم ، فاتصلت قلوبهم بخالقها رغبة ورهبة ، وذلّت أبدانهم وخشعت قلوبهم وأرواحهم لربها خوفاً وطمعاً .

أثنى الله عليهم في كتابه ، وجعلهم شهداء على عباده : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمَ ﴾ ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ (١) ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (٢) .

هؤلاء هم المتقون ، هم المؤمنون حقاً جمعوا بين الاعتقاد الصافي والعمل الخالص .

يؤمنون بالغيب ، بكل ما أخبر الله به ، وبكل ما أخبر به رسوله ﷺ ، وإن غاب عن الأبصار ، وإن علا فوق الإدراك الإنسانى ، وإن عظم على الطاقة البَشرية . . يؤمنون بخبر مَن قبلنا ، ونبأ ما بعدنا ، وبما حولنا ، وإن غاب عن حواسنا ، يؤمنون باليوم الآخرة وبما فيه من الوعد والوعيد ، والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار .

---

(١) سورة البقرة : ١ - ٥

(٢) سورة البقرة : ١٤٣

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (١) ، ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٢) .

إن الإيمان بالغيب دليل العقلُ ، وكمال التصور ، فهو فارق بين الإنسان والحيوان ، فإذا لم يؤمن الإنسان بخالقه ، ولا بملائكته وكتبه ورسله ولا باليوم الآخرة ؛ فما هى ميزته إذاً عَن بقية الحيوان ؟! الكل عظم ولحم ودم ، ويأكل ويشرب ، ويروح ويغدو ، وله رغبات وشهوات ، وانفعالات ، يحرص على النفع ويهرب من الضر بحسب إدراكه . هذه صفات مشتركة بين الإنسان والحيوان ، ويتميز الإنسان بالعقل الذى يحصل به التصور ويُفكر به في المستقبل ، ويُميز به بين الحق والباطل وبين العدل والظلم .

فما هي قيمة العقل ؟ وما هي ميزة الإنسان إذا كان الإنسان يعيش حياة الحيوان ، لا يتبصر في نفسه ولا يفكر من أين جاء ، ولا لأي شيء خُلِق ؟ وإلى أين يذهب ؟ ما هي قيمة الإنسان في الوجود إذا كان لا يؤمن بخالق الكون ؟

ليست القوة والغلبة والظلم والقهر مميزة للإنسان ، فالسبع المفترس يفعل ذلك ؛ ولم يخرج عن كونه حيواناً ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾ (٣) ، وإنما يتميز الإنسان عن الحيوان بالإيمان بالغيب .

أما الصنف الثانى : فرفضوا الرسالة المحمدية جهاراً ، ونصبوا لها ولأهليها العداوة والبغضاء علناً ، لأن قلوبهم مُغَلَّفةٌ بالران ، فلا تعرف الخير فتقبله ولا تعرف الشر فتتركه ؛ ولا تميز بين المعروف والمنكر ، ولأن أسماعهم فيها

---

(١) سورة الزمر : ١٨

(٢) النساء : ٦٩

(٣) سورة الأعراف : ١٧٩

وقرٌ ، فلا يسمعون داعي الله ، ولأن أبصارهم عمياءُ فلا ترى النور ، ولا تنظر إلى صراط الله المستقيم ، فهم في طغيانهم يعمهون ، وفي ظلماتهم يتيهون : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾ (١) .

والصنف الثالث : لهم ظاهر وباطن . ظاهر مزيف كاذب وهو الإيمان ، وباطن حقيقي واقعي وهو الكفر ، ذلك بأن لهم أطماعاً وأهدافاً عند المؤمنين ، إما أموالٌ يخشون كسادها ، أو رئاسةٌ يخشون زوالها ، أو سياسة وخيانة يتربصون بها ، أو خشية من سطوة يلقونها .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٢) . هؤلاء هم المنافقون ، فضحهم القرآن وبيَّن أوصافهم ، وهي صفاتٌ ثابتةٌ مُلاَزمة لكل منافق في كل زمان ومكان .

اقرأوا أوصافهم في أول سورة البقرة ، وفي آخر الجزء الخامس في سورة النساء ، وفي سورة التوبة وسورة الأحزاب وسورة المنافقون ..

ومن أبرز صفاتهم الظاهرة ما ورد في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أربع مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومَن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى

---

(١) سورة البقرة : ٦ - ٧

(٢) سورة البقرة : ٨ - ١٠

يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (١) . ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (٢) .

المنافق يكون صدره دائماً ضيقاً حَرَجاً كأنما يصَّعَّد في السماء ، فيتوجه للطعن في الإسلام والنَّيْل من علماء الإسلام ودعاة الإصلاح ، ويسعى للتفريق بين المسلمين والإفساد بينهم ، وإيذاء المؤمنين : ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (٣) ، ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ (٤) ، ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٥) ، ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٦)

فاتقوا الله أيها المؤمنون واحرصُوا على أن تكونوا من المهتدين واسألوا ربكم الثبات والاستقامة على صراطه المستقيم .

اللَّهم اجعلنا من حزبك المفلحين ، وعبادك الصالحين ، واهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وبارك لنا في القرآن العظيم . . إلخ

* *

(١) البخاري : من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : ١/ ٨٤ الإيمان من علامات النفاق ، مسلم : برقم (٥٨) في الإيمان .
(٢) سورة النساء : ١٤٥
(٣) سورة الأحزاب : ١٩
(٤) سورة الأحزاب : ٦١
(٥) سورة المنافقون : ٤
(٦) سورة التوبة : ٥٤

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الناس يوم القيامة ثلاثة أقسام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على ما هدانا ، ونشكره على ما أعطانا .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله ، وحده لا شريك له هو ناصرنا ومولانا .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمةً للعالَمين ، وحُجَّةً على الكافرين .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد الأمين ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فكما أن القرآن الكريم يبيِّن أصناف الناس في هذه الدنيا ، في سورة البقرة . محذراً من الصنفين الهالكين ، ومبيِّناً موقفهما من هذا الدين ومن المؤمنين .

كذلك قسَّم الخالق تعالى بنى آدم في يوم القيامة بعد البعث والنشور ثلاثة أزواج ، كما في سورة الواقعة : أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، والسابقون المقربون (١) ، فالقسم الأول في هذه الدنيا ، صاروا في الآخرة زوجان ، أصحاب اليمين ، والمقرَّبون . . بحسب مراتب النعيم والقرب من الله .

والقسمان الهالكان في هذه الدنيا صاروا يوم القيامة زوجاً واحداً وصنفاً

---

(١) إشارة إلى الآيات (٨ - ١١) من سورة الواقعة .

واحداً هم أصحاب الشمال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١) ، ثم بيَّن سبحانه مصائر الأزواج الثلاثة وجزاءهم من نعيم وعذاب جزاءً مفصلاً ، إذا قرأه المتدبر فكأنه ينظر بعينه إلى واقع الحال . اقرأوا سورة الواقعة وتأملوها وتصوَّروا معانيها ، فستجدون أن الحس والشعور ينتقل بالمتأمل من هذه الحياة إلى الحياة الأخرى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ (٢) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣) .

* * *

(١) سورة النساء : ١٤٠

(٢) سورة الواقعة : ٩٥ - ٩٦

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣ – استقبال القبْلة (١)

من سورة البقرة تفسير ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . .

﴿ لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ﴿ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨ ﴾ (٤)

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وكفى بالله وكيلاً .

أما بعد . .

فكان اليهود يتصيَّدون كل حجة ، وكل شبهة ، وكل سيلة لينفذوا منها إلى

---

(١) ألقيت في ٢٨/ ١٠/ ١٤٠١ هـ .

(٢) سورة سبأ : ١

(٣) سورة البقرة : ١٤٢

(٤) سورة الفتح : ٢٨

الطعن في رسالة محمد ﷺ إلى بلبلة الأفكار وإشاعة الاضطرابات في العقول والأفكار ، ولتشكيك المسلمين في دينهم وعقيدتهم .

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (١) .

ومن جملة اعتراضات اليهود وتشكيكهم أمر تحويل القِبْلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرَّفة في المسجد الحرام ، وذلك أنه لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أُمِرَ باستقبال بيت المقدس واستقبلها بضعة عشر شهراً ، ثم أُمِرَ باستقبال الكعبة المشرَّفة في المسجد الحرام (٢) ، كما قال سبحانه :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (٣) .

ولله في ذلك حكم هو أعلم بها ، والخالق تعالى يختبر عباده ليعلم مَن يتبع الرسول ، ابتلاء واختبار ، والإسلام يريد أن يكون المسلم متعلقاً بالله ، وأن يعلم أن مصدر قوته وكرامته تقوى الله وأن تكون عباداته مبنية على طاعة الله والانقياد له لا على العادة وتقاليد البيئة ، فجعلت القِبْلة إلى بيت المقدس ، وكان بيت المقدس قِبْلة اليهود ، فقالوا للمسلمين : إن تحولكم إلى قبلتنا دليل أنها هي الحق ، وأن ديننا هو الحق ، فأنتم تبع لنا . فشقَّ ذلك على المسلمين فصار النبي ﷺ يشكو الحال إلى الله وينظر في السماء تأدباً مع الله ، ويقلب

---

(١) سورة البقرة : ١٢٠

(٢) إشارة إلى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، أخرجه عبد الرزاق في المصنف ، بإسناد صحيح عنه ، وكما عزاه إليه الإمام ابن كثير في التفسير : ١/٣٣٩ ، والأحاديث كثيرة في هذا المعنى

(٣) سورة البقرة : ١٤٤

وجهه في السماء ينتظر الفرج من الله ، وبعد ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة (١) ، وبعد أن انقاد المسلمون إلى أمر الله وأمر رسوله ﷺ فى تحويل القِبْلة وعرف من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه (٢) ، وعرفوا اليهود وعداوتهم للإسلام والمسلمين ، حُوِّلت القِبْلة إلى المسجد الحرام ، فأبطل الله مقالة اليهود .

لكن ماذا كان موقفهم ؟ إنه الموقف الشائن العدائى لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمسلمين ، فألقوا شبهة أخرى ، فقالوا : إن كان استقبالكم لبيت المقدس سابقاً حق فتحولكم إلى المسجد الحرام باطل ، وإن كان تحولكم إلى البيت الحرام حق فاستقبالكم لبيت المقدس باطل ، فصلاتكم إليه باطلة . فرد الله على اليهود بقوله تعالى : ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (٤)

فبيَّن سبحانه أن الكل حق مبنى على أمر الله ، يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم ، فالخلق خلقه والأمر أمره ، وبيَّن أن صلاة المسلمين إلى بيت المقدس لا تضيع ، وبيَّن أن البيت العتيق أحق أن يُستقبل ويُقصد في العبادات لأنه أول بيت وُضِع للناس بناه إبراهيم عليه الصلاة والسلام وجعله قِبْلة ، ولأن فيه

---

(١) أورده الإمام ابن كثير في التفسير : ١/ ٣٣٩ عن البراء بن عازب رضي الله عنه دون العزو إلى أحد المخرجين ، وهو حديث صحيح أخرجه البخارى برقم (٧٢٥٢) ، الفتح : ١٣/ ٢٣٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

(٣) سورة البقرة : ١٤٢

(٤) سورة البقرة : ١٤٣

آيات بيِّنات وفيه الهدى والبركة ، وفيه مأمن للخائفين ، فهو حرم أمين عظَّمه الله ، وأقسم به كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ (١) ، وبيَّن سبحانه أن تحويل القِبْلة إلى بيت المقدس لحكم ولمصالح المسلمين ، ولكن اليهود لا يتركون طبعهم وخلقهم فلا يقبلون حقاً ولا يهدون بهدى ، فهم يعلمون أن الرسول محمداً ﷺ رسول لله ، ومع هذا عاندوا وكابروا وخابوا وخسروا :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٤٦ ﴾ (٢) .

والحمد لله الذي هدانا للإسلام واتباع سُنَّة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ (٣)

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ،

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ ﴾ (٤) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة التين : ١ - ٤

(٢) سورة البقرة : ١٤٦

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١

(٤) سورة آل عمران : ٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير من سورة آل عمران ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي ألَّف بين قلوب المؤمنين وجعلهم إخوة متحابين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، هو الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، وقائد الغر المحجلين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد . .

فإن الحج ركن من أركان الإسلام ، فَرْضُ عَيْن على كل مسلم مكلَّف حر يستطيع إليه سبيلاً لقوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (١) ، ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (٢) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « بُنِيَ الإسلام على خمس : شهادة أنْ لا إلَه إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً » (٣) . وإنما يجب الحج فى العُمْرِ مرة واحدة تخفيفاً لهذه الأمة ورحمة بها ، لما روي أبو هريرة رضي الله عنه قال : خطب

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

(٢) سورة آل عمران : ٩٧

(٣) صحيح البخارى كتاب « الإيمان » باب : دعائكم إيمانكم : ١/ ، ومسلم في كتاب « الإيمان » باب : بيان أزكان الإسلام : ١٦/ ٢٢ ، والنسائى في الإيمان ، باب : على كم بني الإسلام : ٨/ ١٠٧ ، وأبو عبيد في « الإيمان » : ٤/ ٥٩ وغيرهم .

رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس ؛ إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ، فسكت حتى قالها ثلاثاً ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : « لو قلتُ نعم لوجبت ولما استطعتم » (١) .

فالحمد لله على لطفه وتيسيره ، والاستطاعة شرط في وجوب الحج ، وهى ما يُمكِّن من الوصول إلى البيت الحرام ، فيدخل فيها الزاد والراحلة وأمن الطريق والقدرة على الركوب ، ووجودُ المحرم للمرأة .

فمن استطاع الحج وهو من أهله وجب عليه وصار دَيْناً لله في عنقه ، ودَيْن الله أحق بالوفاء ، فليبادر بأدائه ، فإنه لا يدري ماذا تعرض له في حياته ، فالإنسان في هذه الدنيا غرض لسهامها : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ، ويجب أن يختار النفقة الطيبة ، وهى التي من كسب حلال ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً (٣) .

وأما مَن لم يستطع فلا يجب عليه الحج ، ولا يلزمه أن يستدين ليحج ، ولا يجوز له أن يسأل الناس ليحج : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٤)

فاتقوا الله أيها المسلمون ، أدُّوا فرائض دينكم ، واحكموا بأحكامه ،

---

(١) موطأ الإمام مالك : ١/ ١٥ ، ٣/ ٢٩٣

(٢) سورة آل عمران : ١٣٣ . طريق يزيد بن هارون والنسائي : ٥/ ١١٠ ، ١١١ في المناسك ، باب : وجوب الحج عن المغيرة بن سلمة ، ومسلم في الحج ، باب : فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧) ، والبيهقي : ٤/ ٣٢٦

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، البخاري برقم (١٤٠١) ، الفتح : ٣/ ٢٧٨

(٤) سورة البقرة : ٢٨٦

واهتدوا بهداه ، واقرءوا كلامه ، وعظِّموا شعائره ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣﴾ ﴾ [(١)] ..

وصلُّوا على البشير النذير [(٢)] .

* * *

---

(١) سورة الحج : ٣٢

(٢) إشارة إلى الأحزاب ، آية رقم ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤ - تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة [١]
﴿ إنَّ فِى خَلْقِ السَّموَاتِ وَالأرْضِ .... ﴾

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالَمين .. ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [٤] .

أما بعد ..

فإن أمامنا كتاباً مفتوحاً يقرؤه كل أحد .. يقرؤه المتعلم والأُمِّى ، ويقرؤه العربى وغير العربى ، صفحاته تُقْلبُ في كل لحظة ، وفي كل ساعة ، وفي كل يوم وليلة . إنه مفتوح دائماً أمام أعين الناس ، ولكنهم عن تأمله غافلون ،

---

(١) ألقيت في ٢٤/٥/١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الفرقان : ٦١

(٣) سورة الفرقان : ٦٢

(٤) سورة الذاريات : ١٧ - ١٨

يُعبِّر عن القدرة الإلَهية ، هو هذا الوجود الذي نراه بأعيننا ولكن قلوبنا عن أسراره وغاياته وفوائده ومدلولاته غافلة ، إننا نرى في كل حركة من هذا الوجود وفي كل سكون صفحةَ جديدةً ، فيها عِبرٌ ومواعظُ ، فيها اياتٌ بيِّنات دالة على كمال قدرة الله الذي خلق هذا الكون وسيَّره على نظامه .

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (٢) . هذا هو الكتاب المفتوح لبنى آدم ، مفتوح لأهل الإدراك الصحيح ، الذين يفتحون بصائرهم لمطالعة آيات الله الكونية ، فهم الذين يدركون حقيقة هذا الوجود وأهدافه وغاياته : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ (٣) .

هذه السماء التي نراها سقفاً محفوظاً في ارتفاعها واتساعها وكواكبها وأفلاكها . وهذه الأرض في كثافتها وما عليها وما في باطنها ، وما يخرج منها آيات لقوم يعقلون (٤) ، وفي كل شمس مشرقة ، وفي كل ليلة مظلمة ، وفي كل مولود يولد ، وفي كل نفس تموت ، وفي تجدد الاختراع وتطور الصناعات وتنوعها آيات ، في كل فُلْك تجري على سطح الماء وتشق جبال الأمواج ، في كل طير مسخرٍ في جو السماء ، وفي كل طائرة تسبح في الفضاء

---

(١) سورة الغاشية : ١٧ - ٢٠

(٢) سورة البقرة : ١٦٤

(٣) سورة الزمر : ١٨

(٤) إشارة إلى الآية ١٦٤ من سورة البقرة .

بين الأرض وبين السماء ، وفي تصريف الرياح بين الجهات ، وتقلبها من الحرارة إلى البرودة إلى الاعتدال ، في تراكم السحاب وفي نزول الماء على الأرض ، وفي كل حبةٍ تنبت بعد أن كانت ميتة يابسة آيات .

في هذه المخلوقات المتنوعة في البر والبحر عوالمُ متآلفة ومتنافرة ، في كل ما يقع عليه بَصر إنسان ، وفي كل ما يَقْرع سمعه ، وفي كل صغيرة وكبيرة ، وفي كل رطب ويابس آيات بيِّنات دالة على وحدانية الله تعالى وكمال حكمته وسعة رحمته ، وأن المعاد إليه ضرورةٌ من ضروريات هذا الوجود : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ (١) .

كثير من الناس غافل عن أسرار هذا الكون ، وإن كانوا يعرفون بعض الأمور التي تنفع قوماً وتضر آخرين في هذه الدنيا ؛ لأن الأُلفةَ والمعاصرة لهذه الآيات جعلت القلوب في غفلة ، فهو شيء مألوف عادي عندهم ، فانصرفوا إلى ما ينفع في هذه الحياة الغانية عما ينفع في الحياة الدائمة : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (٢) .

فلو أن الناس تلقوا مشهداً جديداً لم يألفوه ، مثل مشهد مما ألفوه ، لارتعشت له الأبدان ، ولرجفت له القلوب ، ولشخصت له الأبصار ، ولارتبكت له الأحاسيسُ والمشاعرُ . فلو طلعت الشمس في مغربها وهو مُتَوقع في كل يوم ، فماذا تكون حال الناس ، لأنه تغير للنظام الذي ألفوه في سيرها ، وإيذان بتغيير نظام هذا الكون كله وفناء الدنيا : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴾ (٣) ، ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ ﴾ (٤) ، ﴿ إِذَا الشَّمْسُ

---

(١) سورة النجم : ٣١

(٢) سورة الروم : ٧

(٣) سورة الزلزلة : ١ - ٣

(٤) سورة المعارج : ٨ - ٩

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ② وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③﴾ (١) ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ① وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ② وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④﴾ (٢) ، ماذا تكون حالك أيها الإنسان ، حينئذ تعرف أن خالق هذا الكون هو الله الواحد الأحد ، حينئذ تعرف أن مُدَبِر هذا الوجود هو الله الواحد القهار ، حينئذ تعرف حقائق هذا الكون وحكمته وغايته .

لو أن العلوم الحديثة التي تتصل بهذا الكون وتبحث في خصائصه وتكشف عن بعض أسراره مما ينفع أو يضر ، لو اتصلت هذه العلوم بالتفكر والتدبر لاتصلت بخالق الخلق ولأدركت عظمته ووحدانيته وكمال قدرته ، ولو حصل ذلك لاستقامت الحياة ولم يظلم أحد أحداً ، ولم يبغ أحد على أحد ، ولم يعتد أحد على أحد ، ولكن الاتجاه المادي يقطع الصلة بين الإنسان وخالقه ، ويقطع ما بين العلوم الكونية والحقيقية الأزلية . والله حسبنا ونعْمَ الوكيل .

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ⑨⑨﴾ (٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . تفكروا في آيات الله ومخلوقاته ، وانظروا إلى ما بين أيديكم وما خلفكم من دلائل قدرة الله ووحدانيته ، فإن تفكر ساعة خير من قيام ليلة (٤) ، والتفكر في نِعَمِ الله أعظم العبادة ، وخيرها للإنسان ما جُمِع فيها بين التفكر والذكر والإنابة .

---

(١) سورة التكوير : ١ - ٣

(٢) سورة الانفطار : ١ - ٤

(٣) سورة يونس : ٩٩

(٤) إشارة إلى قول الحسن البصري رحمه الله تعالى ، بهذا اللفظ من كلامه ، وذكره الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره : ٢/١٧٦ ، ولكن السيوطي قد عزا في الدر المنثور هذا الأثر : ٢/٤٠٩ إلى ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه وقال : أخرجه أبو الشيخ في العظمة ، ثم قال : وأخرج ابن سعد عن أبي الدرداء مثله ، ثم قال : وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً . والله أعلم بصحة الإسناد مرفوعاً . . .

اللّٰهم افتح بصائرنا لمعرفة آياتك ، وارزقنا حسن النظر فيما يرضيك ، واجعل قلوبنا خاشعة لعظمتك ، وألسنتنا عامرة بذكرك ، وجوارحنا مُنقادة لطاعتك وعبادتك ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وذُرِّياتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القوة النفسية توجه العقل

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له بكرة وأصيلاً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً .

أما بعد . .

فإن القوة العقلية في الإنسان تتوجه حيث تصرفها القوة النفسية والرغبة الذاتية ، فإن كانت قوة الإيمان متحكمة في النفس صرفت العقل إلى الخير والسعادة ، إلى القاعدة التي انطلق منها إلى خالقه ، إلى خالق هذا الوجود ، فكانت له الاستقامة والتوجيه الصحيح السليم .

وإن كانت الشهوات والغرور متحكمةً في النفس وجَّهت العقل إلى أطماعها ورغباتها ، فهو ينحط بانحطاطها ، ويَتَدَهْور بتدهورها .

انظر إلى المذياع إذا وُجِّه إلى أي محطة توجه إليها . يستمد منها ويأخذ ما يقال فيها ، وكذلك العقل البَشري تُوَجهه القوة النفسية ، فإن كانت قوة خير وهدىً توجهت إلى مصادر الخير والهدى ، وإن كانت قوة شر وظلم وكفر توجه إلى مصادر الشر والظلم . وإرادة الله تعالى وقدرته فوق كل قدرة : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى

ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١) . ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

فاتقوا الله أيها الناس . اتقوا الله أيها المسلمون . تعرَّفوا إلى الله في الرخاء يعرفكم في الشدة .

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المردود .

وارض اللَّهم عن الخلفاء الراشدين ، وارض عنها معهم .

اللَّهم أعز الإسلام والمسلمين .

اللَّهم انصر المجاهدين في كل مكان .

اللَّهم آمنا في أوطاننا .

اللَّهم فرِّج عن المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (٤) .

* * *

---

(١) سورة يونس : ١٠٠

(٢) سورة يونس : ١٠١

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

(٤) سورة النحل : ٩٠

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥ - تفسير الآية (١٨٣) من سورة البقرة [١]
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [٢] ، نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، أمر بالصبر ووعد الصابرين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه وَمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإنّ الله تبارك وتعالى لما خلق الإنسان ، وسخَّر له ما في الأرض جميعاً [٤] ، وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلاً [٥] ، خلقه لتحمل أمانة ثقيلة ، وأداء رسالة كريمة .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [٦] ، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ

(١) ألقيت في
(٢) سورة الفاتحة : ٢
(٣) إشارة إلى الآية ٢٥٧ من سورة البقرة ، و٦٨ من سورة وآل عمران .
(٤) إشارة إلى الآية ١٣ من سورة الجاثية .
(٥) إشارة إلى الآية ٧٠ من سورة الإسراء .
(٦) سورة الذاريات : ٥٦ - ٥٨

بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (١) ،

﴿ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢) .

ولما كان الإنسان يتوارد عليه عدد من العوامل : نفسٌ أمَّارة بالسوء (٣) ، وشهوات البطن والفَرْج ، وإبليس أشدُ الخلق عداوة للإنسان ، فقد أقسم إبليس أيماناً مغلَّظة أن يضل بنى آدم عن طريق الرشد إلى طريق الغي ، وأن يصرفهم عن طريق النعيم إلى طريق الجحيم ، وأن يُغويهم عن طريق الهدى والنور إلى طريق الظلمات والغرور (٤) .

فالإنسان إذاً في أشد الحاجة إلى خالقه ليحفظه مما يحيط به ، أو ليعينه على ما خُلق من أجله .

والله تبارك وتعالى ما كان ليخلق الإنسان ويكلِّفه ويهمله بل أحاطه بكل الرعاية والضمانات : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٥) .

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (٦) .

(١) سورة الأعراف : ١٧٢
(٢) سورة الأعراف : ١٧٣ - ١٧٤
(٣) إشارة إلى الآية ٥٣ من سورة يوسف .
(٤) إشارة إلى الآية ٣٩ من سورة الحجر ، و٨٢ من سورة ص .
(٥) سورة البقرة : ٣٨ - ٣٩
(٦) سورة طه : ١٢٣ - ١٢٤

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (١) .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (٢) .

ومع هذه العناية الربَّانية بالإنسان ، فقد كان التشريعُ يُلاحظ خصائصَ الإنسان وضعفه وما يحيط به ، فمع السماحة واليُسر في التكليف نجد في مقدمة النص أو في أثنائه أو في خاتمته ما يُرغِّب النفس في التلقي والانقياد ، وما يحثها على التحمل والعمل والاحتساب .

وبين أيدينا الآن ثلاث آيات من سورة البقرة توضح مشروعية صيام شهر رمضان . ومنها تتجلى مراعاة النصوص الشرعية لخصائص الإنسان وطبيعته ، ومنها تتضح رحمةُ الخالق تبارك وتعالى بعباده المؤمنين ورأفتُه بهم وكرمُه عليهم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (٣) .

كل جملة من هذه الآيات فيها تحريكٌ لنشاط المسلم على حُسن الانقياد والامتثال ، فلعلنا نتأملها مع مراعاة المقام . ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ : نداء

---

(١) سورة النحل : ٣٦ (٢) سورة البقرة : ١٨٦

(٣) سورة البقرة : ١٨٣ - ١٨٥

بتلك الصفة التي امتاز المؤنون بها وفيه تذكير لهم بحقيقتهم الأصلية التي فُطِروا عليها . وفي إطلاق الصيام دون عدد وزمن ، تشويقٌ للنفس وحثٌ لها على الأمل في أن يكون المفروض لا مشقة فيه . وفي بيان أن الصيام عبادةٌ مفروضة على مَن قبلنا ولم يكن خاصاً بنا ، في ذلك تأس وحث على المنافسة في العمل .

والتقوى بُغية كل مسلم وأمنية كل مؤمن ، وما دام أن الصيام سبب للتقوى فسوف يتلقاه المؤمن بالسمع والطاعة . وفي الرخصة للمريض والمسافر بالفِطر والقضاء سماحة ويسر ، وتُرغب الصحيح والمقيم على حسن الأداء .

وتخير الذي يطيق الصيام (في باديء الأمر) بين الإطعام والفطر ، وبين الصيام ، ترويض للنفس البَشرية على هذه العبادة التي تُقَاوِم شهوات البطن والفَرْج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، فروعي فيها التدرج والتلطف . وفي الحث على زيادة الإطعام لأكثر من مسكين ترغيبٌ للنفسَ في زيادة الخير ووعدٌ عليه بالخير .

وفي حث المطيق على الصيام بعد التخيير بيان لأفضل الحالين وأحبهما إلى الله وأعظمها أجراً عنده ، ولأن الصيام هو أقوى العوامل لإعداد النفس وتمرينها على الصبر والتحمل ، وهو ميدان تقرير الإرادة العازمة الجازمة ، فهو اتصال بالخالق تعالى اتصال طاعة وانقياد ، وهو سرٌ بين العبد وربه ، وهو المحك لِصِدْق الإيمان والاستعلاء على رغبات الجسد وشهوات النفس .

والآية الثالثة تحدد ما أطلق في الأولى والثانية ، وتحدد كميةَ وزمنَ الأيام المعدودات للصيام ، وهو شهر رمضان ، وألزمت الذي يطيقُ الصيامَ بصيامه ولا خيار له ، وبقيت الرُخصة للمريض والمسافر يُفطران ويقضيان . أما المريض الزمن والشيخ الكبير لا يطيق الصيام فيفطر ويُطعم عن كل يوم مسكيناً (١)

---

(١) إشارة إلى الآية ١٨٣ من سورة البقرة ، وقد وردت في هذا الأحاديث الكثيرة في الصحاح والسند والمسانيد والمعاجم .

وإذا تأملنا اختيار هذا الشهر لهذه الفريضة ، فقد أشارت الآية إلى شيء من خصائص هذا الشهر : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[١] فهذا دليل على أن هذا الشهر مفضَّل ومقدَّس ، فالقرآن الذي أُنزل فيه هو نظام المسلم في كل مرافق حياته ، وهو نظام الدولة المسلمة في كل ميادين أعمالها وسياساتها . فقد أخرج الله به أُمَّة من الظلمات إلى النور ، ورفعها به من الذلة إلى العزة والسيادة ، ونظَّم حياتها وحفظ أمنها واستقرارها . والأمة المسلمة ليست بشيء يذكر بدون هذا القرآن . لا عزة لهم في الأرض ولا ذكر لهم في السماء إلا باتباع القرآن .

وأيضاً فإن في شهر رمضان ليلة القدر التي أنزلت فيها سورة كاملة [٢] تبين فضلها وعظيمَ قدرها ، وحجم كسب المسلم فيها .

فجدير بالمسلم إذاً أن يتلقى فريضة الصيام بالسمع والطاعة ، وأن يصوم هذا الشهر بإيمان واحتساب ونيِّة صادقة ، طاعةً لله ورغبةً فيما عند الله وتعبداً لله ، فهو الركن الرابع [٣] من أركان الإسلام . مَن صامه وأقام بقية الأركان ، فقد أقام دينه ، ومَن لم يصمه مع القدرة وبدون عذر ، فقد هدم دينه .

فاتقوا الله أيها المسلمون . ما هو عذرك أيها المسلم وأنت صحيح قوي مقيم تَتْبع شهواتك في نهار رمضان ولا تصوم ؟

ما هو عذرك أيها المسلم وقد آتاك الله المال والصحة والأمن ، تلعب بشعائر الله ؟ كيف تدَّعي الإسلام ولا تلتزم بنظام الإسلام ؟ ألا تستحي من

---

(١) سورة البقرة : ١٨٥

(٢) هي سورة القدر : ١ – ٥ ، وأشار إليها في أول سورة الدخان .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عند البخاري : ١/ ٩ باب : دعاءكم إيمانكم ، وفيه بيان أركان الإسلام ، وفى : ٦/ ٣٢

الله ؟ توبوا إلى الله وأنيبوا إليه : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ ﴾ (١)

اللّهم إنّا نستغفرك ونتوب إليك ، فاغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة المائدة : ٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم
تتمة تفسير آية الصيام
النية شرط في الصيام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله .. ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيلهم بإحسان .

أما بعد ..

فلعل هذا اليومَ هو آخر جُمعة في شعبان ، فأُذكِّركم بما رواه ابن خزيمة في صحيحه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان قال : « أيها الناس ؛ قد أظلَّكم شهر عظيم مباركٌ ، شهر فيه ليلةٌ خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضةً وقيام ليله توعاً ، مَن تقرَّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه ، ومَن أدّى فريضة فيه كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه (٢) ، وهو شهر الصبر ،

---

(١) سورة غافر : ١

(٢) إشارة إلى حديث أخرجه الإمام ابن خزيمة في صحيحه برقم (١٨٨٧) ، وهو من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور : ١/ ٤٤٦ - ٤٤٧ إلى عدة ، وقال ابن خزيمة : إن صح الخبر فيه ، وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو من رجال مسلم .

والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يُزاد في رزق المؤمن فيه »[(١)] . مَن فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثلُ أجره من غير أن ينقص من أجره شيء »[(٢)] .

« وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار »[(٣)] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، استقبلوا شهركم بإيمان واحتساب ، وعزيمة صادقة على صيام نهاره وقيام ما تيسر من ليله .

واعلموا أن الصيام كسائر العبادات تُشترط لها النيِّة إجماعاً ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيِّات وإنما لكل امرىء ما نوى »[(٤)] ، والنيِّة عزم القلب على فعل العبادة ومحلُّها القلب في كل العبادات ، ولم يرد التلفظ بالنية إلا عند الإحرام للحج أو العمرة ، وعند ذبح الهَدْي أو الأضحية[(٥)] .

---

(١) إشارة إلى حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه ، عزاه السيوطي في الدر المنثور : ١/٤٤٦ - ٤٤٧ إلى العقيلي أبي جعفر وضعَّفه ، وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي والخطيب والأصبهاني في الترغيب ، ثم ذكره بلفظه بسياق طويل وفيه هذا اللفظ .

(٢) هذا هو نفس الحديث الذي مضى الآن من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه ، عزاه له السيوطي في الدر المنثور : ١/٤٤٧ إلى عدة مصادر وفي إسناده ضعف .

(٣) هو نفس هذا الحديث بسياق طويل ابن خزيمة في صحيحه برقم (١٨٨٧) من حديث سلمان الفارسي .

(٤) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أخرجه جميع أصحاب الحديث ، منهم البخاري : ١/٢ ، وعقد عليه الباب قائلاً : الباب الأول كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، قلت : إن هذا الباب يشعر في نظر البخارى أن هذا أول وحي غير متلو إلى رسول الله ﷺ .

(٥) إشارة إلى حديث الترمذي معلقاً ، الباب العاشر من الأضاحي ، وفيه تصريح هذا عمن لم يضح من أمتي . أخرجه أبو داود مسنداً برقم (٢٨١٠) ، والترمذي برقم (٢٥٢١) ، ومن حديث جابر رضي الله عنه .

ووقت النية في الصيام من الليل . لما أخرج أبو داود والترمذي بسند متصل عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها وعن أبيها عمر بن الخطاب ، عن النبي ﷺ قال : « مَن لم يُبيِّت النية من الليل فلا صيام له » (١) . وفي حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أبي بكر الصدِّيق عن النبي ﷺ قال : « مَن لم يُبيِّت الصيام قَبْل طلوع الفجر فلا صيام له » (رواه الدارمى) (٢) .

وصلُّوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣)

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث حفصة رضي الله عنها مرفوعاً ، أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان وابن خزيمة والدارمى برقم (١٧٠٥) ، الباب العاشر ، وقال : باب مَن لم يجمع الصوم من الليل ، وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى : ٤/٢٠٢ ، وعقد عليه الباب قائلاً: باب الدخول في الصوم بالنية ، وذكر له الطرق العديدة من جملة كبيرة من أصحاب النبي ﷺ ، منهم حفصة زوج النبي ﷺ ، وعائشة رضي الله عنها ، ثم قال نقلاً عن الدارقطنى في آخر الباب : (٤/٢٠٣) : رجال إسناده كلهم ثقات .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦ – تفسير الآية (١٨٨) من سورة البقرة [١]

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ .... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [٢] ، جعل الأموال للناس قياماً محببةً للنفوس وجمالاً .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، قَسَم المعايش في هذه الحياة ، ورفع بعض الناس فوق بعض درجات [٣] .

وتقوى الله أفضل ما يطلب وخير ما يُقْتَنَى ، والقناعة كنز لا ينفد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ ﴾ [٤] .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومَن اهتدى بَهدْيه واتبع سبيله .

أما بعد . .

فبين أيدينا آيةٌ من سورة البقرة موجزةُ اللفظ واسعةُ المعنى شاملةُ المدلول ،

---

(١) ألقيت في ٢٦/ ١٠/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنعام آية رقم ١٦٥

(٤) سورة التوبة : ١٢٨

تقرر قاعدة من قواعد التعامل بالأموال ، وترسم النظام الذي يجب أن يكون عليه الترافع إلى القضاء ، هى قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨ ﴾ (١)

وفي مصحف أُبَيّ بن كعب (٢) : « ولا تُدلوا بها إلى الحكام » ، بتكرير : « لا » الناهية .

إنه من مصلحة استثمار الأموال وكثرة الكسب ، أن يكون التعامل بين الناس بالصدق والسماحة وحُسن الأخذ والعطاء ، وعلى وفق النظام الذي شرعه رب الناس ، لتحصل البركة والإقبال ، ولتحصل الثقة ولتكثر الحركة .

والخطاب في الآية لأمة محمد ﷺ ، كما يدل عليه سياق الآيات التي قبلها . والحكم عام لجميع الناس ، وإنما وُجِّه الخطاب إلى هذه الأمة لأنها هي المسئولة أمام الله عن تبليغ رسالة نبينا محمد ﷺ وتنفيذها ، ولأنها هي الأمة المهيَّأةُ من قِبَل الله لقيادة البَشر لِنَشر العدل ورفع الظلم ووضع الأمن ، ولقد كانت كذلك حينما كانت متمسكةً بكتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ ، معتصمة بحبل الله ، صادقة وعدها مع الله ، فلما تخلَّتْ عن القواعد التي هيّأتها للقيادة ، أُخذت منها وسُلبت حقوقُها وصارت في مؤخرة الركْب ، تابعة لا متبوعة ، مستضعَفة محتقرة ، فلا حول ولا قوَّة إلا بالله ، فنسأل الله أن يردها إلى ربها وإلى كتابها وإلى عزها ومجدها ، وأن يُعيد لها وظيفتها في هذه الحياة ، إنه على كل شيء قدير .

تأملوا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ (٣) لما كان

---

(١) سورة البقرة : ١٨٨

(٢) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره في هذا الموضع من سورة البقرة .

(٣) سورة البقرة : ١٨٨

أغلب مقاصد الإنسان في تحصيل المال والحرصِ عليه هو توفير الملذات والمشتهيات ، وأهمُّها وفي مقدمتها شهوة البطن وهى تَحْصُل بالأكل ، نصَّت الآية الكريمة على النهي عن الأكل ، والمراد النهي عن جميع التصرفات الباطلة كسباً وصرفاً وانتفاعاً ، سواء بالأكل أو بغيره كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ (١) .

ونسبة الأموال للمخاطبين يدخل تحته نهيُ الإنسان عن التصرف الباطل في مال نفسه ، فيحرم عليه أن يصرفه فيما حرَّم الله مثل المسكرات والمخدرات والزنا واللواط ، وآنية الذهب والفضة والإسراف والتبذير .... وغير ذلك مما نهت عنه شريعة الإسلام (٢) .

كما يدخل تحت معنى الآية : النهى عن تعامل الناس بعضهم مع بعض بالباطل ، فنسبة الأموال إذاً للمخاطبين فيه تحريك للمشاعر الحية ، وتأنيبٌ لمن يأخذ أموال الناس بغير حق . وذلك أن الأمة الواحدة بمنزلة الشخص الواحد ، فمالُ أخيك كأنه مالُك ، يجب أن تحترمه وأن تحرص على صيانته كما تحرص على مالك ، فمَن أخذ مال غيره بطريق غير مشروع فقد أكله بالباطل مثل القمار (٣) والسرقة والاختلاس وأنواع الغُصوب .

---

(١) سورة النساء : ١٠ .

(٢) جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد وردت في هذا المعنى الواضح ، ومنها ما ورد في النهى عن استعمال الأواني الذهبية والفضية ما أخرجه البخاري في الصحيح كتاب « الأطعمة » باب : ٢٩ ، وحديث رقم (٥٤٢٦) ، وهو من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، وهو يحدِّث عن حذيفة رضي الله عنه بسياق طويل وفيه هذا المعنى .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، البخاري برقم (٦١٠٧) الأدب ، ومسلم في الصحيح : الإيمان برقم (خاص ٥) ، و(عام ١٦٤٧) ، وفيه : « من قال لأحد : تعال أقامرك فليتصدق » ، ومن هنا كان القمار محرَّماً ..

وكلُّ مال اكتُسب بعُقُود محرَّمة مثل الربا بجميع أنواعه وطرقه وأساليبه ، ومهر البغي [١] ، وحُلوان الكاهن [٢] ، وعَسَب الفحل [٣] ، وأثمان المحرَّمات بجميع أنواعها وأجناسها . . . كل ذلك أكل للمال بالباطل .

إنَّ من أقبح الباطل أن يدَّعي إنسان على آخر بما لا يستحقه أو يجحَدَه ما يستحقه . ويترافعان إلى القاضي ، ولعل بعضهم أن يكون ألحن بالحُجَّة من الآخر [٤] ، أو يحضر بيِّنة زور أو يَحْلف كذباً ، فيأخذ من مال أخيه بدون حق ، فما يأخذه الكاذب عار ونار .

وكثيراً ما تحصل الخلافات والخصومات بين المُلاك والمقاولين على بناء العمائر ، فبعضُهم يكون ماكراً يُخطط للخبث عند التعاقد ، فيترك في العقد فَجَوَاتٍ يعرف كيف يدخل ويخرج منها ، فإذا بالمقاول يترك بعض الأعمال بأنها لا تلزمه ويطلب عليها أجراً آخر ، أو يحسب لنفسه من المسطحات ما لا يستحق ، أو يزيد في المقاسات ، وغير ذلك من المغالطات ، وإذا بالمالك هو الآخر يزعم بأن في البناء نواقص أو أخطاء أو سوء مواد أو سوء مصنعية ، وغير ذلك من التعليلات ، فَيُماطل بحق المقاول ويطالب بحسم ما يدَّعيه فما يأخذه أحدهما بلا حق باطل حرام .

وصنف آخر يأخذ أموال الناس ويتصرف فيها تصرفات سيئة ، فإذا حلَّ

---

(١) إشارة إلى حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه ، البخاري في البيوع ، الفتح : ٤/٣٥٣ ، ومسلم برقم (١٥٦٧) ، باب : ما جاء في ثمن الكلب .

(٢) هو نفس هذا الحديث أخرجه الشيخان ومالك في موطئه : ١/٦٥٦

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، مسلم في الصحيح في المساقاة برقم (خاص ٣٥) ، و(عام ١٥٦٥) ، والبخاري : الإجارة : ٤/٣٧٩

(٤) إشارة إلى حديث أم سلمة رضي الله عنها ، البخاري برقم (٢٦٨٠) الشهادات ، ومسلم : الأقضية ، حديث رقم (خاص ٤) .

الأجل ادَّعى الإعسار لِتُسدِّد عنه لجنةُ الوفاءِ عن المعسرين ، وبعضهم يحتال على أخذ المال بلا حق ويحرم المستحق ، فيتفق مع بعض أصدقائه أو أقربائه على إقامة دعاو صورية ضده ، فيعترف بها ، ثم يدّعي الإعسار ليتحصل على أموال من اللجنة أكثر مما عليه ، وهذا مع أنه أكلٌ لأموال الناس بالباطل ، فإنه يَضُر بالمدينين الآخرين فيضيِّق عليهم الأموال المعدَّة للوفاء عنهم .

ويجب أن يَعْلم كلُّ مدَّع ومُدَّعيً عليه أن حكم القاضي لا يُحل حراماً ولا يُحَرِّم حلالاً ، فما يأخذه المحكوم له من مال الآخر (١) وهو لا يستحقه في حقيقة الأمر ، فإنه حرام عليه لا يحل له ، إنما هو عار ودمار وخزي ونار .

والقاضي مأجور إذا اجتهد على اجتهاده ، ومأجور إذا أصاب على صوابه (٢) . استمعوا قول الصفوة المطهر – صلى الله عليه وسلم – عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم ألحنُ بحُجَّته من بعض ، فمن قضيتُ له بحقٍّ أخيه شيئاً – بقوله – فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها » . (متفق عليه واللفظ من صحيح البخاري) (٣) .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن اقتطع حق امرىءٍ مسلم

---

(١) إشارة إلى حديث أم سلمة رضي الله عنها ، البخاري : (٢٦٨٠) الشهادات ، ومسلم : الأقضية برقم (خاص ٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، البخاري برقم (٧٣٥٢) الاعتصام ، باب : ٢١ ، ومسلم : الأقضية ، حديث رقم (خاص ١٥) من هذا الوجه واللفظ .

(٣) هو حديث أم سلمة رضي الله عنها ، رواه البخاري : ٣/ ٢٣٥ ، باب : النية بعد اليمين من كتاب « الشهادات » ، فتح الباري : ٥/ ٢٨٨ (٢٦٨٠) الشهادات ، ومسلم : الأقضية برقم (٤) .

بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة » ، فقال له رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال : « وإن كان قضيباً من أراك » (رواه مسلم) [(١)] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَن ادَّعى ما ليس له ، فليس منا وليتبوأ مقعده من النار » . (رواه مسلم) [(٢)] .

فحكم القاضي يتعلق بالظاهر بحسب الدلائل والحجج والبيِّنات ، فيقطع النزاع ويرفع الخلاف ولا يغيِّر شيئاً من حكم الباطن ولا شيئاً مما عليه واقع الحال .

فالحلال ما أحلَّ الله ورسوله ، والحرام ما حرَّم الله ورسوله ، والقاضي لا يُحلِّل ولا يَحرِّم ، وسواء أكان ذلك في الأموال أو في الدماء أو في الأعراض والفروج [(٣)] .

واعلموا أيها المتخاصمون أنَّ من قُضِي له بما لا يستحق على خصمه ، فإنَّ هذه الخصومة لم تنته حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة فيقضي بينهما بالحق والعدل ، فيأخذ من الظالم ويعطي المظلوم أجود مما أُخذَ منه في الدنيا .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . راَقِبُوا ربكم ، ﴿ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [(٤)] .

---

(١) مسلم في الصحيح في « الإيمان » ، حديث رقم (١٣٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .

(٢) مسلم في الصحيح كتاب « الإيمان » حديث رقم (خاص ١١٢) ، و(عام ٦١) وهو من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٣) إشارة إلى ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه . انظر : الهداية : ١/١٤٢ ، ٣/٧٨ ، وشرح السُنَّة للإمام البغوي : ١٠/١١١ - ١١٢ ، وحديث أم سلمة رضي الله عنها يرد على هذا المذهب .

(٤) سورة لقمان : ٣٣

اتقوا يوماً لا ينفع فيه مال ولا بنون ، ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١) .

يجب على المسلم أن يَحْتَرِزَ من حقوق الناس ، وأن يميز بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام ، وبين العدل والظلم . يحرم على المسلم أن يدلي إلى القضاء بدعوى كاذبة ، ويحرم على المسلم أن يدليَ بإجابة كاذبة ليأخذ مال أخيه ، يحرم على المسلم أن يماطل بالحق الذي عليه فَمَطْل الغنى ظلم ، يحرم عليه أن يحاول إطالة المحاكمة وتأخير التنفيذ للإضرار بصاحبه والتشفي منه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢)

وإنما شرعت الخصومات للأخذ من الظالم للمظلوم .

قال الخليفة الراشد رضي الله عنه : « القوي منكم عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق ، والضعيفُ عندي قوي حتى آخذ له الحق » (٣) . رحم الله امرءاً سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى (٤) يعطي الحق الذي عليه كما يحب أن يُعطَى الحق الذي له ، « لا يُؤْمِن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٥) .

---

(١) سورة الشعراء : ٨٩

(٢) سورة النساء : ٢٩ - ٣٠

(٣) إشارة إلى خطبة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أو خطبة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .

(٤) في البيوع ، باب : السهولة والسماحة في الشراء والبيع : ٤/ ٢٦٠ الفتح ، والترمذي في جامعه برقم (١٣٢٠) البيوع من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى .

(٥) البخاري : الإيمان : ١/ ٥٣ ، ٥٤ الفتح ، وهو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، ومسلم برقم (٤٥) .

اللَّهم ألهمنا رشدنا ، وَقِنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

اللَّهم أغننا بالحلال عن الحرام ، وبفضلك عمن سوالك .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

*　　*

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تتمة تفسير الآية ١٨٨ من سورة البقرة
يَسِّروا ولا تُعسِّروا

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله في السر والعلن ، وأوصي الإخوة الذين يقومون على حوائج المسلمين بما وَصَّى به النبي ﷺ عُمَّاله .

فقال صلى الله عليه وسلم لأبي موسى ومعاذ بن جبل حينما بعثهما إلى اليمن : « يَسِّرا ولا تُعسِّرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا » (متفق عليه) (٢) .

وأُحذِّرهم مما حذَّر منه صلى الله عليه وسلم ، فعن عبد الله بن عمر

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) البخارى في كتاب « المغازي » من جامعه : ٨/ ٥٠ ، باب : بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ، ومسلم في الجهاد برقم (١٧٣٣) من هذا الوجه واللفظ بسياق طويل .

رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان » (متفق عليه) (١) .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « اللَّهم مَن ولى من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقق عليه ، ومَن ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به » (رواه مسلم) (٢) .

وعنها أيضاً - رضي الله عنها - عن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون من السابقون إلى ظل الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « الذين إذا أُعطوا الحق قبلوه ، وإذا سئلوا بذلوه ، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم » (٣) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ به بنفسه ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (٤) .

* * *

(١) البخاري : في الجامع في الحيل ، باب : إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت ، ومسلم في الصحيح في الجهاد برقم (١٧٣٦) ، وكلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) مسلم في الصحيح : الإمارة ، حديث رقم (خاص ١٩) ، و(عام ١٨٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وأخرجه البخاري أيضاً من هذا الوجه واللفظ ، وأحمد في المسند : ٦/ ٦٢

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٦/ ٦٧ ، ٦٩ من حديث عائشة رضي الله عنها وإسناده حسن لغيره لأجل وجود ابن لهيعة في الإسناد .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧ – تفسير الآية (١٩٦) من سورة البقرة [١]

﴿ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لله .... ﴾

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالَمين . دعا عباده لحج بيته الأمين ، ووعدهم بُحسن الضيافة ، وطَيِّب المقام ، وجزيل العطاء والثواب .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أمر بتطهير بيته للطائفين والعاكفين والرُكَّع السجود [٢] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خير مَن وقف في تلك المشاعر ، وطاف بالبيت العتيق .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على سيد الأوَّلين والآخرين ، وقائد الغر المحجلين ، نبينا محمد الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فمن آيات التشريع والأحكام آية محكمة من سورة البقرة تحمل طائفةً من أحكام الحج . هذه الآية العظيمة مبدوءة بالإخلاص لله ، ومختومة بالإخلاص ثم بالوعيد والتهديد لمن خالف أوامر الله ، وهي قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ

(١) ألقيت في ١٦/١١/١٤٠١ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة ، و٢٦ من سورة الحج .

﴿... مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ
فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ (١)

الإحرام ركن من أركان الحج والعمرة ، وهو نيَّة الدخول في النُسُك سواء تجرَّد من الثياب المألوفة ، أم لا ، فمتي نوي الإنسان الدخول في نُسُك الحج أو العمرة صار مُحْرِماً ، فيجب عليه اجتناب محظورات الإحرام ، ويجب عليه إتمام نُسُكه الذي دخل فيه سواء أكان نفلاً أو فرضاً ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (٢) ، فالإتمام هو الإتيان بجميع أعمال الحج أو العمرة من أولها إلى آخرها في أماكنها ومشاعرها على وفق ما جاءت به الشريعة المحمديةُ المطهَّرة ، مع اجتناب محظوراتها على أن تكون النيِّة خالصةً لله من أي شائبة أو مقصد آخر ، دنيوي سواء أكان مالياً أو اجتماعياً أو سياسياً : « إنما الأعمال بالنيِّات وإنما لكل امرىء ما نوى » (٣) ، فإن خالط القصد شيء من ذلك لم يكن خالصاً لله .

وإتمام الحج والعمرة لله هو القاعدة الكلية للنُسُك ، ولكن المُحْرِم قد يَعْرِض له في طريقه ما يَعُوقه عن إتمام نُسُكه إما عدوّ قاهر ، أو مرض مانع ، أو فواتٌ لسبب من الأسباب ، والإسلام هو دينُ اليسر والسماحة دينُ الرحمة ورفع الحَرَج .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

(٢) سورة البقرة : ١٩٦

(٣) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أخرجه جميع أصحاب الكتب السُّتَّة والمسانيد ، وهو أول حديث أخرجه البخاري : ٢/١ في الجامع الصحيح ، وهو أول وحي غير متلو إلى رسول الله ﷺ ، وقد عقد عليه البخاري الباب قائلاً : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ . .

لذلك استثنى من القاعدة العامة هذه الأحوال ، فبيَّنت الآية الكريمة حكم المُحْصَرِ بقوله : ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ (١) ، لما اعتمر النبي ﷺ ومَن معه من الصحابة سَنَة ست من الهجرة المباركة اعترض لهم المشركون في الحديبية ، ومنعوهم من الوصول إلى البيت العتيق ، فبيَّن الله حكم الإحصار (٢) ، وهو الهَدْى ثم التحلل ، فمن مُنع من الوصول إلى المسجد الحرام وهو مُحْرِم في نُسُك ذبح ما تيَّسر له من بهيمة الأنعام مثل الأضحية : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٣) ، وحينئذ قد حلَّ من إحرامه وبلغ أجره بنيِّته ، ويقضي حجة من قابل ، وإن كانت عمرة قضاها متى زال الإحصار لأن العمرة لا تتقيد بزمن فهي جائزة في كل الأيام .

وقوله : ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ ﴾ (٤) معطوفة على قوله : ﴿ وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ ﴾ (٥) ، قاله الحافظ ابن كثير ، فهي لبيان شيء من الأعمال التي يتم بها الحج ، وهو ترتيب الحلق بعد نحر الهَدْى لمن ساقه معه ، ومَحِلُه حينئذ الحرم المكي يوم النحر وأيام التشريق ، أما المُحْصَر فينحر هَدْيه حيث أُحْصِر .

وأما المرض المؤذي يصيب المُحْرِم فيحتاج معه إلى فعل شيء من محظورت الإحرام كاللُّبس أو تغطية الرأس أو حلق الشعر ، فيفعل ما يحتاج إليه ، ويفدي بواحدة من ثلاثة أشياء كما قال سبحانه : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (٦) يفدي بأيها أيسر له ،

(١) سورة البقرة : ١٩٦

(٢) إشارة إلى قصة الحديبية ، أخرجه البخاري في الصحيح : فتح الباري : ٧/ ٤٥٥ برقم (٤١٨٥) بمعناه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٦

(٤) سورة البقرة : ١٩٦

(٥) سورة البقرة : ١٩٦

(٦) سورة البقرة : ١٩٦

فالصيام ثلاثة أيام ، والصدقة إطعام ستة مساكين لكل واحد نصف صاع ، والنُسُك ما استطاع من بهيمة الأنعام من أصنافها الثلاثة . وهذه الآية نزلت في كعب بن عجرة رضي الله عنه لـمَّا تأذَّى من هوام رأسه (١) .

وأما الفوات فدليله خارج عن الآية ، وإنما ذكرته لإتمام الفائدة ، فالذي يفوته الحج لكونه لم يشهد الوقوف بعرفة حتى طلع الفجر يوم النحر وهو اليومُ العاشر من شهر ذي الحجة ، سواء أكان تخلُّفه لعطالِ سيارة أو لمتاهة طريق أو لجهل بالمكان ، بأن وقف في غير عرفة ، فقد فاته الحج لقوله صلى الله عليه وسلم : « الحج عرفته (٢) ، ويتحلل إذاً بعمرة ، فيطوف ويسعى ويحلق أو يقصر ولا شيء عليه ، ويقضي نُسُكه في العام القابل لقوله صلى الله عليه وسلم : « مَن فاته عرفاتٌ فقد فاته الحج ، وليتحلل بعمرة ، وعليه الحج قابل » (٣) .

وأما الذي يُفْسِد حَجَّه بجِماع سواء أكان ذكراً أو أُنثى ، فإن عليه بَدنةٌ ويمضي في فاسده ويقضيه في العام المقبل وجوباً (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ ﴾ (٥) . التمتع في

---

(١) إشارة إلى حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه ، البخاري في الصحيح برقم (١٨١٥) : الفتح : ٤/ ١٦

(٢) إشارة إلى حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ٤/ ٣٣٥ ، وأبو داود : برقم (١٩٤٩) ، والترمذي : برقم (٨٨٩) ، وإسناده صحيح ، وابن حبان في الصحيح : برقم (١٠٠٩) الموارد ، والبغوي في شرح السنة : ٧/ ٢٩٠ برقم (٢٠٠١) .

(٣) إشارة إلى حديث أخرجه مالك في موطئه : ١/ ٣٨٣ ، ورجال إسناده ثقات ، وأنه من فتوى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفتى به لأبي أيوب الأنصارى رضي الله عنه .

(٤) وأخرج معناه البيهقي في سننه الكبرى : ٥/ ١٦٧ ، وهو من فتوى ابن عباس رضي الله عنهما ، وإسناده صحيح إليه وهو بحكم المرفوع والله أعلم .

(٥) سورة البقرة : ١٩٦

اللغة : التلذذ ، وفي الشرع : إحرام « الأفقي » بالعمرة في أشهر الحج ، ثم يحج في تلك السنة فجمع بينهما في سفر واحد ، فعليه إذاً فدية التمتع ، وهي على الترتيب كما هو صريح النص ، أما « غير الأفقي » وهم أهل الحرم - فلا فدية عليهم .

والقارن بين الحج والعمرة في إحرام واحد عليه فديةً كالتمتع ، وأما المفرد بالحج فلا فدية عليه لأنه لم يجمع نُسُكين في سفر واحد . والأنساك الثلاثة كلها جائزة باتفاق الأئمة ، وإنما اختلفوا في أيها أفضل ، فقالوا : أفضلها التمتع ، ثم القران ، ثم الإفراد ، لكن يُستحب لمن كان قارناً أو مفرداً ولم يسق معه هَدْى أن يتحلل إلى عمرة ، فيطوف بالبيت ويسعى ويقصر ، ثم يُحْرِم بالحج لأمره صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اتق الله أيها الحاج ، أخلص العمل لله ، وعلّق قلبك بالله ، ولا تطلب قضاء حوائجك إلا من الله ، فهو قاضي الحاجات وهو مجيب الدعوات ، وهو القادر على كل شيء ، ومَن سواه محتاج إليه .

اللّهم إنَّا نسألك الهداية والثبات ، ونسألك التوفيق والرعاية .

اللّهم انفعنا بالقرآن العظيم ، وتقبّل منا إنك أنت السميع العليم ، وتُبْ علينا إنك أنت التَّواب الرحيم .

اللّهم إنَّا نستغفرك فاغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ، ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير الآية (١٩٧) من سورة البقرة في الحج

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . اللَّهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فلما بيَّنت الآية السابقة عدداً من أحكام الحج تلتها آية تبيِّن السلوك الذي يجب على الحاج أن يتخلق به ، وتأمره بالابتعاد عن نزعات النفس ، وشطحات التصور ، وذميم الأخلاق : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ (١) .

فالرفث : هو الجِماع ودواعيه ، والفسوق : هو الخروج عن الطاعة ، والجدال : هو الخلاف والشقاق . وذلك أن الإنسان فيه قُوَى أربع : قوة عقلية وهى التي تحث على الخير والاستقامة والسلوك الحسن ، وقوة شهوانية تحمله على المعصية ، وقوة غضبية تُخرجه عن الطور المألوف ، وقوة وهمية تحمله على التعصب للرأي والانتصار له . فإذا غلبت القوة العقلية على القُوَى الأخرى ، حصلت الاستقامة والصلاح وحسنُ السلوك ، وإن غلبت إحداهن

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

ظهرت آثارها على الجوارح ، فالوحي السماوي يخاطب العقول ، يخاطب أُولي الألباب ، يخاطب أُولي النُهَي ، يحرِّك العقول المتقية إذا خمدت ، وينشطها إذا ضعفت ، ويشجعها إذا جبنت .

والتقوى : هى الطاقة التي تعطي العقول والأرواح قوة وحيوية ، كما يعطي الغذاءُ الأجسامَ قوة ونشاطاً .

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ (١) .

فأوصيكم وإياي بتقوي الله . .

أيها المسلم ؛ اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فاعلم أنه يراك (٢) .

وأكثروا من ذكر الله وتعظيمه وتسبيحه وتقديسه ، والصلاة على النبي ﷺ فإن الدعاء لا يُرفع إلا بالصلاة عليه (٣) . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٤) .

* * *

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، الشيخان في صحيحيهما ، البخاري : الفتح : ١/ ١١٤ برقم (٥٠) بسياق طويل . . .

(٣) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذا المعنى ، الترمذي في جامعه : ٢/ ٣٥٦ برقم (٤٨٦) ، ولفظه : « إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ » ، وقد ذكره ابن كثير في التفسير مع الشواهد الأخرى : ٥/ ٥٠٧ - ٥٠٨

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨ - تفسير الآية (٢٢٢) من سورة البقرة [(١)]

﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ، قُلْ هُوَ أَذىً ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [(٢)] . يُحب التوَّابين ويُحب المتطهرين [(٣)] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن الفحشاء والمنكر [(٤)] ، وأحلَّ الطيبات وحرَّم الخبائث [(٥)] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بيَّن طريق الخير ورغَّب فيه ، وحذَّر من طرق الضلالة والردى [(٦)] .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله وعمل بسُنَّته .

أما بعد . .

فإنَّ الإنسان لم يُخلق عبثاً ولن يُترك سدىً [(٧)] ، وليست حياتُه فَوضى

---

(١) ألقيت في ٢١/٣/١٤١٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٥٧ من سورة البقرة .

(٤) إشارة إلى الآية ٩٠ من سورة النحل .

(٥) إشارة إلى الآية ١٥٧ من سورة الأعراف في وصف الرسول ﷺ .

(٦) هذا المعنى مأخوذ من سيرة الرسول الكريم ﷺ وسنته المطهرة الصحيحة والقرآن أكبر شاهد على ذلك .

(٧) إشارة إلى الآية ٣٦ من سورة القيامة .

ولا وفق هواه ، إنما هي حياةٌ منظمةٌ عامرة بالتكليف ، فليس لدى المسلم الملتزم فراغ يحتاج إلى إشغال ، والقرآن الكريم هو كلامُ العليم الخبير يُنظم حياةَ المسلم ويعالج مشكلاتها والطواريء عليها ، يعيش مع المسلم في خصائص ذاته لا يهمل منها شيئاً ، ويُنظِّم لقاءه بزوجه في فراشه ، فَهيَّا بنا نتأمل قول الخالق تبارك وتعالى في هاتين الآيتين من سورة البقرة : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١) ، ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

كان اليهود يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها ، فلا يجالسونها ولا يُساكنونها ، ولا يواكلونها ، ولا يشاربونها (٣) ، وكان بعض العرب أخذ عادة اليهود . أما النصارى فكانوا لا يبالون بالحيض فكانوا يجامعون نساءهم في المحيض . نجس فى نجس ، نجس عمل ونجس اعتقاد .

فلما جاء الإسلام بالطهارة والنزاهة ، وبالرحمة والشفقة وإكرام المرأة ، تَحَرَّج المسلمون من عادة اليهود ومن فعل النصارى ، فسأل بعضُ الصحابة رسول الله ﷺ عما يحل للرجل من امرأته وهى حائض ، فسمع الله سؤالهم وعلم صالح نيتهم فأجابهم من فوق سبع سموات : ﴿ ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ .... الآية ، فقال

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٢ ، وبنحو معناها ورد الحديث الصحيح أورده الإمام ابن كثير في تفسيره موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما ، انظر التفسير : ١/٤٥٨

(٢) سورة البقرة : ٢٢٣

(٣) مسلم في الصحيح : الحيض برقم (خاص ١٦) ، و(عام ٣٠٢) ، وهو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » [١] ، فبلغ ذلك اليهود ، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه [١] .

فكلمة « المحيض » تكون مصدريةً ، وتكون ظرفيةً ، فَهي في قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض ﴾ مصدرية ، أي عن الدم السائل من الرحم ، قل : هو أذى . والعاقل يجتنب الأذى ويَحْذَرُ منه ، فهو أذى في كل صفاته ، يُضِر بالرجل وبالمرأة وبالنطفة .

وأما فى قوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ فهي ظرفية ، أي فاعتزلوا النساء في مكان الحيض حال سيلان الدم ، أما المباشرة دون المحل فهي مباحة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » [٣] ، أي الجِماع ، والمباشرة فيما دون المحل وسيلةٌ لقضاء الوطر وتطييب لخاطر المرأة وإظهار للود ، وبيانُ أن مكانتها الزوجية عند بعلها لم تتغير لوجود العادة الشهرية .

والحيضُ دم جبلة يُرخيه الرحم إذا بلغت المرأة ، ثم يعتادها في أوقات معلومة ، خلقه الله لحكمة تغذية الولد ، فالجنين يتغذى بدم أمه ، ولذلك

---

(١) أخرجه مسلم في الحيض ، باب : جواز غسل المرأة الحائض رأس زوجها ، البخارى (٣٠٢) ، وأبو داود في الطهارة ، باب : مؤاكلة الحائض ومجالستها ، البخاري (٢٥٨) ، وفي النكاح (٢١٦٥) ، والترمذي في التفسير (٢٩٧٧) ، أحمد : ١٣١/٣ ، وابن ماجه ، باب : ما جاء في مؤاكلة الحائض وسؤرها (٦٤٤) .

(٢) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح : الحيض رقم (خاص ١٦) ، و(عام ٣٠٢) ، الباب الثاني ، وقد عقد عليه النووي الباب ، باب : الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد .

(٣) جزء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، الحيض برقم (خاص ١٦) ، و(عام ٣٠٢) بسياق طويل .

لا تحيض الحامل ؛ وإن وُجِد دم فهو فساد لا تترك الصلاة والصوم من أجله [١] ، فإذا وضعت الحامل الولَد حوَّل الله ذلك الدم إلى الثديين فصار لبناً يتغذى به الطفل ، ولذلك قلَّ أن تحيض المرضع ، فإذا لم يكن حمل ولا إرضاع صار ذلك الدم فضالةً يُخرجها الرحم بصفة منتظمة .

وأقل مدة الحيض بالاستقراء يومٌ وليلة ، وأكْثَرُه خمسةَ عشر يوماً ، وغالبه ست أو سبع ، فما نقص عن يوم وليلة فليس بحيض ، وما زاد عن خمسة عشر يوماً فكذلك ، إنما هما دمُ فساد تصوم المرأة وتصلي [٢] ، وقد تزيد أيامها عن ست أو سبع ، وقد تنقُص ، وقد تنتقل من وقت إلى آخر ، وقد تنقطع ، ولكل حالة أحكامها .

ومتى انقطع دمها وجب عليها الغُسل بالماء ، فَتَنْقُضُ شعرها وتضربه بالمشط وتُنَقِّيه ، فإن لم تجد ماء تيَّممت حتى تجد الماء لقوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦ ﴾ [٣] .

وقد علَّق الشرعَ على الحيض أحكاماً ، منها تحريمُ وطء الحائض في المحل ، لقوله تعالى : ﴿ فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾ [٤] .

ومنها أنه يُسقط وجوب الصلاة عنها مدة عادتها فلا تُصلِّي ولا تقضي

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها في باب الاستحاضة ، الفتح: ١/٣٤٨ ، ونحوه مسلم في الصحيح برقم (٣٣٣) : الحيض باب المستحاضة وغسلها .

(٢) إشارة إلى حديث أم سلمة رضي الله عنها ، الترمذي برقم (٢٧٤) ، باب : في المرأة تستحاض ، والنسائي في الصغرى : ١/١٨٢ ، باب : المرأة يكون لها أيام معلومة تحيضها كل شهر .

(٣) سورة المائدة : ٦

(٤) سورة البقرة : ٢٢٢

الصلاة [١] ، ومنها أنه يمنع الصيام ، فلا تصوم وقت العادة وتقضي مدة ما أفطرت من أيام أُخر [٢] .

ويمنع قراءة القرآن ومسَّ المصحف ، واللبث في المسجد [٣] ، فلا تطوف بالكعبة المشرَّفة حتى تطهَر وتتطهر .

ومنها تحريم الطلاق وقت العادة لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [٤] ، ولما طلَّق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما امرأته وهي حائض ، أمره النبي ﷺ بمراجعتها وإمْساكها حتى تطهر [٥] ، ثم إن عزم الطلاق طلَّقها في طُهْرٍ لم يجامعها فيه ، وهل يُعتد بالطلاق وقت الحيض ؟ فيه خلاف بين العلماء .

وجُعلت عدتُها في الطلاق ثلاثةُ قروء ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [٦] ، أما الآيسة والصغيرة فثلاثةَ أشهر ، وأما المتوفَي عنها زوجها فأربعةُ أشهر وعشرةُ أيام من تاريخ الوفاة، وعدة الحامل وضع حملها.

وإذا تأملنا قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [٧]

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، الترمذي برقم (٨٨٧) في الصوم ما جاء في قضاء الحائض الصيام دون الصلاة ، وقال : حديث حسن ، ونحوه مسلم برقم (٣٣٥) من حديث معاذة العدوية عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) إشارة إلى عدة أحاديث منها حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح برقم (٣٣٥) في هذا المعنى .

(٣) هذا قول عامة أهل العلم نقله البغوي في شرح السنة : ٢/ ١٣٤ - ١٣٥

(٤) سورة الطلاق : ١

(٥) أخرجه البخاري في كتاب « الطلاق » ، باب : قول الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ﴾ ، ومسلم في كتاب « الطلاق » ، باب : تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ، البخارى : ٧/ ٥٢ ، ومالك في الموطأ : ٢/ ٥٣ (٥٧٢) باب : ما جاء في الأقراء ومدة الطلاق وطلاق الحائض .

(٦) سورة البقرة : ٢٢٨

(٧) سورة البقرة : ٢٢٢

قوله تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (١) عرض سؤال يطرح نفسه : ما هو الذي أمر الله وما هو الحرث ؟

الجواب : أمر الله تعالى بالطيب ونهى عن الخبث ، والحرث : هو مكان الولد الذي يغرس فيه الرجل نطفته يبتغي ما كتب الله ، والمباشرة مباحة فهي من الطيب ، فما عدا الطيب وما عدا مكان الولد فهو خبث مُحَرَّم ، فيحرم على الرجل أن يواقع زوجه في الدُبُر سواء أكانت في العادة أو طاهراً .

لقد وردت أحاديث كثيرة مروية من طرق متعددة ، ذكرها ابن كثير رحمه الله في التفسير تنهى الرجال عن إتيان النساء في أحشاشهن (٢) ، منها ما رواه الحسن بن عرفطة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استحيو من الله ، فإن الله لا يستحي من الحق ، لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن » (٣) ، وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي بأسانيدهم إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ملعون مَن أتى امرأته في دُبُرها » (٤) . وفي رواية : « ملعون مَن أتى النساء في أدبارهن » (٥) ،

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٣

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره : ١/٤٥٨ - ٤٧١ ، فقد استوعب الموضوع تماماً .

(٣) أورد الحديث الإمام ابن الأثير في « النهاية » : ١/ ٣٩٠ ، ولم يعزه إلى أحد المخرجين ، ونحوه أورد الإمام ابن كثير في تفسيره : ١/٤٦٨ - ٤٦٩ ، نقلاً عن الإمام الأثرم بإسناده من سننه مرفوعاً [محاش النساء حرام] .

(٤) أبو داود في جامع النكاح (٢١٤٨) ، وابن ماجه (١٩٢٣) من حديث أبي هريرة أيضاً ، وأحمد : ٢/٤٤٤ ، ٤٧٩ ، راجع عون المعبود : ٦/١٩٨ ، ففيه زيادة فائدة ، وصححه البصيري في الزوائد .

(٥) الترمذي في التفسير ، باب : ومن سورة البقرة (٢٩٨٠) ، والطبري (٤٣٤٧) والواحدي في أسباب النزول ص ٤٨ ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

وسأل رجلٌ علياً رضي الله عنه عن إتيان المرأة في دُبُرها ، فقال رضي الله عنه : سُفلتَ سفل الله بك ، ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١) ، وسأل رجل ابن عمر ، فقال : وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين ؟ ، وأطلق بعض السَلَف الكفر على هذا العمل الخبيث . إذاً ما معنى قوله تعالى : ﴿ فأتوا حرثكم أنَّى شئتم ﴾ ؟

قال القرطبي رحمه الله : الحرث مكان الولد ، فالآية نص في إباحة الحال إذا كان الوطء في موضع الحرث ، أي كيف شئتم مقبلات مدبرات ، وذِكْر الحرث يدل على أن الإتيان في غير الحرث محرَّمٌ .

وروي الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ هلكتُ . قال : « وما أهلكك » ؟ قال : حوَّلت رَحْلي الليلة ، فنزلت : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (٢) « اقبل وأدبر واتقي الدُبُر والحيضة » .

والرجل لا يحل له من زوجته إلا ما أحلّ الله ، وعند أصحاب أبي حنيفة أن حكمَ مَن أتى امرأته في دُبُرها حكم اللوطي ، ولأن القذر والأذى في موضع النجْوِ أكثرُ من دم الحيض فكان أشنع .

وروى عن طاوس أنه قال : كان بدءُ عمل قوم لوط إتيانَ النساء في أدبارهن ، فاعتادوا اللواط ووقعوا في الذكران ، فكانت عقوبتهم كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾(٣) ،

---

(١) سورة الأعراف : ٨٠

(٢) سورة البقرة : ٢٢٣

(٣) سورة هود : ٨٢ - ٨٣ ، وراجع تفسير ابن كثير : ٥٦٨/٧ - ٥٧٠

فليست هذه العقوبة لقوم لوط وحدهم ، وإنما يعاقَب بها كل ظالم يتعدى حدود الله ويستبيح ما حرَّم الله .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ما بال أقوام تتشكى أزواجهم بأنهم يطلبون ما حرَّم الله ، أليسوا مسلمين ؟ أليسوا طاهرين ؟ أليس فيما أحلّ الله يكفيهم ؟

اتقوا الله أيها الناس ، واخشوا سطوته ومقته وعقوبته ، أما يخشى أولئك أن تأتيهم غاشية من عذاب الله ؟

اللَّهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت (١) ، واغننا بالحلال عن الحرام (٢) وبالطيِّب عن الخبيث ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما بهذا اللفظ . أحمد في المسند : ١/ ٢٠٠ وإسناده حسن .

(٢) إشارة إلى حديث علي رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ١/١٥٣ ، وإسناده صحيح مرفوعاً . . .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تفسير آية الإنفاق في البقرة ٢٦١
القرض الحسن

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [١] ، يعطي كثيراً فضلاً منه وإحساناً ، ثم يطلب قرضاً مردوداً أضعافاً [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، يعطي الجزيل ويقبل القليل .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أجود من الريح المرسلة .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اقتفى أثره واتبَّع سبيله .

أما بعد . .

فإن من فضل الله وعظيم إحسانه ، رزقه العبد رزقاً حلالاً ، ثم يطلب منه قرضاً حسناً مثاباً أضعافاً مضاعفة ، إنه الجود والكرم ، قال تعالى :

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٤٥ ﴾ [٤] .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ٢٤٥ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنه ، البخاري : برقم (٦) بدء الوحي ، الفتح : ١/ ٣٠ الفتح في وصف الرسول ﷺ .

(٤) سورة البقرة : ٢٤٥

قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت الآية في أبي الدحداح . قال : يا رسول الله ؛ إن لي حديقتين ، فإن تصدّقتُ بإحداهما فهل لي مثلاهما في الجنة ؟ قال : « نعم » ، قال : وأم الدحداح معي ؟ قال : « نعم » ، قال : والصبية معي ؟ قال : « نعم » ، فتصدَّق بأفضل حديقتيه وكانت تسمى الحنينية . قال : فرجع أبو الدحداح إلى أهله وكانوا في الحديقة التي تصدَّق بها فقام على باب الحديقة وذكر ذلك لامرأته ، فقالت أم الدحداح : بارك الله لك فيما اشتريت ، فخرجوا منها وسلَّموها ، فكان النبي ﷺ يقول : « كم من نخلة رَداح تدلي عروقها في الجنة لأبي الدحداح » (١) .

والآية الكريمة لم تُبيِّن مقدار الجزاء إلا مجملاً ، أضعافاً كثيرة ، لكن في آية أخرى مثَّل الصدقة بالحبة تُزرع في أرض خصبة ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) ، هذه الآية تبين شرف النفقة في سبيل الله ، وفيها حث على الصدقة وترغيب في الجود والكرم والبذل والعطاء ، فإن الصدقة مُضاعفة عند الله للمتصدق . . « وما نقصت صدقة من مال شيئاً » ، روى ابن ماجه بسنده عن عليّ بن أبي طالب ، وأبي الدرداء ، وعبد الله بن عُمر ، وأبي أمامة الباهلي ، وعبد الله بن عَمرو ، وجابر بن عبد الله ، وعمران بن حصين ، كلهم يحدِّث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَن أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته ، فله بكل

---

(١) وهو بهذا المعنى في صحيح ابن حبان : ١٦/ ١١٣ ، البخاري (١٧٥٨) ، ولفظه : « كم من عذق لأبي الدحداح معلق في الجنة » ، قال محققه : وإسناده حسن على شرط مسلم ، وأورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ١/ ٥٣١ ، نقلاً عن تفسير ابن أبي حاتم ، حدثنا الحسن بن عرفه ، حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله ابن الحارث عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً . ا هـ .

قلت : هذا شاهد قوي لحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي عزاه إليه المحقق . والله أعلم .

(٢) سورة البقرة : ٢٦١

درهم سبعمائة درهم ، ومَن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم » : ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ ﴾ (٣) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (٤) .

* * *

---

(١) سورة البقرة : ٢٦١

(٢) سورة البقرة : ٢٥٤

(٣) سورة المنافقون : ١٠

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩ - تفسير الآية (٢٥٥) من سورة البقرة [١]

آية الكرسى

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، المَلِكُ الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأوَّلين والآخرين .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد . .

فإن في كتاب الله عَزَّ وجَلَّ آيةً جليلةً عظيمة عميقة الدلالة واضحة المعاني محكمة التنزيل ، تشتمل على عشر جمل وعلى عددٍ من صفات الله ، مَن تحصَّن بها حفظه الله ، ومَن استشفى بها شفاه الله ، قوةٌ لمن عمل بها ، وهدىً لمن فقه معناها . هى أعظم آية في كتاب الله .

إنها آية الكرسي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ (٣) .

---

(١) ألقيت في ١١/٣/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ١ - ٢

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥

هذه عشر جمل : فلنتدبر معناها لعل الله أن ينفعنا بها .

الجملة الأولى : ﴿ الله لا إلَه إلا هو ﴾ ، قال ابن كثير رحمه الله (١) : هذا إخبار بأنه المتفرد بالإلَهية لجميع الخلائق .

أخي المسلم : هذه هي كلمة الإخلاص ، وهي أساس المنهج الإسلامي ، وهي قاعدة الإيمان ، من أجلها بُعثت الرسل ، وعليها وقعت الخصومة بين الرسل وأممهم . فيجب على المؤمن أن يتجه إلى الله وحده بالعبودية الخالصة والاستسلام الكامل والانقياد المطلق لدين الله وشريعة رسوله ﷺ ، فلا يعبد إلا الله ، ولا يدين إلا بدين الله ، ولا يحكم إلا بما أنزل الله ، ولا يسير إلا على صراط الله : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (٢) .

الجملة الثانية من آية الكرسي : ﴿ الحي القيوم ﴾ : قال ابن كثير : الحي في نفسه الذي لا يموت أبداً القيم على غيره ، فجميع الموجودات مفتقرة إليه ، وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره .

إن حياته تعالى حياة أزليةُ أبدية لا مبدأ لها ولا تنتهي إلى غاية ، حياةٌ تليق بعظمته وجلاله وقيوميته ، فهو المتكفل بأرزاق خلقه ورعايتهم وتدبير شئونهم ، فيجب على المسلم أن يكل أموره إلى الله ، وأن يطلب قضاء حاجاته من الله ، ولا يطلب من أحد شيئاً لا يقدر عليه إلا الله .

الجملة الثالثة : ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ : أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهولٌ عن خلقه ، بل هو القائم على كل نفس بما كسبت . عن أبي موسي الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ أربع كلمات قال : « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يَحْفِظ القِسط ويرفعه ،

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣٠٨/١

(٢) سورة الأنعام : ١٥٣

يُرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل وعملُ الليل قبل عمل النهار ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما ينتهي إليه بصره من خلقه » [(١)] .

الجملة الرابعة ، قوله تعالى : ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾ : فكل ما في الوجود ، الأرضُ والسماءُ وما فيهما وما بينهما ، مِلْكٌ لله وتحت قهره وتدبيره ، في قبضته وتحت إرادته ، يحيي ويميت ، يخلق ويرزق ، ويُعز ويذل ، ويرفع ويخفض ، يرحم ويعذب ، يعطي ويمنع . ملكيةٌ مطلقة شاملة بلا قيد ولا شرط ، بلا شريك ولا معين ، وما يحصل في أيدي الناس من الأموال فإنها ودائع وعارية من المالك الحقيقي جلَّت عظمته وتقدَّست أسماؤه، لتحقيق الحكمة البالغة ولينظر ماذا يعملون .

إن من قواعد الإسلام أن يؤمن العبد بأنه مِلْكٌ لله ، وما في يده ملك لله ، فلا يجوز لأحد أن يتصرف في نفسه ولا في شئونها ولا في ماله إلا بما شرع الله وعلى وفق نظام الإسلام ، وأي تصرف يخالف نظام الله فهو تصرف باطل غير نافذ شرعاً ، إن ملكيتك أيها الإنسان ملكية محدودة ، مؤجلة إلى أجل معدود ، ثم يرجع المال إلى المالك الحقيقي يُصَرِّفه كيف يشاء ، ويُقسِّمه على الورثة بتقسيم الله ، فإذا عرف الإنسان هذه الحقيقة وأنه وما في يده مِلْكٌ لله ارتاحت نفسه وقنع بما حصل له من رزق الله ، فتنكسر حدَّة الشر من نفسه ، وحدَّة الشُح والطمع ، ويستبدلها سماحة وجوداً واطمئناناً ، فلا يفرح بما أوتي ، ولا يأسى على ما فات .

---

(١) إسناده صحيح على شرط البخاري ، وهو في كتاب « التوحيد » لابن خزيمة ص ١٩ ، وأخرجه ابن منده في « الإيمان » ص ٧٧٨ من طريق عثمان بن أبي شيبة ، وأخرجه الطيالسي ص ٤٩١ ، وأحمد : ٤/ ٣٩٥ ، ٤٠١ ، ومسلم في « الإيمان » باب في قوله عليه السلام : « إن الله لا ينام » ، وابن ماجه ص ١٩٥ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ١٨٠ ، والبغوي في شرح السُنَّة من طرق عن عمرو بن مرة .

الجملة الخامسة من آية الكرسي : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ : من عظمته وجلاله وكبريائه سبحانه لا يتجاسر أحد أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه كما في حديث الشفاعة عن النبي ﷺ قال : « آتي تحت العرش فأخِرُّ ساجداً فيدَعُني ما شاء الله أن يدَعَني ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وقل تُسمع ، واشفع تُشَفَّع » (١) .

ومن هنا يظهر خطأ جميع التصورات المنحرفة التي تزعم أن لله تعالى من البَشر خلفاءَ يستمدون سلطانهم من قربهم لله فيطلبون منهم الشفاعة عند الله ، وهذا خطأ ، فإنما تُطلب الشفاعة من الله ، فيقال : اللَّهم شَفِّع فيَّ نبيك ﷺ ، اللَّهم إني أسألك شفاعة نبيك محمداً ﷺ : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ (٢) ، ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (٣) .

الجملة السادسة : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ : تحديد لموقف المخلوق من الخالق ، فهو سبحانه عليم بما يفعله الإنسان في حاضره ، وبما عمله في ماضيه ، وبما سيعمله في مستقبله ، يعلم ما في نفسه وخطرات فؤاده وحركات جوارحه ، فيجب على الإنسان أن يكون دائماً على صلة بالله ، وعلى تقوى وخشية من الله ، وعلى رغبته فيما عند الله .

---

(١) مسلم : ١/ ١٨٠ ، كتاب « الإيمان » ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة والبخاري (١٩٣) ، (٣٣٢) وهو حديث طويل ، وأخرجه ابن منده في كتاب « الإيمان » ص ٨٦٤ ، وابن أبي عاصم في السُّنَّة ص ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، وأخرجه الإمام البخاري في الرقاق : فتح الباري : ٥/ ٦٥٦ ، باب : صفة الجنة والنار عن مسدد عن أبي عوانة به ، والإمام أحمد في المسند : ٣/ ١١٦ ، وابن خزيمة في التوحيد ص ٢٤٧ ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ص ٨٣٠

(٢) سورة الأنبياء : ٢٨

(٣) سورة طه : ١٠٩

الجملة السابعة : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ : كل ما يحصل للإنسان من علم أياً كان نوعه فإنما هو بتعليم الله له : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) ، فكل ما نشاهده من اكتشافات وصناعات ومعرفة لبعض خصائص هذا الكون إنما هو بتعليم الله ، وما خفي على الإنسان أكثر وأكثر ، فالإنسان لا يعلم كثيراً من خصائص نفسه ، ومهما بلغ من العلم والمعرفة والاكتشافات فإنه لا يعلم سِرَّ حياته ولا سر موته ، ولا حقيقة روحه ولا أجله ، وما يدري ماذا يكسب غداً ، وما يدري بأي أرض يموت ، ولا يدري هل سيُنجب أولاداً أم يكون عقيماً ، ولا يدري أذكوراً أم أناثاً ، أم يزوِّجُ ذكوراً وإناثاً ؟ فلا يعلم شيئاً من ذلك إلا بعد وقوعه . فاتقوا الله عباد الله .

الجملة الثامنة : ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ : قال الإمام الطحاوي الحنفي رحمه الله : العرش والكرسي حق .

وقال ابن جرير رحمه الله : قال أبو ذر رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراني فلاة من الأرض » (٣) .

ورَوَى ابن أبي شيبة رحمه الله في كتاب « صفة العرش » ، والحاكمُ في

---

(١) سورة النحل : ٧٨

(٢) سورة الصافات : ٩٦

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ، فتح المجيد ص ٥١٢ (٥٧٩٤) من طريق يونس وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي كان صالحاً في دينه مغفلاً في روايته فتركوه ، وأخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ من طريق الحسن بن عرفة العبدي عن يحيى بن سعيد السعدي ويحيى لا يتابع على حديثه كما قال العقيلي في « الضعفاء » .

مستدركه - وقال : إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما (١) قال : الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يَقْدر قدره إلا الله (٢) .

الجملة التاسعة : ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ : أي لا يكرثه ولا يثقله حفظ السموات والأرض ومَن فيهما وما بينهما ، بل ذلك سهل عليه ، والأشياءُ كلها في قبضته ، وهو الحافظ لكل المخلوقات ومستغن عن جميع خلقه ، العرشِ والكرسي وما تحتهما ، ولولا حفظه لتحطمت السموات ولتمزقت الأرض ، ولولا حفظه للبَشر لاجتالتهم الشياطين ولهلكوا في الغابرين .

الجملة العاشرة والأخيرة : ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ : فيها إثبات صفة العلو والفوقية لله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ (٣) ، بل رفعه الله إليه . ومَن تأمل القرآن والأحاديث وكلام السلَف الصالح وجد فيه إثبات العلو والفوقية لله تعالى ، فهو سبحانه بائن من خلقه مستوٍ على عرشه ، والكل في قبضته . ومذهب السلَف الصالح الإيمان بما جاء من عند الله وبما أخبر به رسول الله ﷺ ، ووصفُ الله سبحانه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ ، إثباتاً بلا تشبه ولا تمثيل ، وتنزيها بلا تحريف ولا تعطيل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٤) .

---

(١) ابن أبي شيبة في كتاب « العرش » : ١/ ١١٤ ، ورواه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير من طريق آخر .

(٢) هو في صفة العرش لابن أبي شيبة ورقمه (١١٤) ، والحاكم في المستدرك : ٢/ ٢٨٢ من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد ، وأخرجه الطبري (٥٧٩٢) ، والطبراني (١٢٤٠٤) ، والدارقطني في أحاديث النزول ص ٤٩ ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٦/ ٣٢٣ ، وقال رجاله : رجال الصحيح .

(٣) سورة النحل : ٥٠

(٤) سورة الشورى ، آية : ١١

الإسلام وَسَطٌ بين طرفي نقيض ، وأهل السُّنَّة وَسَط بين طرفي نقيض ، فمَن شبَّه شيئاً من صفات الله بشيء من صفات خلقه فقد أخطأ وتاه الطريق ، ومَن حرَّف كلام الله وكلام رسوله وعطَّل أسماء الله وصفاته فقد أخطأ وتاه الطريق ، وأهل السُّنَّة والجماعة وَسَط بين هذين الطرفين ، إثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل .

سُئل الإمام مالك رحمه الله عن الاستواء فقال : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » .

فاتقوا الله أيها المسلمون . .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ (١) .

اللَّهم إنَّا نسألك الثبات على الأمر ، والعزيمة على الرشد .

اللَّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل وارزقنا اجتنابه .

اللَّهم اهد ضال المسلمين ، وأرشد التائهين .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

(١) سورة النساء : ١٣٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اختيار المدرس الصالح

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . . لا نحصي ثناءً على الله .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإنَّ هذه البلاد المحروسة - المملكة العربية السعودية - تسير في عقيدتها وتصوراتها ومنهجها ونظامها على وفق كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وعلى مذهب السَلَف الصالح على ما كان عليه عصر النبي ﷺ وعصر الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فالمملكة متمسكة بعقيدتها وتوحيدها وفضائل دينها ، فيجب على كل معلم يخشى الله ويتقيه ألا يدخل على طلابنا وأبنائنا وبناتنا شيئاً من الدسائس على عقيدتنا ومنهجنا الإسلامي الشرعي ، كما يجب على المسئولين في المدارس والكليات أن يختاروا المدرس الصالح ، ويَحْرم إسناد الأمر لغير أهله ، ومن واجب الطالب المسلم أن يحافظ على عقيدة أهل السُنَّة والجماعة ، فإنها توافق الفطرة السليمة وتنكر ما يخالفها ، وأن يرفض كل دسيسة تحصل من أى إنسان .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، راقبوا الله .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠ - تفسير الآية (٢٨٢) من سورة البقرة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمّىً فَاكْتُبُوهُ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون : أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٢) .

أيها المسلمون : إننا نقرأ كتاب الله الكريم ونسمعه وتمر علينا آية عظيمة كثيرة الخير والبركة ، قد اشتملت على أحكام وتوجيهات وإرشادات لتوثيق الحقوق وإثباتها ، محافظة عليها ومحافظة على صدق المعاملة وصلاحها ، ولدفع الشقاق والخلاف عن المسلمين . إبقاءً للأخوة الإسلامية والمحبة والمَودَّة بينهم .

---

(١) سورة الكهف : ١

(٢) سورة الحديد : ٢٨

إنها آية الدَّيْن في آخر سورة البقرة (١) ، هى أطول آية في كتاب الله ، ذُكِرَت بعد الآية التي حذَّر الله فيها من الربا وعواقبه ونتائجه في الآخرة والأولى ، فجاءت آية الدَيْن لتوجيه العباد إلى المعاملات الصحيحة التي لا ضرر فيها ولا فساد بل كلها خير وسداد .

والمعاملات المباحة تغني عن المعاملات المحرَّمة ، فرسمت هذه الآية نظاماً سمحاً سهلاً لتسجيل الحقوق وإثباتها ، وجعلت لها قاعدتين أساسيتين : هما الكتابة ، والإشهاد على الدَّيْن .

إنها آية كريمة كلما تدبرها المسلم ظهر له بعض أسرارها وأحكامها ، فقد اشتملت على أحكام كثيرة وفوائد جمة وتوجيهات وإرشادات قيِّمة .

فهلم نتأمل هذه الآية ونتدبرها ونتفهم ما ظهر لنا من معانيها وأحكامها ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ : تنبيه للمؤمنين إلى أهمية ما سيأتى ، وتذكير لهم بالصفة التي مَنَّ الله عليهم بها وهى الإيمان ، ومن صفة المؤمن امتثال الأمر واجتناب النهي ، فيأخذ ما أحلَّ الله من البيع ويجتنب ما حرَّم الله من الربا . ﴿ إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى ﴾ : نموذجاً للمبايعات المباحة إلى أجل وهى بيع السَلَم كما فصَّله صلى الله عليه وسلم في قوله : « مَن أسلف فليُسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم » (٢) . ﴿ فاكتبوه ﴾ : أمر بالكتابة بين البائع والمشتري بما اتفقا عليه .وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ (٣) : فلا يكتب البائع ولا المشتري ، بل كاتب غيرهما تظهر عليه العدالة دفعاً للتهمة وأضمن للمصلحة ، ويجب على الكاتب أن يعدل في كتابته فلا يزيد على ما يُمْلَى عليه ولا ينقص .

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ - ٢٨٣

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، البخاري : الفتح : ٤/ ٣٥٥ ونحوه مسلم : المساقاة برقم (١٦٠٤) ، باب : السلم .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٢

﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ ﴾ (١) : تذكير لمن علَّمه الله الكتابة ، بنعمة الله عليه إذ عَلَّمه ما لم يكن يعلم ، فَعَلَيْه زكاة ما آتاه ، فإذا طُلِبت منه الكتابة ولم يكن عليه ضرر ولم يكن فيها جور ولا إثم أجاب ، وفي ذلك حث للمسلمين على التعاون لتحصيل المصالح ودفع المفاسد ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ (٢) : الحق في الإملاء للمدين لأنه هو المقر بما في ذمته ليكون أبلغ في إثبات الإقرار وأقرب للعطاء ، وقد أمره الله تعالى بالتقوى ، وحذَّره من البخس في الإملاء أو التحريف أو التمويه . ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (٣) : إذا كان الذي عليه الحق لا يجوز تصرفه في المال كالسفيه المحجور عليه ، أو الصغير الذي لا يُعتبر تصرفه ، أو لا يتمكن من إيضاح الواقع المتفق عليه لِعَيٍّ أو لجهل فيقوم وليه - أي الوصي أو نحوه - مقامه في الإملاء (٤) ، ويدل هذا على أن السفيه والصغير يقام عليهما ولي يحفظ مالهما . ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ (٥) : أمر بالإشهاد على الدَّيْن مع الكتابة ليكون أبلغ في التوثيق وأمكنَ في الإثبات ، وفيه بيان نصاب الشهادة في إثبات الحقوق ، وبيانٌ للصفات التي يجب أن تتوفر في الشاهد . ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا

---

(١) الجزء الأول من آية البقرة : ٢٨٢

(٢) في آية الدَّيْن ، سورة البقرة : ٢٨٢

(٣) في آية الدَّيْن ، سورة البقرة : ٢٨٢

(٤) راجع تفسير ابن كثير في هذا المعنى: ١/ ٥٩٥ ، وقد أورد عدة أحاديث صحيحة فيه .

(٥) سورة البقرة : ٢٨٢

﴿ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ (١) : تثبت الحقوق المالية بشهادة رجل ويمين أو رجل وامرأتين ، جعلت شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل (٢) لأن المرأة في الجملة مشغولة بأعمال بيتها وأطفالها عن الأعمال التجارية فلا تكون على بالها فتنساها غالباً بخلاف الرجل ، ولذلك قال سبحانه : أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ (٣) ، ويؤخذ من هذا أن الشاهد إذا نسى الشهادة ثم تذكرها إما بمشاهدة خط يده ، أو بتذكيره فتذكر جاز له أداؤها وجاز قبولها إذا توفرت فيه صفات العدالة .

﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ (٤) : أمر للمسلمين بالتعاون على مصالحهم وحفظ حقوقهم ، فمَن دُعِيَ لتحمل الشهادة ولا ضرر عليه فليجب وهو فرض كفاية ، أما أداء الشهادة فهو فرض عَيْن ، لأن امتناع الشاهد من أداء ما لديه من الشهادة يضيع حق أخيه المسلم ويسبب الشحناء . ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾ (٥) : تأكيد لكتابة الدَّيْن سواء أكان قليلاً أو كثيراً (٦) لأن بعض النفوس قد تسأم من كتابته إذا كان الدَّيْن قليلاً فنهى عن هذه السآمة والملل . ومن مقاصد الكتابة دفع الريب والشك بين

---

(١) الجزء الأوسط من اية البقرة ٢٨٢ ، ونحوه حديث مسلم بمعناه ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : الفتح : ١٠/ ٤٣٤ .

(٣) راجع تفسير هذا الجزء من آية الدَيْن فى شرح السُنَّة للبغوي : ١/ ٣٨ نقلاً عن الخطابي .

(٤) راجع تفسير هذا الجزء من آية البقرة : ٢٨٢ في تفسير ابن كثير : ١/ ٥٩٦ - ٥٩٧

(٥) إشارة إلى حديث زيد بن خالد الجهني ، ابن كثير : ١/ ٥٩٦

(٦) قد تؤخذ من الآية الكريمة كتابة السُنَّة وتدوينها في عهده صلى الله عليه وسلم من باب أولى

المسلمين تفادياً للخلاف والشقاق . ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ﴾ (١) : بيان للحكمة التي من أجلها أمر الله بكتابة الدَّيْن في الإشهاد عليه والعدل في الكتابة والإملاء والشهادة في قوله تعالى : إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا : إذا استلم البائع الثمن والمشتري المبيع فلا حَرَج في ترك الكتابة لأن كل واحد من المتبايعين لا يطالب الآخر بشيء ، لكن أمر سبحانه بالإشهاد في قوله : وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ (٢) لأن الإشهاد فيه إظهار البيع والإعلام به حتى إذا كان هناك مَن له تعلق في البيع برهن أو غيره يحيط به علماً ، وليعلم أن السلعة المباعة انتقلت من البائع إلى ملْك المشترى . وقوله تعالى : وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾ (٣) : لما بيَّن سبحانه فيما تقدَّم ما على الكاتب والشاهد بيَّن هنا ما لهما من حق ، فإذا كان للكاتب أو للذي طُلب للشهادة شاغل عن الحضور وقت الطلب ، فلا يُلزمان فإنَّ في ذلك ضررا عليهما ، وإنما يطلبان بالتي هي أحسن ، وأيضاً إذا جاء الشاهد لأداء الشهادة فلا يحل للمشهود عليه أن يضار به . وقوله سبحانه : وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٤) : أمر للجميع بالتقوى ، وبيان أنها طريق للخير والمعرفة والعدالة ، لأن الله هو الذي يعلم حقائق الأمور ونتائجها وخفياتها ، ما كان منها وما لم يكن كيف يكون . وقوله : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ (٥) : إذا لم يتمكن المتبايعان

---

(١) راجع تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى : ١/٥٩٧ فقد أجاد وأفاد كما نقل عنه الخطيب حفظه الله .

(٢) راجع تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى في هذا الموضوع : ١/٥٩٧

(٣) هذا الأمر للندب لا للوجوب كما حكاه الإمام ابن كثير في تفسيره : ١/٥٩٧

(٤) أورد الإمام ابن كثير بعض الآثار في هذا المعنى : ١/٥٩٨

(٥) سورة البقرة : ٢٨٣

من كتابة دَيْنهما لعدم كاتب أو لعدم قرطاس أو قلم أو مِداد ، أرشد سبحانه إلى ما يقوم مقامها في توثيق الحق وهو رهن يسلمه المدين لصاحب الحق . ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ (١) : إنما أمر بكتابة الدَّيْن والإشهاد والرهن في الأحوال التي تستدعي ذلك ، أما إذا أمن كل واحد من المتبايعين الآخر وعرف فيه الصدق والوفاء والعدالة ، فلا جُنَاح في ترك ما ذكر . ومَن أهمل من المتبايعين تحمل مسئولية إهماله . ﴿ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ (٢) : أمر للمؤتَمَن بتقوى الله وأداء الأمانة إلى أهلها . وقوله : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ (٣) : نهي عن كتمان الشهادة وتحذير من إثمها ، فكما أن شهادة الزور كبيرة من الكبائر لأنها تأخذ المال بدون حق ، فكذلك كتم الشهادة التي يتوقف عليها أداء الحق لمستحقه كبيرة من الكبائر ، لأن في كتمها إضاعة لحق المسلم بدون سبب . ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٤) : تحذير من الله عن مخالفة أمره ونهيه ، سواء في السر أو العلانية ، لأنه مُطلِّع على جميع أعمال العباد وسرائرهم .

فاتقوا الله عباد الله ، وسيروا على منهاج كتاب الله ، وائتمروا بأوامره ، واجتنبوا نواهيه .

---

(١) أورد ابن كثير في تفسيره : ١/ ٥٥٩ نقلاً عن ابن أبي حاتم من تفسيره قولاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ينص على أن هذه الآية نسخت ما قبلها لأن فيها حكماً يخالف السابقة ولا يمكن الجمع بينهما ، وأنها نزلت متأخرة عن الأولى . والله أعلم .

(٢) الجزء الأوسط من آية الدَّيْن من سورة البقرة : ٢٨٣

(٣) الجزء الأخير من آية البقرة : ٢٨٣ ، راجع تفسيرها في تفسير ابن كثير : ٥٥٩/١

(٤) الجزء الأخير من آية البقرة : ٢٨٣ ، راجع تفسيرها فى تفسير ابن كثير ، إذ أورد فيه حديثاً أخرجه الإمام أحمد في المسند وذلك من حديث قتادة عن الحسن البصري عن سمرة مرفوعاً في هذا المعنى . والله أعلم .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إصلاح المعاملات

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً وعبده ورسوله .

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون : اتقوا الله تعالى ، وأصلحوا معاملاتكم ، واستغنوا بما أحلَّ الله منها عما حرَّم منها ، فإن ما أحلَّ الله فيه الخير والبركة والسلامة والنجاة ، وما حرَّمه الله فيه الشر والفشل والهلاك والدمار ومآله إلى قِلَّة ، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا ، وتأملوا ما أمامكم من الموت وسكراته ، والقبر ووحشته ، والبعث وهوله ، والحساب وشدَّته ، والصراط وزلَّته ، ثم الجنة أو النار .

وصلُّوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه

---

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ١/ ٤٣٢ ، وهو خطبة الحاجة وإسنادها صحيح .

العزيز . فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارض اللَّهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي . وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ومَن تبعهم بإحسان ، إنك أنت الرحيم المنان .

اللَّهم ارض عنا معهم بِمَنِّكَ وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذِّل الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهم انصر جيوش المسلمين وأيدهم بالنصر والتمكين ، وثبِّت أقدامهم وانصرهم على القوم الكافرين .

اللَّهم اخذل اليهود وأعوانهم ، وفرِّق جمعهم وشتِّت شملهم ، وأطفيء نارهم وأنزل الرعب في قلوبهم ، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يُرد عن القوم الظالمين .

اللَّهم أدم علينا نعمة الأمن والإيمان ، وانصر واحفظ إمامنا ، ووفِّقه لما تحب وترضى .

اللَّهم اجعل ولاية المسلمين في خيارهم يا حي يا قيوم .

اللَّهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات .

اللَّهم فرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

، فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم

: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(١) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١ - تفسير الآية (٧) من سورة النساء [١]

آية المواريث

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي شرَّفنا بالإسلام ، وهدانا لمعرفة الحلال والحرام ، ووّفقنا للحكم بما أنزل على سيد الآنام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . خلقنا فسوَّانا [٢] ، وبالنِعَمِ ربَّانا ، فله الحمدُ والشكر على ما أعطانا .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، النبي المصطفى ، أرسله بالحق ودين الهُدَى [٣] ، وبنور البصائر والنُهَى .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، إمام المتقين وقائد الغُرِّ المحجلين ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فما أجمل نظامَ القرآن للإنسان منهجاً ، وما أجدر المسلم أن يتمسك بنظام إسلامه ، ذلك الدين القيِّم الذي طمس معالم الجاهلية وأبطل نظامها وسفَّه أحلامها .

---

(١) ألقيت في ١٣/٤/١٤٠٥ هـ .

(١) إشارة إلى الآية ٢ من سورة الأعلى .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٨ من سورة الفتح .

إنه المنهج الرباني كوَّن أُمَّة مسلمة في أعلى المستويات في عقيدتها وفي أخلاقها ، وفى إخائها وتعاطفها ، وفي تضامنها وتكاتُفها ، وفي تكافُئِها وتكافُلِها . تلَّقت أوامر الله بالسمع والطاعة ، وتلَّقت أحكامه بالرضي والتسليم .

فكانت كما قال الله عنها خير الأمم (١) ، وشهداءَ على الناس (٢) ، أحسنت الخلافة في أرض الله ، وبسطت العدل في خلق الله .

أيها المسلمون : إذا تأملنا نظام التوارث في الإسلام ، وعرفنا ما كانوا عليه في الجاهلية ، عرفنا كيف رفع الإسلام مستوى الإنسان وحفظ له حقوقه ، حفظ حق الصغير والأنثى والغائب ، كما حفظ حق الرجل والحاضر ، وحفظ حق الآباء كما حفظ حق الأولاد .

كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا الإناث ، وإنما يأخذ الرجال المال كله (٣) ، ويزعمون بأن الصغير والأنثى لا يركبون فرساً ولا يردون عادياً ، وأن الرجال هم الذين يدفعون العار ويحمُون الذمار . والله تعالى لم يغفل عن خلقه ، وهو أعلم بمصالحهم ، فلما توفى أوس بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ترك ثلاث بنات وزوجه ، فقام رجلان من بني عمه يقال لهما « قتادة » و« عرفطة » فأخذا ماله ولم يبقيا شيئاً لبناته وامرأته ، فجاءت المرأة إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك وذكرت الفقر ، فأنزل الله تعالى هذه الآية :

---

(١) إشارة إلى الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٢) إشارة إلى الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى حديث سعد بن الربيع رضي الله عنه بهذا المعنى : أحمد في المسند والترمذي في جامعه برقم (٢٠٩٢) كتاب « الفرائض » من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، الترمذي : هذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد الله ابن محمد بن عقيل رحمه الله ، والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٢/٤٣٨ إلى أبي الشيخ الأصبهاني .

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (١) .

ولما قُتِل سعد بن الربيع رضي الله عنه ترك ابنتين وزوجة ، فأخذ أخوه جميع المال ولم يعط البنتين ولا الزوجة شيئاً ، فجاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ؛ هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قُتل أبوهما معك في أُحُد شهيداً وإن عمهما أخذ مالهما ، فلم يدع لهما مالاً ولا يُنكحان إلا ولهما مال ، فقال : « يقضي الله في ذلك » (٢) ، فنزلت آية الميراث قولُه تعالى في سورة النساء : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ (٣) ، وفي الآية التي تليها ذُكرت أنصباء الأزواج والزوجات والأخوة لام مع شروطها ، فأرسل النبي ﷺ إلى عم ابني سعد بن الربيع فقال : « أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثُمن ، وما بقى فهو لك » (٤) .

---

(١) سورة النساء ، آية : ٧

(٢) هذا هو الحديث الذي أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٠٩٢) : الميراث ، من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٢١٢/١ ، وعزاه إلى الإمام أحمد والترمذي في جامعه وأبو داود وابن ماجه في سننيهما وإسناده حسن .

(٣) سورة النساء : ١١

(٤) الترمذي في جامعه برقم (٢٠٩٢) : الفرائض ، من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وإسناده حسن .

والآية الثالثة المكملة لقواعد التوارث هي آخر سورة النساء ، بَيَّنت أنصباء الإخوة لأشقاء والأخوة لأب إذا لم يكن للميت أب ولا ولد [١] . والآيات ولله الحمد محكمات واضحات المعنى لمن قرأهن ، وهناك مجمل فصَّلته السُنَّة المطَّهرة ومسائل ثبتت باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم وأئمة الهدى رحمهم الله وتفصيلها وبيانها في كتب الفقه .

والمراد إيضاح شيء مما يدفع وسوسة الشيطان وتلبيس أعوانه من أعداء الإسلام ومغالطاتهم في نظام التوارث الإسلامي .

إن الإسلام نظامٌ كامل متناسق ، أسس قواعد التوارث على أسس ثابتة من التكافل وصلة القرابة بين أفراد الأسرة ، وبنى هذه القواعد على تقوى الله تعالى ومراعاة العواطف الفطرية الثابتة في نفس الإنسان .

فشعور الفرد بأن كسبه وجهده سيعود أثره على ذُرِّيته وأطفاله والعاجزين من عقبه ، أو إلى قرابته الذين تربطه بهم رابطة القرابة والرحم ، ويتعاونون معه عند الحاجة . هذا يطمئن نفسه ويحثه على الكسب ، كما أن العلاقة بين المُورِّث والوارث - وخاصةً الأصل مع الفرع - ليست مقصورةً على توارث المال ، بل يرث الأولاد من الآباء والأمهات الأخلاق والسلوك والشبه ، فتوريثهم المال وإن كانوا صغاراً أو نساءً هو العدل والحكمة .

والإسلام ينظر إلى الإنسان بصفته الإنسانية ، وينظر إلى روابط القرابة والرحم بالصلة الوثيقة ، أما غير الإسلام فينظر إلى الصفات العملية والقدرة

---

(١) إشارة إلى الآية ١٧٦ من سورة النساء ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً ، ومنها حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، أخرجه الشيخان في صحيحهما : البخاري برقم (٦٧٤٣) : الفرائض ، باب رقم (١٤) في هذا المعنى ومسلم في الصحيح : الفرائض ، باب رقم (٢) ، وحديث رقم (خاص ٥) و(عام ١٦١٦) من هذا الوجه واللفظ .

على الكسب والإنتاج ، ومن هنا حصلت الفوارق بين الإسلام والجاهلية في التكافئ ، في القصاص ، وفي الديات ، والحدود ، والميراث (١) .

والتعبير بوصية الآباء بالأولاد للتنبيه إلى أن المالَ مالُ الله ، والخلقَ خلقُ الله ، وأن الحكم حكم الله ، وأن رب العالَمين أرحمُ بخلقه من أنفسهم فهو الذي يوصي وهو الذي يفرض ، كما أنه هو الذي يخلق ويرزق ، وهو أعلم بحاجة خلقه وما يسد حاجتهم ، وهو الحكيم الخبير . وقد تُعلِم بعض الحِكَم في الفرق بين نصيب الذكر والأنثى فأعطى الذكر مثلَ حظ الأنثيين (٢) لأن الرجل يحتاج إلى المؤنة والإنفاق على زوجه وعياله ، ومعانات العمل والقيومية وتحمل المشاق ، فصارت حصته ضعف الأنثى . أما الأنثى فنفقتها وكلفتها على وليها أو زوجها ، ونفقة أولادها على أبيهم ، فجعل لها نصف نصيب الذكر .

وكذلك في فرض السدس لكل واحد من الأبوين (٣) مع الولد تشريع من لدن حكيم عليم ، فالأولاد في مستهل حياتهم ومستقبل دنياهم يحتاجون إلى المال لتأسيس الحياة ، أما الأبوان فقد مضى شطر من حياتهما وأُتيحت لهما فرص الكسب ، فالأولاد أحوج إلى المال والميراث .

إذا علمنا هذا فالواجب على كل مسلم أن يعطي الوارث حصته من الإِرث ، ولا تجوز المماطلة ولا المغالطة ولا التحكم ولا الاستبداد . وما يفعله بعض الإخوة من الاستيلاء على التركة والنظر في مصالحه الخاصة دون مراعاة مصالح أخواته وإخوانه الصغار ، فلا يبيع ولا يشتري ولا يقسم ، ويطلب

---

(١) إشارة إلى حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، البخاري في الجهاد ، باب : إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم : الفتح : ١٢٢/٦ بسياق طويل وفيه : « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » .

(٢) إشارة إلى الآية ١١ من سورة النساء .

(٣) إشارة إلى الآية ١١ من سورة النساء .

بقاء العقار حتى يحصل على الثمن الذي يريده لأنه مستغن بوارداته ، وأخواته في حاجة إلى نفقة وصدقة وسعة ولكنه لا يبالي ، فذلك ظلم وأنانية مذمومة واستبداد ممقوت ، وقد يمنع زواج أخته خشية أن يُطالِب زوجها بحقها وخشية أن يشترك معه زوجها وأولادها ، فهذا من أعمال الجاهلية التي أبطلها الإسلام ، وأما ما يفعله البعض الآخر من تزييف المستندات وإخفاء بعضها وتلفيق الأكاذيب واستعمال السلطة ليَذْهب بنصيب إخوته ، فهذه جريمة اجتماعية وتعد على الحقوق ، وتلاعب بالقيم ، وقطيعة للرحم ، وعقوق بالآباء الذين ورَّثوا المال .

وبعض الناس قد يخفي كثيراً من الميراث الخفي عن إخوته وينسى أن الله يَعْلمه وأن الله سيحاسبهُ على غدره وخيانته .

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ (١) .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

(١) سورة النساء : ٢٩

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

أسباب الميراث

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [١] ، أكمل ديننا وأتم علينا نعمته ورضى لنا الإسلام ديناً [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبيناً محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بَهَدْيه واتبَّع سبيله .

أما بعد . .

فإن أسباب الميراث ثلاثة لا رابع لها وهى : النكاح ، والولاء ، والنسب .

وموانع الإرث ثلاثة أيضاً هى : الرق ، والقتل ، واختلاف الدين [٣] .

فالمملوك لا يرث أقرباءه ولا يرثونه ، وإنما ماله لسيده ، والذي يقتل مورثه

---

(١) سورة الفاتحة ، آية : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

(٣) إشارة إلى حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، البخاري : الفتح : الجهاد : ٦/ ١٢٢ ، ومسلم نحوه الفرائض ، حديث رقم (خاص ٢) ، و(عام ١٦١٥) من هذا الوجه واللفظ .

يُحْرَم الميراث محافظة على الأرواح خشية أن يستعجل الوارث موت مورِّثه ، واختلاف الدين يمنع التوارث فلا توارث بين أهل مِلَّتين [١] . ترغيبا فى الإسلام ورفعا لمستواه .

ومن رعاية الإسلام للأموال ومحافظته على حقوق الإنسان مَنَع من تسليم الأموال للصغار والسفهاء وأمر بإقامة قَيِّم يحفظ المال حتى البلوغ والرشد [٢] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، أدُّوا الحقوق إلى أهلها ، وتراحموا وتعاطفوا ، واعرفوا الحق من أنفسكم ، ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ [٣] .

وصلوا على البشير النذير .. ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٤] .

* * *

---

(١) أبو داود : برقم (٤٥٣٠) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وإسناده حسن ، وحسَّنه الحافظ في الفتح : ٢٣١/١٢

(٢) إشارة إلى الآية ٥ من سورة النساء .

(٣) سورة الأنعام : ١٥٢

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢ - تفسير الآية (١١ - ١٢) من سورة النساء [١]

في الفرائض

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الحي القيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [٢] .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أهلِ الفضل والتُقَى .

أما بعد . .

فإن من العلوم الإسلامية علماً اجتماعياً اقتصادياً تولي الخالق تبارك وتعالى في القرآن بيانه وتفصيله .

وورد الترغيب في تعلمه وتعليمه وهو من أجَلِّ العلوم قدراً وأرفعها شأناً وأعظمها أجراً ، فيه خدمة للدين ، وإحسان للمسلمين ، قليل مَن يرغب فيه ،

---

(١) ألقيت في ١١/١٢/١٣٩٦ هـ .

(٢) سورة النجم : ٣ - ٤

وكثير مَن يحتاج إليه ، إنه أحد العلوم الثلاثة التي قال فيها نبينا ﷺ : « العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل : آية محكمة ؛ أو سُنَّة قائمة ، أو فريضة عادلة » [١] .

إنه علم الفرائض ، وتقسيم المواريث .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « تعلموا الفرائض ، وعلِّموها للناس فإني امرؤٌ مقبوض ، وإن العلم سيُقبض وتظهر الفتن حتى يختلف الرجلان في الفريضة فلا تجدان مَن يفصل بينهما » (رواه أحمد والترمذي) [٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « تعَلَّموا الفرائض وعلِّموها ، فإنها نصف العلم وهو يُنسى وهو أول ما يُنزع من أُمتي » (رواه ابن ماجه) [٣] .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تعلَّموا الفرائض فإنها من دينكم ، وإذا تحدثتم فتحدثوا بالفرائض » .

وروي عن أبي موسي الأشعري رضي الله عنه قال : « مثل الذي يقرأ القرآن ولا يحسن الفرائض ، كمثل بُرنُسٍ لا رأس له » [٤] .

---

(١) أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، كتاب « الفرائض » ، باب : ما جاء في تعليم الفرائض ، والترمذي (٢٨٦٨) ، قال المنذري : وأخرجه ابن ماجه (٥٤) .

(٢) الترمذي : كتاب الفرائض (٢٠٤) ، وابن ماجه فرائض (١) ، وأبو داود في سننه (٢٤) ، فرائض (١) .

(٣) الترمذي : كتاب الفرائض ، باب : ما جاء في تعليم الفرائض (٢٠٩١) .

(٤) أورده الحاكم : ٤/ ٣٣٣ من طريق النضر بن شميل ، والدارقطني (٤٥٩) ، وأخرجه ابن ماجه (٢٧١٩) ، انظر التلخيص : ٣/ ٧٩

وقال ابن الحجاج المخزومي : « الاعتناء بعلم الفرائض والاشتغال به مصلحة في الدنيا والدين » .

وحكي أن الوليد بن مسلم رحمه الله رأى في منامه أنه دخل بُستاناً فأكل من جميع ثماره إلا العنب الأبيض ، فَقَصَّ رؤياه على شيخه الأوزاعي رحمه الله تعالى ، فقال : تُصيب من العلوم كلها إلا الفرائض ، فإنها جوهر العلم كما أن العنب الأبيضَ جوهرُ العنب .

إن علم الفرائض مِنْ فروض الكفاية فلا بد للأمة ممن يقسم فرائضهم ، ويُوزع تركاتهم على الورثة بالفريضة الشرعية ، ومصدر علم الفرائض الكتاب والسُنَّة ، أما الكتاب فثلاث آيات في سورة النساء . الأولى : تبين أنصباء الآباء والأمهات والأولاد ، والثانية : في حصص الأزواج والإخوة لأم ، والثالثة : وهي في آخر السورة تبين توارث الإخوة لأبوين أو لأب ، فنظام المواريث مستمد من هذه الآيات الثلاث ، ومن الأحاديث الوارده فيها. وأما الأحاديث فهي تفسر تلك الآيات وتبينها منها ما رواه البخاري : ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر [١] . وحديث بريرة عن عائشة : الولاء لمن أعتق [٢] ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » [٣] .

وإذا تأملنا الآيتين السابقتين لآيات الميراث : ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [٥] ، فالأولى تحرك شعور الرحمة في الآباء وتذكرهم

(١) البخاري : ٨/ ١٨٩ ، ١٩٠
(٢) البخاري : ٨/ ١٩١
(٣) البخاري : ٨/ ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧
(٤) سورة النساء : ٩
(٥) سورة النساء : ١٠

شعورهم تجاه أبنائهم ، وتحثهم على رعاية الصغار الذين فقدوا هذا الحنان لموت آبائهم فليعطفوا عليهم شكراً لنعمة الله ، فلو مات الآباء صار أبناؤهم مثل هؤلاء الأيتام ، فلتعملوا الخير للأيتام كما يحب أن يُعمل بأيتامه . والآية الثانية تهز كيان النفس وتحذر تحذيراً شديداً في غمط حقوق الأيتام ، فمَا هو شعور مَن يحس النار تلتهب في بطنه ، وأنه سيُلقى في نار مستعرة ولا نجاه إلا بالإحسان في أموال الأيتام .

وإذا تأملنا أيضاً افتتاحية آيات الموارث : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ (١) ، إنها تبين للبَشر وتفهمهم بأن الله تعالى أرحم بالأبناء من آبائهم ، وأبر بالآباء من أبنائهم ، وأعدل من الأقرباء بأقربائهم ، وأن الخالق تعالى أولى بالناس من أنفسهم ومن آبائهم ومن أبنائهم ، فهو الذي ينظم حياتهم ويضع لها الأنظمة العادلة التي تحفظ حقوقهم ومصالحهم ، وتَدْفع المفاسد عنهم : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ، فنظام البشر في كل مرافق حياتهم ومتطلباتها مرده إلى خالقهم ، فهو الذي يحكم بين الوالدين وأولادهم وبين الأقرباء وأقربائهم ، وهو الذي يوصي ويفرض ، وهو الذي يحلل ويحرم في كل شيء ، فكما أنه هو الذي يرزق فهو الذي يقسم الميراث بين الناس فمِن عِندِه سبحانه تَرِدُ التنظيمات والشرائع ، وعن الله يَتَلَقى الناس الأوامر والنواهي بالقبول والرضا والتسليم في أخص شئون حياتهم ، وهو توزيع أموالهم بين آبائهم وذرياتهم وأزواجهم . وهذا هو الدِّين . فنظام الخالق تبارك وتعالى أبر للناس وأنفع لهم وأصلح لهم . فللَّه الحمد والمنة على نعمة الإسلام وعدالته ، وله الحمد على فضله وإحسانه على البشر .

---

(١) سورة النساء : ١١

(٢) سورة الأعراف : ٥٤

ولكى نعرف نعمة الإسلام في المواريث أذكر لكم نماذج من نظام المواريث في الجاهلية قبل الإسلام :

قال الفخر الرازي رحمه الله ما ملخصه : اعلم أن أهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين بالنَسب وبالمعاهدة .

أما النَسب فكانوا يورثون الرجال الذين يقاتلون على الخيل ويأخذون الغنيمة ، ويَحْرمون النساء والصغار من الميراث .

وأما العهد فمن وجهين : الحِلْف ، والتبني . أما الحِلْف : فيقول الرجل لصاحبه : « دمي دمك ، وهدمي هدمك ، وترثني وأرثك ، وتُطلب بي وأُطلب بك » ، فإذا مات أحدهما كان للحي ما اشترط من مال الثاني ، وحرمت زوجته وأبناؤه وأبواه الميراث .

وأما التبني : فإن الرجل منهم كان يَتَبَنَّى ابن غيره فيُنسب إليه دون أبيه في النسب ويرثه المتبني .

وأما الجاهلية المعاصرة ، فهناك من يُوَرِّث مَن لا يرث ، ويحرم مَن يرث ، وهناك من يُوَرِّث النساء من المنقول ويحرمهن من العقارات ، وهناك مَن يماطل بحق الإناث من الميراث حتى تترك حقها قهراً . وأغْرب من هذا الذين يحرمون أقرباءهم من الميراث ويوصون به للكلاب بدعوى الحرية ، وأن له أن يضع ماله كيف يشاء . ألم يعلم هذا وأمثاله أنه وماله ملك لله وأنه سيعود إلى الله .

فاتقوا الله أيها الناس ، اتقوا الله واشكروه أيها المسلمون ، فإن نعمة الإسلام لا يعدلها نعمة ، تعلَّموا الفرائض فإنه ميَّسر لمن طلبه ، ولا يُسْتغنى

---

(١) انظر تفسير ابن كثير : ٢/ ١٦١

عنه ، فما من أحد إلا وسيكون وارثاً ، أو موروثاً ، تدارسوا هذا العلم الفاضل لئلا ينقرض ، فإننا لا نجد في البلد الواحد إلا اثنين أو ثلاثة يعرفون نظام المواريث وحسابها ومناسخاتها وتقسيم التركات تقسيماً مترابطاً دقيقاً :

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩ ﴾ [١] .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

(١) سورة النساء : ٩

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير الآية ١٧٦ من سورة النساء

ترابط المسلمين بالعدل وإعطاء الحقوق

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) . اللَّهم لا نحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (٣) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن من فضائل الإسلام ترابط الأسرة وتعاطفها وتراحمها في الحياة وبعد الممات ، فلم تقف عناية الإسلام عند الآباء والأولاد والأزواج ، بل امتد إلى بقية القرابة ولو كانت بعيدة ، ولو كانت قرابةَ إحسانٍ كولاء المعتق ، بل المسلمون كالأسرة الواحدة ، فالإمام ولي مَن لا ولي له يعقله ويرثه إن لم يكن له قرابة ، وهذا هو المعمول به في المملكة العربية السعودية وعليه القضاء .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة غافر : ٦٥

(٣) سورة التوبة : ١٢٨

أما الكلالة : فهو الميت ليس له والد ولا ولد ، وإنما يرثه إخوته ، سواء أكانوا من الأم أو من الأب أو من الأب والأم ، فأما الإخوة لأم فبيَّن الخالق تعالى نصيبهم بقوله : ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ ﴾ (١) .

فالإخوة لأم يستوي ذكَرهم وأُنثاهم في الميراث ، ولا تزيد حصصهم عن الثلث .

أما الإخوة لأب وأم أو لأب ، فقد بيَّن تعالى تقسيم الميراث بينهم بقوله : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (٢) . تأملوا قوله تعالى : ﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ ، فمن خالف نظام الإسلام في التوارث فهو ضال تائه عن طريق الإسلام .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، أعطوا أخواتكم نصيبهن من الميراث ، فإن حبسه سحت وحرام ، أعطوا أخواتكم نصيبهن فإن منعه عار ونار ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٣) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٤) .

* * *

---

(١) سورة النساء : ١٢
(٢) سورة النساء : ١٧٦
(٣) سورة النساء : ١٠
(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٣ - تفسير الآية (٣٦) من سورة النساء [١]

﴿ وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، إلَه الأولين والآخرين ، ورب الخلق أجمعين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمامُ المتقين ، وقائد الغر المحجلين .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد . .

فإن التشريعات الإسلامية والتوجيهات في منهج الله إنما تنبثق من أصل واحد ؛ وترتكز على ركيزة واحدة ، تنبثق من العقيدة . وترتكز على التوحيد المطلق لله ، وهذه سمة منهج الإسلام ، لذلك نرى التشريعات يتصل بعضها

---

(١) ألقيت في ٧/١١/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الكهف : ١

ببعض ، ويتناسق بعضها مع بعض ، ويؤيد بعضها بعضاً ، فمن العقيدة تنبُع التصوراتُ الأساسية للعلاقات الكونية والإنسانية ، تلك التصورات التي تقوم عليها المناهج الاجتماعية ، والاقتصادية والسياسة ، والأخلاقية ، في كل الأوقات والمجالات ، فالإيمان يجعل تلك العلاقات قُربة إلى الله تؤديها النفس برغبة وطموح واحتساب ، وهذه السمة الخاصة بمنهج الإسلام واضحة في كل سورة بل في كل آية من القرآن الكريم ، وفي كل ركن من أركان الإسلام ، وفي كل فرع من فروعه ، فهلم بنا نستمع إلى آية من سورة النساء تشتمل على عشرة أحكام ، ونتأمل كيف ربط القرآن تلك الحقوق بالأصل الأساسي الذي يدور عليه التشريع ، وهو العقيدة والتوحيد ، قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (١)

قال القرطبي (٢) : أجمع العلماء على أن هذه الآية محكمة ليس منها شيء منسوخ ، فهذه الآية الكريمة اشتملت على عشرة حقوق . سأجمل القول فيها. إن شاء الله :

فأول الحقوق وآكدها وجوباً حق الله تعالى ، وهو توحيده . في أُلوهيته وربوبيته وفي أسمائه وصفاته ، وإخلاص العبادة لله بالتزام شرائع دينه اعتقاداً وقولاً وعملاً بالجوارح ، فالله سبحانه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الأزمنة والحالات فهو المستحق أن يُوحَّد ولا يُشرَك به أحد .

كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل : « أتدري ما حق الله على العباد » ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » ، ثم

---

(١) سورة النساء : ٣٦

(٢) تفسير القرطبي : ٥/ ٣٨٠

قال : « أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ .. أن لا يعذبهم » (١) ، فما خلق الله الخلق إلا لعبادته وتوحيده :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (٢) .

الحق الثاني : الإحسان إلى الوالدين ، فأحق الناس بالإحسان بعد الخالق المنَّان ؛ وبالشكر والتزام البِرّ والطاعة مَن قرن الله الإحسان إليه بعبادته وطاعته ، وقرن شكره بشكره وهما الوالدان .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « رضا الرَّب في رضا الوالدين ، وسُخط الرب في سُخط الوالدين » (٣) . وكفى دلالة على تعظيم حق الوالدين ووجوب برهما والإحسان إليهما أن الله تعالى قرن حقهما بحقه في أكثر من آية في كتابه ، فواجب على الأولاد خدمة أبويهما ، وخفض الصوت عندهما ، ولين الجانب لهما والتلطُف بهما وقضاءُ حوائجهما بدون سآمة ولا تأفف .

الحق الثالث : الإحسان إلى سائر القرابات ذكوراً وإناثاً ، فقراء أو أغنياء ، صغاراً أو كباراً ، والإحسان بذل الندى وكيف الأذى ، والتواصل والتعاطف والتعاون والمشاركة في المشاعر والأحاسيس .

الحق الرابع : الإحسان إلى اليتامى . اليتيم مَن فقد أباه ، وكان دون البلوغ ، فلا يُتْم بعد البلوغ ، والإحسان إلى اليتيم الرأفة به وكفالتُه وحفظ

---

(١) رواه البخاري : ٩/ ١٤٠ ، وفتح الباري : ١٣/ ٣٤٧ رقم (٧٣٧٣) .

(٢) سورة الذاريات : ٥٦ – ٥٨

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع برقم (١٨٩٩) في البر والصلة من حديث خالد بن حارث ، حدثنا شعبة عن يعلي بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، مرفوعاً وإسناده صحيح ، وأخرجه ابن حبان في الصحيح كما في الموارد برقم (٢٠٢٦) ، والحاكم في المستدرك : ٤/ ١٥١ – ١٥٢

ماله ، وتربيتُه وتعليمُه ، ومسح رأسه ؛ روى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافلُ اليتيم كهاتين في الجنة » ، وأشار بالشاهد والوسطى (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

الحق الخامس : الإحسان إلى المساكين : بالصدقة عليهم ، والقول المعروف والمغفرة ، وسدُّ حاجتهم مما آتاك الله أيها الغني ، ومن الإحسان إليهم إرشادهم إلى طرق الكسب والعمل وإلى ما يغنيهم عن المسألة .

روي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الساعي على الأرمَلَة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله » (٤) .

الحق السادس : الإحسان إلى الجار القريب : ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (٥) الذي بابه عند بابك . قال الرازي والقرطبي ، وقال ابن كثير : الذي له قرابة (٦) .

والحق السابع : الإحسان إلى الجار البعيد ﴿ والجار الجنب ﴾ ، والمقصود الوصية بالجار سواء أكان قريباً أو بعيداً ، وسواء أكان له قرابة أو لا ، وسواء أكان مسلماً أو غير مسلم ، فالجيران ثلاثة : جار له ثلاثة حقوق ، وجار له

---

(١) البخاري في الفتح في الصلات : ٩/٤٣٩ ، ومسلم في الزهد والرقائق برقم (٢٩٨٣) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، البخاري ، وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة الأنعام : ١٥٢

(٣) سورة النساء : ١٠

(٤) البخاري في الفتح في الأدب : ١٠/٣٦٦ ، ورواه مسلم برقم (٢٩٨٢) في الزهد والرقائق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) جزء من آية النساء : ٣٦

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره : ٢/ ٢٨٠ - ٢٨٥ ، وقد أورد الأحاديث الكثيرة . .

حقان ، وجار له حق واحد ، فالجار ذُو القرابة المسلم : له حق القرابة وحق الإسلام وحق الجوار ، والجار المسلم وليس له قرابة : له حق الإسلام وحق الجوار ، والجار الكافر : له حق الجوار فقط ، دون موالاة ودون اتخاذه بطانة ، والإحسان إلى الجار : بمعنى حُسن العِشرة ، وكف الأذى وإعطائه شيئاً مما عندك ، والصبر على الأذى ، وإذا استعانك جارك في غير معصية الله فأعنه ؛ وإن مرض فعُدْه ، وإن مات فاتبع جنازته ، إن أصابه خير سررتَ وهنأته ، وإن أصابته مصيبة ساءتك وعزيته . ومن حق الجار مناصحته في طاعة الله ، ونَهْيه عن معصية الله وغض البصر وكيف الأذى ؛ فلا يؤمن مَن لا يأمن جاره بوائقه ، وما زال جبريل عليه السلام يوصي بالجار حتى ظن نبينا أنه سيُورِّثه (١) .

الحق الثامن : الإحسان إلى الصاحب المرافق ، قيل : الزوجة ، وقيل : الرفيق في السفر ، وكل منهما له حق ، ويشمله النص .

قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة ، فأما المروءة في السفر فبذلُ الزاد ، وقلةُ الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مَسَاخِط الله .

أما المروءة في الحضر : فالإدمان إلى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرةُ الإخوان في الله عَزَّ وجَلَّ .

الحق التاسع : الإحسان إلى المسافر إذا مرَّ بمنزلك (وابن السبيل) - السبيل : الطريق - بإعطائه حقه في القِرى ، وإرفادِه بما يحتاج إليه في سفره ، والبشاشةِ في وجهه والتلطف به .

الحق العاشر : الإحسان إلى المماليك ؛ فإنهم أسراء عند مالكيهم :

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره : ٢/ ٢٨١ ، وقال : وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأحمد في المسند أيضاً .

﴿ وما ملكت أيْمانكم ﴾ ، والإحسان إليهم : إطعامهم مما يأكل السيد وكسوتهم مما يكتسي ولا يُكلَّفون بما لا يطيقون ، والترغيب في تحريرهم .

وكما رُبط أولُ الآية بالله ، رُبط آخرها بالله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (١) .

المختال : الذي يَغْمِط حقوق الناس تكبراً وتعاظماً ، والفخور : الذي يُعدد مناقبه ، وأفعاله إعجاباً وترفعاً .

وخص الله الفخر والاختيال هنا ، لأنهما صفتان قد تحملان صاحبهما على الأنفة والتساهل في أداء تلك الحقوق ، فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وأدُّوا الحقوق لأهلها وتأدَّبوا بأدب الإسلام : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (٢) .

اللَّهم إنَّا نعوذ بك من العجز والكسل ، ومن الجبن والبخل ، ونعوذ بك من الفخر والكِبْر ومن كل عمل فيه إثم ووزر .

اللَّهم إنَّا نسألك الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد ، والفوز بالجنة والنجاة من النار .

اللَّهم إنَّا نسألك شفاعة نبينا محمد ﷺ فأذن له بالشفاعة فينا .

اللَّهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، والأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة النساء : ٣٦

(٢) سورة فاطر : ٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المساجد بيوت الله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن المساجد هي بيوت الله ، أمر الله تعالى برفع شأنها وتطهيرها وتكريمها وتنظيفها من الدنس الحسي والمعنوي ، ومن الإهانة والابتذال ومن كل شيء يُنفِّرُ المصلين ويُشوِّش عليهم . قال الله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٢) .

وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال : « جنِّبوا المساجد صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة النور : ٣٦ - ٣٨

وسل سيوفكم ، واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمِّروها في الجُمَع » ، (رواه ابن ماجه بإسناد فيه ضعف) ، لكن معناه صحيح ، فإن المساجد إنما بنيت لذكر الله وعبادته ، ولم تبن دوراً للحضانة ولا ملعباً للأطفال ، ولا سوقاً للتكسب ، فما بال بعض الناس يأتون بأطفالهم الصغار إلى المسجد ، وهم لا يعقلون صلاة ولا يعرفون حُرْمة المسجد ، ثم يطلقونهم كأنهم في دارهم يلعبون ويصرخون ويدورون بين الصفوف ويشغلون المصلِّين ويزعجون العابدين ويشوِّشون على الخاشعين ؟

ما بال بعض النساء تأتي إلى المسجد بسرب من الأطفال تطلقهم في بيت الله ينجسون مصلى المسلمين ، ويقذرون مواضع أنوفهم وجباههم ؟

منظر بشع ، وريح قذر ، وسوء أدب في بيت الله ، وإيذاء للمؤمنين . وصلاة المرأة في بيتها خير لها ، وكف الأذى عن بيت الله خير لها .

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى صبياناً يلعبون في المسجد ضربهم بالمخفقة وهي الدرة ، وكان يفتش المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحداً .

وسمع أمير المؤمنين عمر رجلين يرفعان أصواتهما في هذا المسجد فدعاهما ، وقال : مَن أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ ؟!

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تعاونوا على البر والتقوى ، لقد وضع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه نظاماً للمسجد فاتبعوه ونفذِّوه ، وعظِّموا بيت الله وطهروه حساً ومعنى ، ولا يجوز التهاون والتساهل في حق المسجد ولا المجاملة بما فيه إهانته وإيذاء المصلين .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) صلوا عليه .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤ - تفسير الآية (٩٢) من سورة النساء [١]
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] . شرع الحدود رحمة للعالمين ، وزجراً للفاسقين ، وعقوبة للمجرمين ، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٣]

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه [٤] ، وهو أعلم بما يصلحه ويحفظ حقوقه .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ رسالة ربه ونَصَحَ لأُمَّته وجاهد في الله حق جهاده .

اللَّهم صلِّ على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلِّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإن علاقة المسلم بأخيه المسلم علاقةٌ أخويةٌ غاليةٌ عزيزةٌ . فليس في رغبات الدنيا ما يوهن قوتها ، ولا ما يقطع حبل صلتها ، ولا ما يعكر صفوها . ولهذا أمر الرسول ﷺ بأسباب الألفة ونهى عن أسباب الفُرقة ، فقال

---

(١) ألقيت في ١٥/٧/١٤١٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) جزء من آية البقرة : ١٦٣

(٤) إشارة إلى الآية ١٦ من سورة ق .

صلى الله عليه وسلم : « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله [(١)] التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (رواه مسلم) [(٢)] ، وأكثر ما يثير الضغائن ويسبب الحقد قتلُ النفس التي حرَّم الله بلا حق ، وقد ثبت بنص الكتاب والسنَّة تحريم قتل النفس المعصومة إلا بالحق ، فقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [(٣)] ، وقال سبحانه : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [(٤)] .

وثبت في الصحيحين من حديث أبي بكرة نُفَيْع بن الحارث رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » [(٥)] . وقد نص القرآن على أن القتل نوعان : خطأ ، وعمد [(٦)] ،

(١) مسلم برقم عام (٢٥٨٠) البر والصلة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وماله وعرضه رقم (٢٥٦٤) ، كتاب « البر والصلة » ، وأحمد في المسند : ٢/٢٧٧ ، وابن ماجه (٣٩٣٣) ، والفقاعي في مسند الشهاب (٩٣٩) ، ورواه ابن حبان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) سورة النساء : ٩٢

(٤) سرة النساء : ٩٣

(٥) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري برقم (١٧٣٩) الحج ، باب (١١٢) الخطبة أيام منى : ٣/٥٧٣ الفتح ونحوه حديث نفيع بن الحارث أبي بكرة رضي الله عنه ، البخاري برقم (١٧٤١) الحج ، ونحوه مسلم : الإيمان برقم (١١٨) من حديث جرير رضي الله عنه وليس في مسلم من حديث نفيع بن الحارث .

(٦) إشارة إلى الآية ٩٢ من سورة النساء .

فالخطأ : أن يعمل الإنسان عملاً يباح له كأن يرمي غرضاً أو صيداً ، أو يسوق سيارة فيحصل فيها خللٌ أو يصادفه في الطريق عارض فيصيب إنساناً مسلماً بدون قصد وبدون إرادة فيموت المصاب بسببه .

وقتل الخطأ هو الممكن وقوعه من المسلم على المسلم ، فإن وجود الأخ في الله بجوار أخيه نعمة من الله يحصل بها التعاون على البر والتقوى ، فلا يُتَّصوَّر أن يزيل المسلم هذه النعمة برغبته وإرادته .

فإذا وقع القتل خطأ فالحكم واضح في القرآن الكريم : ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾ (١) ، فهذه ثلاث حالات في قتل الخطأ ، الأولى : أن يكون القتيل مؤمناً وأهله مؤمنين فتجب الكفَّارة والدِّية ، فأما الكفارة : فهي تعويضٌ للمجتمع المسلم بعتق رقبة مؤمنة لتكون عضواً فيه بدل التى فُقدت ، فمن لم يجد فيتقرب إلى الله بعبادة خَفيَّة تمس من نفسه وبدنه وتكسِر من قُوِّته فهي دليل الندم والتحسر على قتل الخطأ .

وأما الدِّية ففيها تسكين ثائرة النفوس ، وتطمين المفجوعين ، وتعويض بعض ما فات من نفع المقتول ، وهي على العاقلة مقسطةً ثلاث سنوات تخفيفاً وتحقيقاً للتضامن وتعاوناً على نوائب الحياة . ومع هذا يُلَوِّح القرآن الكريم بالعفو عن الدِّية : ﴿ إلا أن يصدقوا ﴾ (٢) ، ففي العفو

---

(١) سورة النساء : ٩٢

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء ، (الآية رقم ٩٢) ، راجع تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى : ٢/٣٥٥ - ٣٦٢ ، فقد استوعب الموضوع بالروايات الكثيرة فللَّه دره رحمه الله .

إحساس القاتل بالتسامح فتطمئن نفسه ، وفيه تعاون مع العاقلة وتعاطف .

الحالة الثانية : أن يقع القتل الخطأ على مؤمن أهله محاربون للإسلام معادون للمسلمين ، أي غير معاهدين ، ففي هذه الحالة تجب الكفَّارة فقط ولا تُدفع لهم الدِّية لئلا يستعينوا بها على المسلمين وليس لهم حق الاسترضاء وجبرُ الخاطر .

الحالة الثالثة : أن يقع قتل الخطأ على مؤمن أهله معاهدون عهد هُدنة أو عهد ذمة ، ففي هذه الحالة تجب الكفَّارة والدِّية كما نصت الآية الكريمة [(١)] .

أما قتل العمد : فهو أن يقصد المكلف مَن يعلمه معصوم الدم فيضربه ، بما يغلب على الظن موته به ظلماً وعدواناً ، كأن يضربه بعيار ناري أو بسيف أو رمح أو سكين أو بمثقل أو يقتله بسحر أو سم ، أو يجعل في المجمع العام متفجرات أو مواد سامة من أجل الإخلال بالأمن والإساءة إلى فرد أو أفراد ، أو يقصد نزْع الثقة وتحريش العامة . فهذه الأعمال التي يحصل بسببها قتل فرد أو أفراد أو جماعة فاعله قاتل عمداً داخل تحت قوله تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [(٢)]

، والقاتل عمداً فاسق خارج عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وعمله من أكبر الكبائر .

ولعظم جريمة قتل العمد و قُبحها وسوء مَغَبَّتها قُرنت بالشرك في أكثر من آية ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [(٣)] ، وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) الآية (٩٣) من سورة النساء .
(٢) سورة النساء : ٩٣
(٣) سورة الفرقان : ٦٨

يَكْفُرُونَ بِئَايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (١) .

وقتل العمد محرّم بنص الكتاب والسُّنَّة ولا يفعله مسلم بمسلم إلا مَنْ زاغ قلبه وحق عليه العذاب . للآية المتقدمة : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ (٢) .... الآية .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام : عِرضه وماله ودمه ، التقوى ههنا ، بحسب إمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » (رواه الترمذي وحسنه) (٣) .

وعند مسلم : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعِرضه » (٤) .

وعن سهل بن حُنيف أن أمير المؤمنين عثمان بن عفانَ رضي الله عنه أشرف يوم الدار (أي على الخوارج الذين جاءوا لقتله) ، فقال : « أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل دم امرىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث : زناً بعد إحصان ، أو كفرٍ بعد إسلام ، أو قتل نفس بغير حق فقُتِل به » ؟ فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام ، ولا ارتدْدتُ مُنذ بايعت رسول الله ﷺ ، ولا قَتلتُ النفس التي حرَّم الله ، فَبِمَ تقتلونني » ؟ (٥) .

---

(١) سورة آل عمران : ٢١

(٢) سورة النساء : ٩٣

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢١٥٨) ، وقال : حديث حسن وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أحمد : ١/ ٦١ ، ٦٢ ، والنسائي : ٧/ ٩١ ، ٩٢ ، وأحمد أيضاً في فضائل الصحابة (٧٥٤) ، والترمذي (٢١٥٨) ، وقال : حديث حسن ، ومسلم في الصحيح وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٢٥٦٤) .

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٢٧٧٨) الوصايا وهو من حديث أبي عبد الرحمن سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري رضي الله عنه .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ﴾ .... الآية : هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم (١) .

وموجب قتل العمد القصاصُ في الدنيا ووعيد في الآخرة . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ (٤) .

وفي الصحيحين عن أنس أن يهودياً رضَّ رأس جارية بين حجرين فأُتيَ به فاعترف ، فأمر به رسول الله ﷺ فرُضَّ رأسه بالحجارة (٥) . وعن أنس أنَّ الربيعَ عمةَ أنس بن مالك كسرت ثنية جارية من الأنصار ، فأمر النبي ﷺ بالقِصاص ، فرضي القوم وقبلوا الأرش (٦) .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى : ٢/ ٣٦١ - ٣٦٢

(٢) سورة البقرة : ١٧٨

(٣) سورة البقرة : ١٧٩

(٤) سورة المائدة : ٤٥

(٥) البخاري برقم (٢٤١٠) : ٥/ ٧٠ الفتح ، ومسلم في الصحيح كتاب « القسامة » ، باب : ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره : ٣/ ١٦٧٢ ، ولفظه عن أنس بن مالك أن جارية وُجد رأسها قد رُضّ بين حجرين فسألوها : مَن صنع هذا بك ؟ فلانٌ ؟ فلانٌ ؟ حتى ذكروا يهودياً فأومأت برأسها ، فأخذ اليهودي فأقر فأمر به رسول الله ﷺ أن يُرض رأسه بالحجارة : ١/ ١٣٠٠، مسلم كتاب « القسامة » ، باب : إثبات القصاص في الأسنان وما في معناها : ٣/ ١٣٠٢ رقم (١٦٧٥) .

(٦) البخاري برقم (٢٨٠٦) الجهاد باب (١٢) .

وقد رغَّب الكتاب والسُّنَّة في العفو عن القصاص . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (١) .

وروى الترمذي رحمه الله عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « مَن قَتَل متعمداً دُفِعَ إلى أولياء المقتول ، فإن شاؤوا قتلوا وإن شاؤوا أخذوا الدِّية » ، وقال : « وما صالحوا عليه فهو لهم » (٢) .

وإذا تمالأ جماعة على قتل مسلم عدواناً اقتُص منهم لما روى مالك عن سعيد بن المسيِّب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل خمسة أو سبعة بنفر واحد قتلوه غيلة ، وقال عمر : لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم (٣) ، وإذا أمسك إنسانٌ وقتل آخر قُتِل القاتل وحُبِس الممسك حتى يموت لأنه حبس المقتول إلى الموت فيُحبس إلى الموت (٤) .

وهناك نوع ثالث لم يذكر في الآيات لكن ذكر في السُّنَّة وهو شبه العمد ، وهو أن يقصد المكلف معصوماً فيضربُه بما لا يقتل غالباً فيموت ، فقصدُ القتل غير موجود ، وقصد الفعل موجود كأن يضربه بعصى خفيفة ، أو يلكزه بيده مع غير مقتل فيموت فهو شبه عمد ، لم يكن عمداً لانتفاء قصد القتل ، ولم يكن خطأً لوجود قصد الفعل ، فصار شبه عمد .

---

(١) سورة البقرة : ١٧٨

(٢) الترمذي برقم (١٣٧٨) ، وهو من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وإسناده حسن .

(٣) مالك في الموطأ كتاب « العقول » ، باب : ما جاء في الغيلة والسحر : ٢/٢٦٨ ومن طريق مالك أخرجه الشافعي : ١/ ٣٣٤٠ ، وعنه البيهقي : ٨/ ٤٠ ، ٤١ في السنن الكبرى ، ورواه الدارقطني (٣٧٣) من وجهين آخرين عن يحيي بن سعيد به ورجاله رجال الشيخين .

(٤) الكشاف : ٥/٦٠٤ ، كشاف القناع عن متن الإقناع .

وموجب شبه العمد دِّية مغلظة ولا قود ، لما روي أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « عقل شبه العمد مُغلَّظ مثلُ عقل العمد ولا يُقْتَل صاحبه [١] .

ومن قَتَل مورثه عمداً أو خطأ حُرِم الميراث ، ومن تَطَبَّب وهو غير معروف بالطب ضمن ما أتلفه » .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، فإن الدماء سيقضي فيها يوم القيامة فاحترزوا منها .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [٢] .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم واغفر لنا .

* *

(١) مشكاة المصابيح : ٢/ ٢٧١ ، أبو داود في السنن برقم (٤٥٦٥) وإسناده حسن .

(٢) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إفشاء السلام

(الخطبة الثانية)

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١) ، أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى وبشرى للمؤمنين (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق (٣) بشيراً ونذيراً (٤) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، علَّم أُمَّته الآداب والفضائل ليكونوا شهداء على الناس (٥) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد . .

فإن مِن هَدْى نبينا محمد ﷺ إفشاء السلام وهو دعاء بالسلامة من المصائب والآفات وهو تبادل التوادد بين المسلمين وشعار خاص بهم وتحيتهم عند اللقاء والفراق .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ٨٩ من سورة النحل .

(٣) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة .

(٤) إشارة إلى الآية ١١٩ من سورة البقرة ، وسبأ : ٢٨ ، وفاطر : ٢٤

(٥) إشارة إلى الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

والسلام اسم من أسماء الله [١] ، وهو للمسلم على المسلم ، فيُسلِّم على مَن يعرفه ومَن لا يعرفه ، وتسليم القليل على الكثير ، والراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والصغير على الكبير [٢] ، وذلك من حق المسلم على أخيه المسلم ، ولا يُبدأ بالسلام من عُرِف بالفسق .

وأما سلام الرجال على النساء ، وسلام النساء على الرجال فلا يشرع إلا إذا أُمنت الفتنة ، كأن تكون المرأة كبيرةً أو برزة فيُشرع السلام إذاً . لما روى البخاري رحمه الله أن عجوزاً كانت تسقى شراباً طيباً ، فيأتيها بعض الصحابة رضي الله عنهم فيسلِّمون عليها وتسقيهم [٣] .

وأخبر النبي ﷺ عائشة أن جبريل عليه السلام يُقْرؤها السلام [٤] ، أما إذا لم تُؤمن الفتنة بأن تكون أجنبية شابة فيُكره السلام ويحرم النظر إليها [٥] .

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً على الاستئذان ، الباب (٣) : ١١/ ١٢ - ١٣ الفتح .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه البخاري برقم (٦٢٣١) الاستئذان باب (٥) ، ونحوه مسلم في الصحيح : السلام ، الحديث الأول خاص .

(٣) البخاري برقم (٦٢٤٨) الاستئذان ، الباب (١٦) ، باب : تسليم الرجال على النساء والنساء على الرجال ، وهو من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

(٤) البخاري ، كتاب « فضائل الصحابة » ، باب : فضل عائشة رضي الله عنها (٣٧٦٨) ، ومسلم : كتاب « فضائل الصحابة » ، باب : فضل عائشة رضي الله عنها (٢٤٤٧) ، والترمذي (٣٨٨١) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٣٣٦) ، وأخرجه الإمام أحمد : ٦/ ٥٥ ، ٧٤ ، ٨٨ ، ١١٢ ، ١٧١ من عدة طرق .

(٥) إشارة إلى حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما ، البخاري برقم (١٨٥٥) الفتح : ٤/ ٦٧

ويُسلِّم الرجل على أهله إذا دخل البيت ، وإذا سلَّم أهل الذمة ردَّ عليهم كما رد النبي ﷺ فقال : « وعليكم » (١) .

والقيام والمصافحة مشروعة للرجال ، وإذا سلَّم الرجل على امرأة من محارمه صافح وإن شاء قبَّل رأسها .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تأدَّبوا بآداب الإسلام وأفشوا السلام بينكم تَحَابُّوا .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) .

* * *

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، البخاري برقم (٦٣٥٦) الاستئذان الباب (٢٢) ، الفتح : ١١/ ٤١

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٥ - تفسير الآيات (١٠٥ - ١١٢) من سورة النساء [١]

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ .... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [٢] .

وأشهد أنَّ لا إلَه إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الطاهر الأمين .

صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، ثم تعالوا نتدبر هذه الآيات المحكمات من سورة النساء ونتفهم شيئاً من معانيها ومدلولاتها ، لعل الله أن يفقهنا وأن ينفعنا : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ

---

(١) ألقيت في سنة ١٣٩٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن
يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (١)
﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن
يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ (٢) .

بصرف النظر عن سبب النزول الذي ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله (٣) وغيره ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وإن كان الخطاب للرسول ﷺ فهو خطاب لجميع الناس في أصول التشريع وفروعه . وهذه الآيات مرتبطة بعضها ببعض في المعاني والترتيب والأحكام .

فالآية الأولى تبيِّن الحكمة من إنزال الكتاب ، وهي الفصل بين المتحاكمين بالعدل بما يوصل الحق المسلوب البيِّن لمستحقه دون الالتفات إلى أي اعتبار آخر في أحد المتحاكمين كالقرابة والمودَّة أو ضدهما ، وكالقوة والضعف أو الشرف والوضاعة .

كما تنهي الآيةُ الحاكمَ عن اتباع أي قول وعمل يراد منه محاولة قلب الحق إلى باطل ، وعن الركون إلى الذين يستخفون بالكذبُ والبهتان .

والآية الثانية ترشد إلى طريق النجاة وسلم السلامة ، وهو الاستغفار والاعتراف بالخطأ والتقصير في جانب الله تبارك وتعالى ، فلا معصوم إلا مَن عصمه الله ، ورحمةُ رب العالمين هي شاطيء النجاة .

والآية الثالثة تبيّن أن الخائنين ليست لهم مكانة عند الخالق تعالى ، بل هم

---

(١) سورة النساء : ١٠٥ - ١١٠

(٢) سورة النساء : ١١١ - ١١٢

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : ٣٨٩/٢ ، نقلاً عن تفسير ابن جرير الطبري بإسناده الصحيح في سبب نزول هذه الآية الكريمة من سورة النساء موقوفاً على عبد الله بن مغفل بن عبيد بن فهم المزني رضي الله عنه ، وله حكم الرفع وهو سبب خاص ولكنه عام في جميع مثل هذه الحالات .

ممقوتون لا يحبهم الله ، وتنهي عن الاعتذار لهم والمحاجة عنهم ، وسواء أكانت خيانتهم بالمعاصي اللازمة التى يخص ضررها بصاحبها مثل الكفر والتكبر فضرها يعود عليهم ، أو بالمعاصى المتعدية مثل سرقة الأموال والاعتداء عليها ، أو هتك الأعراض أو سفك الدماء ، أو نقض العهد وخفر الأمانة ، أو الإخلال بالأمن والاستقرار فضرر معاصيهم يصل إلى غيرهم ، فأولئك وإن كانوا يخونون غيرهم فقد خانوا أنفسهم ، لأنهم خرجوا بها عن منهج الإسلام وعن سبيل المؤمنين فعرضوا أنفسهم للعقاب في الدنيا ولسخط الله وعذابه في الآخرة .

والآية الرابعة : تكشف السلوك السيء الذي يتبعه الخونة ، وتبين قصور نظرهم ودناءة نفوسهم وقِلَّة إيمانهم وقِلَّة إدراكهم لحقائق الأمور ، فهم يستترون بأعمالهم من الناس خشية المقت والعقوبة في الدنيا ، ولكنهم لا يستخفون من الله ولا يخافون من سخطه ، وهو المطلع عليهم والقاهر لهم والمسيطر عليهم فلا يخرجون من قبضته ، إنه تصوير لتلك الحال التي تورث الذلة والمهانة والحقارة لأنها دليل على الضعف النفسي وانحراف السلوك وانقلاب الفطرة .

والآية الخامسة : تفضح الذين يتوكلون عن المجرمين ويدافعون عنهم بدون حق ويحاولون قلب الباطل حقاً وقلب الحق باطلاً ، وتبين أن مجادلتهم لا تجدي شيئاً ، فلا بد أن تنكشف وتضمحل ، وإنما هي مجادلة في الدنيا ، وهي زائلة وما فيها ولا ميزان لها عند الله ، وإنما الأمْر الذي يستدعي الاهتمام هو أمر الآخرة دار البقاء والدوام ، دار الجزاء والحساب ، وفي ذلك اليوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه [١] ، فلا يجدون أحداً يجادل عنهم ولا يتوكل عليهم ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [٢] ، ولأن الله سبحانه يعلم عملهم وخيانتهم فلا محل للتمويه والتزوير .

---

(١) إشارة إلى الآيات ٣٤ - ٣٦ من سورة عبس .

(٢) سورة عبس : ٣٧

والآية السادسة : تعقب على ما تقدم وتفتح باب الأمل والرجاء بعد هذا العتاب والتهديد والتخويف للخائنين ووكلائهم ، وبعد أن عرضت نتائج أعمالهم: رغَّبهم الله في التوبة وطلب العفو من الله ، وأخبرهم بأنه واسع الرحمة والمغفرة ، وأن باب التوبة مفتوح على مصراعيه حتى تطلعُ الشمس من مغربها (١) ، فهو سبحانه حي قيوم قريب يجيب دعوة الداعين (٢) ، ويفرح بتوبة التائبين (٣) بدون قيد ولا شرط وبدون واسطة أحد ، لا نبي مرسل ولا مَلَك مقرَّب ولا عبد صالح .

والآية السابعة : تُعقِّب أيضاً على ما تقدم فهي تقرر فردية المسئولية على الجاني ، وتصورٍ حقيقة تحمل الجزاء ، فهي تبعث المجرم والخائن على الخوف والقلق حتى لو أخفى جزيمته أو فرّ بها أو رمى بها بريئاً ، وفي نفس الوقت تبعث الفرح والاطمئنان في نفس البريء إذا عرف أنه لا يُعاقَب على إثم غيره ، فليست هناك معصية يقع إثمها على غير العاصي : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (٤) ، وليس هناك توبة تنفع غير التائب .

والآية الثامنة : تصورٍ الجريمة المركَّبة والخيانة المضاعفة ، فالذي يعمل الخطيئة ثم يرم بها بريئاً ، فقد احتمل ثقلين عظميين كالجبلين الكبيرين : البُهتان بافترائه على البريء ، والإثم الواضح باقترافه المعصية . وفي هذه الآيات الثلاث الأخير قرر الرب تبارك وتعالى المباديء والأسس التي يُعامل بها عباده ، ويرسم ميزان العدالة لعباده ليتعاملوا به فيما بينهم .

---

(١) إشارة إلى حديث أبي موسي الأشعرى رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح برقم (٢٧٥٩) ، باب : قبول التوبة من الذنوب ، وكذا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مسلم برقم (٢٧٠٣) .

(٢) إشارة إلى الآية ١٨٦ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، البخاري : ٨٨/١١ الدعوات ، ومسلم في الصحيح برقم (٢٧٤٤) في التوبة .

(٤) سورة الأنعام : ١٦٤

وهكذا كل آيات القرآن الكريم تقرر قواعد التشريع ، وترسُم طريق السير للمؤمنين وتنير الطريق للسالكين ، فرسالة محمد ﷺ هى أعظم نعمة لله على البَشر أنقذت الإنسانية من حضيض الجاهلية الأولى ومن عمى البصيرة وفقدان الحياة الروحية ، وسمت بها إلى قمة العزة والفضل والسيادة والقيادة .

ورسالة محمد ﷺ هي التي ستنقذ الإنسانية من الجاهلية المعاصرة إن شاء الله تعالى .

فلا يعرف فضل هذ النعمة إلا مَن عرف حقيقتها ووفَّقه الله ، وعرف ضدها وحماه الله .

اللَّهم إنَّا نسألك الهداية والتوفيق ، ونسألك العصمة والحماية .

اللَّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية ، ويؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر ، إنك على كل شيء قدير ، أستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من تفسير الآية ١١٤ سورة النساء
الحث على الإصلاح

(الخطبة الثانية)

الحمد لله .. هو المستحق للحمد وحده .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله ولا نبي بعده .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (١) .

بعد أن بيَّن القرآن في الآيات التي سمعنا أولاً ، وبعد أن ختمها بمنته على رسوله ﷺ بحمايته وعصمته من كيد المفسدين ، وذكر فضله عليه بإنزال الكتاب والحكمة ، وتعليمه ما لم يكن له به علم (٢) ، وهي منة من الله على جميع أمة هذا الرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - وخاصةً على مَن آتاه الله العلم ووفَّقه للصواب والعمل به .

---

(١) سورة الأحزاب : ٧١

(٢) إشارة إلى الآية ١١٣ من سورة النساء .

بعد هذا قال تبارك وتعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (١) .

فهذه الآية مرتبطة بما قبلها ، فهي تنهي عن النجوى وعن التآمر على الغدر والخيانة ، وعن تبييت ما لا يُرضى اللهَ من القول ، وتُبيِّن أن هذا لا خير فيه ، ثم بيَّنت الطريق الذي يجب أن يسلكه الإنسان ، وهو التناجي في فعل الخير والمعروف والإصلاح بين الناس ، ثم يقرر جزاء هذه النجوى الطيبة وثوابها عند الله إذا أريد بها وجهُ الله وطلب مرضاته ، أما الرياء والسمعة والعمل لثناء الناسُ ليقال : محسن ، وخيِّر وطيب ، فهذه الاعتبارات لا قيمة لها في النتائج والثواب ، فانحراف القصد إلى تلك الناحية البَشرية يفسد العمل ويمنع الثواب ، وإنما الذي له تأثير الإعانة والتوفيق ويملك الثواب هو الله سبحانه ، فيجب أن يُقْصد وحده بعمل الخير ، وهو الذي يجب على الخلق التماسُ رضائِه والقربِ منه .

وقد نَهَى القرآن الكريم عن النجوى بالإثم والعدوان في عدة مواضع (٢) والحكمة في ذلك : حماية صَرْح الأمة من التصدع والمحافظة على عَصَا الطاعة من التشقق ، والإبقاء على الإخوة من التفرق . فالواجب على المسلم أن يكون بعيداً عن أسباب الشقاق والخلاف ، وأن يَرُدَّ أموره وما يخطر له من خواطر إلى القيادة المسلمة - لا سيما فيما يتعلق بالأمور العامة - ليحصل التعاون والتكاتف ، وسد أبواب الفوضَى والشقاقِ التي يدخل منها العابثون والمفسدون وأهلُ الحقدُ والحسد .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وتفهموا حقائق دينكم ، وخذوا بجميع أطرافه

---

(١) سورة النساء : ١١٤

(٢) ومنها في الآية : ٨ - ٩ من سورة المجادلة .

ولا تأخذوا بطرف وتتركوا الآخر ، وصلُّوا على البشير النذير (١) صاحب هذا المقام الكريم والخُلُق العظيم (٢) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارض اللَّهم عن الخلفاء الراشدين وعن الصحابة أجمعين وزوجات نبيك أمهات المؤمنين ومَن تبعهم بإحسان ، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهم آمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه الصلاح والفلاح .

اللَّهم اغفر لجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

واذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة الأحزاب .

(٢) إشارة إلى الآية ٤ من سورة القلم .

(٣) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦ - تفسير الآية (١١٤) من سورة النساء [١]

﴿ لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ .... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، ﴿ يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، يعلم سركم وجهركم ، ويعلم ما تكتمون [٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، وقائدُ الغر المحجلين .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [٥] .

---

(١) ألقيت في ١٥/٢/١٤٠٢ هـ .
(٢) سورة الفاتحة : ٢
(٣) سورة النمل : ٢٥
(٤) إشارة إلى معنى في قوله تعالى في الآية ١١٠ من سورة الأنبياء ، ومثله إلى معنى قوله تعالى في الآية ٣٠ من سورة الأنعام ، وفيه : ﴿ ويعلم ما تكسبون ﴾ .
(٥) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١

أيها المسلمون : يجب أن نقول الواقع ، وأن نعترف بالحقيقة ، وأن نترك المغالطات لأنفسنا وأهلنا إذا نظرنا إلى أكثر كلام الناس - سواء جهاراً أو إسراراً - نجد ما يكدر النفس ، فلو سجل ما يقال في مجلس واحد لملأ عشرات الأشرطة ، ولو دوِّن لبلغ مجلدات ، لكن أكثر ذلك الكلام لا خير منه ولا بركة فيه ، بل لو أعيد الكلام على مسمع صاحبه لتعجب مما صدر منه كثرة ونوعية ، ولو أراد أن يُلَخِّص منه فائدة لم يجد شيئاً مما ينفعه في دينه أو دنياه .

والإسلام لم يترك جانباً من جوانب حياة الإنسان إلا أخبر بما ينفع ورَّغب ، وحذَّر مما لا ينفع . قال تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١) .

الإنسان يُدوَّن عليه كلُ ما نطق به لسانه وكل ما عملته جوارحه : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (٢) ، ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (٣) . الإنسان سيسأل عن حياته وعن الأيام التي عاشها ، فيمْ قضاها .

الإنسان كُرِّم وفُضِّل على كثير من خلق الله لأمر عظيم ومسئولية في هذه الحياة ، فلا يجوز للإنسان أن يتجاهل واجبه ومسئولياته .

كل كلام الناس إذا لم يكن فيه نفع دينيٌّ أو دنيويٌ لا خير فيه ، وقد أشارت الآية الكريمة إلى ثلاثة أنواع من كلام الخير يندرج تحتها كل الأفعال الخيِّرة .

فالمنافع إما جلب مصلحة دينية ، أو مصلحة دنيوية ، أو درءُ مفسدة دينية أو دنيوية .

---

(١) سورة النساء : ١١٤

(٢) سورة الانفطار : ١٠ - ١٢

(٣) سورة ق : ١٨

فأشار إلى المنافع الدُّنيوية بالصدقة ، لأن المال هو قوام الحياة ، وأشار إلى المنافع الدينية بالمعروف وهو ما عرفه الشرع ، بالأمر والنهي ، وأشار إلى دَرْء المفاسد بالإصلاح بين الناس لأن فسادَ ذات البَيْن هي الحالقة ، تحلق الدين .

والكلام الخيِّر النافع هو الذي ينبغي للمسلم أن يشغل به وقته وأن يصرف فيه حياته : « مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (١) . يجتمع الإنسان الخيِّر بمثله فيقول أحدهما للآخر : إن فلاناً فقير متعففُ أفلا نتصدق عليه ؟ إن فلاناً مريض لا يجد قيمة العلاج أفلا نعالجه ؟ إن فلاناً عاطل عن العمل أفلا نبحث له عن عمل ؟

أو يقول : هَلُم إلى معروف نفعله : نذكر الله ، نتدارس القرآن أو سُنَّة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ، أو كتب العلم والفقه ، أو حان وقت الصلاة ، أو نعود مريضاً ، أو نصل رحماً .

أو يقول له : هَلُم نُصلح بين آل فلان وخصومهم ، أو نُصلح بين فلان وزوجه ، أو قريبه أو جاره : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) . لا يحيط بعظمته ولا بصفته ولا كميته إلا الله تعالى ، لكن بشرط إخلاص العمل لله فيعمل ابتغاء مرضاته وحده ، لا يفعله لينَال به جاهاً ولا شعبيَّة أو شرفاً ، ولا ليجلب به قلوب الناس ، ولا ليقال : فلان كريم جواد ، ولا ليقال : فلان يعطف على الفقراء والمساكين ، ولا ليقال : فلان داعية لله ، ولا ليقال : شخصية إسلامية بارزة ، ولا ليقال : فلان يحب الخير والإصلاح بين الناس (٣) . . . . وغير ذلك من المقاصد الدنيوية .

---

(١) البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، الأدب باب رقم (٣١) وحديث رقم (٦٠١٨) ، (٦٠١٩) ، والرقم الثاني من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه ، ومسلم الإيمان برقم (خاص ٧٤) .

(٢) سورة النساء : ١١٤

(٣) إشارة إلى إخلاص العمل لله تعالى مع حسن النية والمتابعة لرسول الله ﷺ =

فكلُ هذه وأمثالُها اعتبارات وأعراض زائلة مع زوال أصلها ، تفسد العمل وتغير اتجاهه من حُسن القصد إلى الله إلى العمل من أجل الدنيا ومن أجل الناس ، وهذا هو الشرك الخفي ، وإذا خلص العمل لله ، فإن الله يرضى عن صاحبه فيجعل له القبول عند خلقه ويحصل له الثناء دون أن يَقْصِدَه . والشيطان حريص على إفسَاد عمل ابن آدم وتغيير اتجاه نيته ، فقد يكون أصلُ النية حسناً خالصاً لله ، فيأتي إبليس فيوسوس إلى الإنسان بأن فلاناً يراك فأحْسِن العمل ليثنى الناس عليك ثناءً حسناً ، فيغير النية فيفوته ثواب عمله وهو لا يشعر ، فالمسلم لا يلتفت إلى هذه الوسوسة ولا يُلقى لها بالاً ، لا يعمل ولا يترك من أجل المخلوق ، بل يمضي على طريق الإخلاص ، فالوسوسة إذاً لا تضرُّه .

وأمَّا الكلام جهراً أو بنجوى فيما يسوء أحداً من المسلمين فرداً أو جماعة أو بما يضره بدون حق واضحٍ فيه من الله برهانٌ ، فهى نجوى وكلام محرَّم ، يعود على صاحبه بالوبال والخسران ، ولا يحصل له إلا ما قدّر له .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩ ﴾ (١) .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

= والبعد عن الرياء في جميع الأعمال والمعتقدات ، وإليه يشير الحديث النبوي الشريف ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم في الصحيح كتاب « الإمارة » حديث رقم (خاص ١٥٢) ، و(عام ١٩٠٥) ، وقد عقد النووي عليه الباب قائلاً : وهو برقم (٤٣) باب : من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، ثم أخرجه بسياق طويل ونحوه الإمام أحمد في المسند : ٢/ ٣٢٢

(١) سورة المجادلة : ٩

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كل سُلاَمى فى ابن آدمّ عليه صدقة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، اللَّهم لا نحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيتَ على نفسك (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإن جسم الإنسان يشتمل على ثلاثمائة وستين مفصلاً ، وبها تسهل الحركة والبحث عن منافعه وإصلاحُ شئونه ، وهذه نِعَم من الله على الإنسان يجب شكرها ، فعلى المؤمن أن يُقدِّم في كل يوم ثلاثمائة وستين صدقة بعدد مفاصله شكراً لله عليها ، وليعلم أن الله لطيف بعباده ، يسَّر لهم طرق الخير، ورضى منهم القليل وأعطاهم الجزيل .

روى البخاري ومسلم - رحمهما الله - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « كلُّ سُلاَمي من الناس عليه صدقة ، كلَّ يوم تطلعُ فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة ، ويُعين الرجلَ في دابته فيحملُه عليها أو يرفَع له عليها متاعه صدقةٌ ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح : الصلاة ، حديث رقم (٢٢٢) ، وهو من دعاء النبي ﷺ .

صدقة ، ويميط الأذي عن الطريق صدقة » [١] . فما أكثر طرق الخير وأيسرها ، ولكن الناس استولت عليهم الغفلة وسيطرت عليهم الشهوات وحب المسلِّيات ، يقضُون أوقاتَهم فيما لا خير فيه في فضول الحديث والقصص الخيالي لا خير ولا واقعية والصور الخادعة الكاذبة ، وكأنهم غير مسلمين ، وكأنهم غير عقلاء .

فاتقوا الله عباد الله ، وراقبوه واعلموا أنكم إليه تحشرون [٢] ، وعلى أعمالكم تحاسبون ، وعلى تفريطكم نادمون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون [٣] ، وصلُّوا على البشير النذير [٤] .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح في الصلح ، باب : فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه فى الفتح : ٥/٢٢٦ ، ونحوه مسلم في الصحيح : الزكاة برقم (عام ١٠٠٩) باب : بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف .

(٢) إشارة إلى جزء من الآية ١٠٣ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء .

(٤) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة الأحزاب .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

١٧ - تفسير الآية (١٣٥) من سورة النساء [(١)]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(٢)] ، خلق الخلق بقدرته ، وأرسل الرسل برحمته ، وقامت السموات والأرض بعدله .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ربوبيته وألوهيته ، وفي أسمائه وصفاته .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه وصفوته من أنبيائه ورسله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فإن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن ليكون نظاماً للبَشر ، للفرد والأسرة والجماعة والدولة ، ليس لأحد دون أحد ، ولا لجيل دون جيل ، ولا لبلد دون آخر ، ولا للعرب دون العجم : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [(٣)] ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [(٤)] .

---

(١) ألقيت في ١٠/١/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الأعراف : ١٥٨

(٤) سورة سبأ : ٢٨

القرآن منهج وعقيدة وسلوك ، ونظامُ معاملات وميزان عدالة ، يعالج خطرات النفس البَشرية بالدواء الذي أنزله خالق النفس ، وهو الخبيرُ بوساوسها ، العليمُ باتجاهاتها وميولاتها ، البصيرُ بطبائعها وطاقاتها .

القرآن يُربي النفس الإنسانية بأعلى مستويات التربية ، يريد أن تكون في القمة من الأخلاق والفضائل وحسن السلوك وإقامة العدل ومنع الظلم وبث التآخي والتعاطف والتعاون بين الناس والسير بهم على طريق النجاة .

والنفس لها ميولات ، وعواطفُ ، واتجاهات نحو ذاتها ونحو أقاربها ونحو الضعفاء والأقوياء ، ونحو الفقراء والأغنياء ، ونحو الأصدقاء والأعداء . والتجرد من هذه العواطف وتلك الميولات أمر صعب وشاق ، لأنه صعود من أسفل إلى أعلى ، وتعلمون ما في الصعود من مشقة وتعب ، فلا بد من وسيلة تساعد ولابد من سلم للرقى .

والإيمان هو الوسيلة التي يرقى بها المؤمن إلى المستوى العالي الذي يريده القرآن لبني آدم .

الإيمان هو المصعد الذي يرفع الإنسان إلى ذلك المستوى الرفيع .

الإيمان يعطي الإنسان جَنَاحين يطير بهما كالطائر يعلو بهما إلى طبقات العلا ، أحدهما جناح الخوف من الله ، والثاني جناحُ الرجاء فيما عند الله ، فالذي لا يطير بهذين الجناحين يبقي داحضاً في حضيض الردي ، والذي لا يخاف من الله ولا يرجو ما عند الله لا يعمل شيئاً لله ، والذي لا يعمل من أجل الله يغلبه الهوى ، والهوى يضل عن سبيل الله .

أرجوكم رجاءً خاصاً أخوياً أن تجمعوا سمعكم وقلوبكم لاستماع هذه الآية من سورة النساء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ (١) .

النداء عام فليس للقضاة وحدهم ، ولا للولاة وحدهم ، بل لجميع المؤمنين كلٌّ فيما يخصه ، وخصَّ المؤمنين بالنداء دون بقية الناس لأن المؤمنين هم الذين عرفوا الحق واتبعوه ، وهم الذين عندهم سلم الرقي إلى شرف الإسلام وإلى مناجاة مَن في السماء .

الله أكبر . . إنها التربية بأعلى المستويات ، إنه التوجيه الفريد والعدل الذي ليس بعده عدل ، النفسُ والأبُ والأم والإخوة والزوجُ والأقرباءُ والأصدقاء والأعداء والفقراء والأغنياء والضعفاء والأقوياء . كلهم في العدل سواء : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ (٢)

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (٣) .

القسط المذكور في الآية هو العدل ، والقوَّامون : جمع قوَّام ، والقوَّام : صيغة مبالغة من قائم .

قال الحافظ ابن كثير : يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوَّامين بالقسط ، أي بالعدل ، فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً ، ولا تأخذهم في الله لومةُ لائم ولا يَصْرفهم عنه صارف ، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه .

---

(١) سورة النساء : ١٣٥
(٢) سورة المائدة : ٢
(٣) سورة المائدة : ٨

وقال الفخر الرازي : لما تقدَّم ذِكْر النساء والنشوز والمصالحة بَيْنهن وبين الأزواج أعقبه بالأمر بالقيام بأداء الحقوق لله تعالى وبالشهادة لأداء حقوق الله ، وبالجملة فكأنه قِيْل : إن اشتغلتَ بتحصيل مشتهياتك كنت لنفسك لا لله ، وإن اشتغلت بتحصيل مأمورات الله كنت لله لا لنفسك ، ولا شك أن هذا المقام أعلى وأشرف .

وقال القرطبي : لا خلاف بين أهل العلم في صحة أحكام هذه الآية ، وأن شهادة الولد على الوالدين (الأب والأم) ماضية ، ولا يمنع ذلك من بِرِّهما ، بل من برِّهما أن يشهد عليهما ويُخلصهما من الباطل وهو معنى قوله : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ شُهداء لله ﴾ ، أي أن الشهادة حق لله تُؤدَي من أجله يُثَاب مؤديها لله ويُعاقَب كاتمها : ﴿ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾ (٢) . فليست الشهادة للناس ولا للدنيا ، ولا لإرضاء أحد ولا لمضارته .

العدل ميزان الله في أرضه ، به تُحقَن الدماء ، وتُصَان الأعراض ، وتُحفَظ الحقوق ، ويَنْتشر الأمن ويَعُم الرَّخاء ، ولا يتحقق العدل إلا بإقامة الشهادة على وجهها وبالتعاون على البِرِّ والتقوى .

وكيف يشهد الإنسان على نفسه ؟

إذا أقرَّ المرء بالحق الذي عليه ثبت الحق بالإقرار كما يثبت بالشهادة بل آكد ، فهو بإقراره شهد على نفسه .

وذكر بعض المفسرين تفسيراً آخر فقال : أن يكون المراد وإن كانت الشهادة وَبَالاً على أنفسكم وأقاربكم ، وذلك أن يشهد علي من يُتَوقعُ ضررُه من سُلطان ظالم أو غيره ، ومثل ذلك الشهادة على البذيء الفحَّاش الطعَّان الذي

(١) سورة التحريم : ٦

(٢) سورة البقرة : ٢٨٣

لا شيمة له ولا خُلُق ولا دين ، فلا يمنع ذلك من أداء الشهادة لله ، وهكذا يربي القرآن أمة محمد ﷺ على مقاومة الدوافع النفسية والمشاعر الفطرية والاجتماعية ، فحين يكون المشهود عليه أب أو أم أو أحد الأقرباء فتتحرك الحمية والعطف ، وكذلك إذا كان المشهود عليه فقيراً أو ضعيفاً فقد تشفق عليه النفس فلا تشهد عليه ، بل تحب أن تشهد معه لضعفه أو فقره ، أو يكون الضعف أو الفقر مدعاة للشهادة ضده عند بعض النفوس التي فيها خصال من جاهلية ، وكذلك حين يكون المشهود عليه غنياً أو قوياً ، فقد تقضي الأوضاع الاجتماعية مجاملته ، وقد يثير غناه أو تصرفاتُه بعضَ الناس ضده فيحاول أن يشهد عليه لإهانته . والقرآن يلغي هذه المشاعر وهذه التصورات ويُلْقيها جانباً ، لا قيمة لها أمام الحق والعدل ، ولذلك قال : ﴿ فالله أولى بهما ﴾ ، فهو أعلم بما فيه صَلاَحهما وهو أرحم بهما من الناس .

ثم ختم الآية بالوعيد الشديد لمن اتبع الهوى فلم يعدل ، ولمن حرف الشهادة وغيرها أو أداها بكلام فيه مُغالطة ، أو يُعرض عنها فلا يؤديها .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، هناك قضايا لا تُعرف إلا بالإقرار ، مثلُ : دعاوي الزوجين فيما هو داخل البيت ، ومثل القضايا التي تكون على غيبة من الشاهد ، فيجب الإقرار بالحقيقة والشهادة على النفس بالواقع ، فمَن كتم فهو آثم قلبه ، ومَن جحد فهو كاذب ، والمؤمن لا يكون كذلك ، والاعتراف بالحق فضيلة . وهناك حقوق ودماء وأعراض لا تُحفظ إلا بالشهادة على النفس ، فكونوا عباد الله قوَّامين بالقسط شهداء لله .

اللَّهم إنَّا نسألك كلمة الحق في الغضب والرضا .

اللَّهم ألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

سرقة الدرع

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمداً وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فخير وصية المسلم لأخيه المسلم تقوى الله ، فإذا حصلت التقوى حصل كل خير في الدنيا والآخرة ، وهي وصية الله تبارك وتعالى لعباده : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (١) . فراقبوا ربكم أيها المسلمون ، وانظُروا ماذا تقولون وماذا تفعلون ، وزِنُوه بالقسطاس المستقيم .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة المائدة : ٥٠

(٣) سورة النساء : ١٣١

حصل في عهد رَسول الله ﷺ قضية وخفي أمرها وحكم فيها عالِم الغيب والشهادة من فوق سبع سموات . سُرق درع لرجل من الأنصار ، واتهم فيه ابن أبيرق ، ورفعت القضية لرسول الله ﷺ ، فذهب السارق وألقي الدرع في بيت رجل يهودي وأخبر بعض أقربائه ، فجاء نفر منهم وقالوا : يا رسول الله ؛ إن صاحبنا بريء ، وإنما عَمَد قتادة بنُ النعمان إلى بيت منا أهل إسلام وصلاح ورماهم بالسرقة ، فأبريء يا رسول الله صاحبنا أمام الناس ، فإن لم تُعذره هلك ، فبرأه رسول الله ، فنزل القرآن بالحكم في القضية : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ جَـٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَـٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (١) .

وهذا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يضرب المثل القيم في إنفاذ العدل ، لما بعثه الرسول ﷺ إلى خيبر لخرص ثمارهم وزروعهم ، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم ، فقال : والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليَّ ، ولأنتم أبغض إليّ من أعدادكم من القردة والخنازير ، وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم ، فقالوا : رضينا .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . كونوا قوَّامين بالقسط شهداء لله ، وصلّوا على البشير النذير .

* * *

---

(١) سورة النساء : ١٠٥ - ١٠٩ . انظر تفسير ابن كثير : ٣٥٩/٢ ، وقال : وهذا سياق غريب ، وكذا ذكر مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في سارق بني أبيرق على اختلاف سياقهم وهي متقاربة .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨ - تفسير الآية (٣) من سورة المائدة [١]

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي .... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، « اللَّهم لا نحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيتَ على نفسك » [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، خلقنا من العدم وربانا بجميع النِّعم : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدي ودين الحق ، فبيَّن الرشد من الغي [٥] ، وهَدَي للتي هي أقوم [٦] .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على البشير النذير والسراج المنير نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد . .

فإن آخر ما نزل من القرآن الكريم آية في سورة المائدة تكلَّم الرب تعالى

---

(١) ألقيت في ١٤٠١/١١/٢٠ هـ .
(٢) سورة الفاتحة : ٢
(٣) جزء من حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح : الصلاة برقم (خاص ٢٢٢) ، و(عام ٤٨٦) .
(٤) سورة إبراهيم : ٣٤
(٥) إشارة إلى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .
(٦) إشارة إلى الآية ٩ من سورة الإسراء .

عن نفسه وأخبر بأنه أكمل لأمة محمد ﷺ دينهم ، وأنه أتم عليهم نعمته ، وأنه رضي لهم الإسلام ديناً ، فأكمل الله بها الدين وأتم بها النعمة ؛ وأيس الذين كفروا من أن ينالوا من دين الإسلام أو أن ينقضوه أو أن يحرفوه ، فقد كتب الله له الكمال وسجَّل له البقاء ، وتكفَّل الله بحفظه وحمايته : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (١) . وقد بيَّن الله تعالى في محكم التنزيل أن رسالة محمد ﷺ كاملة .

هذه الآية من سورة المائدة تتخلل أحكام الحلال والحرام إشارة إلى ترابط قواعد هذا الدين وأنه وحدة متكاملة وكُتلة مجتمعة لا يقبل التجزئة ولا التفرقة ، فلا يصلح أن يُؤخذ ببعضه ويترك البعض ، ولا أن يُحكم به في جانب من الحياة دون جانب ، فلا يكفي الإيمان في القلب دون التطبيق العملي ، ولا يكفي تطبيقه في العبادات دون المعاملات ؛ ولا يكفي تحكيمه في الأحوال الشخصية دون الحدود والحقوق ؛ فمَن ترك جزءاً (٣) من أجزاء الإسلام فكأنما تركه كله ، ومَن رفض حكماً من أحكامه فكأنما رفض أحكامه كلها ، ومَن نَفَى آية من القرآن فكأنما نفاه كله ، فهو دين متماسك كامل لا يقبل التجزئة ولا التفرقة : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥ ﴾ (٣) .

وحينما يتأمل المؤمن هذه الدنيا ويستعرض موكب الحياة البَشرية ، من أول خلقِ آدم عليه السلام من طين ، من صلصال ، من حمإٍ مسنون (٤) ، ثم خلقِ زوجه ، ثم أخذ العهد عليهما بألا يقربا تلك الشجرة ، ثم أخذِ العهد

---

(١) سورة الحجر : ٩

(٢) إشارة إلى الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(٣) سورة البقرة : ٨٥

(٤) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة إبراهيم .

على ذُرِّية آدم على ربوبية الله ، ثم وقوعِ الكذب والغدر والخيانة من إبليس لآدم وزوجه (١) ، ثم مخالفة العهد والأكلِ من الشجرة ، ثم الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض ، ثم أخذ العهد من الفريقين ، باتباع الهدى ، واجتناب الغي والردي ، ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٢) ، ثم نسيانِ بني آدم للعهد حتى استهوتهم الشياطينُ فأغوتهم فعَبدوا الأصنام من دون الله : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣) ، ثم تتابعِ الرسالات من عهد نوح عليه السلام بالهدى والنور والتوعية والتبصرة ، كلّما غفلت أمة عن مهمتها ، وقَصَّرت فى أداء واجبها ، وانحرفت عن صراط ربها ، أرسل الله إليها رسولاً منها يهديها الطريقَ القويم ، فكانَ الرسولَ يُبعث في قومه خاصةً حتى شاء الله أن يختمَ الرسالاتِ ويقطعَ الوحي من السماء لقرب انتهاء المطاف بهذه الحياة الدنيا ، ختمها برسالة كاملة شاملة أرسل بها رسولاً طهّره واصطفاه وقرَّبه ، وأدناه (٤) فأرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس بشيراً ونذيراً ورحمة للعالَمين وسراجاً منيراً (٥) ، وأنزل عليه كتاباً مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه (٦) ، أنزل عليه وحياً يخاطب العقول والفطرة ويتناول جميع نواحي الحياة ، حياةِ الفرد والأسرة وحياةِ المجتمع والدولة ،

---

(١) إشارة إلى الآية ٣٥ سورة البقرة .

(٢) سورة البقرة : ٣٨

(٣) سورة نوح : ٢٣

(٤) إشارة إلى الآية ٨ من سورة النجم .

(٥) الآية ٣٨ من سورة الأنعام .

(٦) إشارة إلى الآية ٤٨ من سورة المائدة .

نَظَّم صلةَ الإنسان بخالقه وصلة المسلم بأخيه المسلم وصلة المسلم بغيره ؛ حتى صلتَه بالحيوان [١] وجميع أفراد العالَم الصامت والناطق وعالج جميع المشاكل ، ورسم جميع النظم في كل الأمور صغيرها وكبيرها حتى حاجة الإنسان كيف يقضيها : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٢] ، فالذي أنزل النظام السماوي للإسلام هو الذي خلق الإنسان وهو الذي خلق الكون ويعلم ما كان فيه وما سيكون من تطورات وتغيرات وما يستجد من متطلبات ، فجعله نظاماً يتسع لجميع الاحتمالات في إطار العدل والمساواة وفي ظل التقوى وخشية الله ، فلا يجوز لمسلم أن يتصور أن هذا الدين غيرُ شامل أو أنه يحتاج إلى تكملة أو زيادة أو نقصان أو تنسيق أو تطوير ، فإن هذا تصورٌ خاطيء يخالف حقيقة الإسلام .

ولكن أبناء الإسلام هم الذين في حاجة إلى فهم إسلامهم وتدبر كتابهم والعملِ به قولاً وعملاً واعتقاداً ، ولا شك أن إتمام هذا الدين من أعظم نِعَم الله على المسلمين : ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ [٣] ، فكل نعمة في جانب نعمة الإسلام ليست شيئاً يُذكر ، فالإسلام هو الحياة الحقيقية ، وهو الذي فيه العز والسعادة والكرامة للإنسان في الدنيا والآخرة ، وهو الذي يتميز به المسلم عن غيره ، أما باقي النعم فيستوي فيها المسلم وغير المسلم ، والإنسان وغير الإنسان ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٤] .

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، البخاري برقم (٣٤٨٢) ، ونحوه مسلم في الصحيح برقم (٢٧٥٦) : « دخلت امرأة النار في هرة .... » .

(٢) سورة الأنعام : ٣٨

(٣) سورة المائدة : ٣

(٤) سورة الأنبياء : ١٠٧

فاشكروا ربكم أيها المسلمون على هدايته ، وتوبوا إلى الله وارجعوا إلى إسلامكم وتعاليم دينكم ، وحكّموا شرع الله بينكم ، وإذا كانت المحاكم الشرعية غير متيسرة لدى البعض ، فلو اتفق الخصمان على رجل يرضونَ علْمه وأمانتَه ليفصلَ بينهم على وفق شرع الله وينفذونه بينهم لكان أسلمَ وأقومَ . ولو جعلت محاكم خيريةً إسلامية بالتراضِ كما جُعِلت مدارسُ وجمعيات ومؤسساتٌ خيرية ، فلعل الله أن يجعل في ذلك خيراً كثيراً ، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [1] ، ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [2] ، ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [3] .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، واهدنا الصراط المستقيم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة النساء : ٦٥

(٢) سورة النور ، آية : ٥١

(٣) سورة النساء ، آية : ٥٩

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من تفسير قوله تعالى : ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ شكر الله على نعمة الإسلام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، مليء السموات ومليء الأرض (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، شهادةً أرجو بها الزلفَى إلى الله والنجاة يوم نلقاه .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن اختيار الخالق تبارك وتعالى دين الإسلام شرعة ومنهجاً للمؤمنين دليل على عنايته تعالى بهم ومحبته لهم ورضائه عنهم : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٢) ، فواجب الأمة المسلمة أن تبذُل جهدها لشكر المنعِم عليها ، وأن تقوم بكل قُدْراتها بحقوق ربها ، وأن تُدْرك مدى هذا الاختيارِ وهذا الرضا فَتَتمسكُ بدينها الذي رضيهُ لها ربها بكل عزائمها ، وأن تعض عليه بنواجذها ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) إشارة إلى حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه . أخرجه النووي : ١٩٦/٢ ، وإسناده صحيح .

(٢) سورة المائدة : ٣

(٣) سورة آل عمران : ٨٥

إنه من السفه والجهالة أن يَتْرك المسلم ديناً اختاره الله لعباده ورضيه لأوليائه إلى نظم وضعية ، وضعتها أيدٍ بَشرية خطؤها أكثر من صوابها ، وحيفها أكثر من عدلها ؛ فالإنسان لم يستطع أن ينظم نفسه وأسرته إلا بنظام الإسلام ، اعترافاً أو اقتباساً ، فكيف ينظم مجتمعاً وهو الضعيف المسكين ؟ ولذلك نرى تلك النظم تَتَغيَّر من آنٍ لآخر لأي سبب من الأسباب ، ولأي غرض من الأغراض .

إن الذين تنكَّبوا عن الصراط السوي مجاراةً للناس أو لأطماع دنيوية وتركوا كتاب الله سواء أكان تنكبهم عن علم ورغبة عن الإسلام ، أو عن جهل بحقيقة الإسلام ، هؤلاء الناكبون لن يُتركوا بلا جزاء ولا عقاب ، وإن من أشد العقاب أن يُطْمس على بصيرة الإنسان فتنقلبَ تصوراته فيرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨ ﴾ (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٣٣ ﴾ (٢) .

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾ (٣)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦ ﴾ (٤) .

* * *

---

(١) سورة فاطر : ٨
(٢) سورة لقمان : ٣٣
(٣) سورة فاطر : ٦
(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩ - تفسير الآية (٣٨) من سورة المائدة (١)

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (٤) .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، ما ترك خيراً إلا دلّ أمته عليه ورغَّبها فيه ، ولا شراً إلا بيَّنه لها وحذرها منه .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع مِلَّته وحكم بحكمه .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى في السر والعلن ، فمن اتقى الله كفاه كل أمر يهمه ، وحفظ له شأنه ، ويسِّر له أمره ، ورزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (٥) .

---

(١) ألقيت في ٢٣/٢/١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة المائدة : ٤٠

(٤) سورة التوبة : ٣٣

(٥) إشارة إلى الآية ٣ من سورة الطلاق .

ثم أوصيكم بتأمل هذه الآية الكريمة من سورة المائدة وتدبر معانيها ، وتفهم مدلولاتها ، والنظر في مصالحها للفرد والجماعة ، وهي قوله تعالى :
﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣٩ ﴾ (١) .

إن الإسلام وضع أحكاماً وحدوداً لحماية الأنفس والأعراض والأموال ، ولحماية النظام العام والأمن المبني على شرع الله ، ونظام الإسلام هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٢) ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ (٣) . والسُّنَّة المطَّهرة الصحيحة تُفسِّر القرآن وتبيِّنه . هذا الدستور الذي تكفَّل الله له بالخلود إلى أن تقوم الساعة ، وتكفَّل لمن اتبعه وسار على منهجه بالعز والتمكين ، خضعت له الجن والإنس طوعاً وكرهاً ، طوعاً بالإيمان والتصديق ، وكرهاً بالفطرة والأمر الواقع : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ (٤) .

اجتمعت هيئة الأمم المتحدة لدراسة نظمها وقوانينها ، وقدَّم كل مندوب دستور بلاده من القوانين الوضعية ، ولما جاء دور المملكة العربية السعودية ، بلاد الإسلام التى تحكم بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ ، فقدم مندوب المملكة المصحف العظيم ، وقال : هذا هو دستورنا ، فخضع له جميع الحاضرين من المسلمين وغير المسلمين ، وحنوا صدورهم وأرخوا رؤوسهم خضوعاً له وتعظيماً ، وإكباراً وإجلالاً واعترافاً بأنه مهيمناً على الكتب

---

(١) سورة المائدة : ٣٨ - ٣٩

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في وصف القرآن الآية ٤٢ من سورة فصلت .

(٣) سورة الحجر : ٩

(٤) سورة الرعد : ١٥

والنظم ، وكلام الله العظيم يقف عنده كل قول ، وتذوبُ أمامه جميع المعارضات والأباطيل .

فالمجتمع المسلم والأمة المسلمة تُقيم حياتها كلهَا على نظام الإسلام وعلى منهج الإسلام وعلى شريعة الله في جميع شئونها وارتباطاتها وعلاقاتها ، وبهذا تكفل لكل فرد ولكل جماعة مقومات العدالة والكفاية والأمن والاستقرار ، وتستطيعُ أن تدفع عنها عواملَ الشر والاستفزاز وكلَّ دوافع الظلم والاعتداء .

وأمة تتخلق بأخلاق الإسلام وتحكم بشريعة الله وحكمه في جميع شئونها يُعتبر الاعتداءُ على شيء من حقوقها الفردية أو العامة ؛ جريمة بشعةً منكرةً ، لذلك وضع الخالق تبارك وتعالى الحدود والجزاءات على الجرائم لحماية الأمة المسلمة ، وحماية حقوقها العامة والخاصة ، ولإصلاح ما فسد ومعالجة الأمراض الاجتماعية ، فيجب على كل مسلم أن يتلقى أحكام الإسلام وحدود رب الناس بالرضا والقبول والتسليم دون تردد ودون شك أو ريب : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾(١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها » (رواه البخاري ومسلم) (٢) .

ولا شك في أن فوائد الحدود راجعة إلى البَشر ، حتى الذي أقيم عليه الحد ،

---

(١) سورة النساء : ٦٥

(٢) البخاري ، باب : إقامة الحدود على الشريف والوضيع (٦٨٨٧) ، وباب : كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان (٦٧٨٨) ، ومسلم في الحدود (١٦٨٨) باب : قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود ، وأبو داود والترمذي والنسائي .

فإقامة الحدود تربي الضمائر وترقق الطباع ، وتهذب الأخلاق ، وتَصدُّ عن طريق الشر وتوجه إلى طريق الخير ، وتكسِرُ شوكة الشر من النفوس وتمنع الجريمة ، وتحملُ على القناعة بالرزق المباح وإن قلّ ، وتكسر سَوْرة الحسد والنظر إلى ما في أيدي الناس ، وتنشر الأمن والاستقرار ، وتسببُ الرخاء والخيرات ، وتحث على التوبة إلى الله والاستقامة .

والقطع في السرقة واعظ ملازم ، وزاجرٌ مشاهَد ، مَنْ رآه اتعظ به ، فبقطع واحد يَصْلح ملايين ، وتستقر أقاليم ، وتتعظ أمم (١) . والعَجبُ كلُ العجب ممن يقول إن القطع فيه شدة ولا يتفق مع المدنية المعاصرة ، سبحان الله ، نعم فيه شدة على المجرم الذي أرهب الأمة ، وأخاف الآمنين ، وأخذ المال المعصوم ، ولكن هذه الشدة مع الجاني فيها رحمة بعشرات الملايين ورحمة للجاني نفسه حتى لا يعود لمثلها ، وحتى يبحث عن عمل شريف ، وفيه زجر لمن تحدثه نفسه بمثل السرقة ، ثم يسأل إذا كان الخلق خلق الله ، والمُلْك لله ، والبَشر مِلْك لله فهل من حق المدنية أن تنشر الفوضى وتخل بالأمن وتبعث الإرهابَ وتغمط الحقوق ، وتسعى بالظلم ؟

هل هؤلاء أعرف بمصالح الناس من خالقهم ؟

هل هم أرحم بالناس من ربهم ؟

ما يريد هؤلاء إلا تشجيع الجرائم وإفساد المجتمعات ، والإخلال بالأمن ونشر الفوضى والإرهاب ، وقد أثبتت التجارب أن إقامة الحدود هي التي تقضي على الجرائم ، وتسد باب الشر والفساد كما هو المحسوس في المملكة العربية السعودية ، وأن إهمال الحدود هو الذي يسبب الفوضى وانتشار الشر

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٧٩ من سورة البقرة ، : ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولوا الألباب ﴾ .

والفساد وعدم المبالاة (١) . إن إقامة حد في الأرض خيرٌ لأهلها من أن يُمطروا أربعين يوماً ، كما جاء في حدث أبي هريرة (٢) رضي الله عنه عند النسائي وابن ماجه ، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما عند ابن ماجه ، وأما حديثُ ابن عباس رضي عنهما الذي رواه الطبراني بإسناد حسن فنصه : « وحدٌّ يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاماً » (٣) . وإذا تأملنا البلاد التي تُحكم بشرع الله وتُقام فيها حدود الله ، وجدنا الجرائم فيها قليلة ضئيلة لا تُذكر في الحجم والمقدار ، بالنسبة للجرائم والحوادث والفتن في البلاد التي لا تحكم بشرع الله ولا تقيم حدود الله ، فالسلطان الذي يدين بدين الحق ويحكم بما أنزل الله يجعل الله له هيبة وقبولاً ، وضدُه بضده كما قال صلى الله عليه وسلم : « من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » (٤) . ولا عبرة بما نسمعه من تجمع الأحزاب مع

---

(١) مثل ما نسمع عنه في كبريات الدول ، تتألف عصابات مسلحة تسرق الصناديق وترهب الآمنين وتدهش المشاهدين .

(٢) حديث أبي هريرة أخرجه النسائي : ٧٦/٨ في قطع السارق ، باب : الترغيب في إقامة الحد وهو موقوف .

(٣) حديث ابن عباس أخرجه الطبراني في الكبير (١١٩٣٣) ، وفي الأوسط مرفوعاً بلفظ : « يَوْمٌ من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة ، وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاماً » . قال المنذري في الترغيب والترهيب : ٣٤٦/٣ : رواه الطبراني بإسناد حسن .

(٤) إسناده حسن أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٤٩٩) ، (٥٠٠) ، وابن المبارك في الزهد (١٩٩) ، ومن طريقه الترمذي (٢٤١٤) في الزهد ، والبغوي (٤٢١٣) كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها .

زعمائهم ، فإنما هي أطماع دنيوية ، فإذا لم ينالوا منه مرادهم لاموه وصاروا ضده في الانتخابات ، « ما كان للهِ دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل » (١) .

فإذا رأيتم حدود الله تُنفذ فاحمدوا الله على نعمه وهدايته ورعايته وتوفيقه ، واسألوا الله العفو والعافية ولا تلوموا ولا تُشمتوا ، ولازموا طاعة الله وطاعة رسوله وجماعة المسلمين .

نسأل الله الهداية والتوفيق والثبات لنا ولإخواننا المسلمين ، ونسأله المغفرة والرحمة ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى عدة نصوص قرآنية وسنية بمعناه ، منها قوله تعالى في الآيات ٢ ، ٣ ، ١١ ، ١٤ من سورة الزمر ، والآية ٦٥ من سورة غافر . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً ، وأما قوله : « وما كان لغير الله انقطع وانفصل » معناه في قوله تعالى في الآية ١٦٦ من سورة البقرة ، والآية ١١٤ من سورة التوبة ، وغيرهما من الآيات الكثيرة .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النجاة من الفتن

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (١)

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإن أحسن الحديث كتاب الله ، وأصدق القول كلام الله ، وخيرُ الهَدْى هَدْىُ نبينا محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة في الإسلام ضلالة ، وكل ضلالة في النار (٢) . واعلموا أن يد الله مع الجماعة ، ومن شذَّ شذ في النار (٣) . إن الفتن تحيط بالمسلمين من كل جانب ولا منجى منها إلا بالاعتصام بكتاب الله والالتجاء إلى فاطر السموات والأرض ، والعمل بسنة نبينا محمد ﷺ .

---

(١) سورة الأعراف : ٤٣

(٢) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، ابن ماجه برقم (٤٦) بسياق طويل وفيه هذا اللفظ ، وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، الترمذي برقم (٢١٦٧) ، وإسناده حسن مع الشواهد .

واعلموا أن الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم [(١)] إليكم فخذوا حذركم ، فقد تنوعت أسباب المنايا وكثر موت الفجأة ، ونحن في آخر الزمان ، في وقت الفتن والمحن .

الجأوا إلى فاطر السموات في السرَّاء والضرَّاء ، وأصلحوا ما بينكم وبينه يصلح ما بينكم وبين الناس [(٢)] .

راجعوا أنفسكم وأصلحوا من شأنكم واعترفوا لله بتقصيركم وخطئكم ، ولا ترغبوا عن نظام الإسلام ولا عن دستور القرآن ونصوصه ، تعبَّدوا الله بتلاوة القرآن وتحكيم أحكامه .

ارحموا الفقراء والمساكين وانصروا المظلومين ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء .

وأكثروا من ذكر الله بالتهليل والتكبير والاستغفار .

وحافظوا على الصلوات المكتوبة في أوقاتها ، وأدُّوا زكاة أموالكم يبارك الله لكم فيها ويحفظها لكم .

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير ، فقال جَلَّ قائلاً عليماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [(٣)] .

* * *

---

(١) مقالة مشهورة وردت عن بعض التابعين رضي الله عنهم ، وهي حق وصواب وواقع ملموس .

(٢) معناه في كتاب الله تعالى في الآية ١١٨ من سورة التوبة ، والآية ٤٧ من سورة الشورى .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

٢٠ - تفسير الآية (١١٨) من سورة التوبة [(١)]

ساعة العُسْرة والثلاثة الذين خُلِّفوا

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(٢)] ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [(٣)] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، يَبْتلي ويختبر ليعلم الذين آمنوا ويعلم المنافقين ، وليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين [(٤)] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .:.

ففي مثل هذه الأيام في حمارَّة القيظ ، في وقت اشتد فيه الحر ، في سنة مجدبة ، وفي عُسرة من الزاد والراحلة ، وفي قِلَّة من الماء ، وحين طاب الظل ونَضَجت الثمار في المدينة المنورة ، وحين توفرت مغريات الإقامة ، نَدب رسول الله ﷺ لتجهيز جيش العُسرة إلي تبوك ، فلم تقعد مُنَفِّراتُ

---

(١) ألقيت في ١٠/١/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الأحزاب : ٤٣

(٤) إشارة إلى معنى قوله تعالى في الآية ٣ من سورة العنكبوت .

السفر ولا مُغريات الإقامة بالمؤمنين الصادقين عن تلبية دعوة رسول الله ﷺ ، فنفر أكثر من ثلاثين ألف مقاتل منهم عشرة آلاف فارس ، ولم يتخلف إلا منافق منغمس في النفاق ، أو صاحب عذر ، إلا ثلاثة نفر من المؤمنين الصادقين أقعدهم القَدَر وأخَرهم التسويف . ولله في ذلك حكم (١) .

فجهز عثمان بن عفان رضي الله عنه ذلك الجيش بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وعدتها وبألف دينار . فقال رسول الله ﷺ : « غفر الله لك يا عثمان ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر (٢) ، وما أخفيت وما أعلنت » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما على عثمان ما فعل بعد هذا ، ما ضر ابن عفانَ ماعمل بعد اليوم » ، يُكررها (٣) .

وكان النفر يتعاقبون على بعير (٤) ، وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير ، والإهالة النتنة ، وبعض الرفقة ليس معهم إلا التمرات ، فإذا بلغ الجوعُ من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ، ثم يعطيها لصاحبه حتى يشرب عليها جُرعة من ماء ، وهكذا حتى تأتي على آخرهم فلا يبقي في التمرة إلا النواة ، انه ابتلاء واختبار (٥) ، فمضوا مع رسول الله ﷺ على

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . البخاري برقم (٢٨٣٨) الجهاد ، الباب (٣٥) : مَن حبسه العذر عن الغزو ، وهي غزوة تبوك .

(٢) معناه في الصحيح عن حديث عبد الله بن عمر ، البخاري (٣٦٩٨) : ١٩/٣ ، والترمذي (٣٧٠٦) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد : ١٠١/٢ ، وفي فضائل الصحابة (٧٣٧) .

(٣) البخاري معلقاً (٢٧٧٨) ، ورواه الدارقطني موصولاً : ١٩٩/٤ ، وقال الحافظ في الفتح : إنه موصول الإسماعيلي : ٤٠٧/٥ ، وأحمد في المسند : ٥٩/١ ، وفضائل الصحابة (٣) .

(٤) هذا اللفظ ثابت في مسند الإمام أحمد في غزوة بدر : ٤٢٢/١ من حديث ابن مسعود .

(٥) هذا ثابت في الصحيح ، البخاري برقم (٣١٥٩) في غير هذه الغزوة ، وهو من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتفسير الطبري : ٥٥/١١ وهو غزوة تبوك .

صبرهم وتحملهم واحتسابهم لما عند الله ، فأنزل الله فيهم قوله تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) . وصف أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب رضي الله عنه ساعة العُسرة فقال : نزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، وحتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرشه فيشربه ويحمل ما بقى على كبده ، وأصاب الناس مجاعةٌ (٢) ، ولله خزائن السموات والأرض ولكن أراد أن يختبر المؤمنين ليظهر طاعتهم للعيان وليختبر استسلامهم لله ولرسوله ﷺ في أشد الأحوال ليشتد عودهم وتقوى شكيمتهم ، ثم طلب أبو بكر رضي الله عنه من النبي ﷺ أن يستسقى ربه ، فاستسقى فأمطرت سحابة على المعسكر فشربوا وحملوا كفايتهم (٣) ، وطلب عمر من رسول الله ﷺ أن يجمع ما مع الجيش من طعام ويدعو فيه فجاء الرجل بكسرة تمر ، والرجل بحفنة من تمر ، والرجل بكسرة من خبز ، ووضع على النطع أقل من ربضة العتر ، فدعا رسول الله ﷺ في الطعام وسأل ، فأنزل الله فيه البركة فأكلوا وشبعوا وملؤا أوعيتهم (٤) .

وكان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة كعب بن مالك - شهد

---

(١) سورة التوبة : ١١٧

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك : ١/١٥٩ ، وابن جرير الطبري في تفسيره : ٥٤١/١٤ ، وإسناده صحيح وقد وهم في إسناده الحاكم . راجع الذهب المسبوك : ١/٥٠ - ٥١

(٣) صحيح مسلم كتاب « الإيمان » ، باب : الدليل على أن مَن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً : ١/٥٥ ، البخارى : ٤٤ ، ٤٥

(٤) مسلم في الصحيح : ١/٢٢١ - ٢٢٣ مع النووي ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . راجع تفصيل هذه الرواية وتخريجها في الذهب المسبوك ص ٤٤ - ٤٨

العقبة ، وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع - شهدا بدراً رضي الله عنهم ، ولم يتخلفوا لشك ولا لريب ، وإنما أدركهم الضعف البَشري ، وإليكم موجز خبرهم مما في صحيح البخاري (١) .

قال كعب بن مالك رضي الله عنه : فلما بلغني أن رسول الله ﷺ توجه قافلاً حضرني بَثِّي فطفقت أتذكر ما أخرج به من سخط رسول الله ﷺ ، فلما أظل قادماً زاح عني الباطل فأجمعت صدقه ، فلما جلس في المسجد جاءه المتخلفون يعتذرون ويحْلفون ، فقبل منهم صلى الله عليه وسلم ظواهرهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله ، فلما سلَّمتُ على رسول الله تبسم تبسم المُغضَب ، ثم قال : « تعال » ، فجلستُ بين يديه ، فقال : « ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك » ؟ - أي اشتريت بعيرك - (٢) .

فقلت : يا رسول الله ؛ إني واللهِ لو جلست عند غيرك في أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيتُ جدلاً ، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يُسخطك عليّ ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عقبي الله ، واللهِ ما كان لي من عذر ، واللهِ ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفتُ عنك . قال رسول الله ﷺ : « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك » ، قال : وكان هلال بن أمية ومُرارة بن ربيعة قالا مثل ما قلتُ وقِيْل لهما مثل ما قيل لي .

قال : ونهي رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة ، فاجتنبنا

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح في مواضع عديدة من صحيحه : الأحكام : ٩/ ٦٧ الفتح ، انظر الذهب المنسوك : ١/ ٩٢ - ١٠٠

(٢) هذا جزء من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، البخاري في كتاب التفسير من صحيحه : ٦/ ٥٨ - ٥٩

الناس وتغيَّروا لنا حتى تنكرت لي في نفس الأرضُ التي أعرف ، فلما مضى أربعون ليلة أرسل لنا رسول الله ﷺ بأن نعتزل نساءنا .

قال كعب : وكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه بعد الصلاة ، فأقول في نفس هل حرّك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظرا إليّ ، وإذا التفتُ نحوه أعرض عني ، ثم جئت ابن عمي أبا قتادة وهو أحب الناس إليّ فسلَّمتُ عليه فواللهِ ما ردَّ السلام ، فقلت له : يا أبا قتادة ؛ أنشدك الله هل تعلم أني أُحب الله ورسوله ؟ فسكت فناشدته [1] . فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناي . وبيِّنا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطيٌّ من أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : مَن يدُلّني على كعب بن مالك ، فَطفِق الناس يشيرون إليّ ، فدفع إليَّ كتاباً من مَلِك غسان فقرأته ، فإذا فيه : أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله في دار هوان ولا مضيعة ، فألحق بنا نواسيك ، قال : فقلت : هذه أيضاً من البلاء فسَّجرت بها التنور .

وبعد مضي خمسين ليلة من إرجاء توبتنا فبيِّنا أنا على ظهر بيت من بيوتنا

---

(١) هذا هو سياق طويل من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، أخرجه حسب عزو السيوطي في الدر المنثور : ٣/ ٢٨٧ - ٢٨٩ إلى عدة مراجع أصلية إذ قال : أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم وابن حبان في الصحيح في صحيحه ، وغيرهم ثم ذكره ، وذلك من طريق الزهري : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله أن كعب بن مالك ، ثم ذكره مطولاً كما أورده فضيلة الخطيب رعاه الله وحفظه .

جالس بعد صلاة الفجر على الحال التي ذكر الله عزَّ وجَلَّ . قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفي على سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ؛ أبشر ، قال : فخررتُ ساجداً وعلمت أنه جاء فَرَجٌ . قال : فنزعت ثوبيّ وكسوتهما المبشر ولا أملك غيرهما واستعرتُ ثوبين فانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فَوْجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة ، فلما سلَّمتُ على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور : « أبشر بخير يوم مرَّ عليك مُنذ ولدتك أمك » ، قال : فقلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ ، قال : « بل من عند الله » (١) .

قال : وأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١١٧ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١١٨ ﴾ (٢) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (٣) .

قال : وأنزل الله في الذين اعتذروا وكذبوا : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا

---

(١) هذا هو نفس الحديث الذي قد مضي تخريجه أيضاً .

(٢) سورة التوبة : ١١٧ - ١١٨

(٣) سورة التوبة : ١١٩ . البخاري كتاب « المغازي » ، باب : حديث كعب ابن مالك (٤٤١٨) ، ومسلم في التوبة ، باب : توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٢٧٦٩) ، والطبري في جامع البيان (١٧٤٤٧) ، والبيهقي في دلائل النبوة : ٥/ ٢٧٣

ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ
جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٥ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ
عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٩٦ ﴾ (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

أُذكِّر بهذه الغزوة كل مجاهد في سبيل الله أصابه الجهد والمشقة ، وكل مدافع عن دينه ودمه وعِرضه وماله أصابته محنة ، وأحث بها كل مسلم أعطاه الله حظاً من الدنيا لينفق في سبيل الله ، وأعظ بها كل ملحد وزنديق ينال من أصحاب رسول الله ﷺ فليتق الله .

اللّهم اغفر لنا وارحمنا ، وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم .

* *

---

(١) سورة التوبة : ٩٥ - ٩٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خير الأمور عوازمها

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمداً وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأوثق العرى كلمةُ التقوى ، وخير الملل مِلَّة إبراهيم ، وخيرُ السنن سُنَّة محمد ﷺ ، وأشرفُ الحديث ذكر الله ، وأحسن القَصص هذا القرآن ، وخيرُ الأمور عوازمها ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وأحسن الهَدْى هَدْى الأنبياء ، وأشرفُ الموت قتل الشهداء ، وأعمى العما الضلالة بعد الهُدَى ، وخيرُ الأعمال ما نفع ، وخير الهَدْى ما اتُّبِع ، وشرُ العمى عمى القلب ، واليدُ العليا خير من اليد السفلى ، وما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر العذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومِنَ الناس مَنْ لا يأتي الجمعة إلا دبراً ، ومنهم مَن لا يذكر الله إلا هُجرا ،

---

(١) سورة الفاتحة ، آية : ٢

ومن أعظم الخطايا اللسانُ الكذَّاب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخيرُ الزاد التقوى ، ورأسُ الحكم مخافة الله عَزَّ وجَلَّ [(١)] ، وخيرُ ما وقر في القلب اليقينُ والابتعاد عن الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية [(٢)] ، والغلول من جُثا جهنم ، والسكر كي من النار ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، وشر المأكل مال اليتيم ، والسعيد مَن وُعِظ بغيره ، والشقي مَن شقى في بطن أمه .

وإنما يَصيْر أحدُكم إلى موضع أربعة أذرع [(٣)] ، والأمر إلى الآخرة وملاك العمل خواتمه ، وشرُّ الرَّوايا روايا الكذب .

وكل ما هو آت قريب [(٤)] ، وسبابُ المؤمن فسوق وقتالُه كفر [(٥)] ، وأكلُ لحمِه من معصية الله ، وحرمةُ ماله كحرمة دمه [(٦)] ، ومَنْ يتألَّ على الله

---

(١) إشارة إلى عدة آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، ومنها قوله تعالى في سورة الأنفال ، آية : ٢٩ ، ومنها آية في سورة البقرة ، آية : ٣٨ وأما بالنسبة للتقوى فقوله تعالى في سورة البقرة ، آية : ١٩٧

(٢) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أخرجه ابن ماجه برقم (١٥٨٢) ، وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وإسناده فيه ضعف ، وله شاهد صحيح من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه بهذا اللفظ برقم (١٥٨١) وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي عنه ، البخاري برقم (٤٧٥٤) التوحيد .

(٤) إشارة إلى جزء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ابن ماجه برقم (٤٦) : ١٨/١

(٥) هو نفس هذا الحديث تقدم تخريجه في الرقم الرابع ، أخرجه بسياق طويل .

(٦) إشارة إلى الآية ١٢ من سورة الحجرات ، آية : ١٢ ، وبقية المعاني كلها ثابتة في الكتاب والسنَّة .

يُكَذِّبه ، ومَن يَغفر يُغفر له ، ومَن يَعْفُ يعفو الله عنه ، ومَن يكظم الغيظ يأجُرْه الله ، ومَن يَصْبر على الرزية يعوِّضه الله ، ومَن يبتغ السمعة يَسمِّعْ الله به ، ومَن يتصبَّر يُضْعِف الله له ، ومَن يعص الله يعذبه .

فاتقوا الله عباد الله . تأملوا ماضيكم ، وتأملوا واقعكم ، وتأملوا مُستقبلكم ، واحذروا الغفلة فإنها قاتلة .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١ - تفسير الآيات (٧٧ - ٨٣) من سورة هود [١]

اللواط .. فاحشة كبرى ، وجريمة شنعاء

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله هو وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أحلَّ لنا الطيبات وحرَّم علينا الخبائث .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فيا أيها المؤمنون : أوصيكم وإياي بتوقى الله تعالى في السر والعلانية فإنه يعلم السر وأخفى [٣] .

---

(١) ألقيت في ١٤/ ٢/ ١٣٩٤ هـ .

(٢) سورة الكهف : ١ - ٣

(٣) إشارة إلى الآية ٧ من سورة طه .

عباد الله : إننا نقرأ كتاب الله القرآن العظيم ، كلام رب العالَمين ، تنزيل من حكيم عليم ، نزل به الروح الأمين على قلب نبينا محمداً الأمين ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم (١) .

وإننا نجد في القرآن العظيم أخبار الأمم السابقة وقصص الأنبياء مع أممهم ، وما جرى بينهم من المحاجة والخصومة والجدال ، وأن العاقبة والنصر والتمكن لعباد الله المؤمنين ، وأوليائه الصابرين (٢) .

إنه قصص حق فيه موعظة ، وذكرى للمؤمنين ، وهُديً وبُشرى للمتقين : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديقِ الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمةً لقوم يؤمنون ﴾ (٣) .

وإذا تأملنا - أيها المسلمون - أخبار هذه الأمم التى أهلكها الله بعذابه العاجل في الدنيا نجد أن كل أمة أُهْلكت بنوع واحد من العذاب : ﴿ فأما فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ ﴾ (٤) ، ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ للظالمين عذاباً أليماً ﴾ (٥) .

وقال سبحانه : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم

---

(١) هذه عقيدة السَلَف الصالح في القرآن الكريم وأنه كلام منزَّل من الله تعالى عن طريق الروح الأمين على رسول الله ﷺ ، وفي معناه قوله تعالى في سورة الشعراء (الآيتين ١٩٣ - ١٩٤) : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ .

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٨ من سورة الأعراف .

(٣) سورة يوسف : ١١١

(٤) سورة الحاقة ، آية : ٥-٦

(٥) سورة الفرقان ، آية : ٣٧

مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١) .

إلا قوم لوط - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم - فإنهم أُهلكوا بأنواع من العذاب ، فأنزل الله عليهم ملائكة من السماء لإهلاكهم ، وطمس أعينهم ، وقلب ديارهم فجعل عاليها سافلها ، وأنزل عليهم رجزاً من السماء حجارة من سجيل ، وجعلت ديارُهم بحيرة منتنة على طريق دائم آية للمتوسمين ، آية للمؤمنين ، وهذه من حكمة رب العالَمين ، وعدل قيوم السموات والأرضين ، فإن الجزاء من جنس العمل (٢) .

فقوم لوط تمادوا في الكفر والطغيان ، فإنهم مع كفرهم بربهم ومعاندتهم لرسولهم يأتون الفاحشة الشنعاء التي ما سبقهم بها أحد من العالَمين ، إنهم يأتون الذُكْران من العالَمين ، يأتون الرجال شهوة من دون النساء بل هم قوم مسرفون (٣) ، فنهاهم نبيهم لوط وأرشدهم إلى ما خلق الله لهم من أزواجهم التي تنجب لهم وخلقت لهم ، وفيها تطهير لهم ، فلم يقبلوا إلا الجريمة القذرة النجسة ، فأهلكهم الله .

وهلم نتأمل هذه الآيات فى خبر قوم لوط عليه السلام : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ

---

(١) سورة العنكبوت : ٤٠

(٢) إشارة إلى معنى حديث علقه البخاري في الصحيح : « كما تدين تدان » ، وقال الحافظ في الفتح : ١٠٦/٨ : حديث مرفوع أخرجه عبد الرزاق عن أبي قلابة مرسلاً ثم ذكره .

(٣) إشارة إلى الآية ٨١ من سورة الأعراف ، والآية ٥٥ من سورة النمل .

عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ
﴿٨٠﴾ قَالُوا يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾
فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾
مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ (١) .

عباد الله : إن اللواط كبيرة وفاحشة كبرى وجريمة شنعاء ، تشمئز منها الطبائع السليمة والفطر المستقيمة ، فلا تجد ذكراً من الحيوانات البهيمة يعلو ذكراً ، ولكن الله ابتلى بهذه الخبائث قوم لوط فهم أول مَن فعله من خلق الله ، فنسب هذا العمل إليهم ، وليس في المعاصي مفسدةٌ أعظمُ من مفسدة اللواط ، وهي تلي مفسدة الكفر ، وقتل المفعول به خيرٌ من وطئه فإنه إذا وطئه الرجل قتله قتلاً لا ترجي له معه حياة ، بخلاف قتله بإزهاق روحه ، فإنه مظلوم شهيد ، جعل الله لوليه سلطاناً إن شاء أخذ به وإن شاء عفا ، وأما حكم اللوطى فإنه يقتل الفاعل والمفعول به كما أجمع على ذلك أصحاب نبينا محمد ﷺ ، ودلَّت عليه سُنَّة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعليها عمل أصحابه وخلفائه الراشدين وخلق كثير من التابعين وأئمة الإسلام والمصلحين (٢) .

---

(١) سورة هود : ٧٧ - ٨٣

(٢) إشارة إلى مجموعة أحاديث ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه داود : برقم (٤٤٦٢) الحدود ، والترمذي في جامعه برقم (١٤٥٦) ، وابن ماجه في السنن برقم (٢٥٦١) وإسناده حسن مع الشواهد الكثيرة ، وصححه الحاكم في المستدرك : ٤/ ٣٥٥ ، وأقره الإمام الذهبي في التلخيص وسوف يأتي هذا الحديث مع تخريجه إن شاء الله تعالى .

روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « مَن وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » (١) ، وثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لعن الله مَن عمل عمل قوم لوط ، لعن الله مَن عمل عمل قوم لوط ، لعن الله مَن عمل عمل قوم لوط » (٢) .

وقد اختلف أصحاب نبينا ﷺ في صفة قتل اللوطي ، فقال بعضهم : يحرق بالنار ، وقد وجد خالد بن الوليد رضي الله عنه رجلاً يُنكح كما تنكح المرأة ، فكتب عنه لأمير المؤمنين أبي بكر الصدِّيق ، فاستشار أبو بكر الصحابة ، فكان عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه أشدهم قولاً فرأى أن يحرق ، فكتب أبو بكر إلى خالد فحرقه بالنار (٣) .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : يُفعل به كما فعل الله بقوم لوط ، يُرفع على أعلى مكان في القرية ويُرمى منكساً رأسه ثم يتبع بالحجارة .

وقال بعضهم : يُقتل بالسيف (٤) .

إن فاحشة اللواط أشنع وأخطر من فاحشة الزنا ، فاللواط فيه قلب للفطرة ، وقتل للرجولة ، وإماتة للذكورية التي فُضل بها الرجل على الأنثى .

---

(١) أخرجه أبو داود في الحدود (٤١٦٢) ، باب : فيمن عمل عمل قوم لوط ، وأخرجه البغوي في شرح السنَّة (٢٥٩٣) من طريق أبي داود ، والترمذي في الحدود (١٤٥٦) ، باب : ما جاء في حد اللواط ورجاله رجال الصحيح .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٣/١٠١ إلى البيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ثم أخرجه برقم (٥٣٧٣) ، بإسناد حسن .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٤/ ٤٦٥ إلى عدة مصادر منها شعب الإيمان للإمام البيهقي عن محمد بن المنكدر ويزيد بن خصيفة وصفوان بن مسلم ، ثم ذكر هذا الأثر .

(٤) ذكر ذلك البغوي في شرح السنَّة : ١٠/ ٣١٠ بدون إسناد .

وقد جعل الله لبني آدم أزواجاً من أنفسهم يحصل لهم فيها منافع في دينهم ودنياهم ، كحصول المودَّة والرحمة بين الزوجين ، وإحصان أحدهما الآخر ، ووجود التناسل الذي من أجله خلق الله الذكر والأنثى ، وحصول علاقة المصاهرة بين العائلات ، وفيه اتباع لسنن الأنبياء والمرسلين ، واستجابةٌ لترغيب النبي ﷺ في تكثير أمته (١) ، وفاحشة اللواط تقاوم هذه المصالح الشرعية كلها ، وقد أرشد نبينا ﷺ لطرق الوقاية من الفواحش والفسادِ ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب ؛ مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (٢)

ولا شك أن الزواج الشرعي مفتاح من مفاتيح الرزق والخير والبركة ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (٣) بخلاف الزنا واللواط فإنهما من مفاتيح الفقر والشر وضيق النفس وحسرة الضمير .

عباد الله : إنه من الأسف الشديد والخزي الأكيد أن بعض الناس قد وقعوا في فاحشة اللواط ، بل وبعضهم يقال إنه يخرج من زوجته الطيبة

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ٣/ ١٥٨ ، وإسناده صحيح ، وأخرجه أبو داود : برقم (٢٠٥٠) ، والنسائي : ٦/ ٦٥ وهو من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه وهو صالح للاحتجاج به .

(٢) إسناده صحيح ، وأخرجه النسائي في الصوم : ١٧١/٤ ، باب : فضل الصيام ، وفي النكاح : ٦/ ٥٦ ، باب : الحث على النكاح ، والطيالسي : ١/ ٣٠٣ ، وأحمد : ١/ ٣٧٨ ، والبخاري في الصوم ، باب : الصوم لمن خاف على نفسه الْعُزْبَةَ ، ومسلم في النكاح (١٤٠٠) ، باب : استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنته .

(٣) سورة النور : ٣٢

الخيِّرة ، التي فيها كمال وجمال وطهارة وعفة إلى الخبائث والفواحش والنجائس ، وما ذاك إلا لفرط جهلهم ، وقِلَّة مَن يرشدهم ، وبُعدهم عن مجالس العلم النافع والمواعظ التي تُحيي القلوب .

فاتقوا الله أيها الناس ، ولا تغفلوا عن رعاية أولادكم وتربيتهم ، فإن الراعي إذا غفل عن رعيته أكلتها الذئاب والكلاب (١) .

اللَّهم إناَّ نعوذُ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك (٢) .

اللَّهم جنبنا وذرياتنا جميع الفواحش ، ما ظهر منها ما بطن .

اللَّهم نوِّر بصائرنا بالإيمان ، واحفظنا وذرياتنا من كل شيطان ، إنك أنت الكريم المنان .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فا، ستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ١٩٦/٥ وإسناده صحيح .

(٢) إشارة إلى دعاء النبي ﷺ ، أخرجه أبو داود في السنن برقم (١٤٢٧) ، كتاب « الصلاة » ، وهو من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وإسناده حسن مع الشواهد .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تحديد النسل

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أحمده واستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون . . ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١) .

أيها المسلمون : لقد انتشر في زمننا هذا دعايات ضد الزواج المبكر ، ودعوة إلى تحديد النسل ، ويظهر أنه ارتاح لها كثير من الناس في كل مكان ، بل وارتاح لها بعض رجال الفكر الإسلامي .

ولا أرى ذلك إلا من تخطيط الصهيونية العالمية التي لها تخطيط بعيد المدى للسيطرة على العالَم أجمع والتحكم فيه إذا غلبت بكثرة المال والرجال ، وأفسدوا الأخلاق والشيم .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢

فهي تغزو العالَم بدعايتين ، إحداهما : تقليل النسل في العالَم بينما الصهيونية تعمل على تكثير نسلها بأي طريق كان حتي بالطرق المحرَّمة وغير المشروعة . والثانية : تقليل الثروة في أيدي غيرها بدعوى الشيوعية والاشتراكية التي قضت على الرطب واليابس من ثروات الشعوب ومعنوياتهم ، بينما الصهيونية تعمل على تكثير أموالها وتطوير دخلها بأي وسيلة كانت ، فالواجب على الإنسان أن ينظر في المنافع والمضار الخاصة والعامة الشرعية والاجتماعية قبل استحسان الأمر وتأييده ، ولا حكم للمسألة الفردية أو الحالة النادرة أو الضرورة المقتضية ، وإنما العبرة بما فيه صلاح الأمة والمجموعة وتحقيقُ أهداف الشريعة ، ولا يأخذ بدعات تحديد النسل أو توقيف الإنجاب إلا لعذر شرعي ثابت وضرورة موجبة . والزواج المبكر أفضل وأكمل ، فيه غض البصر وإحصان الفَرْج ، وحصول الولد ونزول الرزق ، فالزوج والأولاد يأتون بأرزاقهم . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (١) ، والواجب على المسلم أن يكون كيِّساً فطناً ولا يكون مع كل صاعق وناعق ، وإنما ينظر ببصيرة إيمانه ونور شريعته .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وصلُّوا على النبي الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى عليّ مرة صلَّى الله عليه بها عشرةً » (٣) . . . . الخ

* * *

(١) سورة الإسراء : ٣١

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : الصلاة برقم (٤٠٨) ، باب : الصلاة على النبي ﷺ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢ - تفسير الآية (٩٠) من سورة النحل [١]

﴿ إنَّ اللهَ يأمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإحْسَانِ ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، ﴿ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ① ﴾ [٣] .

وأشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، بِعَدْله قامت السموات والأرض ، وصلَح أمر الدنيا والآخرة [٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمة للعالَمين بشيراً ونذيراً [٥] .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على الصفوة المطهَّر المختار ، وارزقنا شفاعته في دار القرار [٦] .

وصلِّ اللَّهم على آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وسلِّم تسليماً كثيراً .

---

(١) ألقيت في ١١/٦/١٤١١ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الكهف : ١

(٤) إشارة إلى الآية ١١٥ من سورة الأنعام .

(٥) إشارة إلى الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء ، والآية ١١٩ من سورة البقرة .

(٦) إشارة إلى حديث الشفاعة ، البخاري برقم (٧٤١٠) التوحيد ، وهو من حديث أنس رضي الله عنه . .

أما بعد . .

ففي القرآن الكريم آيةٌ جمَعت محاسنَ الأخلاق وقواعد الدين ، أمرت بثلاثة أشياء ، ونهت عن ثلاثة ، لها تأثير بليغ في القلوب والأحاسيس .

وهي أجمع آية في القرآن الكريم لخير يُمتثل ولشر يُجْتنب : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عثمان بن مظعون الجمحي قال : ما أسلمتُ أولاً إلا حياءً من محمد ﷺ ، فلما سمعتُ هذه الآيةَ : ﴿ إن الله يأمر بالعدل ﴾ ، وقع الإيمان في قلبي ، فقرأتها عَلَى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فتعجب ، فقال : يا آل غالب اتبعوا تُفلحوا ، فوالله إنَّ الله أرسله ليأمركم بمكارم الأخلاق (٢) .

وقال عِكرمة : قُرِئت هذه الآية على الوليد بن المغيرة ، فقال للقاريء : يابن أخي ؛ أعد ، فأعاد عليه ، فقال : والله إن له لحلاوةً ، وإن عليه لطلاوةً ، وإن أصله لمورقٌ وأعلاه لمثمر ، وما هو بقول بَشَر (٣) .

وبلغ أكثمَ بنَ صيفي خروجُ رسول الله ﷺ فأرسل إليه اثنين يسأله : من أنت ؟ وما أنت ؟ ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أما مَن أنا فأنا محمد بن عبد الله . وأما ما أنا فأنا عبد الله ورسوله ، ثم تلا عليهما هذه الآية : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ » وكررها حتى حفظاها ، فلما قرآها على أكثم

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ١/٣١٨ ، وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وإسناده جيد ، أبو نعيم في معرفة الصحابة ، وانظر تفسير ابن كثير : ٤/٢٢١ - ٢٢٢

(٣) لم أقف عليه مسنداً إلا ما ذكره القرطبي في تفسيره : ١٠/١٦٥ ، والقرطبي معروف بالتساهل في نقل الآثار والله أعلم به رحمه الله تعالى ، وقد رواه الحاكم في المستدرك .

ابن صيفي قال : إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهي عن ملائمها ، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا فيه أذناباً (١) .

جمعت هذه الآية الكريمة ما يتصل بالتكليف فرضاً ونفلاً . وما يتصل بالأخلاق والآداب عموماً وخصوصاً ، فما من خُلُق حسن إلا أمر الله به ، وما من خُلُق سيّئ إلا نهى عنه . واللهُ تعالى يحب مكارم الأخلاق ، ويكره سفاسفها .

وإن أعلى مكارم الأخلاق : العدلُ . والعدلُ يكون فيما بين الإنسان وبين ربه ، وفيما بينه وبين نفسه ، وفيما بينه وبين خلق الله .

والعدل ضد الميل وضدُ الظلم والطغيان ، وأصله التوسط بين الإفراط والتفريط ، فَمَن جانبَ الإفراط وهو الغلو المذموم في الدين ، وجانَبَ التفريط وهو الإخلال بشيء مما هو في الدين فقد عدل . وعلى هذا تدور أقوالُ العلماء في العدل والإحسان (٢) .

فالعدل بين المخلوق وخالقه : إيثار المرء حق الله تعالى على حق نفسه ، وتقديمُ رضا الله على هواه ، وامتثالُ الأوامر واجتنابُ الزواجر (٣) .

وأما العدلُ بين المرء وبين نفسه فنهيها عن كل ما فيه هلاكُها وعُزوبُ الأطماع عن الاتباع ، ولزومُ القناعة في كل حالٍ ومعنى .

وأما العدل بين الإنسان وبين الخلق فبذلُ النصيحة وترك الخِيَانة فيما قلَّ

---

(١) أورده الإمام ابن كثير في تفسيره نقلاً عن الحافظ أبي يعلي الموصلي من كتابه « معرفة الصحابة » مع إسناده . راجع التفسير : ٤/٢١٩ وإسناده صحيح .

(٢) هذا القول مأخوذ من أقوال التابعين الكثيرين رحمهم الله تعالى ، ذكرها ابن كثير في تفسيره : ٤/٢١٩ - ٢٢٠

(٣) هذا تفسير سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى ، ذكره ابن كثير في تفسيره : ٤/٢١٨

وكثر ، والإنصافُ من النفس لهم بكل وجه ، والصبرُ على الأذى ، ولا يكون منه إساءةٌ إلى أحد لا بقول ولا بفعل ، لا في سر ولا في علن (١) .

والإحسان يأتي على معنيين :

متعد بالباء كقول يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ (٢) بمعنى تفضَّل وتكرَّم .

والثاني : متعد بنفسه كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣) بمعنى أتقنه وأجاده ، ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٤) .

فإتقانُ العبادة ومراعاةُ آدابها المصَحّحة المكملة ، ومراقبةُ الخالق فيها واستحضارُ عظمته وجلاله حالَ الابتداء والاستمرار فذلك إحسانٌ ، والخالق تعالى غَنِيٌّ عن إحسان الخلق ، بل منه الإحسان والنِّعم والفضلُ والمِنَن ، لا تنفعه طاعة المطيع ، ولا تضره معصية العاصي ، وإنما الإحسان من الإنسان لنفسه : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ (٥) .

وإحسان العبد للخلق بذل الندى وكف الأذى وإبداء النصيحة : ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٦) ، ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (٧) . فالخالق تعالى يحب من خلقه إحسانَ بعضهم إلى بعض .

---

(١) هذا قول القاضي أبي بكر بن العربي نقله القرطبي في تفسيره : ١٠/١٦٦

(٢) سورة يوسف : ١٠٠

(٣) سورة الكهف : ٣٠

(٤) البخاري في الصحيح « الإيمان » ، حديث رقم (٥٠) ، باب (٣٧) : ١/١١٤ الفتح ، ونحوه مسلم في الصحيح « الإيمان » ، حديث رقم (خاص ٥٧) ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الجميع .

(٥) سورة الإسراء : ٧

(٦) سورة القصص : ٧٧

(٧) سورة البقرة : ٨٣ ، وفي سورة النساء : ٣٦ ، وفي سورة الأنعام : ١٥١ ، وفي سورة الإسراء : ٢٣ ، وفي سورة الإحقاف : ١٥

وحتى الإحسانَ إلى الحيوانات . قال عليه الصلاة والسلام : « إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » (١) ، وقال : « دخلت امرأة النار في هرة (٢) ودخلت بغي الجنة في كلب » (٣) . فينبغي للإنسان أن يحرص على الإحسان إلى خلق الله ، وكف الأذى عنهم ، والكلمة الطيبة وبشاشة الوجه من الإحسان .

وجُعل الإحسان بجوار العدل ، لملاحظة العفو عن مستحقي العقوبات مِثل القِصاص في العمد ، والعِقابِ بمثل ما عوقب : وليُفتَح بابُ التسامح والعفو عن بعض الحق إيثاراً لود القلوب ومنْعاً لغلّ الصدور ، ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (٤) ، ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ (٥) ، ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (٦) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ (٧) : أي صلة الأرحام ، كما قال تعالي : ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (٨) ، فيجب أداء حقهم الواجب مثل النفقةِ والميراثِ ، والحقِ المسنون مثلِ الصلة والبر والتقدير والتكريم ، ولصلة الأرحام تأثير بليغ في صلاح النفس وإصلاح المجتمع .

---

(١) بعض حديث أوله : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء » ، مسلم في الصيد ، باب : الأمر بإحسان في الذبح والقتل (١٩٥٥) ، وأبو داود في الأضاحي ، باب : في النهي أن تصبر ، والترمذي في الديات ، والنسائي : ٧/ ٢٢٧ في الصحابة وغيرهم .

(٢) البخاري برقم (٣٤٨٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، ومسلم برقم (١٢٧٥٦) التوبة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) مسلم في الصحيح : السلام ، حديث رقم (خاص ١٥٤) ، و(عام ٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) سورة البقرة : ١٧٨

(٥) سورة المائدة : ٤٥

(٦) سورة الشورى : ٤٣

(٧) سورة النحل : ٩٠

(٨) سورة الروم : ٣٨

والفحشاء : كل قبيح من قول وفعل . فيدخل فيه الاعتداء على العرض والبدن والمال [١] .

والمنكر : ما أنكرته شريعة الله . فيعم جميع المعاصي والرذائل والدناءات على اختلاف أنواعها ومراتبها .

والبغي : الكِبْرُ والظُّلم والحقدُ والتعدي .

والظُّلم ضدُ العدل . ويكون من الإنسان على نفسه : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [٢] ، فإذا خالَف العبد أوامر الله وأتى نواهيَه فقد عرَّض نفسه لغضب الله وعقابه في الدنيا وفي الآخرة ، فهو ظالم لنفسه : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ [٣] ، وظُلم النفس مراتب بحسب المعصية ، فأشده وأقبحه الشرك بالله ، وأدناه ترك الأذى في الطريق .

ويكون الظلم من إنسان لغيره بغمط حقٍ من حقوقه المالية أو البدنية أو الاجتماعية ، سواء بالأخذ أو المنع أو المماطلة أو بانتهاك الحرمات والأعراض ، أو باليمين الغَمُوس أو بشهادة الزور ، أو بالغيبة والنميمة والكذب والبهتان [٤] .

والظَّالم ممقوت عند الله مُبغَض عند خلق الله : ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [٥] ، ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [٦] ، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب [٧] .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٤/٢١٩

(٢) سورة النساء : ١١٠

(٣) سورة الطلاق : ١

(٤) ورد هذا المعنى في عدة أحاديث منها حديث نفيع بن الحارث رضي الله عنه ، البخاري برقم (٦١٦) .

(٥) سورة غافر : ١٨

(٦) سورة الحج : ٧١

(٧) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنه ، البخاري برقم (١٤٩٦) الزكاة ، ونحوه مسلم في الإيمان برقم (خاص ٢٩) .

والباغي إنما يبغي على نفسه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ (١) ، وإن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته (٢) ، والوعظ : التأديب ، والتذكر : الاتعاظ . قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

وإن من العدل أن يقول المسلم كلمة الحق وأن يعترف بالإحسان والفضل لأهله . أليس من نِعَمِ الله على هذه المملكة وأهلها أن جعل ولايتها في أيد أمينة مؤمنة بالله وبوعده ووعيده ، تُحكم بكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ ، تقيم العدل وترفع الظلم ، تبذل الندى وتكف الأذى ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقيم حدود الله ، فانظروا ما أنتم فيه من الأمن والرخاء والاطمئنان ، وكلُ إنسان يتمنى أن يأتي إلى هذه المملكة ليهنأ بعيشها ، وليُحصل له من خيراتها . فللَّه الحمد والمنة .

وجزَى الله مؤسس هذه المملكة - والذين قاموا بالأمر من بعده - عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

فلهم علينا السمع والطاعة والنصح والتعاون والدعاء من صميم قلوبنا (٣) .

---

(١) سورة يونس : ٢٣

(٢) إشارة إلى حديث أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه . البخاري برقم (٤٦٨٦) التفسير سورة ١١ ، باب (٥) ، ونحوه مسلم في الصحيح ، كتاب « البر والصلة والآداب » ، حديث رقم (خاص ٦٢) .

(٣) إشارة إلى عدة أحاديث صحيحة ومنها حديث أبي بكرة رضي الله عنه . أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٤٢/٥ ، وإسناده حسن ولفظه : « مَن أكرم سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة ، ومَن أهان سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أهانه الله يوم القيامة » ا هـ .

قلت : أورده الإمام أبو بكر الهيثمي في المجمع : ٢١٥/٥ ، وقال : رجاله ثقات . ومنه يؤخذ الدعاء الصالح لسلطان الله تعالى على الدوام والتعاون معه على البر والتقوى إلا إذا أمر بالكفر والمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . . .

اللَّهم وفق إمامنا خادم الحرمين وأمراءه ووزراءه إلى العدل والإحسان والرأفة بالمسلمين والشفقة عليهم . والأخذ على يد الظالم والسفيه ، وأعنهم على ما ولّيْتهم واكفهم كل أمر يهمهم .

اللَّهم كن لإمامنا حافظاً ومؤيداً وناصراً فيما يرضيك ، واحفظ بلادنا وأمتنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، واحفظ علينا نِعَمك وارزقنا شكرها ، واكفنا شر الأشرار وكيد المنغصين الحاسدين .

أوصيكم يا إخوتى في الله ، رجالا رنساء في كل مكان بتقوى الله . وتحرى العدل في كل الأمور ، والابتعادُ عن الظلم وسفاسف الأخلاق .

وعلى المسلم أن يلتزم بما يعنيه ، وأن يترك ما لا يعنيه للجهة التي يعْنيها ، فلا ينبغي للمسلم أن يشغل نفسهُ ويثير أعصابه ويضيع وقته فيما لا يعنيه ، اتركوا الأمور لأهلها .

اللَّهم إنَّا نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا .

اللَّهم اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الأمر بالمعروف

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن لهذه الأمة خصوصياتٍ ومميزاتٍ صارت بها خيرَ الأمم ، وشهيداً على الناس ، وبها كانت هى الآخرة في الوجود والأولى في الفضل والكرامة والقُرب من الله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (٢) .

فلا يستقيم الدين ولا تنتظم الدنيا إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهما الأداة للمحافظة على كيان الأمة ومصالحها ، وهما الوسيلة للإبقاء على عزة البلاد وكرامتها ، وهما القاعدة الأساسية لاستقامة الأخلاق والسلوك ،

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة آل عمران : ١١٠

وحفظ الأموال والدماء والأعراض ، واستتباب الأمن والاستقرار ، والسعادة في الدنيا والآخرة .

ولهذا أكد الإسلام على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال تبارك وتعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله عزَّ وجَلَّ أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم تدعونه فلا يُستجابُ لكم » (٢) .

وترْك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جريمة عظمى تسبب غَضب الله ومقته ، والطرد والإبعاد من رحمة الله : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن بقلوب بعضهم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم » (٤) .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٤

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٥/٣٨٨ ، وإسناده حسن ، وعزاه الإمام ابن كثير في تفسيره : ٢/٨٦ إلى الترمذي في الجامع وحسنه ، وابن ماجه .

(٣) سورة المائدة : ٧٨ - ٧٩

(٤) وقد أورد هذا الحديث الإمام ابن كثير في تفسيره : ٢/٦١٩ - ٦٧٠ ، نقلاً عن ابن أبي حاتم من تفسيره بسياق طويل ، ومنه هذا اللفظ ، وهو من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وإسناده حسن .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وإنه من العدل أن ينهض الموظف بأعباء وظيفته بجد ونشاط وصبر وثبات ، فالوظيفة مسئوليات : « كلكم راع ومسئول عن رعيته » (١) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما . البخاري في الصحيح : الأحكام : ١٢/ ١٠٠ الفتح ، ونحوه مسلم في الصحيح فى الإمارة برقم (١٨٢٩) ، باب : فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر . .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣ - تفسير الآية (٩) من سورة الإسراء

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [١] ، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، مَن يشأ الله يُضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أوحى الله إليه وكلَّمه وأعطاه القرآن ومثله معه [٤] ، فيه تفصيل الأحكام وبيانُ الحلال والحرام ، ﴿ وما وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [٥] .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة الكهف : ١

(٣) إشارة إلى الآية ٣٩ من سورة الأنعام .

(٤) إشارة إلى حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ٤/ ١٣٠ ، والدارمي في سننه : ١/ ١٤٤ ، وأبو داود برقم (٤٦٠٤) وإسناده صحيح .

(٥) سورة النجم : ٣ - ٤

أما بعد . .

ففي سورة الإسراء وصف للقرآن الكريم وثناء عليه ، صفة شاملة ، تميَّز بها القرآن ولا تصلح إلا للقرآن : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (١) . هَدَى الله به أقواماً ماضية وأقواماً معاصرة ، وسيهدي به أجيالاً مستقبلة .

لم تحدد الآية الذين يهديهم القرآن ولم تحدد نوع الهداية . فطبيعة القرآن هدايةُ مَن تدبَّره وتأمَّله بعقل مجرد عن التعصب والتقليد ، بعيدٍ عن الوساوس والهواجس .

يهتدي به مَن عرف عظمة الله وعلم ضعف المخلوق ، وقدَّم كلام الله على هواه ، فالقرآن يهدي بإرادة الله إلى العقيدة الصحيحة (٢) وإلى التصور القويم في ألوهية الله وفي أسمائه وصفاته ، وفي الأخبار الغيبية كأحوال يوم القيامة والقبر والبعث والنشور والجنة والنار (٣) ، ومَن أصدق من الله قيلاً (٤) ، ومَن أصدق من الله حديثاً (٥) .

فنؤمن بكلام الله على حقيقته دون تمثيل ولا تحريف ، ودون تعطيل ولا تكييف (٦) : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (٧) ، فكما أن الله

---

(١) سورة الإسراء : ٩

(٢) إشارة إلى الإرادة الشرعية الدينية التي اتفقت مع الإرادة الكونية القدرية وفق المشيئة ، وقد برع في الكلام عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في عدة كتب من دره رحمه الله تعالى .

(٣) كل ذلك متصل في السنَّة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ ويجب الإيمان بما ذكر دون تأويل ولا تحريف ، ولا تأويل ولا تعطيل ، ولا إنكار على قاعدة قوله تعالى في الآية ١١ من سورة الشورى : ﴿ ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ﴾ .

(٤) إشارة إلى الآية ١٢٢ من سورة النساء .

(٥) إشارة إلى الآية ٨٧ من سورة النساء .

(٦) هذه عقيدة السَلَف من الصحابة رضي الله عنهم ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين قررها العلماء . .

(٧) سورة الشورى : ١١

تعالى له ذات لا تشبه الذوات ، فكذلك له صفات تليق بجلاله لا تشبه الصفات : ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [1] .

﴿ ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [2] في المنهج والسلوك والضمير والشعور ، وفي التنسيق بين الظاهر والباطن ، وبين الإيمان والعمل ، وفي التوازن بين طاقة الإنسان والتكاليف .

وبين علاقات الناس مع بعض ، وفي المعاشرة وأداء الحقوق ، وفي احترام الشخصية والإحساس .

فالقرآن العظيم هو أعظم الكتب السماوية وأجمعُها لكل العلوم ، وهو آخرها عهداً برب العالمين .

ولو تتبعنا تفصيل هذه الجملة : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [2] ، لأتينا على جميع القرآن، لشمولها كل ما فيه من الهداية إلى خيري الدنيا والآخرة [3] ... إلى يوم القيامة .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » [4] .

فتوحيد الربوبية جُبلت عليه فطَر العقلاء وليس فيه نزاع بين الرسل وأممهم ، فقد أقر به المشركون وعبدةُ الأصنام . قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [5] ، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾

---

(١) سورة المائدة : ٤١

(٢) سورة الإسراء : ٩

(٣) إشارة إلى الآية ٣٨ من سورة الأنعام .

(٤) البخاري : فتح : ١٣/٢٩٣ برقم (٣٦٤٠) المناقب ، باب (٢٨) وهو من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، ونحوه مسلم : الإمارة ، حديث رقم (خاص ١٧٠) ، (١٧٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٥) سورة الزخرف : ٨٧

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (١) .

ولا بد مع توحيد الربوبية من إخلاص العبادة والإرادة والقصد لله ، وتحقيقُ معنى لا إلَه إلا الله . وهو توحيد الألوهية (٢) وهو إفراد الله بالعبادة وبأفعال العباد ، فمن أجل توحيد الألوهية أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وشرعت الشرائع وفرض الحلال والحرام ونظمت العلاقات : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٣) .

وأما توحيد الأسماء والصفات ، فالقول الفصل فيه لكلام الله ، ولقول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، وسَلَف الأمة الصالح ، من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، الذين أثنى الله عليهم في كتابه العزيز وأخبر بأنه رضي عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات ، وفازوا بقربه ورضائه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٤) .

فالخالق تعالى وصف نفسه بصفات الجلال والكمال : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ

---

(١) سورة المؤمنون : ٨٤ - ٨٩

(٢) عرّفه بهذا التعريف الجامع المانع الشامل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله ، قال في كتابه البارع النفيس كتاب « التوحيد » ، وشرحه وفسره حفيده الشيخ العلاّمة عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد .

(٣) سورة النحل : ٣٦

(٤) سورة التوبة : ١٠٠

ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبَّارون أين المتكبرون ، ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبَّارون أين المتكبرون » (٢) .

ومَذْهب السَلَف الصالح من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان : الاهتداء بهَدْي القرآن ، يؤمنون بأن الله أصْدق القائلين وأنه يقول الحق وهو يهدي السبيل (٣) ، وأن الرسول ﷺ أعرف الناس بربه وأنه أتقاهم وأخشاهم لله (٤) ، واتَّبعه على مِلَّته مَن آمن به في كل عصر ، يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، وأن ما وصف الله به نفسه هو الحق ، وأن معناه يُفهم من دلالة اللفظ عليه ، فليس له معنى للعوام ومعنى للخواص (٥) ، بل معناه ظاهر لكل مؤمن يعرف اللغة العربية ، يَعرف معناه سامعُه وقارؤه بمدلول اللفظ على المعنى .

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٠

(٢) حديث ابن عمرو رضي الله عنهما : مسلم في الصحيح صفة المنافقين ، حديث رقم (خاص ٢٤) ، و(عام ٢٧٨٨) : ٤/٢١٤٨

(٣) إشارة إلى الآية ٤ من سورة الأحزاب .

(٤) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) : النكاح ، بسياق طويل ومنه هذا اللفظ المبارك في موضوع ثلاثة رهط جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ . . .

(٥) هذه اصطلاحات الصوفية المنحرفين ذكرها أحمد بن عبد الوهاب الشعراني المتوفي سنة ٩٧٣ هـ في طبقاته : لواقح الأنوار في طبقات الأخيار . .

وبَقيَتْ أمة محمد ﷺ متفقة على هذه العقيدة التي هي أقوم ، يثبتون ما أثبته الله لنفسه إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال جلَّ شأنه : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٣) ، ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (٤) ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ (٥) ، ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ (٦) ، ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٧) ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٨) .

وكان أعداء الإسلام والمسلمين من اليهود والمشركين يلقون الشُّبه على المسلمين ويتَحيَّنُون الفرص ويحاولون تفريق المسلمين وإثارة الخلافات بينهم . وكان لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبيَّ ﷺ من أشد الناس كفراً وعناداً (٩) ، ومن أقبحهم دَساً وشقاقاً ، فألقى شبهة التعطيل والتأويل ، بناها على قاعدة التشبيه

---

(١) سورة القلم : ٤٢

(٢) سورة الأعراف : ٥٦

(٣) سورة هود : ٣٧

(٤) سورة المائدة : ٦٤

(٥) سورة الملك : ١

(٦) وردت هذه الصفة المباركة في سبع مواضع من القرآن الكريم : البقرة : ٢٩ ، الأعراف : ٥٤ ، يونس : ٣ ، الرعد : ٢ ، طه : ٥ ، سورة السجدة : ٤ ، فصلت : ١١ ، الحديد : ٤

(٧) سورة الرحمن : ٢٧

(٨) سورة الشورى : ١١

(٩) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها . البخاري ، برقم (٥٧٦٣) الطب ، باب : (٤٧) وفيه أن لبيد بن الأعصم سحر النبي ﷺ ، وأخرجه أحمد في المسند : ٥٧/٦ ، ٦٣ ، ٩٦ عن عائشة رضي الله عنها .

والتمثيل ، فعلَّمها لابن أخته طالوت ، وأخذها عنه أبان بن سمعان وعلَّمها الجعدَ بنَ درهم [١] ، إلا أن سلطان الإسلام كان قوياً والمسلمون في قوة من دينهم وعقيدتهم ، فلم يستطع أحد إظهار ما يخالف عقيدة الإسلام ، فلما توغلت الفتوحات الإسلامية واختلط المسلمون بأناس من الصابئة والفلاسفة ، وتُرجمت كتب أولئك وانتشر الكلام والسفسطة قُدِّمت الآراء على النصوص الشرعية ، وكان الجعد بن درهم متأثراً بآراء الفلاسفة والصابئة ، وبَعْد مضي زمن من الهجرة النبوية [٢] أعلن الجعد بن درهم مقالة التعطيل والتأويل ، وأنكر صفة العلو والاستواء ، فنشأ مذهب الجهمية وجحدوا من القرآن والسُّنَّة الغيبيات وحرَّفوها وعطَّلوها ، وما زال لها دعاة في السر وفي الأوساط المتعلمة [٣] . فرد عليهم علماء الإسلام ودافعوا عن كتاب الله وكافحوا عن السُّنَّة وعن عقيدة أهلها وجماعة المسلمين لإظهار الحق وإزهاق الباطل رُدود كثيرة مطولة ومختصرة ، فثار أولئك الجهميُون ووصفوا أهل السُّنَّة والجماعة بصفات هم أحق بها لأنهم متصفون بها .

فمَن وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه رسوله ﷺ فهو من ورثة محمد ابن عبد الله نبي الرحمة ورسول الهداية صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أما الجعد بن درهم فراجع ترجمته في ميزان الذهب برقم (١٤٨٢) : ٣٩٩/١ وللعبد الفقير فيه مقالة كبيرة .

(٢) ومن هنا كانت محنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى التي بدأت سنة ٢٢٥ هـ . راجع تفاصيلها في ابن كثير : البداية والنهاية - المجلد العاشر .

(٣) إشارة إلى المقالات الكبرى للشيخ محمد زاهد الكوثري الهالك في عام ١٣٨١ هـ بمصر . راجع هذه المقالات ص ٢٧ - ٢٨ ، الطبعة المصرية فإن فيها كفراً بواحاً .

وأما مَن حرَّف وعطَّل وغيَّر وبدَّل ، فهو من ورثة لبيد بن الأعصم (١) اليهودي والجهم بن صفوان (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، الزموا كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وما عليه سَلَف الأمة من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان .

اللَّهم بارك لنا في القرآن ، ونوِّر قلوبنا بالإيمان ، وارزقنا خشيتك في السر والعلن ، واغفر لآبائنا وأمهاتنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) هو يهودي معروف الذي سحر النبي ﷺ كما عند البخاري في كتاب « الطب » حديث رقم (٥٧٦٣) .

(٢) أما الجهم بن صفوان فهو : الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع ، ترجم له الذهبي في الميزان برقم (١٥٨٤) : ١/٤٢٦ ، قال الذهبي : رأس الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين ، وما علمته روي شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً ا هـ .

قلت : هو تلميذ للجعد بن درهم الذي قتل بالعراق يوم النحر والقصة مشهورة .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
من معنى الآية ٩ من سورة الإسراء
إقامة الحدود من الهداية

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ (٣)

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ رسالة ربه ونصح لأمته ورغَّبهم في طريق النجاة وحذَّرهم من سبل الهلاك .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته .

أما بعد . .

فإن من هَدْي القرآن الكريم للتي هي أقوم (٤) : القِصاص في القتلى ، فإن الإنسان إذا همَّ بقتل إنسان آخر تذكر أنه يُقتص منه إذا قتل ، خاف وارتدع (٥) .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة البقرة : ١٤٢ و٢١٣

(٣) سورة البروج : ١٤

(٤) إشارة إلى الآية ٩ من سورة الإسراء .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : ١٧٩ ، ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ .

ومن هَدْى القرآن للتي هي أقوم : قطع يد السارق (١) ، وذلك أن اليد إذا كانت أمينة كانت ثمينة ، لكن إذا خانت هانت وذلّت فتُقطع يد السارق .

وإنما خُلِقت اليد لطاعة الله والإعانة في بناء المجتمع وإصلاح النفس والكسب الحَلال ، فإذا امتدت إلى الفساد وإزعاج الآخرين وأخلّت بالأمن أقيم عليها الحد .

ومن هَدْى القرآن للتي هي أقوم : رَجْم الزاني المحصن (٢) ، ذلكم أن الذكَر والأنثى إنما خُلِقا لعبادة الله وطاعته والسير على نظامه ، ولإنتاج الأجيال الخيِّرة والبيئة الصالحةَ بطريق طاهر (٣) . فإذا خان الزاني المجتمع وأفسد النسل وخلط الإنسان وورِّث غير وارث ، وجعل نطفته في رحم حرام ، وانتهك الحرمات وقد عرف الغيرة ولكنه لم يبال ، فهو عضو فاسد وغصن يابس يجب إزالته لئلا يفسد غيره ويثقل على المجتمع حمله .

ولما كانت تلك الجريمة أشد قبحاً وشناعة وخطراً ، والشهوات والنفس الأمارة بالسوء تدعو إليها ، كانت عقوبتها تناسبها ، كما في جريمة زنى المحصن ، فقلّ أن تثبت لخفائها ، فإذا اعترف الزاني المحصن على نفسه أربع مرات ، أو ثبت الزنا بشهادة أربعة عدول بنزول الميل في المكحلة ، دلّ على أن ذلك الزاني مستهتراً أو عنده عدم مبالاة بالجريمة ، ويشيع خبرها في المجتمع ، فكانت العقوبة من جنس الجريمة (٤) . فحكمة الرجم أبلغ في العقوبة ، وأشد نكالاً وردعاً للآخرين .

---

(١) إشارة إلى الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) إشارة إلى الآية ٢ من سورة النور .

(٣) إشارة إلى الآية ٣ من سورة النساء ، ونحو معناها حديث صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . البخاري : ٩/ ١١٥ الفتح ، ومسلم في الصحيح برقم (١٤٦٦) : « تنكح المرأة لأربع .... » الحديث .

(٤) ولذلك وضعت هذه الموانع الشرعية الرادعة على لسان جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأخيراً على لسان هذا النبي المرسل الخاتم عليه الصلاة والسلام ، ولذلك جاء قوله تعالى في سورة : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ (سورة النور : ٦٣) .

ومن هَدْى القرآن للتي هي أقوم : الجمع بين العمل للمعاش والعمل للمعاد : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١) .

ومن هَدْى القرآن للتي هي أقوم : تقسيمُ المسئوليات في الحياة الزوجية بين الرجل والمرأة ، وإلزامُ كل واحد بحق الآخر .

ومن هَدْى القرآن للتي هي أقوم : ربطُ المخلوق بالخالق إيماناً وانقياداً ، وتكليفه بعد الإيمان بالعبادات والصلاة والزكاة والصوم والحج وبالتكاليف الواجبة والمستحبة ، ليكون المسلم مُعتصماً بالله مرتبطاً بالعروة الوثقى ، فلا قِوام للبَشر إلا بالله ، ولا وجود لكيانهم إلا بالله ، فالتي هي أقوم : توجه العبد إلى الله في كل أموره والاعتمادُ على الله في كل شئونه .

ومن هَدْى القرآن للتي هي أقوم : وجوب طاعة الله الذي خلق (٢) من العدم وربي بالنِعْم ، وطاعةُ رسوله ﷺ المبلِّغ عن الله ، وطاعةُ ولاة الأمر الذين ولأهم الله (٣) أمر البلاد ، وردُ الخلاف والنزاع إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ (٤) والانقياد لحكم الله (٥)

---

(١) سورة البقرة : ٢٠١

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في عدة سور منها الآية ٤٦ من سورة الأنفال .

(٣) إشارة إلى الآية ٥٩ من سورة النساء ، والأحاديث في ذلك كثيرة جداً .

(٤) إشارة إلى الآية ٥٩ من سورة النساء .

(٥) إشارة إلى حديث ابن مالك رضي الله عنه . البخاري برقم (٧١٤٢) الأحكام باب رقم (٤) « السمع والطاعة للإمام لم يكن معصية » ، ونحوه مسلم في الصحيح الإمارة حديث رقم (٣٦) ، (٤٩) ، (٥٠) ، الحج برقم (١٤١) .

وكل التشريع والفرائض والأوامر والنواهي السماوية من هَدْي القرآن للتي هي أقوم ، فكل حكمة في القرآن وفي السُنَّة الصحيحة أقوم وأحق بالابتداء والاتباع [(١)] .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [(٢)] .

* * *

(١) إشارة إلى حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه . أبو داود : برقم (٤٦٠٤) ، وأحمد في المسند : ٤/ ١٣٠ ، والدارمي في سننه : ١/ ١٤٤ وإسناده صحيح .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤ - تفسير الآية (٢٣) من سورة الإسراء [١]

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ... ﴾

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام [٢] .

وأشهد أنَّ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، خلق فسوى ، وقدَّر فهدى [٣] .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإن الصلة بين الوالدين والولد كصلة الحبة بالزرع ، فهي صلة أصل بفرع ، فكما أن الزرع ينبت من الحبة ويمتص قوتها وغذاءها ويذهب بنُضرتها وبهائها حتى تعودَ غُلفاً فارغاً أو فتاتاً مبعثراً . فكذلك الأولاد ، يمتصون من الوالدين كل المجهودات وكل العناية ، وكل الاهتمام وكل القوى ، ومن الأم خاصة كل قوة البدن ، فإذا بالوالدين شيخوخة ضعيفة وأجساماً هزيلة ، إن طالت

---

(١) ألقيت في ١٨/ ٥/ ١٤٠٠ هـ .

(٢) إشارة إلى معنى قوله تعالى في الآية ٧١ من سورة الأنعام ، والآية ٤٣ من سورة الأعراف .

(٣) إشارة إلى الآيتين ٢ ، ٣ من سورة الأعلى

بهما أو بأحدهما حياة ، كل ذلك بارتياح من الوالدين وبكل رغبة وسعادة ، بكل اهتمام وعناية ، دون سآمة ودون ملل .

أما الولد . . فإذا قوى واستغنى عن والديه اتجه إلى تنظيم نفسه وأحواله ، وتحقيق رغباته . إلى النساء ، إلى الأولاد ، إلى هذه الحياة الدنيا ، بكل مشاعره وعواطفه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (١) .

وهذا الاتجاه قد يُغْفلُ الولدَ عن والديه ، وقد يُنسيه ماضيه معهما ، وقد يكون الوالدان أو أحدهما في حاجة إلى الولد ، إلى الأنس به والارتياح إلى برٍّ وصلة ، إلى نفقة وخدمة ، وقد يثقل على الولد هذه المسئوليات فيُقصرِّ فيها .

ولما كان الإنسان يختلف في تكوينه وفي وظيفته ، وفي مآله عن سائر المخلوقات النامية ، كان نظامه في هذه الحياة يختلف ، لذلك اعتنى الإسلام بتوثيق الصلة بين الوالدين والأولاد ، وجعل نظامه نظاماً يحفظ حق الوالدين وحق الولد .

ومن أجل الدوافع النفسية التي يتجه فيها الولد في هذه فيغفل الولد عن حاضر أبويه وماضيهما . أوصى الخالق تبارك وتعالى الولد بوالديه وبالغ في التوصية وقرن حق الوالدين بحق الخالق ، فالإحسان الأول والفضل الكامل للخالق جَلَّ جلاله الذي خلق الإنسان وأوجده من العدم وربَّاه بسائر النعم والإحسان . والفضل الثاني للوالدين على ولدهما فهو بضعة منهما ، سهرا عليه وقاما بتربيته وتحمل المشقة في إصلاحه وإسعاده . فقال تبارك وتعالى :

---

(١) سورة آل عمران : ١٤

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ (١) .

هذه خمسة أنواع من الواجبات على الولد لوالديه ، وفي ضمنها بقية الواجبات ، وإنما جرى التنصيص هنا على هذه الأنواع الخمسة ، لأنها هي مقومات السلوك ، وفيها الارتياحُ النفسي واستقامة الأسرة ، فإذا حصلت فغيرها تبع لها ، أما إذا فقدت فإنه لا يحصل بغيرها وئام ولا ارتياح ولا تواصل .

النوع الأول : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ : قضى : حكم وألزم . وأول واجبات العبد عبادة الله وحده لا شريك له . وقوله : ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ : أي احسن أيها الولد إليهما . وقوله : ﴿ إما يبلغن عندك الكبر ﴾ : إشارة إلى الحالة التي يحتاج فيها الأبوان إلى العناية والرعاية والتلطف .

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ (٢) : هو ما يقوله الإنسان عند الضجر والقلق ، أي لا تظهر لهما ما يوحي بأنك في ضجر منها ، أو مستثقلٌ لحالهما ، أو متبرم من وضعهما ، لأن الإنسان في حال كبر سنه وحاجته إلى ولده - بعد أن كان قوياً مستغنٍ - كان له الفضل والقيادة في أسرته . في هذا الحال يكون إحساسه قابلاً لأي مؤثر - ولو كان بسيطاً - يؤثر في نفسيته ، يؤثر في معيشته ، يؤثر في أعصابه ، يؤثر في تفكيره ، وقد يَؤُول به الأمر إلى القلق

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٢٣ - ٢٥ . والوصية بالوالدين في سورة الإسراء ، وفي سورة البقرة ، وسورة النساء ، وسورة الأنعام ، وسورة الأحقاف ، وسورة العنكبوت ، ولقمان .

(٢) سورة الإسراء : ٢٣

والسأم وكراهية الأسرة . فنُهي الولد عن كل شيء يجرح شعور والديه أياً كان نوعه وسببه .

النوع الثاني ، ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ : أي لا ترفع الصوت عليهما في الخطاب ، ولا تخالف رأيهما انتصاراً لرأيك ، ولا تخالف رغبتهما إيثاراً لرغبتك ، فقد كانا يؤْثرانك على أنفسهما ، وقد كانا يخفضان صوتهما لراحتك ، كانا يفرحان لفرحك ، ويسهران لسهرك ، ويمرضان لمرضك: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (١) .

وإذا كان رأيهما خطأً فلا تخالفه بما يدل على الانتقاد والتنقيص أو التكذيب ، وإنما بأسلوب الرقة والرأفة واللطف ، وإذا اقتضى المقام تأخير الجواب المخالف إلى وقت آخر ، فلعل الوالد أن يتراجع أو أن يكون عنده قابلية للتصحيح بدون تصور آخر .

النوع الثالث : ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢) لما نُهي الولد عن الإثارة والإيذاء بما يتنافَى مع الإحسان ، أُمر بما يقتضيه الإحسان وهو القول السديد الذي يدل على الاحترام والتوقير والإجلال ، وحفظِ المعروف والاعترافِ بالجميل ، وبما يدل على أن الوالدين مُقدَّمان في البيت محبوبان لدى الأسرة .

النوع الرابع : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ (٣) : الجناح هو الجانب كقوله تعالى : ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ (٤) : أي أرخ لهما جانبك الذليل رحمة بهما لكبر سنهما وشفقة عليهما لضعفهما ، ولسابق

(١) سورة الرحمن : ٦٠

(٢) سورة الإسراء : ٢٣

(٣) سورة الإسراء : ٢٤

(٤) سورة طه : ٢٢

فضلهما فقد كان الوالدان يخفضان جانبهما للولد رحمة بصغره ، وشفقة على ضعفه ، يضمانه إلى حضنهما ويضعانه تحت جناحهما ، انظر أيها الإنسان إلى الطائر كيف يضُم فراخه تحت جناحه . يخفض الجناح ليحوي الفراخ ويُصوت بصوت الرقة والرحمة ، وانظر إلى الفرخ كيف يأرز تحت الجناح بلهف وشفقة، يُصوت بصوت الحاجة والضعف ، وانظر إلى سائر الحيوانات مع أولادها. فكذلك كنت مع والديك، فلا تكن لئيماً تنسى ذلك الماضي وتشتغلُ عنه بما أوتيت من قوة واستغناء : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (١) .

النوع الخامس : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢) : دعاء للأبوين وتذكير للولد بما يجب عليه لأبويه . ﴿ كما ربياني صغيراً ﴾ : إن الولد لا يستطيع أن يكافيء والديه مهما عمل ومهما أحسن ، ومهما قدَّم لهما. ولكن عليه أن يحرص وأن يجتهد وأن يبذل ما في وسعه ، ويفوِّض بقية الأمر إلى القادر على الجزاء ، وعليه التوجه إليه بالدعاء لوالديه فرحمة الله أوسع ورعايته أشمل وفضله أعم ، وجنابه أرحب ، وهو أقدر على جزاء الوالدين على ما بذلاه من دمٍ وقلب ومشاعر ، لا يقدر على جزائه الأولاد ، وهكذا يعالج القرآن الكريم القضايا الإسلامية ويضع نظامها ، ويقرر الحلول المناسبة لها .

وهكذا يحرك الإسلام الهمم ويثير الأحاسيس ويستجيش المشاعر الحية الواعية ويوجهها إلى اتجاه الخير والسعادة ، إلى روابط الأسرة وبناء الأمة : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وراقبوه في السر والعلن ، وأدُّوا الحقوق إلى

---

(١) سورة الرحمن : ٦٠

(٢) سورة الإسراء : ٢٤

(٣) سورة القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠

أهلها ، ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (١) .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة القصص : ٧٧

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

راحة النفس لا ينالها إلا المؤمن التقي

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أكملَ وأتم علينا نعمته ، ورضى لنا الإسلام ديناً [(١)] .

وأشهد أنْ لا إلَه الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومَن اهتدى بهَدْيه ودعا بدعوته .

أما بعد . .

فإنَّ الهدايةَ منَّةٌ من الله تعالى ثمينة غالية ، لا يُعطاها إلا مَن أراد الله له الخير والسعادة .

ونظامُ الإسلام في جميع مرافق الحياة هداية من الله وفضل ونورٌ ، لا يراه إلا مَن فتح الله بصيرته واختاره لحمل أمانته وتبليغ رسالة : نبيه ﷺ .

فالراحة النفسية التي يعيشها المسلم المتكامل ، والروحانية التي ينعم فيها المؤمن ، لا يجدها الإنسان غيرُ المؤمن مهما بلغت نفسه مناها ، ومهما حصلت على متطلبات الحياة ، ومهما أطلق لنفسه عنان الحرية السائبة .

فالأسرة المسلمة التي تعيش على نظام الإسلام تكون متماسكة مرتبطة برباط الإيمان بالتعاطف والتراحم ، والبر والصلة تجد لذةً وارتياحاً لا يجدهما أي

---

(١) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

شعب سائب لا يدين بدين الإسلام ولا يتحلى بفاضل الأخلاق وشريف السلوك .

انظر إلى المسلمين في تعاطفهم وتراحمهم عامة ، وفي الأقربين خاصة ، إذا مرض منهم الواحد توافد الآخرون لزيارته ، وإذا طالت بهم أيام فراق سافروا من جهة إلى أخرى للمواصلة وتفقد الأحوال .

أما الشعوب الأخرى التي تدَّعي بأنها في قمة المدنية ، ويراها بعض الناس من المسلمين - أو على الأصح من المنتسبين للإسلام - يرونها في ذروة الرقي ، إننا نسمع عنهم من تفكك الأسر وتباعد القلوب وتشتت الشمل ما تقشعر منه الجلود وتنعصر له القلوب . وخاصة في الشعوب التي طغت عليها المادة والأنانية وتحكم الشهوات ، فمن أخبار تلك الشعوب الضائعة شاب في جامعة في بلد غربية يطلبه التليفون لحضور جنازة أمه ، فيجيب ببروده وعدم مبالاته فيقول : ليس من الضروري أن أحضر . وشابة في جامعة يطلبها التليفون لحضور أمها التي تحتضر فتعتذر . ورجل طاعن في السن يضرب الجدار على جاره في جوف الليل فلما أتاه إذا هو يحتضر ، فقال : ألك أولاد ؟ فقال : نعم ، ولكن لم أرهم منذ ثلاث سنوات ولا أعرف مكانهم . الولد يغيب عن والديه سنين ، فإذا قدم يتوجه إلى صديقته بكل قلبه وقالبه ، أما والداه فكثير إن أعطاهما إشارة من بعيد بالتحية . هذه الأمة غير المسلمة ، يعيش بعضهم هذا التفكك وتلك القطيعة ، وأما أمة الإسلام فهي الأمة المسلمة التي رباها محمد ﷺ بتربية الله ، وعلَّمها بعلم الله .

فهي الأمة التي تستحق السيادة والرقي والرفعة ، فما الفرق بين الأمتين ، إلا أن أولئك ، ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (١) ،

(١) سورة الروم : ٧

فاتقوا الله يا أمة الإسلام ، تمسكوا بدينكم ونظام إسلامكم ، وافخروا بقرآنكم ودينكم ، فوالله لا قيمة لكم عند الله ، ولا عند خلق الله إلا بدينكم وطاعة ربكم .

وصلُّوا على البشير النذير .. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (١)

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٥ - تفسير الآيات (١ - ٧) من سورة المؤمنون (١)

من صفات المؤمنين

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ (٢) ، قوله حق ووعده صدق وحُكمه عدل .

وأشهد أنْ إلا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﷺ .

اللَّهم صلِّ على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإذا أُعلن عن مخطط أراضي قد وصلت إليه الخدمات . تسابق الناس للمزايدة والشراء ، ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (٣) .

ولكنني أُذكِّركم بقصور مفروشة ، وبساتين مثمرة معروضةٍ للبيع ، لا تضيق بالمتنافسين ، ولا يتبعها شقاق ولا ندم ، ولا يتطرق إليها خسارة ولا غبن ولا خراب ، إنها تباع بموجب بطاقات ، وتسلَّم بالعدل ، ليس هناك محاباة ولا استبداد ، ولا غش ولا مخادعة ، ولا تدليس . فهل تعرفونها وهل تعرفون مالكها الذي عرضها للبيع ؟ وهل تعرفون مَن يستحق الشراء ، وما هو الثمن

---

(١) ألقيت يوم ٢٨/٥/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٧٥

وما هو صك الاستحقاق ؟ إنها الجنة : « فيها ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر » (١) ، ومالكها هو الله الجوَّاد الكريم .

وأهل الاشتراك فيها هو المؤمنون . بطاقاتهم : « لا إلَه إلا الله محمدٌ رسول الله » ، وثمنها العملُ الصالح الخالصُ لوجه الله تعالى ، وصك الاستحقاق هو قوله تبارك وتعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑪ ﴾ (٢)

فتأملوا أيها المسلمون هذه الآيات ، وتأملوا شروط البيع والشراء ، وتأملوا الثمن ، وتأملوا المكسب والغبطة ، إن الثمن ليسير على مَن وفَّقه الله وهداه ، وهكذا يجب أن تكون الأمة الإسلامية .

﴿ قد أفلح المؤمنون ..... ﴾ . الفلاح : هو الفوز والظفر بالمطلوب . والإيمان : هو التصديق . والمؤمنون : هم الذين يُصدِّقون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، يُعرفون بصفاتهم وسماتهم .

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، حديث رقم (٨٤٩٨) التوحيد : ١٣/ ٤٦٥ الفتح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وكذا مسلم : الإيمان ، حديث رقم (٣١٢) ، وأحمد في المسند : ٢/ ٣١٣ من هذا الوجه واللفظ .

(٢) المؤمنون : ١ - ١١

الأولى : ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ : الخشوع في الصلاة ، إذا دخلوا في صلاتهم ، استشعرت قلوبهم عظمة الله وتلذذت بمناجاته وتلاوةِ آياته ، فيسيطرُ هذا الشعورُ على القلب فَيَلِينُ لذكر الله ، ويسيطرُ على الجوارح والملامح ، فتهدأ وتسكن وتنسى كل ما يشغلها عن مناجاة الله ، وبذلك تسمو الروح ويخشع البدن وتزكو النفس وتطيب الأخلاق والسلوك ، والصلاة التي هذه صفتها هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، أما الصلاةُ والقلبُ لاهٍ مشغولٌ بأعمال الدنيا ، مشغول بالتفكير خارج الصلاة ، فهي صلاة بلا خشوع ، كجسد بلا روح .. « وربَّ قائم حظه من قيامه السهر والتعب » (١) .

الصفة الثانية : ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ : اللغو هو الباطل ، فهم منصرفون عنه لا يعملون به ولا يقربونه ، وسواء أكان لغوُ القولِ ، أو لغوُ العمل ، أو لغو الاعتقاد ، أو لغو السلوك ، ذلك أن المؤمن مشغول بالحق عن الباطل وبالجد عن الهزل ، وبالعمل عن الكسل ، فأوقاته دائماً معمورةٌ بواجباته الإسلامية في نفسه ، وفي أهله وأولاده وفي بيته ومسجده وجيرانه وإخوانه وعشيرته . في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في التفكير في هذا الكون ، في مناجاة خالقه ، في قراءة كلام ربه ، في تتبع سنَّة نبيه محمد ﷺ . مشغول بوظائف الإسلام بالجهاد بأنواعه بالدعوة إلى الله ، التحذير عن كل ما لا فائدة فيه ، عن كل لهو وباطل ، وعن كل منكر وفاسد . هذه صفة المؤمن الحقيقي كامل الإيمان .

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ٤٤١/٢ ، وابن ماجه في المسند : الصيام باب (٢١) ، الدارمي في سننه : الرقاق (١٢) من هذا الوجه واللفظ ، وإسناده فيه ضعيف ، وهذا لفظ ابن ماجه ، وقد صح من وجه آخر عند الدارمي في سننه برقم (٢٧٢٣) : ٢١١/٢ ، وهو أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ..

واللهو المباح هو الذي ليس فيه إثم ولا يشغل عن واجب ، أما إن كان محرَّماً أو أشغل عن الواجب ، وإن كان أصله مباحاً ، كأن يُشغِلُ عن الصلاة حتى يخرج وقتها أو يؤذي المسلمين ويقطع الأرحام ، فهو مُحرَّم لا يجوز إتيانه .

الصفة الثالثة : أداء الحقوق الواجبة في الأموال ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ : فإن أداء الحقوق المالية يُطهر الأموال وينميها ويُزكي الأنفس ، ويُنظف المعاملات ، ويُقَوِّي صلة المسلم بأخيه المسلم ، فيحصل التعاطف والتراحم والتعاون والتكاتف ، وتحصل المحافظةُ على الكتلة المسلمة عن التصدع . لكن لما مُنعت الزكاة تسلَّطت الشيوعية ، ووجدت رواجاً بمبادئها الكاذبة وشعاراتها الخادعة ، فأفْقَرت الغني وتركت الفقير على فقره .

الصفة الرابعة : المحافظة على الفروج من الوقوع في المحرَّم ، فلا تحصل نظافة الفَرد والجماعة ولا نظافةُ الأسرة والأولاد إلا بحفظ الفروج عن المحرمات . فالمجتمع الذي يحافظ على أخلاقه ويُنظِّم الغرائز الجنسية بنظام الإسلام يكون طاهراً نقياً شريفاً علياً . أما المجتمع الذي تنطلق فيه الشهوات بدون قيود وبدون نظام العدل فإنه مجتمع قذر هابط سافل إلى درجة الحيوانات ، ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (١) .

فإن بعض الحيوانات لا يرضى ذَكَرُها أن يكون عنده في حظيرته ذكر آخر ، ولا يرضى أن تذهب أُنثاه إلى غيره .

ولكن بعض بني آدم استحوذ عليهم الشيطان ، وسيطرت عليهم الشهوات ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم فهبطت أخلاقهم ، والذين يدعون المرأة للخروج إلى الميدان العام ، إلى الاحتكاك بالرجال ، إلى التقابل مع الشباب ، إنما

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٩

يدعون إلى رفع ستار الحياء ، وستار العفة ، إنما يدعون إلى تحطيم الفضائل والقضاء على الأخلاق سواء علموا ورضوا أم لم يعلموا .

وما أشبه الذَكر والأُنثى بالسالب والموجب من الكهرباء إذا حُفظا من التلامس نفعا ، فإذا تم الاتصال النظامي بينهما حصل النُور والنفعُ الكبير ، أما إذا نُزِعَ الغلاف الفاصل بينهما والتقيا في نقطة غير نظامية ، احترقا وتلفا وأحرقا البيت وفسد الخط العام .

اتقوا الله أيها الناس ، اتقوا الله أيها الغافلون . . ألا تنظرون إلى نتائج خروج المرأة إلى الحقل العام في الأمم حولكم ؟

ألا تنظرون إلى المصائب والرزايا والفتن والمحن بسبب ذهاب الفضائل وبسبب تخلي المرأة عن واجباتها الأساسية ، وتخلي الرجل عن واجباته الشرعية .

ألا يستحي أولئك الدعاة ، ألا يخافون من الله ، أليسوا بمسلمين ؟

ألا يقرأون كتاب الله : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (١) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ (٢) ، ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾ . . . الآية (٣) ، ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ . . . الآية (٤) .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ (٥)

ربنا لا تُسلّط علينا بذنوبنا مَن لا يخافك ولا يرحمنا .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٣

(٢) سورة الأحزاب : ٥٩

(٣) سورة النور : ٣٠

(٤) سورة النور : ٣١

(٥) سورة آل عمران : ٨

اللَّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية ، ويُؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهي فيه عن المنكر ، إنك على كل شيء قدير .

اللَّهم اغفر لنا وتب علينا إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

فى تفسير الآية ٨ حتى ٩ من سورة المؤمنون

حفظ الأمانات ومراعاة العهود

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وأنعم علينا نعمة الأمن والرخاء والاستقرار .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . ألا هو العزيز الغفار .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأخيار .

أما بعد . .

فإن الصفة الخامسة للمؤمنين الذين يرثون الفردوس هي قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (٢) يؤدون الأمانات إلى أهلها ويصدقون في العهود ويوفون بها ، وما أكثر الأمانات في عنق الإنسان ، أماناتٌ فيما بينه وبين الله ، وأماناتٌ فيما بينه وبين المخلوقين . . فالوفاء بالعهد وأداء الأمانة من صفات المؤمنين ، ونقضُ العهد وخفر الأمانة من صفات المنافقين .

---

(١) سورة إبراهيم : ٧

(٢) سورة المؤمنون : ٨

وأما الصفة السادسة : فهي المحافظة على الصلوات في أوقاتها بوضوئها وأعمالها ، الرجال مع الرجال في المساجد ، والنساء في بيوتهن خير لهن . ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ .

الصلاة صلة بين العبد وربه ، لا تُكلِّف عناء ولا مالاً ولا تستغرق وقتاً طويلاً ، مَن حافظ عليها حفظ دينه ومَن ضيعها فهو لما سواها أضيع (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ﴾ (٢) .

ثم اعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، ثم ثنى بالملائكة ، ثم بكم أيها المؤمنون ، فقال جل من قائل عليماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى عليّ مرة صلّى الله عليه بها عشراً » (٤) .

* * *

---

(١) من رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله ، أخرجه مالك في موطئه برقم (٥) : ١/ ١٥ ، وإسناده منقطع ، ولكن معناه صحيح .

(٢) سورة الحديد : ٢١ ، وتمامها : ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

(٤) فضل الصلاة على النبي ﷺ للعلاَّمة إسحاق القاضي برقم (٩) ص ٢٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ..

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٦ - تفسير الآية (١ - ٢) من سورة النور [١]

عقوبة الزنى

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] ، بعث رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، وأنزل عليه الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة للعالمين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمامُ المتقين وقائدُ الغر المحجلين .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، أئمه الهدى الذين كانوا يقولون بالحق وبه يعدلون ، ومَن تبعهم بإحسان وسلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون : يقول الله تعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣) ﴾ [٣] .

---

(١) ألقيت يوم ٢٧/٦/١٣٩٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة النور : ١ - ٣

لقد أنزل الله في هذه السورة الكريمة أحكاماً شرعية متعددة لا غنى للمسلم عن معرفتها والعمل بها ، بيَّن فيها الخالق الحلال والحرام والأمر والنهي ، والإرشاد والتوجيه ، واللوم والتوبيخ ، والعمل والجزاء ، والثواب والعقاب .

أنزل فيها آيات قرآنيةً واضحاتٍ مفسراتٍ محكماتٍ يعرفها مَن قرأها وتدَّبرها .

أنزل فيها التربية الاجتماعية الصحيحة ، وبيَّن طرقها وعالج المشاكل الطارئة .

أنزل فيها هدى للعالمين ، ورحمة للمتقين ، وموعظة وذكرى للمؤمنين .

حقاً إنها اشتملت على أحكام شرعية وحدود مفروضة تهدف لإصلاح المجتمع وتربيته ، وتطهيره من أدناس المعاصي ، وتصفيته من نزغات الشيطان .

تأمر بكل فضيلة ، وتوضِّح أسبابها والطرق الموصلة لها ، وتنهي عن كل رذيلة وتحذر منها .

وقد صدَّر الله تعالى هذه الآياتِ البيِّنات في هذه السورة بآية الزنا ، لخطر شأنِه وقبح فعله وما بعده له صلة به ، إما لصيانة الأعراض من القذف به ، أو لمعالجة المجتمع من الوقوع فيه أو في أسبابه ، أو لإرشاد العباد إلى طريق العفة والنزاهة ، وتحذيرهم من طرق الخلاعة والابتذال .

عباد الله : إن جريمة الزنا هي أخطر جريمة على الأمة ، فالعفة وعليها مدار الأخلاق وطهارتها ، ونظافة الأخلاق عنوان قوة الأمة وشهامتها ، ودليل عزتها وكرامتها ، أما إذا انهارت الأخلاق انهارت الأمة ، وصارت لعبة في أيدي أعدائها ، وبقاء الأمة متعلق ببقاء أخلاقها ، ولا تذل ولا تهون إلا بانهيار أخلاقها ، ولا تهلك إلا بالانحراف عن دينها ووقوعها في معصية ربها ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ (١) .

(١) سورة الإسراء : ١٦

وما انتشر الزنا في قوم إلا سلَّط الله عليهم أمراضاً فتَّاكة كالطاعون والإيدز والزهري والقروح والصديد ، وما كثر الزنا في قوم واشتهر فلم يُنكر ، إلا سلَّط الله عليهم ذلاً وهواناً وفقراً ومجاعة . الزنا فيه جرأة على الله تعالى بانتهاك محارمه وتعدي حدوده ، وفيه خيانة للمجتمع بالتعدي على فضائله ومكارمه ، وخيانة للأمة باختلاط أنسابها .

إن الزنا جريمة في حق الرجل والمرأة : ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (١) ، وفيه جناية على المرأة بخيانة فراشها وهدم بيتها وتحطيم مستقبلها . إنه جناية عظمى على النطفة التي توضع في رحم حرام ، قد تخلق إنساناً فيُنسب لغير نسبه ويَرث من غير مورثه ، ويُحرِّم عليه غير محارمه ، وقد يتزوج من محارمه ، أو يُوضع في دور الحضانة لا أم له ولا أب ، قد حرم من عطف أبيه وحنان أمه فيعيش ضائع النسب .

وقد توأد تلك النطفة في أول حياتها ظلماً وعدواناً . كل هذه كبائر وفواحش يرتكبها الزاني .

لذلك حذَّر الله تعالى من الوقوع في هذه الفحشاء ، ورتب عليها عقوبة جازمة لإصلاح المجتمع وتطهيره ، فكانت العقوبة في أول الأمر حبس المرأة الزانية في البيت حتى تموت ، وإيذاء الرجل الزاني بالضرب والشتم ، فنسخ ذلك بهذه الآية التي في سورة النور ، وأما آية الرجم فنسخت تلاوتها وبقى حكمها (٢) .

---

(١) سورة النور : ٣

(٢) الحاكم في المستدرك : ٢/ ٤١٥ ، والطيالسي (٥٤٠) ، وعبد الرزاق في المصنف (١٣٣٦٣) ، والبيهقي : ١٠/ ٢١١ ، كلهم من طريق عاصم بن أبي النجود .

فاستقر الحد الشرعي بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وإجماع الأمة الإسلامية .

الزاني البكر الذي لم يتزوج زواجاً صحيحاً شرعياً جلد مائة جَلْدةٍ وتغريب عام كامل عن البلد التي وقعت فيها الفاحشة لإماتة ذكرها ، وقطع خوض الناس فيها ، وأما الزاني المحصن ، وهو الذي سبق أن تزوج زواجاً صحيحاً شرعياً ، وهو بالغ عاقل حتى لو فارق زوجه ، فحده ذكراً كان أو أنثى الرجم بالحجارة حتى يموت ، ذلك لأن المحصن قد عرف مدى غيرة الزوج على زوجه وشدة حرصه عليها والمحافظة على كرامته وعفته ، وعرف خطر اختلاط الأنساب ، فلما عرف ذلك وهتك حرمات الآخرين وكشف أستارهم وخان أمانتهم بصفة رآه أربعة رجال أو أقر على نفسه أربع مرات ، صارت عقوبته أشد وأنكى ، ذلكم حكم الله تعالى وسُنَّة نبيكم محمد ﷺ .

وفي الصحيحين أن أعرابيين جاءا إلى النبي ﷺ وطلبا القضاء بينهما بكتاب الله ، فقال أحدهما : يا رسول الله ؛ إن ابني هذا كان عسيفاً (يعني أجيراً) على هذا ، فزنى بامرأته ، فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا الرجم .

فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى : الوليدة والغنم رد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغدُ يا أنيس (لرجل من أسلم) إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها » ، فغدا عليها فاعترفت فرجمها (١) .

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن أمير المؤمنين

---

(١) مسلم كتاب « الحدود » ، باب : مَن اعترف على نفسه بالزنى حديث رقم (١٦٩٨) ص ١٣٢٤ ، والبخاري في الشروط ، باب : الشروط التي لا تحل في الحدود (٢٧٢٤) ، والوكالة (٢٣١٤) ، والنسائي في الرجم ومالك : ٢/ ٨٨٢ في الحدود .

عمر بن الخطاب قال وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ : إن الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق على مَن زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البيِّنة أو كان الحَبَل أو الاعتراف (١) .

فاتقوا الله عباد الله ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢) ، وحذِّروا مَن تحت ولايتكم من الأسباب الموصلة إلى هذه الفاحشة الشنعاء ، وإياكم والغفلة والإهمال ، فإن الراعي إذا أهمل رعيته أكلتها السباع .

اللَّهم احفظنا من الوقوع في محارمك ، واعصمنا من تعدي حدودك ، ووفقنا لطاعتك وطاعة نبيك .

اللَّهم أصلح نيَّاتنا وذُرِّياتنا ، واستر عورات المسلمين ، إنك على كل شيء قدير .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) أخرجه أحمد في المسند : ٤/ ١١٥

(٢) سورة الإسراء : ٣٢

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أسباب العفة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فأوصيكم بتقوى الله تعالى والرغبة في ثوابه والخوف من غضبه وعقابه .

واعلموا أن لكل شيء أسباباً ولكل طريق منتهى ، فغض البصر وتسترُ المرأة بلباس الحشمة والعفة ، ووقارُ المرأة في بيتها ، فلا ترى الرجال ولا يرونها ، واحتجاب المرأة بحجابها ، وضرب خمارها على جيبها ، وإخفاءُ جمالها وزينتها عن الأجانب ، كل هذه وأمثالها من الفضائل سبب للعفة والنزاهة ، وحفظ الشيم والكرامة ، وإحصان الفَرْج .

كما أن التبرج ، وإخلاطَ الرجال الأجانب بالنساء وخروجَ المرأة من بيتها متجملة مظهرة زينتها وفتنتها ، سبب للوقوع في المحذور ، وطريق يوصل إلى تجرىء الفسّاق على إيذائها .

فاتقوا الله عباد الله ، وتمسكوا بدينكم وفضائله وشمائله العالية ، فإن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما فيه صلاحه وسعادته .

أيها المسلمون : إن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى عليَّ مرة واحدة صلَّى الله عليه بها عشراً » (٢) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وابعثه ، اللَّهم مقاماً محموداً ، وآته الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة .

اللَّهم ارض عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهم ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهم أدم علينا نعمة الأمن والأمان والرخاء والاستقرار ، وعم بها جميع أوطان المسلمين .

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٢/٣٧٢ ، ومسلم في الصلاة ، باب : الصلاة على النبي ﷺ (٤٠٨) ، وأبو داود (١٥٣٠) في الصلاة ، باب : في الاستغفار ، والترمذي (٤٨٥) ، باب : ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ والبخاري في الأدب المفرد (٦٤٥) من طرق عن إسماعيل بن جعفر به .

اللّهم انصر واحفظ إمامنا وارزقه بطانة صالحة يا رب العالَمين .

اللّهم اجعل ولاية المسلمين في يد من آمن بك وأطاعك واتبع رضاك يا حي يا قيوم .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات .

اللّهم فَرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : أكثروا من ذكر الله ، فإن به حياة القلوب وبه تُغفر الذنوب ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥ ﴾ (١) .

* * *

---

(١) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧ - تفسير الآية (٣١) من سورة النور (١)
في مسألة السفور والحجاب

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن من أخطر البضائع الاجتماعية المستوردة من المدنية الغربية بضاعة خبيثة ودسيسة ماكرة خطرة ، ولقد وجدت رواجاً كبيراً وقبولاً مُدهشاً في الأمة المسلمة .

إنها مسألة السفور دَخَلَت إلى بلاد الإسلام بواسطة بعض الوافدين إليها المتأثرين بالدعايات المغرضة ، وبواسطة بعض أبنائها الذين يسافرون إلى البلدان المتأثرة بتلك الدعايات ، وما هو إلا تقليد أعمى واقتداء المغلوب بالغالب ،

---

(١) ألقيت يوم ١٤٠٧/٧/٦ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

وخاصة في البلاد التي كانت تحت ضُغوط الاحتلال المعادي للإسلام ، لقد علم كل مسلم واع يعرف إسلامه أن أعداء الإسلام نظروا إلى الحجاب والنقاب وحشمة الإسلام وصيانته للمرأة بعين المقتِ والازدراء ، وصوَّروه أقبح تصوير ، وشنعوا عليه بكل وسائل الإعلام وبأنواع الدعايات والتمثيليات ، وعدّوا وقار المرأة في بيتها كبتاً وإهانة فعكسوا الوضع ، ولكن تمويهاتهم لا تنطلي على المسلم الواعي ، وقالوا في الجهاد وأكثروا كما قالوا في تعدد الزوجات وإقامة الحدود ، فعدَّها أعداءُ الإسلام مآخذ على الإسلام والهدف معلوم وهو فَصْل المسلمين عن مصدر قوتهم وأساس عزتهم ونظام حياتهم ، وهو الإسلام ، عن القرآن الكريم ومنهج سيد الأوَّلين والآخرين ، وساعدهم على ذلك غفلة المسلمين عن نصوص الكتاب والسُّنَّة ، وتقهقر العلماء عن الإيضاح والبيان

بل إن بعض رجال الإسلام وقادة الفكر الإسلامي ، ورجال الإصلاح أحسوا بالتَّيار الجارف والضغوط المصاحبة له فانشلت فيهم الحركة الإصلاحية ، وضعفت الغيرة للإسلام في بعضهم ، فأخذوا يبحثون في كتب الإسلام لعلهم يجدون ما يدفعون به نقد الأعداء للحجاب ، فإذا بهم يقفون على أقوالٍ لبعض العلماء تُجيز للمرأة أن تُبدي وجهها وكفيها ، وأن لها أن تخرج في بيتها لقضاء حوائجها ، وأن المرأة يجوز لها أن تشهد الحروب لسقي المجاهدين (١) ومداواة المرضى ، كما وجدوا إذناً للمرأة بأن تخرج إلى المسجد للصلاة (٢) . يضاف إلى ذلك ما يشاهده أبناء المسلمين قليلو الحظ في

---

(١) إشارة إلى ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما في الجهاد ، باب ٦٥ وعنوانه : باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال ، حديث رقم (٢٨٨٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ونحوه مسلم في الصحيح : الجهاد برقم (خاص ١٣٦) .

(٢) إشارة إلى ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، البخاري : ٣١٨/٢ ، ومسلم في الصحيح برقم (خاص ١٣٦) ، و(عام ٤٤٢) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وأبو داود : برقم (٥٦٥) في الصلاة ، باب : ما جاء في خروج النساء إلى المسجد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

علوم الإسلام إذا سافروا إلى البلاد الكافرة ومستعمراتها ، فيرون ما عليه نساء تلك الجهات من زينة ظاهرة ، وتبرج سافر وانطلاق في الشوارع والمعارض والمتنزهات والكباريهات ونشاط في الحركة الشيطانية ، فينظروا إلى ذلك بعين غافلة عن إسلامها ، ويَتأملونه بقلوب نائمة عن إيمانها ، وبمشاعر تائهة عن سلوكها ، فأحبوا أن تكون نساؤهم مثلَ نَسَاء أولئك ، فتلقوا تلك الدعايات الكاذبة على أنها حقيقة ، وأفسحوا المجال أمام الحملة الماكرة ، وهل توقف الأمر على القول بجواز كشف الوجه والكفين والخروج إلى المسجد للصلاة أو للحاجة ؟ لا . . بل جُعِل ذلك نقطة انطلاق إلى التحلل والتبرج الجاهلي وانهيار الأخلاق والخروج على فضائل العفة وعلى مكارم الأخلاق ، بل كان حرباً شعواء ضد الإسلام في بلاد الإسلام ، وفي أبناء المسلمين ، وهذا هو التخطيط الغربي وهو الهدف من تلك الدعايات ، وهو الهدف من القول في الوحي السماوي .

ومن أخبث الخداع والمكر إظهار الدعاية بأنَّ الإسلام يوافق النظامَ الأخلاقي المتحلل الساقط والحقيقة أن الفروق شاسعةٌ في المبدأ والهدف ، فالإسلام نظم حياة الجنسين ، وجعل لكل جنس دائرةَ عَمل تتوافق مع طبيعته وقدرته ، وقسَّم مسئوليات الحياة على الجنسين ، ونظَّم الصلة بينهما ، وجعل لها هدفاً شريفاً وغاية محترمة تضمن حقوق المرأة في شبابها وكبرها ، وحافظ على كرامتها من الابتذال والإهانة ، وجعل لها ضمانات على الزوج والأب والابن والأخ وعلى الوارث وعلى بيت المال .

أما المدنية الغربية فإنها أهملت المرأة من الرعاية ، وتركتها هائمة باسم الحرية ، يلعب بها الشيطان ، ويخدعها الشباب ، وتلعب بها الأحزاب ، همُّها إشباع الرغبة الحيوانية بدون هدف ؟ والاتجاهُ خلف كل زاعق وناعق بلا غاية ، حتى جعلوها وسيلة في الحركات السياسية .

وتدارك بعض علماء المسلمين خطر الفكر المستورد ، وكذبَ الدعايات المسمومة ، فقامت نهضة للمحافظة على ما بقي ولإصلاح ما فسد ، ولكنها مقاومة من دعاة المدنية المزيفة وأشياعها : ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (١) ، وكثيراً ما ترد أسئلة من بعض الشباب المسلم الواعي من الذكور والإناث : عن الحجاب وعن الزينة المسموحِ شرعاً بإظهارها ، وعن صفة الضرب بالخمار (٢) على الجيب ، وعن صفة إدلاء الجلباب على المرأة (٣) .

وإذا تأملنا نصوص الشريعة من الكتاب والسُّنَّة وكلام العرب وتفسير الصحابيات لآيات الحجاب لما نزلت . وأنصفنا من أنفسنا وأبعدنا عاداتنا وتقاليدنا وتحررنا من التعصب لها ومن التعصب للمذهب ، عرفنا يقيناً أنه يجب على المرأة أن تغطي وجهها وكفيها عن الرجال الأجانب (٤) إلا ما استثنى لحاجة ، كالنظر إلى المخطوبة (٥) ، وعند الشهادة أو التعريف ، أو النظر إلى الكف عند الأخذ والعطاء في حدود المباح ، وعند ضرورة العلاج وفي حدود الحاجة . والقول بوجوب تغطية وجه المرأة هو ظاهر نصوص الكتاب والسُّنَّة ، وإليكم طائفة منها باختصار مراعاة للمقام :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة التوبة : ٣٢

(٢) إشارة إلى الآية ٣١ من سورة النور .

(٣) إشارة إلى الآية ٥٩ من سورة الأحزاب .

(٤) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره بإسناد صحيح عنه : ٢٢/٣٣ ، الطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٢٩ هـ بمصر ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور : ٥/٤٢

(٥) إشارة إلى حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، أخرجه الترمذي في جامعه : ٢/١٦٩ وإسناده صحيح .

(٦) سورة النور : ٣١

الخمار هو ما يوضع على الرأس يُغطَى به ، والجيب فتحة الثوب على الصدر ، فإرخاء الخمار من الرأس إلى الصدر يقتضي تغطية الوجه ، والتعبير بقوله : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ ﴾ تأكيد لإسباغ تغطية الوجه والصدر مع الرأس بالخمار ، فلا تكفي الغطوة القصيرة التي لا تصل إلى الصدر .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (١) .

فالمرأة مأمورة بإخفاء زينتها إلا ما ظهر ، وهو ما يَتَعَذَّر سَتْره مثلُ العباءة والجلباب والملحفة والشرشف ، أما الوجه والزينة التي على الوجه فيمكن سترها ، فهي إذاً من الزينة الخفيَّة التي يجب سترها عن الأجانب .

٣ - قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (٢) ، وإن كان الخطاب في شأن أزواج النبي ﷺ ورضي عنهن ، إلا أن قوله : ﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ دليل على أن الحكم عام لكل المسلمات ، أزواج النبي ﷺ وغيرهن ، لأن كل مسلمة مطلوب منها أن يكون قلبُها طاهراً ، ولا يجوز تخصيص الحكم بأزواج النبي ﷺ إلا بدليل شرعي ، والقاعدة الأصولية : أن أحكام الشريعة عامة شاملة وإن كان المخاطَب واحداً ولا يُخصَّص إلا بدليل .

٤ - قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ . . . الآية (٣) . الجلباب : كساء متين تغطي به المرأة جميع بدنها مثل العباءة والملاءة والشرشف ، فلا يجوز للمرأة أن ترفع العباءة فوق حقوها ، بل تُرْخيها على جسدها كله ، ونحن في هذه البلاد

---

(١) سورة النور : ٣١

(٢) سورة الأحزاب : ٥٣

(٣) سورة الأحزاب : ٥٩

السعودية - ولله الحمد - التزم نساؤنا بالحجاب الشرعي ، فلا يُرى منها وجه ولا يد ، فعلى الوافدين إلينا وعلى المدرسات تقوى الله في نِساءنا وإبقائهن على حجابهن وعفتهن وحيائهن ، ليقتدين بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن . فقوله تعالى : ﴿ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) دليل على أن حكم الحجاب وتغطيةِ وجه المرأة عن الأجانب عام في كل المسلمات ، واجب على كل المؤمنات كما هو واجب في حق أزواج النبي ﷺ .

٥ - قوله تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ (٢) .

فقوله : ﴿ يضعن ثيابهن ﴾ مع قوله : ﴿ غير متبرجات بزينة ﴾ دليل على أن الثياب التي رُفِع الجُناح عن المرأة الكبيرة العجوز هي العباءة ونحوها ، وهي الزينة الظاهرة . فغير القواعد لا يحل لهن أن يضعن العباءة ونحوها أمام الرجال الأجانب فلا يضع العباءة والجلباب إلا العجائز والمتشبه بالعجائز، وفيه دليل على وجوب تغطية الوجه لأن الآية نهت القواعد من التبرج بالزينة . والوجه هو أساس الزينة وهي عجوز ، فكيف بالمرأة الشابة الحسنة .

٦ - حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « لما نزلت آية ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ أخذن أزرهن فشققنها من قبل الجوانب فاختمرن بها » (رواه البخاري) (٣) . قال في فتح الباري لابن حجر : اختمرن ، أي غطين وجوههن .

٧ - حديث عائشة رضي الله عنها عند أبي داود بسند صحيح قالت : كان

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٩

(٢) سورة النور : ٦٠

(٣) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها . البخاري برقم (٤٧٥٩) التفسير وشرحه الحافظ في الفتح : ٨/ ٤٩٠

الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ - أي في الحج - فإذا حاذونا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها ، فإذا جاوزونا كشفنا [١] .

٨ - وروى الحاكم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : كنا نغطي وجوهنا عن الرجال [٢] .

٩ - من أدلة وجوب تغطية المرأة وجهها عن الرجال الأجانب قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [٣] ، فأمرها بإخفاء صوت الخلخال الذي في الرِجل دليل بطريق الأَوْلى على وجوب إخفاء الوجه خشية الفتنة [٤] ، إذ الوجه أشد فتنة من صوت الخلخال .

هذا ملخص ما ذكره المحققون من العلماء ، ومَن أراد التفصيل وزيادة إيضاح ، فليراجع كتاب الحجاب ، وأضواء البيان في المجلد السادس .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . وكما أن المرأة تصلي وتزكي وتصوم وتحج طاعة لله ولرسوله ﷺ ، ورجاء ثواب الله وخوف عقابه ، فكذلك يجب على المرأة المسلمة أن تغطي وجهها وكفيها طاعة لله تعالى وطاعة لرسوله ﷺ ورجاء ثواب الله وخوفاً من عقابه .

فاتقوا الله يا دعاة السفور . . هل أحد من العلماء قال إن السفور واجب حتى تدعون إليه ، أم أن أحداً قال إنه مستحب حتى تُرغِّبون فيه .

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، أحمد في المسند : ٦/ ٣٠ ، وأبو داود : برقم (١٨٣٣) : ٢/ ١٦٧ ، وإسناده حسن مع الشواهد .

(٢) الحاكم في المستدرك : ١/ ٤٥٤ . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٣) سورة النور : ٣١

(٤) المفهوم هنا أقوى من المنطوق في هذه الآية الكريمة من سورة النور (الآية : ٣١) .

الواجب عليكم أن تأمروا بما أمر الله به ، وأن تنهوا عما نهى الله عنه ورسوله ﷺ ، إنما الخلاف بين العلماء : هل يجوز كشف وجه المرأة عند الرجال الأجانب أم لا يجوز ، وليس على الجواز دليل صحيح صريح . فاتقوا الله وراقبوه .

اللَّهم ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جهاد الشهوات

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٢)

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن الله لا يستحي من الحق ، إنه من الجهاله أن يَتْرك الرجل ما أحلَّ الله له من الطيبات ، ويذهب إلى ما حرَّم الله من الخبائث ، وإنه من التمادي في الفسق والفجور أن يعمل الرجل عملَ قوم لوط . سُئل أعرابي عن اللواط ، فقال : أنا أفر من العذرة في العراء ، فكيف أدخل عليها جحرها (٤) .

اللواط من أقبح القبائح ومن أخسها ، فإن الذَكَر لم يُخلق للاستعمال ،

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة إبراهيم : ٤

(٣) إشارة إلى الآية ٨١ من سورة الأعراف ، والآية ٥٥ من سورة النمل .

(٤) ذكر نحوه الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣/ ١٩٤ - ١٩٥ ، ٥/ ٢٤٤ - ٢٤٥

والدُبُر ليس محلاً للولد ولا للشهوة ، بل هو مستقذر خبيث وهو يقضي على الرجولة ، ويسبب الأمراض في الفاعل والمفعول به ، وهو جريمة اجتماعية دنسة ، ملعون فاعلها على لسان نبينا محمد ﷺ ، واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله ، وحد اللوطي عند المحققين القتل سواء أكان بكراً أو ثيباً ، واختُلف في صفة قتله ، فمنهم مَن قال : يُحرق بالنار (١) ، ومنهم قال : يُرمى عليه حائط ، ومنهم قال : يلقي من مكان شاهق كالْمنَارة ، ومنهم قال : يضرب عنقه بالسيف (٢) ، وذلك لأن الله تعالى قال في قوم لوط : ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (٥) ، وقال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (٦) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي) (٧) .

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه الحاكم في المستدرك ، وصححه البيهقي في شعب الإيمان ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور : ٣/٤٩٧ ، وفيه لعن رسول الله ﷺ من عمل عملِ قوم لوط ثلاث مرات .

(٢) ذكره البغوي في شرح السنّة : ١٠/ ٣١٠

(٣) سورة الحجر : ٧٤

(٤) سورة العنكبوت : ٣٤

(٥) سورة الشعراء : ١٧٣

(٦) سورة هود : ٨٢ - ٨٣

(٧) أخرجه أبو داود : برقم (٤٤٦٢) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ٤/١٥٨ ، والترمذي (٢٥٦١) ، وأحمد في المسند برقم (٢٧٣٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى : ٨/ ٢٣٢ ، والحاكم في المستدرك : ٤/ ٣٥٥

والذي يأتي المرأة في دُبُرها ، نجس قذر ملعون في سُنَّة المصطفى صلى الله عليه وسلم وظالم معتد قبيح . فعن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الذين يأتون النساء في محاشِّهن » (١) ، أي الأدبار محل القذر . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن أتى النساء في أعجازهن فقد كفر » (رواه الطبراني) ، وروى ابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا ينظر الله إلى رجل جامعَ المرأة في دُبُرها » (٢) .

وأما إتيان البهيمة ، فقال الرازي : أجْمعت الأمة على تحريم إتيان البهائم ، واختلف العلماء في حكم الذي يأتي البهيمة .

فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه » (٤) .

وقال بعضهم : حكمه حكم الزاني إن كان بكراً جُلِد ، وإن كان ثيباً رُجِم .

والثالث : أنه يُعَزَّر (٥) .

---

(١) أورده الهيثمي في المجمع : ٤/ ٢٩٩ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الصمد بن الفضل وثقه الذهبي .

(٢) أورده الهيثمي في المجمع : ٤/ ٢٩٩ ، وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٣) أخرجه أحمد في المسند : ٢/ ٣٢٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ونحوه ابن ماجه في السنن : النكاح برقم (١٩٢٣) ، وإسناده صحيح .

(٤) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٤٢٠) ، وأبو داود برقم (٤٤٦٤) ، والترمذي برقم (١٤٥٤) ، والحاكم في المستدرك : ٤/ ٣٥٥ ، وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن ماجه برقم (٢٥٦٤) .

(٥) ذكر ذلك البغوي في شرح السُّنَّة : ١٠/ ٣٠٩ - ٣١٠ ذكر الأقوال . . .

والسحق بين النساء (٦) ، والاستمناء باليد المسمى العادة السرية (٧) ، - والمعروف بجلد عميرة - محرَّم وفيه التعزير .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، إن الله شرع الزواج الشرعي للاستغناء به عن المحرَّمات ولابتغاء الولد ، فاتقوا الله أيها المسلمون ، لا يكون المسلم عبداً لشهواته توجهه كيف شاءت .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝ ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) لم أقف على حديث السحق الذي تتعاطاه النساء فيما بينهن ، ولكن قوله تعالى في الآية السابقة من سورة المؤمنون : ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ .

(٢) ونحو هذا الموضوع لم أقف على حديث الاستمناء الذي هي عادة سرية يتعاطاه بعض الشباب فيشمله قوله تعالى في سورة المؤمنون . والله أعلم .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٨ - تفسير الآية (٦٧) من سورة الزمر [١]

﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ .... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [٢] .

﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، شفيع الأمة وفرطها على الحوض [٤] ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون ؛ أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [٥] .

أيها المسلمون : إننا نقرأ كتاب الله الكريم ، ونمر على ما فيه من النور والهدى ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، وما فيه من الأخبار الماضية

---

(١) ألقيت يوم ١٠/ ١٠/ ١٣٩٥ هـ .

(٢) سورة الأنعام : ١

(٣) سورة القصص : ٧٠

(٤) إشارة إلى حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه . أخرجه البخاري برقم (١٣٤٤) : ٣/ ٣٠٩ الفتح في هذا المعنى .

(٥) سورة الطلاق : ٢ - ٣

والأنباء المستقبلة ، ولكن الكثير يمر عليها مراً خفيفاً ، فلا يتدبر المعاني ولا يتأمل الحقائق ، ولا يتعقل المواعظ ولا ينتفع بها ، ولا يتأمل الوعد فيتشوق إليه ، وما هذا إلا لقسوة القلوب وغفلتها وإعراضها عن كتابها وغفلتها عن مصيرها وتراكم الذنوب عليها ، فقست القلوب فهي كالحجارة أو أشد قسوة . فالقلوب يتلى عليها القرآن وتسمع القرآن فلا تتأثر بعظمته وهيبته .

فتعال أخي المسلم نتلو هذه الآيات من آخر سورة الزمر ونتأمل معانيها ونستحضرُ عظمة الله وقدرته فيها ، فلعل الله أن يفتح بصائرنا لفهمها وأن يرقق قلوبنا بما اشتملت عليه من الهول العظيم والوعد الصادق .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الزمر : ٦٧ - ٧٤

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (١) .

فما قدَّر الله حق قدره من ذهب إلى قبور الأولياء والصالحين ويقدِّم لها القرابين ويطلب منها المدد وقضاء الحوائج مثل نجاح الأولاد وتسهيل الولادة أو الحفظ من الأعداء أو كشف الغمة . وما قدر الله حق قدره مَن أنكر رسالة محمد ﷺ ولا مَن أشرك مع الله غيره ، والله يقبض الأرض ويطوى السماء بيمينه ، فكل شيء تحت قهره وخاضع لإرادته ، بيده مفاتيح الأمور ، وله مقاليد السموات والأرض (٢) ، يؤتي الملك مَن يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز مَن يشاء ويذل مَن يشاء (٣) .

وأخبر أن كل ما في الوجود دليل على قدرته ووحدانيته واختصاصه وحده بالعبادة ، وأنه ما يكفر بآيات الله إلا الخاسرون ، وما يشرك به إلا الجاهلون ، وأن الهداية لعباد الله وإخلاصها لله نعمة كبرى يجب شكرها ، كما أخبر سبحانه في الآيات السابقة عن قدرته على الخلق والإيجاد واستحقاقه للعبودية الخالصة ونهيه عن الشرك وأنه محبط للعمل أخبر تبارك وتعالى عن قدرته يوم القيامة ، بما هو أعظم مما نشاهده من آثار قدرته وآيات عظمته ، كما بيَّن قدرته على إفناء الخلق وبعثهم وإرجاعهم إليه ، فليس ذلك يؤوده ولا يمسه بلغوب ، إنما يأمر إسرافيل بالنفخ في الصور النفخة الأولى ، فيفنى جميع العالم إلا مَن شاء الله ، ثم يأمره بالنفخ فيه مرة أخرى فإذا هم قيام إلى الحشر ينظرون ، أحياء بعد الفناء خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة . خوف وفزع وهَم وغم ، والصور قرن ينفخ فيه إلا أنه كبير عظيم يسمعه كل الخلائق

---

(١) سورة الزمر : ٧٥

(٢) إشارة إلى الآية ٦٣ من سورة الزمر .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة آل عمران .

فتصعق ، والنفخة الأولى هي الراجفة ، والنفخة الثانية هي الرادفة . روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقحه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر » . قالوا : يا رسول الله ؛ وما تأمرنا ، قال : « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل » ، ويشفع صلى الله عليه وسلم للفصل بين الناس فيظهر فضله على جميع الخلائق فهو أول شفيع صلى الله عليه وسلم .

﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب ﴾ - أي كتاب الأعمال - ﴿ وجيء بالنبيين ﴾ يشهدون على أممهم والشهداء من الملائكة الحفظة والجوارح ، فيشهد الأنبياء على أممهم بأنهم بلَّغوهم ، وتشهد الملائكة بما سمعت ودوَّنت في الصحف ، وتشهد الأرض بما عُمِل عليها ، وتشهد الجوارح بما فعلت (١) .

﴿ وقُضي بينهم بالحق ﴾ - أي بالعدل والإنصاف وجوزي كلٌّ بعمله وسيق الذين جحدوا بآيات الله ونعمه وأشركوا معه غيره إلى جهنم جماعات يُدَعون إليها دعاً ، كل صنف مع جنسه وكل عاص مع مثله ، فتستقبلهم الملائكة بالتوبيخ والتقريع فاعترفوا بذنوبهم ، ﴿ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٢) ، وأخبر جَلَّ وعلا عن المؤمنين الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة جماعةً بعد جماعةً ، المقرَّبون ، ثم الأبرار ، ثم الذين يلونهم ، كل طائفة مع مَن يناسبها ، الأنبياء مع الأنبياء ، والصِّدِّيقون مع الصِّدِّيقين ، والشهداء مع الشهداء ، فإذا وصلوا إليها وجدوا أبوابها

---

(١) إشارة إلى الآية ٢١ من سورة فصلت ، ونحو هذا القول المبارك القرآني أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ، كما عزاه في الدر المنثور : ٧/ ٣١٩ لفظاً موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه بهذا المعنى .

(٢) سورة المُلك : ١١

مغلقة ، فيشفع لهم خاتم النبيين ﷺ في دخولها فيقرع باب الجنة فيقول الخازن : من أنت ؟ فيقول : « محمد » فيقول : بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك . فأول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر نوراً وبهاءاً ، والذين يلونهم على ضوء أشد الكواكب . لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أخلاقهم على خُلُق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء ، رشحهم المسك وأزواجهم الحور فهو - صلى الله عليه وسلم - أول من يقرع باب الجنة فيفتح له ، فتجيبهم الملائكة بالبشر والسرور ، فيحصل لهم كمال الفرح والحبور : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (١) .

ولما دخل أهل الجنة منازلهم ودخل أهل النار منازلهم أخبر سبحانه عن الملائكة والعرش : ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٢) ، فهو سبحانه غني عن خلقه وعن طاعتهم ولكن يجزي كل عامل بما عمل ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٣) .

وما قدر الله حق قدره مَن أشرك بالله واتبع هواه ، وما عرف الله حق المعرفة من لجأ إلى قبور الأنبياء والصالحين يطلب منهم المدد وقضاء الحوائج ، وما آمن بالله حق الإيمان من علَّق آماله بغير الله من الأحياء والأموات ، وما آمن برسول الله ﷺ إيماناً صادقاً مَن عصى أمره وخالف نهْيه ، وما صدَّق بوعد الله ووعيده مَن جاهر الله بالمعاصي .

---

(١) سورة الزمر : ٧٣

(٢) سورة الزمر : ٧٥

(٣) سورة فصلت : ٤٦

فاتقوا الله عباد الله ، والجأوا إلى الله وحده في جميع أموركم ، واستحضروا عظمته وقدرته في جميع أحوالكم ، واطلبوا منه وحده قضاء حوائجكم ، فهو قاضى الحاجات وهو مجيبُ الدعوات ، وكل مَن سواه فقير إليه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله (١) .

اللّهم اشرح صدورنا للإيمان ، وافتح بصائرنا لقبول الحق ، وثبتا على طاعتك وطاعة رسولك ﷺ .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى الآية ١٨٨ من سورة الأعراف .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

ما دُوِّن في كتب البدع دسائس من أعداء الإسلام

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأوصيكم بتقوى الله تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ (٢) واعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم إليكم فخذوا حذركم ، الكيِّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز مَن اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني (٣) ، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله فإنكم على أفعالكم مُحاسَبون وبأعمالكم مجزيون ، وعلى تفريطكم نادمون ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ (٣) ، (٤) ، وزنوا أعمالكم

---

(١) سورة الكهف : ١

(٢) سورة الطلاق : ٤

(٣) سورة الشعراء : ٢٢٧

(٤) جزء من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٤/ ١٢٤ ، والترمذي في جامعه وابن ماجه في سننه ، وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ، انظر الجامع للترمذي برقم (٢٤٦١) في صفة القيامة ، وابن ماجه في السنن برقم (٤٢٦٠) : الزهد .

بكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ ، ولا تغتروا بما دُوِّن في كتب البدع والتضليل فإنها من دسائس اليهود والنصارى وأتباعهم المضلِّين .

وصلُّوا على البشير النذير .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٩ - تفسير الآية (٧٢) من سورة الأحزاب [١]

جميع الحقوق والعقود والعهود أمانات

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] خلق الإنسان من طين ، وفضَّله بالعقل والفهم على كثير من العالمين ، واختاره لطاعته وعبادته ، ومحلاً لأمره ونهيه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك [٣] .

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأتباعهم بإحسان إلى الدين .

أما بعد . .

فتأملوا أيها المسلمون هذه الآية من آخر سورة الأحزاب : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ .

قال المفسرون : إن الله تعالى لما خلق الخلق عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال [٤] ، فقيل لهن : هل تحملن الأمانة ولكنَّ الفضل والكرامة

---

(١) ألقيت في ٢٠/٦/١٣٩٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة ، آية : ٢

(٣) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، ابن ماجه في السنن برقم (٤٣) ، حسن إسناده عن طريق الشواهد ، ومنها حديث أبي الدرداء برقم (٥) .

(٤) إشارة إلى الآية ٧٢ من سورة الأحزاب .

والثوابُ في الجنة ؟ قلن : يا رب ؛ إننا لا نطيق هذا الأمر وليس بنا قوة ، ولكنَّا لك مطيعين ولك سامعين لا نعصينك في شيء أمرتنا به ، ثم قرَّب آدم فقال له : أتحمل الأمانة وترعاها حق رعايتها ؟ فقال آدم : وما لي عندك ؟ قال : يا آدم ؛ إن أحسنتَ وأطعتَ ورعيتَ الأمانة فلك عندي الفضل والكرامة وحسنُ الثواب في الجنة ، وإن عصيتَ ولم ترعها حق رعايتها وأسأتَ ، فإني معذبكَ ومعاقبكَ ومُنْزِلكَ النار ، قال : رضيت يا رب ، قال الله تعالى : حملتكها . وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ (١) .

فهذه الأمانة التي حملتها أيها الإنسان وهي التكليف فيها فضل عظيم وأجرٍ كبير ، ونعيم مقيم لمن وفقه الله ورعاها حق رعايتها ، وفيه خطر كبير وذل وهوان وعذاب أليم لمن ضيَّعها ولم يؤد حقها ولم يرعها حق رعايتها .

عباد الله : ما هذه الأمانة التي حُمِّلنا إياها وأدينا العهد على الوفاء بها والإحسان فيها ؟ إنها اسم جامع لفعْل المأمور شرعاً وترك المحظور شرعاً . . إنها التكليف ، فهناك أمانة عند العبد لربه ، وأمانة عند العبد لدينه ونبيه محمد ﷺ ، وأمانة بين العبد ونفسه ، وأمانة بين المسلم وأخيه المسلم ، وبين الزوج وزوجه ، وبين الجار وجاره و، بين الوالد وولده .

وقد أوضح الله تعالى في كتابه المبين وعلى لسان نبيه الكريم جميع الأمانات التي يجب الوفاء بها بياناً شافياً ، بياناً واضحاً لا إشكال فيه ولا غموض . فالأمانة التي لله تعالى : هي الإيمان به وبربوبيته وألوهيته ، وعبادتُه وحده لا شريك له على وفق ما شرعه رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ ﴾ (٢) ، وقد أخذ

(١) سورة الأحزاب : ٧٢

(٢) سورة الذاريات : ٥٦ - ٥٧

الله تعالى علينا العهد والميثاق بذلك حينما خلقنا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ .... الآية (١) .

ولا زال هذا العهد يتجدد عند المسلم في كل يوم وليلة ويتكرر في كل صلاة يصليها : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢) ، فيجب أداء هذه الأمانة والوفاء بهذا العهد بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه .

حق الإسلام على المسلم أمانة ، فيجب على كل مسلم أن يتعلم أصول دينه وأن يعرف من دينه ما يقوِّم به عبادته ويُعرِّفه بربه ، وأن يكون داعياً لدينه بعمله وقوله وأخلاقه .

حق الرسول ﷺ على أمته الإيمان بأنه عبد الله ورسوله ، وطاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر (٣) .

حق المسلم على المسلم ، المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله (٤) .

كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعِرضه (٥) .

حق الجار على جاره ينصح له ويحفظ سره ولا يخفره ولا يسوءه ، لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه (٦) .

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٢

(٢) سورة الفاتحة : ٥

(٣) هذا كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب « التوحيد » له ..

(٤) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه مسلم في الصحيح برقم (٢٥٨٠) : البر والصلة .

(٥) هو نفس هذا الحديث : مسلم في الصحيح برقم (٢٥٨٠) ، والبغوي في شرح السنَّة (٣٥٤٩) .

(٦) البخاري برقم (٦٠١٦) الأدب ، باب : ٢٩ ، باب : إثم مَن لا يأمن جاره بوائقه ، من حديث أبي شريح رضي الله عنه .

حق النفس على الإنسان أمانة ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (١) .

فالسمع والبصر والفؤاد وسائر الأعضاء والحواس في الإنسان كلها أمانة عنده ، فلا يستعملها إلا في طاعة الله ، ولا يوجهها إلا لما أحلّ الله ويحفظها عن الوقوع في محارم الله ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (٢) . وقال صلى الله عليه وسلم : « وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال : على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم » (٣) .

الزوجة أمانة عند بعلها ، أخذها بأمانة الله ، واستحل منها بكلمة الله ، فتجب معاشرتها بمعروف ، والقيام بحقها بإحسان ، وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، وتحرم مضارتها والتضييق عليها لتفتدي بشيء مما أعطاها ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٢١ ﴾ (٤) .

الأولاد أمانة عند أبويهما يجب تعليمهم أمور دينهم وتعريفهم بخالقهم وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة ، ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه (٥) .

---

(١) سورة الشمس : ٩ - ١٠

(٢) سورة الإسراء : ٣٦

(٣) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ٥/ ٢٣١ ، وإسناده حسن إن شاء الله تعالى وابن ماجه برقم (٣٩٧٣) الفتن باب : ١٢

(٤) سورة النساء : ٢٠ - ٢١

(٥) البخاري : الفتح : ١١/ ٤٣٢ ، ومسلم في الصحيح حديث رقم (٢٦٥٨) : القدر كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

التلميذ أمانة عند المدرس يحرص على تعليمه وتفهيمه والرفق به وتنمية أفكاره ، وتوسيع أفقه بالأفكار الإسلامية الطيبة ، وترغيبه في الأخلاق الفاضلة والشيم القيمة ، والعادات الحسنة ، وتحذيره من الأفكار الضالة المسمومة ، والتيَّارات الإلحادية المذمومة « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » (١) .

والمال عند الغني وديعة يجب عليه أن يؤدي حق الله فيه لأهله : ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (٢) ، ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٣) . فيُسئل الإنسان عن ماله من أين اكتسبه وفيما صرفه (٤) ، فاحرص أيها المسلم على أن يكون كسبه من طريق حلال ، وأن تكون مصارفه في مصارف الحلال .

الوظيفة أمانة عند الموظف ، يجب النصح لها والقيام بواجبها وأداءُ عملها الذي أسند إليه بنصح وإخلاص وجد واجتهاد ، وأن يلاطف أرباب المصالح وأهل الحاجات وأن يتواضع لهم ، فإنما جعل لمساعدتهم والقيام بأعمالهم .

الصدق في المعاملات أمانة بين المتبايعين ، فيحرم الكذب والغش والخداع « مَن غشنا فليس منا » (٥) ، المكيال والميزان والمقياس أمانة ، فلا

---

(١) البخاري : الأحكام : ١٣/ ١١١ ، ومسلم برقم (١٨٢٩) الأمارة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) سورة النور : ٣٣

(٣) سورة المنافقون : ١٠

(٤) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، الترمذي : في الجائح القسامة حديث رقم (٢٤١٦) وبرقم (٢٤١٧) ، وإن هذين الإسنادين بهما يصح الحديث الأول من حديث ابن مسعود ، والثاني من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه أبو داود (٣٤٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

يجوز بخس الكيل وتطفيف الميزان أو نقص المقياس ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾ (١) .

الشهادة بالحقوق أمانة تؤدَى وقت طلبها بدون زيادة ولا نقصان ﴿ ومن وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ (٢) .

وهكذا جميع الحقوق والعقودِ والعهود أمانات يجب أداؤها وحفظها ورعايتها .

فاتقوا الله عباد الله ، وأدُّوا أماناتكم ولا تخفروا ذممكم ، ولا تخونوا عهودكم ، فإنها مسجلة عليكم في دواوينكم ، والله مطلع عليكم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور (٣) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٨ ﴾ (٤) .

اللّهم أعنا على أداء الأمانة ، ووفقنا لرعايتها حق الرعاية .

اللّهم أفض علينا من هدايتك وتوفيقك ، ومُنَّ علينا بكرمك وإحسانك ، وعمنا بمغفرتك ورضوانك .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة المطففين : ١ - ٣

(١) سورة البقرة : ٢٨٣

(٣) إشارة إلى الآية ١٩ من سورة غافر .

(٤) سورة الأنفال : ٢٧ - ٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

انتهاز الفرص

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فيا أيها الناس : اتقوا الله تعالى حق التقوى ، وتزوَّدوا من دنياكم لآخرتكم ، وخذوا من صحتكم لمرضكم ، ومن فراغكم لشغلكم ، ومن غناكم لفقركم ، ومن أمنكم لخوفكم ، ومن محياكم لمماتكم ، ومن قدرتكم لعجزكم ، ومن عزكم لذلكم ، ومن فرحكم لحزنكم . فإن الأمور لا تدوم على وتيرة واحدة ، فكثيراً ما تتغير الأحوال بضدها ، وتلك الأيام نداولها بين الناس (٢) واسألوا الله العون والهداية والتوفيق والسداد ، فكل الأمور بيده وليس بيد العبد إلا فعل الأسباب . فأكثروا من دعائه واستغفاره والالتجاء إليه ، وتقرَّبوا إلى الله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ . وصلوا على البشير النذير .

* * *

---

(١) سورة القصص : ٧٠

(٢) إشارة إلى الآية ١٤٠ من سورة آل عمران .

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٠ - تفسير الآية (١١) من سورة الحجرات (١)

التحذير من السخرية واللمز والتنابز

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (٢) ، تفرَّد بالعظمة والكبرياء ، وله العزة والمجد والثناء (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . ﴿ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ (٤) ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٥) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن من شأن القرآن الكريم أن يُكَوِّن أمة مسلمة ذاتَ خُلُق رفيع ، وأن

---

(١) ألقيت يوم ١٤٠٧/٦/٢٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى دعاء النبي ﷺ في هذا المعنى ، أخرجه أحمد في المسند : ٤/٤ وهو من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .

(٤) سورة السجدة : ٧ - ٨

(٥) سورة يس : ٧٧

ينشيء مجتمعاً إسلامياً له أخلاق سامية وآدابٌ عالية ، إنه يربي الشخصية المسلمة على المُثُل العليا والإحساس المرهف بمشاعر الآخرين ، إنه يصفي القلوب ، وينظف المشاعر ، ويصون الألسُن ، ويحترم الحقوق . فالقرآن مُعلِّم ومربي ومُؤدِّب ، استمعوا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (١)

السخرية هي احتقار الناس والاستهزاء بهم ، وهي دليل الكبر كما قال صلى الله عليه وسلم : « الكبر بطر الحق وغمط الناس » ، واللمز هو القول بما يسوء الملموز ، أي لا تحقِّروا الناس ولا تتزيدوا عليهم ولا يطعن بعضكم على بعض ، والنبز : ذُكر اسم يسوء صاحبه ، وهي صفة مذمومة وخروج عن الشرع تخالف صفات المؤمنين .

إن القيم الظاهرة التي يراها بعض الناس في أنفسهم أو في أصدقائهم ليست هي الموازين الحقيقية التي يُعرف بها قدرُ الإنسان ومكانتُه عندَ الله ، فهناك قيم أخرى قد تكون خافيةً عليهم يعلمها الله وهي الموازين الحقيقية التي يجب أن يوزن بها العباد ، وأن يكون تقديرهم واحترامهم على موجبها ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (٢) ، ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ (٣) . « لا فضل لعربي على عجمي إلا

---

(١) سورة الحجرات : ١١

(٢) سورة الحجرات : ١٣

(٣) سورة سبأ : ٣٧

بالتقوى »[١] . « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[٢] . ذكر القرطبي رحمه الله عند تفسير ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ﴾ .... الآية ما ملخصه : روي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً كان في أذنيه وقرٌ ، وكان يجلس إلى جنب النبي ﷺ إذا جلس ليستمع ما يقول ، فتأخر يوماً فلما جاء وجد الناس قد أخذوا مجالسهم ، فجعل يتخطاهم ويقول : تفسحوا ، حتى لم يبق بينه وبين الرسول ﷺ إلا رجل ، فقال : تفسح ، فقال الرجل : وجدتَ مجلساً فاجلس ، فغضب وقال : مَن هذا ؟ فقالوا : فلان ، فقال : ابن فلانة ؟ يعيره بأمه فنزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾[٣] ... الآية .

وروي أنها نزلت في أُناس استهزؤوا بفقراء الصحابة مثل عمارٍ وخباب وابن فُهيرة وبلال وسلمان وسالم مولي أبي حذيفة وغيرهم لِمَا رأوا من رثاثة حالهم .

---

(١) إشارة إلى ما عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٧/ ٥٨٠ من حديث مرسل عن سعيد بن المسيب عن رسول الله ﷺ ، ومرفوعاً عن جابر رضي الله عنه ، أخرجه البيهقي ، وقد عزاه السيوطي أيضاً : ٧/ ٥٧٩

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح : البر والصلة برقم (خاص ٣٣) ، و(عام ٢٥٦٤) : ٤/١٩٨٦ - ١٩٨٧ ، وأحمد في المسند : ٢/ ٢٨٥

(٣) نعم .. ذكر ذلك القرطبي في تفسيره : ١٦/ ٣٢٤ ، بدون عزو إلى أحد المخرجين ، وهكذا ذكره الإمام عليّ بن أحمد الواحدي (المتوفي سنة ٤٦٨ هـ) في « أسباب النزول » ص ٢٦٣ ، ولم يعزه إلى أحد ولم يسق له إسناد البتَّة ، ومع أنه مسنِد في جميع ما يورده من أسباب النزول ، وهكذا جزم الإمام ابن الجوزي في زاد المسير : ٧/ ٤٦٥ ، جازماً على أن الآية نزلت في ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ، ولم أقف عليه مسنداً . والله أعلم بصحته ...

وقد اشتملت الآية على جانب من جوانب التربية الاجتماعية ، وحذرت من ثلاث صفات ، هي من رواسب الجاهلية ، وهي : السخرية ، واللمز ، والنبز . والإسلام يحث على تأليف القلوب ويحذر من الخلاف .

فأما السخرية : فهي الاستهزاء بالمسلم واحتقاره وتنقيص قيمته عند الناس دون ذكر المعائب . ويكون ذلك إما بنظرة تدل على الازدراء والاحتقار ، أو بكلام يُنبيء عن الاستهزاء ، كأن يُذكر شخص في مجلس أو عند السُلطان ، فيقول أحد الحضور : فلان ليس بشيء ، ولا يستحق الذكر ، ونحو ذلك من العبارات التي يُقصد منها صرف الأنظار عن ذلك الرجل والتقليلُ من قيمته حقداً وحسداً . وقد يكون ذلك المستهزأُ مِنْه أكرمَ عند الله وأقوى على العمل وأخلص من المستهزيء .

وأما اللمز : فهو العَيْب ، وهو الغيبة ، وبمعناه الهمز ، وهو ذكر عيوب المسلم : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [٢] . قال ابن عباس : طعَّان معياب . وسواء أكان ذلك في حضرة الملموز أو في غيبته ، وسواء أكان العيب موجوداً فيه حقيقة أو غير موجود [٣] .

روي مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ما الغيبة » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : « ذكرك أخاك بما يكره » ، قيل : أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهتَّه » [٤] .

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور : ٧/ ٥٦٣ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن مقاتل ابن سليمان .

(٢) سورة الهمزة : ١

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٨/ ٦٢٤ إلى ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه .

(٤) مسلم في الصحيح : البر والصلة ، حديث رقم (خاص ٧٠) و(عام ٢٥٨٩) ، وهو من حديث أبي هريرة .

وروى الطبراني بسندٍ جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن ذكر امرءاً بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفادِ ما قال فيه » ، أي حتى يخرج مما قال ، ولا يستطيع الخروج [١] .

وأما النّبْز : فهو ذكر المسلم بلقب سوء ، سواء أكان معنى اللقب موجوداً فيه أو غير موجود . قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : إن صفية امرأةٌ . . . (وأشارت بيدها ، يعني أنها قصيرة) ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لقد قُلتِ كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » (رواه أبو داود والترمذي) [٢] .

ومن النّبْز المحرّم المعدود من الكبائر : قول المسلم لأخيه المسلم : يا فاسق ، يا كافر ، يا يهودي ، يا نصراني . ففي الصحيح : « مَن قال لأخيه يا كافر ، فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه » [٣] .

ويحرم على المسلم أن يُعيِّر أخاه المسلم بذنب تاب منه ، ففي الأثر : « مَن عَيَّر مؤمناً بذنب تاب منه ، كان حقاً على الله أن يَبْتلِيه به ويفضحه فيه في

---

(١) أورده الهيثمي في المجمع : ٨/ ٩٤ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه مقدام بن داود وهو ضعيف .

قلت : أورده الذهبي في الميزان ، رقم الترجمة (٨٧٤٥) ، ثم قال عن النسائي أنه قال : ليس بثقة ، قلت : رواية مسلم فيها كفاية وزيادة . والله أعلم .

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٦/ ١٨٩ من حديث عائشة رضي الله عنها ، والترمذي في جامعه برقم (٢٥٠١) ، كتاب « صفة القيامة » ، ثم قال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود : برقم (٤٨٧٥) .

(٣) البخاري : برقم (٦١٠٣) : الأدب ، باب (٧٣) ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم : الإيمان (١١١) .

الدنيا والآخرة »(١) ، وإن الأكل من جيفة حمار أهون من تعيير المسلم بذنب تاب منه . روى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه في شأن الأسلمي الذي شَهِد على نفسه بالزنا أربع مرات فرجم ، فقال رجلان أحدهما للآخر : انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم يَدَع نفسه حتى رُجم رَجْم الكلب ، فسمعهما رسول الله ﷺ ، فلما مرّ بجيفة حمار شائل برجليه من النتن والعفن قال : « أين فلانٌ وفلانُ » ، فقالا : نحن يا رسول الله ، فقال : « كُلا من جيفة هذا الحمار » ، فقالا : ومَن يأكل من هذا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « ما نِلْتما من عِرض هذا الرجل آنفاً أشدّ من أكل هذه الجيفة ، فوالذي نفسي بيده إنه الآن في أنهار الجنة »(٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله(٣) ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعِرضه(٤) ، فلا يجوز لأحدٍ أن يستْهزأ بأحد إذا رآه رث الحال ، أو ذا عاهة في بدنه ، أو مبتلي في دينه ، فلا يسخر الغني من الفقير ولا القوي من الضعيف ولا السوي من المعيب ولا الجميل من القبيح ولا الشاب من العجوز، فلعله يكون

---

(١) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه . أخرجه الترمذي : برقم (٢٥١٧) في صفة القيامة ، وقال : حسن غريب ، وله شاهد عند الترمذي (٢٥٠٨) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه .

(٢) ابن حبان في الصحيح كما في الموارد برقم (١٥١٣) ص ٣٦٣ ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ ، ثم قال في نهاية الحديث :

قلت لأبي هريرة في الصحيح بغير هذا السياق .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح برقم (٢٥٨٠) : البر والصلة .

(٤) هو نفس هذا الحديث الذي مضى الآن ، وقد أخرجه البغوي في شرح السنّة : ١٣/-١٣ برقم (٣٥٤٩) .

أخلص قلباً وأنقى ضميراً وأطهر سلوكاً ، فيظْلم نفسه بتحقير من وقّره الله والاستهزاءِ بمن عظّمه الله . كما لا يجوز للضعيف أن يتطاول على القوي إذا رأى صبره وحلمه ، ولا يجوز للفقير أن يمد لسانه على الغني إذا لم يعطه فيتهمه بالكِبْر والشُّح . وإنه من العجب أن يسب الإنسان نفسه وزوجته وأهل بيته ، فإذا هو يقول لابنه : يا بن الفاعل أو يابن المفعول فيه ويابن المفاعل ، أو يا فاعل في أمه ، أو في أخته أو يا فاعل في دينه ، ونحو ذلك من ألفاظ البذاءة والفحش وألقاب السوء والفجور .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وتفهموا كتاب الله يهدكم للتي هي أقوم .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطر الوشاية

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

اللّهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . .

فإن الوشاية من أخْطر الأمراض الاجتماعية ومن أقبح الخصال ، وهي السعي بين الناس بالفساد لإثارة الضغائن وتحريك الأحقاد ، فيأتي الواشي إلى هذا ويظهر أمامه بأنه صديق حميم فيأخذ ما عنده ، ثم يذهب إلى الآخر فيقول : قال فيك فلان كذا وكذا ويأخذ ما عنده ، ثم يذهب إلى الأول ، وهكذا حتى يثير غضب الناس على بعض . . هذه هي الحالقة التي تحلق الدين .

روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غَنْم يبلغ به النبي ﷺ : « خيار

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) مسلم في الصحيح : الصلاة ، حديث رقم (٢٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله ، وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرِّقون بين الأحبة الباغون للبرآء الغَنَش » (١) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : مرَّ النبي ﷺ في يوم شديد الحر نحو بقيع الغرقد ، قال : فكان الناس يمشون خلفه ، قال : فلما سمع صوت النعال وقر ذلك في نفسه فجلس حتى قدَّمهم أمامه خشية أن يجد في نفسه شيئاً ، فلما مر ببقيع الغرقد إذا بقبرين قد دفنوا فيهما رجلين قال : فوقف النبي ﷺ ، فقال : « مَن دفنتم اليوم ههنا » ؟ قالوا : فلان وفلان ، قالوا : يا نبي الله وما ذاك ؟ قال : « أما أحدهما فكان لا يتنزه من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » ، وأخذ جريدة رطبة فشقها ثم جعلها على القبر ، قالوا : يا رسول الله ؛ لِمَ فعلت هذا ؟ قال : « ليخفف عنهما » ، قالوا : يا رسول الله حتى متى هما يعذبان ؟ قال : « غيب لا يعلمه إلا الله عَزَّ وجَلَّ » . (عزاه المنذري إلى الإمام أحمد) (٢) .

وروى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا نمشي مع رسول الله ﷺ فمررنا على قبرين ، فقام ، فقمنا معه ، فجعل لونه يتغير حتى رعد كُمُّ قميصه ، فقلنا : ما لك يا رسول الله ؟ فقال : « أما تسمعون ما أسمع » ؟ قلنا : وما ذاك يا نبي الله ؟ قال : « هذان رجلان يُعذَّبان في

---

(١) الإمام أحمد في المسند : ٤/٢٢٧ من حديث عبد الرحمن بن غنم الأشعري رضي الله عنه .

(٢) ونحو هذا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . البخاري برقم (١٣٦١) : الجنائز : ٣/٢٢٢ - ٢٢٣ الفتح ، وأما رواية أبي أمامة رضي الله عنه ، فقد أخرجها الإمام أحمد في المسند : ٥/٢٦٦ بهذا اللفظ والسياق الذي أورده فضيلة الخطيب رعاه الله تعالى ، وإسناده فيه علي بن زيد ، وفي المطبوعة يزيد وهو خطأ مطبعي محض . والله أعلم ، وعليّ بن زيد بن جدعان ضعيف من ناحية الحفظ وأنه يكتب حديثه .

قبورهما عذاباً شديداً من ذنب هيِّن » ، قلنا : فَبِم ذاك ؟ قال : « كان أحدهما لا يستنزه من البول ، وكان الآخر يؤذي الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة » ، فدَعا بجريدتين من جرائد النخل ، فجعل على كل قبر واحدة ، قلنا : وهل ينفعهم ذلك ؟ قال : « لعله يخفف عنهما ما دامتا رطبتين » (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. إن بعض الناس يُحلى مجلسه بالوقوع في أعراض الناس ، وبعض الناس يتقرب بالغيبة والنميمة والوقوع في أعراض المسلمين .

راقبوا ربكم : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ (٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) ابن حبان في صحيحه ، كما في الموارد برقم (٧٨٤) ص ١٩٩ ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

(٢) سورة البقرة : ٢٨١

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣١ - تفسير الآية (٥٨) من سورة الذاريات [١]

﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، لك الحمد ربنا على جزيل عطائك ، ولك الحمد على قدسية ذاتك وعظمة جلالك .

وأشهد أنَّ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، فهو الذي خلق وفرق ، وهو الذي لطف ورزق ، وهو الذي بيده النفع والضرُّ ، وهو الذي يحيي ويميت ، منه المبتدي وإليه المنتهي [٣] .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمة للعالَمين [٤] ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً [٥] .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمداً وعلى آله وأصحابه وأتباعه على مِلَّته وحملة لواء دعوته إلى يوم الدين .

---

(١) ألقيت يوم ٢٨/ ١٠/ ١٤٠٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) هذه المعاني كلها قد وردت في الكتاب والسنَّة مجتمعة ومتفرقة في مواضع عديدة اختار منها قوله تعالى في سورة الفرقان : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ، وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴾ (الآية : ٥٥) .

(٤) إشارة إلى الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

(٥) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة الأحزاب .

أما بعد . .

فإذا تأملنا القرآن الكريم وجدناه يُركز على قاعدة أساسية هي الهدف لكل رسالة سماوية ، وهي الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة ، مَن قام بها وأدَّاها على وجهها فقد حقق غاية وجوده ، ومن قَصَّر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده وصار عاطلاً بلا وظيفة .

إنها العُبودية الخالصة لله . قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (١) . فالخالق تعالى خلق الثقلين لامتثال أمره واجتناب نهيه ، لا لحاجته إليهم ، والعبادة اسم لما يحبه الله من الأقوال والأفعال ، فمَن أطاعه جازاه وأحسن الجزاء ، ومَن عصاه عاقبه بأشد العقاب .

فهذه هي وظيفة الإنسان التي من أجلها خُلق ومن أجلها وُجِد في هذه الدنيا ، فيجب أن تكون حياة الإنسان وتصوُّره مَبْنيةً على هذه الوظيفة متجهة إليها ، فإن كل الرسالات السماوية جاءت لتحقيق هذه الوظيفة للإنسان . فجميع الرسل عليهم السلام في أولهم نوحٍ إلى آخرهم محمدٍ ﷺ كان أساس دعوتهم تذكير أممهم بهذه الوظيفة وتحقيق العبودية لله .

فهذا نُوح عليه الصلاة والسلام : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ ﴾ (٢) ، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ ﴾ (٣) ، ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الذاريات : ٥٦ - ٥٨

(٢) سورة نوح : ٢ - ٣

(٣) سورة الأعراف : ٥٩

(٤) سورة الأعراف : ٦٥

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (١) . ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (٢) ، ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ النار ، وما مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٤) ، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٥) ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٦) .

والقرآن لم يحدد نوع العبادة ، ولم يَحْصُرها .

فهي شاملة لكل ما يدخل تحت مسمى العبادة من الأقوال والأفعال والاعتقاد ، فكلها حق لله وحرام صرف شيء منها لغير الله ، حياً كان أو ميتاً ، ولا تَتَحقَّق العبودية لله إلا بأمرين متلازمين ، الأول : الإيمان بأن هناك عبد ورب ، وأنه ليس في الوجود إلا رب واحد ، وما سواه عبيد له ، وأن الرب موصوف بصفات الكمال كما وصف نفسه ووصفه رسوله ﷺ ، وهذا هو توحيد المعرفة والإثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات . بسم الله

---

(١) سورة الأعراف : ٧٣

(٢) سورة الأعراف : ٨٥

(٣) سورة العنكبوت : ١٦

(٤) سورة المائدة : ٧٢

(٥) سورة النحل : ٣٦

(٦) سورة الأنبياء : ٢٥

الرحمن الرحيم : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ (١) ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (٢) .

والثاني : التوجُّه إلى الله في حركة الجوارح وحركة الفؤاد ، والتجردُ من كل تصور آخر ومن كل أمر يخالف متقضى العبودية .

وهذا هو توحيد القصد والطلب ، وهو توحيد الألوهية . بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمَ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (٣) .

فبتحقق توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الألوهية يتحقق معنى العبادة . ومن واجبات العبادة أن تكون قِيْمةُ الأعمال مستمدةً من بواعثها لا من نتائجها . فالإنسان مكلّف بأداء العبادة وليس مكلّفاً بنتائجها ، وإنما النتائج راجعة إلى قَدَر الله ومشيئته .

ومقتضى العبودية لله نبذُ الأنداد والأضداد والبراءةُ من كل عبودية لغير الله : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ (٤) ، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الإخلاص كاملة .

(٢) سورة الشورى : ١١

(٣) سورة الكافرون كاملة .

(٤) سورة البقرة : ٢٥٦

(٥) سورة الزخرف : ٢٦ - ٢٧

والأنداد قد لا تكون آلهة تُعبد من دون الله على النحو الذي كان في الجاهلية الأولى ، بل قد تكون أمور في نفس الإنسان خفية ، قد تكون في تعلق الرجاء بغير الله ، وقد تكون في الخوف من غائب أو من ميت تحت الثرى ، وقد تكون في اعتقاد أن أحداً من الخلق يملك التصرف في هذا الكون أو شيء منه ، وقد تكون في مضاهاة الله في عظمته وكبريائه وربوبيته ، وقد تكون في الطاعة والانقياد ، كما قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (١) .

قال عدي بن حاتم رضي الله عنه : لسنا نعبدهم - أو قال : إنهم لم يعبدوهم - فقال رسول الله ﷺ : « بلى ، إنهم حرَّموا عليهم الحلال وأحلُّوا لهم الحرام فاتبعوهم » ، فصارت طاعتهم في المعصية عبادة ، وبها اتخذوهم أرباباً (٢) ، فمن أطاع مخلوقاً في معصية الخالق فقد اتخذه رباً وعبده من دون الله (٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٤) .

هناك أنواع من العبادة تُصرف لغير الله في كثير من البلاد الإسلامية ولا مغير لها ولا منكر .

من ذلك : الركوع ، وهو ركن من أركان الصلاة مثلُ السجود ، فبعض

---

(١) سورة التوبة : ٣١

(٢) عزاه الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣/ ٣٨٥ إلى الإمام أحمد في مسنده ، والترمذي في جامعه ، وابن جرير الطبري في تفسيره وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، البخاري في الأحكام ، باب : السمع والطاعة للإمام : ١٣/ ١٠٩ الفتح ، ومسلم في الإمارة حديث رقم (١٨٣٩) من هذا الوجه واللفظ .

(٤) سورة البقرة : ٢١

الناس إذا قابل أحداً يحترمه أو له فضل عليه ركع له ركوعاً جُزئياً أو كلياً ، كما هو المُشاهَد من بعض الخدم ومن بعض الممثلين إذا خرج على الجمهور ، وقد يكون القصد التحية لكنها عبادة لله لا تصرف لغير الله ولا يُحيىً بها .

ومن ذلك الطواف ، فهو عبادة لله وقُربة يُطاف حول الكعبة المشرفة ، ومن شعائر الإسلام فلا يجوز أن يطوف أحد بضريح أو تمثال أو نَصَب .

ومن ذلك طلب النجاح ، أو طلب الهداية للأولاد ، أو طلب الولد ، أو طلب المدد والغوث ، أو طلب تفريج لهم والغم والكرب ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، أو طلب الحاجات التي لا يقدر عليها إلا الله . لا يجوز طلبها من أحد غير الله ، كائناً مَن كان لأنها دعاء والدعاء مخ العبادة (١) ، وحرام صرف العبادة لغير الله .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تناصحوا فيما بينكم ، وتعاونوا على البر والتقوى (٢) ، ولا تأخذنكم المجاملات إلى عدم المبالات وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، الترمذي في جامعه كتاب « الدعاء » برقم (٣٣٧١) ، وفي إسناده ضعف ، وله شاهد قوي ، أخرجه الترمذي في التفسير حديث رقم (٢٩٦٩) ، وهو من حديث النعمان من بشير رضي الله عنه بلفظ : « الدعاء هو العبادة » ، وإسناده صحيح ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) إشارة إلى الآية ٢ من سورة المائدة .

(٣) سورة المائدة : ٧٨ - ٧٩

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

اللَّهم أعنّا على شكرك وعلى ذكرك وحسن عبادتك [١] ، وألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

اللَّهم رد المسلمين إليك ردا جميلاً ، واهدهم سُبُل السلام ، واغفر لنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى دعاء النبي ﷺ ، أخرجه أحمد في المسند : ٥/٢٩٩ من حديث معاذ ابن جبل رضي الله عنه ، وإسناده صحيح ، وعزاه السيوطي في الدر : ١/٣٦٩ إلى أحمد ، وأبو داود والنسائي من معاذ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرد على مَن زعم أن للأولياء تصرفاً بعد الممات

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، تفرَّد بتصريف هذا الكون في أُولاه وأُخراه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، ليس له شبيه ولا نظير ولا ند له ولا وزير ، لا يشغله شأن عن شأن ولا كبيرٌ عن صغير .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، تركنا على المحجة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (٢) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فقد ذكر عالم من علماء الأحناف رحمه الله في كتاب له نفيس ، دافع فيه عن الإيمان والتوحيد ، سماه : « الرد على مَن ادَّعى أن للأولياء تصرفات في

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٤/١٢٦ ، وابن ماجه في السنن برقم (١٤٣) المقدمة ، وله شاهد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، ابن ماجه في مقدمة السنن برقم (٢٥) ، وإسناداهما حسن .

الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامات » ، ومما قال فيه : قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أن للأولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم ، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات ، وبهممهم تُكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات ، مستدلين أن ذلك منهم كرامات ، وقالوا : منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء ، وسبعون وسبعة ، وأربعون وأربعة ، والقطب هو الغوث للناس ، وعليه المدد بلا التباس (١) ، وجوَّزوا لهم الذبائح والنذور ، وأثبتوا لهم فيها الأجور .

قال : وهذا كلام فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي ، لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدَّق ، ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة ، وفي التنزيل : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ (٢) .

ثم أخذ رحمه الله برد تلك المقالة فقرة فقرة من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ لا يتسع لذكره المقام ، فيرجى ممن أحب أن يطمئن أن يراجع ذلك الكتاب وأمثاله من كتب أهل السُنَّة والجماعة ليعرف الأمر على حقيقته ، وليُكشف تلبيس إبليس وجنوده .

اللَّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

---

(١) إشارة إلى ما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد في ترجمة محمد بن علي ابن جعفر أبي بكر الكتاني : ٣/ ٧٥ ، ورد عليه في التصوف : ١/ ٥٢٥

(٢) سورة النساء : ١١٥

اللّهم إنَّا نعوذ بك من مضلات الأهواء ومن زَيْغ الآراء ، ومن سوء الاقتداء .

إخوتي في الله : لقد أمرنا الله بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٢ - تفسير الآية (٢٠) من سورة الحديد [١]

﴿ اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ .... ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [٢] ، له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده وسوله ، بلَّغ رسالة ربه ونصح لأمته وجاهد في الله حق جهاده .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . .

فحين تقاس الدنيا بمقاييسها وتوزن بموازينها تظهر في الحس وتبدو في العين أمراً عظيماً ضخماً هائلاً ، ولكنها حين تقاس بمقاييس الشريعة وتوزن بموازين الآخرة تبدو شيئاً زهيداً تافهاً حقيراً ، وها هو الذي خلق الدنيا وخلق الآخرة يضع الدنيا في كفه والآخرة في الكفة الثانية ويخبرنا عن نتيجة الوزن ورقم الميزان .

---

(١) ألقيت يوم ١٦/٧/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

قال تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١) .

وصف حقيقي واقعي لهذه الحياة ، فكل ما يستفيده أهل الدنيا والمجتهدون لطلبها خمس خصال : لعب ، ولهو ، وزينة ، وتفاخر ، وتكاثر . فالعلب : فِعْلُ الصبيان الذين يُتْعِبون أنفسهم ثم تنقضي تلك المتاعب من غير فائدة .

واللهو : فعل الشبان ، والغالب أن عاقبته الخسران والحسرة ، وذلك أنه تمضي أجزاء من الحياة وكميات من المال في سبيل لذة انتهت وانقضت فتُحس النفس بفقد المال وذهاب الزمان ، ولا رصيد فتكون الحسرة والندم .

وقال ابن كثير (٣١٣/٤) : هكذا الحياة الدنيا تكون أولا شابة ثم تكهل ، ثم تكون عجوزاً شمطاء ، والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف بهي المنظر ، ثم يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وتفقد بعض قواه ، ثم يكبر فيكون شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة .

والمراد من الزينة ، إما لتحسين القبيح ، أو لتكميل الناقص ، أو لتقوية النفس وإعجاب الآخرين ، فإذا كان عاقبة البناء الخرابَ ومآل الإنسان الفناء ، فلا تنفع الوسائل والاشتغال بها عن المآل ، وأمَّا التفاخر فإمَّا بالنسب كما يفعله أهل العصبية الجاهلية ، وإما بالقدرة والقوة والعساكر كما تفعله الدول الغالية المستعمرة ، وكلها أعراض زائلة ، وزينة المؤمن إيمان بربه وعمل صالح وبر وإحسان وخُلُقٌ كريم .

وأما « التكاثر في الأموال والأولاد » فكما قال ابن عباس (٢) رضي الله

---

(١) سورة الحديد : ٢٠

(٢) الرازي : ٢٣٣/٢٩

عنهما : يجمع المال في سخط الله ، ويتباهى به على أولياء الله ، ويصرفه في سخط الله ، فهو ظلمات بعضها فوق بعض .

فإذا كانت حقيقة الدنيا لا تخرج عن هذه الصفات الخمس ، فيجب على العاقل أن لا تشغله الدنيا عن الآخرة وأن يعطي الدنيا على أنها متاع ، وأن يعمل للآخرة على أنها جزاء وقرار ، وأن المجتهد في عمارة الآخرة ويجعل الدنيا وسيلة لا غاية ، وطريقاً لا منتهى ، وعوناً لا هدفاً ، فالغاية في الآخرة والمنتهي إلى المولى . والهدف النجاة ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١) . وقال عليّ رضي الله عنه لعمّار (٢) : لا تحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء : مأكول ، ومشروب ، وملبوس ، ومشموم ، ومركوب ، ومنكوح . فأحْسَن طعامِها العسل وهو بزقة ذباب ، وأكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان ، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسيج دودة ، وأفضل مشمومها المسك وهو دم فأرة ، وأفضل مركوبها الفرس وعليها تقتل الرجال ، وأما المنكوح فالنساء وهو معلوم .

والمثل المحسوس لهذه الدنيا قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾ (٣) مثل رائع للدنيا كمثل نبات الأرض ، فكما أن الزرع يُعجب الفلاحين الذين يُغطون الحب بالتراب ويعملون لإصلاحه ويحرصون على تنميته ، ينبت ويزهو ثم يَصْفر ويجف ويكون هشيماً تذروه الرياح ، فكذلك الدنيا تُعْجِب الكافرين بالله وبرسالاته يركنون إليها ويعملون من أجلها وحدها ، ويجعلونها غاية ومنتهى وهدفاً ، فلا يرون سعادة سوى سعادة الدنيا ، ثم يزولون عنها أو تزول عنهم ،

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٥

(٢) القرطبي : ١٧/ ٢٥٥

(٣) سورة الحديد : ٢٠

وشريط الحياة كلِّها ينتهي بهذه الصورة المشاهدة للنبات ، ينتهي إلى اللذة الزائلة ، فإذا أراد الإنسان أن يعرف نفسه فلينظر إلى النبات ينبت من البذر فتراه يظهر ضعيفاً رقيقاً ، ثم يقوي ويشتد حتى يتكامل فيعود إلى النقص والذُّبول والضعف حتى يجف وييبس وتتقطع أجزاؤه فتذروه الرياح . هكذا الإنسان ينبت من بذرة في حرثه ، ينمو كما تنمو بصيلات النبات ، ثم يخرج ضعيفاً ثم يقوى شيئاً فشيئاً حتى يشتد ، ثم يأخذ في النقص والضعف ، هذا إذا طالت به الحياة والمآل إلى الموت ، ثم يكون حطاماً ورفاتاً ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ (١) يعود كالطفل ضعيف القوى ، ضعيف الحواس ، ضعيف الإحساس ، ضعيف المقاومة ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ، يخلق ما يشاء ، وهو العليم القدير ﴾ (٢) .

هذا شأن الدنيا وحقيقتُها ، أما الآخرة فشأنها عظيم تستحق أن يُحسب لها ألف حساب ، وأن يُنظر إليها نظرات جد وعمل ، وأن يُستعد لها ، فهي باقية أبداً لا تزول ولا تفنى وليس لها منتهى ، إما عقاب دائم ، وإما ثواب ونعيم مقيم .

وفي الآخرة عذاب شديد لمن كفر بالله ورسالاته ، وألهته دنياه عن آخرته ، واتخذ الدنيا غاية وهدفاً ونسى آخرته ومآله .

وقوله : ﴿ ومغفرةٌ من الله ورضوان ﴾ لمن آمن بالله وعرف حقيقة الدنيا وجعلها وسيلة ومتاعاً وعوناً على رحلة الحياة ومتاعاً إلى منتهاه .

وقوله : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ يغتر بها مَن ركن إليها وجعل حبه لها وبغضه من أجلها ، ويوالي للدنيا ويعادي للدنيا ، واشتغل بها

---

(١) سورة الحج : ٥

(٢) سورة الروم : ٥٤

عن طلب الآخرة . قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى : الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة ، أما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنِعْمَ الوسيلة .

روى البخاري رحمه الله بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي (١) ، فقال : « كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل » . وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : « إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك » . قال ابن رجب رحمه الله : هذا الحديث أصل في قِصَر الأمل في الدنيا ، فإن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً ، فيطمئنُّ فيها ، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يُعبيء جهازه للرحيل . قال مؤمن آل فرعون : ﴿ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ (٢) . وكان النبي ﷺ يقول : « ما لي وللدنيا ، إنما مثلي ومثلُ الدنيا كمثل راكب قالَ في ظل شجرة ثم راح وتركها » .

اتقوا الله أيها المؤمنون ، إن الإسلام حين يقلل من شأن الدنيا ويحقر أمرها ، لا يقصد بذلك أن يُحرِّم المسلم على نفسه ما أحلّ الله من الطيبات ، ولا أن يترك ما علَّمه الله من الصناعات ، ولا أن يكون في مؤخرة الركْب مغلوباً على أمره ، ولا أن يترك الدنيا لأعداء الله يعيشُون فيها كيف شاءوا ويستعبدون بها خلق الله .

---

(١) أخرجه البخاري : الرقاق ، باب : قول النبي ﷺ : « كن في الدنيا كأنك غريب » (٦٤١٦) ، والبيهقي : ٣/٣٦٩ ، وابن المبارك في الزهد : ١٣/ ، والقضاعي في مسند الشهاب (٦٤٤) ، وابن حبان في صحيحه (٦٩٨) .

(٢) سورة غافر ، آية : ٣٩

إنما يقصد تصحيح المفاهيم وتقويم المقاييس والاستعلاء على غرور المتاع الزائل وعلى جاذبيته للنفوس .

الإسلام يريد أن يكون له الأمر والنهي لإقامة العدل ورفع الظلم وحفظ الحقوق وصيانة الكرامات ، فمَن استعمل هذه الدنيا في طاعة الله ، في الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله وإلى كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ ، والبر والإحسان إلى المحتاجين ، فالدنيا له مِنَّة ونعمة .

أما مَن صرفها في طاعة الشيطان وفي معاصي الرحمن واستبعاد خلق المنان وقهر المساكين والاستيلاء بها على المستضعفين وإيذاء المؤمنين ، فهي له عار ونار ونقمة ومذمة . فاتقوا الله أيها المسلمون .

اللَّهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا ولا تُسلِّط علينا بذنوبنا مَن لا يرحمنا .

اللَّهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وآخرتنا التي إليها معادنا .

اللَّهم ارحم في الدنيا غربتنا ، وارحم في القبور وحشتنا ، وارحم موقفنا بين يديك ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المؤمن في الدنيا كالمسافر

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، واعلموا أن الدنيا ليست بدار قرار ، إنما كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن منها ، فكم من عامرٍ مُتْقَن عن قليل يَخْرُب ، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن .

فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة ، وتزوَّدوا فإن خير الزاد التقوى .

وإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة ولا وطناً ، فينبغي أن تكون حاله فيها على أحد حالين ، إما أن يكون كأنه غريبٌ مقيم في دار غربة ، همّه التزود

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

للرجوع إلى وطنه ، أو يكون كأنه مسافراً غير مقيم يسير ليله ونهاره إلى بلد إقامته .

فاحذروا التنافس في الدنيا والركون إليها ، فإنها حلوة خضرة ، فما أضحكت ساعة إلا وأبكت أياماً ، خذوا متاعكم منها على حذر فلا تغرَّنكم الحياة الدنيا ولا يغرَّنكم بالله الغرور .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣ - تفسير الآية (٢٥) من سورة الحديد [١]

العــــدل

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالَمين [٥] وبشرى للمتقين [٦] ، وهدىً ورحمةٌ للمحسنين [٧] .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهَدْيه واتبعوا النور الذي أُنزل معه [٨] ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) ألقيت يوم
(٢) سورة الفاتحة : ٢
(٣) إشارة إلى الآية ٢٥ من سورة الحديد .
(٤) سورة الرحمن : ٧
(٥) إشارة إلى الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .
(٦) هذا منتزع من قوله تعالى في الآية ٢ من سورة البقرة .
(٧) إشارة إلى الآية ٣ من سورة لقمان .
(٨) إشارة إلى الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، اتقوا ربكم فإنه يراكم ويعلم سركم وجهركم ، ويعلم ما تكتمون [١] .

أيها الإخوة في الله : ورد ذكر الميزان مقروناً بذكر الكتاب في أكثر من موضع من كتاب الله . كقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾[٢] ، وقوله : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾[٣] ، لما ورد ذكر الحديد مقروناً بذكر الكتاب والميزان في سورة الحديد [٤] .

وذلك لأن مدار التكليف على أمرين ، أحدُهما : فعل ما ينبغي فعله من الأقوال والأفعال والاعتقاد .

والثاني : ترك ما ينبغي تركه من الأقوال والأفعال والاعتقاد .

ولا يُعرف هذان الأمران إلا بالكتاب الذي أنزله الله . ولا تُعرف مطابقة الأعمال للكتاب إلا بالميزان والمقارنة ، فليس كل الناس يعمل بالكتاب ، وليس كلهم يرضى بالحق والعدل ، فلا بد إذاً من قوة تحمل الناس على فعل المأمور ، وتردعهم عن الاقتراب من الممنوع ، لا بد من سلطان يردع المتمرد على الكتاب ويرد الشارد عن العدل ، ويوقظ الغافل والنائم وينشط الكسلان ، فإصلاح البَشر يرتكز على هذه الثلاثة : الكتاب ، والميزان ، والقوة . . والقوة في الحديد .

---

(١) إشارة إلى معنى قوله تعالى في الآية ٣ من سورة الأنعام .

(٢) سورة الشورى : ١٧

(٣) سورة الحديد : ٢٥

(٤) هو نفس هذه الآية - الآية ٢٥ من سورة الحديد .

ويتضح ذلك جلياً من سيرة النبي ﷺ ، فقد مكث ثلاثة عشر عاماً في مكة تنزْل عليه الآيات والدلائل على صدق نبوته ووجوب اتباعه ، فلم يستجب له إلا القليل ، فلما هاجر إلى المدينة ونشطت الدعوة ووجدت مأمناً تتابع التشريع بالعدل والحق .

فلما فتحت مكة وقويت شوكةُ الإسلام دخل الناس في دين الله أفواجاً [١] ، وهكذا دعوة كل الرسل من أولهم نوح عليه السلام إلى آخرهم نبيِّنا محمدٍ ﷺ ترتكز على الكتاب والميزان والقوة .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٢] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « البيِّنات المعجزات والحُجَج الباهرات ، والكتاب هو النقل الصِّدق ، والميزان هو العدل » ، كما قاله مجاهد وقتادة وغيرهما ، « وهو الحق الذي تشهد به العقولُ الصحيحة المستقيمةُ المخالفةُ للآراء السقيمة .

والقسط : هو العدل ، وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم بما أمروا به ، فإن الذي جاءوا به هو الحق ليس وراءه حق ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [٣] ، أيْ صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر ، والحديدُ : رادع لمن أَبى الحق وعاند بعد قيام الحُجَّة عليه .

وقال في التفسير الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : نزل آدم ومعه

---

(١) إشارة إلى الآية ٣ من سورة النصر .

(٢) سورة الحديد : ٢٥

(٣) سورة الأنعام : ١١٥

خمسة أشياءَ من الحديد : السندان ، والكلبتان ، والمقمعةُ ، والمطرقةُ ، والإبرة [(١)] ، وذلك أن مصالح الناس إما أصول وإما فروع ، فالأصول أربعة : الزراعة ، والحياكة ، وبناء البيوت ، والسلطنة . وذلك لأن الإنسان محتاج إلى طعام يأكله وثوب يلبسه وبناء يكنه وسلطان يقيم العدل ويمنع الظلم .

والإنسان مدني بالطبع ، فلا تتم مصلحته إلا عند اجتماع عدد من أبناء جنسه يشتغل كل واحد منهم بعمل خاص ، فينتظم منَ الكل مصالح الكل ، وذلك الانتظام يفضي إلى المزاحمة ، ولا بد من حكم يدفع ضرر البعض عن البعض ، وذلك هو السلطان ، فمصالح البَشر ترتكز على هذه الأربعة وكلها تحتاج إلى الحديد [(٢)] .

وآية الحديد وأمثالها ، كالآية التي في سورة البقرة [(٣)] ، تدل على أن جميع الرسالات السماوية واحدة في قواعدها وأصولها .

فكل الرسالات جاءت لتقرر ميزاناً ثابتاً ترجع إليه البَشرية لتنظيم حياتها

---

(١) ذكر الإمام ابن كثير في البداية والنهاية : ١/ ٨٠ نقلاً عن ابن عساكر بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً : « أن الله تعالى علم آدم من ضمن الأشياء الحياكة ، وعلمه أن ينسج » .

(٢) هذه العناصر أساسية أصلية ، ولا يقوم مجتمع إنساني إلا عليها ، ولذلك أنزل الله تعالى الحديد من السماء ، وذلك عن طريق الماء الذي يختلط بتلك الأرض التي وضع الله تعالى فيها عنصر الحديد ، ثم يمتزجان فيما بينهما بتلك الصفة العجيبة التي اطلع عليها مَن اطلع من القدماء الحكماء وغيرهم ، وهكذا جميع المعادن الموجودة الجامدة والسائلة في الأرض أساس تكوينها الماء النازل من السماء بقدرة الله تعالى ، ولذا قال تعالى في سورة الواقعة مشيراً إلى الماء : ﴿ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون ﴾ . . . ثم ذكر النار ، (الآيات : ٦٩ - ٧٣) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ﴾ (الآية : ٢١٣) .

وإصلاح معادها ، ولتقويم الأعمال والأحداث والسلوك والمناهج وحمايتها من اضطراب الأهواء ، ومن اختلاف الأمزجة ومن تصادم المصالح والمنافع .

فقد جاءت الرسالات لتقيم ميزاناً عادلاً لا يحابي أحداً ، لأنه يزن بالحق الذي أُنزل من عند الله ، ولا يحيف مع أحد فالذي أنزله أحكم الحاكمين ، الذي قامت السموات والأرض بعدله ، وميزان الله هو العدل والحق وهو الضمان الوحيد للبَشرية من العواصف والاضطرابات التي تهوي بها في مكان سحيق في معترك الأهواء ، ومضَطَرب العواطف ومصْطَخَب المنَافَسَة وحب الذات .

فبغير ميزان الله وبغير كتاب الله لا يهتدي الناس إلى العدل والحق ، وبغير سلطان الإسلام الذي شرعه الله لا يرجع المتمرد ولا ينتهي المعاند ولا يخضع المكابر .

ولو اهتدى بعض الناس إلى العدل زمناً بغير كتاب الله وميزانه لم يلبث في أيديهم ميزانه ما دامت تضطرب في رياح الجهالات والأهواء .

ولو رجع بعض الناس إلى العدل لإصلاح دنياهم بدون إيمان بالله وبدون احتساب ما عند الله وبدون ربط الأمور بمالكها وخالقها ، لم يكن لهم ثواب ولا إعانة ولا نصر من الله لأن عملهم لم يكن من أجل الله ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١) .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

(١) سورة الحديد : ٢٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يجب على المسلمين الرجوع إلى كتاب الله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ [1] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، بِفَضْلِه اهتدى المهتدون وبعدله ضلَّ الضَّالون .

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله ، جعل الله النصر والعزة لمن أطاعه ، وجعل الذلة والصغار على مَن خالف أمره .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فاتقوا الله عباد الله ، وتأملوا واقع العالَم الآن ، لما انصرف الناس عن كتاب الله وتركوا ميزان الله وغاب القرآن عن ميدان الحياة ، اختلت الموازين واضطربت المقاييس ، فنرى العالَم في عناء وشقاء وتَضَارب في الاتجاه والآراء ، يخاف بعضهم بعضاً ، ويمْقُت بعضهم بعضاً ، ويتربص بعضهم الدوائر ببعض ، ذلك لأنهم تركوا كتاب الله ورجعوا إلى جاهلية شرٍّ من الجاهلية الأولى، فصار القوي يأكل الضعيف بلا رحمة ، والخيرات تُسلب من أهلها بلا شفقة ، والأرض تؤخذ من مُلاَّكها ويشرد أهلها ، وصارت القوة تسير

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣ مع البسملة وأنها أول آية من السورة . . . .

بغير هُدىً ، تتوجه إلى تدمير العالَم وإتلاف البَشر وإفساد الأرض والهواء ، ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (١) ، ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (٢) . نسوا أنهم جزء من هذا العالَم ، يصيبهم ما أصابه ويضُرهم ما يُضر به .

فاتقوا الله أيها الناس ، لا بد من تصحيح المقاييس ، لا بد من التفريق بين الحق والباطل ، وبين العدل والظلم ، وبين النافع والضار ، وليس ذلك إلا في كتاب الله ، ولا تُصحَّح المقاييس إلا بميزان الله .

أيها المؤمنون : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣) .

* * *

(١) سورة التوبة : ٦٧

(٢) سورة الحشر : ١٩

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٤ - تفسير الآية (١) من سورة المجادلة [١]

حكم الظهار

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، مستوٍ على عرشه [٤] ، وكل العالَم في قبضته [٥] ، يسمع ويرى [٦] ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا حال عن حال ، ولا لغة عن لغة .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أعرف الناس بربه ، وأخشاهم لخالقه ، وأرحمهم بأمته .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان ، حتى الورد على حوضه .

---

(١) ألقيت في ١٤٠٩/٧/٢٥ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الشورى : ١١

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في كتابه في سبعة مواضع ، ومنها الآية ٢ من سورة الرعد ، والآية ٥ في سورة طه .

(٥) إشارة إلى الآية ١٧ من سورة الزمر .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى وإلى معناه في الآية ٤٦ من سورة طه .

أما بعد . .

فإن سورةً من سُور القرآن الكريم ، ذلك الكتابُ الذي تَتجاوب جنبات الوجود لكل كلمة من كلماته ، وهي تتنزل من الملأ الأعلى على قلب محمد ﷺ . تُعلن تلك السورة في افتتاحيتها أن الله تعالى لا يشغله تَدْبيرُ هذا الكون ، ولا رعايةُ هذا الخلق عن سماع شكوى امرأة من عامة المسلمين ، تلك المرأة التي تَغُضُّ صوتَها عند رسول الله ﷺ وتخبره بما قال زوجها وتجادلُه وتشتكي إلى الله (١) ، وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها في جانب البيت قريبةً منها ولا تسمع أكثر كلامها (٢) .

ولكن الله تعالى يراها وهو عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه يسمع كلامها وشكواها من فوق سبع سموات ، فاستجاب لِندائها ونَزَّل حُكمَه في قضيتها وأعطاها حقها ورسم للمسلمين الطريق السوي لمثل مشكلتها ، وأشعر الأمةَ المسلمة بأن الله تعالى معهم في كل لحظة من لحظات حياتهم ، وأنه حاضر شئونهَم كبيرَها وصغيرَها ، معتنٍ بمشكلاتهم ، مُستجيبٌ لدعواتهم رحيم بأزماتهم ، وهو الكبير المتعال ، وهو الغني الحميد .

روى الإمام أحمد رحمه الله بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلِة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله :

---

(١) إشارة إلى سورة المجادلة ، آية : ١

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها الذي عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٨/ ٦٩ - ٧٠ إلى عدة مصادر حديثية ، إذ قال : أخرج سعيد بن منصور ، والطبري تعليقاً في الصحيح ، وعبد بن حميد ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه عن عائشة رضي الله عنها ، ثم ذكر الحديث ا هـ .

قلت : أخرجه أحمد في المسند .

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ (١) . ورواه البخاري في كتاب « التوحيد » تعليقاً (٢) . وفي رواية للبيهقي في السنن وابن أبي حاتم أنَّ المجادِلة تشتكي وتقول : يا رسول الله ؛ أكل مالي وأفنى شبابي ونثرتُ له بطني ، حتى إذا كبُر سِني وانقطع ولدي ظاهَرَ مني (٣) .

وزاد في التفسير الكبير وفي فتح القدير أن المجادِلة قالت : يا رسول الله ؛ إن لي منه صبيةً صغاراً ، إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا . ورسول الله ﷺ يقول : « ما عندي في أمرك شيء » (٤) - وفي رواية : قال لها « حَرُمْت عليه » ، فترفع رأسها إلى السماء وتقول له : اللّهم إني أشكو إليك ، فسمعها الحي القيوم الذي لا ينام ولا يغفُل عن شئون خلقه ، فأنزل على نبيه ﷺ الآيات الأربع من صدر سورة المجادلة فبشرها وتلاها عليها .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ

---

(١) سورة المجادلة : ١

(٢) كتاب « التوحيد » في البخاري ، باب (٩) « وكان الله سميعاً بصيراً » ، ثم أورده معلقاً عن عائشة : ١٣/ ٣٧٢ الفتح .

(٣) عزاه الإمام ابن كثير في تفسيره : ٦/ ٥٧١ إلى ابن أبي حاتم في تفسيره ، وهو من حديث الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ، ثم ذكر الحديث كما أورده قبله الخطيب رعاه الله تعالى وتولاه آمين ، وأخرجه ابن ماجه أيضاً في سننه .

(٤) ذكر ذلك العلاَّمة الشوكاني في تفسيره فتح القدير : ٥/ ١٧٧ بدون عزو . والله أعلم بصحته .

تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ (١) (٢) .

المجادِلة هي خولة زوجة أوس بن الصامت رضي الله عنهما ، دخل عليها زوجها وهي تصلي فأعجبته ، فلما سلَّمت طلبها للفراش ، فامتنعت وكان به حرْص على النساء ، فغضب وقال لها : أنتِ عليّ كظهر أمي ، ثم ندم وعاد إليها وطلبها فامتنعت حتى تسأل رسول الله ﷺ عما قال زوجها ، فنزل القرآن (٣) .

وكانوا في الجاهلية إذا غضب الرجل على امرأته ظاهرَ منها ، فتَحْرُم عليه ولا تُطلَّق فيَذَرُها كالمُعلَّقة ، فأبطل الإسلام عادة الجاهلية وشرع حكم الظِّهَار . والظِّهَار حرام لأن الله سمَّاه منكراً من القول وزوراً ، ولا يُنقص عدد الطلاق .

ويحرم وطءُ المُظاهَرَ منها قبل الكفَّارة لا في الليل ولا في النهار ، دون غيرها من نسائه وإمائه .

والكفارة على الترتيب كما نصت الآية : عتق رقبة مؤمنة ، ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، عزاه السيوطي إلى الإمام أبي بكر بن مردويه : ٨/ ٧٢

(٢) سورة المجادلة : ١ - ٤

(٣) إشارة إلى حديث خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها . أخرجه أحمد في المسند ، وأبو داود في السنن ، وابن المنذر في التفسير ، والطبراني في الأوسط ، وابن مردويه ، والبيهقي في السنن الكبرى ، عزاه إليهم السيوطي في الدر المنثور : ٨/ ٧٠

مِسْكِينًاۚ ﴾ (١) . ولو خالف المظاهِر وجامَعَ قبل أن يُكفِّر كان عاصياً ووجبت عليه الكفَّارة .

ويَقَع الظِّهَارُ المؤقت بزمن وتجب الكفَّارة إذا جامَعَ قبل أن تَنِم المدة لما روي أبو داود ، والترمذي وحسَّنه ، وابن ماجه ، واللفظ لأبي داود عن سليمان ابن يسار عن سلمة بن صخر قال : كنت امرُءاً أصيب من النساء ما لا يصيب غيري ، فلما دخل شهر رمضان خِفْتُ أن أُصيب من امرأتي شيئاً يُتَابع بي حتى أُصبح ، فظاهرتُ منها حتى ينسلخ شهرُ رمضان ، فبينما هي تخدمني ذات ليلة إذ تَكشَّف لي منها شيء فلم أثبت أن نزَوتُ عليها ، فلما أصبحتُ خرجتُ إلى قومي فأخبرتهم الخبر وقلت : امشوا معي إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : لا والله ، فانطلقتُ إلى النبي ﷺ فأخبرته فقال : « أنتَ بذاك يا سلمة » ؟ ، قلت : أنا بذاك يا رسول الله - مرتين - وأنا صابر لأمر الله عزَّ وجَلَّ فاحكم فيّ ما أراك الله ، قال : « حَرِّر رقبة » ، قلت : والذي بعثك بالحق ما أملك رقبة غيرها . . وضربتُ صفحة رقبتي ، قال : « فصم شهرين متتابعين » قال : وهل أصَبتُ الذي أصبت إلا من الصيام ، قال : « فأطعم وسقاً من تمر بين ستين مسكيناً » ، قلت : والذي بعثك بالحق لقد بِتْنا وحشين ما لنا طعام ، قال : « فانطلق إلى صاحب صدقة بَني زُريق فليدفعها إليك ، فأطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر ، وكُلْ أنت وعيالُك بقيتها » ، فرجعتُ إلى قومي فقلتُ : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ، ووجدتُ عند النبي ﷺ السَّعة وحسن الرأي ، وقد أمرني بصدقتكم (٢) . ويجب

---

(١) سورة المجادلة : ٤

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٧٨/٨ إلى عبد الرزاق في المصنف ، وعبد بن حميد في مسنده ، وأحمد في سنده أيضاً ، وأبو داود والترمذي وحسنه ، وابن ماجه في سننهم ، والطبراني في الأوسط ، والبغوي في معجمه ، والحاكم وصححه ، والبيهقي عن سلمة بن صخر الأنصاري رضي الله عنه ، ثم ذكر هذا الحديث بطوله ، وإسناده حسن .

التتابع في صيام الكفَّارة ولا يقطعه فطر واجب ولا صيامٌ واجب ، كأن يبدأ بصيام الكفَّارة في النصف من شهر رمضان ، فيصوم رمضانَ ويفطر يوم العيد ويُتم بعد ذلك .

وكذلك إذا ابتدأ صوم الكفَّارة من أول ذي الحجة فإنه يفطر يوم العيد وأيام التشريق ، ويُتم بعد ذلك .

ولو شبَّه رجل زوجته بإحدى محارمه غير الأم ، كالأخت والعمة والخالة ، بأن قال : أنت عليّ كظهر أختي ، فعند أكثر العلماء أنه ظهار .

أما إن شبهها بأبيه ، فقال : أنتِ عليّ كظهر أبي ، فجمهور العلماء على أنه ليس بظهار .

وإذا قال الرجل لزوجته : أنتِ عليّ حرام ، ولم يشبهها بإحدى محارمه ، فإن نوى بهذا التحريم ظَهَاراً ، فهو ظَهَار عند عامة العلماء ، وإن نوى طلاقاً فهو طلاق ، وإن لم ينوِ ظَهَاراً ولا طلاقاً فعليه كفَّارة يمين على التخيير في الثلاثة الأول ، وعلى الترتيب في الرابع : ﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ (١) لقوله تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ . فيخير بين الاطعام أو الكسوة أو تحرير رقبة فإذا لم يجد فصيام ثلاثة أيام .

وإذا قالت امرأة لزوجها : أنتَ عليّ كظهر أبي ، فليس بظهار . ورأى بعض العلماء أن تُكفِّر احتياطاً ، ويُكره أن يقول الرجل لامرأته : يا أختي ،

(١) سورة المائدة : ٨٩

(٢) سورة التحريم : ٢

أو يا أُخيّه ، وإن كان يعني في الإسلام . قال الخطابيُّ في شرح السنن : كَره رسول الله ﷺ هذا لئلا يلحقه بذلك ضرر في أهل أو مال [١] .

وأما قول إبراهيم عليه السلام لما سأله جبار من الجبابرة عن زوجه مَن هي قال : إنها أختي ، فلأنه خشى عليها منه [٢] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اجتنبوا الألفاظ المتشابهة ، وحافظوا على كرامة أزواجكم ، واحفظوا إيمانكم .

اللّهم ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ربنا هب لنا من أزواجنا وذُرِّياتنا قُرَّة أعين ، ربنا هب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب . اللّهم اغفر لنا ذنوبنا ، وكفِّر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار .

* *

---

(١) أخرج الحديث أبو داود في السنن برقم (٢٢١٠) وبرقم (٢٢١١) ، وفيه كره النبي ﷺ أن يقول الرجل لزوجته : يا أختاه ، وإسناده حسن .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه برقم (١٣٥٨) كتاب « الأنبياء » : ٦/٣٨٨ - ٣٨٩ الفتح ، وأبو داود : برقم (٢٢١٢) : ٢/٢٦٤ - ٢٦٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حضانة الطفل قبل السبع لأمه ثم أمها

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبَّع سبيله .

أما بعد . .

فمتى سقطت أحقية أُم الطفل في حضانته لتزوجها أو لعدم صلاحيتها للحضانة ، انتقلت الأحقية إلى أمها . لما روى البيهقي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الفقهاء الذين يُنتَهى إلى قولهم من أهل المدينة أنهم كانوا يقولون : قضى أبو بكر الصِدِّيق رضي الله عنه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجدة ابنه عاصم بن عمر بحضانته حتى يبلغَ ، وأم عاصم يومئذٍ حيةٌ متزوجة (٣) .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة النحل : ٧٨

(٣) البيهقي في السنن الكبرى : ٨/٥ ، وإسناده جيد .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. لا تُضار والدة بولدها ولا مولود بولده ، ثم اعلموا رحمكم الله أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنَّى بملائكته المسبِّحة بقدسه ، وثلَّثَ بالمؤمنين ، فقال جلَ من قائل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى عليَّ مرة صلَّى الله عليه بها عشراً » (٢) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه مسلم في الصحيح ، باب : الصلاة على النبي ﷺ برقم (٤٠٨) ، والترمذي في جامعه برقم (٤٨٥) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥ - تفسير الآية (٢١) من سورة الحشر [١]

عظمة القرآن وعلو شأنه

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الأسماء الحسنى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان ثم اهتدى .

أما بعد . .

فخير وصية المؤمن لأخيه المؤمن : وصية الله لعبادة المؤمنين . قال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [٣] .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [٤] ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [٥] .

---

(١) ألقيت يوم

(٢) سورة الكهف : ١

(٣) سورة النساء : ١٣١

(٤) سورة الطلاق : ٢ ، ٣

(٥) سورة الطلاق : ٥

ثم أنني أُذكِّركم بآية من سورة الحشر تخبر عن صفة من صفات القرآن وتنوِّه بعظمته وعلو قدره ، ومنها تفهم قسوة قلوب بني آدم ، فهيا بنا نتأملها ونتفهم معانيها . قال الله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

إن للقرآن قوة ونفوذاً يحس بهما مَن له فطرة سليمة وبصيرة نقية ، له نفوذ في الأسماع ، فإذا وصل السمع نفذ إلى القلب ، وإذا وصل إلى القلب أحياهُ وهداه ، وعرَّفه بنفسه وبمولاه .

القرآن له تأثير في الأبدان والمشاعر الحية يهزها هزاً ويشحذها فطنة واهتماماً ، ولكن قلوب بني آدم تختلف رقة وقوة ، وتختلف فهماً وغفلة ، وتختلف مشاعرهم حساً وركوداً ، ويختلف إيمانهم قوة وضعفاً ، فالذي يتأثر إذا سمع القرآن فينصعق من خشية الله ، أو يمرض خوفاً من عذاب الله . . يختلف إيمانه عن الذي يسمع القرآن ويمر عليه ، فلا يتأثر خوفاً وطمعاً .

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة الطور (٢) : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في ولايته يعس المدينة ذات ليلة ، فمرَّ بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي ، فوقف عمر يستمع قراءته فقرأ : ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ ﴾ (٣) ، قال عمر رضي الله عنه : قسم ورب الكعبة حق ، ونزل عن حماره ، واستند إلى الحائط فمكث ملياً ، ثم رجع إلى منزله ، فمكث شهراً يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه رضي الله عنه .

---

(١) سورة الحشر : ٢١

(٢) ابن كثير : ٤/ ٢٤٠

(٣) سورة الطور : ١ - ٨

فاللحظات التي يكون فيها الذهن مفتوحاً لتأمل القرآن يفهم منه معاني يتأثر بها كأنه لم يسمعه من قبل ، فيتأثر المؤمن بالقرآن رغبة ورهبة ، وخوفاً ورجاءً .

ذلك أن هذا القرآن له قوة تنفذ إلى الأعماق ، فلو خوطب به غير الإنسان لكان كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ ﴾ (١) .

وكقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ (٢) .

فلو أنزل هذا القرآن على جبل لحصل له ما أخبر الله عنه : ﴿ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ ، ولكن بني آدم أنزل عليهم القرآن وخوطبوا به فلم يتأثروا بوعده ووعيده ولا بترغيبه وترهيبه .

وإذا كان الجذع الذي كان يخطب بجانبه رسول الله ﷺ حنَّ كالبعير الصغير لـمَّا جاوزه إلى المنبر الجديد ، فبنو آدم أولى أن يشتاقوا لذكر الله ومواعظه وأمر رسوله ﷺ (٣) .

فينبغي أن يؤخذ القرآن بالخشية الشديدة والتخشع ، وأن يُقرأ بالتأثر والخشوع .

والذي خلق الجبال الصلبة وأنزل القرآن مصدر الحياة هو الذي أخبر عن

---

(١) سورة الرعد : ٣١

(٢) سورة البقرة : ٧٤

(٣) ابن كثير : ٣٤٣/٤ إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري في الصحيح والمناقب ، الباب (٢٥) : ٦٠١/٦ حديث رقم (٣٥٨) الفتح .

تأثير القرآن في الجمادات لو خوطبت به ، وهو الذي خلق بني آدم ويعلم قابليتهم لمعاني القرآن .

وقلوب بني آدم أولى من الجمادات بهذا الإحساس ، ولكن الشهوات والأعداء من شياطين الإنس والجن صرفوا القلوب عن تدبر معاني القرآن ، ففي العالَم قوى معادية لهذا القرآن ، ومعادية للمؤمنين ، تبذل جهدها في زعزعة المسلمين عن هذا المنهج وتشكيكهم في عقيدتهم ، وإذا تأملنا حال العالَم المعاصر عرفنا أن أعداء الدين يصرفون كل طاقاتهم للحيلولة دون قيام دولة إسلامية ، ولمنع أي حركة أو صحوة دينية لأن الإسلام يسلبها كثيراً من الامتيازات التي تتحكم فيها الآن ، كما أن القوى الطاغية تستعجل ضعاف النفوس من المنتسبين للإسلام لضرب المسلمين بعضهم ببعض .

ومن مكر أولئك الظلمة أنهم يرفعون من شأن عملائهم المخرِّبين للعقيدة والسلوك ، ويعطونهم ألقاباً وهمية مثل النجوم ومثل الزعيم ومثل الآية والحُجَّة . وفي نفس الوقت يهزؤون ممن يتمسك بعقيدته ويأبى موافقتهم وينزلون أمام الجماهير من قدره يستهزؤن به .

ولكن الواقع والحقيقة ليست إلى ما يريده الشريرون المفسدون ، إنما الأمر لله ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٦ ﴾ (١) .

فمهما صال وجال الباطل ، ومهما تسلط الكثرة على المسلمين ، فإن العاقبة للتقوى ، وإنما يبتلي الله عباده ويمتحنهم ويضربهم بسوط تربية لينتبهوا من غفلتهم ، وليتحركوا من ركودهم ، وليستيقنوا من أفئدتهم ، فالمسلم لم

---

(١) سورة آل عمران : ٢٦

يُخلق للدنيا ، وإنما خُلِق المسلم للآخرة ، خُلِق ليكون من حزب الله ، وحزب الله هم اتباع نبي الرحمة ورسول الهداية صلى الله عليه وسلم .

فيتعين على حملة رسالة الدعوة ، ويجب على حرس العقيدة أن يكونوا أقوياء في جانب الله ، فبالله القوة ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

اللّهم انصر المسلمين على أعدائهم .

اللّهم وحِّد صفوف المسلمين وَقَوِّ شوكتهم ، واجمع كلمتهم على الهدى ، وألِّف بين قلوبهم على البر والتقوى .

اللّهم وفقهم لإعداد ما أمرت ، وإتباع ما شرعت ، والعمل بما حكمت ، وردهم إليك رداً جميلاً .

اللّهم اخذل الكفرة والمشركين ، وفرِّق جمعهم ودمِّر قوتهم ، وأبطل كيدهم واجعل بأسهم بينهم ، واكف المسلمين شرهم ، واهدهم لاتباع الحق والعمل به .

اللّهم بارك لنا في القرآن ، وانفعنا بما فيه من الآيات والبينات ، وارحمنا وتُبْ علينا يا رحمن ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة المنافقون : ٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمر بالمعروف أساس التناصح

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن من حق المسلم على أخيه المسلم أن يحب له من الخير ما يحب لنفسه ، وأن يكره له من الشر ما يكرهه لنفسه ، وما أحوج المسلمين اليوم إلى التناصح والتعاون على البر والتقوى ؛ وإن الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر هو أساس التناصح ، فَبِه يُطهر المجتمع وبه تصان الحياة من الفساد والشرور ، فالأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر هو الحصن الذي يحمي كيان الأمة وعزائمها من الفساد ويحفظها من تسرب السموم إليها ، وهو واجب على كل فرد على مَن تحت ولايته لا يختص به أحد عن أحد ، وإنما هو واجب من واجبات الإسلام ، وقاعدة من قواعده : « من رأى منكم منكراً فليُغيِّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » (١) .

(١) مسلم حديث رقم (١) كتاب « الإيمان » ، باب : النهي عن المنكر حديث رقم (٧٨) .

واجب على الأسرة في داخل البيت أن تتناصح وأن تتعاون على البر والتقوى ، والقيادةُ في ذلك لرب الأسرة .

يجب على المسلمين التناصح في مجتمعاتهم ، والقيادة في ذلك لصاحب المكان ، يجب على جميع المسلمين التناصح في جميع أحوالهم وأعمالهم والقيادة في ذلك للسلطان . كلكم راع وكلٌّ مسئول عن رعيته .

والعبرة في معرفة الخير والمعروف الذي يؤمر به وفي معرفة الشر والفسادِ الذي يُنهي عنه . المرجع في ذلك إلى مقاييس الإسلام ، وموازين شرع الله . العبرة في ذلك بالمقاييس والموازين التي أنزلت من السماء على نبينا محمد ﷺ .

أما الاصطلاحات ، وما تجري عليه عادات الناس ، فلا عبرة بها ولا يقاس عليها ، لأنها تتأثر بالمؤثرات ، فتختل موازينها وتضطرب مقاييسها ، ولا يُمنع إنسان أن ينهي مَن تحت ولايته عن خطأ وقع فيه .

كان رجل وقع في محذور ، فأراد ابنُه أن يقلده ، فنهاه وضربه ، فقال الولد : كيف تنهاني عن شيء أنت تفعله ؟ فقال الأب : إنني أخشى أن تقع فيما وقعتُ فيه ، فقد ذُقت مرارته ووجدت حسرته ، ولم أجد فيه منفعة وقد كنت فيه مخدوعاً به ومغروراً ، فوجدت الندامة ولمتُ مَن لم ينهني عنه ولم يأمرني بخير ، لذلك نهيتك .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وراقبوه مراقبة مَن يؤمن أنه يعلم السر وأخفى . يعلم خائن الأعين وما تخفي الصدور .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (١) .

وصلُّوا على البشير النذير :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة الأنفال : ٢٤ - ٢٥

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٦ - تفسير الآية (١٤) من سورة التغابن (١)

﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ ... ﴾

(الخطبة الأولى)

الحمد لله لا نحصي ثناءً عليه (٢) ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، يعلم السرائر وما تخفي الضمائر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستقام على سبيله .

أما بعد . .

فإن في القرآن الكريم آيةً تعالج جانباً اجتماعياً عائلياً قد يغفل عنه بعضُ الناس ، ولولا أن القرآن الكريم أخبرنا بما دلَّت عليه هذه الآية لما انتبه له كثير من الناس .

---

(١) ألقيت يوم ١٤/٨/١٤٠٠ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح : الصلاة ، حديث رقم (٢٢٢) .

(٣) سورة سبأ : ١

هذه الآية في آخرة سورة التغابن هي قوله تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) . بعض الناس يظن أن العدو هو الذي يُحب أن يضره في بدنه أو ماله ، ولا يتصور أن يكون الزوج أو الولد عدواً له ، وكيف يكون عدواً مع وجود المَوَّدة والرحمة ؟

ولكن الآية الكريمة تؤكد وجود حقيقة واقعية ، في حياة بعض بني آدم ، وتشير إلى الروابط المتشابكة في التركيب العاطفي بين الأسرة التي قد يكون سبباً للمرض بتلك الصفة المنحرفة ، والقرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد .. ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ (٢) فما هذه العداوة التي ثبت وجودها في بعض الأزواج والأولاد ، أنها عداوة دينية ، والعداوة الدينية أشد خطراً من العداوة الدنيوية ، فمن صَدَّ عن طاعة الله فقد أتى بمنكر فهو كما قال العماد ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية في تأويل العداوة بمعنى أنه يُلهَى به عن العمل الصالح كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ ﴾ (٣) ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فاحذروهم ﴾ ، قال ابن زيد : يعني على دينكم ، وقال مجاهد : يحمل الرجل على قطيعة الرحم ، أو معصية ربه فلا يستطيع مع حبه إلا أن يطيعه (٤) .

---

(١) سورة التغابن : ١٤

(٢) سورة ق : ١٦

(٣) سورة المنافقون : ٩

(٤) ذكر هذه الآثار كلها الإمام ابن كثير في تفسيره : ٧/ ٣٠

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية : قال : هؤلاء رجال أسلموا من مكة ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم (١) ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهُوا في الدين ، فهَمُّوا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) . والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (٣) ، فنصوصُ القرآن الكريم تمتاز بالعمومِ والشمول وسعةِ الدائرة لمعالجة كل القضايا في جميع العصور .

والقرآن الكريم حينما يُنبِّه المؤمنين إلى هذه الحقيقة ويأمر بأخذ الحذر ، ثم يحث على العفو والصفح والمغفرة ، إنما يريد من المؤمن أن يكون حكيماً يقظاً فاهماً عاقلاً ليأخذ سُبُل الإصلاح لنفسه وأسرته وليرْقَى بهم سلم النجاةِ . يريد منه أن يكون مرابطاً في بيته في سبيل الله ، وأن يكون مجاهداً في بيته في سبيل الله ، لا أن يستسلم ويُرخيَ رأسه ولا أن ينعزل ويترك الحبل على الغارب ، يريد منه أن يكون حكيماً في سياسته رحيماً في أسرته قوياً في جانب ربه .

والعداوة الدينية تختلف درجاتها باختلاف مقوماتِها ، فقد يكون أحدُ أفراد الأسرة مشغلةً للآخرين عن ذكر الله وعن أداء الواجب ، مثل الصلوات المكتوبة في أوقاتها وأداء الزكاة المفروضة لأهلها ، فإذا هو يُعوِّق ويُثبِّط .

كما يروي عن بعض الناس أنه أخرج زكاة ماله من الفضة وجمعه في مكتل ،

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب « التفسير » في تفسير سورة التغابن ، حديث رقم (٣٣١٦) : ٥/٤١٨ - ٤١٩ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وأورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٧/ ٣٠ نقلاً عن ابن أبي حاتم من تفسيره بإسناد صحيح .

(٢) سورة التغابن : ١٤

(٣) هذه قاعدة أصولية معروفة لدى الأصوليين من أهل التفسير .

فجاءته زوجه وقالت له : أكلُ هذا تعطيه للناس ؟ فجاءه الشيطان وقال : زوجتك أحق به وأولادها ، فصار ينازعه الإيمان وقولُ الزوجةِ والشيطان ، وأخيراً صعد على سطح بيته ونادى المسلمين يطلب الإغاثة فجاءه الجيران وأخبرهم وأعطاهم الزكاة لتقسيمها على الفقراء فأنجاه الله .

وقد تكون العداوة في ترك مُستحَب أو فعل مكروه فتكونُ درجتها أخفَ ، وقد تكون في صميم العقيدة والإيمان فتكون أشد، أو تقول الأم أو الولد لرب البيت : عندنا زواج ولدنا الأكبر أو ابنتنا الكبرى ، ونريد أن نفرح ونفرحه ونحضر في حفل العرس مغنين ومطربين ، وهذه فرصة العمر مرة واحدة في حياتنا ، ومن هذا القبيل حتى يستجيب ويحضر المطلوب ، هذه عداوة دينية وعداوة اقتصادية تفتح باب شر على المسلمين . وخير النساءِ أيسرهن مئونة .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تفَّهموا كتاب الله ، واعملوا بأحكامه ، وخُذوا بتوجيهاته ونظامه في جميع شئونكم الخاصة والعامة .

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (١) .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

(١) سورة التوبة ، آية : ٢٤

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد يكون الزوج عدواً لزوجه

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن الزوج الذي يحمل زوجه على قطيعة الرحم مع الأبوين وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، فتحمله المحبة على تلبية طلبه ، هذا عدو لأنه قد عرَّضه لمخالفة أمر الله بالبِرِّ والصلة ، قد عرَّضه لسخط الله وعقابه ، وعرَّضه لمقت والديه وأقاربه وجميع الناس ، ألا يكون هذا الزوج عدواً للآخر بهذا العمل لأنه عمل ما يضر به في دينه ؟

الولد الذي يطلبُ من أبيه صرفَ المالِ في معصية الله في المحرَّمات ، فتحمل الآبَ الشفقة على إجابة طلبه ، ألا يكون قد جعل والده من المبذِّرين إخوانِ الشياطين ، أفلا يكون عدواً له بعمله هذا ؟

الزوج الذي يطلب من زوجِه الوقاع المحرَّم في غير الحرث المُعَدِّ للنسل

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

فتحمل الزوجة المحبةُ وحبُ بقاء الحياة الزوجية على الموافقة ، أفلا يكون قد عرَّضها لوعيد الله وسخطه ، أفلا يكون عدواً لها ؟

إن جميع الأسرة يجب أن تكون متعاضدة متكاتفة على وفق نظام الإسلام وعلى منهج الإسلام ، يَصلون ما أمر الله به أن يوصل [١] ، ويحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله [٢] ، فمَن خرج منهم عن منهج الإسلام ، فقد خرج عن دائرة المحبة والمَوَّدة الإسلامية بقدر خروجه عن منهج الدين . يجبُ الحذر منه ومعالجته بدواء الإسلام .

فاتقوا الله أيها المؤمنون [٣] ، ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ [٤] ، إنما هم ابتلاء واختبار فخذوا حذركم وخذوا بأسباب النجاح في الابتلاء والاختبار ، فلا تقعوا في معصية الله .

أيها المؤمنون : إن الله تعالى أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال جَلَّ من قائل عليماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ .... الآية [٥] .

* * *

---

(١) إشارة إلى الآية ٢١ من سورة الرعد .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٩ من سورة التوبة .

(٣) إشارة إلى معنى قوله تعالى في الآية ١١ من سورة الممتحنة .

(٤) سورة التغابن : ١٥

(٥) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٧ – تفسير الآية (٨) من سورة التحريم (١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ تُوبُواْ إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً ﴾

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (٤) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد إمام المتقين وقائد الغرِّ المحجلين وسيد الخلق أجمعين ، وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقي ، ومن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد . .

فالحافظ والواقي هو الله ، والهادي والموفِّق هو الله ، والواجب على الإنسان فعلُ الأسباب وبذلُ الجهد ، والتوفيق بيد الله .

---

(١) ألقيت في ٦/٤/١٤٠٨ هـ .
(٢) سورة الفاتحة : ٢
(٣) سورة هود : ٥٦
(٤) سورة التوبة : ١٢٩
(٥) سورة التوبة : ١٢٨

إن الناس يهتمون بأمور الدنيا أكثر مما يهتمون بأمور الآخرة ، فمثلاً إذا حصل حريق (كفى الله الشر) نرى الأهلَ والجيرانَ وفرَق الإنقاذ يسرعون بالآلات وأسباب الوقاية ويتعاونون لإطفاء النار ، وتؤخذ الاحتياطات لمحاصرتها للقضاء عليها ولئلا تمتد إلى ما حولها ، ثم يجري التحري والبحثُ عن الأسباب لاجتنابها مستقبلاً . أخلاق إسلامية فاضلة ، وشعور إنساني نبيل ، وتعاون اجتماعي رفيع ، لكن هناك ما أهم وأفظع : فأمامنا الآن نداء إنذار وتهديد ، إنذار بحريق لا يُطفؤه الماء ولا الرغوة ولا الأسباب المادية ، إنذار صادق ، ونار محققة ، لا تأكل البيوت والأثاث ، وإنما وقودها الناس والحجارة (١) .

اسمعوا نداء الخالق تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨ ﴾ (٢) .

نداء ترغيب وترهيب لكل مؤمن ومؤمنة ، دعوى إلى التوبة والإنابة إلى الله ، أمر لكل مسئول بأن يقوم على مَن تحت رعايته بالتربية وتعليم شعائر الإسلام وحملهم على شرع الله .

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره : فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة

---

(١) إشارة إلى الآية ٦ من سورة التحريم .

(٢) سورة التحريم : ٦ - ٨

ويُصلح أهله إصلاح الراعي للرعية . ففي صحيح الحديث أن النبي ﷺ قال : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » (١) ، فالإمام الذي على الناس راع ومسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته ومسئول عنهم . وقال ابن كثير رحمه الله : وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديثَ عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « مرُّوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع » (رواه أبو داود) (٢) .

إن مسئولية المسلم في نفسه وأهله وأولاده وخَدَمه ، ومَن تحت رعايته مسئوليةٌ ثقيلة وموقف رهيب ، فالنار أمامه ، وهو وأهله معروضون عليها : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ (٣) ، فواجب عليه أن يحول بين نفسه وأهله ومَن تحت رعايته وبين النار .

قد يظن بعض الناس أن نارِ الآخرة مثلُ نار الدنيا ، والفرق بعيد لا يتصوره أحد ، لكن قَرَّبه المُربِّي المعلِّم صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ناركم هذه ما يوقدُ بَنُو آدم جزءٌ ، واحدٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم » (رواه البخاري ومسلم وغيرهما) (٤) .

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، البخاري في الصحيح ، الأحكام : ١٣/ ١٠٠ الفتح ، ومسلم في الإمارة برقم (١٨٢٩) ، باب : فضيلة الإمام العادل .

(٢) إشارة إلى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وإسناده حسن ، أخرجه أبو داود برقم (٤٩٥) ، (٤٩٦) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك : ١/ ١٩٧ ، انظر نصب الراية للزيلعي : ١/ ٢٩٦ ، وأخرجه أحمد في المسند : ٢/ ١٨٧

(٣) سورة مريم : ٧١ - ٧٢

(٤) البخاري في بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة : ١٦/ ٢٣٨ الفتح ، ومسلم برقم (٢٨٤٣) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

إنها سوداء مظلمة منتنة حرها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامعُها حديد : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ۝ ﴾ [(١)] فيها سلاسل وأغلال ، ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝ ﴾ [(٢)] ، ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [(٣)] ، ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [(٤)] ، ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [(٥)] ، طعامهم الزقوم والضريع ، وشرابهم الحميم والقيح والصديد ، ﴿ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ [(٦)] ، ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝ ﴾ [(٧)] .

ولهذا كان الرحيم بأُمَّته صلى الله عليه وسلم يُعلِّمهم الاستعاذة من النار كما يُعلِّمهم السورة من القرآن . روى مسلم وغيره رحمهم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يُعلِّمهم هذا الدعاء كما يُعلِّمهم السورة من القرآن : « قولوا اللَّهم إني أعوذُ بك من عذاب جهنم ، وأعوذُ بك من عذاب القبر ، وأعوذُ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذُ بك من فتنة المحيا والممات » [(٨)] . وكان أكثر دعائه صلى الله عليه وسلم : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » [(٩)] (رواه البخاري عن أنس) .

---

(١) سورة المرسلات : ٣٢ - ٣٣

(٢) سورة الهمزة : ٨ - ٩

(٣) سورة الفرقان : ١٣

(٤) سورة النساء : ٥٦

(٥) سورة فاطر : ٣٦

(٦) سورة الكهف : ٢٩

(٧) سورة الحج : ٢٠ - ٢١

(٨) مسلم في الصحيح السابق ، ومواضع الصلاة برقم (٥٩٠) من حديث عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما .

(٩) هو من حديث عبد الله بن السائب رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٣/ ٤١١ ، وأبو داود : برقم (١٨٩٢) ، وإسناده صحيح .

وكيف يقي المؤمن نفسه وأهله من النار ؟

أما وقاية نفسه فبطاعة الله ، يعمل بالمأمور وينهي عن المحرَّم المحظور ، وبكثرة الذكر والصلاة ، ويكف الأذى ويبذل الندى ، وبالبر والصلة وأداء الحقوق لأهلها ، والإحسان إلى الأيتام والأرامل والمساكين ، طاعةً لله ولرسوله ﷺ رغبة ورهبة ، خوفاً وطمعاً . قال صلى الله عليه وسلم : « فاليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة » (١) .

وأما وقاية الأهل من النار ، فبالتربية الإسلامية ، وتعليمهم شرائع الدين ، يعرِّفهم بالحلال والحرام والمُتسحَب والمكروه ، وتعليمهم حُسن الخُلُق ومكارم الأخلاق . ويملأ قلوبهم من محبة الله ومحبة رسوله ﷺ . قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (٢) ، ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥ ﴾ (٣) ، فلا يتساهل المؤمن في شيء من أمر الدين وإن رآه صغيراً .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال : أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فِيِه ، فقال رسول الله ﷺ : « كَخ ، كَخ ، ارمِ بها ، أما علمتَ أنَّا لا نأكل الصدقة » ؟ (٤) ، وكان الحسن صبياً فزجره ونهاه .

وفي الحديث المتفق عليه عن عُمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب من صحيحه : ١٠/ ٣٧٥ الفتح من حديث عدي ابن حاتم رضي الله عنه ، ومسلم في الزكاة برقم (١٠١٦) باب : الحث على الصدقة .

(٢) سورة طه : ١٣٢

(٣) سورة مريم : ٥٥

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة ، باب : ما يذكر في الصدقة : ٣/ ٢٨٠ الفتح ، ومسلم في الزكاة برقم (١٠٦٩) ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ الحسن بن على تمرة من تمر الصدقة . .

قال : كنت في حُجر النبي ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال رسول الله ﷺ : « يا غلام ؛ سَمِّ الله تعالى وكُلْ بيمينك ، وكُلْ مما يليك » (١) .

ويجب التعاون على فعل الخير والطاعات . فكان صلى الله عليه وسلم إذا أوتر يوقظ أهله للوتر (٢) . ورُوي أن النبي ﷺ قال : « رحم الله امرؤ قام في الليل فصلَّى فأيقظ أهله (٣) ، فإن لم تقم رشَّ وجهَها بالماء . رحم الله امرأة قامت في الليل تُصلِّي وأيقظت زوجها فإن لم يقم رشَّت في وجهه من الماء » .

إن المؤمن مُكلَّف هداية أهله وتعليمَهم الدين والخير وإصلاحَ بيته ، كما هو مكلف هداية نفسه وإصلاح قلبه .

إن البيت المسلم قلعة من قلاع الإسلام فلا بد أن يُبنى على العقيدة الصحيحة ، ولا بد أن تكون متماسكة من داخلها حصينة في ذاتها ، كل فرد يقف على ثُغْرة لا يُنفذ إليها من جهته ، فلا بد من الأب المسلم الصالح والأم المسلمة الصالحة ليقوما على الأبناء والبنات . يجب الاهتمام بالمرأة المسلمة لتكون داعية مجاهدة مُصْلِحة في بيتها لتُنشيء البيت المسلم والجيل المسلم ، وأي امرأة لا تكون كذلك لا تستحق أن تكون سيدة وراعية في بيت مسلم ، وأي رجل لا يكون كذلك فليس بكفء لأن يكون قيِّماً على بيت مسلم .

---

(١) البخاري في الأطعمة ، باب : التسمية على الطعام : ٩/ ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ومسلم في الأشربة برقم (٢٠٢٢) من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوتر ، باب رقم (٣) ، باب : إيقاظ النبي ﷺ أهله بالوتر ، حديث رقم (٩٩٧) ، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها ، ومسلم في الصحيح : صلاة المسافرين برقم (عام ٧٣٣) .

(٣) أخرجه أبو داود في السنن برقم (١٣٠٨) ، باب : قيام الليل ، وابن ماجه برقم (١٣٣٦) في إقامة الصلاة وإسناده حسن ، وصححه الحاكم في المستدرك : ١/ ٤٠٩ ، ووافقه الذهبي على تصحيحه وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (١) .

التوبَة النصوح : هي الصادقة التي تُطَهِّر القلب وتنظفه ، وهي ما اشتملت على ثلاثة شروط : الندم على فعل المعصية ، والإقلاع عنها ، والعزم الصادق على أن لا يعود إليها أبداً .

ويرى بعض العلماء أنه إذا كانت المعصية في حق من حقوق الآدميين فلا بد من شرط رابع وهو : رد الحق إلى صاحبه إن كان مالاً ، أو تمكينه من أخذه إن كان قِصاصاً ، أو طلبُ المسامحة منه إن كان عِرْضاً . هذه هي التوبة النصوح التي يُكفِّر الله بها السيئات ويثيب عليها بالجنات : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ (٢) .

إنه لشرفٌ عظيم وإغراءٌ مُطْمِعٌ وتكريم كبير أن يضم الله المؤمنين إلى النبي ﷺ في صف واحد ، يتلقون الكرامة معه يوم العرض الأكبر ، وأي كرامة أحسن من الأمن يوم الفزع ، ثم دخول الجنة التي فيها ما لا عَيْن رأت ولا أُذن سمعت ولا خَطَرَ على قلب بَشر (٣) ؟

يدخلونها في عنفوان الشباب أبناء ثلاث وثلاثين سنة (٤) ، لا يبولون

---

(١) سورة التحريم : ٨

(٢) سورة التحريم : ٨

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة . في البخاري رقم (٨٤٩٨) التوحيد ، ومسلم في الإيمان (٣١٢) .

(٤) إشارة إلى حديث أنس بن مالك عند أحمد : ٣/١٥٢

ولا يتغوطون (١) ، عرَقهم كالمسك ، لهم فيها أزواج مُطهَّرة وهم فيها خالدون ، ولهم عند ربهم مزيد (٢) ، إذا تَجلَّى لهم الرب نسوا ما هم فيه من النعيم (٣) .

فأين هذا من النار التي وقودها الناسُ والحجارة ؟ (٤)

إن هذا الثواب ، وكذلك العقاب ، كلاهما يُصوِّر تبعة المؤمن في وقاية نفسه وأهله من النار .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ ، لا تنسوا أنها أمامكم لا مفر عنها ولا محيد إلا مَن رحمه الله ، ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥) .

اللَّهم إنَّا نسألك العفو والعافية والنجاة في الدنيا والآخرة .

اللَّهم زحزحنا عن النار وأدخلنا الجنة .

اللَّهم تغمدنا برحمتك وعُمَّنا بعفوك ، وتفضَّل علينا بإحسانك ، ووفقنا لما يرضيك ، وخذ بأيدينا إلى صراطك ، وحَبِّبْنَا في لقائك ، واملأ قلوبنا من محبتك ومحبة رسولك ﷺ .

اللَّهم اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة عند البخاري رقم (١٣٢٧) تفسير سورة الأنبياء ، ومسلم في صفة الجنة رقم (١٥) ، (١٦) .

(٢) إشارة إلى حديث صهيب ومسلم : ١٢/ ١٨١

(٣) إشارة لحديث أبي سعيد ، البخاري : التوحيد : ٣/ ٤٠٧ ، ومسلم برقم (٢٨٢٩) .

(٤) إشارة إلى الآيات : ٦ - ٨ من سورة التحريم .

(٥) سورة الأعراف : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة زوج وزوجة

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فواجب على أفراد الأسرة أن يؤدي كل واحد منهم للآخر ما يجب عليه من الحقوق ، ويجب أن يعرف كل واحد منهم مسئوليته ، يجب التعاون على البر والتقوى ، يجب الاحترام والرحمة ، وبذلك يستقيم البيت ويتفرغ للتربية والإصلاح ، أما إذا حصل الشقاق والمنازعات ، ضاع الأولاد وأخذوا تصورات تؤثر في سلوكهم وعقلياتهم ، بل في حياتهم كلها .

شكت امرأة زوجها بأنه يسهر في الليل مع أصدقائه على معصية الله ، وإذا كان في بيتها يأمرها بالمباشرة عليهم بالطعام والشاي ، وهي تخاف على نفسها

---

(١) سورة سبأ : ١

فإذا وعظته هددها بالطلاق ، فنِعْمَ المرأة وبئس الزوج . وأخرى تشكو من زوجها بأنه يأمرها بالجلوس مع أبناء عمه متبرجة ، فإذا امتنعت أدخلهم عليها في غرفتها ، فإذا أقفلت الباب دونهم هددها بالطلاق ، فنِعْمَ المرأة وبئس الزوج . وبعض الأزواج يشكو من زوجته كثرة الخروج من بيته بدون إذنه ، وكثرة الطلبات التي تشق عليه ، وبعضهم يشكو إهمال البيت والأولاد واشتغالها بالملهيات والمسليات وإشغال التليفون بالمكالمات ، وبعضهم يشكو منها ترك الصلاة وله منها أولاد يخشى إن طلقها أن يضيعوا .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اتقوا الله أيها الأزواج ، اتقين الله أيهتا الزوجات ، ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (١) ، اعرفوا واجباتكم وأدُّوها كما أمركم الإسلام ، وراقبوا ربكم في أولادكم ، ولا تنسوا الفضل بينكم .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة التحريم : ٦

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٨ - تفسير سورة الانفطار [(١)]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [(٢)] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [(٣)] .

وأشهد أنْ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فكثيراً ما يتحدث القرآن الكريم عن أحوال الساعة ومشاهد يوم القيامة ، بأسلوبه الخاص ونظمه الرائع بآيات قصيرة لها وقع في النفس الواعية كوقع السهام ، بل كوقع القنابل على الأجسام الحية ، وتُخلْخل الكيان ، وتهز المشاعر ، وتنبه الغافل ، وتحث على الاستعداد والتحرك والإقلاع عما يضر ، والتوجه إلى أماكن القوة والدفاع والحصانة والنجاة . وفي القرآن العظيم سورة قصيرة تشتمل على خمسة مواضيع في طيَّات آياتها .

---

(١) ألقيت يوم ٩/٢/١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٦

(٣) سورة الحديد : ٣

الأول : في أحول هذه المخلوقات وما يحصل لها إذا انتهت مدة هذه الحياة وأذن الله بفنائها ، وما يجده الإنسان بعد ذلك ، وهذا المعنى في خمس آيات .

والثاني : نداء من رب الناس لابن آدم بالصفة التي تميَّز بها على سائر المخلوقات وفُضِّل بها وأصبح أهلاً لخطاب الله ومحلاً لتكليفه وفي طيَّاته توبيخ وتهديد ، وتوجيه وإرشاد وذلك في ثلاث آيات .

والثالث : بيانٌ لما عليه الإنسان من الغفلة عما يحيط به وعما هو فيه وعن مآله في أربع آيات .

والرابع : بيان نتائج الأعمال وثمارها مذكور في أربع آيات .

والخامس : التنويه بهول يوم القيامة وحال الناس فيه وجهالة الإنسان بهذه الحقائق في ثلاث آيات (فهذه تسعَ عشْرة آية) .

هل عرفتم هذه السورة ، إنها سورة الانفطار . فتعال أخي المسلم ، تعال أيها الإنسان ، أحضر قلبك من غفلته ، وأحضر ذهنك من مشاغله ، وأحضر فهمك عن صوارفه ، وتخلَّص من وسوسة عدوك ، واستمع لهذه السورة العظيمة ، وتعقل بفهمك مدلولاتها ، وانظر بعين رأسك في مسمياتها ، وانظر بعين قلبك في تحولاتها ، ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (١) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ
ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ
مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ
﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠٤

كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ
ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ
﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ (١) .

الله أكبر . . إن قلوب بني آدم أقسى من الحجارة ، وأصلبُ من الجبال الشامخات ، كيف لا تتفطر وكيف لا تخشع إذا تليت عليها آيات الله ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٢) .

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴾ (٣) : أي انشقت . ﴿ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴾ (٤) : أي تفرَّقت واختل نظامها بقدرة القادر القاهر ، وهو تغير لجميع المخلوقات في السماء . ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴾ (٥) : تفجيرها يحتمل عدة معان متنوعة : منها يفجر بعضها على بعض بإزالة الحاجز بينها فيختلط مالحها بحلوها ، أو فُجِّرَت فذهب ماؤها ويبست وصارت حرارتها ملتهبة ، أو فُجِّرت كتفجير القنابل الفتَّاكة فصارت مواداً مدمرة وناراً مستعرة . ﴿ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴾ (٦) : أي بحثت وأخرج ما فيها من الأموات ، وهو إيذان بتغير كل المخلوقات في الأرض . وعلى كل حال فإن هذه المخلوقات إذا انتهت مدة هذه الحياة المسخرة لأهلها لم يبق فيها انتفاع للمخلوقين ، وإنما تُبدَّل أرض الدنيا بأرض الآخرة ، وسماء الدنيا بسماء الآخرة . ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ

---

(١) سورة الانفطار كاملة .

(٢) سورة الحشر : ٢١

(٣) سورة الانفطار : ١

(٤) سورة الانفطار : ٢

(٥) سورة الانفطار : ٣

(٦) سورة الانفطار : ٤

ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ ﴾ (١) : فيحصل لها من التغير ما لا يخطر على قلب بَشَر ولا يدركه فهم إنسان ، وليس للإنسان فائدة في البحث عن كيفية التغير ، وإنما فائدته في معرفة وقوعه والإيمان به للاستعداد لما بعده ، ولذلك قال تعالى بعد ذلك ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴾ (٢) : ما قدَّمت في أول حياتها وما أَخَّرت في آخرها ، أو ما قدَّمت لآخرتها وما أخَّرت في دنياها بسبب الإهمال والتفريط ، علمت النفس ابتداءً من أول مراحل الآخرة عند الموت إذا بلغت إلى الحلقوم : علامات السعادة أو الشقاء ، وتَعْلمه عين اليقين إذا استلمت كتابها بيمينها أو بشمالها وقرأته ونظرت فيه . فتأمل أخي المسلم حال الإنسان وتصوَّرْ شعوره وانزعاجاتِه وخوفَه واضطرابَ حاله إذا حصلت تلك التغيرات الكونية في المخلوقات ، وإذا علِم ما قدَّم وأخَّر .

ولا شك أن في تغير الآيات الكونية الأرضية تغير الجميع ، ما على الأرض حتى الإنسان ، وفي تغير الآيات الكونية السماوية تغير لما فيها من المخلوقات : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾ (٣) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ (٤) : نداء من رب العالَمين لجميع أفراد بني آدم ، بلقب الإنسان فيه المشتمل على الفطرة والفضل على المخلوقات المكمل بالإيمان والتقوى ، إنه نداء للإنسان الكافر ، ونداء للمسلم العاصي ، وكلُّ بني آدم خطَّاؤون وخير الخطَّائين التوَّابون . ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ (٥) : استفهام

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٨

(٢) سورة الانفطار : ٥

(٣) سورة الزمر : ٦٨

(٤) (٥) سورة الانفطار : ٦

توبيخ وتقريع واستنكار ، بمعنى أي شيء خدعك وصرفك عن كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، فلم تطع الله ولم تخشه ولم تتق عقابه ، فلسان الحال من الكافر ، يقول غرَّه الشيطان ، واللائق من المؤمن أن يقول : غمرني فضل الله وجوده وكرمه وعفوه ، وفي هذا السؤال توبيخ وتقريع على الصدود والإهمال في جانب الله . وفي قوله : ﴿ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ (١) : بيان لفضل الله على الإنسان وأن هذا الفضل إنما هو من كرم الله وإحسانه على الإنسان ، وفي طيَّات ذكر صفة الكريم للخالق تبارك وتعالى توجيه للإنسان إلى الطمع في عفو الله ولطفه ، فيتوب ويرجع ويعمل صالحاً ما دام في دار العمل .

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ (٢) : تفصيل لبعض نِعَم الله تعالى على الإنسان ، فأوجده من العدم وجعله في أحسن تقويم ، وفي أجمل اعتدال ، وفي أحسن صورة ، كل عضو من أعضائه وكل جهاز في جسمه قائم بوظيفته أتم قيام دون تكلف مِن الإنسان ودون مشقة . وفي هذا بيان لإمكان البعث والنشور ، لأن الذي خلق الخلق الأول قادر على أن يعيده وهو أهون وأيسر ، والكل على الله سبحانه يسير .

﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ (٣) : من صور الآباء والأمهات والأجداد ، وفي أي صورة شاء ، حسنة كانت أو قبيحة . فالله تعالى قادر على أن يجعل الإنسان على أي صورة أو شكل ، فاختار له أجمل الصور وأحسنها تكريماً له وتفضيلاً ، وهو قادر على أن يغيِّر هذه الصورة بصور أخرى .

---

(١) سورة الانفطار : ٦

(٢) سورة الانفطار : ٧

(٣) سورة الانفطار : ٨

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ (١) : أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيباً بالمعاد والجزاء والحساب . وهذا صادر عن جهالة وحمق ، فكيف يُقابل بالإساءة ويقابل الخالق بالإنكار لمقدرته على المعاد والبعث والنشور ؟ ، وهذا في منتهي السفه والقسوة ، فما يكذب قلب بالحساب والجزاء ثم يستقيم ، لا على هدى ولا على خير ولا على طاعة ولا رحمة ، ولن يشتمل قلبٌ كذَّب بالبعث والجزاء على أدب ولا على طاعة ولا على نور ، ولن يحيا القلب ولن يستيقظ الضمير حتى يؤمن بالبعث ويصدِّق بالجزاء .

ولا شك أن منتهى الجهل أن ينكر الإنسان شيئاً هو صائر إليه ، وأن يغفل عن شيء يُحصى عليه ، وهي حال تدعو إلى العجب ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾ (٢) : حافظين لأعمالكم يحصونها .

مع كل إنسان ملك عن اليمين يكتب الحسنات ، وملك عن الشمال يكتب السيئات ، وتُجمع هذه السجلات اليومية في خزائن حتى إذا جاء يومُ القيامة أخرجت له ملفاته يراها بنفسه ويقرؤها ويشهد على نفسه بما فيها .

ووصفُ الملائكة بكونهم « كراماً » يستدعي إكرامهم ، فالكريم يستحق التكريم فلا يسوغ عملٌ فيه قبح بحضرة الكرام ، ولا يسوغ عمل فيه الإساءة للكريم ، والملائكة الكرام مع الإنسان لا يفارقونه أبداً إلا في حالين : عند دخول الخلاء ، وعند الجنابة . ولهذا أرشدنا نبينا محمد ﷺ بالتحرز من الشيطان والاستعاذة منه في هاتين الحالتين .

---

(١) سورة الانفطار ، آية : ٩

(٢) سورة الانفطار : ١٠ - ١٢

ويفيد وصف الملائكة بهذه الصفة اطمئنان النفس إلى عدلهم وتأنيهم في الكتابة وتثبتهم ، فذلك من لزوم صفات الكرام .

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (١) : هذا هو الغاية والمنتهي ، وهذه ثمار الأعمال ونتائجُها . فالأبرار الذين يَصِلون ما أمر الله به أن يوصل ويطيعون الله ورسوله ويعملون الخيرات والمبرات مسكنهم في جنات النعيم ينعمون في ملذاتها ، وأما الفجار ، وهم الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويعْصون الله ورسوله ولا يدينون دين الحق ، فمأواهم نار جهنم وساءت مصيراً لا يستطيعون الفرار عنها ولا الخروج منها ، وهذا هو الغبن وهو الربح أو الخسارة .

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢) : السؤال لتفرير وقوعه وتجهيل المكذبْ بيوم الدين ، وتكرِيرُه لبيان شدة هوله وإزعاجه وخوفه وعبوسه ، وقمطريرة كل نفس مشغولة بما أمامها فلا ينظر أحد إلى أحد ولا ينفع أحد أحداً .

استغفروا الله إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة الانفطار : ١٣ - ١٦

(٢) سورة الانفطار : ١٧ - ١٩

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اليقين جُنَّة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الجوادِ الكريم الرؤوف الرحيم .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له قيومُ السموات والأرضين .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأولين والآخرين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم أجمعين .

أما بعد . .

فإن الإنسان في غفلة وصدود عن واقع أمره ومستقبله ، فلو عرف الكافر ما في طيات المستقبل لما كفر بالله ، ولو أيقن المسلم بحقيقة ما آمن به لما عصى الله ، فلو أن مانع الزكاة أيقن بأنه سيُكوى بماله ويُعذَّب به لما منع حق الله فيه ، ولو أيقن العاق بوالديه أن أبناءه سيفعلون به مثل ما فعل بأبويه لوصلهم ، ولو آمن شارب الخمر أنه ملعون مطرود من رحمة الله ، وأنه سيسقى من طينة الخبال عصارة أهل النار لما شربها (١) ، ولو علم آكل الربا وأيقن بأنه يقوم يوم القيامة كالمجنون يتخبطه الشيطان من المس (٢) أمام

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، أخرجه الترمذي برقم (١٢٩٥) البيوع وابن ماجه برقم (٣٣٨١) ، وقال الحافظ في التلخيص الكبير : رواته ثقات وله شواهد كثيرة .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٧٥ سورة البقرة .

الأشهاد وأمام العالَم كله لما تعامل بالربا ، ولو يعلم الزاني أنه سيُجعل في تنور يُسعَّر عليه لما زنى ، ولو أيقن تارك الصلاة أنه سيلقى غياً وأن بصلاح صلاته يصلح عمله (١) ، وبفسادها يفسد عمله لما تركها .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وصلوا على البشير النذير .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) .

* * *

(١) إشارة إلى الآية ٥٩ من سورة مريم ، وإشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه والفريابي ، وسعيد بن منصور في سننه ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، وكذا ابن جرير الطبري ، وابن المنذر وكذا عبد بن حميد فى مسنده والبيهقي في البعث والنشور ، كما عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٥/٥٢٧ إلى هؤلاء ، ثم ذكر الحديث بطوله ..

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٩ - تفسير سورة القدر [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، أكرمنا بشهر الصبر ، وفيه ليلةٌ خير من ألف شهر .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أجود من الريح المرسلة ، وأجود ما يكون في رمضان .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن مما يبشر بالخير تسابق المسلمين إلى فعل الخيرات وعمل الطاعات المقرِّبة من الله .

---

(١) ألقيت يوم ١٩/ ٩/ ١٤١٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة مريم : ٦٥

إن أمامنا ليلةٌ مباركة تُكفَّر فيها السيئات ، وتقال فيها العثرات وتُرفع فيها الدرجات ، وتضاعَف فيها الحسنات .

مَن أحيا ليلها يعبدُ الله غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه . العبادة فيها أفضل من العبادة في ألف شهر ، أثنى الله عليها ومدحها في محكم التنزيل ، وأنزل فيها سورة سميت بها ، وذكرها في سورة الدخان ، ونوَّه عنها في سورة البقرة .

قال الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ (١) .

فالليلة التي تتحدث عنها السورة : هي الليلة التي ورد ذكرها في أول سورة الدخان : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٢) .

وأول نزول القرآن الكريم على النبي المطهَّر صلى الله عليه وسلم كان في شهر رمضان : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ (٣) .

فليلة القدر هي الليلة المباركة وفي شهر رمضان لها فضل كبير وشأن جليل .

---

(١) سورة القدر كاملة .

(٢) سورة الدخان : ٣ - ٦

(٣) سورة البقرة : ١٨٥

وإذا تأملنا سورة القَدْر عرفنا شيئاً من مدلولاتها . .

يَرْجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ (١) إلى القرآن الكريم ، ولم يصرح بذكره لعظمته وعلو قدره وشهرته ، وقيل : يرجع إلى القرآن المذكور في سورة العلَق : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ (٢) أي أول ما أنزل القرآن على قلب محمد ﷺ كان في شهر رمضان في الليلة المباركة : ليلة القدر .

وسميت تلك الليلة بـ « ليلة القدر » لعظم قدرها وجلالة أمرها وكثرة بركتها ، ولأنه يُقَدَّر فيها كل أمر حكيم ، وكرَّر في السورة قوله تعالى : ﴿ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (٣) مع الاستفهام في المرة الثانية لبيان شرفها وعِظَم قدرها وتعدُّد خيراتها وعظم ما أنزل فيها .

وجاء التعبير في قوله : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ (٤) بلفظ الماضي للتنويه بأن رسول الله ﷺ أرى ليلة القدر (٥) .

قال بعض العلماء : ما كان في القرآن : « وما أدراك » فالمخاطب يعلمه كقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ﴾ (٦) ، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ ﴾ (٧) ، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ ﴾ (٨) ، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا

---

(١) سورة القدر : ١
(٢) سورة العلق : ١
(٣) سورة القدرة : ١
(٤) سورة القدر : ٢
(٥) البخاري : ٣/٥٩ عن ابن عيينة .
(٦) سورة الانفطار : ١٧
(٧) سورة المرسلات : ١٤
(٨) سورة المطففين : ١٩

سِجِّينٌ ﴿٨﴾ ﴾ (١) . فإن الرسول ﷺ قد أخبره ربه بيوم الدين ، ويوم الفصل ، وبالجنة والنار .

وأما ما كان بلفظ المضارع كقوله سبحانه : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (٢) ، ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ ﴾ (٣) ، فقد استأثر الله بعلمه .

فعلم الساعة عند الله وحده ، وما يعلم خفيات الصدور إلا الله .

وقوله سبحانه : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ (٤) . ذكر ابن كثير رحمه الله عن مجاهد قال : عَمَلُها صيامُها وقيامُها خير من ألف شهر .

فنزولُ القرآن في تلك الليلة لإنقاذ البَشر من الخطر ، ولرفعِ الظلم والبطر ، ولربطِ العالَم السفلي بالملأ الأعلى ، وتصحيح التصورات والاعتقادات ، وتطهير المعاملات ، وتنظيم الشهوات ، والربط بين الدنيا والآخرة .

ومضاعَفةُ ما يحصل في تلك الليلة من الأعمال الصالحات ، واستجابةُ الدعاء ووفرةُ ثواب الصدقات والبركة ، وتنزلُ الملائكة مع جبريل عليه السلام ، وانتشارُ السلامة في الأرض من جميع الآفات . هذه الوقائعُ في تلك الليلة تجعَلُها خيراً من آلاف الشهور التي ليست فيها ليلة القدر ، فتفضيل الأَزْمنة بحسب ما يحصل فيها ، وليست بالكثرة والطول ، وعددُ الألف يُستعمل في وفرة التكثير لا للحصر ، كقوله سبحانه : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة المطففين : ٨

(٢) سورة الأحزاب : ٦٣

(٣) سورة عبس : ٣

(٤) سورة القدر : ٣

(٥) سورة البقرة : ٩٦

وذكر بعض المفسرين عن موطأ الإمام مالك رحمه الله أن رسول الله ﷺ أُرى أعمارَ أُمَّته ، وأُرى ما شاء الله من أعمار الناس قبله ، فكأنه تقاصر أعمار أُمَّته ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم ، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر ، أي العمل فيها مضاعف فيكون ثوابه أكثر من الذي يعمل طول حياته أعمالاً صالحة حتى لو كان عمره ألف سنة . وهذا إكرام من الله لنبيه ﷺ وإكرام لأمته .

والقرآن الكريم أثبت أن ليلة القدر في شهر رمضان ، لكن لم يُعيِّن أي ليلة من ليالي الشهر ، إلا أن النبي الكريم رحمةً بأُمَّته وشفقةً عليهم وحرصاً على نجاتهم وسعادتهم حثَّ أُمَّته على تحري ليلة القدر في أفراد العشر الأواخر من رمضان .

روى البخاري رحمه الله في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان » . وروى أيضاً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان - أي ليلة القدر - في تاسعة تبقى في سابعة تبقى » .

وأخفيت ليلةُ القدر مع الحث على تحريها ليجتهد المسلم ويكثرَ من الطاعات في عدد من الليالي تحرياً لليلة القدر .

والسورة الكريمة تحث المسلمين على طلب ليلة القدر لينالوا من خيرها وبركتها .

وحث النبي ﷺ بقوله وفعله على إحيائها بالعبادة . روى البخاري [١] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَن صام رمضان إيماناً

---

(١) البخاري

واحتساباً غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه ، ومَن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه » .

وللبخاري عن عائشة (١) رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شدَّ مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله .

وكان صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان للتفرغ للعبادة والذكر وتلاوة القرآن ومناجاة الملك العلاَّم .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، أيعجز المسلم أن يجتهد في العبادة عشرَ ليال ؟

أيعجز أن يجتهد في خمس ليال يلتمس ليلة القدر المباركة ؟

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وشفاء أمراضنا وقائدنا إلى جنات النعيم .

اللَّهم اغفر لنا ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) البخاري : ٣/ ٦١

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفضيل ليلة القدر بالعمل

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، اللَّهم لا نُحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (٢) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (٣) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن الله تعالى جعل فضيلة ليلة القدر في الاشتغال بطاعته ، ونزول الملائكة فيها ليعبدوا الله في أرضه كما عبدوه في سمائه ، وليروا أنواعاً من العبادات والطاعات لم تكن عندهم مثل : إطعام الطعام ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الفقراء والمساكين والجار والصديق والغريب والرفيق والأرامل والأيتام وابن

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة البقرة : ٢٦١

(٣) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة .

السبيل ، واستغفار المذنبين ، وتضرع التائبين ، وغير ذلك من الطاعات ، والقُرب التي يختص بها بنو آدم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (١) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . . تداركوا ما بقى من أيام شهركم ، وتعرضوا لنفحات ربكم ، وأروا الله منكم ما يرضيه عنكم .

أخي المسلم : إذا توجه الناس إلى المحبوب من الشهوات فتوجه إلى فاطر الأرض والسموات ، فستجد عنده خيراً مما عند أولئك : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣) .

* * *

(١) سورة فاطر : ١٥ - ١٧

(٢) سورة آل عمران : ١٥ - ١٨

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٠ - تفسير سورة العصر [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] ، اللَّهم لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك [٣] .

وأشهد أنَّ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ربوبيته ، واحد في ألوهيته ، واحد في أسمائه وصفاته ، واحد في شرعه وقدره ، واحد في أمره ونهيه .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وهداهم به صراطاً مستقيماً [٤] .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه ودعى بدعوته .

أما بعد . .

فإننا نقرأ في كتاب الله العزيز ، سورة قصيرة آياتها ثلاث ، كلماتها قليلة ، ومدلولاتها شاملة كثيرة ، محكمة المعنى واسعة المجال ، إنها ترسم للأمة

---

(١) ألقيت يوم ١١/٥/١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى دعاء النبي ﷺ ، أخرجه مسلم في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها ، الصلاة حديث رقم (٢٢٢) .

(٤) إشارة إلى الآية ٩ من سورة الحديد في هذا المعنى ، والآية ٥٢ من سورة الشورى .

الإسلامية منهج الحياة الكامل ، ونظام المسيرة الناجح ، ترسم طريق النجاة والسعادة ، وما عداه فطريق هلاك وضلال . قال الإمام الشافعي في شأنها : لو ما أنزل الله على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم [١] . إنها سورة العصر : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [٢] .

ما أعظمها من سورة ، وما أجمله من إيجاز فيه الإعجاز .

الآية الأولى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ [٣] : قَسَم من الكبير المتعال ، الذي خلق العصر وخلق الإنسان ، وبيده السعادة والشقاوة ، وبيده العز والذُل ، والنصر والخذلان .

أقسم بالعصر وهو الزمن الذي يعيش فيه الإنسان ويعمل فيه ، وبه تنقضي حياة الإنسان وأيامه ، والله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته كقوله تعالى : ﴿ والفجر ﴾ ، ﴿ والشمس ﴾ ، ﴿ والليل ﴾ ، ﴿ والنجم ﴾ ، و﴿ الطور ﴾ .

والآية الثانية : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [٤] : جواب القسم ، أمر عظيم له أهميته وخطره ، وفيه الخوف والفزع ، يثير المشاعر ويحرك الهمم ويوجب القلق ، ويحث على طلب الربح والنجاة .

والآية الثالثة : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [٥] : استثناء من مدلول الثانية، وهي ترسم طريق الربح

---

(١) هذا قول الشافعي ، نقله الإمام ابن كثير في تفسيره : ٧/ ٣٦٥

(٢) سورة العصر كاملة .

(٣) سورة العصر : ١

(٤) سورة العصر : ٢

(٥) سورة العصر : ٣

ومنهج السلامة ، وتوضح معالم طريق السعادة بعلامات أربع : الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر .

الإيمان هو قاعدة المنهج وأساسُه ، يربط بين الإنسان وبين خالقه ، وبهذا الارتباط الرفيع يُمنح الإنسان أُنساً في الحياة ، وراحةً نفسية في الوجود ، وأملاً مشرقاً في المستقبل ، فهو دائماً في تطلع وارتقاء ، دائماً في حركة وعمل ، بواصل مسيرته إلى الله .

الإيمان هو الذي يُقوِّم الإنسان ويصحح اتجاهه وينظم مسيرته ، فلا تتحقق الإنسانية الرفيعة الزكية إلا بالإيمان .

الإيمان هو الذي يحدد الجهة التي يتلقي الإنسان منها نظامه وتصوراتِه ومقاييس الأمور وموازين الأحوال ، فلا يقبل سواه ولا يستوحش من الوحدة إذا انفرد في الطريق ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

الإيمان هو الذي يُحدِّد معالم الربوبية والألوهية ويُعرِّف بحقها ، ويُحدِّد معالم العبودية وواجباتها ومسئولياتها .

الإيمان يرفع كرامة الإنسان عند الله تعالى ، فإذا أحس المؤمن بهذه المنزلة عند الخالق ارتفعت معنويته ، وقويت شكيمته ، وعَزَّت نفسه ، فلا يرضى بمقام الإهانة والخمول ، ولا ينزل إلى الوضاعة والذلة ، فلا ينساب خلف عُروض الحياة الدنيئة بما لا يتفق مع عِزَّته وكرامته عند الله .

الإيمان يعطي الموازين السليمة والمكاييل الصحيحة والمقاييس الحية ، فلا

---

(١) سورة النحل : ١٢٠

يختلط الطيب والخبيث ، ولا يتساويان ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ (١) .

فالإيمان هو أصل الحياة ، تَنْبثق منه فروع الخير والبرِّ والإحسان ، وتتعلق به كل ثمرة من ثماره ، فإذا لم يكن كذلك فهو كالغُصن المقطوع مآله إلى الذبول والجفاف .

الإيمان دليل على صحة الفطرة وسلامة التصور ، فالآياتُ الكونيةُ الموجبةُ للإيمان مُرتبطٌ بعضُها ببعض والإنسان جزء منها : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢) ، فالإنسان الذي لا يتجاوب مع الآيات الكونية التي تحيط به ، فلا يؤمن ولا يتدبر ولا ينظر ولا يفكر ، ذلك في تصوره خلل وفي فطرته انحراف وفي نفسه التواء ، وذلك دليل الفساد والخسران . والخسران لا يصلح معه عمل ولو كان ظاهره الصلاح ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ (٣) ، ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ (٤) .

والعمل الصالح ثمرة الإيمان ، فالإيمان نور روحاني له شعاع يظهر إلى خارج القلب ، تُرسم حورتهُ على الجوارح والأعمالِ ، فالإيمان قوة إيجابية متحركة ، فإذا لم تظهر آثار الإيمان على الجوارح ، فهو إما ميت وإما متزيف ، فالعمل الصالح دليل الإيمان وثمرته .

والعمل الصالح المطلق لا يقف عند حد في الكم والكيف ، وإنما بحسب

---

(١) سورة المائدة : ١٠٠

(٢) سورة الذاريات : ٢٠ – ٢١

(٣) سورة الفرقان : ٢٣

(٤) سورة إبراهيم : ١٨

استطاعة الإنسان وما في وسعه ، وشرطه أن يكون مطابقاً لما جاء من عند الله على لسان خاتم رسله صلى الله عليه وسلم ، فهو امتثال المأمور ، واجتناب المنهي عنه ، والتقربُ بالتواصل والتواصي بالحق ، أمر بمعروف ونهي عن منكر ، دعوة إلى الله وإلى دين الإسلام ، أمر بالعدل ونهي عن الظلم ، بسطُ القسط ورفع الجور ، بذل الندى وكف الأذى .

والتواصي بالحق ضرورةٌ ، فالنهوض به عسير إلا بتيسير الله ، والمعوقات عن الحق كثيرة : هوى النفس ، وما يسمى بمنطق المصلحة الخاصة ، وتصوراتُ البيئة ، وظلمُ الظلمة ، وجورُ الجائرين .

والتواصي بالحق تعاون وتقارب للغاية ، وحمل عبء الأمانة ، وفيه حث على مضاعفة الجهود ، ولا يقوم الحق إلا بالتواصي به . والتواصي بالصبر ، صبر النفس على طاعة الله ، وصبرها عن محارم الله ، تواصي بتحمل الأذى في جانب الله ، وتحمل المشقة في سبيل الله ، بذل النفس والمال في سبيل الله ، تواصي بتحمل المسئوليات والقيادة العامة . . بهذه الصفات الأربع ، تبرز من خلالها صورة الأمة المسلمة والجماعة المسلمة ، ذات الكيان الخاص والرابطة المميِّزة والوجهةِ الموحدة ، تلك الأمة التي تَشعُر بكيانها كما تَشعر بواجبها ، تلك الأمة المتَضامنة المتحابة الخيِّرة الواعية ، وهكذا يريد الإسلام من الأمة المسلمة ، يريدها أمة قوية خيِّرة واعية فاهمة عاملة متعاونة متعاطفة قائمة على حراسة الخير ونشر العدل ورفع الظلم والجور .

اللَّهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى ، وألِّف بين قلوبهم على البر والتقوى .

اللَّهم أقم علم الجهاد ، واقمع أهل الزيغ والفساد ، وانشر رحمتك على العباد . . يا من له الدنيا والآخرة وإليه المعاد .

استغفروا ربكم وتوبوا إليه وأطيعوا أمره وأنيبوا إليه .

اللَّهم إنَّا نستغفرك فاغفر لنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تكملة سورة العصر

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، يخلق ما يشاء ، ويحكم ما يريد (٢) .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإذا تأملنا الآية الأخيرة من سورة العصر ، وما اشتملت عليه من قواعدَ لنظام الأمة المسلمة التي ربَّاها نبينا محمد ﷺ على العلم والحكمة والتزكية والزهد والورع والعفاف والأمانة والإيثار والإخاء ، ربّاها على التقوى والإيمان ، على العدل والإنصاف ، تلك الصفات العالية التى أرادها الخالق تبارك وتعالى لأمة الإسلام ، الأمة الناجية الرابحة .

وإذا نظرنا إلى واقع العالَم اليوم ، نرى الخسر يحيق بالبَشرية في كل مكان، نرى الضياع الذي يعانيه الإنسان في الدنيا قبل الآخرة ، نرى إعراض الناس عن الخير الذي أفاضه الله عليهم ، نرى كثيراً ممن يدعي الإسلام بعيداً عن أخلاق الإسلام وعن معاملات الإسلام وعن عبادة الإسلام ، فصار

---

(١) إشارة إلى حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه ، أخرجه البخاري في الصحيح الأذان ، باب (١٢٦) حديث رقم (٧٩٩) : ١٢/ ٢٨٤ الفتح .

(٢) إشارة إلى الآيتين ٣ ، ١٧ من سورة المائدة .

المسلمون غثاءاً كغثاء السيل ، هان الإسلام عليهم فهانوا على الله ، تسلَّط عليهم أعداؤهم وجعل بأسهم بينهم .

تُسفك الدماء البريئة ويُعتدي ظلماً وعدواناً على الحقوق المعصومة : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) أحث كل مسلم ومسلمة وكل مؤمن ومؤمنة على قراءة سورة العصر وتأملها وتدبرها والعمل بمنهاجها . قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيرهذه السورة : ذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت بن عبد الله بن حفص قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدُهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ، ثم يُسلِّم أحدهما على الآخر (٢) .

اللَّهم اسلك بنا طريق النجاة والسعادة ، وجنبنا طريق الخسران والهلاك .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) سورة البقرة : ٢٥١

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره : ٧/ ٣٦٥ ، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٨/ ٦٢١ إلى الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي مليكة الدارمي - كانت له صحبة ، ثم ذكر هذا الحديث .

وقد وقع خطأ في نسخة ابن كثير ، طبعة دار الأندلس - بيروت - إذ فيه ذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حفص ثم ذكر الحديث ، والصحيح حفص بن عبيد الله كما قال الحافظ في التقريب رقم الترجمة (٤٤٩) : ١/ ١٨٦ ، وهو صدوق من الثالثة ، فالرواية هذه مرسلة ، ولكن عزاها السيوطي متصلة كما ترى ، ووجد خطأ مطبعي في الدر المنثور إذ جاء فيه أبو مليلة الدارمي والصحيح (التميمي) وهو زهير بن عبد الله بن جدعان أبو مليلة التميمي ، قال الحافظ في التقريب برقم (٧٥) : ١/ ٢٦٤ : صحابي له صحبة ، وله في الكتابين حديث عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وهو من رهطه .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١ - تفسير سورة الهُمَزَة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) .

وأشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فاتقوا الله تعالى وراقبوه في السر والعلانية ، واعلموا أن بعض الناس يتصف بصفةً حقيرةً لئيمةً قد ابتُلِيَ بها المجتمع المسلم وصارت هي حلية المجالس وهي روضة النفوس الدنيئة ، ومنتزه العقول المغرضة ، إنها مرض اجتماعي متغلغل في أعضاء المجتمع ، وهي لا تأتي بخير ولا تدفع شراً ولا تشفى غليلاً ولا تردع عدواً ، إنها الغيبة والنميمة ، وإنما تزرع الضغينة وتُفرِّق المحبين ، وتورث الشقاق والعداوة والبغضاء ، ليست من صفات المؤمنين ، ولا من أخلاق أهل الفضل والشيَم ، ولا من سمات أهل الرفق والشمم ، وإنما هي من صفات اللئام الذين يُفرِّقون بين الأحبة ، ويبْغُون للبُراء العنت : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا

---

(١) ألقيت في ١٣٩٩/١/٢٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة ، آية : ٢

مُّبِينًا ﴾ [1] ، إنها من صفات كل عتُل زنيم [2] باعثها الحقد والحسد ، وضعف الإيمان .

الغيبة هي ذكر المسلم بما يسوءه في حال غيبته [3] ، سواء بالغمز واللمز ، أو بالكلام والإشارة ، وسواء بذكر المصائب ، أو تحقير الصفات ، أو بحكاية الأصوات والحركات ، أو بأي نوع يوحي بالسخرية والاستهزاء .

والنميمة هي نقل الحديث بين الناس وإفشاء الأسرار لقصد الإفساد والتفريق، أو التزلف بها إلى المحكي عليه ، أو لغرض دنيوي يناله النمَّام بنميمته .

الغيبة والنميمة كبيرة من الكبائر ، حرام بنص كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين .

أنزل في النمام سورةً كاملة : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾ [4] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلُ الجنة نمام » [5] .

الإسلام يريد أن يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً له أدب دفيع ، ولكل فرد فيه كرامة لا تُمس ، يُريده أن يكون كالجسد الواحد يحس كل عضو بما يحس

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٨

(٢) إشارة إلى الآية ١٣ من سورة القلم .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح البر والصلة حديث رقم (خاص ٧٠) ، و (عام ٢٥٨٩) ، باب : تحريم الغيبة .

(٤) سورة الهمزة كاملة .

(٥) مسلم في الصحيح من حديث حذيفة رضي الله عنه : الإيمان ، حديث رقم (خاص ١٦٨) ، و (عام ١٠٥) .

به الآخر [١] . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعِرضه [٢] .
الإسلام وَضَع للمجتمع الإسلامي قواعد وأُسساً بُنِيَ عليها ، ولا يسمح لأحد أن يعبث بها ولا أن يلطخها بما يشوهها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [٣] ، ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ ﴾ [٤] ، فليست العبرة بما يجده الرجل في نفسه ، ولا ما تجده المرأة في نفسها ، وليست هذه الصفات الفردية هي ميزان الحقيقة .

فلا يجوز للغني أن يحقر الفقير ، ولا للقوي أن يستهين بالضعيف ، ولا للشاب أن يسخر من الشيِّب ، ولا للسوي الجميل أن يستقبح الدَّميم . فليست هذه القيم الفانية والأعراض الزائلة هي مقياسُ الأمور ، وإنما العبرة بمقاييس رسالة رب العالَمين : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » [٥] .

كثير من الناس يتهاون بالغيبة ، ويظنها مجردَ تسلية وأضحوكة يتلهى بها ، ويُضحك بها الآخرين ، ولكن الأمر عظيم ، والناس عنه غافلون : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ ﴾ [٦] ، فما بال أقوام يأكلون لحوم

---

(١) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) الأدب ، ونحوه مسلم البر والصلة ، حديث رقم (خاص ٦٦) ، و(عام ٢٥٨٦) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح : البر والصلة حديث (خاص ٣٢) ، و(عام ٢٥٦٤) .

(٣) سورة الحجرات : ٦

(٤) سورة الحجرات : ١٢

(٥) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، أخرجه البيهقي في السنن الكبري ، وابن مردويه في تفسيره ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور : ٦/ ٥٧٩ إليهما وفيه هذا اللفظ .

(٦) سورة الحجرات : ١٢

إخوانهم وهم أحياء ؟ روى أن امرأتين على عهد رسول الله ﷺ صامتا وكادتا أن تموتا من العطش ، فدعا بهما صلى الله عليه وسلم ، وقال لإحداهما : « قيئي » ، فقاءت من قيح ودم وصديد نصف القدح ، وقاءت الثانية كذلك حتى ملأت القدح ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن هاتين صامتا عما أحلّ الله وأفطرتا على ما حرَّم الله ، جلست إحداهما إلى الأخرى وجعلتا تأكلان لحوم الناس »[1] .

فاتقوا الله أيها الناس ، واحذروا حصائد ألسنتكم ، فإنما يكب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهما - حصائد ألسنتهم[2] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3] .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى ما ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره : ٦/ ٣٨٣ - ٣٨٤ نقلاً عن البيهقي بإسناده عن عبيد مولى رسول الله ﷺ ، ثم ذكر هذا الحديث .

(٢) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٥/ ٣٢١ ، وإسناده حسن ، وفيه : « وهل يكب الناس .... » ؟

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عامة عذاب القبر من الغيبة والنميمة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الهادي إلى سواء الصراط .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه .

صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهديه .

أما بعد . .

فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا الغيبة والنميمة فإنهما تزرعان الحقد والحسد بين الناس ، وتقطعان الأرحام وتحلقان الدين ، وهما حسرة في الدنيا لأن مَن يتتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ، ومَن تتبع الله عورته فضحه في جوف بيته (١) ، وهما ندامة في الآخرة ، وعامة عذاب القبر من الغيبة والنميمة . ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرَّ بقبرين يُعذَّبان فقال : « إنهما يُعذَّبان وما يُعذَّبان في كبير ، بلى إنه كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله » (٢) .

---

(١) إشارة إلى حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٤/ ٤٢٠ - ٤٢١ ، وإسناده حسن مع الشواهد .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري برقم (٢١٦) الوضوء ، باب (٥٥) ، باب : من الكبائر أن لا يستتر من بوله ، ونحوه مسلم في الصحيح : الطهارة ، حديث رقم (خاص ١١١) .

وفي حديث أبي أمامة الذي رواه الإمام أحمد قالوا : يا نبي الله ؛ حتى متى يعَذَّبان ؟ قال : « غيب لا يعلمه إلا الله عزَّ وجَلَّ ، ولولا فزع قلوبكم وتزيدُكم في الحديث لسمعتم ما أسمع » (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، احفظوا ألسنتكم من قبيح القول وفضول الكلام ، واشغلوا الفراغ بالقول السديد ، بذكر الله والتسبيح وقراءة القرآن والقول المباح ، فإن كل ما ينطق به المرء يُحصى عليه ويُدوَّن في ديوانه ، فلينظر الإنسان ماذا يقول وماذا يُسجِّل في صحيفته .

وصلُّوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (٢) .

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند بهذا اللفظ : ٥/٢٦٦ ، قال في التقريب : ٢/٤٦ برقم (٤٣٠) : له شواهد كثيرة في هذا المعنى . والله أعلم .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٢ - تفسير سورة الكوثر (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ، أكمل ديننا وأتم علينا نعمته ، وهدانا للإسلام ، فللَّه الحمد وهو أهل الحمد ، فلا يحمد أحد سواه .

وأشهد أنَّ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، بعث فينا رسولاً بالهدى ودين الحق ، بَشَّر المؤمنين وأنذر الكافرين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اصطفاه وكرَّمه وشرح صدره ورفع ذكره واتخذه خليلاً وكلَّمه تكليماً ، وأعطاه الكوثر والمقام المحمود .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد . .

فَفِي القرآن الكريم سورةٌ آياتُها ثلاث ، قصارٌ محكمات ، تبين جانباً من عناية الله بنبيه ﷺ والدفاع عنه ، وتثبيت فؤاده ، إنها سورة الكوثر :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ (٣) فالكوثر مشتق من الكثرة ، وهو مُطْلَق غيرُ محدود ، ولهذا اختلف المفسرون في معنى الكوثر على قولين :

---

(١) ألقيت يوم ٢٠/٥/١٤١٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الكوثر كاملة .

الأول : وهو المشهور والمستفيض عند السَلَف والخَلَف ، أنه نهر في الجنة .

الثاني : أنه عامٌّ شامل لكل ما أعطاه الله نبيَّه ﷺ ، فهو الكوثر الذي لا نهاية لفيضه ولا إحصاء لمدلوله يشمل كل ما يكثر من الخير ويزيد .

فأدلة الجمهور . . ما رواه مسلم (١) رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بيْنَا رسول الله ﷺ بَيْن أظهرنا في المسجد إذ أغْفَى إغفاءة ثم رفع رأسه مُتَبسِّماً ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : « لقد أُنزِلت عليّ آنفاً سورة » فقرأها ، ثم قال : « أتدرون ما الكوثر » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « فإنه نهر وَعَدَنِيه ربي عزَّ وجَلَّ ، عليه خير كثير هو حوضي ترد عليه أُمَّتي يوم القيامة ، آنيته عددُ النجومِ في السماء فيُختلَج العبد منهم ، فأقول : يا رب إنه من أمتي ، فيقول : إنك لا تدري ما أحدث بعدك » (١) .

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أُعطيتُ الكوثر فإذا هو نهر يجري ولم يشق شقاً ، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ ، فَضَرَبتُ بيدِي في تربته ، فإذا هو مسك أذفر ، وإذا حصباؤه اللؤلؤ » (٢) .

وروي البخاري (٣) عن عبد الله بن عمرو قال : قال النبي ﷺ : « حوضِي مسيرةُ شهر ، مَاؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانُه كنجوم السماء ، مَن شرب منها فلا يظمأ أبداً » .

وفي الصحيح عن ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قال النبي ﷺ : « إني على الحوض حتى أنظر مَن يردُ عليّ منكم ، وسيؤخذ ناس دوني ، فأقول : يا رب مني ومن أُمَّتي ، فيقال : هل شَعَرتَ

---

(١) مسلم : ١/ ٣٠٠ في كتاب الصلاة ، تفسير ابن كثير : ٤/٥٥٦

(٢) ابن كثير : ٤/٥٥٦

(٣) فتح الباري : ١١/٤٦٣

ما عملوا بعدك ، واللهِ ما بَرِحُوا يرجعون على أعقابهم » ، فكان ابن أبي مليكة يقول : اللَّهم إنَّا نعوذ بك أن نَرْجع على أعقابنا أو نُفتن عن ديننا [١] .

والأحاديث في الصحيحين والسنن والمسانيد كثيرة ، ولعله سمي النهر كوثراً لكثرة ما فيه من المنافع ، كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث أنس عند مسلم المتقدمِ : « عليه خير كثير » .

وأدلة أصحاب القول الثاني : ما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه إياه . وقال سعيد بن جبير : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه [٢] . وقال بذلك ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد بن دثار والحسنُ البصري حتى قال مجاهد : هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة [٣] ، فيدخل تحت هذا التفسير كلُ ما أعطاه الله عَزَّ وجَلَ لنبيه ﷺ من الكرامات والمعجزات ، فيشمل النهرَ ، والحوضَ ، والشفاعةَ ، والنبوة ، والقرآن ، والسُّنَّة ، والنصر والتمكين ، وإخْبارُه ببعض الغيبيات ، والنصر بالرعب ، وحل الغنائم ، وجعل الذلة والهوان على مَن خالف أمره ، وذِكرُ اسمه صلى الله عليه وسلم مع اسم الله والصلاة والسلام عليه ، وجعل طاعته طاعة الله ، واتباعُه دليلُ محبة الله ، وشمول رسالته وهَيْمَنَتُها على ما قبلها ، وكونُه آخِرُ الأنبياء بعثة ، وهو أولهم ذكراً ونعيماً .

وقد جمع الله تعالى لنبينا محمد ﷺ من الفضائل والمزايا والخصوصيات ما كان لجميع الأنبياء [٤] ، وكل هذه من الكوثر .

---

(١) فتح الباري : ١١/٤٦٦

(٢) فتح الباري : ١١/٤٦٣

(٣) ابن كثير : ٣٠/٥٥٨ ، تفسير مجاهد (٧٩٠) .

(٤) التفصيل للرازي : ٣١/١٢٥

لقَدْ وَجَده صلى الله عليه وسلم في النبوة والقرآن والسُنَّة وفي كثرة الأتباع، وفي الفضائل والخُلُق الحسن العظيم ، وفي العلم وفي علماء أُمتُه الذين يُبلِّغون رسالته ويدعون الناس إلى شريعته ، وسيجده في المقام المحمود إن شاء الله .

والسورة دليل على أن شكر النِعَم يكون بالتوحيد والإخلاص والتمسك بما جاء به النبي ﷺ بلا زيادة ولا نقصان .

ولهذا عقب بفاء السببية بعد نعمة الكوثر : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (١) ، فإخلاص العبادة لله واجب سواء في العبادات البدنية وأعظمها الصلاة ، أو في العبادات المالية الاعتقادية ، وأهمها النُسُك والنحر ، فالذبح إذاً عبادة وقُربة يُتقرب بها إلى الله ، مثلُ الصوم والحج والصلاة ، فحرام على المسلم أن يذبح لغير الله ، وحرام عليه أن يُقرِّب الكبش للسدنة قرباناً لموتى الصالحين ، وحرام على المسلم أن يذبح على أساس البناء لطرد العين أو لدفع الشيطان ، فإن الشيطان يتغاظم ويشيط إذا ذُبِح من أجله ، وإنما يُطرد بذكر الله وبالتوحيد وإخلاص العمل لله .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) والذبح عند القبور والأنصاب من عادات المشركين .

وتخصيصُ الصلاة والنحر في السورة بالإخلاص والوحدانية لله ، لأنهما دالتان على القُرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى وعده .

والذي يذبح لغير الله مطرود من رحمة الله .

---

(١) سورة الكوثر : ٢

(٢) سورة الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

روى مسلم عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : حدّثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : « لعن الله مَن ذبح لغير الله ، ولعن الله مَن لعن والديه ، ولعن الله مَن آوى محدثاً ، ولعن الله من غيَّر منار الأرض » . فاللعن من الله والطرد الإبعاد من مظان الرحمة ، واللعن من الخلق السبب والدعاء (١) .

والخالق جَلَّ وعلا يلعن مَن يستحق اللعن ، كما يصلى على مَن يستحق الصلاة .

قال عزَّ وجَلَّ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (٢) ، ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ﴾ (٣) .

وقال العزيز الحكيم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٤) ، ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ (٥) .

وما يُذبح لاستقبال السلطان تقرُّباً إليه مُحرَّماً لا يحل له حتى لو ذُكر عليه اسم الله ، فإنه مما أُهِلَّ به لغير الله ، وكذلك ما ذبح من أجل الولي أو الصالح أو من أجل الجن أو الكواكب ، فهو حرام أُهِلَّ به لغير الله وإن ذُكر عليه اسم الله ، فهو حرام لا يؤكل ، وقوله في السورة : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ أي مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به . ﴿ هو الأبتر ﴾ : الأذل الأقل المنقطع ذِكرُه ، فكل أعداء الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم انقطع ذكرهم وذلَّت نفوسهم وأصابهم من الحقارة والمهانة ما يليق بهم ، أما

---

(١) فتح المجيد ص ١٤٥

(٢) سورة الأحزاب : ٤٣

(٣) سورة الأحزاب : ٤٤

(٤) سورة الأحزاب : ٦٤

(٥) سورة الأحزاب : ٦١

نبينا محمدٌ ﷺ فقد بقى ذكره خالداً دائماً عالياً ، والحق الذي جاء به ممتد الفروع عميق الجذور .

إن الدعوة إلى الله وإلى الحق والخير والإصلاح ، لا يمكن أن تكون بتراء ، ولا أن يكون صاحبها أبتر ، لأنه موصول بالحي الباقي الذي لا يحول ولا يزول ، فهو باق ذكره باق ثوابه ، وإنما الأبتر هو الكفر والباطل وأهلُه ، فمن اتبع الموصول فهو موصول ، ومن رضى بالمبتور فهو مبتور .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، والتمسك بكتابه وسُنَّة رسوله ﷺ ، ولا ينبغي للمسلم أن يستوحش إذا رأى قِلَّة السائرين وكثرة التائهين ، فإنه متوجه إلى رب العالمين .

اللَّهم بارك لنا في القرآن ، وانفعنا بما فيه من الآيات والبيان ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

❋ ❋

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإنسان له رسالة

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [١] ، هدانا لهذا الدين القويم ، يجزي الحسنة بعشر أمثالها [٢] ، ولا يجزي السيئة إلا بمثلها [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

(٣) إشارة إلى الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

فيجب على الإنسان أن يعلم أنه مخلوق لهدف ، فليعمل من أجله ، فليس الأمر وقت لعب ولهو وإهمال وتكاسل وغفلة ، إنما هو الابتلاء والاختبار ، فليستعد للحساب والجزاء ، فليأخذ من حياته لموته ، ومن صحته لمرضه (١) ، ومن غناه لفقره ، ومن فراغه لشغله .

اتقوا الله أيها المؤمنون ، ماذا ينتظر الإنسان في هذه الدنيا ؟ هل ينتظر إلا مرضاً مقعداً أو هرماً مفنداً أو غنىً مطغياً أو فقراً ملهياً أو موتاً مُجْهزاً . أم الدجالَ ؟ فسر غائب ينتظر أم الساعة ، والساعة أدهى وأمر (٢) .

اتقوا الله يا إخوتي في الله .. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري برقم (٦٤١٦) الرقاق ، باب (٣) بهذا اللفظ .

(٢) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة القمر .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣ - تفسير سورة النصر [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزَّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٤] .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، فضّله واصطفاه وأعطاه فأرضاه [٥] ، وأظهر دينه على ما سواه [٦] ، أكمل به الدين وأتم به النعمة [٧] ، ثم توفاه وفي الرفيق الأعلى أدناه [٨] .

---

(١) ألقيت يوم ١٦/٩/١٤٠٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري برقم (١٧٩٧) العمرة ، باب (١٢) ، ونحوه مسلم في الحج رقم الحديث الخاص (٤٢٨) من هذا الوجه واللفظ .

(٤) سورة الإسراء : ٨١

(٥) إشارة إلى الآية ٥ من سورة الضحى .

(٦) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة ، والآية ٢٨ من سورة الفتح ، والآية ٩ من سورة الصف .

(٧) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

(٨) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في وفاة النبي ﷺ ، وقالت فاطمة هذا القول . أخرجه البخاري برقم (٤٤٦٢) المغازي .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن في القرآن الكريم سورةً من قصار المفصَّل تشتمل على ثلاث آيات تنبيء عن أمر عظيم حصل في شهر رمضان ، وتتحدث عن تحول كبير في دعوة النبي ﷺ ، وترسم له ولأُمَّته منهج الإسلام عند الانتصار ، وتخبر الصفوة المختار - صلى الله عليه وسلم - بانتهاء مهمته في تبليغ الرسالة وقُرب أجله ، فالرسول إذا انتهت مهمته رجع إلى مرسله .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ (١) .

النصر هو العون ، والمراد به نصر الرسول ﷺ على معانديه ومنكري رسالته وعلى قومه الذين ائتمروا على قتله وأخرجوه من بلده (٢) .

والمراد بالفتح فتح مكة ، وكانت العرب تتلوم في إسلامها يقولون : دُعوا محمداً وقومَه ، فإن ظهر عليهم وتمكّن من أهل الحرم - وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل - فهو نبي (٣) .

---

(١) سورة النصر كاملة .

(٢) إشارة إلى ما ذكره ابن كثير في السيرة : ٢/٢٢٦ - ٢٨٥ بما حصل لرسول الله ﷺ من الأذى ، ثم أمره الله تعالى بالهجرة . ثم راجع تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه السورة الكريمة : ٧/٩٩٤ - ٩٩٨ ، وأثبت موت النبي ﷺ بإيراد النصوص الكثيرة من القرآن والسنَّة .

(٣) إشارة إلى حديث عمرو بن سلمة رضي الله عنه ، أخرجه البخاري برقم (٤٣٠٢) المغازي ، باب (٥٣) وفيه هذا اللفظ .

فلما حصل الفتح وأظهر الله دينه وأعلى كلمته ، ونصر نبيه ومكّن له في مكة أقبل الناس على الإسلام ، فكانوا يدخلون في دين الله أُمَّةً أُمَّة ، جماعاتٍ جماعات [١] .

وروى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سأل الصحابة وفيهم ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [٢] ، فقال ابن عباس : أجلٌ أو مثلٌ ضُرِب لمحمد ﷺ نُعيت له نفسه [٣] .

وفي رواية : قال ابن عباس : قلت هُو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له [٤] . ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ، فهو علامة أجلك ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ . فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول [٥] .

ولما نزلت هذه السورة أخذ صلى الله عليه وسلم بأشدّ ما كان قط في أمر الآخرة حتى تورَّمت قدماه ونَحَل جسمُه . وقلَّ تبسمه وكثر بكاؤه ، وكان يكثر التسبيح والتحميد والاستغفار .

روى البخاري في الصحيح بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان

---

(١) إليه يشير قوله تعالى في سورة النصر : ﴿ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ﴾ .

(٢) سورة النصر : ١

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، عزاه الحافظ ابن كثير إلى النسائي وبعض أصحاب السنن إلا الترمذي وإسناده صحيح .

(٤) عزاه الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٧/ ٣٩٥ إلى الإمام أحمد وقال : تفرد به أحمد .

(٥) عزاه ابن كثير في تفسيره : ٧/ ٣٩٥ إلى الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ وبرقم (٤٩٧٠) .

رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللَّهم ربنا وبحمدك ، اللَّهم اغفر لي ، يتأوَّل القرآن (١) .

أما احتفال المسلم بالنصر . فنظام الإسلام في الانتصارات هو الخضوع لله ، والاستغفار مما قد يدخل في حديث النفس أو يَمَسُّ القلبَ عند النصر من الفخر والاعتزاز والزهو والإعجاب بالنفس ، فالنصر من عند الله وحده ، فهو الذي يأتي به ، وهو الذي يحدد وقته ، فقد دخل رسول الله ﷺ مكة خاضعاً لله مطأطئاً رأسه مهلِّلاً مُكبِّراً مُسبِّحاً وحامداً وخاشعاً لله ، وصلى لله ثمان ركعات (٢) .

وهكذا كان أنبياء الله وأتباعهم ، احتفالهم بالنصر الصلاة لله ، والخضوع لله والحمد لله ، والبراءة من الحَوْل والقوة . كما قال يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ ... الآيات (٣) . وقال سليمان لما حضره عرش مَلِكة سبأ ، قال : ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾ (٤) ، وهكذا نبينا محمد ﷺ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ (٥) .

وأما قصة الفتح وسببه ، فمن المعلوم لدى مَن يعرف سيرة النبي ﷺ ما وجده - عليه الصلاة والسلام - من قومه في مكة من المعاندة والمكابرة

---

(١) إشارة إلى ما عزاه إليه الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٩٦/٧ - ٣٩٧ إلى سنن أبي داود ، قلت : وأخرجه البخاري في الصحيح برقم (٤٩٦٨) التفسير وهو من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٩٦/٧ . قلت : أخرجه مسلم في الصحيح ، صلاة المسافرين ، حديث رقم (خاص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥) ، و(عام ٧١١) .

(٣) سورة يوسف : ١٠١

(٤) سورة النمل : ٤٠

(٥) سورة النصر : ٣

والتكذيب ، وصدُّ الناس عن دعوته ، ثم آذوه وحاصروه حصاراً أدبياً واقتصادياً وسياسياً ، وكان يأخذهم بالصبر والبرِّ والإحسان لعل الله أن يُخرج مِنْ ظهورهم مَنْ يعبد الله (١) ، ثم تمالؤا على قتله : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (٢) .

فعصمه الله من أعدائه وأمره بالهجرة إلى المدينة ، ثم رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو في المدينة أنه دخل مكة وطاف بالبيت ، فأخبر أصحابه ، فلما ساروا عام الحديبية سنة ست من الهجرة (٣) طمعوا في تحقيق رؤيا النبي ﷺ ، إلا أن حابس الفيل حبسهم ، فمنعَهم المشركون من دخول مكة وصدُّوهم عن المسجد الحرام : ﴿ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ﴾ (٤) ، ثم تصالح الرسول ﷺ مع قريش على وضع الحرب عشر سنين ، وعلى أن يعتمر من العام القادم ، وكان في الصلح أن مَن أراد أن يدخل في عهد محمد وعقده دخل فيه ، ومَن أراد أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه (٥) .

دخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ، ودخلت بنو بكر بن عبد مناة من كنانة في عهد قريش ، وكان بين بني بكر وخزاعة ثأر في الجاهلية مَنَعهم من أخذه اشتغال الناس بالدعوة المحمدية ، فلما وُضِعت الحربُ بصلح الحديبية أرادت بنو بكر أن تثأر من خزاعة ، فخرج جماعة منهم وبيتوا خزاعة على ماء لهم قرب مكة يسمى الوتير ، فَلَجأُوا إلى الحرم فلحقوهم (٦) ، وقتلوا منهم

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١) بدء الخلق ، الباب (٧) ، ونحوه مسلم في الصحيح : الجهاد ، حديث رقم (١١١) بسياق طويل ، وفيه هذه اللفظ .

(٢) سورة الأنفال : ٣٠

(٣) إشارة إلى ما ذكره الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/ ٣٢١ - ٣٢٢ نقلاً عن مصادر كثيرة موثوقة .

(٤) سورة الفتح : ٢٥

(٥) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٣٢١/٣ - ٣٢٤ نقلاً عن مصادر موثوقة .

(٦) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٥٢٦/٣ - ٥٢٨ نقلاً عن مصادر موثوقة .

رجالاً ، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح والتحريض ، وبعضُ قريش قاتلَ مع بني بكر متخفياً .

وبذلك نقضت قريشُ العهدَ وخالفت العقد ، فأرسلت خزاعة عمرو بن سالم إلى رسول الله ﷺ بالخبر ، فوجده جالساً في المسجد ، فأخبره وأنشده شعراً يستنصره فيه ويقول : « أسلمنا وقُتلنا رُكعاً وسُجَّداً » ، فقال رسول الله ﷺ : « نُصرتَ يا عمروَ بن سالم » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « كأنكم بأبي سفيان وقد جاء ليشدَّ العقد ويزيدَ في المدة » ، فجاء أبو سفيان ، فلم يُلْقِ له الرسول ﷺ بالاً ، ولم يَشْفع له أحد من الصحابة ، فعاد أبو سفيان (١) إلى مكة ، وأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالاستعداد والجد والتجهز لفتح مكة ، لأن قريشاً نقضت العهد (٢) ، وقال : « اللَّهم خذ العيون والأخبار عن قريش » ، وجاءت امرأة مولاة لبعض بني هاشم تطلب الإعانة على حاجتها ، وحثَّ الرسول ﷺ بني عبد المطلب فكسوها وحَملوها وزوَّدوها ، فجاءها حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وأعطاها كتاباً لقريش يخبرهم مسير رسول الله ﷺ إليهم ، فأخفت الكتاب في ضفائر شعرها ، ونزل الخبر من السماء بما فعل حاطب ، فأرسل إليها رسول ﷺ عليَّ بن أبي طالب ومعه رِفقة ، فأنكرت الخطاب ، فقال عليٌّ : واللهِ ما كُذب رسول الله ، ولا كُذبنا ، وسلَّ السيف عليها ، فأخرجت الخطاب من ضفيرتها (٣) ، وسألَ رسولُ الله ﷺ حاطباً ، فقال : يا رسول الله ، واللهِ إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيَّرتُ ولا بدَّلتُ ، ولكن كنت امرءاً ليس لي في قريش أهلٌ ولا عشيرة ، وكان لي بين

---

(١) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/ ٥٣٢ - ٥٣٥ نقلاً عن مصادر موثوقة .

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/ ٥٣٥ - ٥٣٦ نقلاً عن مصادر موثوقة .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٧) الجهاد ، باب (١٤١) الجاسوس ، وهو من حديث عليّ رضي الله عنه ، ونحوه مسلم في الصحيح : فضائل الصحابة برقم (١٦١) .

أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم ، فاستأذن عُمر في قتل حاطب . فقال رسول الله ﷺ : « وما يدريك يا عُمر لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم » ، ففاضت عينا عمر ، وأنزل الله في ذلك صدر سورة الممتحنة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ (١) .

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة لعشر مضين من رمضان سنة ٨ هـ صائماً ، ومعه عشرة آلاف ، فلما بلغ قديداً أفطر (٢) ، وعَمَّى الله الأخبارَ عن قريش .

وكان العباس عم رسول الله بقي في مكة على سقايته ، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ (٣) ، فخرج إلى الهجرة ، فلقى رسول الله ﷺ في الطريق ، ولما نزل عليه الصلاة والسلام « مرَّ الظهران » عند حدود الحرم أمر بإيقاد النيران لإرهاب عدوهم بكثرتهم ، فأوقدوا عشرةُ آلاف نار ، وخاف العباس رضي الله عنه على قريش فركب بغلة الرسول ﷺ لعله يجد بعض الحطَّابة فيرسله إلى أهل مكة يحثهم على المجيء إلى النبي عليه الصلاة والسلم ليستأمنوه قبل أن يدخل مكة ، فسمع صوت أبي سفيان جاء يتحسس الأخبار يُكلِّم مَن معه يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قطُّ ولا عسكراً ، فلما سمعه العباس ناداه ، وأخبره بأن هذا رسول الله ﷺ ، وأركب أبا سفيان معه على البغلة ليستأمن له من رسول الله (٤) .

---

(١) سورة الممتحنة : ١

(٢) أورده الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/٥٣٩ - ٥٤٢ نقلاً عن عدة مصادر موثوقة ومنها الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله تعالى .

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/٥٤٣ - ٥٤٤

(٤) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/٥٤٦ - ٥٥٤ نقلاً عن مصادر متعددة موثوقة ، ومنها البخاري صاحب الجامع الصحيح ، والبيهقي بالدلائل بإسناده .

وكُلَّما مَرَّ العباس على قوم سألوه مَن هذا ، فإذا رأوا العباس وبغلة النبي ﷺ ، قالوا : عم رسول الله على بغلته ، حتى مَرَّ بنار عمر بن الخطاب ، فقال : مَن هذا ، وقام إليه ، فلما رأي أبا سفيان قال : الحمد الذي أمكن منك يا عدو الله بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد إلى رسول الله ﷺ (أي ليستأذنه في قتل أبي سفيان) . قال العباس : فركضت البغلة فسبقته ودخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر ، فقال عمر : يا رسول الله هذا أبو سفيان أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه ، فقال العباس : قد أجرتُه يا رسول الله ، فقال : « خذه إلى رحلك وأتِ به في الصباح » (١) .

وفي الصباح أتى العباس بأبي سفيان ، وقال له : قل للرسول ﷺ كما قال إخوة يوسف : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ (٢) فقالها ، فقال الرسول ﷺ : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ (٣) ، ثم قال رسول الله ﷺ : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إلَه إلا الله وإني رسول الله » ؟ فقال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، فقال له العباس : ويحك أسْلِم واشهد أنْ لا إلَه إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك . فأسلم وشهد شهادة الحق ، ثم حسن إسلامه (٤) .

---

(١) ذكر ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : ٥٤٨/١ - ٥٤٩ نقلاً عن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى .

(٢) سورة يوسف : ٩١

(٣) سورة يوسف : ٩٢

(٤) أورده ابن كثير في السيرة : ٥٤٩/٣ نقلاً عن سيرة عروة بن الزبير رحمه الله تعالى .

ودخل رسول الله ﷺ مكةَ من أعلاها غير مُحْرِمٍ وعلى رأسه المغفر ، وضُربت له قبة في الأبطح (١) .

وأمر خالد بن الوليد أن يدخلها من أسفلها وأمرهم ألا يقاتلوا إلا مَن قاتلهم حتى يلقاه على الصفا (٢) .

ثم نهض رسول الله ﷺ من الأبطح ، والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله ، وحرَّضت قريش أخلاطاً من سفهائها وأوباشها وقالوا : نُقدِّم هؤلاء فإن كان لقريش شيء كنا معهم ، وإن أصيبوا أعطينا الذي سُئلنا ، فدعى صلى الله عليه وسلم الأنصار وأمرهم بقتال الأوباش وكفِ شرهم وقطع دابرهم (٣) .

فلما دخل المسجد أقبل على الحجر الأسود فاستلمه ثم طاف بالبيت على الراحلة وفي يده قوس ، وحول البيت (٣٦٠) صنماً (٤) ، فجعل يشير إليها بالقوس ويقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ (٥) والأصنام تتساقط (٦) ، فلما أكمل الطواف دخل الكعبة ودار فيها وكبَّرَ في نواحيها ووحَّدَ الله وصلَّى فيها (٧) ، وكانت قريش قد ملأت المسجد صفوفاً ،

---

(١) قال الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/ ٥٥٤ : صفة دخوله عليه الصلاة والسلام مكة ، ثم أورد عليها الروايات الكثيرة ، ومنها عن الشيخين في صحيحيهما .

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير مفرقاً في السيرة : ٣/ ٥٦٠ ، ٥٦٣ نقلاً عن ابن إسحاق رحمه الله تعالى .

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/ ٥٨١ - ٥٨٣ نقلاً عن مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) هذه رواية الإمام أحمد في مسنده ذكرها ابن كثير في السيرة : ٣/ ٥٨٢

(٥) سورة الإسراء : ٨١

(٦) إشارة إلى ما ذكره السيوطي في الدر المنثور : ٥/ ٣٢٩ عن ابن مسعود رضي الله عنه . أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنووي ، وابن جرير رحمهم الله تعالى ، ثم ذكره بهذا المعنى مطولاً . .

(٧) إشارة إلى ما أخرجه مسلم في الصحيح : الجهاد حديث رقم (خاص ٨٤) ، و(عام ١٧٨٠) ، باب : فتح مكة ، باب رقم (٣١) ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بسياق طويل .

فقال رسول الله ﷺ : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده (١) ، ألا كل مأثُرةٍ أو مالٍ أو دمٍ ، فهو تحت قدميّ هاتين إلا سدانة البيت وسقايةَ الحاج (٢) ، ألاَ وقتلُ الخطأ وشبيهِ العمد بالسوط والعصا فيه (٣) الدية مغلظة مائة من الإبل ، أربعونَ منها في بطونها أولادها (٤) . يا معشر قريش : إنَّ الله قد أذهب عنكم نَخْوة الجاهلية وتعظُّمهَا بالآباء . الناس من آدم وآدم من تراب » ، وتلا هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (٥) .

ثم قال : « يا معشر قريش ؛ ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : ﴿لا تثريب عليكم اليوم ﴾ اذهبوا فأنتم الطلقاء » (٦) .

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٥) الدعوات ، ونحوه مسلم : الحج برقم (٤١٨) .

(٢) إشارة إلى حديث محمد بن إسحاق بن يسار ، أورده الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/ ٥٧٠

(٣) هو نفس هذا الحديث ، فيه هذا اللفظ ، وقد رواه الإمام أحمد في المسند من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) المسند : ١/ ١١ بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وفيه الدية المغلظة ، كما ذكر الخطيب .

(٥) سورة الحجرات : ١٣ ، وأما اللفظ : « هذا أذهب عنكم . . . » : ابن كثير في السيرة : ٣/ ٥٧٠

(٦) أورده ابن كثير في السيرة : ٣/ ٥٧٠ نقلاً عن سيرة محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي رحمه الله تعالى إذ قال : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال . . . . . (ثم ذكره) .

وأخذت خزاعة تثأر لنفسها ، فقام عليه الصلاة والسلام ثانيَ يومِ الفتح خطيباً فقال : « أيها الناس ؛ إنَّ الله حرَّم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْفك فيها دماً ، ولا يَعْضدَ فيها شجراً ، لم تَحِلُّ لأحد كان قبلي ولا تَحِلُّ لأحد يكون بعدي ، ولم تَحِلُّ لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، ألا ثم رَجَعت كرامتها بالأمس ، فليبلِّغ الشاهد منكم الغائب ، فمَن قال لكم إن رسول الله قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلَّها لرسوله ولم يحِلَّها لكم (١) . يا معشر خزاعة ؛ ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأدينَّه ، فمَن قُتِل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين إن شاؤوا فَدَمَ قاتله ، وإن شاؤوا فَعقْلَهُ » (٢) .

ثم قالت الأنصار بعضهم لبعض : أترون أن رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم » ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « معاذ الله ، المحيا محياكم ، والمماتُ مماتكم » (٣) .

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه . أخرجه البخاري برقم (٤٣١٣) المغازي (٥٣) ، وهي خطبته عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة ، ورواها مسلم في الصحيح الحج نحوه (٤٤٥) .

(٢) إشارة إلى حديث أبي شريح الخزاعي ، أورده الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/ ٥٧٨ - ٥٧٩

(٣) إشارة إلى ما علقه ابن هشام ، ونقله ابن كثير في السيرة : ٣/ ٥٨١ ، ثم قال رحمه الله تعالى : وهذا الذي علقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد في المسند .

قلت : نعم ، هو أسنده الإمام أحمد في مسنده : ٢/ ٥٣٨ بسياق طويل ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد أخرجه مسلم في الصحيح بسياق طويل : الجهاد ، حديث رقم (خاص ٨٤) ، و(عام ١٧٨٠) مثل حديث الإمام أحمد ولم يذكره الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى .

وهكذا قُدوتنا وإمامنا وشفيعُنا صلى الله عليه وسلم جعل هذا الشهر المبارك ، شهر رمضان ، ميداناً للدعوة إلى الله ، وإصلاح خلق الله ، وإنقاذِ عباد الله من مهالك الضلالات ومصائد إبليس وأعوانه .

فاتقوا الله أيها المسلمون . الواجب على المسلم أن يصلح نفسه وسلوكه ومعاملاته ، وأن يؤدِي الحقوق التي عليه لله ولخلق الله على وجهها ، وأن يحرص على نفع البشر ، وإنقاذ مَن تردّى في هاوية البدع والوثنية وعبادة غير الله ، وأن يأخذ بأيديهم إلى صراط الله المستقيم أسوة بسيد الأوَّلين والآخرين (١) .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأحزاب : ٢١ : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . . . ﴾ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تحطيم الأوثان

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (٤) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فلما تم الفتح الأكبر بعث رسول الله ﷺ سراياه إلى الأوثان فكسِّرت كلها

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة غافر : ٦٤

(٣) سورة غافر : ٦٥

(٤) سورة الأنعام : ٥٦

منها : اللاَّت والعُزَّى ، ومناة الثالثة الأخرى ، ونادى مناديه بمكة : مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره (١) .

فبعث خالد بن الوليد إلى العُزَّى لخمس بقين من شهر رمضان ومعه ثلاثون فارساً من أصحابه فهدمها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال : « هل رأيت شيئاً » ؟ قال : لا ، قال : « فإنك لم تهدمها ، فارجع إليها فاهدمها » ، فرجع خالد وهو متغيظ فجرَّد سيفه ، فخرجت إليه امرأة عجوز عُريانة سوداء ثائرةُ الرأس ، فجعل السادن يصيح بها فضربها خالد فقتلها ، وأخبر الرسولَ ﷺ ، فقال : « نعم تلك العُزَّى » ، ثم بعث عليه الصلاة والسلام سعد بن زيد بن الأشْهل إلى مناة ومعه (٢) عشرون فارساً ، فلما أقبل عليها خرجت امرأة سوداء عريانة ثائرة الرأس تدعو بالويل والثبور ، فقال لها السادن : دونك مناة دونكِ بعض عُصاتك ، فضربها سعد فقتلها وكسر الصنم (٣) ، وهكذا كلُّ مكان يُعبد فيه غير الله يكون حوله بعض

---

(١) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة في عدة مواضع : ٣/ ٥٧١ - ٥٩٧

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة : ٣/ ٥٦٧ - ٥٦٨ نقلاً عن البيهقي بإسناده عن أبي الطفيل رضي الله عنه .

(٣) ذكر ذلك ابن هشام في السيرة : ٤/ ٣٨٩ - ٤٣٧ ، وذكره أيضاً ابن كثير في التفسير مختصراً : ٤/ ٤٥٤ - ٤٥٥ نقلاً عن ابن إسحاق رحمه الله تعالى . قال الإمام ابن كثير في تفسيره : ٦/ ٤٥٤ - ٤٥٥ : قال ابن إسحاق : وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان دينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد ، فبعث إليها رسول الله ﷺ أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها - ويقال عليّ بن أبي طالب . ا هـ .

وقال الحافظ في الإصابة : ٢/ ٢٨ رقم (٣٥١٨) بعد ما ذكر اسمه ونسبه ، ثم قال : وله ذكر في السيرة ، وأنه الذي هدم المناة الذي كان بالمشلل ، ثم ذكره . والصحيح - والله أعلم - هو الذي هدم المناة وكسر الصنم وقتل المرأة السوداء العريانة . والله أعلم .

شياطين الإنس والجن يُزيِّنون للناس تعظيمه وتقديسه وعبادته وتقريب القرابين ، وتخويف ضعفاء الإيمان من تلك الطواغيب والأصنام ، ولربما تسلط الشيطان على بعض الناس فيضرُّه في ماله أو يغمزه في جسده ، وقد يصادف قدراً فيظنه من ذلك المعبود ، وذلك لضعف إيمانه (١) . وما هو إلا ابتلاء من الله واختبار: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، انظروا إلى حال كثير من المسلمين كيف يعكفون على القبور ويذبحون لها الذبائح والنذور ، وكيف يطلبون منها العون والمدد والنُصرة بما لا يقدر عليه إلا الله ولا يُطلب إلا من الله (٣) .

إخوتي في الله : قد انتصف شهركم وأخذ في النقصان ، فكونوا خير خَلَف لخير سَلَف ، كونوا أنصار الله وأنصار رسوله ﷺ ، ولا تغلبنكم العادة وما كان عليه الأسلاف ، ولا يغرّنكم دعاة الضلال ، هذا كتاب الله واضح طري ، وهذه سُنَّة نبيه ﷺ غضَّة سمحة ، فقِيْسوا الأعمال عليها ، فما وافقها فعلى العين والرأس ، وما خالفها مما يعتقده بعض الناس أو يستحسنونه لما يجدون فيه من المصالح الدنيوية أو يظنون وجودها ، فهو عمل باطل مردود على صاحبه (٤) .

---

(١) قد يكون هذا من سحر الساحر كما سُحِرَ النبي ﷺ ، سحره لبيد بن الأعصم اليهودي ، كما عند البخاري في الصحيح برقم (٥٧٦٣) الطب ، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) سورة المائدة : ٤١

(٣) إشارة إلى ما وقع فيه المسلمون من الشرك الأكبر بحسن الظن في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها على القبور والضرائح .

(٤) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، المتفق عليه ، البخاري : ٥/٢٢١ : =

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ
تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) .

* * *

= (الصلح) : الفتح ، ونحوه مسلم في الصحيح برقم (١٧١٨) الأقضية كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤ - تفسير سورتي المعوذتين [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [٢] ، ملجأ الضعفاء ، ومستعاذ الخائفين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، دلَّنا على طريق النجاة وأمرنا بالاعتماد على الله والدخول في حماه .

اللَّهم صَلِّ وسلِّم عَلَى عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن الإنسان محفوف بالشهوات ، ومحاط بالأعراض ، ومهدد من الأعداء ، فلا بد له من قوة تحميه ، ولا بد من ملجأ يؤيه وحمىً يحفظه ، ومن يقدر على خلق الله إلا الله ، ومَن يعلم الخفيات إلا خالقها ، ومَن يدرك العواقب إلا باريها ، ومَن يحرس في الليل والنهار فلا يغفل إلا الحي القيوم ، ومَن يعتني بالإنسان إلا أرحم الراحمين ، ومَن الذي يعين إلا القوي

---

(١) ألقيت يوم ١٣/ ٥/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة هود .

العزيز ، وهو رب الخلائق ، ورب الناس ، ورب الليل والنهار ، ورب الإنس والجن ، ورب كل نافع وضار .

فها هو يدعوكم للعياذ بكنفه واللياذ بحماه من كل مَخوف ظاهر أو باطن معلوم أو مجهول ، ها هو يفتح حماه لكم وكأنه يقول في تودد ورحمة وعطف : تعالوا إليّ ، تعالوا إلى هنا إلى الحمى الحصين ، هلموا إلى مأمنكم الهاديء ، فأنا أعلم ضعفكم وأعلم أن لكم أعداءاً وأن حولكم مخاوف ، فقال تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ (٢) .

إن هاتين السورتين شأنهما عظيم ومنفعتهما كبيرة ، والإنسان في أشد الحاجة إليهما فلا يستغنى عنهما أحد ، وحاجة العبد إليهما والاستفادة بهما أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس ، فلهما تأثير في دفع السحر والعين وسائر الشرور .

روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم تر آيات أنزلت الليلة لم يُرَ مثلهن قط : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » . (رواه مسلم) (٣) .

---

(١) سورة الفلق كاملة

(٢) سورة الناس كاملة .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٨٤) إلى مسلم في الصحيح والترمذي والنسائي ، ثم ذكر الحديث .

وعند الإمام أحمد رحمه الله قال : « يا عقب ألا أُعلِّمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس » ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : فأقرأني : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » ، ثم أقيمت الصلاة ، فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما ثم مَرَّ بي فقال : « كيف رأيت يا عقب ؟ اقرأ بهما كلما نمتَ وكلما قمتَ [1] » . وفي رواية : « فما قمت تصلي بشيء مثلهما » [2] .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عند الإمام مالك رحمه الله قالت : إن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث [3] .

وإذا تأملنا سورة الفلق وجدنا الـمُستعاذ به صفة واحدة من صفات الله ، والمُستعاذ منه أربعة شرور . وسورة الناس المُستعاذ به ثلاث صفات من صفات الله ، والمستعاذ منه شر واحد . وذلك - والله أعلم - أن سورة الفلق فيها حماية البدن والدنيا ، وسورة الناس فيها حماية الدين والعقل ، وهذا يدل على أن حماية الدين أهم من حماية الدنيا ، وأن حماية العقل أهم من حماية البدن ، ويدل أيضاً على أن التأثير في الدين أشد خطراً على الإنسان من التأثير في الدنيا ، وأن التأثير في العقل أشد خطراً من التأثير في البدن ، وتصدير السورتين وأمثالهما بصيغة الأمر من القول : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [4] ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [5] ، ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [6] ،

---

(١) أحمد في المسند : ٤/ ١٤٤ ، وإسناده صحيح .

(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤١٥) للإمام أحمد .

(٣) عزاه ابن كثير (٧/ ٤١٧) إلى الإمام مالك وإسناده صحيح .

(٤) سورة الفلق : ١

(٥) سورة الناس : ١

(٦) سورة الإخلاص : ١

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (١) ، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي ﴾ (٢) ، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ (٣) ، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ (٤) ، ﴿ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٥) ، فهكذا أنزلت على رسول الله ﷺ فقرأها كما أنزلت . روى البخاري في صحيحه عن أُبَيّ ابن كعب رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ - أي عن ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ - فقال : « قيل لي ، فقلت » : فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ ، فالأمر : « قل » جزء من السوتين وجزء من القرآن (٦) ، والواجب التلقي عن رسول الله ﷺ كما تلقى عن ربه تبارك وتعالى . والنبي ﷺ يُبلِّغ عن الله فلا ينشيء شيئاً من قِبَل نفسه ولا يزيد ولا ينقص ، وإنما قال عليه الصلاة والسلام : « قيل لي ، فقلت » ، فمَن زعم أن القرآن الموجود ليس هو كل القرآن المنزَّل فهو كاذب ، مُفتر على الله ورسوله ، ومَن أراد أن يحذف حرفاً فيما أنزل على محمد ﷺ فهو ظالم معتد أثيم .

لقد اشتملت السورتان على استعاذة ، ومستعاذٌ به ، ومستعاذ منه .

والاستعاذة تدل على التحرز والتحصن وطلب النجاة . فمعنى « أعوذ » : التجيء وأعتصم وأتحرز . والاستعاذة القائمة في قلب المؤمن وهي التعلق بالله ، والالتجاء إليه ، والاعتصام به ، والانطراح بين يديه ، والافتقار إليه ،

---

(١) سورة الكافرون : ١

(٢) سورة يونس ، آية : ١٠٤

(٣) سورة يونس ، آية : ١٠٨

(٤) سورة آل عمران : ٦٤

(٥) سورة الرعد : ٣٠

(٦) عزاه ابن كثير فى تفسيره (٧/ ٥١٤) إلى البخاري بهذا اللفظ .

والتذلل له ، والاعتراف بالحاجة إليه . وهي تختلف باختلاف قوة الإيمان وشدة الحاجة .

والمستعاذُ به هو الله رب الفلق ، رب الناس ، ملك الناس ، إلَه الناس ، الذي لا ينبغي لأحد أن يستعيذ إلا به ، فهو الذي يعيذ المستعيذين ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره ، وهو المنعم المتفضل القادر الحافظ الواقي ، والاستعاذة بالموصوف بتلك الصفات - الربوبية ، والمُلْك ، والألوهية - يتوافق مع معنى السورتين . والفلق : هو الصبح .

والمستعاذُ منه جميع الشرور ، والشر : هو الألم وما يفضي إليه الألم النفسي والألم البدني سواء وقع لرفعه ، أو لم يقع لدفعه .

لقد اشتملت السورتان على الاستعاذة من خمسة شرور :

١ - من شر المخلوقات التي لها شر .

٢ - ومن شر الغاسق إذا وقب .

٣ - ومن شر النفاثَّات في العُقَد .

٤ - ومن شر حاسد إذا حسد .

٥ - ومن شر الوسواس .

فالأول عام يدخل فيه جميع المعاصي ، فأعمال الخلق خلق لله : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (١) ، فهي شر ، وإن كان فيها نوع لذَّة للعاصي فهي مؤقتة يعقبها الألم كالطعام المسموم ، وما زالت النِعَم عن أحد إلا بشؤم معصية ، فإن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة حفظها عليه ولا يغيِّرها عنه

(١) سورة الصافات : ٩٦

حتى يكون هو الساعي في تغييرها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (١) .

وإذا تأمل ذو بصيرة ما قصَّ الله في كتابه عن أحوال الأمم الذين أزال عنهم النعم وأحل بهم النقم ، وجد ذلك كله مخالفة أمر الله وعصيان رسله . وكذلك إذا تأمل أحوال هذا العصر وما يحصل فيه من كوارث ونقم وشرور وتسليط الأعداد وتسليط الفُسَّاق ، وتسليط بعضهم على بعض ، وجد السبب عواقب المعاصي ، فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعة الله ، ولا حصلت فيها زيادة بمثل شكر الله ، ولا زالت نعمة عن عبد ولا عن بلد ولا عن أمة ولا عن دولة بمثل المعاصي ، إن المعاصي نار النعم تعمل فيها كما تعمل نار الوقود في الحطب اليابس .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، استعيذوا بالله ، وتحصنوا به من شرور الأنفس وسيئات الأعمال .

المستعاذُ منه الثاني : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ (٢) : كلمة « غاسق » تطلق على عدة معانى وأقربها لمعنى السورة وإلى الدليل أنه الليل إذا أظلم ، ففي ظلمة الليل تنتشر بعض المخلوقات المؤذية وينتشر المفسدون يستترون بظلمة الليل ويستغلون خلو الطرق من الناظر والماشي .

المستعاذُ منه الثالث :وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ (٣) : أي السواحر الباغيات الأذى اللواتي يعقدن الخيوط وينفثن فيها للتأثير والإيذاء بخداع الأعصاب والتمويه على العيون ، والمراد بـ « النفاثات » – والله أعلم – : الأنفس والأرواح الخبيثة سواء أكانت ذكوراً أم إناثاً . والنفث : النفخ مع

---

(١) سورة الرعد ، آية : ١١
(٢) سورة الفلق : ٣
(٣) سورة الفلق : ٤

شيء خفيف من الريق ، فإذا تكيفت النفس الخبيثة بالخبث واستعانت بالأرواح الخبيثة من الجن خرج من الساحر نَفَس يمازجه الشر والأذى : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (١) ، والسحر : تخييل لا يغير شيئاً من الحقائق : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (٢) ، وأما قدرة الله وإرادته فتحوِّل الأشياء إلى حقائق أخرى ، فالذين مسخهم الله تحوَّلت ذواتهم قردة حقيقية ، كما حوَّل سبحانه عصى موسى عليه السلام حية تسعى لها إرادة وتمييز ، فإذا هي تلقف حبالهم وعصيهم (٣) وعظيمَ سحرهم وتخييلاتهم ، فلما انتهت مهمتها أخذها موسى فأعادها ربها سيرتها الأولى ، فإذا هي عود يابس جماد يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ويقضي بها مآربه .

الشر الرابع المستعاذ منه ، ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٤) : قد دل الكتاب والسُنَّة والوقائع على أن حسد الحاسد يؤذي المحسود ، فالحسد شر يتصل بالمحسود من نفس الحاسد وعينه ، وإن لم يؤذه بيده وبلسانه ، والحسد انفعال نفسي على نعمة الله على بعض عباده مع تمني زوالها ، وسواء اتبع الحاسد هذا الانفعال بسعي منه لإزالة النعمة عن المحسود ، أو وقف عند حد الانفعال فإن شراً سيعقبُ هذا الانفعال ، ومسمى الحاسد يشمل كل حاسد من الإنس والجن فإن الشيطان يحسد المؤمنين على ما أتاهم الله من فضله .

والحسد ثلاث مراتب : اثنان مذمومان ، وواحد محمود :

١ - شرها تمني زوال النعمة وإن لم يصب الحاسد منها شيئاً .

٢ - تمني انقطاع الخير عن المحسود .

---

(١) سورة البقرة : ١٠٢

(٢) سورة طه : ٦٦

(٣) إشارة إلى معنى الآية ٢٤٥ من سورة الشعراء .

(٤) سورة الفلق : ٥

٣ - هو الغبطة ، فيتمنى الحاسد أن يكون له مثلُ المحسود من غير تمني زوال النعمة عنه ، وهذا لا بأس به ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » (رواه مسلم) (١) .

الشر الخامس المستعاذُ منه : ﴿ شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ (٢) .

نحن لا ندرك كيف تتم وسوسة الشيطان ، ولكننا نجد آثارها في واقع النفوس ، ونعرف أن المعركة بين بني آدم وإبليس قائمة من أول ما خلق الله آدم عليه السلام ، وأن إبليس قد أعلنها حرباً شعواء على بني آدم ، حرباً تنبثق من جِبِلّة الشر في إبليس ومن كبريائه وحسده وحقده على آدم وذريته ، ونعلم أن إبليس قد استأذن الله في هذه الحرب فأذن لحكمة
بالغة ، ولم يترك الله الإنسان لهذه الحرب مجرداً من العُدَّة ، فقد جعل الله له من الإيمان جُنَّة ، ومن الذكر عُدَّة ، ومن الاستعاذة بالله سلاحاً ، ومن التوبة ملاذاً ، ومن الاستغفار نجاة .

روي البخاري رحمه الله عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خنس ، وإذا غفل وسوَّسَ » (٣) .

---

(١) رواه البخاري : العلم : ١/ ١٥١ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، ومسلم برقم (٨١٦) صلاة المسافرين .

(٢) سورة الناس : ٤ - ٦

(٣) أورده ابن كثير في تفسيره : ٧/ ٤٢٣ إذا قال : وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ، ثم ذكر هذا اللفظ ، قلت : عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٨/ ٦٩٤ إلى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن مردويه ثم ذكر هذا اللفظ .

أما وسواس الناس فهم كثيرون ، أليس منهم رفيق السوء الذي يدس الخبث إلى قلب صاحبه ويتحرى غفلاته ويتبع ميولاته ، وحاشية السوء التي تُزيِّن لكل ذي سلطان الأذى والتسلط ، والنمام الواشي الذي ينمق الكلام ويُزيِّنه حتى يَظْهر وكأنه هو الحق الصريح ، وبائع الشهوات الذي يدس في مَنافذ الغريزة ويُغري بدسائسه ، ودعاة السوء الذين يسمون المحرَّمات بغير اسمها ويفتون بحلِّها ، وأهل الأهواء الذي يتربصون بالعقيدة الدوائر ، والأئمة المُضلِّون الذين لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ويتبعون رغبات العامة في غير حق ، وغير أولئك من الذين ينصبون الأحابيل ويخفونها ويدخلون بها في منافذ القلوب ، وإنما يتسلط الوسواس من الصنفين على الذين يغفلون عن ذكر الله ويبتعدون عن شريعة الله ، فليس لهم حافظ من الله ولا هادي من شريعة الإسلام ، فيجد الوسواس من غفلتهم وجهلهم منافذ إلى قلوبهم ، ووسواس الناس أشد خطراً لأنه يظهر بمظهر الناصح الأمين والرفيق المطيع والصاحب النصوح فيحصل على ثقة عمياء فيدس السم في الدسم .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، ينبغي لكل مسلم أن يتخذ من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ورداً يتحصن به من شياطين الجن والإنس ، ومن شر كل ذي شر ، وأن يعتصم بالله وبأسمائه وصفاته وكلماته التامة من شياطين الجن والإنس ، فيقرأ آية الكرس والمعوذتين وسورة الإخلاص صباحاً ومساءاً ، وإذا أوى إلى فراشه ، ويلازم الاستغفار وذكر الله ، ويلازم اجتناب المعاصي وغض البصر وحفظ الفَرْج واجتناب أكل لحوم الناس وأموالهم .

اللَّهم إنَّا نعوذُ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، ونعوذُ بك من شياطين الجن والإنس ، ومن شر ما يستخفي في الليل ويسرب في النهار ، ونسألك الرحمة والمغفرة لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف السحر

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ (١) ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، واعلموا رحمني الله وإياكم أن مسمى السحر يُطلق على كل ما خفي ولطُفَ سببُه ، ولهذا جاء في الحديث : « إنَّ من البيان لسحراً » .

قال في فتح المجيد : قال محمد المقدسي في الكافي : السحر عزائم ورُقيً وعُقَد يؤثر بإذن الله . قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ ﴾ (٣) ، وقال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾ (٤) ولولا أن السحر له حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه .

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١ من سورة الملك .

(٣) سورة البقرة : ١٠٢

(٤) سورة الفلق : ٤

وقال القرطبي : وعندنا أن السحر له حقيقة يَخْلُق الله عندها ما يشاء ، ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة ، ومنه ما يكون كلاماً يُحفظ ورُقىً وطلاسم ، وقد يكون من إلقاء الشياطين ، ويكون أدوية وأدخنةَ وغيرَ ذلك ، والسحر من السبع الموبقات . ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » ، قالوا : يا رسول الله ؛ وما هنَّ ؟ قال : « الشرك بالله ، والسِّحرُ ، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات » .

وعن جندب بن عبد الله البجلي قال : « حدُّ الساحر ضربُه بالسيف ». (رواه الترمذي) .

وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال : بَجَالَةُ ابنُ عَبْدةَ التيمي ، فقتلنا ثلاث سواحر .

وقد اختلف العلماء في حَلِّ السحر عن المسحور ، والقول الذي تطمئن إليه النفس ما قاله ابن القيم رحمه الله .

قال : النشرة حَلُّ السحر عن المسحور وهي نوعان ، أحدهما :حل السحر بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يُحمل قول من قال : لا يحل السحر إلا ساحر .

والثاني : النشرة بالرقْيَةَ والتَّعَوُّذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

فاتقوا الله أيها المسلمون

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

الباب الثانى
الفضائل

بسم الله الرحمن الرحيم

« من فضائل القرآن »

٤٥ - القرآن حياة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ ﴾ [٢] ، اللّهم لك الحمد ، لا إلَه إلا أنت المنانُ ، بديع السموات والأرض ، ذو الجلالَ والإكرام ، بك نحيا وبك نموت وإليك النشور [٣] .

لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسكَ [٤] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ [٥] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اتخذه الله خليلاً وكليماً ، وأرسله رحمة للعالَمين بشيراً ونذيراً .

---

(١) ألقيت يوم ١٧/ ١٠/ ١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه . أخرجه أبو داود : برقم (٥٠٤٩) ، وإسناده صحيح .

(٤) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه مسلم : برقم (خاص ٢٢٢) ، و(عام ٤٨٦) .

(٥) سورة البقرة : ٢٥٥ (آية الكرسي) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن القلوب تحيا وتموت ، كما تحيا الأجسام وتموت ، ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [1] ، كما أن لها أمراضاً وآفات كما للأبدان : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [2] .

فحياة القلوب تستمدها من خالقها بكثرة ذكره وقوة صلتها وإيمانها بربها .

وشفاء أمراضها في العلاج الروحاني الذي أنزله ربُّها على طبيب الأرواح والأبدان ، نبينا محمد ﷺ ، فمتى انقطعت صلتها بخالقها انقطعت عنها مادة الحياة ، ومتى انصرفت عن شريعتها أصابتها الأمراض والأسقام ، فيظل القلب فارغاً ، أوْ لاهياً ، أو تائهاً وحائراً .

والنفس تظل عابسةَ كئيبةً نكدة حتى تتصل بمصدر حياتها ، وحتى تعود إلى قرآنها الذي فيه قوتها ونشاطها ، فيتبدل الفراغ بمعرفة تملأ القلب حيوية ونوراً ، ويتبدل اللهو والغفلة بالانتباه والتفكير والعمل خوفاً وطمعاً ، وتتبدل الحيرة بالاتجاه القويم على صراط الله المستقيم ، وتجد النفسُ آفاق الأمل والرجاء فسيحة أمامها ، فيتحوَّل الحزن والعبوس راحةً واطمئناناً ورضا بقدرُ الله ، لأنها عرفت أنها من الله وإلى الله وفي قبضة الله ، وأن لا ملجأ لها من الله إلا إليه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [3] .

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٢

(٢) سورة الحج : ٤٦

(٣) سورة الرعد : ٢٨

والإنسان في هذه الدنيا يخوض معركة مستمرة مع عدوه المبين من شياطين الجن . والمسلم يخوض معركة مع الشيطان ومع أعدائه من شياطين الإنس الذين يصدونه عن دينه وعقيدته ، فلا بد له من قوة يُعدها ، ولا بد له من حصن يتحصن به ، وإن قوة الإيمان بالله وكثرة ذكره عُدَّة للمؤمن وحصْن له حصين: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٣) .

من أجل ذلك حثَّ القرآن العظيم على كثرة ذكر الله . قال تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (٤)

كما حثَّت السنَّة المُطهَّرة على الذكر وبيَّنَت منزلته وتأثيره في الحياة . روى البخاري رحمه الله عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر الله مثلُ الحي والميت » (٥) .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أربع من أعطيهن فقد أعطى خيري الدنيا والآخرة : قلباً شاكراً ، ولساناً

---

(١) سورة فصلت : ٣٦

(٢) سورة الأعراف : ٢٠١

(٣) سورة الأنفال : ٤٥

(٤) سورة الأحزاب : ٤١ - ٤٢

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٧) الدعوات ، باب رقم (٦٦) : فضل ذكر الله عَزَّ وجَلَّ ، وهو من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : ٢٠٨/١١ (الفتح) .

ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً ، وزوجة لا تُتْبعه حُوباً في نفسها وماله » (رواه الطبراني بإسناد جيد [١] ، وروى نحوه ابن ماجه) [٢] .

ولَمَّا كان النبي ﷺ هو أعرف الناس بربه كان أكثرَهم ذكراً لله عَزَّ وجَلَّ ، فكان يذكر الله في كل أحيانه راقداً وقاعداً وقائماً ، ماشياً وراكباً ، مقيماً أو مسافراً ، في مسيره ونزوله ، وعند أكله وشربه ، وعند نومه واستيقاظه ، وعند قضاء حاجته ، وعند دخوله المنزل وخروجه ، ودخوله المسجد وخروجه ، وعند دخول الخلاء وخروجه ، وعند غسله ووضوئه ، وعند لبسه الثوب والنعل وغيرهما وخلعه ، وفي صباحه ومسائه ، وعند سماع المؤذن ، وفي الصلاة والتهجد ، وفي مجلسه وقيامه ، وكلما استجد أمر أو تغيرت حال ذكر الله بما يناسب المقام ، ولا يشغله ذلك عن تبليغ رسالته ، ولا عن تعليم أمته ، وتفقد أحوالهم وتدبير شئونهم .

والمقام لا يتسع لذكر نماذج من الأذكار والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ فليُرجع إليها في مظانها .

ذكر ابن القيم رحمه الله في الجزء الثاني من « زاد المعاد » طائفة منها ، كما ذكر الإمام النووي رحمه الله في كتابه « الأذكار » جملة منها [٣] .

---

(١) أورده العلامة الهيثمي في المجمع : ٢٧٣/٤ ، وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال الأوسط رجال الصحيح ، ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ابن ماجه برقم (١٨٥٦) ، باب رقم (٥) : أفضل النساء ، وهو من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ بسياق طويل وفيه هذا اللفظ وإسناده حسن .

(٣) هو كتاب قيم نافع في هذا الباب للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيي بن شرف المتوفي سنة ٦٧٦ هـ ، نشر مطبعة البابي الحلبي بمصر - الطبعة الرابعة - عام ١٣٧٥ هـ ، وقد خرّج الحافظ ابن حجر أحاديثه وسماه « نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار » مخطوط في المحمودية بالمدينة برقم (١١٧) ويوجد مخطوطاً بالخزانة المكية بالرباط برقم (٢٢٥٤) .

وفي « الورد المصطفى المختار » مجموعة من الأدعية والأذكار المأثورة جمعها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمة الله عليه ، وكان يدعو بها في صباحه ومسائه .

وأفضل الذكر : « لا إلَه إلا الله محمد رسول الله » خالصاً من القلب ، ومتى تكون خالصة من القلب ؟ إذا حجزت عن محارم الله .

وأفضل الدعاء « لا إلَه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » [١] .

وجماع الذكر : « سبحان الله والحمد لله ولا إلَه إلا الله والله أكبر » [٢] .

فاتقوا الله عباد الله ، اجعلوا ألسنتكم رطبة من ذكر الله [٣] ، وأحيوا قلوبكم بذكر الله ، فما قابل العبدُ ربَّه بشيء أفضل من ذكره ، ولا يدخل النار رجل ذكر الله خالياً (أي ليس عنده أحد) ففاضت عيناه [٤] بالدمع خوفاً وطمعاً خشية ورغبة .

اللَّهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك [٥] .

* *

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٥/٦٦٨ إلى أحمد في المسند ، والترمذي في جامعه ، والنسائي في سننه ، والحاكم وصححه ، وذكر غيرهم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ثم قال : لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له .

(٢) أبو داود : برقم (١٢٩) وابن ماجه برقم (١٣٨٧) ، وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، وإسناده حسن مع الشواهد . والله أعلم .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن بسر المازني رضي الله عنه : أحمد في المسند : ٤/١٨٨ ، وإسناده حسن .

(٤) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : البخاري : برقم (٦٦٠) : ٢/١٤٣ (الفتح) .

(٥) أحمد في المسند : ٢/٢٩٩ من دعاء النبي ﷺ وهو من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وإسناده صحيح .

بسم الله الرحمن الرحيم
« من فضائل الذكر »
كل عمل صالح من الذكر

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١) .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (٢) .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣)

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومَن اتبع سبيله ثم استقام .

أما بعد . .

فإن فضيلة الذكر ليست محصورة في التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، ونحوها ، بل كل عامل لطاعة الله تبارك وتعالى - أياً كان نوعُها ومنزلتُها - فهو ذاكرٌ لله ، والصلاة على النبي ﷺ من ذكر الله . قال النووي عن عطاء : إن مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام ، كيف يبيع ويشتري ، وكيف يصلى ويصوم ويحج ، وكيف يَنكح ويُطلِّق ، ونحوها ، وكيف يُربي

---

(١) سورة فاطر : ١

(٢) سورة الحديد : ٣

(٣) سورة التوبة : ١٢٨

الأولاد ويَصِل الأرحام ، ويكفل اليتيم ويَبر بالوالدين ، فكل طاعة لله ذكر لله (١) .

وأفضل الأعمال والأذكار ما ورد عن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ، وأئمة الهدى المتقين العارفين بالكتاب والسُنَّة .

أما الأذكار والتسابيح التي لا تتفق مع قواعد الشريعة وأهدافها ، مثل أوراد التيجانية وأشباههم ، وأذْكار مُنحرفي الصوفية ورقصاتهم ، والاقتصار على ضمير الغائب ، فليست مما وردت النصوص بفضلها وأجرها ، وإنما هي من ضلالات البدع .

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢) .

والذكر لا يتغير بزمن ولا صفة ، إلا ما رد الشرع باستثنائه ، فيجوز للجُنُب والحائض والنفساء أن يذكروا الله دون تلاوة القرآن ، فإنه يحرم عليهم قراءته حتى يغتسل الجُنُب وحتى ينقطع دم الحائض والنفساء وتغتسل بعد الطهر، ويجوز الذكرُ في كل مكان إلا في الخلاء والمزابل ، فلا يُدخَل الخلاء بشيء فيه ذكر الله ولايتكلم من دخله .

ويجوز الذكر على كل حال ، إلا حال قضاء حاجة الإنسان من بول أو غائط ، أو جماع ، ولكن يكون قبل هذه وبعدها .

---

(١) إشارة إلى الآية ٤٤ من سورة النحل .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٥

والمراد من الذكر حُضور القلب وتفهمُ معنى ما يقول الذاكر ، واستحضارُ المقصودِ الذي من أجله أتى بالذكر ، فلا بد من توافق القلب مع اللسان .

وإذا أراد الإنسان أن يعرف منزلته من ربه ، فلينظر منزلة الله عنده : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وصلُّوا على البشير النذير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة البقرة : ١٥٢

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

« من فضائل القرآن »

٤٦ - القرآن شفاء (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ (٢) ، ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، خلق بني آدم حنفاء فاجتالتهم الشياطين (٤) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبدَه ورسوله ، طبيب القلوب والأبدان .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فإن الله تبارك وتعالى أعطى آدم وذريته فضائل ومكارم ومميزات لم تكن لغيرهم من المخلوقات ، خلق آدم عليه السلام بيده ، وأسجد له ملائكته ، وكلَّمه وعلَّمه ، وأسكنه جنته وغفر له زلَّته وجعله خليفةً في أرضه ، وأعاذ من

---

(١) ألقيت يوم ١٩/٨/١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة التغابن : ١

(٤) إشارة إلى حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح برقم (خاص ٦٣) ، و(عام ٢٨٦٥) .

استعاذ به من ذُرِّيته ، وهدى من شاء من عَقِبه ، وأخبرهم بأنه لا صلاح لهم ولا فلاح إلا بِوَلاَيته ، وأرسل إليهم مبشرين ومنذرين لإصلاح معاشهم ومعادهم ، وعَرَف ضعفهم فرحمَهم ، وعرف عَجَلتهم فأمهلهم ، وتودد إليهم بأنواع النعم ، ولطف بهم في خطابه ، ورفق بهم في تشريعه ، يدعوهم إذا أدبَروا ، ويناديهم إذا عنه انصرفوا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ (١) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ (٢) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ (٣) ، ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ (٤) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ ﴾ (٥) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾ (٦) ، ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴾ (٧) .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ (٨) ، ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾ (٩) .

---

(١) سورة البقرة : ٢١
(٢) سورة الحج : ١
(٣) سورة فاطر : ٣
(٤) سورة فاطر : ١٥
(٥) سورة النساء : ١٧٠
(٦) سورة البقرة : ١٦٨
(٧) سورة الزمر : ٥٣
(٨) سورة الأعراف : ٢٦
(٩) سورة الأعراف : ٢٧

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (١) ، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢) .

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣) ، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (٤) .

وهل شكر بَنُو آدم هذه النعم وهل أدُّوها حقها ؟

لكن إذا اختلت الموازين عند الإنسان ، واضطربت المقاييس ، وانعكست التصورات ، فرأى القبيح حسناً والحسن قبيحاً ، ويأخذه الغرور فيُعمى قلبَه ويَطْمِس على بصيرته ، فلا يرى حقيقة عمله ، ولا يُصلح من شأنه لأنه مطمئن إلى أن عمله حَسَنٌ وإن كان عمله سيئا ، ولا يتراجع عن خطأه لأنه واثق بأنه لا يخطيء ، ولا يقف عند حد لأنه يتصور كل خطوة يخطوها إصلاح ، وهذا مرض معنوي ، وهو أخطر الأمراض على الإنسان لأن نتائجه تلازمه في الدنيا والآخرة .

أما المرض الحسي فقد تكون نتائجه في صالح الإنسان في عاجل أمره وآجله .

إذ الأمراض التي تصيب بني آدم نوعان : مرض القلوب ، ومرض الأبدان . وكلاهما ذُكِرا في القرآن .

---

(١) سورة الأعراف : ٣٥

(٢) سورة الأعراف : ٣٦

(٣) سورة يونس : ٣٢

(٤) سورة الأنعام : ١٠٢

ومرض القلوب نوعان : مرض شك وريب ، ومرض شهوة وغي .

قال تعالى في مرض الشك والريب : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (١) ، ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٢) .

وقال تبارك وتعالى مُحذِّراً من مرض الشهوة والمصابين به : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣) .

وأما مرض الأبدان فقال جلَّ شأنه : ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ (٤) ، ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (٥) .

وعلاج أمراض القلوب لا يحصل إلا بالوحي الذي جاء به نبينا محمد ﷺ ، فإن شفاء القلوب وصلاحها في معرفتها بربها وبأسمائه وصفاته ونِعمه وإحسانه حال كونها ، مُمْتثلة أوامره مُجْتنبة مناهيه ، فكل قلب آمن بالله وبرسالاته وبرسالة محمد ﷺ وأنها خاتمةٌ لها ناسخة فهو قلبٌ سليم ، وكل قلب فقد الإيمان أو شكَّ ، فلم يعمل المأمور ولم ينته عن المزجور فهو قلب مريض ، ويجب أن يُعالَج بالدواء الذي جاء به نبينا محمد ﷺ .

وأما علاج مرض الأبدان فيتوقف نجاحه على معرفة أسبابه ، فالطبيب الماهر يتعرف أولاً على سبب المرض ، فيعمل على قطع السبب ، ثم ينظر في المرض وصفته ، ثم ينظر في العلاج الذي يتلاءم معه ويزيله بلا ضرر .

---

(١) سورة البقرة : ١٠
(٢) سورة النور : ٥٠
(٣) سورة الأحزاب : ٣٢
(٤) سورة المزمل : ٢٠
(٥) سورة البقرة : ١٨٤

وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يُعْدل عنه إلى الدواء ، ومتى أمكن بالبسيط لا تعدل عنه إلى المركب . ولا ينبغي للطبيب أن يُكثر من أنواع العلاج للمريض ، ويقول : إن لم ينفع هذا نَفَع هذا ، فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داء أخذ من البدن أو أحدث داء آخر أو يزيد في المرض ، فإن الأدوية مثلُ الأغذية ، فإذا أكل الإنسان طعاماً دون حاجة إليه يسبب فساداً في المِعدة وتعفناً ويتحول إلى مادة تؤذي الجسم وأجهزته . وأخذُ الأسباب والتداوي مباح ، فإن المرض من مخلوقات الله وكل مخلوق له ضد ، وكل داء له دواء .

روى مسلم رحمه الله في صحيحه بسنده عن جابر بن الله عن النبي ﷺ أنه قال : « لكل داء دواء ، فإذا أُصيبَ دواءُ الداءِ بريء بإذن الله عَزَّ وجَلَّ » (١) ، وروي الإمام أحمد رحمه الله في المسند قال : جاءت الأعراب إلى النبي ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله أنتداوي ؟ فقال : « نعم يا عباد الله تداووا ، فإن الله عَزَّ وجَلَّ لم يضع داءً إلا وضع له شفاء غير دَاءٍ واحد » ، قالوا : ما هو يا رسول الله ؟ قال : « الهرم » (٢) .

والأخذُ بالأسباب المباحة لا ينافي التوكل على الله كما لا ينافيه تناول الطعام لدفع الجوع ، والشراب لدفع العطش ، أو الأخذ بأسباب الوقاية من الحر والبرد ، والاستعداد للعدو بالقوة ، بل هي أسباب مأمور بها ، والله

---

(١) رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح كتاب « السلام » حديث رقم (خاص ٦٩) ، و(عام ٢٢٠٤) بهذا اللفظ ، والبخاري برقم (٥٦٧٨) الطب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بغير هذا اللفظ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٤/٢٧٨ ، وإسناده جيد ، وهو من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه . ونحو هذا اللفظ أخرجه أبو داود في المسند برقم (٣٨٥٥) كتاب الطب .

تعالى هو الذي قدَّر المرض وخلقه ، وهو الذي قدَّر الشفاء ، فاستعمال الأسباب التي جعلها الخالق تعالى سبباً لحصول مسبباتها مثل التوحيد والتوكل .

رُوي في الأثر أن إبراهيم عليه السلام قال : يا رب ممن الداء ؟ قال : مني ، قال : فممن الدواء ؟ قال : مني ، قال : فما بال الطبيب ؟ قال : رجل أُرسل الدواء على يديه .

وفي استعمال الأسباب المباحة تقوية لنفس المريض ومعنويته ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « لكل داء دواء » (١) حث على طلب الدواء وتقوية لمعنوية المريض ورجائه ومعنوية الطبيب واجتهاده ، فإذا قويت معنوية المريض وتعلق قلبه بروح الرجاء بردت عنه مرارة اليأس وقهرت نفسه المرض ، وإذا قوى رجاء الطبيب اجتهد في تحصيل الدواء المناسب .

والقرآن الكريم أرشد إلى أنفع الأدوية وأقربها وأسهلها تناولاً : ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (٢) ، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ، ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ (٤) ، هذه الأدوية القلبية الروحانية أنفع علاج وأسرعه ، فاعتماد القلب على الله ، والتوكل عليه والالتجاء إليه ، والانكسار بين يديه والتذلل له ، والدعاء والتوبة والاستغفار ، والصدقة والإحسان إلى الخلق ، وإغاثة

---

(١) قد مضى الحديث وهو من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري ، البخاري (٥٦٧٨) الطب من حديث أبي هريرة ، ومسلم في الصحيح كتاب « السلام » حديث رقم (خاص ٦٩) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما .

(٢) سورة يونس : ٥٧

(٣) سورة الإسراء : ٨٢

(٤) سورة فصلت : ٤٤

الملهوف ، والتفريج عن المكروب [١] لها تأثير في علاج القلوب وعلاج الأبدان ، قد عرفه مَن جرَّبه ، ولكن إبليس يصد ابن آدم عن ربه وينسيه مصدر قوته وعلاجه . وإليكم هذه القصة لأحد الموحِّدين أقوياء التوحيد :

أصيب مسلم قوي الإيمان بالله بمرض في المرارة ، وقرر مجموعة من الأطباء ضرورة إجراء عملية لاستئصالها خشية أن تنفجر ، وكان الحج على الأبواب ، فقال ذلك الرجل الفاضل : نحن الآن في استقبال الحج ، والعملية تُعيقنا وسنحج إن شاء الله ولا يقدِّر الله إلا الخير ، فشفاه الله وحج بصحة وراحة ولم يَعُد يحس بمرضه .

وشاب أصيب بمرض ، فصار لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم ، وقرر الأطباء أن هذا المرض خطير وليس له علاج ، فأخذ أهله في التضرع إلى الله والدعاء والقرآن فشفاه الله ، فقال الأطباء : هذه قدرة الله أنقذته .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، علِّقوا آمالكم بالله ، وقووا صلتكم بالله ، واطلبوا حوائجكم من الله : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٢] .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، البخاري برقم (٢٤٤٢) المظالم باب (٣) وفيه هذا المعنى ، ومسلم في الصحيح كتاب « البر والصلة » من هذا الوجه واللفظ برقم (خاص ٥٩) .

(٢) سورة يونس : ١٠٧

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« من فضائل الإنسان تنظيم غذائه »

مراتب الغذاء

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، ثم لا يخفي أن الإنسان خُلِق من الماء والتراب ، وقد جعل الله قوام حياته على الغذاء والماء والهواء بالتساوي ، وإلى هذا أرشد النبي ﷺ بقوله عليه الصلاة والسلام : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صُلبه ، فإن كان لا بد فاعلاً ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسه » (٢) .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) أحمد في المسند : ٤/ ١٣٢ من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه ، والترمذي برقم (٢٣٨١) في الزهد ، وابن ماجه في السنن برقم (٣٣٤٩) في الأطعمة ، وحسَّنه الحافظ في الفتح : ٩/ ٤٦١ قاله المحقق على البغوي : ١٤/ ٢٤٩ ، وإسناده حسن .

فمراتب الغذاء ثلاث : مرتبة الحاجة ، ومرتبة الكفاية ، ومرتبة الفضلة ، فأرشد النبي ﷺ إلى المرتبة العليا وهي مرتبة الحاجة ، ورخّص في الثانية وهي الكفاية ، وأما الثالثة فقد نهى عنها صلى الله عليه وسلم في أول الحديث : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن » .

وتقسيم البطن أثلاثاً من أنفع الأسباب للبدن والقلب ، فإن البطن إذا مليء من الطعام ضاق عن الشراب ، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النَفَس ، وعرض له التعب والمشقة والكسل بمنزلة مَن يحمل حملاً ثقيلاً ، والشبع المفرط يُضعف القوي ويُنهك البدن وإن أخْصَبَه ، وإنما يقوي البدن بحسب ما يقبل من الغذاء لا بحسب كثرته .

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ (١) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة الأعراف : ٣١

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« من فضائل القرآن »

٤٧ - القرآن يعالج النفوس (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهديه واتبع مِلَّته .

أما بعد . .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وانظروا ما حولكم وما في العالَم من فتن واضطرابات وزعازع ، وتأملوا أسبابها وبواعثها ، ثم انظروا في واقع الفرد والجماعة فيما بينكم ، واتقوا الله في أنفسكم وفي أمتكم وفي أوطانكم : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٣) .

إن سعادة الأمة وكرامتَها وعزتَها ، بل وحياتَها وبقاء سلطانِها ، يعتمد على عقيدتها وعلى أخلاقها وفضائلها ، فمتى استقامت العقيدة التي أسست عليها ، ومتى كملت أخلاقها وفضائلها ، استقامت الأمة واجتمع شملها وتوحدت كلمتها ، وارتصت صفوفها وقوى سلطانها ، أما إذا تزعزعت العقيدة ، وهي

---

(١) ألقيت يوم ٥/٣/١٣٩٩ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة .

(٣) سورة الأنفال : ٢٥

القاعدة الأساسية للإسلام ، وهي الركن الأساسي لبناء صرح الأمة المسلمة ، وأما إذا تدهورت الأخلاق وذهبت المكارم وتدهورت الشيم والغيرة ، وهي الصرح الشامخ والحصون التي تحمي الأمة وتصون عزتها وسيادتها .

حينئذ يوشك أن ينهارَ الصرحُ ، وتذهب الهيبةُ ، ويتشتت الشمل ، وتفترق الكلمة ، وتُستباح البَيْضةُ وتُغمط الحقوق ، وتحل الذلة بعد العزة والإهانة بعد الكرامة .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، إن المعاصي إذا ظهرت فلم تُغيَّر ، لا تقف عند حد ، بل تسري في الأمة إلى كل بيت وإلى كل أسرة ، تسري فيها كما تسري النار في هشيم الوقود ، إن المعاصي هي أمراضُ المجتمع وضررُها أخطرُ من أمراض الأبدان . فكما أن الناسَ أفراداً وجماعاتٍ ودولاً ومنظماتٍ يهتمون كل الاهتمام بعلاج الأبدان ووقايتها من الأمراض ، ويهيئون المحاجر والمستشفيات ، ويعدون لها العلاج والمتخصصين ، يجب أيضاً الاهتمام بأمراض الأرواح وأمراض المجتمع ، يجب على المسلمين في كل مكان ، على كل فرد وشعب ودولة ومنظمة ، أن تهتم بأمراض الأرواح والعقيدة كما يهتمون بأمراض الأبدان ، وأن تُهيّأ لها الإمكانيات كما هُيئت لتلك ، وأن يُولَّى عليها أهلُ الاختصاصِ والنصح للإسلام .

إن القلب المؤمن ينعصر إذا رأى أو سمع ما يستورده بعض الناس - ومع الأسف من المسلمين ومن أبناء المسلمين - يستوردون من الشرق والغرب ومن أوكار الفساد معاول هدَّامة ، وانحرافات شرسة تهدم الإسلام وتسحق الأخلاق . عادات وتقاليد لا تتفق مع ديننا ، لباس خليع وحفلات غريبة وأشرطة سجل فيها أقوال غير مشروعة وأفلام تصف ما يجب أن يستر ، وأشرطة مسموعة ومرئيه تُعلِّم الفساد وتثير الغرائز وتدعو ضد الإسلام ، أضف إلى ذلك كتب الزندقة والبدع ، أفكاراً متسممة وآراء منحرفة ، وسُماً مدسوساً في دسم يراد منه التفرقة وتصدع الصف وفتح ثغرات يدخل منها المخرِّبون .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، يجب على كل مسلم أن يصلح من شأنه ومن شأن أولاده وأهله ، وأن يصلح ما يستطيع إصلاحه من جيرانه وعشيرته ، يجب التكاتف والتعاون وتحرمُ الغفلة والإهمال والاستسلام لعوامل الشر : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » (٣) .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وأنفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهي فيه عن المنكر ، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

اللَّهم إنَّا نستغفرك فاغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠٤

(٢) سورة المائدة : ٧٨ - ٨١

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب « الإيمان » ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأبو داود (١١٤٠) ، وأحمد : ٣/ ١٠ ، ٢٠ ، ٩٢

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكافحة جريمة الزنا

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله ، وأشهد أنّ محمداً رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم .

أما بعد . .

فإن الزنا جريمةٌ كبرى ، ومرضٌ اجتماعي خطير أخطر من أي جريمة أخرى ، لأنه أكبر فساداً وأعظم ذنباً بعد الشرك وقتل النفس ، بل الزنا قتل للنفس ، قتل للنطفة التى وضعت في غير موضعها الشرعي ، يتبعه غالباً الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق أو بعد أن يتخلق ، قبل مولده أو بعد مولده ، فإن تُرِك الطفل للحياة تُرِك في الغالب للملاجيء ، حياة مضيعة في المجتمع ، وهو قتل في صورة أخرى ، قتل للجماعة التي يفشو فيها الزنا ، فتضيع الأنساب وتختلط الدماء ، وتذهب الثقة في العِرض والولد ، وتتعطّل الجماعة وتتفكك روابطها ، فتنتهي إلى موت الإيمان وموت الضمير وموت الإنسانية .

ومن ناحية أخرى فهو قتل للجماعة ، إذ أن سهولة قضاء الشهوة عن طريق الزنا أو اللواط يجعل الحياة الزوجية لا ضرورة لها ، ويجعل الأسرة تبعة لا داعي لها ، والأسرة هي المعمل الذي يُصْلَح النشأ ورجال المستقبل ، ولا تصلح فطرة الطفل ولا تَسلم إلا بتربية الأسرة ، وما من أُمَّة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى الانحلال منذ التاريخ القديم إلى الوقت المعاصر ،

فالقرآن الكريم يحذِّر من مجرد مقاربة الزنا ، وهي مبالغة في التحذير لأن الزنا تدفع إليه شهوةٌ عنيفة تَثُورُ عند المقاربة ومُقدماته الأولى ، ولذلك حرَّم الإسلام الأسباب المؤدية إلى الزنا ، حرّم اختلاط الذكَر والأُنثى الأجنبيين عن بعضهما ، إلا في حالة ضرورة وعلى هيئة معيَّنة ، ونهى عن التبرج بالزينة ، وحث على الزواج للقادر عليه ، وأوصَى غير القادر بالصوم ، وكره الإسلام الحواجزَ التي تعرقل الزواج المشروع كالمغالاة في المهور ، ورتَّب عقوبة الزنا على الذكَر والأُنثى ، وما إلى ذلك من الأحكام الاجتماعية في الإسلام ليحمي المجتمع الإسلامي من التردي والانحلال .

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (١) .

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين وزوجاته أمهات المؤمنين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالَمين .

---

(١) سورة الإسراء : ٣٢

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهم آمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا واجعلهم للإسلام ناصرين ومؤيدين .

اللَّهم أصلح جميع أئمة المسلمين ، واهدهم سبل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وآمن جمع المسلمين في أوطانهم يا حي يا قيوم .

اللَّهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، اللَّهم نوِّر على أهل القبور قبورهم ، وارحم الأحياءَ ويسِّر لهم طرقَ الخير والسعادة ، وافتح بصائرهم لها ، واشف مرضى المسلمين ، واقض الدَّيْن عن المدينين يا أرحم الراحمين .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) ، فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

« من فضائل القرآن »

٤٨ - القرآن يأمر بالصدق (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣) ، واعلموا أن الله تبارك وتعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن ، وآتاه مثله معه (٤) ليكوِّن أمةً مسلمة تبقى ما بقيت الدنيا ، تؤمن بربها وتعمل برسالة نبيها ، وتتخلق بأخلاق قرآنها ، فاهمة واعية متعقلة ، فأسس صلى الله عليه وسلم أمة الإسلام كما أمره ربه ، وربَّاها كما شاء ربه ، وترك لها نظاماً تسير عليه في جميع مرافق حياتها ، وحتى في

---

(١) ألقيت يوم ١٣٩٩/١١/٦ هـ .

(٢) سورة الأعراف : ٤٣

(٣) سورة التوبة : ١١٩

(٤) إشارة إلى حديث المقدام بن معديكرب رضي الله عنه ، أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٤/ ١٣٠ - ١٣١ ، وأبو داود في السنن وإسناده صحيح .

سلوكها ، وأخبارها ، وستبقى هذه الأمة إن شاء الله تعالى لا يضرهم مَن خذلهم ، ثابتة على الحق منصورة بإذن الله حتى تقوم الساعة [١] .

فيجب على أمة الإسلام أن تكون كما ربَّاها رسولها ﷺ قوية الإيمان ، رفيعة الشأن ، صادقة القول ، سليمة الفطرة ، يجب أن تكون أخلاقها وأقوالُها وأفعالها صادرة عن إسلامها ، يجب أن تكون أمة أدَبُها رفيع وطموحُها شامخٌ ، تستمد أحاسيسها ومشاعرها وحركاتها من وحي ربها ، تبارك وتعالى ، ومن سُنَّة نبيها ﷺ .

والصدق هو الفارق بين المؤمن والمنافق ، فالصدق علامة الإيمان ، والكذبُ علامة النفاق ، بل الكذب هو قاعدة النفاق ، وقُطبه الذي يدور عليه ، فالمؤمن صادق الإيمان ، قلبه يستنير بنور الإيمان ، ولسانه يصدق في القول ، وجوارحه تُصدِّقُ قوله وتعكس بعملها صورة الأعمال الحقيقية في العمل والسلوك ، فأقواله تطابق أفعاله .

وأما المنافق فإنه كاذب في دعوى الإيمان ، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [٢] فأفعالهم تخالف أقوالهم ، وجوارحهم تظهر خفيات سرائرهم . ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [٣] .

قال رسول الله ﷺ : « أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كان فيه

---

(١) إشارة إلى حديث معاوية بن قرة المزني عن أبيه قرة بن إياس بن هلال رضي الله عنه أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، البخاري في المناقب باب (٣٨) ، ومسلم الإمارة حديث رقم (١٧٠) ، (١٧٤) ، والترمذي في جامعه : الفتن باب (٣١) ، (٥١) ، وابن ماجه في مقدمة السنن باب (١) والإمام أحمد في المسند : ٣/٤٣٦ .

(٢) سورة البقرة : ٨

(٣) سورة النساء : ١٤٢

خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعَها : إذا أئتمن خان .. وإذا حدَّث كذب .. وإذا عاهد غدر .. وإذا خاصم فجر » (٤) .

فالكذب علامة النفاق ومورد من موارد النار ، فيه فساد المعاملات والسلوك ، وما انتشر الكذب في أمة إلا انهارت اقتصادياتها ، وانحطت أخلاقها ، وتدهورت جميع أمورها ، وحلَّ بها سخط الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجلُ يصْدقُ ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجلُ يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » (٣) .

والذي يروج الكذب ويشيع الكذب ويتلقى الأخبار الكاذبة ويذيعها وهو يعرف مصدرها وأنه لا صحة لها . هذا من المرجفين ، الذين يتبعون كل زاعق وناعق ، ليس لديهم ثبات الإيمان ، ولا تعقل العقلاء ، أفئدتهم تلعب بها الأعاصير : « كفى بالمرء إثماً أن يُحدِّث بكل ما سمع » (٤) .

وإننا نسمع بين حين وآخر أنواعاً من الإشاعات ليس لها أصل من الصحة ، بل ينفيها العقل السليم ، وتطردها الفطرة ولا يقرها الإسلام ، مثل المنشورات

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أخرجه الشيخان البخاري : ٥/ ٧٧ المظالم ، ومسلم في الصحيح : العلم ، باب : الألد الخصم ، حديث رقم (٢٦٦٨) .

(٢) سورة غافر : ٢٨

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح : البر والصلة برقم (١٠٤) ، (١٠٥) ، والإمام أحمد في المسند : ٣٨٤/١ ، ٣٩٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ .

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح في المقدمة : ١٥/١ معلقاً ، وأبو داود في السنن : ٢٩٨/٤ برقم (٤٩٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورجح أبو داود إرساله .

التي تُوزع في كل عام باسم شخص مجهول يتسمى باسم الشيخ أحمد [١] ، ومثل ما شاع في هذه الأيام بأن امرأة ماتت ودُفنت في البقيع وبعد ثلاثة أيام أخرجت فإذا هي حية وفيها آثار العذاب بالنار ، وكل مرجف يزيد فيها ما يشاء ، هذه كلها وأمثالها ليس لها مصدر حقيقي وليس لها أساس من الصحة ، وإنما ينشرها بعض المنافقين بقصد تشكيك المُسلمين في أخبارهم ونزع الثقة بينهم ، فإذا شَكَّ المسلمون في أخبارهم شكُّوا في دينهم لأنهم تناقلوه بالأخبار ، وإذا شكُّوا في دينهم انصرفوا عنه ، وإذا انصرفوا عنه هلكوا وضُربت عليهم الذلة والمسكنة والهوان وصاروا ألعوبة للأعداء ولقمة سائغة للآكلين ، وغرضاً ثابتاً للعابثين .

إنني لا أستغرب خروج هذه الإرجافات والأكاذيب في هذا الزمن الذي غُزي فيه الإسلام في عقر داره من كل جهة ، وإنما أستغرب سرعة قبول الناس لهذه الأخبار وتلقيها بالقبول والتصديق ، وهم مسلمون .

والواجب على المسلم العاقل ألا يُصدِّق بأي خبر حتى يعرف مصدره وحتى يتأكد من صحته ، أما الإشاعات التي تُبَثُّ باسم يقولونه ، فلا ينبغي تصديقها ولا الاستماع لها ، يجب على المسلم التثبت فيما يسمع وألا ينْقل إلا ما ثبت عنده أنه صدق .

وإذا كان كثير من الناس ذهب إلى المستشفى للاطلاع على المرأة صاحبة القصة المكذوبة ويلح ويدَّعي بأنها مخفية ، وبعضهم يتساءل بالتليفون . إذا كانت قلوب هؤلاء من الخفَّة والرعاعة بهذه المثابة ، فكيف إذا قيل إن شخصاً يدَّعي الربوبية ومعه جنة ونار ، ويأمر السماء أن تمطر فتجيب ، ويأمر الأرض أن تنبت فتخصب ، وينشر الشاب بالمنشار ثم يأمره بالقيام فيقوم حياً

---

(١) وقد وصلت هذه الوصية المكذوبة إلى أقطار العالَم في جميع اللغات ، ومنها اللغة السندية ، وكنا نقرأها على الناس في المساجد أيام الجمع والأعياد والمناسبات البدعية . . ولم يتمكن أحد أن يطلع على الأفاك الأثيم إلى يومنا هذا . والله أعلم .

يضحك ، يُخشى أن هؤلاء وأمثالهم يسرعون إليه وهو فتنة يفتتن بها الناس ، إلا من حماه الله وحفظه ، وهو المسيح الدجال الكذاب .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ولا تتساهلوا بالأمور تظنونها أحاديث مجالس ونكتاً ومقالب تتداولونها بينكم ثم تذهب مع الرياح ، ولكنها أعظم مما تظنون ، أهدافها سيئة ، ونتائجها خبيثة ، وهي تُحصَى عليكم وتُسجَّل في دواوينكم : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (١) .

اللَّهم إنَّا نعوذ بك من فتنة المحيا ومن فتنة الممات ومن فتنة المسيح الدجال (٢) .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين (٣) .

اللَّهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم.

* *

---

(١) سورة ق : ١٨

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، أخرجه البخاري في الصحيح : صفة الصلاة : ٢/٢٦٣ - ٢٦٤ ، ومسلم في المساجد برقم (٥٨٩) باب : ما يستعاذ منه في الصلاة .

(٣) هذا حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٣/٤٢٤ ، وذلك من حديث عبيد ابن رفاعة الزرقي رضي الله عنه بسياق طويل ، وفيه هذا الدعاء وإسناده هكذا . قال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، ثنا عبد الواحد بن أيمن المكي ، عن عبيد الله بن عبد الله الزرقي ، عن أبيه ، قال : وقال الفزاري مرة ، عن ابن رفاعة الزرقي عن أبيه ، قال : قال أبي ، وقال غير الفزاري : عبيد بن رفاعة الزرقي ، قال : لما كان يوم أُحُد ، وانكفأ المشركون ، قال رسول الله ﷺ : « استووا حتى أثنى على ربي » ، فصاروا خلفه ، ثم ذكر الحديث الطويل وفيه هذا الدعاء .

قلت : إن هذا الحديث مرسل ، وقد تكلم الحافظ في التهذيب : ٧/٦٥ رقم الترجمة (١٣٣) ، وقال : هو عبيد بن رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان الأنصاري الزرقي ، وقيل فيه : عبيد الله أرسل عن النبي ﷺ .

قلت : كان في عهد النبي ﷺ وكان صغيراً لم يرو عنه والله أعلم .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الصدق من فضل هذه الأمة »

الرسول ﷺ يحذر من الدجال

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه .

أما بعد . .

« فإن للشيطان نفوذاً على ابن آدم فهو يجري فيه مجرى الدم » (٢) ، ولكن الإيمان يطرده ويدافعه ، وإن الشيطان حريص على إغواء بني آدم والإضرار بهم بأي نوع من الضرر ، وإن إشاعة الكذب وترويجه من أعمال الشيطان ووسوسته ، ليصدِّق الناسُ بالكذب ويقبلوه تمهيداً للتصديق بالمسيح الدجال الذي أنذرنا عنه النبي ﷺ وحذَّرنا منه .

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : ذكر لنا رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفَّض فيه ورفَّع حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رُحنا

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها . أخرجه البخاري في مواضع عديدة منها الأحكام رقم الباب (٣١) ، ومسلم أيضاً ، والإمام أحمد في المسند : ٦/٣٣٧ ، وقد مضى تخريجه في خطبة الرقي والتمائم .

إليه عَرف ذلك فينا ، فقال : « ما شأنكم » ؟ قلنا : يا رسول الله ؛ ذكرتَ الدجال الغداة وخفَّضت فيه ورفَّعت حتى ظنناه في طائفة النخل ، فقال : « غيرُ الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم » .

« إنه شاب قططٌ عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قَطَن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج خلَّة بين الشام والعراق ، فعاث يميناً وشمالاً ، يا عباد الله فاثبتوا » ، قلنا : يا رسول الله وما لبثه في الأرض ؟

قال : « أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » ، قلنا : يا رسول الله ، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟

قال : « لا أقدروا له قدْره » ، قلنا : يا رسول الله ؛ وما إسراعه في الأرض ؟

قال : « كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطُر والأرض تنبت ، فتروحُ عليهم سارحتُهم أطولَ ما كانت ذُرَى ، واسبغهَ ضُروعاً ، وأمدَّه خواصِرَ ، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها أخْرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رَمْية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك » .

والحديث طويل ذكره الإمام النووي رحمه الله في رياض الصالحين ، في

كتاب « الملح والمنثورات » ، وعزا روايته إلى الإمام مسلم رحمه الله تعالى [١] ذكر فيه نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال ، وخبر يأجوج ومأجوج ومَن بعدهم ، وفيه مواعظُ وعِبَرٌ فليُرجع إليه .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واعلموا أن ترويج الكذب وإشاعته وتصديقه من الشيطان تمهيداً للتصديق بالدجال الكذاب ، فاثبتوا أيها المؤمنون ، وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [٢] .

اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، وارض اللَّهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبيك أمهات المؤمنين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهم ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهم آمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد واجعلهم هداة مهتدين .

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب « الفتن » ، باب (٢٠) ، وعقد عليه النووي بقوله : باب ذكر الدجال وصفته ، وما معه حديث رقم (خاص١١٠) ، و(عام ٢٩٣٦) : ٤/ ٢٢٥٠ - ٢٢٥٥ بسياق طويل ، وذلك من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ، وأخرجه أيضاً من هذا الوجه الترمذي في جامعه باب (٥٩) ، وابن ماجه في السنن : الفتن باب (٣٣) ، والإمام أحمد في المسند : ٤/ ١٨١ - ١٨٢ ، وذلك من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهم اصلح جميع ولاة المسلمين واهدهم سبل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور إنك على كل شيء قدير .

اللَّهم اغفر لجميع المسلمين الأحياء والميتين ، وفرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« من فضائل القرآن »

٤٩ - القرآن يُحَذِّر من المعاصي [1]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ ﴾ [2] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ ﴾ [3] .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله .

أما بعد . .

فأوصيكم أيها الناس وإياي بتقوى الله ، فاتقوا ربكم وراقبوه ، وتوبوا إليه جميعاً واستغفروه ، واعلموا أن الذنوب تؤثر في الأرواح والأبدان كما تؤثر في الأهل والولد ، وتفسد الحرث والنسل . وهي سبب للحرمان والهلاك والخسران .

---

(١) ألقيت يوم ١٨/ ٥/ ١٤٠٥ هـ .

(٢) سورة الأنعام : ١ - ٢

(٣) سورة الأنعام : ٣

وكل ما في الدنيا من أضرار وشرور وأمراض إنما سببها الذنوب والمعاصي ، وكل ما في الآخرة من عقوبات فبسبب المعاصي ، فما الذي أخرج الأبوين آدم وحواء عليهما السلام من الجنة ، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الهموم والأحزان والمصائب والآلام ؟ إنه الذنب .

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السموات وطرده وأبدله بالقرب بعُدْاً وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحاً وبالجنة ناراً تلظى وبالإيمان كفراً ؟ إنه المعصية .

وما الذي أغرق أهل الأرض قوم نوح حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال ، فلم ينج إلا نوح ومَن معه في السفينة ؟ إنها المعاصي .

وما الذي سلَّط الريح العقيم على عاد قوم هود ، فجعلهم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحرثهم وزروعهم ودوابهم : ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١) ؟ إنه معصية الله .

وما الذي أرسل الصيحة على ثمود قوم صالح فقطعت قلوبهم في أجوافهم ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها وأبعدهم الله من رحمته بسبب معصية الله ؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمع الملائكةُ نباح كلابهم ثم قَلَبها ربها عليهم وجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ؟

وما الذي أرسل على مدين قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل فأمطر عليهم ناراً تلظى فحمستهم حمساً ؟

وما الذي أغرق فرعون وجنده في البحر : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ

---

(١) سورة الذاريات : ٤٢

﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [1] ؟ إنها المعاصي .

وما الذي خسف بقارون وبداره الأرض ؟ إنه طغيانه وجحده لنعم الله .

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميراً ؟ إنها سيئات أعمالهم .

وما الذي بعث على بني إسرائيل قوماً أولى بأس شديد ؟ فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذراري .

وما الذي ضرب عليهم الذلة والمسكنة واللعنة إلى يوم القيامة ؟

إنه معصية الله .

روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن جبير بن نُفير عن أبيه قال : لما فتحت قبرص فُرِّق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض ، فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي فقلت : يا أبا الدرداء ؛ ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ؟ فقال : ويحك يا جبير ، ما أهونُ الخلق على الله عَزَّ وجَلَّ إذا أضاعوا أمره ، بينما هم أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى .

وعن ابن عمر يرفعه : « والذي نفسُ محمد بيده ليُنقضى الإسلام عروةَ عروة حتى لا يقال : الله الله » ، « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعوا خياركم فلا

---

(١) سورة هود : ٩٨ - ٩٩

يُستجاب لهم » (١) ، « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليبعثن الله عليكم مَن لا يرحم صغيركم ولا يُوقِّر كبيركم » .

إن من غفلة الإنسان عن نفسه وإعراضه عن الله أن يرى ما يسخط الله فيتجاوزه ولا يأمر فيه ولا ينهي عنه خوفاً ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً .

ومَن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نُزِعَت منه الطاعة ، ولو أمر ولده أو بعض خدمه لاستخف بحقه .

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » ، وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً كمثل القوم نَزَلوا بأرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق ، فيجيء بالعود والرجل يجيىء بالبعرة حتى جمعوا سواداً وأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها (٢) .

وفي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر وإنَّا كنا لنعدها على زمن رسول الله ﷺ في الموبقات (٣) .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « عُذِّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت ، لا هي أطعمتها ولا سقتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض ، فدخلت النار » (٤) .

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٦٦) : رواه الطبراني والبزار وفيه حبان بن علي وهو متروك ، وقد وثقه ابن معين في رواية ، وضعَّفه في غيرها .

(٢) حديث حسن ، أخرجه أحمد في مسنده : ١/٤٠٢ ، والطبراني : ١٠/٢٦١

(٣) صحيح البخاري : ٨/١٢٨ كتاب « الرقاق » باب (٣٢) .

(٤) صحيح البخاري مع فتح البارى : ٦/٣٧٩ - ٣٨٠ ، ومسلم (٢٧٥٦) . ولفظ البخارى : دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض .

إن تأثير المعصية قد يَتَأخر فيُنسَى ويَظُن العبد أن هذا الذنب لا يغير شيئاً ، وهذا خطأ فإن أثار المعاصي قد تتأخر سنين ، بل قد تكون آثار بعض المعاصي لا تظهر إلا في الذُرِّية إذا لم يتب العاصي إلى الله ويستغفره .

وللمعاصي من الأضرار ، الآثار القبيحة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله .

فمنها حرمانُ العلم ، ووحشةٌ بين العاصي ونفسه وبينه وبين الصالحين ، وتعسير أمور العاصي ، وإضعاف إرادة القلب ، إنها تسبب الهوان على الله ، وتُورث الذل والصغار والحقران ، توجب الطبْع على القلب ، واللعنة من الله ، تحرم العاصي دعاء النبي ﷺ واستغفار الملائكة ، تسبب عذاب القبر ووحشته ، وتطفيء الغيرة من النفس وتُذهب الحياء ، تزيل النعم وتسبب النقم ، وتمحق بركة العمر وتجعل صاحبها من السفلة المحتقرين ، تُهلك الحرث والنسل ، وتسلط الأعداء .

فاتقوا الله يا عباد الله ، راقبوا ربكم وتوبوا إليه ، واستغفروه :
﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١) .

* *

(١) سورة لقمان : ٣٣

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الله يغار على حرماته

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإنه « لا أحد أغير من الله ، فمن أجل ذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (٢) ، « ولا أحد أحب إليه العُذْر ، من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين منذرين » (٣) ، « ولا أحد أحب إليه المدح من الله ، من أجل ذلك أثنى على نفسه » (٢) بما هو أهله « إن من الغيرة ما يحبها الله ، ومنها ما يبغضها الله ، فالتي يبغضها : الغيرة من غير ريبة » (٤) .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : ٧٢/٦

(٣) صحيح البخاري : ١٥١/٩

(٤) حديث حسن أخرجه أحمد : ٤٤٥/٥ - ٤٤٦ ، وأبو داود برقم (٢٦٥٩) ، والنسائي : ٣٥٦/١

كفى بالمعاصي عقوبة أن يرفع الله عَزَّ وجَلَّ مهابة العاصي من قلوب الخلق ويهون عليهم كما هان عليه أمر الله واستخف بحرمات الله ، فعلى قدر محبة العبد لله يُحبه الناس ، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس ، وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يُعظِّمه الناس ، وكيف ينتهك عبد حرمات الله ويطمع أن لا ينتهك الناس حرماته ، أم كيف يهون عليه حق الله ولا يهون على خلق الله ، أم كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به خلق الله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝١٩ ﴾ (١) .

فعاقبة مَن ترك التقوى أن يُنْسِيَه الله نفسه ، فينسى مصالحه وعواقب أمره ، فترى العاصي مهملاً لمصالحه مضيِّعاً لشئونه ولأهل بيته ، فلا يقوم بحقوقهم ولا يرعى شئونهم ، ولا يبالي بشعورهم ، وكفى بالمرء إثماً أن يُضيِّع من يعول .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة الحشر : ١٨ ، ١٩

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« من فضائل القرآن »

٥٠ - القرآن ينظم حياة البَشر [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، وفضَّله على كثير من العالَمين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، علَّم الإنسان ما لم يعلم ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالَمين .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فخير ما يوصي به المسلم أخاه المسلم : تقوى الله ، وخير ما يتحلَّى به المسلم في سِرِّه وعلانيته ، تقوى الله ، فهي ملاك الأمر ، وجماع الخير ، ومصدر التوفيق ، وهي سبيل السعادة في الدنيا والآخرة ، فأوصيكم وإياي بتقوى الله .

أيها الإخوة في الإسلام : إن الناس ينظرون إلى العلم الحديث وتطوراته واكتشافاته وربطه بالإيمان بأحد منظارين ، إما بمنظار صافٍ يكشف الأمور

---

(١) ألقيت يوم

(٢) سورة الفاتحة : ٢

على حقيقتها ، أو بمنظار منكوس عليه غشاوة يبعد الأشياء عن واقعها ، ويخفي حقائقها ، فالذين هداهم الله ، زادهم العلم إيماناً بالخالق وبقدرة الخالق تبارك وتعالى ، يعرفون أنها من نِعَم الله على الإنسان ، إذ علَّمه ما لم يعلم ، ويعلمون أن المواد والإنسان من صنع الله .

وأما الذين في قلوبهم مرض ، فزادهم رجساً إلى رجسهم فيزعمون بأن العلم الجديد لا يتفق مع الإسلام ، وأنه ليس هناك غيب يخفى على الإنسان .

إن الإسلام لا يتعارض مع العلم ، بل الإسلام هو مصدر العلم ، أرشد إليه وحثَّ عليه ، فأول سورة نزلت على نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم - وهي أول آيات نزلت من السماء إلى الأرض - تحث على العلم وتخبر بأنه من أكبر نِعَم الله على الإنسان : بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١) .

فالله هو الذي خلق وهو الذي علَّم ، والإنسان يتعلم ما يُعَلَّم ، ويعْلم ما عُلِّم ، فمصدر ذلك كله من الله : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

فالذي شرع الإسلام هو الذي علَّم الإنسان ، وما أجمل الجمع بين العلم والإيمان ، والجمع بين العلم والعبادة : ﴿ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة العلق : ١ - ٥

(٢) سورة النحل : ٧٨

(٣) سورة الأنعام : ٣٣

إن العلم يدعو للإيمان : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (١) ، ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢) .

وبعض الناس يظن أن الاكتشافات الحديثة لبعض سنن الكون تتنافى مع الإيمان بالغيب ، بل بعض الناس يقول : إنه لم يبق غيب يخفى على الناس ، مستدلين على تصوُّراتهم الخاطئة بما توصل إليه العلم من معرفة بعض الأمور التي كانت تخفي عليهم مثل معرفة أحوال الجنين في بطن أُمِّه ، ومعرفة مقدمات نزول المطر ، واتجاهات الرياح وما إلى ذلك من السنن الكونية التي لها دلالات وعلامات ظاهرة يعرفها مَن تأملها : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (٣) .

وإذا تأمل الإنسان القرآن الكريم علِم أن هناك غيباً استأثر الله بعلمه لا تصل إليه طاقة البَشر ، وهناك سنن كونية ثابتة إذا تأملها الإنسان وتابعها علم منها ما تصل إليه قدرته البَشرية ، فما اكتُشِف من صفات الجنين أمور ظاهرة تُعرف بالآلات الحديثة ، وكانت أُصولها موجودة من القِدَم تُعرف بعلامات التجارب وتتبع السنن الكونية ، وكُلاًّ من العلم القديم والعلم الحديث أمور ظنية قد تصيب وقد تخطيء ، ومهما تطور العلم والاكتشاف فما يخفي في علم الله عن البَشر أعظم وأدق : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (٤) ، ولنأخذ مثلاً من الإنسان نفسه . .

يقول علماء التناسل : إن النقطة من ماء الرجل تحتوي على ملايين

---

(١) سورة فصلت : ٥٣

(٢) سورة الذاريات : ٢٠ - ٢١

(٣) سورة الروم : ٧

(٤) سورة الإسراء : ٨٥

الحيوانات الحية لها إرادة ورغبة واتجاه ، تتسابق إلى تلقيح البويضة في الرحم ، وكل حيوان يشتمل على العناصر الأساسية لتكوين جسم الإنسان حتى الشعر والظفر فما أصيب منها اختل ذلك العضو ، فهل الإنسان أو العلم يستطيع أن يكشف كيف تكوَّنت هذه الحيوانات ومقوماتها ؟ إنه لا يستطيع فهي في علم الله وحده .

هل يستطيع العلم أن يحدد الحيوان الذي يمكن أن يسبق ويلقح ؟ إنه لا يستطيع ، هل يستطيع أن يحدد مدة حياته ونوع عمله ؟ إنه لا يستطيع ، بل الأبوان لا حول لهما في ذلك ولا قوة ، وإنما الأمر كله لله : ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [(١)] .

فالإنسان مهما بلغ من العلم والتقدم فلا زال في بحر الجهالة . . مَهْمَا بلغ ومهما اكتشف ومهما زعم وادّعى .

وهناك أمور غيبية تحيط بالإنسان لا يعلمها إلا الله : والملائكة ، والجن ، والأرواح ، والأرزاق ، والحياة والموت ، والصحة والمرض ، بل جسم الإنسان يشتمل على ملايين الحركات والأعمال والأجهزة لا يعلمها إلا الله ، لا حول للإنسان فيها ولا قوة ، وأكرر : إن العلم يدعو للإيمان لو وافقه قلوباً واعية وأفكاراً سليمة .

نُقِل أن بعض رُوَّاد الفضاء لما رأى كوناً عظيماً هائلاً يسير بنظام قال : إنه لا بد لهذا الكون من خالق ومدبر . فغيَّب خبره الكافرون .

وقال آخر منهم : إنه رأى نوراً صاعداً من جزيرة العرب إلى السماء ، وما هو إلا النور المتصل من البيت المعمور في الأرض إلى البيت المعمور في السماء .

---

(١) سورة الشورى : ٤٩ - ٥٠

ونُقِل عن رائد ثالث ، أنه زار إحدى البلاد الإسلامية فسمع الأذان ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : إعلام بدخول وقت الصلاة ، قال : لقد سمعت هذا النداء في مركبة الفضاء ، وسواء صدق أو كذب قد أخبرنا القرآن الكريم بذلك : ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ (١) .

اللّهم إنَّا نسألك إيماناً صادقاً ، وفهماً لكتابك صحيحاً ، وعملاً صالحاً مقبولاً ، وبارك لنا في القرآن الكريم .

* *

(١) سورة فاطر : ١٠

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنما الأعمال بالنيات

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد . .

فإن ثلاث قواعد ترتكز عليها قوة الأمة وسعادتها ، فليس لأمة الإسلام عزة ولا كرامة إلا إذا اعتمدت عليها وهي المذكورة في قوله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (١) .

فتقوى الله هي القاعدة الأولى : وهي مراقبته خوفاً وطمعاً في السر والعلن والليل والنهار ، في الصحة والمرض ، وفي الفقر والغنى ، وفي القوة والضعف .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

والقاعدة الثانية : التناصح والتآخي على أساس التقوى لله ومن أجل الله .

والقاعدة الثالثة : شكر الله على آلائه وتذكر نعمه ، خَلَقَ من العدم ، ووهب السمع والبصر والفؤاد ، وعلَّم الإنسان بعد الجهالة ، ويسَّر الأرزاق ، وهيأ الأسباب .

فاتقوا الله أيها المؤمنون تعاطفوا وتراحموا وتعاونوا وكونوا عباد الله إخواناً .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

« من فضائل القرآن »

٥١ - القرآن يحث على العمل (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ (٢) ، خلق الإنسان في أحسن تقويم (٣) ، وفضَّله على كثير من العالَمين (٤) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، منه المبتدأ وإليه المنتهى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وخير العاملين .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، وبالتوبة النصوح : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٥) ، ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن الإنسان مجبول على أمرين أساسيين لا غنى له عنهما أبداً .

الأول : الإيمان بربه وهو العهد الذي أخذه الخالق تبارك وتعالى على

---

(١) ألقيت يوم

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى معناه في الآية ٤ من سورة التين .

(٤) إشارة إلى الآية ٧٠ من سورة الإسراء .

(٥) سورة النور : ٣١

بني آدم : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (١) .

وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهي الدين القيم . روى الإمام البخاري رحمه الله حديثاً بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه » (٢) .

الأمر الثاني : العمل والكدح ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ (٣) ، ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ (٤) .

والإسلام هو دين الفطرة يجمع بين الإيمان والعمل ، العمل لإصلاح الآخرة والعمل لإصلاح الدنيا بكل متطلباتها ، فلا يبلغ أحد رزقه ، ولا يأمن أحد في سيره إلا بجهد وعمل وتعب ، سواء أكان تعباً بدنياً ، أو تعباً فكرياً وكدَّ مشاعر ، والله تعالى خلق الأرض وبذر فيها أقواتها ، وجعلها تحتاج إلى عمل لإنتاجها وبحث وتعب لإخراجها لكي يستعمل الإنسان مواهبه وقدراته التي وهبها له .

والقرآن الكريم ، وهو نظام الإسلام ودستور المسلم يحث على العمل ، وعلى التعاون والتكاتف ، ويحث على التصنيع والإنتاج ، وأخذ الاستعداد .

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٢

(٢) هذا لفظ مسلم في الصحيح : القدر ، حديث رقم (٢٦٥٨) القدر ، باب : كل مولود يولد على الفطرة ، وللبخاري في الصحيح بمعناه : ٤٣٢/١١ : الفتح ، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) الانشقاق : ٦

(٤) سورة البلد : ٤

قال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (١) .

وقال نبينا محمد ﷺ فيما رواه البيهقي عن عقبة بن عامر : « إن الله عزَّ وجلَّ يُدخِل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب في صنعه الخير ، والذي يُجهز به في سبيل الله ، والذي يرمي به في سبيل الله » (٢) .

والعُدَّة هي كل ما تقتضيه الحاجة بجميع أنواعها وأشكالها وأحجامها وأسبابها ، والقوة كل ما يدفع الأعداء ويفتح الطريق أمام الدعوة ، والسهم كل ما يُرمى به الهدف أياً كان نوعه ومهما سمي .

كما حثَّ القرآن الكريم على إصلاح الأموال وتنميتها وحفظها وتنظيم مصارفها : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ (٣) ، كما أباح الكسب الحلال والعمل في التجارة والضرب في الأرض لكسب المال ، ورغَّب فيه ، وبيَّن أن الإنفاق في طاعة الله من أفضل القُرَب ومن أجلِّ الأعمال الصالحة التي تُقرِّب من الله : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ

---

(١) سورة الأنفال : ٥٩ - ٦٠

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٤/ ١٤٤ من حديث عقبة بن عمار رضي الله عنه ، وإسناده صحيح ، وأخرجه أيضاً أصحاب السنن الأربعة والدارمي في سننه من هذا الوجه واللفظ ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى : ١٠/ ١٣ ، ٢١٨ من هذا الوجه واللفظ أيضاً .

(٣) سورة النساء : ٥

لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (١) ، ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ (٢) .

وروى البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الفقراء إلى النبي ﷺ وقالوا : ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم ، يُصلُّون كما نُصلِّي ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل أموالهم يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون ، قال : « ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم مَن سبقكم ، ولم يدرككم أحد بعدكم ، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه ، إلا مَن عمل مثله : تُسبِّحون وتحمدون وتُكبِّرون ، خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين » (٣) .

وفي بعض الروايات : أن الأغنياء عملوا بما عمل به إخوانهم من التسبيح والتحميد والتكبير ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » (٤) .

والأموال لا تُحصَّل إلا بالعمل والكد ، والتجارة لا تكون إلا بمشقة ، وعناء وطول عمل .

---

(١) سورة البقرة : ٢٦١

(٢) سورة البقرة : ٢٦٥

(٣) البخاري : فتح الباري : ٢/ ٣٢٥ ، باب : الذكر بعد الصلاة ، رقم (٨٤٣) كتاب « الأذان » ، باب (١٥٥) : الذكر بعد الصلاة ، وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم في الصحيح أيضاً من هذا الوجه واللفظ كتاب « المساجد » : حديث رقم (خاص ١٤٢) ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند : ٢/ ٢٣٨

(٤) إن هذه الزيادة أخرجها مسلم في الصحيح من طريق أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً ، حديث رقم (خاص ١٤٢) المساجد و(عام ٥٩٥) : ١/ ٤١٦ - ٤١٧

جاء شاب إلى النبي ﷺ يسأله ، فأعطاه دراهم ونهاه عن المسألة ، وقال : « اشتر فأساً وحبلاً واحتطب وبع ولا أراك جمعة » ، وبعدها جاء وقد تحصَّل على خير من المال وذاق طعم الكسب ولذة العمل والاستغناء وشق طريقه إلى الحياة .

فالإسلام إذاً يحث على العمل والتصنيع والإنتاج ، وما أثير من دعايات ضد الإسلام بأنه دين محراب وركود ، ولا يتفق مع العلم ونشاطات الحياة ، فإنما هي دعايات كاذبة ، نظمها أعداء الإسلام لصد الناس عنه ، وكان فيما مضى لها رواج في بعض الأوساط الإسلامية فعزلوا الإسلام عن التعليم وعن التنظيم ، وعن السياسة والحركة ، ولكن الباطل مهما صال وجال فإنه سيضمحل ، لقد انتشر الوعي في بعض شباب المسلمين وأدركوا واقع الحال وعلموا كذب المفترين ، وعرفوا حقيقة الإسلام ونظامه فرجعوا إلى الحقيقة .

نرى أطباء ، ومهندسين ، وچلوچيين ، وطيارين ، ورتباً عسكرية عالية ، ومثقفين ، وعلماء في العلم الحديث ، قد جمعوا بين العلم والإيمان ، وجمعوا بين الإيمان والعمل ، فزادهم ذلك توفيقاً وسداداً ، وقُرباً عند الله ومحبة في قلوب عباد الله ، وفيهم قدوة حسنة : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١) .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

---

(١) سورة الإسراء : ٨١

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« من فضائل الإسلام »

الإسلام يؤيد العلم الحديث

رائد الفضاء

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر ، وأشكره وقد تأذَّن بالزيادة لمن شكر .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله ، وحده لا شريك له ، إرغاماً لمن جحد به وكفر .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله سيد البَشر .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه السادة الغرر .

أما بعد . .

فلقد أثبت أبناء الإسلام البررة أن الإسلام دينُ عقيدة وعمل ، وأنه نظام آخرة ودنيا ، وأنه يؤيد العلم والاكتشاف ويحث عليه ، فحطموا دعايات الأعداء ، وفضحوا أكاذيبهم .

وأوضحُ دليل وأقربه ، ما رأيناه وسمعناه في أول هذا الأسبوع ، رأينا الشاب المسلم العربي السعودي ، سلطان بن سلمان بن عبد العزيز ، شارك بكل جدارة ومقدرة و حسن عزيمة هو وزملاؤه السعوديون في ريادة الفضاء الخارجي واكتشافه .

رأينا الإسلام واكب العلم الحديث وأيَّده .

رأينا القرآن العظيم يرقي مع الشاب المسلم ، وسمعناه يُتلي في طبقات الفضاء .

سمعنا السُنَّة المطهرة تُتلى عند الصعود وعند الهبوط ، فكانت تلك الرحلة أنجح جميع الرحلات وأيسرها .

لقد رفعتَ رءوس المسلمين أيها الشاب المؤمن ، ومهَّدت طريق الخير لإخوانك الشباب ، وألقمت أعداء الإسلام حجراً قطع ألسنتهم ، فإلى الأمام لخدمة دينك وأمتك ، حفظك الله من كل سوء ، وحرسك من شياطين الإنس والجن ، وأعادك إلينا ظافراً محفوظاً ، ويا شباب الإسلام ، يا أبناء المسلمين في كل مكان ، ألم يكن لكم أسوة حسنة في الإيمان والعمل ؟ إلى متى إضاعة الوقت ، إلى متى النوم في النهار ، والسهر أمام الراقصات والمغنيات في الليل ؟ ليس في الإسلام فراغ ولا بطالة ، إن بلادكم في حاجة إليكم وأمتكم تعلق آمالها على الله ثم عليكم .

هذه الدراسات المهنية تنتظركم ، والأعمال الفنية تدعوكم ، وربكم من فوق سماواته يناديكم ، فأعطوا ربكم حقه وأعطوا دنياكم حقها ، وأعطوا بلادكم وأمتكم حقها ، اجمعوا بين العمل للدنيا والعمل للآخرة .

إن أفضل الأعمال رباط في سبيل الله لحراسة المقدسات وحفظ الديار ، والدفاع عن المحارم والذمار .

في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها » (١) ، إن الرباط في سبيل الله يجمع بين الدين والدنيا ، ومفخرة وعزة .

---

(١) البخاري برقم (٢٨٩٢) : ٦/ ٨٥ (الفتح) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، وكذا مسلم الإمارة حديث رقم (خاص ١٦٣) ، وأحمد في المسند : ٥/ ٣٣٩

فاتقوا الله أيها المسلمون ، إن الأيام خزائن فانظروا ماذا تضعون في خزائنكم ؟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

« من فضائل القرآن »

٥٢ - فضل تلاوة القرآن (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ (٢)

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ألوهيته وفي ربوبيته وأسمائه وصفاته .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، الصادق المصدوق ، الرسول الأمين ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى فإنها رأس الأمر كله وطريق كل خير وسعادة .

عباد الله : أيكم يحب أن يغدو إلى ضاحية بلده ، فيأتي بناقتين كوماوين من غير إثم ولا قطيعة رحم ، أليس كلنا يحب ذلك ؟ أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلمَ أو يقرأ آيتين من كتاب الله تعالى خير له من ناقتين وثلاث وأربع ، خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل .

---

(١) ألقيت يوم ٢١/٣/١٣٩٧ هـ .

(٢) سورة الكهف : ١ - ٣

أرأيتم لو أن أحدكم دعاه كريم ذو جاه وسلطان إلى مأدبته ، أفلا يجيبه رغبة في إرضائه والإصابة مما أعطاه الله ؟ فهذا رب العالَمين ملك الملوك يدعوكم لمأدبته فأجيبوه ، إن هذا القرآن العظيم هو مأدبة الله وهو مُيسَّر للذاكرين ، ومسَّهل للراغبين ، ومُوفَّر للطالبين ، فأقبلوا على مأدبة الله فإن فيها غذاء الأرواح وشفاء الصدور وزاد الآخرة والدنيا .

روى الحاكم بسنده عن عبد الله بن مسعود وقيل يرفعه أنه قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فأقبلوا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله المتين ، والنور المبين ، والشفاء النافعُ ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيُستعتب ولا يعوج فيُقوَّم ، لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق مع كثرة الترداد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات . لا أقول « آلم » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » (١).

عباد الله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (٢) ، ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ (٣) ، ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ

---

(١) الدارمي في سننه حديث رقم (٣٣١١) فضائل القرآن : ٣٠٨/٢ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه والموقوف أصح ، الترمذي برقم (٢٩١٠) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك : ٥٥٥/١ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وأخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٩٠٦) في ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل القرآن ، ثم قال : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال . ا هـ .

(انظر : الجامع : ١٧٢/٥ - ١٧٣) . قلت : إن معناه لصحيح ، وهو من كلام علي رضي الله عنه كما قال الإمام ابن كثير في فضائل القرآن : ٤٣٤/٧

(٢) سورة الإسراء : ٩

(٣) سورة الجن : ٢

(٤) سورة الأحقاف : ٣٠

فَصْلٌ ﴾ (١) ، مَن حكم به عدل ، ومَن جادل به خصم ، ومن اعتصم به هُدِيَ إلى صراط مستقيم (٢) . مَن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، ومَن أراد به سوء قصمه الله ، فيه خبر من قبلكم ونبأ ما بعدكم ، من تمسك به وعمل به ودعا إليه رفعه الله ونصره وأيَّده ومكَّنه ، ومَن أعرض عنه وهجره كان عاقبة أمره الذل والهوان والخسران (٣) .

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » (٤) .

القرآن كنز من كنوز الدنيا والآخرة ، مَن قرأه وعمل به كان له نوراً في الدنيا وذخراً عند الله تعالى وكان مع السَفَرة الكرام البررة ، وأُلبس يوم القيامة تاج الكرامة وحُلَّة الكرامة ، وألبس والده تاجاً من نور ضوءه كضوء الشمس (٥) .

إن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، لا يُردون إلى أرذل العمر ولا يحزنهم الفزع الأكبر (٦) .

---

(١) سورة الطارق : ١٣

(٢) إشارة إلى معناه في الآية ١٠١ من سورة آل عمران .

(٣) إشارة إلى حديث علي رضي الله عنه . أخرجه الدارمي في سننه برقم (١٣٣٤) : ٢/ ٣١٢ - ٣١٣ ، وبرقم (٣٣٣٥) .

(٤) مسلم في الصحيح : صلاة المسافرين ، حديث (خاص ٢٦٩) ، و(عام ٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٥) أحمد في المسند : ٣/ ٤٤٠ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، وإسناده حسن مع الشواهد .

(٦) إشارة إلى الآية ١٠٣ من سورة الأنبياء .

أيها المؤمنون : اقرأوا كتاب الله ، ولا تتخذوه مهجوراً [١] ، ولا تتركوه وراءكم ظهرياً ، ولا تشتغلوا بلهو الحديث [٢] وفضول القصص وساقط القول عن كتاب الله ، اجعلوا من أوقاتكم لتلاوته نصيباً ، واجعلوا لبيوتكم من كلام ربكم حظاً ، إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب [٣] ، وإن أصغر البيوت بيت ليس فيه شيء من القرآن [٤] ، فاعمروا أجوافكم ونوِّروها بنور التنزيل ، ولا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة [٥] ، تدبروا كتاب الله ، وتفهموا معانيه ، تأدبوا بآدابه ، وتخلَّقوا بأخلاقه ، فإنه كان خُلُق نبينا محمد ﷺ [٦] ، امتثلوا أوامره وانتهوا بنواهيه [٧] ، وقفوا عند حدوده ، فإنه يؤتي يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عِمران تحاجان عن صاحبهما [٨] .

---

(١) إشارة إلى الآية ٣٠ من سورة الفرقان .

(٢) إشارة إلى الآية ٦ من سورة لقمان .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنه . أخرجه الدارمي في سننه فضائل القرآن برقم (٣٣٠٩) .

(٤) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه . أخرجه الدارمي في سننه فضائل القرآن برقم (٣٣١٠) .

(٥) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه . أخرجه الدارمي في سننه فضائل القرآن برقم (٣٣٧٨) .

(٦) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح صلاة المسافرين ، حديث رقم (خاص ١٣٩) ، و(عام ٧٤٦) .

(٧) إشارة إلى الآية ٧ من سورة الحشر .

(٨) إشارة إلى حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح صلاة المسافرين برقم (خاص ٢٥٢) ، و(عام ٨٠٤) .

تعلَّموا القرآن وعلِّموه لأبناءكم : « خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه » (١) ، وتأدبوا بآداب التلاوة ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٢) .

فلا يجوز لمن وجب عليه غُسْل أن يقرأ القرآن حتى يتطهَّر ، ولا يمس المصحف إلا متطهر من جميع الأحداث والنجاسات ، وينبغي تحسين الصوت بالقرآن بحسب الاستطاعة ، ليتشوق المستمع إلى قراءته وتتبعه ، ولا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع مَن وجد ، ولا أن يجهلَ مع مَن جهل وفي جوفه كلام الله ، إنه أصدقُ القول وأحسنُ الحديث .

واعلم أخي المسلم أنك إذا قرأت القرآن أو سمعته ، أنك أنت المرادُ بالأمر والنهي ، وأنت المخاطَبُ بالوعيد ، وأنت المقصود بالأمر والنهي ، فلا يجوز لك أن تخالفه في أمره ولا في شيء من نهيه (٣) . القرآن سائق وقائد ، فمَن جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة ورضوان الله ، ومَن جعله خلفه ساقه إلى جهنم وسخط الله .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، راقبوا الله في كتابكم وكلام ربكم ، فإن فيه شرفكم وعزتكم ، وبه تُنصرون على أعدائكم وتسودون غيركم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾ (٤) ، ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا

---

(١) إشارة إلى حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه . أخرجه البخاري في فضائل القرآن : ٩/٦٦ - ٦٧ ، وأبو داود برقم (١٤٥٢) .

(٢) سورة الواقعة : ٧٧ - ٧٩

(٣) إشارة إلى الآية ٦٣ من سورة النور .

(٤) سورة طه : ٩٩ - ١٠١

جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [1] .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللّهم نورِّ بالقرآن بصائرنا وفرِّج به عن قلوبنا واشرح به صدورنا ، واستعمل به أبداننا .

اللّهم علِّمنا منه ما جهلنا وذكِّرنا منه ما نُسِّينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا ، واجعلنا ممن يُحِلّ حلاله ويُحرِّم حرامه ، ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه .

اللّهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة طه : ١٢٣ - ١٢٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل تعلم القرآن

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله ، الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، البشير النذير والسراج المنير (٢) .

صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فيا أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، هذا كتاب الله ينطق عليكم بالحق (٣) ، فيه سعادة الأمة وصلاحها ، وفيه تنظيم حياتها وتقويم أمورها في جميع مرافق الحياة ومتطلبات الفرد والجماعة ، يُنمي العقول ويهذِّب النفوس ، تَعلُّمه وتعليمه أفضل من نوافل العبادات ، لكم بكل حرف منه حسنة والحسنة بعشر أمثالها (٣) ، إنه نور ثاقب ودستور ثابت ، شامل كامل ، فلا تنصرفوا عنه إلى القَصص المضحك ولا إلى الرواية المسلية ولا إلى التمثيلية الفارغة ،

---

(١) سورة الفاتحة ، آية : ٢ - ٦

(٢) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة الأحزاب .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٢/ ٢٤٢ وإسناده صحيح .

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

ولو خوطب بهذا القرآن جبل راسخ شامخ لتصدع وتهدم خوفاً من الله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) . أما قلوب بني آدم فهي كالحجارة أو أشد قسوة (٣) ، القرآن بين أيديهم ويسمعونه يتلى عليهم فلا تلين قلوبهم (٤) وجلودهم إلى ذكر الله ، إلا مَن شاء الله وهم قليل .

فاتقوا الله عباد الله ، لا عز لكم ولا نصر ولا تمكين إلا بالرجوع إلى كتاب الله (٥) ، وصلُّوا على الرسول الكريم فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العظيم ، فقال تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ (٦) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى عليّ مرة واحدة صلَّى الله عليه بها عشراً » (٧) .

اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر ، وارض اللَّهم عن الأربعة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وزوجاته

---

(١) سورة الحشر : ٢١

(٢) سورة الحشر : ٢١

(٣) إشارة إلى الآية ٧٤ من سورة البقرة .

(٤) إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة الزمر .

(٥) إشارة إلى الآية ٣٠ من سورة الفرقان .

(٦) سورة الأحزاب : ٥٦

(٧) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح : فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٤٠٨) ، والترمذي في جامعه برقم (٤٨٥) .

أمهات المؤمنين وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم ارض عنا معهم بمنّك وإحسانك يا أرحم الراحمين

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللّهم أَدِم الأمن في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح البلاد والعباد .

اللّهم أصلح جميع ولاة أمور المسلمين ، واهدهم سبل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، اللّهم فرِّج هَمّ المهمومين ونفِّس كرب المكروبين ، واقضِ الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) ،

فاذكر الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٣ - فضل التمسك بالكتاب والسُّنَّة

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، خلق الإنسان في أحسن تقويم (٢) ، وهداه السبيل القويم ، ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلا الله وحده لا شريك له ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده .

اللَّهم صَلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن الله تبارك وتعالى لما خلق الإنسان وفضَّله وكرَّمه وخلق له ما في الأرض جميعاً ، وسخَّر له المخلوقات ، لم يكن ليدعه هملاً ، ولا ليتركه(٥)

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ٤ من سورة التين .

(٣) سورة الإنسان : ٣

(٤) سورة آل عمران : ١٨

سدي ، ولا ليذره فريسة لعدوه الذي لا يراه ، لم يكن الله لينسى هذا المخلوق الذي اختاره للخلافة في الأرض وإقامة العدل فيها ، واختاره لرحمته ، إلا مَن أبى وطغى ، بل أرسل إليهم رُسُلاً من أنفسهم برسالات سماوية تتلاءَمُ مع قدراتهم وتشمل جميع متطلبات الحياة ، وختم هذه الرسالات برسالة صفوة الخلق ورسول الهدى ، ونبي الرحمة نبينا محمد ﷺ ، فهي أكملُها وأعمُها وأنفعُها للبَشر ، وأكثرُها سماحة ، وأوضحُها خطاباً وأقواها حُجَّة ، وأجملها نظْماً ، وأحلاَها طعماً ، وأعجلُها ثمرة ، ناسخةٌ لكل الرسالات مصدِّقةٌ لها مهيمنة عليها : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (١) ، ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) ، ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (٤) .

إن الإسلام منهج تشريعي ، ودستور سماوي ، يشمل جميع متطلبات

---

(١) سورة آل عمران : ١٦٤

(٢) سورة المائدة : ١٥ - ١٦

(٣) سورة الأعراف : ١٥٧

(٤) سورة الأعراف : ١٥٨

الحياة ، ويربط بين جوانبها وبين خالق الكون ، يَرد كل ما في هذه الحياة إلى مصدرها وخالقها ، فَمنْه تُستمد التوجيهات ، ومنه تُؤخذ النظم : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (١) ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢ ﴾ (٣) .

أيها الأخوة في الإسلام : إذا سمحتم بإلقاء نظرة خفيفة ، وجولة عاجلة حول النظام الاجتماعي في الإسلام ، لا سيما وقد سبق الكلام عن شيء من نظام الأسرة - وهو جزء من النظام الاجتماعي العام - فستجدون ذلك في كلام الله جلَّ شأنه ومن قول صاحب الخُلُق العظيم صلى الله عليه وسلم .
قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (٤) . والآيات التي تدل على التكافل والتراحم والتعاطف كثيرة . .

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦ ﴾ (٥) .
وأمثال هذه الآيات التي تدل على العفْو والصفح والصبر والمسامحة ومقابلة الإساءة بالإحسان أمثالها كثيرة في القرآن ، وتوجب

---

(١) سورة النساء : ١٢٢

(٢) سورة النساء : ٨٧

(٣) سورة النساء : ٨٢

(٤) سورة النساء : ٣٦

(٥) سورة فصلت : ٣٤ - ٣٦

الصدق والوفاء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ (١) ، ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (٢) .

وقال المعلِّم الحكيم ، والمؤدِّب الرحيم صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه » (٣) ، « ومَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » (٤) ، « ومَن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كُرُبات يوم القيامة ، ومَن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » (٥) ، « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » (٦) ، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (٧) ، « اشفعوا تؤجروا » (٧) ، « إن خياركم أحسنكم أخلاقاً » (٨) ، « الدين النصيحة » (٩) ، « المسلم مَن سلم المسلمون من يده ولسانه » (١٠) ، « مَن غشَّنا فليس منا » (١١) ، « أدِّ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن مَن خانك » (١٢) .

---

(١) سورة المائدة : ١ .

(٢) سورة الإسراء : ٣٤

(٣) مسلم : برقم (٨٠٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) البخاري : برقم (٢٤٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) البخاري : برقم (٢٤٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٦) هو نفس الحديث .

(٧) البخاري : ٥/ ٧١ (الفتح) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٨) البخاري : ١٠/٣٧٦ : الأدب (الفتح) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٩) مسلم : برقم (٥٥١) من حديث تميم الداري رضي الله عنه .

(١٠) البخاري : ١/ ٥٠ - ٥١ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(١١) أبو داود : برقم (٣٤٥٢) من حديث أبي هريرة وإسناده صحيح .

(١٢) الترمذي : برقم (١٢٦٤) ، وأحمد في المسند : ٣/٤١٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده حسن .

وأمثال ذلك من الأحاديث التي تَصنعُ أُسس النظام الاجتماعي في الإسلام ، إن القرآن والسُنَّة يربطان هذا النظام بالقاعدة الكلية التي يدور حولها العالَم وهي الوحدانية المطلقة الصافية لله تعالى ، فهي التي تربط بين قلوب المؤمنين وأهدافهم ، وهي التي ترفعُ رايتهم : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٢) ، ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (٣) .

التشريع الإسلامي ينظم حياة البَشر والمسلمين خاصة ، فمثلاً صلاة الجماعة والجمعة والعيدين والكسوف والاستسقاء كما أنها صلة بين العبد وربه فهي تجمع المسلمين خلف القيادة المسلمة وترسم طريق التآخي والتعاطف والتعاون وتَفَقُّد الأحوال ، وتبادل المشاعر ، والعمل ، والصدقات والبر والإحسان ، وبذل المعروف . كما أنها طُهرة للنفوس وتزكية للأرواح ، ونماء للمال ، فإنها تصل بين قلوب المؤمنين ، وتُسبب المودَّة وتحث على الترابط والالتحام وجَمْع القوى .

صوم رمضان . كما أنه يهذب النفس ، ويرقق الطبع ، ويقوِّي البدن ، ويُصفي الذهن ، فهو أيضاً يُذكِّر الأغْنياءَ بحال إخوانهم الفقراء ، ويُشعر بأنه لا فرق بين كبير وصغير ، ولا غني ولا فقير ، الكل في ميزان الله سواء : « لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » (٤) ، فالكل خاضع لله ولشرع الله ، والكل مُمْسك عن المشتهيات والملَّذات في نهار الصيام .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣

(٢) سورة الحجرات : ١٠

(٣) سورة المائدة : ٢

(٤) ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره نقلاً عن الحافظ أبي القاسم الطبراني إذ قال : وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أبو عبيدة عبد الوارث بن إبراهيم العسكري ، =

والحج نظام إسلامي وعبادة شرعية ، على أعلى المستويات وفوائده ظاهرة كبيرة : ﴿لِيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ (١) .

الصلاة على النبي ﷺ والإكثار منها اعتراف لأهل لفضل بحقهم ، وإقرار لأهل المعروف بإحسانهم ، تحث على حسن اتباعه والتمسك بسُنَّته صلى الله عليه وسلم .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدة من قواعد الإصلاح لا بد من تحقيقها والأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور ، والنهي عن الخلاف وشق العصا ، وتحريم الأموال ، والأعراض والدماء ، وتحريم المسكرات والمخدرات وجميع الخبائث وما يضر بالإنسان ، وتحريم الزنا وقذف المحصنات ، والأمر بحفظ الفَرْج وغض البصر ، وتحريم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية ، ومنع المرأة من تزويج نفسها إلا بولي وشاهدين (٢) ، وأمثال ذلك من التشريع يحافظ على نظافة المجتمع وطهارته وإبقاء المحبة والأخوة ، فتطمئن القلوب وترتاح النفوس ويأمن الفرد والجماعة .

= حدثنا عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة ، حدثنا عبيد بن حنين الطائي : سمعت محمد بن حبيب بن خراش العصري يحدث عن أبيه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ ، ثم ذكر هذا الحديث بهذا اللفظ ، راجع تفسير ابن كثير : ٦/٣٨٨ ، وإسناده ليس بجيد ، وقد ذكر الحافظ في الإصابة : ١/٣٠٦ رقم الترجمة (١٥٧٨) في ترجمة حبيب بن خراش العصري ، ثم ذكر جزء من هذا الحديث مع كلمة عليه بأنه إسناد متروك ، وقد صح معناه بأحاديث أخرى كثيرة ومنها قوله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (الحجرات : ١٣) .

(١) سورة الحج : ٢٨

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس الموقوف عليه . أخرجه الشافعي في المسند : ٢/٣١٧ ، والبيهقي في السنن الكبرى : ٧/١١٢ ، والبغوي في شرح السُنَّة : ٩/٤٥ برقم (٦٤٢٢) ، وإسناده صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما . والله أعلم .

وحقوق الجار الذي كاد الرسول ﷺ أن يُورِّثه (١) ، وزيارةُ الإخوان والدعاء لهم ، وعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وإفشاءُ السلام وردِّه ، وتشميتُ العاطس ، وستر العورات ، والعفو والصفح . وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي حثَّ عليها القرآن والسُّنَّة المطهرة ، هي أدب المسلم وخُلُقه ، وهي من حقوق المسلم على المسلم ، ومن حقوق المجتمع بعضهم على بعض .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، كونوا مسلمين بعقيدتكم وأعمالكم وأخلاقكم ، كونوا دُعاةً للإسلام على منهج الإسلام ، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن سعوهم بأخلاقكم .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وبسُنَّة سيد المرسلين .

اللَّهم علِّمنا من القرآن ما جهلنا ، وذكِّرنا منه ما نسينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا .

ربنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

اللَّهم اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت (٢) .

اللَّهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، استغفروا ربكم أيها المسلمون ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها . البخاري : ١٠/٤٤١ برقم (٦٠١٤) الفتح ، ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما البخاري برقم (٦٠١٥) ، والترمذي : البر والصلة برقم (١٤٠) .

(٢) إشارة إلى حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح : ١/٥٣٤ - ٥٣٦ صلاة المسافرين برقم (خاص ٢٠١) ، و(عام ٧٧١) بسياق طويل وفيه هذا الدعاء ، وأحمد في المسند : ١/٩٤ ، ١٠٢ من هذا الوجه واللفظ الطويل .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النظام الإسلامي مرتبط بعضه ببعض

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، والعاقبة للمتقين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه .

أما بعد . .

فإن نظام الإسلام مرتبط بعضه ببعض ، فلا يُؤخذ بعضه ويُترك بعض : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥ ﴾ (٢) .

والمسلم ملتزم بتعاليم الإسلام فيما له وعليه ، وفيما بينه وبين الله ، وفيما بينه وبين الناس .

فاتقوا الله عباد الله ، لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا (٣) :

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة البقرة : ٨٥

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . أخرجه البخاري : ١٠/ ٤٨١ برقم (٦٠٦٥) الأدب (الفتح) ، ومسلم : البر (٢٤) .

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [1] ، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ [2] . وكونوا عباد الله إخواناً .

كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعِرضه [3] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [4] .

* * *

---

(١) سورة الحجرات : ١٢

(٢) سورة البقرة : ١٨٨

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه . الترمذي : البر والصلة برقم (خاص ٣٢) ، ومسلم : ١٩٨٦/٤ برقم (٢٥٦٤) .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤ - فضل التضامن

(الخطبة الأولى)

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ (١) .

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله ودعى بدعوته .

أما بعد . .

فإن تحركات التضامن الإسلامي لتبشر بالخير ، ومقدمات نتائج الجهاد في سبيل الله تبشر بالنصر ، فنسأل الله تعالى أن ينصر دينه وأن يعلي كلمته ، وأن يجمع شمل المسلمين وأن يؤلف بين قلوبهم ، وأن يلم شعثهم ، وأن يحقق

---

(١) سورة الأنعام : ١٨

(٢) سورة الحديد : ٤

أخوتهم ، وأن يوحد صفوفهم وأن يحفظهم من كيد عدوهم ودسائس المفسدين ، ونسأله تعالى أن ينصر المجاهدين في سبيله وأن ينزل عليهم السكنية وأن يؤيدهم بعنايته ورعايته ، وأن يحقق لهم النصر الذي وعده عباده المؤمنين .

اللّهم عجل للمجاهدين فرجاً قريباً ونصراً عزيزاً ، ووفقهم لكل عمل رشيد ، وألهمهم كل قول سديد ، فأنت نِعم المولى ونعم النصير .

اللّهم اقذف الرعب في قلوب أعدائنا ، واصرف أطماعهم عن حقوق المستضعفين ، اللّهم اخْذُلهم واهزمهم ورد كيدهم في نحورهم .

اللّهم اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .

اللّهم وجّه قلوب المسلمين إلى دينهم وافتح بصائرهم لَفهم قرآنهم ، وحبِّب إليهم الإيمان وزيِّنه في قلوبهم ، وكَرِّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان واجعلهم من الراشدين .

أيها المسلمون : لو وضع استفتاء لمعرفة المشاعر المسلمة تجاه الحالة العامة الراهنة للمسلمين ، لكانت النتيجة عدم الرضا ، فالكل يشعر بالتقصير ، في جانب الله ، ويشعر بالإهمال في واجب الدين ، وفي واجب الأخوة والتعاون والتعاطف .

والكل يشعر بعدم الترابط الذي ينبغي ، ويشعر بعدم الاستعداد الواجب ، ويشعر بعدم المشاركة في المشاعر مشاركة فعالة ، فعلى كل فرد مسلم منصف ينتقد نفسه ، ويدينها بالتقصير ، ولا ينتقد الآخر ويدينه بالإهمال وعدم المبالاة .

وكل فرد يتمنى أن تعود للمسلمين عزتُهم وقوتهم وأخوتهم وترابُط أفرادِهم وجماعاتهم ، ولكن متى يكون ذلك ؟

الكل يتساءل إن القرآن الكريم لم يترك أمراً من الأمور ، ولا حالاً من الأحوال ، إلا وعالجها وبيَّن طريق النجاح فيها ، ولكن دراستنا للقرآن قليلةٌ ، وفهمنا لمعانيه وأسراره ناقصة ، فالتقصير منا لا من إسلامنا ، والخطأ من أفهامنا وإعراضنا لا من ديننا .

الأمة المسلمة لها نظام سماوي يجب أن تسير عليه ، فمتى خرجت عنه تاهت عن الصراط السوِّي ، وإذا تاهت تفرقت ، وإذا تفرقت دخل بينها الأعداء وتوحَّدت بها الذئاب والوحوش .

الأمة المسلمة لا تقوم إلا على قاعدتين أساسيتين ، تقوم عليهما حياتُها ومنهجُها ، وهاتان القاعدتان هما : الإيمان ، والأخوة . الإيمان الصادق الذي يبعث على التقوى ، تقوى الله تعالى ومراقبته في كل لحظة من لحظات الحياة في كل الحركات والسكون .

والأخوة في الله ومن أجل الله ؛ أخوةٌ تعلو فوق أخوة النسب ومحبةٌ في الله فوق محبة القرابة . هذه الأخوة التي تُكوِّن من المسلمين قوةً متعاونة متساندة صامدة واعية حية ، نشطةً قادرةً على أداء واجبها في هذه الحياة بالتناصح والتعاون ، فتأملوا قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١) .

اقرأوا القرآن وتدبروه وتفهموا معانيه ، ففيه الحلول والشفاء ، فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ .

المسلم أخو المسلم ، أخوةٌ تنبثق من التقوى والإيمان ، أساسها الارتباط الكامل بعهد الله ومنهج دينه ، فليست مجردَ تجمع لهدف آخر ، ولا لتصور آخر ، وليست ارتباطاً بحبل آخر .

يجب الاعتصام بحبل الله في كل شيء وفي جميع المجالات وفي جميع مرافق الحياة ، تعاون بين الأفراد وبين الأسر وبين الشعوب وبين الحكومات ، يجب أن تكون الرابطة هي الإيمان والتقوى ، والأخوة في الله ، فبذلك يحصل العز والقوةُ والتعاون والتكاتف والنصر والتمكين .

اللَّهم اجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه .

أقول قولي هذا وأستغفر لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ - ١٠٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

واجب الأسرة في البيت

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن من حق المسلم على أخيه المسلم أن يحب له من الخير ما يحب لنفسه ، وأن يكره له من الشر ما يكرهه لنفسه ، وما أحوج المسلمين اليوم إلى التناصح والتعاون على البر والتقوى ؛ وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أساس التناصح فَبِه يُطهر المجتمع وبه تُصان الحياة من الفساد والشرور . فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الحصن الذي يحمي كيان الأمة وعزائمها من الفساد ويحفظها من تسرب السموم إليها . وهو واجب على كل فرد ، لا يختص به أحد عن أحد ، وإنما هو واجب من واجبات الإسلام وقاعدة من قواعده : « مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » (١) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩) في الإيمان ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأبو داود : برقم (١١٤٠) في الصلاة ، وأخرجه أحمد في المسند : ٣/ ١٠ ، ٢٠ ، ٩٢ كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

واجب على الأسرة في داخل البيت أن تتناصح وأن تتعاون على البر والتقوى ، والقيادةُ في ذلك لرب الأسرة .

يجب التناصح على المسلمين في مجتمعاتهم ، والقيادة في ذلك لصاحب المكان .

يجب التناصح على جميع المسلمين في جميع أحوالهم وأعمالهم والقيادة في ذلك للسلطان : « كلكم راعٍ وكلٌ مسئول عن رعيته » (١) .

والعبرة في معرفة الخير والمعروف الذي يأمر به ومعرفة الشر والفساد الذي ينهي عنه . المرجع في ذلك إلى مقاييس الإسلام ، وموازين شرع الله . العبرة في ذلك بالمقاييس والموازين التي أُنزِلت على نبينا محمد ﷺ .

أما الاصطلاحات وما تجري عليه عادات الناس ، فلا عبرة بها ولا يُقاس عليها ، لأنها تتأثر بالمؤثرات ، فتختل موازينها وتضطرب مقاييسها .

كان رجل وقع في محذور ، فأراد ابنُه أن يقلده ، فنهاه وضربه ، فقال الولد : كيف تنهاني أن أفعل مثلك ؟ فقال الأب : إنني أخشى أن تقع فيما وقعتُ فيه ، فقد ذُقت مرارته ووجدت حسرته ، ولم أجد فيه منفعة ، وقد كنت فيه مخدوعاً وبه مغروراً ، فوجدت الندامة ولمت مَن لم ينهني عنه ويأمرني بخير منه ، لذلك نهيتك وأخذت على يدك .. فنشأ الولد صالحاً طيباً .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه مراقبة مَن يؤمن بأنه يعلم السر وأخفى : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في الأحكام : ١٣/ ١٠٠ (الفتح) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، والترمذي : الإمارة برقم (١٨٢٩) باب : فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر .

(٢) سورة غافر : ١٩

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) ﴾ (١) .

وصلُّوا على البشير النذير : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ (٢) .

اللَّهم صَلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد ، صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود ، وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته واستن بسُنَّته إلى يوم الدين .

اللَّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حوزة الدين ، يا رب العالَمين .

يا عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٤) .

* * *

---

(١) سورة الأنفال : ٢٤ - ٢٥

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

(٣) سورة النحل : ٩٠

(٤) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥ - فضل العقل

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي أحلَّ لنا الطيبات ، وحرَّم علينا الخبائثَ (٢) ، وفضَّلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسوله .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على البشير النذير والسراج المنير ، صاحب الحوض المورود والمقام المحمود (٣) وعلى آله وأصحابه ، ومَن دعى بدعوته واستن بسُنَّته إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فيا أيها الناس ، إنَّ من أكبر نِعَم الله تعالى على الإنسان نعمة العقل الذي يُدْركِ به الأمور وحقائقها ومعرفة النافع منها والضَّارِ ، وبالعقل تميّز الإنسان على كثير من المخلوقات ، وعلى العقل مدار الأمور كلها ، ولهذا تعلق به التكليف الشرعي ، فبالعقل يعرف الإنسان الأمر من النهي ، والحق من

---

(٢) إشارة إلى معنى الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

(٣) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما . أخرجه البخاري برقم (٦١٤) الأذان ، باب (٨) : الدعاء عند النداء .

الباطل ،والخير من الشر ، ويدرك به عواقب الأمور ، وأسبابها ومسبباتها ونتائجها . لذلك فإنه مطلوب من الإنسان أن يستعمل هذه المواهب الإلَهية فيما خلقت له ، وأن يستدل بها على ما ينفعه في الدنيا والآخرة فيتبعه ، ويعرف بها ما يضرُّه فيجتنبه .

وقد ذمَّ الله الذين لا يستعملون هذه المواهب وهذه النِعَم فيما من أجله خُلقت ، وبيَّن عاقبة أمرهم ، ووصفهم بأنهم كالأنعام بل هم أضل ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (١) .

وحقيقة أن العقل هو الإنسان ، وأغلى ما عند الإنسان هو عقله الذي تميَّز به عن الحيوان ، فلو أن إنساناً حصل عنده بعض الذهول في عقله في بعض الأحيان ، لبذل كل ما يملك وكل ما في وسعه للعلاج لإزالة ما ينتابه في عقله ولو كان وقتاً قصيراً ، ولو كان في السنة مرة وحدة . . . أليس هذا بصحيح ؟

إذاً - أيها المسلمون - ما بال أقوام يشترون لأنفسهم ويستعملون بأنفسهم ما يخل بعقولهم ، وذلك باستعمال المسكرات والمخدرات . أليس الإنسان إذا سكر غاب عن شعوره ، وأصبح كالمجنون يهذي بالكلام القبيح ، وقد يسب نفسه أو يسب الله أو والديه أو محارمه أو أحداً من المسلمين ؟

أليس إذا سكر لا يدري ماذا يفعل وقد يقع في المحرّمات (٢) ، ويُتلف

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٩

(٢) إشارة إلى حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه . أخرجه مسلم في الصحيح كتاب « الأشربة » ، حديث رقم (خاص ١) ، و(عام ١٩٧٩) ، وفيه قصة عم النبي ﷺ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان في حالة السكر ، وذلك قبل تحريم الخمر .

الأموال ، ويقتل النفس المحرمة بدون حق ، وقد يعتدي على أقرب قريب له ، وأحب حبيب إليه ، وهو لا يدري لأنه قد غاب عن عقله وشعوره ؟

أليس السكران يعرض عن ذكر الله وعن الصلاة ؟ (١)

وهذه كلها جرائم وآثام وأخطار تسببها الخمر أم الخبائث ، لذلك حرَّمها الله ورسوله وبالغ في تحريمها وتوعَّد شاربها بالوعيد الشديد ، وأي وعيد أشد من حرمانه دخول الجنة وإسقاء شارب الخمر من طينة الخبال ، عُصارة أهل النار (٢) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (٣) .

روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في سبب نزول هذه الآية الكريمة العظيمة قال : إنما نزل تحريم الخمر في فئتين من قبائل الأنصار ، شربوا فلما أن ثمل القوم ، عبثَ بعضهم ببعض ، فلما أن صُحو جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ورأسه ولحيته فيقول : صنع بي هذا أخي فلان ، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائنُ ، فيقول : واللهِ لو كان بي رءوفاً رحيماً

---

(١) إشارة إلى الآية ٤٣ من سورة النساء .

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه . أخرجه مسلم في الصحيح كتاب « الأشربة » ، حديث رقم (خاص ٧٢) ، و(عام ٢٠٠٢) .

(٣) سورة المائدة : ٩٠ - ٩١

ما صنع بي هذا ، حتى وقعت الضغائنُ في قلوبهم [١] ، فأنزل الله تعالى هذه الآية في تحريم الخمر أشد تحريم وتهديد .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « ثلاثة قد حرَّم الله عليهم الجنة : مدمنُ الخمر ، والعاقُ بوالديه ، والديوثُ الذي يرضى في أهله الخبث » [٢] .

وروى أيضاً عن الرسول ﷺ أنه قال : « كل مسكر خمرٌ ، وكل مسكر حرام » [٣] ، وفي حديث آخر : « وإن حتماً على الله ألا يشربه عبده في الدنيا إلا سقاه الله من طينة الخبال ، أتدرون ما طينةُ الخبال ؟ قال : عرَقُ أهل النار » [٤] .

فالخمر - عباد الله - هو ما خامر العقلَ ، أي غطّاه من أي نوع كان ، وبأي اسم سمي ، وما أسكر كثيره فقليله حرام وإن لم يُسكر [٥] .

عباد الله : الخمر هي أمُّ الخبائث حقيقةً ، وكثير ممن يشربها يقع في إثم

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى : ٨/ ٢٨٥ وإسناده جيد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وأورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٢/ ٦٤١ ، ثم قال : رواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حجاج بن منهال به عنه .

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢١٦٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وفي إسناده مبهم وكذا : ٢/ ١٢٨

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح : الأشربة ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، حديث رقم (عام ٢٠٠٣) .

(٤) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه . أخرجه مسلم في الصحيح : الأشربة ، حديث رقم (عام ٢٠٠٢) .

(٥) أبو داود برقم (٣٦٨١) من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى ، والترمذي برقم (١٨٦٦) وحسنه .

عظيم أخبث منها . روي أن رجلاً ممن قبلنا كان اعتزل الناس وتفرغ للعبادة ، فطفقت امرأة غوية وأرسلت إليه جاريتها تدعوه لشهادة ، فدخل معها فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيعة عندها غلام وخمر ، فقالت له : إنني واللهِ ما دعوتك لشهادة ولكن دعوتك لتقع عليَّ ، أو تقتل هذا الغلام أو تشربَ هذا الخمر ، فشرب من الخمر فسكِر فوقع على المرأة ، وقتل الغلام (١) .

فالخمر - عباد الله - هي أم الشرورِ والإثام ، ولذلك لعنها الله على لسان رسوله محمد ﷺ من عشرة أوجه . روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : أشهد إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها » (٢) . فالخمر كلها تلتهب من الشرور ، وتشتعل من لعنة الله ، فمن صَنَعَها أو ساعد على صُنعها أو شربها أو ساعد على شربها أو روَّجها أو ساعد على ترويجها أصابه حظه من شرها ولعنتها .

فأي إنسان يرضى لنفسه أو لابنه أو لأبيه أو لزوجه أو مَن تحت دلايته أن يستعمل أم الخبائث ويدخل تحت الوعيد الشديد ويُطرد ويُبعد من رحمة الله ، فليتق شاربُ الخمر ربه في نفسه ، وفي أهله ومجتمعه ، فإنه سيجلب لهم

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى : ٨/ ٢٨٧ وإسناده صحيح عن عثمان رضي الله عنه ، وأورده الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : ٢/ ٦٤٤ - ٦٤٥ وصححه .

(٢) هذا لفظ الترمذي في جامعه برقم (١٢٩٥) البيوع ، وابن ماجه برقم (٣٣٨١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقال عنه الحافظ في التلخيص الحبير (٢/ ١٨٠) : رواته ثقات .

شروراً ، وقد يقتدون به في هذا العمل الخبيث فيكون داعياً إليها معلِّماً مشجعاً فيعظم جرمه ويشتد عذابه .

إن الخمر لا تجتمع هي والإيمانُ في قلب أبداً إلا أوشك أحدهما أن يُخرِج الآخر . قال صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » (١) .

فلو آمن شارب الخمر بأن الله مُطَّلِع عليه يرى حركاته وسكناته ، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور (٢) ، ولو آمن شارب الخمر إيماناً حقيقاً بأن الله حرَّم الخمر وأنه واجب عليه اجتناب ما حرَّم الله ، ولو آمن شارب الخمر بالوعيد لمن شرب الخمر ، وبالوعد الصادق لمن تركها من أجل الله ، ولو آمن بالملائكة الكاتبين حوله إيماناً حقيقياً لحماه إيمانه من شربها .

أما يستحي الذي يشرب الخمر من الله ؟ أما يستحي من الملائكة الكرام عن يمينه وشماله ؟ أما يخشي من سخط الله وعقابه ؟ أما يخشى أن يقبض الله روحه وهو سكران ، فيلقي الله وقلبُه خال من الإيمان ويقف بين يديه وهو عليه غضبان ؟

إن الخمر رجس نجس ، قذرة في ذاتها خبيثة نتائجها ، إنما هي من عمل الشيطان فاجنبوه لعلكم تفلحون (٣) .

---

(١) البخاري في الصحيح كتاب « المظالم » ، باب : النهي : ٨٦/٥ (الفتح) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ومسلم في الصحيح : الإيمان ، حديث (خاص ٥٧) ، و(عام ١٠٢) .

(٢) إشارة إلى الآية ١٩ من سورة غافر .

(٣) إشارة إلى الآية ٩٠ من سورة المائدة .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (١) .

فاتقوا الله عباد الله ، ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ (٢) .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، واملأ قلوبنا بالإيمان واعصمنا من جميع الشرور والآثام ، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (٣) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة المائدة : ٩١

(٢) سورة المائدة : ٢

(٣) سورة البقرة : ٢٠١

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل محاسبة النفس

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صَلِّ وسَلِّم على محمد وعلى آل محمد ، كما صلَّيت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد (٣) .

أما بعد . .

فيا أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن المسلم مَن سلم المسلمون من يده ولسانه (٤) ، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، الكيِّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز مَن اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني (٤) .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة الأعراف : ١٢٨

(٣) إشارة إلى حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه ، أورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٥/ ٤٩٥ نقلاً عن كتب السنَّة مع ذكر الأسانيد الكثيرة في تفسير آية الأحزاب (٥٦)

(٤) أحمد في المسند : ٤/ ١٢٤ من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه وبعض أصحاب السنن وإسناده حسن .

وصلُّوا على البشير النذير فقد أمركم الله بذلك ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر ، وارض اللَّهم عن الأربعة الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن الستة الباقين من العشرة ، وعن عمي نبيك : حمزة والعباس ، وعن جميع أصحاب نبيك أجمعين وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بمَنِّك يا أرحم الراحمين .

اللَّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حوزة الدين يا رب العالَمين .

اللَّهم مَن أراد المسلمين بسوء فاشغله في نفسه ، اللَّهم ادفع عنا وعن جميع المسلمين كل شر وبلاء .

اللهم احفظ إمامنا وأصلح بطانته ، واجمع كلمة المسلمين على يديه ، وسدِّد خطاه ووفِّقه لما تحب وترضى يا رب العالمين .

اللَّهم أدم علينا نعمة الأمن والإيمان والرخاء وارزقنا شكرها ، وزدنا من فضلك وإحسانك .

اللَّهم عَمِّم بالخير والبركة والأمان جميع أوطان المسلمين ، واجعل ولايتهم في خيارهم ، واخرجهم من الظلمات إلى النور ، اللَّهم اغفر للمسلمين

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، ونوِّر على أهل القبور .

اللّهم تب على التائبين ، واغفر ذنوب المذنبين ، واقض الدّيْن عن المدينين ، واشف أمراض المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله يذكركم واشكروه يزدكم .. ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٦ - فضل اجتماع المسلمين (١)

مؤتمر مكة

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ، ولا يحمد أحد سواه ؛ هدانا للإسلام ، وجعلنا من خير الأنام ، وأعزنا بالإيمان ، وتفضل علينا بالأمن والأمان .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك ؛ ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٣) ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (٥) ، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٦) ، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ (٧) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (٨) .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهديه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فإن الفرحة تغمر القلوب المؤمنة ، والبشرى يعلو الوجوه ، حينما ترى

---

(١) ألقيت يوم ١٩/٣/١٤٠١ هـ .
(٢) سورة الفاتحة : ٢
(٣) سورة النساء : ٨٧
(٤) سورة النساء : ١٢
(٥) سورة الرعد : ٣١
(٦) سورة الحج : ٤٠
(٧) سورة غافر : ٥١
(٨) سورة النجم : ٣ - ٤

الأمة المسلمة تتحرك فيها دوافع الأخوة الإسلامية وتستطيع النهوض بنشاطاتها الإسلامية .

يلتف بعضهم إلى بعض ، في نقطة الاتصال بمعاني الأخوة وسمات التعاون .

الأمل كبير ، والتفاؤل جميل ، حينما نرى قادة المسلمين ، تهوي قلوبهم ، وأبدانُهم إلى قِبْلة المسلمين ، للتشاور في أمور دينهم ودنياهم .

إنه لفخر كبير ، أن تبذل الأمة المسلمة جهودها لجمع شمل المسلمين وتوحيد قواهم ، وإنارة الطريق أمامهم للرجوع إلى نظام إسلامهم .

وإنه لشرف عظيم للطائفة المؤمنة أن تتحمل أمانة الله ويُحرصَ على أدائها على وجهها ؛ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (١) .

إن أول مؤتمر إسلامي عقد في مكة المكرَّمة (سنة ١٣٤٤ هـ) بدعوة من الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس هذه المملكة وموحِّد أطرافها ، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ؛ وفسح له في قبره ونوَّرَ له فيه .

لقد أحسَّت الأمة المسلمة بواقعها ، وأدركت ما يحيط بها ، وعرفت ما يراد لها ، وأخذت الحياة تنتشر في جسمها ، نظرت إلى الواقع نظرة تأمل ، ونظرت إلى حالها نظرة أسف وتألم .

ويبقى أن يُعلم أن اليهودية بكل قواها وبكل أساليبها ، وبكل أحزابها ومنظماتها الظاهرة مثل الشيوعية ، والخفية مثل الماسونية ، وما يتشعب منها ؛ إنها تلعب في العالَم لعبتها ، وتضع المعوقات والعقبات في طريق العدل

(١) سورة يوسف : ١٠٨

والإصلاح ، وتبث سمومها في الشعوب ؛ وتضع أصابعها ، مع كل حركة إصلاحية لتثبيطها وفشلها .

ورغم ذلك فإن الإيمان يتوقد في القلوب المؤمنة ، والحركات الإصلاحية ستشق طريقها إن شاء الله تعالى ؛ تدعو للتضامن والتعاون ، ونشر العدل والإيمان ، ومؤتمر القمة الذي سيعقد في مكة المكرَّمة - بعد غدٍ إن شاء الله - انتفاضةٌ حية لقادة الشعوب المسلمة ؛ وحركة إصلاحية خيِّرة يُشكر عليها أولاد عبد العزيز ويُشكر كل زعيم مسلم ، استجاب لندائها .

فأوصى كل مَن يحضر ذلك المؤتمر ، بل أوصى جميع المسلمين باستحضار عظمة هذا الموقف ، يا له من موقف عظيم ، رب العالَمين فوقهم يسمع ويرى ، وبيت الله أمامهم فيه البركة والهدى ، وحرم الله يضمهم تُضاعَف فيه الحسنات ، وكتاب الله بين أيديهم غضاً طرياً يقطر حيوية وروحانية يهدي للتي هي أقوم ، وإخوانهم المسلمون من حولهم ، وشعوبهم المسلمة من خلفهم .

فَرَبٌّ العالَمين شاهد وراع ، وبيت الله مُذكِّر وداع ، وحرم الله مانع ورادع ، والقرآن واعظ وهادي ، وإخوانهم يناصحونهم ويشاركونهم مشاعرهم ، وشعوبهم تتطلع إلى النتائج وتتشوق إلى موارد إيمانها .

هذه الأمور تُحرِّك نور الإيمان في قلب المؤمن ، وتهز القلوب الواعية والأبدان الحساسة ، وتُوقظ الضمير الحي ، وتنير وتُشع أمام العيون نور الإيمان ، وتصرخ في الآذان بخشية الله ومراقبته خوفاً وطمعاً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (١) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا

(١) سورة النساء : ١

تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (١) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (٢) .

إن أول واجب على المسلم : « شهادة أن لا إلَه إلا الله وأن محمداً رسول الله » ، وهذه الشهادة تستلزم الحكم بما أنزل الله فتحكيم شرع الله أهم الواجبات ، وكل ما بعده تابع له ، ولم يبق لأحد عذر أمام الله ، فقادة المسلمين من إخوانهم ، ويُرجَى فيهم الخير والقوة في جانب الله .

ومصالح الراعي والرعية لا تتحقق إلا بإقامة العدل من نظام الإسلام ، والأمن والاستقرار لا يستقيم إلا بإقامة حدود الله ؛ ومن أراد العزة والسيادة : ﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ (٣) ، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) ، فليسلك سبيلهم : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (٥) ، فليطلب من مالكه ليفوز بالثوابين .

لا يليق بالمسلم أن يهجر كلام ربه ، ويأخذ بنظام أعدائه ، لا يليق بالمسلم أن يأخذ بكلام المخلوق ويترك كلام الخالق .

إن المسلمين أمانةٌ لدى قادتهم وَوُلاةِ الأمر منهم ، مسئولون عنهم أمام الله ، مسئولون عنهم أمام التاريخ ، إنه لا عز للمسلمين إلا بالإسلام ، ولا أمن إلا بتحكيم كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ .

---

(١) سورة الحج : ١ - ٢
(٢) سورة الأحزاب : ٧٠
(٣) سورة النساء : ١٣٩
(٤) سورة المنافقون : ٨
(٥) سورة النساء : ١٣٤

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (١) .

فإلى الأمام يا دعاة الخير والسلام ، إلى الأمام يا زعماء المسلمين ، اللّهم ألّف بين قلوب المسلمين ، واجمع كلمتهم ووحِّد صفوفهم ، واجعل مؤتمرهم مؤتمر خير ، ورشد ، وصلاح ، واجعل فيه خيراً وبركة ، وعزاً للإسلام والمسلمين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة الحج ، آية : ٤١

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل تحكيم الشريعة

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [(١)] ، ألَّف بين قلوب المؤمنين ، وجعلهم إخوة في الله متحابين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين ، ذو القوة المتين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، وقائد الغر المحجلين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن العالَم ينظر إلىٰ هذه البلاد نظرة إجلال وإكبار لأنها تُعظِّم شعائر الله ، ودستورها كلام الله ، وتحكم بما أنزل الله ، فأنعم عليها وألبسها ثوب المهابة والوقار ، وإذا قارنا بين حاضر البلاد ، وبين ماضيها عرفنا الفوارق ، فكانت على جانب مؤلم من الفوضى والسلب والنهب ، وسفك الدماء ، وقطع الطريق ، وإرهاب حجاج بيت الله الحرام ، وزوَّار مسجد رسول الله ﷺ .

فلما حُكم فيها بما أنزل الله ، وأقيمت فيها حدود الله ، وأصلح الراعي صلته بالله ؛ أصبحت كما ترون من الأمن والرخاء والتعاطف والإخاء ،

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

ترابط بين الراعي والرعية ، يسودها التعاطف ، والتناصح ، حفظها ربها من كيد الأعداء ، وأضفى عليها نعمة الأمن والرخاء ، يسافر الرجل وحده يحمل ما شاء من الأموال ، يبيت في الصحراء وحده لا يخاف إلا الله وحده ؛ الدكاكين يُضفي عليها غطاء قماش لا يمسها أحد بسوء ، أبواب المنازل قد تترك مفتوحة طوال الليل والنهار لا يدخلها إلا أهلها ، كل ذلك بفضل الله وحده وبرعايته ، ثم بسبب تحكيم شريعته ، والعمل برسالته .

فمَن كان يُحب أن تكون بلاده كذلك ، فليحكم بما أنزل الله ، وليجعل دستوره كلام الله ، وليقم حدود الله ، وليصلح ما بينه وبين الله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ (١) ، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢) ، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٤) .

* * *

(١) سورة محمد : ٧

(٢) سورة الحج : ٤٠

(٣) سورة غافر : ٥١

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٧ - فضل الإيمان (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ، خلق الخلق بقدرته ، وأرسل الرسل برحمته ، وقامت السموات والأرض بعدله .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه وصفوته من أنبيائه ورسله .

اللّهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فإن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن وهو كلامه جلَّ شأنه ليكون نظاماً للبَشر ، للفرد والأسرة والجماعة والدولة ، ليس لأحد دون أحد ، ولا لجيل دون جيل ، ولا لبلد دون آخر ، ولا للعرب دون العجم : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٣) ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤) .

---

(١) ألقيت يوم

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الأعراف : ١٥٨

(٤) سورة سبأ : ٢٨

القرآن منهج عقيدة وسلوك ، ونظامُ معاملات ، وميزان عدالة ، يعالج النفس البَشرية بالدواء الذي أنزله خالق النفس ، وهو الخبيرُ بوساوسها ، العليمُ باتجاهاتها وميولاتها ، البصيرُ بطبائعها وطاقاتها .

القرآن يُربي النفس الإنسانية بأعلى مستويات التربية ، يريد أن تكون في القمة مِن الأخلاق والفضائل وحسن السلوك ، انزل القرآن لإقامة العدل ومنع الظلم وبث التآخي والتعاطف والتعاون بين الناس والسير بهم على طريق النجاة .

والنفس لها ميولات وعواطف واتجاهات نحو ذاتها ونحو أقاربها ونحو الضعفاء والأقوياء ونحو الفقراء والأغنياء ، ونحو الأصدقاء والأعداء ، والتجرد من هذه العواطف وتلك الميولات أمر صعب وشاق لأنه صعود من أسفل إلى أعلى ، وتعلمون ما في الصعود من مشقة وتعب ، فلا بد من وسيلة تساعد ولا بد من سلم للرقي .

والإيمان هو الوسيلة التي يرقى بها المؤمن إلى المستوى العالي الذي يريده القرآن لبني آدم .

الإيمان هو المصعد الذي يرفع الإنسان إلى ذلك المستوى الرفيع .

الإيمان يعطي الإنسان جنَاحين يطير بهما كالطائر ، يعلو بهما إلى طبقات العلا ، أحدهما جناح الخوف من الله ، والثاني جناحُ الرجاء فيما عند الله . فالذي لا يطير بهذين الجناحين يبقى داحضاً حضيض الردى ، والذي لا يخاف من الله ولا يرجو ما عند الله لا يعمل شيئاً لله ، والذي لا يعمل من أجل الله يغلبه الهوى ، والهوى يضل عن سبيل الله .

أرجوكم رجاء خاصاً أخوياً أن تجمعوا سمعكم وقلوبكم لاستماع هذه الآية من سورة النساء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ

أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ (١) .

النداء عام فليس للقضاة وحدهم ولا للولاة وحدهم ، بل لجميع المؤمنين كل فيما يخصه ، وخص المؤمنين بالنداء دون بقية الناس لأن المؤمنين هم الذين عرفوا الحق واتبعوه ، وهم الذين عندهم سلم الرقي إلى شرف الإسلام وإلى مناجاة من في السماء والاتجاه إلى الملك العلاَّم .

الله أكبر : إنها التربية بأعلى المستويات ، إنه التوجيه الفريد والعدل الذي ليس بعده عدل ، النفسُ والأبُ والأم والإخوة والزوج والأقرباءُ والأصدقاء والأعداء والفقراء والأغنياء والضعفاء والأقوياء . كلهم في العدل سواء : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ ٱعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

القسط المذكور في الآية هو العدل والقوّامون : جمع قوّام ، والقوّام : صيغة مبالغة من قائم .

قال الحافظ ابن كثير : يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوّامين بالقسط - أي بالعدل - فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً ، ولا تأخذهم في الله لومةُ لائم ، ولا يَصْرفهم عنه صارف ، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه .

---

(١) سورة النساء : ١٣٥

(٢) سورة المائدة : ٢

(٣) سورة المائدة : ٨

وقال الفخر الرازي : لما تقدم ذكر النساء والنشوز والمصالحة بينهن وبين الأزواج أعقبه بالأمر بالقيام بأداء الحقوق لله تعالى وبالشهادة لإحياء حقوق الله، وبالجملة فكأنه قِيل : إن اشْتَغَلتَ بتحصيل مشتهاياتك كنت لنفسك لا لله ، وإن اشتغلت بتحصيل مأمورات الله كنت لله لا لنفسك ، ولا شك أن هذا المقام أعلاها وأشرفها .

وقال القرطبي : لا خلاف بين أهل العلم في صحة إحكام هذه الآية ، وأن شهادة الولد على الوالدين (الأب والأم) ماضية ولا يمنع ذلك من بِّرهما ، بل من برهما أن يشهد عليهما ويُخلصهما من الباطل وهو معنى قوله : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ (٢) ، أي أن الشهادة حق لله تُؤدَّى من أجله يُثاب مؤديها لله ويُعاقَب كاتمها ، ﴿ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾ (٣) فليست الشهادة للناس ولا للدنيا ولا لإرضاء أحد ولا لمضارته .

العدل ميزان الله في أرضه به تُحقَن الدماء وتُصان الأعراض وتُحفظ الحقوق . وينتشر الأمن ويَعُم الرَّخاء ، ولا يتحقق العدل إلا بإقامة الشهادة على وجهها وبالتعاون على البر والتقوى .

وكيف يشهد الإنسان على نفسه ؟ إذا أقر المرء بالحق الذي عليه ثبت الحق بالإقرار كما يثبت بالشهادة بل آكد ، فهو بإقراره شهد على نفسه .

وذكر بعض المفسرين تفسيراً آخر فقال : أن يكون المراد : وإن كانت الشهادة وَبَالاً على أنفسكم وأقاربكم ، وذلك أن يشهد على من يُتَوقعُ ضرره من سلطان ظالم أو غيره .

ومثل ذلك الشهادة على البذيء الفحَّاش الطعَّان الذي لا شيمة له ولا خُلُق ولا دين ، فلا يمنع ذلك من أداء الشهادة لله .

---

(١) سورة التحريم : ٦ (٢) سورة النساء : ١٣٥ (٣) سورة البقرة : ٢٨٣

وهكذا يربي القرآن أمة محمد ﷺ على مقاومة الدوافع النفسية والمشاعر الفطرية والاجتماعية ، فحين يكون المشهود عليه أب أو أم أو أحد الأقرباء تتحرك الحمية والعطف ، وكذلك إذا كان المشهود عليه فقيراً أو ضعيفاً فقد تشفق عليه النفس فلا تشهد عليه بل تحب أن تشهد معه لضعفه أو فقره ، أو يكون الضعف أو الفقر مدعاة للشهادة ضده عند بعض النفوس التي فيها خصال من جاهلية ، وكذلك حين يكون المشهود عليه غنياً أو قوياً فقد تقضي الأوضاع الاجتماعية مجاملته ، أو قد يثير غناه أو تصرفاته بعضَ الناس ضده فيحاول أن يشهد عليه لإهانته . والقرآن يلغي هذه المشاعر وهذه التصورات ويُلقيها جانباً ، لا قيمة لها أمام الحق والعدل ، ولذلك قال : ﴿ فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ ﴾ (١) ، فهو أعلم بما فيه صلاحهما وهو أرحم بهما من الناس ، ثم ختم الآية بالوعيد الشديد لمن اتبع الهوى فلم يعدل ، ولمن حرف الشهادة وغيرها أو أبطلها بكلام فيه مُغالطة ، أو يُعرض عنها فلا يؤديها .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، هناك قضايا لا تُعرف إلا بالإقرار ، مثلُ دعاوي الزوجين فيما هو داخل البيت ، ومثل القضايا التي تكون على غيبة من الشاهد ، فيجب الإقرار بالحقيقة والشهادة على النفس بالواقع .

فمَن كتم فهو آثم قلبه ، ومَن جحد فهو كاذب ، والمؤمن لا يكون كذلك ، والاعتراف بالحق فضيلة . وهناك حقوق ودماء وأعراض لا تُحفظ إلا بالشهادة على النفس ، فكونوا عباد الله قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم .

اللّهم إنَّا نسألك كلمة الحق في الغضب والرضا ، وألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة النساء : ١٣٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل العدل

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1] ، ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صَلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فخير وصية المسلم لأخيه المسلم تقوى الله ، فإذا حصلت التقوى حصل كل خير في الدنيا والآخرة ، وهي وصية الله تبارك وتعالى لعباده : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [2] .

فراقبوا ربكم أيها المسلمون ، وانظروا ماذا تقولون وماذا تفعلون ، وزنوه بالقسطاس المستقيم .

حصل في عهد رسول الله ﷺ قضية وخفيَ أمرها وحكم فيها عالمُ الغيب والشهادة من فوق سبع سماوات . سُرق درع لرجل من الأنصار يقال له

---

(١) سورة الفاتحة : ١

(٢) سورة النساء : ١٣١

« قتادة » واتهم فيه « ابن أبيرق » ، ورُفِعت القضية لرسول الله ﷺ ، فذهب السارق وألقى الدرع في بيت رجل يهودي وأخبر بعض أقربائه ، فجاء نفر منهم وقالوا : يا رسول الله ، إن صاحبنا بريء وإنما عَمَد « قتادة بنُ النعمان » إلى بيت منا أهل إسلام وصلاح ورماهم بالسرقة ، فأبرِيء يا رسول الله صاحبنا أمام الناس فإن لم تُعذره هلك ، فبرَّأه رسول الله ، فنزل القرآن بالحكم في القضية : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (١) .

فأبرأ اليهودي وأدان السارق الأنصاري .

وهذا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يضرب المثل القيم في إنفاذ العدل ، لما بعثه الرسول ﷺ إلى خيبر لخرص ثمارهم وزروعهم ، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم ، فقال : واللهِ لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليّ ، ولأنتم أبغض إليّ من أعدادكم من القردة والخنازير ، وما يحملني حبي إياه ويغضي لكم على أن لا أعدل فيكم . فقالوا : رضينا .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، كونوا قوَّامين بالقسط شهداء لله ، وصلُّوا على البشير النذير .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النساء : ١٠٥ - ١٠٩

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨ - فضل المواهب [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [٢] ، أحمده علي عظيم عطائه وتكاثر نعمائه وتوافر آلائه .

اللَّهم لا نُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الحَوْل والقوة ، وبيده الخير والأمر كله ، جلَّت عظمته وتقدَّست أسماؤه .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه ورسله .

اللَّهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهديه إلى يوم الورود على حوضه .

أما بعد . .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، فاتقوا الله ما استطعتم .

أخي المسلم : إن أعمال الناس في هذه الدنيا تتفاوت بتفاوت مطالبهم ، وتختلف باختلاف طموحاتهم .

---

(١) ألقيت يوم ١/٥/١٤٠٧

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) من دعاء النبي ﷺ في الصحيح : الصلاة ، حديث رقم (٢٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۝٢٠٠ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٢٠٢ ﴾ (١) .

ولو أن الناس استعملوا المواهب الإنسانية التي امتازوا بها على كثير من المخلوقات وفكروا في أعمالهم ، لعلموا أن تلذذَ العاقل بعقله ، والعالِم بعلمه ، والحكيم بحكمته ، والمجتهدِ لله في العمل باجتهاده ، أعظمُ من تلذذ الآكل بأكله ، والشارب بشربه ، والكاسب بكسبه ، والآمر بسلطته .

والدليل على ذلك أن العاقلَ والحكيمَ والعالِم والعامل لله : واجدون لسائر اللَّذات البدنية كما يجدها المنهمك فيها ويحسون بها كما يحس بها المقبل عليها ، وقد آثروا طلب الفضائل عليها ، وإنما يحكم على الشيئين مَن عرفهما لا مَن عرف أحَدهما .

وإذا أمعنا النظر في العمل للدنيا وجدناه محفوفاً بالمكاره والمخاوف ، خوف من نقص ما حصل ، وخوف من منافس ، أو حاسد أو حاقد . فكل أمر من أمور الدنيا ظفر به الإنسان فمآله إلى حزن ، إما بذهاب الحصيلة عن مُحصِّلها ، أو بذهاب الإنسان عن حصيلته ، ولا بد من أحد هذين الأمرين عاجلاً أو آجلاً . وإنما سعى الناس في هذه الدنيا على اختلافه وتنوعه مبناه على طرد الخوف ، فطلاَّب المال يسعون لتحصيله خشية الفقر ، وخشية أن يسبقه منافس ، وطالب العلم يطلبه لطرد الجهل ، والعامل لذكر الحسن يطرد به الحقارة ، وكل طالب شيء وكل عامل لشيء خائف من ضده إلا أنهم لايحسون بهذه المخاوف إذ الرغبة والشهوة وحب الكسب تجعلهم يتحملون كل شيء ولايحسون بما يلاقيهم . أما العمل لله فبريء من كل عيب ، خالص من كل كدر ، لا ينافس فيه منافس ، ولا يضيق بطالبيه، ولا يتحاسد راغبوه،

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٢

فلا يخشى العامل لله همّاً يلحقه ، فإن عاقه عائق عن حصول مطلبه فهو على كسبه وثوابه غير مؤاخذ بما فاته ، وإن قُصد بأذى سُرَّ لأنه يحصل بصبره زيادةٌ في ثوابه .

عن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له » (رواه الإمام مسلم وأحمد والدارمي) (١) .

فالعامل لله إن امتُحن بمكروه لم يهتم بل يُسر لأن رجاءه في عاقبته ما ينال عونٌ له على ما يطلب وزيادة في الغرض الذي ينشده ، وعاقبة أمره سرور في عاجل وآجل معاً .

أما العاجل فلَّذته بمناجاة ربه وقِلَّة همه بما يهتم به الناس فيحبه الناس ويُقَدرونه ويُجلونه .

روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا أحب الله العبد نادى جبريلَ : إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيُحبه جبريل ، فينادي جبريلُ فى أهل السماء : إن الله يحب فلاناً . فأحبوه فيُحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض » (٢) .

---

(١) مسلم في الصحيح : الزهد ، حديث رقم (٢٩٩٩) عن صهيب الرومي رضي الله عنه ، وأحمد في المسند : ١/١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٢ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وإسناده قوي . راجع المجموعة الأولى من هذه الخطب : ١/ ٦٤

(٢) البخاري رقم (٣٢٠٩) بدء الخلق ، الباب السادس : ذكر الملائكة ، وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي مواضع أخرى كثيرة ، ومسلم في الصحيح ، في كتاب البر والصلة ، حديث رقم (خاص ١٥٧) ، و(عام ٢٦٣٧) من هذا الوجه واللفظ .

وأما سرور العامل لله في آجل أمره فبرضوان الله والجنة : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١) .

فليس لطرد الخوف والهم إلا سبيل واحد هو العمل الصالح والالتجاء إلى الله تعالى في جميع الأمور وفي كل الأوقات ، فينبغي للعاقل أن يحفظ كرامة نفسه فلا يَبْذُلْهَا إلا فيما هو أعلى منها وذلك في ذات الله تعالى .

فيعمل لله ومن أجل الله لا للناس ، ولا لما في أيدي الناس . ولإبليس مكائد ومصائد يصيد بها الناس ، فرُبَّ ممتنع من فعل الخير خوفاً أن يُظن به الرياء ، فترك العمل من أجل الناس أشد رياء من تحسين العمل لمرأى أحد من الناس .

الفرق بين عمل الطاعات وعمل المعاصي وبين عمل الفضائل وعمل الرذائل راحة النفس لما تعمل ، فالسعيد مَن أنست نفسه بالفضائل والطاعات ونفرت من الرذائل والمعاصي ، والشقي مَن أنست نفسه بالرذائل والمعاصي ونفرت من الفضائل والطاعات .

فمثلاً الصلاة تكون سهلةً على الخاشعين لله ، كبيرةً على المنافقين : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ (٢) .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس صلاةٌ أثقلُ على المنافقين من الفجر والعشاء ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً » (رواه البخاري) (٣) .

---

(١) سورة يونس : ٥٨

(٢) سورة البقرة : ٤٥

(٣) البخاري برقم (٦٥٧) الأذان ، باب رقم (٣٤) وعنوانه : فضل العشاء في الجماعة ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه أيضاً بعض أصحاب السنن الأربعة ، والإمام أحمد في المسند : ٥/ ١٤٠ ، وذلك من حديث أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه بهذا اللفظ .

ولو أن الإنسان حقق النظر في دنياه لوجدها اللحظة التي هو فيها ، وهي فصل ما بين الزمانين فقط .

أما ما مضى فقد انتهى وانقضى بما فيه ونُسيَ . وأما ما لم يأت فمعدوم ولا يدري ما الله فاعل فيه . ، ومِثْلُ ذلك إذا نام المرء نسي كل سرور وكل حُزن مرّ به ، فلو رتب نفسه في يقظته على ذلك لسعد السعادة التامة ، فلا حزن يدوم في هذه الدنيا ولا سرور .

فالعاقل يصلح لحظته التي هو فيها لتكون شاهداً له لا عليه ، ولا يحقرنَّ شيئاً مما يرجو فيه تثقيل ميزان حسناته أن يعجله وإن قلّ . قال صلى الله عليه وسلم : « لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » (١) ، « اتقوا النار ولو بشق تمرة » (٢) . وقال عليه الصلاة والسلام : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إلَه إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » (٣) .

فاجعل عملك - أخي المسلم - لله وإن سخطه خلقه ، واحذر أن تطلب رضاء الناس بسخط الله فتكونُ الحالُ عسكية : « مَن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ، ومَن التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس » (٤) .

---

(١) مسلم في الصحيح البر والصلة حديث رقم (عام ٢٦٢٦) ، باب : استحباب طلاقة الوجه ، وذلك من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب : ١٠/ ٣٧٥ (الفتح) ، وذلك من حديث عدي ابن حاتم رضي الله عنه ، والترمذي برقم (١٠١٦) الزكاة و(خاص ٦٨) .

(٣) البخاري برقم (٩) ، الباب الثالث : أمور الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم برقم (٣٠) من هذا الوجه واللفظ .

(٤) الترمذي برقم (٢٤١٦) : الزهد ، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها ، وفي إسناده رجل مبهم وله إسناد آخر عند ابن عساكر في تاريخه ١/ ١٥/ ٢٧٨ ، وفي مسند الشهاب : ٢/ ٤٢ قاله محقق شرح السنّة : ١٤/ ٤١١ ، فالسند قوي . والله أعلم .

فأول مَن يزهد في الغادر مَن غدر له ، وأول مَن يحتقر الخائن مَن خان له ، وأول مَن يمقتُ شاهدَ الزور مَن شهد له .

كثير من الناس يتقلَّبون في نعم الله ولا يحسون بها .

فهناك أمور لا يعلمها إلا مَن كان فيها ، وأمور لا يعلمها إلا مَن هو خارجاً عنها .

فالألم والخوف والقلق والجوع وأمثال هذا من العوامل النفسية والأمور الخفية لا يعملها إلا من كان فيها ، أما من كان خارجاً عنها فلا يحس بها .

والصحة والغنى وفساد الرأي لا يعرفها إلا من كان خارجاً عنها . ولذلك قيل : الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى (١) ، والغِنَى تاج على رءوس الأغنياء لا يراه إلا الفقراء (٢) .

والحاصل أن الحرص على الدنيا ولذَّاتها مذموم ، والحرص على الآخرة ولذَّاتها محمود .

والعمل للدنيا محفوف بالمكاره والمخاوف ، والعمل للآخرة بريء من كل نقص وعيب .

وتحقيق مطلب الدنيا ظنِّي قد يحصل وقد لا يحصل ، ومطلب الآخرة مُحقَّق لمن طلبه : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (٣) ،

---

(١) مقالة سنية طيبة وليس بحديث مرفوع .

(٢) مقالة سنية طيبة وليس بحديث مرفوع .

(٣) سورة الأعلى : ١٦ - ١٧

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (١) ، ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ (٢) .

الدنيا والآخرة ضرتان إن أرضيتَ إحداهما أغضبت الأخرى ، فانظر أخي المسلم في أمرك ، واعدل بين دنياك وآخرتك وآثر ما يبقى على ما يفنى .

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٣) .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

(١) سورة الضحى : ٤

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٦٠

(٣) سورة القصص ، آية : ٧٧

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل المحافظة على الإخوة في الله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد . .

فإن الإسلام حريص كل الحرص على إبقاء الأخوة والمودَّة بين المسلمين ، فقد أمر بما يُثبِّت دعائمها ويُقَوِّي أواصرها ، فحثَّ على التعاطف والتراحم والتعاون والبر والصلة والصدق والإحسان وأداء الحقوق وحفظ الأمانات وسد الخلَّة والعفو والصفح والتسامح وإفشاء السلام والبشاشة والكلام الحسن ، وبذل المعروف وكفِّ الأذى وعيادة المريض وتشييع الجنازة والتلطف بالصغير وتوقير الكبير والدعاء بالخير وستر العورات وغفر الزلات (٢) .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) إشارة إلى عدة أحاديث في هذا المعنى وهي صحيحة ، ومنها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . البخاري برقم (٢٤٦٥) : المظالم ، باب (٢٢) ، وقد وردت بعض هذه المعاني السامية ، ومسلم في الصحيح : اللباس ، حديث رقم (خاص ١١٤) ، و(عام ٢١٢١) من هذا الوجه واللفظ ، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الشيخان البخاري برقم (١٢٤٠) : الجنائز ، ومسلم : كتاب « السلام » ، حديث رقم (٤ - ٦) .

ونهى عن أضداد ذلك ، نهى عن كل ما يؤثر في الأخوة وما يثير الشحناء والبغضاء ويُفرِّق الشمل .

ولكن بعض الناس - وهم قليل ولله الحمد - قد تخفي عليه بعض الأمور ، فيخالف عن غفلة أو عن حُسن نية فيقع في المحذور شرعاً ، وخاصة في بعض الأمور التي تخفي على قليل البضاعة من علوم الشريعة ، ومن ذلك الخطبة على الخطبة ، والبيع على البيع . لقد نهى رسول الله ﷺ عن الخطبة على الخطبة وعن البيع على البيع .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يخطب الرجل على خِطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له » (رواه الإمام مالك في الموطأ وأخرجه غيره) (١) .

وفي رواية : « لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه ولا يبيع على بيع أخيه إلا بإذنه » (٢) .

وفي رواية للنسائي : « حتى ينكح الأول أو يترك » (٣) .

فإذا سبق رجل إلى خطبة امرأة فلا يجوز لرجل آخر أن يخطب تلك المرأة ،

---

(١) البخاري برقم (٥١٤٢) : النكاح (٤٥) باب : لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع ، وذلك من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، ومسلم : البيوع ، حديث رقم (خاص ٨) ، و(عام ١٤١٢) من هذا الوجه ، ومالك في موطئه : ٢/٥٢٣ : النكاح .

(٢) هذا لفظ حديث ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً : مسلم في الصحيح : النكاح ، حديث رقم (خاص ٥٠) ، و(عام ١٤١٢) ، ولفظ عقبة بن عامر رضي الله عنه ، مسلم في الصحيح ، حديث رقم (خاص ٥٦) ، و(عام ١٤١٤) النكاح .

(٣) هذا لفظ حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه النسائي في الصغرى : ٦/٧٣ تحت عنوان : النهي أن يخطب الرجل على خطبة أخيه ، وإسناده صحيح .

حتى تُرد الخطبة أو يرجع عنها الخاطب الأول ، وإذا كانت للثاني رغبة في تلك المخطوبة فليستأذن الأول ليتحلله ، فإذا أذن فقد رجع عن خطبته ، وجاز للثاني أن يخطب .

وكذلك البيع على البيع ، فمثلاً إذا قال البائع : بعتك بمائة ريال ، وقال المشتري : اشتريت ، فلا يجوز لإنسان آخر أن يقول للبائع : أنا اشتريها بمائة وعشرة مثلاً ، ولا أقل ولا أكثر ، حتى ولو كان في مجلس العقد .

فإن ذلك يثير غضب المشتري الأول ويسبب الشقاق والشحناء ويصدّع الإخوة الإسلامية .

جاء رجل يشتكي آخر يقول : إنه خطب من فلان ابنته واستُقبل ، وأُخِذَ منه ما أُخذ ، وأثث شقته ، ثم جاءه خاطب آخر فرفض خطبتي .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، يحرم على المسلم أن يخطب على خطبة أخيه المسلم ، فإذا كان لا يعلم بخطبة الأول فليرجع عن خطبته متى علم بها .

اتقوا الله أيها المؤمنون ، كونوا إخواناً ، حافظوا على أخوتكم وعلى أخلاقكم الإسلامية : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾ (١) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة الحشر : ٧

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٩ - فضل مخالفة الأعداء (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ١ ﴾ (٢) .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ١١١ ﴾ (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهُدَى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه وخاتم أنبيائه ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وسلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإذا تأملنا قصص القرآن الكريم عن الأمم السابقة وما جرى بينهم وبين أنبيائهم ، وكيف كانت عاقبة أمرهم ، لوجدنا فيها المواعظ والعبر ، والذكرى ، والترغيب والترهيب : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ

---

(١) ألقيت يوم ١٥/٦/١٣٩٩ هـ .

(٢) سورة الكهف : ١

(٣) سورة الإسراء : ١١١

حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (١) .

وأكثر القصص ذكراً في القرآن هو قصصُ بني إسرائيل ، فتخصيصه بكثرة الذكر والتنويع دليل على أن فيها ما يوجب التنبيه ويستدعى الاهتمام والانتباه ، وفيها ما يوجب اليقظة والحذر ، فإن أهل الكتاب هم أعدى عدو للإسلام وللمسلمين من أول يوم ولا يزالون كذلك : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ (٢) ، فعداوتهم عداوة دين وعقيدة ، عداوة مباديء وأسسٍ ثابتة ، ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (٣) .

ولقد جاء القرآن الكريم يكشف أسرارهم ويفضح نواياهم ويُبيِّن خُبث طواياهم ، ومدى بغضهم للإسلام والمسلمين ، فهم دائماً عواملُ فتن وتفرقة وفساد . يكيدون للإسلام ، ويبثُّون الادعاءات الكاذبة وينشرون الشكوك والخلافات بين الناس ، لتكون لهم السيطرة على أموالها .

فالقرآن الكريم يحذِّر المسلمين من هذه الفئة ومكائدها ، ويحذِّر المسلمين من صفاتهم وأخلاقهم .

وإذا تأملنا ما قَصَّه القرآن المطهَّر عن بني إسرائيل وجدنا العجب العُجاب ، وغرائب الصفات ، وشذوذ الطباع ، وهم كما قال القرآن المنزَّلُ من الحكيم الخبير ، فيهم التدليس والتلبيس ، ونقضُ العهود ، فيهم الحقد والحسد وإخلافُ الوعود ، فيهم الكذبُ والزورُ والبهتان ، فيهم جحد المعروف وإنكار الجميل واللَّف والدوران ، فلا يَغْتر بهم إلا مسكين مغرور ، سجيتهم السعيُ

(١) سورة يوسف : ١١١

(٢) سورة المائدة : ٨٢

(٣) سورة البقرة : ١٢٠

بالفساد والكفر والعناد ما يخرجون من جريمة إلا إلى أخرى ، ولا يتركون معصيةً إلا إلى خطيئة .

توالت عليهم نِعَم الله فلم يشكروها ، وأُنزلت إليهم كتب الله فحرَّفوها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴿ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (١) ، نفوسهم شريرة بطبعها وصفاتهم خبيثة بأصلها .

نقضوا عهد الله وهو خالقهم فما بالكم بمن دونه ، وقتلوا أنبياء الله وهم هداتهم فما بالكم بغيرهم ، عبدوا العجل من دون الله ، وقالوا : عزير ابن الله افتراءً على الله ، يدَّعون السلم ولا يسالمون ، ويدَّعون الإحسان ولا يحسنون ، ويطلبون الوفاء ولا يوفون ، ويطلبون العدل ولا يعدلون ، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (٢) .

ولم تكن مواقف اليهود إلا مواقف الخبث والغدر والافتراء لا مع البشر فقط ، بل ومع رب العالَمين ، أنعم الله عليهم ونجاهم من آل فرعون ، وفلق لهم البحر ، وأغرق عدوهم ، وظلَّل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى (٣) ، وأنبع لهم الماء من الحجر ، وأعطاهم من كل ما سألوه ، فعصوا أمره وتخلُّوا عن نبيه ، فقالوا : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون (٤) ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ (٥) ، ﴿ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (٦) يشترون الدنيا بالآخرة .

---

(١) سوورة المائدة : ٧٠

(٢) سورة المائدة : ٧٩

(٣) إشارة إلى الآية ٥٧ من سورة البقرة .

(٤) إشارة إلى الآية ٢٤ من سورة المائدة .

(٥) سورة البقرة : ٥٩

(٦) سورة البقرة : ٧٩

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (١) ، أُمِرُوا بذبح بقرة لحكمة بالغة فشكُّوا وعاندوا ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢) ، قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشدُّ قسوة (٣) ، ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) ، يزعمون بأنهم أبناء الله وأحباؤه (٥) وأن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ، وأنه ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ (٦) ، ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ (٧) ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوي أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون (٨) ، ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٩) .

يسمعون أوامر الله فلا يمتثلون حريصون على إضلال المسلمين وإخراجهم من الإيمان إلى الكفر ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (١٠) لا يرضون عن أحد حتى يكون مثلهم

---

(١) سورة آل عمران : ٧٨

(٢) سورة البقرة : ٧١

(٣) إشارة إلى الآية ٧٤ من سورة البقرة .

(٤) سورة البقرة : ٧٥

(٥) إشارة إلى الآية ١٨ من سورة المائدة .

(٦) سورة البقرة : ١١١

(٧) سورة البقرة : ٨٠

(٨) إشارة إلى الآية ٨٧ من سورة البقرة .

(٩) سورة البقرة : ٨٨

(١٠) سورة البقرة : ١٠٩

ويسلك طريقهم ويعمل بعملهم ، جاءهم عيسى بالبيِّنات والمعجزات فازدادوا طغياناً وكفراً ، وجاءهم موسى عليه السلام فقالوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (١) ، ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (٢) ، ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (٤)، يأكلون الربا وقد نُهوا عنه ، ويأكلون أموال الناس بالباطل أولئك هم الظالمون (٥) .

هذه من أخلاق اليهود وصفاتهم فلا يواليهم إلا مسكين مخدوع ، ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (٦) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، افتحوا أعينكم ، وافقهوا بقلوبكم واقرأوا كتاب ربكم وخذوا منه التوجيه والتنظيم ، وسيروا على منهاجه القويم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة البقرة : ٥٥

(٢) سورة المائدة : ٤٢

(٣) سورة المائدة : ٦٢

(٤) سورة المائدة : ٦٤

(٥) إشارة إلى الآية ١٦١ من سورة النساء .

(٦) سورة المائدة : ٥٢

(٧) سورة المائدة : ٥٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (١) .

قد أمرنا نبينا محمداً ﷺ بمخالفة اليهود في كل شيء حتى في العبادات ، وحذَّرنا أن نقلدهم في العادات ، ثم إن كثيراً من المسلمين اتبعوا سُنَنَهم ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه (٢) ، لم يتركوا شيئاً من عاداتهم إلا اتبعوها ، في اللِّباس وفي الحفلات وفي الأثاث وفي المآكل والمشارب والأخلاق .

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (٣) .

اللَّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهم افتح بصائرنا لمعرفة الحق واتباعه ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ولا تُسلِّط علينا بذنوبنا مَن لا يخافك ولا يرحمنا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٠

(٢) إشارة إلى حديث صحيح أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، وذلك من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . البخاري : ١٣/ ٢٢٥ في الاعتصام ، باب : قول النبي ﷺ : لتتبعن سنن من كان قبلكم (الفتح) ، ومسلم برقم (٢٦٦٩) في العلم .

(٣) سورة المائدة : ٥١

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل اتباع الهدى

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي له ملك السموات والأرض ، ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد . .

الإيمان بالله والتصديق برسالة محمد ﷺ واتباع الهدى والنور الذي جاء به ، يهذبُ النفوسَ ، ويؤلّف القلوب ، ويكسبها قوة وصبراً وثباتاً ، لأن القلب المؤمن يتصل بالله ، وربُ العزة والجلال هو مصدرُ كل قوة : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) ، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴿٣﴾ ﴾ (٣) . وما يصيب

---

(١) سورة آل عمران : ٢٦

(٢) سورة آل عمران : ١٠١

(٣) سورة الطلاق : ٣

المسلم من نكسة أو خذلان فبما كسبت يداه (١) ، فالصدودُ عن كتاب الله ، والحكمُ بغير ما أنزل الله ، واتباعُ غير سبيل المؤمنين هو الذي يورث الذل والخذلان : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٣١ ﴾ (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

وأكثروا من الصلاة والتسليم على النبي الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾ (٤) .

اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبيك أمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان يا أرحم الراحمين .

اللّهم ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أكرم الأكرمين . . . .

* * *

(١) إشارة إلى الآية ٣٠ من سورة الشورى .

(٢) سورة الشورى : ٣٠ - ٣١

(٣) سورة آل عمران : ٢٠٠

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٠ - فضل محاسبة النفس [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] .

أحمده ، وحمدنا من إحسانه ، وأشكره ، وشكرنا من إنعامه ، هدانا برحمته وإعانته ، فله الحمد كما هو أهله .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أمرنا بالنظر في مستقبل أمرنا ، وبأخذ الزاد لسفرنا والاستعداد لمآبنا ، وبيّن طريق نجاتنا .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، المخصوصُ بالفضل والتكريم ، والموصوف بالخُلُق العظيم [٣] ، وبأنه بالمؤمنين رءوف رحيم [٤] .

اللَّهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمداً وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان ، وعلى هديهم استقام .

أما بعد . .

فإن النفس مع صاحبها مثل الشريك في المال ، فكما أنه لا يتم مقصود الشركة من الربح إلا بالمشارطة على العمل ، ثم بمطالعة ما يعمل ، ثم بمحاسبته ومنعه من التعدي والإهمال ، فكذلك النفس ينبغي أن يشارطها الإنسان على حفظ الجوارح : السمع ، والبصر ، والبطن ، والفَرْج [٤] ،

---

(١) ألقيت يوم ١٤/٧/١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٤ من سورة القلم .

(٤) إشارة إلى الآية ١٢٨ من سورة التوبة .

واليد ، والرِجْل ، واللسان (١) ، فهي رأس المال ، وبحفظها يحصل الربح وهو رضا الله وثوابه ، وبإهمالها يحصل الخسران وهو سخط الله وعقابُه .

والإنسان له نفس واحدة ولكنها تتصف بإحدى صفات ثلاث ، وقد تنتقل من صفة إلى صفة .

والنفس في أصل تكوينها تميل إلى الشهوات وتؤثر العاجل على الآجل ، والراحة على العمل ، وهي قابلة للتوجيه ، تتأثر بالمؤثرات ويأتيها داعيان : داع الشيطان يُحرِّك فيها غرائز الشهوات ويُرغِّبها فيها ويَعِدُها ويمنيها .

ويأتي إليها داع الرحمن يذكِّرها بالعهد الأول (٢) ، وهو الإيمان بالله وبربوبيته ووحدانيته ، ويوقظ فيها الفطرة والإيمان ، وينظم حياتها وكيف تتمتع بشهواتها بلا ضرر عليها ، فإذا غلب عليها داع الشيطان وانجرفت خلف الشهوات بلا تنظيم وبلا مبالاة ، ونسيت عهد الله وميثاقه صارت من حزب الشيطان (٣) ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٤) .

وإذا غلب عليها داع الرحمن وَوَفَتْ بالعهد والميثاق واستجابت لربها ولرسالاته ، ومالت إلى العالَم العلوي ، واتجهت إلى خالقها وترفعت عن

---

(١) إشارة إلى الآية ٣٨ من سورة الإسراء .

وأما بالنسبة للبطن والفَرْج فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام ما أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٦٤٧٤) : الرقاق ، وهو من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وقد عقد عليه البخاري الباب قائلاً : حفظ اللسان : « مَن يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه » .

(٢) إشارة إلى الآية ١٧٢ من سورة الأعراف .

(٣) إشارة إلى ١٩ من سورة المجادلة .

(٤) سورة المجادلة : ١٩

اتباع الشيطان صارت من حزب الرحمن (١) ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢) .

ولكن القرين الشرير لن يتخلى عنها (٣) فيتصيَّد منها غفلة أو ضعفاً فيوقعها في المحذور ، فإذا أنكرت فعلها وأدركت خطأها وندمت على ما حصل منها صارت على صفة بين الصفتين الأولين (٤) .

فهذه ثلاث صفات تتصف بها النفس ورد ذكرها في القرآن الكريم باسم الأمَّارة ، والمطمئنة واللوَّامة ، وحين يصف الخالقُ تبارك وتعالى النفس البَشرية فهو الحكيم العليم ، وهو اللطيف الخبير . قال تبارك وتعالى في قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام :

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٥) . وقال جلّ شأنه : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ (٦) . وقال تقدست أسماؤه : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ (٧) .

فالنفس المطمئنة .. هي التي وَفَتْ بعهدها مع ربها ، فآمنت بربوبيته ووحدانيته وبأسمائه وصفاته وألوهيته ، وامتثلت أوامره ووقفت عند حدوده ونواهيه ، وعملت صالحاً خالصاً لله ، واتكلت على الله وأيقنت بقدر الله وإن

---

(١) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة المائدة .

(٢) سورة المجادلة : ٢٢

(٣) إشارة إلى الآية ٣٦ من سورة الزخرف .

(٤) إشارة إلى الآية ٣٩ سورة المائدة .

(٥) سورة يوسف : ٥٣

(٦) سورة الفجر : ٢٧ - ٣٠

(٧) سورة القيامة : ١ - ٢

ما أصابها لم يكن ليخطئها وما أخطأها لم يكن ليصيبها [١] ، فسارت إلى الله بثبات ، وصبرت على الأقدار ، واطمأنت إلى شرع الله ، وسكنت إلى ذكر الله ، فإذا جاءها الأجل اشتاقت إلى لقاء الله وأنست بقربه وفرحت بلقائه فيأتيها مَلَكُ الموت في سكينة وهدوء يتلطف بها ويبشرها بحسن المآب : أُخرجي إلى رضوان من الله وجنة[٢] نعيم. فتسرع إليه كالقطرة من فِيِّ السقاء.

وأما النفس اللوَّامة .. فهي التي تلوم صاحبها على النقص في الواجب وتعاتبه على فعل القبيح ، وتحثه على الزيادة من الصالحات ، وتؤنبه في كل لحظة من حياته ، فهي رقيب عليه تشجعه إذا ذكر ، وتنهيه إذا غفل .

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [٣] .

وأما النفس الأمَّارةُ بالسوء .. فهي التي تتحدث بالخبث وتميل إليه وإلى الشهوات المحرَّمة ، وتسيطر على صاحبها فتقوده إلى رغباتها ، وتُرْدِيه في هاوية الهلاك وهابط الخسران : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [٤] .

---

(١) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أخرجه بعض أصحاب السنن والإمام أحمد في المسند : ٥/٣١٧ ، وإسناده حسن وله شاهد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٦/ ٤٤١ - ٤٤٢ وإسناده صحيح مرفوعاً : لكل شيء حقيقة ، وما بلغ بعد حقيقة الإيمان ، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه .

(٢) إشارة إلى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨ ، وإسناده صحيح بسياق طويل في وصف موت المؤمن وموت الكافر المنافق .

(٣) سورة التوبة : ١٠٢

(٤) سورة الشمس : ٩ - ١٠

وعلاج النفس الأمَّارة بالسوء الالتجاء إلى الله والاستعاذة به من شرها ، فقد علَّمنا النبي ﷺ مخالفتها فيما تميل إليه من الباطل وأطرها على الحق ، ومحاسبتها في كل تصرفاتها فيما بينها وبين الله ، وفيما بينها وبين الناس (١) .

روى الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي رحمهم الله ، عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الكيِّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز مَن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (٢) .

فالكيِّس هو العاقل الذي ينظر في أمره ويفكر في مستقبله ويسيطر على نفسه ويوجهها وجهة حسنة ويردُها عن شهواتها ورغباتها المحرَّمة ، ويتهمها ويدينها بالتقصير والإهمال ويحاسبها محاسبة الشريك في المال ، ويعرف ما لها فيطمع في ثوابه وما عليها فيتداركه بالتوبة والاستغفار .

روى الترمذي : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا (٣) وتزيَّنوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على مَن حاسب نفسه في الدنيا .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾

---

(١) إشارة إلى الآية ٤٠ - ١٤ من سورة النازعات ، ونحوها آيات كثيرة وأحاديث نبوية جمة .

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٤/ ١٢٤ ، والترمذي (٢٤٥٩) ، وابن ماجه (٤٢٦٠) ، والبغوي في شرح السنَّة (٤١١٧) ، والبيهقي : السنن الكبرى مع الجوهر النقي كتاب « الجنائز » : ٣/ ٣٦٩ وفي إسناده أبو بكر بن مريم وهو واهٍ جداً .

(٣) وهو من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه ، أخرجه الترمذي في الجامع معلقاً وقال : يروي عن عمر بن الخطاب وأن معناه في قوله تعالى في الآية ٢٥٤ من سورة البقرة .

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ (١) .

وكان الأخنس بن قبيس رحمه الله يجيء بالمصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول : حسَّ يا حنيف ، ما حملك على ما صنعتَ يوم كذا ؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟ . . . يحاسب نفسه (٢) .

ومحاسبة النفس تكون قبل الفعل وبعده ، فأما قبله فإذا أحس بميولها إلى شيء نظر في النتيجة والعاقبة ويختار الأصلح لدينه ودنياه بلا إثم يلحقه . قال الحسن البصري : رَحِم الله عبداً وقف عند همه فإن كان لله مضى ، وإن كان لغير الله تأخر (٣) .

وأما محاسبة النفس بعد العمل ، فثلاثة أنواع :

الأول : محاسبتها على طاعة قصَّرت فيما يجب لله فيها ، وحق الله في كل طاعة : الإخلاص ، والإتقان ، ومتابعة الرسول ﷺ ، والاعترافُ لله بنعمة التوفيق والإقرار له بِمنَّةِ الهداية ، واتهامُ النفسِ بالتقصير . فبذلك يتدارك ما نقص بالعمل ويتدارك ما فسد بالإصلاح .

---

(١) سورة النازعات : ٣٤ - ٤١

(٢) هو الإمام الحافظ الأحنف بن قيس بن معاوية بن الحصين التميمي السعدي ، أبو بحر ، قال الحافظ في التقريب : ٤٩/١ رقم الترجمة (٣٢٦) : مخضرم ثقة . مات سنة ٦٧ هـ ، وقيل ٧٢ هـ ، وكلامه هذا الجيد قد يوجد في حلية الأولياء للحافظ ابن نعيم الأصبهاني رضي الله عنه .

(٣) هو الإمام الزاهد التقي الحسن بن أبي الحسن البصري ، واسم أبيه يسار - بالتحتانية - الأنصاري مولاهم ، قال الحافظ في التقريب رقم الترجمة (٢٦٣) : ثقة فقيه فاضل مشهور ، ويقول : حُدثنا وخُطبنا ، يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة ، هو رأس الطبقة الثالثة . مات سنة ١١٠ هـ .

والثاني : محاسبة النفس على فعل محرَّم فيؤنبها ويوبخها ، فيقول : ماذا فعلتُ ، وماذا لبستُ ، ماذا أكلتُ ؟ ماذا شربت ، ماذا قلت ، ماذا نظرت ، ماذا سمعت ، ماذا أخذت ، لماذا بطشت يدي ، لماذا مشت رجلي .

يتأمل أفعاله ويزنها بميزان الشريعة ، ومن أجمل محاسبة النفس ما روي عن ابن القيم وكان عمره ستين عاماً ، فحسب أيامه واحداً وعشرين ألف وخمسمائة يوم ، فقال : يا ويلتي ، أألقي ربي بواحد وعشرين ألف ذنب ؟ كيف وفي كل يوم آلاف الذنوب ؟ (١) .

ثم إن كانت المحاسبة فيما يتعلق بحق مخلوق ، فلا بد من رد المظالم إلى أهلها ، فإذا لم يعرف صاحبها صرفه في أوجه الخير ، ثم متى جاء صاحبها فإن أجاز التصرف وإلا غرمها له ، وإذا كانت في حق غير المال استسمح صاحبه إذا لم يكن ضرر ، وإلا دعا له حتى يغلب على ظنه أنه أهدى له من الحسنات ما يُغطي تلك السيئات : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (٢) .

النوع الثالث من محاسبة النفس بعد العمل : محاسبتها على فعل مباح ، فقد يُثاب المرء على فعل المباح وقد يعاقَب ، فإذا قصد به التقوى على طاعة الله ، وذكر اسم الله في الابتداء ، وحمد الله في الانتهاء ، وشكر الله على النعماء كان له ثواباً ، وإذا تقوى بالمباح على معصية الله أو أراد المباهاة والمفاخرة والتعاظم والخيلاء ، أو بلغ حد الإسراف كان عليه وبالاً وعقاباً .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) سورة الأنبياء : ٤٧

فاتقوا أيها المسلمون : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾ (١) ، فمن الناس مَن غفل عن نفسه وأعطاها زمامها فظفرت به وقادته إلى شهواتها وأبعدته عن صراط ربه فأهلكته ، ومنهم من عرف نفسه وأخذ بزمامها وقهرها فانقادت له وصارت تحت إرادته فنجى ونجاها (٢) .

فانتبه لنفسك أيها المسلم وخذ بناصيتها واجعلها تحت إرادتك تابعة لك منقادة لشرع ربها ، واحذر إهمالها فتكون عبداً لها متبعاً لهواها ، واستعن بالله وتوكل عليه ، واسأله التوفيق والثبات : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ ﴾ (٣) .

اللَّهم ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، واغفر لنا جدنا وهزلنا وإهمالنا وتقصيرنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة الحشر : ١٨

(٢) إشارة إلى الآية ١ - ٢١ من سورة الليل ، آية .

(٣) سورة الإنسان : ٣٠

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعدل الناس مَن أنصف مِن نفسه

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واعلموا أن أعدلَ الناس مَن أنصف من نفسه ، وأجور الناس مَن رأى جوره عدلاً ، وأكيس الناس من أخذ أُهْبة الأمر قبل نزوله ، وأحمق الناس من باع دينه بدنيا غيره ، وأسعد الناس من خُتِم له بالحسنى في عاقبة أمره ، وأبخل الناس مَن لم يُصَلِّ على النبي ﷺ إذا ذُكر (٢) ، ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) سورة الفاتحة : ١

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، الترمذي في جامعه برقم (٣٥٣٩) ، وابن حبان في الصحيح كما في الموارد برقم (٢٣٨٧) وإسناده حسن .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

قائمة المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - جامع البيان فى تفسير القرآن : للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - دار المعرفة - بيروت .

٣ - الجامع لأحكام القرآن : للإمام الشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى - دار إحياء التراث .

٤ - أضواء البيان : للعلامة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكى الشنقيطى - مطبعة المدنى .

٥ - أحكام القرآن : للإمام الشيخ عماد الدين بن محمد الطبرى - مطبعة حسان - القاهرة .

٦ - تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ الشيخ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير - دار الكتب المصرية .

٧ - زاد المسير : لابن الجوزى - طبعة المكتب الإسلامى .

٨ - فتح القدير : للإمام الشوكانى - مطبعة مصطفى الحلبى - القاهرة .

٩ - تفسير القاسمى : للشيخ محمد جمال الدين القاسمى - دار الفكر - بيروت .

١٠ - تفسير التحرير والتنوير : للإمام الشيخ محمد الطاهر عاشور - الدار التونسية للنشر .

١١ - الكشاف عن حقائق التنزيل : للإمام محمود بن عمر الزمخشرى - مطبعة مصطفى محمد .

١٢ - صحيح البخارى : للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبه البخارى - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

١٣ - فتح البارى : للشيخ أحمد بن علىّ بن حجر العسقلانى - المطبعة السلفية - مصر .

١٤ - عمدة القارى : للإمام بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العينى - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

١٥ - شرح السُّنَّة : للإمام الحافظ أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى - المكتب الإسلامى .

١٦ - جامع الأصول : للإمام أبى السعادات مبارك بن محمد الأثير الجزرى - مطبعة السُّنَّة المحمدية .

١٧ - مشكاة المصابيح : للشيخ ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمرى - المكتب الإسلامى - دمشق .

١٨ - الترغيب والترهيب : للإمام زكى الدين عبد العظيم المنذرى - إحياء التراث - بيروت .

١٩ - جامع العلوم : لزين الدين أبى الفرج عبد الرحمن الحنبلى البغداى - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .

٢٠ - رياض الصالحين : للإمام الشيخ زكريا بن يحيى النووى - دار العهد الجديد .

٢١ - السنن الكبرى : للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى - مطبعة مجلس دائرة المعارف - الهند .

٢٢ - سنن أبى داود : للإمام سليمان بن الأشعث - طبعة دار الحديث .

٢٣ - شرح مختصر سنن أبى داود : لابن قيم الجوزية - مطبعة السُّنَّة المحمدية.

٢٤ - بذل المجهود : للشيخ خليل أحمد الهارنفورى - دار الكتب العلمية .

٢٥ - مسند الإمام أحمد : للإمام أحمد بن محمد بن حنبل - دار صادر - بيروت .

٢٦ - الفتح الربانى : للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا (الساعاتى) - دار الحديث - القاهرة .

٢٧ - المنتقى : لسليمان بن خلف بن وارث - مطبعة السعادة - القاهرة .

٢٨ - الموطأ : للإمام مالك بن أنس ، تحقيق : فاروق سعد - دار الآفاق الجديدة - بيروت .

٢٩ - التمهيد : للإمام الحافظ أبى عمر يوسف بن عبد الله القرطبى - مطبعة فضالة - المغرب .

٣٠ - صحيح الإمام مسلم : للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى - دار إحياء التراث العربى .

٣١ - شرح النووى : للإمام النووى - المطبعة المصرية .

٣٢ - المغنى : للإمام أبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى - دار المناخ .

٣٣ - زاد المعاد : للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الذرعى ، ابن القيم - دار المعاد - بيروت .

٣٤ - إعلام الموقعين : للإمام محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم - مطبعة السعادة .

٣٥ - الإنصاف : للشيخ علاء الدين بن الحسن عليّ بن سليمان المرداوى - مطبعة السُّنَّة المحمدية - غزة .

٣٦ - تصحيح الفروع : لعليّ بن سليمان المقدسى - مطبعة المنار - مصر .

٣٧ - كشاف القناع عن متن الإقناع : للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتى - مطبعة الحكومة - مكة .

٣٨ - فتاوى الشيخ ابن تيمية - جمع : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى - مطابع الرياض .

٣٩ - فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم - جمع : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم - مطبعة الحكومة - مكة .

٤٠ - الرسائل والمسائل : علماء نجد - مطبعة المنار - القاهرة .

٤١ - البحر الرائق شرح كنز الرقائق : لزين الدين بن نجيم الحنفى - دار المعرفة - بيروت .

٤٢ - شرح فتح القدير : للإمام كمال الدين محمد عبد الواحد السيراسى - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

٤٣ - البناية فى شرح الهداية : لأبى محمد محمود بن أحمد العينى - دار الفكر .

٤٤ - بدائع الصنائع : للفقيه إمام الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى الحنفى - مطبعة الإمام - القاهرة .

٤٥ - المدونة الكبرى : للإمام مالك بن أنس - دار صادر - بيروت .

٤٦ - روض الطالب : للإمام أبى يحيى زكريا الأنصارى الشافعى - المكتبة الإسلامية .

٤٧ - شرح منح الجليل : للشيخ محمد عليش - مؤسسة عبد الحفيظ البساط .

٤٨ - الخرشى : على مختصر سيدى الخليل - دار صادر - بيروت .

٤٩ - حاشية الدسوقى : للشيخ شمس الدين محمد عرفة الدسوقى - دار إحياء الكتب .

٥٠ - روضة الطالبين : للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى - المكتب الإسلامى .

٥١ - المبدع فى شرح المقنع : لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح - المكتب الإسلامى .

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

كلمة تعريفية موجزة - للشيخ عبد القادر بن حبيب الله ٥
موجز عن حياة المؤلف ١١
مقدمة المؤلف للجزء الثانى من خطب الجمع والأعياد ١٥

الباب الأول : التفسير

(١٧ - ٤٠٢)

١ - ألقيت فى ٧/ ٢/ ١٣٩٩ هـ :

الخطبة الأولى : من فوائد سورة الفاتحة ١٩
الخطبة الثانية : لسان المؤمن دائماً رطباً من ذكر الله ٢٥

٢ - ألقيت فى ٢٤/ ٥/ ١٤٠٢ هـ :

الخطبة الأولى : من أول سورة البقرة ٢٨
الخطبة الثانية : الناس يوم القيامة ثلاثة أقسام ٣٣

٣ - ألقيت فى ٢٨/ ١٠/ ١٤٠١ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٤٤) من سورة البقرة : ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء ﴾ ٣٥
الخطبة الثانية : تفسير الآية (٩٧) من سورة آل عمران : ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ ٣٩

٤ - ألقيت فى ٢٤/ ٥/ ١٤٠٠ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة : ﴿ إن فى خلق السموات والأرض ﴾ ٤٢

الصفحة

الخطبة الثانية : القوة النفسية توجه العقل ٤٧

٥ - ألقيت فى

الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٨٣) من سورة البقرة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ ٤٩

الخطبة الثانية : تتمة تفسير آية الصيام : النية شرط فى الصيام . ٥٥

٦ - ألقيت فى ٢٦/ ١٠/١٤٠٨ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٨٨) من سورة البقرة : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ ٥٨

الخطبة الثانية : تتمة تفسير الآية (١٨٨) من سورة البقرة : « يسروا ولا تعسروا » ٦٦

٧ - ألقيت فى ١٦/ ١١/ ١٤٠١ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٩٦) من سورة البقرة : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ ٦٨

الخطبة الثانية : تفسير الآية (١٩٧) من سورة البقرة فى الحج ٧٣

٨ - ألقيت فى ٢١/ ٣/ ١٤١٣ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٢٢٢) من سورة البقرة : ﴿ ويسئلونك عن المحيض ، قل هو أذى ﴾ ٧٥

الخطبة الثانية : تفسير الإنفاق فى سورة البقرة : القرض الحسن ٨٣

٩ - ألقيت فى ١١/ ٣/ ١٤٠٧ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٥٥) من سورة البقرة : (آية الكرسى) ٨٦

الصفحة

الخطبة الثانية : اختيار المدرس الصالح ٩٣
١٠ - ألقيت فى
الخطبة الأولى : تفسير الآية (٢٨٢) من سورة البقرة :
﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾ ٩٤
الخطبة الثانية : إصلاح المعاملات ١٠١
١١ - ألقيت فى ١٣/ ٤/ ١٤٠٥ هـ :
الخطبة الأولى : تفسير الآية (٧) من سورة النساء (آية المواريث) ١٠٤
الخطبة الثانية : أسباب الميراث ١١٠
١٢ - ألقيت فى ١١/ ١٢/ ١٣٩٦ هـ :
الخطبة الأولى : تفسير الآية (١١-١٢) من سورة النساء (فى الفرائض) ١١٢
الخطبة الثانية : تفسير الآية (١٧) من سورة النساء (ترابط المسلمين بالعدل وإعطاء الحقوق) ١١٨
١٣ - ألقيت فى ٧/ ١١/ ١٤٠٧ هـ :
الخطبة الأولى : تفسير الآية (٣٦) من سورة النساء :
﴿واعبدوا الله ولا تشركوا بِهِ شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ﴾.... ١٢٠
الخطبة الثانية : المساجد بيوت الله ١٢٦
١٤ - ألقيت فى ١٥/ ٧/ ١٤١٣ هـ :
الخطبة الأولى : تفسير الآية (٩٢) من سورة النساء : ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ﴾ ١٢٨

الصفحة

الخطبة الثانية : إفشاء السلام ١٣٦

١٥ - ألقيت فى :

الخطبة الأولى : تفسير الآيات (١٠٥ - ١١٢) من سورة النساء : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ﴾ ١٣٩

الخطبة الثانية : من تفسير الآية (١١٤) من سورة النساء : الحث على الإصلاح ١٤٤

١٦ - ألقيت فى ١٥/٢/١٤٠٢ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (١١٤) من سورة النساء : ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة ﴾ ١٤٧

الخطبة الثانية : « كل سُلامى فى ابن ادم عليه صدقة » ... ١٥١

١٧ - ألقيت فى ١٠/١/١٤٠٨ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٣٥) من سورة النساء : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ﴾ ١٥٣

الخطبة الثانية : سرقة الدرع ١٥٨

١٨ - ألقيت فى ٢٠/١١/١٤٠١ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٣) من سورة المائدة : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ﴾ ١٦٠

الخطبة الثانية : من تفسير قوله تعالى : ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ : شكر الله على نعمة الإسلام ١٦٥

الصفحة

١٩ - ألقيت فى ٢٣/ ٢/ ١٤٠٠ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٣٨) من سورة المائدة :
﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ ١٦٧

الخطبة الثانية : النجاة من الفتن ١٧٣

٢٠ - ألقيت فى ١٠/ ١/ ١٤١٠ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (١١٨) من سورة التوبة : ساعة
العسرة والثلاثة الذين خُلِّفوا ١٧٥

الخطبة الثانية : خير الأمور عوازمها ١٨٢

٢١ - ألقيت فى ١٤/ ٢/ ١٣٩٤ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآيات (٧٧ - ٨٣) من سورة هود :
اللواط .. فاحشة كبرى ، وجريمة شنعاء ١٨٥

الخطبة الثانية : تحديد النسل ١٩٢

٢٢ - ألقيت فى ١١/ ٦/ ١٤١١ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٩٠) من سورة النحل : ﴿ إن
الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ ١٩٤

الخطبة الثانية : الأمر بالمعروف ٢٠٢

٢٣ - ألقيت فى

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٩) من سورة الإسراء : ﴿ إن
هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾ ٢٠٥

الصفحة

الخطبة الثانية : من معنى الآية (٩) من سورة سراء : إقامة الحدود من الهداية ٢١٣

٢٤ - ألقيت فى ١٨/٥/١٤٠٠ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٢٣) من سورة الإسراء : ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ ٢١٧

الخطبة الثانية : راحة النفس لا ينالها إلا المؤمن التقى ٢٢٣

٢٥ - ألقيت فى ٢٨/٥/١٤٠١ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآيات (١ - ٧) من سورة المؤمنون : من صفات المؤمنين ٢٢٦

الخطبة الثانية : من تفسير الآية (٨ - ٩) من سورة المؤمنون : حفظ الأمانات ومراعاة العهود ٢٣٢

٢٦ - ألقيت فى ٢٧/٦/١٣٩٣ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (١ - ٢) من سورة النور : عقوبة الزانى ٢٣٤

الخطبة الثانية : أسباب العفة ٢٣٩

٢٧ - ألقيت فى ٦/٧/١٤٠٧ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٣١) من سورة النور : فى مسألة السفور والحجاب ٢٤٢

الخطبة الثانية : جهاد الشبهات ٢٥٠

٢٨ - ألقيت فى ١٠/١٠/١٣٩٥ هـ :

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٦٧) من سورة الزمر : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ ٢٥٤

الصفحة

٢٦٠

الخطبة الثانية : ما دُوِّن فى كتب البدع دسائس من أعداء الإسلام ....

٢٩ - ألقيت فى ٢٠/٦/١٣٩٣ هـ : ٢٦٢

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٧٢) من سورة الأحزاب : جميع الحقوق والعقود والعهود أمانات ٢٦٨

الخطبة الثانية : انتهاز الفرص ....

٣٠ - ألقيت فى ٢٩/٦/١٤٠٧ هـ : ٢٦٩

الخطبة الأولى : تفسير الآية (١١) من سورة الحجرات : التحذير من السخرية واللمز والتنابز ٢٧٦

الخطبة الثانية : خطر الوشاية ....

٣١ - ألقيت فى ٢٨/ ١٠/ ١٤٠٩ هـ : ٢٧٩

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٥٨) من سورة الذاريات : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ ٢٨٦

الخطبة الثالثة : الرد على من زعم أن للأولياء تصرفاً بعد الممات ....

٣٢ - ألقيت فى ١٦/٧/١٤٠٨ هـ : ٢٨٩

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٢٠) من سورة الحديد : ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ﴾ ٢٩٥

الخطبة الثانية : المؤمن فى الدنيا كالمسافر ٢٩٧

٣٣ - ألقيت فى

الصفحة

الخطبة الأولى : تفسير الآية (٢٥) من سورة الحديد : العدل ٣٠٢

الخطبة الثانية : يجب على المسلمين الرجوع إلى كتاب الله . .
٣٤ - ألقيت فى ٢٥/٧/١٤٠٩ هـ : ٣٠٤
الخطبة الأولى : تفسير الآية (١) من سورة المجادلة : حكم الظهار ٣١١
الخطبة الثانية : حضانة الطفل قبل السبع لأمه ثم أمها . . . .
٣٥ - ألقيت فى ٣١٣
الخطبة الأولى : تفسير الآية (٢١) من سورة الحشر : عظمة القرآن وعلو شأنه ٣١٨
الخطبة الثانية : الأمر بالمعروف أساس التناصح . . . .
٣٦ - ألقيت فى ١٤/٨/١٤٠٠ هـ : ٣٢١
الخطبة الأولى : تفسير الآية (١٤) من سورة التغابن : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم ﴾ ٣٢٥
الخطبة الثانية : قد يكون الزوج عدواً لزوجه . . . .
٣٧ - ألقيت فى ٦/٤/١٤٠٨ هـ : ٣٢٧
الخطبة الأولى : تفسير الآية (٨) من سورة التحريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾ ٣٣٥
الخطبة الثانية : قصة زوج وزوجة ٣٣٧
٣٨ - ألقيت فى ٩/٢/١٤٠٠ هـ : ٣٤٤
الخطبة الأولى : تفسير سورة الانفطار . . . . الصفحة
الخطبة الثانية : اليقين جنَّة . . . .

٣٤٦

٣٩ - ألقيت فى ١٩/٩/١٤١٣ هـ : ٣٥٢

الخطبة الأولى : تفسير سورة القدر ....

الخطبة الثانية : تفضيل ليلة القدر بالعمل ٣٥٤

٤٠ - ألقيت فى ١١/٥/١٤٠٠ هـ : ٣٥٩

الخطبة الأولى : تفسير سورة العصر ....

الخطبة الثانية : تكملة سورة العصر ٣٦١

٤١ - ألقيت فى ٢٩/١/١٣٩٩ هـ : ٣٦٥

الخطبة الأولى : تفسير سورة الهمزة ....

الخطبة الثانية : عامة عذاب القبر من الغيبة والنميمة ٣٦٧

٤٢ - ألقيت فى ٢٠/٥/١٤١٣ هـ : ٣٧٣

الخطبة الأولى : تفسير سورة الكوثر ....

الخطبة الثانية : الإنسان له رسالة ٣٧٥

٤٣ - ألقيت فى ١٦/٩/١٤٠٩ هـ : ٣٨٧

الخطبة الأولى : تفسير سورة النصر ....

الخطبة الثانية : تحطيم الأوثان ٣٩١

٤٤ - ألقيت فى ١٣/٥/١٤١٠ هـ : ٤٠٠

الخطبة الأولى : تفسير سورتى المعوذتين .... الصفحة

الخطبة الثانية : تعريف السحر ....

الباب الثاني : الفضائل

(٤٠٣ - ٥٣٤) ٤٠٥

٤٥ - ألقيت فى ١٧/ ١٠/ ١٤٠٢ هـ :

الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن حياة) ٤١٠

الخطبة الثانية : من فضائل الذكر (كل عمل صالح من الذكر) ٤١٣

٤٦ - ألقيت فى ١٩/٨/ ١٤١٠ هـ :

الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن شفاء) ٤٢٠

الخطبة الثانية : من فضائل الإنسان تنظيم غذائه (مراتب الغذاء) ٤٢٢

٤٧ - ألقيت فى ٥/ ٣/ ١٣٩٩ هـ : ٤٢٥

الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن يعالج النفوس)

الخطبة الثانية : مكافحة جريمة الزنا ٤٢٨

٤٨ - ألقيت فى ٦/ ١١/ ١٣٩٩ هـ :

الخطبة الأولى : من فضائ القرآن (القرآن يأمر بالصدق) . ٤٣٣

الخطبة الثانية : الصدق من فضل هذه الأمة (الرسول ﷺ يحذر من الرجال) ٤٣٧

٤٩ - ألقيت فى ١٨/ ٥/ ١٤٠٥ هـ :

الصفحة

الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن يحذر من المعاصى) ٤٤٢

الخطبة الثانية : الله يغار على حرماته ٤٤٤
٥٠ - ألقيت فى ٤٤٩
الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن ينظم حياة البَشر)
الخطبة الثانية : « إنما الأعمال بالنيات » . . . .
٥١ - ألقيت فى ٤٥١
الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (القرآن يحث على العمل) ٤٥٦
الخطبة الثانية : من فضائل الإسلام (الإسلام يؤيد العلم الحديث - رائد الفضاء) ٤٥٩
٥٢ - ألقيت فى ٢١/ ٣/ ١٣٩٧ هـ : ٤٦٥
الخطبة الأولى : من فضائل القرآن (فضل تلاوة القرآن) . .
الخطبة الثانية : فضل تعلم القرآن ٤٦٨
٥٣ - ألقيت فى ٤٧٥
الخطبة الأولى : فضل التمسك بالكتاب والسُّنَّة . . . .
الخطبة الثانية : النظام الإسلامى مرتبط بعضه ببعض ٤٧٧
٥٤ - ألقيت فى ٤٨١
الخطبة الأولى : فضل التضامن . . . .
الخطبة الثانية : واجب الأسرة فى البيت ٤٨٤
٥٥ - ألقيت فى الصفحة
الخطبة الأولى : فضل العقل ٤٩١

الخطبة الثانية : فضل محاسبة النفس	٤٩٤
٥٦ - ألقيت فى ٩/٣/١٤٠١ هـ :	٤٩٩
الخطبة الأولى : فضل اجتماع المسلمين (مؤتمر مكة)	
الخطبة الثانية : فضل تحكيم الشريعة	٥٠١
٥٧ - ألقيت فى	٥٠٦
الخطبة الأولى : فضل الإيمان	
الخطبة الثانية : فضل العدل	٥٠٨
٥٨ - ألقيت فى ١/٥/١٤٠٧ هـ :	٥١٥
الخطبة الأولى : فضل المواهب	
الخطبة الثانية : فضل المحافظة على الإخوة فى الله	٥١٨
٥٩ - ألقيت فى ١٥/٦/١٣٩٩ هـ :	٥٢٤
الخطبة الأولى : فضل مخالفة الأعداء	
الخطبة الثانية : فضل اتباع الهدى	٥٢٦
٦٠ - ألقيت فى ١٤/٧/١٤١٠ هـ :	٥٣٤
الخطبة الأولى : فضل محاسبة النفس	٥٣٥
الخطبة الثانية : أعدل الناس من أنصف من نفسه	٥٤١
قائمة المراجع	
محتويات الكتاب	

* * *

خطب الجمع والأعياد عمري

ألقيت على منبر خير العباد صلى الله عليه وسلم

أعدها وألقاها
عبد الله بن محمد بن زاحم
رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة
وإمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

المجلد الثالث

الصلاة والزكاة والصيام

علق عليه وخرج آياته وأحاديثه
عبد القادر بن حبيب الله
أحد علماء المدينة

دار المنار

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

خطب الجمع والأعياد

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف والترجمة لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة وإمام وخطيب المسجد النبوى

وفقه الله تعالى للخير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فقد أخذت هذه الترجمة لسماحة الشيخ من مصادر قريبة منه وهى موثقة ومدلَّلة إن شاء الله تعالى والذى جمع وألف رسالة قيمة بعنوان « فضل العلم والقضاء » والتى شرفنى بتخريج آياتها القرآنية والأحاديث النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والأقوال السَّلَفية من الصحابة والتابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فأقول وبالله التوفيق والسداد والاعانة :

● **أما نسبه** : فهو عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن زاحم بن محمد بن حسن بن سلطان بن زاحم ، من آل فضل المرازيق البقوم من الازد محمد بن حسن ، وُلِدَ له ابنان ، أحدهما زاحم ، وهو جد آل زاحم ، والثانى عوجان وهو جد آل عوجان ومنهم الشيخ الجليل محمد بن عبد الله عوجان المعروف فى بلدة الزبير ، وتفرّع عن عوجان: غدير، جد آل غدير ، وفايز :جد آل سويد ، وآل على (١) .

---

(١) علماء نجد :للشيخ عبد الله البسام : ٢ / ٥٨٨ ، ٣ / ٨٧٨ ، ٨٩٩

والازد من ذرية سبأ كما رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى باسناده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكذا الطبراني فى الكبير وفى إسناده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف وله شواهد يُقَوِّى بعضها بعضًا ذكره الإمام ابن كثير فى تفسيره (١) والهيثمى فى مجمع الزوائد لفظ الحديث : ان رجلا سأل النبى ﷺ عن سبأ ما هو؟ أرجل أم امرأة ، أم أرض ؟ قال ﷺ : « بل هو رجل ، ولّد عشرة ، فسكن اليمن ، منهم ستة ، وسكن الشام منهم أربعة ، فأما اليمانيون: فمذجح ، وكندة ، والازد ، والأشعريون ، وأنمار ، وحمير ، غير ما قلها ، وأما الشامية : فلخم ، وجذام ، وعاملة ، وغسان » (٢) .

وكان الأزد يسكنون مأرب ، الواقع شمال صنعاء بمسافة مئتى كيلو فلما ضُرِب سد مأرب وحصل سيل العرم المذكور فى سورة سبأ ، تفرَّقت القبائل ، فنزل عشيرة بن الازد فى وادى اسمه باقم يقع بين نجران وبين صعدة ، فقيل: سموا باسمه البقوم، ثم انتقل البقوم من ذلك الوادى ، ونزلوا وادى تربة الواقع فى حدود نجد بما يلى جبال السراة جهة رنيه ، وتفرع عنهم بطنان كبيران هما:آل محمد ، وآل زارع ، وتحت كل منهما أفخاذ وعشائر كثيرة (٣) ،ثم نزح

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: ٥ / ٥٣٩ ، وقال فى إسناده : ابن لهيعة وفيه ضعف، ثم ورد له شاهد آخر وهو قوى الإسناد ، وهو من حديث فروة بن مسيك رضى الله عنه ، ثم قال : وإسناده حسن .

(٢) مجمع الزوائد: للإمام أبى بكر الهيثمى: ٧ / ٩٤ ،هكذا قال، ثم قال : وعن يزيد بن حصين السلمى رضي الله عنه ثم ذكر نحو هذا اللفظ، ثم قال : رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبرانى على بن الحسن بن صالح الصائغ، ولم اعرفه أورد له الإمام ابن كثير فى تفسيره شواهد كثيرة ، وقد ثبت هذا المعنى إن شاء الله تعالى ،وقد ذكره القرطبى فى تفسيره .

(٣) علماء نجد :للشيخ عبد الله البسام :٢ / ٥٨٨ ، ٣ / ٨٧٨ ، ٨٩٩

زاحم الأول من تربة إلى القصب من مدة تزيد على سبعة قرون، لأن الدرجة الثالثة عشرة من ذريته أعمارهم الآن ما بين الخمسين إلى الستين (١) ، فإذا أعطينا كل جد ستين سنة فنضربه فى ثلاثة عشر (٦٠ / ١٣) فسيكون (٧٨٠) سبعمائة وثمانين سنة ، وكان آل زاحم يتداولون أمارة القصب (٢) حتى غلبهم عليها السبايرة ، ثم استعادوها .

● **موقع بلدة القصب** : وبلدة القصب من بلدان الوشم فى قلب نجد ، تبعد عن شقراء شرقاً حوالى ثلاثين كيلو شرق النفود ، وتقع شمال الرياض بمسافة مائة وستين كيلو تقريبًا .

● **ماذا تنتج القصب** ؟ والقصب مشهورة بإنتاج الملح المائى ، ومن آثارها القديمة: الزاهرية، والدبكية، والرقيبية ، والسيارى ، وصيران ،وحميدان الشويعر .

● **مولد الشيخ** : وُلِد الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن زاحم فى بلدة القصب عام ١٣٥٠ هـ من الدرجة الثالثة عشرة بالنسبة للجد الأول زاحم ، وكان أبوه الشيخ محمد بن عبد الوهاب حافظًا للقرآن الكريم ، وإمامًا لمسجد فى البلدة ، فتوسَّم فى ابنه عبد الله خيراً ، لحرصه على الطلب والتحصيل وجدّ فى تعليمه ، فأدخله فى الكُتَّاب عند الشيخ عبد العزيز بن

---

(١) وقد ورد الحديث بهذا المعنى وفيه:« أعمار أُمتى ما بين الستين إلى السبعين » رواه الترمذى فى « الزهد » برقم (٢٣٣١) ، وقال : « حديث حسن غريب من حديث أبى هريرة رضي الله عنه من حديث أبى صالح عن أبى هريرة، وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة رضي الله عنه » .

قلت : نعم أخرجه ابن ماجه فى السنن برقم(٤٢٣٦)واسناده حسن لذاته وهو من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ،وأيضاً الترمذى برقم (١٥٥٠).

(٢) علماء :نجد للشيخ عبد الله البسام : ٣ / ٨٩٩

محمد المحارب ، ثم عند المقرىء الشـيخ عبد العزيز بن عوجان ، وحفَّظه أبوه القرآن الكريم من قصـار المفصل ، حتى وصل إلى «سورة طه» ، ثم توفى والده العظيم الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٣٦٢ هـ ، فأكمل الشيخ عبد الله حفظ القرآن الكريم فيما بعد ٠

● **نزوحه عن القصب** : لما توفى والده الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رحل الشيخ عبد الله إلى عمه فى الرياض ، ليزداد علمًا ، ومعرفة ، وكان عمه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رئيسًا لمحكمة الرياض ويساعده الشيخ محمد الخيَّال رحمه الله ، ثم جاء الإمام الجليل الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله إليها فيما بعد ٠

وفى عام ١٣٦٣ هـ أمر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى بأن يتولى الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم رئاسة محكمة المدينة المنوَّرة والدوائر الشرعية بها ، فتوجَّه الشيخ الكبير عبد الله بن عبد الوهاب من الرياض إلى المدينة المنوَّرة ، عن طريق مكة المكرَّمة فى شهر شوَّال عام ١٣٦٣ هـ ومسـاعداه: الشيخ محمـد الخيَّال والشيخ عبد العزيز ابن صالح والسكرتير الخاص به الشيخ عبد الرحمن الحـصين ، وأبناء أخيـه عبد الوهاب وعبد العزيز وعبد الله والحاشية، وبعد أنتهاء مناسك الحج توجهوا إلى المدينة المنوّرة فوصلوها فى أول شهر محرَّم الحرام فى بداية عام ١٣٦٤ هـ والتحق الشيخ عبد الله - صاحب الترجمة - بالمدرسة المحمدية الابتدائية التى كانت عند باب المجيدى ، وكانت دروسها قوية ، وكان يديرها الشيخ عبد الكريم السنارى رحمه الله تعالى ومساعده عبيد ترجمان خازمان، وكانت لهما هيبة ووقار،ونظرًا للظروف المالية ترك الشيخ عبد الله- صاحب الترجمة- المدرسة ، والتحق بالوظيفة وصار يدرس دراسة جديدة عند المشائخ منهم عمه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم رحمه الله ، والشيخ محمد الخيَّال

رحمه الله تعالى فى البيت، وعند الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله بعد الفجر فى المسجد النبوى الشريف ، وعند الشيخ عبد الرحمن الإفريقى فى المسجد النبوى الشريف وفى مدرسة دار الحديث . ولما وصل العالم الجليل الشيخ محمد الأمين الشنقيطى المدينة النبوية الشريفة من بلاده توسط له رئيس المحكمة والدوائر الشرعية بالمدينة الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم رحمه الله تعالى لدى المسئولين فى الدولة- وفقهم الله تعالى- بمنحه الإقامة فأعطى وسُمِحَ له بالتدريس فى المسجد النبوى الشريف فأخذ عنه صاحب الترجمة فى تفسير القرآن الكريم وعلومه، ومَن قال غير ذلك فقد وهم وأخطأ لأن الذى توسط للشيخ محمد هو الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم ، ثم رغب الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم -صاحب هذه الترجمة- فى المزيد من العلم والثقافة، فأراد الالتحاق بدار التوحيد فى الطائف ، إلا أنه لما سمع بأن معهدًا علميًا سيفتح فى الرياض عام ١٣٧٠ هـ برئاسة سماحة الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ وإدارة أخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم رحمه الله ، وأن الشيخين الشيخ- عبد الرحمن الإفريقى، والشيخ محمد الأمين الشنقيطى- سيدرسان فيه فانتظره .

وفى عام ١٣٧١ هـ توجه للرياض للدراسة واستقال من الوظيفة ، وأحس بمس الغربة والوحدة إلا أنه صبر وثابر واحتسب فأعانه الله تعالى ويسَّر أمره . ثم عُيِّن الشيخ عبد الله بن زاحم- صاحب الترجمة- إمامًا لمسجد الإمام عبد الرحمن الفيصل المعروف بمسجد الحسى الواقع فى البطحاء بجوار البنك الأهلى بتاريخ ٨/ ١١/ ١٣٧٦ هـ وكان المسجد يحتاج إلى درج ومحل للماء فراجع المسئولين فأصلحت .

● **العلماء الذين استفاد منهم** : ومن العلماء الأجلاَّء الذين درس عليهم فى المعاهد والكليات واستفاد منهم :

١ - سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٠

٢ - الشيخ عبد الرزاق العفيفى ٠

٣ - الشيخ محمد الأمين الشنقيطى ٠

٤ - الشيخ عبد الرحمن الإفريقى ٠

٥ - الشيخ محمد المختار الشنقيطى ٠

٦ - الشيخ حمد الجاسر (أطال الله فى حياته)٠

٧ - الشيخ عبد العزيز بن رشيد ٠

٨ - الشيخ عبد الرحمن بن عودان ٠

٩ - الشيخ عبد اللطيف سرحان ٠٠٠ وغيرهم ٠

ثم تخرَّج الشيخ عبد الله- صاحب الترجمة- من كلية الشريعة ونال الشهادة العالية عام ١٣٧٨ هـ وسُجِّلت برقم (٥١) ، وكان يقضى العطلة الصيفية فى المدينة المنورَّة ، ويتزوَّد من علمائها، وبعد التخرج طلبه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأصر على تعيينه مساعداً لرئيس محكمة حائل فاعتذر وبقى شهران فى الرياض وهو يعتذر فلم يُقبل منه، وبتاريخ ١١/ ٤/ ١٣٧٩ هـ عُيِّن الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم- صاحب الترجمة- مساعداً لرئيس محكمة حائل بالقرار رقم (١٢٥) وكان رئيسها الشيخ عبد الله ابن صالح الخلفى، فلما أنحرفت صحة الشيخ الخلفى وأحيل للتقاعد رحمه الله عُيِّن الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم رئيساً للمحكمة بالقرار رقم (١٣٧) فى ٤/ ٤/ ١٣٨٠ هـ فعمل على رفع مستوى المحكمة فطالب لها بمحكمة مستعجلة، وكتابة عدل ، ومدير بيت المال ، وزيادة قضاة وكتبة ومستخدمين ، واقترح فتح ثلاث عشرة محكمة فى الملحقات لبُعدها عن حائل وفتح بعضها وهو فى حائل ٠

وكان الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم يقضى إجازته فى المدينة المنوَّرة عند إخوانه وأسرته، ويحن إلى الرجوع إليها لمحبته المثالية الشديدة ، ورغبته الأكيدة للمدينة النبوية الشريفة وفى سكناها والمكث فيها إلى أن ينتقل إلى جوار ربه جَلَّ وعلا لحديث عائشة رضي الله عنها الذى أخرجه الشيخان فى صحيحيهما وغيرهما من أهل السُّنَّة والمسانيد ؛ البخارى برقم (١٨٨٩) : فضائل المدينة بسياق طويل وفيه: وقال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللَّهُمَّ بارك لنا فى صاعنا وفى مدنا» ... الحديث ، ونحوه مسلم فى الصحيح فى كتاب الحج حديث رقم(٤٨٠)وفيه زيادة: « اللَّهُمَّ حبِّب إلينا المدينة وصححها لنا » . ومن هذا قد تحققت أمنيته الغالية فيما أحب .

وفى عام ١٣٩٠هـ عاد إلى المدينة المنوَّرة ، وعمل فى محكمتها ، وكان رئيس محاكم المدينة المنورَّة سماحة الشيخ عبد العزيز بن صالح ، ومساعده الشيخ عبد المجيد بن حسن . فلما رُفِع الشيخ عبد المجيد إلى قاضى تمييز فى مجلس القضاء بالرياض عُيِّن الشيخ عبد الله- صاحب هذه الترجمة- مساعداً لرئيس محكمة المدينة حسب الأمر رقم (٥٦) فى ٢/ ١/ ١٣٩١ هـ .

وكما عُيِّن عضواً فى مجلس الأشراف على التدريس فى المسجد النبوى الشريف بالأمر الملكى رقم (٢٩٧٧٤/ ٢/ ٢ م) فى ٢٦/ ١٢/ ١٣٩٣ هـ، ثم عيَّنه الرئيس العام لشئون المسجدين- المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف ـ الشيخ ناصر أحمد الراشد إمامًا وخطيبًا للمسجد النبوى بالقرار رقم (٣٨٤) فى ١/ ١٠/ ١٣٩٨هـ ثم عيَّنه مجلس القضاء الأعلى قاضى تمييز بتاريخ ١٢/ ١٢/ ١٣٩٧ هـ ولا يزال حتى الآن على هذه الوظيفه ، وبتاريخ ١/ ٧/ ١٤٠١ هـ أجريت معادلة قضاة التمييز بالمرتبة الممتازة .

● **خدمات الشيخ عبد الله بن زاحم** : وإذا نظرنا إلى خدمات الشيخ عبد الله بن زاحم- صاحب الترجمة- فإنه وفَّقه الله تعالى ابتدأ عمله الإدارى بتاريخ ١٧/ ١/ ١٣٦٤ هـ، والأمر باعتبار الخدمة ١٨ سنة صدر بتاريخ ١٦/ ٣/ ١٣٦٤ هـ فالفرق شهران فلا يشمله الأمر، وأفاد مكتب الديوان

بالمدينة برقم (٤٥٢١) فى ١٤١١/٥/٢٥ هـ بأن الخدمة التى قبل ١٣٦٤/٣/١٦ هـ معتبرة لو كان السن أقل من ١٨ سنة فالخدمة الإدارية من ١٣٦٤/١/١٧ هـ حتى ١٣٧١/٣/٩ هـ ، فإذا هى سبع سنوات وشهر واحد وخمسة وعشرون يومًا ، وفى القضاء من ١٣٧٩/٤/١١هـ حتى هذا التاريخ (١٤١٤/١٢/١٠هـ): خمسة وثلاثون سنة وثمانية أشهر والجميع اثنان وأربعون سنة وتسعة أشهر، وخدمته فى الإمامة فى الرياض ١٣٧٦/١١/١٨ هـ حتى ١٣٧٩/٤/١٩ هـ: سنتان وستة أشهر، وفى المدينة من ١٣٩١/١/١ هـ حتى تاريخه هذا (١٤١٤/١٢/١٠ هـ) : أربعة وعشرون سنة إلا أيام ؛ فالجميع ست وعشرون سنة ونصف ·

وهذه المعلومات أخذتها من ملف خدمات المترجَم له ومن شجرة نسبه ومن معلوماتى والمراجع الأخرى ، وهى موثقة إن شاء الله ·

• **مشائخه** : الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم ، الشيخ محمد الخيَّال ، الشيخ عبد العزيز بن صالح ، الشيخ عبد الرحمن الإفريقى ، الشيخ محمد الأمين الشنقيطى ·

وفى الرياض: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، الشيخ عبد الرزاق العفيفى ، الشيخ عبد الله بن ناصر بن رشيد ، الشيخ عبد الرحمن بن عودان، الشيخ حمد الجاسر، الشيخ محمد المختار الشنقيطى ، الشيخ عبد اللطيف سرحان ·

• **مؤلفات الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم - وفقه الله تعالى للجد - آمين :**

١ - مجموعة خطب قَيِّمة نافعة جدًا ، أعدها وألقاها على منبر المسجد النبوى الشريف منذ قدومه المدينة، وقد وقعت فى خمسة مجلدات كبار، وقد طُبع منها المجلد الأول: قسم الإيمان، والثانى فى التفسير، والباقى تحت الطبع (وسوف تُطبع قريبًا تباعًا إن شاء الله تعالى فيما بعد) ·

٢ - موجز الكلام فى فضل المدينة ، وملخص توسعة المسجد النبوى الشريف ، وهى رسالة صغيرة طُبِعت عدة طبعات .

٣ - العلم والقضاء، وهى هذه الرسالة التى أخرجت آياتها القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السَّلَفية (تحت الطبع الآن) .

٤ - تراجم قضاة المدينة النبوية الشريفة من عام ٩٦٤ هـ حتى عام ١٤١٧هـ (وهو تحت الجمع والتحرير) .

● **هواية الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم** : أما هوايته ورغبته فالمطالعة والتأليف، فقد عرفته حريصًا أشد الحرص على مطالعة الكتب القيمة النافعة ، والاستفادة منها على الدوام من كتب الحديث والتفسير والفقه وأصولها، كما شاهدت عند تحضيره وإعداده خُطَب الجُمَع والأعياد والاستسقاء والخسوف والكسوف، واستدلاله واستشهاده واقتباسه من تلك الأدلة التى استدل بها على الاحكام الشرعية والآداب المرغبة والأخلاق النبيلة والعقائد الإسلامية الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسُّنَّة وهى كثيرة جدًا ، كما شاهدت ذلك عند تخريجى لخطبه القيمة التى نُشر منها المجلد الأول الذى يتعلق بالإيمان والباقى تحت الطبع، ومن هنا أدركت تماما أنه- وفقه الله- كثير المطالعة والدراسة، ولقد شاهدت مكتبته القيمة النافعة التى جمعت التراث الإسلامى الخالد العظيم، وهى تقع فى غرفتين كبيرتين زيادة على ما عنده فى مجالسه العامة والخاصة من كتب كثيرة متنوعة ، ولقد أكثر النقل عن تفسـير الإمام ابن كثير والقرطبى وابن الجوزى وغيرهم من أئمة التفسير، وكذا الحديث النبوى الشريف، فقد أكثر النقل عن أصحاب الكتب الستة مع شروحاتها، وعلى رأسها فتح البارى ونيل الأوطار وشرح النووى على صحيح الإمام مسلم، هكذا تجده يتشجع على نقل كلام الأئمة الفقهاء الكبار كالإمام ابن قدامة

المقدسى الحنبلى صاحب المغنى وسائر كتبه، فقد أكثر النقل عن المغنى فيما يتعلق بالمسائل الفقهية، ثم يذهب إلى جميع كتب الفقه إذا كانت المسألة خلافية بين الفقهاء، ثم يقارن بينها عن طريق الدليل الصحيح، ثم يأخذ الصحيح مع الترجيح فى ضوء الدليل مع ترجمة ودعائه لجميع الفقهاء المعروفين بالصلاح والرشاد، ومن السَّلَف والخَلَف رحمهم الله تعالى الذين كانوا على عقيدة السَّلَف الصالح رحمهم الله تعالى ·

أما نقله للفتاوى إذا كانت القضية أو المسألة تتعلق بالفتيا ،فإنه أكثر النقل جدًا من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من القدماء، ثم يثنيها من فتاوى سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى، وهكذا دأبه وشأنه دائمًا وأبدًا ، وفقه الله تعالى للخير ·

● **أسلوب القضاء عند صاحب الترجمة** : فإنه وفقه الله تعالى- كما عرفت وتأكدت- يحتاط فى القضايا ويتريث فيها كثيرًا ويضبطها تمام الضبط صغيرة كانت أو كبيرة ، وقد كانت عنده قضيتى فى السنوات الأخيرة مع رجل طبع كتابى، ثم ادَّعى علىّ بأنى أجزت لواحد من الناشرين قبل نفاد الطبعة الأولى، ولقد عرفت تمامًا أن الشيخ المترجم له احتاط فى هذه القضية وضبط إفادتى بالوفاء والتمام، ثم حوَّلها إلى وزارة الإعلام لكى تنظر فيها، وقد سبق للإعلام النظر فيها، وقد أنهاها فى الرياض بعد ما ترددت هذه القضية بين المدينة والرياض لأخذ إفادتى فيها، لأن المدَّعى كان عمله فى الرياض وكان مخطئًا فيها ، ثم ادَّعى علىّ مرة أخرى هنا بالمدينة ،ثم قدّمت الأوراق الرسمية إلى سماحة الشيخ بإنهاء القضية فى الإعلام، وكان المدَّعى فى وقت من الأوقات مرتبطًا بسماحة الشيخ لأنه كان مدرسًا بالمسجد النبوى الشريف وكان قريبًا منه جدًا ، ومع ذلك لم يبال به وحوَّل الأوراق والدعوى إلى وزارة الإعلام بالرياض التى سبق لها النظر فيها ثم الحكم فى القضية، ومن هنا

تعرَّفت تمامًا أن لا ظلم ولا استبداد ولا محاباة عنده ، وفقه الله تعالى وسـدَّد خُطاه، وهكذا نظام القضاء فى الإسلام٠٠ كما جمع وحرَّر فى ذلك رسالته القيمة والنافعة باسم « فضل العلم والقضاء فى الإسلام » ، ثم بقى فى القضاء إلى يومنا هذا : خمسة وثلاثون سنة وثمانية أشهر ، وإن هذه المدة الطويلة فى هذه المهنة الشريفة أكسبت الشيخ مهارة وخبرة كبيرة مع علمه وزهده وورعه، زاده الله تعالى برًا وتوفيقًا وسدادًا وخشية وخوفًا من ربه جَلَّ وعلا ٠

● **أما خطبه المنبرية** : فإنه أعدها إعدادًا جيدًا بتلك الصور الرائعة التى تجدها فى المطبوع ، ثم النظر فى نصوصها الصحيحة المنقولة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة وكلام السَّلَف الصالح من أصحاب رسول الله ﷺ ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم إلقاؤها وإسماعها كان أروع وأنفس ، سمعها العالَم الإسلامى منذ أمد بعيد عن طريق الإذاعة والبث التلفازى المباشر، كما حصل لى الشرف بتخريجها وعما فيها من العلم المنقول كتابا وسُنَّة ، وذلك فى الجزء الأول المطبوع، فقد تكلَّمت عنها وعن بعض ميزاتها وأساليبها الحكمية والبلاغية، فلا بد من مراجعة ذلك من المطبوع -الجزء الأول- وسوف تجد هذه الميزات المميزة إن شاء الله تعالى٠

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله محمد ،وعلى آله وصحبه أجمعين ،ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ٠

كتبه العبد الفقير إلى الله تعالى

عبد القادر بن حبيب الله السندى

نزيل المدينة المنَّورة ٠

* * *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الجزء الثالث من الخطب

الحمد لله رب العالمين ، وأُصلِّى وأُسلِّم على سيد الأوَّلين والآخرين ، نبينا محمد بن عبد الله الصادق الأمين ·

أما بعد · ·

فأُقدِّم لك - أخى القارىء - المجلد الثالث من خطب الجُمَع والأعياد التى ألقيتها على منبر مسجد رسول الله ﷺ ، ويشتمل على خمسين خطبة مقسمة على ثلاثة أبواب من الفقه هى :

١ - الصلاة ٢ - والزكاة ٣ - والصيام

ومن المعلوم أن الخطب تهدف إلى الموعظة والتذكرة قال سبحانه : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) ، ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾(٢) .

وقد بذلتُ الجهد فى اختيار الموضوعات التى يحتاج لها الناس ، وطالعتُ عدداً من الكتب لمعرفة ما قاله العلماء ·

أسأل الله أن ينفع بالخطب مَن قرأها ، ومَن استمع لها ، ومَن سمع بها · وهذا جهد المقل ·

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم ·

المؤلف

عبد الله بن محمد بن زاحم

* * *

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٥

(٢) سورة الأعلى آية: ٩

القسم الأول

كتاب الصـــــلاة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - الطهـــارة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾(٢) .. طهَّر عباده ورفع عنهم الحَرَج وأتم عليهم نعمه .

اللّهُمَّ لك الحمد والشـكر ، لا نُحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له .. فرض الصلوات خمسًا وثوابها يعدل خمسين ، فضلاً منه وإحسانًا .

وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، رحيم بالمؤمنين ، أكمل الله له الدين ، وأتم به النعمة ، واختار له دينا قِيماً ، سَمْحاً مُيَسَّراً .

اللّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتَّبع سُـنَّته .

أما بعد ..

ففى أول سورة المائدة ذكر سبحانه الطيبات البدنية من الطعام والشراب والنساء . ثم أتبعها بالطيبات الروحية ؛ ذكر الصلاة وشرطها ، غذاء أبدان وغذاء أرواح . كيف لا تكون الصلاة من طيبـات الأرواح وهى تصل المخلوق

---

(١) ألقيت فى ٤ / ٦ / ١٤١٦ هـ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

بخالقه . وهى وقوفٌ بين يدى الحى القيوم ، ومناجاته . ولمنزلة الصلاة عند الله اشترِطَت لها الطهارة من الأحداث والنجاسات . قال جَلَّ شأنه :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ الآية(١) .

هذه آية الوضوء ، وكل مسلم يعرفه ويعرف الطهارة ، لكن من باب التذكرة كما قال سبحانه: ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾(٢) . كما أن هناك بعض المسائل قد يعزب حكمها عن بعض الناس وأحببتُ أن أُبَيِّن ما قاله العلماء فيها ، وهيا بنا نتأمل الآية جملة جملة .

الخطاب موجَّه للمؤمنين لأنهم هم الذين يمتثلون الأمر ويجتنبون النهى، ويؤمنون بالثواب والعقاب . قال بعض المفسِّرين : هذا يدل على أن العمل بما اشتملت عليه الآية من الأحكام من لوازم الإيمان ، فالذى لا يعمل بأحكامها ليس بمؤمن .

﴿ إذا قمتم إلى الصلاة ﴾ المقصود إرادة الصلاة . كقوله سبحانه : ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾(٣) :أى أذا أردتَ القراءة . وكقوله ﷺ : « إذا دخل أحدكم الخلاء فليقل : أعوذُ بالله من الخُبث والخبائث » :أى إذا أراد دخوله .

قال بعض المفسِّرين : إن الآية تدل على اشتراط النِيَّة للوضوء مثل سائر العبادات كالصيام والصلاة والحج والزكاة ، فلو توضأ أحد لقصد التبرد فلا يكفيه للصلاة . وقال بعضهم : إنما تُشترط النِيَّة فى العبادات المقصودة بذاتها . مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج . أما ما كان وسيلة كالوضوء فلا تجب له النِيَّة فلو دخل فى الماء بقصد التبرد ارتفع حدَثه .

---

(١) سورة المائدة آية : ٦

(٢) سورة الذاريات آية : ٥٥

(٣) سورة النحل آية : ٩٨

والجمهور على أن النِيَّة شرط فى كل العبادات لقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنِيَّات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » .

﴿ فاغسلوا وجوهكم ﴾ : الوجه من المواجهة وهو كل ما واجه عادة ، وحدّه من منابت شعر الرأس المعتاد إلى أسفل الذقن وما انحدر من اللِّحية : فإذا كانت اللِّحيةُ خفيفةٌ وجب إيصال الماء إلى البَشْرة لأنها تُرى ، أما إذا كانت كثيفة بحيث لا تُرى البَشْرة من تحتها ، فيكفى غسلها وتخليلُها .. هذا طوله وأما عرضه فإلى الأُذنين .

﴿ وأيديكم إلى المرافق ﴾ : اليد تُطلق على العُضو المعروف من الأصابع إلى الكتف ، لكن حدَّد سبحانه غسل اليدين إلى المرافق لرفع الحَرَج والمشقة عن المسلمين .

وهل المرفقان داخلان فى فرض الوضوء أم لا ؟ فالجمهور على أنهما داخلان .

وفعْلُ النبى ﷺ يُفسِّر الآية ، فكان نَبِيُّنا ﷺ يُدير الماءَ على مِرْفَقيه، إلا أن أبا هريرة ﷺ كان يبلغ بالوضوء إبطيه وساقيه .وهذا رأى لأبى هريرة ﷺ استنبطه من قول الرسول ﷺ : « تبلغ الحِليْة من المؤمن حيث بلغ الوضوء » . وقوله ﷺ : « أنتم الغُرُّ المحَجَّلون » ، وقوله عليه الصلاة وأزكى التسليم : « أُمتى يأتون يوم القيامة غُرًا محَجَّلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غُرَّته فليفعل » .

وقال الحُفَّاظ : إن قوله : « مَن استطاع .... » فما بعد موقوف على أبى هــريرة فهى مدرجة فى الحديث . وروى مسلم رحمة الله عليه عن الرسول ﷺ لما سئل : بم يعرف مَن لم يأت بعد من أُمته قال : « إنهم يأتون

غُراً مُحَجَّلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض » [١] ، والمقصود - والله أعلم - بالغُرَّة : من آثار الوضوء المأمور به ٠

قال القاضى عِياض : والناس مجمعون على خلاف هذا - أى على خلاف ما قاله أبو هريرة رضي الله عنه - فمن زاد فقد تعدَّى وظلم ٠

وقوله سبحانه : ﴿ وامسحوا برءوسكم ﴾ فرض الرأس المسح ؛ فيمسح جميعه يبدأ بمقدم رأسه حتى قفاه و ثم يردهما ، إلا إذا كانت على الرأس عمامة فيمسحها ويمسح ما ظهر من الرأس ٠

والأُذنان من الرأس ، فإذا مسح الرأس : مسحهما يُدخل السبَّابة فى داخلهما والإبهامُ من خلف ويدير أصبعيه ، وكيف مَسَحَ أجزأ [٢] ٠ ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حديث عثمان وعلى وابن عباس وغيرهم : أنه كان يمسح الأذنين ٠

وقوله تعالى : ﴿ وأرجلكم ﴾ ، قرأها نافع وابن عامر والكسائى بالنصب : ﴿ وأرجلكم ﴾ على أن العامل فيها ﴿ فاغسلوا ﴾ ٠ أى : واغسلوا أرجلكم ٠

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة بالجر على أن العامل : ﴿ وامسحوا ﴾ والجمهور على أن فرض الرِجْلين الغَسْل : وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يغسل رجليه ٠

﴿ إلى الكعبين ﴾ : والكعبان هما العظمان الناتئان فوق القدم ، وهما داخلان فى الغَسْل لقوله صلى الله عليه وسلم : « ويل للأعقاب من النار » (متفق عليه من حديث عبد الله بن عُمر رضي الله عنه) ٠ ولا يتأتى غَسْل الأعقاب إلا بغَسل الكعبين ٠

---

(١) الترغيب : ١/ ١٥٠

(٢) الكشاف : ١/ ١١٢

والآية رتبت غَسْلَ أعضاءِ الوضوء . فقال الجمهور : الترتيب واجب بنص الآية . وقال آخرون : العطف بالواو لا يفيد الترتيب لأنها لمطلق العطف .

والموالات : وهى ألا يُؤخِّر غسل عضو حتى ينشف الذى قبله فى جَوٍّ مُعتَدِل .

والواجب بنص الآية غسلةٌ واحدة ، والثلاث أفضل ، لأنه ﷺ توضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال: «هذا وضوئى ووضوء المرسلين من قَبْلى»(رواه ابن ماجه) [١].

قال القرطبى فى تفسيره [٢] الصحيح : إن لفظ المسح مشترك يُطلق بمعنى الغَسل وبمعنى المسح ، ونُقل عن الهروى عن الأزهرى أن المسح فى كلام العرب يكون غسلاً ويكون مسحاً ومنه يقال للرجل إذا توضأ : تمسَّح ، ويقال مَسح الله ما بك أى : طهَّرك من الذنوب وغَسَلَها . فهو لفظ مشترك ، فترجح قول مَن قال : إن المراد بقراءة الخفض : الغسل مثل قراءه النصب التى لا إشكال فيها . وروى عن على ﷺ أنه قال : اغسلوا الأقدام إلى الكعبين .

ففرض القدمين الغَسل إلا إذا كان عليهما خُفَّان فيُمسحان .

ومقتضى الآية : الوُضوء لكل صلاة ، سواء أكان المسلم متوضئاً أو مُحْدِثاً ، ولهذا قال الجمهور : إذا كان متوضئاً فوضوؤه مُستَحب . وإن كان مُحْدِثاً فالوضوء واجب . وثبت أنه ﷺ صلَّى عام الفتح عدة صلوات بوضوء واحد لتعليم أُمته ﷺ .

والإسراف فى ماء الوضوء ، والوسوسة عند الوضوء لا تجوز .

فمن الإسراف أن يأتى المتوضئ إلى الميضـآت فيترك البزبـوز (صنبور الماء) يَصُب وهو يُهَيءُ نفسَه أو يُهَيءُ العضو .

---

(١) الكشاف : ١/ ١١٤

(٢) القرطبى : ٦/ ٩٢

ومن الإسراف أن يزيد فى الماء أكثر مما يكفى ، والله تعالى لا يحب المسرفين ، والسُنَّة أن يتوضأ بربع الصاع ويغتسل بصاع ٠

والوسوسة إذا توضأ المسلم جاءه إبليس فقال : بقى العضو الفلانى ما غسلته وقد نشف ما قبله فيعيدَ الوضوء على حساب الوسواس ٠ أو يوحى إليه الوسواس بأن يزيد على ثلاث غَسَلات فيمضى الوقت وهو يتوضأ ، ويفوته وقت الراتبة أو تفوته الصلاة مع جماعة المسجد ٠

وقوله سبحانه : ﴿ وإن كنتم جُنُبًا فاطهروا ﴾ الجُنُب هو الذى عليه حَدَث أكبر يوجب الغُسل ٠ ويجب الغُسل بالتقاء الختانين ، لحديث عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال : « إذا جلس بين شُعَبها الأربع ومس الختانُ الختانَ فقد وجب الغُسل » (أخرجه مسلم رحمه الله) ٠

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إذا جلس بين شُعَبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغُسل » ، زاد مسلم : « وإن لم يُنزل » ، وأجمع التابعون على هذا ٠

وصفة الاغتسال الكامل أن يغسل بدنه ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم يُرَوى بَشْرة رأسه بالماء ، ثم يفيض الماء على شِقِّه الأيمن ثم الأيسر ، ثم يتنحى ويغسل رجليه ، مع التسمية والنِيَّة ٠

والغُسْل المجزى أن يفيض الماء على جسده مرةً واحـدة مع التسمية والنِيَّة ، فإذا لم يجد الماء أو كان يلحقه ضرر باغتساله تيمَّم بالصعيد ٠

وأسباب الغُسْل ستة :

١ – وجود الماء الخارج من القبل ٠
٢ – إذا التقى الختانان ٠
٣ – إسلام الكافر ٠
٤ – الموت ٠
٥ – الحيض وانقطاعه ٠
٦ – انقطاع دم النفاس ٠

ومَن لزمه الغُسْل لسبب من الأسباب الستة حَرُم عليه الاعتكاف فى المسجد ، وقراءة القرآن ، والصلاة ٠٠ حتى يغتسل ٠

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وراقبوه فى سركم وعلانيتكم ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) ٠

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم ٠

* *

(١) سورة النور آية : ٢١

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأغسال المُسْتَحَبَة

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (١) .. شرع الفرائض والمُستحَبات .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، مَن يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، محبته من محبة الله ، وطاعته من طاعة الله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢) ، ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٣) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله وآمن برسالته إلى يوم القيامة .

أما بعد ..

فإنَّ من الأغسال ما هو مُستحَب غير واجب ، ذكر بعض العلماء منها سبعة أفعال :

١ - يُسَن الغُسْل ليوم الجمعة لقوله ﷺ : « مَن توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومَن اغتسل فالغُسْل أفضل » (رواه جماعة من العلماء وسنده

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) سورة آل عمران آية : ٣١

(٣) سورة النساء آية : ٨٠

جيد) . وبعض العلماء قال : غُسْل يوم الجمعة واجب على أهل العرَق والروائح لقوله ﷺ : «مَن جاء منكم الجمعة فليغتسل » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « غُسْل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » .

وأجاب الآخرون : إن معنى «واجب » : متأكد الاستحباب.

٢ - ويُسَن الغُسْل لصلاة عيد ، لأن النبى ﷺ كان يغتسل لها .

٣ - وصلاة كسوف لأنها عبادة يجتمع لها الناس فأشبهت الجمعة، وكذلك الاستسقاء .

٤ - ومن غَسَّل ميتاً استحب له أن يغتسل .

٥ - والإفاقة من الجنون إذا لم يجد الماء خرج من ذَكره فيجب الغُسْل .

٦ - ويُسَن الغُسْل للمستحاضة لكل صلاة ، لأن النبى ﷺ قال لزينب بنت جحش : « اغتسلى لكل صلاة ».

٧ - ويُستحب الاغتسال للإحرام ،ودخول مكة ،وللوقوف بعرفة ، والمبيت بمزدلفة، ورمى الجمار ، ولطواف الزيارة ، ولطواف الوداع لأنها أنساك يجتمع لها الناس مثل الجمعة والعيد .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . ومعنى مُستحَب فى اصطلاح الفقهاء : غير واجب ، وأيضاً إذا لم يكن مشقة .

ويتيمم لكل مُستَحب إذا لم يتيسر الماء كالواجب ، أو تضرر باستعماله.

وصَلُّوا على النبى الهادى إلى سواء السبيل ، فقد أمرنا الله بذلك فى محكم التنزيل فقال سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (١)

* * *

(١) سورة الأحزاب آية :٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ - فى الوضوء[١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٢] .. أنزل من السماء ماءً طهوراً[٣] ، ليطهر به المؤمنين[٤] ، ﴿ويُذهب عنهم رجز الشـيطان ﴾[٥]. ﴿إن الله كان عفواً غفورًا ﴾[٦].

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له .. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٧] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، فُضِّـلَ بالفضائل وخُصَّ بالخصائص . وجُعلَت له الأرض مسجداً وطهوراً.

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به واتبعوا النور الذى أُنزل معه ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأُوصيكم وإياىَ بتقوى الله تعالى ، وحُسْن عبادته ، والتمسك بكتابه العزيز ، وسُنَّة نبيه المطهرة ﷺ .

---

(١) ألقيت فى ١١/٧/١٤٠٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الفرقان آية رقم (٤٨) .

(٤) إشارة إلى معنى آية الأنفال رقم (١١) .

(٥) هى نفس هذه الآية الكريمة من سورة الأنفال آية رقم (١١) .

(٦) جزء من آية النساء : ٤٣

(٧) سورة البقرة آية : ٢٢٢

ثُم هَلُمَّ نستمعُ إلى هذه الآية الكريمة من سورة المائدة ونتفهمُها ، ثم نستمع إلى تفصيل النبى ﷺ لما أُجمل فيها ..

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[١]

يُبيِّن سبحانه وتعالى فى هذه الآية وفى الآية التى فى سورة النساء[٢] مكانة الصلاة وأهميتها وعظم شأنها عنده . فلما كانت الصلاة تُكفِّر الخطايا، وتنهى عن الفحشاء والمنكر[٣] ، وصلةٌ بين العبد وبين ربه[٤] ، فلا بد أن يكون المُصلِّى على أحسن الأحوال والأوصاف نقياً من الأحداث والأنجاس ، حاضر القلب والعقل حتى يعلم ما يقول، ويفهم ما يتكلمُ به ، ويعرف مَن يناجى ، فإنه يناجى ملك الملوك .. خالق الخلق .. قيُّوم السموات والأرضين . وإن أجمل هيئة يتحلَّى بها المصلَّى وأحسنَ الأوصاف أن يكون طاهراً من أدران الشِّرك ، نقياً من أوحال الوثنية ، طاهراً من الأخباث والأحداث ، حاضر القلب والفهم والإدراك .

وبيَّن سبحانه وتعالى أن الطهارة تكون بالماء فهو الأصل فى الطهارة :

---

(١) سورة المائدة آية :٦

(٢) يشير إلى الآية (٤٣) من سورة النساء .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة العنكبوت آية رقم(٤٥) .

(٤) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى ﷺ : أخرجه مسلم فى الصحيح كتاب « الإيمان » حديث رقم (١) خاص وعام (٨٢) .

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾[١] ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾[٢] .

وإذا تعذَّر استعمال الماء إما لفقده ، أو كان الإنسان مريضاً لا يستطيع استعمال الماء ، لعجزه عن استعماله ، أو لضرر يحصل عليه بزيادة مرض أو تأخر برء وتشويه عضو ؛ فإن التيمم يقوم مقام الماء فى هاتين الحالين حتى يجد الماء ، وحتى يقدر على استعمال الماء بلا ضرر . وذلك من رحمة الله بعباده ورأفته بهم ، وتيسيره عليهم . فهو سبحانه لا يريد بالتشريع والأمر والنهى التضييق على عباده ولا المشقة عليهم : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾[٣] . وإنما يريد بتشريعه تزكية نفوسهم ، وتصفية قلوبهم ، وتنظيف أبدانهم، وتأليف قلوبهم ، وجمعَ شملهم . حتى يحصل لهم تمام النعمة ، بالتوفيق إلى طاعته ، وقبول أعمالهم ، واستجابة دعائهم ، وغفران ذنوبهم ، ورفع درجاتهم .

ولعلهم يعرفون نعمة الله عليهم فى تيسير التشريع ورفع المشقة ، ومضاعفة الحسنات ، والتوفيق والثبات ، فيشكرونه عليها بالقول والعمل فيُقدِّرونه حق قدره ، ويعبدونه حق عبادته ، بحسب الاستطاعة، ويعلقون آمالهم به ورجاءهم فيه دون غيره من المخلوقين .

والطهارة نوعان .. طهارة من الحَدَث الأكبر الموجب للغُسْل ، وطهارة من الحَدَث الأصغر الموجب للوضوء وإزالة النجاسات ، وقد بيَّن نبينا ﷺ

---

(١) سورة الفرقان آية : ٤٨

(٢) سورة الأنفال آية : ١١

(٣) سورة المائدة آية : ٦

صفة الطهارة واستعمال الماء لرفع « الحَدَث » وتطهير النجس ، وفصَّل ما أُجمل فى الآية ، فبيَّن صفة الطهارة من الجنابة كما فى حديث أمُ المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها . قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسلُ يديه ، ثم يفرغ الماء بيمينه على شماله فيغسل فَرْجه ، ثم يتوضأ ،ثم يأخذ الماء فيُدخل أصابعه فى أصول الشعر - أى شعر الرأس - ثم حَفَن على رأسه ثلاث حفنات ، ثم أفاض الماء على سائر جسده ، ثم غسل رجليه[١] .

فلا بد من إيصال الماء إلى البَشرة ، وإن لم تنفض المرأة الضفائر .

وبيَّن ﷺ صفة الوضوء لرفع الحَدَث الأصغر ، بما فى الصحيحين من حديث حمران بن أبان ﷺ قال : رأيت عثمان بن عفَّان ﷺ ، دعا بوضوء فغسل كفيه ثلاث مرات ، ثم تمضمض واستنشق واستنثر ، ثم غسل وجهه ثلاث مرات ، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ، ثم اليسرى مثل ذلك ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل رِجْله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات ، ثم اليسرى مثل ذلك ، ثم قال :رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئى هذا[٢] ،ثم قال عليه الصلاة والسلام : « مَن توضأ نحو وضوئى هذا ثم صَلَّى ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدَّم من ذنْبه »[٣] .

وبيَّن ﷺ صفة الطهارة من النجاسات ، فطهارة الإناء إذا ولغ فيه

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح كتاب « الحيض » حديث رقم (٣٥) خاص وعام (٣١٦) من حديث عائشة ﷺ .

(٢) أخرجه البخارى برقم (١٥٩) كتاب « الوضوء » باب رقم (٢٤) : الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ... من حديث عثمان ﷺ ، ومسلم فى الصحيح كتاب « الطهارة » حديث رقم (٢٣) خاص وعام (٢٢٦) .

(٣) هذا لفظ مسلم : كتاب « الطهارة » حديث رقم (٤) خاص وعام (٢٢٦) مع هذه الزيادة .

الكلب : غَسلُه سبع مرات إحداهن بالتراب [١] · وطهارة البقعة : صب الماء عليها حتى تذهب النجاسة · وطهارة الأوانى والثياب والبدن من النجاسات – غير نجاسة الكلب – بأن تغسلها بالماء حتى تذهب النجاسة · والطهارة من بول الجارية الرضيعة : غسله بالماء ، ومن بول الصبى الرضيع : رشه بالماء [٢] ·

وبيَّن ﷺ ما يُستثنى من الغسل من الأعضاء مثل الجبيرة فى الحَدَثين ، والجوارب والعمامة فى الحَدَث الاصغر ·

وبيَّن ﷺ صفة التيمم بالصَّعِيد ، بقوله وفعله · ففى الصحيحين عن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه قال: بعثنى رسول الله ﷺ فى حاجة فأجنبتُ فلم أجد الماء فتمرغتُ كما تتمرغ الدابة ، ثم أتيتُ النبى ﷺ فذكرت له ذلك فقال : « إنما يكفيك أن تقول بيديك هكذا » ، ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ، ثم مسح الشمال على اليمنى وظاهر كفيه ووجهه [٣] · وفى رواية للبخارى: «وضرب بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه» [٤] ·

ولا يكفى التيمم مع وجود الماء إلا فيما استثناه الشرع مثل العاجز عن استعمال الماء ، ويجب عليه طلب الماء ·

---

(١) كما فى حديث عبد الله بن مغفل رواه : مسلم فى الصحيح كتاب « الطهارة» برقم (٢٨٠) عام ، وأبو داود برقم (٧٤) فى الطهارة باب الوضوء بسؤر الكلب ·

(٢) إشارة إلى حديث أم قيس بنت محصن رواه : البخارى برقم (٢٢٣) الوضوء باب رقم (٥٩) وفيه أنه رش الماء على بول الصبى وأما الجارية وبولها فغسله ، وأخرجه أحمد فى المسند : ٦/ ٣٣٩ من حديث أُم الفضل رضي الله عنها وإسناده صحيح ·

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود وأبى موسى الأشعرى يحكون عن عمار بن ياسر رواه : البخارى برقم (٣٤٧) : التميم باب رقم (٢٨) ، ومسلم فى الصحيح كتاب الحيض حديث رقم (١١٠) ·

(٤) البخارى مع الفتح : ١/ ٤٤٣ ، وفى الصحيح برقم (٣٣٨) : التميم باب رقم (٤) وهو من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه · باب المتيمم هل ينفخ فيهما ؟

ومن شرط التيمم عدم وجود الماء ، وعدم الوجود لا يُعرف إلا بعد الطلب ، فاتقوا الله أيها المسلمون .. لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ (١) ، وتطهروا كما تطهر نبيكم محمد ﷺ .

يجب على المُحْدِث أن يطلب الماء للطهارة حتى لو خشى فوات الجماعة، لأن الطهارة من شروط الصلاة ، والطهارة لا تكون إلا بالماء مع وجوده والقُدرة على استعماله ، ولا يصح التيمم مع وجود الماء . فاتقوا الله أيها المسلمون..كونوا مسلمين حقاً ، مستسلمين لله منقادين لأمره ونهيه ، متبعين شرعه ، وكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُرَد إلا صاحب هذا البيت الطاهر ﷺ (٢).

فنسأل الله أن ينفعنا بالقرآن العظيم ، وبسُنَّة نبيه الكريم ، وأن يجعلنا من عباده المؤمنين الطاهرين المتطهرين ، ومن التوَّابين الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣) .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) البخارى مع الفتح : ١/ ٣٠٦ - ٣٠٧ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، ومسلم فى الصحيح :الطهارة حديث رقم (٢٢٥) باب وجوب الطهارة للصلاة .

(٢) إشارة إلى مقالة الإمام مالك بن أنس العامرى الأصبحى إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى تناقلها ثقات من الناس وكنت قد وقفت عليها فى أعلام الموقعين للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سور عديدة ، ومنها سورة البقرة الآيات : ٣٨ ، ٦٢ ، ١١٢ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، آل عمران : ١٧٠ ، المائدة : ٦٩ ، الأنعام : ٤٨، الأعراف : ٣٥ ، يونس : ٦٢ ، الأحقاف : ١٣

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العبادات مبناها على النص (الخطبة الثانية)

الحمد لله واسع الفضل والجود .. الكريم المحمود .

وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له .. الإله المعبود .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ،صلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأخيار ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار .

أما بعد ..

فإن العبادات مبناها على النص من كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه محمد ﷺ ومطلوب فيها حصول السكينة والوقار ، ولا يجوز فيها العبث واللَّعب والطيش والاجتهاد بما يخالف النص .

فمَن أحْدَثَ وجبت عليه الطهارة والبحث عما يتطهر به حتى لوخشى فوات بعض صلاة الجماعة أو كلها .

ومَن سمع الإقامة .. فليمش اليها بسكينة ووقار فى الحركات والكلمات ، والهيئة ، ولا يجرى اليها جرياً بل يقارب بين الخطا ليُرفع له بكل خطوة درجة ويُحَط عنه بها سيئة [١] .

فإذا أتى المسجد .. فإن أدرك صلاة الجماعة[٢] كاملة فبها ونعمت ،

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى برقم (٦٣٦) كتاب الأذان باب رقم (٢١) ، ومسلم نحوه فى المساجد ومواضع الصلاة حديث رقم (١٥٤)خاص .

(٢) هو نفس هذا الحديث: البخارى برقم(٦٣٦) : الأذان باب رقم (٢١)من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وأما ثواب مَن يخطو إلى المسجد بعدم السرعة فقد ورد الحديث فى ذلك : البخارى برقم (٤٧٧) باب (٨٧) : الصلاة ، باب :الصلاة فى مسجد السوق وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

وإن فاته بعضها أتم ما فاته ، وإن وجدهم قد صلوا صلَّى فى جماعة ثانية ، أو يطلب مَن يُصلِّى معه ، أو يُصلِّى منفرداً ، وقد حصل له فضيلة السعى إلى المسجد وكثرةِ الخُطَى ، وثوابُ السكينة والوقار .

ففى الصحيحين عن أبى هريرة ﷺ قال : قال النبى ﷺ : « إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ، ولا تسرعوا ، فما أدركتم فصلُّوا ، وما فاتكم فأتموا » .

وينبغى لطالب الخير أن يبكر إلى المسجد ليحصل له ثواب انتظار الصلاة وثوابُ الجماعة ، فصلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وما كان أكثر فهو أحب إلى الله تعالى (١) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واحرصوا على فعل الخيرات وتكثير الحسنات ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ (٢) .

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (٣) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، وعن بقيـة أصحاب نبيك أجمعين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

---

(١) البخارى برقم (٦٣٦) الأذان باب (٢١) من حديث أبى هريرة ﷺ ومسلم فى الصحيح : المساجد ومواضع الصلاة حديث رقم (١٥٤) خاص .

(٢) سورة هود آية : ١١٤

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين، وأتم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ ادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ،والزلازل والمحن وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا خاصة وعن جمع بلاد المسلمين عامة .

اللَّهُمَّ أدم الأمن والاستقرار فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ، ووفقهم لما يُصلح العباد والبلاد .

اللَّهُمَّ انشر الأمن فى جميع أوطان المسلمين ، وأصلح أئمتهم وولاة أُمورهم ، واهدهم سُبُل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، واقض الدَّيْنَ عن المدينين ، واشف مرضَى المسلمين ،وفـرِّج هم المهمـومين يا حىُّ يا قيوم .

عباد الله . . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢) .

واذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) سورة النحل آية : ٩٠

(٢) سورة النحل آية : ٩١

(٣) سورة العنكبوت آية : ٤٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣ - مسجد التقوى ومسجد الضِّرار [١]

(الخطبة الأولى)

﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [٢] . . أمر بتقواه والاعتصام بحبله المتين.

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأوَّلين والآخرين ، وإليه مرجع الخلق أجمعين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ،إمام المتقين وقائد الغُرّ المُحجِّلين.

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله واصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن المجتمع المسلم الحقيقى صرح شامخ ، كالبنيان يشد بعضه بعضاً ويحمل بعضه بعضاً ، يتراحم ويتعاطف ، ويتعاون ويتعاضد كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى [٣] .

---

(١) ألقيت فى ١٢/٢/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة الفاتحة أية : ٢

(٣) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير ﷺ أخرجه الشيخان فى صحيحيهما : البخارى برقم (٦٠١١) الأدب باب (٢٧) ، ومسلم فى البر والصلة حديث رقم (٢٦٧) خاص وعام (٢٥٨٦) من هذا الوجه واللفظ،والإمام أحمد فى المسند : ٤/ ٢٧٠ / ٢٧٦

والإيمان الصادق هو القاعدة التى يقوم عليها صَرْح الأمة وعزُّها ، والتقوى هى الوشائج التى تربط بين وحدات البناء ·

وقد يكون فى البناء طوبة أو أكثر لم تنضج ، أو حجر فيه أملاح ، فإذا هى ضامرةٌ متآكلة تاركة فجوة فى البنـــاء لا تحمل مثل غيرها ، وليس لها قوة أخواتها ، فما دامت منتظمة فى صفهـا داخلة فى البناء منغمسـة فيه فلا تأثير لها ، لكن لو اجتمعت هذه النوعية الفاسدة فى جانب كانت خطراً على البناء ·

وهكذا المنافقون فى جسم الأُمَّة المسلمة وفى صَرْحها ، إذا لم يكن لهم نشاط فلا خطر ·

فإذا كان لهم نشاطات وتحركات واجتماعات وتحزبات واتصالات ودعوة للتوسع وجمع الأتباع واتخاذ معاقل خاصةً بهم ، واستغلال العناوين الإسلامية والمشروعات الخيرية ولبْس ثياب الإسلام لغدر المسلمين ، وهدم قواعد الإيمان والدين ، ومحاربة المؤمنين الصادقين ، والوقوف أمام الدعوة إلى الله ، فهم خطر على الإسلام والمسلمين ·

وكثيراً ما يتحدَّث القرآن عن المنافقين ، ويصف تحركاتهم ويَفْضح سرائرهم ويكشف نواياهم ·

ولقد رسم القرآن صورة من نشاطات المنافقين لتَنْبيه المؤمنين وتحذيرهم من خداع أولئك المنافقين ، فإليكم واحدةً منهـا ، قال تعالى :

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا
لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ
﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ
بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٩ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١) .

قال ابن كثير رحمه الله : « سبب نزول هذه الآيات أنه كان فى المدينة قَبْل مقْدَم رسول الله ﷺ رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب كان قد تنصَّر وله شرف كبير فى قومه ، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمةٌ عالية ، وأظهرهم الله يوم بدر ، شرق الفاسق بريقه وبارز بالعداوة وخرج إلى كفار مكة يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ فجاءوا مع مَن وافقهم من العرب عام أُحُد .

فكان من أمر المسلمين ما كان ، وامتحنهم الله وكانت العاقبة للمتقين ، فلما رأى الفاسق أمر المسلمين فى ارتفاع وظهور ذهب إلى ملك الروم يستنصره فوعده ومنَّاه وأقام عنده ، وكتب إلى جماعة من قومه ، من أهل الريب والنفاق ، يَعدهم بأنه سيقدم بجيش يقاتل رسول الله ﷺ ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه حملة كتبه ، ويكون مَرصداً له إذا قدم عليهم، فشرعوا فى بناء مسجد مجاور لمسجد قُبَاء ، فلما فرغوا منه طلبوا من رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يُصلِّى فيه ليحتَجوا بصلاته على تقريره وإثباته ، وقالوا إنهم بنوه للضعفاء منهم وأهل العِلَّة فى الليلة الشاتية، وكان رسول الله ﷺ قد عزم على غزوة تبوك، فعصم الله نبيه من الصلاة فى مسجد أُولئك وقال: « إنَّا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله » ، فلما قَفَلَ عليه الصلاة والسلام من تبوك وقرب من المدينة أتاه جبريلُ عليه الصلاة والسلام بخبر ذلك المسجد وما اعتمده بانُوه وأنزل الله تلك الآيات ، فأمر رسولُ الله ﷺ بإحراقه وهدمه » (٢) .

---

(١) سورة التوبة الآيات : ١٠٧ - ١١٠

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير فى تفسيره (٣/ ٤٥١ - ٤٥٣ : مطبعة دار الأندلس) عند تفسير هذه الآية الكريمة وهى برقم (١٠٨) جزماً بصحته دون العزو إلى الآخرين إذ قال : سبب نزول هذه الآية .....

قلت : أخرجه ابن اسحاق فى السيرة وابن مردويه فى تفسيره كما عزاه إليهما السيوطى فى الدر المنثور : ٤/ ٢٨٦

هذه قصة مسجد الضِّرار صوَّرها القرآن الكريم ، وتلك عاقبته : هدم وتحريق. وأمثاله في كل زمان يُتخذ في صور شتَّى . في صورته الأولى صورة مسجد أو في صور أُخرى : صور مدارس للتعليم ، وصور جماعات تحمل شعائر الإسلام . وما يزال أصحاب الأغراض الخبيثه يتخذون من الإسلام ستاراً يكيدون مِنْ خَلفه للإسلام والمسلمين ، ولكنهم في كل مرة يبوءون بالخيبة كأصحاب مسجد الضِّرار ، ولا يبقى إلا البناءُ الطاهر الذي أُسِّسَ على التقوى من أول يوم .

والقرآن الكريم يرسُم هُنَا صورة واضحة جليه تنبيء عن مصير كل مسجد ضِرار ، ويكشف عن كل محاولة خادعة تختفي وراءها نِيَّة خبيثة ، وتُطمئن العاملين المتطهرين من كل كيد يُراد بهم ، مهمـا أُلبس أثواب الصالحين ، وسواء أكانت تلك المحاولة كفراً ونفاقاً ، أو كانت دون ذلك فساداً وفجورا، فحكمها حكم مسجد الضِّرار، فقد حرق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرية بكاملها يُباع فيها الخمر ، وحرق حانوت رويشد الثقفي وسماه فويسقاً (١) بدل : رويشد .

بقي أن نعرف المسجد الذي أُسس على التقوى المذكور في الآية . . .

يظهر من كلام ابن كثير الترجيح بأنه مسجد قُبَاء ، لأنه سيأتي الكلام فيه ، ولأن رسول الله ﷺ أسسه وبناه أول قدومه المدينة مهاجراً ونزوله على

---

(١) ذكر ذلك الحافظ في اللإصابة : ١/ ٥٢٢ (رقم الترجمة ٢٦٩٧) وأكد وقوع القصة إذ قال: رويشد - بمعجمة مصـغراً - الثقفي صهر بني عـدى، ابن نوفل بن عبد مناف ، ثم قال الحافظ : ذكره عمر بن شبة في أخبار المدينة .

ثم قال: وروينا في نسخة إبراهيم بن سعيد رواية كاتب الليث عنه عن ابنه قال : أحرق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت رويشد وكان حانوت شراب . . . ثم ذكره .

قلت: إن هذه القضية ثابتة بالأسانيد الكثيرة ذكرها الحافظ في الإصابة، والله أعلم .

بنى عمرو بن عوف، ولأن رسول الله ﷺ كان يزوره راكباً وماشيًا(١) ، وأنه قال فى الحديث الصحيح : « صلاةٌ فى مسجد قُبَاء كعُمْرة » (٢) .

وللأحاديث الواردة بأن قوله تعالى: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (٣) نزلت فى أهل قُبَاء وبذلك قال جماعة من السَّلَف . والأكثرون على أن المراد بالمسجد الذى أُسس على التقوى مسجدُ رسول الله ﷺ هذا . فقد وردت أحاديث صحيحه بأنه عليه الصلاة والسلام سُئل عن المسجد الذى أُسِّسَ على التقوى فقال : « مسجدى هذا » (٤) ، ولأنه بناه بأمر الله ووجَّه قِبْلته جبريل فبناه رسول الله ﷺ على التقوى وهى طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وجمعاً لكلمة المؤمنين ومعقلاً للإسلام وأهله ، ولا منافاة بين القولين فإن مسجد رسول الله ﷺ هذا قد أُسِّسَ على التقوى من أول يوم ، ومسجد قُبَاء كذلك أُسِّس على التقوى من أول يوم ، وكل مسجد بُنِىَ لله ومن أجل الله ولصلاة المسلمين فيه ، فهو مؤسس على التقوى فى أى مكان كان وفى الآية دليل على استحباب الصلاة فى المساجد القديمة المؤسسة على طاعة الله وطاعة رسوله ، والصلاة مع الجماعة الصالحين المحافظين على طهارة الأبدان وإسباغ الوضوء وطهارة العقيدة وصفاء الإيمان :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما : البخارى برقم (٧٣٢٦) الاعتصام ، ومسلم : الحج رقم الحديث (٥١٥) خاص وعام (١٣٩٩) .

(٢) إشارة إلى حديث أسيد بن ظهير الأنصارى رضي الله عنه : الترمذى (٣٢٤) وحسَّنه وقال :حسن غريب ثم قال : وفى الباب عن سهل به حنيف رضي الله عنه . قلت : حسن .

(٣) سورة التوبة آية :١٠٨ .

(٤) أخرجه الترمذى ، والنسائى ، وأحمد فى المسند : ٥/ ١١٦ من حديث أُبَىّ ابن كعب رضي الله عنه وإسناده صحيح .

أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ
يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ
أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ
بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ... إلى آخر الدعاء .

* *

(١) سورة آل عمران الآيات : ١٠٢ - ١٠٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العناية بالمساجد

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [١] .. نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن المساجد هى بيوت الله ، أمر الله تعالى برفع شأنها وتطهيرها ، وتكريمها ، وتنظيفها من الدنس الحسِّى والمعنوى ، ومن الإهانة والابتذال ، ومن كل شىء يُنفِّر المصلين ، ويُشوِّش عليهم : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٢] .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) سورة النور الآيات : ٣٦ - ٣٨

وعن واثلة بن الأسْقع عن رسول الله ﷺ قال : « جَنِّبوا المساجد صبيانكم ومجانينكم ، وشراءكم وبيعكم ، وخصوماتكم ورفعَ أصواتكم ، وإقامة حدودكم وسل سيوفكم ، واتخذوا على أبوابها المطاهر وجَمِّروها فى الجمع » (رواه ابن ماجه (١) بإسناد فيه ضعف) ،لكن معناه صحيح فإن المساجد إنما بُنيت لذكر الله وعبادته ، ولم تُبْن دوراً للحضانة ولا ملعبًا للأطفال ولا سوقًا للتكسب ، فما بال بعض الناس يأتون بأطفالهم الصغار إلى المسجد، وهم لا يعقلون صلاة ولا يعرفون حُرْمة المسجد ، ثم يتركونهم كأنهم فى دارهم يلعبون ويصرخون ويدورون بين الصفوف ويشغلون المصلين ، ويزعجون العابدين ، ويُشوِّشون على الخاشعين .

ما بال بعض النساء تأتى إلى المسجد بسرب من الأطفال ، تُطلقهم فى بيت الله يُنَجِّسون مُصلَّى المسلمين ، ويُقَذِّرون مواضع أنوفهم وجباههم ، منظر بشع ، وريح قذر،سوء أدب مع الله وفى بيت الله ، وإيذاء للمؤمنين .

صلاة المرأة فى بيتها خير لها (٢) ، وكف الأذى عن بيت الله خير لها .

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى صبيانًا يلعبون فى المسجد ضربهم بالمخفقة وهى الدِّرَّة ، وكان يفتش المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحداً (٣) .

وسمع أمير المؤمنين عمر رجلين يرفعان أصواتهما فى هذا المسجد

---

(١) ابن ماجه برقم (٧٥٠) المساجد باب (٥): ما يكره فى المساجد ، من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه وإسناده فيه ضعف لأجل الحارث بن نبهان وهو مجمع على ضعفه ولكن معناه صحيح ولا يجوز نسبة هذا اللفظ إلى رسول الله ﷺ ، ولكن ورد فى الصحيح من تنظيف المساجد الأحاديث الكثيرة ... انظر ابن ماجه : ١/ ٢٤٧ - ٢٤٨

(٢) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أبو داود فى السنن برقم (٥٧٠) وصححه الحاكم فى المستدرك : ١/ ٢٠٩

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره : ٥/ ١٠٦وهو إمام عمدة فى النقل ذكره بدون إسناد ولا عزو.

فدعاهما وقال : من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ،ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله ﷺ ؟! (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وتعاونوا على البر والتقوى ، لقد وضع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه نظامًا للمسجد ، فاتبعوه ونفذوه ، وعَظِّموا بيت الله ومسجد رسول الله ﷺ ، وطَهِّروه حساً ومعنى ، ولا يجوز التهاون والتساهل فى حق المسجد ، ولا المجاملة بما فيه إهانته وإيذاء المصلين ·

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمركم الله بذلك فى كتابه المنير :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢)

* * *

---

(١) عزاه ابن كثير فى تفسيره إلى البخارى : ٥/ ١٠٦ - ١٠٧ وذلك من حديث السائب بن يزيد الكندى رضي الله عنه

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤ – صيانة المساجد(١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين﴾ (٢).. فضَّل بعض البقاع على بعض .

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣) .

وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له .. ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤) .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .. صاحبُ الخُلُق العظيم (٥) ، والدين القويم (٦) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعهم أجمعين .

أما بعد ..

ففى القرآن الكرم آية محكمة تنص على أن الله تعالى خَصَّ أماكن من الأرض بالتفضيل لما تَتَمَيَّز به من روَّاد ، ولما تختص به من أعمال ، ولما يقال فيها من قول رفيع ، ولما لأهلها من طموح عال وغاية سامية. فتأملوا هذه الآيات ، قال تعالى فى سورة النور : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ

---

(١) ألقيت فى ١٨/٧/١٤٠٩ هـ

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) سورة الأعراف آية : ٥٤

(٤) سورة غافر آية : ٦٥

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القلم آية رقم (٤) .

(٦) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة الانعام آية رقم (٦١) .

وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ
وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١)

إنها المساجد أفضل بقاع الأرض ، وأرفعها قدراً وأعلاها شأناً وأسماها هدفاً وأكرمها على الله ، يحبها ويحب عُمَّارها .

روى الإمام مسلم فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « أحب البلاد إلى الله مساجدُها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها » (٢) .

إنها بيوت الله ، مَن تعلَّق قلبه بها أظلَّه الله مع السبعة الذين يظلهم يوم القيامة فى ظل العرش يوم لاظل إلا ظله (٣) . وبشَّرَ النبى ﷺ المشَّائين إليها فى الظُلَم بالنور التام يوم القيامة (٤)، وبكل خطوة إليها عشر حسنات (٥) ، ومَن جلس ينتظر الصلاة فهو فى صلاة تدعو له الملائكة وتستغفر له تقول : اللَّهُمَّ اغفر له ، اللَّهُمَّ ارحمه ، اللَّهُمَّ تُب عليه ، ما لم يؤذ أو يُحدث (٦) ، قال القرطبى رحمه الله فى التفسير : روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله

---

(١) سورة النور الآيات : ٣٦ - ٣٨

(٢) مسلم فى الصحيح كتاب المساجد مواضع الصلاة حديث رقم (٢٨٨) خاص وعام (٦٧١) وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٣) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه : البخارى : ٣/ ٢٣٢ فى الزكاة : باب الصدقة باليمين . ونحوه مسلم فى الصحيح فى الزكاة برقم (١٠٣١) باب فضل إخفاء الصدقة .

(٤) إشارة إلى حديث بريدة الأسلمى رضي الله عنه : أبو داود برقم (٥٦١) باب ما جاء فى المشى إلى الصلاة ... وإسناده صحيح ،ونحوه الترمذى فى جامعه برقم (٢٢٣) .

(٥) هذا لفظ الترمذى فى جامعه ، والبخارى بمعناه أو أقوى منه برقم (٦٤٧) وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه بسياق طويل وفيه : « لم يخط خطوة إلا رُفعت له بها درجة وحُطَّ عنه بها خطيئة » .

(٦) وهذا هو نفس هذا الحديث : البخارى مع الفتح : ٢/ ١٣١ وفى الصحيح برقم (٦٤٧)كتاب الأذان باب(٣٠) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه مسلم فى الصحيح بهذا اللفظ كتاب المساجد برقم (٢٥٧) خاص من هذا الوجه .

صلى الله عليه وسلم قال : « مَن أحبَّ الله عَزَّ وجَلَّ فليُحبنى ، ومَن أحبنى فليُحب أصحابى ، ومَن أحب أصحابى فليُحب القرآن ، ومَن أحبَّ القرآن فليُحب المساجد فإنها أفنية الله وأبنيته ، أذن الله فى رفعها وبارك فيها ، ميمونة ميمون أهلها ، محفوظة محفوظ أهلها ، هم فى صلاتهم والله عَزَّ وجَلَّ فى حوائجهم ،وهم فى مساجدهم والله من ورائهم » (١) .

إنها منابرُ الدعوة إلى الله ورياض الجنَّة وأماكن العبادة والتفرغ لمناجاة الله، مَن قصدها متطهراً إيماناً واحتساباً لأداء فريضة من فرائض الله فما يرفع رِجْلاً إلا رُفعت له درجة ، وما يحطُّ رِجلاً إلا حُطَّت عنه سيئة (٢) .

وما جلس قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وحفَّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده (٣) . مَن تردَّد عليها فهو مؤمن ، ويُثاب على قدر نيَّته ، ومَن أتاها قاصداً الصلاة مع الجماعة ، فمَن أدرك الصلاة مع الجماعة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وإن فاته شىء منها أتم فتم أجره ، وإن وجد الناس قَد صَلُّوا أعطاه الله مثل أجر مَن صلاَّها وحضرها لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئاً (٤) .

---

(١) أورده العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى فى تفسيره : ١٢/ ٢٦٦ بدون عزو إلى أحد من المحدِّثين ولم أقف عليه مع طول البحث فى المصادر والمراجع التى بين يدى ، والله أعلم .

(٢) إشارة إلى معنى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى مع الفتح : ٢/ ١١٢، ومسلم فى الصحيح برقم (٦٤٩) باب فضل الجماعة وانتظار الصلاة . . .

(٣) إشارة إلى حـديث أبى هريرة ﷺ : مسلم فى الصحيح ، كتـاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، حديث رقم (٣٩) خاص وعام (٢٧٠٠) .

(٤) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ :بعض أصحاب السنن والإمام أحمد فى مسنده: ٣/ ٦٨ وفيه الجزء الأول من الحديث. . وأما الجزء الأخير فهو صحيح أيضاً، راجع مجمع الزوائد للإمام أبى بكر الهيثمى: ٢/ ٣١ - ٣٢ فقد أورد فى هاتين الصفحتين عدة أحاديث فى هذا المعنى. وأوضح وأصرح من هذا ما أخرجه البخارى فى الصحيح حديث رقم (٦٣٥)،(٦٣٦)، راجع الفتح: ٢/ ١١٦ - ١١٩ . . . والله أعلم .

وهذا اللفظ بالذات أخرجه أبو داود فى السنن برقم(٥٦٤) ، وهـو من حـديث أبى هريرة ﷺ وسوف يأتى فيما بعد قلب الصفحة. . وأخرجه البيهقى أيضا: ٣ / ٦٩

وروى البيهقى عن سعيد بن المسيِّب رحمه الله ، قال : حضر رجلا من الأنصار الموتُ فقال : إنى مُحدِّثكم حديثاً ما أُحدثكموه إلا احتساباً ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :« إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ، ثم خرج إلى الصلاة ،لم يرفع قدمه اليمنى إلا كتب الله له حسنة ، ولم يضع قدمه اليسرى إلا حطَّ عنه سيئة ، فليَقْرُب أو يَبْعُد ، فإن أتى المسجد فصلَّى فى جماعة غُفِرَ له ، وإن أتى المسجد وقد صلُّوا بعضاً وبقى بعضٌ فصلَّى ما أدرك وأتم ما بقى كان كذلك ، فإن أتى المسجد وقد صلُّوا فأتم الصلاة كان كذلك » [١] .

روَّاد المساجد هم وفود الله ، والجالسون فيها يناجون الله ويجالسون ملائكة الله[٢] .

أمر الله أن تُرفع حساً ومعنى ، وأمر بتعاهدها وبتنظيفها من القذر واللَّغو،وحثَّ على تطييبها وتطهيرها من النجاسات ومن أدناس الأقوال وسيء الأفعال[٣] .

قال القرطبى رحمه الله : جاء فى الحديث أن المسجد لينزوى من النجاسة كما ينزوى الجلد من النار [٤] ، فيجب أن تُصان المساجد من كل ما لا يليق بقدسيتها ولا يتفق مع رسالتها .

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى : ٣/ ٦٩ وذلك بإسناده عن أبى داود : ثنا معاذ بن معاذ بن نصر العنبرى ذكر الإسناد والمتن ، وقد أخرجه أبو داود فى السنن برقم ٥٦٣ وفى إسناده رجل مجهول وله شاهد آخر أخرجه الإمام أبو داود بهذا اللفظ الذى أورده سماحة الخطيب وفقه الله وهو برقم (٥٦٤) وهو من حديث أبى هريرة ؓ وإسناده مع الأول صالح للمتابعات والشواهد ،والله اعلم .

(٢) إشارة إلى معنى حديث أبى هريرة ؓ : أخرجه البخارى مع الفتح: ١/ ٤٤٨ ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم (٦٤٩) باب فضل الجماعة .

(٣) راجع مجمع الزوائد: ٢/ ١٠ - ١١ إذ عقد باباً بقوله : باب تنظيف المساجد ثم باب آخر بقوله: باب تطهير المساجد ،ثم أورد تحت هذين البابين عدة أحاديث .

(٤) أورده العلامة القرطبى فى تفسيره : ١٢/ ٢٦٦ بدون عزو إلى أحد من المخرِّجين .

قلت : أخرجه عمر بن شعبة النميرى فى تاريخ المدينة : ١/ ٢٦ بإسناد فيه ضعف، والله أعلم بصحته .

ويجب أن تكرم عن الروائح الكريهة مثل الثوم والبصل [١] والدخان [٢] وروائح العَرَق ، فمَن أراد أن يأتى إلى المسجد فليُزِل العرق ويتجنب تلك الروائح فإنه يؤذى المصلِّين ويؤذى الملائكة ، وعلى أهل الأعمال الاغتسال وإزالة آثار العَرَق وخاصة فى الجُمَع ، ويجب أن تُصان المساجد عن البيع والشراء [٣] والغيبة والنميمة وحديث الدنيا[٤] ، وتُصان أيضاً من التسول وإشغال المصلين والذاكرين ، وتُصان من لعب الصبيان ورفع الأصوات إلا بذكر الله وإلا بتعليم العلوم الشرعية .

ومن آداب المسجد : أن يتطهر المسلم ويُحسن الوضوء ،ويجىء إلى المسجد بسكينة ووقار ، وأن ينوى الاعتكاف مدة بقائه فى المسجد ليحصل له زيادة ثواب [٥] .

وإذا دخل المسجد قدَّم رِجْله اليمنى ويقول : بسم الله ، اللَّهُمَّ اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك [٦] .

---

(١) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه :البخارى فى الصحيح : ٢/ ٢٨٤ صفة الصلاة، ونحوه مسلم برقم (٥٦٣) باب النهى عن أكل الثوم وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٢) وأما في تحريم هذا الخبث فقد قال تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (آية : ١٥٧)، فالدخان لم يكن من الحلائل بل هو من الخبَائث بنص القرآن الكريم ...

(٣) إشارة إلى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : الترمذى برقم (٣٢٢) وإسناده حسن ،وكذا أبو داود برقم (١٠٧٩) وقال الترمذى : حديث حسن .

(٤) إشارة إلى حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه : البخارى برقم (٤٧٠) الصلاة باب (٨٣) : رفع الصوت فى المسجد وفيه النهى عن رفع الصوت فى المسجد ...

(٥) إشارة إلى عدة أحاديث ومنها حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى : ٢/ ١١٤ فضل صلاة الجماعة ، ونحوه مسلم برقم (٢٦٤٩) فى المساجد باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة .

(٦) إشارة إلى حديث فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الكبرى رضي الله عنها : الترمذى برقم (٦١٤) فى جامعه باب ما يقول عند دخول المسجد ، ورواه الإمام أحمد فى المسند : ٦/ ٢٨٢ وإسناده حسن وله شاهد من حديث أبى أسيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللَّهُمَّ افتح لى أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللَّهُمَّ إنى أسألك من فضلك » أخرجه مسلم فى الصحيح فى صلاة المسافرين برقم (٧١٣) .. وفى رواية لأبى داود وابن ماجه نحوه، انظر سنن أبى داود برقم (٤٦٥) ، وابن ماجه برقم (٧٧٢) ..

وإذا خرج قدَّم رِجْله اليسرى وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ،اللَّهُمَّ اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك [١] ، وإن زاد : واعصمنى من الشيطان فحسن [٢] .وإذا كان فى المسجد أحد سلَّم عليهم عند الدخول وإلا قال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين [٣] ،وإذا دخل فلا يجلس حتى يُصلِّى ركعتين ما لم يكن وقت نهى عن الصلاة [٤] ، ففيه خلاف بين العلماء فى ذوات الأسباب، ويتحرى الصفوف الأول والقريبة من الإمام ، ولا يتخطى رقاب الناس بل يجلس حيث انتهت الصفوف[٥]،ولا يمر بين يدى المصلى المنفرد[٦]، وإذا رأى فُرجة تقدم إليها [٧]، ويحرص على تلافى التخطى [٨] ويجتنب إيذاء الناس ولا يضايق أحدًا فى صف أو مجلس، والسابق أحق

---

(١) هذا لفظ حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ : أحمد فى المسند : ٦/ ٢٨٢ - ٢٨٣ ، ونحوه الترمذى فى الجامع وابن ماجه فى السنن برقم (٧٧١) ، وبرقم (٧٧٢) وإسناده صالح للاحتجاج به .

(٢) وهذا لفظ ابن ماجه برقم (٧٧٣) : المساجد وهو من حديث أبى هريرة ﷺ وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود ﷺ : البخارى برقم (٨٣١) كتاب الأذان باب رقم (١٤٨) انظر الفتح : ٢/ ٣١١ - ٣١٧ فقد استوعب الحافظ لفظ الحديث إلى حد بعيد وقد تكلم على أسانيدها ومتونها .

(٤) إشارة إلى حديث أبى قتادة السلمى ﷺ : البخارى مع الفتح : ١/ ٤٤٧ الصلاة ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم (٧١٤) فى صلاة المسافرين .

(٥) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة ﷺ : أحمد فى المسند : ٣/ ٨١ وغيره من أصحاب السنن وإسناده صحيح .

(٦) إشارة إلى سترة المصلى وهو من حديث ابن عباس ﷺ : البخارى مع الفتح: ١/ ٥٧١ وفى الصحيح برقم (٤٩٣) الصلاة .

(٧) إشارة إلى حديث أبى سـعيد الخدرى ﷺ بسياق طـويل وفيه : « سدوا الفُرَج » : أحمد فى المسند :٣/٣

(٨) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ : أحمد فى المسند: ٣/ ٨١ وإسناده صحيح .

بالمكان ، ومَن سبق وذهب إلى حلَق الذكر أو للوضـوء ويعود فهو أحق بمكانه، (١) ولا يخرج من المسجد بعد الأذان إلا لحاجة وضرورة (٢) ، ويُستحَب أن يكون أهلُ القرآن والفقه وأهل الأمر والنهى (٣) مما يلى الإمام ، وينبغى الاشتغال بذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة على النبى ﷺ وتعليم الدين ، وتدارس كتاب الله وحديث الرسول ﷺ ، فإذا فعل المسلم ذلك كان المسجد حرزاً له من الشيطان (٤) .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. أدوا حق المساجد واعرفوا لها قدرها ، وارفعوا شأنها حساً ومعنى : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (٥)

إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ (٦)

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وفى سُنَّة النبى الأمين ... إلى آخر الدعاء .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ فى هذا المعنى : مسلم فى الصحيح كتاب السلام برقم (٣١) خاص وعام (٢١٧٩) .

(٢) إشارة إلى حديث جابر ﷺ : أحمد فى المسند : ٣/ ٣٣٦ وإسناده جيد .

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود ﷺ : مسلم فى الصحيح كتاب الصلاة حديث رقم (١٢٢) خاص وعام (٤٣٢) .

(٤) إشارة إلى عدة آيات قرآنية وفيها حث وحض على ذكر الله تعالى ومنها قوله تعالى فى سورة الأحزاب آية رقم(٤١) ، ومنها الأحاديث النبوية الكثيرة فى هذا المعنى ، ومنها حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أخرجه الإمام أحمد فى المسند : ٥/ ٢٨٢ وإسناده صحيح .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٣٣

(٦) سورة التوبة آية : ١٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل المسجد النبوى على المساجد

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [١] .. اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك [٢] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن لهذا المسجد النبوى الشريف فضلاً ومميزات على بقية المساجد إلَّا المسجد الحرام [٣] .

منها : أن الله تعالى هو الذى اختار موقعه، وألهم الناقة بالبروك فى مكانه لقوله ﷺ :« دعوها فإنها مأمورة »[٤]، وبنى فيه الرسول ﷺ بيده [٥] .

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها: مسلم فى الصحيح كتاب الصلاة حديث رقم (٢٢٢) .

(٣) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه : البخارى برقم (١٩٩٥) الصوم باب (٦٧) ، ونحوه مسلم فى الصحيح كتاب الحج حديث رقم (٤١٥) ، (٥١٢) من هذا الوجه واللَّفظ .

(٤) إشارة إلى ما أورده الإمام ابن كثير فى البداية والنهاية : ١٩٨/٣ من قصة الهجرة ، نقلاً عن ابن اسحاق .

(٥) ذكر ذلك الإمام ابن كثير فى البداية والنهاية :١٩٩/٥-٢٠٤ ، نقلا عن المصادر الموثوقة .

ومنها أن اتجّاه القِبْلة على عَيْن الكعبة المشرَّفة (١) توقيفى .

ومنها أن الصلاة فيه بألف صلاة لما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة ﷺ : « صلاةٌ فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (٢)، وهذه الأفضلية تشمَل جميع الزيادات لما رُوى عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لو بُنِىَ هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدى »(٣) .

وروى عن ابن عمر ﷺ قال : زاد عمر بن الخطاب فى المسجد وقال : ولو زدنا فيه حتى بلغ الجَبَّانة كان مسجد رسول الله ﷺ (٤) .

---

(١) هكذا عُرِف بالاستقراء والدراسة ، وقد نص على هـــذا جميع مَن لهم معرفة بهذا الأمر .

(٢) البخارى برقم (١١٩٠) كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة وهو من حديث أبى هريرة ﷺ ،ونحوه مسلم فى الصحيح برقم (١٣٩٤) كتاب الحج .

(٣) وهو من حديث أبى هريرة ﷺ رواه العلاَّمة أبو زيد عمر بن شبَّة النميرى فى أخبار المدينة وقد عزاه إليه الامام العلاَّمة شيخ الإسلام ابن تيمية فى رده على الأخنائى (ص١٢٦) وفى إسناده عبد الله بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى أبى عباد الليثى وهو متروك. انظر التقريب : ٤١٩/١، ولكن معناه صحيح وقد أيَّد هذا المعنى العلاَّمة الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى كتابه ورده على الأخنائى (ص ١٢٥) وقد تكلم عليه كلاماً جيداً مفيداً وأثبت إجماع الأُمة على هذا المعنى فللّه دره رحمه الله تعالى.

(٤) لأن المحقق لم يكن متخصصاً بهذا الفن الشريف ولذا أخطأ فى تحقيق أسانيده ومتونه وتخريج نصوصه الكثيرة التى وجُدت فى الكتب الستة وغيرها فإن المؤلف كان من كبار المحدِّثين وقد روى عنه مباشرة الإمام ابن ماجـه فى سننه ، وقد وثقه الدارقطنى وغيره ، وقد روى عنه الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى صاحب الجرح والتعديل والتفســـير والعلل فكفاه فخـــراً واعتزازاً أن يكون من أجَلِّ شيوخ ابن أبى حاتم وما أدراك ما ابن أبى حاتم؟ وقد توفى هذا الإمام العظيم سنة ٢٦٢ هـ بسر من رأى ، والمحقق لم يقم بترجمته بالوفاء والتمام وهذا نقص خطير جداً والله أعلم .

وقد ولد رحمه الله تعالى يوم الأحد أول يوم من رجب سنة ١٩٣ هـ وهذا لم يذكره المحقق أيضاً ،وكان سِنُه عند موته ٨٩ سنة إلا أربعة أيام رحمه الله ،وأن اسم =

ومنها أن فى هذا المسجد بقعةً مفضَّلة على سائره ، لـمَا فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ما بين بيتى ومنبرى رَوْضَة من رياض الجنَّة » (١) .

ومنها أن منبر الرسول ﷺ على تُرعة من تُرعات الجنَّة (٢) ، وفى حديث أبى هريرة ﷺ عند أحمد بن حنبل : « ومنبرى على حوضى » (٣) .

فهنيئًا لمن أحسن الجوار فى بلد رسول الله ﷺ عند هذا المسجد المطهرّ وأدَّى حقه .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. وإن فضائل الأعمال كثيرة ومتيسرة ولله الحمد والمِنَّة ، وأسباب النجاة موفورة لكل مسلم فى كل مكان (٤) .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (٥) .

* * *

= أبيه زيد ولقبه شبة لأن أمه كانت ترقصه وتقول له : يا بأبى شبًّا وعاش ودبًّا شيخاً كبيراً خبًّا ... وقد أورده شيخ الإسلام فى رده على الأخنائى(ص ١٢٥ - ١٢٦) وعزاه إلى تاريخ المدينة لعمر من شبه النميرى وقد أثبت معناه بالإجماع رحمه الله تعالى .

قلت : هذه النصوص ساقطة فى تاريخ المدينة الذى نشره الأخ السيد رجب محمود وفقه الله للخير ، وفيه أخطاء قبيحة للغاية ويجب إعادة طبع الكتاب مرة ثانية .

(١) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى : البخارى : ٣ / ٥٧ باب فضل ما بين القبر والمنبر، مسلم (١٣٩١) كتاب الحج .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : أحمد فى المسند : ٢ / ٣٦٠ ، ٤١٢ وإسناده حسن وله شواهد كثيرة جدًا .

(٣) هو حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ : البخارى مع الفتح : ٣ / ٥٧ ، ومسلم فى الصحيح ، كتاب الحج برقم (١٣٩١) .

(٤) إشارة إلى حديث عمران بن الحصين ﷺ : البخارى برقم (٧٥٥١) التوحيد، ونحوه مسلم : كتاب القدر (٦ - ٨) .

(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥ - الصلاة أقوى الصلات بالله[١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٢] .

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له، هو الرحمن الرحيم .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه .

صَلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فما أحوج المسلمين فى هذا الزمن المملوء بالفتن والإحن والمصائب ، المملوء بالحقد والحسد والضغائن ، المحفوف بالعقوبات والأخطار ، ما أحوج الناس إلى الاعتراف بالحقيقة وتصحيح الأخطاء ، ثم العملُ على نظام الإسلام: تخطيطٌ على تقوى الله ، وتنفيذٌ فى خشية الله ، وتحملُ مسئولياتٍ من أجل الله ، واعتصام بحبل الله ، وتعاونٌ على طاعة الله ، وإنفاقٌ فى سبيل الله ،وتواصلٌ فى حب الله ، وتعاطفٌ فى رحمة الله .

ما أحوج المسلمين إلى تصفية القلوب، وإزالة العوائق ،ورفع الحواجز ، وتصحيح المفاهيم ، والتناصح بصراحة ،والتآخى فى الله .

---

(١) ألقيت فى ٣/١١/ ١٤٠٠ هـ

(٢) سورة فاطر آية : ١

(٣) سورة فاطر آية : ٢

ما أحوجهم إلى الاعتـــدال فى كل شىء ووزن الأُمور بميزان الإسلام ·

ما أحوجهم إلى أن يقال للمحسن : أحسنتَ ويشكرُ ويُقدَّر ، ويقال للمسىء : أسأتَ ويُعَالَجُ ويُحَقَّر ·

كل مسلم عاقل يتمنى لنفسه ولأُمته الخير والاستقامة ، ويريد لها العِزَّة والكرامة ، ويتمنى لها الحفظ والرعاية ، ولكنه يريد رفيقاً فى الطريق ، والطريق واضح بيِّن ،ولكن الأهواء والشياطين وجلساء السوء يَصدُّون عنه··

أليس صراط الله بيِّناً واضحاً ؟ أليس مستقيماً واســـعاً ؟ أليس نيِّراً مُعبَّداً : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) ·

إن الصلة بالله واتباع سبيله ، والسير على منهاجه فى كل الأُمور الخاصة والعامة ، هو طريق النجاة وهو الذى يحقق لكل مسلم ما يتمناه ، ويوفر لكل مسلم ما يطمح إليه ·

والإنسان مهما بلغ ومهما كان ، فإنما خُلِق من ضعف وخُلِق ضعيفاً ، يضعُف أمام العوامل التى تتوارد عليه منها : نفسٌ أمارة بالسوء ، وشهواتٌ زُيِّنَت له ، ووسـاوسُ إبليس ، وجلساءُ الســـوء ، وحبُ المال ، وطولُ الأمل ··· إلى غير ذلك مما يحيط بالإنسان ، قد تحمله على الخطأ فيما بينه وبين خالقه ، أو فيما بينه وبين أبناء جنسه .

والتمادى والعناد والمكابرة مبغَضَة ، والرجوع إلى الحق فضيلة ·فما أحوج الإنسان إلى تقوية الصـــلة بالله ليتغلب على عوامل الفساد ودعاة الهلاك ، وإن اقوى الصِّلات بالله وأقربهَا إليه : الركن الثانى من أركان

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣

الإسلام وعمودُه ، إنها الصلاةُ ؛ فهى الصلة القوية بالله ، وهى قوة ثابتة ، قوة روحانية ، يستعين بها المسلم فى كل أُموره .

يستعين بها على نفسه وشهواته وشيطانه وجلساء السوء من حوله ، وهى تُغَذِّى شجرة الإيمان : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (١) .

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢) .

الصلاة قوة لها نفوذ ، تنفذ إلى أعماق النفس وإلى أحاسيس الضمير ، تُطَهِّر من الخبائث والفواحش ، وعلاجٌ روحى ناجح : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (٣)

الصلاة مثالُ الكمال ، وبابُ التقوى ، ومصدرُ الإخلاص ، ونورُ الهداية ، وعلامةُ السعادة . تنقى الأدران النفسية والروحية ، كمثل نهر جار يمر بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات (٤) .

﴿ وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ (٥) .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. وأقيموا الصلاة فى أوقاتها مع جماعة المسلمين فى المساجد .. ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ

---

(١) سورة البقرة آية : ٤٥ ، ٤٦

(٢) سورة المعارج الآيات : ١٩ - ٢٣

(٣) سورة العنكبوت آية: ٤٥

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى برقم (٥٢٨) المواقيت ، ومسلم برقم (٢٨٣) المساجد .

(٥) سورة هود آية : ١١٤

فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾(١) ، ولا يحملنكم الشح على خيانه أماناتكم ونقض عهودكم ، ولا يَحملنَّكم على أكل أموالكم بينكم بالباطل ، ولا على الإضرار بالمسلمين ، ولا على الأنانية والاستبداد .

« الدنيا ملعـونة ملعون ما فيهـــا ، إلا ذكر الله وما والاه ،وعالِم ومتعلم »(٢) .

﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾(٣) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنـــا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ علِّمنا منه ما جهلنا ، وذكِّرنا منه ما نسينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذى يرضيك عنا ، ووفقنا للعمل بأحكامه ، والسير على نظامه ، والإيمان بمتشابهه ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ،إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة النور آية : ٣٦ ، ٣٧

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن ضمرة ﷺ ، رواه الترمذى برقم (٢٣٢٣) فى كتاب الزهد ، ورواه ابن ماجه برقم (٤١١٢) وإسناده جيد وله شواهد .

(٣) سورة لقمان آية : ٣٣

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأْمُرْ أهلك بالصلاة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الهادى إلى سبيل الرشاد ·

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ·· منه المبتدأ وإليه المعاد ·

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمـداً عبده ورسوله ·· خيرُ العباد ·

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد ·

أما بعد ··

فإن الصلاة ليست مجرد حركات مألوفة يعتادها الإنسان ، ولا مجردَ أقوال تجرى على اللِّسان ، ولكنها وقوف بين يدى الله ، ومناجاةٌ لرب العالمين وقراءةٌ بتدبر لكلام الواحد القهَّار ، وخضوع للعزيز الجبَّار ، وتعظيمٌ لقيوم السموات والأرضين ·

إنها أعمال خوف ورجاء ، وسجود رغبة ورهبة ، فلا بد فيها من حضور القلب وسكون الجوارح ، واستحضار عظمة مَن تناجى ، وعظمة مَن يقف المُصَلِّى بين يديه ·

سُئِل بعض الصالحين عن صلاته فقال : إذا حانت الصلاةُ أسْبَغْتُ الوضوء ، وأتيتُ الموضع الذى أُريد الصلاة فيه ، فأَقْعُد فيه حتى تجتمع جوارحى ، ثم أقومُ إلى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبِىَّ ، والصراط تحت قدمىَّ ، والجنَّة عن يمينى والنار عن شمالى ، ومَلَك الموت ورائى ، أظنها آخر صلاتى ، ثم أقومُ بين الرجاء والخوف وأُكَبِّر تكبيراً بتحقيق ، وأقرأ قراءة

بترتيل، وأركع ركوعاً بتواضع ، وأســـجد سجوداً بتخشُّع، وأتبعها الإخلاص، ثم لا أدرى أَقُبِلَتْ أم لا ؟!

وقال ابن عباس ﷺ : ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه.

فاتقوا الله أيها المسلمون .. واعرفوا حقيقة الصلاة ومعناها ، وأدوا حقها ومقتضاها ، واعلموا أن الشيطان لن يألوَ جهداً فى إشغال القلب عن الصلاة ، فكن أخى المسلم مُصَلِّياً مجاهداً ،ولا تستسلم له فيوردك الردى.

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (١) .

« مروا أبناءكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليهـا لعشر ، وفرِّقوا بينهم فى المضاجع » (٢) .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٣).

« كلكم راع وكلّ مسئول عن رعيته » (٤) . فاتقوا الله فى رعاياكم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥) .

*　*　*

(١) سورة طه آية : ١٣٢

(٢) أبو داود: برقم (٤٩٥)، (٤٩٦) وأحمد فى المسند : ٢/ ١٨٧ ،والدارقطنى: ١/ ٨٥ ، والحاكم فى المستدرك : ١/ ١٩٧ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وإسناده حسن .

(٣) سورة التحريم آية : ٦

(٤) البخارى : ١٣ / ١٠٠ فى الأحكام : من حديث ابن عمر ﷺ ، ومسلم برقم (١٨٢٩) كتاب الإمارة .

(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦ - حافظوا على الصلوات [(١)]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴾ [(٢)] . . ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [(٣)] .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسَلِّم تسليمًا كثيراً.

أما بعد . .

فإن الإسلام له قواعد يُبنى عليها ، وأُسسٌ يرتكز عليها ، فإذا اختلت القواعدُ والأُسس ، تهدَّم البناء . . فيجب على المسلم أن يحافظ على قواعد دينه وأُسس إسلامه .

وإن الصلاة هى الركن الثانى من أركان الاسلام ، وهى عموده التى يقوم عليها ، ترفع بناءَه وتقيم جوانبه ، أرأيتم الفسطاط الذى يُستظَل به لا يستقيم بناؤه إلا بالعمود التى ترفعه ، فلو سقطت العمود لهوى إلى الأرض ، فكذلك الصلاة من الإسلام.

---

(١) ألقيت فى ١٨/ ١٠/ ١٣٩٨ هـ

(٢) سورة فاطر آية : ١

(٣) سورة القصص آية : ٧٠

بل إنَّ الصلاة من الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد ، فلو أُزيل الرأس لم تبق فيه حياة ، الصلاة لها شأن عظيم عند الله تعالى .

ولعظم شأنها عنده فرضـها على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة عرِجَ به(١) حين قرَّبه وأدناه ورفعه منزلة فوق السموات لم يبلغها أحد من الخلق سواه ، فرضهـا عليه مباشرة ، فُرِضت دون واسطـة الملَكَ ، وكانت أول ما فُرِضت خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ،فما زالﷺ يراجع ربَّه ويسأله التخفيف حتى جُعلت خمس صلوات وهى فى الأجر تعدل خمسين صلاة(٢).

الصلوات الخمس فرض عَيْن على كل مسلم مُكلَّف سـواء ذكراً أو أُنثى . ويؤمر بها الصبى لسبع سنين ويُضرب عليها لعشر (٣) : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ (٤) .

والصلاة من شعائر الإسلام الظاهرة ، وهى نور وبرهان ونجاة لصاحبها يوم القيامة .

وهى صلة بين العبد وربه ، تُطهر النفوس وترفعها إلى درجة الفضل والكمال،وتعطيها قوة وجلداً على المصائب:﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة﴾(٥).

والصلاة تحتُ الخطايا كما تحتُ الرياحُ ورقَ الشجر ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر (٦) ؛ فهى بمثابة الماء الطهـور ينقى البدن من الأوساخ ويعطيه قوة

---

(١) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه الطويل أخرجه البخارى وغيره بسياق طويل : البخارى برقم (٣٤٩) باب كيف فُرِضت الصلوات فى الإسراء ؟

(٢) إشارة إلى هذا الحديث الذى مضى الآن : البخارى برقم (٣٤٩) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) إشارة إلى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أبو داود : برقم (٤٩٥)، (٤٩٦) وإسناده حسن .

(٤) سورة النساء آية : ١٠٣

(٥) سورة البقرة آية :٤٥ ، ١٥٣

(٦) إشارة إلى آية النحل رقم (٩٠) .

ونشاطاً ، قال ﷺ :« أرأيتم لو أن على باب أحدكم نهرا غمراً يغتسل فيه كلَ يوم خمس مرات فهـــل يبقى من درنه شىء » ؟[١] « فكذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » [٢] .

الصلاة هى أول ما فُرِض من شعائر الإسلام ، وهى آخر ما يُفقد من هذا الدين ، مَن حافظ عليها حفظ دينه ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع (٣)· وهى فرقٌ بين الإسلام والكفر ، قال ﷺ :« العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمَن تركها فقد كفر » (٤) ·

وهى مقياس صلاح الأعمال ، فإذا أصلح المسلم صلاتَه فهو على إصلاح باقى شعائر دينه أقدر ، وإذا لم يستطع أن يُصلح صلاته فهو لا يستطيع أن يُصلح بقية شعائر دينه ، قال ﷺ : « أول ما يُحاسَب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » [٥].

فاتقوا الله أيها المسلمون ·· حافظوا على صلواتكم فى أوقاتها ، فإن المحافظة عليها من صفات المؤمنين المفلحين · عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رســول الله ﷺ : « من صَلَّى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءَها ، وأتم لها قيامها وخشوعَها وركوعَها وسجودَها ، خرجت وهى بيضاءُ مسفرةٌ تقول: حفظك الله كما حفظتنى ، ومَن صَلاَّها لغير وقتها ولم يُسْبِغ لها

(١) ابن ماجــه : ١ / ٤٤٧ برقم (١٣٩٧) إقامة الصــلاة من حديث عثمان ابن عفان رضي الله عنه ·

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى مع الفتح برقم (٥٢٨) ·

(٣) إشارة إلى رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مالك فى موطئه : ١/ ١٥ برقم (٥) وإسناده منقطع وإن معناه لصحيح ·

(٤) الترمذى : فى الجامع برقم (٢٦٢٣) من حديث بريدة رضي الله عنه ، والحاكم فى المستدرك وصححه : ١/ ٦ - ٧

(٥) أحمد فى المسند : ٢/ ٢٩٠من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وإسناده حسن مع الشواهد·

وضوءها ، ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها ، خرجت وهى سوداء مظلمةٌ تقول : ضيَّعك الله كما ضيَّعتنى ، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفَّت كما يُلَف الثوب الخَلَق ثم ضُرِب بها وجهه »(١) .

واحذروا التهاون بالصلاة فإن التهاون بها من صفات المنافقين لأنها ثقيلة عليهم : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾(٢) .

فيا عباد الله : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾(٣) .

أدوها مع جماعة المسلمين فى المساجد ، فإن الصلاة مع الجماعة فى المساجد واجبة على الرجال من المسلمين ، أما النساء « فبيوتهن خير لهن ، وصلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد »(٤) ، لكن لا تُمنع من حضور المسجد : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾(٥) . وعن عبد الله

---

(١) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه أورده الهيثمى فى المجمع : ١/ ٣٠٢ ثم قال : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه عباد بن كثير وقد أجمعوا على ضعفه ، ثم قال الهيثمى: قلت : ويأتى حديث عبادة بنحو هذا فى باب مَن لا يتم صلاته ويسىء ركوعها .

قلت : نعم أورده (٢/ ١٢٢) بهذا اللفظ ثم قال : رواه الطبرانى فى الكبير والبزار بنحوه وفيه الأحوص بن حكيم وثقه ابن المدينى والعجلى وضعَّفه جماعة وبقية رجاله موثقون .

قلت : صالح للمتابعات والشواهد وبذلك ثبت الحديث ، والله أعلم .

(٢) سورة البقرة آية : ٤٥ ، ٤٦

(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٨

(٤) أبو داود برقم (٥٧٠) وصححه الحاكم فى المستدرك : ١/ ٢٠٩ وهو من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٥) سورة النور آية : ٣٦ ، ٣٧

ابن مسعود ﷺ قال : مَن سرَّه أن يلقى الله غداً مسلماً فَلْيُحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادَى بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سُنن الهدى وإنهن من سُنن الهدى ، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سُنَّة نبيكم ، ولو تركتم سُنَّة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهرُ فيُحسنُ الطهورَ ، ثم يَعْمِدُ إلى مسجدٍ من هذه المساجد إلا كَتَبَ الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويَرْفعه بها درجة ، ويَحُط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلَّف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يُؤتَى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام فى الصف (١) . فلا يجوز للرجل المسلم أن يتخلف عن أداء الصلاة فى جماعة المسلمين فى المسجد إلا لعذر من مرض أو خوف ، فقد جاء رجل أعمى إلى النبى ﷺ . فقال : إن دارى بعيدة والطريق وعرة والمدينة كثيرة الهوام وليس معى قائد، فهل تجد لى رُخْصة أن أُصلِّى فى بيتى ؟ فقال : «هل تسمع النداء » ؟ فقال : نعم ، قال: « أجب ، لا أجد لك رُخْصَة »(٢).

انظر أيها المتخلِّف عن صلاة الجماعة إلى الطريق الذى بينك وبين المسجد تجده قريباً مُعبَّداً سهلاً ، وانظر إلى ما آتاك الله من نعمة الصحة والبصر وسعة الرزق ، فما هو العذر لك فى التخلف عن الحضور إلى بيت ربك لأداء ركن من أركان دينك ؟ أما تخشى أن يعاقبك الله بأن يسلبك تلك النِعَم أو أن يُنزل بك شيئاً من النِقَم ؟ أما تُفكر فى مآلك ومنزلتك يوم القيامة فتختارُ طريق السعادة والفلاح وتهربُ عن طريق الشقاوة والهلاك ؟

كن مسلمًا حقًا ، قولاً وعملاً ، فليس الإسلام بالتمنى ولا بالتسمى ،

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة ﵂ : البخارى برقم (٦٦٤) كتاب الأذان باب حد المريض أن يشهد الجماعة ،ونحوه مسلم فى الصحيح: الصلاة حديث رقم (٩٥)خاص .

(٢) النسائى فى الصغرى : ٢/١٠٩ - ١١٠ باب المحافظة على الصلوات حيث ينادى بهن من حديث أبى هريرة ﷺ ، وإسناده صحيح .

وإنما الإسلام ما وقر فى القلب وصدَّقته الجوارح [١] ، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [٢] .

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وبارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) لم أقف عليه مرفوعاً و الله أعلم .

(٢) سورة النور آية : ٣١

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

علِّموا أولادكم الصلاة

(الخطبة الثانية)

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. اتقوا الله تعالى واجعلوا صلتكم بالله قوية ، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ (٢) .

واعلموا أن الله قد استرعاكم على مَن فى بيوتكم ومَن تحت ولايتكم : كلكم راع وكلٌ مسئول عن رعيته (٣) ، فعلِّموهم أُصول الإسلام ، ورغِّبوهم فى الخير ، وحذِّروهم من الشر وأهله .

علِّموا أبناءكم وبناتكم وأزواجكم الصلوات الخمس وأداءَها فى أوقاتها ، قال تبارك وتعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأعراف آية :٤٣

(٢) سورة الحشر آية : ١٩

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما : البخارى مع الفتح : ١٣/ ١٠٠ فى الأحكام : ومسلم الإمارة حديث رقم (١٨٢٩) من هذا الوجه واللفظ .

(٤) سورة طه آية : ١٣٢

والعمال الذين يستقدمهم صاحب العمل للعمل تحت مسئوليته لا يجوز أن يهملهم يفسدون فى البلاد فيلحقه من إثمهم . وقال ﷺ : « مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفَرِّقوا بينهم فى المضاجع »[١] .

فلا بد من التعليم والتربية والتأديب . تعـــاهدوهم فى كل وقت من أوقات الصـــلاة ولا تغفلوا عنهم ، واسألوا الله لهم الهداية والتوفيق والصلاح، ثم اعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه وثنَّى بملائكته المُسَبِّحة بقدسه ، وثلَّثَ بكم أيها المؤمنون فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[٢] .

وقـال ﷺ : « مَن صلَّى علىَّ مرة واحـــدة صلَّـى الله عليـه بهـا عشراً » . . . . إلى آخر الدعاء .

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أبو داود برقم (٤٩٥)، (٤٩٦) وإسناده حسن.

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧ - قصر الصلاة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (٢) ..

جعل الصلاة عمود الإسلام ، وفارقاً بين الكفر والإيمان (٣) .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له .. ﴿ هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ (٤) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥)

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد ..

فلما كانت الصلاة ركيزة الإسلام وعمودَه التى يقوم عليها ، ولها دور

---

(١) ألقيت فى ١٦/٢/١٤١٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل ﷺ : أحمد فى المسند : ٥/ ٢٣١ وإسناده صحيح فى هذا المعنى ...

(٤) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى ﷺ : مسلم : الإيمان برقم (٨٧) فى هذا اللفظ - والآية من سورة رقم (٢٥٥) .

(٥) سورة التوبة آية : ١٢٨

فى تثبيت الإيمان وتطهير النفس وتزكيتها ، يُناجى فيها العبدُ ربَّه ، ويُظهِر خضوعه وافتقاره إليه ، يحمده ويُعظِّمه ويُسبِّحه ويُقدِّسه ، أشترِطَ لها شروط وجعل لها أعمال وأقوال مخصوصة مثل الطهارة وستر العَوْرة واستقبالُ القِبْلة والخشوع والقيام والركوع والسجود والقراءة والتسبيح (١) .

ومن رحمة الله تعالى بأُمَّة محمد ﷺ جُعِلت لها أوقات تُؤدَّى فيها لا تتعارض مع مصالح العباد ومعاشهم ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أمَّنى جبريلُ عند البيت مرَّتين فصلَّى بى الظهر فى أول وقتها حين كان الفىء مثل الشراك ، ثم صلَّى العصر حين صار ظلُ كل شىء مثله ، ثم صلَّى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم ، ثم صلَّى العِشاء حين غاب الشفق ، ثم صلَّى الفجر حين برق الفجر وحرُم الطعام على الصائم» (٢).

« وصَلَّى فى المرة الثانية الظهر حين صار ظِلُ كلِ شىء مثله لوقت العصر بالأمس ، ثم صلَّى العصر حين صار ظلُ كل شىء مثليْه ، ثم صلَّى المغرب لوقت الأولى ، ثم صلَّى العِشاء الأخيرة حين ذهب ثُلُث اللَّيل ، ثم صلَّى الصبح حين أسفرت الأرض ، ثم التفت إلىَّ جبريلُ فقال : يا محمد ؛ هذا وقت الأنبياء من قبلك والوقت فيما بين هذين » (٣) .

فإذا تأملنا هذه الأوقات ، علمنا أن الصلاة فُرِضت فى ثلاثة أحوال للإنسان : قبل ذهابه إلى عمله مثل صلاة الصبح والعصر ، وبعد عودته من

---

(١) إشارة إلى عدة أحاديث فى هذا المعنى ومنها قوله تعالى فى سورة المؤمنون آية رقم (١) ، وسورة التوبة آية رقم (٢٣٨) .

(٢) رواه أحمد فى المسند : ١/ ٣٣٣ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ،وأبو داود : برقم (٣٩٣) ، واسناده حسن .

(٣) إشارة إلى حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه : مسلم فى الصحيح برقم (٦١٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

عمله مثل صـــلاة الظهر والمغرب ، وقبـل نومه واستراحته ، وهى صلاة العِشاء ، ولله فى هذه الأوقات نِعَم على العبد تستدعى شكره والثناء عليه ·

ولما كان الإنسان تطْرأ عليه أُمورٌ تتطلب التخفيف والإسراع ، قُصِرت صـلاة السفر فجُعِلت الرُباعية ركعتان [١] ، أما الثُلاثية وهى المغربُ والثُنائية وهى الفجر فلا تقصران ، لأنهما مخففتان من قبل ·

ورخِصَّ فى الجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعِشاء لأهل الأعذار [٢] ·

وقصر الصلاة فى السفر عزيمة للحديث الصحيح عن عائشة ﵂ قالت: فُرِضت الصلاة ركعتين ركعتين فى الحَضَر والسَّفَر ، فأُقرت صلاة السَّفَر وزيد فى صلاة الحَضَر [٣] ، وفى رواية : فأتمت صلاة الحَضَر (رواه مسلم) [٤] · والقصر صَدَقَة تصدَّق الله بها على أُمَّة محمد ﷺ فاقبلوها [٥] ·

أما الجمع ·· فرُخْصة مَن أخذ بها من أهل الأعذار فلا بأس ، ومَن صلَّى كلَّ صلاة فى وقتها فهو الأصل ، ويُباح الجمع لأهل الأعذار مثل المسافر

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس ﵄ : مسلم فى الصحيح : صلاة المسافرين برقم (٦) خاص وعام (٦٨٧) ، ونحوه حديث عائشة ﵂ : مسلم فى الصحيح برقم (١) خاص وعام (٦٨٥) ·

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس ﵄ : مسلم فى الصحيح : صلاة المسافرين برقم (٥٠) خاص وعام (٧٠٥) ، وأخرجه أحمد فى المسند : ١/ ٢٨٣ ، وأبو داود : برقم(١٢١١)، والترمذى برقم (١٨٧) باب ما جاء فى الجمع بين الصلاتين فى الحَضَر·

(٣) نعم: أخرجه مسلم فى الصحيح من حديث عائشة ﵂ : صلاة المسافرين برقم (١) خاص وعام (٦٨٥) ·

(٤) نعم : أخرجه مسلم فى الصحيح من حـديث عائشة ﵂ برقم (٣) خاص وعام (٦٨٥) ، بهذا اللفظ وكذا برقم (٢) ·

(٥) إشارة إلى حديث يعلى بن أمية ﵁ : مسلم فى الصحيح : صلاة المسافرين برقم (٤) خاص وعام (٦٨٦) ·

والمريض ، والمرضع التى يلحقها مشقةٌ فى تطهير ثيابها ، والعاجز عن الطهارة لكل صلاة ، أو العاجز عن معرفة الوقت ، والمستحاضة التى تتأذى بالتطهر لكل صلاة ، وفى حكمها مَن به سلس البول ، ومَن خاف على نفسه أو على ماله أو أهله ، وفى حال المطر والوحل وشدة البرد ٠

ويُشترط لجمع التقديم بين الصلاتين ثلاثة شروط :نيَّة الجمع قبل الدخول فى الصلاة الأولى ، ووجودُ العذر المبيح والموالاة ، فلا يُفصلُ بين الصلاتين بنفل٠ فإن فُقد شرط لم يصح الجمع وصلَّى كل صلاة فى وقتها [1]٠

والمريض يُصَلِّى الصلاة فى وقتها على أى حال كان ، ويجوز الجمع إذا احتاج إليه ، ولا يحل له أن يؤخرها عن وقتها ما دام قلبه يعى ،لقوله ﷺ لعمران بن حصين :« صَلِّ قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب » [2] ٠

وفى رواية : « فإن لم تستطع فمستلقياً » [3] :﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ [4] ٠

وكلما عجز المريض عن عمل من أعمال الصلاة أتى بما دونه ، فإن استطاع الإيماء برأسه وإلا أومأ بطرْفِه [5]٠

---

(١) إشارة إلى حديث حمنة بنت جحش ﵂ : أبو داود برقم (٢٨٧) : الطهارة، وأحمد فى المسند : ٦/ ٤٣٩ ، والترمذى برقم (١٢٨) فى الطهارة وقال: حديث حسن صحيح ٠

(٢) رواه البخارى : تقصير الصلاة حديث رقم (١١١٧) من حديث عمران بن الحصين ﵄ ، باب : إذا لم يطق قاعداً صلَّى على جنب ٠

(٣) ذكر هذه الرواية الحافظ فى الفتح : ٢/ ٥٨٨ وعزاه إلى على ﵁ دون ذكر المصدر الذى أخرج الحديث ، وقد عزا الحافظ هذه الزيادة إلى النسائى فى التلخيص الحبير: ١/ ٢٢٥ وقال الحافظ : وهم الحاكم فيه ٠

(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٦

(٥) إشارة إلى حديث جابر ﵁ عزاه الحافظ فى التلخيص الحبير : ١/ ٢٢٦ إلى البزار ، والبيهقى فى المعرفة وقال : إسناده ضعيف مرفوعاً وهو الموقوف على جابر وهو أصح ، والله أعلم ٠

والطهارة شرط فى صحة الصلاة من الأحداث [١] بالماء ، فإن لم يستطع فبالتيمم ، فإن لم يستطع صلَّى بحسب حاله حتى لو كانت عليه نجاسات ، حتى لو كان عليه حَدَث ؛ فلا يترك الوقت يخرج وهو لم يُصَلِّ ، فيُصلِّى بحسب حاله وبحسب مقدرته : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ [٢] ، ولا يلزمه القضاء فيما بعد لأنه أدَّى ما استطاع ٠

واستقبال القِبْلة شرط للصلاة [٣] ، فإذا كان مريضاً فى سرير على غير القِبْلة ، أو كان فى حال قتال العدو ، أو كان مسافراً فى طائرة مستدبر الكعبة وخشى خروج الوقت صَلَّى حسب حاله ، ويأتى بما استطاع من أركانها وواجباتها ٠

قال تبارك وتعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٤]

فالأمر بالمحافظة على الصلوات يعنى إقامتها فى أوقاتها صحيحة باكتمال الاركان والشرائط ٠

والوُسْطَى : الأرجح أنها العصر [٥] ، وخُصَّت بالذكر لأن وقتها بعد

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى مع الفتح : ١/ ٢٠٦ ، ٢٠٧، ونحوه مسلم : الطهارة برقم (٢٢٥) ٠

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٦

(٣) إشارة إلى حديث أُسامة بن زيد ﷺ عزاه الحافظ فى التلخيص الحبير : ١/ ٢١٣ إلى الشيخين ، حديث رقم (٣١٥) وفيه : أنه صلَّى عليه الصلاة والسلام مستقبل القِبْلة ثم قال : هذه القِبْلة ٠

(٤) سورة البقرة آية : ٢٣٨ - ٢٣٩

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (٢٣٨) ، وقد ذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره : ١/٥١٦ - ٥٢٠ ورجح أنها صلاة العصر عن طريق الأحاديث الكثيرة٠٠٠

القيلولة والراحة من العمل والتعب ، وقد تفوتُ المُصَلِّى ، فخُصَّت بالذكر حثاً على المحافظة عليها ·

والأمر بالقنوت : يعنى الخشوع والتفرغ لمناجات الله فى الصلاة ، لكن إذا كان الخوف لا يدع مجالا لإقامة الصلاة تجاه القِبْلة فإن الصلاة تُؤدَّى ولا تتوقف على استقبال القِبْلة (١) ، ويومىء إيماءً خفيفاً للركوع والسجود ، وإذا استطاع افتتح الصلاة إلى القِبْلة ثم اتجه إلى مسيره ، وكذلك المريض الذى بلغ منه المرض يُصَلِّى بحسب طاقته ومقدرته وما تقتضيه حاله·

إن الأمر بالصلاة حين التقاء الصَفَّين وحال الضرب والطعن وحال المسابقة أمر عجيب يكشف عن مدى الأهمية البالغة التى يُعطِيْها الخالق تعالى للصلاة ويوصى بها لقلوب المسلمين (٢) ·

إن الصلاة عُدَّةٌ فى الخوف وجُنَّة دون الأعداء ، وهى فى المرض أُنس وراحة وشد عزيمة تُضفى على القلب طمأنينةً ورضاء ·

إن الصلاة هى عنوان العبادة ، والإســـلام منهج العبادة فى شتَّى صورها ، وبسبب العبادة يَصِلُ المسلم إلى أرفع درجات القوة والعِزَّة ، وبسبب العبادة يُثَبِّتُ الله الإنسان حال شدته ويُفيض عليه السلامَ والاطمئنان والرضا والرغبة والاحتساب ، فالصلاة قوة وعزيمة للمسلم حال شِدَّته ومرضه ·

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ (٣)

بعض الناس إذا مرض لا يقتنع بصلاة نقصت بعض أركانها وأعمالها

---

(١) إشارة إلى إجماع الأُمة على هذا الموضوع ، فلا يُشترط استقبال القِبْلة فى صلاة الخوف عندهم مستدلين من نصوص كثيرة من الكتاب والسُـنَّة والإجماع ·

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النساء الآيات : ١٠٢ - ١٠٤

(٣) سورة البقرة آية : ٤٥

فيترك الصلاة على نِيَّة أنه إذا برىء صلاَّها وأقامها ، ولكنَّ عِلْمَ الغيب عند الله فلعله تُدْركه المنيَّةُ وقد أخَّر الصلاة متعمداً حتى خرج وقتُها ، والله تعالى قد رضى منه ما يستطيع من أعمالها وأسقط عنه ما خرج عن وسعه ·

فيتعين على مرافقى المرضى والمسئولين المباشرين تنبيههم إذا دخل وقت الصلاة وإعانة مَن يحتاج إلى إعانة ، وإعلامهم بأهمية الصلاة ، فاتقوا الله أيها المؤمنون · · ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾(١) ·

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك العفو والعافية والمعافاة فى الدنيا والآخرة ·

اللَّهُمَّ عافنا فى ديننا وأبداننا وأهلنا وذُرِّياتنا ، وانشر رحمتك علينا وعلى جميع المسلمين ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجمع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم ·

* *

---

(١) سورة المائدة آية : ٢

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستقامة

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (١) ، ونسأله الإعانة على شُكره وذِكره وحُسْن عبادته (٢) .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، ونسأله الثبات على الإيمان .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه الله رحمةً للعالمين (٣) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد ..

فمن جوامع الكلم التى أُعْطِيَها رسول الله ﷺ ما رواه سفيان بن عبد الله الثقفى ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ؛ قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك ، قال : « قل : آمنت بالله ثم استقم » (رواه مسلم) (٤) .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل ﷺ : أحمد فى المسند : ٢/ ٢٩٩ وإسناده صحيح ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور : ١/ ٣٦٩ إلى أحمد وأبى داود والنسائى .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنبياء آية رقم (١٠٧) .

(٤) نعم : أخرجه مسلم فى الصحيح : الإيمان حديث رقم (٦٢) خاص وعام (٣٨) وهو من حديث سفيان بن عبد الله الثقفى ﷺ ...

طلب الصحابى الجليل من نبى الرحمة ﷺ أن يُعلِّمه كلاماً جامعاً لأمر الإسلام فقـال له : « قل : آمنتُ بالله ثم استقم » ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١)

روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قرأ هـذه الآية على المنبر: ﴿ إن الذين قالوا ربنـا الله ثم اسـتقاموا ﴾ فقـال: لم يَرُوغـوا روغان الثعلب (٢). أىْ : فقالوها ونهضوا بمَعْناها ، فلم يجعلوا مع الله آلهة أُخرى ، ولم يصرفوا شيئاً من حق الله إلى أحد من خلق الله ، بل وحَّدوا الله ، ولم يعصوه خشيةً وإجلالاً ومهابة ، ومحبة ورجاءً وتوكلاً .

والمعاصى قادحة فى تمام التوحيد لأنها إجابة للشيطان وداعى الهوى .

وأصل الاستقامة كما قال أبو بكر الصِدِّيق ﷺ : استقامة القلب على التوحيد (٣) فمتى استقام القلب على معرفة الله وعلى خشيته والإعراض عمن سواه : استقامت الجوارح على طاعة الله .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واجعلوا أعمالكم وأقوالكم خاضعة لأحكام الإسلام ، واستقيموا على توحيد الله وطاعته .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

---

(١) سورة فصلت آية : ٣٠

(٢) أورده الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره : ٦/ ١٧٣ إذ قال : وقال الزهرى... ثم ذكر هذا الأثر بدون عزوه إلى أحد المخرجين وأنه فى تفسير ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى ..

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره : ٦/ ١٧٣ تحت الآية (٣٠) من سورة فُصِّلت ، بإسناد ابن جرير الطبرى .

(٤) سورة الأحقاف آية : ١٣، ١٤

ثم اعلموا ـ رحمنى الله وإياكم ـ أن الله تعالى أمرنا بالصلاة والتسليم على هذا النبى الكريم ـ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١)

* * *

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨ - الصلاة تؤثر فى السلوك [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٢] ، وعْدُه لا يُخلَف ، وشرعه مُيَسَّر ، وقضاؤه نافذ .. ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾[٣] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، مِنْه المبتدأ وإليه المنتهى .

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله ، دعا إلى الله على بصيرة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، بلَّغ رسالة ربه ولا زالت غضةً طريةً كما أُنزلت ، صالحةً لكل زمان ومكان ،ولكل جيل وإقليم ، والله المستعان .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن ركناً من أركان الإسلام ورد ذكره فى القرآن الكريم مُعرَّفًا بالألف واللام سبْعًا وستين مرة ، فى ثمانٍ وعشرين سورة . ورد ذكره فى القرآن تارة بالأمر بأدائه ، وتارة بمدح فاعله والثناء عليه وبيان ثوابه ، وتارة بذم تاركه وبيان عقابه . وهذا يدل على مكانة هذا الركن عند الخالق تبارك وتعالى ، وقوةِ تأثيره فى سلوك المسلمين وتَثْبِيتهم فى الشدائد .

---

(١) ألقيت فى ١١/٤/١٤١٥ هـ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٣

إنه الركن الثانى من أركان الإسلام وهو الصلاة ، ذلك الركن العظيم الذى غفل عنه كثير من المسلمين وتهاونوا به ، وآثروا النوم والراحة على أدائها مع جماعة المسلمين فى المساجد ، ولو يعلم أولئك مكانة الصلاة من الإسلام وتأثيرها فى سلوك الفرد والجماعة ، وثواب فاعليها وعقابَ تاركيها لطار النوم من أعينهم ، ولذهب الكسل من أبدانهم .

ولأهمية الصلاة جُعل لها أوقاتٌ لا تعارض مصالح المسلم ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾[1] ، وفى صحيح مسلم عن عبد الله ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « وقتُ الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجل طولَه ما لم يحضر العصر ، ووقت صلاة العصر ما لم تصفر الشمس ، ووقتُ صلاة المغرب ما لم يغب الشفق ، ووقتُ صلاة العِشاء إلى نصف الليل الأوسط ، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلعِ الشمس » .

فأوقاتُ الصلوات المكتوبة إما قَبل العمل مثلُ صلاة العصر والفجر ، وإما بعد العمل مثلُ صلاة الظهر والمغرب والعشاء .

ولما كانت الصلاة تشد المسلم إلى القوة الغالبة القاهرة ، إلى ربه الذى خلقه ، شُرِعت لها صلاة الجماعة للرجال ، وجُعل لها أماكن تُؤدَّى فيها ، وهى المساجد ، ولقد كان المسجد ملتقى المسلمين يتعاونون فيه على البِرِّ والتقوى وحل مشاكلهم .

وكان المجتمع المسلم سمحاً طاهراً نظيفاً ،هدفه الصدق والوفاء والنُصح، وصفاء الضمير ، وخلوص النِيَّة لله تعالى .

ولمكانه المسجد وأهميته رغَّب النبى ﷺ فى بناء المساجد . روى البخارى ومسلم رحمة الله عليهما بسنديهما عن أمير المؤمنين عثمان بن

---

(١) سورة النساء آية : ١٠٣

عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَن بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتاً فى الجنَّة »(١) . وروى الطبرانى عن أبى قِرْصَافة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :« ابنوا المساجد . . . » إلى أن قال : « وإخراجُ القمامةِ منها مهورُ الحور العين »(٢) ، فهنيئاً وبُشْرَى لمن بنى لله مسجداً أو وسَّع مسجداً ونظَّفه وجعل فيه الهواء البارد ، والماء البارد ، بُشْرَى بالنعيم عند الحور العين فى جنات النعيم .

ولتأثير الصلاة فى إصلاح الأُمة ، شُرِع لها الأذان إعلاماً بدخول وقتها لتنبيه الغافل ،وتوقيظ النائم ، وليجتمع المسلمون فى الملتقى فى بيت من بيوت الله ، ليدعوَ بعضهم لبعض ، وليتفقدوا أحوالهم ، وليتعاونوا على نوائب الدهر ويتصلون بربهم يناجونه ويُعظِّمونه ويُسَبِّحونه ويَتْلُون كلامه ، ويسألونه لدِينهم ودنياهم .

ولهذا يجب أن يكون المُصَلِّى لائقاً لمناجاة ربه والوقوف بين يديه طاهراً من الحَدَث الأكبر والأصغر والنجاسات بحسب استطاعته . وينبغى أن يكون المُصَلِّى على جانب من العناية بنفسه حسب طاقته ، فلا يأكل ثوماً ولا بصلاً ، ويلقى عنه كل ما يقلقه ويشوش عليه فى صلاته ، مثل مدافعة الأخْبَثين .

ومن لطف الله بعباده وتيسيره فى شرعه أسْقط عن المُكلَّف ما يعجز عنه من الأركان والواجبات ، وشرع للمسافر قَصْر الصلاة ، وأباح المسح على الخُفَّين ، والجمع بين الظهرين والعِشائين فى وقت إحداهما .

ومَن لم يستطع استعمال الماء لعدم أو عجز أو عــذر فالتَّيممُ يقوم

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وابن ماجه ، عن عثمان رضي الله عنه .

(٢) حــديث صحيح رواه الطبرانى فى الكبير ، والضيــاء فى المختـــارة عن أبى قرصافه رضي الله عنه .

مقامه، ومَن له عذر يُصلِّــى بحسب حاله : ﴿ لا يكلف الله نفســاً إلا وسعها ﴾(١) .

ولتأثير الصلاة فى حياة المسلمين ولعِظَم شأنها عند الله لا تسقط عن المسلم ما دام قلبه يعى .

ولا يجـوز تأخير الصلاة عن وقتها أبـداً مهما كان الأمر بحسب الاستطاعة : ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (٢) .

وروى البخارى رحمه الله عن عمران بن حُصَين ﷺ قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صَلِّ قائماً ، فإن لم تستطع فقاعدًا ،فإن لم تستطع فعلى جنب »(٣) . وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ، ومن هذا أخذ بعض العلماء أن المريض إذا لم يستطع الصلاة على جنب صَلَّى مستلقياً ، فإن لم يستطع أومأ بطرفه ، فإن لم يستطع نوى بقلبه أعمالَ الصلاة ، فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها ما دام القلب يعى ويدرك ما يُقال له ، سواء مستقبل القِبْلة أو لا ، وسواء أكان على وضوء أو لا ، يُصَلِّى بحسب حاله .

ولِمكانة الصلاة وتأثيرها فى قوة المسلمين وشجاعتهم ، أُمروا بأدائها حتى فى حال الخوف وتقابل الجيشين ، حتى فى حال اشتباك القتال وفى حال الضرب والطعن . فالصلاة سـلاح فى المعــركة ، ولقد كان إمامنا وقائدنا النبى ﷺ وأصحـابه الكرام ﷺ الذين تربوا بالقــرآن وبسُــنَّة سيد الأنام ﷺ : يَلْقون عدوهم بهذا السلاح قبل أى سلاح ، وكانوا مُتَفوقين على عدوهم .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٦

(٢) سورة آل عمران آية : ١٩١

(٣) حديث صحيح رواه البخارى وأحمد وأبو داود والنسائى والترمذى ، عن عمران بن حصين ﷺ .

والمسلمون فى العصر الحاضر إذا تخلَّقوا بأخلاق النبى ﷺ وتخلَّقوا بالقرآن ورجعوا إلى الله ،وعملوا بشرائع الإسلام ، كان لهـــم ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ﷺ : نصر وعز وتمكين ، فالصلاة تعبئة روحية تصلهم بالله الذى بيده النصر والهزيمة ، فيكون معهم يؤيدهم ويثبتهم ويَهَبُهم قوة وعزيمة ، ويُلقى فى قلوب أعدائهم رعباً وخوراً وذلاً وهواناً ·

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ (١)

حافظوا على صلتكم بالله ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ (٢) ·

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم·

* *

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٨

(٢) سورة البقرة آية : ٤٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

المسلم يعرف قيمة نعمة الله عليه

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾(١) · يهدى مَن يشاء إلى صــراط مستقيم ·

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ،له المُلْك وله الحمد وله الثناء الحسن ·

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، ترك أُمَّته على المحَجَّة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يُصرف عنها إلا محروم ·

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان ·

أما بعد · ·

فكثيراً ما يُذكِّر القرآنُ المؤمنينَ – بنِعَم الله عليهم ، لأن المسلم الحقيقى يعرف نعمة الله ويعرف قيمة نعمة الله عليه ، وإن من أكبر نِعَم الله على المسلمين هدايتهم للإيمان بالله وبرسالة محمد ﷺ ، وكفى فضلاً وغبطة أن المسلم دائماً مرتاح البال طيب الضمير ، وحاله كلها خير ، إن أصابته سَرَّاءُ شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضَرّاءُ صبر فكان خيراً له ·

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واشكروا نِعَم الله بالقول والعمل ، واعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثَنَّى بملائكته ، وثلثَ بكم أيها المؤمنون، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾(٢) .

* * *

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩ - الخشوع فى الصلاة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (٢) .. خلق الإنسان لعبادته، واختاره لمناجاته، وأرسل الرُّسُل لهدايته ، فله الحمد على نعمته ، وله الشكر على توفيقه .

وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له .. ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (٣) .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ رسالة ربه ، ونصح لأُمتَّه فأنار السبيل ، وأقام الدليل ، وبَشَّر وأنذر ، ورَغَّب وحذَّر .

اللّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن آمن برسالته واستقام على مِلَّته .

أما بعد ..

فإن الاسلام منهجُ عبادة واتصال بالخالق تبارك وتعالى ، والعبادةُ ذات أسرار وتأثيرات روحانية ، فَبِها حياة الروح وفيْها قِوام النفس ،وجلاء القلب ، وحسنُ التصور .

والصلاة هى الركيزة التى يقوم عليها الدين ، وينهض عليها صَرْح الإسلام ، فلا إسلام لمن ترك الصلاة . فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة »(٤) . وعن بريدة بن

---

(١) ألقيت فى ١٥/١/١٤١٥ هـ

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) سورة فاطر الآية : ١٠

(٤) أخرجه مسلم فى الصحيح برقم (٨٢) من حديث جابر الأنصارى رضي الله عنه .

الحَصيب الأسلمى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :« العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » (رواهمـــا الترمذى) [(١)] ، وعند مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« بين الرجل وبين الشِّرك ترك الصلاة » [(٢)] .

والصلاة هى مقياس العمل ، فإن صلحت صَلَحَ بقية الأعمال، وإن فسدت فغيرها أحرى بالفساد ·مَن حفظها حفظ دينه ، ومَن ضيَّعها فهو لغيرها أكثر ضياعاً [(٣)] .

والصلاة هى الرابطة بين الخلق والخالق ، وهى الصلة المباشرة بين المسلم وبين ربه ، فهى ارتقاء بالإنسان من مغريات هذه الدنيا وملذَّاتها ، إلى ما أعدَّه الله لعباده المتقين فى دار كرامته ، إلى ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خَطَرَ على قلب بَشَر [(٤)] .

والصلاة مفتاح القلب لتدبر هذا القرآن ، وتذوق حلاوة الإيمان ، وتَصَوُّر هذه الحياة ومآلها ، وتذكُّر ما بعدها فيستعد العاقل بما يُنجيه ويُسْعده ·

والصلاة قوة للمسلم فى محناته ،وفى المواقف الصعبة وفى الحالات المُحرجة ، والأعمال المتعبة · تحثُّ على الصبر والتحمل وتُقوِّى العزيمة ، وتربط على القلب · فهى المُعِين العذب ساعة العطش ، وهى الزاد حالة الجوع، وهى القوة وقت الضعف ، فمتى اشتد البلاء وضعف الجَهْد البَشَرى

---

(١) الترمذى برقم (٢٦٢٣) من حديث بريدة رضي الله عنه، والحاكم فى المستـــدرك : ١/ ٦ - ٧ وصححه

(٢) مسلم : برقم (٨٢) الإيمان من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنه ·

(٣) إشارة إلى رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مالك فى موطئه: ١/ ١٥ برقم (٥) وإسناده منقطع وإنَّ معناه لصحيح ·

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخـــارى : مع الفتح : ١٣/ ٤٦٥ وفى الصحيح برقم (٨٤٩٨) التوحيد ، ومسلم : الإيمان حديث رقم (٣١٢) ·

فعلى المسلم أن يلجأ إلى الله ويتقرَّب إليه بالصلاة ، فقد كان رسول الله ﷺ إذا اشتد به أمر أسرع إلى الصلاة .

روى الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلَّى (١) .

وكان عليه الصلاة والسلام إذا أتعبه السفر قال : « يا بلال ؛ أقم الصلاة أرحنا بها » (رواه أحمد وأبو داود)(٢) ، فهى قوة وعزيمة .

وقد نصَّ القرآن الكريم على أن الصلاة سببٌ للرزق وسعةِ العيش ، فقال تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نسألك رزقاً ، نحن نرزقك ، والعاقبة للتقوى ﴾ (٣) .

قال ابن كثير رحمه الله : يعنى إذا أقمتَ الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب .

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن كانت الدنيا همُّه فَرَّق الله عليه أمره وجَعلَ فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِب له ، ومَن كانت الآخرة نِيَّتُه جمع الله له أمره وجعل غِناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة » (٤) .

وكما أن الصلاة غذاء للروح فهى شفاء للبدن من الأوجاع ، روى

---

(١) أحمد فى المسند : ٥/ ٣٨٨ وهو من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وإسناده جيد .

(٢) أحمد فى المسند : ٥/ ٣٦٤ من حديث رجل من أصحاب النبى ﷺ ، وكذا: ٥/ ٣٧١ ، وأبو داود: كتاب الأدب باب رقم (٧٨) من هذا الوجه واللفظ .

(٣) سورة طه آية : ١٣٢

(٤) أحمد فى المسند : ٥/ ١٨٣ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وكذا الترمذى وأبو داود فى سننهما وإسناده جيد .

ابن ماجه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : هجَّر النبى ﷺ - أى بكَّر للصلاة - فهجَّرتُ فصليتُ ثم جلستُ ، فالتفتَ إلىَّ النبى ﷺ فقال : « أشْكُت دَرْدَه » أى تشتكى بطنك ؟ قلت : نعم ، قال : « قم فَصَلِّ فإن الصلاة شفاء » (١) .

والصلاة وازعٌ للنفس تفتح القلب المقفل وتنبه القلب الغافل لتدبر العواقب وإدراك النتائج ، فهى تنهى عن الفحشاء والمنكر : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ، إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾(٢).

والصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر هى التى تكون خالصة لله خالية من الرياء ، ومن إعجاب النفس بها ، ويكون القلب فيها حاضراً يَعى ما يقول، وتكون موافقة لهَدْى النبى ﷺ . فبذلك يصير المُصَلِّى قريباً من الله، والقريب من الله يطَهِّره ، ويُزيل الغشاوَة عن قلبه ، وتُدْركه عناية الله ولطفه، فيحفظه من الوقوع فى الفحشاء والمنكر.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان فتىً من الأنصار يُصَلِّى مع النبى ﷺ ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا رَكِبَه ، فذُكر ذلك للنبى ﷺ فقال : « إن الصلاة ستنهاه » ، فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله، فقال نبى الرحمة ﷺ : « ألم أقل لكم » ؟ ، فهى كالنهر الجارى يمر بالأبواب مَن اغتسل فيه خمس مرات لم يبق من أوساخه شىء (٣) .

والخشوع فى الصلاة ، كالروح فى الجسد : فصلاة بلا خشوع مثلُ جسدٍ بلا روح تكون جيفة لا نَفْع فيها . إن الخشوع : هيئة فى النفس ووقار

---

(١) ابن ماجه برقم (٣٤٥٨) الطب باب رقم (١٠) وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وأحمد فى المسند : ٢/ ٣٩٠ من هذا الوجه واللفظ ، وإسناده جيد ، و« درد » كلمة فارسية .

(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٥

(٣) ابن ماجه برقم (١٣٩٧) إقامة الصلاة وهو من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه وإسناده جيد ، وقال المعلق على هذا الحديث (١/ ٤٤٧) : وفى الزوائد حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ورجاله ثقات ، ورواه الترمذى والنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

تَظْهر آثارها على الجوارح فتسكن ، ويَشْتَغِلُ القلب بمناجاة الله ، وتخضع الجوارح لعظمة الله، ويقصر المصلى الطَرْف على محل السجود حياءً من الله .

قال إبراهيم النخعى رحمه الله :« ليس الخشوع لبس الخشن وأكل الخشن وطأطأة الرأس ، وإنما الخشوع أن ترى الشريف والدانى فى الحق سواء، وتخشع لله فى كل فرض افترض عليك .

ونظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ إلى شاب قد نكَّس رأسه فقال : يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد عما فى القلب (١) .. أى ليس بالتصنع .

وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ : الخشوع فى القلب وأن تُلين كفيك للمرء المسلم ، وألا تلتفت فى صلاتك . وقد أثنى الله تعالى على الخاشعين فى صلاتهم فقال سبحانه : ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ (٢) .

ولما كانت الصلاة فى الإسلام كالرأس من الجسد ، وبهذه المنزلة عند الله تعالى ، وبهذا التأثير فى سلوك المسلم ، كانت لها خصوصيات لم تكن لغيرها من العبادات .

فمن ذلك : أن الله تعالى فرضها على عبده ورسوله محمد ﷺ ليلة الإسراء من فوق سبع سماوات ، مُكالمة ، مباشرة من وراء حجاب بدون واسطة المَلَك عليه السلام ، وبقية الشرائع فُرِضت بالوحى بواسطة جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم (٣) .

---

(١) لم أقف عليه مسنداً فى كتب الحديث والله أعلم به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ٦/ ٨٤ إلى عدة مصادر ومنها الحاكم فى المستدرك وصححه إلى على ﷺ فى ذكر هذا اللفظ - والآية من سورة المؤمنون : ١، ٢

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ﷺ : البخارى برقم (٣٤٩) بسياق طويل باب كيف فُرِضت الصلاة فى الإسراء ، ومسلم فى الصحيح كتاب الإيمان حديث رقم (٢٥٩) ، (٢٦٣) .

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ (١) .

وأول ما فُرِضت كانت خمسين صلاة ، فطلب الرسول من ربه التخفيف فجُعِلَت خمس صـلوات تعـدل خمسين صلاة (٢) .

وتُشترط لها الطهارة من الحَدَث الأكبر والأصغر ، ومن النجاسات فى البدن والثوب والمُصَلَّى .

ويُشترط ستر العَوْرة حتى لو كان المصلى خالياً وفى مكان مظلم فلا بد من ستر العَوْرة ، فإن الله يراه وأحق أن يُستحى منه : ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(٣) أى عند كل صلاة يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ (٤) ، فواجب على المُصَلِّى أن يأتى بشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ، والاستعدادُ للوقوف بين يدى الله، وأن يكون على جانب من اللياقة والكفاءة لمناجاة الله .

أما مَن عَدِمَ الماء أو عجز عن استعماله أجزأه التيمم بالصَّعيد ، قال سبحانه : ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (٥) .

ومن خصوصيات الصلاة اشتمالها على قواعد التعظيم لله والخضوع

---

(١) سورة الشورى آية : ٥١

(٢) إشارة إلى حديث أنس الطويل : البخارى برقم (٣٤٩) ، ومسلم : الإيمان برقم (٢٥٩) ، (٢٦٣) .

(٣) سورة الأعراف آية :٣١

(٤) سورة المائدة آية : ٦

(٥) سورة المائدة آية :٦

والتقديس والتنزيه . فالقيام للتعظيم ، والركوع للخضوع ، والسجود للتذلل، والجلوس للخوف والاستعطاف ، وكُلَّما كان الخضوع والخشوع فى الصلاة أعمق كان العبد إلى الله أقرب . روى مسلم رحمه الله فى الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء »(١) .

وللصلاة وقت محدود يجب أداؤها فيه ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾(٢) ، فيجب أداء الصلاة فى وقتها بحسب حال المُصَلِّى وقُدرته على أفعالها : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾(٣) .

وحتى على خط النار وتقابل الجيشين فلا يجوز تأخيرها عن وقتها : ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾(٤) .

حتى فى حال المرض ما دام المريض يعقل ما يُقال له ويعى ما يقول ، فيُصَلِّى بحسب حاله فيأتى بما استطاع من شروط الصلاة وأعمالها ، وما عجز عنه سقط :﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾(٥) .

ومَن نام عن صلاة ونسيها فليُصَلِّها متى ذكرها . روى الشيخان فى الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ قال :« إذا رقد أحدكم عن الصلاة

---

(١) مسلم : الصلاة ، باب ما يقال فى الركوع والسجود حديث رقم (٤٨٢) وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، وأبو داود برقم (٨٧٥) باب فى الدعاء فى الركوع والسجود.

(٢) سورة النساء آية : ١٠٣

(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٩

(٤) سورة النساء آية : ١٠٢

(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٦

أو غفـل عنها فليُصلِّها إذا ذكرها فإن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ وأقم الصلاة لذكرى﴾(١) .

أما الأعمال التجارية وأعمال الحِرَف والألعاب الرياضية والاجتماعات والاحتفالات ، فليست مُبيحةً لتأخير الصلاة حتى يخرج وقتها ، ولا يُعذر مسلم بتأخير الصلاة لأمرٍ دُنيَوِي · وكل فرد مسئول عن صلاته ، وكل صاحب حفل واجتماع مسئول ، فإذا أفسح المجال ونبَّه برأت ذمته ·

فاتقوا الله أيها المسلمون ·· ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾(٢).

اللَّهُمَّ انفعنا وارفعنا بالقرآن ، وبسُـنَّة نبينا سيد الأنام ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم ·

*   *

---

(١) هذا لفظ مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ حديث رقم (٣١٦) : المساجد- والآية من سورة طه : ١٤

(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسئولية المسلم فى دينه

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (١)

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله ·

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه ·

أما بعد ··

فأوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ (٢) ،فواجب على المسلم أن يكون داعياً فى بيته وفى أُسرته وخدمه يأمرهم بالصلاة :﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾(٣) ،وقد أثنى الله على نبيه إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام فقال : ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة ﴾ (٤) ،فكل فرد مسئول عن بيته ومَن تحت ولايته حتى الصبيان يُعلَّمون الصلاة ويُؤْمَرون بها متى عقلوا ·

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵁ قال: قال رسول الله

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) سورة التحريم آية : ٦

(٣) سورة طه آية : ١٣٢

(٤) سورة مريم آية : ٥٥

صلى الله عليه وسلم : « مُروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفَرِّقوا بينهم فى المضاجع »(١) .

وقال ﷺ : « كلكم راع وكُلٌ مسئول عن رعيته »(٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واعلموا أنَّ الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثَنَّى بملائكة ، وثلَّث بكم أيها المؤمنون ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٣) .

* * *

(١) إشارة إلى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أبو داود برقم (٤٩٥)، (٤٩٦) ، وأحمد فى المسند : ٢/ ١٨٧ وإسناده حسن مع الشواهد الكثيرة .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنه : البخارى ١٣/ ١٠٠ الأحكام ، ومسلم (١٨٢٩) الإمارة .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٠ - الحث على الصلاة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[٢] .

وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٣] .

عباد الله . . إن الإنسان يكدح فى هذه الحياة ويتلقى المشاق بصبر وعزيمة ، من أجل تحقيق عِزَّته وكرامته ، وتوفير راحته وسعادته . هذا وهو يعرف أن حياته محدودةٌ ، وأجله محتومٌ . ويعرف بالنص والاستقراء أن أعمار أُمَّة محمد ﷺ ما بين الستين إلى السبعين ولا يتجاوز ذلك إلا مُعَمِّر[٤] .

---

(١) ألقيت فى ٢٧ / ١ / ١٤٠١ هـ

(٢) سورة الأنعام آية : ١

(٣) سورة الطلاق : آية : ٢ - ٣

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذى فى الجامع كتاب الزهد حديث رقم (٢٣٣١) باب (٢٣) وعنوانه : ما جاء فى فناء أعمار هذه الأُمة ما بين الستين إلى السبعين ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب من حديث أبى صالح عن أبى هريرة وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة رضي الله عنه . قلت : إسناده حسن .

فالإنسان حريص كل الحرص على إصلاح دنياه ، ولكنه يغفل عما هو خير له وأبقى ، ينسى آخرته التى إليها مآله وفيها حسابه وجزاؤه . فكم من إنسان يسهر ليله ويكد فى نهاره لتحقيق رغبته فى العاجلة ، ولكن إذا جاء أمر الآخرة وعمل الخير وما فيه سعادته وفلاحه فى الآخرة، تراه يتَّاقل ويتكاسل ، مع أن ما أوجبه الله على عباده من العبادات البدنية والمالية شيء قليل بالنسبة للزمن ، فأداء الصلاة مع الجماعة لا يستغرق أكثر من ثلث ساعة ، وباقى الزمن للإنسان ، وزكاة التجـــارة اثنتان ونصف فى المائة ، وباقى المال ملك للغنى . ولكن النفس الإمَّارة بالسوء ووساوس الشيطان تجعل عمل الخير ثقيـلاً عند ضعيف الإيمان كما قال تعـالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (١) .

فبعض الناس يعمل فى دكانه أو يتجول فى سوقه من أول النهار إلى منتصف الليل ، فإذا حان وقت الصلاة ونودى لها نكص على عقبيه وولَّى مدبراً ، فلا يجيب داعى الله ، ولا يتوجَّه إلى الفلاح . يشق عليه أن يذهب إلى بيت الله مع إخوانه الأتقياء الأبرار ، ذلك لأنه لم يؤمن حقاً بأن الصلاة نورٌ له ونجاةٌ وبرهان ، لم يؤمن بأنها صلة بينه وبين ملك الملوك وقَيوم السموات والأرضين ،لم يؤمن بأن فيها فلاحه وصلاحه واستقراره .

فلو آمن إيماناً صادقًا لما تخلَّف عن أداء ركن أساسى من أركان الإسلام. فآخرُ ما يُفْقد من هذا الدين الحنيف الصلاة،فمَن حفظها حفظ دينه ومَن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع(٢) .وأول ما يُحاسَب عنـــه العبد يوم القيامة الصلاة ،فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله (٣) .

---

(١) سورة البقرة آية : ٤٥ ، ٤٦

(٢) إشارة إلى رسالة عمر بن الخطاب ﷺ ، أخرجه مالك فى موطئه : ١/ ١٥ بإسناد منقطع برقم (٥) ، وإنَّ معناه لصحيح .

(٣) أحمد فى السنن : ٢/ ٢٩٠ وهو من حديث أبى هريرة ﷺ وأخرجه بعض أصحاب السنن الأربعة والدارمى فى سننه من هذا الوجه واللفظ ، وإسناده حسن مع الشواهد لوجود زيد بن على بن جدعان فى إسناده ، والله أعلم .

وهناك إنسان آخر آتاه الله مالاً كثيراً ، فلا يؤدى الحق القليل الواجب عليه للفقراء والمساكين والأيتام والأرامل ، فيشق عليه أن يخرج زكاة ماله التى أوجب الله عليه ، فلا يكتفى بالمال الكثير الذى أحلَّه الله له ، بل تتعلق نفسه بالقليل الذى حرَّم الله عليه ، فلو آمن بأن الزكاة طُهْرة للنفس وزيادة للمال لما منع الزكاة ، ولو آمن حقًّا بأنه سيُحمى عليها فى نار جهنم فيُكْوَى بها جبينه وجنبه وظهره (١) . . لو آمن بذلك لأخرج زكاة ماله بطيب نفس خوفاً وطمعاً .

وإذا تأمل الإنسان أحوال كثير من الناس وجد أن طريق الخير والصلاح شاقاً عليهم ، والطرق الأُخرى سهلةٌ يسيرة مرغوبة محبَّبة عندهم . والسبب فى ذلك هو ضعف التصور والإدراك لنتائج الأُمور وعواقبها ، وضعف الإيمان بالله وبما جاء من عند الله ، وضعف الإيمان باليوم الآخر وما فيه من الحساب والثواب والعقاب ، فهو ساه غافل عما أمامه .

والباعث لذلك كله هو وساوس الشيطان الذى أقسم أن يضل بنى آدم ، وآلى على نفسه أن يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم لصدِّهم عن صراط الله المستقيم ، وصرفهم عن خالقهم وعن شكره على آلائه ونعمه .

فاتقوا الله عباد الله . . ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

اتقوا الله أيها الناس . . توبوا إلى الله واستغفروه ، والجأوا إليه فى طلب النجاة من عدوكم ، واستعينوا بربكم فى جميع أُموركم ، واسألوه

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (٣٥) .

(٢) سورة الأعراف آية : ٢٧

الهداية والتوفيق والسداد : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ أعذنا من الشيطان الرجيم ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأعنا على شكرك وذِكرك وحُسن عبادتك .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر والمواعظ .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٠٠

(٢) سورة الأعراف آية : ٢٠١

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأهب للقاء الله

(الخطبة الثانية)

الحمد لله .. أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأتوب إليه .

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مَن يهد الله فهو المهتد ، ومَن يُضلل فلن تجد له وليًا مرشداً [١] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له . وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى وراقبوه فإنه مُطَّلِعٌ عليكم يراكم ويعلم حركاتكم وسكناتكم: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [٢] .

حاسِبوا أنفسكم ما دمتم فى دار المحاسبة والعمل ، قبل أن تُحاسَبوا فى دار الجزاء ، واعلموا أن الأجل يقطع الأمل ، فالموت قد تخطّاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم إليكم ، فخذوا حِذركم وتأهبوا للقاء ربكم ، وتزوَّدوا بزاد التقوى والصلاح لقبوركم وليوم نشوركم .

﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [٣] .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الكهف آية رقم (١٧) .

(٢) سورة غافر آية : ١٩

(٣) سورة المزمل : آية : ٢٠

واحذروا الغفلة فإنها تؤدى إلى حيالك الظلام ومتاهه الأمانى والأوهام ، فأتبعوا السيئات بالحسنات تمحها [١]، واخرجوا من الذنوب والآثام بالتوبة والاستغفار ، فإن الله جوَّاد كريم رؤوف رحيم : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[٢] .

وصَلُّوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه العزيز فقال جَلَّ مِن قائل عليماً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٣]

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث أبى ذر ﷺ : أحمد فى المسند : ١٥٣/٥وإسناده جيد ، وأخرجه الترمذى فى جامعه : البر والصلة ، وكذا الدارمى فى سننه ·

(٢) سورة البقرة آية :١٨٦

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١ - سرقة الصلاة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (٢) . . خلقنا من العدم ، وأتم علينا جميع النعمَ ظاهرة وباطنة . اللَّهُمَّ لك الحمد حتى ترضَى ، ولك الشكر إذا رضيت .

وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، جَوَّادٌ كريم رَبٌ رَحيمٌ ، طَيبٌ لا يقبل إلا طيباً ، وحقٌ لا يقبل إلا حقاً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فلو سرق إنسان مال مسلم لصاح به الناس ورقَّت قلوبهم للمسروق متاعه .

لكن هناك سرقات لا يرفع بعضُ الناس بها رأساً ولا يُلقى لها بالاً ، وهى أهم من سرقة الأموال .

إنها سرقة الصلاة . . يقوم الرجل يُصلِّى لله تعالى فإذا به يسرق صلاته ويختلسها . حتى إذا انصرف لم يكن له منها إلا النصف ، أو الثُلُث ،

---

(١) ألقيت فى ١٨ / ١ / ١٣٩٩ هـ

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) سورة التوبة آية : ١٢٨

أو الرُبع أو الخُمس أو العُشر (١) . أو كلها خداج (٢) ،كمثل امرأة حامل لما قرب نفاسـها أسقطت ولدها مَيْتاً ، فليست ذات حمل ، ولا ذات ولد ، ولا ذات راحة .

روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى وغيره بسند صحيح عن أبى قتادة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته » ، قالوا : يا رسول الله ؛ كيف يسرق من الصلاة ؟ قال : « لا يُتم ركوعَهـا ولا سجودَها »(٣).

ورواه الطبرانى بسند جيد عن عبد الله بن مغفَّـل ﷺ قال : قال رسـول الله ﷺ : « أسـرق الناس الذى يسـرق صلاته » ، قيل : يا رسول الله ؛كيف يسرق صَلاته ؟ قال: « لا يُتم ركوعَها ولا سجودَها » (٤).

والصلاة لها أعمال وأقوال وخشوع ،فلا بد من الإتيان بشروطها وأركانها وواجبـاتها الفعلية والقولية ،فمَن نقص منها شيئًا فهو نقص فى صلاته ، والأكمل أن يأتى بمسنُوناتها .

روى البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى بسنديهما عن أبى هريرة ﷺ أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس ناحية المسجد فَصَلَّى ، ثم جاء فسَلَّمَ عليه فقال له رسول الله ﷺ : « وعليك السلام ، ارجع فصَلِّ فإنك لم تُصَلِّ » ، فصَلَّى ثم جاء فسَلَّمَ فقال : « وعليك السلام ، ارجع فصَلِّ فإنك لم تُصَلِّ » ، ثم قال فى الثالثة ، عَلِّمنى يا رسول الله . فقال :« إذا قمتَ إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القِبْلة ، فكَبِّر ، ثم اقرأ ما تيسَّر

(١) أحمد فى المسند : ٣/ ٤٢٧ من حديث أبى اليسر ﷺ وإسناده جيد .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : مسلم برقم(٣٨)خاص وعام (٣٩٥) .

(٣) أحمد: ٥/ ٣١٠ وإسناده صحيح وهو من حديث أبى قتادة ﷺ وكذا من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ ، أخرجه أحمد : ٣/ ٥٦ وإسناده فيه ضعف قليل .

(٤) أورده الإمام أبو بكر الهيثمى فى المجمع : ٢/ ١٢٠ من حديث عبد الله بن مغفل ﷺ وقال : رواه الطبرانى فى الثلاثة ورجاله ثقات .

معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تستوى قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها » .

وفى رواية : « ثم ارفع حتى تستوى قائماً » ، وفى رواية : « فإذا فعلت ذلك فقد تَمَّت صلاتك وإن نقصت من هذا فإنما تنقصه من صلاتك » .

وعن أبى مسعود البدرى ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ : « لا تجزئ صلاة الرجل حتى يُقيم ظهره فى الركوع والسجود » (رواه جمع من أهل المسانيد والسنن) .

هكذا يُعَلِّمنا نبينا محمد ﷺ كيف نتقن الركن الثانى من أركان الإسلام،وكيف نثبت عمود الإسلام [١] ، وكيف نُقوِّى الصلة بيننا وبين ربنا ، ويذكرنا برحمته بنا وحرصه علينا .

روى مسلم وغيره عن أبى هريرة ﷺ قال :لما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته يوماً قال :« يا فلان ؛ ألا تُحسن صلاتك ؟ ألا ينظر المُصَلِّى إذا صَلَّى كيف يُصَلِّى ؟ فإنما يُصَلِّى لنفسه » [٢] ،ولفظ ابن خزيمة : « ألا تتقى الله؟ ألا تنظر كيف تُصلِّى ؟ إن أحدكم إذا قام يُصَلِّى إنما يقوم يناجى ربه فلينظر كيف يناجيه »[٣] .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. لا صلاة لمن لم يُقِم صلبه بعد الرفع من الركوع [٤] .

---

(١) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل ﷺ : أحمد فى المسند : ٥/ ٢٣١ وإسناده جيد مع الشواهد الكثيرة .

(٢) مسلم فى الصحيح : الصلاة حديث رقم (١٠٨) خاص وعام (٤٢٣) وهو من حديث أبى هريرة ﷺ .

(٣) ابن خزيمة فى الصحيح برقم (٤٧٤) باب (٨٥) : الأمر بالخشوع فى الصلاة من حديث أبى هريرة ﷺ وإسناده جيد .

(٤) إشارة إلى حديث أبى مسعود البدرى ﷺ : أحمد فى المسند : ٤/ ١٢٢، وأبو داود فى السنن برقم (٨٥٥) ،والترمذى برقم (٢٦٥) وقال:حديث حسن صحيح .

بعض الإخوان يستغفله الشيطان فينسيه صـــلاتَه فيأخذ ينقرها نَقْر الغراب ، لا يتمكن من قراءة ، ولا تسبيح ولا تحميد ، ولا دعاء ، ولا صلاة على النبى ﷺ ٠ولو أن لأحدكم عمودُ خيمة ، أو سارية تحمل سقف المنزل لكره أن يُخدش · فكيف يعمد بعض المسلمين بنقص صلاته التى هى لله ، والتى هى ركن الإسلام وعموده التى يقوم عليها ·

فاتقوا الله واطمئنوا فى صـــلاتكم وأتموها فإن الله لا يقبل إلا تمامًا :

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (١) ·

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ·

ونعوذُ بـك من الشـيطان الرجيم ، من همزه ونفخـه ونفثـــه ووساوسه ،ونعوذُ بك أن يتسلَّط علينا أو أن يشغلنا فى صلاتنا وعباداتنا، اللَّهُمَّ اجعل بيننا وبينه حجاباً يمنعه عنا ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا وجميع المسلمين ،إنك أنت الغفور الرحيم ·

* *

(١) سورة الإسراء آية : ٧٨ ، ٧٩

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُصَلِّى مجاهد

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [١] . .

اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك [٢] .

وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله .

أما بعد . .

فما طلب إبليس الإنظار إلى يوم القيامة إلا لإغواء بنى آدم وإفساد عباداتهم وصَدِّهم عن الجنَّة ، وأكثر ما يتسلّط فى الصلاة ، لأنها تُغْيظُه . فإذا سجد ابن آدم قال إبليس : أُمِرَ ابنُ آدم بالسجود فسجد فله الجنَّة ، وأُمِرَ هو بالسجود فتكبَّر وأبى فله النار ، فهو حريص على قطع الصلة بين بنى آدم وخالقهم ، وصدِّهم عن صراط ربهم .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) من دعاء النبى ﷺ :أخرجه مسلم فى الصحيح من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى : كتاب الصلاة حديث رقم (٢٢٢) .

وأُمنيته الكبرى أن يصرفهم عن دار النعيم والقرار إلى دار الشقاء والعذاب ، وبئس المصيرُ ٠

إذا دخل المسلم فى صلاته جاءه الشيطان يُذَكِّره ما كان هَمُّه من شىء ، حتى يُشغله فى صلاته ، فلا يدرى ما يقول ولا ما يفعل ، ليجعل عمله خِداجاً٠ روى الشيخان عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :« إذا نُودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قُضِىَ النداء أقبل، حتى إذا ثُوِّب للصلاة أدبر ، حتى إذا قُضِىَ التثويب أقبل حتى يَخطُرْ بين المرء ونفسه ، يقول : اذكر كذا اذكر كذا ٠٠٠ لما لَمْ يكن يذكر ، حتى يظل الرجلُ لا يدرى كم صَلَّى »[(١)] .

فالمُصَلِّى يكون فى صلاته عابداً ومجاهداً لوساوس الشيطان ، كلما اغتفله رجع إلى صلاته ، أما إن استرسل معه ، أخذه بعيداً عن الصلاة فلم يبق إلا حركات لا عقل فيها ولا خشوع ٠

وإذا انصرف القلب عن الصلاة كانت كالميتة لا روح لها ، وإذا استرسل المُصَلِّى مع وسوسة الشيطان احتنكه ، فتراه يلتفت فى الصلاة ، ويعبث بيديه، ويسابق الإمام ٠ فجسمه فى المسجد وقلبه فى مكان آخر فى إحدى القارات فى المشرق أو المغرب ، يتحرَّف وينصرف ، فلا يتنبه إلا إذا سَلَّم الإمام وانقضت الصلاة ، حيث يُفلته الشيطان ، وهو يضحك يقول : أفسدتُ عليك صلاتك٠

فاتقوا الله أيها المسلمون ٠٠ أكثروا من ذكر الله والاستعاذة به من

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى برقم (٦٠٨) باب فى فضل التأذين ، ونحوه مسلم فى الصحيح حديث رقم (١٩) خاص وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أيضاً ٠

عدوكم : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(١) .

وصلُّوا على البشير النذير . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٢) .

* * *

---

(١) سورة فاطر آية : ٦

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢ - متابعة الإمام فى الصلاة (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله ٠٠ أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأتوب إليه ٠

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ٠

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ٠

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سُـنَّته واقتفى أثره٠

أما بعد ٠٠

فإنَّ من نِعَم الله على المسلم إعانتَه على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، وتسهيلها عليه وشرح صدره للعمل الذى يُقَرِّبه من الله ، وتطمين نفسه بالإيمان، وتيقُن الإجابة والثواب من الله تعالى ٠

وإنَّ من أفضل هذه النِعَم شرحَ صدر المسلم للتردد على بيوت الله ، وتعليق قلبه بالمساجد ، فإن من السبعة الذين يظلهم الله فى ظِلِّه يوم القيامة : رجل معلَّق قلبه بالمساجد (٢) ٠

وإنَّ المؤمن الذى هداه الله لهذه النعمة يزداد حبًا لها وتعلقًا بها وشكراً لله عليها إذا رأى بعض الناس يهجر بيوت الله ، ويتردد على أبواب أهل الدنيا، يلتمسون رضاهم ويتودَّدون إليهم ، ولكنهم لا يعرفون أبواب المساجد ولا يتوجَّهون إلى الله كما يتوجَّهون إلى أولئك ، ولا يرغبون فيما عند الله كما

(١) ألقيت فى ١٥/١/١٣٩٩هـ ٠

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرةﷺ : البخارى مع الفتح : ٣/ ٢٣٢ فى الزكاة، باب الصدقة باليمين،وكذا مسلم برقم(١٠٣١)الزكاة،باب فضل إخفاء الصدقة ٠٠٠

يرغبون فيما عندهم ، ولا يخافون من الله كما يخافونهم : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (١) .

كما أن المؤمن الذى مَنَّ الله عليه بنعمة الهداية للخير وتعلق قلبه بالمساجد يزداد معرفة بنعمة الله عليه إذا رأى بعض الناس يعمل فى متجره أو فى مكتبه، فإذا حان وقت الصلاة فمنهم مَن يُغلق الباب على نفسه ، ومنهم مَن يذهب إلى بيته ، ومنهم مَن يَتجوَّل فى الشوارع حتى تُقضَى الصلاة ، ولو أن هؤلاء وأُولئك دخلوا مع جماعة المسلمين فى الصلاة لكان خيراً لهم ، ولكن استحوذ عليهم الشيطـــان فأنســاهم ذكر الله (٢) : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لهم ﴾ (٣) .

عباد الله . . إن للصلاة آداباً وصفات ، وللسعى اليها آداب وهيئات ، بيَّنها الرسول ﷺ بقوله وفعله ، وتناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل ، قولاً وعملاً وتدوينًا . قال ﷺ : « إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينةُ والوقار ولا تُسرعوا ، فما أدركتم فَصَلُّوا وما فاتكم فأتموا » (٤) .

وتجب متابعة الإمام فى الصلاة ، ومَن سابق الإمام فى شىء فعليه الرجوع ومتابعته . قال ﷺ : « إنما جُعِل الإمام ليؤتمَّ به فإذا كبَّر فكَبِّروا ،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٦٥

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المجادلة آية رقم (١٩) .

(٣) سورة محمد آية :٢٥

(٤) من حديث أبى قتادة الأنصارى رضي الله عنه : البخارى (٦٣٥) الأذان باب (٢٠) بهذا اللفظ .

وإذا ركع فاركعوا ، وإذا سجد فاسجدوا ، وإذا قال : سمع الله لمن حمده ،فقولوا : ربنا لك الحمد »(١) .

وقال البراء بن عازب ﷺ : كان رسول الله ﷺ إذا قال : سمع الله لمن حمده ، لم يَحْنِ أحد منا ظهره حتى يقع رسول الله ﷺ ساجداً (٢) ثم نقع سجوداً بعده .

وقال ﷺ : « أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه مع ركوع أو سجود قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو صورته صورة حمار » (٣) .

ولا يجوز الالتفات فى الصلاة ، وإنما هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد ، ولا رفعُ بصره إلى السماء لقوله ﷺ : « لينتهن عن ذلك أو لتُخطفن أبصارُهم » (٤) .ولا يجوز افتراش الذراعين فى السجود ولا فرقعةُ الأصابِع (٥) ولا تشبيكُها فى الصلاة ولا الإقعاءُ فى الجلوس ، ولا العبث بشىء يُشغله عن صلاته لنهيه ﷺ عن ذلك كله فى الصلاة (٦) ، كما لا يجوز

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى : ٣/ ١٧٤ فى باب إقامة الصف من تمام الجماعة ، ومسلم برقم (٤١٤) باب ائتمام المأموم بالإمام .

(٢) البخارى مع الفتح : ٢/ ٢٤٦ فى صفة الصلاة من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه ، ومسلم فى الصلاة حديث رقم (٤٧٤) باب متابعة الإمام .

(٣) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى برقم (٦٩١) باب : إثم مَن رفع رأسه قبل الإمام ، وكذا مسلم فى الصحيح : الصلاة حديث رقم (١١٤) خاص ، وأخرجه أحمد فى المسند: ٥/ ٩٠ من غير هذا اللفظ وفيه : « أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه وهو فى الصلاة أن لا يرجع إليه بصره » وهو من حديث جابر بن سمرة ﷺ .

(٤) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ﷺ : البخارى برقم (٧٥٠) باب رفع البصر إلى السماء فى الصلاة ،ومسلم الصلاة حديث رقم (١١٨) خاص من هذا الوجه واللفظ .

(٥) إشارة إلى حديث على بن أبى طالب ﷺ : ابن ماجه برقم (٩٦٥) وإسناده فيه ضعف ، قاله فى الزوائد لأن فيه الحارث الأعور ، ولكن وردت الأحاديث الأخرى الكثيرة بمعناه وهى صحيحة .

(٦) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ : أحمد فى المسند : ٣/ ٤٣ وإسناده صحيح .

الاشتغال بالنقوش والكتابات ، وإنما الواجب الخشوع فى الصلاة وتجريد النِيَّة والقلب لأعمالها ·

وهناك بعض الناس يغفل عن صلاته ، وقد قال ﷺ للمسىء صلاته: « ارجع فَصلِّ فإنك لم تصَلِّ » ثم علَّمه ﷺ فقال : « إذا قمتَ إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ، ثم استقبل القِبْلة فكَبِّر ، ثم اقرأ ما تيسَّر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تستوىَ قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها » (١) ·

فاتقوا الله أيها الناس ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾(٢) إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا(٣) ·

واتقوا الله أيها المؤمنون ·· أقيموا صلاتكم بأركانها وواجباتها وسننها كما نُقلت عن النبى ﷺ (٤) ، واجتنبوا الأعمال التى لا تصلح فيها ·

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ·

اللَّهُمَّ فَقِّهنا فى الدين ، وارزقنا اتباع سيد المرسلين ، وتقبَّل منا ومن إخواننا المسلمين ·

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ·

* *

---

(١) إشارة إلى حديث المسىء فى الصلاة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى برقم (٦٢٥١) فى الاستئذان ، ومسلم برقم (٣٩٧) الإيمان ،باب: وجوب قراءة الفاتحة·

(٢) سورة البقرة آية :٢٣٨

(٣) سورة النساء آية : ١٠٣

(٤) إشارة إلى حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه: البخارى : ١١٨/٢ باب : اثنان فما فوقهما جماعة ، ومسلم فى الصحيح فى المساجد برقم (٦٧٤) باب : من أحق بالإمامة ، وأما هذا اللفظ فقد انفرد به البخارى : « صَلُّوا كما رأيتمونى أُصلِّى »·

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدم المسجد أفضل من مؤخره

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الهادى إلى سبيل الرشاد ٠

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له ، منه المبدأ وإليه المعاد ٠

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خير العباد ٠

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً ٠

أما بعد ٠٠

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى ٠

عباد الله ٠٠ إن بعض إخواننا يمن الله عليهم بالتبكير إلى المسجد ، ثم يجلسون فى مؤخر المسجد مع وجود أماكن فى مقدمه ، ولو أنهم تقدَّموا إلى الصفوف الأُوَل لكان خيراً لهم وأفضل ٠٠خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ٠ وهناك بعض الناس يأتى متأخراً ، ثم يأخذ يتخطى رقاب الناس يبحث عن مكان فى مقدم المسجد والأماكن المفضَّلة ، وهـذا لا يجوز وفيه إيذاء للناس ، فيجب أن يجلس الداخل حيث تنتهى به الصفوف ٠

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ٠

إنَّ الله تبارك وتعالى قد أمركم بأمر لكـم فيه خير وثواب فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (١) ٠

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٦

وقال ﷺ : « مَن صَلَّى علىَّ مرة صلى الله عليه بها عشراً » (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

.... إلى آخر الدعاء .

* * *

(١) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه : مسلم فى الصحيح برقم (٤٠٨) باب الصلاة على النبى ﷺ ، والترمذى فى جامعه برقم (٤٨٥) باب فضل الصلاة على النبى ﷺ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٣ - وجوب صلاة الجمعة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الواحد المعبود ، واسع الفضل والجود ·

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له ·

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ·

صَلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته ·

أما بعد ··

فإن الله تعالى قد خَصَّ هذه الأُمة المحمدية بخصائص ، وفضَّلها بفضائل ، وشرَّفها على سائر الأمم لشرف نبيها ﷺ ، وعلو شأنه عند الله تعالى ، ورفع منزلته عنده ·

ويومُ الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس ، فضَّله الله على سائر الأيام، يومٌ أتم الله فيه خلق السموات والأرض ففيه جمع الله الخلق ، فهو اليوم السادس من الأيام الستة التى خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما وما فيهن ، وهو يوم يتجلى فيه الرب تعالى لأهل الجنَّة ينظرون إليه ، يناجيهم ويداعبهم ، والجمعة إلى الجمعة مُكَفِّرات لما بينهما إذا اجْتُنِبَت الكبائر [٢] ·

وفى يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم وهو قائمٌ يسأل الله شيئاً

---

(١) ألقيت فى ٣/٨/١٣٩٣ هـ ·

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم فى الصحيح : ١/٢٠٩ : الطهارة حديث رقم (٢٣٣) عام وخاص (١٤) ، (١٥) ، (١٦) ، وأحمد فى المسند : ٢/٣٥٩ ، ٤١٤ ·

إلا أعطاه إياه [١] ،ومن كرم الله لهذه الأُمة أن ضلَّت اليهود والنصارى عن يوم الجمعة ، ووفق الله له رسوله محمداً ﷺ فضلاً من الله وإحساناً ، قال صلى الله عليه وسلم :« نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم إن هذا يومُهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع ،اليهود غداً والنصارى بعد غد » [٢] .

ولعِظَم هذا اليوم جعله الله وقتًا لحصول الأحداث العظيمة ، ففيه خُلِقَ آدم ، وفيه أُدْخِلَ الجنَّة ، ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة [٣] .

ولذلك كان ﷺ يقرأ فى فجر يوم الجمعة بسورة « آلم السجدة » وسورة « الإنسان » ، لما فيهما من ذكر المعاد والحساب ، والثواب والعقاب ، ليتذكر الناس مآلهم فيستعدوا للقاء ربهم ، ويتزوَّدوا بزادهم . ولعل هذه من الحكمة فى قراءة السورتين المذكورتين فى فجر يوم الجمعة .

عباد الله .. إن صلاة الجمعة فرض عَيْنٍ على كل مسلم ذَكَرٍ حُرٍ مُكلَّف مقيم قادرٍ بنص كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ وإجماع المسلمين .

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [٤] .

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه الشيخان فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى مع الفتح : ٢/٤١٥ وفى الصحيح برقم (٩٣٥) باب (٣٧) من كتاب الجمعة .

(٢) إشارة إلى حديث أخرجه الشيخان فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى مع الفتح: ٢/٣٥٤ وفى الصحيح برقم (٨٧٦) بهذا المعنى واللفظ .

(٣) إشارة إلى حديث أخرجه الشيخان فى صحيحيهما وذلك من حديث أبى هريرة رضي الله عنه البخارى مع الفتح : ٢/٣٧٧ وفى الصحيح برقم (٨٩١) ، وقد عقد البخارى الباب عليه وهو برقم(١٠)، باب ما يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة ثم رواه :

(٤) سورة الجمعة آية : ٩

وقال ﷺ . « لينتهينَّ أقوام عن ودعهم الجُمُعات ، أو ليختمنَ الله على قلوبهم ، ثم ليكوننَ من الغافلين »[١] .

فمَن ترك ثلاث جُمَع تهاوناً طبع الله على قلبه[٢] .

وأجمع المسلمون على وجوبها .

أيها المسلمون .. ما بال أقوام تجب عليهم الجمعة يتخلَّفون عن أدائها مع جماعة المسلمين بلا عذر ، هل شق عليهم وهجُ الشمس ولفحُ السَّموم ؟ ﴿ قل نار جهنم أشد حراً ، لو كانوا يفقهون ﴾[٣] ،أم لم يؤمنوا بما جاء به رسولنا ﷺ من الوعد والوعيد فهم لها منكرون ؟

أم رضوا بما هم فيه من لذَّة الدنيا ورغد العيش على ما أعدَّ الله من الأجر والثواب ؟

أم ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون[٤] من المعاصى والآثام فكانوا من الغافلين ؟ .

أم نسوا لله فأنساهم أنفسهم أُولئك هم الفاسقون ؟ [٥] .

فاتقوا الله عباد الله ، وأدوا فرائض الله ما دمتم لها قادرين .

واعلموا - رحمنى الله وإياكم - أن للجمعة آداباً وسنناً ، فإذا كان يوم الجمعة فليغتسل الإنسان كغُسْل الجنابة ، وليتنظف من جميع الروائح المؤذية

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح : ٤/٢١٣ من حديث ابن عمر حدثه أبو هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ ... ثم ذكر الحديث ، انظر مسلمًا حديث رقم (٨٦٥) ، الجمعة وقد عقد النووى الباب عليه : باب التغليظ فى ترك الجمعة ، وأخرجه البغوى فى شرح السُنَّة وعقد عليه الباب ، باب وعيد مَن ترك الجمعة بغير عذر ..

(٢) إشارة إلى حديث أبى الجعد الضمرى رضي الله عنه أخرجه الترمذى فى جامعه : ٢/٣٧٣ برقم (٥٠٠) ، وقال الترمذى : حديث أبى الجعد حسن ، وأخرجه البغوى فى شرح السُــنَّة برقم (١٠٥٣) وحسَّنه أيضاً ...

(٣) سورة التوبة آية : ٨١

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المطففين آية رقم (١٤) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الحشر آية رقم (١٩) .

والأوساخ ، ثم يلبسُ من أحسن ثيابه ، ويتطيَّب من طِيب بيته ، ثم يخرجُ مبكراً إلى المسجد بسكينة ووقار ، ساع إلى صلاة الجمعة بقلبه ، قاصداً إليها بعمله واهتمامه ، فإنَّ على أبواب المســاجد ملائكة يكتبون الجوائز الأول فالأول [١] ، فمَن راح فى الساعة الأولى فكأنما قَرَّب بدنة ، أى يكون له من الثواب كمن اشترى ناقة سمينة فذبحها لوجه الله تعالى وفرَّق لحمها على الفقراء والمساكين ، ومَن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة ، ومَن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشاً أقرن ، ومَن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة ، ومَن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بَيْضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذِكْر[٢] .

فإذا دخل المسجد يجلس حيث انتهت الصفوف ، فلا يُفرِّق بين اثنين إلا بإذنهما ، ولا يتخطَّى رِقاب الناس فإن ذلك إيذاء للمسلمين بغير ما اكتسبوا[٣] ، ثم يُصَلِّى ما كُتِب له ، ثم ينتظر الصلاة مســـتقبل القِبْلة ما استطاع ، ويشتغل بتلاوة القرآن ، وذكر الله وحده وتسبيحه واستغفاره والصلاة على رسوله ﷺ ، فإذا خطب الإمام أنصت للذِكر فلا يُكلِّم أحداً ، ولا يعبث بالحصى ولا بغيره حتى تنتهى الخطبـة[٤] ، ثم يُصَلِّى مع الإمام يتابعه ، واعلموا أن الكلام وقت الخطبة والعبث بما يُشغل عن استماعها يضيع أجر

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : أخرجه مسلم فى الصحيح كتاب الجمعة باب رقم (٧) ، باب فضل التهجير يوم الجمعة حديث رقم (٨٥٠) عام وخاص (٢٤) ، (٢٥) ، والأول بسياق طويل والآخر مختصرعن الأول ..

(٢) هو نفس حديث أبى هريرة رضي الله عنه : مسلم فى الصحيح برقم (٨٥٠) عام وخاص (٢٥) ..

(٣) إشارة إلى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه : أحمد فى المسند: ٢/ ٢١٤وإسناده حسن ، وأخرجه أيضاً بعض أصحاب السنن الأربعة ..

(٤) إشارة إلى حديث سلمان الفارسى رضي الله عنه : أخرجه البخارى : البخارى مع الفتح : ٢/ ٣٩٢ وفى الصحيح برقم (٩١٠) بهذا المعنى .

الجمعة(١) : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾(٢) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذِكْر الحكيم ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ، أخرجه أحمد فى المسند: ٢/ ٤٧٤ وإسناده صحيح ، وكذا البغوى فى شرح السُنَّة: ٤/٢٥٨ برقم (١٠٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) سورة محمد آية : ٣٣

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المبادرة بالأعمال الصالحة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ·· أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتدى ، ومَن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ·

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ·

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً ·

أما بعد ··

فيا أيها الناس ·· توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغَلوا ، وصِلُوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصَدَقة فى السر والعلانية تُرزقوا وتُنصروا وتُجبروا ، واعلموا أن الله قد فرض عليكم الجمعة ، فَمن تركها استخفافاً بها فلا جمع الله له شمله ، ولا بارك الله له فى أمره ، ألا ولا صلاة له ، ألا ولا زكاة له · ألا ولا حج له ، ألا ولا صوم له ، ألا ولا بر له حتى يتوب · فمن تاب تاب الله عليه[١] ·

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[٢] ·

* * *

(١) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى ﷺ : أخرجه ابن ماجه فى السنن: ١/٣٤٣ برقم (١٠٨١)وهو حسن لغيره ·

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤ - خطبة الجمعة .. فى يوم عيد الفطر[١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٢] .

يُصَرِّف هذا الوجود بإرادته وحكمته .. ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾[٣]

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[٤]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .. دَلَّ أمته على الخير ورغَّبها فيه ، وزجرها عن الإثم وحذَّرها منه [٥] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

ففى تعاقب الليل والنهار ، وتتابع الأيام والشهور ، وتغيرات الأحوال عِبَرٌ ومواعظ لأُولى الألباب[٦] ، توقظ الهمم ، وتُلفت النظر ، وتستوجب التفكر والاعتبار ، فما خُلِقَ الإنسان عبثاً ، ولن يُترك سُدىً [٧] .

---

(١) ألقيت فى ١/ ١٠/ ١٤١٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) سورة الزمر آية : ٥

(٤) سورة الفرقان آية : ٦٢

(٥) إشارة إلى الواقع الثابت من حياة النبى ﷺ وحرصه الشديد على هدايته الأُمة وإليه أشار قوله تعالى فى سورة المائدة آية رقم (٦٧) فى هذا المعنى الواضح البيِّن .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران آية رقم (١٩٠) .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القيامة آية رقم (٣٦) .

مرَّت أيام رمضانِ المباركة ولياليْه الخيِّرة بما فيها ليلةُ القَدْر ، أخذت جزءاً من الأعمار ، وسجَّل كل فرد عمله فى سجله ، إما فى صحيفة اليمين أو فى صحيفة الشمال ، فرمضان إما شاهد لك أيها الإنسان أو شاهد عليك[١] .

فالمسلم الذى اجتهد وقدَّم لنفسه خيراً يكون رمضان شاهداً له يرجو بره وثوابه[٢] ، ولهذا يتوارد على المسلم فرح وأسف .

أما الفرح .. فلأنه أدّى فريضة الصيام وقدَّم ما استطاع من قيام بإعانة الله وتوفيقه[٣] .

وأما الأسف .. فلأنه فقد شهر الفضائل والإفاضات والكرامات ، شهر القُرب من الله والمناجاة ، يَوَد لو أنه تزوَّد فيه من الحسنات وحطَّ السيئات ، فلا يدرى هل يَشْهدُهُ فى العام المقبل أم تدركه أعراض هذه الحياة .

ومن علامات التوفيق للطاعة رغبة المسلم فى نوعية العبادة ، فيحرص على النوافل من جنسها مثل الصلاة والزكاة والصيام[٤] ، ولهذا حثَّ رسول الرحمة ﷺ على صيام ستٍ من شوَّال . فعن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوَّال كان كصيام الدهر » (رواه مسلم) [٥] ، وروى ابن حِبَّان مثله [٦] عن ثوبان

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإسراء آية رقم (١٤) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة فصلت آية رقم (٢١) وفيه هذا المعنى الواضح البيِّن .

(٣) إشارة إلى ما جاء فى السُنَّة الصحيحة من توفيق الله تعالى لعبده وتسديده إياه على العمل الصالح وإلا لم تكن له قوة على ذلك كما جاء: «لا حول ولا قُوْة إلا بالله »

(٤) إشارة إلى ما ثبت فى السُنَّة الصحيحة بأن الفرائض إذا كانت ناقصة تكمل من النوافل ، انظر مسند الإمام أحمد : ٢/ ٤٢٥ فإنه أخرج الحديث فى هذا المعنى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

(٥) أخرجه مسلم فى الصحيح برقم (١١٦٤) باب استحباب صوم ستة أيام من شوَّال من حديث أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه .

(٦) ابن حبان فى الصحيح كما فى الموارد برقم (٩٢٨) من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ وإسناده صحيح .

مولى رسول الله ﷺ ولفظه: « من صام رمضان وستاً من شوَّال فقد صـــام السَّنة »[١] ، وروى نحـــوه الإمام أحمـــد عن جابر بن عبد الله[٢] ، وروى أبو نعيم الأصفهانى مثله عن أبى هريرة[٣] .

وتخصيص ستة الأيام بشوَّال مع أن الحسنة بعشر أمثالها[٤] فى كل الشهور لحكم يعلمها الله ، قد يظْهر لنا بعضها وما يخفى أكثر ، وذكر بعض العلماء فى ذلك فوائد للصائم :

منها : الإرفاق بالصائم لأنه حديث عَهْد بالصيام فيكون أسهلَ له .

ومنها : أنَّ إتْباع الفريضة بنافلة من جنسها دليل على قوة الإيمان والرغبة فى تلك العبادة .

ومنها : أنَّ النوافل تكمل ما يحصل فى الفرض من نقص وخلل[٥] ، فالإنسان محل للإهمال والتقصير ، فالمبادرة بالنافلة خير للصائم كالصلاة تكون النافلة بعدها .

وهل يجوز تفريق صيام الست من شوَّال بأن يصوم يوماً أو يومين ثم يفطر ؟

الأظهر الجواز[٦] لأن الأحاديث لم تنص على التتابع ، فيؤخذ من إطلاقها الجواز ، وعلى الصائم أن يأخذ الأسهل له والأرفق .

---

(١) هو نفس حديث ثوبان مولى رسـول الله ﷺ كما فى المـــوارد فى زوائد ابن حبان برقم (٩٢٨) .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند : ٣/ ٣٢٤ (٣٠٨) من حديث جابر رضي الله عنه وإسناده حسن مع الشواهد .

(٣) نعم : أخرج هذا الحديث البَزار فى المسند كما أورده الهيثمى فى المجمع : ٣/ ١٨٣ وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وكما فى كشف الأستار : ١/ ١٠٣

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنعام آية رقم (١٦٠) .

(٥) أخرج هذا المعنى الإمام أحمد فى المسند: ٢/ ٤٢٥ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

(٦) ذكر ذلك الإمام البغوى فى شرح السنَّة : ٦/ ٣٣٣ وذكر جوازه ، وحكى الكراهة عن مالك رحمه الله تعالى ، والراجح ما ذكره البغوى من جواز ذلك لأن النص لم يرد بالتتابع فى ذلك ، والله أعلم .

ما أعجل ليالي الخير والأُنس .

دخل شهر رمضان وخرج مسرعاً ، ومن علامات الساعة نقص الأيام ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، وتكون الساعة كالضِّرمة بالنار » (رواه الترمذي)[١] . وذلك لقِلَّة بركة الزمان وقِلَّة فائدته ، واشتغال أكثر الناس بزخارف الدنيا وملذَّاتها ، وتضييع الوقت في المضحكات والمسليات ، فلا يستفيدون من الزمن لا في أُمور الدين ولا في أُمور الدنيا ، ولعله من الأسباب توفر الراحة وتكاثر النِعَم وتيسر الخيرات . والواجب على المسلم التوازنُ في حياته ، ومعرفة الهدف الذي خُلِقَ له : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] ، فالإنسان له هدف ورسالة فلم يُخلق للأكل والشرب والمتاع فحسب ، إنما هذه قوة له على النهوض بواجباته .

تساءل أيها الإنسان مع نفسك وتأمل نشأتك ، خُلِقْتَ من تراب ثم من نطفة ثم أخرجك الخالق من بطن أُمِّك لا تعلم شيئًا ، وجعل لك السمع والبصر والفؤاد ، تَعْرف بها المعلومات، وتكسب بها الخبرات، وتعرف النافع من الضار[٣]، تذكَّر مَن الذي تكفَّل برزقك وحياتك وصحتك ورعاك بالنعم؟[٤] : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[٥]

---

(١) الترمذي في جامعه ، كتاب الزهد حديث رقم (٢٣٣٢) باب : ما جاء في تقارب الزمان وهو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وقال عقب الحديث : هذا حديث غريب . قلت : إسناده جيد .

(٢) سورة الذاريات آية : ٥٦

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحج آية رقم (٥) وسورة غافر آية رقم (٦٧).

(٤) إشارة إلى آيات كثيرة في هذا المعنى ومنها في سورة هود آية رقم (٦) .

(٥) سورة غافر آية : ٦٢

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١). ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢)

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وتقرَّبوا إلى الله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٣) .

اللَّهُمَّ بارك فى القرآن واجعله لنا نوراً وهُدىً وبرهاناً ، ووفقنا للعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه والوقوف عند حدوده(٤) ، واجعله لنا قائداً وشفيعاً ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة غافر آية : ٦٤

(٢) سورة غافر آية : ٦٥

(٣) سورة فاطر آية : ٥ ، ٦

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران آية رقم (٧) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الخطبة الثانية للجمعة فى يوم عيد الفطر)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [١] .

وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله[٢] .

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[٣] .

وصَلُّوا على البشير النذير ....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[٤] .

* * *

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الانعام آية رقم (١٥٣) .

(٣) سورة الطلاق آية : ٢ ، ٣ .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٥ - الصلاة والسلام على النبى ﷺ [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٢] .. أثنى على نبيه محمد ﷺ فى الملأ الأعلى ، وأمر باحترامه وإظهار تعظيمه وإجلاله فى الملأ الأدنى[٣] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، شرَّف هذه الأمة لشرف نبيها ، وكرَّمها لكرم رسولها ﷺ .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أفضل الأنبياء ، وأشرف المرسلين ، وسيدُ الأوَّلين والآخرين .

اللَّهُمَّ صَلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم إنك حميد مجيد ، والسلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته[٤] .

أما بعد ..

فيا لها من مرتبة عالية ، ويا له من تعظيم وتشريف لا يُدْرك كُنهَه ،

---

(١) ألقيت فى ٢٤/١/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الانشراح الآية رقم (٤) ، وسورة الفتح الآية رقم (٩) ، وسورة الأحزاب الآية رقم (٥٦) .

(٤) إشارة إلى حديث كعب بن عجرة ﷺ : البخارى برقم (٣٣٧٠) الأنبياء ، ونحوه مسلم فى الصحيح: الصلاة حديث رقم (٦٥) ، (٦٦) ، (٦٨) ، (٦٩) خاص .

تتردد به جنبات الوجود ، وتتجاوب له أرجاء الكون ، ويشرق له ما بين السماء والأرض ، بثناء الله تعالى على نبيه محمد ﷺ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1] .

ويا له من تكريم لهذه الأُمة من خالقها تبارك وتعالى إذ قرن صلاتها على نبيها بصلاة الله جَلَّ شأنه . وأين صلاة البَشَر من صلاة الله ؟ وأين دعاؤهم من ثناء الله ؟ وإنما هى رحمة الله وفضلُه على هذه الأمة ليثيبها على صلاتها وعلى سلامها على نبيها ، فمَن صلَّى عليه مرَّة صلَّى الله عليه عشر صلوات[2] . قال البخارى فى التفسير تعليقاً : قال أبو العالية : صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء[3] . قال ابن عباس يُصَلُّون: يُبَرِّكون .

وقال ابن كثير فى تفسيره : والمقصود من هذه الآية : أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده فى الملأ الأعلى بأنه يُثنى عليه عند الملائكة المقرَّبين ، وأنْ الملائكة تُصَلِّى عليه ، ثم أمر تعالى أهل العالَم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ، ليجتمع الثناء عليه من العالَمَين العلوى والسفلى[4] .

وقال القرطبى : هذه الآية شَرَّف بها رسوله عليه الصلاة والسلام حياتَه وموتَه ، وذكر منزِلته منه ، وطَهَّرَ بها سوءَ فِعْلِ مَن استَصْحَبَ فى جهته فِكْرة سوء أو فى أمر زَوْجاته .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٦

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : مسلم فى الصحيح : الصلاة برقم (٤٠٨) ، والترمذى برقم (٤٨٥) .

(٣) نعم : قال ذلك البخارى : البخارى مع الفتح : ٨/ ٥٣٢ ، التفسير : الباب العاشر من سورة الأحزاب .

(٤) ذكر ذلك الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٥/ ٤٩٤ ، ٤٩٥ لآية الأحزاب رقم : (٥٦) .

والصلاة من الله رحمته ورضوانه ، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ، ومن الأُمة الدعـاء والتعظيم لأمره . ولم يترك الله نبيه تحت منَّة أحد من أُمته بالصلاة عليه فقد عوَّضهم بصلاة النبى عليهم : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (١).

والصلاة على النبى المُطهَّر صَلَّى الله عليه وسلم من أفضل العبادات وأعظمها وأحبها إلى الله تعالى وتقدَّس . فقد تولاها هو وملائكته ، ثم أمر بها المؤمنين ، ولم يُعْطِ بقية العبادات ما أعطاها من العناية والتفضيل(٢).

فالدعاء يُحْجَب بين السماء والأرض حتى يُصَلِّى الداعى على النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا جاءت الصلاة على النبى ﷺ رُفِعَ الدعاء . قال بعض العلماء : مَن أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبى ﷺ ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبى ﷺ ، فإن الله تعالى يَقْبل الصلاتين وهو أكرم من أن يرد ما بينهما (٣) .

وقال النووى رحمه الله : يُستحَب لكاتب الحديث ، إذا مرَّ ذكر الله أن يكتب : « عَزَّ وجَلَّ ، أو تعالى ، أو سبحانه وتعالى ، أو جَلَّ ذِكره » . . . وما أشبه ذلك . وكذلك يكتب عند ذكر النبى عليه الصلاة والسلام: « ﷺ » بكمالها ، لا يرمز إليها(٤) ولا يقتصر على بعضها ، ويكتب ذلك وإن لم يكن مكتوباً فى الأصل الذى ينقل منه ، فإن هذا ليس روايةً وإنما هو دعاء ، وينبغى للقارئ أن يقرأ كل ما ذكرناه وإن لم يكن مذكوراً فى الأصل الذى يقرأ منه ،

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٣

(٢) قال ذلك الإمام القرطبى فى تفسيره عند تفسير هذه الآية من سورة الأحزاب.

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٥/٤٩٨ - ٥١٤ وأخرجه أحمد فى المسند : ٦/١٨

(٤) هذا الكلام للإمام النووى أورده على حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه الذى أخرجه مسلم فى الصلاة : حديث رقم (٤٠٨) .

ولا يسأم من تكرار ذلك ، ومَن أغفل هذا فقد حرِمَ خيراً عظيماً وفُوِّتَ فضلاً جسيماً [١] .

وكفى بالصلاة على النبى ﷺ فضلاً وترغيباً فى الإكثار منها ، ما رواه الإمام أحمد رحمه الله بسند جيد عن أبى طلحة الأنصارى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتانى آت من ربى عَزَّ وجَلَّ فقال : مَن صَلَّى عليك من أُمتك صلاةً كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وردَّ عليه مثلها »[٢] .

وتُشرع الصلاة على النبى ﷺ فى التشهد الأخير[٣] وقبل الدعاء وبعده ، وعند ذكر اسمه ﷺ [٤] ،وعند دخول المسجد والخروج منه[٥] ،وفى خطبتى الجمعة وبعد قنوت الوتر[٦]،وإذا سمع الأذان وعند الانتهاء منه[٧] وعند زيارة قبره ﷺ [٨] ،وفى افتتاح الكتب ، وفى يوم الجمعة وليلته .

---

(١) إشارة إلى حديث على رضي الله عنه مرفوعاً : قال : « البخيل مَن ذُكِرتُ عنده فلم يُصَلِّ علىّ » قال الإمام ابن كثير (٥ / ٥٠٤) : رواه الترمذى من حديث سليمان بن بلال . ثم قال : هذا حديث حسن غريب صحيح ، ومن الرواة مَن جعله من مسند الحسين بن على ، ومنهم مَن جعله من مسند علىّ نفسه .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند : ٢٩/٤ من حديث أبى طلحة الأنصارى رضي الله عنه ، وأورده الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٥٠٣/٥ وإسناده جيد ولم يخرجوه .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند : ١٨/٦ من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه ، والترمذى (٣٤٧٣) الدعوات ، وإسناده جيد .

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : الترمـــذى برقم (٣٥٣٩) باب: قول النبى ﷺ : « رَغِمَ أنف رجل ... » .

(٥) إشارة إلى حديث أبى حميد أو عن أبى أسيد : مسلم فى الصحيح ، الصلاة حديث رقم (٦٨) خاص .

(٦) إشارة إلى حديث الحسن بن على رضي الله عنه : أحمد فى المسند وأهل السنن ، عزاه إليهم ابن كثير فى التفسير : ٥٠٨/٥ ، وفى النسائى زيادة : «وصلَّى الله على محمد » .

(٧) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، عزاه الإمام ابن كثير : ٥٠٦/٥ إلى الإمام أحمد.

(٨) عزاه الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٥٠٨/٥ إلى أبى داود فى سننه ، وصححه النووى فى الأذكار وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وإسناده جيد .

وقد وردت آثار متعددة بصفة الصلاة على النبى ﷺ ، منها صحيح ومنها سقيم ، والذى يجب على المسلم أن ينظر فى دينه نظره فى ماله ، فكما أنه لا يأخذ فى البيع ثمناً معيباً وإنما يختار الصحيح الجيد ، فكذلك لا يأخذ من الروايات عن النبى ﷺ إلا ما صح سنده لئلا يدخل فى حَيِّز الكذب على رسول الله ﷺ ، فبينما هو يطلب الفضل إذا به أصاب النقص ، بل ربما أصاب الخسران المبين .

ومن أصح ما ورد حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه عند مسلم رحمه الله : أن النبى ﷺ علَّمه صفة الصلاة عليه فقال : « قولوا اللَّهُمَّ صَلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد[١] ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » . وعند مسلم أيضاً من حديث أبى مسعود الأنصارى رضي الله عنه مثله[٢] . وروى مالك عن أبى حميد الساعدى : « اللَّهُمَّ صَلِّ على محمد وعلى أزواجه وذُرِّيته كما صليتَ على إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذُرِّيته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد »[٣] . وروى البخارى رحمه الله عن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها أنها كانت تقول كلما مرَّت بالحجون : صلَّى الله على رسوله محمد وسلَّم ، لقد نزلنا معه ههنا ونحن يومئذ خِفاف[٤] . وقال الزمخشرى : أى قولوا : الصلاة على الرسول والسلام . وقد استمر عمل المسلمين من أهل

---

(١) البخارى برقم (٣٣٧٠) : الأنبياء ، ومسلم فى الصحيح : الصلاة برقم (٦٥) ، (٦٦) ، (٦٨) .

(٢) مسلم فى الصحيح : الصلاة حديث رقم (٦٥)خاص وعام (٤٠٥) .

(٣) هذا اللفظ أخرجه أحمد فى المسند : ٥/ ٣٧٤ من حديث مرسل من أصحاب النبى ﷺ ، وعزاه الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٥/٤٩٦ إلى الإمام أحمد من حديث أبى حميد الساعدى رضي الله عنه .

(٤) لم أقف على هذا الحديث فى البخارى رحمه الله تعالى والله أعلم ، فلا بد من الوقوف على هذا الحديث .

العلم والفضل أن يقولوا في الصلاة والتسليم على النبى : « ﷺ » فى غير التشهد ، أما فى التشهد فقد وقفوا على النص الوارد عن النبى ﷺ كما تقدم .

وأما الصيغ المحدَثة التى تقال وتُكتب فى بعض أوراد مشائخ الطرق مما لم يرد به نص عن الله ولا عن رسوله ﷺ ، ولا عن سَلَف الأُمة ، فإنما هى صِيَغ مُحْدَثة ، وشر الأُمور محدثاتها(١) .

واختلفت العلماء فى وجوب الصلاة على النبى ﷺ فى الصلاة وفى خارجها .

فأما خارج الصلاة ؛ فيرى بعض العلماء أنها واجبة وجوب السنن(٢) المؤكدة التى لا ينبغى تَركُها ولا يُغفلُها إلا مَن لا خير فيه ، ويرى بعضُهم أنها واجبة .

واختلفوا فى حال وجوبها ؛ فمنهم مَن أوجبها كلما جرى ذكره ﷺ ، للأحاديث الدالة على ذلك ، مثل حديث جابر : « شَقِىَ عبدٌ ذُكِرتَ عنده ولم يُصَلّ عليك »(٣) ، وحديث كعب بن عجرة : « بَعُدَ عبدٌ ذُكِرتَ عنده فلم يُصَلّ عليك »(٤) ، وحديثى أبى هريرة : « رغم أنف امرئ ذُكِرْتَ عنده فلم

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : البخارى برقم (٧٢٧٧) الاعتصام وهو مرفوع حكماً .

(٢) ذكر هذه الأقوال كلها الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٥/ ٤٩٧ - ٥٠٠ ، ورجح وجوبها عند الشافعى وأحمد .

(٣) أشار إلى هذا الحديث ابن كثير فى تفسيره : ٥/٥٠٥ وقال : إنه تكلم على حديث جابر فى موضع آخر ذكره .

قلت : أخرجه البخارى : ٦/ ٦٥١ فى الأدب المفرد كما عزاه السيوطى .

(٤) وكذلك ذكره ابن كثير فى تفسيره : ٥/٥٠٥ ، وهو من حديث كعب ابن عجرة رضي الله عنه .

يُصَلّ عليك » (١) ، « ومن ذُكِرْتَ عنده فلم يُصَلّ عليك فمـات فدخـل النـار فأبعده الله » (٢) .

ومنهم مَن قال : تجب فى كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره ﷺ كما قيل فى سجود التلاوة وتشميت العاطس .

والذى يقتضيه الاحتياط وبه يحصل تكثير الأجر والثواب : الصلاة عليه كلما مَرَّ ذكر اسمه عليه الصلاة والسلام ولو تكرر فى المجلس كثيراً ، وفى الأحوال التى تقدَّم ذكرها .

وأما فى الصلاة ، فرُوِىَ عن الشافعى وأحمد وإسحاق رحمهم الله : أن الصلاة على النبى ﷺ واجبة فى التشهد الأخير ، فمن تركها عمداً أو سهواً بطلت صلاته (٣)، والجمهور على أنها سُنَّة من سنن الصلاة ، فمَن تركها أجزأته صلاته، ومنهم مَن قال : مع الإساءة (٤) .

وأما السلام فهو يدل على الكرامة والتلطف ، والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم إكرامه وتعظيمه ، وهو معلوم لدى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما شرع فى التشهد ، ومن المُتعَارف بينهم فى السلام ، لذلك لم يسألوا عنه كما سألوا عن الصلاة .

---

(١) حديث صحيح أخرجـه الترمذى برقم (٣٥٣٩) فى الدعوات وصححـه ابن حبان كما فى الموارد (٢٣٨٧) .

(٢) ذكره الإمام ابن كثير بمعناه : ٥/٥٠٥

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٥/٥٩٧ وهو مذهب الشافعى وأحمد رحمهما الله .

(٤) ذكر ذلك الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٥/٥٩٨ ثم قال : للقول بوجوبه ظواهر الحديث ، ثم صححه ..

وقد تضمنت الآية الكريمة الأمر بالصلاة والتسليم على النبى الكريم ﷺ فينبغى الجمع بينهما ،فلا تُفرد الصلاة وحدها فلا يقال : صَلَّى الله عليه ، ولا يُفرد السلام وحده فلا يقال : عليه السلام ، فإن ذلك خلاف نص الآية وخلاف الأَوْلى والكمال (١) .

قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾(٢) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذِكر الحكيم .

* *

(١) ذكر ذلك ابن كثير فى تفسيره : ٥/ ٥١٤ نقلا عن النووى .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتابة الصلاة والسلام على النبى ﷺ

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾(١) .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلىْ آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فكما تُشرع الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ كلما ذُكِرَ اسمه ، فكذلك تُشرع كتابتها فى المصنَّفات والكتب والرسائل كلما كُتِب اسمه ﷺ ، يكتبها كاملة فلا يكفى الرمز إليها بحرف «ص»، أو برمز منحوت مثل «صلعم»، وما أشنعه من نحت بل هو نحس ، ولا أراها إلا من دسائس اليهود والنصارى من عمال المطابع ونحوهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وهل تجوز الصلاة على غير الأنبياء ؟ أما إذا كانوا تبعاً للأنبياء فلا خلاف فى جوازه كما تقدَّم فى الأحاديث : « اللَّهُمَّ صَلِّ على محمد وآل محمد ، وأزواجه وذُرِّيته » .

وإنما الخلاف فيما إذا انفرد غير الأنبياء بالصلاة .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

فالجمهور على أنه لا يجوز ، لأن هذا صار شعاراً للأنبياء إذا ذُكروا فلا يُلحق بهم غيرُهم ، فلا يقال أبو بكر ﷺ ولا عمَر ولا عثمانُ ولا عليّ ﷺ أجمعين ٠ وإن كان المعنى صحيحاً، كما لا يُقال : محمدٌ عزَّ وجَلَّ وإن كان عزيزاً جليلاً ، لأن : « عزَّ وجَلَّ » من شعار ذكر الله تبارك وتعالى ٠ وأما ما ورد من الكتاب والسُّنَّة كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وصل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم ﴾[١] ،وصلاة النبي ﷺ على آل أبى أوفى[٢] ، وعلى امرأة جابر وزوجها[٣]... وما أشبه ذلك فحمله الجمهور على الدعاء ، والصلاة على الأنبياء لإظهار القدر والتعظيم والتكريم ٠

ولأن الصلاة على غير الأنبياء من شعار أهل الأهواء يُصَلُّون على مَن يعتقدون فيهم ، فلا ينبغى الاقتداء بهم ، وأما الترضى فهو شعارٌ لأصحاب رسول الله ﷺ ، والترحم شعار يُدعى به عند ذكر اسم الميت ، والاستغفارُ لعموم المسلمين ٠ فلو جاء إنسان من الرياض وقال : يُسلِّم عليك فلان ، فلو قلت : اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه ؛ ما كان لائقاً حسب شيوع الاستعمال ، لأنها دعاء للميت ٠ لكن لو قلت : غفر الله لى وله ؛ كان مناسباً ٠

وأما السلام فهو فى معنى الصلاة فى كل ما تقدَّم ، فلا يُستعمل فى الغائب ، ولا يُفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال : أبو بكر عليه السلام ، ولا غيرهُ من الصحابة ٠

قال الحافظ ابن كثير : وقد غلب فى عبارة كثير من نسَّاخ الكتب يُفردون علياً ﷺ دون سائر الصحابة[٤]بقولهم : عليٌ عليه السلام ، أو كرَّم الله

(١) سورة التوبة آية : ١٠٣

(٢) عزاه الحافظ فى التلخيص الحبير(٨٣١) إلى الشيخين، من حديث ابن أبى أوفى ﷺ ،وكذا الإمام ابن كثير فى تفسيره :٥/٥١٢ إلى الشيخين ، والبخارى برقم (١٤٩٧)٠

(٣) ذكره الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٥/ ٥١٢ ولم يعزه إلى أحد ، وقد عزاه السيوطى فى الدر : ٤/ ٢٨١ إلى ابن أبى شيبة فى مصنفه ٠

(٤) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير فى تفسيره : ٥/٥١٣ وفضَّل بأن يسوى بين جميع الصحابة فى ذلك فإن هذا من باب التعظيم والتكريم فالشيخان وعثمان ﷺ أولى بذلك منه ٠

وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحاً لكن ينبغى أن يُسوَّى بين الصحابة ، فإن ذلك من باب التعظيم والتكريم .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[1] .

وصلوا على النبى المصطفى فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه الكريم فقال عزّ وجَلّ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[2] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأَنْعِم على عبدك ورسولك محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود[3] .. إلى آخر الدعاء .

* * *

(١) سورة الأحزاب آية : ٤٥ ، ٤٦

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ﷺ : مسلم فى الصحيح كتاب الصلاة حديث رقم (٥٣) خاص وعام (٤٠٠) بهذا المعنى ، وإلى هذا أشار قوله تعالى فى سورة الإسراء آية رقم (٧٩) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦ -خطبة فى عيد الفِطر[١]

(الخطبة الأولى)

الله أكبر (٩ مرات) [٢]

لا إله إلاَّ الله والله أكبر . الله أكبر الله أكبر ولله الحمد[٣]

الله أكبر ما صام صائم وأفطر .

الله أكبر ما هلَّل مهلل وكبَّر .

الله أكبر ما أعشب روض وأزهر ، وما أورق غصن وأثمر .

الله أكبر وسبحان الله عدد خلقه ، وزِنة عرشه ، ورضا نفسه[٤] .

سبحان مَن تُسَبِّح له السموات وأملاكها ، والنجوم وأفلاكها ، والأرض وسكانها ، والبحار وحيتانها : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[٥] .

---

(١) ألقيت فى ١/ ١٠/ ١٣٩٨ هـ .

(٢) الترمذى برقم (٥٣٦) من حديث عمرو بن عوف المزنى رضي الله عنه وحسَّنه ، ونحوه ابن ماجه برقم (١٢٧٩) فى العيدين . .

(٣) إشارة إلى ما أخرجه الفريابى فى أحكام العيدين برقم (٦٢) ص (١١٩) مرسلاً على بعض التابعين ونحوه موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف .

(٤) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما : مسلم فى الصحيح : الذكر والدعاء برقم (٧٩) خاص وعام (٢٧٢٦) .

(٥) سورة الإسراء آية : ٤٤

الحمد لله الذى تفرَّد بحكمته فى خلقه وأمره ونهيه ، فأوجد الكون بمشيئته وإرادته لحكمة بالغة : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار ﴾ (١) .

﴿ربَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. شهادة أدخرها ليوم الحشر والنشور .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صاحبُ الوجه الأنور والجبين الأزهر ، الشافع المشفَّعُ فى المحشر .

صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدُّجَى .

أما بعد ..

فيا أيها الناس .. اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم بين صوم قدَّمتموه ترجون ثوابه ، وبين فِطر فعلتموه تحتسبون على الله طاعته . فسبحانه من حكيم عليم حرَّم عليكم الفِطر بالأمس وأوجبه عليكم اليوم . يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . يُنبهكم بذلك إلى أن جميع الخلائق تحت قهره وإرادته ، فبحكمته يُؤمرون ويُنهون ﴿ لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون ﴾(٣) .

عباد الله .. اشكروا نِعَم الله عليكم ، فقد أنعم عليكم بصيام رمضان وأجزل لكم ثوابه وأسبغ عليكم رحمته ورضوانه ، وفتح لكم أبواب الجنَّة فادخلوها ، ولا تقابلوا نِعَم الله بالمعاصى والآثام ، ولا تقولوا ذهب رمضان فتهاونوا بالفسوق والعصيان ، فإن الله يكره أن يُعصَى فى أى شهر كان ، وهو

---

(١) سورة (ص) آية : ٢٧

(٢) سورة آل عمران آية : ١٩١

(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٣

يراكم ويعلم أعمالكم فى أى مكان ، فقابلوا نِعَم الله بالشكر الجزيل ، والحمد والثناء الدائم ، والعمل الصالح النبيل .

أمركم الله فى يومكم هذا بالتكبير والتهليل وكثرة الذكر والتسبيح فامتثلوا أمر ربكم : و﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(١) .

واعلموا أن الأعياد إنما هى فرحة بإتمام عبادة الله المفروضة على عباده ، وفرحةٌ بما حصل للمؤمنين من كرامات ربهم ونفحاته من رحمةٍ وغفرانٍ وعِتْقٍ من النيران .

ابن آدم .. تأمَّل هذا الكون الذى يحيط بك ، وتأمل ما فى الأرض جميعًا ، كلُه خُلِقَ من أجلك ..تأمل ما فى الكون من أسرار سُخِّرَتْ للمحافظة عليك وعلى أعمالك ..قلمٌ مأمورٌ ولوحٌ فيه نظامُ حياتك مسطور.. أفلاك وأملاك على ما يُصلحك تدور ..حفظةٌ وكُتَّاب لأعمالك لا تجور(٢) : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٣) .فستجد أعمالك وأقوالك فى كتاب منشــــور :﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾(٤) .

فتأمل ما أمامك من الموت وســــكراته ، والقبر ووحشته ، والبعث وهوله ، والحساب ودقته ، والميزان وعدله ، والصراط وزَلَّته ، وتأهب لها وتزوَّد بزادها (٥) .

---

(١) سورة المنافقون آية : ٩

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الانفطار الآيات (١٠- ١٢) .

(٣) سورة (ق) آية : ١٨

(٤) سورة الإسراء آية : ١٤

(٥) إشارة إلى حديث البراء بن عازب ﷺ بسياق طويل : أحمد فى المسند : ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨ وإسناده صحيح .

عباد الله .. إن الله تعالى قد فرض عليكم زكاة الفِطْـر صاعًا من بُرٍّ أو صاعًا من تمر أو صاعًا من أقط أو صاعًا من زبيب أو صاعًا من شعير(١) ، أو من غالب قوت البلد الذى ينفع الفقير ، على الصغير والكبير والذَكَر والأُنثى ، والحر والرقيق ، فُرِضت طُهْرة للصائم من الرفث ، وطُعمة للفقير(٢) .

إن يومكم هذا يوم الجوائز فتعرَّضوا لنفحات ربكم ، واسألوا ربكم بتضرع وعزيمة وألِّحوا . فقد قال جَلَّ شأنه فى الحديث القدسى :« سلونى يا عبادى فوعِزَّتى وجلالى لا تسألونى اليوم شيئًا فى جمعكم لآخرتكم إلا أعطيتكم ولا لدنياكم إلا نظرت لكم . فوَعِزَّتى لأسترنَّ عليكم عثراتكم ما راقبتمونى . وعِزَّتى وجلالى لا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود ، وانْصَرِفوا مغفورًا لكم قد أرضيتمونى ورضيتُ عنكم »(٣) .

اللَّهُمَّ اجعلنا من المخاطَبين بخطاب ملك الملوك ورب الأرباب .

عباد الله .. الصلاةَ الصلاة فإنها عمود الإسلام(٤) ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر(٥) ، حافظوا عليها فى أوقاتها فإنها نور ونجاة وبرهان ، مَن حفظها حفظ دينه ، ومَن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع(٦) .

---

(١) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ : البخارى مع الفتح : ٣/ ٣٧١ برقم (١٥٠٦) : الزكاة .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس ﷺ : ابن ماجه برقم (١٨٢٧) :الزكاة ، وإسناده جيد .

(٣) أورده الإمام عبد العظيم المنذرى فى الترغيب والترهيب : ٢/ ١٠١ وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ١/ ٤٥١ - ٤٥٢ إلى البيهقى وأبى الشيخ الأصبهانى فى الثواب ، والأصبهانى فى الترغيب والترهيب إلى ابن عباس ﷺ بسياق طويل .

(٤) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل ﷺ :أحمد فى المسند : ٥/ ٢٣١ وإسناده صحيح أو حسن .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة العنكبوت آية رقم (٤٥) .

(٦) إشارة إلى رسالة عمر بن الخطاب ﷺ ، أخرجه مالك فى موطئة بلاغًا برقم (٥) .

وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم ، فقد أعطاكم الله الكثير ورضى منكم اليسير ، وصِلوا أرحامكم ، وأفشوا السلام بينكم[١] ، وتصدَّقوا على فقرائكم وأيتامكم ، وأدوا الأمانات إلى أهلها[٢] ، وخالقوا الناس بخُلُقٍ حسن[٣] ، واحذروا الخَمر فإنها ملعونة ، ملعون شاربها ، ملعون عاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولةُ إليه وبائعُها ومشتريها لأنها أُمُّ الخبائث ورأسُ كل خطيئة[٤] .

﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة،فهل أنتم منتهون ﴾[٥] .

واتركوا الربا فإنه حَرب لله ورسوله[٦] ، ومآلُه إلى قِلَّة وصاحبُه فى ذِلَّة، وأوفوا الكيل والميزان والمقياس ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾[٧]، واحذروا شهادة الزور فإنها فِســق وفجور[٨]ومن الكبائر ، وإياكم والأيمان الكاذبة فإن الكذب يهدى إلى النار[٩] ، واجتنبوا

(١) إشارة إلى حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما أخرجه البخارى معلقاً : الإيمان باب (٢٠) وقال الحافظ فى الفتح : ١/ ٨٢ : أخرجه أحمد فى الإيمان له من طريق شعبة وزهير ثم ذكره .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النساء آية رقم (٥٨) .

(٣) إشارة إلى حديث أبى ذر رضي الله عنه :أحمد فى المسند:٥/ ١٥٣ وإسناده صحيح .

(٤) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما :أحمد فى المسند : ١/ ٣١٦ وإسناده جيد.

(٥) سورة المائدة آية : ٩٠ - ٩١

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢٧٩) .

(٧) سورة الشعراء آية : ١٨٣

(٨) إشارة إلى حديث أبى بكرة رضي الله عنه : البخارى موصولاً ومعلقاً والمعلَّق فى كتاب العلم باب (٣٠) . وقد أخرجه البخارى موصولاً فى الشهادات وفى الديات من هذا الوجه واللفظ .

(٩) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : مسلم : البر والصلة برقم (١٠٣) خاص وعام (٢٦٠٧) .

الزنىٰ ﴿ إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾ [(١)] . ولا تلبسوا الحرير والذهب والفضة فإنه مُحرَّم على ذكور أُمَّة محمد ﷺ[(٢)] ، أما أوانى الذهب والفضة فإنها محرَّمة على الرجال والنساء[(٣)] ، والذى يشرب فى آنية الذهب والفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم يوم القيامة ، واحذروا جميع المعاصى فإنها تورث غضب الجبار وتسلط الأعداء وتورث أنواع البلاء وتمنع غيث السماء[(٤)] ، ومُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر[(٥)] فلا صلاح للأُمة إلا بهما ، وخُذوا على أيدى السفهاء[(٦)] واطروهم على الحق أطرًا ، وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون[(٧)] واستغفروه يغفر لكم .

اللَّهُمَّ أعِدْ علينا من بركات هذا العيد ، وآمِّنا من هَوْل يوم الوعيد ، وأدخلنا الجنَّة دار الخلود .

اللَّهُمَّ إن عبادك قد قصدوا إليك واجتمعوا لرجائك وتعرَّضوا لنفحات جودك .

اللَّهُمَّ فحقق آمالهم وأصلِح أحوالهم وتقبَّل أعمالهم وَيَسِّر أُمورهم واغفر ذنوبهم واستر عيوبهم .

اللَّهُمَّ أخلف علينا شهر رمضان بغفرانك ، وتفضَّل علينا بعفوك وامتنانك ، واجعله شاهدًا لنا لا علينا .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٣٢

(٢) إشارة إلى حديث حذيفة رضي الله عنه : البخارى مع الفتح : ٩٦/١٠ وفى الصحيح برقم (٥٦٣٣) الأشربة .

(٣) حديث أُم سلمة رضي الله عنها : البخارى : ٩٦/١٠ برقم (٥٦٣٤) بهذا اللفظ : الأشربة .

(٤) إشارة إلى ما ثبت فى الأحاديث الكثيرة ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما : أبو داود برقم (٢٥٠٦) فى هذا المعنى .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران آية رقم (١٠٤) .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النساء آية رقم (٥) .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النور آية رقم (٣١) .

اللَّهُمَّ إن كان فى سابق علمك أن تجمعنا فى مثله فانشر علينا الأمن والإيمان ، والسلامة والسلام ، وتفضَّل علينا بالرخاء والاستقرار ، وأسبغ علينا النِعَم[١] وارزقنا شكرها، ووفقنا لصيامه وقيامه على الوجه الذى يرضيك عنا .

وإن قضيت بقطع آجالنا وما يحول بيننا وبينه ، فاختم لنا بخاتمة السعادة واكتب لنا الحُسنى وزيادة ، وأعتقنا ووالدينا من النار وأحسن الخلافة فى باقينا واجعل الموعد فسيح جناتك .

اللَّهُمَّ يا رب العالمين ، يا حى يا قيوم ، كما سلَّمتنا رمضان فتسلمه منا مقبولاً وأعطنا الجائزة التى وعدتنا[٢] وتجاوز عن تقصيرنا وإهمالنا .

عباد الله .. أكثروا من التسبيح والتهليل والاستغفار ، فإن نبينا محمداً ﷺ كان يستغفر الله فى اليوم أكثر من مائة مرة [٣] ، وما جلس مجلساً إلا ويذكر الله فيه ، وكل مجلس لا يُذكر فيه اسم الله فهو نقص وخسار وترةٌ وتَبار[٤] .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة لقمان آية رقم (٢٠) .

(٢) إشارة إلى الحديث الذى أخرجه البخارى : ٤/ ٨٧، ٩٤ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه باب فضل الصوم ، ونحوه مسلم برقم (١١٥١) ، (١٦٤١) باب فضل الصيام ...

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما : مسلم ، الذكر والدعاء برقم (٤٢) خاص وعام (٢٧٠٢) بهذا اللفظ .

(٤) إشارة إلى معنى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : أحمد فى المسند : ٢/ ٤٣٢ وإسناده صحيح .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تذكَّروا مَن كان معنا فى الأعوام الماضية

(الخطبة الثانية لعيد الفطر)

الله أكبر (٧ مرات) [١] .

الله أكبر لا إلٰه إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد[٢] .

الحمد لله معيد الجُمَع والأعياد ، رافع السماء بغير عماد ، أحمده على نعمه التى لا نُحصى لها تعداد [٣] .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، منه المبتدأ وإليه المعاد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، الهادى إلى سبيل الرشاد .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم التناد .

أما بعد . .

فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن السعيد مَن راقب الله فيما يُبدئُ ويُعيد ، وخاف من يوم الوعيد ، وسلك طريق جنَّات الخلود ، ورضى

---

(١) إشارة إلى حديث عمرو بن عوف المزنى ﷺ : الترمذى برقم (٥٣٦) وحسَّنه ، وابن ماجه برقم(١٢٧٩) ،ونحوه حديث عائشة ﷺ : أبو داود برقم (١١٤٩) وإسنادهما حسن مع الشواهد .

(٢) أخرجه الإمام جعفر الفريابى فى أحكام العيدين برقم (٦٢) ص (١١٩) مرسلاً مقطوعًا ، وقد ورد هذا اللَّفظ على لسان ابن مسعود ﷺ أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة إبراهيم آية رقم (٣٤) .

عنه الربُّ المعبود ، وليس السعيد مَن أدرك العيد ، ولَبِس الثوب الجديد ، إذا لم يكن من صالحى العبيد .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. اجعلوا فَرَحكم بالعيد فرحًا بإتمام عبادة أوجبها الله عليكم ، واجعلوا فرحكم بالعيد فرحًا بنيل جوائزكم من ملك الملوك وسيد السادات والرؤساء ، اجعلوا فرحكم بالعيد مقرونًا بمراقبة الله الذى يراكم[١] وأفْرَحكم بالعيد ، فكم من أخ لكم مشغولٌ بنفسه لم يفرح بالعيد .

وتذكَّروا مَن كانوا معكم فى العام الماضى فى مثل هذا اليوم أخذهم الموت.. كانوا يفرحون مثلكم ويتزاورون معكم أين هم الآن ؟ تذكَّروا مَن فارقكم من الآباء والأُمهات ، والإخوان والجيران .. أصبحوا رهائن حفر فى التراب منفردين بأعمالهم ، ليس لهم جليس إلا أعمالهم ، وليس لهم أنيس وحشة إلا رحمة ربهم .. انقطعت منهم أسباب الحسنات إلا من علم نافع ، أو صدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو لهم [٢] ، أو دعوة مسلم لأخيه المسلم[٣] ، وأنتم إلى ما صاروا إليه صائرون ، ومن الباب الذى دخلوا منه داخلون ، ولمثل سكنهم ستسكنون ، فتزودوا من الأعمال الصالحة فإن الأجل قريب والعمر محدود ، فتزوَّدوا لدار مقامكم من دار المزيد.

عباد الله .. أُوصيكم وإياى بتقوى الله[٤] .

الله أكبر الله أكبر لا إلٰه إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الشعراء آية رقم (٢١٩) .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ: مسلم فى الصحيح برقم (١٦٣١) باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته .

(٣) إشارة إلى حديث صفوان بن عبد الله بن صفوان ﷺ: مسلم فى الصحيح : الذكر والدعاء برقم (٨٨) خاص وعام (٢٧٣٣) بسياق طويل ومنه هذا اللفظ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النساء آية رقم (١٣١) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[١]

. . . . إلى آخر الدعاء .

* * *

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧- خطبة فى عيد الأضحى (١) [١]

الأعياد الإسلامية تختلف عن بقية الأعياد

(الخطبة الأولى بعد الصلاة)

الله اكبر (٩مرات) [٢]

الله أكبر الله أكبر لا إلٰه إلاّ الله

والله أكبر الله أكبر ولله الحمد[٣] .

الحمد لله وسبحان الله عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته[٤] .

والحمد لله الذى هدانا للإسلام وجعله دينًا ومنهجًا [٥] .

والحمد لله الذى مَنَّ علينا بمحمد ﷺ رسولاً ومعلمًا

---

(١) ألقيت فى ١٠/ ١٢/ ١٤١٠ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث عمرو بن عوف المزنى ﷺ : الترمذى برقم (٥٣٦) وحسَّـــنه ، وابن ماجه برقم (١٢٧٩) ، ونحوه حديث عائشة ﷺ : أبو داود برقم (١١٤٩) ، وابن ماجه برقم (١٢٨٠) وإسنادهما حسن مع الشواهد .

(٣) أخرجه جعفر الفريابى فى العيدين بهذا اللفظ برقم (٦٢) ص (١١٩) مرسلاً مقطوعًا على مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما رحمهما الله تعالى وإسناده فيه ضعف والله أعلم .

(٤) إشارة إلى حديث ابن عباس ﷺ : مسلم : الذكر والدعاء برقم (٧٩) خاص وعام (٢٧٢٦) .

(٥) من حديث أبى موسى الأشعرى وهو خطبة فى العيدين : الفريابى برقم (١٤٠) فى العيدين وإسناده فيه ضعف .

والحمد لله الذى جعلنا من خير الأُمم[١] ، وألزمنا كلمة التقوى وهدانا للعروة الوثقى[٢] .

والحمـــد لله الذى جعلنا من أهل دينه وتوحيـــده ، ومن أتباع نبيه محمد ﷺ .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واقتفى سُنَّتهم .

أما بعد ..

فإن الأعياد الإسلامية تختلف اختلافًا بعيدًا عن الأعياد الجاهلية ، فالأعياد الجاهلية مجردُ لَعب ولَهو وإشباع رغبة النفس بما جرت العادة به ، وأما الأعياد الإسلامية فتعبير عن فرحة المسلمين بأداء عبادة أساســية فى دين الإسلام ، وإتمام فريضة كتبها الله : صيام رمضان ، وحج بيت الله الحرام .

فهى مرتبطة بدين الإسلام ، متصلةً بالله فيُشرع التكبير المطلق من دخول عشر ذى الحجة ، ويجتمع التكبير المطلق والمقيد من فجر يوم عَرَفة حتى صلاة العيد ، ويُستفتح يوم العيد بالصلاة التى هى أقوى عُرَى الصلة بالله ، ويشرع تكرار التكبير لإظهار عظمة الله ، وشرعت الخطبتان للتذكير بحق الله الذى لا ينبغى أن يغفل عنه المسلم[٣] .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران آية رقم (١١٠) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢٥٦) ، وسورة لقمان آية رقم (٢٢).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية رقم (٢٠٥) .

وفى الأعياد الإسلامية كفايةٌ وغِنىً عن الأعياد الجاهلية والبدعية . روى أبو داود رحمه الله وغيره عن أنس بن مالك ﷺ قال : كان لأهل المدينة فى الجاهلية يومان مِن كل سنة يلعبون فيهما ، فلما قدم النبى ﷺ قال : « كان لكم يومان تلعبون فيهما وقد أبدلكم الله بهما خيرًا منهما : يوم الفطر ويوم النحر » (١) .

وتُستحَب التوسعة على الأهل والأولاد أيامَ العيد ليحصل بسط النفس وترويح البدن وإظهار السرور والتمتع بما أحلَّ الله من اللِّباس والرياش والمأكل والمشرب ، ويُستحَب التزاور وتلاقى الإخوة فى الله ، واجتماع الأحبة وإزالة ما فى النفوس ، والتسامحُ والتواضع ، وإرضاء الرحمن ودَحْرُ الشيطان ، وخير الأخوين الذى يبدأ بالسلام (٢) وبالزيارة .

ومن أفضل الأعمال يومَ العيد تصفية القلوب بين الإخوة فى الله والجيران والأقرباء والأرحام والأصدقاء .

فإن الشيطان ينزَغ بينهم ، وأعوانه يُوضعون خلالهم ، وللمسلم على أخيه المسلم حقوق إسلامية .

قال تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) . . فالتواضع ولينُ الجانب وطيبُ الكلام ، والبشاشةُ عند اللِّقاء والكلمةُ الطيبةُ من أسباب المودَّة والألفة ومن أقوى الروابط ، فالمسلم سند أخيه يَشُد عزيمته وقوته .

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة ﷺ : البخارى مع الفتح : ٢/٣٧١ العيدين ، ومسلم برقم (٨٩٢) .

(٢) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ﷺ فى هذا المعنى : البخارى : ١٠/٤٨١ برقم (٦٠٦٥) الأدب باب (٥٧) وعنوانه : ما ينهى عن التحاسد والتدابر .

(٣) سورة الحجر آية : ٨٨

وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضــه بعضًا » ، وشبك بين أصابعه (١) . فالتعاون والتكاتف وتبادل المشاعر ، وبذلُ الندى وكفُ الأذى من صفات المسلمين وحق بعضهم على بعض ، فهم كتلة واحدة وحِزْمَةْ واحدة ربطتهم كلمة الإيمان والتوحيد : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضــو تداعى له سائر الجسد بالسهر والـحُمَّى »(٢) .

فاهتمام المسلم بإخوانه وفَرحُه لفرحهم وحُزْنُه لحزنهم ، وتألمه لآلامهم ، دليل صدق الأُخوة وقوة الإيمان .

ومن حق المسلم على أخيه المسلم ما رواه البخارى ومسلم رحمة الله عليهما : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخ المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه ، مَن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومَن فرَّج عن مسلم كُرْبة فرَّج الله عنه بها كُرْبة من كُرَب يوم القيامة ، ومَن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » (٣) .

إنَّ رابطة الأُخوة فى الله أقوى من رابطة الأُخوة فى النسب والمصاهرة ، لأنَّ الأُخوة فى الله باقية لبقاء هدفها ، وآثارها باقية فى الدنيا والآخرة .

---

(١) إشارة إلى حديث أبى موسى الاشعــــرى رضي الله عنه : البخارى : ١٠/٣٧٦ ، الأدب ، ومسلم : البر والصلة برقم (٢٥٨٥) .

(٢) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما : البخارى مع الفتح : ١٠/٣٦٧ : الأدب ، ومسلم فى الصحيح : البر والصلة برقم (٥٨٨٦) .

(٣) حديث ابن عمر رضي الله عنهما : البخارى مع الفتح : ٥/ ٧١ ، المظالم ، ومسلم : البر والصلة برقم (٢٥٨٠) .

وتقتضى الأُخوة فى الله مزيدَ الشفقة والمعاونة والمناصرة ، واحترام المشاعر والحقوق فيُحب لأخيه ما يُحب لنفسه ، ويَسْخط له ما يَسْخطه لنفسه ، وأعدى عدو للإنسان إبليس أعاذنا الله منه ٠ والنفسُ الأمَّارة بالسوء : ﴿ إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً ، إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾(١) .

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(٢).

فيجب على المسلم أن يكون عونًا لأخيه المسلم على نفسه وشيطانه فلا يتركه فريسة لهما ، بل يحول بينه وبين الشهوات الهابطة والرغبات السافلة ، ويُرشده إلى الفضائل والمكارم وطريق رضوان الله ورحمته ٠

ومن التواضع لله ومن مكارم الأخلاق ، ومن صفَاء القلب أن يكون المسلم فى حاجة أخيه المسلم ، بالإعانة ، وبالجاه والشفاعة ، وسواء قُضيَت حاجة أخيه أم لم تُقْض فهو على أجره : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣) .. ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾(٤) .

وإدْخال السرور على المسلم ومشاركته فى آماله وآلامه ، والترويح عنه وتطمينُ نفسه ، والربط على القلب والجأش من لوازم الأُخوه ٠ فيسدُ حاجته، ويُواسيه بما يقدر عليه ، وما أكثر هموم الدنيا وكروبها ، وما أكثر فزع الآخرة وهولها وكربها مع الفوارق ، فليس من الدنيا مما فى الآخرة إلا مجرد

---

(١) سورة فاطر آية : ٦
(٢) سورة يوسف آية : ٥٣
(٣) سورة الكهف آية : ٣٠
(٤) سورة الرحمن آية : ٦٠

الأســماء ، ومَن فرَّج عن مسلم كُرْبة فرَّجَ الله عنه بها كُرْبة من كُرَبِ يوم القيامة[(١)] .

وما أكثر الأخطاء ، وما أكثر الغفلة والإهمال ، وما أكثر السوآت ، ولكن رحمة الله ولطفه بأُمة محمد ﷺ أوسعُ وأكثرُ . فإذا وقع مسلم فى ذلَّة ، أو صادته شراك عدوه فى غِرَّة . ولم يكن عن فسق ولا فجور ، فمَن سَتَرَ عليه ورفأ خُلَّته ستره الله يوم القيامة[(٢)] فلا يُعلِن غَدراته أمام الخلائق ، بل يخفيها ربُه ويغفرها ويسترها ، جزاء ما ستر أخاه المسلم فى الدنيا . أما الفاسق المعروف بالفسق والفجور والفساد فإظهار حاله للناس ليتقوا شره أَوْلى .

وأما الذى فيه خُبث متأصلٌ ويبيع دينه بدنياه ، ويبيع أُمَّته ووطنه بعَرَضٍ من الدنيا ، ويعملِ جرائم فيها ضرر متعد وفساد فى المجتمعات ويُفسد الدنيا على حساب ردئ الاخلاق والعقول ، مثل مُروجى المخدرات وبائعيها ومهربيها، فيجب التبليغ عنهم لكف أذاهم وقطع فسادهم وكبت شرهم ، والرجل المعروف بشهادة الزور ويتخذها حِرفة له ، يجلس حول المحكمة فإذا طلب منه أحد شهادةً حَفَّظه ما يريد ، ثم أدلى به إلى القاضى ليقتطع حق امرئ مسلم ظلماً[(٣)] ، وإعطاء المشهود له ما لا يستحق شرعاً ، فهذا وأمثاله ينبغى التبليغ عنه ليُتقى غَدْرُه وخيانته .

والذى يُرهب الآمنين ويسعى فى الأرض فســاداً ـ من السُرَّاق وقُطَّاع الطُرُق والذين يضعون المتفجرات ـ ويتخذ عمله حِرفة وهواية ، فلا يجوز السكوت عنه بل يجب أن يُرفع أمره إلى السلطان لكفه عن أذاه وليريح الآمنين من شره .

---

(١) البخارى مع الفتح : ٥/ ٧١ ، المظالم من حديث ابن عمر ﭫ ، ومسلم برقم (٢٥٨٠) البر والصلة .

(٢) إشارة إلى هذا الحديث ومعناه : البخارى : ٥/ ٧١ ، المظالم ، ومسلم برقم (٢٥٨٠) البر والصلة من صحيحه وهو من حديث ابن عمر ﭫ .

(٣) إشارة إلى حديث أبى امامة ﭬ : مسلم فى الصحيح برقم(١٣٧)فى الأيمان .

ولا تَنْس ما لإصلاح ذات البَيْن عند الله من الثواب ، وما لها من تأثير حسن فى المجتمع وفى نفوس المصطلحين (١).

فإذا نزغ الشيطان بين أخوين فى الله أو زوجين أو جارين أو قريبين . ففرَّق بينهما ، وقطَّع صلتهما وكدَّر صفوهما ، فما أحبَّ الإصلاح بينهما إلى الله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢)

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾(٣) .

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾(٤).

وقال نبى الرحمة ﷺ لأبى أيوب الأنصارى ﷺ : « ألا أدلك على صَدَقَةٍ هى خير لك من حُمر النَعَــم » ؟ قال : نعم يا رســول الله ، قال : « تُصلح بين الناس إذا فسدوا ، وتُقرِّبُ بينهم إذا تباعدوا »(٥).

ولا يفوتنا حق اليتيم الذى مات أبوه ، والأرملة التى مات عائلها ولا مال لها ، وحق المساكين المُنْكسرين .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، إنما يرحم الله من عباده الرحماء(٦) ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين(٧) .

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر ﷺ بسياق طويل : البخارى مع الفتح : ٥/ ٧١ المظالم ، ومسلم فى الصحيح (٢٥٨٠) البر والصلة .

(٢) سورة النساء آية : ١١٤

(٣) سورة الحجرات آية : ١٠

(٤) سورة النساء آية : ١٢٨

(٥) مستدرك الحاكم : ٤/ ١٧٦

(٦) إشارة إلى حديث أسامة بن زيد ﷺ : البخارى برقم (١٧٨٤) الجنائز وفيه هذا اللفظ .

(٧) إشارة إلى آية البقرة رقم (١٩٥) .

اللَّهُمَّ اجعل يومنا مباركاً وعيداً سعيداً ، محفوظاً برعايتك وعنايتك ، ومحفوفاً بفضلك وإحسانك وبعفوك وامتنانك ٠

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم ٠

*　　*

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأُضحية سُـــنَّة مؤكدة

(الخطبة الثانية لعيد الاضحى)

الله أكبر (٧ مرات)(١)

الله أكبر الله أكبر لا إلٰه إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد (٢) .

الحمد لله الواحد المعبود ، المتصرف فى الوجود ، الغفور الودود ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وأشهد أنْ لاَ إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد ..

فإن الأُضحية سُنَّة مؤكدة لمن وجد سعة ، وبعضُ العلماء يراها واجبة على الواجد ، وأما مَن لم يجد فليأخذ بوصية النبى ﷺ : يُقَلِّم أظفاره ويأخذ شعر الإبط والعانة ، ويُصلح شاربه وبَشْرَته(٣) .

---

(١) الترمذى برقم (٥٣٦) من حديث عمرو بن عوف المزنى رضي الله عنه وحسَّنه .

(٢) هذا اللفظ مرسل من قول سعيد بن المسيِّب ومجاهد بن جبر وسعيد بن جبير رحمهم الله ، أخرجه الإمام جعفر الفريابى فى العيدين برقم (٦٢) ص (١١٩) .

(٣) هو مفهوم مخالف لحديث أم سلمة رضي الله عنها : أخرجه مسلم فى الصحيح برقم (٤٠) خاص وعام (١٩٧٧) : الأضاحى .

أيها الإخوة فى الله . . إن معرفة النعَم سببٌ لشكرها والمحافظة على بقائها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (١) ، فإذا كان الناس فى خير ونِعَم فإن الله لا يغيرها عليهم ما داموا مُتمسكين بدينهم وعقيدتهم وفضائل أخلاقهم ، فإذا غيَّروا غُيِّرت عليهم . وإذا كانوا فى بلاء ومحن ، فإن الله لا يكشف عنهم حتى يُغَيِّروا من حالهم فيَعُودوا إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ قولاً وعملا وتعبداً وتطبيقاً ، ويتمسكوا بفضائل الأخلاق ومكارم السلوك .

إنَّ الإنسان لا تطيب له راحة ولا يتلذذ بعيش إلا إذا كان آمناً فى سربه معافىً فى بدنه .

ولا يخفى على مَن له معرفة بتاريخ الحرمين الشريفين ما كان عليه الحال قبل الحكومة السعودية ؛ فكانت البوادى مسيطرة على الصحارى والطرقات ، ولا تستطيع الحكومات الماضية أن تعمل معهم شيئًا ، وكان قُطَّاع الطريق ينتظرون المارة من الحجاج وغيرهم فيهجمون عليهم ويأخذون ما معهم ولا يتركون لهم ما يستر عَوْراتهم .

وكان الحاج يُوصى أهله قبل مُغادرتهم ويَغلب على ظنه أنه لا يعود إليهم ..

فلما أراد الله للمشاعر المقدَّسة إظهار قُدسيتها ، وأراد للوافدين إليها فى حَجٍّ أو عُمْرة أو زيارة ، أمناً ورخاءً وراحةً واستقرارًا . أيقظ الملك عبد العزيز رحمة الله عليه ووجَّهه وجهة الخير والإصلاح ، وشد عزيمته ، وربط على قلبه ، وفتح بصيرته لفهم الأوضاع ، فنهض بنيَّة صالحة وعزيمة صادقة ، لإعلاء كلمة الله ، وحفظ مصالح خلق الله : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ

(١) سورة الرعد آية : ١١

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١) ، ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(٢) ؛ فمكَّن الله له وصدق ما عاهد الله عليه ، فأولى الحرمين الشريفين عنايةً كاملة ، وسار أبناؤه على نهجه فقد أُعطوا البِرَّ والحكمة وسداد الرأى وحسنَ الاستقامة وقوة الصلة بالله وصفاء العقيدة والحمد لله .

فكان ما نشاهده : مرافقُ عامة ، وطرق معبَّدة ، وأنفاق وكبارى ، وتوسعة الحرمين الشريفين ، وتنظيم المشاعر المقدَّسة ، وتوفيرُ أسباب الراحة ، ونشر الأمن والهدوء للمواطنين والحجاج والزائرين ، وإقامة شرع الله ، وتنفيذ حدود الله ، والحكم بما أنزل الله ، ونشر العدل ورفعُ الظلم والأخذُ على يد السفهاء ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة(٣) ، ومواساة كل مسلم ، والوقوف فى الحق مع كل مؤمن .

وفى عهدنا الحاضر الزاهر بقيادة الملك فهد بن عبد العزيز أعطى الحرمين الشريفين والمشاعر المقدَّسة عنايته التامة فى كل المرافق ، ويَتَفَقَّد النشاطات بنفسه ، ويَعُدُّ ذلك شرفاً ورفعه وفخراً واعتزازاً ، ولذلك لقَّبَ نفسه بخادم الحرمين الشريفين ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين وعن الحجاج والمواطنين خير ما جزى إماماً صالحاً ورائداً مخلصاً عن بلاده ورعيته أحسن الجزاء .

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(٤) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٥) .

اللَّهُمَّ احفظ إمامنا من كل سوء ومكروه ، واكفه كل أمر يهمه .

---

(١) سورة الحج آية : ٤٠
(٢) سورة محمد آية : ٧
(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النحل آية رقم (١٢٥) .
(٤) سورة التوبة آية : ١٠٥
(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٦

اللَّهُمَّ كن له حافظاً ومؤيداً وناصراً فيما يرضيك .

اللَّهُمَّ مَن أراده بسوء فردُّ كيده فى نحره .

الله أكبر الله أكبر لا إلٰه إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1] .

* * *

(١) سورة النحل آية : ٩٠

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨ - خطبة فى عيد الأضحى (٢) [١]

الأعياد الإسلامية مرتبطة بالعبادات

(الخطبة الأولى)

الله أكبر (٩ نسقاً)[٢] .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلَّا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد [٣] .

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٤] .. تفرَّد بالوحدانية فى ربوبيته وفى أُلوهيته ، وفى أسمائه وصفاته ، وتعالى بالعظمة والجلال على خلقه . خلق الجن والإنس لعبادته [٥] ، وتصرَّف فى الكائنات بحكمته ، وهيمن على ملكوت السموات والأرض بقدرته، وقامت السموات والأرض بعدله، ورزق البَرَّ والفاجر برحمته . أرسل الرُّسُل مبشرين ومنذرين [٦] ، فمَن أطاعه وحكم بكتابه أعزَّه ومكَّن له ، ومَن عصاه وهجر كتابه أذلَّة وخذله ، وسلَّط عليه شرار خلقه[٧] .

---

(١) ألقيت فى ١٠/ ١٢/ ١٤٠٩ هـ .

(٢) إشارة إلى فعل ابن مسعود : المغنى : ٢/ ٣٨٥ وهو قول عبد الله بن عتبة وسعيد بن المسيِّب .

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود ﷺ عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ١/ ٤٦٨ إلى ابن أبى شيبة فى المصنف وسعيد بن منصور ثم ذكره موقوفاً عليه ، وقد ورد ذلك فى بعض المراسيل على التابعين أيضًا

(٤) سورة الفاتحة آية : ٢

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الذاريات آية رقم (٥٦) .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢١٣) .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى فى سـورة النسـاء آية رقم (١١٥) : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ .... ﴾ .

وأشهد أنْ لا إله إلا وحده لا شريك له .. الناس فقراء إليه والله هو الغنى الحميد(١) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمة للعالمين ، بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك ، خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضل الخلق أجمعين نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الأعياد الإسلامية لها ارتباط بالعبادات ، ولها اتصال برب العالمين ، ففى ليلة العيدين شُرِع التكبير وتعظيم الله وتوحيده وحمده والثناء عليه(٣) .

ويُفْتَتَح يَومُ العيد بصَلاة ركعتين تبدآن بالتكبير ، ثم بخطبة تُذكِّر العباد بخالقهم وبشعائر دينهم ، وتوجههم إلى الأهداف السامية التى من أجلها خُلِقوا ، وإلى الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن(٤) .

وأيضاً فإن الأعياد الإسلامية تعبير عن فرحة المسلمين بإتمام عبادة هى ركن من أركان الإسلام .

فَعِيْد الفِطر فرحة بإتمام فريضة الصيام ، وبما أفاض الخالق تعالى على عباده المؤمنين من الرحمة والمغفرة والرضوان .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة فاطر آية رقم (١٥) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأحزاب آية رقم (٤٦) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم(١٨٥)، والحج آية رقم (٣٧).

(٤) هذا المعنى الوارد فى خطب النبى ﷺ فى يومى العيد وأيام الجُمَع ويوم عَرَفَة كما فى حديث جابر الطويل ، أخرجه مسلم فى الصحيح : الحج حديث رقم (٤٧) أو فى غيرها من الأحاديث .

وعِيدُ الأضحى فرْحة بأداء الحاج أهمَّ أركان الحج وأعظم أعماله ، وبما أفاض الرب تعالى على أهل الموقف من النفحات وحط السيئات ورفع الدرجات ، وفرحةٌ باليوم الذى تُنحر وتُذبح فيه الأنساك من بهيمة الأنعام يُذكر عليها اسم الله وتوحيده وتعظيمه ، وينتفع منها الفقراء (١) .

فبين الحاج وبين أخيه المقيم تشابه وتوافق فى بعض الأعمال ؛ فبينما الحاج يُلَبِّى ويُوَحِّد الله ويحمده ، فالمقيم يُكَبِّر الله ويُوَحِّده ويحمده ، وإذا وقف الحاج بعرفات شُرِعَ للمقيم صيامُ ذلك اليوم (٢) ،وإذا اجتنبَ الحاج محظورات الإحرام ، شُرِعَ لمن أراد أن يُضَحِّى ودخل العشر ألا يأخذ شيئاً من شَعْرِه ولا من ظفره ولا من بَشْرته حتى يُضَحِّى (٣) .

وإذا أفاض الحاج من مزدلفة إلى مِنَى والبيت العتيق ، أفاض المقيمون من بيوتهم إلى مُصلَّى العيد (٤) .

وإذا نحر الحاج هَدْيه ، نحر المقيم أُضحيته .

وفى أيام التشريق يُشرع للحاج رمى الجمرات الثلاث إرضاءً لله وإغاظةً للشيطان(٥) ، ويُشرع للمقيمين التزاور والتقارب وإزالة الخلافات إرضاءً لله وسُخطاً للشيطان(٦) .

---

(١) إشارة إلى قوله تعـالى فى سورة الحج آية رقم (٢٨) ، (٣٦) ، وسورة النحل آية رقم (٦٦) .

(٢) إشارة إلى حديث أبى قتادة ﵁ : مسلم فى الصحيح برقم (١١٦٢) ، (١١٦٧) ، الصيام : استحباب صوم يوم عرفة .

(٣) إشارة إلى حديث أم سلمة ﵂ : مسلم فى الصحيح برقم (١٩٧٧) الأضاحى ، وأبو داود برقم (٢٧٩١) . .

(٤) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى ﵁ : البخارى مع الفتح : ٢/ ٣٧٤ العيدين ،ونحوه مسـلم برقم (٨٨٩) فى أول كتاب صلاة العيدين من هذا الوجه واللفظ .

(٥) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى الطويل فى حج النبى ﷺ برقم (١٤٧) . .

(٦) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ﵁ البخارى : ١٠/٤٨١ برقم (٦٠٦٥) الأدب ، ونحوه مسلم فى البر والصلة من هذا الوجه واللفظ برقم ٢٣) ، (٢٥) ، (٣٦): « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه . . . » .

والرابطة القوية بين المسلم وأخيه المسلم هى العروة الوثقى ، وهى القوة التى لا تضاهى : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وما تقتضيه من أقوال وأعمال ومنهج وسلوك ، وإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب .

هذه الرابطة يجب على المسلم أن يلتزم بها فى سفره وإقامته فى بلده وغيرها ، فليس للمسلم أعمال إسلامية محلية يلتزم بها فى مكان دون مكان فإذا سافر تركها .

وليس للإسلام سلوك وطنى وسلوك خارجى ، وإنما هو منهج الله الواحد ، يجب على المسلم أن يسلكه فى وطنه وغيره ، فيجب على المسلم أن يراقب الله فى جميع أوقاته وأمكنته وأحواله ، فى حركاته وسكناته ، فإن الله مطلع عليه يسمع ويرى(١) .

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٢) .

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(٣) .

﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(٤) .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المجادلة آية رقم (١) ، وسورة طه آية رقم (٤٦) .

(٢) سورة هود آية : ٥

(٣) سورة الأنعام آية : ٥٩

(٤) سورة يونس آية : ٦١

ففى أى مكان يختفى الإنسان عن خالقه ؟ أم فى أى مكان يلوذ عن رؤية الله ؟ وبأى صوت يناجى عن سمع الله ؟ وأىُّ خاطرة تلوح فى قلب الإنسان أو تحوك فى صدره تخفى على الله ؟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (١) .

يجب على الإنسان أن يلتزم جانب الأدب مع الله ، فى إيمانه وعقيدته ، وفى عباداته ومنهجه .. فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٢) .

الله أكبر .. الله أكبر ...

إنَّ الأُضحية مشروعة بنص الكتاب والسُّنَّة والإجماع ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾(٣)

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك ﷺ قال : « ضَحَّى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده سَمَّى وكَبَّر ، ووضع رجله على صفاحهما »(٤) : أى وضع ﷺ قَدمه الشريفة اليمنى على جنب رقبتيهما الأيمن .

(١) سورة آل عمران آية : ٥

(٢) سورة لقمان آية : ٣٣

(٣) سورة الكوثر الآيات : ١ - ٣

(٤) البخارى : ١٠/ ١٩ الأضاحى باب التكبير عند الذبح ، ونحوه مسلم برقم (١٩٦٦) عام وخاص (١٨) باب : استحباب الأُضحية ، كلاهما من حديث أنس بن مالك ﷺ .

وأجمع المسلمون على مشروعية الأُضحية ، فمنهم مَن جعلها واجبةً على المقتدر ، لما روى الإمام أحمد وابن ماجه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن وجد سعة فلم يُضح فلا يقربنَّ مُصَلانا »[(١)] .

والجمهور على أنها سُنَّة ومعروف ، لا ينبغى تركها لمن قدر عليها ·

والأُضحية نُسُك وقُرْبة إلى الله ، يتقرَّب المسلم بسفك دمها فيذكر اسم الله عليها ويُكبِّره ويُعظِّمه ، لا من أجل لحمها ودمها ولكن من أجل الله وتقواه والتوحيد والإخلاص لله ، فسفك دم بهيمة الأنعام فى وقت الأُضحية قُرْبة إلى الله : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[(٢)]

ولذبح الأُضحية وقت معلوم يبدأ بعد صلاة العيد إلى آخر أيام التشريق· عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« إن أول ما نبدأ به فى يَوْمنا هذا : نُصَلِّى ثم نرجع فننحر ، مَن فعله فقد أصاب سُنَّتنا ، ومَن ذبح قبلُ فإنما هو لحم قدَّمه لأهله ليس من النُسُك فى شىء » (رواه البخارى)[(٣)] .

ويُشترط للأُضحية أسنان معلومة لا يجزئ أصغر منها وهى الثنى من الإبل والبقر والمعز ، والجذع من الضأن · ويُعرف الثنى بالسِّنَّيْنِ الوَسْطين إذا قلعهما ونبت مكانهما آخران أكبر منهما فقد أثنى ، والثنى من الإبل ما تم له

---

(١) نعم : أخرجه أحمد فى المسند : ٢/ ٣٢١ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ونحوه ابن ماجه فى السنن برقم (٣١٢٣) الأضاحى باب (٢) باب : الأضاحى واجبة أم لا ؟ وإسناده حسن مع الشواهد ·

(٢) سورة الحج آية : ٣٧

(٣) البخارى : ١٠/ ١٠ الأضاحى ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم :« ضح بالجذع من المعز ولن يجزئ عن أحد بعدك »، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم (١٩٦١) عام وخاص (٧) الأضاحى باب : وقتها ، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ·

خمس سنين .، ومن البقر ما تم له سنتان ، ومن المعز ما تم له سنة ، والجذع ما تم له نصف سنة (ستة أشهر) ، ويُعرف الجذع بالصوفة التى على ظهره فإنها تكون قائمة فإذا أجذع نامت الصُّوفة وافترقت[١] يميناً وشمالاً كما ذكره أهل الخبرة ، ويُشترط من الأُضحية سلامتها من العيوب ، والوجاء والخصاء ليس بعيب [٢] بل هو يزيد اللَّحم كمّاً وكيفية .

وفى حديث عائشة ﵂ عند أحمد وابن ماجه أن النبى ﷺ ضَحَّى بكبشين سمينين موجوأين[٣] ، وتجزئ البدنة والبقرة كل واحدة عن سبعة أشخاص[٤] ، وتجزئ الشاة عن الرجل وأهل بيته وعياله وخدمه[٥] ، وأفضل كل جنس أسمنُه وأحسنه وأغلاه ثمناً[٦] . قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[٧] ، قال ابن عباس ﵄ : تعظيمها استسمانها واستحسانها[٨] .

---

(١) ذكر ذلك الإمام البغوى فى شرح السُنَّة : ٣٢٩/٤ وقد أخرج بعض أصحاب السنن هذه الأسنان مجملة : النسائىْ : ٢١٩/٧ . وأبو داود برقم (٢٧٩٩) ، وابن ماجه برقم (٣١٤٧) .

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى ﵁ : أحمد فى المسند : ٣٧٥/٣ ، وأبو داود برقم (٢٧٩٥) وإسناده جيد ، ونحوه حديث عائشة ﵂ : ابن ماجه برقم (٣١٣٢) من حديث ابن عقيل عن عائشة .

(٣) هو حديث عائشة ﵂ : ابن ماجه برقم (٣١٣٢) ، وإسناده حسن .

(٤) وهو من حديث جابر ﵁ : أخرجه مسلم فى الضحايا برقم (١٣١٨) فى الحج باب الاشتراك فى الهَدْى .

(٥) إشارة إلى حديث أبى أيوب الأنصارى ﵁ : ابن ماجه برقم (٣١٤٧) فى الأضاحى ، والترمذى برقم (١٥٠٥) ، حديث حسن صحيح .

(٦) إشارة إلى حديث أبو الأسد الأسلمى عن أبيه عن جده مرفوعاً بهذا اللفظ : أحمد فى المسند : ٣٢٤/٣ وإسناده حسن جيد .

(٧) سورة الحج آية : ٣٢

(٨) أورده الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٦٣٨/٤ نقلا عن تفسير ابن أبى حاتم رحمهما الله تعالى وإسناده جيد .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد[١] .

أيها الرجال .. حافظوا على الصلوات فى أوقاتها مع جماعة المسلمين فى المساجد [٢] ، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم .

غضُّوا أبصاركم واحفظوا فروجكم[٣] ، ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا [٤] ،واحذروا الخمر فإنه رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون [٥] .

مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر [٦] وخذوا على يد السفيه[٧] .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى عيدنا واجعله سعيداً ، وألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

اللَّهُمَّ تقبَّل منا ومن إخواننا المسلمين ، واكتب الصحة والسلامة لنا وللحجاج أجمعين ، واجعل سعيهم مشكوراً وحجهم مبروراً ، واحفظهم من كيد المفسدين ، وتب علينا إنك أنت التَّواب الرحيم[٨] .

* *

---

(١) إشارة إلى أثر ابن مسعود رضي الله عنه عزاه السيوطى فى الدر المنثور إلى ابن أبى شيبة فى المصنف ، ونحوه آثار التابعين مثل مجاهد وسعيد بن جبير والزهرى رحمهم الله ..

(٢) إشارة إلى عدة أحاديث فى هذا المعنى ومنها حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى مع الفتح :٢/ ١٢٤ صلاة الجماعة ، ونحوه مسلم برقم (٦٦٩) فى المساجد ..

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النور آية رقم (٣١) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإسراء آية رقم (٣٢) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المائدة آية رقم (٩٠) .

(٦) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة آل عمران آية رقم (١٠٤) .

(٧) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة النساء آية رقم (٥) والآيات كثيرة .

(٨) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٢٨) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقوف الكفر ضد الإيمان

(الخطبة الثانية لعيد الأضحى)

الله أكبر (٧ نسقاً)[١] .

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد[٢] .

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٣] ، طهَّر بيته للطائفين والعاكفين والرُّكَع السجود[٤] .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملكُ الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد . .

فليس بمستغرب أن يقف الكُفر ضِدَّ الإيمان ، ولا أن يقف الطغيان ضد

---

(١) المغنى : ٢/ ٣٨٥ ولعله مأخوذ من حديث عمرو بن عوف المزنى رضي الله عنه : الترمذى برقم (٥٣٦) وحسَّنه ، وابن ماجه برقم (١٢٧٩) .

(٢) أخرجه جعفر الفريابى فى أحكام العيدين برقم(٦٢) ص (١١٩) مرسلا . .

(٣) سورة الفاتحة : آية ٢

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٢٥) .

الإسلام ، فهذا شأنه من أول الأمر . حاولوا إطفاء نور الله عند ظهوره فأبى الله إلا أن يُتِمَّ نوره [١] ، وناصبوه العداء فى مسيرته فأبى الله إلا أن يُظهره على الدين كله [٢] ، وتربَّصوا به الدوائر فى أوله فحفظه الله وأتمه ، والإسلام قوى فى ذاته فهو منهج الله يؤيده وينصره .

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[٣] .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[٤] .

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[٥] .

ولكن الله تعالى يريد أن يقوم سلطان الدين على أيدى المسلمين ، فمتى نشط المسلمون وقَوِى إيمانهم وغلب حب الآخرة عندهم على حب الدنيا ، قوى سلطانهم وأقبل عليهم الدين ، ووضع لهم القبول ، وجعل الرعب مع قلوب أعدائهم[٦].

وإذا ضعف المسلمون ونقص إيمانهم وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة ، ضعف سلطانهم فأدْبر عنهم الدين .

وفى كل عصر من العصور إذا انصرف المسلمون عن دينهم يُوقظ اللهُ من

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الصف آية رقم (٨) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (٣٣)، والفتح آية رقم (٢٨) .

(٣) سورة يونس آية : ٩٩

(٤) سورة المائدة آية : ٤٨

(٥) سورة هود آية : ١١٨ ، ١١٩

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المجادلة آية رقم (٢١) ، وسورة آل عمران آية رقم (١٦٠).

عباده الصالحين رجالاً يختارهم لخدمته وخدمة دينه ، يَردُون المسلمين إلى ربهم وإلى دينهم ، ويدعون إلى الله وإلى كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ ‥ يرفعون راية التوحيد ويحكمون بما أنزل الله ، ويكشفون عن دين الله شبهات المبطلين ، ويصدون عنه كيد المارقين وشر المفسدين ، ويَلُمُّون شتات المسلمين (١) .

ومن هؤلاء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وأبناؤه من بعده، نسأل الله لماضيهم الرحمة والغفران ، ولباقيهم التوفيق والإعانة والسداد .

إنه لا يخفى على مَن له إلمام بتاريخ الحرمين الشريفين ما كانت عليه الحال قبل الحكومة السعودية ، كانت البوادى مسيطرةً على الصحارى والطرقات، لا تستطيع الحكومات الماضية أن تفعل معهم شيئاً ، وكان قُطَّاع الطريق ينتظرون المارة من الحجاج وغيرهم فلا يُبْقون لهم ما يسترون به عَوْراتهم ، وكانت لُقمة العيش قليلةً والنقود نادرةً . وكان الذى يركب الطريق بين المدينة المنوَّرة ومكة المشرَّفة كراكب البحر ، داخله مفقود والخارج منه مولود، فكان الحاج يُوصى قبل مُغادرة أهله ويودعهم لأنه يغلب على ظنه أنه لا يعود(٢) .

فلما أراد الله للمشاعر المقدَّسة ، وللوافد اليها فى حَجٍّ أو عُمْرة أو زيارة وللمقيمين فيها أمناً ورخاءً ، وراحةً واستقــراراً ،وتقدماً وتطوراً .عقد الملك عبد العزيز مع ربه عهداً أن يجعل دستوره القرآن ونظام دولته الإسلام ، وأن يحكم بما أنزل الله ، وبسُنَّة رسوله ﷺ ، فكان يقول فى جوف اللَّيل :

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : أبو داود برقم (٤٢٩١) : الملاحم وإسناده صحيح باب : ما يُذكر فى قرن المائة .

(٢) وقد استمرت هذه الحال إلى أن جاء الملك عبد العزيز آل سعود تغمَّده الله تعالى برحمته وقد قال لنا الأقرباء الكبار الذين حجوا فى عام ١٣٣٦ هـ أن الأمن قد قام فى البلاد المقدَّسة ولا خوف هناك الآن ‥

اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أن فى نصرى عزاً للإسلام والمسلمين فانصرنى . فصدق ما عاهد الله عليه فأنجز له وعده ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ﴾(١) .

فتوجَّه عبد العزيز وأبناؤه إلى الحرمين الشريفين بكل اهتماماتهم وقدراتهم البدنية والنفسية والمالية . فكان ما نرى من المرافق العامة والطرقات والأنفاق والكبارى، والتطور العمرانى والاقتصادى والصحى، وتوسعة المسجدين المطَّهرين، وتنظيم المشاعر المقدَّسة وتوفير أسباب الراحة والاستقرار ، فجميع ما يحتاجه الحاج متوفر من الضروريات والكماليات يجده فى متناول يده .

فهذه المياه الباردة النقية فى المساجد وفى الطرقات مبذولةً مجاناً إكراماً لضيوف الله ، وهذه أنواع المأكولات والمشروبات المباحة توزع فى المشاعر مجاناً . . مع كل مبسط وفى كل دكان وفى كل مطعم وفى كل فندق تقول بلســـان الحال : يا نفس ماذا تشتهين ؟(٢) .

وحكومتنا لها اليد الطُولْى والقدم الراسخة فى توفير المتطلبات ، تُعين العامل على الإنتاج وتُعطيه قُروضاً بلا فائدة .

وتُعين المستورد على الاستيراد وتُعطيه إعانات ، لذلك نجد السلع أرخص عندنا من مصادرها .

يَفْعَل ذلك خادم الحرمين الشريفين وإخوته وحكومتهم عن عقيدة وإيمان

---

(١) سورة الحج آية : ٤٠ ، ٤١

(٢) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة النحل آية رقم (٩٧) : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ .

ما أطيبَ هذه الحياة الكريمة وما أعظمها تحت ظل هذه السماء التى تغطى هذه البلاد المقدَّسة فى ضوء هذا النظام الرفيع والاستقرار الدائم والأمن المثالى . . .

بالواجب الإسلامى وبواجب القيادة ورحمةً وشفقةً بأُمتهم ، ويعدون خدمتهم للحرمين الشريفين والشعب السعودى شرفاً ورِفْعة ، ولذلك لقَّبَ ملك المملكة العربية السعودية الملك فهد بن عبد العزيز نفسه بخادم الحرمين الشريفين حباً لهذا اللَّقب وتشرفاً به ٠

ولا زالت جهود خادم الحرمين وإخوته وحكومتهم لخدمة الحرمين وتيسير أُمور الحجاج مستمرةً متزايدة ، فجزى الله رائد البلاد ورائد الإسلام ، ورائد الأمن ورائد الإصلاح وإخوته عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء[١] ٠

فلما رأى الحاسدون والحاقدون هذه النِعَم متوافرة ، ومناسك الحج ميُسَّرة ، ضاقت نفوسهم بها ذرعاً وفقدوا شعورهم فصاروا يدسون بين صفوف المسلمين ٠ فهل يظن أُولئك السفهاء أن عملهم سيُزَعْزِعُ ثقة الحاج فى أمن المملكة ، كلا ٠٠ فكل مسلم وكل حاج يعرف قدرة المملكة ويعرف ما كان عليه الحال قبلها ، ويعرفون نصح الراعى وتجاوب الرعية ، كما يعرفون ترابط الرعية مع الراعى ، بل الأمر بعكس ما يعتقد الحاسدون والمغرضون ٠

اللَّهُمَّ احفظ لنا أمننا واستقرارنا ، واحفظ لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، ودنيانا التى فيها معاشنا ، وآخرتنا التى إليها معادنا ٠

اللَّهُمَّ احفظ إمامنا من شر الأشرار وكيد الفُجَّار ، اللَّهُمَّ مَن أراده بسوء فرُدَّ كيده فى نحره ، اللَّهُمَّ انصر به دينك ، وأعل به كلمتك ، وانشر به عدلك ، واحفظ به أمنك ٠

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها : مسلم فى الصحيح : الإمارة برقم (١٩) خاص وعام (١٨٢٨) وفيه الدعاء من رسول الله ﷺ لمن رفق وشفق بأُمته : « ومَن ولى من أمر أُمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به »، وقد شمل هؤلاء الكرام دعاء رسول الله ﷺ جميعاً الوارد فى هذا الحديث الصحيح وقد أخرجه أحمد فى المسند : ٦/ ٦٢ ، ٩٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ وكلهم من حديث عائشة رضي الله عنها ٠

اللّهُمَّ وفقه لما تحب وترضى ، واجعل أعماله ومساعيه فيما يرضيك .

اللّهُمَّ كن له موفقاً ومؤيداً لخدمة مقدساتك ، والإصلاح بين خلقك وإقامة حدودك ، والعمل بكتابك وسُنَّة نبيك ، فأنت القادر على ذلك ﴿ نعم المولى ونعم النصير ﴾ (١) .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد(٢) .

وصَلُّوا على البشير النذير ....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٣)

* * *

(١) سورة الأنفال آية : ٤٠

(٢) جعفر الفريابى الإمام فى أحكام العيدين برقم (٦٢) ص (١١٩) مرسلاً على بعض التابعين ،وكذا ابن أبى شيبة فى المصنف موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩ - خطبة فى عيد الأضحى (٣) [١]

ذبح الأُضحية أفضل من الصدقة بثمنها

(الخطبة الأولى)

الله أكبر (٩ مرات) [٢] .

الله أكبر ملء السموات والأرض وملء ما شاء ربنا .

الله أكبر عدد الأفلاك والنجوم .

الله أكبر عدد خلقه وزِنة عرشه ومداد كلماته .

الله أكبر كلما أهلُّوا من الميقات وكلما طافوا بالبيت العتيق ووقفوا بتلك المشاعر المقدَّسات .

الله أكبر كلما أُريق من دموع وعبرات ، وكلما أفاض الرب على أهل الموقف من رحمة وحسنات .

الله أكبر الله أكبر لا إلَه إلاّ الله ، والله أكبر الله اكبر ولله الحمد [٣] .

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٤] ،المتفرد بالوحدانية ، والمتعالى بالعظمة

---

(١) ألقيت فى ١٠/١٢/١٤٠٧ هـ .

(٢) المغنى : ٢/٣٨٥

(٣) إشارة إلى الباب الذى عقده البخارى فى الصحيح : ١١/٥٦٦ ، الأيمان والنذور برقم (١٩) ثم ذكره ، وقد شرحه الحافظ فى الفتح : ١١/٥٦٧ فأجاد وأفاد فى تخريج هذا التعليق .

(٤) سورة الفاتحة آية : ٢

والجلال ، والمتصرِف فى جميع الكائنات بحكمته ، فمَن أطاعه أعزَّه ورفع له الدرجات ، ومَن عصاه أذلَّه وجعله فى أسفل الدركات .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له ، يُحيى ويُميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير(١) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمة للعالمين ، بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً(٢) ، مهَّد لنبوته وهو فى أصلاب آبائه فاصطفاه خياراً من خيار ، طهَّره من جميع الأرجاس(٣) ، وأدَّبه فأحسن تأديبه(٤) ، وجعله مباركاً أينما كان ، أعطاه الكرم والشجاعة فلا يخش فقراً ولا يخاف أحداً من الناس ، فكانت أعماله وأقواله وحركاته وسكناته ومدخله ومخرجه لله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾(٥) .

شهد له ربه بأعلى الصفات فقال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٦) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الهُدَىٰ ومصابيح الدُجَى ومَن تبعهم بإحسان واهتدى .

---

(١) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب ﷺ : أحمد فى المسند : ١/ ٤٧ وإسناده صحيح وأخرجه أصحاب السنن الأربعة .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأحزاب آية رقم (٤٦) .

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ﷺ أورده الإمام ابن كثير فى السيرة النبوية له : ١/ ١٨٩ ثم قال : هذا حديث غريب جداً نقله عن البيهقى من الدلائل ، ثم ذكر له شواهد كثيرة صحيحة .

(٤) إشارة إلى حديث على ﷺ أورده العجلونى فى كشف الخفا : ١/ ٧٠ برقم (١٦٤) .

(٥) سورة الأنعام آية : ١٦٢ ، ١٦٣

(٦) سورة القلم آية : ٤

أما بعد ..

فإن يومنا هذا يومٌ عظيم وعيـدٌ كريم ، حرَّمه الله وسمَّاه يوم الحج الأكبر[١] ، إنه يوم عيد وفرح وأكل وشرب وذكر لله .. فحجاج بيت الله يفرحون بإتمام نُسُكهم وقضاء تفثهم وبنفحات الله عليهم ، ونحن نفرح بما سخَّر لنا من بهيمة الأنعام[٢] والاقتداء بسيد الأنام ﷺ ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحـر * إن شـانئـك هو الأبتر ﴾[٣] .

الأُضحية مشروعة بالكتاب والسُنَّة والإجماع ؛ أما الكتاب فالسورة المتقدمة تلاوتُها .

وأما السُنَّة فحديث أنس رضى الله تعالى عنه قال :« ضَحَّى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده سمّى وكبرّ » (متفق عليه) [٤] .

وأجمع المسلمون على مشروعية الأُضحية ، فمنهم مَن جعلها واجبة لحديث أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن وجد سعة فلم يُضَح فلا يقربن مُصَلانا » (رواه أحمد وابن ماجه)[٥] .

والجمهور على أنها سُنَّة مؤكدة لا ينبغى تركها لمن يقدر عليها ، فطِيبوا بها نفسًا ، وذبحها أفضل من الصدقة بثمنها ، عن أُم المؤمنين عائشة رضى الله

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (٣) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المائدة آية رقم (٦) ، وسورة الحج آية رقم (٢٨) ، (٣٤)

(٣) سورة الكوثر الآيات : ١ - ٣

(٤) أخرجه البخارى فى الصحيح مع الفتح : ١٩/١ الأضاحى من حديث أنس رضى الله عنه ، ومسلم فى الصحيح برقم (١٩٦٦) باب استحباب الأُضحية وحديث رقم (١٨) خاص .

(٥) أخرجه الإمام أحمد فى المسند: ٣٢١/٢ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وإسناده حسن ، وابن ماجه برقم (٣١٢٣) : الأضاحى من هذا الوجه واللَّفظ مع الشواهد .

تعالى عنها أن النبى ﷺ قال : « ما عمل آدم يوم النَّحْر عملا أحبَّ إلى الله من هراقة دم ، وإنه ليأتى يوم القيامة بقرونها وأظفارها وأشعارها ، وإن الدم ليقع من الله عزَّ وجلَّ بمكان قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوا بهـا نفسـاً » . (رواه ابن ماجه والترمذى)[١] .

فالأُضحية شريعة نبينا محمد ﷺ وسُنَّة أبينـا إبراهيم عليه السلام ، وهى فداء الذبيح إسماعيل[٢] ،ولولا رحمة الله بهذا الفداء لكانت الأُضحية بالأبناء .

فأبونا إبراهيم عليه السلام سأل ربه أن يهب له من الصالحين ، فبشَّرته الملائكة بغلام عليم ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[٣] . فلما بلغ اسماعيل مع أبيه السعى رأى فى المنام أنه يذبحه ،ورؤيا الأنبياء حق : ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٤] .. ابتلاء وامتحان واختبار والله أعلم بما سيكون ، فلما أسلما لأمر الله [٥] قال إسماعيل لأبيه : اجعل وجهى للأرض حتى لا أرى السكين[٦] ﴿ وتلّه للجبين ﴾[٧] ،وأهوى على رقبته بالســكين فناداه ربه : ﴿ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[٨] ،

---

(١) الترمذى فى جامعه برقم (١٤٩٣) فى الأضاحى ، وابن ماجه برقم (٣١٢٦) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) راجع التهذيب : ١٢/ ٢٣١

(٣) سورة الحجر آية : ٥٤

(٤) سورة الصافات آية : ١٠٢

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الصافات آية رقم (١٠٣) .

(٦) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما عزاه الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٦/ ٢٥ إلى الإمام أحمد وإسناده صحيح .

(٧) سورة الصافات آية : ١٠٣

(٨) سورة الصافات الآيات : ١٠٤ - ١٠٧

فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أقرن أَعْيَن ، وفُدِيَ إسماعيلُ بهذا الذبح العظيم[١] .

فاحمدوا ربكم أن جُعِلت الأُضحية من بهيمة الأنعام ولم تُجعل من أولادكم ، فطيبوا بها نفساً .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلّا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

وتُجزئ الشاة عن الرجل وأهل بيته[٢] ، وتُجزئ البدنة عن سبعة والبقرة كذلك[٣] ، وتُشرع الأضحية عن الميت ويصله ثوابها إن شاء الله لأن النبى صلى الله عليه وسلم ذبح كبشًا فقال : « بسم الله والله أكبر ، اللَّهُمَّ هذا عنى وعن مَن لم يُضَح من أُمتى » (رواه أحمد وغيره عن جابر) [٤] ، وضَحَّى بآخر عنه وعن أهل بيته وفيهم الحى والميت ، وما شاع عند بعض العامة من أن أول أُضحية للميت لا يشركه فيها أحد فلا أصل له[٥] ، فإذا كان المُضَحِّى متبرعًا فله أن يشرك نفسه مع الميت فى الأُضحية حتى لو كانت الأُولى ، وأما إن كانت من مال الميت وصيةً أو ثُلُثاً أو وقفاً فلا يشرك معه فيها أحد لأنها ماله .

ويُشترط فى الأُضحية أسـنان معلومة ، فيجزئ من الضأن الجذع وهو ما تم له ستة أشهر [٦] ودخل فى السابع ، ولا يُجزئ من الإبل والبقر والمعز

---

(١) هذا لفظ موجود فى حديث ابن عباس رضي الله عنهما عزاه الإمام ابن كثير فى تفسيره إلى الإمام أحمد .

(٢) إشارة إلى حديث أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه : ابن ماجه برقم (٣١٤٧) فى الأضاحى ، والترمذى برقم (١٥٠٥) ، وإسناده حسن مع الشواهد .

(٣) روى هذا الحديث مسلم فى الصحيح برقم (١٣١٨) الحج ، باب الاشتراك فى الهَدْى .

(٤) رواه أبو داود برقم (٢٨١٠) فى الأضاحى ، ونحوه الترمذى فى جامعه برقم (١٥٢١)من حديث جابر رضي الله عنه وإسناده فيه مقال ولكنه يُحَسِّن الإسناد مع الشواهد الكثيرة .

(٥) لم أقف على هذا الحديث الموضوع الذى شاع عند العوام فى الشرق والغرب والله أعلم فلا أصل له كما قال الفقيه الخطيب .

(٦) ذكر ذلك الإمام ابن الأثير فى النهاية فى مادة « جذع » وقال : هذا من أسنان الدواب ثم ذكرها ولكنه قال : ومن الضأن ما تمت له سنة وقيل أقل منها .

إلا الثنى وهو من المَعْز ما تم له سنة (١) ، ومن البقر ما تم له سنتان ، ومن الإبل ما تم له خمس سنين(٢) .

ويُشترط فى الأُضحية سلامتها من الأمراض والعيوب التى تنقُص قيمَتها (٣) .

ويُجزئ الخصىّ لما روى الحاكم وأحمد عن أبى رافع وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أن النبى ﷺ ضَحَّى بكبشين سمينين موجوأين . وزاد أبو رافع : خصيين (٤) .

ولذبح الأُضحية وقت محدود يبدأ من بعد صلاة العيد ويمتد إلى آخر أيام التشريق ، فمَن ذبح قبل الصلاة فليست بأُضحية وإنما هى شاة لحم ، لما روى البخارى عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« مَن ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ، ومَن ذبح بعد الصلاة فقد تم نُسُكه وأصاب سُنَّة المسلمين »(٥) ، وللحديث المتفق عليه عن جندب بن سفيان أنه ﷺ قال :

---

(١) وقال ابن الأثير : ١/ ٢٥٠: المعز ما دخل فى السنة الثانية .

(٢) وقال ابن الأثير : ١/ ٢٥٠ والبقر ما دخل فى السنة الثالثة ، ومن الإبل ما دخل فى السنة الخامسة .

(٣) إشارة إلى حديث على رضي الله عنه : الإمام أحمد فى المسند : ١/ ٨٠ ، ١/ ١٠٨ وأبو داود برقم (٢٨٠٤) وإسناده صحيح ، والحاكم فى المستدرك : ٤/ ٢٢٧ وصححه ووافقه الذهبى وفى الحديث : « المقابلة ، ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء ، قد نهى أن نُضَحِّى بهن » .

(٤) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها البخارى : ٦/ ٢٢٠ ونحوه : ٦/ ٢٢٥ وإسناده صحيح ، وأما حديث أبى رافع : أحمد : ٦/ ٨ وإسناده صحيح ، ٦/ ٣٩١ نحوه وإسناده صحيح .

(٥) البخارى فى الصحيح: ١٠/ ١٠ ، ١٠/ ١٣ باب قول النبى ﷺ : « ضح بالجذع من المعز ولن تجزئ عن أحد بعدك » وهو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

« مَن كان ذبح قبل أن يُصَلَّى فليذبح مكانها أُخرى ، ومَن لم يذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله »[١] .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢] .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلّا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

راقبوا ربكم .. احفظوا الله يحفظكم .. تعرَّفوا إلى الله فى الرخاء يعرفكم فى الشدة [٣] ، صَلُّوا خمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنَّة ربكم[٤] ، حافظوا على مكارم الأخلاق وعِفُّوا تَعف نساؤكم[٥] ، وغُضُّوا أبصاركم واحفظوا فروجكم إلا على أزواجكم ذلكم أزكى لكم ، واحذروا قذف المحصنات الغافلات المؤمنات : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٦] .. بِرُّوا آباءكم وصِلوا أرحامكم وأحسنوا تربية أولادكم ، واعرفوا حق إخوانكم :

---

(١) البخارى فى الصحيح : العيدين باب رقم (٢٣) وحديث رقم (٩٨٥) وهو من حديث جندب بن سفيان ﷺ ، ومسلم فى الصحيح : الأضاحى حديث رقم (١- ٤) (١٠) ، (١١) .

(٢) سورة الحج آية : ٣٧

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس ﷺ : أحمد فى المسند : ٣٠٧/١ وإسناده حسن مع الشواهد .

(٤) إشارة إلى حديث أبى أمامة ﷺ : أحمد فى المسند : ٢٥١/٥ وإسناده صحيح .

(٥) إشارة إلى حديث ابن عمر ﷺ أورده الهيثمى فى المجمع : ١٣٨/٨ وإسناده صحيح .

(٦) سورة النور آية : ٢٣

المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعِرضه[١] لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى [٢] .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك التوفيق والسداد ، ونسألك الهُدَى والتُقَى والغِنَى والعفاف .

اللَّهُمَّ أصلح شأن المسلمين واهدهم سُبُل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور .. واستغفروا ربكم - أيها المؤمنون - وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) هذا لفظ مسلم فى الصحيح : البر والصلة حديث رقم (٢٥٨٠) وهو من حديث أبى هريرة ﷺ ونحـو معناه : البخـارى فى المظالم : ٧١/٥ من حـديث ابن عمر ﷺ .

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى ﷺ عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ٥٧٩/٧ إلى الإمام أبى بكر بن مردويه ، والبيهقى فى السنن الكبرى ثم ذكر هذا اللفظ ، ومع أن مسلماً أخرج هذا الحديث بسياق طويل فى الحج برقم (١٤٧) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحج تجمع إسلامى

(الخطبة الثانية لعيد الاضحى)

الله أكبر (٧ مرات)[١] .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [٢] . طهَّر بيته للطائفين والقائمين والرُّكَّع السجود[٣] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، حرَّم مكة وحرَّم المشاعر لتكون مأمناً لوفوده القادمين وعباده والقاطنين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فإنَّ الحج فريضة من فرائض الدين ، يجتمع فيه المسلمون لأداء هذه العبادة كما أدَّاها رسول الله ﷺ ، ويحصل بهذا التجمع منافع كثيرة وتعاون

---

(١) هذا اللفظ أخرجه أبو داود فى السنن برقم (١١٤٩) وابن ماجه برقم (١٢٨٠) والحاكم فى المستدرك : ١/ ٢٩٨ ، والدارقطنى فى السنن : ١/ ١٨١ كلهم من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده وفى إسناده ضعف وله شـــاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنه فى الموطأ : ١/ ١٨٠ وإسناده صحيح وفيه سبع تكبيرات فى الركعة الأولى قبل القراءة وفى الآخرة خمس تكبيرات قبل القراءة . . . وله شاهد ثالث عند البيهقى : ٣/ ٢٨٧ من حديث سعد بن القرظ رضي الله عنه .

(٢) سورة الفاتحة : آية : ٢

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الحج آية (٢٦) .

على البرِّ والتقوى [١] ، وتعارف وتشاور وتنسيق وتعاون بين أهل الحل والعقد وبين رجال العلم والفكر من المسلمين ٠

والمسلمون الوافدون إلى بيت الله حين يحسون بقربهم من الله عند بيته المحرَّم تصفوا أرواحهم ، وترق قلوبهم وتخشع لذكر الله ٠ عند هذا المحور الذى يشدهم جميعاً ، إنها القِبْلة التى يتوجَّهون إليها ويلتفون حولها ، يجدون رايتهم التى يستظلون بها ويسيرون تحتها ويرجعون إليها ، إنها راية الإيمان : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ٠

تلك العقيدة التى تتوارى فى ظلها فوارق الأجناس والألوان واللُّغات والأقطار ، يجدون قوة الوحدة وفائدة التضامن تحت راية الإيمان ، وداعى هذا التجمع قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [٢] والقاعدة الأساسية لهذا اللقاء هى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا ﴾ [٣] لا فى قليل ولا فى كثير ، لا فى قول ولا فى عمل ، لا فى مسيرة ولا فى هتاف ، إنما هو تجريدُ القصد والعمل لله وتركُ كلِّ ما سواه ، فلا يُعبد إلا الله ، ولا يُدعى إلا الله ، ولا يُذكر إلا اسم الله تهليلاً وتكبيراً ، وتسبيحاً وتحميداً ، وتلبيةً وخضوعاً فى هدوء وخشوع ، وسكينة ووقار ، وفى ذل وانكسار [٤] ٠

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [٥] ٠

* * *

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المائدة آية رقم (٢) ٠
(٢) سورة الحج آية : ٢٧
(٣) سورة الحج آية : ٢٦
(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الحج آيه رقم (٣٧) ٠
(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٠ - خطبة عيد الأضحى (٤) [١]

وقت ذبح الهَدْى والأضاحى

(الخطبة الأولى)

الله أكبر (٩ مرات) [٢]

الله أكبر عدد ما حَجَّ حاجٌ واعتمر .

الله أكبر عدد ما لَبَّى ملبٍ وهلَّل مهللٌ وكَبَّر .

الله أكبر عدد الشجرِ والحجر وما بثَّ فى هذه الأرض من بَشَر .

الله أكبر كلما أهَلوا من الميقات وكلما مروا بتلك المشاعر المقدسات .

الله أكبر كلما أفاضوا من عرَفات وباتوا عند المشعر ورَمَوا الجمرات .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلّا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد[٣] .

الحمد لله الكبير المتعال ، هو الأولُ فليس قبله شىء ، والآخرُ فليس بعده شىء ، والظاهرُ فليس فوقه شىء ، والباطنُ فليس دونه شىء ، وهو بكل شىء عليم[٤] .

وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

---

(١) ألقيت فى ١٠ / ١٢/١٤٠١ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث عمرو بن عوف المزنى ﷺ : الترمذى برقم (٥٣٦) وحسَّنه ، وابن ماجه برقم (١٢٧٩) .

(٣) أخرجه الإمام جعفر الفريابى فى أحكام العيدين بهذا اللفظ برقم (٦٢) ص (١١٩) مرسلاً ومقطوعاً من كلام الأئمة كمجاهد وسعيد بن جبير والزهرى وغيرهم رحمهم الله تعالى .

(٤) إشارة إلى حديث أم سلمة ﷺ عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ٨/٤٧ إلى البيهقى فى الأسماء والصفات .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على نبينا محمد وآله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد ..

فإن يومكم هذا يومٌ عظيم هو أعظم الأيام ، سمَّاه تعالى يوم الحج الاكبر(١) ، وهو يوم الثج والنحر(٢) .

جعله الله لكم عيداً تفرحون فيه بنعَم الله عليكم ، فَنعَمُ الله علينا كثيرة لا نَقدْر قدرها ولا نُحصى لها عددا ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(٣)

خلقكم من العدم ، ﴿ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾(٤) .

جعل السماء سقفاً محفوظاً ﴿ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً ﴾(٥) ، ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ (٦) ، جعلها مهادا(٧) و﴿ كفاتاً أحياءً وأمواتاً ﴾ (٨) .

هداكم للإسلام والناس من حولكم تلعب بهم الأهواء لا يسيرون على نظام الهدى ولا يُوفَّقُون لطريق البرِّ والتقوى ، فاشكروا الله على ما هداكم ،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (٣) .

(٢) إشارة إلى حديث أبى بكر الصدِّيق ﷺ : الترمذى برقم (٨٢٧) ، وابن ماجه برقم (٢٩٢٤) : المناسك ، وإسناده حسن .

(٣) سورة إبراهيم آية : ٣٤

(٤) سورة لقمان آية : ٢٠

(٥) سورة النحل آية : ١٥

(٦) سورة البقرة آية : ١٦٤

(٧) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النبأ آية رقم (٦) .

(٨) سورة المرسلات آية : ٢٥ - ٢٦

واعتزوا بإسلامكم ، وافخروا بدينكم فهو مصدر عزكم وسعادتكم واستقرار أمنكم .

إن أفضل ما يتقرب به العبدُ إلى ربه فى هذا اليوم إراقةُ الدم من بهيمة الأنعام (١) ، فإن الذبح لله من أجَلِّ العبادات ومن أفضل القُربات ، وعن جندب بن سفيان ﷺ أنه - ﷺ - قال : « مَن كان ذبح قبل أن يُصلِّى فليذبح مكانها أُخرى ، ومَن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله » (متفق عليه) (٢) .

﴿ لن ينال اللهَ لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم ، وبشر المحسنين ﴾(٣) .

ويَبْدأُ وقت ذبح الأُضحية بعد الانتهاء من صلاة العيد ، فمن ذبح قبل الصلاة فليست بأُضحية وإنما هى ذبيحة لحم ، لما فى صحيح البخارى عن أنس ابن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ، ومَن ذبح بعد الصلاة فقد تم نُسُكه وأصاب سُنَّةَ المسلمين »(٤) .

ويمتد وقت الذبح من بعد صلاة العيد إلى آخر أيام التشريق الثلاثة ، واعلموا أنه يُعتبر للأضحية أَسْنانٌ من بهيمة الأنعام ، فمن الضأن ما تم له ستةُ أشهر ، ومن المَعْز ما تم له سنة ، ومن البقر ما تم له سنتان ، ومن الإبل ما تم له خمس سنين(٥) . فاذكروا الله فى هذه الأيام المباركة على

(١) إشارة إلى حديث عائشة ﷺ : الترمذى برقم (١٤٩٣) باب ما جاء فى فضل الأُضحية،وابن ماجه برقم(٣١٢٦) باب ثواب الأضحية وفى إسناده ضعف يُحتمل ، والله أعلم.

(٢) إشارة إلى حديث البراء بن عازب ﷺ : البخارى : ٢/ ٣٨٠ فى العيدين ، ونحوه مسلم برقم (١٩٦١) .

(٣) سورة الحج آية : ٣٧

(٤) البخارى مع الفتح : ١٠/ ١٠ من حديث أنس بن مالك ﷺ باب قول النبى ﷺ : «ضح بالجذع من المعز ولن تجزئ عن أحد بعدك » .

(٥) إشارة إلى هذه الأسنان المعروفة بين المحدِّثين والفقهاء كما ذكرها فضيلة الخطيب ، انظر المغنى فى فقه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى والبغوى فى شرح السنَّة : ٤/ ٣٢٩

ما رزقكم من بهيمة الأنعام ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾[١] ، ﴿ وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢] . وأفضلها أسمنها وأغلاها ثمناً[٣] ، وتعتبر فيها السلامة من العيوب التى تُنقِّص قيمتها وتؤثر فى سلامتها . فلا تُجزئ المريضة ولا العوراء ولا العرجاء ولا الهزيلة[٤] ولا الصغيرة التى دون الأسنان المعتبرة شرعاً ، ويجوز أن يُضَحَّى عن الميت ويصل ثوابها إليه إن شاء الله تعالى ، ويقول عند الذبح : بسم الله والله أكبر ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلها عن فلان[٥] .

وتُجزئ الشاة عن الرجل وأهل بيته[٦] ، والبدنة والبقرة كلٌّ واحدة منهما تُجزئ عن سبعة أشخاص[٧] لا يشرك فيهن .

والسُنَّة أن يأكل من أُضحيته ثُلُثًا ويهدى ثُلُثًا ويتصدق بثُلُث[٨] . . ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[٩]

الله أكبر الله أكبر لا إله إلَّا الله ، الله اكبر الله أكبر ولله الحمد .

عباد الله . . أُوصيكم بتقوى الله تعالى وتوحيده وإفراده بالعبادة ،

---

(١) سورة الحج آية : ٢٨

(٢) سورة الحج آية : ٣٦

(٣) إشارة إلى حديث أبى ذر ﵁ فى هذا المعنى : البخارى مع الفتح : ١٤٨/٥ ، وفى الصحيح برقم (٢٥١٨) .

(٤) إشارة إلى حديث البراء بن عازب ﵄ : الترمذى برقم (١٤٩٧) ، وأحمد فى المسند : ٢٨٤/٤ فضل إسناده .

(٥) إشارة إلى حديث على ﵁ : أحمد فى المسند : ١/ ١٥٠ ، وأبو داود : برقم (٢٧٩٠) فى الضحايا .

(٦) إشارة إلى حديث أبى أيوب ﵁ : ابن ماجه برقم (٣١٤٧) ، والترمذى برقم (١٥٠٥) وإسناده صحيح .

(٧) إشارة إلى حديث جابر الأنصارى ﵁ : مسلم فى الصحيح : الحج برقم (١٣١٨) .

(٨) هو حكم مأخوذ من قوله تعالى فى سورة الحج آية رقم (٢٨) ، وقد أكد ابن كثير فى تفسيره : ٦٣٥/٤ هذا المعنى .

(٩) سورة الحج آية : ٣٢

والتمسك بدينكم ، وعظِّموا كتابكم وأكثروا من تلاوته وتمسكوا بسُنَّة نبيكم محمد ﷺ .. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(١) ، القرآن هو حَبْل الله المتين وهو صراطه المستقيم والشفاء النافعُ والنور المبين ، لا يزيغ فَيُستَعتب ولا يَعْــوج فيُقَوم ، ولا يَخْلقُ مع كثرة الترداد ، مَن حكم به عدل ومَن جادل به خصم ومَن اقتدى به هُدِىَ إلى صراط مستقيم ، مَن تركه مَن جبار قصمه الله ، ومَن ابتغى الهدى من غيره أضلَّه الله ، لا تنْفدُ فوائده ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو مأدبةُ الله فاقبلوا مأدُبَتَه ما استطعتم (٢) ، فاقرؤا ما تيسَّر منه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشرَ حسنات(٣) ، ولا تغفلوا عنه ولا تتركوه وراءكم ظِهرياً ، فما هجرته(٤) أُمَّة إلا كان عاقبةُ أمرها الذُّل والهوان .

الله أكبر الله أكبر لا إلٰه إلَّا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الصلاةَ الصلاةَ عباد الله .. فإنها الركن الثانى من أركان الإسلام ، وهى آخر ما يُفْقد من هذا الدين ، مَن حافظ عليها حفظ دينه ومَن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع(٥) ، وهى الصلة بين العبد وربه(٦) ، مَن أداها كاملة كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة ونجاةً عند الحساب ، ومَن تغافل عنها أو سهى عنها

---

(١) سورة الإسراء آية : ٩

(٢) إشارة إلى حديث على رضي الله عنه : الدارمى فى سننه : ٢/ ٣١٢ برقم (٣٣٣٤) وفى إسناده ضعف ولكن معناه صحيح ..

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه : الدارمى فى سننه : ٢/ ٣١٠ برقم (٣٣١٨) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى وإلى معناه فى سورة هود آية رقم (٩٢) ، وبمعناه فى سورة الفرقان آية رقم (٣٠) .

(٥) إشارة إلى ما أخرجه مالك فى موطئه: ١/ ١٥ برقم (٥) من رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإسناده منقطع ولكن معناه صحيح .

(٦) نحو معناه أخرجه أحمد فى المسند : ١/ ٧٨ وهو من حديث على رضي الله عنه وهو آخر كلام رسول الله ﷺ .

حتى يَخْرج وقتها لم يكن لها نور ولا برهان ، واعلموا أن الخشوع هو روح الصلاة ، فصلاة بلا خشوع كجسد بلا روح ، فكيف يُقدِّم العبد لربه صلاةً ميتة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[١] ، وأول ما يُحاسَب عنه العبد يوم القيامة صلاتُه ، فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائرُ عمله[٢] .

والصلاة شعيرة من شعائر الإسلام ، تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتدعو للتآخى والتعاون والتعارف ، فأدوها مع جماعة المسلمين فى المساجد ، فلا يتخلَّف عن الجماعة إلا منافق معلوم النفاق[٣] أو معذور يُباح له التخلف[٤] .

الزكاة طُهرة للنفس ونماء للمال [٥] ، فأدوا زكاة أموالكم فإن الله أعطاكم الكثير ورضى منكم بالقليل .

والزكاة حق للفقراء والمساكين وابن السبيل والغارمين والمجاهدين فى سبيل الله[٦] ، فمَن أداها لأهلها فقد أدى أمانته وطهَّر ماله وزكَّى نفسه ، ومَن منعها فقد خان أمانته وتنكر لنعمة الله عليه وظلم أهل الزكاة حقوقهم .

واتقوا الرِّبا فإن آكل الرِّبا مُحارِبٌ لله ورسوله[٧] ، ويقوم يوم القيامة كالذى يتخبطه الشيطان من المسِّ [٨] .

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١ - ٢

(٢) أخرجه أحمد فى المسند : ٤/ ٦٥ وهو من حديث رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود ﷺ : مسلم الصحيح : المساجد برقم (٢٥٦)، (٢٥٧) خاص وعام (٦٥٤) بهذا اللفظ .

(٤) إشارة إلى حديث ابن عمر ﷺ : البخارى : ٢/ ١٣٢ صلاة الجماعة ومسلم: المسافرين برقم (٦٩٧) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (١٠٣) .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (٦٠) .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢٧٩) .

(٨) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢٧٥) .

مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر(١) وخذوا على يد السفيه (٢) .

وغُضُّوا أبصاركم واحفظوا فروجكم(٣) ، واحترموا حرماتِ المسلمين ، واتقوا النظرةَ بعد النظرة فإنها سهم من سهام إبليس(٤) وشبكةٌ من مصائده يصيد بها الناس ليوقعهم فى المنكر والفحشاء .

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾(٥) .

واعلموا أن الحجاب واجب فى دين الإسلام قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾(٦) ، وقالَ سبحانه : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ن ﴾(٧) ، فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تكشف وجهها لغير محرمها إلا لمقصد شرعى ، وهلْ الفتنة إلا فى الوجه ؟ وهل الجمـــال إلا فى الوجه ؟ وهل الزينة إلا الوجه ؟

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران آية رقم (١٠٤) ، (١١٠).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النساء وبمعناه آية رقم (٥) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النور آية رقم (٣٠) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأحزاب آية رقم (٥٩).

(٥) سورة النور آية : ٣٠ ، ٣١ ، وبقية الآية : ﴿ ولاَ يُبْدينَ زينَتَهُنَّ إلا مَا ظَهَرَ منْهَا ، ولْيَضْرِبْنَ بخُمُرِهنَّ عَلَى جُيُوبهنَّ ، ولاَ يُبْدينَ زينَتَهُنَّ إلا لبُعُولَتهنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتهنَّ أَوْ أَبْنَائهنَّ أَوْ أَبْنَاء بعُولَتهنَّ أَوْ إخْوَانهنَّ أَوْ بَنى إخْوَانهنَّ أَوْ بَنى أَخَوَاتهنَّ أَوْ نسَائهنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَو التَّابعينَ غَيْرِ أُوْلى الإرْبَة منَ الرِّجَال أَو الطِّفْل الَّذينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَات النِّسَاء ، ولاَ يَضْربْنَ بأَرْجُلهنَّ ليُعْلَمَ مَا يُخْفينَ من زينَتهنَّ ، وتُوبُواْ إلَى الله جَميعًـا أَيُّهَ الْمُؤْمنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلحُونَ ﴾.

(٦) سورة الأحزاب آية : ٥٩

(٧) سورة النور آية : ٣١

والحمد لله الذى مَنَّ على هذه البلاد بحسن الإسلام وقوة الإيمان والتمسك بكتاب الله وسُـنَّة رسوله ﷺ ، فلا يجوز لأحد كائناً مَن كان أن يُدْخِل علينا ما يخالف ديننا وعقيدتنا ومبادىء إسلامنا ، فمَن فعل فقد خَفَرَ أمانته وظلم نفسه وغشَّ المسلمين وأراد بهم سوءاً وشططاً .

ولا تقربوا الزِّنىٰ [١] واللُّواط[٢] ﴿ إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾ [٣] .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[٤]

ولا تقربوا الخمر والقمار والميسر فإنه رجس من عمل الشيطان ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[٥] .

واحذروا الغيبة والنميمة فإنها تفرق الشمل وتسبب الضغائن[٦] ، واستروا على إخوانكم المسلمين الذين يأخذهم الشيطان على غِرَّة ، فمَن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة[٧] .

الله أكبر الله أكبر لا إلٰه إلاَّ الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإسراء آية رقم (٣٢) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية رقم (٨١) ، وسورة النمل آية رقم (٥٥) .

(٣) سورة الإسراء آية : ٣٢

(٤) سورة الإسراء آية : ٣٣

(٥) سورة المائدة آية : ٩١

(٦) إشارة إلى حديث ابن مسعود ﷺ فى هذا المعنى : مسلم فى الصحيح : البر والصلة برقم (١٠٢) خاص وعام (٢٦٠٦) وقد عقد عليه النووى الباب قائلاً : باب تحريم النميمة .

(٧) إشارة إلى حديث ابن عمر ﷺ : البخارى برقم (٢٤٤٢) .

اتقوا الله عباد الله وكونوا مسلمين حقاً ، مسلمين قولاً وعملاً ، مسلمين فى السر والعلن ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾[١] .

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

اللَّهُمَّ اجعل يومنا هذا يوماً سعيداً وعيداً مباركاً وفرحة مقرونة بذكر الله وشكره ، واجعله فاتحة خير وعز للإسلام والمسلمين .

اللَّهُمَّ تَقبَّل منا ومن إخواننا حُجَّاج بيتك الحرام واحشرنا معهم فى الثواب .

اللَّهُمَّ اجمع كلمة المسلمين على الهدى ، وألِّف بين قلوبهم على البِرِّ والتقوى ، ووحِّد صفوفهم ولم شعثهم ، واهدهم سُبُل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٩

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

نشــأة الإنسان

(الخطبة الثانية لعيد الأضحى)

الله أكبر (٧ مرات) [١] .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلّا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد[٢] .

﴿ الحمد لله ب العالمين ﴾[٣] ، خلق الإنسان من طين[٤] ، وأسجد له ملائكته المقرَّبين ، إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين[٥] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير[٦] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، تركنا على المحَجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك[٧] .

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتُقَى ومَن تبعهم بإحسان .

---

(١) الترمذى برقم(٥٣٦) وحسَّنه وله شواهد كثيرة جداً وهو من حديث عمرو بن عوف المزنى ﷺ ، وابن ماجه برقم (١٢٧٩) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) أخرجه الإمام جعفر الفريابى فى أحكام العيدين مقطوعاً من كلام مجاهد وسعيد بن جبير والزهرى رحمهم الله تعالى.

(٣) سورة الفاتحة آية : ٢

(٤) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة السجدة آية رقم(٧).

(٥) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٣٤) ، وسورة القصص آية رقم (٣٩) .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنعام آية رقم (١٨) .

(٧) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية ﷺ : الإمام أحمد فى المسند : ١٢٦/٤ ، حسن مع الشواهد .

أما بعد ..

فإنَّ لك أيها الانسان تاريخًا فى هذا الوجود لا يجوز لك أن تنساه ، ولك مستقبل محتوم لا يجوز لك أن تغفُل عنه .

فأما تاريخك فإن الله خلق أباك آدم بيده [١] ،وصوَّره فى أجمل صورة[٢]، ونفخ فيه الروح [٣] ،وفضَّله على الملائكة [٤] ، وأمرهم بالسجود له فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر [٥] وقال : أأسجد لمن خلقتَ طيناً[٦] ، وقال: أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين[٧] ، فَطَرَده الله من الجنَّة وأبعده من رحمته : ﴿ قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾[٨] .

وسكن آدمُ وزوجه الجنَّة يأكلان منها رغداً حيث شاءا من ثمارها ويشربان من أنهارها[٩] إلا شجرة واحدة حُرِّمت عليهما ، وحذَّر الله آدم من إبليس ووساوسه ، فازداد حقدُ العدو المبين فأخذ يكيد لآدم وزوجه ، ويَنْصِبُ لهما الكمائن بالكذب والخداع : ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يبلى ﴾[١٠] .

﴿ وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة (ص) آية رقم(٧٥) .
(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التين آية رقم (٤) .
(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الحجر آية رقم (٢٩) .
(٤) إشارة إلى القول الصحيح الذى عليه جمهور العلماء ذكره الإمام ابن تيمية فى مجموع فتاويه .
(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٣٤) .
(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإسراء آية رقم (٦١) .
(٧) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية رقم (١٢) .
(٨) سورة الحجر آية : ٣٤ - ٣٥
(٩) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٣٥) .
(١٠) سورة طه آية : ١٢٠

من الخالدين ﴾(١) وحلفَ لهما أيْماناً مغلظة على أنه ناصح لهما ٠ : ولحكمة عظيمة نَسِيَ آدم تحريم الشجرة ٠

ورغبةً فى البقاء فى الجنة أكلا من تلك الشجرة فكانت المصيبة : ﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾(٢)، وعَصَىٰ آدمُ ربَّه فغوىٰ ثم اجتباه ربه فهدى (٣) فأُخرج من الجنَّة وأُهبط وزوجه مع عدوهما إلى الأرض(٤)، قد استحكمت بينهم العداوة ، واشتدت البغضاء ، فتلقى آدم من ربه كلمات(٥) ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٦)، فتاب عليه إنه هو التوَّاب الرحيم، فلما رأى إبليس توبة الله على آدم وزوجه صبَّ غضبه عليكم أيها الذُرِّيَّة، فأقسم يميناً مغلَّظة أن يُضِل بنى آدم وأن يعمل كل المحاولاتِ لإغوائهم وصدِّهم عن سبيل الله : قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا(٧) وطلب من الله إنظاره إلى يوم البعث فأنظره الله لحكمة بالغة، فقال: فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وعن أيمانهم وعن شمائلهم وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾(٨)، فرد عليه ربُنا فقال : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾(٩)، وقال:

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٠

(٢) سورة الأعراف آية : ٢٢

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة طه آية رقم (١٢١) ٠

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية رقم (٢٤) ٠

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٣٧) ٠

(٦) سورة الأعراف آية : ٢٣

(٧) سورة الإسراء آية : ٦٢

(٨) سورة الأعراف آية : ١٦ - ١٧

(٩) سورة الحجر آية : ٤٢

﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١) .

فكل ما يجده الإنسان من نزغات شر وميول نفسانى إلى الظلم والفساد فإنما هو من وسوسة الشيطان ومكائده : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ (٢) .

وكلُّ ما يقع بين بنى آدم من شقاق ونزاع وخلافات وسفك دماء وغمط حقوق وتخريب وتدمير وتربص الدوائر بعضَهم ببعض كله من نزغات الشيطان ومكره : ﴿ يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ، إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ (٣) .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٤) .

وأما مستقبلك أيها الإنسان فإن أعمالك تُحصى صغيـرها وكبيرها (٥) : وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٦٤

(٢) سورة فصلت آية : ٣٦

(٣) سورة الأعراف آية : ٢٧

(٤) سورة الأعراف آية : ٣٥ - ٣٦

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة يس آية رقم (١٢) ، وسورة النبأ آية رقم (٢٩) .

(٦) سورة الانفطار الآيات : ١٠ - ١٢

واعلم أيها الإنسان أنك فى هذه الدنيا مُعَرَّضُ لسهامها ومصائبها إن أخطأك هذا أصابك هذا ، فاتقوا الله وبادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنظرون إلا فقرًا منسياً أو غِنىً مطغياً أو مرضاً مُفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجْهزاً أو الدجّال ، فشر غائب يُنتظر [١] أو الساعة والساعة أدهى وأمرُّ [٢] . ثم بعد ذلك أمامك الموت وسكراته[٣] ، والقبر ووحشتُه [٤] ، والبعث وهوله[٥] ، والحساب وروعته[٦] ، والصراطُ وزلّتهُ [٧] ، فاستعدَّ لهذه الممرات والمحاجر وكن فطناً تحْسِبُ للأمور حسابها وتُعِد للمستقبل حاجته .

تذكروا مَن كان معكم فى الأعوام الماضية فى مثل هذا اليوم ، كانوا يفرحون بما يفرحون به ، فأين هم الآن ؟ قدموا إلى ما قدموا وصاروا مرتهنين بأعمالهـم ، فإما جليس صـالح مؤنس أو جليس غليظٌ موحش [٨] .

وإنكم إلى ما صاروا إليه صائرون ، وعلى طريقهم سائرون .

فاتقوا الله فى أنفسكم : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[٩] .

---

(١) إشارة إلى حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فى ذكر الدجال : البخارى : ٦/ ٤٩٤ برقم (٣٤٥٠) : الأنبياء .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القمر آية رقم (٤٦) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة (ق) آية رقم (١٩) .

(٤) إشارة إلى عذاب القبر تعوّذ منه رسول الله ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها : البخارى مع الفتح : ٢/ ٣١٧ وفى الصحيح برقم (٨٣٢) .

(٥) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مسلم فى الصحيح : الإيمان برقم(٨) .

(٦) إشارة إلى حديث البراء بن عازب الطويل : أحمد فى المسند : ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨ وإسناده صحيح .

(٧) وهو نفس هذا الحديث وفيه هذا المعنى .

(٨) إشارة إلى حديث البراء بن عازب الطويل : أحمد فى المسند : ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨

(٩) سورة الشمس آية : ٩ - ١٠

الله أكبر الله أكبر لا إله إلّا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

إنَّ أولادكم وأزواجكم أمانةٌ عندكم وأنتم مسئولون عن أماناتكم فأحسنوا تربيتهم وعلِّموهم قواعد الإيمان وأركان الإسلام والأخلاق الحسنة ، تفقَّدوا أحوالهم وراقبوا سلوكهم وصحِّحوا أخطاءهم ، فإن الراعى متى غفل عن رعيته ضلَّت وأكلتْها السباع (١) .

واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن أمانةٌ عندكم ، وعاشروهن بالمعروف وآتوهن حقوقهن ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان(٢) ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾(٣)

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾(٤) .

﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(٥) ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٦) .

وأكثروا من ذكر الله وتكبيره وتعظيمه والاستغفار : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

(١) إشارة إلى حديث ومعناه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : مسلم فى الصحيح : المنافقون برقم (١٧) خاص وعام (٢٧٨٤) (وهى الشاة العائرة) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢٣١) .

(٣) سورة النساء آية : ٢٠ - ٢١

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٢

(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٢

(٦) سورة الأنعام آية : ١٥٢

(٧) سورة الأنفال آية : ٣٣

وصلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1] .

...... إلى آخر الدعاء .

* * *

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١ - خطبة استسقاء (١) [١]

(وهى خطبة واحدة بعد صلاة ركعتين)

الله أكبر (٩ مرات) .

لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد[٢] .

لا إله إلا الله الغفور الودود .

لا إله إلا الله الغنى الحميد ، لا إله إلاَّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [٣] ، ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [٤] .

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِى كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [٥] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له . . ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ ولا أكبر إلا فى كِتَاب مبين ﴾[٦] .

---

(١) ألقيت فى ٢٠/٣/١٤٠٦ هـ .

(٢) مالك فى موطئه ، الحج حديث (٢٤٦) وإسناده صحيح من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة الفاتحة آية : ٢

(٤) سورة غافر آية : ٣

(٥) سورة هود آية : ٦

(٦) سورة سبأ آية : ٣

﴿ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغَر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ﴾[١] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسوله ، خير مَن استسقى فسُقِىَ وخير مَن دعا فأُجيب .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه .

أما بعد . .

فإن بعض بلادنا تأخَّر عنها نزول المطر فى إبَّانه ، ونحن وإن كان الله قد أنعم علينا بَصَيِّبٍ من رحمته ، فإننا فى حاجة إلى مزيد من فضله وكرمه ، كما أننا نحس بما يحس به إخواننا فى الله .

والله تبارك وتعالى قد أمرنا بدعائه والتضرع إليه [٢] ، وأمرنا بالاستغفار والتوبة النصوح ، ووعدنا بالإجابة [٣] .

إن الاستغفار دليل إحساس القلب بالخطيئة ، ودليل رغبته فى التوبة .

والقرآن الكريم كثيراً ما يربط بين الاستغفار والتوبة والتقوى وبين سعة الرزق وتيسيره وتوفيره . قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[٤] .

وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٦٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ

---

(١) سورة يونس آية : ٦١

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف الآيات أرقام(٩٤)،(٥٥)،(٢٠٥) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٨٦) .

(٤) سورة الأعراف آية : ٩٦

أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ

وقال بعض الرُّسُل لقومهم : وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٢)

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ (٣) .

وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ (٤) .

وقد يوسوس إبليس فيقول : ما علاقة الاستغفار بإنزال المطر وتكاثر الخيرات وزيادة القوة ، مع أن كل شيء مقدَّر ماضٍ بمشيئة الله ؟

فالجواب : أما إرسال المطر فإن الله تبارك وتعالى يُنْفذ قَدَره وإرادته الكونية عند وجود الأسباب المترتبة عليها ، فهو خالق الكون وخالق الأسباب، وجاعل الأسباب لتحقيق سننه فى كل حال .

وأما كثرة الخيرات وتيسير الرزق وزيادة القوة ، فإن الله تعالى إذا رضى عن قوم يسَّر لهم أُمورهم ووفَّر لهم أرزاقهم ، فَضْلاً منه وإنعاماً .

كما أن نظافة القلب والعمل الصالح يزيدان قوة وصحة فى الجسم فتكون النفس مُرتاحة وقانعة بما عندها .

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٥ - ٦٦

(٢) سورة هود آية : ٥٢

(٣) سورة نوح آية : ١٠ - ١٢

(٤) سورة هود آية : ٣

وقد يوسوس إبليس فيقول: إننا نشاهد أقواما لا يؤمنون بالله ولا يتوبُون إليه ولا يستغفرونه، ومع هذا فإن الخيرات والأمطار متوفرة لديهم ،والقوة عند بعضهم موجودة ٠

فالجواب: إنه فرق بين الإنعام والاستدراج ، فما يؤتى أولئك إنما هو استدراج لهم وتعجيل لِطيبّاتهم (١) ، ولذلك لا بد أن تأتى عليهم منغصات ومُذهبات للَّذة تلك الخيرات : فلا أخلاق ، ولا سلوك ، ولا ترابط بين الأُسر، ولا أمن ولا استقرار ، ولا راحة نفسية ، ولا قناعة بما هم فيه ٠ فلا لَذَّة لنعمهم ولا طعم لها ، هذا مع أنها مؤقتة لا تلبث أن تضمحل ، أو تأتى عليها كارثة تسحقها سحقاً ٠

واستمعوا إلى قول الله تبارك وتعالى وتأملوه : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أُمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون * فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون * فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾(٢) ٠

توبوا إلى الله أيها المؤمنون واستغفروه ، فإن الاستغفار هو مفتاح الرزق من السماء (٣) ٠٠٠ نستغفر الله ونتوب إليه ٠

إلجأوا إلى فاطر السموات ، ومجيب الدعوات ، وأخلصوا فى الدعاء ، وألحوا ولا تعجلوا ٠

---

(١) إشارة إلى نصوص كثيرة ومنها قوله تعالى فى سورة الأعراف آية رقم (١٨٢)، وسورة القلم آية رقم (٤٤)، وإشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأحقاف آية رقم (٢٠) وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾٠٠

(٢) سورة الأنعام الآيات : ٤٢ - ٤٤

(٣) هو معنى مأخوذ من قوله تعالى فى سورة نوح آية رقم (١٠) والأحاديث فى ذلك واردة ٠

اللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك إنك كنت غَفَّاراً ، فأَرْسِلِ السماءَ علينا مدراراً [١] .

اللَّهُمَّ اسقنا وأغثنا[٢] .

اللَّهُمَّ إنَّا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك غيثاً مغيثاً هنيئاً مُريئًا سحاً طبقاً مجللاً نافعاً غير ضار ، عاجلاً غير آجل[٣] .

اللَّهُمَّ أجر أودية بيلادنا واملأ سدودها كلها ، وعُمَّ بالغيب والبركة جميع أرجائها ، ووَفِّر الرزق فى كل مناكبها .

اللَّهُمَّ إنَّا نستغيثك بما استغاثك به نبينا محمد ﷺ فاستجب دعاءنا .

اللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك إنك كنت غَفَّاراً ، فأرسل السماء علينا مدراراً .

عباد الله .. اقتدوا بنبينا محمد ﷺ فى قلب الرداء[٤] ، واجعلوا الشِّق الأيمن على الشِّق الأيسر ، وادعوا الله وتَضَرَّعوا إليه مستقبلين القِبْلة سراً وجهراً ، ثم انصرفوا رحمنى الله وإياكم .

* * *

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سررة نوح آية رقم (١٠) .

(٢) إشارة إلى حديث جابر ﷺ : أبو داود برقم (١٢٦٩) باب : رفع اليدين فى الاستسقاء ، والحاكم فى المستدرك : ١/ ٣٢٧ ، والبيهقى فى السنن الكبرى : ٣/ ٣٥٥ وإسناده صحيح .

(٣) هو نفس هذا الحديث من حديث جابر ﷺ : أبو داود برقم (١١٦٩) ، والحاكم فى المستدرك: ١/ ٣٢٧ ،والبيهقى فى السنن الكبرى:٣/ ٣٥٥ وإسناده صحيح .

(٤) إشارة إلى حديث عن عباد بن تميم المازنى ﷺ : أخرجه البخارى مع الفتح: ٢/ ٤٢٧ فى الاستسقاء باب : كيف حوَّل النبى ﷺ ظهره إلى الناس ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم (٨٩٤) عام وخاص (٤) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢ - خطبة استسقاء (٢)[١]

(وهى خطبة واحدة بعد صلاة ركعتين ، يُكَبِّرُ فى الأولى سبع تكبيرات ، وفى الثانية خمس)

الله أكبر (٩ مرات)[٢]

لا إله إلاّ الله والله أكبر .. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[٣]

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٤]

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[٥] .

---

(١) ألقيت فى ٢٩/٢/١٤٠١ هـ.

(٢) لم أقف على هذا اللفظ وإنما وقفت على سبع تكبيرات فى الأولى وخمسة فى الثانية ما عدا تكبيرة الإحرام ، أخرجه الحاكم فى المستدرك : ١/٣٢٦ ، والبيهقى فى السنن الكبرى : ٣/٣٨٤ وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٣) سورة البقرة آية : ١٦٣

(٤) سورة الحشر الآيات : ٢٢ - ٢٤

(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٥

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١) .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (٣) .

﴿ هو الحى لا إله إلاّ هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين ﴾ (٤) .

﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم ﴾ (٥) .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ (٦) .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٧) .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٨) .

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٩) .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٥ ـ ٦

(٢) سورة المجادلة آية : ٧

(٣) سورة الدخان آية : ٨

(٤) سورة غافر آية : ٦٥

(٥) سورة الفاتحة آية : ٢- ٣

(٦) سورة الكهف آية : ١

(٧) سورة سبأ آية : ١

(٨) سورة فاطر : آية : ١

(٩) سورة الجاثية آية : ٣٦ ، ٣٧

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

عباد الله .. إن المعاصى إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها ، أما إذا ظهرت فلم تُغَيَّر عَمَّ ضررُها الخاصة والعامة .

إن الذنوب والمعاصى خطرٌ على المجتمع وعلى مصالحه ، تسبب الأمراض وأنواع الأسقام ، تُفرِّق القلوب وتُشتِّت الشمل ، وتُذهب عِزَّ الأُمة وقوتها ، وتُسلِّط عليها الأعداء .

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ نفسك ﴾(٢) .

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ (٣) .

المعاصى - أيها المسلمون - تُهلك الحرث والنسل وتترك الديار بلقعاً : فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤) .

المعاصى سبب لنزع البركة ، وهلاك الزرع والأشجار وفساد الثمار ، تسبب القحط وغور المياه ، وتمنع الرزق من السماء : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٥)

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ٣٠ ﴾(٦) .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٧
(٢) سورة النساء آية : ٧٩
(٣) سورة آل عمران آية : ١٦٥
(٤) سورة العنكبوت آية : ٤٠
(٥) سورة الأعراف آية : ١٣٠
(٦) سورة الملك آية : ٣٠

إن واقع المسلمين اليوم محزن مؤلم ، وأهل الشَّر كثروا وتضافروا ، وأهل الخير قَلُّوا وتقاعسوا ، والشيطان أجلب بخيله ورجله[١] .. عوامل الفساد والدمار كثرت وتنوعت ، وأسباب الخير والإصلاح قلَّت وضعفت .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ألا تذكَّرون ؟ ألا تتعظون ؟

تخوَّفوا من ذنوبكم أشد خوفاً من عدوكم فإنها أشد خطراً عليكم[٢] . أصلحوا من شأنكم ومروا بالمعروف وانهـــوا عن المنكر، ولا تأخذكم فى الله لومة لائم[٣] . اصبروا وتحمَّلوا المشقة فى سبيل الله ، فى الدعوة إلى طاعة الله والنهى عن معاصى الله .

إنَّ ما أصاب البلاد من الجدب والقحط وقِلَّة الأمطار إنما هو بسبب الذنوب فتوبوا إلى الله ، وراقبوه فى السر والعلن ، تذكروا نعمه عليكم فاشكروها وأدوا حقه فيها ، وتذكروا ذنوبكم فتوبوا إلى الله منها . ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[٤]

أريقوا ماء الأســف على أدران الذنوب تغسلْها ،أخلصوا التوبة لله يقبلْها ، وأصلحوا الأعمال لله يضاعفها ، وأتْبعوا الحسنة السيئة تمحها[٥] .

توجَّهوا إلى أرحم الراحمين ، وأكثروا من الاستغفار فإن الاستغفار خير

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإسراء آية رقم (٦٤) .

(٢) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل ﷺ فى هذا المعنى: أخرجه أحمد فى المسند: ٥/٢٣٨ وإسناده صحيح ، وأيضاً ما ورد على لسان النبى ﷺ فى غزوة أُحُد : « اتقوا المعاصى فإنها أشد فتكاً بكم من عدوكم » - أو كما قال عليه الصلاة والسلام . أورده ابن هشام فى السيرة النبوية ..

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المائدة آية رقم (٥٤) والأحاديث فى هذا المعنى لكثيرة جداً .

(٤) سورة المائدة آية : ٣٩

(٥) إشارة إلى حديث أبى ذر ﷺ: أخرجه أحمد فى المسند : ٥/١٥٣ وإسناده صحيح وأخرجه بعض أصحاب السنن أيضاً .

مفتاح للرزق ، وهو سبب كل خير ، مَن لازمه غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه ، ويسَّر له أمره ، وبسط له رزقه ، وحفظ له شأنه ، وكفاه كل أمر يهمه (١) .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « مَن لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب »(٢) ، فهو سبحانه حافظ لخلقه مدبر لشئونهم ، مُقسم أرزاقهم ، محيطٌ بهم . مَن استغفره غفر له ، ومَن تاب تاب عليْه ، ومَن سأله أعطاه ، ومَن استجار به أجاره ، ومَن لجأ إليه آواه ، ومَن استنصره نصره ، ومن استغاثه أغاثه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(٣) .

والاستغفار من صفات الصالحين ، وهو وصية الأنبياء والمرسلين .

ياعباد الله .. الجأوا إلى فارج الكربات ومجيب الدعوات . تضرَّعوا إليه وارغبوا فيما عنده ، وألحِّوا فى الطلب واعزموا القصد ، فإن ربنا جَوَّاد كريم ، رؤوف رحيم .

خزائنه ملأى و﴿ يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾(٤) ، وإنما أخَّرَ عنكم نزول المطر ليسمع دعاءكم وتضرعكم ، ولينبهكم من غفلتكم ، فأكثرا من

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى : ٣٥١/٣ كما سوف يأتى بعد هذا الرقم مباشرة إن شاء الله تعالى، وأخرجه أحمد متصلا برقم (٢٢٣٤) وهو من حديث الحكم بن مصعب عن محمد بن عبد الله بن عباس عن أبيه وفيه ضعف .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : أخرجه أبو داود فى السنن برقم (١٥١٨) الصلاة ، باب فى الاستغفار ، وابن ماجه برقم (٣٨١٩) الأدب ، باب الاستغفار ، والبيهقى فى السنن الكبرى: ٣٥١/١

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٦

(٤) سورة المائدة آية : ٦٤

الدعاء وألِّحوا ولا تقولوا : دعونا ودعونا فلم يُستجَب لنا ، ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾(١) .

قال ﷺ : « ما من مسلم يدعو الله دعاءً ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه إحدى ثلاث : إما أن يعطيه مسألته ، أو يدخر له عنده ، أو يَحُطَّ عنه من الخطايا بقدره »(٢) .

فدعاء المسلم مُستجاب من الرحمن الرحيم ما لم يكن إثمًا أو قطيعة رحم : ﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴾(٣) .

نستغفر الله العظيم الذى لا إله إلاّ هو الحى القيوم ونتوب إليه ونعُول فى إجابة دعائنا إليه : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾(٤) .

﴿ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(٥)

اللَّهُمَّ إنَّا نعترف لك بتقصيرنا ، ونقر بفضلك وإحسانك علينا ، ونلجأ إليك من ذنوبنا .

اللَّهُمَّ يا فارج الكربات ، ويامجيب الدعوات ، يا واسع الفضل والجود والكرم ، اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين(٦) .

---

(١) سورة يوسف آية : ٨٧

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند : ٣/١٨ من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه وإسناده جيد .

(٣) سورة نوح آية : ١٠ - ١١

(٤) سورة الأعراف آية: ٢٣

(٥) سورة الأعراف آية : ١٤٩

(٦) إشارة إلى معنى حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أبو داود: برقم (١١٦٩) ، والحاكم فى المستدرك : ١/٣٢٧ ، والبيهقى فى السنن : ٣/٣٥٥ وإسناده صحيح .

اللَّهُمَّ أرسل لنا سحاباً ثقالاً ، وأنزل لنا مطرا مدراراً [١] ، وأخرج لنا به ﴿حباً ونباتاً * وجنات ألفافاً﴾[٢]، واملأ السدود لنا وملازم الماء ، وأنبت لنا من كل زوج بهيج[٣] .

اللَّهُمَّ أسقنا غيثًا مغيثًا هنيئًا مُريعًا[٤] غدقًا مجللاً سحًا طبقًا عامًا دائمًا ، نافعًا غير ضار عاجلاً غير آجل .

اللَّهُمَّ أسق عبادك وبلادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحيى بلدك الميت ، إنك على كل شيء قدير .

اللَّهُمَّ أسقنا وأغثنا (٣ مرات) .

اللَّهُمَّ إنَّا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك[٥] .

عبـــاد الله .. اقتدوا بنبينا محمد ﷺ فى قلب الرداء[٦] ، وَحوِّلوا ما على الشِّق الأيمن على الأيسر ، وما على الشِّق الأيسر على الأيمن ، وادعوا الله تعالى سرًا وجهراً : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٧] .

* * *

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة نوح آية رقم (١٠) .

(٢) سورة النبأ آية : ١٥ - ١٦

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الحج آية رقم (٥) .

(٤) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى ﵁ : أبو داود برقم (١١٦٩)، والحاكم فى المستدرك : ٣٢٧/١ ، والبيهقى فى السنن الكبرى : ٣٥٥/٣ وإسناده صحيح .

(٥) لم أقف على هذا الدعاء مرفوعًا مسنداً ولكنه مشروع إن شاء الله تعالى .

(٦) البخارى فى الاستســـقاء : ٤٢٨/٢ من حديث عبد الله بن زيد ﵁ ، ونحوه : مسلم برقم (٨٩٤) .

(٧) سورة الشورى آية : ٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣ - خطبة استسقاء (٣)[١]

(وهى خطبة واحدة بعد الصلاة)

الله اكبر (٩ مرات) [٢] .

لا إله إلاَّ الله والله اكبر .. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

لا إله إلاَّ الله العظيم الحليم ..

لا إله إلاَّ الله رب العرش الكريم ..

لا إله إلاَّ الله الحى القيوم ..

لا إله إلاَّ الله الغفور الرحيم ..

لا إله إلاَّ الله الغنى الحميد .

لا إله إلاَّ الله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ..

لا إله إلا الله الجوَّاد الكريم .

الحمد لله الذى هدانا للإسلام .. ﴿ وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾[٣] .

---

(١) ألقيت فى ٤/١/١٣٩٩ هـ .

(٢) المغنى : ٤٣١/٢ . والتسع فيها قياسًا على العيد لقول ابن عباس رضي الله عنهما : صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاستسقاء كما صنع فى العيد ، وذكر فى كشاف القناع أن التكبيرات تسعاً فى الأولى وفى الثانية سبعًا لما روى عن عبد الله بن عتبة .

(٣) سورة الأعراف آية : ٤٣

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾[1] .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[2] .

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له .. ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

اللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فلقد علمنا أن الإسلام ما دخل معركة إلا انتصر ، وأن الحق يدمغ الباطل ، إلا أن المسلمين غلبت عليهم دعايات أعدائهم وثارت عليهم رغباتهم ، وتوجَّهوا إلى الدنيا وانصرفوا عن الآخرة فتسلَّط عليهم أعداؤهم .

عباد الله .. لقد علمتم ما أصاب البلاد من الجدب والقحط لقِلَّة الأمطار حتى جفت الأشجار ، وغارت المياه من الآبار ، وهلكت المواشى ، وتضرر الحاضر والباد . وكل ذلك بسبب الذنوب والمعاصى فحُبس المطر من السماء ..

(١) سورة الإسراء آية : ١١١

(٢) سورة سبأ آية : ١

(٣) سورة الجاثية آية : ٣٦ - ٣٧

(٤) سورة التغابن آية : ١

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾(١) فأمر خادم الحرمين الشريفين بإقامة صلاة الاستسقاء اقتداء بالنبى ﷺ ، فجزى الله خادم الحرمين عن الإسلام والمسلمين خيراً .

اتقوا الله أيها المسلمون ، وتوبوا إليه وأحسنوا معاملتكم مع الله ، واصدقوا مع الله ، وأخلصوا له العمل فهو غنى عنكم وأنتم الفقراء إليه(٢) ، استغفروا الله وارغبوا فيما عند الله فإنه تبارك وتعالى جوَّاد كريم وخزائنه ملأى ويداه مبسوطتان يُنفق كيف يشاء(٣) ، ولكن لما رأى سبحانه من عباده صدوداً عن دينهم ، وتقصيراً فى واجبهم وقِلَّة شكرٍ لنعمه عليهم ، وإيثاراً للدنيا على الآخرة ؛ حبس عنهم المطر رحمة بهم : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾(٤) لعلهم يتوبون إليه .

فتوبوا إلى الله أيها المؤمنون واستغفروه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٥)

توبوا إلى الله وتوَجَّهوا إلى أرحم الراحمين .. ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٦) .

عباد الله .. تخوَّفوا من ذنوبكم أشدَّ خوفًا من عدوكم(٧) ، ﴿ واتقوا

---

(١) سورة الشورى آية : ٣٠

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المائدة آية رقم (٦٤)

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة فاطر آية رقم (١٥) ، وسورة محمد آية رقم (٣٨) .

(٤) سورة الشورى آية : ٢٧

(٥) سورة الرعد آية : ١١

(٦) سورة المائدة آية : ٣٩

(٧) إشارة إلى خطاب النبى ﷺ يوم أُحُد لأصحابه فى هذا المعنى ذكرته أصحاب السير والتراجم، وكذا ما ورد على لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقواده وتناقلته الثقات .

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١).

إن المعاصى تجعل الديار بلقعًا ، وتُهلك الحرث والنسل ، وتمنع الرزق من السماء . وبسبب الذنوب تُرفع البركة ويُحرم المرء لذّة الحياة .

والمعاصى توجب مقت الله ، وتسبب البلايا والرزايا ،كما تسبب المصائب والمحن والفتن ، وتُورث القلق والخوف والاضطرابات ، والزعازع والهلاك : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢)

اتقوا الله عباد الله .. الجأوا إلى فارج الكربات ، وتوجَّهوا إلى مجيب الدعوات ، وتضرَّعوا إلى قَيُّوم الأرض وفاطر السموات ، تعرَّضوا لرحمته وارغبوا فى فضله ، واصدقوا فى التوبة إليه : ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعًا ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (٣) .

أكثروا من الاستغفار ولازموه ، فمَن لازمه جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا ، ورزقه من حيث لا يحتسب (٤).. الاستغفار هو مفتاح الرزق من السماء ، وهو سبب المغفرة والرحمة ، وهو طريق التوبة النصوح : ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾(٥).

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢٥

(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٠

(٣) سورة الزمر آية : ٥٣

(٤) إشارة إلى حديث ابن عباس ﷺ : أحمد فى المسند برقم (٢٢٣٤) نسخة أحمد محمد شاكر ، وأبو داود برقم (١٥١٨) باب فى الاستغفار ، وابن ماجه برقم (١٣٨١٩) : الأدب .فى إسناده ضعف ولكنه له شواهد كثيرة بمعناه .

(٥) سورة نوح آية : ١٠ - ١١

نستغفر الله العظيم الذى لا إله إلاَّ هو الحى القيوم ونتوب إليه ، نستغفر الله ونتوب إليه .

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونلجأ إليك من ذنوبنا وسيئات أعمالنا .

﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾[١] .. ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا [٢].

اللَّهُمَّ إنَّ بالبلاد والعباد من الحاجة إلى غيثك وبركتك ما لا نشكوه إلا إليك ولا يقدر عليه الا أنت .

اللَّهُمَّ إنَّ رجاءنا واقف ببابك ، ودعاءنا صاعد إليك ، أنت القريب المجيب ، ونحن عبيدك الفقراء إليك ، نلتمس جودك وإحسانك وفضلك وامتنانك، لا نملك لأنفسنا نفعًا ولا ضرًا إلا ما قدَّرته لنا ، والأُمور كلها منك وإليك . أنت أرحم الراحمين ، وأنت الجَوَّاد الكريم ، وأنت القَيوم على خلقك والمتكفلُ بأرزاقهم والحافظُ لكيانهم .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا وبرحمتك التى وسعت كل شىء : أن تسقينا غيثًا مغيثًا ، هنيئًا مريئًا ، غدقًا مجللاً ، سحًا طبقًا ، عامًا دائمًا ، نافعاً غير ضار ، عاجلاً غير آجل[٣] .

اللَّهُمَّ أسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٦

(٢) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية رقم (١٥٥) .

(٣) أبو داود فى السنن برقم (١١٦٩) فى الصلاة باب رفع اليدين فى الصلاة وهو من حديث جابر بن عبد الله الانصارى رضي الله عنه ، والحاكم فى المستدرك :١/ ٣٢٧ ، والبيهقى فى السنن الكبرى : ٣/ ٣٥٥ ، وإسناده صحيح .

اللَّهُمَّ أسق عبادك وبلادَك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحيى بلدك الميت ، إنك على كل شيء قدير ·

اللَّهُمَّ أسقنا الغيث ولا تجعلنا من الآيسين · يا ارحم الراحمين ، يا واسع الفضل والجود ·

اللَّهُمَّ إنَّا خلق من خلقك ، فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك ·

اللَّهُمَّ ارحم عبادك وبلادك وبهائمك وأحيى بلدك الميت إنك على كل شيء قدير ·

اللَّهُمَّ أسقنا وأغثنا ، اللَّهُمَّ أسقنا وأغثنا، اللَّهُمَّ أسقنا وأغثنا(١) ·

اللَّهُمَّ إنّا نستغفرك إنك كنت غفاراً ، فأرسل السماء علينا مدراراً ·

اللَّهُمَّ أنزل لنا من المعصرات ماءً ثجاجًا(٢) ، وأنبت لنا به حبًا ونباتًا ، وجنات ألفافًا(٣) ·

اللَّهُمَّ أجر لنا الأودية والشِّعاب ، واملأ السدود وملازم الماء ، وانشر رحمتك على العباد والديار ·

اللَّهُمَّ سُقيا رحمة لا سُقيا بلاء(٤) ، ولا هدم ولا غرق ·

اللَّهُمَّ أنبت لنا الزرع ، وأدِرَّ لنا الضرع ، وأسقنا من بركات السماء ، وأنزل علينا من بركاتك ، واجعل ما أنزلته قوة لنا على طاعتك وبلاغًا إلى خير ·

---

(١) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه : البخارى من جامعه مع الفتح فى الاستسقاء : ٤٢٣/٢ ، ومسلم فى الصحيح فى صلاة الاستسقاء برقم(٨٩٧)باب الدعاء فى الاستسقاء ·

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النبأ آية رقم (١٤) ·

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النبأ آية رقم (١٦) ·

(٤) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى مرسلاً :٣٥٦/٣ عن المطلب بن حنطب رضي الله عنه ·

عباد الله .. اقتدوا بنبينا محمد ﷺ فى قلب الرداء[١] ، لعل الله أن يقلب حالكم من الشدة إلى الرخاء ، وحوّلوا الشّق الأيمن على الشّق الأيسر[٢]، وأحسنوا الظن بالله، وارغبوا فيما عنده وألّحوا فى الطلب : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٣] .

* * *

(١) البخارى فى الصحيح مع الفتح: ٢/ ٤٢٧ فى حديث عم عباد بن تميم رضي الله عنه ، ومسلم برقم (٨٩٤) .

(٢) إشارة إلى هذا الحديث : البخارى : ٢/ ٤٢٧ من حديث عم عباد ابن تميم رضي الله عنه .

(٣) سورة الشورى آية : ٢٨

دعاء سـراً وجهراً

اللَّهُمَّ يا مجيب السائلين ويا مغيث المستغيثين ، تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم ، وتُبْ علينا إنك أنت التوَّاب الرحيم .

اللَّهُمَّ إنك أمرتنا بالدعاء ووعدتنا الإجابة وأنت لا تُخلف الميعاد .

اللَّهُمَّ هذا دعاؤنا فاستجب لنا ، وهذا جهدنا وعليك اتكالنا ، ولا حول ولا قوَّة إلا بك .

اللَّهُمَّ بك أنزلنا حاجتنا ، وبك وحدك تعلَّقت آمالنا ، فاستجب دعاءنا وآتنا ما وعدتنا وأعطنا ما سألناك ، يا مجيب الدعوات ويا قاضى الحاجات استجب لنا ، وأجِرْنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة .

عباد الله .. أكثروا من ذكر الله والاستغفار ، وأحسنوا إلى الفقراء والمساكين كما أحسن الله إليكم ، واختموا الدعاء بالصلاة والتسليم على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين(١) .

* * *

---

(١) إشارة إلى الصلاة على النبى ﷺ عند الدعاء كما ثبت فى أحاديث كثيرة وقد ذكر بعضها الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٥/٤٩٥ - ٥١٤ عند تفسير آية الأحزاب الآية (٥٦) فارجع إليه . وراجع فضل الصلاة على النبى ﷺ للإمام الحافظ القاضى أبى إسحاق إسماعيل رحمه الله تعالى ، وللسخاوى كتاب قيم فى هذا الباب وهو « القول البديع فى الصلاة على الشفيع »

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤ - خطبة استسقاء(٤) [١]

(وهى خطبة واحدة بعد الصلاة)

الله أكبر (٩ مرات) [٢] .

لا إله إلّا الله والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد[٣]

لا إله إلّا الله العظيم الحليم[٤] .

لا إله إلّا الله رب العرش العظيم[٥] .

لا إله إلّا الله الغفور الودود[٦] .

لا إله إلّا الله الغنى الحميد[٧]

لا إله إلّا الله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد[٨] .

---

(١) ألقيت فى ٢٢/٨/١٤١٠ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : مالك فى موطئه : ١/ ١٨٠ بإسناد صحيح فيه سبع تكبيرات فى الأولى وخمس فى الثانية . والتسع فى المغنى لابن قدامة : ٢/ ٤٣١

(٣) مالك فى موطئه من حديث أبى هريرة ﷺ : الحج ، حديث رقم (٢٤٦) وإسناده صحيح .

(٤) هذا الاسم المبارك قد ورد منفرداً فى عدة آيات ومنها فى سورة البقرة آية : رقم (١٥٥) ، والنساء آية رقم (١٢).

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (١٢٩) .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البروج آية رقم (١٤) .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢٦٧) .

(٨) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢٥٧) .

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾(١) .

﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين ﴾(٢) .

وأشهد أنْ لا إلهٰ إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صاحبُ الخُلُق العظيم(٣)، بالمؤمنين رؤوف رحيم(٤) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فإن بعض الناس لا يُحسُّ بما فيه بعض إخواننا من القحط وضيق العيش بسبب قِلَّة الأمطار المتنوعة ، فهو يتقلب في نِعم الله ويظُن أن الناسُ كلَّهم مثله فلا يتألم لحالهم والله المستعان .

تَصورَّوا حال إخوانكم في البادية الذين تعتمد حياتُهم على الله ثم على الماشية .

وتصوَّروا حال بعض الزُرَّاع أنفق جُلَّ ماله أو كلَّه في حفر الآبار وغرْس النخيل والأشجار فغَارَ ماؤُها فأصبحت خاوية على عروشها(٥) .

---

(١) سورة الروم الآيات : ١٧ - ١٩

(٢) سورة الفاتحة الآيات : ٢ - ٥

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة القلم آية رقم (٤) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التوبة آية رقم (١٢٨) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة آية رقم (٢٥٩) .

والسبب فى ذلك الذنوب والمعاصى والحسد والحقد[١] ، وقِلَّةُ الغيرة على حُرمات الله ، وقِلّة تمعُّر الوجه من أجل الله · فصار كثير من الناس رعاع لا يُفَرِّق بين الطيب والخبيث ، ولا بين المنكر والمعروف ، ولا بين الصدق والكذب ، ولا يُفَرِّق بين السُّنَّة والبدعة ، ولا بين الشرِّك والتوحيد ، ولا بين دعاء الخالق تعالى ودعاء المخلوق ، ولا يُفَرِّق بين الأحياء والأموات ، والله الهادى إلى سبيل الرشاد[٢] .

فأىُّ عقلية تُزيِّنُ لصاحبها تناولَ الخبائث وعدها من الطيبات مثل المخدرات والمسكرات والتدخين فالكل مضر خبيث ·

وأىُّ جريمة على النفس والبدن والأخلاق وعلى المجتمع المسلم من زراعة المخدرات وصناعة المسكرات وتَرْويجها بين الشعوب الغافلة وفى الطبقات التائِهة· تلك المخدرات التى تفتك بالعقل وتهدْم الدين ، وتقضى على الرجولة بل وعلى الإنسانية ، وتُفسد الأخلاق ، وتُتْلف المال ، وتُذِيب الشخصية[٣] .

وأىُّ عمل أقبح من أنْ يأتى الرجل ربُ الأسرة بالأفلام الخليعة الماجنة يَعْرِضها على أبنائه وبناته وحَرمه ، وفيها ما فيها من الخبث والشر والمناظر السيئة التى يتحاشى منها القردة وبعضُ الحيوانات ، ولا يرضى بها إنسان فيه مروءة أو إنسانية ·

---

(١) إشارة إلى حديث الزبير بن العوام ﵁ : أحمد فى المسند :١/ ١٦٥ ، والترمذى فى جامعه برقم (٢٥١٠) : صفة القيامة ، وقد توقف فيه الترمذى ·

قلت : وجوَّد إسناده الهيثمى فى المجمع : ٨/ ٣٠ وقال : رواه البزَّار وإسناده جيد ، وهو كذلك ، وفى معناه أحاديث كثيرة جداً ·

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة غافر آية رقم (٢٩) ، (٣٨) ·

(٣) هو ما أشار إليه القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الصحيحة ومنها قوله تعالى فى سورة المائدة آية (٩٠) : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيسرُ وَالأنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ ، ومن هنا ذابت الشخصيات الكبيرةَ فى العالَم بتعاطى هذه الجرعة النكراء فزنَوا بأُمهاتهم وأَخواتهم وبناتهم فى حالة السُكْر وفقدان العقل،وقد وردت الأحاديث الكثيرة المتواترة فى ذمها وذم شاربها ومعتصرها وبائعها وشاريها وحاملها والمحمولة إليه .

أىُّ جريمة على الإسلام والمجتمع من الأفلام الشريرة التى تحاد القرآن ، وتُعلِّم الجريمة ، وتُحَرِّش الأولادَ على أهلهم ٠

أىُّ وهن أشد من التنصُّل عن واجب المسلم تجاه دينه وأُمته حتى تجرأ الزنادقة والملحدون والمبتدعون ونشطوا فى الدعوة إلى مبادئهم الهدَّامة وتَصَوُّراتهم المخالفة لنص كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، فلا يجدون مَن يردعهم ويقيم عليهم حكم الإسلام ٠

وأىُّ جُرأة على الله وعلى كتابه وسُنَّة رسوله من استحلال المكاسب المحرَّمة وتسميتها بغير اسمها ، اتباعًا لسنن اليهود[1] ٠

وأىُّ ذنب أعظم من إهمال ركن من أركان الإسلام وهو الزكاة ، فلو أُخرجت على وجهها وأُعطيت لمستحقها لسدَّت فاقة الفقراء[2] ٠

وأىُّ تفكك فى المجتمع المسلم مما فيه العالَم الإسلامى المعاصر ، حتى إن الجار لا يعرفُ جارَه ، والقريبُ لا يألف قريبَه ، والمسلم لا يُسَلِّم على أخيه المسلم إلا إذا كانت هناك مصالح أو أطماعٌ دنيوية ، وأصبحت الغيبة والنميمة هى أُنس المجالس وهى حِلْية كثير من المجتمعات[3] ٠

---

(١) إشارة إلى حديث رجل من أصحاب النبى ﷺ بهذا المعنى : أخرجه البخارى معلقا فى الصحيح: ٥١/١٠ الأشربة ، وقد ذكر الحافظ تخريجه بالوفاء والتمام فأجاد وأفاد ٠

قلت ٠ أخرجه أحمد فى المسند : ٢٣٧/٤ وإسناده صحيح ومعناه : يشربون الخمر فيسمونها بغير اسمها٠

(٢) وقد شنع ربنا جَلَّ وعَلا على مانع الزكاة فى عدة آيات من القرآن الكريم وبشَّرهم على منعها بعذاب أليم ، اقرأ آية التوبة رقم (٣٥) والأحاديث فى ذلك كثيرة ٠

(٣) إشارة إلى جريمة الغيبة والنميمة وقد أشار إليها قوله تعالى فى سورة الحجرات آية رقم (١٢) ٠

لقد كثر الخَبث ، ويُخشى أن يطغى على الطيب .

والخالق تبارك وتعالى غيور على محارمه ، غيور على شريعته ، رحيم بعباده ، يخوِّفهم بآياته ، ويُذكِّرهم بما شاء من قدرته ، ويقطع عنهم بعض رزقه لتنبيههم إلى أخْطائهم وإيقاظهم من غفلتهم ، لعلهم أن يدركوا خطأهم فيأخذوا على يد سفيههم ، ويتوبوا إلى خالقهم ، ويتضرَّعوا إلى مولاهم[(١)].

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[(٢)].

لقد بَيَّن ﷺ خطر المعاصى وآثارها على الفرد والجماعة والدولة ، محذِّراً من مغبتها . ونهى عن القُرب منها فقال عليه الصلاة والسلام ، كما رواه ابن ماجه وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا معاشر المهاجرين ؛ خمسٌ إذا ابتُليتم بهنَّ ، وأعوذ بالله أن تُدركوهن : لم تظهر الفاحشةُ فى قوم قطُّ حتى يُعلنوا بها إلا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينْقُصُوا المكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنين وشدة المؤنة وجَوْر السلطان عليهم ، ولم يَمْنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القَطْر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا ، ولم يَنْقُضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سَلَّط الله عليهم عدواً من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنْزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم »[(٣)] .

---

(١) فى ذلك نصوص كثيرة جداً ومنها قوله تعالى فى سورة الأنعام الآية (٤٢) : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ .

(٢) سورة الأنفال آية : ٢٥

(٣) إشارة إلى حديث سلمان الفارسى رضي الله عنه : أخرجه ابن خزيمة فى الصحيح برقم (١٨٨٧) وفى إسناده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ولكن حديثه يُحتمل ويُكتب ولحديثه شواهد كثيرة جداً ، والله أعلم .

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لَيَبِيتَن أُناس من أُمَّتى على أشرٍ وبَطرٍ ولعبٍ ولهو فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم المحارم واتخاذهم القِيِّنات وشربهم الخمر وأكلهم الربا ولُبسهم الحرير » .

وفى حديث أبى أمامة : « وليُصيبنَّهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون : خُسِفَ اللَّيلة ببنى فلان ، وخُسِف الليلة بدار بنى فلان ، ولتُرْسَلن عليهم حجارة من السماء كما أُرسلت على قوم لوط »[1] .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. توبوا إلى الله واستغفروه والجأوا إليه ، وأتْبعوا السيئة الحسنة تمحها[2] .. أفْشُوا السلام وصلُّوا فى الليل والناس نيام[3] .. تصدَّقوا على الفقراء المُتعفِّفين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف[4] ، فإن الصدقة تُطفىء غضب الرب وتدفع مِيتة السوء[5] . وتقرَّبوا إلى ربكم بالصيام فإنه سر بين العبد وربه ، وأدُّوا الحقوق إلى أهلها ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾[6] ، وتآخوا

---

(١) أحمد : ٥/٢٥٩ وهو من حديث أبى امامة رضي الله عنه وفى إسناده فرقد بن يعقوب الصبحى وفيه ضعف يُحتمل ، صدوق عابد ولكنه عنده أوهام كثيرة هكذا قال الحافظ فى التقريب ، ولحديثه شواهد كثيرة جداً ....

(٢) إشارة إلى حديث أبى ذر رضي الله عنه : أخرجه بعض اصحاب السنن والإمام أحمد فى المسند : ٥/١٥٢ - ١٥٣ بهذا المعنى وإسناده جيد .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه أخرجه الإمام أحمد فى المسند : ٥/٤٥١ وإسناده جيد .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢٧٣) .

(٥) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عنه : الترمذى برقم (٦٦٤) فى الزكاة ، وابن حبان فى الصحيح برقم (٨١٦) وفى إسناده ضعف ولكن معناه صحيح .

(٦) سورة البقرة آية : ١٨٨

بينكم وتراحموا ، ولا تدابروا ولا تقاطعوا ولا تشاتموا[١] ، وإن شتَمك أخوك بما يعرف فيك فلا تشتمه بما تعرف فيه فإن الوبال عليه[٢] .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وخذوا على يد السفيه ، وتفقدوا أحوال أبنائكم وبناتكم فى عقيدتهم وسُلوكهم فإنكم مسئولون عنهم[٣] .

وأكثروا من الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله ، واعرفوا فقركم وحاجتكم إليه ، وتوجَّهوا إلى فاطر الأرض والسموات واسألوه من فضله فإنه أمركم بالدعاء ووعدكم بالإجابة[٤] ، وألِّحوا فى المسألة وأيقنوا بالاجابة .. نستْغفر الله ونتوب إليه ...

اللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك إنك كنت غَفَّارًا ، فأرسل السماء علينا مدرارًا[٥] .

﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[٦] .

اللَّهُمَّ أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغنى ونحن الفقراء ، أَنْزِل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين .

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ﷺ: البخارى برقم (٦٠٦٥) : الأدب ، ونحوه مسلم فى الصحيح كتاب البر والصلة حديث رقم (٢٤) ، (٢٨) خاص .

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن سليم ﷺ : أحمد فى المسند : ٥/ ٦٣ وإسناده صحيح.

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر ﷺ : البخارى مع الفتح : ١٣/ ١٠٠ فى الأحكام ، ومسلم فى الصحيح فى الإمارة حديث رقم (١٨٢٩) باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة غافر آية رقم (٦٠): ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ .

(٥) إشارة إلى دعاء نوح عليه الصلاة والسلام على قومه كما فى سورة نوح آية رقم (١٠) .

(٦) سورة الأعراف آية : ٢٣

اللَّهُمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا فنهلك ولا إلى سواك فنضيع .

اللَّهُمَّ اسقنا غيثاً مُغيثًا مَريئًا مَريعًا نافعًا غير ضار ، عاجلاً غير آجل(١) .

اللَّهُمَّ أسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحيى بلدك الميت ، إنك على كل شيء قدير .

يا حيُّ يا قيوم ... أنت خلقتنا وتكفَّلت بأرزاقنا ولا رب لنا سواك ، ولا مُنْقِذَ غيرك ، لا ملجأ لنا إلا إليك يا الله ، أسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين .

اللَّهُمَّ أجر الأودية واملأ السدود وزد الماء فى الآبار .. ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم ، وتُبْ علينا إنك أنت التوَّاب الرحيم (٢) .

عباد الله .. اقتدوا بنبينا ﷺ فى قلب الرداء (٣) ، وادعوا ربكم مستقبلى القِبْلَة وألِّحوا فى المسألة ، فإن الله يحب أن يسمع تضرع عباده ونجواهم وأزيز صدورهم .

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه البخارى فى الصحيح مع الفتح: ٢/ ٤٢٣ فى الاستسقاء ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم(٨٩٧) باب الدعاء فى الاستسقاء .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٢٨) .

(٣) إشارة إلى حديث عم عباد بن تميم المازنى رضي الله عنه فى تحويل الرداء .. أخرجه البخارى فى الصحيح مع الفتح: ٢/ ٤٢٧ : الاستسقاء باب كيف حوَّل النبى ﷺ ظهره إلى الناس ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم (٨٩٤) عام وخاص (٤) فى الاستسقاء ... من هذا الوجه واللفظ .

القســم الثانى

كتاب الزكاة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٥ - وجوب الزكاة فى المال[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذى هدانا للإسلام :﴿ وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾[٢] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، لا مانع لما أعطى ولما مُعطى لما منع[٣] .. ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وإمام المتقين .

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أُوصيكم وإياى بتقوى الله فإنها هى أساسُ الخير ، ومصدرُ الصلاح .

عباد الله .. إن من أكبر نِعَم الرب جَلَّ جلاله على أُمة محمد ﷺ أن

(١) ألقيت فى ٣/ ٢/ ١٣٩٥ هـ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٤٣

(٣) إشارة إلى حديث معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنهما : البخارى برقم (٨٤٤) الأذان ، ونحوه مسلم : الصلاة برقم (١٩٣) من هذا الوجه واللفظ .

(٤) سورة التغابن آية : ١

هداهم لهذا الدين الحنيف ، وجعلهم أُمَّة وَسَطاً فى جميع الأُمور[١] ، فله الحمد والمنَّة .

فدين الإسلام وَسَط بين طرفى نقيض فى جميع تعاليمه : فى عقائده ، وتشريعه ، فى معاملاته وسياسته ، فكان شاملاً لجميع الفضائل والمحاسن ، وفيه مجامع الخير ، ومصادر العدالة والمساواة .

فإذا نظرنا إلى النظام الاقتصادى فى دين الإسلام وجدناه وَسَطاً بين الاشتراكية الماركسية الشيوعية والرأسمالية الصهيونية . فالاشتراكية تسلب الأموال من أهلها الشرعيين ولا تنفع الفقير ، وإنما تُفقر الغنى وتستعبد الفقير ، وتريد أن تجعل العالَم فى رِقِّها وتحت عبوديتها ، فتهلك الحرث والنسل . والرأسمالية الصهيونية ، لا تعطف على الفقير ولا ترحم الصغير ، ولا تُفرِّق فى المكاسب بين الطيب والخبيث ، وكِلاَ طَرَفى الشر من تخطيط الصهيونية العالمية وسعيها فى الأرض بالفساد .

أما دين الإسلام .. دينُ العدالة والأُخوة والعطف والمساواة ، دينُ الصلاح والإصلاح ، فهو وَسَط بين هذين الطرفين .

أباح المكاسب الطيبة وحثَّ عليها ، وحرَّم المكاسب الخبيثة وحذَّر منها[٢]، ﴿ وأحلَّ الله البيع وحرَّم الربا ﴾[٣] ، ونظَّم الموارد والمصارف فى نظام سماوى صادر من خالق الكون جَلَّ جلاله ، وهو أعلم بما يُصلح خلقه ، وبما يحفظ قِوامهم ،وبما يقوِّم حياتهم .. حفظ للغنى حقه وبيَّن له طُرق الخير

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٤٣) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف فى وصف النبى ﷺ آية رقم (١٥٧) .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٧٥ .

والبركة فى دخله ومصارفه ، وجعل له الحرية الكاملة فى أخذه وعطائه فى داخل طريق قويم ·

فلا يجوز أخذ شىء من ماله إلا بطيب نفس منه وإلا بحق الإسلام ، إن الله حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم (١) ،وجعل الغنى فى أمان على ماله فشرع الحدود التى تحفظ المال وتمنع التعدى عليه بغير حق ·

كما حفظ الإسلام حقُ الفقير والمسكين والمحتاج ، فأوجب له حقاً على الأغنياء ، وجعل هذا الحق ركناً من أركان الإسلام (٢) ·

فلا يتم إسلام الغنى إلا بأداء هذا الحق الواجب عليه · قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (٣) ·

وقال ﷺ : « بُنِىَ الإسلام على خمس : شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام »(٤) · · من استطاع إليه سبيلا ·

وقد أثنى الله تعالى على الذين يؤدون زكاة أموالهم ووعدهم بالبركة والزيادة ، وبيَّن أن أداءها سبب للسعادة والفلاح وقوة الإيمان فقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ

---

(١) إشارة إلى خطبة النبى ﷺ ألقاها يوم عرَفَة ، مروية من حديث جابر الطويل : مسلم فى الصحيح : الحج ،حديث رقم (١٤٧) خاص ·

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى فرضية الزكاة فى آيات عديدة ومنها قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٤٣) ، فقرن الزكاة مع الصلاة فى جميع الآيات القرآنية ·

(٣) سورة التوبة آية : ١٠٣

(٤) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : مسلم فى الصحيح : الإيمان ، حديث رقم (٤١) ، (٤٢) ، والترمذى فى جامعه برقم (٦١٩) ، من هذا الوجه واللفظ ·

مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ (١)

كما بيَّن جلَّ جلاله أن أداء الزكاة سبب للقناعة، والصبر على البلاء والرضا بالقضاء ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴾(٢) .

كما ذَمَّ تبارك وتعالى الذين لا يؤدون الزكاة وتوعَّدهم بالعقاب فى الدنيا ، والعذاب الأليم فى الآخرة ، وبيَّن أن منع الزكاة من صفات المنافقين ، الذين ظهرت لهم الصلاة فقبلوها ، وخفيت عليهم الزكاة فمنعوها ، كما بيَّن سبحانه أن منع الزكاة سبب لسبق الشقاوة والطبع على القلب فقال تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ

وبيَّن عاقبة مانعى الزكاة فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ

---

(١) سورة المؤمنون الآيات : ١ - ٧
(٢) سورة المعارج الآيات : ١٩ - ٢٨
(٣) سورة التوبة الآيات : ٧٥ - ٧٧

عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ

فكل مال لا تُؤدَى زكاته فهو كنز وإن كان فوق الأرض ، وكل مال تُؤدَى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت الأرض (٢) .

واعلموا أيها المسلمون أن الزكاة كما أنها تجب فى الأثمان والخارج من الأرض وبهيمة الأنعام ، فإنها أيضاً واجبة فى عروض التجاره المعَدَّة للبيع والاكتساب أيّاً كان نوعها ، سـواء أكانت من العقارات كالأراضى والدور أو غيرها (٣) .

فإذا حال الحَوْل على رأس مالها قُوِّمت قيمة عدل ، وأخرج مالكها زكاتها على مقدار قيمتها سواء زادت على رأس المال أو نقصت ، والله سبحانه قد فرض على الأغنياء ما يكفى الفقراء ، فلو أنَّ هذه الأموال التى فى أيدى المسلمين تُؤدَى زكاتها على وجهها ما بقى فيهم فقير ، ولكن كثيراً من الناس يتهاون فى إخراج الزكاة ، وبعضهم قد لا يؤدى منها شيئاً ألبتة ، وما ذلك إلا لضعف الإيمان بالله وبما جاء من عند الله ، وضعف اليقين بثواب الله وعقابه واليوم الآخر . فالزكاة لا تُنقص المال ، بل تُنميه وتزيده وهى ذخر وثواب عند الله . قال تعالى : مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤) وقال ﷺ : « ما نقصت صدقة من مال شيئاً »(٥) ، فلو أن مانع الزكاة آمن بذلك حقاً ، وعرف نفسه

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٤ - ٣٥

(٢) إشارة إلى حديث عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ٤/ ١٧٨ إلى ابن أبى شيبة فى المصنف وهو من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنه .

(٣) هو داخل فى عروض التجارة بنصوص كثيرة .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٤٥

(٥) مسلم فى الصحيح : البر والصلة برقم (٢٥٨٨) باب استحباب العفو والتواضع وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

ونشأته وضعفه ، وتذكر أنه خرج من بطن أُمه لا يعلم شيئاً ولا يملك شيئاً ، وعرف أن الله هو الذى جعل له السمع والبصر والفؤاد ، ويسَّر له طرق الكسب والاكتساب ، لما جحد نِعَم الله ولما بخل على الله بقليل مما آتاه .

ولو تأمل الغنى فى الزكاة لوجدها جزءاً قليلاً فهى ربع العشر تقابل ريالين ونصف فقط فى المائة من الأثمان وقيم عروض التجارة ، أما سبعة وتسعون ونصفٌ فى المائة ، فإنها للغنى لا يُؤخذ شىء منها إلا بطيب نفس منه . فهلاًّ يرضى مانع الزكاة بالكثير وتطيب نفسه بالقليل لإخوانه وأبناء جنسه وأهل قبيلته وأقربائه يتقرب به إلى الله ؟ ألا يخشى مانع الزكاة من سخط الله ؟ ألا يخاف أن يُذهب بماله الذى أعطاه إياه ؟ أو يحرمه من لَذَّة المال والانتفاع به ؟ فلا خير فى مال يُلهى صاحبه عن طاعة الله ، ولا خير فى مال يُتعب صاحبه فى ديالج الليل وظهيرة النهار ، ولا لَذَّة فيه ولا انتفاع : «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميلة تعس عبد الخميصة ، إن أُعطى رضى وإن لم يُعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»(١) .

ونصاب الذهب عشرون مثقالاً ، ونصاب الفِضَّة مائتا درهم ، فإن كان عنده ذهب أقل من عشرين مثقالاً ولكنه يساوى مائتى درهم ففيه الزكاة لأنه بلغ نصاب الفِضَّة ، وإذا كان عنده فِضَّة أقل من نصابها ولكنه يساوى عشرين مثقالاً ففيه الزكاة لأنه بلغ نصاب الذهب ، وإذا كان عنده أقل من نصاب الفِضَّة مائة وخمسون درهم ، ومال آخر من أى نوع أقل من نصاب الذهب - أى عشرة مثاقيل - يضم هذا إلى هذا ويُزكِّى ، وحلى النساء على رأى جمهور العلماء الذى يُستعمل ليس عليه زكاة ، واستعماله وحاجة المرأة اليه أباحت

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى : ٦/ ٦٠ - ٦١ فى الجهاد باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله .

اقتناءه وأسقطت عنه الزكاة ، أما الأوانى والتحف وما شابهها فعليها الزكاة سواء كانت لرجل أو امرأة ، والحلى إذا أعد للتجارة فيه زكاة ، أو مكسر بحيث لا يصلح استعماله فيه زكاة .

ألا يفكر مانع الزكاة فى مآله إذا جاء يومَ القيامة فمُثِلَ له ماله شجاعاً أقرع يأخذ بحلقة ويتلَوَّى على عنقه ؟

أما يتأمل كيف تكون حاله إذا صُفِح له ماله صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبْه وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟

فاتقوا الله عباد الله وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم ، وتحصنوا بالزكاة من شرور أموالكم ، وطَهِّروا بها أموالكم من أدرانها [(١)] ، واستفتحوا بالصدقة أبواب الخير من السماء ، وداووا بها مرضاكم . فإن الصدقة تُطفىء غضب الرب جَلَّ جلاله كما يُطفىء الماءُ النارَ [(٢)] ، وما مُنِعَ القَطْر من السماء إلا بسبب منع الزكاة ولولا البهائم لم تُمطروا[(٣)] : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(٤)] ، ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾[(٥)]

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (١٠٣) .

(٢) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ﷺ : الترمذى : برقم (٦٦٤) مع ضعف إسناده وصالح للمتابعات والشواهد الكثيرة ، وابن حبان فى الصحيح برقم (٨١٦) .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر ﷺ بسياق طويل : ابن ماجه برقم (٤٠١٩) وفيه هذا اللفظ وإسناده صالح للعمل .

(٤) سورة الحشر آية : ٩

(٥) سورة محمد آية : ٣٨

اللَّهُمَّ لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تُسَلِّط علينا بذنوبنا مَن لا يخافك ولا يرحمنا .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقسيم المعيشة فى الدنيا

(الخطبة الثانية)

الحمد لله .. أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأتوب إليه .. وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .. مَن يهد الله فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضلل فلا هادى له .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له [١] ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. اتقوا الله تعالى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، واحذروا أسباب سخط الجبَّار فإن أجسامكم على النار لا تقوى .

أيها الناس .. إن الله تعالى قد قسم بين الخلق معاشهم ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات [٢] ليحصل التعاون والتعاطف والتآخى ، وليعلم اللهُ مَن يطيعه بالغيب [٣] فيؤدى الحق الذى أوجب عليه ، وليعلم مَن يصبر على قضاء الله وقدره ويعلق آماله بالله ويزهد عما فى أيدى الناس [٤] .

(١) إشارة إلى خطبة النبى ﷺ رواها ابن مسعود رضي الله عنه : أخرجه مسلم فى الصحيح : الجمعة ،حديث رقم (٤٥) ، (٤٦) خاص .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الزخرف آية رقم (٣٢) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المائدة آية رقم (٩٤) .

(٤) إشارة إلى حديث أبى الدرداء رضي الله عنه : أحمد فى المسند : ٦/٤٤١ - ٤٤٢

وشر الناس مَن ظلم الناس للناس ..

فليس كثرة المال علامة التوفيق ولا القُرب من الله ، وإنما علامة ذلك هى التقوى ، فإن المال يُعطيه اللهُ مَن يحب ومَن لا يحب ، وأما التقوى فلا يؤتاها إلا مَن أحبه الله . قال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

فاتقوا الله عباد الله وأدوا حق الله الذى فرضه عليكم ، وازهدوا فيما فى أيدى الناس يغنكم الله (٢) .

وصلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) سورة الزخرف الآيات : ٣٢ - ٣٥

(٢) إشارة إلى حديث سهل بن سعد الساعدى ﷺ : ابن ماجه برقم (٤١٠٢) الزهد ، باب (١) : الزهد فى الدنيا .

(٣) سورة آل عمران آية : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٦ - زكاة الفِطر[١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٢] بلَّغنا شهر رمضان ، ووفقنا إلى ما تيسر من الصيام والقيام ، فله الحمد والمنَّة ، ونسأله الإعانة على التمام ، والقبولَ وحسنَ الختام .

وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، صاحبُ الجود والإنعام ، ذو العظمة والجلال والإكرام .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأنام ، وصاحب الحوض والمقام .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد نبى الرحمة ورسول السلام ، وعلى آله وأصحابه السادة الكرام ، ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فإن زكاة الفِطْر واجبة على كل مسلم ، على الصغير والكبير ، والذَكر والأُنثى ، والحر والعبد ، والصحيح والمريض ، والحاضر والمسافر ؛ ممن توفرت عنده . . فأما الغنى فيزكيه الله ، وأما الفقير فيرد الله عليه أكثر مما أعطى .

روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر

---

(١) ألقيت فى ٢٥/٩/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

والذَكر والأُنثى والصغير والكبير من المسلمين ، وأمر بها أن تُؤدَى قبل خروج الناس إلى الصلاة » (١) .

ولهما عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : كنا نُخرج زكاة الفِطر صاعاً من طعام أو صاعاً من شـعير أو صاعاً من تمر أو صـاعاً من أقط أو صاعاً من زبيب ، وقد نص الحديث على أن زكاة الفِطر من خمسة أصناف : البُرّ والشعير والتمر والأقط والزبيب ، لأنها كانت غالب قوت الناس ، وأما اليوم فغالب قوت الناس الأُرز ، فإذا أخرج صاعاً من أُرز فهو أنفع للفقير وأيسر مؤنة .

وزكاة الفِطر سبب للفلاح ، قال بعض المفسِّـرين : إن المراد بقـوله تعالى : ﴿ قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى ﴾(٢) هى زكاة الفِطر .

وقال أبو العالية : كان أهل المدينة لا يرون صدقة أفضلَ منها ومن سقاية المـاء .

وقال ابن كثير : وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدَقة الفِطر ويتلو هذه الآية : ﴿ قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى ﴾ .

وقال فى التفسـير الكبير :﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ : أى تصـدَّق ، ﴿ وذكر اسم ربه ﴾ :أى كَبَّر فى خروجه إلى العيد ، ﴿ فصلى ﴾ :صلاة العيد .

وأُضيفت هذه الزكاة إلى الفِطْر لأنها تجب بالفِطْر من صيام رمضان فهى شكر لله على إكمال العِدَّة وسداً للنقص الذى يحصل فى الصيام فإن المرء تغلبه نفسه فقد يُقَصِّر فى بعض الأُمور فتسده صدقة الفطر وهى تعبير عن

(١) البخارى تفسير سورة (٥) أشربة (٢) ، (٥) ، مسلم تفسير (٢٢) ، (٢٤) والبخارى فى الصحيح : ٢/ ١٦١ باب زكاة الفطر .

(٢) سـورة الأعلى آية : ١٤ ، وانظـر : الترغيب والترهيب : ٢/ ١٥٢ وعزاه لابن خزيمة فى صحيحه ..

الفرحة التى يفرحها الصائم عند الإفطار ، وهى شعار التضامن ومظهر من مظاهر التعاطف ٠

ويجب على الرجل أن يُخرج زكاة الفِطْر عن نفسه وزوجه وأولاده وخدمه ومَن يمونه مؤنة وجوب إذا كانوا مسلمين ، وكذا وزكاة مَن أعاله فى شهر رمضان ، وأما مؤنة الاحتساب فتُستَحب ، ومَن أخرج عن نفسه من هؤلاء صحَّت وسقطت عن القيِّم ٠

وهل تجب على الجنين فى بطن أُمه ؟

أكثر أهل العلم على أنها لا تجب ، لكن يَحْسن إخراجها عنه اقتداءً بالخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ، فكان يُخرج زكاة الفِطْر عن الجنين ٠

ووقت وجوب زكاة الفِطْر هو غروب الشمس من آخر يوم من رمضان ليلة العيد ، فمَن وُلِدَ له مولود قبل غروب شمس ذلك اليوم أو تزوج ، وجبت عليه زكاة الفِطر للمولود أو للزوجة ، ومَن مات قبل غروب شمس آخر يوم فى رمضان لم تجب عليه زكاة الفِطْر ٠

ومَن مات بعد الوجوب ـ أى بعد غروب الشمس ـ من آخر يوم من رمضان لم تسقط عنه فيخرجها وليه من تركته ٠

ووقت إخراجها بعد طلوع الفجر يوم العيد وقبل الصلاة ، ويجوز تقديمها بيوم أو يومين لما روى البخارى رحمه الله عن ابن عمر ﷺ قال فى صدقة الفِطْر ـ أو قال رمضان ـ : وكانوا يُعطون قبل الفِطْر بيوم أو يومين ، وروى مالك فى الموطأ عن نافع « أن ابن عمر كان يبعث بزكاة الفِطْر إلى الذى تُجمع عنده قبل الفِطْر بيومين أو ثلاثة » (١) ٠

قال فى فتح البارى : وأخرجه الشافعى وقال: هذا حسن وأنا أستحبه ، يعنى تعجيلها قبل يوم الفِطْر ٠

---

(١) أوجز المسالك على موطأ مالك : ٦/ ٤٢ طبعة دار الفكر فى بيروت ٠

وفى قصة أبى هريرة فى الذى يسرق الطعام ثلاث ليال ـ وهو طعام صدقة الفِطْر ـ دليل على جواز تقديمها قبل العيد بيومين أو ثلاثة ، ولا يجوز تأخيرها بعد صلاة العيد ، ومَن أخَّرها إلى ما بعد الصلاة فهى صَدَقة من الصدقات .

ومَن كان يعرف فقيراً يستحق زكاة الفِطْر فحازها له قبل الصلاة فقد أخرجها فى وقتها ، وتُعطَى صَدَقة الفِطْر للفقراء من الأقارب وغيرهم .

ولا يجوز للإنسان أن يشترى من الفقير زكاته التى أعطاه إياها ، وهل تجزئ القيمة عن الطعام ، قال أبو داود : قيل لأحمد وأنا أسمع : يُعطَى دراهم؟ قال : أخاف أن لا تُجزئه خلاف سُنَّة رسول الله ﷺ . وقال فى المغنى : يَدَعون سُنَّة رسول الله ﷺ ويقولون قال فلان ، وقال الله تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ (١) وبه قال مالك والشافعى .

والأخذ بنص رسول الله ﷺ طاعةٌ لله ورسوله ، وتُستحَب أن تكون صدقة الفِطْر من جيد الطعام ، ولا يجوز بالخبيث الردىء المسوس أو المعفن : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾(٢) ، ﴿ ولا تَيمَّموا الخبيث منه تنفقون ﴾(٣)

وينبغى للمسلم أن يتحرَّى لزكاته الأحوج الذين يفرحون بها وينتفعون بها أكلاً وادخاراً ، وأما الذين يجلسون عند مباسط بيع الحبوب يتسابقون إلى المتصدِّقين ، فإذا أخذوها باعوها على صاحب المبسط وهكذا ، فعملهم يدل على أنهم غير محتاجين للطعام ، وإنما يرغبون التكثير من النقود ولا يقفون

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ وسور أخرى

(٢) سورة آل عمران آية : ٩٢

(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٧

عند حد ، فهم مستغنون عن الطعام · وزكاة الفطر وجبت للمحتاج لقوله صلى الله عليه وسلم : « أغنوهم عن السؤال فى ذلك اليوم » ·

ربنا تقبَّل منا إنك أنت السـميع العليم ، وتُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم ·

اللَّهُمَّ وفقنا لإكمال عدة الصيام ، ووفقنا لما ينفعنا من القيام ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا وجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم ·

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأيام خزائن

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [١] .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله .

ثم اعلموا - رحمنى الله وإياكم - أن الأيام خزائن للأعمال ، فكل يوم ينقضى تُطوَى صحائفه ويُختَم على ما فيها من أقوال وأعمال ومن حسنات وسيئات ، فلينظر الإنسان إلى عمله وليحاسب نفسه ما دام الزمام فى يده .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [٢] .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) سورة الحشر الآيات : ١٨ - ٢٠

ثم اعلموا أنَّ الله تعالى أمركم أمراً بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾(١)

فصلُّوا على البشير النذير ...... الى آخر الدعاء ·

*   *   *

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧ - من فوائد الصدقة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [٢] .. ﴿ له ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ [٣] ، وله مُلك السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير [٤] .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يُحيى ويُميت [٥] وهو حى لا يموت [٦] ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير [٧] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن آمن به واهتدى بهَدْيه .

أما بعد ..

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٨] .

(١) القيت فى ٢٦/ ٢/ ١٣٩٦هـ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٢
(٣) سورة إبراهيم آية : ٢
(٤) إشارة إلى آية آل عمران رقم (١٨٠) .
(٥) إشارة إلى آية التوبة رقم (١١٦) .
(٦) إشارة إلى خطبة الصدِّيق رضي الله عنه القاها بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى: البخارى مع الفتح : ٨/ ١٤٥ وفى الصحيح برقم (٤٤٥٤) : المغازى .
(٧) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة التغابن آية رقم(١) .
(٨) سورة الطلاق آية : ٢ - ٣

أيها المؤمنون .. إن التعاطف والتراحم والتعاون قاعدة من قواعد الإسلام أسسها وثبَّت قواعدها نبينا محمد ﷺ .

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ [١] .

﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾[٢] .

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [٣]

ووصف النبى ﷺ المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحُمَّى والسهر[٤] ، ووصفهم بأنهم كالبنيان يشد بعضه بعضاً[٥] ، فالعطف والشفقة والإحسان ، وبذل الندى وكف الأذى ، رابطة قوية تربط بين أفراد المسلمين ، تلم شعثهم وتُوحِّد مجتمعهم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٦]

ولهذا حرّم الإسلام كل ما يدعو إلى الشقاق والتفرقة : « المسلم أخُ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعِرضه»[٧] .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣

(٢) سورة المائدة آية : ٢

(٣) سورة النساء آية : ٣٦

(٤) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما : البخارى : ١٠/ ٢٦٧ الأدب ، ومسلم : البر والصلة برقم (٢٥٨٦) ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ..

(٥) إشارة إلى حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه : البخارى : ١٠/ ٣٧٦ الأدب، ونحوه مسلم برقم (٢٥٨٥) : البر والصلة والآداب وبرقم (٢٦٢٧) .

(٦) سورة التوبة آية : ١٢٨

(٧) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما : البخارى مع الفتح : ٥/ ٧١ ، المظالم ، ومسلم : البر والصلة برقم (٢٥٨٠) باب تحريم الظلم .

ولا شك أن المال له تأثير عظيم فى تأليف القلوب وجمع الشمل ، فالنفوس جُبلَت على حب مَن أحسن إليها ، كما أن الكبرياء والفخر والخيلاء وغمط الحقوق يورث البغضاء والتنافر والشقاق، ولهذا اعتنى الإسلام بالصدقات وحثَّ عليها ورغَّب فيها ، وأثاب الرب سبحانه عليها ، قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [1] .

وأثنى الخالق تبارك وتعالى على المتصدِّقين والمتصدِّقات ، ووصفهم بصفات الكمال والرفعة والكرامة ، وعلامات السعادة وسمَّاهم : « المتقين » ، وسمَّاهم « المفلحين » ، وسمَّاهم « المحسنين » . كما بيَّن القرآن العظيم وسُنَّة المصطفى ﷺ أن الجود والإنفاق من فضل المال فيه سعادة الإنسان وفلاحه فى الدنيا والآخرة ، وفيه راحته واطمئنان نفسيته وأمانُ قلبه ، قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2] ، وقال ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة »[3] .

وقد ضمن الله تعالى لمن أنفق ماله فى طاعة الله أنه قرض مردود أضعافاً كثيرة [4] . يضاعَف له فى ماله وحسناته كما قال سبحانه : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[5] وقال نبينا محمد

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٤

(٢) سورة البقرة آية : ٢٧٤

(٣) إشارة إلى حديث عدى بن حاتم رضي الله عنه : البخارى : ١٠ / ٣٧٥ ، الأدب ، باب : طيب الكلام ، ومسلم : الزكاة برقم (١٠١٦) عام وخاص (٦٨) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢٤٥) .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٦١

صلى الله عليه وسلم : « ما نقص مال من صدقة شيئاً وما زاد الله عبداً تواضع إلا رفعه »[١] .

كما أن الإسلام ذم الشُّحَّ والبخل وحذَّر من عاقبته وبَيَّن أنه سبب للشقاوة والهلاك وزوال النعمة وتلف المال ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير ﴾[٢] ، وفى الحديث عن النبى ﷺ : « ينادى فى كل صباح ومساء ملكان : اللَّهُمَّ أعط كل منفق خَلَفاً وكل ممسك تلفاً »[٣] .

إن الإنسان قد يَشح بالمال إذا رآه قليلاً فى يده يخشى أن يحتاج إليه فى مستقبله ، وإنما ذلك وسوسة من الشيطان كما قال تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٤] .

ولكن - ولله الحمد - قد فتح الله على الناس كنوز الدنيا وخيراتها ، ومع هذا فبعض الناس يملك أموالاً كثيرة وتجارات رابحة وشركات مثمرة ، ومع هذا يبخل ويَشح بما أُوجب الله عليه فى ماله من حقوق للفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والبائسين والغارمين، فمنهم مَن يمنعها جحوداً وكفراً وطغياناً : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ٨ ﴾[٥] ، ومنهم مَن يمنعها تهاوناً وبُخلاً : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾[٦] ،

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : مسلم البر والصلة برقم (٢٥٨٨) .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٠
(٣) البخارى مع الفتح : ٣/ ٣٠٤ برقم (١٤٤٢) : الزكاة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بهذا اللفظ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٨
(٥) سورة العلق آية : ٦ - ٨
(٦) سورة آل عمران آية : ١٨٠

ومنهم مَن يحتال على منعها فيضع الأموال فى عروض التجارة : أراضى وعقارات .

يبيع ويشترى ويربح ، ويقول إنه نواها للقنية ولم ينوها للتجارة ، يغالط نفسه ويكذب على ربه ، أليس يشترى الأرض بمئة ثم يبيعها بمائتين ؟ ويشترى أخرى ثم يبيعها بضعف ثمنها وهكذا ؟ أليست هذه هى التجارة بعينها ؟

إن عروض التجارة تجب فيها الزكاة ما دامت مُعَدَّة للبيع بالنص المنقول عن النبى ﷺ وخليفته عمر بن الخطاب ؓ : « روى أبو داود بسنده عن سمرة قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نُخرج الزكاة فيما أعِدَّ للبيع » (١)، وروى عن حماس قال : مَرَّ بى عمر بن الخطاب فقال: « أدِّ زكاة مالك » ، فقلت ما لى إلا جعاب وأدم ، فقال : قوِّمها وأدِّ زكاتها »(٢) .

وعروض التجارة مال ، وقد أمر الله المسلمين بالإنفاق من أموالهم ، وهى من رزق الله وقد أمر الله المتقين بالإنفاق مما رزقهم الله (٣) .

فلو أن المسلمين فى جميع أقطار الأرض أخرجوا زكاة أموالهم التى نسمع عن أرقامها فى البنوك والشركات وعروض التجارة ما بقى فقير ، فاتقوا الله أيها المسلمون ، ارحموا مَن فى الأرض يرحمكم مَن فى السماء ، ارحموا أنفسكم وأنقذوها من عذاب الله ، وأعتقوا أنفسكم من سخط الله ، أطيبوا مكسبكم وأدوا زكاة أموالكم ، وارحموا إخوانكم فما زدتم عليهم بعضو من الأعضاء ، ولا تميزتم عنهم بشىء من خلق الله ، كلكم من ذكر وأُنثى ، كلكم نشأ

---

(١) أبو داود : ٢/ ٩٥ برقم (١٥٦٢) باب العروض إذا كانت للتجارة وهو من حديث سمرة بن جندب ؓ وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى :١٤٧/٤ وإسناده صحيح عن طريق الشافعى به عنه .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى عدة مواضع من كتابه الكريم ومنها فى سورة فاطر آية رقم (٢٩) .

ضعيفاً وسيعود ضعيفاً ، وإنما الأرزاق بيد الله يقسمها كيف يشاء لحكم ومصالح يعلمها ، يعطى المال مَن يشاء ابتلاءً واختباراً ليظهر الشاكرُ للنِعَم والجاحدُ لها . ويمنع المال عمن يشاء ليظهر الصابر على البلاء والراضى بقسمة الله . فاتقوا الله كلكم وما فى أيديكم ملك لله ، وارحموا تُرحَموا [١]، إنما يرحم الله من عباده الرحماء[٢]: ﴿ يا أيها الذين آمنـــوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون﴾[٣] .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ اشرح صدورنا للإسلام ، ونَوِّر بصائرنا بالإيمان ، ووفقنا لكل خير وإحسان ، وقنا شُحَّ أنفسنا واجعلنا من عبادك المفلحين .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ : أحمد فى المسند : ١٦٥/٢ وإسناده صحيح .

(٢) إشارة إلى حديث أسامة بن زيد ﵄ : البخارى مع الفتح : ١٥١/٣ وفى الصحيح برقم (١٢٨٤) الجنائز .

(٣) سورة المنافقون الآيات : ٩ - ١١

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعاون على الخير

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ٠٠ أحمده وأستعينه [(١)] ٠

وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ٠

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً ٠

أما بعد ٠٠

فإن الإنسان إذا كان له جار يؤذيه بصوت آلة صنعته ، كان له أن يطالب بإزالة الأذى والضرر عنه ، وكذلك إذا سمع الإنسان ما يؤذيه فى دينه أو يسىء إلى المصالح العامة ، له المطالبة بإزالة الضرر ودفع الخطر ، والحمد لله الذى أقام العدل ونصب ميزان الحق ، وجعل له من عباده أنصاراً وأعوان خير ورشد٠

فلا يخوفكم الشيطان أن تقولوا كلمة حق تدمغون بها كلمة باطل ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾[(٢)] ٠

مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر [(٣)] ، وخذوا على يد السفيه [(٤)] وأطروه على الحق أطراً وأقصروه على الحق قصراً ٠

---

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود ﷺ : أحمد فى المسند برقم (٤١١٦) ، وبرقم (٣٧٢١)، والنسائى فى الصغرى : ٦/ ٨٩:النكاح،وابن ماجه برقم(١٨٩٢) وإسناده صحيح ٠

(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٥

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران آية رقم (١٠٤) ، (١١٠) ٠

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النساء وبمعناها آية رقم (٥) ٠

وصلُّوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير فقال تعالى:
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(١) . . . . الى آخر الدعاء .

* * *

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٨ - الصدقة فى رمضان[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الغنى الحميد [٢] ، واسع الفضل والجود ٠

وأشهد أنْ لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له ، هو الإله الحق المعبود ٠

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صاحب المقام المحمود والحوض المورود [٣] ٠

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الخلود ٠

أما بعد ٠٠

فإن الأيام والليالى خزائنُ للأعمال ، وملفاتُ للأقوال والأفعال ، ففى كل يوم يُفتح لكل إنسان صحيفةٌ جديدة وتُختم بانقضاء ذلك اليوم ٠ وفى كل يوم تُفتح له خزانة وتُغلق بانقضاء ذلك اليوم ٠

وهذه الملفات والخزائن محفوظة فى مكان أمين حصين ، لا يتطرق إليها

---

(١) ألقيت فى٩/٩/١٤٠١ هـ ٠

(٢) إشارة إلى عدة آيات قرآنية ورد فيها هذان الاسـمان الكريمان ومنها سورة إبراهيم آية رقم (٨) ٠

(٣) إشارة إلى حديث الحوض : البخارى برقم (٦٥٧٧) الرقاق ، وهو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، ونحوه مسلم : الطهارة برقم (٣٦) ،(٣٨) ، وهـو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ٠

الغش ولا التدليس ، فلا يُسحب منها شيء ، ولا يُضاف إليها ما ليس منها ، فلا زيادة ولا نقصان ، فإذا مات الإنسان جُمعت هذه الصحائف وجُعلت كتاباً يُعطَى لصاحبه يوم القيامة : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ (١)

فآخذٌ كتابه بيمينه من تلقاء وجهه ، وآخذٌ كتابه بشماله من وراء ظهره ، وليس هناك مجاملات ولا وساطات ولا سمسرة ، ولا غش ولا رشوة ، فلا تغيير ولا تبديل ، ولا يُعطَى كتاب أحد لغيره .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾ (٢) .

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ (٣)

إننى أوجه النداء إلى إخواننا أهل الأموال .

فما أحوج الأغنياء وأهل السعة من المال إلى فهم أوضاع المجتمع وأحوال الناس ، وما أحوجهم إلى معرفة الحقوق الواجبة فى المال ، وما أحوجهم إلى تطهير موارد أموالهم ، وتنظيف مصادر كسبها : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤) .

إن فى المسلمين شباباً فى مستقبل حياتهم حريصون على العِفَّة والحصانة،

(١) سورة الإسراء آية : ١٤
(٢) سورة الانشقاق الآيات : ٧ - ٩
(٣) سورة الانشقاق الآيات : ١٠ - ١٢
(٤) سورة النحل آية: ٧٨

لكن لا يستطيعون طَوْلا أن يتزوجوا ، وفيهم أيتام وأرامل مات عائلهم وتركهم فى ذمة الله ثم فى ذمة المسلمين،وفيهم مدينون بديات فهم رهن الوفاء عنهم ، فى العالَم الإسلامى مستضعَفون ، ومشرَّدون ، ومجاهِدون ، هؤلاء لهم حقوق فى أموال الأغنياء ·

تعال معى أيها الغنى المسلم نتساءل واصدقنى فى الجواب :

السؤال الأول : هل أحصيتَ الأرصدة فى البنوك ، والحركة التجارية ، وعروض التجارة المنقولة وغير المنقولة ، وعرفتَ مقاديرها ؟

لا شك أن الجواب : نعم ، ولو حصل خطأ فى شىء قليل لأعيد الحساب عدة مرات بالآلات والرجال حتى يُعرف الخطأ ·

السؤال الثانى : هل أخرجت زكاة هذا المال وهى ربُع العُشر وصرفتها فى مصارفها المشروعة ؟ (١) ·

الجواب فى قرارة نفسك والله مُطَّلِعٌ على سرك وعلانيتك·

فلو أُخْرِجت زكاة الأموال على وجهها وصُرِفت لمستحقيها لما بقى فينا فقير · فعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ موقوفاً ومرفوعاً قال : إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم ولن يَجْهَد الفقراء إذا جاعوا إلا بما يصنعُ أغنياؤُهم ، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً (٢) ·

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (٦٠) ، وأما قضية رُبع العُشر فإنها قضية متواترة ، انظر البيهقى فى السنن الكبرى : ٤/ ١٣٤

(٢) أورده الإمام الهيثمى فى المجمع : ٣/ ٦٢ وقال : رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط وقال : تفرد به ثابت بن محمد الزاهد ثم قال : قلت : ثابت بن محمد من رجال الصحيح وبقية رجاله وثقوا وفيهم كلام ·

قلت : إسناده جيد ·

إن الزكاة واجبة فى كل مال إلا ما استثناه الشرع[١]، والأوراق النقدية من الأموال التى تجب الزكاة فيها وزكاتها من جنسها. وهل الأخذ والعطاء والحركة التجارية والبيع والشراء والتمول إلا بالأوراق النقدية، والنبى ﷺ أوجب الزكاة فى جميع الأموال ، والأوراق النقدية والفلوس المعدنية أموالٌ فى الاصطلاح الدولى، فهى أموال عُرْفاً واصطلاحا، ولها أرصدة مالية معتمدة دولياً .

إن الزكاة إذا بقيت فى المال ولم تخرج منه أفسدته ، فلا يكون المال طيباً إلا إذا صفى وطهر بإخراج زكاته ، فالزكاة مصفاة للأموال ومطهرة لها [٢] .

وفى إعطاء الزكاة جبر لإخواننا المحتاجين وتقويةٌ لروابط الأُخوة والمحبة بيننا ، وما حصلت المصائب ونقصت الموارد المالية ونُزِعت البركة إلا بسبب منع الزكاة، روى الحاكم حديثاً عن بريدة عن النبى ﷺ وقال : على شرط مسلم قال : قال رسول الله ﷺ :« ما منع قوم الزكاة إلا حُبِس عنهم القَطْر» [٣] ، « وما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين » ورواه الطبرانى[٤].

وروى ابن ماجه والبزَّار والبيهقى من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :« خمس خصال إن ابتليتم بهنَّ ونزلن بكم ، وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، ولم يُنقِصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجَوْر السلطان ، ولم يَمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القَطْر من السماء ولولا البهائم لم يُمطَروا ، ثم نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا

---

(١) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عزاه السيوطى فى الدر المنثور: ٤/ ١٧٧ إلى ابن أبى شيبة وأبى الشيخ ثم ذكر الحديث بطوله وفيه هذا اللفظ .

(٢) الترغيب : ١/ ٥٤٣ وعزاه للحاكم البيهقى والطبرانى فى الأوسط .

(٣) الترغيب والترهيب: ١/ ٥٤٣ برقم (٢٠) بمعناه ، أورده الهيثمى فى المجمع : ٣/ ٦٥ وفيه هذا اللفظ وزيادة ، وقال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الكبير وفيه إسحـــاق ابن عبد الله بن كيسان المروزى ، ليَّنه الحاكم وبقية رجاله موثقون ..

(٤) هذا هو الحديث بلفظه الطويل : المجمع : ٣/ ٦٥ وإسناده حسن مع الشواهد وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

سَلَّط الله عليهم عدواً من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جُعلِ بأسُهم بينهم » ، واللفظ هذا للبيهقى [(١)] .

انظروا أيها المسلمون إلى واقع الحال تروا مصداق ما أخبر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ألا تسمعون عن الأمراض المستعصية ؟ إنها أمراض حدثت بسبب الفواحش .

ألا ترون الحرائق والفيضانات والتأميمات التى تسحق الأموال وسائر الجوائح والمصائب المالية ؟ كلها بسبب منع الزكاة ، وكلها عقوبات .

﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ [(٢)].

فاتقوا الله .. أطيبوا مكاسبكم وأدوا الحقوق الواجبة فى أموالكم :

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [(٣)]

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ [(٤)]

«ما نقصت صدقة من مال شيئاً ، وما زاد الله عبداً بتواضع إلا رفعة »[(٥)] .

اللَّهُمَّ بارك لنا ونَفِّعْنا بالقرآن ، وثَبِّتْ قلوبنا على التقوى والإيمان ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا يا رحمن ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) الترغيب والترهيب : ١/٥٤٣ وهذا لفظ ابن ماجه أيضاً إذ أخرجه فى كتاب الفتن باب (٢٢) وحديث رقم (٤٠١٩) وهو من حديث عبد الله بن عمر ﷺ وقال المعلق فى الزوائد (٢/١٣٣٣) : هذا حديث صالح للعمل به وقد اختلفوا فى ابن أبى مالك وأبيه .

قلت : هو خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبى مالك قال عنه الحافظ فى التقريب (١/٨٩) : وقد ينسب إلى جده، ضعيف مع كونه فقيهاً ، مات سنة ١٥٨ هـ

(٢) سورة الأنفال آية : ٢٥

(٣) سورة البقرة آية : ٢٦١

(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٥

(٥) مسلم فى الصحيح : البر والصلة برقم (٢٥٨٨) عام باب : استحباب العفو والتواضع وذلك من حديث أبى هريرة ﷺ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الزكاة حق للفقراء

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الواحد القهَّار(١)

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ألا هو العزيز الغفَّار

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الزكاة ركن من أركان الإسلام ، لا يتم إسلام المرء إلا بأدائها ، عزمة من عزمات ربنا وأمر من أوامر نبينا محمد ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾(٢) .

﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وصل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم ﴾(٣) .

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ ﴾(٤) .

﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾(٥).

---

(١) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة الزمر آية رقم(٤) وسورة غافر (١٦) .
(٢) سورة البينة آية : ٥
(٣) سورة التوبة آية ١٠٣
(٤) سورة المعارج الآيات : ١٩ - ٢٥
(٥) سورة المؤمنون الآيات : ١ - ٤

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُنِىَ الإسلام على خمس : شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان »[١] .

وعن ابن عمر فى الصحيحين أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة .. فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام »[٢] .

وقال أبو بكر الصِدِّيق رضي الله عنه : واللهِ لأُقاتلنَّ مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، واللهِ لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . (متفق عليه)[٣] .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. أدوا زكاة أموالكم وتحروا المحتاجين المتعففين الذين ليس لهم غِنًى يغنيهم ، ولا يُفطن لهم فيُتصدق عليهم ، ولا يسألون الناس إلحافاً[٤] .. فهذا هو المسكين .

وصلُّوا على الرسول الكريم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[٥] .

* * *

(١) البخارى مع الفتح : ١/ ٤٧ الإيمان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، ونحوه مسلم برقم (١٦) : بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام .

(٢) البخارى : ٣/ ٢١١ باب وجوب الزكاة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، ونحوه مسلم : الإيمان برقم (٢١) باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله .

(٣) البخارى مع الفتح : ٣/ ٢٦٢ وفى الصحيح برقم (١٤٠٠) الزكاة الباب (١) من حديث أبى بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، ونحوه مسلم فى الصحيح : الإيمان ، برقم (٣٣) خاص وعام (٢٠) وفيه : « عقالاً » ، وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ..

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢٧٣) .

(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٦

القســـم الثالث

كتاب الصيـــــام

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٩ - استقبال شهر رمضان[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذى هدانا للإسلام ، ﴿وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾[٢] .

وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ،

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون ، يا أُمة محمد صلى الله عليه وسلم .. إن الله تعالى قد أكرمكم ، وتفضَّل عليكم ، خصَّكم بخصائص فلا تهملوها ، وتفضَّل عليكم بفضائل فلا تضيعوها . قد أقبل علينا موسم من مواسم الخير وميدانٌ يتسابق فيه المتسابقون ، فلم يبق على شهر صومنا إلا بضعة أيام : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ﴾[٣]

كان السَّلَف الصالح يسألون الله ستة أشهر أن يُبَلِّغهم رمضان ، فإذا بلَّغهم إياه سألوه ستة أشهر أن يتقبل منهم .

(١) ألقيت فى ١٣٩٨/٨/٢٣ هـ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٤٣

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٥

فاسألوا الله تعالى أن يبلغكم شهر صومكم ، واستقبلوه بالنية الصالحة والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه ، فكم من مسلم طموح إلى الخير تمنى أن يدرك شهر رمضان ليجتهد فيه بأنواع العبادات فأدركه الأجلُ قبلَ ذلك .
واغتنموا الصحة والقُدرة على العمل ، فكم من مسلم يتمنى أن يصوم رمضان ويقوم ليله فلا يستطيع لمرض يمنعه. واشكروا نعمة ربكم أن هداكم للإسلام ، فكم من إنسان استحوذ عليه الشيطانُ فهو فى الأرض حيران . واشكروا نعمة الأمن والاستقرار تؤدون شعائر دينكم فى بيوت الله بعزٍّ وافتخار ، فكم من مسلم تفيض عينه من الدمع حزنًا ألا يستطيع الوصول إلى بيت الله .

وكم من إنسان استحوذت عليه شهواته وجعلته فى غفله ونسيان يقول إنه مسلم ولا يؤدى شعائر الإسلام ، فاشكروا نعمة الله عليكم واجتهدوا فى طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، وخذوا من صحتكم لمرضكم ، ومن غناكم لفقركم ، ومن شبابكم لهرمكم ، ومن حياتكم لموتكم(١) ، ومن فراغكم لشغلكم .

أيها المؤمنون .. إن شهر رمضان له ميزة على سائر الشهور ، ولياليه لها فضل على سائر الليالى ، فهو شهر الله فرض عليكم صيامه(٢) ، وسنَّ لكم رسوله ﷺ قيامه(٣) ، مَن صامه إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تَقدَّم من ذنبه(٤) ،

---

(١) إشارة إلى حديث محمد بن عمرو رضي الله عنه: البخارى برقم (٦٤١٦) الرقاق ، الباب الثالث : قول النبى ﷺ : «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » ، وقد رواه عن شيخه على بن عبد الله المدينى ثم ذكر الإسناد والمتن وفيه هذا اللفظ المبارك فزاد: « خذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٨٥) .

(٣) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : ابن ماجه برقم (١٣٢٨) كتاب إقامة الصلاة باب(١٧٣) وإسناده صحيح ، وأخرجه أحمد فى المسند : ١ / ١٩١ ، ١/ ١٩٥

(٤) البخارى : ٤ / ٢٢١ : التراويح ، وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، ومسلم فى الصحيح برقم (٧٦٠) .

ومَن قامه إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه[(١)] ، شهر الخير والبركة : تُضاعَف فيه الحسنات ، وتُغفر فيه السيئات ، وتُقال فيه العثرات[(٢)] ، وتُرفع فيه الدرجات ، وتُفَتَّح فيه أبواب الجنَّة[(٣)] ، وتُغلق فيه أبواب النار ، وتُصَفَّد فيه مَرَدة الشياطين[(٤)] .

شهر التعاطف والتراحم ، شهر الإحسان إلى الأيتام والمساكين . فاستقبلوا شهركم بالبشر والاشتياق ، واقدُروه قدرهُ بالنية والاحتساب ، وأكرموا ضيافته فإنه ضيف كريم خفيف الظل سيصل عن قريب ويرحل عن قريب ، إنه أيام معدودات يمر كما مَرَّ فى الأعوام الماضية ، فطهِّروا أنفسكم من الغل والحقد والحسد ، وطهِّروا صحائفكم بالتوبة النصوح ، واستقبلوه بنفوس طاهرة زكية ، وبصحائف بيضاء نقية ، واسألوا ربكم الهداية والتوفيق والسداد .

﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[(٥)] .

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ

---

(١) البخارى مع الفتح : ١ / ٨٥ فى الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، ونحوه مسلم برقم (٧٥٩) .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى : ٤/ ٨٧ ، ٤/ ٩٤ باب : فضل الصوم ، ونحوه مسلم برقم (١١٥١) عام وخاص (١٦٤) .

(٣) البخارى : ٤/ ٩٦ ، ٤/ ٩٧ باب : هل يقال رمضان أو شهر رمضان ؟ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٤) الترمذى فى جامعه برقم (٦٨٢) ، وابن ماجه برقم (١٦٤٢) ، والحاكم برقم (٤٢١) ورجاله ثقات .

(٥) سورة المنافقون آية : ٩

إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُـرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[١] .

اللَّهُمَّ بارك فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيـه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ بلِّغنا رمضان ووفقنا لصيامه وقيامه ، وأعِنَّا على شكرك وذِكرك وحسن عِبادتك[٢] .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الحديد آية : ٢٠ - ٢١ .

(٢) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل ﷺ : أحمد فى المسند : ٢/ ٢٩٩ وإسناده صحيح، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور : ١ / ٣٦٩ إلى أحمد ، وأبو داود والنسائى عن معاذ بن جبل ﷺ ثم ذكر لفظ الحديث .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رمضان شهر خير بالمسلمين وشر بالمنافقين

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[(١)] .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله ‥ كلمةً أرجو بها الفوز والنجاة والأمن يوم نلقاه .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ‥

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وخير الهَدْى هَدْىُ نبينا محمد ﷺ ، وشر الأُمور محدثاتها ، وكل مُحدَثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار[(٢)] .

عباد الله ‥ أظلَّكم شهركم ما مَرَّ بالمسلمين شهر خير منه ولا مَرَّ بالمنافقين شهر شر عليهم منه ، إن الله تعالى ليكتب أجره ونوافله قبل أن يدخله ، ويكتب إصره وشقاءه قبل أن يدخله . وذلك أن المؤمن يَعُد فيه القوت من النفقة للعبادة ، ويَعُد فيه المنافق اتبـاع غفلات المؤمنين واتباع عَوْراتهم ، فهو غُنم يغنمه المؤمن وشاهد له ، وحسرة على المنافق وشاهد عليه .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) حديث أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى وأحمد فى المسند وابن ماجه من طريق جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جابر به - قاله الحافظ فى الفتح : ١٠ / ٥١١

فاتقوا الله أيها الناس ، وعَظِّموا شهر الله ، واحفظوا حدود الله .

﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾[1]

وصلُّوا على البشير النذير ....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[2] .... الى آخر الدعاء .

* * *

(١) سورة الحج آية : ٣٢

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٠ - المسابقة إلى الخير فى شهر رمضان (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾(٢) .. جعل أُصول العبادات أركانًا للدين .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحبُّ العبادات إليه ما كان بعيدًا عن شوائب الرياء(٣) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، ما ترك خيرًا إلاَّ دلَّ أُمته عليه ورغَّبها فيه ، ولا ترك شيئاً فيه شر أو ضرر إلا حذَّر أُمَّته منه(٤) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن الله جَلَّ شأنه خَصَّ أُمَّة محمد ﷺ بخصائص ، وفضَّلها على الأُمم قَبلها بفضائل ، وفتح لها أبواب الخير ويسَّر لها طريق السعادة . وجعلها خير أُمَّة أُخرجت للناس(٥) ، وَسَطاً فى كل الأُمور(٦) . وجعل لها مواسم

(١) ألقيت فى ٢٦/٨/١٤١٠ هـ

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الزمر آية رقم (٢) : ﴿ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ﴾ . والأحاديث فى ذم الرياء كثيرة جداً وهو الشِّرك الأصغر .

(٤) إشارة إلى خطبة النبى ﷺ يوم حجة الوداع من حديث جابر الطويل : مسلم فى الصحيح : الحج حديث رقم (١٤٧) خاص وعام (١٢١٨) وفيه هذا المعنى .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران آية رقم (١١٠) .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٤٣) .

للحسنات ، وميدان سباق إلى الدرجات ، فأكثر الناس يتسابقون فى ميدان الاقتصاد وتنمية الأموال،والربح غير مضمون فقد تربح التجارة وقد لا تربح ·

أما المسابقة إلى الله وإلى الدار الآخرة بالأعمال الصالحة ، فإن رِبحها مضمونٌ ، وأى ربح أعظم من جَعْلِ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف إلى أضعاف كثيرة(١) ·

والأُمة الإسلامية فى جميع أقطار الأرض تستقبل بكل تَشَوقٌ وبكل فخر واعتزاز شهرها المفضَّل ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾(٢) ·

كيف لا تكون كذلك وهذا الشهر من خصوصياتها ، ومن إحسان الله عليها · وحُقَّ لأُمة محمد ﷺ أن تفرَح بشهر الصيام ، فهو الشهر الذى أنَارَ الله فيه الدنيا برسالة محمد ﷺ(٣) وكشف بها غشاوة الجهالة ، وأزال بها الظلمة والعنصرية والكفر ، وجعل مكانها العدل والأُخوة والإيمان ·

حُقَّ لأُمة الإسلام أن تفرح بهذا الشهر وأن تلتزم بحقوقه وتعظيم أيامه ولياليه ، فكان فيه يَوْم الفرقان الذى فرق الله به بين الحق والباطل ، وبين الكفر والإيمان ، وبين العدل والظلم ، وبين العقل والسفاهة ، وبين العلم والجهالة ، وبين الحرية والعبودية لغير الله ·

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه البخارى : ٤/ ٨٧ ، ٤/ ٩٤ فى الصيام ، ومسلم فى الصحيح برقم (١١٥١) عام وخاص (١٦٢) ·

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٥

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه : البخارى برقم (٤٣٣٠) فى المغازى باب (٥٦) · وفيه خطابه عليه الصلاة والسلام للأنصار : « ألم أجدكم ضلالاً ··» ، ونحوه مسلم : الزكاة حديث رقم (١٣٩) من هذا الوجه واللفظ، وأحمد فى المسند : ٣/ ٥٧، ٣ / ٧٦

حُقَّ للأُمة الإسلامية أن تستقبل شهرها بالفرح والسرور ، ففيه حصل الفتح الأكبر ودخل الناس فى دين الله أفواجاً [(١)] .

لقد كانت حياةُ الصفوة المُطَهَّر ﷺ فى رمضان وأصحابه حياة جهاد وكفاح ودعوة إلى الله وتنظيم لشئون الحياة وإصلاحِ البَشَر وإسعادِ الأُمة[(٢)] وإنقاذِها من النار ، ودعوة الناس إلى طريق النجاة · تَهَجُدٌ فى الليل وعَمَلٌ وكفاح فى النهار ، فلم تكن حياتُهم نوماً وكسلاً وخمولاً ، ولا سهراً على المسليات والمضحكات ·

كان السَّلَف الصالح يسألون الله ستة أشهر أن يُبَلِّغهم رمضان[(٣)] ، فإذا صاموه واجتهدوا فى العبادة سألوا الله ستة أشهر أن يتقبل منهم ، فاستَقْبِلوا شهركم بالنِيَّة الصالحة والعزيمة الصادقة

تذكروا مجموعة من إخواننا الذين كانوا معنا فى العام الماضى ينتظرون

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النصر الآيات (١ - ٣) ·

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها : البخارى برقم (٢٠٢٤) : فضل ليلة القدر باب (٥) : العمل فى العشر الأواخر من رمضان وفيه: « إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله » ، ونحوه مسلم فى الصحيح : الاعتكاف حديث رقم (٥) وما أشار إليه فضيلة الخطيب وفقه الله تعالى فيه أحاديث كثيرة جداً ومنها غزوة بدر الكبرى كانت فى رمضان، وهو ساع عليه الصلاة والسلام بكل جد ونشاط فى بث الدعوة الإسلامية وإبلاغ رسالة الله تعالى ·

(٣) إليه أشار الحديث وهو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أشار إليه وعزاه السيوطى فى الدر المنثور : ١ / ٤٤٤ إلى البزَّار والطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى فى شُعَب الإيمان وضعَّفه عن أنس، ثم ذكر لفظه أن النبى ﷺ كان إذا دخل رجب قال : «اللَّهُمَّ بارك لنا فى رجب وشعبان وبَلِّغنا رمضان »·

قلت : أورده العلامة الهيثمى فى المجمع : ٣ / ١٤٠ وقال : وفيه زائدة بن أبى الرقاد وفيه كلام وقد وثق ·· قلت : أخرجه الطبرانى فى الأوسط كما فى زوائد المعجمين : ٣ / ٩٥ برقم (١٤٨٦) وفى إسناده زياد بن عبد الله النميرى البصرى · قال الحافظ فى التقريب : ضعيف من الخامسة ·· والمعنى صحيح إن شاء الله تعالى وقد يغتفر الحديث فى فضائل الأعمال ، والله أعلم

شهر الخير والبركة ، انتهت آجالهم وانقطعت أعمالهم وصاروا إلى صِقع من الأرض ليس معهم إلا أعمالهم ، وما تركوا لأنفسهم بعدهم إلا صدقةً جارية أو علماً يُنتفع به ، أو ولداً صالحاً يدعو لهم . ونحن إلى ما صاروا إليه صائرون . فتداركوا الأمر قبل فواته ، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (١)

إن الهداية والاستقامة هى أعظم النِعَم وأجلُّها ، فاشكروا ربكم إذ هداكم للإسلام ، فكم من إنسان استحوذ عليه الشيطان فلم يؤمن برسوله محمد صلى الله عليه وسلم (٢) ، وكم من إنسان كفورٍ مغرورٍ لا يعلم مَنْ خلَقه ، ولا إلى أين يذهب ، ولا يعرف حَلالاً ولا حرامًا .

وأنتم قد مَنَّ الله عليكم بالإيمان وباتباع سيد الأنام محمد ﷺ ، تَسيرون على منهج الإسلام ، تناجون ربكم ويستجيب لكم ، تُحِلُّون ما أحلَّ الله لكم وتُحرِّمون ما حرَّم عليكم ، والناس فى ضياع ومتاهة : ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٣) ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾(٤) .

فاشكروا نعمة الله عليكم، واجتهدوا فى طاعة ربكم، وخذوا من صحتكم لمرضكم، ومن غناكم لفقركم، ومن شبابكم لهرمكم، ومن حياتكم لموتكم(٥) .

إن شهر رمضان له ميزات على بقية الشهور ، فهو شهر الله فرض عليكم

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٣

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المجادلة آية رقم (١٩) .

(٣) سورة الفرقان آية : ٤٤

(٤) سورة الأعراف آية: ١٧٩

(٥) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : البخارى برقم (٦٤١٦) الرقاق الباب(٣) : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » .

صيامه ، وسنَّ لكم رسول الله ﷺ قيامه[١] . منَ صامه إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه[٢] . شهر الخير والبركة تُضاعَف فيه الحسنات وتُحَط فيه السيئات وتُقال فيه العثرات[٣] وتُرفع فيه الدرجات ، تُفتَّح فيه أبواب الجنَّة وتُغلق فيه أبواب النار، وتصَفَّد فيِه مردَة الشياطين[٤] .

إنه ضَيْفٌ خفيف الظل كثير الخير ، فاستقبلوه بالعزم الصادق على أداء حقوقه ، والانتفاع بخيراته .

أكرموا ضيافته واحتَرموا أيامه ولياليه ، وأَرُوا الله فيه ما يرضى به عنكم، فإنه متى دخل الشهر أسرع فى المرور فهو أيام قلائل مُعدودات يمر مسرعاً كالأعوام الماضية ، ولا تنسوا أن لكم فى الصيام مصالح دينية ودنيوية ومقاصد شرعية ، ففيه فطام النفس عن الملذَّات وتزكيتها ورفعها عن مشابهة الحيوانات ، وتضييقُ مجرى الشيطان من الإنسان فلا يسترسل مع هوى نفسه ورغبتها . وفيه تذكير الأغنياء بحال إخوانهم الفقراء وحماية الجسد من الأخلاط الرديئة والرواسب الفاسدة ، ففى الصيام صحة البدن وسمو النفس وعلو الإرادة ، وتغلبُ النفس المطمئنة على النفس الأمَّارة بالسوء . فليس شهر رمضان موسم أكل وشرب ولا تحميل الجهاز الهضمى ما لا يطيق ، ولا تضييق

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٨٣) ، وأما مشروعية قيام رمضام فقد أخرجه ابن ماجه والنسائى فى سننيهما والإمام أحمد فى المسند (١٩١) وإسناده صحيح وأنه فرضه علينا قيام رمضان .

(٢) إنه حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى مع الفتح : ١ / ٨٥ : الإيمان ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم (٧٥٩) .

(٣) حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى : ٤/ ٨٧ ، ٤/ ٩٤ باب فضل الصوم ، ومسلم برقم (١١٥١) .

(٤) الترمذى فى جامعه (٦٨٢) ، وابن ماجه برقم (١٦٤٢) ، والحاكم : ٤٢١/١ . كلهم من حديث أبى هريرة ﷺ ، ومسلم : الصيام برقم (٢٠١) .

البطن بما يضر ولا ينفع ، وإنما هو موسم عبادة ومناجاة لله وعطفٍ وإحسان ، وبرٍّ وإصلاح، وتآخي وتعارف ، وتعاون على البرِّ والتقوى[١] .

لقد أقبل كثير من الناس في هذه الأيام على أماكن البيع بالجملة ويَصْدرون ، سيارات مشحونة بأنواع المأكولات والمشروبات والمُكسَّرات والمشهِّيات . كل ذلك استعداداً لرمضان . مسكين رمضان حُمِّلَ ما لا يطيق ، وأُضيف إليه ما لا يرغب . لا يريد رمضان الإكثار من الأكل والشرب بعد الإفطار والنومَ ساعة الصيام ، إنما يريد تخفيف الوزن ، وإزالة الغشاوة عن القلب ، وتقليلَ النوم وإكثار الصلاة ، وتلاوةَ القرآن والذكر والتسبيح والاستغفار ، والكلمةَ الطيبةَ والمعروفَ المبذول والإحسان إلى خلق الله ، وكَفَّ الأذى[٢] ، وبذل الندى .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[٣] اللَّهُمَّ بارك في القرآن وانفعنا بما فيه من الذكر والبيان ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المائدة آية رقم (٢) .

(٢) إشارة إلى حديث أبي سعيد الخدري ﷺ البخاري : المظالم ، باب (٢٢) وحديث رقم (٢٤٦٥) في هذا المعنى ، ونحوه مسلم في الصحيح : اللباس حديث رقم (١١٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٣) سورة البقرة الآيات : ١٨٣ ـ ١٨٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آية الصيام عالجت دوافع النفس

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم ﴾[١] .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، خَلَقَ فقدَّر ، وشرَّع فيسَّر ، فله الحمد والمنَّة ، لا نُحصى ثناءً عليه[٢] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣]

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد . .

فإن آية الصيام فى سورة البقرة تقع بين جملة من التشريعات التى تُنظِّم المجتمع المسلم ، وترسم واجبه تجاه الآخرين ، وتُحذِّر المسلمين من دسائس أعدائهم ومن مصائد العدو المبين إبليس أعاذنا الله منه أجمعين ، فالمسلم دائماً فى كفاح وجهاد، والجهاد يتطلب الصبر والتحمل والجَلَد .

وإذا تأملنا آية الصيام وجدناها ترسم منهج الإسلام فى التشريع واتسامه باليُسر والسهولة .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢ - ٣

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها : مسلم فى الصحيح حديث رقم (٢٢٢)

(٣) سورة التوبة آية : ١٢٨

وتبيِّن سياسة القرآن فى معالجة النفس البَشَرية وإنقاذها من عبودية الشهوات .

وتُرشد المسلم إلى ما فيه الخيرُ وتزكيةُ النفس وصحة البَدن وتقويم السلوك ، وتنظيمُ حياة الأُسرة فى ليالى رمضان ، وتوضِّحُ نظام الإســلام فى الذكريات الإسلامية ، وهى الاقتداء والتأسى ، لا بالحفلات والتجمعات والأناشيد التى لم يؤذن بها الله ولا رسوله ﷺ .

فاتقوا الله أيها المسلمون . راقبوا ربكم ، صَلُّوا خمسكم ، وصوموا شهركم[1] ، وأطيعوا ذا أمركم[2] ، وأصلحوا ذات بينكم تدخلوا جنَّة ربكم .

وصَـلُّو على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3] .

* * *

(١) إشارة إلى حديث أبى أمامة رضي الله عنه : أحمد فى المسند : ٥ / ٢٥١ ، ٥/ ٢٦٢ وإسناده صحيح .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النساء آية رقم (٥٩) .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣١ - تحرّى رؤية هلال شهر رمضان[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله ﴿ الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ﴾[٢] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له . . ﴿ جعل فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾[٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فإنَّ من محاسن دين الإسلام وسماحته ويُسره أن جعل لعباداته المحدودة بزمن ، ولأحكامه وعقوده المتعلقة بتوقيت ، جعل لها توقيتًا له علاماتٌ ظاهرةٌ[٤] تُرى بالأبصار . علاماتٌ كونية غير خاضعة للأهواء والرغبات ، ولا تحتاج إلى قراءة وكتابة ، ولا تتطلب تكلفًا ومشقة وعناء . وهى الأشهر القمرية ، فأوله يبدو الهلال فى المغـــرب ضعيفًا كالعرجون القديم ، ثمَّ يكبر

---

(١) ألقيت فى ٢٠/٨/١٣٩٧ هـ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الفتح آية رقم (٢٨) ، وسورة الصف آية رقم (٩) .

(٣) سورة الفرقان آية : ٦١

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النحل آية رقم (١٦) .

شيئًا فشيئًا كل يوم حتى يكون قمرًا كاملاً فى منتصف الشهر ، ثم يأخذ فى النقص حتى يعود كما كان ويختفى فى نهاية الشهر : ﴿ يسألونك عن الأهلة ، قل هى مواقيت للناس والحج ﴾[١] ، ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[٢] .

من رحمة الله بعباده جعل هذه الأشهر علامات ظاهرة يشاهدها ويعرفها الحاضر والباد ، والمتعلم والأُمِّى .. جعلها مواقيت للناس فى عباداتهم ومعاملاتهم : مواقيت للحج[٣] والصوم والفِطْر والأضحى والنحر ، والعِدَد والرضاعة والحمل ، والعقود المحددة بزمن ، فلم يُكلِّف الخالقُ تعالى عبادَه بمعرفة الحساب والتعمق فيه .

ولم يُكلِّفهم بإيجاد مراصد وأبحاث فنيين ونفقات وطول زمن ، وإنما قال صلى الله عليه وسلم : « الشهر هكذا وهكذا وهكذا » - يشير بأصابع يديه فَعَدَّ ثلاثين ، « وهكذا وهكذا وهكذا » - يشير بها وقبض الإبهام فى الثالثة ، فَعَدَّ تسعةً وعشرين . يشير بذلك - والله أعلم - إلى أن الشهر تارة يكون ثلاثين يومًا ، وتارة يكون تسعة وعشرين يومًا[٤] .

وقال ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العِدَّة »[٥] .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٩

(٢) سورة يس آية : ٣٩

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٨٩) .

(٤) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما : البخارى : ٤/ ١٠٨ - ١٠٩ ، ومسلم برقم (١٠٨٠) .

(٥) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما : البخارى : ٤ / ١٠٤ - ١٠٥ ، ومسلم (١٠٨٠) من هذا الوجه واللفظ .

فالصوم لا يكون إلا برؤية الهلال أو إكمال عِدَّة شعبان ثلاثين يومًا ، ولا يفطرون إلا إذا رأوا الهلال ليلة ثلاثين أو إكمال رمضان ثلاثين يومًا ·

فالأشهر القمرية هى التوقيت الإسلامى الشرعى الذى اختاره الله لعباده فى عباداتهم وأُمور دينهم ودنياهم ، فلا ينبغى للأُمة الإسلامية أن تهجر تاريخاً تتعلق به مصالح دينهم ودنياهم · كما أنه لا يسوغ للأُمة العربية أن تنصرف عن لغتها التى نزل بها القرآن ، ونطق بها رسـول الهدى والإصلاح محمد صلى الله عليه وسلم ·

وإذا كان لا بد فينبغى أن يكون التاريخُ الهجرى ومعه اللُّغة العربية فى المقدمة ، ويتعلم اللُّغة الأجنبية ويحافظ على العربية ·

عباد الله ·· لقد أقبل علينا موسم من مواسم الخير والبركة ، شهرٌ أوجب الله تعالى صيامه وجعله ركنًا من أركان الإسلام ، فلا تصلحُ الصلاة والزكاة والحج وسائر العبادات إلا بصيام شهر رمضان[١] ، إنه لم يبق على شهر صومنا إلا أيام تُعَد بالأصابع ، فاستقبلوه بالفرح والبِشْر والاشتياق، وتطلَّعوا لقدومه ، وتحروا رؤية هلاله وأخلصوا النيَّة واصدقوا العزم على صيامه وقيامه واحترامه ، واسألوا الله أن يُبَلِّغنا إياه ·

فإن الإنسان لا يدرى هل يدركُه أم تأخذه المنيَّة قبل ذلك ، وإن أدركه فلا يدرى هل يقدر على صومه أم تدركه الأعراض وتحول بينه وبين صيامه ، إنه شهر فضَّله الله على سائر الشهور : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النساء آية رقم (١٥٠) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ······ الآية ·

القرآن﴾[١] ، ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة مباركة ﴾[٢] ، ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر﴾[٣] .. فاستقبلوه بعزيمة صادقة ونِيَّة صالحة ولا تقدموه بصوم يوم من شعبان[٤] ، يقول المرء : إن كان من رمضـــان فبها ، وإلا فهو تطوع منه ، فإنَّ مَن صام يوم الشك - وهو يوم الثلاثين من شعبان - فقد عصى أبا القاسم ﷺ .

كما أخبر بذلك عمَّار بن ياسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« مَن صام اليوم الذى يُشَك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ »[٥] ، ولقوله ﷺ : « الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه ، فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدَّة ثلاثين »[٦] .

فاتقوا الله عباد الله .. استقبلوا شهر صومكم وأكرموا نُزُله وأحسنوا ضيافته فإنه ضيف عابر سبيل ، سينزل بكم قريبًا وسيرحل عنكم قريباً .

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٥

(٢) سورة الدخان آية رقم (٣) وتمامها : ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ .

(٣) سورة القدر الآيات ١ - ٣

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى : ٤/ ١٩٠ فى الصيام باب : لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين ، ومسلم فى الصحيح برقم (١٠٨٢) الصيام .

(٥) إشارة إلى حديث عمَّار بن ياسر رضي الله عنه : أبو داود فى السنن برقم (٢٣٣٤)، والترمذى فى جامعه برقم (٦٨٦) ، والنسائى فى السنن الصغرى : ٤/ ١٥٣ ، والمشكاة : ١ / ٦١٨ وإسناده صحيح .

(٦) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : مسلم فى الصحيح برقم (١٠٨١) . وقد رواه البخارى فى الصحيح : ٤/ ١٠٦ بلفظ : « فأكملوا عِدَّة شعبان ثلاثين .... » .

(٧) سورة آل عمران آية : ١٣٣

فخذوا من صحتكم لمرضكم ومن أمنكم لخوفكم ، ومن غناكم لفقركم، ومن شبابكم لهرمكم ، ومن حياتكم لموتكم[١] .

تَعرَّضوا لنفحات رب العالمين ، وقفوا عند باب الجوَّاد الكريم ، وتضرَّعوا إلى الرؤوف الرحيم ، والتمسوا طرق النجاة ، وخذوا بأسباب السلامة ، واسألوا الله التوفيق والإعانة ، فإنه ولى ذلك وحده والقادر عليه .

اللَّهُمَّ ألهمنا رُشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا[٢] .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى شعبان ، وسلِّمنا رمضان[٣] ، ووفقنا وأعِنَّا على صيامه وقيامه ، وتقبله منا واجعلنا من عتقائك من النار ، واسلك بنا طريق الأبرار .

واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : البخارى برقم (٦٤١٦) الرقاق ، الباب الثالث باب قول النبى ﷺ : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » ثم أخرجه .

(٢) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه : أخرجه النسائى فى السنن الصغرى ، والترمذى فى جامعه ، وابن ماجه فى سننه ، النكاح : الباب التاسع عشر ، حديث رقم (١٨٩٢) بسياق طويل وقد عقد عليه الباب قائلا : باب خطبة النكاح : وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه : أخرجه أحمد فى المسند : ٢٥٩/١ وإسناده جيد .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصيام أبعد الطاعات عن الرياء

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الكريم المنَّان ، واسع الفضل والإحسان ·

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ·

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليمًا كثيرًا ·

أما بعد ··

فإن الصيام عبادة بدنية روحية ، قد تعبَّد الله بها الأُمم التى قبلنا ·· يُهَذِّب النفوس ، ويُطَهِّر الأبدان ، ويُرقِّق الطباع ، ويُزَكِّى الأرواح · وهو من أفضل الأعمال التى تُقَرِّب إلى الله تعالى ، لأنه عمل خفى بين العبد وربه(١) ، فهو أبعد الطاعات عن الرياء ، وأقرب للإخلاص والاحتساب · لذلك ورد فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : « يقول الله تعالى : كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها ، إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، للصائم فرحتان : فرحة عند فِطْره ، وفرحة عند لقاء ربه »(٢) ·

وقد خَصَّ تعالى أُمَّة محمد ﷺ بشهر رمضان لما فيه من الخير والفضل

---

(١) إشارة إلى حديث يأتى فى الرقم الثانى فليُنظر ·

(٢) أخرجه البخارى رضي الله عنه فى الصحيح : ٤ / ٨٧ باب : فضل الصوم وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، ومسلم فى الصحيح باب : فضل الصيام برقم (١١٥١) عام وخاص (١٦٤) ·

على سائر الشهور ، ليحصل لها فضيلة الوقت وفضيلة الزمن ، وهنيئًا لمن جمع بينهما وبين فضيلة المكان . فمَن أدَّى فريضة فى شهر رمضان كان كمَن أدَّى سبعين فريضة فيما سواه[١] . ومَن أدَّى فيه خصلة من خصال الخير كان كمَن أدَّى فريضة فيما سواه[٢] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[٣]

وأكثروا من ذكر الله وتلاوة القرآن ، والصلاة على سيد الأنام .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[٤] .

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث سلمان الفارسى رضي الله عنه : ابن خزيمة فى الصحيح برقم (١٨٨٧) باب رقم(٨) فى فضائل رمضان إن صح الخبر ، هكذا عقد ابن خزيمة الباب وفى إسناده على بن زيد بن جدعان قال الحافظ فى التقريب (١ / ٣٧) : ضعيف من الرابعة .

قلت : وللحديث شواهد كثيرة جداً ومنها حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى : ٤/ ٨٧ .

(٢) هو نفس هذا الحديث الذى مضى الآن وهو من حديث سلمان الفارسى رضي الله عنه وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ١ / ٤٤٦ - ٤٤٧ إلى ابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقى والخطيب والأصبهانى فى الترغيب وفى إسناده ضعف .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٣٣

(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٢ - الصيام يحث على التقوى[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الكريم المنَّان . . واسعِ الفضل والإحسان .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، أكرم أُمَّة محمد ﷺ بشهر رمضان.

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خير مَن صلَّى وصام ، وحج البيت الحرام .

صلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحـــابه نجوم الهدى ومصابيح الظلام.

أما بعد . .

فإنَّ الإنسان خُلِق لأداء رسالة شريفة عالية هى دوره فى هذه الأرض لأداء الواجب الذى خُلِقَ من أجله ، واختيار الحياة الكريمة الرضية السعيدة فى الدار الآخرة : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[٢] ، ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[٣] .

---

(١) ألقيت فى ١٣٩٨/٨/٣٠ هـ

(٢) سورة الذاريات آية : ٥٦

(٣) سورة النازعات الآيات : ٣٧ - ٤١

ولما كان الإنسان واجبه أشرف واجب ، ومسئوليته أعظم مسئولية ، أُعطى العقل والفهم والإدراك ، واستقلال الإرادة والاختيار فى إطارحياة منظَّمة مرسومة ، ولما كانت الاهداف التى يتجه إليها الإنسان فى تنفيذ واجبه وأداء رسالته هى أفضل المقاصد وأعلى المطالب ، إذ هى رضا رب العالمين ، والخلودُ فى جنَّات النعيم ، خوطب بالأمر والنهى والتكليف .

ومن أجل تحريك الإرادة فى الإنسان واستعمال العقل الذى فُضِّل به على العالمين، جُعِل الطريقُ الذى يسلكه محفوفاً بالعقبات والأشواك والشهوات والمغريات،ليتخطاها بإرادته ورغبتـــه وصبره ، حتى يصل إلى المقصد الأسمى، وجُعِل الشيطان على أبواب هذه المغريات يدعو إليها ويُرغِّب فيها .

ومن رحمة الله تعالى بالإنسان لم يتركه وحده يسير فى هذا الطريق ، بل جعل له نوراً يهتدى به ، وقوة يرتكز عليها ، وسلاحًا يدافع به ، فأرسلَ إليه الرُّسُل مبشِّرين ومنذرين ، وأمره بالاعتصام بالله والاستعانة به ، وحثه على التقوى التى تدفع كلَّ سوء .

والتقوى شعور يقع فى قلب المؤمن تظهر آثاره على الجوارح ، تحمله على الرغبة فيما عند الله والعمل لتحصيله ، وتُورث الخشية من الله وسخطه ، فيَبتعدُ عن معاصى الله ، فالتقوى إيمان راسخ وقوة نفسية لا ترضى الوقوع فى معاصى الله ولا التكاسلَ عن أداء الواجب لله ، تسير بالمؤمن على صراط مستقيم ومنهج سليم ، حتى يصل إلى دار القرار والنعيم .

وإذا تأملنا آيات القرآن وأحكامه وجدناها كلَّها تحث على التقوى وتحث على أسبابها .

والصيام هو أقوى سبب للتقوى ، وأثبتُ عامل نفسى يغرس التقوى فى القلب ، لأن فى الصيام مقاومةً للشهوات وكسراً لحدتها ، وفيه تضييق لمجارى

الشيطان . يحمل على التواضع ويمنعُ من الكِبْر ، ويُعرِّف الإنسان بحاجته إلى خالقه ، ويُعرِّفه بنفسه وضعفه وفقره إلى مولاه .

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الصيــام ســببٌ للتقوى فى قوله عَز وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾(١) فكما أن الصيام عبادةٌ روحيةٌ بدنية قد فُرِضَ على الأمم التى قبلنا ، وفُرِضَ على أُمة محمد ﷺ . فهو أيضًا يُروِّض النفس على تلقى الأحداث ، ويُكْسِب المؤمن قوة وصبراً على المكاره، ويُذَكِّر بنعم الله على العبد . وهو أيضًا صلة إحساس وشعور وتكافؤ بين الأغنياء والفقراء، ليحصل التواصل والترابط . والصيام أمر خفى فهو من صفات النفوس الطيبة المؤمنة المنقادة لله فى السر والعلن ، فهو سر بين العبد وربه .

ولمكانة الصوم عند الله تعالى ، وتأثيره فى النفس والمجتمع بالإصلاح وغرسه قواعد التقوى فى القلب ، جعل ثوابه لا يُقَدَّر بقدْر محدود ، لأنه خالصٌ لله بعيدٌ عن الرياء والسمعة ، والله هو الذى يتولى جزاءه وكفى به من جَوَّاد واجد كريم .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل عمل ابن آدم يُضاعَف ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف ، قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى، للصائم فرحتان : فرحة عند فِطْره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولَخَلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »(٢) .

ولما كانت أُمَّةُ محمد ﷺ هى أفضلَ الأمم وأكرمها عند الله ، اختار

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٣ - ١٨٤

(٢) صحيح مسلم : ٢ / ٨٠٧

لها شهر رمضان لصيامها لأنه هو أفضل الشهور وأكرمُها · فيه ليلة القَدْر خير من ألف شهر ، وفيه تُفَتَّح أبواب الجنَّة وتُغلق أبواب النار وتُزيَّن الجنَّة لعباد الله المؤمنين · · ولله عتقاءُ كلَّ يوم من رمضان عند الإفطار ، ويعتق فى آخر ليلة مثلما أعتق من أول الشهر إلى آخره ، ولكل مسلم فى يوم من رمضام دعوةٌ مستجابة · · فرمضان جوهرةُ السَنة وحِلْيةُ العام ·

عباد الله · · أتاكم شهر رمضان يغشاكم الله فيه · يُنَزِّل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيبُ فيه الدعاء · ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرًا ، فإن الشقى مَن حُرِم فيه رحمة الله عَزَّ وجَلَّ ·

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ·

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدًا ·

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ·

اللَّهُمَّ وفِّقنا لصيام رمضان وقيامه ، وأعِنَّا على أداء فرائضه ونوافله ·

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم ·

*   *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من فوائد شهر رمضان

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول ، لا إله إلا هو ، إليه المصير ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى اللهوسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ومصابيع الدُّجى .

أما بعد ..

فإن لكل قادم ضيافةً ، ولكل وافد كرامةً .

وفى هذه الليلة أو المقبلة سيفدُ إليكم ضيف كريم ، فترقَّبوه وأحْسِنوا استقباله وأكرموا نُزله وأعطوه ضيافته .

إنه لم يكن رئيس حكومة ، ولا زعيمَ حزب ، ولا نجماً من النجوم الاصطلاحية ، وإنما هو أعظم من ذلك وأجَلّ ، وأكرم منه وأعَز ، وألصَق بكم وأقربُ .

إنه قاعدةٌ من قواعد دينكم ، وركنٌ من أركان إسلامكم : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة غافر آية : ٣

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٥

أتدرون ما هو شهر رمضان ؟ لقد تقدَّم فى الخُطبة الأولى شىء من خصائصه ، وإليكم طائفة أخرى : إنه شهرٌ مقدَّس عند الله وعند المؤمنين .

جعل الله صيامه فريضة وقيامه تطوعًا(١) ، فأدوا ما وجب عليكم قبل أن تَعْجزوا ، وتقرَّبوا إلى الله بنوافل عباداتكم قبل أن تندموا .

إنه شهر المواساة .. فأحْسِنوا إلى الفقراء والمساكين ، واعْطِفوا على الأرامل والأيتام ، وصِلوا أرحامكم(٢) .

يُزَاد فى رزق المؤمن فى شهر رمضان ، فأنفقوا مما آتاكم الله يزِدْكم ، ووسِّعوا على المحتاجين يوسع الله عليكم .

مَن فَطَّر فيه صائمًا كان مغفرةً لذنْبه وعتقَ رقبته من النار(٣) .

ومَن أشبع فيه صائمًا سقاه الله من الحوض المورود شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنَّة(٤) .

شهر تُجاب فيه الدعوات .. فالجأوا إلى الله ، و﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾(٥) .

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ : أحمد فى المسند : ١ / ١٩١ وإسناده صحيح .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس ﷺ : البخارى برقم (١٩٠٢) : الصوم باب (٧) ، ونحوه مسلم : الفضائل حديث رقم (٤٨) ، (٥٠) من هذا الوجه واللفظ .

(٣) إشارة إلى معنى حديث زيد بن خالد الجهنى ﷺ : الترمذى برقم (٨٠٧) باب: ما جاء فى فضل مَن فطَّر صائمًا ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان برقم (١٦١٩) .

(٤) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ بمعناه: أخرجه أحمد فى المسند : ٣ / ١٣ - ١٤ من طريق عطية العوفى به عنه ، وإسناده فيه ضعف ولكن له شواهد كثيرة جداً .

(٥) سورة الأعراف آية : ٥٥

وتُقَالُ فيه العثرات ·· فتوبوا إلى ربكم يغفْر لكم ذنوبكم ويسترْ عوراتكم ويرحم ضعفكم ·

وتُرفع فيه الدرجات ، ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾(١)

فيا فرحة المتسابقين ويا حسرة المحرومين ·

فيا أُمة الإسلام ، يا أُمة محمد ﷺ ·· اتقوا الله فى شهركم فإن الله تعالى ينظر إلى تنافسكم فيه فيباهى بكم ملائكته(٢) ، فأروا الله من أنفسكم خيرًا فإن الشقى منَ حُرِم فيه رحمة الله(٣) ·

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٤)

ثم اعلموا أن الله تعالى أمركم بأمر بدأ فيه بنفســه فقال عزَّ من قائل :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(٥) ·

* * *

(١) سورة المطففين آية : ٢٦

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها : مسلم فى الصحيح : الحج حديث رقم (٤٣٦) خاص وعام (١٣٤٨) والحديث عام بالحج ورمضان ، وأما لفظ هذا الحديث فقد أورده السيوطى فى الدر المنثور : ١ / ٤٥٣ عن أبى هريرة رضي الله عنه وعزاه إلى الطبرانى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ·

(٣) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه بمعناه: الترمذى فى جامعه برقم (٣٥٣٩) الدعوات ، وابن حبان فى الصحيح كما فى الموارد برقم (٢٣٨٧)، وفيه : « رَغِمَ أنف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يُغفر له » ، وأخرجه مسلم فى الصحيح فى البر والصلة برقم (٢٥٥١)

(٤) سورة النمل آية : ٨٩ - ٩٠

(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣ - الحث على فعل الخيرات فى رمضان[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذى هدانا للإســـلام .. ﴿ وماكنا لنهتـــدى لولا أن هدانا الله ﴾[٢]

وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له .. خلق فقدَّر ، وشرَّع فيسَّـر ، ﴿ وكل شىء عنده بمقدار ﴾[٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ..خيرُ مَن صَـلَّى وصام . صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليمًا كثيراً .

أما بعد ..

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى وتعظيم شعائره : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾[٤] .

أيها المؤمنون .. إن الله تبارك وتعالى قد خصَّكم أُمَّة محمد ﷺ بخصائص وفَضَّلكم على سائر الأُمم .

فتح لكم أبواب الخير ، ويسَّرَ لكم طرق السعادة ، وجعل لكم مواسم فضل وإحسان ، وعفو وامتنان ، وميادين للمسابقة فى الأعمال الصالحة والخيرات .

---

(١) ألقيت فى ١٣٩٦/٩/٢ هـ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٤٣

(٣) سورة الرعد آية : ٨

(٤) سورة الحج آية : ٣٢

فأكثر الناس يتسابقون بكل جهودهم فى ميدان الاقتصاد وتنمية الأموال، وقد يحصل الربح والنماء وقد لا يحصل ، فليس الربح دائمًا مضمونًا ، بل قد تحصل خسارة ونقص ، أما المسابقة فى ميدان الأعمال الصالحة فإن ربحها مضمون ، وأى ربح أعظم من هذا الربح : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ؟ (١)

لأنها تجارة مع الواجد الجوَّاد · معاوضته مع الغنى الكريم : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢) .

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣)

قال ﷺ : « كل عمل ابن آدم له ؛ الحسنة بعشر أمثالها ، قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » (٤) .

إنها أرباح ثابتة باقية يجدها صاحبها أحوج ما يكون إليها : عزٌ وغناء فى الدنيا ، وراحة عند الموت ، وأُنس فى القبر ، ورحمة عند الحساب ، وعون على عبور الصراط ، وخلود فى جنَّات النعيم ورِضَى رب العالمين ·

إن شهرنا هذا شهر مبارك بفضله على جميع الشهور ، فرض الله صيامه وجعله ركناً من أركان الإسلام · فلا تصلح الصلاة والزكاة والحج إلا بصيام

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى : ٤ / ٨٧ ، ٤ / ٩٤ ، ومسلم فى الصحيح باب : فضل الصوم برقم (١١٥١) عام وخاص (١٦٢) ·

(٢) سورة الأنعام آية : ١٦٠

(٣) سورة البقرة آية : ٢٦١

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى : ٤ / ٨٧ ، ٤ / ٩٤ ، ومسلم فى الصوم برقم (١١٥١) عام وخاص (١٦٢) ·

شهر رمضان(١) . إنه موسم من مواسم الخير والبركة ، تُضاعَف فيه الحسنات، وتُرفع فيه الدرجات ، وتُقَال فيه العثرات ، وتُغفر فيه السيئات . تُفتَّح فيه أبواب الجنَّة وتُغلق فيه أبواب النار ، وتُصفَّد فيه مَرَدة الشياطين(٢) .

مَن صامه إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه(٣) . ومَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه(٤) .. شهر البِرِّ والصلة ، والعطف والجود ، مَن فَطَّر فيه صائمًا كان له مثل أجره دون أن ينقص من أُجورهم شيء (٥) . ومَن أشبع صائمًا سقاه الله من الحوض المورود شربة لا يظمأ بعدها أبداً (٦).

عباد الله .. قد مضى من شهرنا المبارك ليلتان ، وأخذت أيامه فى التتابع وسينتهى عن قريب ، إنه ضيف كريم خفيف الظل أنيس فى ليله ونهاره محبَّب للنفوس المؤمنة ، فأكرموا نُزله واقدروه قدره . أكثروا فيه من الأعمال الصالحة ، واجتنبوا جميع الآثام ، تعرَّضوا لرحمة أرحم الرحمين فإنكم فى عشر الرحمة ، والتمسوا نفحات الرب الكريم . أخلصوا التوبة لله واستعيذوا

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٨٥) وفيها الإيمان ببعض الكتاب .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى : ٤ / ٩٦ ، باب : هل يقال رمضان أو شهر رمضان ؟ ونحوه : مسلم فى الصيام برقم (١٠٧٩) فى أول كتاب الصوم .

(٣) حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى : ٤ / ٢٢١ فى التراويح ، ومسلم : صلاة المسافرين (٧٦٠) باب : الترغيب فى قيام رمضان .

(٤) هو نفس هذا الحديث : البخارى : ٤ / ٢٢١ ، ومسلم فى الصحيح برقم (٧٦٠) .

(٥) أخرجه الترمذى فى جامعه برقم (٨٠٧) وهو من حديث زيد بن خالد الجهنى ﷺ وإسناده صحيح ، وأورده الهيثمى فى الموارد برقم (١٦١٩) .

(٦) إشارة إلى حديث طويل فيه هذا اللفظ : أخرجه ابن خزيمة فى الصحيح برقم (١٨٨٧) باب (٨) وهو من حديث سلمان ﷺ وقد مضى تخريجه قريبًا .

بالله من الشيطان الرجيم ، ومن النفس الأمَّارة بالسوء[١] . قفوا عند باب الحى القيوم وأكثروا من الدعاء والتضرع والاستغفار ، وأريقوا دموع الندم على أدران الذنوب تغسلها . وأتبعوا الحسنة السيئة تمحها[٢] .

فإن لله تعالى عتقاء من النار فى كل ليلة من رمضان عند الإفطار[٣] . فاغتنموا هذه الفرصة الطيبة ، فلا يدرى الإنسان هل يظفر بإتمام هذا الشهر أم تحول دونه الأعراض أو المنيَّة ، ولا يدرى هل يدرك رمضانًا آخر أم ينقضى أجله قبل ذلك ، تذكَّروا مَن كان معكم فى العام الماضى فى مثل هذا اليوم من الآباء والأولاد والإخوان والأقارب والجيران ، قَدِموا إلى ما قَدَموا وأصبحوا رهَناء حفر فى جوف التراب ، ليس عندهم إلا الأعمال ، وإنكم على طريقهم سائرون ، ومن الباب الذى دخلوا منه داخلون .

فخذوا من حياتكم لموتكم[٤] .. أطيعوا الله ورسوله واحفظوا ألسنتكم وجوارحكم من المنكرات ، ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾[٥] . اجتنبوا جميع مفسدات الصوم ، فإن فطر يوم فى رمضان بدون عذر خطيئة ، لا يقضيه صوم الدهر وإن صامه[٦] ، فأما المعذور لسفر أو مرض يُرجَى برؤه فيفطر ويقضى عِـدَّة ما أفطر

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة يوسف آية رقم (٥٣) .

(٢) إشارة إلى حديث أبى ذر رضي الله عنه :أحمد فى المسند : ٥ /١٥٨ وإسناده جيد .

(٣) إشارة إلى حديث أبى هريرة فى هذا المعنى تمامًا عزاه السيوطى فى الدر المنثور: ١ / ٤٤٥ إلى عدة مصادر .

(٤) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما : البخارى برقم (٦٤١٦) الرقاق ، وفيه هذا اللفظ .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٣٣

(٦) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : الترمذى برقم (٧٢٣) ، وأبو داود : برقم (٢٣٩٦) ، وابن ماجه برقم (١٦٧٢) وفى إسناده ضعف ، وعلَّقه البخارى فى الصحيح بصيغة التمريض ...

من أيام أُخر ، والحائض والنفساء فلا يجوز لهما الصيام ولا الصلاة حتى تطهران وتقضيان الصوم ولا تقضيا الصلاة عنهما لرفع الحَرَج والمشقة [١] ، وأما الكبير فى السن الذى لا يطيق الصوم والمريض مرضًا لا يُرجَى برؤه ، فيفطر ويُطعم عن كل يوم مسكينًا[٢] : مدَّ بُرٍّ أو نصفَ صاع من غيره .

فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرًا لأنفسكم ، ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [٣] أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٤] .

اللَّهُمَّ أنفعنا بهدى كتابك وبسُنَّة نبيك محمد ﷺ .

اللَّهُمَّ وفِّقنا وأعِنَّا على صيام هذا الشهر وقيامه ، وجُد علينا برحمتك ورضوانك ، وتكرَّم علينا بعفوك وغفرانك ، واجعلنا فى هذا الشهر من عتقائك .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ﷺ : الترمذى برقم (٧١٥) ، وأحمد فى المسند : ٤ / ٣٤٧ وهو عن غير أنس بن مالك وإسناده صحيح .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٨٤) .

(٣) سورة الحشر آية : ٩

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المفطرات فى نهار رمضان

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الكريم المنَّان ، واسع الفضل والإحسان .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو الرحمن الرحيم [١] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن للصوم أدابًا يجب اتباعها ، وله مفطِّرات يجب اجتنابها : إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفُث ولا يصخب فإن سابه أحد فليقل : إنى صائم.[٢] واجتنبوا قول الزور والعمل به ، ومَن لم يجتنبه فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه [٣] . ويُستَحب تعجيل الفِطر وتأخير السحور : لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفِطْر[٤]. فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكْلة السَّحَر . حافظوا على الفرائض فى أوقاتها ، وأكثروا من النوافل وتلاوة القرآن بتدبر وإمعان ، ولازموا التوبة والاستغفار ، واجتنبوا جميع مفسدات الصوم ، فمَن

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٦٣) .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه عنه : أحمد فى المسند : ٢ / ٢٧٣ وإسناده صحيح ، ونحوه فى : ٦ / ٢٤٤ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٣) البخارى : ٤ / ٩٩ - ١٠٠ باب : مَن لم يدع قول الزور ، وبرقم (٢٣٦٢) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٤) إشارة إلى حديث سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه : البخارى مع الفتح : ٤/ ١٧٣ ومسلم برقم (١٠٩٨) .

أكل أو شرب أو أدخل إلى جوفه شيئًا من أى موضع كان ، أو قَبَّلَ أو كرر النظر فأنزل ، أو استقاء فأقاء .. إن فَعل شيئًا من ذلك فى يوم صومه عالمًا ذاكرًا لصومه ، فسد صوم ذلك اليوم وأثم ، وعليه إتمام يومه والقضاء من يوم آخر (١) ، ومَن جامع فى نهار رمضان فسد صومه وانتهك حُرْمة رمضان وتجرأ على الله ، ويجب عليه القضاء والكَفَّارة : وهى عتق رقبة مؤمنة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين(٢) ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا (٣) ، وأما مَن فعل شيئًا من مفسدات الصوم ناسيًا أو مُكْرَهًا بأن أكل أو شرب ، أو ذرعه القىء ، فصومه صحيح وليس عليه شىء . لقوله ﷺ : « غُفِرَ لأُمتى الخطأ والنسيان وما استُكْرِهوا عليه » (٤) . إذا نسى أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه (٥) : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (٦) .

فاتقوا الله عباد الله .. واحمدوه على هذا التيسير والتسهيل فقد جعل لكم أحد عشر شهرًا ، وجعل الصيام شهرًا واحدًا . صيام نهاره ولكم ليله :

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه فى هذا المعنى: الترمذى برقم (٧٢٠) ، وصححه ابن حبان (٩٠٧) كما فى الموارد ، والحاكم فى المستدرك : ١ / ٤٢٦

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى : ١١ / ٥١٦ فى كفَّارات الأيمان ، ومسلم برقم (١١١١) .

(٣) إشارة إلى حديث أبى هريرة : البخارى : ١١ / ٥١٦ فى كفَّارات الأيمان ، ومسلم برقم (١١١١) .

(٤) ابن ماجه برقم (٢٠٤٣) من حديث أبى ذر رضي الله عنه ، ورقم (٢٠٤٤) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، ورقم (٢٠٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وإسناده حسن لغيره .

(٥) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه: مسلم فى الصحيح برقم (٥١١٥) ، والبخارى : ٤ / ١٣٤ - ١٣٥ .

(٦) سورة البقرة آية : ١٨٥

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾(١) .

فاتقوا الله عباد الله ، وعظِّموا حُرُمات الله ، وقفوا عند حدود الله ، وصلُّوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه العزيز، فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٢) .... إلى آخر الدعاء .

* * *

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٧

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٤ - من خصوصيات شهر رمضان[١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [٢] .

يجزى الحسنة بأضعافها ، ولا يجزى السيئة إلا بمثلها [٣] .. ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [٤] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شـريك له ، جَوَّاد كريم ، وربٌّ رحيم ، يعطى الجزيل ويقبل القليل ، ويقيل عَثْرة المستقيل .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقدوة العاملين، ورحمة العالمين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فماذا أقول عن فضائل الأعمال ونحن فى مستهل شهر الخير والبركة والنفحات . وماذا أستطيع أن أُعبِّر عن فضائل هذا الشهر وعظمته ونحن فى أول ميدان السباق إلى المغفرة والرضوان والجنَّات .

---

(١) ألقيت فى ١٤٠٩/٩/٢ هـ .
(٢) سورة الفاتحة : آية ٢
(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنعام آية رقم (١٦٠) .
(٤) سورة فصلت آية : ٤٦

شهرٌ خصَّه الله بالفضل والتكريم ، وجعله موسم خير لأُمَّة النبى العظيم، تُفَتَّح فيه أبواب الجنَّة ، وتُغلق فيه أبواب النار ، وتُسلسل فيه الشياطين[١] .

وكفى بالصيام شرفًا وفضلاً أن الله أضافه إلى نفسه ، ففى الصحيحين عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « كل عمل ابن آدم يُضاعَف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف[٢] ، قال الله تعالى : إلا الصومَ فإنه لى وأنا أجزى به[٣] ، يدع شهوته وطعامه من أجلى ، للصائم فرحتان : فرحةٌ عند فِطْره ، وفرحة عند لقاء ربه[٤] ، ولَخَلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك[٥] ، والصيام جُنَّة[٦] ، وإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفثْ ولا يصخبْ فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤُ صائم »[٧] .

فلا بد من معرفة المميزات التى امتاز بها الصوم على سائر العبادات فأضافة الخالق تعالى إلى نفسه ، دون بقية العبادات مع أنها كلَّها لله ، وكلَّها بأمر الله ، وكلها طاعةٌ لله .

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ وفيه الصيام والقيام : البغوى فى شرح السُّنَّة برقم (١٧٠٧) .

(٢) البخارى مع الفتح : ٤/ ٨٧ ، ٤/ ٩٤ ، ومسلم برقم (١١٥١) عام وخاص (١٦٤) من حديث أبى هريرة ﷺ .

(٣) هو نفس هذا الحديث من حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى مع الفتح : ٤/ ٨٧ ، ٤ / ٩٤ ، ومسلم : برقم (١١٥١) عام .

(٤) فيه هذا اللفظ المبارك : البخارى مع الفتح : ٤ / ٨٧، ٤ / ٩٤ باب فضل الصوم ، ومسلم برقم (١١٥١) عام وخاص (١٦٤) .

(٥) أخرجه مسلم فى الصحيح : الصيام برقم (١١٥١) عام وخاص (١٦٤) من حديث أبى هريرة ﷺ .

(٦) أخرجه البخارى فى الصيام : ٤ / ٨٧ ، ٤/ ٩٤ وهو من حديث أبى هريرة ﷺ ، ونحوه مسلم برقم (١١٥١) .

(٧) أخرجه البخارى مع الفتح : ٤ / ٨٧ ، ٤/ ٩٤ فى الصيام وهو من حديث أبى هريرة ﷺ ، ونحوه مسلم برقم (١١٥١) عام .

وقد أشار حديث أبى هريرة إلى شىء من ذلك بقوله ﷺ : « يدع شهوته وطعامه من أجلى » (١) ، وبقوله : « والصيام جُنَّة » (٢) ؛ فالصيام سرٌّ بين العبد وبين ربه فهو أمر خفى ، لا يَعْرف الصائم مِنَ المفطر إلا الله الذى يعلم السرائر فلا يدخله الرياء ، فصار خالصًا لله لذا نسبه الله إلى نفسه ، وما سواه من العبادات ظاهرة فلربما دخلها الرياء والمباهاةُ والمجاراتُ والمجاملاتُ ومراعاةُ أحوال أُخرى ، وأيضًا لم يُعبد أحد بالصيام إلا الله ، فلم يُعَظِّم الكُفَّارُ والوثنيون فى عصر من العصور معبوداتهم بالصيام ، وإن كانوا يعُظِّمونهم بشىء من أنواع العبادات وبصور من الصلاة والسجود والخضوع والخشوع والصَدَقة والذِكْر والذبح والنذر وسائر القرابين المالية ، فإنه لم يُعبد أحد بالصيام غير الله ، فأضافه الخالق تعالى إلى نفسه : « إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » (٣) .

ولأن الصوم جُنَّة ، أى وقاية وحجاب لصاحبه وحصن للصائم من كل ما يكرهه ويبغضه الله ، فإذا استطاع المسلم أن يقرر إرادته ويُخضعها لإرادة الله، وأن يقهر نفسه فيما أبيح لها طاعة لله ، فهو أقدر على منعها من معصية الله . فالصوم أقوى العوامل لإعداد النفس وتمرينها وترويضها على الصبر والتحمل ، وهو ميزان الاختبار لصدق الإيمان والاستعلاء على رغبات الجسد وشهوات النفس ، ووساوس إبليس .

واختيار شهر رمضان لفريضة الصيام على أُمَّة هى خير الأُمم (٤) ، فذلك

---

(١) فى رواية: « إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلى»: البخارى مع الفتح: ٤/ ٨٧ ، ٤ / ٩٤ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٢) فى رواية: « إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلى» : البخارى مع الفتح: ٤/ ٨٧ ، ٤ / ٩٤ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٣) هو جزء من حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى : ٤ / ٨٧ ، ٤ / ٩٤ ، ومسلم برقم (١١٥١) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران آية رقم (١١٠) .

لما لهذا الشهر من فضل وخصائص .. ففيه أُنزل القرآن الذى هو نظام المسلم ونظام الدولة المسلمة[١] ، فأُمَّة الإسلام ليست بشىء بدون هـذا القرآن ، ولا ذِكْر لها فى الأرض ولا فى السماء ولا قيمة لها ولا اعتبار ولا هدوء لها ولا استقرار إلا بهذا القرآن .

وإذا تأملنا آيات الصيام فى سورة البقرة علمنا رحمة الله تعالى بخلقه، وعنايته بعباده ، فمع السماحة فى التشريع والتيسير فى التكليف لوحظت خصائص الإنسان وضعفه ، فتجد فى الآيات ما يُرَغِّب النفس فى تلقى التكليف ، ويحثَّ على الصبر والتحمل والاحتساب ومقاومة الغرائز الإنسانية فتأملوا قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢]

افتتحت الآيات ابتداءً بنداء المؤمنين بالصفة التى امتازوا بها على غيرهم ، فمن واجب المؤمن الانقياد لنداء الله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[٣] .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المائدة الآيات أرقام (٤٤) ، (٤٥) ، (٤٧).

(٢) سورة البقرة الآيات : ١٨٣ - ١٨٥

(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٦

وفى إطلاق الصيام ابتداءً دون ذكر العدد أو الزمن تشويق للمؤمن وتهدئةٌ لباله بأن المكتوب لا مشقة فيه ٠

وفى ذكر مشروعية الصيام على الأمم قبل هذه الأُمة تقوية لعزيمة المؤمن وحافز له على التلقى والامتثال والمنافسة فى ميدان الطاعات ٠

والتَّقْوى هى أعلى مطالب النفس الحية الفاهمة الواعية ، فإذا كان الصيام سببًا للتقوى تلقَّاه المؤمن بالسمع والطاعة والفخر والاعتزاز ٠

وفى الترخيص للمريض والمسافر(١) بالفِطْر والقضاء فى أيام أُخر ، والترخيص للكبير والزَّمِن بالفِطْر والإطعام ، سماحة ويُسر ورحمة ورأفة ورفع للحَرَج عن أُمَّة الإيمان ٠

وفى تخيير الذى يُطيق الصيام - فى بادىء الأمر- بَيْن الصيام أو الإطعام ترويض للنفس على مقاومة شهوات البطن والفَرْج ، فروعى فيها التدريج فى التشريع اعتباراً بحال الإنسان وخصائصه وضعفه ٠

وفى حث المطيق على الصيام بعد التخيير بيان للأفضل وتهيئةٌ للنفس إلى تلقى الفريضة بعد رفع التخيير ، فجدير بالمسلم أن يتلقى فريضة الصيام بالسمع والطاعة والرغبة والانقياد ٠

فاتقوا الله أيها المؤمنون ٠٠استهلوا شهركم بالتوبة الصادقة وتقوية العهد مع الله ، فكم من مسلم أدركه الأجل وهو يحن على شهر رمضان ، وكم من مسلم أقعده المرض عن الصيام والقيام فَعَيْناه تفيضان من الدمع ألا يستطيع ، وكم من مسلم أشغلته دنياه عن السِّباق إلى المغفرة والرضوان ورفع الدرجات ، وكم من إنسان استهوته الشياطين فهو محروم لا ينال من فضل الله ٠

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٨٥) ٠

فاتقوا الله أيها المسلمون .. رَغِمَ أنف امرىء دخل عليه شهر رمضان وخرج ولم يُغفر له [١] .

اللَّهُمَّ كما بَلَّغتنا شهر رمضان فأعِنَّا على صيامه وقيامه ، ووفقنا فيه لما تحب من الأعمال والأقوال، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وشر الشيطان ، واغفر ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا ، وتب علينا واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم [٢] .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : الترمذى فى جامعه برقم (٣٥٣٩) فى الدعوات ، وابن حِبَّان كما فى الموارد برقم (٢٣٨٧) ، والحاكم فى المستدرك : ١/ ٥٤٩، وأخرجه مسلم فى الصحيح - الفقرة الأخيرة: البر والصلة برقم (٢٥٥١) .

(٢) إشارة إلى جملة كبيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وردت هذه الألفاظ المباركة مفرَّقة أذكر منها لفظ : « وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا » أخرجه بعض أصحاب السنن منهم النسائى والترمذى وابن ماجه فى سننه،وهو من خطبة النبى ﷺ ، وهو من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ، أخرجه ابن ماجه فى النكاح حديث رقم (١٨٩٣) وإسناده صحيح .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السُّنَّة تعجيل الفِطْر وتأخير السحور

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [١] .. الكريم المنَّان ، واسع الفضل والإحسان.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهديه واتبع مِلَّته .

أما بعد ..

فإن نبينا محمداً ﷺ رغَّبَ فى تعجيل الفِطْر وتأخير السحور ، فعن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفِطْر » [٢] ، وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أقبل الليل من ههنا ،وأدبر النهار من ههنا ، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم » (الحديثان متفق عليهما)[٣] .

(١) سورة الفاتحة : آية : ٢

(٢) هو من حديث سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه : البخارى : ٤ / ١٧٣ فى الصيام ، ونحوه مسلم (١٠٩٨) .

(٣) البخارى مع الفتح : ٤ / ١٧١ ، باب : متى يحل فطر الصائم وهو من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم (١١٠٠) باب بيان وقت انقضاء الصوم .

وعند الإمام مسلم رحمه الله عن عَمرو بن العــاص قال : قال ﷺ : « فَصْل ما بين صيــامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحَر »[١] . وروى أبو داود بسند صحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفِطْر لأن اليهود والنصارى يُؤخِّرون »[٢] .

يجب على المسلم أن يحافظ على صومه من اللَّغو والسَّفَه والرفث والمفطِّرات : « مَنْ لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجةٌ فى أن يدع طعامه وشرابه » (رواه البخارى عن أبى هريرة)[٣] . « ومَن نسى وهو صائم فأكل أو شرب فإنما أطعمه الله وسقاه » (متفق عليه)[٤] .

ومن سمع النداء - أى أذان الفجر - والإناء فى يده فلا يضعه حتى يقضى حاجته منه .

وينبغى للصائم أن يَبْتَعد عن مثيرات الشهوة وخاصة حديثَ العهد بالزواج ، ولا يجوز للمرأة ولا للرجل أن يعمل ما يثير شعور الآخر فى نهار الصيام ويكفى الليل لقضاء الوَطَر[٥] . فمَن جامع فى الفَرْج وهو صائم فى

---

(١) هو من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه : مسلم برقم (١٠٩٦) باب فضل السحور ، والترمذى برقم (٧٠٨) ، وأبو داود برقم(٢٣٤٣) ، والنسائى فى الصغرى : ٤ / ١٤٦باب فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب .

(٢) أبو داود برقم (٢٣٥٣)وقد عقد عليه الباب : باب ما يُستحَب من تعجيل الفِطر وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى : ٤ / ٩٩ - ١٠٠ باب مَن لم يدع قول الزور ، وأبو داود برقم (٢٣٦٣) ، والترمذى برقم (٧٠٧) ، وابن ماجه برقم (١٦٨٩) من هذا الوجه واللفظ .

(٤) البخارى : ٤ / ١٣٤ - ١٣٥ الصوم ، باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسيًا، ونحوه مسلم برقم (١١٥٥) كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٨٧) .

رمضان فسد صومه ويمضى فى يومه ويقضيه وعليه الكفَّارة : عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فليصم شهرين متتابعين ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً(١) .

ومَن أفطر يومًا من رمضان من غير رُخْصة ولا مرض لم يقض عنه صومُ الدهر كله وإن صامه(٢) فيما بينه وبين الله ، لكن يقضى صيام ذلك اليوم إتباعاً لأحكام الإسلام .

ويجب إخلاص النيَّة لله واحتساب الأجر على الله ، واجتناب مفسدات العبادات .. فكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، وكم من قائم حظه من قيامه التعب والسهر(٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. اجتهدوا فى هذا الموسم الكبير ، فلا يدرى أحد هل يدْركُه فى العام القادم أم لا ، وما هى إلا أيام معدودات فلا يُحرم فضلها وبرها وخيرها إلا محروم ، وصلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٤) .

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى برقم (١٩٣٦) الباب (٣٠) وهو من حديث أبى هريرة ﷺ ، ونحوه مسلم فى الصيام حديث رقم (٨١) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : الترمذى فى جامعه برقم (٧٢٣) ، وأبو داود برقم (٢٣٩٦) ، وابن ماجه برقم (١٦٧٢) ، والدارمى فى سننه : ٢/ ١٠ ، وأحمد فى المسند : ٢ /٣٨٦ ، وعلَّقه البخارى فى الصحيح بصيغة التمريض: ٤/ ١٣٩ ، وقال البغوى فى شرح السُّنَّة (٤/ ١٢٩٠) : والعلماء مجمعون على أنه يقضى يومًا مكانه .

(٣) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : ابن ماجه برقم (١٦٩٠) وقال المعلق على ابن ماجه فى الزوائد : إسناده ضعيف ، وأخرجه أحمد فى المسند : ١ / ٤٤١ من هذا الوجه واللفظ ، وأخرجه أيضًا أحمد فى مسنده : ٢/ ٣٧٣

قلت: له شاهد من حديث ابن عمر بمعناه كما أورده الهيثمى فى المجمع : ٣/ ٢٠٢ وقال : رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله موثقون ، وقد ثبت هذا المعنى تماماً إن شاء الله تعالى .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥ - أهل الأعذار فى الصيام ستة(١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (٢) .. اختصَّ بالصوم نفسه فهو يجزى به(٣).

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، جعل الصيام ركنًا من أركان الإسلام .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أخبر بأن الصوم نصفُ الصبر ، وأن الصبر نصفُ الإيمان .. فالصيام إذًا ربع الإيمان(٤) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع سبيله .

أما بعد ..

فإن للصيام أهدافًا سامية ومصالح شرعية ترفع مستوى المسلم فى أخلاقه

---

(١) ألقيت فى ٤/٩/١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى مع الفتح : ٤ / ٨٧ فى الصوم وفى مواضع كثيرة أخرى ، ونحوه مسلم برقم (١١٥١) عام وخاص (١٦٤) باب فضل الصيام .

(٤) إشارة إلى حديث رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : أحمد فى المسند: ٤/ ٢٦٠ وفيه : « سبحان الله نصف الميزان ، والحمد لله تملأ الميزان ، والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض ، والطهور نصف الإيمان ، والصوم نصف الصبر » وإسناده صحيح .

وسلوكه وإيمانه ،وتقوىٍّ الصِلة بينه وبين ربه ، إذ هو حبس النفس عن الشهوات ، وفطامُها عن المألوفات ، وتعديلُ مَيْلها إلى الملذَّات ، يترك شهوته لله ، ومن أجل الله ، وفى ذلك إعداد المسلم لطلب غاية السعادة ، وتزكيةُ النفس فى الحياة الأبديه ، وتذكيُر أهل الغنى بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضييقُ مجارى الشيطان من الإنسان ، وحبسُ الأعضاء عن الاسترسال لِحُكم الجبلّة فيما يضرها فى معاشها ومعادها ٠

والصيام أنيس المُتَّقين وجنَّة المجاهدين ورياض الأبرار المقرَّبين ، اختص به الرب تعالى نفسه لأنه سرٌ بينه وبين عبده لا يطلع عليه أحد من الناس ٠٠ فالصَّائم لا يفعل شيئًا يُرى ، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل خالقه(١) رغبة ورهبة وهذه حقيقة الصوم ٠

وقد يطلع الناس من الصائم على ترك المفطِّرات الظاهرة ،أما النقيَّ والقصد وإرادة وجه الله فلا يطلع عليه بَشَرٌ ولا يعلمها إلا الذى يعلم وسوسة النفس وما تُخفى الصدور ، وللصيام تأثير عجيب فى حماية الجسد من المواد الفاسدة وطرد الأخلاط الرديئة التى تؤثر فى الصحة : « المعدة بيت الداء والحَميَّة رأس الدواء » ، فالصيام يُعطى الأجهزة العاملة فى الجسد إجازة وفرصة راحة لتستعيد قوتها ، ونشاطها ٠

ولما كان الصيام يمنع النفس من مألوفاتها ، ويَفْطِمُها عن مشتهياتها ويُغيِّر نظام معيشتها وذلك شاق عليها ، ولكمال حكمة الله تعالى فى تشريعه عالج النفوس بما يتلاءم مع طبيعتها ويستمِيلُها إلى تلقى الأمر والنهى برغبة ، وإلى

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ: البخارى مع الفتح : ٤ / ٨٧ فى الصوم ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم (١١٥١) عام وخاص (١٦٤) باب فضل الصوم ٠

النهوض بالتكاليف باحتساب ومن ذلك مشروعية الصيام . فصاحَبَ آية الصيام عدةُ اعتبارات منها :

التأسى، وتقليل مدة الصيام ، والتخيير فى أول الأمر ، والتقوى ..

قال تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾(١) فإذا عرف المسلم أن الصيام عبادة فُرِضَت على الأمم قبل أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم فنهضت بها ، قويت عزيمته تأسيًا واحتسابًا .

وإذا علم المسلم أن مدة الصيام قليلة محصورة العدد فليست كل الدهر ولا نصفَه ، وإنما هى شهر واحد من اثنى عشر شهرٍ وفى النهار دون الليل ، فمدة الصيام جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الزمن ، وباقى الزمن للمسلم له التمتع فيه بأنواع المباحات فى غير إسراف ولا مخيلة إلا أن يتطوع بصيام فله ثوابه عند الله .

وإذا علم المسلم أن الصيام سببٌ للتقوى وهى من قواعد الإيمان ومن متطلبات المؤمنين ومن موجبات القبول : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾(٢) حرص على صيانة صومه من المؤثرات الحسية والمعنوية .

وأما التخيير فى أول الأمر – للذى يطيق الصيام – بين الفدية والصيام مع الحث على الصيام ، ففيه مراعاة لطبيعة النفس البَشَرية وتعلّقها بالمألوفات ، وميلها إلى الشهوات فأُخذت فى التشريع بالتدريج ، فلما استقر الأمر نُقلت الفريضة من الواجب المُخيَّر إلى الواجب المُحتَّم ، وبقيت الرُخْصة للشيخ

(١) سورة البقرة آية : ١٨٣ ، ١٨٤

(٢) سورة المائدة آية : ٢٧

والشيخة اللَّذين يشق عليهما الصيام مشقة تترك أثرًا ، وللمريض الذى لا يُرجى برؤه ، ولا يستطيع الصيام فيُفطرون ويُطعم كل واحد منهم عن كل يوم مسكينًا(١) ، كما بقيت الرخصة للمريض الذى يُرجى برؤه وللمسافر فيفطران ويقضيان عِدَّة ما أفطرا من أيام أُخر(٢) .

﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾(٣) .

فأهل الأعذار فى الصيام ستة أصناف :

١ - المريض الذى يُرجى برؤه يُفطر ويقضى عِدَّة ما أفطر من أيام أُخر بنص الآية .

٢ - المسافر يُفطر مدة سفره فإذا وصل إلى محل إقامته صام ، ويقضى عِدَّة ما أفطر من أيام أُخر ، لنص الآية الكريمة ، والسفر المبيح للفِطْر ما كان مسافة تقصر فيها الصلاة شرعاً .

٣ - المرأة الحامل إذا خافت من الصيام على نفسها تُفطر وتقضى .

٤ - المرأة المرضع - إذا خافت ضرراً على نفسها - تُفطر ، وتقضى عِدَّه ما أفطرت من أيام أُخر(٤) .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٨٤) وهى بمعناها .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٨٤) ، وراجع هذا الموضوع فى شرح السنَّة للبغوى : ٦ / ٣١٦ ، والبخارى : ٨ / ١٣٥

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٥

(٤) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ﷺ : الترمذى برقم (٧١٥) باب ما جاء فى الرخصة فى الإفطار للحبلى والمرضع ، وأخرجه أحمد فى المسند : ٤ /٣٤٧ وغيرهما وإسناده جيد .

أما إذا خافت الحامل أو المرضع على ولدها جاز لها الفِطر كما لو خافت على نفسها لما روى النسائى عن أنس بن مالك الكعبى ﷺ قال : أتيت : النبى ﷺ وهو يتغدى فقال : « هلم إلى الغداء » فقلت : إنى صائم ، قال: «هلم أُخبرك عن الصوم : إنه وُضِعَ عن المسافر نصف الصلاة والصومُ ورُخِّص للحُبلى والمرضع » ، وفى رواية : « إذا خافتا على ولديهما »(١) .

ويرى بعض العلماء أن الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما دون نفسيهما فأفطرتا تُطعمان مع القضاء عن كل يوم مسكينًا لأنهما لم تُفطرا لمرض ولا لخوف ضرر عليهما وإنما أفطرتا مع الصحة فَجُبر بالإطعام .

٥ - الصنف الخامس : الشيخ والشيخة الكبيران يشق عليهما الصيام ، والمريض الذى لا يُرجى برؤه فيُفطرون ويُطعم كل واحد منهم عن كل يوم مسكينًا ولا قضاء عليهم لعجزهم عن الصيام .

٦ - الصنف السادس : الحائض والنفساء والدمان موجبان لسقوط وجوب الصلاة مدة الدم دون وجوب الصوم ومُوجبان للفطْر ، ولذلك تقضى الحائض والنفساء الصيام دون الصلاة ، لما رُوى فى الصحيحين عن امرأة اسمها معاذة قالت : سألتُ عائشة ﵂ فقلت : ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ؟ فقالت أحرورية أنتِ ؟ قلت : لستُ بحرورية ولكننى أسأل ، فقالت : كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة(٢) .

---

(١) هذا هو نفس الحديث من حديث أنس بن مالك ﷺ : أبو داود برقم (٢٤٠٨) باب اختيار الفطر ، والنسائى فى الصغرى : ٤ / ١٨٠ - ١٨١ فى الصيام ، وابن ماجه برقم (١٦٦٧) باب ما جاء فى الإفطار للحامل والمرضع وإسناده حسن جيد .

(٢) البخارى برقم (٣٢١) كتاب الحيض وهو من حديث معاذة ﵂ ، ونحوه مسلم فى الصحيح : الحيض برقم (٦٩) خاص من هذا الوجه واللفظ .

ومَن لزمه القضاء فلم يقض حتى أدركه رمضان آخر فإن كان فرَّط وجب عليه مع القضاء إطعام مسكين عن كل يوم ، وإن كان التأخير لعذر وجب القضاء دون الإطعام ·

ومَن أفطر فى رمضان لمرض ولم يصح حتى مات أطعم عنه وليه كالمريض الذى لا يُرجى برؤه ، لما روى أبو داود عن عبد الله بن عباس ﭬ قال : إذا مرض الرجل فى رمضان ثم مات ولم يصح أطعم عنه وليه ولم يكن عليه قضاء[١] ·

ومَن لزمه صيام نذر فمات قبل أن يفى بنذره صام عنه وليه ، لما روى البخارى رحمه الله فى الصحيح عن أم المؤمنين عائشة ﭫ قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَن مات وعليه صوم صامَ عنه وليه»[٢] ، قال أبو داود : وهذا فى النذر · ويدل عليه ما رواه البخارى عن عبد الله بن عباس ﭬ قال : جاءت امرأة النبىَّ ﷺ فقالت : يا رسول الله ؛ إن أُمى ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها ؟ قال : « أرأيتِ لو كان على أُمك دَيْن فقضيتيه أكان ذلك يؤدى عنها » ؟ قالت : نعم ، قال : « صومى عن أُمك »[٣] .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ونزِّهوا صومكم ·

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ·

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفرو إنه هو الغفور الرحيم ·

* *

(١) إشارة إلى ما أخرجه عبد الرزاق فى المصنف برقم (٧٦٢٨) ، والبيهقى فى الكبرى : ٤ /٢٥٣ وإسناده جيد ، كلاهما عن ميمون بن مهران به عنه ·

(٢) البخارى مع الفتح: ٤ / ١٦٨ فى الصوم ، ونحوه مسلم برقم (١١٤٧) فى الصيام ، باب قضاء الصيام عن الميت ·

(٣) البخارى مع الفتح : ٤ / ١٦٩، ونحوه مسلم برقم (١١٤٨)عام وخاص (١٥٥) ، والترمذى فى جامعه (٧١٦) كلهم من حديث سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد عن ابن عباس ﭬ ·

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما يرد مَن شتمه أحد وهو صائم؟

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم ﴾(١) .

وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى .

ثم اعلموا - رحمكم الله - أن هذا الشهر شهر الفضائل والخيرات ، وموسم العمل والحسنات ، فما من شهر تُضاعَف فيه الحسنات مثل شهر رمضان ، تَفَتَّح فيه أبواب الجَنَّة لكثرة الوافدين إليها ، وتُغلق أبواب النار(٢) لِقلَّة وارديها . فأخلصوا النِيَّة لله فى أعمالكم ، ونزِّهوا صومكم تجدوا آثاره فى عاجلِ أمركم وآجله .

روى البخارى فى الصحيح عن أبى هريرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قال : « الصيام جُنَّة فلا يرفث ولا يجهـل - أى الصـائم - وإن امرؤٌ قاتله

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢ ، ٣

(٢) البخارى مع الفتح : ٤ / ٩٦ ، ونحوه مسلم برقم (١٠٧٩) فى أول كتاب الصوم كلاهما من حديث أبى هريرة ﷺ ، ونحوه بلفظ طويل عند الترمذى برقم (٦٨٢) من حديث أبى هريرة ﷺ .

أو شاتمه فليقـــل إنى صائم مرتين ، والذى نفسى بيده لَخَلُوف فم الصـائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى ، الصيام لى وأنا أجزى به ،والحسنة بعشر أمثالها » (١) .

وعن أبى هريرة أيضًا عند البخارى عن النبى ﷺ قال : « من قام ليلة القَدْر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تَقدَّم من ذنبه ، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تَقدَّم من ذنبه » (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. انتهزوا الفرصة قبل فواتها ، وأدوا حق شهركم قبل انقضائه ، فقد مضى منه ثلاثة أيام وسيمر مر الكرام ، وصَلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) ... إلى آخر الدعاء .

* * *

(١) البخارى مع الفتح : ٤ / ٩٦ ، ونحوه مسلم برقم (١٠٧٩) فى أول كتاب الصوم كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، ونحوه بلفظ طويل عند الترمذى برقم (٦٨٢) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٢) البخارى مع الفتح : ٤ / ٢٢١ فى التراويح ، ونحوه مسلم برقم (٧٦٠) فى صلاة المسافرين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٦ - تفاوت الناس فى تلقى شهر رمضان[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطَوْل ، لا إله إلا هو ، إليه المصير ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٣]

وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله .. البشيرُ النذير .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ..

فكان المسلمون قبل أيام يتطلعون إلى شهر صومهم ، شهر الخير والبركة ، شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار ، وكل مسلم يتمنى أن يدركه. وها هو الآن رمضان دخل علينا بفضله وفضائله ، وخيره وبركته ، قد سلَّمه الله لعباده لينظر كيف يعملون (٤) .

إن الناس فى تلقى شهر رمضان يختلفون باختلاف الإيمان عندهم ، فمنهم مَن استقبله بالبشر والفرح والاشتياق ، وشمَّر وجَدَّ فى تحصيل الخير ،

(١) ألقيت فى ١٣٩٧/٩/٥ هـ .

(٢) سورة غافر آية : ٣

(٣) سورة الأنعام آية : ٧٣

(٤) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة يونس آية رقم (١٤) .

عرف لشهره حقه ، وآمن بوعد ربه فأدلج إليه . يقوم بالفرائض وبما استطاع من النوافل .

لسانه رطب من ذكر الله دائمًا ، وقلبه خاشع لله ، وجوارحه تعمل فى طاعة الله .. فهؤلاء هم المتنافسون فى الخيرات : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[1] .

وقسم كأن لم يكن رمضان .. لم يُفرِّق بين شعبان ورمضان لا يصوم النهار ولا يقوم الليل إلا على لهو ولعب وإثم ومعاصى .

لا يؤدى شيئًا من الفرائض ، ولا يعرّق للشهر قدره ، ولا يؤدى لربه شيئًا من حقــه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ الغافلون﴾ [2] .

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] .

فهل من العدل والحكمة أن يكون المؤمن العامل الصابر المحتسب كمثل المنافق الماكر المخادع ؟

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4]

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾[5] .

---

(١) سورة الواقعة الآيات : ١٠ - ١٣

(٢) سورة الأعراف آية : ١٧٩

(٣) سورة التوبة آية : ١٠٢

(٤) سورة النساء آية: ١٤٥ ، ١٤٦

(٥) سورة السجدة آية : ١٨

ومن رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين أعدَّ لهم عنده منزلة تتناسب مع إحسانهم ، وهيأ لهم جزاءً مضاعفاً على أعمالهم . أعدَّ لهم جنَّات المأوى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾(١) ، والصيام دليل الإيمان ومن الأعمال الصالحة .

ومن حكمة رب العالمين وعدله أعدَّ لأعدائه أهل الآثام والعصيان داراً تتناسب مع كفرهم وطغيانهم ، وقد بيَّن الله تعالى صفة كل منزلة من المنزلتين، ليكون العبد على بيِّنة من الأمر ، فيختار الطريق الموصل إلى المنزلة التى يريدها لنفسه ، وقد جعل له فهمًا وإدراكاً ، يميز به الطيب من الخبيث ، والنافع من الضار .

رغَّبهم فى طريق الجنَّة ونهاهم عن طريق النار : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾(٢) .

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾(٣)

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾(٤) .

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾(٥) .

---

(١) سورة الكهف آية : ١٠٧ ، ١٠٨

(٢) سورة الرعد آية : ٣٥

(٣) سورة محمد آية : ١٥

(٤) سورة الرحمن آية : ٥٤

(٥) سورة الواقعة الآيات : ١٥ - ١٨

﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا
شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن
فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا
زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ
مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾[١]

الجنَّة بناؤها من الذهب والفضة وحصباؤها اللؤلؤ وترابها المسك والزعفران ،لهم فيها ﴿ ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴾[٢] .. ﴿ وحور عين* كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾[٣] .. ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾[٤] .. ﴿كأنهن بيض مكنون ﴾[٥] ظاهرات مطهَّرات .

الجنَّة فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[٦] .

يدخل أهل الجنَّة منازلهم بحسب درجاتهم . فأولهم كالبدر ليلة تمامه فى

---

(١) سورة الإنسان الآيات : ١٣ - ٢١

(٢) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه : البخارى برقم(٣٤٩) بسياق طويل وفى آخره لفظ:« وإذا ترابها مسك » وأما لفظ الخطيب فأخرجه أحمد فى المسند:٢ / ٣٠٤ - ٣٠٥ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، وأما الآية فإنها من سورة الزخرف آية : ٧١

(٣) سورة الواقعة آية : ٢٢ ، ٢٣

(٤) سورة الرحمن آية : ٥٨

(٥) سورة الصافات آية : ٤٩

(٦) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه: البخارى برقم (٨٤٩٨) فى التوحيد ، ونحوه مسلم فى الإيمان برقم (٣١٢) .

عنفوان الشباب ، أبناءُ ثلاث وثلاثين ، على طول أبينا آدم عليه السلام ستين ذراعا [١] . صافية قلوبهم لا تحاسد فيها ولا تباغض ، ولا غل ولا تنافس [٢] :

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٣] .

وأما جهنم . . فهى مظلمة موحشة أوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، وألف عام حتى ابيضت ، وألف عام حتى اسودت فهى سوداء كالقار .

﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ [٤] .

﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ [٥] .

فيها سلاسل وأغلال : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ [٦] ، ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ [٧] ، ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [٨] .

يُنادى أهل النار خازنها فيقــولون : يا مالك تـقـطعت منا القــلوب ،

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : أورده الهيثمى فى المجمع : ١٠ / ٣٩٩ ثم قال : رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط وإسناده حسن بهذا اللفظ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية رقم (٤٣).

(٣) سورة يونس آية : ١٠

(٤) سورة المرسلات آية : ٣٢ ، ٣٣

(٥) سورة الفرقان الآيات :١٢ - ١٤

(٦) سورة الهمزة آية : ٨ ، ٩

(٧) سورة التحريم آية : ٦

(٨) سورة النساء آية : ٥٦

يا مالك تمزقت منا الجلود ، يا مالك الفناء خير من هذا الوجود . ﴿ وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾(١) .

وينادون ربهم فيقولون رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ(٢)

فاتقوا الله أيها الناس .. اختاروا طريق السعادة واعملوا بأسبابها ، وفروا إلى الله من النار وابتعدوا عن أبوابها ، تعرضوا لنفحات رب العالمين فى هذا الشهر الكريم فأنتم الآن فى عَشر الرحمة(٣) وقد ذهب نصفها فتداركوا ما بقى منها .

فإن الوعد قريب والأجل محدود ، ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾(٤) .

اللَّهُمَّ إنا نسألك الجنَّة وما قَرَّب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما قَرَّب إليها من قول وعمل(٥) .

اللَّهُمَّ زحزنا عن النار وأدخلنا الجنَّة برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ كما بلغنا رمضان فأعنا على صيامه وقيامه ، ومُنَّ علينا بإكماله ، واجعلنا من المقبولين لديك ، والمعتقين من النار بفضلك وإحسانك .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم لجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة الزخرف آية : ٧٧

(٢) سورة المؤمنون آية : ١٠٦

(٣) إشارة إلى حديث سلمان ﷺ : ابن خزيمة فى الصحيح برقم (١٨٨٧) بسياق طويل وإسناده فيه ضعف .

(٤) سورة لقمان آية : ٣٣ ، وسورة فاطر آية : ٥

(٥) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ بسياق طويل نحو هذا المعنى: البخارى : ١١ / ٢٠٨ ، ٢٠٩ برقم (٦٤٠٨) فى الدعوات .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإكثار من ذكر الله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(١) .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريكَ له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ·

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستَنَّ بسُنَّته ·

أما بعد · ·

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى ، واغتنام الفرصة قبل فواتها ·

فتذكروا مَن كان معكم فى العام الماضى فى مثل هذا الشهر المبارك ، قد انقضت آجالهم وقدموا إلى ما قدموا ، طُوِيَت صحفهم على ما فيها ، وإنكم على طريقهم سائرون ، ومن الباب الذى دخلوا منه داخلون ·

فقدِّموا لأنفسكم زادًا من التقوى والأعمال الصالحة تجدونه أمامكم أحوج ما تكونون إليه ، واسلكوا طريق السعادة والنجاة ، واستعينوا بالله فى مسيرتكم، واسألوه التوفيق والثبات ·

اطلبوا الجنَّة جهدكم بأعمالها ، واهربوا من النار جهدكم وتجنبوا

---

(١) سورة سبأ آية : ١

أسبابها، فإن الجنَّة لا ينام طالبها والنار لا ينام هاربها ، الجنَّة محفوفة بالمكاره[١] والنارُ محفوفة بالشهوات[٢] ، فصبِّروا أنفسكم على طاعة الله تفوزوا بجنَّاته ، واحبسوا أنفسكم عن الشهوات ينجيكم ربكم من نار الجحيم .

وأكثروا من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن والصلاة على البشير النذير ، فقد أمرنا الله تعالى بذلك فى كتابه المنير : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾[٣] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأَنْعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود[٤] ، وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الراشـدين: أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين وزوجاته أُمهات المؤمنين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين ... إلى آخر الدعاء .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ﷺ : مسلم فى الصحيح : الجنة ، حديث رقم (١) خاص وعام (٢٨٢٢) .

(٢) هو نفس هذا الحديث وأخرجه أيضاً الإمام أحمد فى المسند : ٢ / ٢٦٠ من حديث أبى هريرة ﷺ .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإسراء آية رقم (٧٩) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٧ - عَشر الرحمة[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله واسع الفضل والجود .

وأشهد أنّ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له .. لا إله غيره ولا رب سواه .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بالمؤمنين رؤوف رحيم .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

ففى الجمعة الماضية كنا نسأل الله تعالى أن يبلغنا شهر رمضان ، وأن يُسلمه لنا ، وها هو رمضان دخل ومضت منه ست ليال ، وهكذا تمر الأيام ، وهكذا تنقضى أعمارنا وتقرب الآجال .

انظروا مَن كان معكم ، تذكَّروا الآباء والأُمهات ، والأولاد والإخوة والأخوات .

التفتوا يمينًا وشمالاً إلى الجيران والأصدقاء والأحباب ، كيف أخذ منهم هاذم اللّذات[٢] ، وفرَّقهم مُفرِّق الجماعات ، كانوا يفرحون بشهر رمضان

---

(١) ألقيت فى ٦/٩/١٤٠٠ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : أخرجه بعض أصحاب السنن والإمام أحمد فى مسنده : ٢ / ٢٩٢ - ٢٩٣ وإسناده صحيح : « أكثروا ذكر هاذم اللذات » .

ويجتهدون فى سباق الخيرات ، والآن انقطعت أعمال كل واحد إلا من ثلاثة : صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له [(١)] ، وأنتم أيها الناس على طريقهم سائرون ، وإلى مصيرهم صائرون ، فالموت قد تخطاكم إلى غيركم ، وسيتخطى غيركم إليكم فخذوا حذركم ، خذوا من صحتكم لمرضكم ، ومن حياتكم لموتكم [(٢)] ، ومن قوَّتكم لضعفكم ، ومن شبابكم لهرمكم ، ومن غناكم لفقركم ، ومن أمنكم لخوفكم ، فكم من مسلم طموح يتمنى أن يدركه شهر رمضان فوافته المَنِيَّة قبل ذلك ، وكم من مسلم يتمنى أن يصوم رمضان وأن يقوم ليله فأقعده المرض عن ذلك ، وكم من إنسان استحوذت عليه الشياطين فصدَّته عن صراط الله المستقيم [(٣)] ، وكم من إنسان غلبته شهوته وجعلته فى غفلة ونسيان ، يقول إنه مسلم ولا يقيم أركان الإسلام .

إنكم فى عشر الرحمة لم يبق منها إلا أربع ليال ، فانظروا ماذا عملتم فيما مضى ؟ هل طرقتم أبواب الرحمة ؟ وهل سلكتم طريقها ؟ وهل فعلتم أسبابها ؟ وعلى كل حال أُذكِّركم قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [(٤)] . واتبعوا فضله :

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : أخرجه مسلم فى الصحيح : الوصية برقم (١٦٣١) باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عمر ﷺ : البخارى برقم (٦٤١٦) : الرقاق ، والحاكم فى المستدرك : ٤ /٣٠٦ من حديث ابن عباس ﷺ بسياق أطول وإسناده صحيح ووافقه الذهبى على ذلك

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المجادلة آية رقم (١٩) .

(٤) سورة الزمر آية : ٥٣ ، ٥٤

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۝٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٨ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾(١) .

فاتقوا الله أيها الناس .. توبوا من التقصير فى الماضى وأصلحوا المستقبل ، إن الإسلام لم يكن بالتمنى ولا بالتحلى(٢) ولا بالتابعية ولا بجواز السفر .

وإنما الإسلام هو الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة(٣) ، والخلوص من الشرك بجميع أنواعه : من شرك العبادة(٤) ، ومن شرك الطاعة(٥) ، ومن شرك الشهوات(٦) .

الإسلام اعتقاد بالقلب وعملٌ بالجوارح وقول باللِّسان(٧) ، الإسلام له

---

(١) سورة الزمر الآيات : ٥٥ - ٥٩

(٢) إشارة إلى معنى حديث شداد بن أوس ﷺ : أحمد فى المسند : ٤ / ١٢٤ وبعض أصحاب السنن ، وإن هذا القول هو قول الحسن البصرى ذكره صاحب شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٨١) عنه وإسناده فيه ضعف وهو أبو بكر بن أبى مريم الغسانى وقد رق ، ولكن معناه صحيح ومؤيد من عدة نصوص قرآنية وسننية .

(٣) هكذا عرَّف الإسلامَ شيخُ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فى كتابه « التوحيد » .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البينة آية رقم (٥) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة محمد آية رقم (٣٣) .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة مريم آية (٥٩) .

(٧) هذا تعريف للإيمان أجمع عليه السَّلَف رحمهم الله تعالى وذكره العلامة أبو جعفر الطحاوى الحنفى المتوفى سنة ٣٢١ هـ فى عقيدته ، وشرحه العلامة ابن أبى العز الحنفى المتوفى سنة ٧٩٢ هـ فى شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٧٣ - ٤٠٧) .

خمسة أركان منها صوم شهر رمضان ، فلا تصلّح الصلّاة ولا الزكاة ولا الحج إلا بصيام شهر رمضان ، فالذى لا يقيم أركان الاسلام ولا يستسلم لله ولا ينقاد لأوامره ونواهيه ولا يصوم شهرَ رمضان - وهو غير معذور - ليس بمسلم وإن قال إنه مسلم وإن كان أبوه وأُمه وجده مسلمين .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

ينبغى أن تُخضعوا أعمالكم وأوقاتكم لشهر رمضان ، وأن تعملوا تنسيقاً بين الصيام وبين الأعمال ، فالصوم واجب وأعمالكم لا بد لكم منها فخففوا عن العمال واحتسبوا الأجر على الله ، واعملوا شيئاً مَن أجل الله ، ففى حديث سلمان الفارسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « ومن خفف عن مملوكه فيه (أى فى رمضان) غفر الله له وأعتقه من النار » [(١)] ، وراقبوا الله فى عُمَّالكم فهم تحت ولايتكم وأنتم مسئولون عنهم[(٢)] .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم . . . . . .

اللَّهُمَّ وفقنا لصيام رمضان وقيامه ، وأعِنَّا على حقوقه وآدابه ، واجعلنا فى هذا الشهر من عتقائك[(٣)] .

---

(١) إشارة إلى حديث سلمان الفارسى ﷺ : ابن خزيمة فى الصحيح برقم (١٨٨٧) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور : ١ / ٤٤٦ - ٤٤٧ إلى عدة مصادر .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عمر ﷺ : البخارى : ١٣/ ١٠٠ فى الأحكام ، ومسلم برقم (١٨٢٩) الإمارة .

(٣) إشارة إلى حديث أبى أمامة ﷺ : أخرجه أحمد والطبرانى ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور : ١ / ٤٤٥ إليه ، ونحوه حديث أبى هريرة ﷺ عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ١/ ٤٤٥ إلى الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم وصححه والبيهقى من حديث أبى هريرة ﷺ .

اللَّهُمَّ إنك عَفوٌ تحب العفو فاعف عنا[1] .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حُسْن الأدب مع نعمائك ، وحُسْن الأدب مع كتابك ، وحُسْن الأدب مع دينك ، وحُسْن الأدب فى جوار نبيك محمد ﷺ ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا وذُرِيَّاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

*　　*

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها : أخرجه بعض أصحاب السنن والإمام أحمد فى المسند : ٦ / ١٧

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقسام الناس فى تلقى شهر رمضان

(الخطبة الثانية)

الحمد لله العلى الأعلى .. خلق فسوَّى ، وقدَّر فهدى [١] .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الحمد والثناء[٢] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله النبى المصطفى .

صلَّى الله عليه وعلى آله ومنَ تبعهم بإحسان ثم اهتدى .

أما بعد ..

فإن الناس يختلفون فى تلقى شهر رمضان باختلاف الإيمان ، فمنهم مَن استقبله بالفرح والبشر وشمر واجتهد .

آمن بوعد ربه فرغب فيه ، وصدَّق بوعيد خالقه فخاف منه ، عرف لشهره حقه ، فهو يصوم نهاره ،ويجتهد فى قيام ليله ، مواظبًا على فرائضه ، دائمًا لسانه رطبٌ من ذكر الله ، تسبيحٌ وتهليلٌ وحمدٌ لله وتلاوةُ قرآن ، حَفِظَ لسانه وجوارحَه من معاصى الله ، فهؤلاء يُرجى أن يكونوا من السابقين للخيرات : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[٣] .

وقسم آخر - أعاذنا الله من حالهم - كأن لم يكن رمضان ، لا فرق

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعلى آية رقم(٢ - ٣)

(٢) إشارة إلى حديث أبى عبيدة بن عبد الله ﷺ : مسلم فى الصحيح : الصلاة برقم (١٩٤) خاص وعام (٤٧١) . وفيه هذا اللفظ المبارك .

(٣) سورة الواقعة الآيات : ١٠ - ١٢

عندهم بين شعبان ورمضان ، لا يصومون النهار ولا يقومون الليل ولا يؤدون فرائض الله : ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾[١] .

وقسم ثالث : ﴿ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم ﴾[٢] .

فانظر أيها الإنسان من أى الأنواع أنت ، وحاسب نفسك ، انظر إلى أعمالك وزنها بموازنين العدل والإنصاف : ﴿ اقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[٣] .

هنيئًا للصائمين ، لهم كرامات عند الله ولهم خصوصيات ومميزات ، لهم باب فى الجنَّة اسمه الريَّان لا يدخل منه إلا الصائمون فإذا دخلوا أُغلق[٤]، فيه الرِّيُّ من الرحيق المختوم[٥] ، فيه اللَّذة والنعيم المقيم[٦] .

هنيئًا لأهل الصيام سيكون حجابًا لهم من لفح جهنم[٧] وسمومها ، وما أجمل الجمع بين الشفيعين : الصيام وتلاوة القرآن ، فكلٌ من الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما[٨] ، تأدبوا بأداب الشهر المبارك ، واحفظوا ألسنتكم

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٩

(٢) سورة التوبة آية : ١٠٢

(٣) سورة الإسراء آية : ١٤

(٤) إشارة إلى حديث سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه : البخارى : ٦ / ٢٣٥ بدء الخلق ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم (١١٥٢) الصيام : باب فضل الصيام .

(٥) إشارة إلى حديث سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه :الترمذى برقم(٧٦٥)وقال : حديث حسن صحيح وفيه : « فمَن شرب منه لم يظمأ أبداً »وفيه زيادة أخري بمعناه .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (٢١).

(٧) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : عزاه السيوطى فى الدر المنثور:١ / ٤٣٩ إلى البزَّار مثل هذا المعنى : أن للصُوَّام يوم القيامة حوضًا ما يرده غير الصُوَّام .

(٨) إشارة إلى ما أخرجه أحمد فى المسند وابن أبى الدنيا فى كتاب الجوع والطبرانى والحاكم .

من الغَيْبة والنميمة [١] ، واحذروا المعاصى فى الليل والنهار ، واجتنبوا المفطِّرات إلا من عذر ، واحفظوا أوقاتكم واملأوها بما ينفع ولا تضيعوها فى اللَّهو واللَّعب[٢] ، فإن الأوقات خزائن تحمل أعمالكم إلى قبوركم ثم إلى نشوركم ·

فاتقوا اللهوراقبوه فى السر والعلن،وصلُّوا على البشير النذير ·····

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [٣] ··· إلى آخر الدعاء ·

* * *

(١) فى المستدرك وصححه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عزاه السيوطى إليهم : ١ / ٤٤٠ فى الدر المنثور مثل هذا اللفظ تماماً ·

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنعام آية رقم (٧٠) ، وسورة الأعراف آية رقم (٥١) ·

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٨ - حكمة جعل الصيام فى رمضان[١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم ﴾ [٢] .. ﴿ الذى نزَّل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين ﴾[٣] .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات لَيُدخِلَنَّهم فى الصالحين[٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمة للعالمين[٥] ، بالمؤمنين رؤوف رحيم[٦] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الشعائر التعبدية تُنْشىء فى نفس المسلم شعوراً حسنًا ونوراً إيمانياً يتحكم فى سلوك العابدين ، ويُربِّى ضمائرهم ، ويُنَظِّم حُسن أدائهم للعبادة

---

(١) ألقيت فى ١١/٩/١٤١٠ هـ .
(٢) سورة الفاتحة : ٢ ، ٣
(٣) سورة الأعراف آية : ١٩٦
(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المائدة آية رقم (٨٤) .
(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنبياء آية رقم (١٠٧) .
(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (١٢٨) .

ويُكسبُهم سلوكًا جميلاً فى هذه الحياة ، ويصل العبد بالرب ، ويحثه على تلقى التكاليف بعزائمها ورُخَصها متكاملة متناسقة برغبة واحتساب ، ويحثُّ أيضاً على أخذ هذا الدين بقوة كما أراد الله وأراده رسوله ﷺ ، فى يقين بالله وبكمال علمه وبصدق وعده وثقةٍ فى حكمته وعدله ، والصيام يكسب العبد إحساساً بأن الله رقيب عليه يسمع ويرى فى كل الأحوال وفى كل الأزمنه والأمكنة .

فالإيمان الصحيح الثابت لا يتغير بتغير الأمكنة ، ولا يتلوَّن تبعاً للبيئة ، والمؤمن ملتزم بمنهج الإيمان داخل البلاد وخارجها فى حال الغيب والشهادة موقن بأن الله مُطَّلِع عليه دائمًا وأبداً ، والصيام شريعة من شرائع الإسلام الأساسية ، وهو نعمة من الله توجب شكره وتعظيمه ؛ فالصائم قد أبرم صفقة مع ربه لا يعلمها إلا الرب والعبد(١) ، فإذا هو قريب من الله وتحت رعايته ولطفه ، يستجيب دعاءه ويُشَفِّع الصيام فيه(٢) ، فللصائم دعوة مستجابة كما روى أحمد والترمذى وحسَّنه ،عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا تُرَد دعوتهم : الصائم حين يُفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول : وعِزَّتى وجلالى لأنصرنَّك ولو بعد حين » (٣) .

وللصيام شفاعة عند الله يشفع للصائمين بالنجاة من النار وبدخول

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى : ٤/٨٧ ، ٤ / ٩٤ ، ونحوه مسلم برقم (١١٥١) عام وخاص (١٦٢) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، عزاه السيوطى فى الدر المنثور إلى أحمد فى المسند وابن أبى الدنيا فى كتاب الجوع : ١ / ٤٤٠ - ٤٤١ وصححه الحاكم فى المستدرك:١/ ٥٥٤ وصححه ووافقه الذهبى على ذلك فى التلخيص.

(٣) هذا لفظ أبى هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذى برقم (٣٥٩٢) فى الدعوات ، وابن ماجه برقم (١٧٥٢) الصيام ، وصححه ابن حبان كما فى الموارد برقم(٢٤٠٨) .

الجنَّة . روى أحمد وغيره والحاكم - وقال : على شرط مسلم - عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أى ربِّ ؛ منعته الطعام والشهوة فشفِّعنى فيه ، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفِّعنى فيه ، قال : فيشْفعان »(١) .

ولئن كانت عبادة الصيام قد كُلِّفتْ بها الأمم قبلنا(٢) ، إلا أن هذه الأُمَّة قد أكرمها الله لكرم نبيها ، وفضَّلها لفضل رسولها ﷺ ، فاختار لفريضة صيامها شهراً له مُميزات وخصوصيات وفضائل على سائر الشهور .

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾(٣) ، فيه ليلة مباركة خير من ألف شهر (٤) .

فأى ميزة أعظم من نزول القرآن فى شهر رمضان بكلام الله إلى جبريل ، ثم على قلب محمد ﷺ ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وليهدهم صراطاً مستقيمًا(٥) ، فأنشأ لهم كيانًا وسلطانًا ودولة .

وأُمَّة الإسلام بدون هذا القرآن لا يُحسب لها حساب ، ولا مكانة لها فى الوجود ، ولا ذِكر لها لا فى الأرض ولا فى السماء ، ولن تعود إلى ما كانت عليه إلا إذا عادت إلى الله وإلى كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ وإلى ما كان عليه سلَفها الصالح (٦) .

---

(١) هو نفس هذا الحديث : الحاكم فى المستدرك : ١ / ٥٥٤ . . . . .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٨٣) .

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٥

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القدر آية رقم (٣) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المائدة آية رقم (١٦) .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران آية (١٠٣) .

فاختيارُ شهر رمضان لفريضة الصيام على هذه الأُمَّة فضل من الله وإحسان ورحمة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . . وما هى حال المسلم إذا صام رمضان بإيمان واحتساب فإذا هو يرى محبوبات النفس ومشتهياتها فلا يبالى بها طاعة لله ، يرى الطعام اللَّذيذ والماء البارد فلا يلتفت إليه : ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾(١) . ولا يقربه مع حاجته إليه ورغبته فيه حتى الليل .

فمن هنا يحصل للصائم فرحتان : فرحة عند فِطره ، وفرحة عند لقاء ربه . روى مسلم فى الصحيح عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عَزَّ وجَلَّ : كل عمل ابن آدم يُضاعَفُ : الحسنة عشرَ أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله عَزَّ وجَلَّ : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى ، للصائم فرحتان : فرحة عند فِطْرِه وفرحة عند لقاء ربه ، ولخَلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » (٢) .

يفرح الصائم عند فِطْره بأداء عبادة محبَّبة إلى الله ، وبتناول ما كان ممنوعًا ساعات الصيام . ويفرح بالثواب الذى أضافه إلى ديوان حسناته . ويفرح بحل ما كان مُحرَّمًا عليه من الطيبات .

أما الفرحة الكبرى فحين يلقى ربه ، وما أقرب ذلك الموعد ، فما هى إلا أيام وشهور وأعوام ثم ينتقل الإنسان من هذه الدار إلى البرزخ ، ثم إلى لقاء ربه فى الحساب .

﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾(٣) ثم ذلك اليومُ الرهيبُ ، حين يخرج الناس من الأجداث سراعا كأنهم جراد منتشر (٤) ، حُفاةً عراةً ، لا ينظر

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية (١٨٧) .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى مع الفتح : ٤/ ٨٧ ، ٤ / ٩٤ ومسلم برقم (١١٥١) عام وخاص(١٦٤) .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٨٥

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المعارج آية رقم (٤٣) .

أحد إلى أحد ولا يلوى أحد على أحد(١) : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾(٢) ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾(٣) ، ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾(٤) .

ليس معهم مما فى دنياهم إلا الأعمال ، فأما الحسنات فعند الله مدخرة وأما السيئات فيحملونها : ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾(٥) .

فى ذلك اليوم العصيب يتذكر الصائم صيامه ، ويتذكر وعد الله الذى لا يُخْلَف الميعاد .

يجد ثمار صيامه فى الموقف فتغمره فرحة متكررة فى يوم عَبوس ، يفرح حين يسقيه صيامه والناس عطاش ، ويفرح إذا سَتَره الصيام عن جهنم ، ويفرح حين يشفع له الصيام فيُشَفَّع(٦) .

ويفرح إذا رأى ما ادخر الله له فى قائمة حسناته .

فحافظ أخى المسلم على صيامُك واعرف فضله وقدره ومكانته ، وحافظ على جُنَّتك عن النار لا تخرمنها .

وأمامنا الآن عدد من المسائل يتكرر السؤل عن بعضها .

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما : البخارى برقم (٣٣٤٩) الأنبياء باب (٨) ، ونحوه مسلم : الجنَّة ، حديث رقم (٥٦) ، (٥٩) .

(٢) سورة عبس الآيات : ٣٤ - ٣٧

(٣) سورة طه آية : ١٠٨

(٤) سورة طه آية : ١١١

(٥) سور النازعات آية : ٣٥ - ٣٦

(٦) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : الترمذى برقم (٣٥٩٢) ، وابن ماجه برقم (٥٢١٧) وصححه ابن حبان كما فى الموارد برقم (٢٤٠٨) ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك : ١ / ٥٥٤ وصححه ووافقه الذهبى على تصحيحه .

لقد علمنا أن الصيام من طلوع الفجر حتى غروب الشمس كما قال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾[١] .

فمَن أكل أو شرب ناسيًا لصومه فلا يؤثر ذلك فى صومه[٢] ، لكن متى ذكر أمسك فورًا وصيامه تام إن شاء الله لما فى الصحيحين عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أكل أحدكم أو شرب ناسيًا فليُتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه »[٣] .

وأما المخطىء الذى يأكل أو يشرب يظن أن الفجر لم يظهر ، أو يظن أن الشمس قد غربت ، فإذا الأمر خلاف ما يظن فالذى عليه كثير من العلماء أنه أفطر وأكل معتمدًا ويلزمه الإمساك والقضاء[٤] ، ولا يُقاس على الناسى لأن النسيان لا يمكن الاحتراز منه ، أما الخطأ فيمكنه الإمساك إذا شك فى طلوع الفجر ، ولا يُفطر حتى يتيقن غروب الشمس .

وأما مَن أفطر على أذان مكة المشرَّفة يظنه أذان المدينة المنوَّرة وبعد دقيقة ونصف أذَّن مُؤذِّن المدينة - كما قال السائل - فمن المعلوم أن مدة الصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وإنما الأذان إعلام بدخول الوقت المُتَيَقن .

وما دام أنَّ المؤذِّنَ يحتاط لدخول الوقت ، والفرق بين الأذانين قليل فإنَّ

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٧

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ الذى سوف يأتى تخريجه .

(٣) حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى : ١ / ١٣٤، ونحوه مسلم برقم (١١٥٥) باب : أكمل الناس .

(٤) راجع الآثار فى هذا الموضوع : البيهقى فى السنن الكبرى :٤ /٢١٦- ٢١٧، وقد استوعب الموضوع ورجح القضاء مع الإمساك .

فطر ذلك الإنسان فى محله إن شاء الله لكن ينبغى له ولغيره ألا يفطر إلا على أذان بلده لتلافى الخطأ ودفع الشك .

وإذا سمع النداء وإناء الشرب فى يده أو اللُّقمة فى يده فله بلعها وقضاء حاجته من الشراب لما روى أبو داود عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسَلَّم : « إذا سمع النداء أحدكم والإناءُ فى يده فلا يضعه حتى يقضى حاجته منه »[1] . قد نص الحديث على وجود الإناء فى يده ، أما إذا لم يكن فى يده فلا يذهب يطلبه بعد الأذان .

وإذا طلع الفجر ووجب الإمساك وكان إنسان عليه غُسل واجب من جنابة أو من حيض أو نفاس فطهرت منه ، فليُمسك وليغتسل بعد الإمساك ويُصلِّى ، ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسوة حسنة ، فقد كان يُدركه الفجر فى رمضان وهو جُنُب من غير حُلم فيغتسل ويصوم (متفق عليه)[2] . ولأن الصيام لا تُشترط له الطهارة .

وأما الذى جامَعَ فى نهار رمضان وهو صائم ذاكرًا فقد أفطر ويلزمه الإمساك والقضاء والكَفَّارة : عتق رقبة مؤمنة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا لحديث أبى هريرة المتفق عليه فى قصة الذى قال للرسول صلى الله عليه وسلم : هلكتُ ، وقعتُ على امرأتى وأنا صائم[3] .

ولهذا ينبغى ممن تثور شهوته ولا يملكها أن يبتعد عن مظانها فى نهار

---

(١) أبو داود فى السنن برقم (٢٣٥٠) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

(٢) هو من حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما : البخارى : ٤ / ١٢٣ ، ونحوه مسلم برقم (١١٠٩) .

(٣) حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى : ١١ / ٥١٦ : كفَّارات الأيمان ، ونحوه مسلم برقم (١١١١) .

رمضان ، وله فى الليل متَّسع لقضاء الوطر وإشباع الرغبة [١] . ولا يُقاس الجِماع على مسألة الشرب المتقدمة ، فإذا أذَّن الفجر وهو فى - جِماع مع زوجته فلينزع حالاً ولا عليه إن شاء الله ، ولا يحل له أن يتم وطره ، فإن فعل فقد جامَعَ فى نهار رمضان وهو صائم وحكمه تقدَّم .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

* *

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢٢٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنصات لسماع القرآن

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [(١)] . .

﴿ نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا [(٢)] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن هذا القرآن بصائِر للناس وهدىً ورحمة[(٣)] ، يجب الإنصات عند سماعه تعظيمًا له واحترامًا ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [(٤)] ، ويتأكد ذلك فى الصلاة إذا جهر الإمام بالقراءة لحديث أبى موسى الأشعرى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إنَّما جُعِلَ الإمام ليؤتمَّ به فإذا كبَّرَ فكبِّروا ، وإذا قرأ فأنصتوا » (رواه مسلم) [(٥)] ،

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) سورة الفرقان آية : ١

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية رقم (٢٠٣) .

(٤) سورة الاعراف آية : ٢٠٤

(٥) هذا لفظ مختصر من حديث طويل وهو من حديث أبى موسى الأشعرى ﷺ : مسلم فى الصحيح حديث رقم (٦٢) ، (٦٣) فى الصلاة ، وأما اللفظ الذى عند الخطيب فهو لابن ماجه حديث رقم (٨٤٦) .

ولايجوز للمأموم أن يقرأ مع الإمام إذا جهر بالقراءة لا بنفس الآيات ولا بغيرها على خلاف فى الفاتحة ، لما روى أحمد وأهل السنن عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاةٍ جهرفيها بالقراءة ، فقال : « هل قرأ أحد منكم معى آنفًا » ؟ قال رجل : نعم يا رسول الله ، قال: « إنى أقول مالى أُنازع القرآن » ؟ قال : فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيما جهر به بالقراءة[1] ، فالواجب على المأموم الإنصات للقراءة وتدبر كلام الله وتفهم معانيه ، وليعلم أنه يخاطبه فإذا سمع : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾[2] فهو منهم ، أو : ﴿ يا بنى آدم ﴾[3] ، أو : ﴿ يا أيها الناس ﴾[4] ، وأنه يُعنِى بالأمرُ والنهى ، والوعد والوعيد ٠

وهناك بعض الناس يحمل معه مصحفًا يقرأ فيه مع الإمام ٠

وهذا مخالف لنص الآية التى تأمر بالإنصات ، ومخالف لنهى رسول الله ﷺ ، وما يفوته من الرحمة والتدبر وتفهم المعانى أكثر مما يطلبه ٠ وربما سقط المصحف فأهوى ليأخذه ثم يأخذ فى البحث عن مكان القراءة ، فإذا هو منشغل عن صلاته لاهٍ عن ربه وعن تدبر كلام الله قد عبث فى صلاته ، وربما كان هدفه من أخذ المصحف معرفة غلط الإمام وهو بعيد عنه وليس مسئولاً عن الفتح عليه ، فذلك مقصد غير حسن ٠

---

(١) أبو داود برقم (٨٢٦) ، (٨٢٧) من حديث أبى هريرة ﷺ وقال أبو داود فى نهاية الحديث (١ / ٢١٩) : سمعت محمد بن يحيى بن فارس قال : قوله : « فانتهى الناس ٠٠٠ » من كلام الزهرى ، ونحوه ابن ماجه برقم (٨٤٨) وهذا الحديث بهذا اللفظ مختصر من حديث طويل وفيه بعد هذا اللفظ: « إلا بفاتحة الكتاب »،فإنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ، هذه الزيادة مرفوعة ثابتة بأسانيد صحيحة ٠

(٢) سورة البقرة آية : ١٠٤

(٣) سورة الأعراف آية : ٢٦

(٤) سورة البقرة آية : ٢١

فاتقوا الله أيها المسلمون . . ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١)

واعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على النبى ، قال سبحانه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) . . . إلى آخر الدعاء .

* * *

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٠٤

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٩ - الحث على عمل الخير فى رمضان[١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾[٢] .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له .. قولاً واعتقاداً وعملاً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .. طاعةً وتصديقًا واتباعًا .

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيراً .

أما بعد ..

فقد مضى من شهرنا المبارك نصفه ، وبلغ بدرُه تمامه ، وابتدأ شهرنا فى الانصراف وتوجَّه إلى باب الخروج .

قد مضت عَشر الرحمة[٣] وانقضت بما أودعنا فيها ، وطُويت صحائفها

---

(١) القيت فى ١٤/٩/١٣٩٨ هـ .

(٢) سورة الأنعام الآيات : ١ - ٣

(٣) إشارة إلى حديث سلمان الفارسى رضي الله عنه الطويل وفيه هذا اللفظ : ابن خزيمة فى الصحيح برقم (١٨٨٧) وإسناده فيه ضعف بحتمل إن شاء الله تعالى مع الشواهد الكثيرة .

على ما سجَّلنا فيها ، فياليت شعرى مَن يدرى مَن هو المرحوم : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١) ، وها هى عَشر المغفرة(٢) قد انتصفت ، ونحن لا زلنا على أبواب التسويف والتمنى .

يا عباد الله .. قد مضت عَشر الرحمة ، وانتصفت عَشر المغفرة ، وابتدأ الشهر فى الانصراف .

فالتفت أيها المسلم وأيتها المسلمة إلى تلك الأيام المباركة . انظروا إلى كِنَانَاتِكم ومجمع حسناتكم . وانظروا إلى صحائِفِكم ماذا سُجِّل عليكم فيها .

على كل واحد أن يتأمل وينظر كم جزءاً قرأ من القرآن ؟ وهل عرف مَن هو المَعْنِىُّ بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ﴾ (٣) ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ (٤) ، ﴿ يا بنى آدم ﴾ (٥) ، ﴿ يا عبادى ﴾ (٦) ؟ هل عرف أنه هو المقصود بالنداء والمَعْنِىُّ بالخطاب ؟ ثم ليتأمل كم ريالاً أنفق فى سبيل الله على الفقراء والمساكين والأيتام والمعسرين ، وهل استقصى ما يجب عليه من زكاة وحق واجب فى ماله ؟ وهل عدل فى الإحصاء والتقدير أم غالط وخادع وتناسى الشىء الكثير ؟ .

راقب ربَّك أيها الغنى إنه هو السميع البصير .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٦

(٢) إشارة إلى حديث سلمان الفارسى الذى مضى الآن : ابن خزيمة فى الصحيح برقم (١٨٨٧) .

(٣) إشارة إلى عدة آيات قرآنية ومنها قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢١) .

(٤) ورد هذا النداء المبارك فى عدة آيات قرآنية ومنها فى سورة البقرة رقم (١٠٤).

(٥) ورد هذا النداء الربانى فى عدة مواضع من القرآن الكريم ومنها فى سورة الاعراف آية رقم (٢٦) .

(٦) ورد هذا الوصف المبارك العظيم من رب العباد فى عدة آيات قرآنية ومنها فى سورة العنكبوت آية رقم (٥٦) .

أيها الإنسان .. كم مرة حاسبتَ نفسك على أفعالها ؟ هل تذكرت ما مضى من سيئاتك وإهمالِك لحق ربك وتقصيرِك فى واجب دينك وأُمَّتك؟

كم مرة تذكرتَ عظمة ربك وقُدْرته عليك ومصيركَ إليه ؟ هل تذكرتَ مَلَكَ الموتِ وقَبضَ الروح وغمرات الموت وسكراته ؟ هل تصوَّرتَ إذا بلغت روحك التراقى والتفت الساق بالساق[١] ، وحُمِلْتَ على الأعناق ، ودُفِنْتَ فى القبور ؟ هل تذكرتَ سؤال منكر ونكير[٢] . ثم البعث والنشور والحساب والصراط ؟ [٣] هل تأملتَ هذا واستعدَدَّيت له ؟

كم مرة نظرتَ بجدٍّ وصدق وتأمل فى خزانة نقودك وسجلات حساباتك ونفقات أهلك وبيتك ، فعرفت ما فيها من حلال وحرام ؟ أم أنت فى سكْرةٍ وغفلةٍ تخبط فى الدنيا خبط عشواء ؟ هل تذكرتَ ما عليك لإخوانك المسلمين من حقوق فى الأعراض والأموال والدماء فحاولتَ النجاة من مغبتها ومسئوليتها ؟

كم من مرة حاسبت لسانك على فلتاتِه ؟ وهل يكبُّ الناسَ فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟ [٤] .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القيامة آية رقم (٣٠) .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : أخرجه بعض أصحاب السنن ومنها ابن ماجه بسياق طويل ، كتاب الزهد وإسناده صحيح وبرقم عنده (٤٢٦٨) فى الزهد باب (٣٢) وحكم عليه البوصيرى فى الزوائد : بأن إسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث البراء بن عازب ﷺ : أخرجه أحمد فى المسند : ٤ / ٢٨٧ - ٢٨٨ وإسناده صحيح ، وأخرجه الترمذى فى جامعه باب (٢٢٦) ، وأبو داود كذلك باب (٢٤) الجنائز .

(٤) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل ﷺ : بعض أصحاب السنن ، وأحمد فى المسند : ٥ / ٢٣١ وإسناده حسن .

ثم انظر أيها المسلم وأيتها المسلمة : كم عَبرةَ ندمٍ أرقتها وأنت خالٍ بربك فى ساعة من ليل أو نهار ؟

أيها المسلمون ٠٠ إننا فى شهر المحاسبة ، فى شهر النجاة ، شهر الوفاء والاستيفاء ٠ فمَن لم يتخلص من الحقوق التى عليه فى هذا الشهر الكريم شهر الرحمة والغفران ، فمتى يتخلص منها ؟ ومَن لم يستطع الدخول فى رحمة الله ومغفرته فى هذا الشهر العظيم فمتى يَدْخل فيها ؟ ورَغِمَ أنفُ امرىءٍ دخل عليه شهر رمضان وخرج ولم يُغفر له[1] ، مَن لم يُعتقْ نفسه فى هذا الشهر من النار فمتى يعتقُها ؟ ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[2] .

أيها المسلم ٠٠ إنك إن حاسبتَ نفسك وجدتها مدانة لخالقها ، وإن نظرتَ إلى صحيفتك وجدتها سوداء من الذنوب ، وإن لمستَ كنانتك وجدتها خاليةً مما يجب أن يُجعل فيها ، ولكن لا تنس قول الله تبارك وتعالى فى محكم التنزيل :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[3] .

أَقْبِل إلى الله وتقرَّب إليه ، واستح منه ، وارغب فيما عنده ٠

وأعلم أن ربك جوَّادٌ كريم ، رؤوفٌ رحيم ، يفرح بتوبة التائبين ويغفر

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : الترمذى فى جامعه برقم (٣٥٣٩) : الدعوات ، وابن حبان فى الصحيح كما فى الموارد برقم (٢٣٨٧) ، وأخرجه مسلم فى البر والصلة برقم (٢٥٥١) .

(٢) سورة مريم آية : ٧١ ، ٧٢

(٣) سورة الزمر آية : ٥٣

ذنوب المستغفرين ، فتوجَّه إلى الله بقلب سليم ، وتُبْ إليه توبة نصوحاً ، وأقلع عن المعاصى ، وصحح أخطاءك وأصلح ما بقى من أيامك ، وافتح صفحة جديدة لأعمالك ، واتخذ سجلاً جديدًا لمعاملتك مع ربك ، وأصلح شأنك مع أهل بيتك وإخوانك وأبناء جنسك : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

اللَّهُمَّ اجعلنا لديك من المقبولين ، وأعتقنا فى هذا الشهر من نار السموم .

اللَّهُمَّ توفنا مع الأبرار ، وأعتقنا من النار .

اللَّهُمَّ إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عنا[2] (ثلاثًا) .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] .

* *

---

(١) سورة المائدة آية : ٨

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه بعض أصحاب السنن والإمام أحمد فى المسند : ٦ / ١٧١ وإسناده صحيح .

(٣) سورة الحشر آية : ١٠

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ليلة القدر

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على جزيل النعَم · وأشكره فهو أهل الفضل والكرم ·

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ·· خلق الخلق من العدم وأعطاهم وتكرَّم ·

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ··سيدُ العرب والعجم ·

صَلَّى الله عليه وسَلَّم ما نطق لسان وتحرَّك قدم ، وما اتصلت عين بنظر وأذن بخبر ، وعلى آله وأصحابه السادة الغُرر ·

أما بعد ··

فقد أوصانا نبينا محمد ﷺ بتحرِّى ليلة القَدْر ، ورغَّبنا فى قيامها ، وعرَّفنا بفضلها : « مَن قام ليلة القَــدْر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه» [(١)] .

إنها ليلة مباركة ، نزل فيها القرآن إنذارًا وبشارة ، فيها يُفْرَق كل أمر حكيم[(٢)] ، فيها بِدْء الرسالة ونزول الوحى على قلب محمد الطاهر الأمين صلى الله عليه وسلم [(٣)] .

وحثنا رسول الهدى ﷺ على تَحرِّى ليلة القَدْر فى العَشر الأواخر من شهر رمضان[(٤)] ، ورغَّبنا فى تحريها فى أفراد العَشر الأواخر: فى ليلة واحد

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى برقم (٢٠١٤) فضل ليلة القدر ، ونحوه مسلم فى الصحيح حديث رقم (٧٦٠) فى صلاة المسافرين ·

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى أول سورة الدخان آية رقم(١) ·

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القدر : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ·

(٤) إشارة إلى حديث عائشة ﷺ : أخرجه البخارى مع الفتح : ٤ / ٢٢٥ ، ٤/ ٢٢٧ ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم(١١٦٩) ، والترمذى فى جامعه برقم(٧٩٢)·

وعشرين ، فى ليلة ثلاث وعشرين ، فى ليلة خمس وعشرين ، فى ليلة سبع وعشرين ، فى ليلة تسع وعشرين[١] .

إنها خمس ليال فقط ما على الإنسان مشقة إذا أحيا هذه الليال الخمس فى عبادة الله : فى الصلاة ، فى قراءة القرآن ، فى ذكر الله ، فى التسبيح والتهليل ، فى الاستغفار والتضرع إلى الله ، فى الدعاء والخوف والرجاء .

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾[٢] .

فلا تفوتكم هذه الليلة وخيراتها ، ولا تغفلوا عن هذه الليلة ونفحاتها .

وتهيأوا لاستقبال الملائكة فيها ، فإنهم يرونكم وإن كنتم لا ترونهم ، فاحرصوا على أن يكونوا شهوداً لكم ، وأكثروا من الصلاة والتسليم على النبى الكريم فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المبين . فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[٣] .

. . . . إلى آخر الدعاء

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ : البخارى مع الفتح : ٤ / ٢٣٦ فى الاعتكاف ، ونحوه مسلم برقم (١١٦٧) فى الصيام ، وحديث أنس نحوه، وأبو داود برقم (١٢٨٠) ومنها حديث لأبَىّ بن كعب ﷺ ، ومسلم فى الصحيح برقم (٨٢٨) : الصيام ، انظر البغوى : شرح السنّة : ٦ / ٣٨٨

(٢) سورة القدر الآيات : ١ - ٥

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٠ - ليلة القَدْر[١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين﴾[٢] .. يَسَّرَ لأُمَّة محمد ﷺ طُرق النجاة .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له .. يُضاعِف الحسنات ويعفو عن السيئات[٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صفوة المخلوقات .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان فى كل الأوقات :

أما بعد ..

فقد أخذَ شهر الخيرات والبركات فى النقصان ، مضَت عَشر الرحمة وكم فيها من مرحوم وكم فيها من محروم .

اللَّهُمَّ اجعلنا من المرحومين وعندك من المقبولين .

بقى يومان فى عَشر المغفرة ، ثم عَشر العتق من النار ، تلك العَشر التى عَرف نبينا محمد ﷺ قـدرها فجدَّ واجتهـد والتمس فيها ليلة القـدر : ﴿ وما أدراك ما ليلةُ القدر ﴾[٤] ، تلك اللَّيلة الموعودةُ المشهودة ، سجَّلها

---

(١) ألقيت فى ١٨/ ٩/ ١٤١٠ هـ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٢
(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الشورى آية رقم (٢٥) .
(٤) سورة القدر آية : ٢

القرآن الكريم فى سجل الخلود ، أنار الله فيها ببعثة محمد ﷺ جنَبات الوجود، واهتز الكفرُ والطغيان ، وسقطت شرفات الجحود ، وشَعَّ نور الإيمان والعدل والتوحيد ، فتصدَّع القصر المشيد ، وحُفظت السماء من مُسترقى السمع : ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾(١) ·

أُنزل فيها القرآن على نبى الرحمة ورسول الهدى ﷺ (٢) : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين ﴾(٣) ، ﴿ يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾(٤) ، لو أُنزل على جبل لدكَّه ، ولو سُيِّرت به الجبال لسارت ، أو قُطِّعت به الأرض لتقطَّعت ، أو كُلِّم به الموتى لتكلموا(٥) · ولكن هذا القرآن خاطب المُكلَّفين الأحياء من بنى آدم ، وقد أثر فى هذا الوجود أكثر من دك الجبال وتسييرها ، وأكثر من تقطيع الأرض وإحياء الموتى ·

فكم غيَّر المسلمون الذين تَخلَّقوا بخُلُق القرآن من تصورات وعادات ، وكم ليَّنُوا به قلوباً أقسى من الحجارة (٦) ، وكم أحْيَوا به أُمماً ميِّتة الإحساس والشعور ، وكم دكوا به أكوام الباطل ، وكم قطعوا به ما هو أقسى من الأرض والصخور وهو جمود التصورات التى ران عليها الكفر والعادات(٧) ، وأصلحوا به دولاً وشعوبًا ، وكم أنقذوا به من مستضعفين مضطهدين ، وكم أوجدوا به من خوارق ومعجزات ·

---

(١) سورة الجن آية : ٩

(٢) إشارة إلى ما عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ٦ / ٣٩٩ إلى سعيد بن منصور رحمه الله تعالى من حديث سعيد بن جبير ﷺ ·

(٣) سورة البقرة آية : ٢

(٤) سورة الاحقاف آية : ٣٠ ، وبمعناه فى سورة الجن آية رقم (٢) ·

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الرعد آية رقم (٣١) ·

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٧٤) ·

(٧) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المطففين آية رقم (١٤) ·

فلهذا القرآن قوةٌ خارقة ، فمتى وصل إلى الآذان دخل القلوب ،ولهذا يَحُول أعداء القرآن بينه وبين الآذان ، وقالوا : ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾(١) .

ولشرف ليلة القَدْر وفضلها وعظمتها ، أنزل الله تعالى فى شأنها سورة خاصة بها مع ذكرها فى سورة الدخان(٢) والإشارة إليها فى سورة البقرة(٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾(٤) .

سُمِّيت تلك الليلة بليلة القَدْر لأنها ذات قيمة ورفعة ومكانة ، ولها قَدْر رفيع فهى ليلة العظمة والشرف ، وللطاعات فيها قَدْر زائد وشرف ، ولأنها أُنزل فيها كتاب ذو قَدْر على أُمَّة ذات قَدْر ، على لسان نبى ذِى قَدْر ، بواسطة مَلَك ذِى قَدْر ، ولأنه يُقَدَّر فيهـــا ويُفرق كل أمر حكيم(٥) .

﴿ ومـا أدراك ما ليلة القدر ﴾(٦) ؟ قال الفرَّاء : كل ما فى القرآن الكريم « وما أدراك » فقد أراه – أى النبى ﷺ – أما « ما يدريك » فلم يـدره ، فقد أعلم الخالق تعـــالى نبيــه ﷺ بليلة القَــدْر ، ولم يُعلمه بالســاعة : ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب ﴾(٧) .

(١) سورة فصلت آية : ٢٦
(٢) سورة الدخان آية : ٣
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٥
(٤) سورة القدر الآيات : ١ – ٥
(٥) إشارة إلى آية الدخان رقم (٣) .
(٦) سورة القدر آية : ٢
(٧) سورة الشورى آية : ١٧

وتكرير ليلة القَدْر فى تلك السورة الموجزة المعجزة لبيان عظمتها والترغيب فى طلبها وإحيائها بالعبادة والذِكْر وتلاوة القرآن ٠

أما وصفُ تلك الليلة بأنها خيرٌ من ألف شهر، فقال كثيرٌ من المفسِّرين : أى العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر لا يكون فيها ليلةُ القَدْر ، وذلك أن النبى ﷺ ذكر أربعةً من بنى اسرائيل عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عَيْن ، فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ؛ عَجِبتْ أُمَّتُك من عبادة هؤلاء النَّفَر ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عَيْن ، فقد أنزل الله عليك خيراً من ذلك ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ فسرَّ بذلك النبى ﷺ (ذكره القرطبى عن على ابن عروة) [١] ٠ فإذا قام مسلمٌ ليلة القَدْر إيماناً واحتساباً كان عمله أفضل من عمل رجل عَبَدَ الله ولم يعصه ألفَ شهرٍ : أى ثلاثاً وثمانين سنة [٢] ٠

ذلك فضلٌ من الله وإحسان وتكريم وإنعام ٠٠ وفى ليلة القدر يكثر تَنَزُّلُ ملائكة الرحمة لكثرة بركتها ، والملائكة يتنزَّلون مع تَنَزُّل البركة والرحمة ، يُسلِّمون على المؤمنين ويُؤمِّنون على دعائهم ، ويدعون ويستغفرون لهم [٣]: ﴿ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [٤] ٠

فياخسارة مَن يَغْفُل عن ليلة القَدْر ، وياندامة مَن يضيعها بين اللَّعب

---

(١) عزاه الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٧ / ٣٣٢ إلى تفسير ابن أبى حاتم عن على ابن عروة وهو من الطبقة السادسة وفيه كلام كثير والله أعلم بصحته ٠

(٢) وقد ثبت فى الصحيح : البخارى برقم (٢٠١٤) فضل ليلة القدر من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بهذا المعنى دون اللفظ ٠

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة غافر آية رقم (٧) ٠

(٤) سورة القدر آية : ٤ – ٥

واللَّهو والمسليات والمضحكات ، وكان أهل الطموحات والهمم العالية يوصون بالتماسها فى ليالى السنة كلها فقال ابن مسعود ﷺ : مَن يقُم الحَوْل يصبها . أراد حث الناس على الاستمرار فى أعمال الخير ولئلا يتكلوا ، والسورة الكريمة حددت ليلة القَدْر فى شهر رمضان فكان المتسابقون يتحرونها فى الشهر كله ، ثم حُدِّدت فى النصف الأخير ، ثم حُصِرت فى العَشر الأواخر . تخفيفٌ من الله ورحمة وإكرام لهذه الأُمَّة لكرامة نبيها ﷺ .

فقد جاء فى حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ اعتكف العَشر الأوَّل من رمضان ، ثم اعتكف العَشر الأوسط ثم قال : « إنى أعتكف العَشر الأوَّل ألتمس هذه الليلة ، ثم أعتكف العَشر الأوسط ، ثم أُتيت فقيل لى إنها فى العَشر الأواخر » . ورأى فى المنام أنه يَسْجد فى صبحها فى ماء وطين ؛ فكانت ليلة واحد وعشرين (رواه البخارى ومسلم) (١) .

وما زال فضل الله على هذه الأُمة وتيسيُره عليهم يتوالى ، حتى حُصِرت فى الوتر من العَشر الأواخــر ، كما فى حديث عائشــة(٢) وابن عباس(٣) وابن عمر ﷺ (٤) فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى(٥) .

وتدل وقائعها الثابتة فى الأحاديث الصحيحة أنها قد تنتقل بأمر الله فى إحدى ليالى الوتر من العَشر الأواخر .

فهى إذاً فى واحدة من خمس ليال ، فهل يكسل المسلم عن إحياء تلك

---

(١) البخارى برقم(٢٠١٨) من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ ، ومسلم برقم (٢١٣) خاص وعام (١١٦٧) بسياق طويل .

(٢) البخارى برقم (٢٠١٧) من حديث عائشة ﷺ .

(٣) البخارى برقم (٢٠٢٢) من حديث ابن عباس ﷺ .

(٤) البخارى برقم (٢٠١٥) من حديث ابن عمر ﷺ .

(٥) البخارى برقم (٢٠١٦) من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ : فضل ليلة القدر .

الخمس فى طاعة الله فى جماعة أو منفرداً أو مع أهل بيته ؟ يُصَلِّى ويتلو كتاب الله ويدعوه ويتضرع إليه ويناجيه ، يُوَحِّده ويُعَظِّمه ويُقَدِّسه ويُسَبِّحه ·· يضع أوزاره أمام الرؤوف الرحيم ، ويُنْزل حاجته بباب الجَوَّاد الكريم ، ويلتمس فيها ليلة القَدْر يرجو بِرَّها وخيرها وإحسانَ الله فيها ·

أخى المسلم ·· إذا كانت السنة القمرية ثلاثمائة وبِضعٌ وخمسون يوماً منها واحدة خير من ألف شهر ، وأخْبرَ الصادق المصدوق ﷺ أنها تكون فى واحدة من خمس ليال من العَشر الأواخر ، أليس من العقل والشرع ومن مصلحة دينك ودنياك أن تجتهد فى طلبها فالزمن قصير والخير كثير ·

فاتقِ الله أخى المسلم ، ولا تفوتك فرص حياتك ، اقتد بالصفوة المطهَّر صلى الله عليه وسلم فقد كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل العَشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله ، وكان يلتمس ليلة القَدْر فى أيام العَشر(١) ··

وخير ما يقوله المسلم فى تلك الليلة : طلب العفو من الدائن المسامح تعالى · روى أحمد وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ؛ أرأيتَ إن علمتُ أى ليلة ليلةُ القَدْر ما أقول فيها ؟ قال : « قولى : اللَّهُمَّ إنك عَفُوٌّ تحب العفو فاعف عنى » (٢) ·· هذه الكلمات من جوامع الكلم ، فإذا حصل العفـــو من الله للعبد أعطاه ما ينفعه وصرف عنه ما يضره ·

تصور أيها المسلم ليلة القَدْر وذلك الحشدَ الكبير من الملائكة ، وتأمل آثارها وفوائدها ·

وقد يَغْفُل بعض الناس عنها فيخسر أنفس فُرص الحياة ، ويخسر السلام الحقيقى : سلام الضمير وسلام البيت وسلام المجتمع ، ولا يُعوِّضه عما فاته ما يحصل له من أموال وحضارة وصناعة ··

---

(١) البخارى برقم (٢٠٢٤) فضل ليلة القدر من حديث عائشة رضي الله عنها ·

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده : ٦ / ١٧١ من حديث عائشة رضي الله عنها وإسناده صحيح ·

لقد بقى من شهركم اثنى عشر يومًا وفيها مُتَّسع لتدارك ما فات ، وفيها مجال للمنافسة فى الصالحات · واحذر أخى المسلم الغَيْبة والنميمة فإنها تنقل الحسنات من الذى تَعِب فيها إلى الذى اغتابه ·

وليس الصيام للبطن والفَرْج فقط ، بل يجب أن تصوم بقيةُ الجوارح عما حرَّم الله · فَعَن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » · (رواه البخارى) [1] ·

فاحفظ أخى المسلم لسانك عن الكذب والهذيان والفُحْش واللجاج والتَّطاوُلِ به على المسلمين ، ولا تحرق حسناتك بسيئاتك · عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر » [2] · · لأنه صام عما أحَلَّ الله وأفطر على ما حَرَّم الله ·

احفظ سمعك أخى المسلم عن الاستماع إلى الأقوال المحرَّمــة · فكل ما حَرُمَ قولُه حَرُم الإصغاء له ، وقد سَوَّى الله تعالى بين سماع الكذب وأكل السحت فقال سبحانه : ﴿ سماعون للكذب أكَّالون للسُّحت ﴾[3] ·

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم · · · اللَّهُمَّ اغفر لنا جدنا · · ربنا تقبل منا وتُبْ علينا واغفر لنا ، إنك أنت الغفور الرحيم ·

* *

---

(١) البخارى مع الفتح : ٤ / ٩٩ : الصوم من حديث أبى هـريـرة رضي الله عنه ، وأبو داود برقم (٢٣٦٢) فى الصوم ، وابن ماجه برقم (١٦٨٩) فى الصيام ·

(٢) أخرجه الدارمى فى سننه : ٢ / ٣٠١ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، وأحمد فى المسند : ٢ / ٣٧٣ ، والحاكم فى المستدرك : ١ / ٤٣١ وقال : صحيح على شرط البخارى ·

(٣) سورة المائدة آية : ٤٢

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ليلة القدر من خصوصيات هذه الأُمَّة

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم ﴾(١) .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله .. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ (٢) .

قد يسأل سائل : هل ليلة القَدْر خاصة بهذه الأمة ؟ قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره : اختلف العلماء هل كانت ليلة القَدْر فى الأُمم السابقة أم هى من خصائص هذه الأُمَّة على قولين ..

وذكر أن مالكاً بلغه أن رسول الله ﷺ أُرِىَ أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك ، فكأنه تقاصَر أعمار أُمَّته ألا يبلغوا من العمل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القَدْر خيراً من ألف شهر(٣) . وقد

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢ ، ٣ ، لأن « بسم الله الرحمن الرحيم » أول آية فى القرآن وهى داخلة فى سورة الفاتحة .

(٢) سورة الطلاق آية : ٥

(٣) إشارة إلى ما ذكره الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٧ / ٣٣٢ نقلاً عن ابن أبى حاتم من قصة رجل فيما مضى ، وإسناده فيه ضعف .

أُسْنِدَ من وجه آخر . وهذا الذى قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الأُمَّة بليلة القَدْر ، وقد نقله صاحب العُدة أحدُ أئمة الشافعية عن جمهور العلماء فالله أعلم ، وحكى الخطابى عليه الإجماع . .

ولئن أهمل مسلم هذه الخصوصية فَلِسوء حظه وجهالته .

اللَّهُمَّ وفقنا لقيام ليلة القَدْر إيماناً واحتساباً (١) ، واكتب لنا فيها ما كتبته لعبادك الصالحين ، وأعِنَّا على شكرك وذِكْرك وحسن عبادتك(٢) ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وارحم ضعفنا وتقصيرنا ، واكفنا كل أمر يهمنا ، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين ، ووفقنا لحسن الصلاة والتسليم على النبى الكريم كما أمرتنا فى كتابك المبين :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾(٣) . . . الى آخر الدعاء .

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى : ٤/٢٢١ : التراويح ، ومسلم برقم (٧٦٠) .

(٢) أحمد فى المسند : ٢ / ٢٩٩ من حديث أبى هريرة ﷺ وإسناده جيد .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١ - من مميزات ليلة القَدْر(١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله وهو أهل الحمد والثناء(٢) .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ،وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة .

أما بعد ..

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى .

عباد الله .. لقد تحدَّث القرآن الكريم عن ليلة القَدْر . وصوَّرها فى صورة تفوق إدراك البَشَر لحقيقتها ، ورسمها فى إطار يُقَرِّبها إلى محيط الإنسان وفهمه .

والمطلوب من الإنسان أن يؤمن بما جاء من عند الله على لسان رسوله محمد ﷺ ، وأنه حق حقيقة وإن قَصُرَ علمه وفهمه من إدراك الصفة .

الواقع أن ليلة القَدْر فوق إدراك البَشَر وفوق مبلغ علمهم ، لأن فهم الإنسان وإدراكه محدود وعلمه قليل .

---

(١) ألقيت فى ١٣٩٨/٩/٢١ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث أبى عبيدة بن عبد الله رضي الله عنه : أخرجه مسلم فى الصحيح : الصلاة ، حديث رقم (١٩٤) خاص وعام (٤٧١) وفيه هذا الدعاء وذلك بعد الرفع من الركوع .

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (١) .

ولعظم شأن هذه الليلة وتأثيرها فى حياة الأُمَّة الإسلامية وفى حياة الفرد المسلم ، ولفضلها عند الله تعالى وعلو قدرها ، خَصَّصها بسورة كاملة فى القرآن ، وصدَّر بذكرها فى سورة الدخان : بســم الله الرحمـن الرحيم :
﴿ حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(٢) .

وأشار إليها فى أعظم سورة من القرآن ٠٠سورة البقرة : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ (٣)

فهذه الليلة المباركة نزل فيها القرآن ، أوحاه الله إلى جبريل من اللَّوح المحفوظ ، ونزل به جبريل إلى السماء الدنيا وفيها ابتدأ الوحى من السماء إلى الأرض : ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾(٤) .

ففيها نزل الهدى للناس ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور(٥) ، ونزلت فيها بيِّناتُ الهدى فأضاءت الطريق ورسمت صراط الله المستقيم ، ونزلت فيها البشارة للمؤمنين(٦) ، والإنذار للمُكذِّبين(٧) ، فيها نزلت الرحمة على الخلق أجمعين ٠ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (٨) .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٨٥
(٢) سورة الدخان الآيات : ١ - ٦
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٥
(٤) سورة الشعراء الآيات : ١٩٣ - ١٩٥
(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المائدة آية رقم (١٥) ، (١٦) .
(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النحل آية رقم (٨٩) .
(٧) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة النحل آية رقم (٩٢) .
(٨) سورة الأنبياء آية : ١٠٧

﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾(١) بأمر الله وإرادته وقُدرته ، فيها تنزل الملائكة وروحُ القُدُس ، عليهم السلام (٢) ، فيها تنزل السلامة والخيرات والبركات ونفحات رب العالمين ٠

إنها ليلة مباركة خيِّرة ، لا يدرك مدى بركتها وخيرها إلا الله تبارك وتعالى ، فلو أن إنساناً خرج فى سبيل الله بماله ونفسه ألف شهر ، وقام مؤمن من أُمَّة محمد ﷺ ليلة القَدْر إيماناً واحتساباً (٣) ، يعبد الله فيها ويتضرع إليه، لكانت هذه الليلة خيراً من ألف شهر(٤) ٠

إنها ليلة عظيمة شريفة كريمة ، كلها نور : نور القرآن الذى نزل فيها ، نور الملائكة ، نور الروح الأمين ، نور السلام ونور الرحمة والمغفرة ٠ تكشف ظلمات الذنوب والآثام ، وتختم بنور الفجر الذى يجلى الظلام ، وإذا وقف المؤمن عند سورة القَدْر يتلوها ويتفهمها وجدها تبهر العقول وتستميل النفوسَ، وإذا أراد أن يحيط بها وبحقيقة صفتها وقف فهمه وعقله عند منتهاه قبل أن يصل إلى ما يريد ٠

أعوذ بالله من الشـــيطان الرجيم ٠٠ بسـم الله الرحمـــن الرحيم : ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القَدْر * وما أدراك ما ليلة القَدْر * ليلة القَدْر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هى حتى مطلع الفجر ﴾(٥) ٠

---

(١) سورة الدخان آية : ٣

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النحل آية رقم (٢) وآية رقم (١٠٢) ٠

(٣) إشارة إلى ما أخرجه البخارى فى الصحيح : ٤ / ٢٢١ فى التراويح ، ومسلم فى الصحيح : صلاة المسافرين برقم (٧٦٠) باب : الترغيب فى قيام رمضان ، كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ٠

(٤) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة القدر آية رقم (٣) ٠

(٥) سورة القدر الآيات : ١ - ٥ (تمام السورة) ٠

فتأمل أخى المسلم هذه السورة مع قصرها وقِلَّة آياتها . تأمل هذه المعانى الكامنة فى كل كلمة من كلماتها . تأمل هذا الأسلوب الرائع القاهر الباهر تأمل تكرار : « ليلة القَدْر » فى ثلاثة مواضع متجاورة وما تحتها من المعانى والأسرار ، مَن الذى يستطيع من الخلق الإحاطة بصفة ليلة القَدْر وكنهها ؟

مَن الذى يستطيع من الناس أن يحيط بخيريتها واتساع محيطها ؟

مَن الذى يستطيع منهم أن يعرف كيف نزولِ الملائكة وانتشارها ؟

ومَن الذى يستطيع أن يحيط بالسلام الذى يكون فيها ؟

كل هذا لا يحيط به إلا خالقها وربها ومدبرها تبارك وتعـالى . إن ليلة القَدْر من خصوصيات أُمَّة محمد ﷺ (١) وكراماتها ، فالأُمَّة بخير ما دامت تستنير بالنــور الذى أُنزل فيها ، والأُمة بخير ما دامت تعمل بالمقاييس والموازين التى قُدِّرت فيها ، والأُمة بخير ما دامت تحافظ على خصوصياتها وكراماتها .

أما إذا غفلت الأُمة - أو جانب منها - عن هذه الليلة الموصــوفة وأهملت ما أُنزل فيها ، فإنها ستفقد أكبر نَعِم الله عليها ، وستخسر أعظم بضاعة خُصِّصت لها ، وستندم على إهمالها وإعراضها وصدودها .

فاتقوا الله أيها الناس . . اتقوا الله يا أُمَّة محمد ﷺ . . تمسَّكوا بقرآنكم واعملوا به ، وتعرَّفوا على نظام دينكم وسيروا عليه ، وتفهَّموا أحكام إسلامكم واعدلوا بها . وعليكم بكرامات الله لكم فلا تُهملوها ، وعليكم

(١) إشارة إلى ما ذكره الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٧ / ٣٣٤ وأيده ونقلاً عن صاحب العدة أحد أئمة الشافعية عند جمهور العلماء ثم قال : حكى الخطابى عليه الإجماع ونقله الراضى جازماً به عن المذهب . ثم قال : والذى دل عليه الحديث أنها كانت فى الأمم الماضية كما هى فى أمتنا .

قلت : الراضى هنا كلمة خطأ بل هو الرافعى الكبير العلاَّمة عبد الكريم الرافعى إمام من أئمة الشافعية ، والله أعلم .

بسُنَّة نبيكم محمد ﷺ عَضوا عليها بالنواجذ[١] ، واسألوا ربكم الهداية والتوفيق والثبات والاستقامة ·

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ·

اللَّهُمَّ تقبَّل منا صالح أعمالنا ، وتجاوز عن سيئها ·

اللَّهُمَّ إنك عَفُوٌّ تحب العفو فاعف عنا[٢] ·

اللَّهُمَّ ارحمنا واغفر لنا وأعتقنا من النار ·

عباد الله · · تَضَرَّعوا إلى الله وتوبوا إليه واستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم ·

*　　*

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية ﷺ : أحمد فى المسند : ٤ / ١٢٦ وإسناده صحيح ، وأخرجه بعض أصحاب السنن الأربعة أيضاً ·

(٢) إشارة إلى حديث عائشة ﷺ : أخرجه أحمد فى المسند : ٦ / ١٧١ وإسناده صحيح ·

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ليلة القَدْر فى السبع الأواخر من رمضان

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على ما أعطى ، وأشكره على ما تفضَّل به وأوفى .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له . . له الحمد فى الآخرة والأُولى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أعرفُ الناس بربه وأكثرُهم شكرًا لِنعَمِ خالقه وأحرصُهم نفعًا لأُمَّته .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

ففى الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما أن رجالا من أصحاب النبى ﷺ أُرُوا ليلة القَدْر فى المنام فى السبع الأواخر ، فقال رسـول الله ﷺ : « أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ، فمَن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر » [١] .

أيها المؤمنون . . تحروا ليلة القدر بإيمان وإحتساب ، مَن قام ليلة القَدْر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنْبه .

وأكثروا فيها من أعمال الخير ، فإنَّ الحسنة فيها خير من ألف حسنة فيما سواها[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح : الصيام حديث رقم (٢٠٥) خاص وعام (١١٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القدر آية رقم (٣) .

وقد كان قدوتنا وإمَامُنا محمد ﷺ أجودَ الناس ، وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان[١] .

وكان ﷺ إذا دخلت العَشر الأواخر تفرَّغ للعبادة وجَدَّ واجتهد وشَدَّ مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله[٢] ، مع أنه ﷺ قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر[٣] .

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤] .

وصَلُّوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المبين فقال عزَّ من قائل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[٥]

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود[٦] ، وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشــدين : أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبيك أُمهات المؤمنين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما : البخارى برقم (١٩٠) الصوم ، الباب السابع باب : أجود ما كان النبى ﷺ يكون فى رمضان .

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها : البخارى برقم(٢٠٢٤): فضل ليلة القدر ، ومسلم : الاعتكاف حديث رقم (٧) .

(٣) إشارة إلى حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : مسلم فى الصحيح : المنافقون ، حديث رقم (٧٩) خاص وعام (٢٨١٩) .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٢١

(٥) سورة الاحزاب آية : ٥٦

(٦) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنه: البخارى برقم(٦١٤) : الأذان ، باب الدعاء عند النداء .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ أَدِمِ الأمن والاستقرار فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد ولما تحب وترضى ، واجعلهم هداة مهتدين يقولون بالحق وبه يعدلون .

اللَّهُمَّ آمن جميع المسلمين فى أوطانهم ، وأصلح أئمتهم وولاة أُمورهم ، واهدهم سُبُل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .. إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات .

اللَّهُمَّ فَرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١)

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه يزدكم : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(٢) .

* * *

---

(١) سورة النحل آية : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٢ – من فوائد الصيام[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذى بلَّغنا شهر رمضان ، وأعاننا على ما تَيَّسر من الصيام وقراءة القرآن ٠

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ٠٠ الكريم المنَّان ٠

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ٠٠ نبىُ الرحمة ورسولُ السلام ٠

صَلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام ٠

أما بعد ٠٠

فإن الإسلام كلَّه بأركانه وحدوده وأحكامه وتوجيهاته ونظامه ، تعود مصالحه على المكلَّفين أنفُسهم[٢] ، وليس للمشرِّع تعالى فيها أى منفعة ، وليس عليه سبحانه من تركها أىُّ مَضَرَّة ٠٠ فالخالق تبارك وتعالى لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصى ٠

فالعالمُ خَلْقُه ، والمُلْكَ مُلكه ، والأمر أمره ، والمرجع إليه ٠٠ منه المبتدأ وإليه المنتهى ٠

---

(١) ألقيت فى ٢٨/٩/١٤٠٠ هـ ٠

(٢) إشارة إلي قوله تعالى فى سورة الحجرات آية رقم (١٧): ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُلْ لا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلاَمَكُمْ ، بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إن كُنتُم صَادِقِينَ ﴾ ٠

فلن يبلغ أحدٌ من الخلق نفعه فينفعونه ، ولن يبلغوا ضُرَّه فيضرونه ، بل الخلقُ كلُهم محتاجون إليه فقراء إليه(١) ، فهو الذى يُسيِّر أنفاسهم ويُنَظِّم دقَّات قلوبهم ، وهو الذى أوجدهم من العدم ، وتكفَّل بأرزاقهم ونظَّم أعمالهم ، وبيده حياتهم وموتُهم ، وعِزهم وذُلهم .

والإنسان إنما ينفع نفسه بفضل الله ، أو يضر نفسه بإرادة الله .

فالهداية إلى الإسلام هى أعظم نعمة على الإنسان يجب شكرها فى اللَّيل والنهار : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٢) .

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٣) .

وفى هذا الشهر المبارك ، شهر الصيام ، تتجلى بعض المصالح للإنسان فى هذه العبادة الروحية البدنية .

فالصيام فيه مصالح روحانية للصائم ، إذ هو يسمو بروح الإنسان إلى درجة الإيمان النقى الخالص ، ويربطها بخالقها برباط التقوى والإيمان الخالص لله ، فى سر وخفاء بيْن العبد وخالقه .

فهو يُذَكِّر الإنسان بفقره وحاجته إلى مولاه .

يُذَكِّره بضعف نفسه وحاجته إلى مُقوِّمات حياته .

---

(١) إشارة إلى حديث أبى ذر ﷺ : مسلم فى الصحيح : البر والصلة برقم(٥٥) خاص وعام (٢٥٧٧) ، وذلك من طريق أبى ادريس الخولانى وفى نهاية الحديث : « إذا حدَّث بهذا الحديث جثا على ركبتيه » .

(٢) سورة المائدة آية : ٣

(٣) سورة الحجرات آية : ١٧

يمنع النفس عن الجموح والطغيان ، ويصدها عن طريق الغى والخسران ، ويوقظُها من سُبات الغفلة والنسيان ، يكسر شهوات النفس ويردعها عن اتباع الهوى ، ويمنعها من الأشْر والبطر والفواحش[١] ، ويُهوِّن على النفس زخارف هذه الحياة وملذَّاتها ، ويُرغِّبها فيما هو أنفع وأبقى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾[٢] .

وبهذه الصفات تتغذى الروح وتسمو شرفاً ورفعة ، وترتقى نقاءً وطهارة إلى درجة العبودية الخالصة لله وحده التى يتصف بها الملأ الأعلى ٠

والعبودية لله ٠٠ هى أشرف درجة يصل إليها الإنسان ، وهى أعلى مقام يرقاه فى هذه الحياة ، وهى أرفع وصف اتصف به الأنبياء والمرسلون ٠ ولذلك كثيراً ما يصف بها الرب جَلَّ وعلا خليله وكليمه محمد ﷺ : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ﴾[٣] ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾[٤] ، ﴿ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ﴾[٥] .

وقد اختار المشرِّع تبارك وتعالى شهر رمضان لفريضة الصيام تكريماً لأُمَّة محمد ﷺ ،ليحصل لهم فضل العبادة وفضل الزمن ٠٠ فالصيام هو أمس العبادات بالإخلاص فهو لله ، وثوابه لا يُحَد بقدر محدود ، وشهر رمضان هو

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود ﷺ : البخارى برقم (٥٠٦٥) : النكاح باب (٢) وعنوانه : قول النبى ﷺ : « من استطاع الباءة فليتزوج » وشرحه وفسَّره الحافظ فى الفتح ، وقد ذكر هذه المعانى التى أوردها فضيلة الخطيب وفقه الله تعالى للخير ، وفى النكاح مصالح عظيمة جسيمة وغايات سامية ٠

(٢) سورة الضحى آية : ٤

(٣) سورة الإسراء آية : ١

(٤) سورة الفرقان آية : ١

(٥) سورة الأنفال آية : ٤١

أفضل الشهور وأعظمها ، فالعبادة فيه تُضاعَف حسناتها[١] ، وفى ذلك فضل كبير لأُمَّة محمد ﷺ .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . اعتزوا بدينكم وافخروا بإسلامكم وحافظوا على قواعد دينكم وأركان إسلامكم .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ علِّمنا منه ما جهلنا ، وذَكِّرنا منه ما نسينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذى يرضيك عنا[٢] ، واجعله لنا أنيساً وشفيعاً ، وقائداً إلى رضوانك والجنَّة .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى أحاديث كثيرة ومنها حديث سلمان الفارسى ﷺ : ابن خزيمة فى الصحيح برقم (١٨٨٧) وإسناده حسن لغيره مع الشواهد الكثيرة .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة العنكبوت آية رقم (٤٥) ، وتنضم إليها آية المزمل رقم (٤) ، وأما هذا النص الدعائى فكانت السَّلَف تلتزم به ، انظر كتاب الدعاء للإمام الحافظ أبى القاسم الطبرانى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الالتفات للفقراء

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمدًا كثيراً طيبًا مباركاً فيه ملء السـموات والأرض وملء ما شئت[1] من شيء بعد ·

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ·· خلق فقدَّر وشرَّع فيَسَّر، وكل شيء عنده مقدَّر[2] ·

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ··سيدُ البَشر ، الشافعُ المشفَّعُ فى المحشر ·

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه السادة الغُرر ، ما اتصلت عَيْن بنظر وأُذن بخبر ·

أما بعد ··

فاتقوا الله وراقبوه ، ففى كل أمره ونهيه مصالح لكم ·· وفى الصيام مصالح اجتماعية ، فهو يُرَقِّق الطباع ويُهَذِّب النفوس ، ويحث على التواضع، ويوصى بالتعاطف والتراحم ، ويُحَرِّك المشاعر الطيبة فى النفوس الخيِّرة ·

ويُلفِت أنظارَ أهلِ الفضل والجود إلى أحـوال إخوانهم الفقراء

---

(١) البخارى برقم (٧٩٩) : الآذان باب (١٢٦) وهو من حديث رفاعة بن رافع الزرقى ﷺ ، وأحمد فى المسند : ٤ / ٣١٧ من حديث وائل بن حجر ﷺ ·

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الرعد آية رقم (٨) بمعناه : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ ·

والمساكين، وإلى المجاهدين والمشردين ، الذين يدركهم الجوع والعطش ، فيعطفون عليهم ويواسونهم ، ولذلك سمَّاه الرسول ﷺ شهر المواساة[١] .

والصيام يحث على التحمل والعفو والصفح والتآخي ، ولذلك سمَّاه النبي صلى الله عليه وسلم شهر الصبر[٢] . وكان ﷺ إذا دخل شهر رمضان أطلق كلَّ أسير وأعطى كلَّ سائل[٣] ، وكان ﷺ أجوَد الناس وأجودُ ما يكون في رمضان[٤] . في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاء رجل فقال : يا رسول الله ؛ هلكتُ قال : «مالك » ؟ قال : وقعتُ على امرأتي وأنا صائم .. فقال ﷺ : « هل تجد رقبة تعتقها » ؟ قال : لا، قال : « فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين»؟ قال : لا ، قال : « هل تجد إطعام ستين مسكينًا » ؟ قال لا . قال : «اجلس» . ومكث النبي ﷺ ، فبينا نحن على ذلك أُتِيَ النبي ﷺ بعرْق فيه تمر (أي زنبيل ضخم) قال : « أين السائل » ؟ قال : أنا ، قال : « خذ هذا فتصدَّق به » . فقال الرجل : أعَلَى أفقر مني يا رسول الله ؟ فواللهِ ما بين لابتيها (يريد الحرَّتين) أهلُ بيت أفقرُ من أهل بيتي ، فضحك النبي ﷺ

---

(١) إشارة إلى حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عزاه السيوطي في الدر المنثور : ١/ ٤٤٦ إلى عدة مصادر منها ابن خزيمة في صحيحه .

قلت : أخرجه في الصحيح برقم (١٨٨٧) وفيه هذا اللفظ .

(٢) هو نفس هذا الحديث وفيه هذا اللفظ المبارك : ابن خزيمة برقم (١٨٨٧) .

(٣) إشارة إلى ما أخرجه البزَّار والبيهقي في السنن الكبرى وعزاه إليهما السيوطي في الدر المنثور : ١ / ٤٤٩ ثم ذكر هذا الحديث .

قلت : أخرجه البزَّار برقم (٩٦٨) كما في كشف الأستار وفي إسناده أبو بكر الهذلي وهو ضعيف ، وقد أورده الهيثمي في المجمع : ٣ / ١٥٠

(٤) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما : البخاري برقم (١٩٠٢) : الصوم ، الباب السابع وعنوانه : أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان .

حتى بدت أنيــابه ثم قال : « أطعمه أهلك »[١] ٠٠صدق الله العظيم حيث قال : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[٢]

وصدق رسوله الكريم حيث قال : « أدَّبنى ربى فأحسن تأديبى »[٣] ٠

وصلُّوا على البشير النذير ٠٠٠٠٠٠

﴿ إنَّ الله ومَلاَئِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٤] ٠٠٠٠ إلى آخر الدعاء ٠

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى برقم (١٩٣٦) : الصـوم الباب الثلاثون بهذا اللفظ ، ونحوه مسلم فى الصحيح : الصيام حديث رقم (٨١) خــاص ٠

(٢) إشارة إلى ما أورده العجــلونى فى كشف الخفا حديث رقم (١٦٤) وتوسَّع فى كلامه فيه - والآية من سورة القلم : ٤

(٣) ونقل عن الحافظ ابن حجر أنه حديث غريب فإن معناه لصحيح وهو كذلك ٠

(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣ - الحث على تدارك ما بقى من أيام رمضان[1]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذى خلق فقدَّر [2] ، وشرَّع فيسَّر [3] .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له .. خالق كل شىء بقَدَر[4]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .. الشافع المشفَّع فى المحشرِ .

صَلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه السادة الغُرر ، ما اتصلت عَيْن بنظر وأُذن بخبر .

أما بعد ..

إن المؤمن فى هذين اليومين لا يستطيع أن يُعَبِّر عن مشاعره ، ولا الإفصاح عن أحاسيسه ، لأنه واقع بين حالين متضادتين ، بين فرح وحزن ، وبين اغتباط وأسف ، وبين خوف ورجاء .

قد مضت أيام رمضان فلم يبق منها إلا ليلة واحدة مُتَيقَّنة ، فالمؤمن يفرح بتوفيق الله له على بلوغ هذا الشهر ، وتوفيقه لصيامه وقيام ما تيَّسر من ليله .

يفرح بما قَدَّم فيه من أعمال الخير .

---

(١) ألقيت فى ٢٨/٩/١٣٩٨ هـ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعلى آية رقم (٣) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القمر آيات : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القمر آية رقم (٤٩) .

يفرح بإتمام عبادة واجبة هى ركن من أركان إسلامه ، وقاعدة من قواعد دينه ·

يفرح المؤمن بما قدَّمه من أعمال روحانية ، ومناجاة لربه فى شهر مُفَضَّل مُقَدَّس ·

والمؤمن يغتبط بإيمانه ، ويعتز بإسلامه ، ويفخر بدينه · يغتبط بتوبة نصوح مَحَى بها ذنوبَه[(١)] ونال بها رِضَى ربه ·

ولكن المؤمن فى نفس الوقت يأسف على تقصيره فى واجبه ، ويأسف على مرور أيام الخير والبركة ، ولم يزدد فيها من الخير أكثر مما عمل ، ويخشى ألا يُدرك رمضان آخر ·

كما أن المؤمن فى خوف من ذنوبه وإهماله ، فإنه معرَّض للخطأ والزلل · القلب له نوايا وتقلبات ، والعَيْن لها نظر ولحظات ، واليد لها بطش ولمسات، والرِجْل لها مشى وخطوات ، والأُذن لها سمع وإنصات[(٢)] ، واللِّسان له حَصائد وزلاَّت[(٣)] : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[(٤)] ·

يخشى المؤمن أن يكون قد عمل عملاً يُغضب ربه فيحبط عمله ·

يخشى أن يكون قد تكلَّم بكلمة لم يلق لها بالاً سُجِّلت عليه تهوى به فى النار سبعين خريفاً[(٥)] ·

---

(١) إشارة إلى حديث أبى عبيدة بن عبد الله عن أبيه : ابن ماجه برقم (٤٢٥٠) التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، و إسناده صحيح هكذا قال البوصيرى ·

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : مسلم فى الصحيح : القدر برقم (٢١) خاص وعام (٢٦٥٧) : « والأذنان زناهما الاستماع » ·

(٣) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه : أحمد فى المسند : ٥ / ٢٣١ وإسناده حسن ·

(٤) سورة الإسراء آية : ٣٦

(٥) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى برقم (٦٤٧٨) الرقاق ، ونحوه مسلم فى الصحيح : الزهد برقم (٥٠) خاص وعام (١٩٨٨) وهذا لفظه ·

يخشى أن يكون قد صام عما أحلَّ الله وأفطر على ما حرَّم الله .

يخشى أن تكون سيئاته أكثر من حسناته .

كما أن المؤمن شديد الحزن على انتهاء رمضان وفراق موسم الخير والطاعة ، فيتذكر قول المصطفى ﷺ : « لو يعلم الناس ما فى رمضان لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان »[١] .

يحزن المؤمن على ذهاب أيام التراويح والتهجد واجتماع الأُخوة فى الله فى جوف اللَّيل فى بيت الله ، على طاعة الله ، يُشَجِّع بعضهم بعضًا ، ويتنافسون فى تلاوة القرآن والعبادة ، ويتسابقون إلى الخيرات ، لهم دَوِىٌّ بالقرآن[٢] ، ولأجوافهم أزيز من خشية الله . وهكذا كان المصطفى ﷺ وأصحابه ﷺ عُبَّادٌ فى اللَّيل وفرسانٌ فى النهار[٣] : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾[٤] .

والمؤمن فى حال رجاء وحسن ظن بربه[٥] ، فهو يطمع فى رحمة الله الواسعة وإحسانه الشامل وجوده وكرمه ، يرجو إنجاز وعد الله له وإعطاءه الجائزة فى يوم الجوائز[٦] .

---

(١) أورده الهيثمى فى المجمع : ٣ / ١٤١ - ١٤٢ من حديث أبى مسعود الغفارى وإسناده حسن مع الشواهد .

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن الشخير ﷺ : أحمد فى المسند : ٤ / ٢٥ وإسناده صحيح .. وفيه : أنه رأى رسول الله ﷺ وفى صدره أزيز كأزيز المرجل ، وقد تابعه أصحابه ﷺ .

(٣) وقد تواترت أخبار أصحاب النبى ﷺ فى هذا الباب العظيم وقد مجَّدهم القرآن الكريم كما يأتى الآن فى آية الفتح رقم (٢٩) .

(٤) سورة الفتح آية : ٢٩

(٥) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى برقم (٧٤٠٥) : التوحيد باب (١٥) ، ونحوه مسلم : التوبة حديث رقم (١)، والذكر رقم (٢)،(١٩)...

(٦) إشارة إلى حديث سعيد بن أوس الانصارى ﷺ : أورده الهيثمى فى المجمع ٢/ ٢٠١

أيها المؤمنون .. لم يبق من موسم الخير إلا ليلة واحدة مؤكَّدة ، وهى من أفراد العَشر التى تُلتمَس فيها ليلة القَدْر[١] ، وفيها متَّسع للإنابة إلى الله والتوبة إليه ، وفيها أعظم نفحة فى رمضان يجود بها الخالق على عباده . فعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إلى خلقه وإذا نظر الله إلى عبدٍ لم يُعَذِّبه أبداً »[٢] ، « ولله فى كل يوم ألف ألف عتيق من النار ، فإذا كان ليلة تسع وعشرين أعتق الله فيها مثل جميع ما أعتق من الشهر كله »[٣] .

فاتقوا الله أيها الناس .. تعرَّضوا لنفحات الجَوَّاد الكريم ، وقفوا عند باب الواحد الكريم ، وتوجَّهوا إلى الرءوف الرحيم ، ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤]

عباد الله .. إنَّ زكاة الفِطْر واجبة على كل مسلم ذكرًا كان أو أُنثى ، على الصغير والكبير ، والحر والمملوك ، طُهْرة للصائم من اللَّغو والرفث ، وطُعْمة للمساكين ، فمَن أدَّاها قبل صلاة العيد فهى زكاة مقبولة ، ومَن أدَّاها قبل العيد بيوم أو يومين فهى جائزة ، ومَن أخَّرها إلى بعد صلاة العيد فهى صَدَقة من الصدقات[٥] .

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك ﷺ : البخارى : ٤ / ٢٣٢ ، ونحوه مسلم برقم (١١٦٧) عام وخاص (٢١٧) الصيام .

(٢) هذا الحديث هو من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى بهذا اللفظ : البيهقى فى شُعَب الإيمان برقم (٣٦٠٣) وفى إسناده ضعف لأن فيه زيد العمى وهو ضعيف .

(٣) هذا حديث أبى هريرة ﷺ عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ١ / ٤٥٣ إلى الأصبهانى فى ترغيبه عن أبى هريرة ﷺ ، ثم ذكر هذا اللفظ والله أعلم بإسناده .

(٤) سورة النور آية : ٣١

(٥) إشارة إلى حديث ابن عباس ﷺ : أبو داود فى السنن برقم(١٦٠٩) باب زكاة الفطر وإسناده جيد ، وأخرجه ابن ماجه برقم (١٨٢٧) من هذا الوجه واللفظ .

ومقدار زكاة الفِطْر صاعٌ من طعام من أوسط قوت البلد .

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : كنا نُخرج فى عهد رسول الله ﷺ يوم الفِطْر صاعاً من طعام ، وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر (١) .

فجودوا عباد الله نفسًا بزكاة فِطْركم ، وتخيَّروا أجود الأصناف وأنفعها للفقير ، ولو زاد الإنسان فى زكاة الفِطْر عن المقدار المنصوص عليه فأخرج أكثر من صاع فهو خير له وصدقه يُثاب عليها ، ما نقصت صدقة من مال شيئاً ، وما زاد الله عبداً بتواضع إلا رفعةً (٢) .

اللَّهُمَّ اختم لنا شهر رمضان بالرحمة والغفران .

اللَّهُمَّ اخلف علينا شهر رمضان ، بالقبول والعتق من النيران .

اللَّهُمَّ إنك عَفُوٌّ تحب العفو فاعف عنا (٣) .

اللَّهُمَّ اجعل خير أعمالنا خواتمها ، وخير أعمارنا أواخرها ، وخير أيامنا يوم نلقاك .

اللَّهُمَّ يا ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد ، نسألك الأمن يوم الوعيد ، ونسألك الجنَّة يوم الخلود ، مع المقرَّبين الشهود ، الرُّكَّع السجود ، الموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولسائر المسلمين . . .

* * *

---

(١) البخارى : ٣ / ٢٩٤ فى زكاة الفطر وهو من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم(٩٨٥) باب زكاة الفطرِ على المسلمين .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : مسلم فى الصحيح : البر والصلة ، حديث رقم (٦٩) خاص وعام (٢٥٨٨) وفيه هذا اللفظ المبارك .

(٣) إشارة إلى حديث عائشة ﷺ : أحمد فى المسند : ٦ / ١٧١ ، والترمذى فى جامعه : الدعوات ، حديث رقم (٣٥١٣) ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح وهو من حديث عائشة ﷺ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حثُّ الناس على ترائى هلال شَّوال

(الخطبة الثانية)

الحمد لله وهو أهل الحمد والثناء(١) .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإنه ينبغى الاهتمام بشئون الدين وما يتعلق بها ، وتحرِّى مواقيتها ومواعيدها . وكان الصحابة ﷺ يتراءون هلال شهر رمضان(٢) لأنه يترتب عليه الصيام والإفطار لقوله ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته »(٣) .

فينبغى من إخواننا الذين لهم معرفة وقُدرة على رؤية الهلال أن يتراءوه فى مكان بارح مرتفع ليلة الاثنين القادمة : أى ليلة الثلاثين من رمضان ،

---

(١) إشارة إلى حديث البراء بن عازب ﷺ : مسلم فى الصحيح برقم (١٩٤) خاص وعام (٤٧١) ومنه هذا اللفظ المبارك .

(٢) إشارة إلى عدة أحاديث فيها هذا المعنى وفيها حديث ابن عمر ﷺ : البخارى مع الفتح : ٤ /١٠٢ ، ١٠٤ ، ونحوه مسلم برقم (١٠٨٠) باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس ﷺ : أخرجه الترمذى برقم (٦٨٨) ،ورواه النسائى فى السنن : ٤ / ١٥٣ - ١٥٤ وإسناده صحيح .

والتأكد من الرؤية بمعرفة اتجاه قوس الهلال ، ومدة بقائه بعد الشمس . . ومَن رآه فليتصل بمحكمة جهته لأداء ما لديه .

وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [1] . . . إلى آخر الدعاء .

* * *

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

٤٤ - ربُّ رمضان هو ربُّ شوَّال[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله على رعايته وتوفيقه ، وأشكره على إعانته وجزيل عطائه .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له .. هو الجَوَّاد الكريم ، والرب الرؤف الرحيم .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورســوله .. أفضل مَن صَلَّى وصام ، وخير مَن بات لله ساجدًا والناس نيام .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد ..

فيا عباد الله .. تأملوا هذا الكون العظيم ، وهذا الفلك الدوَّار ، فسبحان القاهر فوق عباده : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾[٢] .. ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾[٣] .

كنا فى الجمعة الأولى من هذا الشهر مستبشرين بشهر رمضان ، فى هذه الجمعة نفتح شوَّال أول أشهر الحج . .

مضت تلك الليالى الغُر والأيام المباركة .. مضت بفضائلها ونفحات ربها، وقسمت الجوائز بعد صلاة العيد ..

---

(١) ألقيت فى ١٤٠١/٩/٣٠ هـ .

(٢) سورة الزمر آية : ٥

(٣) سورة الرعد آية : ٤ ، وسورة النحل آية : ١٢ ، وسورة الروم آية : ٢٤

روى الطبرانى فى الكبير عن سعد بن أوس الأنصارى عن أبيه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم عيد الفِطْر وقفت الملائكة على أبواب الطُرق ، فَنَادَوْا : اغْدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم ، يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أُمِرْتم بقيام الليل فقمتم ، وأُمِرْتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم ، فإذا صَلُّوا نادى منادٍ : ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم »(١) ..ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة .

فهنيئًا للذين أطاعوا ربهم . وعظَّموا شهرهم ، وأخلصوا العمل لخالقهم .

ورب شوَّال هو رب رمضان ، فمن فاتته التوبة فى شهر رمضان فليتب إلى الله ، وفى ذلك فرصة للتوبة والإنابة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(٢) وهذه عامة فى رمضان وغيره .

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾(٣) .

عباد الله ..حُقَّ للمسلم أن يَغُص بعبرات الأسى على رمضان ،

---

(١) أورده العلاَّمة الهيثمى فى المجمع :٢ /٢٠١ بهذا اللفظ ثم قال: رواه الطبرانى فى الكبير وفيه جابر الجعفى وثَّقه النووى وروى عنه شعبة وضعَّفه الناس وهو متروك .

قلت : المتروك لا يُكتب حديثه والله أعلم ، وقد صح معنى هذا الحديث إن شاء الله تعالى .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٦

(٣) سورة الزمر آية : ٥٣

وأن يُريق دموع الوداع لشهر الخيرات والبركات : وداعاً يا حبيب المؤمنين ، وداعاً يا أنيس العابدين ·

اللَّهُمَّ كما سلَّمتنا رمضان وأعنتنا على صيامه وقيامه ، فتَسلمه منا مقبولاً ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، وأعتقنا من النار أجمعين ، ولا تجعله آخر العهد بهذا الشهر المبارك ، واغفر لنا ما تقدَّم من تفريطنا وتقصيرنا ، واعصمنا فيما بقى من أعمارنا ·

اللَّهُمَّ أحينا مسلمين ، وبلِّغنا أمثال هذا الشهر أعوامًا عديدة ، وتفضَّل علينا بالقيام بحقها وواجباتها ، فلا حَوْل ولا قُوَّة إلا بك ·

عباد الله ·· لقد مَنَّ الله عليكم بإتمام شهر الصيام ثلاثين يومًا ، وذلك زيادة فى حسناتكم ، ومغفرة لسيئاتكم ، وجمعَ لكم فيه خمس جُمَع ، كل جُمعة مُكَفِّرة لما بينها وبين الأخرى إذا اجْتُنِبَت الكبائر(١) ·

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢) ·

فقابلوا نِعَم الله وتوفيقه بالشكر والاعتراف له بالجميل ··

قد أمركم ربكم بتعظيمه وشكره عند تمام عبادته ، فأكْثِروا من التكبير المطلق فى المنازل والطرقات والمساجد ، واجهروا به (إلا المرأة فإنها تُسِر به) اجهروا فى كل الأوقات من بعد غروب الشمس ليلة عيد الفِطْر حتى تنقضى

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ: مسلم فى الصحيح: الطهارة برقم(١٤) ، (١٥) ، (١٦) خاص وعام (٢٣٣) ·
(٢) سورة البقرة آية : ١٨٥

الصلاة والخطبة ، وصفة التكبير المشروع : « الله أكبر الله أكبر لا إله إلاَّ الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد » (١) .

إن الأعياد فرحة بما حصل للمؤمنين من كرامات ربهم ، فيجب التحفظ عن المعاصى وموارد الردى ، يجب غض البصر ، وحفظ الفَرْج عن المحرَّمات . وإذا أرادت المرأة أى تحضر صلاة العيد فلا تتطيب(٢) ولا تلبس ثياب شُهرة ولا تُظهر شيئاً من زينتها وتتجنب مجامع الرجال .

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾(٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ولا تقولوا غداً : ذهب رمضان ، فتتهاونوا بالفسوق والعصيان ، فإن رب رمضان هو رب شوَّال وسائر الشهور ، وهو يكره أن يُعصَى فى أى زمان كان ، فاستحيوا من الله وراقبوه ، فإنه يراكم ويعلم أسراركم وما تخفى صدوركم : ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٤) .

---

(١) أخرجه الإمام الحافظ أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابى فى أحكام العيدين بإسناده عن مجاهد وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن أبى ليلى نقلا عن فقهاء المدينة يقولون ... ثم ذكر هذا اللفظ ، وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ٤٦٨/١ إلى ابن أبى شيبة فى المصنف والمروزى والبيهقى فى سننه مرفوعاً عن ابن عباس رضى الله عنهما وإسناده عند البيهقى صحيح .

(٢) إشارة إلى حديث أبى موسى الاشعرى ﷺ : أخرجه أحمد فى المسند : ٤١/٤ وإسناده جيد : « أيما امرأة استعطرت ... » .

(٣) سورة النور آية : ٣٠ - ٣١

(٤) سورة هود آية : ٥

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قلوبنا على الإيمان ، وزَيِّنَّا بزينة الإسلام[١] ، واحشرنا تحت لواء سيد الأنام ، واسقنا من حوضه موردِ الكرام ، وأظلنا تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ، ولا باق إلا وجهك الكريم[٢] ، واغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه : أخرجه أحمد فى المسند : ٤/ ٢٦٤ ذاكراً دعاء النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الألفاظ المباركة ، وقد روى عنه أبو مجلز (الإمام لاحق بن حميد بن سعيد السدوسى البصرى) قال الحافظ فى التقريب (٢ / ٣٤٠) :بكسر الميم وسكون الجيم وفتح اللام بعدها زاى - مشهور بكنيته ، ثقة من كبار الثالثه مات سنة ست وقيل تسع ومائة وقيل قبل ذلك ، أى هو من رجال الجماعة .

(٢) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه : أحمد فى المسند : ٤ / ١٢٨ بهذا المعنى وإسناده حسن .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

زكاة الفِطْر ووقت إخراجها

(الخطبة الثانية)

الحمد لله كما أمر ، وأشكره وقد تأذَّن بالزيادة لمن شكر(١) .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له .. إرغاماً لمن جحد به وكفر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .. سيد البَشَر الشافع فى المحشر .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله السادة الغُرر ، ما اتصلت عَيْن بنظر وأُذن بخبر .

أما بعد ..

فيا عباد الله .. إنكم قد أتممتم صيامكم ووعَدَكم ربكم ثوابكم ، وفى الأثر عن جرير بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « صوم شهر رمضان مُعَلَّق بين السماء والأرض ولا يُرفع إلا بزكاة الفِطْر »(٢) . ولعلكم أخرجتموها قبل صلاة العيد ومن لم يخرجها حتى الآن فليتصدق بها ولن يضيع عند الله ثواب الصدقة .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة إبراهيم آية رقم (٧) .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور: ٢ / ٥٧ إلى أبى حفص عمر بن شاهين فى فضائل رمضان عن جرير بن عبد الله البجلى ﷺ ثم قال ابن شاهين : حديث غريب جيد الإسناد .

وعمر بن شاهين قال عنه الذهبى فى تذكرة الحفاظ : ٣ / ٩٨٧-٩٩٠ رقم الترجمة (٩٢٣) : الحافظ الإمام المفيد المكثر مُحدِّث العراق أبو حفص ، ثم ذكر نسبه ثم قال: مولده سنة ٢٦٧ هـ ومات سنة ٣٥٨ هـ، وقد مجَّده الذهبى نقلاً عن الأئمة الكبار وعَظَّم شأنه ثم نقل عن الخطيب بإسناده عن محمد بن عمر الداودى يقول : ابن شاهين ثقه يشبه الشيوخ إلا أنه كان لحَّانًا ولا يعرف الفقه وكان إذا ذكر له مذهب يقول : أنا عندى المذهب .. ثم ذكره ، وكتابه هذا لم يُطبع- والله أعلم -وهو موجود فى ليدن .

وزكاة الفِطْر واجبة على كل مسلم : على الذكر والأُنثى ، والحر والعبد ، والصغير والكبير واليتيم(١) .

وهى صاع من غالب قوت البلد ، مما ينفع الفقير .

فُرِضت طُهْرة للصائم من اللَّغو والرفث ، وطُعْمة للمساكين .

فمَن أدَّاها قبل صلاة العيد فهى زكاة مقبوله ، ومَن أدَّاها بعد الصلاة فهى صَدَقة من الصدقات(٢) .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾(٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وراقبوه فى جميع أحوالكم ، واعملوا صالحاً لأنفسكم : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٤) .

وصَلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٥) ... إلى آخر الدعاء .

* * *

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضى الله عنهما : البخارى برقم (١٥٠٣) وقد عقد عليه البخارى الباب : فرض صدقة الفطْر .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس ﷺ : ابن ماجه برقم (١٨٢٧) وإسناده جيد .

(٣) سورة الأعلى آية : ١٤ - ١٥

(٤) سورة الحشر آية : ٩

(٥) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥ ـ بيان طرق الخير والتحذير من إهانة القرآن[١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين﴾[٢] .. أنعم علينا وتفضَّل ، وأعطانا وتكرَّم .

اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيتَ على نفسك[٣] .

وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤] .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهديه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فإنَّ فَضْلَ اللهِ تبارك وتعالى على أُمَّة محمد ﷺ لا يقف عند حد ، ولا يُقدَّر بقدر ، فإحسانه عليهم مستمر ، وخصوصياتُه لهم فوق الحصر .

فما يخرجون من كرم إلا ويدخلون فى مثله ، وما ينتهون من عمل خير إلا ويبدأون فى مثله .

---

(١) ألقيت فى ٧/ ١٠/ ١٣٩٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) من دعاء النبى ﷺ : مسلم برقم (٢٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) سورة التوبة آية : ١٢٨

وما يخرجون من باب رحمة وتزودٌ من الخير إلا ويدخلون فى آخر . وذلك من لطف الله تعالى بهذه الأُمَّة المحمـــدية وتيسير أسباب السعادة والنجاة لهم ، ورفع درجاتهم ومكانتهم عند خالقهم ، وتعظيم شأنهم بين الأُمم .

فالحمد لله لم ينته المسلمون من صيام شهر رمضان وقيامه إلا وتَبعه بابُ رحمة وطريقُ خير وكمالُ حُسنَى

ففى صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن أبى أيوب الأنصارى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « مَن صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوَّال كان كصيام الدهر »(١) . ذلك فضلٌ من الله ونعمة ، وكرمٌ منه ورحمة ، فصيام شهر رمضان يعدل عشرة شهور ، وصيام ستٍ من شوَّال يعدل شهرين ، فتمت اثنى عشر شهراً ، ذلكم أن الحسنة بعشر أمثالها(٢) .

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾(٣) .

فصيام ستٍ من شوَّال فيه شكر لله تعالى على توفيقه ورعايته فى شهر رمضان وصيامه ، فكان من المناسب شكر النعمة بعمل مثلها من أعمال الخير ، كما أن شكر نعمة المال بالصدقة فيه ، وشكر التوفيق للصلاة النافلةُ بعدها وقبلها ، وفيه أيضاً سد للخلل والنقص الذى يحصل فى العبادة الواجبة بالعبادة المندوبة ، فالإنسان مُعرَّض للخطأ والزلل والنقص .

والمبادرة بصيام ستٍ من شوَّال من باب المسارعة إلى الخير والمسابقة إلى

---

(١) مسلم برقم (١١٦٤) : من حديث أبى أيوب الأنصارى ﷺ ، وأبو داود برقم (٤٣٣٣) ، وأحمد فى المسند : ٥ / ٤١٧ ، ٤١٩

(٢) إشارة إلى حديث طويل أخرجه أحمد فى المسند : ٢ / ٣١٢ - ٣١٨ من حديث أبى هريرة ﷺ وفيه هذا اللفظ وإسناده صحيح .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٦٠

الطاعة ، ولأنه أسهل على النفس ما دامت قريبة العهد بالصيام ، قد ألف الجسد والنفس على الصيام ونظام الصوم وترتيبه ، فيكون فعله أسهل وأيسر وأخف .

ثم إذا انتهى المسلم من صيام ستٍ من شوّال ومَنَّ الله عليه بصيامها وتكرَّم عليه بفضلها ، فأمامها من أعمال الخير ما ندب النبى ﷺ إلى فعله وهو صيام ثلاثة أيام من كل شهر ؛ ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أوصانى خليلى ﷺ بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتى الضحى ، وأن أُوتر قبل أن أنام[(١)] .

وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « صوم ثلاثة أيام من كل شهر صومُ الدهر كله » [(٢)]

فصيام يوم واحد يعدل صيام عشرة أيام ، والمُستَحب لمن أراد أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر أن يكون فى أيام البيض المقمرة : ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة .

ثم تأتى عَشر ذى الحجة أيامٌ مباركة مُفضَّلة ، العمل الصالح فيها أعظم عند الله ومُحبَّب إلى الله[(٣)] ، ثم يومُ عَرَفة يُكفِّر السنة الماضية والباقية[(٤)] ، ثم يومُ عاشوراء يُكَفِّر السنة الماضية[(٥)] . . إنها نِعَمٌ متتابعة وخيراتٌ متوفرة على أُمَّة

---

(١) البخارى فى الصحيح : ٤/١٩٧ ، باب صوم يوم الجمعة ، ومسلم برقم (٧٢١) .

(٢) وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه صلاة المسافرين .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الفجر آية رقم (١ ، ٢) ، وقد ثبت فى البخارى فى الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما فى فضل هذه العشر الليالى ، انظر الفتح : ٢/ ٣٨١

(٤) إشارة إلى حديث أبى قتادة رضي الله عنه: مسلم (١١٦٢) باب : ما جاء فى فضل صوم يوم عَرَفة .

(٥) هو نفس هذا الحديث : مسلم (١١٦٢) ، والترمذى برقم (٧٤٩) .

محمد ﷺ .. ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[1] .

أيها المسلمون .. مَن استطاع منكم بقوته البدنية والنفسية وسعة وقته أن يصوم شيئاً من النوافل التى رغَّب فيها النبى ﷺ فليفعل ، فسيجده ذخراً أمامه فى أحوج ما يكون إليه .. سيجده أنيساً فى قبره ، وسيجده شفيعاً عند الحساب ، وسيجده فى الجنَّة عند باب الريَّان المُخصَّص لأهل الصيام ، يناديه للدخول ، ويدعوه لدخول الجنَّة .

اللَّهُمَّ وفقنا لفعل الخيرات وترك المنكرات ، وألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة فصلت آية : ٣٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوعى الإسلامى

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً طيبًا مباركًا فيه كما يُحب ربنا ويرضى .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليمًا كثيراً .

أما بعد ..

فإن الوعى الإسلامى قد خفَّ من النفوس ، بل قد تقلَّص نهائيًا من بعض النفوس ؛ فالمقدَّسات الإسلامية لم يبق لها مكانة عند أُولئك ، وأى شيء يجب تعظيمه وتقديره وتقديسه أحق من كلام الله وآيات الله وأسماء الله وصفاته ، وأسماء رسوله ﷺ .

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١) .

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾(٢) .

ولكن الوعى عند بعض الطُلاَّب والطالبات وبعض أولياء أُمورهم ، وبعض قُرَّاء الصحف والمجلات ، وبعض حاملى البطاقات مفقود . فهذه

---

(١) سورة الواقعة الآيات : ٧٧ - ٨٠

(٢) سورة الشعراء الآيات : ٢١٠ - ٢١٢

المقررات المدرسية فيها آيات من القرآن ، وفيها أسماء الله وصفاته ، وأسماء المصطفى ﷺ ، تُلْقَى فور الانتهاء من الامتحان فى الشوارع مع الزبالات والنفايات ، وكذلك الصحف فيها أســماء الله وأسـماء نبيه ، تُلْقَى بعد قراءتهـا فى الشوارع ، تُداس بالأقدام وتُهان بأنواع الإهانات ، وكذلك بطاقات الزواجـات والدعوات ، تشتمل على أسماء الله وصفاته ، وأسماء رسوله ﷺ ، مثل : محمد ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد المحسن ، وعبد القادر . . . وتُلْقَى مع القمائم والنفايات .

إن الطُلاَّب وقُرَّاء الصحف متعلمون ومثقفون وأدباء ، فأين العلم وأين الثقافة وأين الأدب مع هذا العمل الشائن الذى يُعتبر استهزاءً بالله ورسوله ، وإهانة لأسماء الله ورسوله ، وعدم مبالاة .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . اتقوا الله أيها الناس . . لا تُعَرِّضوا أنفسكم لسخط الله ونقمته ، إذا استغنيتم عن شىء من المطبوعات فاحرقوها أو ادفنوها فى مكان طاهر ، وقد جعلت الامامة لها صناديق خاصة ، جزى الله أميرنا وأمير المدينة خيرًا .

﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾[1] .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[2] .

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير . فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3] . . . الى آخر الدعاء .

* * *

(١) سورة الحج آية: ٣٢

(٢) سورة الحج آية : ٣٠

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦ - بئس قوم لا يعرفون الله إلا فى رمضان[١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٢] .. خلق فقدَّر وشرَّع فيَسَّر ، وكلَّف وأعان.

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له .. رحيم بخلقه ، لطيف بعباده.

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .. أعرف الناس بربه ، وأخشاهم وأتقاهم لله[٣] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

أما بعد ..

فإن تشريعات الإسلام تهدف إلى إصلاح الشخص المسلم وتربية ضميره وتنظيم سلوكه وتصحيح تصوراته ، وتربطه بذى القوة المتين الذى خلقه ، رباط طاعة وتقوى وعبادة .

فقد أدَّى المسلمون فريضة الصيام ولا بد أنها تركت فى نفس المسلم آثاراً

(١) ألقيت فى ٢/ ١٠/ ١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أخرجه البخارى فى الصحيح كتاب النكاح حديث رقم (٥٠٦٣) وفيه قصة ثلاثة نفر جاءوا إلى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وفيه هذا اللفظ : « والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له .. » .

فى عقيدته وسلوكه ، وعسى أن يكون المؤمن عرف قيمـــة هذه العبادة وعرف منهج الرُشد فيها ، وتأثيرها فى تربية النفس وتهيئتها لتحمل الرسالة التى من أجلها خُلقت . وقد يكون هناك فوارقُ بين الناس فى العمل فى شهر الخيرات والنفحات والإفاضات ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ، والخالق تبارك وتعالى وهو العليم بخصائص النفس البَشَرية ، والخبير بتأثير الوسواس الخناس فيها ، فلم يترك عباده الُمقَصِّرين لليأس ، ولم يُسْلِم عباده المقتصدين للكسل والركود ، ولم يُسْلِم عباده السابقين للغرور والإعجاب .

بل حثَّ الأول على التوبة والرجوع إلى الله ، وحثَّ الثانى على المزيد ، وحثَّ الثالث على الاعتماد على رحمة الله وسؤله خالقه القبول .

وأيام الإنسان كلها محل للعمل ومحل لفعل الأسباب التى تُقَرِّب من الله بما شرعه رسول الله ﷺ .

والدعاء من أقوى الوسائل التى تربط بين المسلم وخالقه ، وتُعلِّق قلب المؤمن بربه ، وهو طريق العودة إلى الله .

وهو أداة المزيد من فضل الله ، وسبب القبول من الله ، ولذلك أمر تبارك وتعالى عباده بالدعاء ووعد بالإجابة ، ومَدَّ لهم أسباب الصلة به وتلطَّف بهم وتودَّد إليهم ورغَّبهم فى التوجه إليه على أى حال كانوا ، وصوَّر ذلك فى آية كريمة وردت بين الآيات التى تتحدث عن فريضة الصيام وبين الآيات التى تُحدِّد الوقت الزمنى للصوم ، وهى قوله جَلَّ وعلا ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(1)

(1) سورة البقرة آية : ١٨٦

فإذا تأملنا هذه الآية وجدنا كل لفظة فى تعبيرها تُشْعِر بالأُنس والاطمئنان والقُرْب من الله والرغبة فيما عند الله فتأملوها : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(١) .

فإضافة العباد إليه بقوله : ﴿ وإذا سألك عبادى ﴾ ؛ تعريف للمؤمن بأنه فى كنف الله وفى حمايته ، وتحت عنايته ، وفيه تنبيه إلى أنَّ العبد ملك لله .

والإجابة المباشرة بقوله : ﴿ فإنى قريب ﴾ ، ولم يقل : فقل لهم إنى قريب ، تحقيق لهذا القُرْب الذى يُشعر بالرحمة والرأفة واللُّطف ، وفيه تعظيم لحال الدعاء ، وفيه بيان بأنه لا يجوز أن يكون بين العبد وربه واسطةٌ ، بل يدعوه مباشرة فإنه قريب ، أقرب من الوسيط . كما أن الداعى لو جعل بينه وبين الله واسطة فى الدعاء لم يكن داعياً لله وإنما يكون داعٍ للوسيط ، وإنما يقرب العبد من الله بترك الوساطة .

وقوله : ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ ، ولم يقل : فإنى أسمع الدعاء ، فيه ترغيب المؤمن فى كثرة الدعاء ، والعزم فيه ، وحثه على الثقة بالله .

وقوله : ﴿ فليستجيبوا لى ﴾ الاستجابة من العبد : الانقياد والاستسلام والطاعة . فكأنه تعالى قال لعباده : أنا أجبت دعاءكم مع أنى غنى عنكم ، فكونوا مجيبين لدعائى مع أنكم محتاجون إلىَّ من كل الوجوه ، وإجابة الله دعاء عبده فضل منه وإحسان .

وقوله : ﴿ لعلهم يرشدون ﴾ هذه هى الثمرة المترتبة على الحث على الدعاء والاستجابة لله وهى الرُّشد .

والرُّشد هو الاهتداء إلى مصالح الدين والدنيا ، فنظام السماء هو النظام

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٦

الراشد الذى يهدى إلى الرشد ، قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية : والمراد أن الله تعالى لا يرد دعاء داعٍ ولا يشغله عنه شىء بل هو سميع الدعاء· ففيه ترغيب فى الدعاء وأنه لا يضيع لديه[1] .

وفى الآية بيان بأن الدعاء من أهم مقامات العبودية ، وأنه وسيلة قوية تُقرِّب من الله وتربط العبد بخالقه ، كما أن ترك الدعاء استغناءً وتكبراً ومعصية ، قال تعالى : وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[4] .

وروى الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن النبى ﷺ قال : «ما من مسلم يدعو الله عزَّ وجَلَّ بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال : إما أن يُعَجِّل له دعوته ، وإما أن يدخِّر له فى الأُخرى ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها » ، قالوا : إذًا نُكثر ، قال : «الله أكثر »[5] .

وروى البزَّار بسنده عن أنس بن مالك ﷺ عن النبى ﷺ قال :«يقول الله تعالى : يا ابن آدم ؛ واحدة لك وواحدة لى وواحدة بينى وبينك ؛ فأما التى لى فتَعبُدنى لا تُشرك بى شيئًا ، وأما التى لك فما عَملتَ من شىء أو من عمل وفَّيْتُكَه ، والتى بينى وبينك فمنك الدعاء وعلىَّ الإجابة »[6] .

---

(١) الإمام ابن كثير فى تفسيره : ١ / ٣٨٥ طبعة دار الأندلس - بيروت ·

(٢) سورة غافر آية : ٦٠ (٣) سورة الفرقان آية : ٧٧

(٤) سورة النمل آية : ٦٢

(٥) الإمام أحمد فى المسند: ٣ / ١٨ من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ وإسناده صحيح ·

(٦) عزاه الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٦/ ١٤٩ إلى الحافظ أبى يعلى فى مسنده من حديث أنس بن مالك ﷺ وهو حديث قدسى ، وإسناده صحيح وفيه زيادة مهمة فى المتن·

فينبغى للمسلم أن يُكثر من الدعاء ، وأن يُخلص التوجه إلى الله ، ولا يجعل بينه وبين ربه واسطة ، فإنه قريب سميع بصير .

وينبغى أن يقوى أمله فى الله ، وأن يستَيْقن بالإجابة . روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أنا عند حُسْن ظن عبدى بى وأنا معه إذا دعانى »(١) .

وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه بأسانيدهم عن سلمان الفارسى رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى يستحى أن يبسط العبدُ إليه يديه يسأله فيهما خيراً فيردهما خائبتين »(٢) .

فاتقوا الله عباد الله .. ويا أيها المسلم الذى اجتهد فى رمضان سابِق بالخيرات ، وحافِظ على المنزلة التى نلتها ، واسأل الله القبول .

ويا أيها المسلم المقتصد .. الطريقُ أمامك مفتوح إذا أردت أن تسابق إلى الخيرات .

ويا أيها الظالم لنفسه المقصِّر .. إن ربك قريب مجيب رحيم ودود وأبوابه مفتوحة .

فتوجَّه إليه وإلحق بالركْب السابق ، فإن من طلب أدلج ، ومن سار على الدرب وصل .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذِكر الحكيم . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولأبنائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ،فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) البخارى مع الفتح : ٣ / ٣٨٤ وفى الصحيح برقم (٧٤٠٥) كتاب التوحيد باب رقم(١٥) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه : ومسلم فى الصحيح : ٤ / ٢٠٦١ كتاب التوبة برقم(٢) خاص من هذا الوجه واللفظ .

(٢) هذا لفظ أحمد فى المسند: ٥ / ٤٣٨ وهو من حديث سلمان الفارسى رضي الله عنه وإسناده صحيح وهو يروى فيه أبو عثمان النهدى عن سلمان رضي الله عنه .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التمسك بالكتاب والسُنَّة

(الخطبة الثانية)

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ·

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ·

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان ·

أما بعد ··

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ومراقبته فى السر والعلن ، واعلموا أن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهَدْى هَدْى سيدنا محمد ، وشر الأُمور محدثاتها ، وكل مُحْدَثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار[(١)] · فتمسكوا بكتاب الله تلاوةً وتدبراً وعملاً ، وعليكم بسُنَّة الرسول ﷺ عَضوا عليها بالنواجذ[(٢)] ، واحذروا المبتدعات · ويكفى المسلم الاقتداء بالصفوة المطهَّر صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأتباعهم بإحسان ·

(١) إشارة إلى خطبة النبى ﷺ : البخارى مع الفتح ١٠ / ٥١١ وفى الصحيح برقم (٧٢٧٧) وهو من حديث جابر رضي الله عنه ·

(٢) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه : أحمد فى المسند : ٤ / ١٢٦ وإسناده صحيح ·

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير . فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [1] . . . إلى آخر الدعاء .

*   *

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧ - بيان طرق الخيرات[١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٢] .. أنعم علينا وتفضَّل ، وأعطانا وتكرَّم.

اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك[٣] .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾[٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .. إمام المتقين ، وقائد الغُرِّ المُحَجَّلين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن فضل الله تعالى على أُمَّة محمد ﷺ كثير ، وإحسانه عليهم كبير، وخصوصياته لهم معروفة .. يسَّر لهم طرق الخيرات ، وتابع لهم مواسم الحسنات . ولئن مضى شهر رمضان بما فيه من الخيرات ومضت ليلة القدر بخصوصياتها وجزيل ثوابها ، وطويت صحائف العباد بما فيها ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله .

---

(١) ألقيت فى ٢/ ١٠/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) إشارة إلى حديث عائشة ﵂ : مسلم فى الصحيح : الصلاة حديث رقم (٢٢٢) .

(٤) سورة الزمر آية : ٥

ولئن مضت تلك الليالى المباركة ، ليالى التراويح والتهجد ، واجتماع الأحباب فى الله ، على طاعة الله .

ولئن انقطعت تلك اللقاءات الأخوية قُبَيل المغرب ، وتلك الفرحة المتكررة عند الإفطار .

ولئن مرَّت الليالى والأيام بما أخذت من الأقدار والأعمار .

لئن مضى ذلك وغيره ، فإن الله تعالى حىٌ قيومٌ ، لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم(١) ، ولا يشغله حال عن حال ، ولا تشتبه عليه الأصوات ، ولا تختلف عليه اللُّغات ، وهو ربٌّ رمضان وهو الذى فضَّله ، وهو الإله المعبود فى كل زمان .. يتودد إلى خلقه بالنِعَم ويناديهم فى الظُلَم .

روى البخارى ومسلم فى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل الله إلى السماء الدنيا كلَّ ليلة حين يمضى ثُلُث الليل الأول فيقول : أنا المَلِك أنا المَلِك ، مَن ذا الذى يَدْعونِى فأستجيب له ، مَن ذا الذى يسألنى فأعطيه ، مَن ذا الذى يستغفرنى فأغفر له .. فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر » واللَّفظ لمسلم(٢) .

وفى رواية : « مَن يُقرض غير عدوم ولا ظلوم » (٣) .

والله تعالى حىٌ قيومٌ ، معبودٌ فى رمضان وشوَّال وسائر الأيام ، فبئس قوم لا يعرفون الله إلا فى رمضان .

ويجب على المسلم أن يعلم أن الله تعالى أقرب إلى عبده من أهله

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٢٥٥) .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخارى برقم (١١٤٥) : التهجد (١٤) باب : الدعاء والصلاة فى آخر الليل ، ومسلم برقم(٧٤١)فى صلاة المسافرين ، باب: صلاة الليل .

(٣) أورده الحافظ فى الفتح : ٣ / ٣١ وهو من رواية سعيد بن مرجانة عن أبى هريرة عند النسائى وإسناده صحيح ، وكذا أخرجه مسلم فى الصحيح : ١ / ٥٢٢ برقم (١٧١) .

وخاصته الذين يحفون به : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾(١) ، وأقرب إلى الإنسان من العرْق النابض الذى فى رقبته : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(٢) .

فالخلق كلهم فى قبضته جلَّتْ قُدْرَته ، وقلوب العباد بين أصبعيه يُقَلِّبها كيف يشاء(٣) جلَّتْ عظمته .. ولا غِنَى للإنسان عن ربه طَرْفة عَيْن ، فأنفاسه وحياته وموته بيده ، ونبض قلبه بإرادته ، ورزقه من عنده ، وصحته ومرضه بقدرته : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤) .

فالواجب على الإنسان أن يكون مرتبطاً بخالقه فى كل لحظة من حياته ، وفى كل حركة وسكون من شأنه ، فيتقرَّب إليه بأداء الفرائض فى أوقاتها وعلى صفاتها التى وردت عن النبى ﷺ ، فإن ذلك من أفضل القُرَب إلى الله وأعظمها نفعاً للإنسان فى معاشه ومعاده .

ويتقرَّب إليه بالنوافل المشروعة من جنس الفرائض - الصلاة والزكاة والصوم والحج والعُمْرة - ولا يزال لسانه رطباً من ذكر الله(٥) ، فإن النوافل تُكمل الفرائض وزيادةٌ فى الثواب(٦) ، وتُقَرِّب إلى الله .

روى البخارى رحمه الله فى الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال

---

(١) سورة الواقعة آية : ٨٥

(٢) سورة (ق) آية : ١٦

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : مسلم فى الصحيح : القدر حديث رقم (١٧) خاص وعام (٢٦٥٤) ، وأحمد فى المسند : ٢ / ١٦٨ من هذا الوجه واللفظ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٧

(٥) إشارة إلى حديث عبد الله بن بشر المازنى رضي الله عنه : أحمد فى المسند: ٤ / ١٨٨ وإسناده جيد .

(٦) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : ابن ماجه برقم(١٤٢٥)باب (٢٠٢) : ما جاء فى أول ما يُحاسَب به العبد الصلاة ، وكذا رقم (١٤٢٦) وهو من حديث تميم الدارى رضي الله عنه وإسنادهما صحيح .

رسـول الله ﷺ : « إن الله قال : مَنْ عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّب إلىَّ عبدى بشىءٍ أحبَّ إلىَّ مما افترضتُ عليه ، وما يزال عبدى يتقرَّب إلىَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصرَهُ الذى يُبصر به، ويدَه التى يبطش بها، وإن سألنى لأُعطينَّه ، ولئن استعاذ بى لأُعيذنَّه ، وما ترددتُ عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره إساءته»[(١)]. فاولياء الله هم الذين يعملون بسُنَّة النبى ﷺ .

والله تعالى خلق الإنسان ويعلم مداخل نفسه وقلبه ، ويعلم الأوقات التى يكون فيها قلبه أكثر تفتحاً واستعداداً وتهيؤاً لمناجات ربه ، وأعلم بالأسباب التى تكون ألصق بقلب الإنسان وأشد تأثيراً فيه . فإذا استطاع المسلم أن يُسيطر على نفسه بمقاومة استرخاء النـوم ، وهتاف الراحة ، وجاذبية الفراش ، فيقوم حين يبقى ثُلُث اللَّيل الآخر[(٢)]، فتلك ناشئة الليل التى ذكرها الله فى كتابه[(٣)] ، وهى وإن كانت أجهد للبدن وأصعب فى مقاومة دوافع الراحة بعد الكد فى النهار ، إلا أنَّ فيها تنشيطاً للروح وتقويةَ عزيمتها لتَظْهر على رغبات البدن ، وتلك ساعة مشهودة : للذِكْر فيها حلاوته، وللصلاة فيها خشوعها ، ولمناجاة الله فيها صفاؤها ، يحصل للقلب فيها أُنس بالقرب من الله ، ونور بالاتصال الهادى بالله ، وتلك الساعة المشهودة قد لا يجد العابد فى غيرها من ساعات النهار ما يجده فيها . وقيام الليل والناس نيام ، والاتصال بالله فى الليل الساجى ،وتلقى الفيض من الله والنورَ والروحانيةَ فى تلك الساعة . هذا هو الزاد للطريق ، وهو القوة التى تشد الأزر فى مقاومة رغبات النفس وتحمل

---

(١) البخارى برقم (٦٥٠٢) : الرقاق باب رقم (٣٨) باب التواضع ، وهو من حديث أبى هريرة ﷺ،وأحمد فى المسند: ٦ / ٢٥٦ وهو من حديث عائشة ﷺ .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة ﷺ : البخارى برقم (١١٤٥) التهجد ، ومسلم برقم (٧٤١) : صلاة المسافرين من هذا الوجه واللفظ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المزمل آية رقم (٦) .

أعباء الحياة ، وهو الحصن الحصين الذى يحتمى به المسلم من وسوسة الشيطان ومداخل جنوده ، ومن مسارب النفس الأمَّارة بالسوء ·

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾[١] .

فإذا لم يستطع المسلم ناشئة اللَّيل فليأخذ بوصية النبى ﷺ لأُمَّته ·

روى مسلم فى الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن خاف ألا يقوم من آخر الليل فليوتر من أوله ، ومَن طَمِعَ أن يقوم آخرَه فليوتر آخرَ الليل ، فإن صلاة الليل مشهودة وذلك أفضل »[٢] .

فإن غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صَلَّى من النهار · كما فى حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم[٣] .

والمواظبة على الرواتب مع الفرائض من أفضل القُرَب وأعظمها أجراً وهى اثْنَتَى عشرة ركعة ·

روى مسلم عن أُم حبيبة رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : ما من مسلم يُصَلِّى لله كل يوم ثِنْتَىْ عشرة ركعة ، تطوعاً غير فريضة ، إلا بنى الله له بيتاً فى الجنَّة »[٤] .

---

(١) سورة المزمل آية : ٦

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى : مسلم فى الصحيح : صلاة المسافرين برقم (١٦٢) خاص وعام (٧٥٥) بهذا اللفظ الذى أورده فضيلة الخطيب وبرقم (١٦٣) وفيه :« وذلك أفضل » ·

(٣) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها : مسلم فى الصحيح برقم (٧٤٧) خاص : صلاة المسافرين ·

(٤) إشارة إلى حديث أُم حبيبة رضي الله عنها : مسلم برقم(١٠٣) خاص وعام (٧٢٨)، وأبو داود برقم (١٢٥٠) ·

ولا ننسى صيام ستٍ من شـــوّال(١) ، فإنها من رمضان بمنزلة الراتبة للصلاة ، تُكمل النقص وتزيد الأجر ليحصل على ثواب صيام سنة كاملة .

روى مسلم فى الصحيح عن أبى أيوب الأنصارى ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَن صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوّال كان كصيام الدهر »(٢).

وذلك - والله أعلم - أن الحسنة بعشر أمثالها(٣) ، فصيام رمضان يعدل صيام عشرة أشهر ، وصيام ستٍ من شـــوّال تعدل صيام شهرين ؛ فهذه اثنى عشر شهراً ، فالحمد لله على جزيل فضله وإحسانه .

فاتقوا الله أيها المســلمون ، ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾(٤) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، واهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق ، لا يهدى لأحسنها إلا أنت .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا وجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم.

* *

---

(١) إشارة إلى حديث أبى أيوب الأنصارى ﷺ : مسلم برقم(١١٦٤) خاص باب استحباب صوم ستة أيام من شوّال اتباعاً لرمضان ، وأحمد فى المسند: ٥/٤١٧،٤١٩

(٢) مسلم فى الصحيح برقم (١١٦٤) خاص ، وأحمد فى المسـند : ٥ / ٤١٧ ، ٥ / ٤١٩ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنعام آية رقم (١٦٠) .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٣٣

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أوانى الذهب والفضة مُحرَّم على الذكور والإناث

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [١] .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ·

اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان ·

أما بعد ··

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله فإنه عليكم رقيب ·· احذروا غضبه وسطوته فإنَّ أخْذَه أليم شديد[٢] ·· حافظوا على الصلوات المكتوبة فى أوقاتها فإنها عمود الإسلام[٣] ، ولصاحبها نور وبرهان ·

واجتنبوا الخمر والمُسكِّرات والمُخَـدِّرات ، فهى أُم الخبائث وأُس كل خطيئة ، وهى ملعونة : ملعون عاصرها ومعتصرها[٤]،وحاملها والمحمولة إليه، وبائعها ومشتريها وشاربها ··

---

(١) سورة الفاتحة آية :٢

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة هود آية رقم (١٠٢) ·

(٣) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل ﷺ : أحمد فى المسند : ٥ / ٢٣١ وإسناده جيد ·

(٤) إشارة إلى حديث ابن عباس ﷺ : أحمد فى المسند : ١ / ٣١٦ وإسناده جيد ·

واجتنبوا الربا فإنه حرب لله ورسوله ، ومآله إلى قِلَّة وإن كثر . .

وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم[١] . .

واحذروا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً [٢] .

ولا يلبس الذكور شيئاً من الحرير ولا الذهب والفضة ، فإنها مُحرَّمة على أُمَّة محمد ﷺ . .

ولا تأكلوا ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة[٣] ولا الكاسات ولا البزابيز (الصنابير) ، ولا الملاعق ولا الشوكات ولا التحف ، فإنها مُحَرَّمة على الذكور والإناث . .

وصلُّوا على البشير النذير . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [٤] . . . . . إلى آخر الدعاء .

* * *

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية رقم (٨٥) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النساء آية رقم (٢٢) .

(٣) إشارة إلى حديث حذيفة ﷺ : البخارى برقم (٥٤٢٦) : الأطعمة باب رقم (٢٩) باب : الأكل فى إناء مفضض . . ومسلم : اللباس حديث (٤) ، (٥) خاص .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٨ - شعور المسلم بعد شهر رمضان[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله ‥ ﴿ الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم﴾[٢] .

وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ‥ ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾ [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه ‥

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ‥

فلقد مرَّت أيام رمضان المفضَّلة ولياليه الغُر الخيِّرة ، مضَت بما أُودع فيها، وخُتِمت ملفاتها وطُوِيت صحفها ، ثم تبعتها أيام العيد وفرحته فسبحان مُصَرِّف اللَّيل والنهار . قد أحاط بكل شىء علمًا [٤] ، وأحصى كل شىء عدداً [٥] .

إن المسلم - بانقضاء أيام رمضام - واقعٌ بين شعورين ، شعورٍ بالسرور ، وشعورٍ بالأسف .

---

(١) ألقيت فى ٥/ ١٠/ ١٤٠٠هـ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٥

(٣) سورة الفرقان آية : ٦٢

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الطلاق آية رقم (١٢) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الجن آية رقم (٢٨) .

أما السرور ٠٠ فإن المسلم تغمره نشوة سرور بأنه أدرك شهر رمضان ووُفِّقَ لصيامه وإكمال عِدَّته ، يستبشر بوعد الله له بالرحمة والمغفرة والعتق من النار(١) ، يشعر بأنه أدَّى ركن إسلامه فى أمان واطمئنان ، يفرح بما أُحِلَّ له من الطيبات فى الليل والنهار ٠

وأما الأسف ٠٠ فإن المسلم يأسف لفراق شهر الخير والبركة كما يأسف الحبيب لفراق حبيبه ، يأسف لانقضاء أيام النفحات والإفاضات والخصوصيات ومضاعفة الحسنات(٢) .

يأسف لفراق الأحبة الذين صاحبهم فى ليالى رمضان فى طاعة الله وقراءة القرآن ٠

فبالشعور الأول يسأل الله تعالى أن يتقبل رمضان ، وبالشعور الثانى يسأل الله أن يُعيد عليه رمضان ٠

ومن علامات التوفيق – أيها المؤمنون – رغبة المؤمن فى نوافل العبادة من جنس التى انتهى منها ، فيزيد فيها من النوافل بما استطاع ٠

فُيتبع شهر رمضان بنوافل الصيام ، ويُتبع فريضة الصلاة برواتبها ، ويُتبع فريضة الزكاة بالصَدَقة تطوعاً ٠

ولذلك رغَّب النبى ﷺ فى صيام ستٍ من شوَّال ، وفى صيام ثلاثة

---

(١) إشارة إلى حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ١/٤٥١ – ٤٥٣ إلى البيهقى ٠

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : مسلم فى الصحيح : الصوم حديث رقم (١٦٤) خاص وعام (١١٥١) باب رقم (٣٠) ، وباب فضل الصيام ٠ انظر حديث رقم (١٦٦) خاص وعام (١١٥٢) عند مسلم وفيه : « إنَّ فى الجنَّة بابًا يقال له الريَّان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل أحد غيرهم يقال: أين الصائمون ؟ فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغْلق فلم يدخل منه أحد » ٠

أيام من كل شهر ، وفى صيام يوم عاشـوراء وهو اليوم العاشر من الشـهر المحرَّم ، وصيام يوم قبله أو يومًا بعده مخالفة لليهود ، ورغَّب فى صيام يوم عَرَفة ٠

عباد الله ٠٠ مَن كان عليه قضاء أيام من رمضان فيُستحب له المبادرة بقضائه لأنه دَيْن فى ذِمَّته ، ومن العقل والأفضل المبادرةُ بقضاء الدَّيْن متى قدر، ولأن فيه مُسارعةً إلى الخيرات :

ولا ينبغى التفريط فى القـضاء حتى يدركه رمضـانٌ آخر من غير عذر مبيح ، وسواء قضاه متصلاً أو متفرقًا أجزأه [١]

فإن أخَّره حتى أدركه رمضان آخر فعليه القضاء وإطعام مسكين عن كل يوم[٢] ٠

وأما مَن مات وعليه صوم من رمضان فإن كان فَرَّطَ فى القضاء أُطْعِمَ عنه عن كل يوم مسكيناً [٣] ، وإن لم يُفَرّط بأن أدركته المَنِيَّة قبل أن يتمكن من القضاء فلا شىء عليه إن شاء الله تعالى ، لكن يُستحَب أن يُطْعِم عنه وليه عن كل يوم مسـكيناً مثل المريض الذى لا يُرجى برؤه ، لأن الله تعـالى يقول : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[٤] ، والذى توفى قبل القدرة على القضاء لم يتمكن من الأيام الأُخر ٠

(١) إشارة إلى قول الإمام العلاَّمة عبد الله بن أحمد بن قدامة فى المغنى فى باب الصيام ، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٨٥)٠

(٢) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (١٨٤) ، فهذا الرجل يعتبر غير مستطيع والله أعلم إذا كان كبير السن أو مريضًا ٠٠

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما : ابن ماجه برقم (١٧٥٧) باب : مَن مات وعليه صيام رمضان وقد فرط فيه، وهو صحيح موقوف على ابن عمر رضى الله عنهما ٠

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٤

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

اتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا ، وأنفقوا خيراً لأنفسكم : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢)

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ..

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لى ولكم ولكل المسلمين ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم ٠

* *

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٣

(٢) سورة الحشر آية : ٩

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ضعف المسلمين

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [١] .. أكمل ديننا وأتم علينا نعمته ، ورضى لنا الإسلام ديناً [٢] .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خالقُ كُلِّ شيء[٣] ، وربُّ كُلِّ شيء ، وإلهُ كُلِّ شيء ، ومالكُ كُلِّ شيء .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ رسالة ربه على أكمل وجه وعلى أتم بيان ، ونصح الأُمَّة وجاهد فى الله حق جهاده[٤] ، وتركنا على المحَجَّة الواضحة الجلية المتكاملة الشاملة ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك[٥] ، ولا يقدح فيها إلا كافر أو منافق ، ولا يرغب عنها إلا ضال ، ولا يحيد عنها إلا فاجر فاسق .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على الرسول الأمين ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة المائدة آية رقم (٣) .

(٣) إشارة إلى عدة آيات من القرآن الكريم منها سورة الأنعام آية رقم (١٠٢) .

(٤) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى ﷺ وهو من خطبة النبى صلى الله عليه وسلم : أخرجه مسلم فى الصحيح بسياق طويل : الحج حديث رقم (١٤٧) وفيه هذا اللفظ .

(٥) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية ﷺ : أخرجه الإمام أحمد فى المسند : ٤/ ١٢٦ ، وابن ماجه فى السنن برقم (٤٣) فى مقدمة كتاب السنن ، وله شاهد من حديث أبى الدرداء : ابن ماجه فى المقدمة (٥) وإسناده حسن .

أما بعد ..

فلقد مضت أيام رمضان المباركة ، ومضت أيام العيد بفرحتها ، ولكن الذى يؤسف كون الأُمَّة الإسلامية فى كل مكان مستضعفةٌ فغلوبةٌ على أمرها ، سـواء أكانت الغلبة من أنفسـهم أو من غيرهم ، وسـواء أكانت بالشـهوات أو بوسوسة الشيطان ، وسواء أكانت عن علم أو عن جهل .. تداعت عليهم الأُمم كما تداعى الأكلة على قصعتها[١] ، وكل ما أصاب المسلمين من تأخر وانحطاط وذُل وخذلان وضعف ، إنما هو من عند أنفسهم[٢] .

هان عليهم دينُهم وعقيدتُهم فهانوا على الله ، ورَفَع هيبتهم من قلوب الناس[٣] .

هجروا كتاب الله فقيَّض الله لهم قرناء ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا ﴾ [٤] ، فزيَّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وصدُّوهم عن سبيل الله ﴿ ويحسبون أنهم مهتدون ﴾[٥] .

اتخذوا القوانين الوضعية لتنظيم أُمورهم وتركوا نظام السماء[٦] ، إذ اعتقدوا أن القوانين الوضعية أصلح لتنظيم الحياة من نظام السماء ، فضُرِبت

---

(١) إشارة إلى حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ : أخرجه أحمد فى المسند : ٥/ ٢٧٨ وإسناده صحيح ، وأبو داود فى السنن برقم (٤٢٩٧) فى الملاحم .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سور عديدة، منها فى سورة هود آية رقم (١٠١) ، والنحل آية رقم(١١٨) ، والزخرف آية رقم (٧٦) ، وآل عمران آية رقم (١١٧) ، والنمل آية رقم (٣٣) .

(٣) إشارة إلى حديث ثوبان رضي الله عنه : أحمد فى المسند : ٥ / ٢٧٨ بإسناده الصحيح .

(٤) سورة الأنعام آية : ١١٢

(٥) سورة الأعراف آية : ٣٠

(٦) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المائدة : الآيات أرقام(٤٤) ،(٤٥) ، (٥٠).

عليهم الذِلَّة والمسكنة [١] كما ضُرِبت على غيرهم ·· ابتعدوا عن الله ، فأبعد الله عنهم رعايته وتوفيقه ·· تخاذلوا عن نصر الله ونصر المستضعفين المؤمنين فصرف الله عنهم نصره وعِزَّته[٢] ·

تركوا الجهاد فى سبيل الله وإقامة العدل فى الأرض ، فسلب الله منهم القيادة فصاروا غُثاء كغُثاء السيل[٣] ، العدد كثير والثمر قليل ، وبذلك فسدت الأرض وفسد مَن عليها : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٤] ·

أيها المسلمون فى كل مكان ·· إنه لا صلاح لهذه الأرض ، ولا راحة لهذه البَشَرية ، ولا طمأنينة للإنسان إلا بالرجوع إلى الله ، وجعل القيادة لكتاب الله وشرع الله وفى اتباعها والرجوع إلى منهج الله الذى رسمه للبَشَر فى كتابه الكريم ، ولا يكون ذلك إلا بتحكيم كتاب الله ·

إن الإنسان من صنع الله ، ولا تُفتَح مغاليق فِطرته إلا بمفاتيح من عند الله ، ولا تُعالَج أمراضه وعلله إلا بالدواء الذى وصفه الله ، وقد جعل تبارك وتعالى فى منهجـــه مفاتيح كُلِّ مغلق ، وشفاءَ كُلّ داء : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[٥] ، ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة آية رقم (٦١) ·

(٢) إشارة إلى نصوص كثيرة من القرآن والسُنَّة منها حديث البراء بن عازب ﷺ : البخارى برقم(٦٢٣٥) باب الاستئذان رقم (٨) وفيه : « أمرنا رسول الله ﷺ بسبع··· » ثم ذكر فيه نصر الضعيف ·

(٣) إشارة إلى حديث ثوبان ﷺ : أحمد فى المسند : ٥ / ٢٧٨ وإسناده صحيح·

(٤) سورة الروم آية : ٤١

(٥) سورة الأنعام آية : ٣٨

هى أقوم ﴾[١] ، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ [٢]
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] ، ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى
بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ
بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٤] ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ
ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[٥] .

الله أكبر ·· ﴿ إن الإنسان لظلوم كفار ﴾[٦] .

إذا كانت عندهم آلة من صنع البَشَر تحتاج إلى إصلاح أرسلوها إلى المصنع الذى صنعها لإصلاحها ، أو أحضروا لها خبيراً فنيًا يعرف كيف صُنعت وكيف رُكِّبت وكيف تُعالَج ، ولكنهم لا يردون إصلاح الإنسان إلى صانعه ومركِّبه ، وهو الذى يعرف ما يُصلحه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٧] لأن مرادهم فصل المسلم عن ربه ·

ومن هذا الخطأ الفادح ومن هذا الجور الواضح حصلت الشقوة للإنسانية ، ولن يكون لها صلاحٌ ولا سعادةٌ · ولا راحةٌ ولا أمانٌ ولا عدلٌ إلا إذا رُدَّ إصلاحُها لخالقها تبارك وتعالى ·

---

(١) سورة الإسراء آية : ٩
(٢) سورة الإسراء آية : ٨٢
(٣) سورة يونس آية : ٥٧
(٤) سورة المائدة آية : ١٥ - ١٦
(٥) سورة النساء آية : ١٧٠
(٦) سورة إبراهيم آية : ٣٤
(٧) سورة الملك آية : ١٤

فاتقوا الله أيها المسلمون .. توبوا إلى ربكم وارجعوا إلى دينكم تَعُدْ لكم عِزَّتكم وكرامتكم . واحكموا بما أنزل الله فى جميع أُموركم تَعُدْ لكم هيبتكم وحظوتكم ، وإلا فلا تلوموا إلا أنفسكم ، وتجرَّعوا وَبَال أمركم :

﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ﴾[1] ،

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٣٣ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[2] .

وصلُّوا على البشير النذير ....

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3] .... إلى آخر الدعاء .

* * *

---

(١) سورة الشورى آية : ٣٠

(٢) سورة النحل آية : ٣٣ - ٣٤

(٣) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٩ – إبليس يحاول إفساد الصيام[١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٢] .. ملأ قلوب المؤمنين بمحبته وخشيته ، فلا يرجون ولا يخشون أحداً إلا الله [٣] .

وأشهد أنْ لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له .. أحق أن يُخاف ويُرجَى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسـوله .. أخشى الناس وأتقاهم لله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد ..

فيعلم مَن يقرأ القرآن الكريم أن إبليس أعْدَى عدو للإنسان ، وأنه أقسم بالله أنْ يُضِلَّ بنى آدم وأن يصدهم عن طريق السعادة ، وأن يحملهم على التنكر لنِعَمِ الله ، وأنَّ الله أنظره[٤] فبقى حياً إلى يوم القيامة ، فإبليس لديه

---

(١) ألقيت فى ١٤١٣/٢/٣٠ هـ.

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢

(٣) إشارة إلى معنى قوله تعالى فى سورة التوبة آية رقم (١٨) وسورة النور آية رقم (٥٢) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية رقم (١٤) ، وسورة الحجر آية رقم (٢٣٦) ، وسورة (ص) آية رقم (٧٩) .

خبرة طويلة من لدن آدم إلى اليوم فهو يعرف مداخل النفس ومسارب الشهوات ، يعرف مواطن الضعف ومواقع القوة ، ويعرف المتحصن بالله والأعزل المكشوف ، ويعرف المنتبه الحذر والغافل المستسلم ٠٠ فيجب على بنى آدم أخذ الحذر والتحصن من عدوهم بالسلاح الذى أعطاهم ربهم ، والتوكل على الله فى كل شئونهم ٠٠ فالإيمان وذكرُ الله والاستعاذة بالله[١] ، وبكلماته ، وإخلاصُ العمل لله ، حِصْنٌ منيع لا يقربه الشيطان ٠ قال تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾[٢] .

والشيطان يحرص على إفساد الصيام ؛ فالاستعاذة بالله حماية للنفس وتطهير لها من وسوسة إبليس ، وتعليق القلب بالله وحده نجاة وحماية ٠

فالذين يتوجَّهون إلى الله وحده ويُخلصون قلوبهم وأعمالهم لله : لا يملك الشيطان سيطرةً عليهم مهما وَسْوَسَ ،ومهما أجلب بخيله ورجله[٣] ، ومهما جال وصال واحتال ٠ لأن صلتهم بالله تحميهم من عدوهم وتعصمهم من اتباعه ، وقد يُخطئون ولكنهم لا يستسلمون فَيطْردون الشيطان عنهم ويتوبون إلى ربهم من قريب[٤] .

أما الذين ينساقون خلف إبليس ويستجيبون لدعوته ويستسلمون لوساوسه ودسائسه بشهواتهم ونزواتهم واعتقاداتهم ، فأُولئك له قوة عليهم ونفوذ ، لأنهم أطاعوا عدوهم وعَصَوا ربهم ٠٠ نسوا الله فنسيهم[٥] .

---

(١) كل تلك المعانى قد وردت فى عدة سور قرآنية منها فى سورة الطلاق آية رقم (٣) ، وسورة التوبة آية رقم (١٢٩) ، وسورة الأعراف آية رقم (٢٠٠) .

(٢) سورة النحل الآيات : ٩٨ - ١٠٠

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإسراء آية رقم (٦٤) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النساء آية رقم (١٧) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة المجادلة آية رقم (١٩) .

والشيطان يبذل كل جهوده وطاقاته لإغواء بنى آدم .

فغاية مراده ومنتهى رغبته إهلاك بنى آدم كما هلك ، وصرفهم عن صراط الله المستقيم الموصل إلى الجنَّة ، والانحرافُ بهم إلى طريق جهنم .

وعداوة إبليس متأصلة ، فلا يقبل مصانعة ولا فداء ، ولا ينفع فيه إحسان فهو لا يقبل إلا الكفر والذهاب معه إلى الجحيم .

وقد حذَّر الخالق تعالى بنى آدم من عدوهم : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾[1] ، ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ، إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾[2] . فيجب على المسلم أن يأخذ حذره من عدوه ، وأن يتحصن بالله وأن يتوكل على الله ، وأن يستعيذ بالله من الشيطان : أن يضره فى بدنه أو فى دينه أو فى دنياه ، أو أن يصُده عن طاعة الله ، فإن الشيطان لا يكفه إلا الذى خلقه ، فهو يرى بنى آدم ولا يرونه[3] ، ويجرى منهم مجرى الدم[4] .. فمَن غلَبه العدو الظاهر كان مأجوراً ، ومَن قهره العدو الباطن كان مفتوناً مأزوراً . ومَن قتله العدو البَشَرى كان شهيداً ، ومَن قتله العدو الباطنى كان طريداً .

والحمد لله .. جعل كيد عدونا ضعيفاً [5] ، إنما هو الوســوسة والتخـويف والأمانى والإرجافات والدعايات والتحريش : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٧

(٢) سورة فاطر آية : ٦

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية رقم (٢٧) .

(٤) إشارة إلى حديث على بن الحسين رضي الله عنهما : البخارى مع الفتح : ١٣ / ١٥٨ وفى الصحيح برقم (٧١٧١) : الأحكام .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النساء آية رقم (٧٦) .

ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[١] ، فليس لإبليس قوة مخيفة ولا سلطانٌ قاهر ، إنما هو الدعوة بما يوافق الشهوات والأماني والأوعاد الكاذبة . وهـذه خطبته في حزبه : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢] .

فالمؤمن بالله يعلم أن الأمر كله لله ، فلا يخاف من وساوس إبليس ودسائسه ، وإنما يخافه ضعيف الإيمان الذي تعلَّق قلبه بغير الله ، فلم يتمكن الذكر والدعاء والتحصن من قلبه ، فيدخله إبليس ويخرج كيف يشاء[٣] .. أما المؤمن المتوكلُ على الله المعتصم بالله المعتمد على الله وحده ، فيحفظه الله ، لا يقربه الشيطان مهما بلغ منه الجهد والامتحان . ذكر ابن كثير رحمه الله أن النبي ﷺ بعد وقعة أُحُد بيوم خرج ومعه المؤمنون في طلب عدوهم ، إرهاباً لهم وليعلم أبو سفيان أنَّ الذي أصاب المسلمين لم يوهنهم وأنَّ بهم قوة الإيمان تعلو كل قوةٍ وتتحمل كل مشقة ، فبلغوا « حمراء الأسد » على ثمانية أميال من المدينة جهة « أبيار علي » ، فأقام بها ﷺ ثلاث ليال ومعه من المؤمنين الذين شهدوا أُحُداً مئتا رجل قد أثخنتهم الجراح ولكنهم استجابوا لله ولرسوله .

أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى فنصروا الله ورسوله ، وبسطوا العدل ورفعوا الظلم وطهَّروا القلوب والأرض من الكفر والشِّرك[٤] :

---

(١) سورة النساء آية : ٧٦

(٢) سورة إبراهيم آية : ٢٢

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النحل آية رقم (١٠٠) .

(٤) نقل ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره: ٢/١٥٨ - ١٦٤ بأسانيد كثيرة ، وهذه الحادثة نقلاً عن المصادر المتعددة للسُّنَّة والسيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾[١] .. الذين ينال منهم بعض الناس ، فلا يُحب أصحاب نبينا محمد ﷺ إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق[٢] .

ومرَّ معبد بن أبى معبد الخزاعى - وهو على الشِّرك - برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن خزاعه - مُسلمهم ومشركهم - كانوا عَيْبَةُ نصح لرسول الله ﷺ ، فأراد أبو سفيان أن يرجع إلى المدينة ليستأصل قوتها ، فمرَّ به معبد فقال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد وأصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله ، يتحرَّقون عليكم تحرقاً ، كأنهم فى كثرتهم أبابيل ، وأصواتهم أُصوات أسود ، ومن هيبتهم كادت الأرض أن تميل[٣] .

وأشار على أبى سفيان بالرحيل قبل إن تطلع عليه نواصى الخيل ، فأنزل الله تعالى الرعب فى قلب أبى سفيان وأعوانه فانصرفوا ، ومرَّ بأبى سفيان رَكْبٌ من عبد القيس فقال : أخبروا محمداً أنَّا قد أجمعنا المسير إليه لنستأصل بقيتهم ، فلما مرَّ الركْبُ برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد أخبروه بقول أبى سفيان فقال ﷺ : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ، وأنزل الله فى ذلك : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٢

(٢) مقالة مشهورة معروفة مجمع عليها بين السَّلَف والخَلَف وهى بمعنى حديث أخرجه الترمذى برقم (٣٨٦٦) : المناقب ، وإسناده فيه ضعف ولكن معناه صحيح وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وله شاهد عند الترمذى برقم (٣٨٦٢) وهو من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه .

(٣) نقل ذلك الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٢ / ١٦٠ نقلا عن ابن إسحاق رحمه الله تعالى ولم ينتقده بل وافقه على ذلك ، والله أعلم .

سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾(١) .

فإبليس يُحِبُّ أن ينتفش الباطل وأن يظهر قويًا ، والشيطان ماكر مخادع يختفى وراء أوليائه ويُضَخِّمهم فى نفوس الناس ويُخَوِّف منهم، ويُخَوِّف المؤمنين من جنده وأوليائه حتى لا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بمعروف ولا ينهونهم عن منكر . قال ابن القيم رحمه الله : مَن آمن بالرُّسُل وأطاعهم عاداه أعداؤهم وآذوه وابتُلِيَ بما يؤلمه، ثم تكون له العاقبة فى الدنيا والآخرة(٢) . . والإنسان لا بد أن يعيش مع الناس ، والناس لهم إرادات وتصورات فيطلبون منه أن يوافقهم عليها ، فإن لم يوافقهم آذوه .

قال ابن عباس فى الآية : المعنى يُخَوِّفكم بأوليائه فحذف حرفُ الجر (٣).

وقال ابن كثير : أى يُخَوِّفكم أولياءه ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة . فالمؤمن قوى الإيمان يُثَبِّته الله بالقول الثابت والإيمان الراسخ ، فلا يخاف من إبليس وأوليائه وإنما يتوكل على الله ويخشاه ويرجوه وحده ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾(٤) .

فالخوف والرجاء من أجل الاعتقاد وأجمع أنواع العبادة ، يجب إخلاصه لله . . فاتقوا الله أيها المؤمنون.

---

(١) آل عمران الآيات : ١٧٣ - ١٧٥ .

(٢) الإشارة إلى قوله تعالى فى سورة القصص الآية رقم (٨٣) ومنها استنبط العلاَّمة ابن القيم هذا المعنى الواضح المبارك .

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٢ / ١٦٠ - ١٦٢ نقلاً عن المصادر المتعددة.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٥

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك من الشيطان ، من همزه ونفخه ونفثه (١) .

ونعوذ بك من شياطين الجن والإنس أن يخلص أحد منهم إلينا أو أن يَفْرُط علينا .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود ﷺ : أحمد فى المسند : ١ / ٤٠٣ وإسناده صحيح .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أنواع الخوف

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (١) . . فالحمد خاص به ولا يُحمَد أحدٌ سواه

وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم (٢) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . . جعله الله تعالى : ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(٣) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اقتفى أثره واهتدى .

أما بعد . .

فقال بعض العلماء : الخوف الذى يجده الإنسان فى نفسه ثلاثة أنواع : الخوف الطبيعى ، وخوف السر ، وخوف العمل والترك .

فالخوف الطبيعى جُبِلَ عليه الإنسان ، يخاف من عدو متربص أو سبع ضار ، أو من ذوات السموم ، ويخاف من كل المحاذير الدنيوية ، فهذا لا يُذَم لأنه لا يترتب عليه اعتقاد يؤثر فى الإيمان ، ولا عمل يخالف الشريعة ، كخوف موس عليه السلام من فرعون وملئه : ﴿ فأصبح فى المدينة خائفاً

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران آية رقم (٦) .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٢١

يترقب ﴾[١] ، ﴿ فخرج منها خائفا يترقب ﴾[٢] إلا أن هذه أسباب والمُقَدِّر المُتَصرِّفُ هو الله .

وأما خوف السر فهو الخوف الوهمى ، وهو شىء يجده المرء فى نفسه كأن يخاف من سيد أن يثور به ، او من ميت أن يمسه بأذى فى نفسه أو ماله ، أو من صنم كما قال قوم هود : ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾[٣]

وهذا الخوف - عبادة - حق من حقوق الله ، وإنما يقع فى قلوب الذين يتعلقون بالقبور والموتى ، ويعتقدون أنها تنفع وتضر ، أو فى الأشخاص ويعتقدون أن لهم تصرفًا فى الذوات .

كان رجل موحِّدٌ جالسًا أيام العيد فى إحـدى البلدان المجـاورة فى السوق ، فجاء سيدٌ له أبهة وهيكل، فأخذ من أصحاب المحلات عيدية السيد، فلمـا وصل إليـه قال : أعطنى العيدية . قال: لا أعطيك ما لا تستحق. قال : أعطنى وإلا شورت بك . فقال : اللهِ أكبر .. والله إذا ما تقلب وجهك من هذا السـوق أُثَوِّر بك أنا أمامهم وتسقط قيمتك ، فهرب السيد .. فقال رجل ممن هناك : يامعود ؛ ماذا فعلت به ؟ فقال : الإيمان والتوحيد لا يقف أمامه الباطل . فقال الخائف : لو أننى فعلت ما فعلت.لانتفخ بطنى ، فقال : ينفخه إبليس لأن إيمانك ضعيفٌ وحبلَ الاتصال بالله مبتوت .

وكل أنواع هذا الخوف من هذا القبيل[٤] .

---

(١) سورة القصص آية : ١٨

(٢) سورة القصص آية : ٢١ ، وقد استدل بهذه الآية الكريمة على الخوف الطبيعى.

(٣) سورة هود آية :٥٤ - ٥٥

(٤) هذا معنى الحديث الذى أخرجه الإمام فى الزهد بإسناد صحيح من قصة ذبح الذباب ص ١٥ وإسناده صحيح .

النوع الثالث من أنواع الخوف : أن يترك المسلم ما يجب عليه فعله خوفاً من بعض الناس ، أو أن يفعل ما يُغضب الله إرضاءً للناس ، فاتقوا الله أيها المسلمون ، وصَلُّوا على النبى الكريم ......

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) ...... إلى آخر الدعاء .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٥٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠ - نأسف على رمضان ، وبيان طرق الخيرات(١)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (٢) أنعم علينا وتَفَضَّل ، وأعطانا وتَكرَّم .

اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

واشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ ﴾(٣) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغُرِّ المحجَّلين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن فضل الله تعالى على أمة محمد ﷺ لا يُقدَّر بقدر ، وإحسانه عليهم مستمر ، وخصوصياته لهم فوق الحصر .

يسَّر لهم طرق الخيرات ، وتابعَ لهم مواسم الحسنات ، ولئن مضى شهر رمضان بخيراته ونفحاته ، ومضت ليلة القدر بخصوصياتها وجزيل ثوابها ، وطُويت صحائف العباد بما فيها .

(١) ألقيت فى : ٢/ ١٠/ ١٤١٠هـ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٢
(٣) سورة الزمر آية : ٥

﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (١) .

ولئن مضت تلك الليالى المباركة ، ليالى التراويح والتهجد ، واجتماع الأحباب فى الله ، على طاعة الله .

ولئن انقطعت تلك اللّقاءات الأخوية قُبيل المغرب ، وتلك الفرحة المتكررة عند الإفطار .

ولئن مرت اللّيالى والأيام بما أخذت من الأقدار والأعمار .

لئن مضى ذلك وغيره ، فإن الله تعالى حى قيوم ﴿ لا تأخـذه سنة ولا نوم ﴾ (٢) ، ولا يُشغله حال عن حال . ولا تشتبه عليه الأصوات ، ولا تختلف عليه اللُّغات ، وهو رب رمضان وهو الذى فضّله ، وهو الإله المعبود فى كل زمان ، يتودد إلى خلقه بالنِعَم ويناديهم فى الظُلَم .

روى البخارى ومسلم فى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل الله إلى السماء الدنيا كلَّ ليلة حين يمضى ثلثُ الليل الأول فيقول : أنا المَلِكَ أنا المَلِك ، مَن ذا الذى يَدْعونِى فاستجيب له ، مَن ذا الذى يسألنى فأعطيه ، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له .. فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر » (٣) .

وفى رواية : « حين يبقى ثُلُث الليل الآخر » . وفى رواية : « مَن يُقرض غير عدوم ولا ظلوم » .

والله تعالى حى قيوم ، معبود فى رمضان وشوّال وسائر الأيام ، فبئس قوم لا يعرفون الله إلا فى رمضان .

---

(١) سورة فاطر آية : ٣٢

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٥

(٣) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى ، رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ، واللفظ لمسلم :١ : ٢٢ .

ويجب على المسلم أن يعلم أن الله تعالى أقرب إلى عبده من أهله وخاصته الذين يحفون به : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾(١) ، وأقرب إلى الإنسان من العرْق النابض الذى فى رقبته : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ (٢) .

فالخلق كلهم فى قبضته جلّت قدرته ، وقلوب العباد بين أُصبعيه يقلبها كيف يشاء جلّت عظمته ، ولا غِنَى للإنسان عن ربه طَرْفة عَيْن . فأنفاسه وحياته وموته بيده ، ونبض قلبه بإرادته ، ورزقه من عنده ، وصحته ومرضه بقدرته : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

فالواجب على الإنسان أن يكون مرتبطًا بخالقه فى كل لحظة من حياته ، وفى كل حركة وسكون من شأنه ، فيتقرَّب إليه بأداء الفرائض فى أوقاتها وعلى صفاتها التى وردت عن النبى ﷺ ، فإن ذلك من أفضل القُرَب إلى الله ، وأعظمها نفعًا للإنسان فى معاشه ومعاده .

ويتقرَّب إليه بالنوافل المشروعة من جنس الفرائض : الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة . ولا يزال لسانه رطبًا من ذكر الله ، فإن النوافل تُكمل الفرائض وزيادةٌ فى الثواب وتقربٌ من الله .

روى البخارى رحمه الله فى الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله قال : مَنْ عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّب إلىَّ عبدى بشىء أحبُّ إلىَّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرَّب إلىَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذى يسمع به ،

---

(١) سورة الواقعة آية : ٨٥

(٢) سورة (ق) آية : ١٦

(٣) سورة الأنعام آية : ١٧

وبصره الذى يُبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، وإن استعاذنى لأُعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن يكره الموت ، وأنا أكره مساءته »(١) .

والله تعالى خلق الإنسان ويعلم مداخل نفسه وقلبه ، ويعلم الأوقات التى يكون فيها قلبه أكثر تفتحًا واستعدادًا وتهيؤًا لمناجات ربه ، وأعلم بالأسباب التى تكون ألصق بقلب الإنسان وأشد تأثيرًا فيه . فإذا استطاع المسلم أن يسيطر على نفسه وبمقاومة استرخاء النوم ، وهتاف الراحة ، وجاذبية الفراش ، فيقوم حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فتلك ناشئة الليل التى ذكرها الله فى كتابه ، وهى وإن كانت أجهد للبدن وأصعب فى مقاومة دوافع الراحة بعد الكد فى النهار ، إلا أن فيها تنشيط الروح وتقوية عزيمتها لتَظْهر على رغبات البدن وتلك ساعة مشهودة ، للذكر فيها حلاوته ، وللصلاة فيها خشوعها ، ولمناجاة الله فيها صفاؤها ، يحصل للقائم فيها أُنسٌ بالقرب من الله ، ونور بالاتصال الهادى بالله ، تِلك الساعة المشهودة قد لا يجد العابد فى غيرها من ساعات انهار ما يجده فيها ، وقيام الليل والناس نيام ، والاتصال بالله فى الليل الساجى ، وتلقى الفيض من الله والنور والروحانية فى تلك الساعة .

هذا هو الزميل للطريق ، وهو القوة التى تشد الأزر فى مقاومة رغبات النفس وتحمُّل أعباء الحياة ، وهو الحصن الحصين الذى يحتمى به المسلم من وسوسة الشيطان ومداخل جنوده ، ومن مسارب النفس الأمَّارة بالسوء .

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى عن أبى هريرة، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (١٧٥٢) ، ورمز له بالصحة ، كما رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى وأبو نعيم وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها .

وفى رواية : « مَن آذى . . . » ، وفى أُخرى : « مَن أهان . . . » .

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ (١) .

فإذا لم يستطع المسلم ناشئة الليل فليأخذ بوصية النبى ﷺ لأمته :

روى مسلم فى الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله ، ومَن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل ، فإن صلاة الليل مشهودة وذلك أفضل » .

فإن غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صَلَّى من النهار ؛ كما فى حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم .

والمواظبة على الرواتب مع الفرائض من أفضل القُرَب وأعظمها أجرا وهى اثْنَتَى عشرة ركعة .

روى مسلم عن أُم حبيبة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم يُصَلِّى لله كل يوم ثِنْتَىْ عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة إلا بنى الله له بيتًا فى الجنة » .

ولا ننسى صيام ستٍ من شوَّال ، فإنها من رمضان بمنزلة الراتبة للصـــلاة ، تُكمل النقص وتزيد الأجر ليحصل على ثواب صيام سنة كاملة .

روى مسلم فى الصحيح عن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « مَن صام رمضان وأتبعه ستًا فى شوَّال كان كصوم الدهر » (٢) .

وذلك - والله أعلم - أن الحسنة بعشر أمثالها ، فصيام رمضان يعدل صيام عشرة اشهر ، وصيام ســتٍ من شوَّال تعدل صـيام شهرين ، فــهذه إثنى عشر شهراً . فالحمد لله على جزيل فضله وإحسانه .

---

(١) سورة المزمل : آية ٦ .

(٢) حديث صحيح عن أبى أيوب الأنصارى ، رواه مسلم فى الصحيح وأحمد فى المسند ، وأبو داود ، والنسائى والترمذى ، وابن ماجه فى السنن ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٨٧٧٧) ، ورمز له بالصحة .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (١)

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه فى الآيات والذكر الحكيم ·

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، واهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق ، لا يهدى لأحسنها إلا أنت ·

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم ·

* *

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٣ ·

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طرق الخير فى غير رمضان

(الخطبة الثانية)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ·

وأشهد أنَّ سيدنا ونبيا محمدًا عبده ورسوله ·

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان ·

أما بعد ··

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ، فإنه عليكم رقيب ، واحذروا غضبه وسطوته ، فإن أخذه أليم شديد ·

حافظوا على الصلوات المكتوبة فى أوقاتها فإنها عمود الإسلام ولصاحبها نور وبرهان ·

واجتنبوا الخمر والمسكرات والمخدرات ، فهى أُم الخبائث وأُس كل خطيئة ، وهى ملعونة ملعون عاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة إليه ، وبائعها ومشتريها وشاربها ·

واجتنبوا الرِّبا فإنه حرب لله ورسوله ، ومآله إلى قلة وإن كثر ·

وأوفوا الكيل والميزان : ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ (٢) .

واحذروا الزنا ﴿ إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢

(٢) سورة الأعراف آية : ٨٥

(٣) سورة الإسراء آية : ٣٢

ولا يلبس الذكور شيئاً من الحرير ولا الذهب والفضة فإنها محرَّمة على ذكور أُمة محمد ﷺ ، ولا تأكلوا ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ، ولا البزابيز ولا الملاعق ولا الشوكات أو التحف ، فإنها محرَّمة على الذكور والإناث .

وصَلُّوا على البشير النزير . . . . إلى آخر الدعاء .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٥٦ .

قائمــة المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - جامع البيان فى تفسير القرآن : للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - دار المعرفة - بيروت .

٣ - الجامع لأحكام القرآن : للإمام الشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى - دار إحياء التراث .

٤ - أضواء البيان : للعلاَّمة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكى الشنقيطى - مطبعة المدنى .

٥ - أحكام القرآن : للإمام الشيخ عماد الدين بن محمد الطبرى - مطبعة حسان - القاهرة .

٦ - تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ الشيخ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير - دار الكتب المصرية .

٧ - زاد المسير : لابن الجوزى - طبعة المكتب الإسلامى .

٨ - فتح القدير : للإمام الشوكانى - مطبعة مصطفى الحلبى - القاهرة .

٩ - تفسير القاسمى: للشيخ محمد جمال الدين القاسمى - دار الفكر - بيروت .

١٠ - تفسير التحرير والتنوير : للإمام الشيخ محمد الطاهر عاشور - الدار التونسية للنشر .

١١ - الكشاف عن حقائق التنزيل : للإمام محمود بن عمر الزمخشرى - مطبعة مصطفى محمـد .

١٢ - صحيح البخارى : للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبه البخارى - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

١٣ - فتح البارى : للشيخ أحمد بن على بن حجر العسقلانى - المطبعة السَّلَفية - مصر .

١٤ - عمدة القارئ : للإمام بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العينى - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

١٥ - شرح السُنَّة : للإمام الحافظ أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى - المكتب الإسلامى .

١٦ - جامع الأُصول : للإمام أبى السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزرى - مطبعة السُنَّة المحمدية .

١٧ - مشكاة المصابيح : للشيخ ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمرى - المكتب الإسلامى - دمشق ·

١٨ - الترغيب والترهيب : للإمام زكى الدين عبد العظيم المنذرى - دار إحياء التراث - بـــيروت ·

١٩ - جامع العلوم : لزين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى البغدادى - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ·

٢٠ - رياض الصـــالحين : للإمام الشيخ زكريا بن يحيى النووى - دار العهد الجديد ·

٢١ - السنن الكبرى : للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى - مطبعة مجلس دائرة المعارف - الهند ·

٢٢ - سنن أبى داود : للإمام ســـليمان بن الأشعث - طبعة دار الحديث ·

٢٣ - شرح مختصر سنن أبى داود : لابن قيم الجوزية - مطبعة السُنَّة المحمدية ·

٢٤ - بذل المجهود : للشيخ خليل أحمد الهارنفورى - دار الكتب العلمية ·

٢٥ - مسند الإمام أحمد : للإمام أحمد بن محمد بن حنبل - دار صادر - بيروت ·

٢٦ - الفتح الربانى : للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا (الساعاتى) - دار الحديث - القاهرة ·

٢٧ - المنتقى: لسليمان بن خلف بن وارث - مطبعة السعادة - القاهرة ·

٢٨ - الموطأ : للإمام مالك بن أنـــس ، تحـقيق : فاروق ســـعد - دار الآفاق الجديدة - بيروت ·

٢٩ - التمهيد : للإمام الحافظ أبى عمر يوسف بن عبد الله القرطبى - مطبعة فضالة - المغرب ·

٣٠ - صحيح الإمام مسلم : للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى - دار إحياء التراث العربى ·

٣١ - شرح النووى : للإمام النووى - المطبعة المصرية ·

٣٢ - المغنى : للإمام أبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى - دار المناخ ·

٣٣ - زاد المعاد : للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الذرعى (ابن القيم) - دار المعاد - بيروت ·

٣٤ - إعلام الموقعين : للإمام محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم - مطبعة السعادة ·

٣٥ - الإنصاف : للشيخ علاء الدين بن الحسن علىّ بن سليمان المردارى - مطبعة السنة المحمدية - غزة .

٣٦ - تصحيح الفروع : لعلى بن سليمان المقدسى - مطبعة المنار - مصر .

٣٧ - كشاف القناع عن متن الإقناع : للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتى - مطبعة الحكومة - مكة .

٣٨ - فتاوى الشيخ ابن تيمية - جمع : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى - مطابع الرياض .

٣٩ - فتاوى الشيخ محمد بن ابراهيم - جمع : محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم - مطبعة الحكومة - مكة .

٤٠ - الرسائل والمسائل : علماء نجد - مطبعة المنار - القاهرة .

٤١ - البحر الرائق شرح كنز الرقائق : لزين الدين بن نجيم الحنفى - دار المعرفة - بيروت .

٤٢ - شرح فتح القدير : للإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسى - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

٤٣ - البناية فى شرح الهداية : لأبى محمد محمود بن أحمد العينى - دار الفكر .

٤٤ - بدائع الصنائع : للفقيه إمام الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى الحنفى - مطبعة الإمام - القاهرة .

٤٥ - المدونة الكبرى : للإمام مالك بن أنس - دار صادر - بيروت .

٤٦ - روض الطالب : للإمام أبى يحيى زكريا الأنصارى الشافعى - المكتبة الإسلامية .

٤٧ - شرح منح الجليل : للشيخ محمد عليش - مؤسسة عبد الحفيظ البساط .

٤٨ - الخرشى على مختصر سيدى الخليل - دار صادر - بيروت .

٤٩ - حاشية الدسوقى : للشيخ شمس الدين محمد بن عرفة الدسوقى - دار إحياء الكتب .

٥٠ - روضة الطالبين : للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى - المكتب الإسلامى .

٥١ - المبدع فى شرح المقنع : لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح - المكتب الإسلامى - بيروت .

* * *

محتويات الكتاب

التعريف والترجمة لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم ، بقلم الأستاذ عبد القادر بن حبيب الله السندى .... الصفحة ٥

مقدمة الجزء الثالث من الخطب ، بقلم المؤلف.......... ١٧

القسم الأول : كتاب الصلاة

(١٩ - ٢٣٠)

١ - الخطبة الأولى : الطهارة (ألقيت فى ٤ / ٦ / ١٤١٦ هـ) ٢١

الخطبة الثانية : الأغسال المستحبة ٢٨

٢ - الخطبة الأولى : فى الوضوء (ألقيت فى ١٤٠٩/٧/١١ هـ) . ٣٠

الخطبة الثانية : العبادات مبناها على النص ٣٦

٣ - الخطبة الأولى : مسجد التقوى ومسجد الضرار (ألقيت فى ١٤٠١/١٢/١٢هـ).......... ٣٩

الخطبة الثانية : العناية بالمساجد ٤٥

٤ - الخطبة الأولى : صيانة المساجد (ألقيت فى ١٤٠٩/٧/١٨هـ)... ٤٨

الخطبة الثانية : فضل المسجد النبوى على المساجد.......... ٥٥

٥ - الخطبة الأولى : الصلاة أقوى الصلات بالله (ألقيت فى ٣ / ١١ / ١٤٠٠هـ).......... ٥٨

الخطبة الثانية : وأمر أهلك بالصلاة ٦٢

٦ - الخطبة الأولى : حافظوا على الصلوات (ألقيت فى ١٨/ ١٣٩٨/١٠هـ) ٦٤

الخطبة الثانية : عَلِّموا أولادكم الصلاة ٧٠

٧ - الخطبة الأولى : قصر الصلاة (ألقيت فى ١٦/ ٢ / ١٤١٣هـ).......... ٧٢

الخطبة الثانية : الاستقامة ٧٩

٨ - الخطبة الأولى : الصلاة تؤثر فى السلوك (ألقيت فى ١١/ ١٤١٥/٤هـ) ٨٢

الخطبة الثانية : المسلم يعرف قيمة نعمة الله عليه ٨٧

٩ - الخطبة الأولى : الخشوع فى الصلاة (ألقيت فى ١٥/ ١٤١٥/١هـ) ٨٨

الخطبة الثانية : مسئولية المسلم فى دينه ٩٦

١٠- الخطبة الأولى : الحث على الصلاة (ألقيت فى٢٧/ ١٤٠١/١ هـ)..... ٩٨

الخطبة الثانية : التأهب للقاء الله ١٠٢

الصفحة

١١- الخطبة الأولى : سرقة الصلاة (ألقيت فى ١٨/١/١٣٩٩ هـ) ١٠٤
الخطبة الثانية : المصلِّى مجاهد ١٠٨
١٢- الخطبة الأولى : متابعة الإمام فى الصلاة (ألقيت فى ١٥/١/١٣٩٩هـ) ١١١
الخطبة الثانية : مقدم المسجد أفضل من مؤخره ١١٥
١٣- الخطبة الأولى : وجوب صلاة الجمعة (ألقيت فى ٣/٨/١٣٩٣هـ) ... ١١٧
الخطبة الثانية : المبادرة بالأعمال الصالحة ١٢٢
١٤- الخطبة الأولى: خطبة الجمعة فى يوم عيدالفطر(ألقيت فى١/ ١٠/ ١٤١٢هـ) ١٢٣
الخطبة الثانية : للجمعة فى يوم عيد الفطر ١٢٨
١٥- الخطبة الأولى: الصلاة والسلام على النبى ﷺ (ألقيت فى٢٤/ ١/ ١٤١ هـ) ١٢٩
الخطبة الثانية : كتابة الصلاة والسلام على النبى ﷺ ١٣٧
١٦- خطبة فى عيد الفطر : الخطبة الأولى (ألقيت فى ١/ ١٠/ ١٣٩٨هـ)... ١٤٠
الخطبة الثانية : تذكروا من كان معنا فى الأعوام الماضية ١٤٧
١٧- خطبة فى عيد الأضحى (١) الخطبة الأولى : الأعياد الإسلامية تختلف عن بقية الأعياد (ألقيت فى ١٠/ ٢/ ١٤١٠هـ) ١٥٠
الخطبة الثانية : الأُضحية سُنَّة مؤكدة ١٥٨
١٨- خطبة فى عيد الأضحى (٢) الخطبة الأولى : الأعيـــاد الإسلامية مرتبطة بالعبادات (ألقيت فى ١٠/ ١٢/ ١٤٠٩هـ) ١٦٢
الخطبة الثانية : وقوف الكفر ضد الإيمان ١٧٠
١٩- خطبة فى عيد الأضحى (٣) الخطبة الأولى : ذبح الأُضحـــية أفضل من الصدقة بثمنها (ألقيت فى ١٠/ ١٢/ ١٤٠٧هـ) ١٧٦
الخطبة الثانية : الحج تجمع إسلامى ١٨٤
٢٠- خطبة فى عيد الأضحى (٤) الخطبة الأولى : وقت ذبح الهدَىْ والأضاحى (ألقيت فى ١٠/ ١٢/ ١٤٠١هـ) ١٨٦
٢١- الخطبة الثانية : نشأة الإنسان ١٩٥
٢٢- خطبة استسقاء (١) (ألقيت فى ٢٠/ ٣/ ١٤٠٦هـ) ٢٠٢
خطبة استسقاء (٢) (ألقيت فى ٢٩/ ٢/ ١٤٠١هـ).......... ٢٠٧

الصفحة

٢٣- خطبة استسقاء (٣) (ألقيت فى ٤/ ١/ ١٣٩٩هـ) ٢٠٧
٢٤- خطبة استسقاء (٤) (ألقيت فى ٢٢/ ٨/ ١٤١٠هـ) ٢١٤

القسم الثانى : كتاب الزكاة

(٢٣١ - ٢٦٤)

٢٥- الخطبة الأولى : وجوب الزكاة فى المال (ألقيت فى ٣/ ٢/ ١٣٩٥هـ) ٢٣٣
الخطبة الثانية : تقسيم المعيشة فى الدنيا ٢٤١
٢٦- الخطبة الأولى : زكاة الفطر (ألقيت فى ٢٥/ ٩/ ١٤١٠هـ) ٢٤٣
الخطبة الثانية : الأيام خزائن ٢٤٨
٢٧- الخطبة الأولى : من فوائد الصدقة (ألقيت فى ٢٦/ ٢ / ١٣٩٦هـ) ٢٥٠
الخطبة الثانية : التعاون على الخير ٢٥٦
٢٨- الخطبة الأولى: الصدقة فى رمضان(ألقيت فى ٩/ ٩/ ١٤٠١هـ) ٢٥٨
الخطبة الثانية : الزكاة حق للفقراء ٢٦٣

القسم الثالث : الصيام

(٢٦٥ - ٤٣٨)

٢٩- الخطبة الأولى: استقبال شهر رمضان (ألقيت فى٢٣/ ٨/ ١٣٩٨هـ) ٢٦٧
الخطبة الثانية : رمضان شهر خير بالمسلمين وشر بالمنافقين ٢٧١
٣٠- الخطبة الأولى : المسابقة إلى الخير فى شهر رمضان (ألقيت فى ٢٦/ ٨/ ١٤١٠هـ) ٢٧٣
الخطبة الثانية : آية الصيام عالجت دوافع النفس ٢٧٩
٣١- الخطبة الأولى : تحرى رؤية هلال شهر رمضان (ألقيت فى ٢٠/ ٨/ ١٣٩٧هـ) ٢٨١
الخطبة الثانية : الصيام أبعد الطاعات عن الرياء ٢٨٦
٣٢- الخطبة الأولى : الصيام يحث عن التقوى (ألقيت فى ٣٠/ ٨/ ١٣٩٨هـ) ٢٨٨
الخطبة الثانية : من فوائد شهر رمضان ٢٩٢
٣٣- الخطبة الأولى : الحث على فعل الخيرات فى رمضان (ألقيت فى ٢/ ٩/ ١٣٩٦هـ) ٢٩٥
الخطبة الثانية: المفطرات فى نهار رمضان. ٣٠٠
٣٤- الخطبة الأولى : من خصوصيات شهر رمضان(ألقيت فى٢/ ٩/ ١٤٠٩هـ) ٣٠٣
الخطبة الثانية : السُنَّة تعجيل الفِطْر وتأخير السحور ٣٠٩

الصفحة

٣٥- أهل الأعذار فى الصيام ستةٌ (ألقيت فى ٤/ ٩/ ١٤١٠هـ) ٣١٢

الخطبة الثانية : ما يرد من شتمه أحد وهو صائم.............. ٣١٨

٣٦- الخطبة الأولى : تفاوت الناس فى تلقى شهر رمضان (ألقيت فى ٥/ ٩/ ١٣٩٧هـ) ٣٢٠

الخطبة الثانية : الإكثار من ذكر الله ٣٢٦

٣٧- الخطبة الأولى : عَشر الرحمة (ألقيت فى ٦/ ٩/ ١٤٠٠هـ) ٣٢٨

الخطبة الثانية : أقسام الناس فى تلقى شهر رمضان ٣٣٣

٣٨- الخطبة الأولى : حكمة جعل الصيام فى رمضان (ألقيت فى ١١/ ٩/ ١٤١٠هـ) ٣٣٦

الخطبة الثانية : الإنصات لسماع القرآن ٣٤٤

٣٩- الخطبة الأولى : الحث على عمل الخير فى رمضان (ألقيت فى ١٤/ ٩/ ١٣٩٨هـ) ٣٤٧

الخطبة الثانية : ليلة القدر ٣٥٢

٤٠- الخطبة الأولى : ليلة القَدْر (ألقيت فى ١٨/ ٩/ ١٤١٠هـ) ٣٥٤

الخطبة الثانية : ليلة القَدْر من خصوصيات هذه الأُمَّة.......... ٣٦١

٤١- الخطبة الأولى: من مميزات ليلة القَدْر(ألقيت فى ٢١/ ٩/ ١٣٩٨هـ)....... ٣٦٣

الخطبة الثانية : ليلة القَدْر فى السبع الأواخر من رمضان ٣٦٨

٤٢- الخطبة الأولى : من فوائد الصيام (ألقيت فى ٢٨/ ٩/ ١٤٠٠هـ)..... ٣٧١

الخطبة الثانية : الالتفات للفقراء ٣٧٥

٤٣- الخطبة الأولى : الحث على تدارك ما بقى من أيام رمضان (ألقيت فى ٢٨/ ٩/ ١٣٩٨هـ) ٣٧٨

الخطبة الثانية : حث الناس على ترائى هلال شوَّال ٣٨٣

٤٤- الخطبة الأولى : رب رمضان هو رب شوَّال (ألقيت فى ٣٠/ ٩/ ١٤٠١هـ) ٣٨٥

الخطبة الثانية : زكاة الفِطْر ووقت إخراجها ٣٩٠

٤٥- الخطبة الأولى : بيان طرق الخير والتحذير من إهانة القرآن (ألقيت فى ٧/ ١٠/ ١٣٩٨هـ) ٣٩٢

الصفحة

الخطبة الثانية : الوعى الإسلامى ٣٩٦

٤٦- الخطبة الأولى : بئس قوم لا يعرفون الله إلا فى رمضان(ألقيت فى ٢/ ١٠/ ١٤٠٧هـ) ٣٩٨

الخطبة الثانية : التمسك بالكتاب والسُّنَّة ٤٠٣

٤٧- الخطبة الأولى: بيان طرق الخيرات (ألقيت فى ٢/ ١٠/ ١٤١٠هـ)....... ٤٠٥

الخطبة الثانية : أوانى الذهب والفضة محرَّم على الذكور والإناث....... ٤١١

٤٨- الخطبة الأولى : شعور المسلم بعد شهر رمضان (ألقيت فى ٥/ ١٠/ ١٤٠٠هـ)........................ ٤١٣

الخطبة الثانية : ضعف المسلمين........................ ٤١٧

٤٩- الخطبة الأولى : إبليس يحاول إفساد الصيام (ألقيت فى ٣٠/ ٢/ ١٤١٣هـ) ٤٢٢

الخطبة الثانية : أنواع الخوف ٤٢٩

٥٠- تأسف على رمضان ، وبيان طرق الخيرات(ألقيت فى ٢/ ١٠/ ١٤١٠هـ). ٤٣٢

الخطبة الثانية : طرق الخيرات فى غير رمضان ٤٣٧

قائمة المراجع ٤٤٠

محتويات الكتاب........................ ٤٤٣

* * *

رقـم الإيـداع ٥٧١٤/ ٩٣
I. S. B. N
977 - 06 - 5254 - 41 - 8

شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : ٣٩٠٤٠٩٦

خطب الجمع والأعياد

ألقيت على منبر خير العباد ﷺ

أعدها وألقاها

عبد الله بن محمد بن زاحم
رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة
وإمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

المجلد الرابع
فى الحج والبيوع والأطعمة

علق عليه وخرج آياته وأحاديثه
عبد القادر بن حبيب الله
أحد علماء المدينة

دار المنار

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

فى الحج والبيوع والأطعمة

دار المنار

للطبع والنشر والتوزيع

٩ ش الباب الأخضر - الحسين

القاهرة - ت : ٥٩١٥٠٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

خطب الجمع والأعياد

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف والترجمة لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم
رئيس محاكم منطقة المدينة المنوَّرة ، وإمام وخطيب المسجد النبوى
وفقه الله تعالى للخير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .

فقد أخذت هذه الترجمة لسماحة الشيخ من مصادر قريبة منه ، وهى موثقة ومدللة إن شاء الله تعالى ، والذى جمع وألَّف رسالة قيمة بعنوان « فضل العلم والقضاء » ، والتى شرَّفنى بتخريج آياتها القرآنية والأحاديث النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، والأقوال السَّلَفية من الصحابة والتابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، فأقول وبالله التوفيق والسداد والإعانة :

● **أما نسبه** : فهو عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد ابن عبد الله بن زاحم بن محمد بن حسن بن سلطان بن زاحم ، من آل فضل المرازيق البقوم من الأزد محمد بن حسن ، وُلِدَ له ابنان ، أحدهما زاحم ، وهو جد آل زاحم ، والثانى عوجان وهو جد آل عوجان ، ومنهم الشيخ الجليل محمد بن عبد الله عوجان المعروف فى بلدة الزبير ، وتفرّع عن عوجان : غدير ، جد آل غدير ، وفايز : جد آل سويد ، وآل على (١) .

---

(١) علماء نجد : للشيخ عبد الله البسام : ٢/ ٥٨٨ ، ٣/ ٨٧٨ ، ٨٩٩

والأزد من ذرية سبأ كما رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى بإسناده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، وكذا الطبرانى فى الكبير ، وفى إسناده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف ، وله شواهد يُقَوِّى بعضها بعضاً ذكره الإمام ابن كثير فى تفسيره (١) ، والهيثمى فى مجمع الزوائد لفظ الحديث : أن رجلاً سأل النبىَّ ﷺ عن سبأ : ما هو ، أرجل أم امرأة ، أم أرض ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « بل هو رجل ، ولّد عشرة ، فسكن اليمن منهم ستة ، وسكن الشام منهم أربعة ، فأما اليمانيون : فمذحج ، وكندة ، والأزد ، والأشعريون ، وأنمار ، وحمْيَر ، غير ما قلها ، وأما الشامية : فلخم ، وجذام ، وعاملة ، وغسان » (٢) .

وكان الأزد يسكنون مأرب ، الواقع شمال صنعاء بمسافة مئتى كيلو ، فلما ضُرِب سد مأرب وحصل سيل العرم المذكور فى سورة سبأ تفرَّقت القبائل ، فنزل عشيرة بن الأزد فى وادى اسمه باقم يقع بين نجران وبين صعدة ؛ فقيل : سموا باسمه البقوم ، ثم انتقل البقوم من ذلك الوادى ، ونزلوا وادى تربة الواقع فى حدود نجد بما يلى جبال السراة جهة رنيه ، وتفرَّع عنهم بطنان كبيران هما : آل محمد ، وآل زارع ، وتحت كل منهما أفخاذ ، وعشائر كثيرة (٣) ، ثم نزح زاحم الأول من تربة إلى القصب من مدة تزيد على سبعة

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى : ٥/ ٥٣٩ ، وقال فى إسناده : ابن لهيعة وفيه ضعف ، ثم ورد له شاهد آخر وهو قوى الإسناد ، وهو من حديث فروة بن مسيك رضى الله عنه ، ثم قال : وإسناده حسن .

(٢) مجمع الزوائد : للإمام أبى بكر الهيثمى : ٧/ ٩٤ ، هكذا قال ، ثم قال : وعن يزيد بن حصين السلمى رضى الله عنه ، ثم ذكر نحو هذا اللفظ ، ثم قال : رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبرانى على بن الحسن بن صالح الصائغ ، ولم أعرفه ، أورد له الإمام ابن كثير فى تفسيره شواهد كثيرة ، وقد ثبت هذا المعنى إن شاء الله تعالى ، وقد ذكره القرطبى فى تفسيره .

(٣) علماء نجد : للشيخ عبد الله البسام : ٢/ ٥٨٨ ، ٣/ ٨٧٨ ، ٨٩٩

قرون ، لأن الدرجة الثالثة عشرة من ذريته أعمارهم الآن ما بين الخمسين إلى الستين [١] ، فإذا أعطينا كل جد ستين سنة فنضربه فى ثلاثة عشر (٦٠ × ١٣) فسيكون (٧٨٠) سبعمائة وثمانين سنة ، وكان آل زاحم يتداولون أمارة القصب [٢] ، حتى غلبهم عليها السبايرة ، ثم استعادوها .

● **موقع بلدة القصب** : وبلدة القصب من بلدان الوشم فى قلب نجد ، تبعد عن شقراء شرقاً حوالى ثلاثين كيلو شرق النفود ، وتقع شمال الرياض بمسافة مائة وستين كيلو تقريباً .

● **ماذا تنتج القصب ؟** : والقصب مشهورة بإنتاج الملح المائى ، ومن أثارها القديمة : الزاهرية ، والدبكية ، والرقيبية ، والسيارى ، وصيران ، وحميدان الشويعر .

● **مولد الشيخ** : ولد الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن زاحم فى بلدة القصب عام ١٣٥٠ هـ ، وهو من الدرجة الثالثة عشرة بالنسبة للجد الأول زاحم ، وكان أبوه الشيخ محمد بن عبد الوهاب حافظاً للقرآن الكريم ، وإماماً لمسجد فى البلدة ، فتوسم فى ابنه عبد الله خيراً ، لحرصه على الطلب والتحصيل وجدَّ فى تعليمه ، فأدخله فى الكُتَّاب عند الشيخ عبد العزيز بن محمد المحارب ، ثم عند المقرئ الشيخ عبد العزيز بن عوجان ، وحفَّظه أبوه

---

(١) وقد ورد الحديث بهذا المعنى وفيه : « أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين » رواه الترمذى فى « الزهد » برقم (٢٣٣١) ، وقال : « حديث حسن غريب من حديث أبى هريرة رضى الله عنه من حديث أبى صالح عن أبى هريرة ، وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة رضى الله عنه » .

قلت : نعم أخرجه ابن ماجه فى السنن برقم (٤٢٣٦) ، وإسناده حسن لذاته وهو من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً بهذا اللفظ ، وأيضاً الترمذى برقم (١٥٥٠) .

(٢) علماء نجد : للشيخ عبد الله البسام : ٣/٨٩٩

القرآن الكريم من قصار المفصل ، حتى وصل إلى « سورة طه » ، ثم توفى والده العظيم الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٣٦٢ هـ ، فأكمل الشيخ عبد الله حفظ القرآن الكريم فيما بعد .

● **نزوحه عن القصب** : لما توفى والده الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رحل الشيخ عبد الله إلى عمه فى الرياض ، ليزداد علماً ، ومعرفة ، وكان عمه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رئيساً لمحكمة الرياض ، ويساعده الشيخ محمد الخيَّال رحمه الله ، ثم جاء الإمام الجليل الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله إليها فيما بعد .

وفى عام ١٣٦٣ هـ أمر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى بأن يتولى الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم رئاسة محكمة المدينة المنوَّرة والدوائر الشرعية بها ، فتوجَّه الشيخ الكبير عبد الله بن عبد الوهاب من الرياض إلى المدينة المنوَّرة ، عن طريق مكة المكرَّمة فى شهر شوَّال عام ١٣٦٣ هـ ، ومساعداه الشيخ محمد الخيال والشيخ عبد العزيز ابن صالح ، والسكرتير الخاص به الشيخ عبد الرحمن الحصين ، وأبناء أخيه عبد الوهاب وعبد العزيز وعبد الله ، والحاشية ، وبعد انتهاء مناسك الحج توجهوا إلى المدينة المنوَّرة فوصلوها فى أول شهر محرَّم الحرام فى بداية عام ١٣٦٤ هـ ، والتحق الشيخ عبد الله - صاحب الترجمة - بالمدرسة المحمدية الابتدائية التى كانت عند باب المجيدى ، وكانت دروسها قوية ، وكان يديرها الشيخ عبد الكريم السنارى رحمه الله تعالى ومساعده عبيد ترجمان خازمان ، وكانت لهما هيبة ووقار ، ونظرا للظروف المالية ترك الشيخ عبد الله - صاحب الترجمة - المدرسة ، والتحق بالوظيفة ، وصار يدرس دراسة جديدة عند المشائخ منهم عمه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب ابن زاحم رحمه الله ، والشيخ محمد الخيال رحمه الله تعالى فى البيت ،

وعند الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله بعد الفجر فى المسجد النبوى الشريف ، وعند الشيخ عبد الوحمن الإفريقى فى المسجد النبوى الشريف ، وفى مدرسة دار الحديث .

ولما وصل العالِم الجليل الشيخ محمد الأمين الشنقيطى المدينة النبوية الشريفة من بلاده توسط له رئيس المحكمة والدوائر الشرعية بالمدينة الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم رحمه الله تعالى لدى المسئولين فى الدولة - وفقهم الله تعالى - بمنحه الإقامة ، فأُعطى وسُمِحَ له بالتدريس فى المسجد النبوى الشريف ، فأخذ عنه صاحب الترجمة فى تفسير القرآن الكريم وعلومه ، ومَن قال غير ذلك فقد وهم وأخطأ لأن الذى توسط للشيخ محمد هو الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم ، ثم رغب الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم - صاحب هذه الترجمة - فى المزيد من العلم والثقافة ، فأراد الالتحاق بدار التوحيد فى الطائف ، إلا أنه لما سمع بأن معهداً علمياً سيُفتح فى الرياض عام ١٣٧٠ هـ برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وإدارة أخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم رحمه الله ، وأن الشيخين - الشيخ عبد الرحمن الإفريقى ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطى - سيدرسان فيه فانتظره .

وفى عام ١٣٧١ هـ توجَّه للرياض للدراسة واستقال من الوظيفة ، وأحس بمس الغربة والوحدة إلا أنه صبر وثابر واحتسب ، فأعانه الله تعالى ويسَّرَ أمره ، ثم عُيِّن الشيخ عبد الله بن زاحم - صاحب الترجمة - إماماً لمسجد الإمام عبد الرحمن الفيصل المعروف بمسجد الحسى الواقع فى البطحاء بجوار البنك الأهلى بتاريخ ١٣٧٦/١١/٨ هـ ، وكان المسجد يحتاج إلى درج ومحل للماء ، فراجع المسئولين فأُصلحت .

● **العلماء الذين استفاد منهم** : ومن العلماء الأجلاء الذين درس عليهم فى المعاهد والكليات واستفاد منهم :

١ - سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

٢ - الشيخ عبد الرزاق العفيفى .

٣ - الشيخ محمد الأمين الشنقيطى .

٤ - الشيخ عبد الرحمن الإفريقى .

٥ - الشيخ محمد المختار الشنقيطى .

٦ - الشيخ حمد الجاسر (أطال الله فى حياته) .

٧ - الشيخ عبد العزيز بن رشيد .

٨ - الشيخ عبد الرحمن بن عودان .

٩ - الشيخ عبد اللطيف سرحان . . . وغيرهم .

ثم تخرَّج الشيخ عبد الله - صاحب الترجمة - من كلية الشريعة ، ونال الشهادة العالية عام ١٣٧٨ هـ ، وسُجِّلت برقم (٥١) ، وكان يقضى العطلة الصيفية فى المدينة المنوَّرة ، ويتزوَّد من علمائها ، وبعد التخرج طلبه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وأصرَّ على تعيينه مساعداً لرئيس محكمة حائل ، فاعتذر وبقى شهران فى الرياض وهو يعتذر ، فلم يقبل منه ، وبتاريخ ١٣٧٩/٤/١١ هـ عُيِّن الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم - صاحب الترجمة - مساعداً لرئيس محكمة حائل بالقرار رقم (١٢٥) ، وكان رئيسها الشيخ عبد الله بن صالح الخلفى ، فلما انحرفت صحة الشيخ الخلفى وأُحيل للتقاعد رحمه الله عُيِّن الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم رئيساً للمحكمة بالقرار رقم (١٣٧) فى ١٣٨٠/٤/٤ هـ ، فعمل على رفع مستوى المحكمة فطالب لها بمحكمة مستعجلة ، وكتابة عدل ، ومدير بيت المال ، وزيادة قضاة

وكتبة ومستخدمين ، واقترح فتح ثلاث عشرة محكمة فى الملحقات لبُعدها عن حائل وفتح بعضها وهو فى حائل .

وكان الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم يقضى إجازته فى المدينة المنوَّرة عند إخوانه وأُسرته ، ويحن إلى الرجوع إليها لمحبته المثالية الشديدة ، ورغبته الأكيدة للمدينة النبوية الشريفة وفى سكناها والمكث فيها إلى أن ينتقل إلى جوار ربه جَلَّ وعَلا لحديث عائشة رضى الله عنها الذى أخرجه الشيخان فى صحيحيهما وغيرهما من أهل السُّنَّة والمسانيد ؛ البخارى برقم (١٨٨٩) : فضائل المدينة بسياق طويل وفيه : وقال رسول الله ﷺ : « حُبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللَّهُمَّ بارك لنا فى صاعنا وفى مُدِّنا » . . . . الحديث ، ونحوه مسلم فى الصحيح فى كتاب الحج ، حديث رقم (٤٨٠) ، وفيه زيادة : « اللَّهُمَّ حَبِّب إلينا المدينة وصححها لنا » . ومن هذا قد تحققت أُمنيته الغالية فيما أحب .

وفى عام ١٣٩٠ هـ عاد إلى المدينة المنوَّرة ، وعمل فى محكمتها ، وكان رئيس محاكم المدينة المنوَّرة سماحة الشيخ عبد العزيز بن صالح ، ومساعده الشيخ عبد المجيد بن حسن ، فلما رُفِعَ الشيخ عبد المجيد إلى قاضى تمييز فى مجلس القضاء بالرياض ، عُيِّن الشيخ عبد الله - صاحب هذه الترجمة - مساعداً لرئيس محكمة المدينة حسب الأمر رقم (٥٦) فى ٢/ ١/ ١٣٩١ هـ .

وكما عُيِّن عضواً فى مجلس الأشراف على التدريس فى المسجد النبوى الشريف بالأمر الملكى رقم (٢٩٧٧٤/ ٢/ م) فى ٢٦/ ١٢/ ١٣٩٣ هـ ، ثم عَيَّنه الرئيس العام لشئون المسجدين - المسجد الحرام ، والمسجد النبوى الشريف - الشيخ ناصر أحمد الراشد إماماً وخطيباً للمسجد النبوى بالقرار رقم (٣٨٤) فى ١/ ١٠/ ١٣٩٨ هـ ، ثم عَيَّنه مجلس القضاء الأعلى قاضى

تمييز بتاريخ ١٢/١٢/١٣٩٧ هـ ، ولا يزال حتى الآن على هذه الوظيفة ، وبتاريخ ١/٧/١٤٠١ هـ أُجريت معادلة قضاة التمييز بالمرتبة الممتازة .

● **خدمات الشيخ عبد الله بن زاحم** : وإذا نظرنا إلى خدمات الشيخ عبد الله ابن زاحم - صاحب الترجمة - فإنه وفقه الله تعالى ابتدأ عمله الإدارى بتاريخ ١٧/١/١٣٦٤ هـ ، والأمر باعتبار الخدمة ١٨ سنة صدر بتاريخ ١٦/٣/١٣٦٤ هـ ، فالفرق شهران فلا يشمله الأمر ، وأفاد مكتب الديوان بالمدينة برقم (٤٥٢١) فى ٢٥/٥/١٤١١ هـ بأن الخدمة التى قبل ١٦/٣/١٣٦٤ هـ معتبرة لو كان السن أقل من ١٨ سنة ، فالخدمة الإدارية من ١٧/١/١٣٦٤ هـ حتى ٩/٣/١٣٧١ هـ ، فإذا هى سبع سنوات وشهر واحد وخمسة وعشرون يوماً ، وفى القضاء من ١١/٤/١٣٧٩ هـ حتى هذا التاريخ (١٠/١٢/١٤١٤ هـ) : خمسة وثلاثون سنة وثمانية أشهر ، والجميع اثنان وأربعون سنة وتسعة أشهر وخدمته فى الإمامة فى الرياض ٨/١١/١٣٧٦ هـ حتى ١٩/٤/١٣٧٩ هـ : سنتان وستة أشهر ، وفى المدينة من ١/١/١٣٩١ هـ حتى تاريخه هذا (١٠/١٢/١٤١٤ هـ) : أربعة وعشرون سنة إلا أيام ؛ فالجميع ست وعشرون سنة ونصف .

وهذه المعلومات أخذتها من ملف خدمات المترجم له ، ومن شجرة نسبه ، ومن معلوماتى والمراجع الأخرى ، وهى موثقة إن شاء الله .

● **مشائخه** : الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم ، الشيخ محمد الخيال ، الشيخ عبد العزيز بن صالح ، الشيخ عبد الرحمن الإفريقى ، الشيخ محمد الأمين الشنقيطى .

وفى الرياض : سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، الشيخ عبد الرزاق العفيفى ، الشيخ عبد الله بن ناصر بن رشيد ، الشيخ عبد الرحمن بن عودان ،

الشيخ حمد الجاسر ، الشيخ محمد المختار الشنقيطى ، الشيخ عبد اللطيف سرحان .

● **مؤلفات الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم – وفقه الله تعالى للجد – آمين :**

١ – مجموعة خطب قَيِّمة نافعة جداً ، أعدها وألقاها على منبر المسجد النبوى الشريف منذ قدومه المدينة ، وقد وقعت فى خمسة مجلدات كبار ، وقد طُبع منها المجلد الأول : قسم الإيمان ، والثانى فى التفسير ، والباقى تحت الطبع (وسوف تُطبع قريباً تباعاً إن شاء الله تعالى فما بعد) .

٢ – موجز الكلام فى فضل المدينة ، وملخص توسعة المسجد النبوى الشريف ، وهى رسالة صغيرة طُبِعت عدة طبعات .

٣ – العلم والقضاء ، وهى هذه الرسالة التى أخرجت آياتها القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السَّلَفية (تحت الطبع الآن) .

٤ – تراجم قضاة المدينة النبوية الشريفة من عام ٩٦٤ هـ حتى عام ١٤١٧ هـ (وهو تحت الجمع والتحرير) .

● **هواية الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم :** أما هوايته ورغبته فالمطالعة والتأليف ، فقد عرفته حريصاً أشد الحرص على مطالعة الكتب القَيِّمة النافعة ، والاستفادة منها على الدوام من كتب الحديث والتفسير والفقه وأُصولها ، كما شاهدت عند تحضيره وإعداده خُطَب الجُمَع والأعياد والاستسقاء والخسوف والكسوف ، واستدلاله واستشهاده واقتباسه من تلك الأدلة التى استدل بها على الأحكام الشرعية والآداب المرغبة والأخلاق النبيلة والعقائد الإسلامية الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسُّنَّة وهى كثيرة جداً ، كما شاهدت ذلك عند تخريجى لخطبه القيمة التى نُشر منها المجلد الأول

الذى يتعلق بالإيمان والباقى تحت الطبع ، ومن هنا أدركت تماماً أنه - وفقه الله - كثير المطالعة والدراسة ، ولقد شاهدت مكتبته القيمة النافعة التى جمعت التراث الإسلامى الخالد العظيم ، وهى تقع فى غرفتين كبيرتين زيادة على ما عنده فى مجالسه العامة والخاصة من كتب كثيرة متنوعة ، ولقد أكثر النقل عن تفسير الإمام ابن كثير والقرطبى وابن الجوزى وغيرهم من أئمة التفسير ، وكذا الحديث النبوى الشريف ، فقد أكثر النقل عن أصحاب الكتب الستة مع شروحاتها ، وعلى رأسها فتح البارى ونيل الأوطار وشرح النووى على صحيح الإمام مسلم ، هكذا تجده يتشجع على نقل كلام الأئمة الفقهاء الكبار كالإمام ابن قدامة المقدسى الحنبلى صاحب المغنى وسائر كتبه ، فقد أكثر النقل عن المغنى فيما يتعلق بالمسائل الفقهية ، ثم يذهب إلى جميع كتب الفقه إذا كانت المسألة خلافية بين الفقهاء ، ثم يقارن بينها عن طريق الدليل الصحيح ، ثم يأخذ الصحيح مع الترجيح فى ضوء الدليل مع ترجمة ودعائه لجميع الفقهاء المعروفين بالصلاح والرشاد ، ومن السَّلَف والخَلَف رحمهم الله تعالى الذين كانوا على عقيدة السَّلَف الصالح رحمهم الله تعالى .

أما نقله للفتاوى إذا كانت القضية أو المسألة تتعلق بالفتيا ، فإنه أكثر النقل جداً من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من القدماء ، ثم يثنيها من فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى ، وهكذا دأبه وشأنه دائماً وأبداً ، وفقه الله تعالى للخير .

● **أسلوب القضاء عند صاحب الترجمة** : فإنه وفقه الله تعالى - كما عرفت وتأكدت - يحتاط فى القضايا ويتريث فيها كثيراً ويضبطها تمام الضبط صغيرة كانت أو كبيرة ، وقد كانت عنده قضيتى فى السنوات الأخيرة مع رجل طبع كتابى ، ثم ادَّعى علىَّ بأنى أجزت لواحد من الناشرين قبل نفاد الطبعة الأولى ،

ولقد عرفت تماماً أن الشيخ المترجم له احتاط فى هذه القضية وضبط إفادتى بالوفاء والتمام ، ثم حوَّلها إلى وزارة الإعلام لكى تنظر فيها ، وقد سبق للإعلام النظر فيها ، وقد أنهاها فى الرياض بعد ما ترددت هذه القضية بين المدينة والرياض لأخذ إفادتى فيها ، لأن المدَّعى كان عمله فى الرياض وكان مخطئاً فيها ، ثم ادَّعى علىّ مرة أخرى هنا بالمدينة ، ثم قدّمت الأوراق الرسمية إلى سماحة الشيخ بإنهاء القضية فى الإعلام ، وكان المدَّعى فى وقت من الأوقات مرتبطاً بسماحة الشيخ لأنه كان مدرساً بالمسجد النبوى الشريف وكان قريباً منه جداً ، ومع ذلك لم يبال به وحوَّل الأوراق والدعوى إلى وزارة الإعلام بالرياض التى سبق لها النظر فيها ثم الحكم فى القضية ، ومن هنا تعرَّفت تماماً أن لا ظلم ولا استبداد ولا محاباة عنده ، وفقه الله تعالى وسدَّد خُطاه ، وهكذا نظام القضاء فى الإسلام . . كما جمع وحرَّر فى ذلك رسالته القيمة والنافعة باسم « فضل العلم والقضاء فى الإسلام » ، ثم بقى فى القضاء إلى يومنا هذا : خمسة وثلاثون سنة وثمانية أشهر ، وإن هذه المدة الطويلة فى هذه المهنة الشريفة أكسبت الشيخ مهارة وخبرة كبيرة مع علمه وزهده وورعه ، زاده الله تعالى براً وتوفيقاً وسداداً وخشية وخوفاً من ربه جَلَّ وعَلا .

● **أما خطبه المنبرية** : فإنه أعدها إعداداً جيداً بتلك الصور الرائعة التى تجدها فى المطبوع ، ثم النظر فى نصوصها الصحيحة المنقولة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمة وكلام السَّلَف الصالح من أصحاب رسول الله ﷺ ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ثم إلقاؤها وإسماعها كان أروع وأنفس ، سمعها العالَم الإسلامى منذ أمد بعيد عن طريق الإذاعة والبث التلفازى المباشر ، كما حصل لى الشرف بتخريجها وعما فيها من العلم المنقول كتاباً وسُنَّة ، وذلك

فى الجزء الأول المطبوع ، فقد تكلَّمت عنها وعن بعض ميزاتها وأساليبها الحكمية والبليغة ، فلا بد من مراجعة ذلك من المطبوع - الجزء الأول - وسوف تجد هذه الميزات المميزة إن شاء الله تعالى .

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

كتبه العبد الفقير إلى الله تعالى

عبد القادر بن حبيب الله السندى

نزيل المدينة المنوَّرة

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المجلد الرابع من الخطب

الحمد لله رب العالَمين . .

الحمد لله الذى جعلنا من أتباع نبيه الأمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وأُصلِّى وأُسلِّم على عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فأقدم لك - أخى القارئ - المجلد الرابع من « خطب الجُمَع والأعياد » التى ألقيتها على مِنبر مسجد رسول الله ﷺ ، وهو يشتمل على أربعة أبواب :

الباب الأول : فى الحج ، وفيه (٢٧) خطبة .

الباب الثانى : فى البيوع ، ويشتمل على (١٠) خطب .

الباب الثالث : فى الأطعمة ، ويشتمل على (٩) خطب .

الباب الرابع : فى الاجتماعيات ، ويشتمل على (١٣) خطبة .

أسأل الله أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه، وأن ينفع بها مَن قرأها وسمعها إنه جوَّاد كريم ، وصلَّى الله وسَلَّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

١٨/٧/١٤١٦ هـ .

المؤلف

عبد الله بن محمد بن زاحم

* * *

الباب الأول

الحـــــج

ويشتمل على (٢٧) خطبة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - فضل عشر ذى الحجة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الكبير المتعال [٢] ، وهو القاهر فوق عباده [٣] ، وهو الحكيم الخبير [٤] .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [٥] .

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفوتُه من خلقه .

صلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه ، ومَن اقتفى أثره واتبع مِلَّته .

أما بعد . .

فإن طالبى وتُجَّار الأموال يلتمسون دائماً الأسواق الحيَّة لتسويق تجارتهم فيها ليحصل لهم فيها ربحُ أكثر ونفاقٌ لأموالهم أوسع ، ولو طال بهم السفر ، ولو بَعدت عليهم الشقة .

---

(١) ألقيت يوم ٣/١٢/١٣٩٨ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ٩ من سورة الرعد .

(٣) إشارة إلى الآيتين ١٨ ، ٦١ من سورة الأنعام .

(٤) إشارة إلى الآيتين ١٨ ، ٧٣ من سورة الأنعام ، وسورة هود الآية رقم (١) ، وسورة سبأ الآية رقم (١) .

(٥) سورة الشورى : ١١

ولكن طالبى الجنَّة وتُجَّار الآخرة ، يتحرون الأيام المفضَّلة ويلتمسون ساعات الاستجابة يرجون تجارة لن تبور ، يرجون مضاعفة الحسنات ورفع الدرجات والقُرْب من رب السموات والأرض ، فهنيئاً لهم ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١) .

وإنكم فى عشر ذى الحجة وهى أفضل أيام الدنيا ، العمل الصالح فيها مُحَبَّب إلى الله تبارك وتعالى .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُ إلى الله عَزَّ وجَلَّ من هذه الأيام - يعنى أيام العشر - قالوا : يا رسول الله ؛ ولا الجهادُ فى سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهادُ فى سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وبماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء » (٢) .

الله أكبر . إنها فرصة ثمينة ، فأكثروا فيها من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، وضاعفوا الجهود فى الأعمال الصالحات ، فإنها تُضاعَف فى هذه العشر إلى سبعمائة ضعف .

الله أكبر الله أكبر ، لا إلَه إلا الله .

الله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلَه إلا الله .

الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بُكْرة وأصيلا ، ولا إلَه إلا الله .

أيها المسلم . . إنك إذا نظرت إلى ما تقدَّمَ من حياتك وجدتَ فيها التقصير والإهمال والتفريط ، فانظر إلى تفريطك نظرة ندم وأسف ، ثم تذكَّر قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن

---

(١) سورة الشعراء : ٨٨ ، ٨٩

(٢) الترغيب : ٢/ ١٩٨ ، والبخارى مع الفتح : ٢/ ٤٥٧ ، المطبعة السَّلَفية بلفظ آخر ، وابن ماجه والترمذى وأبو داود والطبرانى .

رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

أيها المسلم . . إنك فى هذه البقاع المقدَّسة فى مهابط الوحى ومواقع التنزيل ومواطئ أقدام محمد ﷺ ، عليك واجب لنفسك فأعتقها بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى ، اقلع عن المعصية واندم على ما مضى من الأيام ، واعقد العزم الصادق على ألا تعود إليها أبداً ، وأوف بعهدك الذى تكرره كلما قرأت الفاتحة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢) ، أوف بهذا العهد المؤكد ، فلا تعبدْ إلا الله تعالى ، ولا تستعن إلا بالله تعالى ، ولا تطلب المَدَد والقوت إلا من الله عزَّ وجلَّ ، ولا تطلب كشف الكربات ولا قضاء الحاجات إلا من خالقك ورازقك ، ولا تُقدِّم شيئاً من القرابين سواء أكانت نقوداً أو ذبائح إلا لله تعالى ، فهو سبحانه قاضى الحاجات ، وهو مجيب الدعوات ، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) ، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤) .

(١) سورة الزمر : ٥٣ - ٥٩

(٢) سورة الفاتحة : ٥

(٣) سورة الأنعام : ١٧

(٤) سورة يونس : ١٠٧

واعلم أيها المسلم أن ربك يراكَ ويسمع دعاءَك ويعلمُ أفعالَك ، يعلم ما توسوس به نفسك وما يتردد فى ضميرك ، وما يخطر على ما بالك .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ (١) .

فليس بينك وبين ربك أبواب ولا حُجَّاب ، فارفع يدك إليه وقل : يا ربى فيجيب : لَبَّيْك عبدى ، وقل : أستغفرك اللَّهُمَّ وأتوب إليك ، فيجيب دعاءك : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(٢) تأمل أيها المسلم هذه الآية الكريمة ، تأمل هذه المعانى المُرغِّبة كيف تحمل الرفق والعطف والشفقة ، تصل إلى قلب المؤمن فتملؤه رغبة ونوراً وإيناساً برب الناس ، إنه أنيس المستوحشين ومأمن الخائفين . ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (٣) ، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٤) .

ما السموات والأرض فى كف الرحمن إلا كخردلة فى يد أحدكم . .

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥) ، فعلِّق قلبك أيها المسلم بهذا الإلَه الحق فهو القادر على قضاء حاجتك ، وهو الذى بيده نفعك وضرك ،

---

(١) سورة ق : ١٦

(٢) سورة البقرة : ١٨٦

(٣) سورة طه : ٤٦

(٤) سورة المجادلة : ٧

(٥) سورة الزمر : ٦٧

وأما مَن سواه فهم عبيد لله فقراء إليه ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، فلا تتبرك بالأحجار والحديد ، ولا بالأئمة ولا المؤذِّنين ، ولا بقبور الأولياء والصالحين ، وكن مسلماً حقاً فى جميع أعمالك وأقوالك وسلوكك ، وتَفَهَّم أُصُول دينك وقواعد إسلامك .

﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم (٣) .

* *

(١) سورة هود : ٩٠

(٢) سورة النور : ٣١

(٣) إشارة إلى الآية ٢٠ من سورة المزمل .

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا يلزم مَن أراد أن يُضَحِّى

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على وافر النِعَم ، وأشكره وقد وعد بالزيادة لمن شكر .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إرغاماً لمن جحد به وكفر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيدُ البَشَر . . صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه السادة الغرر .

أما بعد . .

فإنَّ أحسن الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهَدْى هَدْى نبينا محمد ﷺ ، وشرّ الأُمور محدثاتها ، وكل محدثة فى الدين بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، فتمسَّكوا بكتاب الله ، وبسُنَّة نبيه محمد ﷺ .

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (١) ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) .

عباد الله . . مَن أراد أن يُضَحِّى فلا يأخذ فى هذه العشر من شعره ولا من ظفره ولا من بشرته شيئاً حتى يُضَحِّى ، وصَلُّوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ (٣)

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأنعم على عبدكَ ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ،

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣

(٢) سورة الأنفال : ٤٦

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبيك أُمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ آمنا فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا ، وأصلح ولاة أُمورنا ، واجعل ولاية المسلمين فى يد مَن آمن بك واتَّبَع رضاك ، وآمن برسولك محمد ﷺ .

اللَّهُمَّ ارفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والمحن وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، عن بلدنا هذا خاصة ، وعن جميع بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات .

اللَّهُمَّ فَرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله . . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠ - ٩١

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - بُنيت الكعبة من أجل التوحيد [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [٢] .. أتم علينا نعمه ، وأكمل ديننا ، ورضى لنا الإسلام [٣] شِرْعة ومنهاجاً .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن الحج له أعمال مشروعة وأهداف سامية ، فليس رحلة استطلاعية ، ولا سياحة ترفيهية ، ولا عادات تقليدية ، وإنما هو اتصال برب العالَمين فى أشرف بقعة من العالَم فى مشاعر الله ، وإنما هو طاعة لقيوم السموات والأرضين عند بيته المطَّهر ، وهو برهان على انقياد العبد لربه والاستسلام لأمره ونهيه .

فينبغى للحاج أن يجرد قصده لله ، وأن يرتفع بإيمانه وتوحيده ، فمن أجل التوحيد بُنِىَ هذا البيت ، ومن أجله طُهِّرَ للطائفين والقائمين والرُّكَّع السجود [٤] ، ومن أجله بُعِث نبيُّنا محمدٌ ﷺ والنبيون من قبله ،

---

(١) ألقيت يوم ١١/١١/١٤٠٦ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

(٤) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة الحج .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ (١) فأهم مقاصد الحج تقوية الصلة بالله ، وتثبيت قواعد التوحيد : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٢) .

وهؤلاء الحجاج هم عُمّار بيت الله فينبغى عليهم توحيد خالص لله ، وعبادة نقية صافية لا يشوبها شائبة ، فالحاج ما ترك أغلى شيء عنده من المال والولد والأهل إلا ليحقق مقاصد الحج .

وما جاء الحاج إلى هذه البقاع المقدَّسة إلا ليزداد قرباً من الله ، وليطبق شريعة الله فى مهابطها ، فقلبه يرف حول هذا البيت مستشعراً عظمة ربه ، وفكره يحوم حول الذكريات التى مرَّت بهذا البيت ، وهذه المشاعر المقدَّسة ، فكلما أدَّى عملاً من أعمال الحج تذكرها .

يتذكر إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حينما أتى بابنه الرضيع إسماعيل وأمه إلى واد غير ذى زرع (٣) فتركهما فى ذِمَّة الله ، وتحت رعايته وعنايته .

يتذكر إسماعيل وهو يتفحص عطشاً وأُمه تسعى بين الصفا والمروة طلباً للإغاثة حتى إذا أكملت سبعاً وأدركها اليأس وأشفقت على طفلها وهى وحيدة فى ذلك الوادى ، فإذا بعناية الله تُدركها وتُدرك طفلها ، فنبع الماء من تحت قدمى إسماعيل ، طعامُ طعم وشفاءُ سقم (٤) حتى إذا بلغ مع أبيه السعى

---

(١) سورة النحل : ٣٦

(٢) سورة الحج : ٢٦

(٣) إشارة إلى الآية ٣٧ من سورة إبراهيم .

(٤) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « زمزم ماء مبارك ، إنها طعام طعم ، وشفاء سقم » ، أورده الحافظ فى التلخيص : ٢/ ٢٦٩ ، وحسَّن إسناده من طرق عديدة . . .

وتذوق إبراهيم بر ابنه وأنس به وفرح به رأى فى المنام أنه يذبحه [١] ، ورؤيا الأنبياء حق [٢] ، فتلقى أمر ربه بالقبول والتسليم ، وهو يعرف من ابنه السمع والطاعة ، فلم يأخذه على غِرَّة ، ولم ينفذ الأمر على كُره ، بل أراد التنفيذ على اطمئنان واحتساب وتَقَرُّبٍ إلى الله بأغلى شىء لديه ، فعرض الرؤيا على إسماعيل فكان كما وصفه ربه : ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [٣] ، فقد تلقى أمر الله بقلب مملوء بالإيمان والتقوى ، واستسلم لحكم الله بنفس راضية مطمئنة ، واستمد صبره من الله ، فلم يلتفت إلى البطولة والشجاعة ، ولا إلى التضحية والفداء ، ولا إلى الاندفاع والحماسة إلا لامتثال أمر الله تعالى ، فلما امتثلا الأمر وشرعا فى التنفيذ وعَيْن الله لم تغفل عنهما لحظة ، ورحمة الله لم تفارقهما طرفة عَيْن ، وعلم الله منهما تمام الاستسلام وكمال الطاعة ومطابقة القلب للجوارح ومطابقة السريرة للظاهر ، فداه ربه بذبح عظيم [٤] ، فكانت سُنَّة مُتبعة وشريعة من شرائع الحج ، فالأُضحية قُرْبة إلى الله بسفك دم الذبيحة ، وقُرْبة إلى الله إذا تصدَّق المُضَحِّى بلحمها على الفقراء والجيران والأقارب .

حينما يشاهد الحاج الكعبة يتذكر إبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت فأسساه على التقوى والتوحيد ، يتذكر نداء إبراهيم عليه السلام : « يا أيها الناس إن الله قد اتخذ بيتاً فحجوه » [٥] .

---

(١) إشارة إلى الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

(٢) هذا الأثر عزاه محقق شرح السُّنَّة : ٦/٤ إلى ابن أبى حاتم فى تفسيره ، وعلقه البخارى فى الصحيح : ٢٨٦/٢ ، ثم ذكر إسناده نقلاً عن الفتح مرفوعاً : « رؤيا الأنبياء فى المنام وحى » . وإسناده حسن ، والله أعلم .

(٣) سورة الصافات : ١٠١

(٤) إشارة إلى الآية ١٠٧ من سورة الصافات .

(٥) إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة الحج .

يتذكر قصة الذبيح الآخر ، حينما نذر عبدُ المطلب ذبح العاشر من ولده ، فإذا هو عبد الله الذى أُودِعَ سراً من أسرار الكون ، فأبى الله إلا أن يفديه ، فأشار بعض القوم على عبد المطلب أن يضرب القداح وكلما ظهر على عبد الله زاد عشراً من الإبل - وكانت الدية من الإبل - فما زال عبد المطلب يزيد فى الفداء حتى بلغ مائة من الإبل (١) ، ثم انكشفت أسرار الحكمة فى هذا الفداء لعبد الله ، لتخرج من صلبه أطيبُ نطفة فى الوجود ، وليظهر إلى هذا الكون أطهرُ خلق الله ، ليُبَلِّغ عن الله رسالته ، وليكون محمد ﷺ رحمة للعالَمين ، وقائداً للغر المحجلين ، عبد الله ورسوله .

تذكر أيها المسلم تلك الأحداث التى مرَّت بها قِبْلَتُك ، فإنها مصادر تشريع مُنَبِّه على اليقين والإخلاص لله ، فاتق الله وتذكَّر عظمة رب البيت ورب محمد ﷺ ، واحفظ لخالقك حقه ، وأخلص العمل له ، واحذر كل الحذر أن تصرف شيئاً من حقه إلى سواه ، فإنه انحطاط من علياء الإيمان إلى حضيض الإشراك .

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا وأستغفر الله تعالى لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه جَوَّاد كريم ، غفور رحيم .

* *

= وأما هذا الأثر فقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ٦/ ٣٢ إلى ابن جرير الطبرى وابن المنذر فى تفسيريهما ، والحاكم فى المستدرك ، والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وأورده ابن كثير فى التفسير : ٤/ ٦٣٢ نقلاً عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وغير واحد من السَّلَف رحمهم الله .

(١) هذا الأثر ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية نقلاً عن ابن إسحاق : ٢/ ٢٤٨ - ٢٤٩ ، وقد عقد عليه الباب قائلاً : « نذر عبد المطلب ذبح ولده » ، وقد مال ابن كثير (٢/ ٢٥١) إلى صحة وقوع هذا النذر وصحة هذا الأثر ، والله أعلم .

(٢) سورة الحج : ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

واجبات الإحرام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ، ومَن اتبع سبيله .

أما بعد . .

فقد قسَّم العلماء رحمهم الله تعالى أعمال الحج ثلاثة أقسام ، وهى : أركان ؛ وواجبات ، وسنن . فالركن لا يتم الحج إلا به ، والواجب يُجْبر بدم إذا تُرِك ، والسُّنَّة يُثاب فاعلها ولا يُعاقَب تاركها .

فأما الأركان فهى أربعة على المشهور : الإحرام وهو نية الدخول فى النُّسُك ، والوقوف بعرفة ، وطواف الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة ، فمَن ترك واحداً منها لم يتم حجته .

وأما الواجبات فسبعة : الإحرام من الميقات لمن يمر عليه أما مَن كان دون الميقات فمن مكانه ، واجتناب محظورات الإحرام ، والوقوف بعرفة إلى غروب الشمس يوم التاسع من ذى الحجة ، والمبيت بمزدلفة إلى نصف الليل لمن مَرَّ عليها قبل ذلك ، ورمى الجمرات مرتبة ، والحَلْق أو التقصير ، وطواف الوداع .

وأما السُّنَن فهى ما عدا الأركان والواجبات من أعمال الحج .

أيها الحاج الكريم ؛ إن وجودك فى هذه البقاع المقدَّسة فرصة قد لا تجدها فى وقت آخر فاغتنمها ، أَرِقْ دموع الندم على أدران المعاصى تغسلها ، وتُبْ إلى الله من جميع الآثام تجده توَّاباً رحيماً ، واعْمُر وقتك بذكر الله وعبادته وتلاوة كتابه ، واجتنب كل ما يُشغلك عن ربك وطاعته .

وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١)

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْــــــــــمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣ - الحج ركن من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلاً (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) .. طَهَّرَ بيته للطائفين والعاكفين والرُّكَّع السجود (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، خَلَق فقدَّر ، وشَرَّع فيسَّر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير مَن صلَّى وصام وطاف بالبيت الحرام .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهُدَى ومصابيح الظلام ، ومَن تبعهم بإحسان ثم استقام .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى .

عباد الله ؛ إن حج بيت الله الحرام ركن من أركان الإسلام ، يجب على كل مسلم مُكَلَّف يستطيع إليه سبيلاً . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى

---

(١) ألقيت يوم ٢/ ١٠/ ١٣٩٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « بُنِىَ الإسلام على خمس : شهادة أنْ لا إلَه إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً » (٢) .

الاستطاعة هى القدرة ، والسبيل هو المركب والنفقة ، فإذا مَلَكَ الإنسان من المال ما يكفيه لركوبه ونفقته من حين خروجه من بلاده حتى يرجع إليها ، فهو مستطيع يجب عليه الحج .

ومَن لا يجد كفايته فهو غير مستطيع ولا يجب عليه الحج ، ولا يلزم الإنسان أن يستدين مالاً ليحج به ، ولا أن يقترض ، ولا يحل له أن يسأل الناس أموالهم ليحج ، ولا أن يتكفف الناس . فإن المسلم مطلوب منه أن يكون عزيز النفس ، يترفع عن الابتذال والإهانة ، والدَّيْن ذُل ، والمسألة مسكنة وهوان ، لا يُكَلِّف الله نفساً إلا وسعها (٣) .

وينبغى لمن استطاع السبيل إلى الحج أن يبادر لأداء فريضة حجه ، ويقر بركن من أركان إسلامه ، فإنه بعد الاستطاعة وجب عليه الحج وصار دَيْناً عليه يلزمه أداؤه ، والإنسان لا يدرى ما يحصل له فى مستقبل حياته ، فهو فى هذه الدنيا غرض لسهامها ، وهدف لمصائبها ، إن أخطأه هذا أصابه هذا ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرضٍ تموت (٤) .

---

(١) سورة آل عمران : ٩٧

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وأحمد فى مسنده ، والترمذى والنسائى فى سننهما ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٣١٦٢) ورمز له بالصحة .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٨٦ من سورة البقرة .

(٤) إشارة إلى الآية ٣٤ من سورة لقمان .

ويجب على مَن أراد الحج أن يختار النفقة الحلال ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً (١) ، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (٢) ، أما المال الحرام الذى اكتسبه صاحبه من طريق حرام - مثل : الربا ، والقمار ، والسرقة ، والغصب ، والخيانة ، والرشوة - فإنه كسب خبيث ، ومال حرام . والذنوب لا تطهر إلا بالعمل الطيب ، فلا يطهر الخبيث بالخبيث ، وإنما يطهر الخبيث بالطيب ، فلا يغَسل الدم بالدم ولا البول بالبول ، وإنما تُغسل الخبائث بالماء الطَهور ، ولا يكون الحج مبروراً إلا إذا كانت نفقته حلالاً .

قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٤) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء : يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام ، فأنَّى يُستجاب له » (٥) .

أى كيف يُستجاب له ، وهو على هذه الحالة ؟ غذاؤه وشرابه وطعامه وكساؤه كله حرام ، هذا مع أن أسباب الاستجابة للدعاء متوفرة لديه ، فإن

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، أخرجه مسلم : ٢/٧٠٣ بسياق طويل برقم (٦٥) خاص وعام (١٠١٥) .

(٢) سورة المائدة : ٢٧

(٣) سورة المؤمنون : ٥١

(٤) سورة البقرة : ١٧٢

(٥) وهو نفس حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، أخرجه مسلم فى الصحيح : ٢/٧٠٧ برقم (٦٥) خاص وعام (١٠١٥) ، وأحمد فى المسند : ٢/٤٣٦ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

السفر ، وتواضع المنظر ، ومدَّ اليد إلى السماء ، والإلحاحَ فى الدعاء بصفة الربوبية ، كل واحد من هذه سبب لاستجابة الدعاء ، ولكن الحرام غلب هذه الأسباب ، فأنَّى يُستجابُ له ؟

فينبغى لمن أراد الحج أن يختار النفقة الحلال ، وأن يوسع على نفسه ومَن معه فى النفقة والمسكن دون إسراف وتبذير ، ودون إيذاء وتضييق على المسلمين .

ومن رحمة الله تبارك وتعالى بعباده لم يجعل الحج واجباً بالتكرار ، وإنما هو فى العمر مرةً واحدة فقط ، لأن الحج هو أشد أركان الإسلام كلفة ، فهو يحتاج إلى مالٍ وزاد والراحلة ، وفيه مشقة السفر ، والسفر قطعة من العذاب (١) ، وفيه مفارقةُ الأهل والأموال مدةً من الزمن ، وفيه تغيير نظام حياة الفرد فى اللِّباس والمسكن وتغيير الأجواء ، وفيه مشقة الزحام فى المواقف المطهَّرة ، فمن لطف الله تعالى يَسَّرَ على عباده ، فأوجب الحج فى العمر مرة واحدة من غير تكرار .

قال صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ؛ إنَّ الله كتب عليكم الحج فحجوا » ، فقام الأقرع بن حابس فقال : يا رسول الله ؛ أفى كل عام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ولن تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة ، فمَنْ زاد فهو تطوع » (٢) .

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه الشيخان فى صحيحيهما ، وذلك من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى مع الفتح : ٣/ ٦٢٢ برقم (١٨٠٤) ، ومسلم فى الصحيح أيضاً : ٣/١٥٢٦ : الإمارة حديث رقم (١٧٩) خاص وعام (١٩٣٧) ، ولفظه : « السفر قطعة من العذاب . . . » الحديث .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح : ٢/ ٩٧٥ برقم (٤١٢) خاص وعام (١٣٣٧) ، باب : فرض الحج فى العمر مرة . . . ، ورواه من حديث ابن عباس : الدارمى برقم (١٧٩٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم لنسائه فى حَجَّته : « هذه ثم ظهور الحُصر » (١) أى إلزمن ظهور الحُصر ، ولا تخرجن من البيوت .

ولما كان الحج فيه من التعب والمشقة والنفقة ما الله به عليم ؛ كان ثوابه جزيلاً ، وفضله كبيراً . الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة (٢) ، ومَن حج فلم يرفث ولم يفسُق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه (٣) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٤) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ أغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد فى المسند : ٦/ ٣٢٤ من حديث زينب بنت جحش رضى الله عنها .

(٢) البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى : ٣/ ٤٧٦ ، ومسلم برقم (٣٤٩) .

(٣) البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى : ٣/ ٣٠٢ ، ومسلم برقم (١٣٥٠) خاص .

(٤) سورة البقرة : ١٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مَن أراد أن يحلف فليحلف بالله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، له الحمد والشكر ، وله الثناء الحسن

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .. ﴿ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (٢) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .. ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (٣) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن آمن به واتبع مِلَّته .

أما بعد ..

فإنَّ العبادات مبناها على الشرع والاتباع ، لا على الهوى والابتداع ، والإسلام مبنى على أصلين :

أحدهما : أن نعبد الله وحده لا شريك له .

والثانى : أن نعبد الله بما شرعه على لسان رسوله ﷺ .

فلا يُعبد سبحانه بالأهواء ، ولا باتباع الذين لا يعلمون ، ولا بتقليد المغضوب عليهم والضالين .

والواجب على المسلم أن يعبد الله بما شرعه رسوله ﷺ من واجب

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة التوبة : ٣٣ ، والفتح : ٢٨ ، والصف : ٩

(٣) سورة النجم : ٣ - ٤

ومُستحَب ، فلا يجوز لأحد أن يُصَلِّى ولا أن يحج ولا أن يصوم إلا لله ، ولا يجوز لأحد أن يحلف إلا بالله ، فلا يجوز الحلف بحياة الإنسان ولا بحياة النبى ﷺ ، ولا بالأمانة ، فإنَّ النبىَّ الكريم نهى عن الحلف بغير الله .

ففى الصحيحين عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمَن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » .

فالحلف بالله توحيد وعبادة ، والحلف بغير الله معصية لله ورسوله ﷺ .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، من كان حالفاً فليحلف بالله ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ (١) .

ومَن حلف بالله على شىء ، فرأى غيرها خيراً منها ، فليُكَفِّر عن يمينه وليأت الذى هو خير .

وصلُّوا على النبى المصطفى ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة البقرة : ٢٢٤

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤ - إخلاص النية فى الحج لله [(١)]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [(٢)] .. طَهَّرَ بيته للطائفين والعاكفين والرُّكَّع السجود [(٣)] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، طَيِّبٌ لا يقبل إلا طيباً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خير مَن حَجَّ واعتمر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه السادة الغرر ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم المستقر .

أما بعد ..

فقد كان العرب فى الجاهلية تقصد الحج للاجتماع والمناظرة والتفاضل والتناضل والتفاخر وقضاء الحاجة وحضور الأسواق . وكل ذلك ليس لله منه شىء ، ليس لله فيه طاعة ، ولا يُقصد بعمل ولا قُرْبة بمعتقد ، فأمر تعالى بالقصد إليه لأداء فرضه وقضاء حقه ، فقال تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [(٤)] ، فأبطل الإسلام أعمال الجاهلية ومقاصدها ، وجعل العمل لله وحده .

---

(١) ألقيت يوم ٢١/١١/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٢٥ من سورة البقرة .

(٤) سورة البقرة : ١٩٦

فيجب على الحاج والمعتمر أن يبتعد عن أعمال الجاهلية ومقاصدها ، وأن يجعل نيته خالصة لله قاصداً التقرب إلى الله بعمله ، فإن الأعمال مبناها على النية والقصد .

روى البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر : « سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » (١) ، فالعبادات كلها : أقوالها وأفعالها ، فرضها ونفلها ، قليلها وكثيرُها معتبرةٌ بالنيات .

والنية هي عزم القلب على فعل العبادة ابتغاء وجه الله فمحلها القلب ، وأي عبادة تخلو من عزم القلب على فعلها لله لا تُعتبر ، وأي عبادة قُصد بفعلها غيرُ الله فهي خداج غير معتبرة ، وإنما لكل امرئٍ ما نوى .

قال القرطبي في تفسيره (٢) : لا خلاف بين العلماء فيمن شهد مناسك الحج وهو لا ينوي حجاً ولا عُمْرةً أن شهودها بغير نية ولا قصد غيرُ مغن عنه ، وأنَّ النية تجب فرضاً ، فمَن جاء إلى هذه البقاع المطهَّرة بنية النشْل والسرقة وأخذ أموال الناس بالباطل ، فليس له إلا الخزي والعار وإقامة حكم الله عليه ، ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) وإن أفلت واختفى عن العدالة فإنه لن يفلت من قبضة الله ولن يختفي عن السميع البصير ، ومَن جاء لقصد التشويش على الناس وإيذاء

---

(١) البخاري في الصحيح : ٢١/١ ، كتاب « الإيمان » بلفظ مقارب - طبعة الحلبي .

(٢) القرطبي : ٣٦٩/٢

(٣) سورة المائدة : ٣٨ - ٣٩

المؤمنين وإشغالهم عن عبادة ربهم وإثارة قلقهم لم يحصل له إلا الفشل والمقت من الله والبغض من المؤمنين ودعاؤهم عليه فيقعد مذموماً مخذولاً .

ويُشترط فى صحة العمل واعتباره أن يكون موافقاً لهَدْى نبينا محمد ﷺ ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١) ، ولقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث جابر عند مسلم : « لتأخذوا عنى مناسككم » (٢) ، فأىّ عمل يخالف هَدْى المصطفى صلى الله عليه وسلمْ ، فهو مردود على صاحبه ، للحديث المتفق عليه عن أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَن أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (٣) ، وفى رواية : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » (٤) .

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ : قال ابن كثير : اتفق العلماء على أن الشروع فى الحج والعُمْرة ملزم ، سواءً قيل بوجوب العُمْرة أو باستحبابها كما هو قولان للعلماء ، فعلى هذا إذا كان المسلم قادماً للحج أو العُمْرة فى الطائرة ، فلما حاذى الميقات أحرم ظاناً أنه سيذهب إلى مكة ، فلما وصل إلى جدة وُجِّهَ إلى المدينة المنورة لزيارة مسجد رسول الله ﷺ والسلام عليه ، فلا يجوز له التحلل بل الإحرام لازم له لا ينحل بأى حال حتى يطوف بالكعبة المشرَّفة ويسعى بين الصفا والمروة ، ولا يقاس على الإحصار لوجود الفرق بين الحالين ، فالإحصار هو الحبس ومنع الوصول إلى الكعبة ، كما

(١) سورة الحشر : ٧

(٢) أبو داود : ٢/٤٩٦ ، جامع الأصول : ٤/٩٩ ، باب : رمى الجمار .

(٣) البخارى : ٣/٢٤١ عن عائشة .

(٤) البخارى : ٣/٩١ ، طبعة الحلبى ، وأحمد : ٦/١٤٦

مَنَعَ المشركون النبى ﷺ من الوصول إلى مكة وأحصروه فى الحديبية فى شهر ذى القعدة سنة ست من الهجرة (١) ، فأنزل الله عليه : ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ (٢) .

وأما مَن وُجِّهَ إلى المدينة فلم يُحصر ولم يُمنع من الوصول إلى مكة ، وغاية ما فى الأمر أن الطريق طال عليه ، وبإمكانه أن يعمل الأسباب التى يتمكن بها من التوجه إلى مكة فيطوفُ ويسعى ويحل ، ثم يعود إلى المدينة .

ومن إتمام الحج والعُمْرة أن يُنْشئ السفر من بلده ويُهل من الميقات لا يريد إلا الحج أو العُمْرة دون أىِّ مقصد آخر ، وأن يأتى بالأركان والواجبات والسنن ، وأن يجتنب المحرَّمات .

فأركان الحج أربعة هى : الإحرام ، والوقوف بعَرَفة ، وطواف الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة .

وواجبات الحَج ستة : الإحرام من الميقات ، والبقاء بعرفة حتى تغرب الشمس يوم التاسع من ذى الحجة ، والمبيت بمزدلفة إلى نصف الليل ، والمبيت بمِنَى أيام التشريق ، ورمى الجمرات مرتبات ، والحلقُ أو التقصير .

أما طواف الوداع فقال بوجوبه كثير من العلماء وهو مستقل عن الحج . وما عدا الواجبات والأركان فهى سنن .

وأركان العُمْرة ثلاثة : الإحرام ، والطواف ، والسعى . ولها واجبان : الإحرام من الميقات ، والحلق أو التقصير . .

فالأركان لا يتم النُّسُك إلا بها ، والواجبات مَن ترك منها شيئاً فعليه دم ، وأما السنن فمن جاء بها أُثيب ، ومَن تركها فلا شىء عليه .

---

(١) ابن كثير : ١/ ٣٠٠

(٢) سورة البقرة : ١٩٦

والإحرام هو الركن الأساسى للحج والعُمْرة ، فلا ينعقد إلا به . فمتى نوى المسلم دخوله فى النُّسُك عازماً بقلبه - تلفَّظ به أم لا - صار مُحْرِماً ، وحُرِّم عليه تسعة أشياء :

١ - يحرم على الذكر لبس المخيط المعتاد ، فيجب أن يتجرَّد ويلبس إزاراً ورداءً .

٢ - كما يحرم عليه مس الطيب ، فلذلك يُستحب له أن يتطيب قبل الإحرام .

٣ - إزالة الشعر .

٤ - تغطية رأس الذكَر ، فيكشف رأسه ولا بأس أن يستظل بغير ملاصق ولا بأس بحمل المتاع على رأسه وهو محرم .

٥ - تقليم الأظافر فيقلمها قبل الإحرام .

٦ - قتل الصيد البَرِّى ، فلو عرضت له غزال أو أرنب أو ضب وهو محرم فلا يتعرض لها .

٧ - عقد النكاح ، فلو صار العقد فى حال الإحرام لم يصح الزواج .

٨ - المباشرة ، كالقُبْلة أو الضم وما فوق ذلك دون الجِماع .

٩ - الجِماع ، وهذا أخطر الممنوعات فى الإحرام ، فإن الرجل قد يكون غائباً عن أهله فيقابلهم فى عَرَفات فيفعل المحظور ، وقد يوسوس إبليس لبعض المسلمين فيقول : أنت فى مكان مُقدَّس وفى مشعر مُفضَّل فالتمس البركة بولد صالح ، فيقع على زوجته حال الإحرام ، فمَن جامعَ قبل التحلل الأول فسد نُسُكهما ويلزمهما المضى فيه وقضاؤه فى السنة المقبلة ، وعلى كل واحد من الرجل والمرأة - إذا كانت مطاوعة - بدنه تُذبح فى الحرم (مكة) وتقسم على الفقراء .

وإن كان الجِماع بعد التحلل الأول وقبل الثانى ، فعليه ذبح شاة ولم يفسد نُسُكه ، لكن إن لم يكن طاف طواف الإفاضة أحرم مِن الحِلِّ ليطوف بإحرام صحيح .

فاتقوا الله أيها المسلمون وخذوا حذركم ، وعَظِّموا شعائر الله ، وعَظِّموا حرمات الله .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [1] .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [2] .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين ، واستغفروا ربكم أيها المؤمنون وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الحج : ٣٠

(٢) سورة الحج : ٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

القِصَاص

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فكثيراً ما يُوجِّهُ القرآنُ الكريمُ النداء للمؤمنين بتلك الصفة التى تقتضى التلقى عن الله فى تشريعه وأمره ونهيه ، ومن هذه النداءات قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ (٢) .... الآية .

والخالق تعالى عليم بحوافز النفس البَشَرية ، وعليم بما جُبِلَ عليه بنو آدم ، والغضب للنفس والدم فطرة طبيعية ، والقصاص يُطفئ سَوْرة الغضب ويردع الجانى من التمادى فى الجريمة ، وبالعدل الجازم الحازم يحفظ الحقوق ويحقن الدماء : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٣) فليس القصاص لمجرد الانتقام بل هو أعلى من ذلك ، إنه حياة البَشَر ، فبالقِصاص يكف الجناة عن الاعتداء ، فالذى يوقن بأنه سيدفع حياته ثمناً لمن

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) سورة البقرة : ١٧٨

(٣) سورة البقرة : ١٧٩

يقتله يتوقف ويتفكر ويتردد وأخيراً يمتنع ، وإنما يدرك أن فى القِصاص حياة أولوا العقول الواعية الفاهمة المدركة ، التى تحب لإخوانها ما تحب لنفسها ، والتى تحرص على مصالح رعاياها كما تحرص على مصالحها .

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين .

اللَّهُمَّ آمنا فى أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أُمورنا ، واهدهم سُبُل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللَّهُمَّ احفظ إمامنا من كل سوء ، واحرسه من شر الأشرار وكيد الفجار ، وأدم توفيقه للعمل بكتابك وإقامة حدودك ، والعدل بين عبادك . . . . . . إلى آخر الدعاء .

* * *

---

(١) سورة البقرة : ١٧٩

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥ - الحاج فى طاعة الله (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد .. ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك لهِ ، خلقَ فقدَّر ، وشَرَّع فيسَّر ، جعل بيته مثابة للناس وأمناً (٣) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلَّغَ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح للأمة .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإن من قواعد الإسلام الخمس ، التى بُنِىَ عليها ، قاعدةً عظيمة لها أثرها الفعَّال فى حياة المسلمين الاجتماعية ، ومكانتُها العظمى فى دين الإسلام ، ألا وهى الركن الخامس من أركان الإسلام ، إنها حج بيت الله الحرام ، تلكم العبادة التى تشتمل على مصادر العبادة الثلاثة ، فهى عبادة روحية ، بدنية ، مالية ، وفى الحج تتجلى معالم طاعة الله فى نفس المسلم وانقياده لأوامر ربه ،

---

(١) ألقيت يوم ١٦/١١/١٣٩٧ هـ .

(٢) سورة الإخلاص : ٣ - ٤

(٣) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

فهو يتحمل المشقة والتعب وبذل المال ومفارقة الأهل والأولاد ، فى سبيل ربه وطلب مرضاته وامتثال أوامره .

وفى الحج تبرز الصفات الإسلامية فى أعمال المؤمن وأقواله وسلوكه ، وبه تحصل المنافع وكمال الدين وتمام النعمة والرضا بما يرضاه الله تعالى لعباده المؤمنين : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

الحج آخر ما فُرِضَ فى أركان الإسلام وقواعده على لسان نبينا محمد ﷺ وأفعاله ، أكمل الله الدين لأُمة محمد ﷺ وأتم عليهم نعمته : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٢) .

الحج طاعة لله ، فيه من المصالح الاجتماعية والدينية والدنيوية ما لا يقف عند حد ، فهو الحج الأكبر ، وهو أعظم مجتمع إسلامى يؤمه المسلمون من جميع أقطار المعمورة ، لا يختص به طبقة دون طبقة ، ولا إقليمٌ دون إقليم ، ولا لغةٌ دون لغة ، فإذا دخلت أشهر الحج تحرَّك الشعور الإسلامى فى نفس كل مسلم كأنه يسمع نداء أبينا إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ (٣) .

فقلوب المؤمنين فى كل مكان متعلقة بالله ، وتحن لزيارة بيته المطهَّر ، فهو قِبْلتهم فى عباداتهم ، ومأمنهم عند خوفهم ، يستقبلونه فى صلواتهم ،

---

(١) سورة آل عمران : ٩٧

(٢) سورة المائدة : ٣

(٣) سورة الحج : ٢٧ - ٢٩

ويُولَون وجوههم شطره فى دعواتهم ، ويؤمونه لأداء نُسُكهم ، ووضع أثقال الذنوب عنهم : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (١) .

وفى هذه الأيام المباركة يفد المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج امتثالاً لأمر الله واتباعاً لسُنَّة نبينا محمد ﷺ . فينبغى لقاصد بيت الله لحج أو عُمْرة أن يعلم أنه فى طاعة الله من حين خرج من بلاده حتى ينتهى من نُسُكه ويرجع إلى أهله ، فيجب على الحاج أن يعلق قلبه بالله تعالى وحده ، وأن تكون مناجاته ودعواته وطلب حاجاته من الله وحده دون غيره من خلق الله ، وأن يُخلص عمله لله تعالى ، وأن يتم حَجَّهُ وعُمْرته بأداء جميع أعمال الحج والعُمْرة ، وأن يتجنب ما يفسد نُسُكه أو ينقص من أجره ، ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ ﴾ (٢) .

يجب على المُحْرِم أن يجتنب الرفَثَ وهو الجِماعُ ودواعيه ، فإنه مفسد للحج والعُمْرة إذا كان قبل التحلل ، وموجب للمضى فى الفاسد والقضاء من عام قابل (٣) .

ويُحَرِّم الفسوق . . وهو الخروج عن طاعة الله إلى معصيته ، فيحرم على الحاج أن يقترف شيئاً من الآثام أو المعاصى كالملاهى والمسكرات والمخدرات

---

(١) سورة البقرة : ١٢٥

(٢) سورة البقرة : ١٩٦

(٣) بنحو هذا المعنى أخرج البيهقى فى السنن الكبرى : ٥/ ١٦٧ ، وهو من فتوى ابن عباس رضى الله عنهما ، وإسناده صحيح ، وهو بحكم المرفوع .

وأكل الحرام وعمل الحرام ونظرة الحرام ، والكذب وقول الزور ، والغش والخداع ، وسرقة الأموال والغدر والخيانة .

ويُحَرِّم الجدال .. وهو المراء والمفاخرة والتعنت سواء فى مسائل العلم والدين أو فى أمور الدنيا ، لأن الجدال يورث الشحناء والشقاق والخلاف والفُرْقة ، وهذا لا يتفق مع مقاصد الحج وحكمته والمصالح المترتبة عليه ، فإنه يدعو إلى التعاطف والتآخي والتعاون والتكاتف : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١) .

احرص أيها الحاج على أن يكون حَجُّك مبروراً ، فإن الحج المبرور مُكَفِّرٌ لجميع الذنوب والآثام ، وسبب لدخول الجنَّة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « مَن حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه » (٢) ، « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنَّة » (٣) .

اتق الله أخى المسلم واعلم أن ربك يراقبك فى جميع أوقاتك وفى كل أحوالك ، فى ليلك ونهارك ، فالتزم جانب الأدب مع خالقك ، لا تصرف شيئاً من حقه إلى غيره ، والتزم جانب الأدب فى هذه البقاع المقدَّسة ، فلا تنتهك حرمتها بمعصية الله فيها ، وقَدِّم أمامك عملاً صالحاً خالصاً لله نقياً تجده

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) أخرجه الشيخان فى صحيحيهما : البخارى : ٣٠٢/٢٣ ، ومسلم برقم (١٣٥٠) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) البخارى ومسلم فى صحيحيهما : البخارى : ٤٧٦/٣ فى العمرة وفى الحج ، ومسلم برقم (١٣٤٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

ذخراً ونوراً أمامك ، واسأل ربك التوفيق والهداية فإنه هو الهادى إلى سواء الصراط : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١)

اللَّهُمَّ أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وبارك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة البقرة : ٢٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

أعمال الحج والعُمْرة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله .. ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، بعث رسوله محمداً ﷺ بالهُدَى ودين الحق (٢) .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله ، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (٣) ، صَلَّى الله عليه وعلى آله ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد ..

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ (٤) .

أيها المسلمون ؛ إن للعُمْرة والحج أعمالاً وصفات لا بد من أدائها كما وردت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم . فأعمال العُمْرة فيها الإحرام من الميقات لمن مَرَّ عليه أو بمحاذاته ، أما مَن كان دونه إلى مكة فمن مكانه ، والتجرد من المخيط ، واجتنابُ محظورات الإحرام ، والطوافُ بالكعبة

---

(١) سورة غافر : ٣

(٢) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة .

(٣) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه ، أخرجه ابن ماجه : ١٦/١ بإسناد حسن لغيره برقم (٤٣) .

(٤) سورة آل عمران : ١٠٢

المشرَّفة سبعة أشواط ، والسعىُ بين الصفا والمروة سبعة أيضاً - الذهابة سعية والإيابة سعية - والحلق أو التقصير من شعر الرأس . . وبهذه الأعمال تنتهى العُمْرة .

أما أعمال الحج : فمنها الإحرام واجتناب محظوراته ، والوقوف بعَرَفة يوم التاسع من شهر ذى الحجة حتى غروب الشمس ، والمبيتُ بمزدلفة ليلة العيد ، ورمىُ جمرة العقبة يوم النحر بسبع حصيات ، وطواف الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة ، وحلق شعر الرأس ، ونحرُ هَدْى التمتع ، والمبيتُ بمِنَى ليلتى اليوم الأول والثانى من أيام التشريق ، ورمىُ الجمرات الثلاثة فى هذين اليومين بعد الزوال ، كل واحدة بسبع حصيات بادئاً بالأولى وهى التى تلى مسجد الخِيف فى مِنَى ، وبهذا تنتهى أعمال الحج لمن تعَجَّل ، ثم طواف الوداع لمن أراد السفر من مكة المشرَّفة .

فالحمد لله تعالى على هذا التشريع والتيسير ، ونسأله الهداية والتوفيق .

عباد الله ؛ إن الله تعالى قد أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) ، فصلُّوا - عباد الله - على البشير النذير والسراج المنير .

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاد الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبينا أمهات المؤمنين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهُمَّ أدم الأمن والاستقرار فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح البلاد والعباد ، ولما تحب وترضى يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ انشر الأمن فى جميع أوطان المسلمين ، وأصلح أئمتهم ، واجعل ولايتهم فى مَن آمن بك واتقاك واتبَّع رضاك ، يا حى يا قيوم .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

اللَّهُمَّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين .

اللَّهُمَّ اشفنا وأغثنا .

اللَّهُمَّ إنا نستغفرك إنك كنت بنا غفَّاراً ، فأرسل السماء علينا مدراراً .

اللَّهُمَّ إنَّا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك .

عباد الله . . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)، فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه على نعمته يرزقكم .

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٦ - خذوا عنى مناسككم [(١)]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .. ﴿ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [(٢)] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .. ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(٣)]

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة .

أما بعد ..

فأُوصيكم أيها المسلمون وإياى بتقوى الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [(٤)]

---

(١) ألقيت يوم ٢٢/١١/١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفتح : ٢٨

(٣) سورة التوبة : ١٢٨

(٤) سورة الطلاق : ٢ - ٣

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ (١) .

إن المسلم يا عباد الله وخاصة حُجَّاج بيت الله الحرام فى اشتياق لمعرفة عمل النبى ﷺ فى الحج ليقتدوا به ، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى مناسككم » (٢) .

خرج - عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام - من المدينة المنوَّرة قاصداً الحج فى آخر شهر ذى القعدة سنة عَشْر من الهجرة ، فأحرم من ذى الحليفة قارناً ، وساق معه الهَدْى ، وأهَلَّ بالتوحيد والإخلاص لله وحده ، فقال : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لا شريك لك ، إنَّ الحمد والنعمة لك والمُلْك ، لا شريك لك » ، ثم لَبَّى صلى الله عليه وسلم لما ركب ناقته وأهَلَّ لما علَت به البيداء ، ثم سار فى طريقه ، فلما دخل رسولُ الله ﷺ المسجدَ الحرام قصد البيت حتى إذا حاذى الحجر الأسود استلمه ، وطاف بالكعبة سبعة أشواط ، وكان يقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (٣) .

وكلما حاذى الحجر إما يشير إليه أو يستلمه ، فلما فرغ من طوافه صلَّى خلف المقام ركعتين ، قرأ فى الأولى بعد الفاتحة بسورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ (٤) ، وفى الثانية بسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٥) - وهما سورتا الإخلاص - ثم خرج إلى الصفا ، فلما قرب منه قرأ : « ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا

---

(١) سورة الطلاق : ٥

(٢) جزء من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه ، أخرجه مسلم فى الصحيح : ٢/٨٨٦ - ٨٩٢ كتاب « الحج » برقم (١٤٧) خاص وعام (١٢١٨) .

(٣) سورة البقرة : ٢٠١

(٤) أى سورة الكافرون .

(٥) أى سورة الإخلاص .

وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (١) أبدأ بما بدأ الله به » ، ثم رقى على الصفا فاستقبل البيت فوحَّدَ الله وكَبَّره ، وقال : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إلَه إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ، ثم دعا بين ذلك وقال مثل هذا ثلاث مرات .

ثم نزل من الصفا يدعو ربه ويتضرع إليه ، فلما وصل إلى المروة رقى عليها واستقبل البيت وفعل كما فعل على الصفا ، فعل ذلك سبع مرات ذهابه سعية وإيابه سعية ، وكان صلى الله عليه وسلم خيَّر أصحابه عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة : التمتع ، والقِران ، والإفراد ، ثم ندبهم فى أثناء الطريق إلى جعلها عُمْرة ، فلما أكمل سعيه أمر مَن لا هَدْى معه أن يتحلل إلى عُمْرة فيكون متمتعاً ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سُقت الهَدْى ولجعلتها عُمْرة » .

وبقى - صلى الله عليه وسلم - فى إحرامه من أجل الهَدْى الذى ساقه معه ، فلما كان يومُ التروية - وهو اليوم الثامن من شهر ذى الحجة - خرج صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون إلى مِنَى محرمين وبات فيها ليلة التاسع من ذى الحجة ، فلما طلعت الشمس يوم التاسع سار من مِنَى إلى عرفات ، وكان من أصحابه المُلَبِّى ومنهم المُكَبِّر وهو يسمع ذلك ولا ينكر .

فلما وصل إلى نَمِرة نزل بها ، فلما زالت الشمس ركب ناقته حتى أتى وادى عُرنة فخطب الناسَ فقرر قواعد الإيمان وهدم قواعد الشِّرْك وأبطل أعمال الجاهلية ، وبلَّغ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، وأوصى بالنساء خيراً ، وذكر الحق الذى لهن والحق الذى عليهن ، وأمر بالاعتصام بكتاب الله تعالى ، وأخبر بأنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين بكتاب الله .

---

(١) سورة البقرة : ١٥٨

فلما انتهى صلى الله عليه وسلم من الخطبة صَلَّى الظهر والعصر جمعاً وقصراً ، فلما فرَغَ ركب ناقته حتى أتى موقفه فى عَرَفَة فى ذَيْل الجبل عند الصخرات جاعلاً المشعر بينه وبين القِبْلة . وقال : « وقفتُ ههنا وعرفة كلها موقف » ، وأمرهم بالارتفاع عن بطن عُرَنَة .

وأخذ – صلى الله عليه وسلم – فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله رافعاً يديه كاستطعام المسكين وهو مستقبل القِبْلة ، فلما غربت الشمس أفاض من عرفة يُلَبِّى حتى وصل إلى مزدلفة فصلَّى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً ، وأذِنَ لضعفة الناس بالانصراف من مزدلفة عند غياب القمر تلك الليلة .

فلما طلع الفجر صلَّى الصبح فى أول الوقت ثم وقف عند المشعر الحرام فاستقبل القِبْلة ، وأخذ فى الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل والذِكْر حتى أسفر جداً ، وقال : « وقفتُ ههنا ومزدلفة كلها موقف » .

ثم سار إلى مِنَى ، وأمر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن يلتقط حصى الجمار ، فأخذ سبع حصيات مِثْلَ حصى الخذف (ما بين الحمص والبندق) ، فقال : « بمثل هؤلاء فارموا وإياكم والغلو فى الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » ، وكان يُلَبِّى فى طريقه حتى أتى جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات الواحدة تلو الأخرى ، يُكَبِّر مع كل حصاة .

ثم رجع إلى مِنَى وخطب الناس وقال فيها : « اعبدوا ربكم ، وصَلُّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنَّة ربكم » . وبيَّنَ حُرْمة يوم النحر وفضله عند الله ، وحُرْمة مكة على جميع البلاد ، وفتح الله أسماع الناس فسمعه جميع مَن فى مِنَى وهم فى منازلهم .

ثم انصرف إلى المنحر فنحر هَدْيه ، وقال : « نحرتُ ههنا ومِنَى كلها منحر وفجاجُ مكة كلها طريق منحر » . ثم حلق رأسه ، ثم أفاض إلى مكة المشرَّفة وطاف بالبيت طواف الإفاضة ، أما مَن كان متمتعاً فطاف وسعى .

وما سُئِل - صلى الله عليه وسلم - عن شيء فى ذلك اليوم قُدِّم أو أُخِّر من هذه الأشياء الأربعة : الرمىِ ، والذبحِ ، والحلقِ ، والطوافِ إلا قال : « افعل ولا حَرَج » .

ثم رجع إلى مِنَى وبات بها ، ورخَّص للرعاة والسقاة بالمبيت خارج مِنَى ، ولما زالت الشمس يوم ثانى العيد رمى الجمرات الثلاث ، ابتدأ بالأولى التى تلى مسجد الخَيْف ، ثم الوسطى ، ثم العقبة ، كُلَّ واحدة بسبع حصيات .

ولم يتعجل - صلى الله عليه وسلم - بل أكمل أيام التشريق الثلاثة فى مِنَى يرمى الجمرات الثلاث ، ثم طاف طواف الوداع ورجع إلى دار هجرته - صلى الله عليه وسلم - بعد أن أوضح لأُمته مناسكهم وأمرهم بأخذها عنه ، وهذه هى حَجَّة الوداع ، وفيها نزلت آية المائدة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حَجّاً مبروراً ، وسعياً مشكوراً ، وعملاً صالحاً ميسراً مقبولاً .

اللَّهُمَّ يَسِّر لحجاج بيتك أمورهم ، وأصلح شأنهم ، وظللهم بالغمام ، وأرسل لهم نسيماً بارداً ، وزدهم من الفضل والإنعام .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وفى سُنَّة سيد الأوَّلين والآخرين ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة المائدة : ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أكثر الدعاء يوم عرفة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله كما أمر ، وأشكره وقد تأذَّنَ بالزيادة لمن شكر (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له إرغاماً لمن جحد به وكفر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد . .

فكان من دعاء نبينا محمد ﷺ فى يوم عَرَفة وهو مستقبل القبْلة رافعاً يديه : « اللَّهُمَّ لك صلاتى ونُسُكى ومحياى ومماتى ، اللَّهُمَّ إنى أعوذُ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر ، اللَّهم إنك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرِّى وعلانيتى ، لا يخفى عليك شىء من أمرى ، أنا البائس الفقير المستغيثُ المستجير الوجل المشفق ، المقر المعترف بذنوبى ، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، مَن خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذل جسده ورغم أنفه لك ، اللَّهُمَّ لا تجعلنى - رَبِّ - بدعائك شقياً ، وكن لى رؤوفاً رحيماً يا خير المسؤولين ، ويا خير المعطين » .

وكان أكثرُ دعائه فى يوم عرفة : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلْك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، اللَّهُمَّ اجعل فى قلبى

---

(١) إشارة إلى الآية ٧ من سورة إبراهيم .

نوراً وفى صدرى نوراً وفى سمعى نوراً وفى بصرى نوراً ، اللَّهُمَّ اشرح لى صدرى ويَسِّر لى أمرى » .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوا ربكم فى السرِّ والعلن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (١) .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة لقمان : ٣٣

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٧ - أساس الحج توحيد الله [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .. ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، واحدٌ أحدٌ فردٌ صَمَدٌ ، منه المبتدى وإليه المنتهى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله دعا إلى الله على بصيرة بالقول والعمل ، وتركنا على المحجة ليلُها كنهارها واضحةٌ جليَّةٌ ، لا تخفى على أهل العقول السليمة ولا على أهل البصائر النيِّرة ، فلا يزيغ عنها إلا هالك .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وزوجاته ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد ..

ففى هذه الأيام المُفضَّلة تهوى أفئدةٌ من الناس إلى بيت الله الحرام استجابة لداع الله ، فتجتمع تلك القلوب المسلمة فى تلك البقعة الطاهرة عند أول بيت وُضِعَ للناس ، تجمعهم أهداف إيمانية وأعمال شرعية ، إخوةً فى الله ،

---

(١) ألقيت يوم ٢٩/١١/١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الأنعام : ٣

تربطهم رابطة التوحيد : « لا إلَه إلا الله ، محمد رسول الله » معتصمين بحبل الله ، متوجهين إلى الله ، مخلصين العمل لله ، فياله من لقاء إسلامى أخوى له مقاصده ومنافعه ، لتحقيق الوحدانية لله ، وتوحيد النيِّة والقصد لله .

دعاهم ربهم فأجابوا ، فهم ضيوف الله والضيف يُكرم فى ضيافة الكريم ، وشرعُ الله وسُنَّة نبيه ﷺ واضحة بيِّنةٌ لا تقبل التدليس والتلبيس ، فليس لأحد من البَشَر رأى يخالف التشريع ، فيجب على أخى الحاج أن يستعد لهذه العبادة بعدتها ، وأن يؤهل نفسه فى العقيدة والسلوك والإخلاص لمناجات الله عند بيته وفى البقاع التى فضَّلها الرحمن وقدَّسها .

يجب على المسلم أن يتذكر قُدْرة الله وقهره ووحدانيته ، وأن يعرف لهذه العبادة أعمالها وأقوالها ومواقيتها وترتيبها ، ويسأل عما أشكل عليه ، وأن يعرف للبقاع المطهَّرة قدسيتها ، فيلزمُ جانبَ الأدب مع الله ومع إخوانه المسلمين : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ (١) .

فالرفث : غشيان النساء ، والفسوق : المعاصى بأنواعها ، والجدال : المراء والمشادة فى القول .

إن الهدف الذى من أجله بُنيت الكعبة وطهرت وشُرِعَ الحج هو توحيد الله وإخلاصُ العمل لله ، وتجريد القصد والنية لله . قال جَلَّ شأنه : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) سورة الحج : ٢٦

﴿... ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ (١) .

يجب على الحاج أن يعلم عناية الله به ، فقد رفعه منزلة عاليةً بدعوته إلى حَجِّ بيته والوقوفِ بمشاعره ، فليحافظ على هذه المنزلة الرفيعة ولا ينزل عنها إلى مرتبةٍ هابطةٍ وضيعة .

أُوصى أخى الحاج بالحرص على أن يكون حَجَّه مبروراً ، فقد روى البخارى رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « العُمْرةُ إلى العُمْرة كَفَّارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنَّة » (٢) .

والحج المبرور هو الذى لا تخالطه معصية ، لا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ ، ولا أَشَرَ، ولا بطرَ ، ولا رياءَ ، ولا سمعةَ .

وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن حَجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أُمه » (٣) أى : غُفِرت له ذنوبه كلها إلا الحقوق ، سواء أكانت لله مثل الصلاة والصيام ، أو لآدمى مثل المال وأَرْش الجناية ، فلا يُسقطها الحج ، وإنما يُسقط الذنوب لا الحقوق (٤) .

وهنا مسألة فى الإحرام تكرر السؤال عنها ، وهى أن بعض القادمين إلى هذه البقاع المقدَّسة يظن أنه سيذهب إلى مكة فيُحْرِم من محاذاة ميقاته ، لكن

---

(١) سورة الحج : ٣٠ - ٣١

(٢) صحيح البخارى : ٣/٢ ، العينى : ٨/ ٢٨٣ ، باب العُمْرة .

(٣) البخارى : ٢/ ١٦٤ ، العينى : ٧/ ٤٠٢

(٤) الكشاف : ٢/ ٦٠٧

إذا نزل فى مطار جدة أخبره المتعهد بأنه وُجِّهَ إلى المدينة المنوَّرة فيلبس ثيابه ، فيظن أنه رفض الإحرام ، وليس الأمر كما يظن ، فإن المسلم متى دخل فى الإحرام - فرضاً أو نفلاً - فقد أوجب على نفسه ذلك النُّسُك كالنذر ، فهو باقٍ على إحرامه حتى يطوف بالكعبة المشرَّفة ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ويحلق أو يقصر لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (١) ، فإتمام النُّسُك واجب والإحرام لا يُرفض بمجرد الرغبة والإرادة الإنسانية ، وعليه فداء عن المحظورات التى فعلها ، والواجب أن نُخضع إرادتنا لأحكام الشريعة ، ويحرم علينا أن نُخضع أحكام الشريعة لإرادة البَشر .

وليس لذلك الشخص الذى أحرم ثم وُجِّهَ إلى المدينة حكم الإحصار ، فإن الإحصار منع المُحْرِم من الوصول إلى الكعبة المطهَّرة مطلقاً ، والذى وُجِّهَ إلى المدينة لم يُمنع من الوصول إلى بيت الله ، وإنما هى أيام قلائل ثم يسافر إلى مكة ثم يطوف ويسعى ويحلق أو يقصر ، وإذاً انتهى الإحرام وحَلَّ ما مُنِعَ منه .

وهذه مسألة تتكرر كثيراً ، فلو أن المسئول عن القادمين أخبرهم قبل الميقات بوجهتهم ، فالذى سيسافر إلى المدينة لا يُحْرِم إلا من ميقات أهل المدينة ، والذى يتوجَّه إلى مكة يُحْرِم من محاذاة ميقات جهته ، ففى ذلك حل للمشكلة المتكررة ونُصح للمسلم وتعظيم لشعائر الله .

وطواف الزيارة - وهو الذى بعد الرجوع من عرفات - ركن من أركان الحج لا يتم الحج إلا به ، فمَن تركه ناسياً أو متشاغلاً وجب عليه الإتيان به ، فإن كان خرج من مكة رجع بإحرام عُمْرة ويطوف طواف الإفاضة حتى لو طال الزمن ، فإن لم يفعل بطل حَجَّه .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

أيها المؤمنون ؛ إنكم فى هذه البقاع المشرَّفة ، فى أيام مباركة عشر ذى الحجة قد أقسم الله بها لعلو قدرها وعظيم شأنها ، فقال سبحانه : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ (١) ، وحثَّ نبينا محمدٌ ﷺ على العمل الصالح فى هذه الأيام .

فعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً : « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن فى هذه الأيام » - يعنى عشرَ ذى الحجة - قالوا : ولا الجهادُ فى سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهادُ فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء » .

وهذه الأيام العشر مشتملة على يوم عرَفة الذى ثبت فى الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال فى صيامه : « أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة الماضية والآتية » ، وتشتمل على يوم العيد يوم الحَج الأكبر ، يُفعل فيه أنواع من الطاعات غير الصيام ، وإنما أعمال الحج الباقية ، وتعظيم الله ، وتعظيم شعائر الله ، وتعظيم حُرُمات الله ، ونوافل العبادات .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، أكثروا من الأعمال الصالحة التى تُقَرِّبكم من الله : نوافل الصلاة ، والصدقة ، والصيام ، والتسبيح ، والحمد والثناء على الله ، والبِّر والصلة والإحسان ، والعفو والصفح والتسامح ، وتوحيد الله فى أفعاله وأفعال عباده ، وأُلوهيته ، فلا تزال ألسنتكم رطبة من ذكر الله ، إنها أيام مُفضَّلة ستمر مَرَّ الكرام ، ويندم المؤمن على الإهمال والتفريط ، تَقرَّبوا إلى الله ، وتَعرَّضوا لنفحات ربكم : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الفجر : ١ - ٢

(٢) سورة البقرة : ١٨٦

اللّهُمَّ بارِكْ لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللّهُمَّ علِّمنا من القرآن ما جهلنا ، وذَكِّرنا منه ما نسينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذى يرضيك عنا ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

التكبير المُطْلَق

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) . أحَلَّ الطيبات وحرَّم الخبائث .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .. جوَّاد كريم ، رؤوفٌ رحيم ، يعطى الجزيل ويقبل الخالص القليل .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .. ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الحساب

أما بعد ..

فإن الأُضحية سُنَّة مؤكدة . وقال بعض العلماء بوجوبها على مَن وجد سَعَة ، وفى هذه الأيام المباركة يجب على مَن أراد أن يُضَحِّى أن يجتنب المحظورات التى نهى عنها صلى الله عليه وسلم ، فلا يأخذ من شعره ولا من ظفره ولا من بَشْرته شيئاً حتى يُضَحِّى ، لقول نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل العَشْر وأراد أحدكم أن يُضَحِّى فلا يأخذ من شعره ولا من ظفره ولا من بَشرته شيئاً حتى يُضَحِّى » .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واعلموا أنَّ التكبير المطلق يشرع فى عشر

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة التوبة : ١٢٨

ذى الحجة فى الطريق ، وقبل الصلوات فرادى ، وفى المسجد وفى البيت ، فعظِّموا ما عظَّم الله ، وبادروا بالأعمال الصالحة ، قبل أن تَزِلَّ قدمٌ بعد ثبوتها [١] ، حيث لا ينفع الندم .

وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [٢]

* * *

(١) إشارة إلى الآية ٩ من سورة النحل .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٨ - فوائد الحج لا تُحصَى [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الغنى الحميد [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له الغفور الودود [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد . .

فإن لكل شريعة من شرائع الإسلام حكمةً وهدفاً ، يعود على الأُمَّة بالصلاح والمحافظة على كيانها وسعادتها ، ويتجلى شيء من الحكمة فى فريضة الحج التى هى ركن من أركان الإسلام ، وفريضةُ عَيْن على كل مسلم مُكَلَّف يستطيع إليه سبيلاً . . الحج يجب فى العمر مرة واحدة .

فالحج لقاء إسلامى كبير له حكمته وأهدافه ، يلتقى فيه المسلمون عند البيت الذى صدرت لهم منه الدعوة ، دعوةُ محمد ﷺ ، دعوة الإيمان ورسالةُ الرحمة ، يلتقى فيه المسلمون عند أول بيت وُضِعَ للناس ، بدأت فيه الحنيفية

(١) ألقيت يوم ٣٠/ ١٠/ ١٣٩٩ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٦٧ من سورة البقرة ، وفى سور أخرى . .

(٣) إشارة إلى الآية ١٤ من سورة البروج .

مِلَّة أبيكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فالأمر يستدعى الانتباه ، ويستوجب الاهتمام والتعرف على الحِكَم والأسرار .

وتتضح قواعد الحكمة فى الحج وبناء البيت من قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ
بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ
وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟
ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا
وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ
وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ
عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟
ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ
وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ
﴾ (١) فى هذه الآيات المحكمات بيَّن الخالق تبارك وتعالى حكمة بناء البيت الحرام ، والحكمة من مشروعية الحج . فأول قاعدة أُسِّسَ عليها بيت الله المطهَّر هى قاعدةُ التوحيد ، قاعدةُ العقيدة والإيمان : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تُشرك بى شيئاً ﴾ . . وترك الشِّرك هو التوحيد .

فالبيت بيت الله وحده لا يجوز أن يُعبد عنده غير الله ، ولا أن يُدعى غير الله ، ولا أن يُستغاث بغير الله ، ولا أن يُنحر لغير الله ، وإنما العبادة كلها حق لله ، فهو القادر على قضاء الحوائج .

والغاية من بناء البيت هى عبادة الله وحده دون مَن سواه : طواف حول البيت ، وقيام للتضرع والصلاة ، وخضوع وانكسار بين يَدَى رب البيت ،

---

(١) سورة الحج : ٢٦ - ٣١

وتخليصُ العظمة والكبرياء لله : ﴿ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ .

وأما الحكمة فى مشروعية الحج فهى المنافع التى لا يُحصى لها عدد ، منافع للفرد ومنافع للجماعة ، منافع فى الدنيا ومنافع فى الآخرة ، منافع عبادة وعلم من مصادر النور ومهابط التنزيل ، فيطلع الحاج على معين العقيدة الصافى ، ويرى العبادات كما وردت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فلا وثنيةً ولا قبور تُعبد من دون الله ، ولا أضرحةً تُرفع قبابها فوق بيت الله ، ولا تعظيم عبادةٍ وكبرياءٍ لغير الله ، ولا عبادةً إلا بما شرع اللهُ على لسان رسوله ﷺ .

ولذلك يجب أن يكون البيت الحرام فى يد مَن ينفذ شرع الله ويحكم بما أنزل الله ، ويُطهِّره من الأنجاس والأرجاس .

وفى الحج منافع الاقتداء والتذكرة ، وتعظيم شعائر الله ، فالمسلم حين يقف فى هذه المشاعر المقدَّسة يستشعر الحقائق التى كانت وقعت فيها . .

قصَّةُ إبراهيم عليه السلام وزوجه هاجر حين قالت : إلى مَن تتركنا ؟ قال : إلى الله ، قالت : إذاً لا يضيعنا الله .

وقصَّةُ الرضيع الذى يفحص بقدميه من العطش ، وأُمه تسعى بين الصفا والمروة طلباً للغوث حتى أتمت سبعة أشواط فنبع الماء من تحت قدم الرضيع إسماعيل عليه السلام .

وقصَّةُ بناء البيت ورفع القواعد على التوحيد والإيمان الخالص لله (١)

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس الطويل : أخرجه البخارى فى الصحيح ، كتاب « الأنبياء » ، باب رقم (٩) ، حديث رقم (٣٣٦٤) : ٣٩٦/٦ - ٣٩٨ (مع الفتح) بسياق طويل جداً وفيه كل التفاصيل ، وذكرها ابن كثير فى البداية : ١٥٤/١ - ١٥٧

وقصَّةُ مقدمات النبوة المحمَّدية وإرهاصاتها العجيبة ، ثم النبوةُ والرسالةُ والدعوةُ والأذى والصبرُ والتحمل والهجرةُ (١) ، ثم الفتح والانتصار .

فالمسلم حين يقف فى هذه المواقف ويستشعر هذه الحقائق يحس بالقُرْبِ من الله عند بيته ، تحوم حوله هذه المعانى وهذه التذكرة فتسيطر على مشاعره وأحاسيسه ، فلا يرى حوله إلاَّ توحيد الله وإخلاص العبادة له ، فيحاسب نفسه على أفعاله فى بلاده ، وهل صرف شيئاً مما يجب لله لغير الله ، فيتوب ويرجع بقلب سليم وعمل صاف جميل وعقيدة نقية طاهرة .

وكل هذه الحِكَم والأهداف تدور حول المعنى الذى يربط الإنسانَ بخالقه ، ويصل أهل الأرض برب السماء والأرض ، حقيقة العقيدة والإيمان ، فهو المعنى الذى يليق بالناس أن يجتمعوا عليه دائماً ، وأن يعقدُوا مؤتمراتهم من أجله ، لتطهير القلوب من أدناس الشِّرك ، والأعمال من أرجاس الوثنية ، والبلاد من سموم الاستعمار الكافر بالله وبرسالة محمد ﷺ .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . إنَّ كثيراً من الناس عن معانى التشريع وأهدافه غافلون ، وبعضهم يتعمد الصدودَ ، إن الناس اليوم اشتغلوا بالذى هو أدنى عن الذى هو خير ، إنَّ كثيراً من الناس وقع فى فخ الأعداء وهو لا يدرى أو هو يدرى ولكنه مستسلم .

اتقوا الله يا أُمَّة الإسلام . . تعرَّفوا على مقاصد تشريعكم ، وحكمة تكليفكم ، وتفهَّموا معانيها ، وسيروا على منهاجها لتعودَ لكم عِزَّتكم وكرامتكم ولتُنْصَروا على عدوكم ، والرجوع إلى الحق أحق من التمادى فى الباطل .

---

(١) إشارة إلى ما حصل لرسول الله ﷺ فى بداية البعثة أو قبلها بقليل بمكة ، ثم مكثه عليه الصلاة والسلام ثلاث عشرة سنة ، ثم هجرته إلى المدينة النبوية الشريفة ، وكل هذا موجود فى الصحاح والسنن والسير ، راجع سيرة ابن هشام رحمه الله تعالى .

فاتقوا الله .. ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذِكْر الحكيم .

اللَّهُمَّ افتح بصائر المسلمين لمعانى كتابك ووفِّقهم لمعرفة الحق واتباعه .

اللَّهُمَّ أبرم لهذه الأُمة أمر رشد يُعَزُّ فيه أهل طاعتك ، ويُذَلُّ فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر ، إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة النور : ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الأماكن التى تُستَحب زيارتها

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الهادى إلى سَواءِ الصراط (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن لزيارة مسجد رسول الله ﷺ آداباً يجب التأدب بها ، فأول ما يبدأ به الزائر : الدعاءُ المأثورُ عند دخول المسجد (٢) ، ثم يُصلِّى ركعتين تحية المسجد ، ثم يُسَلِّم على النبى ﷺ وعلى صاحبيه ، يأتى إليهم قِبَل وجوههم فى المواجهة المعروفة ، وينبغى أن يُسَلِّم بالألفاظ الواردة عن السَّلَف الصالح والاكتفاءُ بها عن غيرها .

ثم يتوجَّه إلى القِبْلة فى أى مكان من المسجد ويدعو بما أحب ويسأل الله

---

(١) إشارة إلى الآية ٢٢ من سورة (ص) .

(٢) إشارة إلى حديث صحيح أخرجه مسلم فى الصحيح ، كتاب « صلاة المسافرين وقصرها » ، باب رقم (١٠) وعنوانه : باب ما يقول إذا دخل المسجد ، حديث رقم (٦٨) خاص وعام (٧١٣) ، وهو من حديث أبى حميد أو عن أبى أسيد رضى الله عنهما ، وقال مسلم فى نهاية هذا الحديث : سمعت يحيى بن يحيى يقول : « كتبت هذا الحديث من كتاب سليمان بن بلال ، قال : بلغنى عن يحيى الحمانى يقول : وأبى أسيد » .

قلت : لا يضر الشك فى هذا الإسناد ، والله أعلم .

تعالى مما يريد ، وينبغى خفض الصوت فى هذا المسجد المقدَّس ، وعند هذا القبر المطهَّر والتحلى بالسكينة والهدوء والوقار ، والمحافظة على الصلوات الخمس فى أوقاتها مع الجماعة ، والإكثار من النوافل والذِكْر والتسبيح والصلاة على النبى ﷺ ، والترضى عن الصحابة كلهم أجمعين .

وأما الأماكن التى تُستحَب زيارتها فى المدينة ، فهى مسجد قُبَاء (١) ، وقبور أهل البيت والصحابة والمسلمين فى البقيع (٢) ، وقبور الشهداء عند أُحُد ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » (٣) ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يخرج إلى مسجد قباء ويتنفل فيه (٤) ، وكان يخرج إلى البقيع ويدعو لأهله (٥) ، وما عدا ذلك من الآثار فلم يرد عن الرسول ﷺ ولا عن الخلفاء الراشدين ولا عن السَّلَف الصالح ما يدل على استحباب زيارتها ولا الصلاة فيها ولا عندها ، لكن إذا كان الإنسان يُحبُّ أن يراها من باب العلم بالشىء والاطلاع على الآثار دون قصد العبادة والقُرْبة بزيارتها فهو جائز ، أما العبادات فمبناها على النص والتوقيف عن الشارع صلى الله عليه وسلم .

(١) إشارة إلى حديث صحيح : مسلم فى الصحيح ، الحج ، رقم الحديث : (٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢) خاص ، وذلك من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضى الله عنها : مسلم فى الصحيح : ٦٦٩/٢ ، الجنائز ، حديث رقم (١٠٢) خاص وعام (٩٧٤) ، وكذا برقم (١٠٣) : ٦٦٩/٢ - ٦٧١

(٣) إشارة إلى حديث بُرَيدة بن الحُصَيب رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح : ٦٧٢/٢ برقم (١٠٦) خاص وعام (٩٧٧) .

(٤) هو حديث ابن عمر رضى الله عنهما : مسلم فى الصحيح برقم (٥١٧) ، (٥١٨) .

(٥) مسلم فى الصحيح برقم (١٠٣) من حديث عائشة رضى الله عنها .

وصلُّوا على البشير النذير ، والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المبين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر الشافع المُشَفَّع فى المحشرِ ، وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنَّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّرْ أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهُمَّ اجمع كلمة المسلمين على الهُدَى ، وألِّف بين قلوبهم على البِرِّ والتقوى ، ووحِّد صفوفهم واجمع شملهم وانصرهم على عدوك وعدوهم ، إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات .

اللَّهُمَّ فَرِّج هم المهمومين واقض الدَّيْن عن المدينين واشف مرضى المسلمين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) ، فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمته يزدكم .. ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ (٣) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) سورة النحل : ٩٠

(٣) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٩ - الأنساك ثلاثة .. كلها جائزة إن شاء الله [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [٢] .. خَلَقَ فقدَّر ، وشَرَّعَ فيَسَّرَ ، فسبحانه مِن إله عظيم ، يُطاع فَيَشكر ، ويُعصَى فيَغْفر ، وإذا دُعِيَ أجاب .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، جعل بيته مثابة للناس وأمناً [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله خاتماً للأنبياء والمرسلين ، ورحمةً للعالَمين [٤] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

ففى هذه الأيام المباركة فى أشهر الحج تتحرك مشاعر المسلم شوقاً إلى بيت الله الحرام ، فهنيئاً لمن دعاه ربه فأجاب ، وأحسن الوفادة وتأدب بآداب الإسلام ، وعرف لبيت الله قدسيته وحُرمته : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ

---

(١) ألقيت يوم ٥/١١/١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

(٤) إشارة إلى الآية ٤٠ من سورة الأحزاب ، والآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (١) .

فالإيمان الصادق والعقيدة السليمة والعمل الخالص لله ، هو القاعدة الأساسية للحج ولكل العبادات ، وهو تحقيق « لا إلَه إلا الله » ، تلك الكلمة التى قامت بها السموات والأرض ، وخُلِقت لأجلها جميع المخلوقات (٢) ، وبها أرسل الله تعالى رُسُله وأنزل كتبه ، ولأجلها نُصِبت الموازين ووُضِعت الدواوين ، وقام سوق الجنَّة والنار ، ومن أجلها انقسمت الخليقة إلى مؤمن وكافر ، وإلى أبرار وفُجَّار ، فهى منشأ الخلق والأمر ، وعليها مدار الثواب والعقاب .

وهى حق الله على العباد ، فهى كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام ، وعنها سيُسئل الأوَّلون والآخرون .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . اعرفوا لربكم تحقيق أُلوهيته ، وشمولَ ربويته ، وكمالَ أسمائه وصفاته ، فلا ترجوا أحداً فى كشف الكربات إلا الله ، ولا تُعلِّقوا آمالكم إلا بالله ، وتوجَّهوا فى دعائكم وتضرعاتكم إلى خالقكم ، فهو سبحانه مجيبُ الدعوات وقاضى الحاجات ، ومَن سواه عبيده وفى مُلْكه وتحت قهره وإرادته ، وكلهم محتاجون إليه ، وكلهم فقراء إليه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ (٣) .

ثم اعلموا - وفَّقنى الله وإياكم - أن الأنساك ثلاثة : تمتع ، وقِران ، وإفراد ، كلها جائزة إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة الحج : ٢٦

(٢) إشارة إلى الآية ٣٦ من سورة النحل .

(٣) سورة فاطر : ١٥

وأفضلها : التمتع . . ويُستحَب للقارن والمفرد إذا لم يكن ساق هَدْياً أن يتحلل إلى عُمْرة فيكون متمتعاً ، والتمتع أن يُحْرِم بالعُمْرة فى أشهر الحج ناوياً البقاء فى مكة المشرَّفة حتى يحج ، وأشهر الحج هى شوَّال وذو القعدة وعَشرُ ذى الحِجَّة .

وصفة الإحرام بالتمتع أن يقول : لَبَّيْك عُمْرة متمتعاً بها إلى الحج ، وعلى المتمتع فدية ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى بلده فيطوف ويسعى للعُمْرة ثم يحل ، وإذا جاء يوم التروية أحرم بالحج [1] ، فإذا سافر المتمتع من مكة مسافة قصر وعاد مُحْرِماً بالحج انقطع تمتعه وصار مفرداً ، وأما إذا أحرم بالعُمْرة قبل أشهر الحج وبقى فى مكة حتى يحج صار من حاضرى المسجد الحرام ليس عليه فدية ، وأما القِران فيقول فى إحرامه : لَبَّيْك حَجّاً وعُمْرة ، أو يُحْرِمُ بالعُمْرة ثم يُدخل عليها الحج قبل الشروع فى الطواف ، وتتضح المصلحة فى ذلك إذا حاضت المرأة وجاء يوم التروية قبل أن تطهر فتُدخل الحجَّ على العُمْرة وتكون قارنة ، أو ضاق الوقت بالمحرم وخشى الفوات إذا أدَّى أعمال العُمْرة ، فإنه يُدخل الحج على العُمْرة فيكون قارناً ، وحينئذ يكون الترتيب لأعمال الحج وتَدْخل أعمالُ العُمْرة فى أعمال الحج .

والإحرام بالإفراد أن يقول : لَبَّيْك حَجّاً مع عزم القلب ، ويبقى القارن والمفرد فى إحرامه إلى يوم العيد يوم الحج الأكبر ، وفى ذلك اليوم أمام الحاج ثلاثة أشياء : رمىُ جَمْرة العقبة ، والطوافُ بالبيت طواف الإفاضة ، والسعىُ ، والحَلْقُ أو التقصير ، فإذا فعل اثنين من هذه الثلاثة بأن رمى جَمْرة العقبة وحلق أو قصر فقد حل التحللَ الأول ، أى يحل له كلُ شىء مُنِع منه لإحرامه إلا النساء ؛ فيلبس الثياب ، ويتطيب ويُقَلِّم الأظفار .

---

(١) هكذا فى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه فى حديثه الطويل : أخرجه مسلم فى الصحيح ، كتاب « الحج » ، حديث رقم (١٤٧) خاص .

فإذا فعل الثالث : رمى العقبة ، وحلق ، وطاف بالبيت وسعى حَلَّ له كل شىء حتى النساء ، إلا مَن كان معه هَدْى ساقه لإحرامه ، فلا يحل حتى ينحر هَدْيه .

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة البقرة : ١٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتناب محظورات الإحرام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذى هدانا للإسلام .. ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على الطاهر الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد . .

فإن للحج والعُمْرة أعمالاً وآداباً ، وللإحرام محظورات ، فإذا دخل المسلم فى النُّسُك فقد ألزم نفسه بالأعمال وباجتناب المحظورات ، فيجب عليه إتمام نُسُكه لحج أو عُمْرة .

وهذه الأعمال هى : الإحرامُ ، والطوافُ ، والسعىُ ، والحلق أو التقصير ، هذه يشترك فيها الحاج والمعتمر ، ويزيد الحج الوقوفَ بعرفة ، والمبيتَ بمزدلفة ، ورمىَ الجمرات ، والمبيتَ بِمِنَى ليال التشريق .

والإحرام هو نيَّة الدخول فى النُّسُك ، فمتى نوى الإنسانُ الإحرام بحَجٍّ أو عُمْرة صار مُحْرِماً ، ويجب عليه تجنب المحظورات فلا يلبس المُحْرِم الذكرُ مخيطاً ولا يغطى رأسه ، أما المرأة فتلبس المخيط وتغطى رأسها ، ويجتنب المُحْرِم قص الأظافر والشعر ومس الطيب ، هذه الخمسة مَن خالف فيها وجب عليه فديةٌ يُخيَّر فيها بين ثلاثة أشياء : صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين ، أو نُسُك يجزئ فى أُضحية ، يتصدَّق بها على فقراء الحرم ،

---

(١) سورة الأعراف : ٤٣

ويجتنبُ المحرمُ قتل الصيد البرى ، فمَن قتله فعليه فدية تخيير بين ثلاثة أشياء أيضاً :

(أ) إما جزاءٌ مثلُ ما قتل من النَعَم .

(ب) أو تقدير قيمته ويَشْترى بها طعاماً لفقراء الحرم .

(جـ) أو يصوم عن كل « مدٍّ طعام » يوماً .

ويجتنب المُحْرِم عقد النكاح ، فإن فعل فالزواج باطل ، ويجتنب أيضاً ملامسة النساء ، فإن باشرَ دون المحل فأنزل فعليه بدنة ، وإن لم ينزل فعليه شاة ، وأما إن جامعَ فيُنظر ، فإن كان قبل التحلل الأول فسد حجه وعليه بدنة ، ويلزمه المضى فى الفاسد وقضاؤه فى العام القابل (١) .

وإن كان بعد التحلل الأول فعليه بدنةٌ وحجه صحيح ، لكن إن لم يكن طاف طواف الإفاضة أحرم من الحِلِّ ليطوف مُحْرِماً .

فاتقوا الله عباد الله ، وعَظِّموا شعائر الله ، واحترموا حرم الله وحرم رسوله ﷺ : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (٢) ، وصلُّوا على البشير النذير ....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى : ١٦٧/٥ ، وهو من فتوى ابن عباس رضى الله عنهما وإسناده صحيح إليه .

(٢) سورة الحج : ٣٢

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٠ - مشاعر المسلم تتحرك شوقاً إلى بيت الله الحرام (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) .. جعل الحج أشهراً معلومات (٣) ، وجعل العُمْرة فى كل العام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، خَلَقَ فقدَّر وشَرَّع فيسَّر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الهَدْى ومصابيح الدُّجَى ومَن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد ..

فقد دخلت أشهر الحج وهى شوَّال وذى القعدة وعَشْرِ ذى الحِجَّة ، ففى هذه الأيام تتحرك مشاعر المسلم شوقاً إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك العُمْرة والحج ، ولزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسأل الله لهم

---

(١) ألقيت يوم ١٦/ ١٠/ ١٤١٥ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

(٤) سورة التوبة : ١٢٨

التيسير فى السفر ، والراحة فى الإقامة ، وأسأل الله لنا ولهم حجاً مبروراً ، وعملاً صالحاً مقبولاً ، وسعياً محموداً .

ثم أُذَكِّر المسلمين عموماً بنِعَم الله علينا وعليهم ، فما انتهى شهر رمضان حتى دخلت أشهر الحج المباركة تفتح أبواب الأمل والرجاء أمام أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم ، فمَن قَصَّرَ فيما مضى أو فاته الركْب ، فليجتهد فى طاعة الله فى هذه الأشهر المطهَّرة .

ويلزم مَن أراد السفر إلى الحج أن يختار النفقة الحلال وأن يقصد بعمله وسفره وجه الله والتقرُّبَ إليه .

ومن رحمة الله ونعمه أوجب الحج على كل مسلم مستطيع فى العمر مرة واحدة ، لأن الحج هو أشد أركان الإسلام كلفةً ، فهو يحتاج إلى المال والزاد والسفر ، والسفرُ قطعة من العذاب ، وفيه مُفارقة الأهل والمال والولد ، وفيه تغيير نظام حياة المسلم ، وتغيير الأجواء وكلفةُ الزحام .

فمن رحمة الله بعباده يَسَّر لهم وسَهَّل فى التشريع ، فأوجب الحج فى العمر مرة واحدة مع الاستطاعة . قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (١) ، وقال صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ؛ إن الله كتب عليكم الحج فحجوا » ، فقام الأقرع بن حابس فقال : يا رسول الله ؛ أفى كل عام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ولن تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة ، فمَن زاد فهو تطوع » .

ولوجود المشقة المالية والبدنية والاجتماعية فى الحج كان ثوابه جزيلاً وفضْله

---

(١) سورة آل عمران : ٩٧

كبيراً ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « العُمْرَة إلى العُمْرة كَفَّارة لما بينهما ، والحَجّ المبرور ليس له جزاء إلا الجَنَّة » (١) .

والحج مُكَفِّر لجميع الذنوب والخطايا كبيرها وصغيرها ، ففى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أُمه » ، أى طاهراً مطهراً من الخطايا والذنوب ، قد غفر الله له جميع ما اقترف من ذَنْب وخطيئة ، صغائر وكبائر .

والرفث المنهى عنه فى الحج هو الفُحش فى القول والعمل ، والتعريض بمواقعة النساء عند النساء .

والفسوق هو الخروج من الطاعة ، والأشهرُ المعلوماتُ هى المواقيت الزمنية ، أما المواقيت المكانية فقد نصَّت الأحاديث عن عبد الله بن عباس ، وعن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهم أن النبى ﷺ وقَّتَ لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام مهيعة وهى الجحفة ، ولأهل نجد قَرْناً - أى قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم . وقال صلى الله عليه وسلم : « هُنَّ لهُن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن كان يريد الحج والعُمْرة » ، ومن كان طريقه لا يمر بهن فمن محاذاة الميقات لقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : لما فُتح هذان المصران (أى الكوفة والبصرة) أتوا عمر رضى الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَدَّ لأهل نجد قرناً وهو جَوْرٌ عن طريقنا (أى مائل) ، وإنَّا إن أردنا قرناً شقَّ علينا ، قال : فانظروا حذوها من طريقكم ، فحَدَّ لهم

---

(١) متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وأحمد فى المسند ، كما رواه أبو داود والنسائى والترمذى عن أبى هريرة ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٥٧٣٣) ورمز له بالصحة .

ذات عرق ، وأما مَن كان بين مكة المشرَّفة والميقات ، فيُحرِم من مكانه حتى أهل مكة من مكة .

والأنساك ثلاثة : تمتع ، وقِران ، وإفراد ، كلها جائزة إن شاء الله تعالى ، إلا أن أفضلها التمتع ، فيُستحب لمن كان قارناً أو مفرداً ولم يَسُق معه هَدْياً من بهيمة الأنعام أن يطوفَ ويسعى ويجعلها عُمْرة ويتحلل الحل كلَّه .

روى البخارى رحمه الله بسنده عن أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : « خرجنا مع النبى ﷺ ولا نُرى إلا أنه الحج ، فلما قَدِمْنا تطوفنا بالبيت ، فأمر النبى ﷺ مَن لم يكن ساق الهَدْى أن يَحِلَّ فحل مَن لم يكن ساق الهَدْى ونساؤه لم يسقن الهَدْى فأحللن » ، فالتمتع أفضل الأنساك .

وإذا أحرم المسلم ذكراً أو أُنثى فى الطائرة من محاذاة الميقات يظن أنه سيذهب إلى مكة المكرَّمة ، لكن لما نزل فى مطار جدة وَجَّهه المتعهد إلى المدينة المنوَّرة ، فالإحرام لازم له حتى يطوف ويسعى ويأخذ من شعر رأسه ، فلا يخالف محظورات الإحرام فلا يلبس الثياب المعتادة ، ولا يَرْفُث ولا يَفْسُق فإنه محرَّمٌ حتى يذهب إلى مكة ويطوفَ ويَسعَى ، لأنه أوجب على نفسه النُّسُك بالدخول فيه . قال سبحانه : ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ﴾ (١) ، وقال جَلَّ شأنه : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (٢) حتى لو كان النُّسُك الذى ألزم نفسه بالدخول فيه نفلاً ، فإنه يلزم إتمامه ، ولا يُعتبر مُحْصَراً لأن المُحْصَر هو الذى مُنع من الوصول إلى الكعبة .

أما الذى وُجِّه إلى المدينة فلم يُمنع من الوصول إلى البيت ، وإنما بدأ بزيارة المسجد النبوى ، ثم يذهب إلى مكة المكرَّمة ، فالفرق بين الصورتين

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) سورة البقرة : ١٩٦

واضح ، ويجب أن يُشْعَر القادمُ قبل إحرامه باتجاهه هل هو إلى المدينة أم إلى مكة ليكون على علم ، فإن كان إلى المدينة فلا يُحْرِم إلا إذا أراد السفر إلى مكة من أبيار على ذى الحليفة .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة ، ونسألك السداد والتوفيق والهداية والثبات ، وإخلاص العمل لوجهك الكريم ، ونسألك المغفرة لنا ولكل المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحج المبرور

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، أقربُ إلى أحدكم من حبل الوريد (٢) وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له مستوٍ على عرشه (٣) ، ويعلم سِرَّ عباده ونجواهم وجهرهم .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أعرف الناس بربه وأخشاهم وأتقاهم لله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه الذين أذهب عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً (٤) ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد .

أما بعد . .

فكل حاج يُحبُّ أن يكون حَجُّه مبروراً جزاؤه الجنَّة ، فنسأل الله الكريم من واسع فضله ، فينبغى أن نعرف ما قاله العلماء فى الحج المبرور ، فقد اختلف علماء الحديث فى الحج المبرور اختلافاً تنوعياً كلٌ منها يصدق على الحج المبرور وكلها متقاربة المعنى . فالحج المبرور هو الذى وُفِيَت أعماله كما طُلِب من المكلَّف على الوجه الأكمل ولم يخالطه معصية ولا إثم ، فليحرص إخواننا على ضبط الحج كما ورد عن النبى ﷺ عملاً وترتيباً قولاً وفعلاً .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٦ من سورة (ق) .

(٣) إشارة إلى الآية ٥٤ من سورة الأعراف ، وفى سور أخرى .

(٤) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .

والدليل على الحج المبرور عمل الحاج ، فإن كان عمله فى آخر أعمال الحج خيراً مما تقدم ، عرف أن حجه مبروراً (ذكره ابن حجر فى فتح البارى) (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوا ربكم فى كل أحوالكم ، فإنه مطلع عليكم لا تخفى عليه منكم خافية .

وصَلُّوا على البشير النذير ....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) انظر : فتح البارى : ٣/ ٣٨٢

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١١ - اختيار النفقة الحلال فى الحج (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) .. طهَّر بيته للطائفين والقائمين والرُكَّع السجود (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .. خلَق فقَدَّر وشَرَّع فيسَّر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خير مَن حج واعتمر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فلقد مَنَّ الله على أُمَّة محمد ﷺ فهداها لمعالم الحق ، وأنار لها سبيل الرُّشد ، ويسَّرَ لها طرق الخير وأسباب السعادة .

فما يمر موسم من مواسم الخير إلا ويتبعه آخر ، فلما انقضى شهر رمضان ، تبعته أشهر الحج المباركة ، تفتح أبواب الأمل والرجاء أمام أُمَّة محمد ﷺ ،

---

(١) ألقيت يوم ١٤٠٣/١١/٤ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة الحج .

فمَن قصَّرَ فيما مضى فليجتهد فيما بقى ، وإنَّ الحج من أعظم القُرَب إلى الله تبارك وتعالى ، فهو عبادة روحية بدنية مالية .

فيجب على مَن أراد الحج أنْ يجرد قصده ونِيَّته لله تعالى ، وأنْ يجعل عمله مطابقاً لسُنَّة رسول الله ﷺ ، وأن يختار النفقة من كسب حلال ، « فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » (١) ، ولا يكون الحج مبروراً إلا إذا كانت نفقته طيبة .

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا خرج الحاج حاجاً بنفقة طيبة ، ووضع رجله فى الغرز فنادى : لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك ، ناداه منادٍ من السماء : لَبَّيْك وسعديك زادُك حلالٌ وراحلتك حلالٌ وحَجُّك مبرورٌ غير مأزورٍ ، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز فنادى : لَبَّيْك ، ناداه منادٍ من السماء : لا لَبَّيْك ولا سعديك ، زادك حرام ونفقتك حرام وحَجُّك مأزور غير مبرورٍ » (عزاه المنذرى إلى الطبرانى) (٢) .

وينبغى للحاج أن يوسع فى نفقته ، فذلك أعظم لأجره . فقد روى الحاكم عن أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها فى عُمْرتها : « إن لكِ من الأجر على قدر نَصبِك ونفقتك » (٣) .

ومن رحمة الله تعالى بأُمة محمد ﷺ جعل الحج واجباً فى العمر مرة واحدة ، وإنما يجب على المسلم المكلَّف إذا استطاع إليه سبيلاً .

---

(١) صحيح مسلم : ٢/٧٠٣ ، حديث (١٠١٥) .

(٢) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/٢٩٢) : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه سليمان بن داود اليمامى وهو ضعيف .

(٣) الحاكم : ١/٤٧١ ، والدارقطنى : ٢/٢٨٦

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واحرصوا على نقاء الحج ، وإخلاص العمل ، وحُسْن السلوك وطَيِّب الكلام ، وإصابة السُّنَّة ، والنفقة ليكون حجكم مبروراً ، ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

* *

(١) سورة آل عمران : ٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بعض الحُجَّاج يُؤذيهم

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد . .

فإنه يوجد مَن يأتى باسم الحج لغرض سيئ ، وهدف خبيث ، يريد إيذاء عباد الله وضيوف الرحمن وزُوَّار مسجد رسول الله ﷺ ، إما لأنه يريد كسب الأموال بأى طريق كان : سرقةً ونهباً واحتيالاً .

أو يريد خدمة مخططات معادية للإسلام والمسلمين ، فيشوش على الحُجَّاج فى هذه البقاع الطاهرة الآمنة ويقلق راحتهم ويُوضع بينهم .

أما يعلم أُولئك المفسدون أن الحُجَّاج ضيوف الله وتحت رعايته وحمايته ؟

أما يخافون من عقاب العزيز الجبار ؟

أما يعلمون أنهم فى بقاع مقدَّسة حرَّمها الله ورسوله وحرَّم فيها البغى والإيذاء ، ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ؟ (١) .

أما يعلمون أنهم فى بلد يحكم بما أنزل الله ويقيم حدود الله ؟

---

(١) سورة الحج : ٢٥

فاتقوا ربكم أيها الناس ، إنه يمهل ولا يُهمل : ﴿ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١) ، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٢) .

عباد الله . . إن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه وثنَّى بملائكته ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

فصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

* * *

(١) سورة هود : ١٠٢

(٢) سورة إبراهيم : ٤٢ - ٤٣

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٢ - الاشتراط عند الإحرام [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الجوَّاد الكريم .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . خَلَقَ فقَدَّر وشَرَّع فيَسَّر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

ففي هذه الأيام المباركة فى أشهر الحج يتحرك شعورُ كلِّ مسلم لنداء سمعناه وأجبناه حينما كنا فى أصلاب الآباء ، إنه نداء أبينا إبراهيم عليه السلام حيث نادى بأمر ربه : يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه [٢] ، فأجابه مَن فى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات : لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك . إنَّ كل مؤمن تتحرك مشاعره ويتشوَّق إلى بيت الله الحرام ، ذلك البيت الذى جعله ربه مثابة للناس وأمناً ، وجعله مباركاً وهدى للعالَمين [٣] .

فهنيئاً لمن دعاه مولاه فأجاب وأحسن الوفادة وتأدب بآداب الضيف المكرم ،

---

(١) ألقيت يوم ١٣/١١/١٤٠١ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة الحج .

(٣) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

وسار على برنامج الزيارة الصحيحة الذى وضعه الداعى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (١) .

يُستحَب لمن أراد الإحرام أن يغتسل ويتنظف ويتطيب قبل الإحرام ، ويُصلِّى ركعتين يُحْرِم بعدهما أو بعد صلاة فريضة ، ويجوز له أن يشترط ، فيقول : اللَّهُمَّ إنى أُريد نُسُك كذا - يُسمى النُّسُك الذى يريده : عُمْرة أو حَجّاً ، أو عُمْرة متمتعاً بها إلى الحج ، أو حَجّاً وعُمْرة ويقول : فيسِّره لى وتقبله منى ، فإن حبسنى حابس فمحلى حيث حبستنى (٢) ، فإذا اشترط وحصل له مانعٌ يُبيح التحلل ، تحلَّلَ ولا شىء عليه لأن النبى ﷺ قال لضباعة بنت الزبير حين قالت : إنى أُريد الحج وأجدنى وَجِعة ، قال : « حجى واشترطى وقولى : اللَّهُمَّ محلى حيث حبستنى » (متفق عليه) (٣) .

والأنساك الثلاثة كلها جائزة : الإفراد والقِران والتمتع ، لأن النبى ﷺ خيَّر أصحابه فى حَجَّة الوداع بين هذه الأنساك ، فمنهم من أهَلَّ بحج ، ومنهم مَن أهَلَّ بحج وعُمْرة ، ومنهم من أهَلَّ بعُمْرة . وكان صلى الله عليه وسلم قارناً

---

(١) سورة الحج : ٢٦ - ٢٩

(٢) إشارة إلى حديث ضباعة بنت الزبير رضى الله عنها : مسلم برقم (١٠٤) خاص وعام (١٢٠٧) .

(٣) مسلم برقم (١٠٥) خاص بسياق آخر من حديث ضباعة بنت الزبير رضى الله عنها .

على الأصح ، وساق معه الهَدْى وبقى فى إحرامه حتى نحر هَدْيه [١] ، وما كان الله ليختار لنبيه إلا نُسُكاً جائزاً .

وأما أمره - صلى الله عليه وسلم - مَن لم يسق الهَدْى بالتحلل إلى عُمْرة فلبيان أن العُمْرة فى أشهر الحج جائزة للرد على الذين كانوا يُحرِّمونها ، ولبيان جواز التحلل من الحَجِّ إلى العُمْرة تسهيلاً على أُمته - صلى الله عليه وسلم - ، فليس فى ذلك حُجَّة لمن أبطل القران والإفراد ، والله تعالى يقول : ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ [٢]، فخيَّر بين النُّسُكين .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، لا تُضيِّقوا أمراً جعله الله واسعاً ، ولا تُعسِّروا أمراً جعله الله ميُسَّراً .

عباد الله ؛ إن للحَجِّ والعُمْرة آداباً وأعمالاً ، فإذا أحرم المسلم فقد ألْزَمَ نفسه بأعمال لا بد أن يُتمها ، وألزم نفسه باجتناب محظورات الإحرام .

فأما أعمال العُمْرة فهى : الإحرام من الميقات لمن كان خلفه ، أو من الحِلِّ لمن كان دونه ، والطواف ، والسعى ، والحلق أو التقصير .

وأما أعمال الحج فهى : الإحرام من الميقات ، والوقوف بَعَرفة يوم التاسع من شهر ذى الحِجَّة ، والمبيتُ بمزدلفة ليلة العاشر ، ورميُ جَمْرة العَقَبة ، والطوافُ ، والسعىُ ، ونحر هَدْى القارن والمتمتع ، ثم رمى الجمار أيامَ التشريقُ ، والمبيتُ بمِنَى ليالى التشريق ، ثم الوداع .

وأما محظوراتُ الإحرام - أى الممنوعات وقت الإحرام - فهى تسعة : لُبْسُ المخيط ، وتغطيةُ الرأس - إلا المرأة فتلبس المخيط وتغطى رأسها ، وحلق

---

(١) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى الطويل ، أخرجه مسلم فى الصحيح برقم (١٤٧) خاص ، وابن ماجه والإمام أحمد فى المسند .

(٢) سورة البقرة : ١٥٨

الشَّعْر ، وتقليم الأظافر ، ومسُ الطيب ، فهذه الخمسة مَن فعل شيئاً منها فعليه فدية يُخَيَّر بين ثلاثة أشياء : صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين ، أو نُسُك .

السادس : قتل الصيد البرى ، فمَن قتل صيداً فعليه الجزاء ، يُخَيَّر بين ثلاثة أشياء : إما جزاء مثل ما قتل من النَّعَم ، أو تقديرُ قيمته ويشترى بها طعاماً يُوزَّع على فقراء الحرم ، أو يصوم عن كل مُدِ طَعَامٍ يوماً .

السابع : عقد النكاح ، فمَن تزوَّج وهو مُحْرِم فالنكاح باطل ولا كَفَّارة .

الثامن : الجِماع ، فمَن جامعَ قبل التحلل الأول فسد حجه ، وعليه بَدَنَةٌ والمضى فى الفاسد ، وقضاؤه من قابل ، وإن كان بعد التحلل الأول فعليه بَدَنَة وحجه صحيح ، لكن إن لم يكن طاف طواف الإفاضة أحْرَم من الحِلِّ ليطوف مُحْرِماً .

والتاسع : المباشرة ، فإن باشر فأنزل فعليه بَدَنَة ، وإن لم ينزل فعليه شاة .

والتحلل الأول يحصل بفعل اثنين من ثلاثة أشياء وهى : رمىُ جمرة العقبة ، والطوافُ بالبيت ، والحلقُ أو التقصير ، فإذا فعل اثنين من هذه الثلاثة فهو التحلل الأول يُباح له كل شىء إلا النساء ، فإذا فعل الثلاثة وذبح فدية التمتع إن كان متمتعاً أو القِران إن كان قارناً فهو التحلل الكامل إلا مَن ساق معه هَدْياً ، فلا يتحلل حتى ينحر هَدْيه (١) .

---

(١) كل هذه المسائل التى أوردها فضيلة الخطيب وفقه الله للخير فى هذه الخطبة مأخوذة من حديث جابر الأنصارى الطويل ، أخرجه مسلم فى الصحيح برقم (١٤٧) ، وغيره من الأحاديث المتفرقة الصحيحة ، فراجع كتب الفقه فى هذا الباب ، والله أعلم ، وقد عقد على حديث جابر الطويل الإمام النووى باباً برقم (١٩) بقوله : باب : حِجَةَّ النبى ﷺ .

فاتقوا الله عباد الله ، وعَظِّموا شعائر الله .

اللَّهُمَّ وفقنا لما تحب وترضى ، ومُنَّ علينا بتعظيم شعائرك وحرماتك ، وألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، واحفظ علينا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التى فيها معاشنا ، وآخرتنا التى إليها معادنا ، وتُبْ علينا واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

أركان الحج

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على هدايته وتوفيقه ، وأشكره على رعايته وآلائه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن دعا بدعوته واتبع سبيله .

أما بعد . .

فإنَّ الحج عبادة روحية بدنية مالية ، فليس مجرد رحلة استطلاعية ولا سياحة ترفيهية ، ولا عادات تقليدية .

وإنما هو اتصال برب الأرباب ، وطاعة لملك الملوك وبرهان على كمال الانقياد لله والاستسلام لأمره ونهيه . الحج تجردٌ لله عن كل المشاغل ، إن البيت محط رحال المثقلين بالذنوب وكل الناس كذلك ، إنه صندوق الوفاء عن المدينين ، فكما أن شهود الإعسار عند القضاء ثلاثة : فموجبات المغفرة ثلاثة : الإقلاع عن الردى ، والندمُ على ما مضى ، والعزمُ على ألا يعود مرة أُخرى .

فهذه فُرْصَتُك أيها المسلم فى هذه البقاع المقدَّسة فى مهابط الوحى ومواقع التنزيل ، أرِقْ دموع الندم على أدران المعاصى تغسلْها ، واستغفر ربك من الخطايا يَغْفِرْهَا ، وتُب إلى الله توبة نَصوحاً يقبلها .

واعلموا - رحمنى الله وإياكم - أن أعمال الحج تنقسم ثلاثة أقسام : أركان ، وواجبات ، وسنن .

فالركن لا يتم الحج إلا به ، والواجب يُجبر إذا تُرِك بدم ، والسُّنَّة يُثَابُ فاعلها ولا يُعاقَب تاركها .

فأما الأركان فهى أربعة على المشهور : الإحرام ، والوقوف بعَرَفة ، وطواف الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة .

وأما الواجبات فسبعة : الإحرام من الميقات لمن كان الميقات بينه وبين مكة ومحاذاته أما مَن كان داخل الميقات فمن منزله ، واجتناب محظورات الإحرام ، والوقوف بعَرَفة إلى اللَّيْل ، وأن يبقى فيها حتي تغرب شمس اليوم التاسع ، والمبيت بمزدلفة إلى نصف الليل ، ورميُ الجمار مرتبة ، والحلق أو التقصير ، وطواف الوداع .

وما عدا الأركان والواجبات فسنن .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ (١) .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، و﴿ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ (٣) .

وصلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

* * *

(١) سورة الحج : ٣٠

(٢) سورة الحج : ٣٢

(٣) سورة هود : ٣

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٣ - أعمال الحج ومحظورات الإحرام [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، طهَّر بيته للطائفين والقائمين والرُكَّع السُجود [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . طيبٌ لا يقبل إلا طيباً ، واحد لا يقبل إلا ما كان له مُوَحِّداً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خيرُ مَن حَجَّ واعتمر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه السادة الغرر ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم المستقر .

أما بعد . .

فقد كانوا فى الجاهلية يقصدون المشاعر المطهَّرة للاجتماع والتظاهر والتفاخر والتفاضل وحضور الأسواق ، لا يقصدون وجه الله ولا يعملون لله ، فليسوا من الله فى شيء ، فأمر تعالى بأن يكون الحج والقصد خالصاً لله لأداء فرضه وقضاءِ حقه ، فقال تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [٤] ، فأبطل أعمال الجاهلية ومقاصدها وجعل العمل لله وحده .

---

(١) ألقيت يوم ١٤٠٨/١١/٢٤ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة ، والآية ٢٦ من سورة الحج .

(٤) سورة البقرة : ١٩٦

فيجب على المسلم أن يقصد بأعماله وأقواله وجْهَ الله ، وأن يبتعد عن أعمال الجاهلية ، فإن الأعمال والقُرْبَ مبناها على النِيَّة والقصد .

روى الإمام البخارى رحمه الله فى صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال وهو على المِنْبَرَ : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنِيَّات وإنما لكل امرئ ما نوى » [١] ، فالعبادات كلها - أقوالها وأفعالها ، فرضُها ونفلها - معتبرةٌ بالنِيَّات . والنِيَّة هى عزم القلب على فعل العبادة ابتغاء وجه الله .

قال القرطبى رحمه الله : لا خلاف بين العلماء فيمن شهد مناسك الحج وهو لا ينوى حَجّاً ولا عُمْرة أن شهودها غير مغن عنه ، وأن النيَّة تجب فرضاً : ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [٢] .

فمَن جاء إلى هذه البقاع المقدَّسة لقصد النشل والسرقة وتتبع غفلات الناس ، ليأخذ أموالهم ظلماً وعدواناً ، فليس له إلا الخزى والعار وإقامة حكم الله عليه : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٣] .

ومَن جاء للإفساد فى الأرض ، وإيذاء ضيوف الله ، وتكدير عَيْشهم وتنغيص أمنهم ، وصدهم عن شعائر حَجهم ، والإلحادِ فى بيت الله ، وانتهاك حُرْمة البِقاع المطهَّرة ، فإن الله يغارُ على حرماته ويحمى بيته ويحرس وفوده وينصر عباده الذين جعلهم فى خدمة الحرمين الشريفين ، فليس للملحد

(١) البخارى : ١/ ٢١ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٠ - ٢٠١

(٣) سورة المائدة : ٣٨

إلا الفشل والخزيُ والعقوبة من الله والبغض من الناس ، وسيقام عليه حكم الله بحوْل الله وقوته : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

وقد استخلف الله فى بقاعه المطهَّرة مَن فيه الكفاية وعنده المقدرة على خدمة الحرمين وحماية مُقدَّسات الإسلام والوافدين إليها ، فإن خادم الحرمين الشريفين وإخوته وحكومته نظامهم القرآن وسُنَّة سيد الأنام ، يحكمون بما أنزل الله ، ويُقيمون حدود الله ، وقائمون بواجب الخلافة فى أرض الله ، والحمد لله على نعم الله . .

أيها المسلم ؛ إنه يشترط لصحة العبادة أن تكون موافقة لهَدْى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ففى الصحيحين عن أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَن أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، وفى رواية : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » (٢) ، أى مردود على صاحبه غيرُ مقبول .

واعلم أيها الحاج الكريم أن الشروع فى الحج أو العُمْرة فرضاً كان أو نفلاً مُلْزم للإتمام : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (٣) ، ولا يتم الحج والعُمْرة إلا بأداء الأركان والواجبات ، فإذا كان إنسانٌ قادماً للحج أو العُمْرة فى الطائرة ، فلما حاذى الميقات أحرم ، فلما نزل فى مطار جدة وُجِّه إلى المدينة المنوَّرة لزيارة مسجد رسول الله ﷺ وللسلام عليه وعلى صاحبيه ، فإن ذلك المُحْرِمَ

---

(١) سورة المائدة : ٣٣

(٢) البخارى مع فتح البارى : ٥/٣٠١ ، باب العلم رقم (٢٦٩٧) .

(٣) سورة البقرة : ١٩٦

يبقى فى إحرامه ، ولا يجوز له أن يعمل شيئاً من محظورات الإحرام ، وهو باق على إحرامه حكماً حتى لو لبس ثيابه العادية ، لأن الإحرام لا يرتفع إلا بالطواف والسعى والحلق أو التقصير ، ومَن خالف فعليه جزاء ما فعل . ولا يُقاس هذا بالإحصار لوجود الفارق . فإن الإحصار هو المنع من الوصول إلى الكعبة المشرَّفة ، والذى توجَّه إلى المدينة المنوَّرة لم يُمنع ، وغاية ما فى الأمر أنَّ المسافة بَعُدَت والمدة طالت قليلاً ، والواجب التنسيق بين الوافدين والمسئول عنهم ، فيخبرهم إلى أين يتوجَّهون ، وعلى الوافد أن يسأل ويتأكد إلى أين يتوجَّه ، فإن كان إلى مكة أحرم وإلا فلا يُحرم .

واعلم أخى الحاج أنَّ للحَجِّ والعُمْرة أركاناً وواجباتٍ وسُنناً ، فأركان الحج أربعة هى : الإحرام وهو نِيَّة الدخول فى النُّسُك ، والوقوفُ بعَرَفة يوم التاسع من شهر ذى الحجة ، وطوافُ الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة .

وواجبات الحج سبعة : أنْ يكون الإحرام من الميقات ، واجتناب محظورات الإحرام ، والبقاء فى عَرَفة يوم التاسع إلى غروب الشمس ، والمبيتُ فى مزدلفة ليلة العيد ، والمبيت فى مِنَى ليالى التشريق ، ورمىُ الجمرات ، والحلقُ أو التقصير .

وأركان العُمْرة ثلاثة : الإحرام ، والطواف والسعى وواجباتها ثلاثة : أن يكون الإحرام من الميقات ، واجتناب محظورات الإحرام ، والحلق أو التقصير .

وما عدا الأركان والواجبات من أعمال الحج والعُمْرة فسُنَن .

فمَن ترك ركناً وجب عليه الإتيان به وما بعده إن أمكن ، وإن لم يمكن الإتيان به مثل فوات يوم عَرَفة تحلَّل إلى عُمْرة .

ومَن ترك واجباً جَبَره بفدية ، ومَن ترك سُنَّة فاته ثوابها ولا شىء عليه ، ومتى دخل المسلم فى الإحرام وهو نِيَّة النُّسُك وجب عليه تجنب تسعة أشياء ،

فيحرم عليه قص الشَّعْر والأظافر ، ومسُّ الطيب ، وقتلُ صيد البر ، وعقدُ النكاح ، والمباشرة ، والجماعُ . وهذه يستوى فيها الرجل والمرأة . ويُحَرَّم على الرجل لُبس المخيط إلا من ضرورة ، وتغطية رأسه بملاصق للترفه ، وأشد هذه المحظورات خطراً على المُحْرم : الجماع ، فإنه إذا جامعَ قبل التحلل الأول فسد حَجُّه ولزمه ثلاثة أشياء : المضى فى هذا الحج الفاسد حتى تنتهى أعماله ، والفدية بَدَنَةٌ ، وقضاء هذا الحج الفاسد فى العام القادم .

والتحلل الأول يكون يومَ العيد إذا فعل الحاج شيئين من ثلاثة : رمى جمرة العقبة ، والحلق أو التقصير ، وطواف الإفاضة والسعى ،. فإذا رمى وحلق تحلَّل الحل الأول .

وأما الجِماع بعد التحلل الأول فيوجب الفديةَ بَدَنَةً وحَجُّه صحيح ، لكن إن لم يكن طاف طواف الإفاضة أحرم ليطوف فى إحرام صحيح ، والجِماع قبل التحلل الأول مفسد للحج ، ويجب المضى فى الفاسد وقضاؤه من قابل .

وبقية المحظورات توجب الفِدْية فقط إلا عقد القران فلا فدية وإنما يبطل العقد .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حُسْن الاقتداء بنبينا محمد ﷺ وحُسْن العمل وحُسْن الثواب ، ونسألك حَجّاً مبروراً وسعياً مشكوراً وعملاً صالحاً مقبولاً ومغفرةً لذنوبنا ، ونسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة الحج : ٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

كل فرد من المسلمين جزء منهم

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .. والعاقبة للمتقين (٢) ولا عدوان إلا على الظالمين (٣) .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ، اتقوا ربكم وراقبوه فإنكم فى قبضته وتحت قهره وخاضعون لإرادته ، لا مَفَرَّ منه ولا ملجأ إلا إليه ، اصدقوا مع الله فى الأقوال والأفعال ، وتمسَّكوا بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ففيهما السعادة والعِزَّة والنجاة ، واعلموا أنَّ الله يعلم سرائركم كما يعلم ظواهركم لا تخفى عليه منكم خافية .

إنَّ كل فرد من المسلمين جزءٌ من هذه الأُمَّة المسلمة يهتم بأُمورها ، ويحافظ على كرامتها وسيادتها ، ويتأثر بالمؤثرات فيها ، فرحاً أو حزناً ، وكل فرد منها يعتبر حارساً لها ، فيجب التعاون والتضافر ، وحرص كل فرد ألَّا يؤتى

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٨ من سورة الأعراف .

(٣) إشارة إلى الآية ١٩٣ من سورة البقرة .

الإسلام والمسلمون من جهته : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى » (١) ، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (٢) ، « ليس منا من لم يهتم بأمور المسلمين » ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٣) .

وصَلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

* * *

(١) رواه مسلم في صحيحه ، وأحمد في مسنده ، عن النعمان بن بشير ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير برقم (٨١٥٥) ورمز له بالصحة .

(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، والترمذي والنسائي في سننهما ، عن أبي موسى ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير برقم (٩١٤٣) ورمز له بالصحة .

(٣) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأحمد في مسنده ، كما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، عن أنس ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير برقم (٩٩٤٠) ، ورمز له بالصحة .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤ - عند بيت الله تُحَطّ الآثام (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ۝ الرحمن الرحيم ۝ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن تعاليمَ الإسلام لها نفوذٌ روحانيٌ إلى القلوب الواعية ، كنفوذ الماء وتأثيره فى الأرض الطيبة الصالحة للنبات ، يُرويها ويُحييها ويُكسبها نضرةً ورواءً ، تتفتح أزهارُها ، وتَخرُج ثمارُها .

وإن الحج والعُمْرة لهما أثر عظيم فى النفوس الطيبة ، ولهما تأثيرٌ فى سلوك المسلم الفاهم الواعى ، فقد جمعا بين أنواع العبادة الثلاثة ، فهماً عبادةٌ روحيةٌ ماليةٌ بدنيةٌ ، وفيهما تتجلى آثار الإيمان وتظهر معالمُ الطاعة والانقياد لله تبارك وتعالى .

فالحاجُ يتحمل التعبَ والمشقةَ والفُرْقةَ وبذلَ المال فى سبيل الله رغبةً فى

---

(١) ألقيت يوم ١١/١١/١٣٩٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

الوصول إلى بيت الله والمشاعر المطهَّرة تنفيذاً لأمر الله لأداء فريضة الله ، حتى إذا وصل إلى هذه الرحاب الطاهرة والمشاعر المقدَّسة وتذوَّق طعم مناجاة الله عند بيت الله ، وحطَّ أثقاله من الذنوب والآثام فى رحاب أرحم الراحمين ، وأراق دموع الندم على إهماله وتفريطه فى جنب الله ، وطلب الإقالة والمغفرة من الله ، وخلعَ ثوب المعصية ولَبس حُلَّة التوبة طاهراً نقياً نظيفاً ، وتذكر قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١) ، حينئذ تحسُ نفسُ المؤمن بالفخر والعزَّة ، وتتشوَّق إلى منزلة أعلى ، ومكانة فى العبودية أفضل ، يتشوَّق إلى القُرْب من رب البيت ، يتشوَّق إلى رؤية رب الكعبة ورب محمد ﷺ . وهذا الشعور وهذا التشوق يُغيِّر مجرى حياة المسلم من الغفلة إلى اليقظة ، ومن الانحراف إلى الاستقامة ، ومن المعصية إلى الطاعة ، يُغيِّر مجرى حياة المؤمن من الطُّرق المظلمة المنحرفة إلى صراط الله المستقيم ، إلى طريق الله النيِّر المبين ، فيرجع إلى بلاده بقوة إيمان وثبات على فضائل الإسلام ، يرجع بعهد بيْنه وبين ربه ألا يعود فى معصيته ، يرجع بعزيمة صادقة ألا يخرج من صراط الله المستقيم .

أخى المسلم ؛ إنَّ الحج يشتمل على مصالح عامة للمسلمين ، فى أُمور الدنيا والدين ، فهو تجمع إسلامى سنوى مفتوح لجميع الأجناس والطبقات من جميع أهل الأقاليم والقارات : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ (٢) ففى هذه الأيام يتحركُ الشعور الإسلامى فى نفس كل مسلم ويتشوَّق إلى حَجِّ بيت الله

---

(١) سورة الزمر : ٥٣

(٢) سورة الحج : ٢٧ - ٢٨

الحرام إجابة لهذا النداء الخالد ، فيفدُ إلى هذه البقاع المقدَّسة مَنْ قَدَّر اللهُ له زيارة بيته ، لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك ، لَبَّيْك لا شريك لك .

يجب على قاصد بيت الله أن يعلم أنه متوجه إلى الله ، فيجب أن يُعَلِّق قلبه بالله ، وأن تكون مناجاته مع الله ، ودعواته وطلب حاجاته من الله وحده دون مَن سواه ، فهو سبحانه مجيبُ الدعوات ، وهو قاضى الحاجاتِ ، وهو سبحانه وحده كاشفُ الكربات ، وعالمُ الخفيَّات ، وأما مَن سواه فكلهم خلقه وعبيده ، فقراء إليه ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله .

فالتزم أيها الحاج جانب الأدب مع الله فى بقاعه المقدَّسة وفى مهابط وحيه ، لا تصرف شيئاً من حق الله إلى غيره ، إذا استعنتَ فاستعن بالله وإذا سألتَ فاسأل الله ، ولا تطلب المدد والغوث إلا من الله ، فهو الذى بيده نفعك وضرك ، وبيده حياتك وموتك ، وبيده سعادتك وشقاوتك ، وبأمره صحتك ومرضك ، فاتق الله حيثما كنت ، وكن مسلماً حقاً فاهماً لدينك وشريعة نبيك محمد ﷺ .

يجب على من فَرَض الحجَّ أن يتجنب حال الإحرام ثلاثة أُمور ، وهى : الرَّفث ، والفسوق ، والجدال . .

فأما الرَّفَث : فهو الجِماع ودواعيه ، فإن الجِماع مفسدٌ للحج والعُمْرة ، وموجب للمضى فى الفاسد وقضائه .

وأما الفسوق : فهو الخروجُ عن الطاعة ، ويدخل تحته جميع محظورات الإحرام ومفسداته ، كما يدخل تحته جميع المعاصى والمنكرات ، فيحرم اقتراف شيء من الآثام كالمسكرات والمخدرات والملاهى المحرَّمات والكذب والغش والخداع والزنا واللُّواط وأكل أموال الناس بالباطل . . . وما إلى ذلك مما حرَّمه الإسلام .

وأما الجدال : فهو المراء والمفاخرة ، والتَّعَنُّت سواءً فى مسائل العلم والدين أو فى أُمور الدنيا ، لأن الجدال يُورث الشحناء والخلاف والانشقاق والفُرْقة ، وهذا لا يتفق مع مقاصد الحج ومحاسنه ، فإنه يدعو إلى التآخى والتعارف والتعاون والتكاتف ، ولا يكون الحج مبروراً إلا إذا كانت أعماله كاملة تامة ، خالٍ من الرَّفث والفسوق والجدال .

فاحرص أيها الحاج على أن تكون عُمْرتك وحَجّك مبروراً .

« الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنَّة » (١) ، « مَن حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أُمه » (٢) .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حجاً مبروراً ، وذنباً مغفوراً ، وعملاً صالحاً مقبولاً .

اللَّهُمَّ إنَّا نسلك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس ، وأحمد فى المسند عن جابر بن عبد الله ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٣٧٩٣) ، ورمز له بالصحة .

(٢) رواه أحمد فى المسند ، والبخارى فى صحيحه ، والنسائى فى السنن الكبرى ، وابن ماجه فى سننه ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٨٦٣٦) ، ورمز له بالصحة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تؤخذ أعمال الحج من كلام الرسول ﷺ

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الواحد المعبود ، واسع الفضل والجود .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، خلق فقدر ، وشرع فيسر .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسولهُ وخيرته من خلقه .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [١] .

أيها المسلمون ؛ إن للحج والعُمْرة أعمالاً وصفات لا بد من أدائها كما وردت عن النبى ﷺ ، حيث قال : « خذوا عنى مناسككم » [٢] ، فيجب على الحاج أن يتعرف على أعمال نُسُكه من أهل العلم والمعرفة ، وقد جعلت حكومة هذه المملكة أعزَّها الله فى الحرمين الشريفين وفى كل ميقات من مواقيت الإحرام علماءَ يرشدون الناس ويُعلِّمونهم أعمال نُسُكهم ويُوجهونهم إلى الطريق الصحيح : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣] ، ولا تأخذ أيها الحاج قول كل واحد ، فمن الناس مَن يكون غير مبال بحجك ، إنما همه دنياه ، ومنهم مَن يكون مخطئاً ، ومنهم الجاهل بأعمال الحج .

---

(١) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١

(٢) رواه أبو داود فى سننه .

(٣) سورة النحل : ٤٣

فأعمال العُمْرة هى : الإحرام من الميقات لمن مَرَّ عليه أو حاذاه ، أما مَن كان دون الميقات فمن مكانه من الحِلِّ ، واجتناب محظورات الإحرام ، والطوافُ بالكعبة المشرَّفة سبعةَ أشواط ، والسعىُ بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، الذهاب سعيةٌ والإياب سعيةٌ أخرى ، وحلقُ شعر الرأس للذكر أو التقصير له وللمرأة .

أما أعمال الحج فهى : الإحرام من الميقات لمن مَرَّ عليه أو من محاذاته ، ومَن كان دونه فمن مكانه حتى أهل مكة من منازلهم ، واجتنابُ محظورات الإحرام ، والوقوفُ بعَرَفة يوم التاسع من شهر ذى الحجة حتى غروب الشمس ، والمبيت بمزدلفة ليلة العيد ، ليلة العاشر من ذى الحجة ، ورمىُ جمرة العقبة يوم النحر بسبع حصيات ، وطوافُ الإفاضة بالبيت ، والسعىُ بين الصفا والمروة ، وحلق شعر الرأس ، ونحرُ هَدْى التمتع ، والمبيتُ بمِنَى ليلتى اليوم الأول والثانى من أيام التشريق ، ورمىُ الجمرات الثلاث فى أيام التشريق بعد الزوال ، كلٌّ واحدة بسبع حصيات ، يبدأ بالأولى وهى التى تلى مسجد الخَيف فى مِنَى ، ثم الوسطى ، ثم جمرة العقبة تكون هى الأخيرة فى اليوم الثانى والثالث ، وأخيراً طوافُ الوداع لمن أراد السفر من مكة .

فالحمد لله الذى شَرَّع فيَسَّر ، وخلَق فقَدَّر .

وصَلُّوا على البشر النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

المقام المحمود والحوض المورود ، وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبيك أُمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ..... إلى آخر الدعاء .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١٥ - اجتناب الرَّفَث فى الحج (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .. جعل الإيمان لعباده حرزاً وحصناً ، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمناً .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، هدانا للإسلام رحمةً منه وفضلاً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه رحمةً للعالَمين مُعَلِّماً ، ولمكارم الأخلاق متمماً .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واقتفى .

أما بعد ..

فإن حال المسلم إذا كان فى عبادة يناجى الله غيرُ حاله إذا كان فى أعماله ، ففى حال العبادة ومناجاة الله ينبغى أن يكون على أكمل الآداب وأفضل الأخلاق وأجمل الأحوال ، لا سيما فى جوار بيت الله الحرام وفى مشاعر الحج الذى هو ركن من أركان الإسلام ، حيث يكون العبد مقبلاً على الله ، متجرداً من عاداته ، متقشفاً فى كل أحواله ، مُبتعداً عن المفاخرة والمباهاة ، متجنباً الفوارق والمميِّزات .

---

(١) ألقيت يوم ٢٩/ ١١/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

قال تبارك وتعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ (١) .

نصت الآية الكريمة على نفى الأنواع الثلاثة حال الإحرام مع وجود محظورات أُخرى ، لأن هذه الثلاثة هى أصول الممنوعات فى الإحرام ، وهى أساس الخبث والشر ، ولأن الاختلاط والتجمعات فى المشاعر مظنَّة لوجودها ، وجاء التنصيص عليها بصيغة النفى : ﴿ فلا رفث ﴾ لبيان أنَّ الشرع حَرَّم وجودها حال الإحرام ، أى لا توجد مشروعةً ، فإن وُجدَت محسوسة فهو على خلاف الشرع كقوله تعالى ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٢) : أى فى حكم الشرع ، وقد يمسه غير متطهر على خلاف الشرع .

وفى إيراد النص بصيغة النفى للمبالغة فى النهى والتأكيد على أن ذلك حقيق ألا يكون ، فإن ما كان منكراً مستقبحاً فى ذاته ، ففى حال الإحرام بالحج أقبحُ ، كلُبس الحرير والذهب للرجل فى الصلاة .

فمعنى الآية الكريمة على هذا : ﴿ فلا رفث ﴾ : أى لا تَرْفثوا ولا تفسقوا ، ولا تجادلوا ، كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ﴾ (٣) : أى لا ترتابوا فيه .

والآداب تختلف باختلاف الزمان والمكان .

فإذا كان المرء فى ملإٍ فله آداب تتميز عن آداب الخلوة مع الأهل والأولاد ، ويُقال فى مجلس الإخوان ما لا يُقال فى مجلس السلطان ، فلكل مقام مقال ، وأعلى مقامات العبد إذا كان فى عبادة الله بالقُرب من بيت الله وحرمه ، وفى

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) سورة الواقعة : ٧٩

(٣) سورة البقرة : ٢

مشاعره المطهَّرة ، يناجى ربه ويُوحِّده ويُعظِّمه ويُقدِّسه ويُلَبِّى نداءه ، فيجب أن يكون المسلم فى تلك الحال على أحسن الآداب ، وأكمل الأخلاق ، وأتم الخضوع لله والانقياد ، بقى أن يعرف معنى الرَّفَث والفسوق والجدال ليجتنبها .

فالرَّفَث : هو الجماع ودواعيه ، كما قال سبحانه : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ (١) .... الآية ، فيدخل فى مسمى الرَّفَث الجِماع ودواعيه من القُبْلة والمباشرة والتَّحدُّثُ بها فى حضرة النساء .

وقد يأتى الوسواس إلى الحاج ، فيقول له : جامعِ امرأتك وأنت مُحْرِم فى تلك المشاعر لتحصل البركة ، وهذه دسيسة من إبليس ليوقعه فى معصية الله ، فالبركة لا تُنال بما حرَّم الله ورسوله ، وإنما تكون فيما أحَلَّ الله ورسوله ، والجِماع حال الإحرام مُحَرَّم ، فمَن جامع وهو مُحْرِم قبل التحلل الأول فأولج - سواء أنزل أم لم ينزل - فقد عصى ربه وأطاع هواه وترتب عليه أربعة أشياء : فسد حجه ، وعليه بَدَنَة ، ويلزمه المضى فى ذلك الحج الفاسد فيعمل ما يعمل الناس ، ويقضيه من العام المقبل . فمَن لم يجد بَدَنَة فبقرةً أو سبعَ شِياه ، فمَن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله .

أما إن جامَعَ بعد التحلل الأول ، فقال البعض : لزمه ذبح شاة ، وبعضهم قال : بَدَنَة ، لكن إن لم يكن طاف طواف الإفاضة أحرم من الحِلِّ وطاف ليكون طواف الإفاضة فى إحرام صحيح .

والتحلل الأول يكون يومَ العاشر من شهر ذى الحجة بعد العودة إلى مِنَى من عرَفات ومزدلفة إذا فعل شيئين من ثلاثة وهى : رمى جمرة العقبة ، والحلق أو التقصير ، وطواف الإفاضة ، فإذا فعل شيئين منها حَلَّ التحلل

---

(١) سورة البقرة : ١٨٧

الأول وحَلَّ ما كان محظوراً عليه إلا الجِماع ، فإذا أتى بالثلاثة كلها حَلَّ الحل كله وحَلَّ له كل ما كان ممنوعاً منه للإحرام .

أما إن باشر بأن قَبَّلَ أو ضَمَّ أو لمس قبل التحلل الأول ، فإن أنزل فعليه بَدَنة وحَجّه صحيح ، وإن لم ينزل فعليه شاة .

وأما الفسوق : فهو الخروج من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، وهو مُحْرِم وقت الإحرام وغير الإحرام فى المشاعر وغيرها ، لكن حال الإحرام آكد .

فيدخل تحت مسمى الفسوق جميعُ المعاصى كبيرها وصغيرها ، فمحظورات الإحرام كلها من الفسوق ، ودعاء غير الله ، والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وطلب الغوث والمدد من غير الله حياً كان أو ميتاً ، وطلب الولد ، وتسهيل الأمور من غير الله كلها من الفسوق .

والجدال : هو المغالبة فى أمر من الأُمور ، فيدخل تحته الخلافُ والشِقاق على المنازل وعند الماء وعند الجمرات وعند مقاعد السيارات .

والحج المبرور هو الذى يُطاع الله فيه ولا يُعصى . روى الإمام البخارى رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أُمه » (١) : أى ليس عليه ذنب » .

ولما نهى الله تعالى عما لا يليق حال الإحرام ، أخبر بأن عمل الخير موكول إليه يعلمه ويُثيب عليه : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ (٢) ومع

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده ، والنسائى وابن ماجه فى سننهما ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٨٦٢٦) ورمز له بالصحة .

(٢) سورة البقرة : ١٩٧

أن الله تعالى يعلم الخير والشر ونص على علم الخير تنبيهاً بأنه يشكر الخير ويُظهره ويُثيب عليه ، ويستر الشر ويغفره .

فاتقوا الله أيها المؤمنون واشكروه على هدايته وتيسيره .

اللَّهُمَّ لك الحمد ربنا على الجود والإحسان .

اللَّهُمَّ أعِنَّا على شكرك وعلى ذكرك وحسن عبادتك ، ووفقنا للعمل بأوامرك واجتناب نواهيك ، ونسألك حُسْن الأدب فى جوار بيتك ، وجوار رسولك محمد ﷺ .

ونسألك حَجّاً مبروراً ، وعملاً صالحاً مقبولاً ، وإعانة منك وتوفيقاً ، وتيسيراً وتسهيلاً ، ورحمة ورضواناً .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا يجب على المسلم إذا دخل العشر

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدِك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم نلقاه .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ، فما خاب مَن اتقى ، وما أفلح مَن اتبع الهوى .

ثم أُذَكِّركم إخوتى فى الله بما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن أُم المؤمنين أُم سَلَمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل العشر - أى عشرُ ذى الحجة - وأراد أحدكم أن يُضَحِّى فلا يمس من شعره وبَشَره شيئاً » ، وفى رواية : « حتى يُضَحِّى » (٢) .

قال النووى رحمه الله : والمراد بالنهى عن أخذ الظُّفُر والشَّعر : النهىُ عن

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) مسلم : ٣/١٥٦٥ : الأضاحى (٤٠) ، وأحمد : ٦/٢٨٩ : التراث ، والبيهقى : ٩/٢٦٦

إزالة الظُّفُر بِقَلْمٍ أو كسرٍ أو غيره ، والمنعُ من إزالة الشعر بحلق أو تقصير أو نتف أو إحراق أو أخذه بنوره - أو بأى مزيل آخر - وسواءً شعرُ الإبط والشارب والعانة والرأس وغير ذلك من شعور بدنه . وحكم أجزاء البدن كلها حكمُ الشعر والظفر ، تشبُّهاً بالمُحْرِمِ فى بعض محظوراته .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [١] .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٦ - تشوق المسلم لمعرفة حَجَّة النبى ﷺ [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [٢] .. والعاقبة للمتقين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن المسلم يتشوَّق إلى معرفة دينه وهَدْى نبيه محمد ﷺ ، ويتطلعُ إلى ما يُقَرِّبه إلى ربه ليكون على بصيرة فى صلته بربه وعلى منهج قويم فى عباداته .

والمسلم يعلم حقاً أن أقوم طريق يوصل إلى الله تعالى ، وأن أعظم وسيلة تُقَرِّب إليه سبحانه هو طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [٣] ، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [٤] .

وإن المسلمين فى أشهر الحج المباركة إذ يتهيئون لحج بيت الله الحرام ، أشد تشوقاً إلى معرفة صفة حَجَّة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ليحصل لهم

---

(١) ألقيت يوم ٦/١١/١٣٩٦ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة النساء الآية : ٨٠ ، وتمامها : ﴿ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾ .

(٤) آل عمران الآية : ٣١ ، وتمامها : ﴿ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

إصابة الاقتداء به ، وثواب الاهتداء بهَدْيه ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

لقد حَجَّ صَلَّى الله عليه وسلم بعد الهجرة وبعد ما فُرِضَ الحج حَجَّة واحدة وهى حِجَّة الوداع ، فخرج من المدينة قاصداً الحجَ فى آخر شهر ذى القعدة سنة عشر من الهجرة (١) .

فأحرم من ذى الحليفة قارناً وساق معه الهَدْى ولبَّى فقال : « لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك ، لَبَّيْك لا شريك لك لَبَّيْك ، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ، فلما دخل - صلى الله عليه وسلم - المسجد الحرام قصد البيت حتى إذا حاذى الحجر السود استلمه ، وطاف بالكعبة سبعة أشواط وكان يقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (٢) وكلما حاذى الحجر الأسود أشار إليه أو استلمه بالمحجن وقَبَّله ، فلما فرغ من طوافه صَلَّى خلف المقام ركعتين ، ثم خرج إلى الصفا ، فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبله وقال : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إلَه إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ، ثم دعا ، كرر ذلك ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة ، فلما انصب فى الوادى أسرع حتى جاوزه ، فلما وصل إلى المروة رقى عليها واستقبل البيت ، وفعل كما فعل على الصفا ، وكان صلى الله عليه وسلم خَيَّرَ أصحابه عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة ، ثم ندبهم فى الطريق إلى جعلها عُمْرة ، فلما أكمل سعيه عند المروة ، أمر مَن لا هَدْى معه أن يجعلها عُمْرة ويتحلل الحل كله .

---

(١) زاد المعاد : ٢/١٠١ ، حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

(٢) سورة البقرة : ٢٠١

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لما سُقت الهَدْى ولجعلتها عُمْرة » (١) .

فلما كان اليوم الثامنُ من ذى الحجة أحرم مَن كان حَلَّ من مكانه ، وخرج صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون إلى مِنَى وبات فيها ، فلما طلعت الشمس يوم التاسع سار من مِنَى إلى عرفة ، وكان من أصحابه الملبِّى ، ومنهم المكبِّر ، وهو يسمع ذلك ولا ينكر .

فلما وصل إلى نمرة نزل بها ، فلما زالت الشمس ركب ناقته حتى أتى وادى عُرنة فخطب الناس فقرَّر قواعد الإسلام ، وهدم قواعد الشِّرك ، وأبطل أعمال الجاهلية ، وقرر تحريم الدماء والأعراض والأموال ، وأوصى بالنساء خيراً ، وذكر الحق الذى لهن والحق الذى عليهن ، وأمر بالاعتصام بكتاب الله تعالى ، وأخبر بأنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين به ، واستشهد الناس على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة والنُصْح للأُمَّة ، فشهدوا له فأشهد الله عليهم ، فلما أتم خُطبته - عليه الصلاة وأزكى السلام - أمر بلالاً فأذَّن ، ثم صَلَّى الظهر والعصر جمعاً وقصراً ، فلما فرغ ركب ناقته حتى أتى موقفه فى ذيل الجبل عند الصخرات وقال : « وقفت ههنا وعَرَفة كلها موقف » ، وأمرهم بالارتفاع عن بطن عُرنة ، وأخذ - صلى الله عليه وسلم - فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله ، رافعاً يديه كاستطعام المسكين وهو مستقبل القِبْلة ، وكان من دعائه يوم عَرَفة : « لا إلَه إلا الله وحد لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير » ، فلما غربت الشمس أفاض من عَرَفة يُلَبِّى ويأمر بالسكينة والهدوء ، فلما وصل إلى مزدلفة صَلَّى بها

---

(١) جزء من حديث رواه أبو داود فى باب « صفة حَجَّة النبى ﷺ » ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، وفى الباب عن عائشة رضى الله عنها .

المغرب والعشاء جمعاً وقصراً ثم نام ، وأذن لضعفة الناس بالانصراف من مزدلفة عند غياب القمر تلك الليلة ، فلما طلع الفجر صَلَّى الصبح فى أول الوقت ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام فاستقبل القِبْلة وأخذ فى الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل والذِكْر حتى أسفر جداً ، وقال : « وقفت ههنا ومزدلفةٌ كلها موقف » ، ثم سار إلى مِنَى ، وأمر عبد الله بن عباس أن يلتقط له حصى الجمار ، فأخذ سبع حصيات من حصى الخذف فجعل صلى الله عليه وسلم ينفضهن فى كفه ويقول : « بمثل هؤلاء فارموا وإياكم والغلو فى الدين ، فإنما أهلك مَن كان قبلكم الغلوُ فى الدين » ، وكان يُلَبِّى فى طريقه حتى أتى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس يوم العيد ، فرماها بسبع حصيات الواحدة تلو الأُخرى يُكَبِّر مع كل حصاة ، ثم رجع إلى مِنَى ، وخطب خطبة عظيمة بليغة ، فتح الله لها أسماع الناس حتى سمعه جميع أهل مِنَى فى منازلهم ، وقال فى خطبته : « اعبدوا ربكم ، وصَلُّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنَّة ربكم » ، وبيَّن حُرْمة يوم النحر وفضله عند الله تبارك وتعالى ، وحُرْمة مكة على جميع البلاد ، ثم انصرف إلى المنحر فنحر هَدْيه ، وقال : « نحرت ههنا ومِنَى كلها منحر ، وفجاج مكة كلها طريق ومنحر » ، فلما كَمُلَ نحرُ هَدْيه حَلَقَ رأسه ، ثم أفاض إلى مكة قبل الظهر يوم العيد ، فطاف طواف الإفاضة ثم رجع إلى مِنَى فبات بها ، فلما أصبح انتظر زوال الشمس ، فلما زالت نزل إلى الجمار فبدأ بالأُولى وهى التى تلى مسجد الخَيْف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة ، يُكَبِّر مع كل حصاة ، ثم تقدَّم إلى الجمرة الثانية وهى الوسطى فرماها بسبع كذلك ، ثم تقدَّم إلى الجمرة الثالثة وهى العقبة فرماها بسبع حصيات يُكَبِّر مع كل حصاة .

ولم يتعجَّل - صلى الله عليه وسلم - بل أكمل أيام التشريق الثلاثة يرمى الجمرات الثلاث فى كل يوم بعد الزوال ، ثم أفاض إلى مكة وطاف طواف

الوداع ثم ارتحل راجعاً إلى المدينة . قد بيَّن لأُمته أعمال الحج وشرَّع لهم وأوصاهم ورغَّبهم وأمرهم ونهاهم ، قد أكمل الله له ولأُمته دينهم وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الإسلام ديناً : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ انفعنا بالقرآن العظيم وبهَدْى رسولنا الأمين .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الهداية والقول السديد ، ونسألك التوفيق والعمل الرشيد ، ونسألك الفوز والنجاة يوم الوعيد ، واغفر لنا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة المائدة : ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الأنساك الثلاثة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذى هدانا للإسلام . . وما كنا لنتهدى لولا أن هدانا الله [١] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخِيرته من خلقه .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [٢] .

لقد سمعنا فى صفة حَجَّة النبى ﷺ أنه خَيَّرَ أصحابه عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة ، وهى التمتع والإفراد والقران ، فكان منهم مَن أهَلَّ بعُمْرة ، ومنهم مَن أهَلَّ بحَجٍّ وعُمْرة ، ومنهم مَن أهَلَّ بحَجٍّ ، ثم أمر صلى الله عليه وسلم مَن لم يكن معه هَدْى أن يتحلل بعُمْرة ، ولم يقل : إن مَن أحرم مفرداً أو قارناً فحَجُّه باطل ، فدلَّ ذلك على أنه نقلهم إلى الأفضل والأسهل ، لذلك أجمع أهل العلم على جواز الإحرام بأى واحد من الأنساك الثلاثة ، وإنما اختلفوا فى أيها أفضل .

---

(١) إشارة إلى الآية ٤٣ من سورة الأعراف .

(٢) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١

وصَلُّوا على الهادى البشير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير فقال سبحانه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٧ - صفة التمتع فى الحج [(١)]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ ﴾ [(٢)] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .. خَلَقَ فقدَّرَ وشَرَّعَ فيَسَّر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً [(٣)] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأُوصيكم أيها المسلمون بتقوى الله .. أُوصيكم يا حُجَّاج بيت الله الحرام بتقوى الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ ﴾ [(٤)] .

اتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [(٥)] .

---

(١) ألقيت يوم ٢٣/١١/١٤٠٥ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٤

(٣) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة الأحزاب .

(٤) سورة الطلاق : ٢ - ٣

(٥) سورة الطلاق : ٤

اتقوا الله يا عباد الله : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ (١) .

ثم اعلموا أن العمل لا يكون مقبولاً عند الله إلا بشرطين :

الأول : أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى من جميع الشوائب والمقاصد الدنيوية ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومَن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » (٢) (رواه البخارى ومسلم) .

الشرط الثانى لقبول العمل : أن يكون موافقاً لهَدْى نبينا محمد ﷺ ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . وفى رواية : « مَن أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . . فلا يكون العمل مقبولاً عند الله إلا إذا كان خالصاً لله وموافقاً لسُنَّة نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

فيا أيها الحاج الكريم ، إنك قد خرجت من بلادك قاصداً بيت الله للحج ولزيارة مسجد رسول الله ﷺ ، فأنت فى طاعة الله فاخلص هذه العبادة لله ، واحذر كل الحذر أن يدخل عليها ما يُخل بصفائها وإخلاصها ، واحرص على أن تكون أعمالك موافقة لسُنَّة نبينا محمد ﷺ : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣) .

والأنساك - أيها الحاج - ثلاثة ، كلها جائزة - إن شاء الله - باتفاق الأئمة الأربعة ، وإنما اختلفوا فى أيها أفضل ، وهى : التمتع ، والإفراد ، والقِران .

---

(١) سورة الطلاق : ٥

(٢) البخارى : ٢١١/١ ، كتاب الإيمان ، باب : ما جاء أن الأعمال بالنيات رقم (١) بلفظ مقارب ، بدون شرح .

(٣) سورة النحل : ٤٣ ، وسورة الأنبياء : ٧

وأفضلها التمتع ، لأن النبى ﷺ ندب مَن كان مفرداً أو قارناً وليس معه هَدْى أن يتحلل إلى عُمْرة فيكون متمتعاً .

وصفة التمتع : أن تُحْرِم أيها الحاج من الميقات بالعُمْرة فتقول : لَبَّيْك عُمْرة متمتعاً بها إلى الحَجِّ ، فإذا وصلت إلى الكعبة طفتَ بها سبعة أشواط وأنت على طهارة ، ثم تسعى بين الصفا والمروة ، ثم تحلق أو تقصر من شعر رأسك ، وقد حليت إذاً من العمرة وتبقى فى مكة المشرَّفة حتى اليوم الثامن من ذى الحجة فتحرمُ بالحج من منزلك أو من أى مكان ، فتقول : لَبَّيْك حَجّاً وتقف بعرفات يوم التاسع حتى غروب الشمس ، ثم تبيت بمزدلفة ليلة العاشر من ذى الحجة ، ثم تنصرف إلى مِنَى ، وإذاً أمامك أيها الحاج ثلاثة أشياء بأيها بدأتَ فلا حَرَج ، وهى : رمىُ جمرة العقبة بسبع حصيات على قدر الحمص الواحدة تلو الأخرى تُكَبِّر مع كل حصاة ، والحلق أو التقصير - والحلق أفضل ، وطواف الإفاضة ويسمى طواف الزيارة وهو ركن من أركان الحَجّ ، ويزيد المتمتع والقارن ذبح ما استيسر من الهَدْى ، فإذا فعلتَ أخى الحاج فى ذلك اليوم اثنين من الثلاثة - بأن رميت العقبة وحلقت رأسك - فقد تحلَّلْت التحلل الأول ويَحل لك كل شىء حُرِّم بالإحرام إلا النساء ، فإذا فعلت الثلاثة كلها بأن رميتَ وحلقتَ وطفتَ بالبيت سبعاً وسعيتَ بين الصفا والمروة فقد حَلَّ لك كل شىء حتى النساء ، إلا مَن ساق معه هَدْياً فلا يحل حتى ينحر هَدْيه .

والمتمتع والقارن إذا لم يجد هَدْياً صام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله ، ويُستحب أن تكون السابع والثامن والتاسع ، وأيام مِنَى لمن تأخر ثلاثة ، ولمن تعجَّل يومان ، الأول يومُ القَرّ وهو الحادى عشر من ذى الحجة يرمى الجمرات الثلاث ابتداءً من الأولى وهى التى تلى مِنَى ، ثم الوسطى ثم العقبة التى رماها يوم العيد تكون آخرها ، يرمى كل واحدة بسبع حصيات على قدر الحمص الواحدة تلو الأخرى يُكَبِّر مع كل حصاة .

والثانى من أيام مِنَى يومُ النفر الأول وهو الثانى عشر من ذى الحجة تُرمى فيه الجمرات الثلاث .

والثالث - لمن تأخر - يومُ النفر الثانى وهو اليومُ الثالث عشر تُرمى فيه الجمرات الثلاث ، وبهذا قد انتهت أعمال الحج .

أما الإفراد : فهو الإحرام بالحَجِّ وحده ، فيقول : لَبَّيْك حَجّاً ، ويبقى فى إحرامه حتى ينتهى من أعمال الحَجّ على تقدم .

وأما القران : فهو أن يقرن بين الحَجِّ والعُمْرة فى إحرام واحد ، فيقول : لَبَّيْك حَجّاً وعُمْرة ، فإذا طاف وسعى للعُمْرة بقى فى إحرامه حتى ينتهى من أعمال الحج على ما تقدَّم ذكره فى التحلل الأول والثانى .

والمرأة إذا أحرمت بالعُمْرة متمتعة ثم طرقها الحيض وضاق الوقت أدخلت الحَجَّ على العُمْرة ، فكانت قارنة تفعل ما يفعل الحاج إلا أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر وتغتسل .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ اهدنا الصراط المستقيم .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حَجّاً مبروراً ، وعملاً صالحاً مُيَسَّراً مقبولاً .

اللَّهُمَّ اهدنا بالهُدَى ، وقنا بالتقوى ، واغفر لنا فى الآخرة والأولى .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

محظورات الإحرام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . . لا نُحصى ثناءً على الله .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسَلِّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإنك أيها الحاج إنما خرجتَ من أهلك وولدك وأنفقتَ ما شاء الله من مالك تريد طاعة الله ، وامتثال أوامر الله ، واستجابة داعى الله ، فأنت فى عبادة الله ، فأخلص عملك كله لله ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وإذا استعذت فاستعذ بالله ، وإذا استغثت فاستغث بالله ، وإذا طلبت الدنيا فاطلبها من الله خالقها ، وإذا طلبت الآخرة فاطلبها فى الله مالكها ، ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ (١) ، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (٢) .

أخى الحاج الكريم ؛ إن للإحرام محظورات فاجتنبها ، فإن المُحْرِم ممنوع من الطيب بعد الإحرام ، ومن حلق الشَّعر أو قَصه ومن تقليم الأظّافر ، ومن صيد البر ، ومن عقد النكاح ، ومن الجماع ، ومن المباشرة ، والذَّكَر لا يلبس مخيطاً ولا يقص رأسه ، فهذه تسعة محظورات .

---

(١) سورة النساء : ١٣٤

(٢) سورة فاطر : ١٠

وإياك وملامسة النساء فى الإحرام فإنه خطر على حَجِّك ، وقد يتساهل بعض الحجاج رغبة فى بركة المكان وهو خطأ كبير ، فالجِماع يُفسد الحَج إذا كان قبل التحلل الأول ، ويوجب المضى فى الفاسد ، والقضاء من قابل ، ويوجب الفدية بَدَنة . والمرأة إذا كانت مطاوعة فهى كذلك ، أما إن كان الجِماع بعد التحلل الأول فإنه يوجب ذبح شاة والحَج صحيح ، لكن يحرم إن لم يكن طاف ليطوف بإحرام صحيح سليم .

أما المباشرة دون الفَرْج فإن أنزل فعليه بَدَنة ولم يفسد النُّسُك ، وإن لم ينزل فعليه شاة .

اتقوا الله أيها المسلمون وعَظِّموا شعائر الله : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ (١) .

اتقوا الله وعَظِّموا حُرُمات الله : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٢) .

وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

(١) سورة الحج : ٣٢

(٢) سورة الحج : ٣٠ - ٣١

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١٨ - من أحكام الحج [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالَمين ﴾ [٢] .. دعا عباده لحَجِّ بيته الأمين ، ووعدهم بحسن الضيافة وطَيِّب المُقام ، وجزيل العطاء والثواب .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أمر بتطهير بيته للطائفين والعاكفين والرُّكَع السجود [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خير مَن وقف فى تلك المشاعر ، وطاف بالبيت العتيق .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على سيد الأوَّلين والآخرين ، وقائد الغر المحجلين ، نبينا محمد الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

ففى مجال آيات التشريع والأحكام تحمل لنا آية محكمة من سورة البقرة طائفةً من أحكام الحج . هذه الآية العظيمة مبدوءة بالإخلاص لله ، ومختومة بالإخلاص ثم بالوعيد والتهديد لمن خالف أوامر الله ، وهى قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟

---

(١) ألقيت يوم ٦/١١/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة ، والآية ٢٦ من سورة الحج .

رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [(١)] .

الإحرام ركن من أركان الحَجّ والعُمْرة ، وهو نِيَّة الدخول فى النُّسُك سواء تجرد من الثياب المألوفة ، أم لا ، فمتى نوى الإنسان الدخول فى نُسُك الحَجّ أو العُمْرة صار مُحْرِماً ، فيجب عليه اجتناب محظورات الإحرام ، ويجب عليه إتمام نُسُكه الذى دخل فيه سواء أكان نفلاً أو فرضاً لقوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ ، فالإتمام هو الإتيان بجميع أعمال الحَجّ أو العُمْرة من أولها إلى آخرها ، فى أماكنها ومشاعرها على وفق ما جاءت به الشريعة المحمَّديةُ المطهَّرة ، مع اجتناب محظوراتها ، على أن تكون النيَّة خالصةً لله من أى شائبة أو مقصد آخر دنيوى ، سواء أكان مالياً أو اجتماعياً أو سياسياً : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى » [(٢)] ، فإن خالط القصد شيء من ذلك لم يكن خالصاً لله .

وإتمام الحَجّ والعُمْرة لله هو القاعدة الكلية للنُّسُك ، ولكن المُحْرِم قد يَعْرِض له فى طريقه ما يَعُوقه عن إتمام نُسُكه - إما عدوٌ قاهر أو مرض مانع أو مؤذ أو فواتٌ لسبب من الأسباب - والإسلام هو دينُ اليُسر والسماحة دينُ

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

(٢) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أخرجه جميع أصحاب الكتب الستة والمسانيد ، وهو أول حديث أخرجه البخارى فى الجامع الصحيح ، وهو أول وحى غير متلو إلى رسول الله ﷺ ، وقد عقد عليه البخارى الباب قائلاً : « كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ » .

الرحمة ورفعِ الحَرَج ، لذلك استثنى من القاعدة العامة هذه الأحوال ، فبيَّنت الآية الكريمة حكم المحصر بقوله : ﴿ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ ﴾ (١) .

لما اعتمر النبى ﷺ ومَن معه من الصحابة سَنَة ستٍ من الهجرة المباركة اعترض لهم المشركون فى الحديبية ومنعوهم من الوصول إلى البيت العتيق ، فبيَّن الله حكم الإحصار (٢) ، وهو الفداء ثم التحلل ، فمَن مُنع من الوصول إلى المسجد الحرام وهو مُحْرِم فى نُسُك ذبح ما تيَسَّر له من بهيمة الأنعام : جذع ضأن أو ثنى من غيرها فما فوق : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ (٣) ، وحينئذ قد حَلَّ من إحرامه وبلغ أجرَه ، ويقضى حَجَّة من قابل .

وإن كان فى عُمْرة قضاها متى زال الإحصار لأن العُمْرة لا تتقيد بزمن فهى جائزة فى كل الأيام .

وقوله : ﴿ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ ﴾ (٤) معطوفة على قوله : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ ﴾ (٥) (قاله الحافظ ابن كثير) ، فهى لبيان شىء من الأعمال التى يتم بها الحَجّ وهو ترتيب الحلق بعد نحر الهَدْى لمن ساقه معه ، ومحِلُه حينئذ الحرم المكى يوم النحر . أما المحصر فينحر هَدْيه حيث أُحْصِر .

وأما المرض المؤذى يصيب المُحْرِم فيحتاج إلى فعل شىء من محظورات

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

(٢) إشارة إلى قصة الحديبية : أخرجه البخارى فى الصحيح : ٧/ ٤٥٥ برقم (٤١٨٥) بمعناه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٦

(٤) سورة البقرة : ١٩٦

(٥) سورة البقرة : ١٩٦

الإحرام كاللُّبس أو تغطية الرأس ، أو حلق الشَّعر ، فيفعل ما يحتاج إليه ويفدى مُخَيَّر بين ثلاثة أشياء كما قال سبحانه : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (١) يفدى بأيها أيسر له . فالصيام ثلاثة أيام ، والصدقة إطعام ستة مساكين لكل واحد نصف صاع ، والنُّسُك ما استطاع من بهيمة الأنعام من أصنافها الثلاثة . وهذه الآية نزلت فى كعب بن عجرة رضى الله عنه لما تأذَّى من هوام رأسه (٢) .

وأما الفوات فدليله من السُّنَّة خارج عن الآية وإنما ذكرته لإتمام الفائدة ، فالذى يفوته الحَجّ لكونه لم يشهد الوقوف بعَرَفة حتى طلع الفجر يومَ النحر وهو اليومُ العاشر ، سواء أكان تَخلُّفه لعطال سيارة أو لمتاهة طريق أو لجهل بالمكان بأن وقف فى غير عَرَفة ، فقد فاته الحج لقوله صلى الله عليه وسلم : « الحج عرفة » (٣) ، ويتحلل إذاً بعُمْرة ، فيطوف ويسعى ويحلق أو يقصر ولا شىء عليه ويقضى نُسُكه فى العام القابل لقوله صلى الله عليه وسلم : « مَن فاته عرفاتٌ فقد فاته الحَجّ وليتحلل بعُمْرة وعليه الحج قابل » (٤) .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

(٢) إشارة إلى حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه : البخارى مع الفتح : ٤/١٦ ، وفى الصحيح برقم (١٨١٥) .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلمى رضى الله عنه : أحمد فى المسند : ٤/ ٣٣٥ ، وأبو داود برقم (١٩٤٩) ، والترمذى برقم (٨٨٩) وإسناده صحيح ، وابن حبان فى الصحيح برقم (١٠٠٩) الموارد ، والبغوى فى شرح السُّنَّة : ٧/ ٢٩٠ برقم (٢٠٠١) .

(٤) إشارة إلى حديث أخرجه مالك فى موطئه : ١/ ٣٨٣ ، ورجال إسناده ثقات ، وإنه من فتوى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أفتى به لأبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه .

وأما الذى يُفْسد حَجَّه قبل التحلل الأول بجماع ، سواء أكان ذكراً أو أُنثى فيلزمه ذبح بَدَنَةٌ ويمضى فى فاسده ويقضيه فى العام المقبل وجوباً (١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ﴾ (٢) - التمتع فى اللُّغة : التلذذ . وفى الشرع إحرام الأُفقى بالعُمْرة فى أشهر الحَجّ ثم يحج فى تلك السنة مجمع بينهما فى سفر واحد ، فعليه إذاً فدية التمتع وهى على الترتيب كما هو صريح النص ، أما غير الأُفقى - وهم أهل الحرم - فلا فدية عليهم .

والقارن بين الحَجّ والعُمْرة فى إحرام واحد عليه فديةٌ كالمتمتع .

وأما المفرد بالحَجِّ فلا فدية عليه لأنه لم يجمع نُسُكين فى سفر واحد ، والأنساك الثلاثة كلها جائزة باتفاق الأئمة وإنما اختلفوا فى أيها أفضل .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اتق الله أيها الحاج ، أخلص العمل لله ، ولا تُعَلِّق قلبك إلا بالله ، ولا تطلب قضاء حوائجك إلا من الله ، فهو قاضى الحاجات وهو مجيب الدعوات وهو القادر على كل شىء ومَن سواه محتاج إليه .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الهداية والثبات ، ونسألك التوفيق والرعاية .

اللَّهُمَّ انفعنا بالقرآن العظيم ، وتَقَبَّل منا إنك أنت السميع العليم ، وتُبْ علينا إنك أنت التوَّاب الرحيم .

اللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك فاغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) وإن معناه أخرجه البيهقى فى سننه الكبرى : ٥/١٦٧ وهو من فتوى ابن عباس رضى الله عنهما وإسناده صحيح إليه وهو بحكم المرفوع ، والله أعلم .

(٢) سورة البقرة : ١٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

منع الرَّفث والفسوق فى الحج

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . . اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فلما بَيَّنت الآية السابقة عدداً من أحكام الحَجّ تلتها آية تُبين السلوك الذى يجب على الحاج أن يتخلَّق به ، وتأمره بالابتعاد عن نزعات النفس ، وشطحات التصور ، وذميم الأخلاق : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ (١) .

فالرَّفَث هو الجِماع ودواعيه ، والفسوق هو الخروج عن الطاعة ، والجدال هو الخلاف والشقاق ، وذلك أن الإنسان فيه قُوَى أربع : قوة عقلية وهى التى تحث على الخير والاستقامة والسلوك الحسن ، وقوة شهوانية تحمله على المعصية ، وقوة غضبية تُخرجه عن الطَوْر المألوف ، وقوة وهمية تحمله على التعصب للرأى والانتصار له ، فإذا غلبت القوة العقلية على القُوَى الأُخرى حصلت الاستقامة والصلاح وحُسْنُ السلوك ، وإن غلبت إحداهن ظهرت آثارها على الجوارح . فالوحى السماوى يخاطب العقول ، يخاطب أُولى

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

الألباب ، يخاطب أُولى النُّهَى ، يُحرِّك القُوَى العقلية إذا خمدت ، وينشطها إذا ضعفت ، ويشجعها إذا جَبُنت ، والتقوى هى الطاقة التى تعطى العقول والأرواح قوة وحيوية ، كما يعطى الغذاء الأجسامَ قوة ونشاطاً .

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ (١) .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله .

أيها المسلم ؛ اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فاعلم أنه يراك (٢) ، وأكثروا من ذكر الله وتعظيمه وتسبيحه وتقديسه والصلاة على النبى ﷺ ، فإن الدعاء لا يُرفع إلا بالصلاة عليه (٣) : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

* * *

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، الشيخان فى صحيحيهما : البخارى مع الفتح : ١/١١٤ برقم (٥٠) بسياق طويل .

(٣) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه بهذا المعنى : الترمذى فى جامعه : ٢/٣٥٦ برقم (٤٨٦) ، ولفظه : « إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شىء حتى تُصَلِّى على نبيك ﷺ » ، وقد ذكره ابن كثير فى التفسير : ٥/٥٠٧ - ٥٠٨ مع الشواهد الأخرى .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩ - آثار الحج فى نفس الحاج [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ [٢]، جعل الحَجَّ واجباً على المسلم فى العمر مرة واحدة ، فما زاد فتطوع مندوب .

وأشهد أنْ الله لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، جَوَّادٌ كريمٌ ، يعطى الجزيل ويقبل القليل .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أضاء السبيل وأقام الحُجَّة بالدليل .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن لهذا الدين نفوذاً روحانياً فى القلوب الطيبة كنفوذ الماء العذب فى الأرض الخصبة ، يُحيى القلوب ويُوقظها ويُكسبها قوةً ونشاطاً وعزيمة وثباتاً .

وإن للحَجّ والعُمْرة أثراً حسناً فى نفس الحاج ومكانةً عند الله ، فهما عبادة روحية بدنية مالية ، فيهما تتجلى آثار الإيمان ، وتبرز تعاليم الإسلام .

---

(١) ألقيت يوم ٢٢/١١/١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

فالحاج والمعتمر يتحمل التعب والمشقة ويبذل المال بطيب نفس وبرغبة وعزيمة لله ومن أجل الله ، لأداء مناسك شرعها الله ، حتى إذا وصل إلى هذه البقاع المطهَّرة مهابط الوحى ومواقع التنزيل ، ورأى بيت الله المشرَّف ، ومسجد رسول الله ﷺ ، وشاهد معالم التشريع المنزَّل على نبى الهُدَى صلى الله عليه وسلم ، الذى تلقته تلك النّخبة المختارة أصحابُ رسول الله ﷺ فطبَّقته وبلغته إلى خلق الله فى أرض الله .

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ (١) .

فإذاً يتحرك وازع الإيمان فى القلب وينظر المؤمن ما قدَّمت يداه وما سُجِّلَ فى صحيفته ، فيرى التفريط فى جنب الله ، والإهمالَ فى حقوق خلق الله ، والتساهلَ فى واجبات إسلامه وأُمَّته ، فيحاسب نفسه فإذا هو قد أوبقها ، فيقف وقفة الخائف مندهشاً من أمره ، فإذا به يسمع أو يقرأ قوله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٢) ، وقوله جلّت عظمته : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ (٣) ، فكأنه يلمس لُطف الله يَحفُه ، وفضل الله يُحيط به ، وعناية الله تُدركه ، ورحمة الله تغمره ، فيُريق دمع الندم بين يدى الله ويَحُط أثقال الذنوب فى رحاب الرؤوف الرحيم ، ويعلنها توبة نصوحا لله ، وعهداً جديداً مع الله ، ويعلم ألا ملجأ إلا إلى الله : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ

---

(١) سورة الفتح : ٢٩

(٢) سورة الزمر : ٥٣

(٣) سورة طه : ٨٢

﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (١) .

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

ويعلم أن مَنْ سوى الله مخلوق لله فقير محتاج إليه ، فيُعلِّق قلبه بالله وحده ، ويتوجَّه إلى الله وحده ، ويلجأ إلى الله وحده ، فيطلب من الله وحده قضاء حوائجه ، فهو سبحانه مجيب الدعوات وهو قاضى الحاجات وكاشف الكربات : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣)

ويستعين بالله وحده فى كل أُموره ، فهو القادر على كل شىء ، وليس دونه حُجَّاب ولا كُتَّاب ولا وزراء : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٤) .

﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ (٥) .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (٦) .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الشعراء : ٧٨ - ٨٢

(٢) سورة يونس : ١٠٧

(٣) سورة النمل : ٦٢

(٤) سورة النحل : ٤٠

(٥) سورة القمر : ٥٠

(٦) سورة الزمر : ٣٦

(٧) سورة الزمر : ٣٧

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (٢) .

فاتق الله أخى المسلم .. تأمل أعمالك وصَحِّح أخطاءك ، فكلنا خطَّاؤون وكلنا مُقصِّرون ، وربنا غفور رحيم : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٣)

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، ووفقنا للتأدب بآدابه ، والعمل بأحكامه ، والاتعاظ بمواعظه ، والعمل بحكمه ، والإيمان بمتشابهه .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك إيماناً صادقاً ، وعملاً صالحاً مقبولاً ، وتوبة نصوحاً ، وحجاً مبروراً ، ومغفرة لذنوبنا ، وستراً لعيوبنا ، وهُدَىً لقلوبنا ، ونوراً لبصائرنا ، ورحمة منك ورضواناً .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة الزمر : ٣٨

(٢) سورة فاطر : ١٥ - ١٧

(٣) سورة البقرة : ١٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الله على النعم

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله . . ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ (٢) .

أخى الحاج العزيز ؛ إنك جئتَ إلى هذه البقاع المقدَّسة لأداء شعائر الحج ولزيارة مسجد رسول الله ﷺ ، وقد رأيتَ فى المدينة المنوَّرة وسترى - إن شاء الله - فى مكة المكرَّمة ، ما يَسَّرَ الله لك بسبب العاملين المخلصين والمؤمنين الصادقين ، عملوا على توفير ما تحتاج إليه ، وتيسير أداء شعائر حَجّك فى أمن وهدوء وراحة واطمئنان ورخاء ، واعلم أنه عمل لله تم من أجلك ، فاحمد الله على هذه النِعَم ، وتمسَّك بكتاب ربك وبسُنَّة نبيك ﷺ ،

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة الطلاق : ٥

واعمل صالحاً لنفسك ، وتدارك ما بقى من أيامك ، وعَلِّق قلبك بالله دون مَن سواه فبيده سبحانه نفعك وضرك .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٠ - الاستقامة على التوبة ووصية الحجاج بعد الحج[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الكريم المنَّان ، واسع الفضل والإحسان .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .. ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[٢] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى والتمسك بدين الإسلام ، والعمل بأحكامه والاهتداء بهَدْيه والتحلِّى بفضائله ، والوقوف عند حدوده ، فإنه لا فلاح للأُمة ، ولا عز لها ولا كرامه ، ولا نصر لها ، ولا تأييد لها ، إلا بدينها وإسلامها ، ولا نجاة لها يوم القيامة ، ولا سعادة لها إلا بطاعة ربها والانقياد لأمره ، والانتهاء عند نهيه .

أيها الحاج الكريم ؛ لقد مَنَّ الله عليك بإتمام مناسك الحَجّ فى أمن وسلام واستقرار ، فى راحة وهناء ، فى بحبوحة من العيش ورخاء ، يَسَّرَ لك الوقوف بعَرَفة ، يَسَّرَ لك الوقوف فى ذلك الموقف العظيم الذين باهى بهم

---

(١) ألقيت يوم ٢١/١٢/١٣٩٧ هـ .

(٢) سورة غافر : ٣

رَبُّ العباد ملائكته وصرفهم مغفوراً لهم ، طُفْتَ بالبيت العتيق ، ومشيتَ فى تلك البقاع المقدَّسة ، وتلك المشاعر المطهَّرة ، أعلنت توبتك إلى الله تعالى ، وأرقت دموع الندم على الإهمال والتفريط ، وعاهدتَ ربك على ألا تعود إلى معصيته ، فأنت تفخر بهذا وتعتز به ، قد أحسستَ بأنك وضعت أثقال الذنوب هناك ، ورجعتَ طاهراً نقياً .

فاحذر كل الحذر - أخى المسلم - أنْ تخالف تلك التوبة ، احذر أن تنقض هذا العهد ، احذر أن تعود إلى حَمْل الأوزار وأثقالها ، وكن صادقاً فى توبتك ، ووفياً بعهدك ، ملتزماً بأمانتك ، أخْلص العبادة لله وحده ولا تصرف منها شيئاً لأحد سواه ، عَلِّق آمالك بالله فهو الذى بيده النفع والضُّر ، وهو الذى بيده حياتك وموتك وإليه مصيرك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، وإذا طلبتَ البركة فاطلبها من الله ، ولا تجعل بينك وبينه أحد فليس بينه وبين دعوتك حجاب ، فلا واسطة بينك وبينه ، فإنه أقرب إليك من حبل الوريد ، يسمعك ويجيبك : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١) .

حافِظْ على الصلوات الخمس فى جماعة فى أوقاتها ، فإنها عمود الإسلام التى يرتكز عليها وينبنى عليها ، مَن حفظها حفظ دينه ، ومَن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع ، وهى الفرق بين الإسلام والكفر ، وهى أول ما يُحاسَب عنه العبد يوم القيامة ، فإن صَلحت صَلَحَ سائر العمل ، وإن فسدت فَسَدَ سائر عمله ، الصلاة نور وبرهان ، ونجاة لصاحبها يوم القيامة ، وعَوْن لصاحبها وسداد فى هذه الحياة : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة : ١٨٦

(٢) سورة البقرة : ٤٥

أدِّ زكاة مالك ، فإنها طُهْرة لك ونماء له ، تزيده وتضع فيه البركة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » (١) .

واحذر منع الزكاة ، فإن ذلك يُذْهب ببركة المال ويحرم من الانتفاع والتلذذ به ، ولا يحملنك الشُحُّ وحبُ المال على منع حق الله الذى أوجب فيه للفقراء والمساكين ، فيعودُ عليك عاراً وناراً يوم القيامة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (٢) .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) .

كن أخى المؤمن مؤمناً قوياً تُسيطر على نفسك وشهواتك وعلى جلساء السوء ، فلا يغرَّنَّك ما قد تراه من الخمور وبيوت الدعارة وحركات البغايا وأسواق القِمار على أن تخالف توبتك وتنقض عهدك مع الله ، عار عليك ودمار أن تمسح دموع التوبة والندم بأدْران المعاصى والآثام .

أيها المسلمون ؛ إن أشد المعاصى خطراً على كيان الأُمة الإسلامية وعلى عِزَّتها وكرامتها ، وأمنها واستقرارها ، هى معصية الحكم بغير ما أنزل الله ، فقد وصف الله تعالى الذين يحكمون بغير ما أنزل الله بثلاث صفات هى أبشع الأوصاف وأخَسُّها : وصفهم بالكفر ، ووصفهم بالظلم ، ووصفهم

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده ، والترمذى فى سننه ، عن أبى هريرة ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٨١٢٠) ورمز له بالصحة .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٠

(٣) سورة التوبة : ٣٤

بالفسوق [١] ، وإن كان الكفر دون كفر ، والظلم دون ظلم ، والفسوق دون فسوق - كما ذكره بعض العلماء - لأنه يجب فالواجب الحكم بما أنزل الله ، وبما جاء به رسول الله ﷺ ، والمؤمن يخاف من الله ويرجو ما عنده ويحكم بحكمه ويرضى به ، والذى يحكم بغير ما أنزل الله ظالم لنفسه بعرضها لسخط الله وعقوبته ، وظالم للناس فى تضييع حقوقهم ، وإجرائها على خلاف حكم الله ، وخارج عن طاعة الله ، وخارج عن الصراط السوِّى .

تأمل أخى المسلم الآيات المحكمات من سورة المائدة - ما بين الآية الأربعين إلى آخر الآية اثنين وخمسين - تجد كيف ذَمَّ الله اليهود والنصارى الذى حكموا بغير ما أنزل الله ووصفهم بتلك الصفات الثلاث .

وحَذَّر نبينا محمداً ﷺ من فتنتهم وأمره بالحكم بينهم بما أنزل الله ، ثم حَذَّرنا معشر المؤمنين من الاغترار بهم والوقوع فيما وقعوا فيه ، وحَذَّرنا من موالاتهم والانحراف عن ديننا كما انجرفوا عن دينهم وحرفوه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم

---

(١) إشارة إلى الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ من سورة المائدة .

بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ
اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ
فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا
النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ
بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ
فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ
وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ
جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ
اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ
وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ
فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة المائدة : ٤١ - ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وَصَفَ الخالق نفسه بصفات

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) . . له صفات لا تشبه صفات المخلوقين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (٢) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أعرف الناس بربه وأطوعهم لأوامره ، وأشد الناس فهماً لأسماء الله وصفاته .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فقد وصف الخالق تعالى نفسه بصفات لا يتصف بها المخلوق لبيان أن صفات الرب سبحانه وإن وافقت بعض صفات المخلوقين فى الأسماء ، فإنها لا تشبهها فى الحقيقيات ، فقال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ (٣) .

وقد فسَّرها النبىُّ ﷺ تفسيراً يُغنى عن كل قول ، ففى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ أنت

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة الشورى : ١١

(٣) سورة الحديد : ٣

الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدَّيْن وأغننا من الفقر » .

ثم اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنَّى بملائكته ، فقال عزَّ من قائل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

فصلُّوا على البشير النذير ...... إلى آخر الدعاء .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢١ - إيذاء المسلمين فى الحج من الفسوق (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .. ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٣) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أنه بَلَّغَ الرسالة كاملة شاملة ، وأدَّى الأمانة ونصح للأُمَّة وللبَشر وللخلق أجمعين (٤) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن واجبَ أُمَّة محمد ﷺ كبير ورسالتها عظيمة : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٥) ،

---

(١) ألقيت يوم ١٤/١١/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٥

(٣) سورة آل عمران : ١٨

(٤) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى الطويل : مسلم فى الحج بسياق برقم (١٤٧) ، وفيه هذا اللفظ المبارك الذى قاله أصحابه رضى الله عنهم .

(٥) سورة البقرة : ١٤٣

فأى مسئولية أعظم من هذه ؟ شهداءُ على الناس تقيم العدل والقِسْط ، وتضع الموازين والقِيَم ، وتبدى رأيها فى الناس فيكون هو المعتمد .. لكن متى تكون كذلك ؟ إذا حملت رسالتها بالمعنى الصحيح .. إنَّ الله اصطفى هذه الأُمَّة وشرَّفها ، وحرسها وحفظها ، لا يضرها مَن خذلها (١) ؛ لتحمل رسالة الإسلام ولتشُق طريقها فى هذه الحياة على منهج الله متميزة فريدة بارزة ، لتؤدى دورها ولتقوم بواجبها الذى لا ينهض به أحد سواها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢) ، إنه لن يتحقق لهذه الأُمَّة وجودُها ولن تنهض على قدميها ، ولن تكون لها كلمتها وقيمتها إلا إذا اعتصمت بحبل الله (٣) ، وجمعت شملها ووحَّدت هدفها وأخذت بروابط الأُخوة الإسلامية ، وجعلت كتاب الله نظاماً ودستوراً وقائداً تسير خلفه ، فتأخذ نصوص الكتاب والسُّنَّة المطهَّرة ، فتُظْهِر معانيها فى حركاتها وأعمالها ومشاعرها واتصالاتها .

ولن يكون المسلم مسلماً حقاً إلا إذا أخضع إرادته وجوارحه لنظام الله ، وترك أى نظام سواه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥)

---

(١) إشارة إلى حديث معاوية رضى الله عنه : البخارى برقم (٣٦٤١) المناقب باب (٢٨) ، ونحوه مسلم فى الصحيح : الإمارة ، حديث رقم (١٧٠) ، (١٧٤) خاص .

(٢) سورة آل عمران : ١١٠

(٣) إشارة إلى الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

(٤) سورة النساء : ٦٥

(٥) سورة النور : ٤٧

إن أعداء الإسلام فى أول بعثة محمد ﷺ ما زالوا ولا زالوا جادِّين بكل قواهم وأساليبهم ومخططاتهم لفصل المسلمين عن هذه الخصوصية والفضيلة ، ولكنهم وإن نجحوا فى بعض الأمور فإنهم لم يستطيعوا ولن يستطيعوا طمس نور الإيمان فى قلوب المؤمنين: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١)لأن المؤمن يرتكز على ركيزة ثابتة لا تُحَرِّكها الاضطرابات ، وقدماه راسختان مهما تجاذبته الأحداث ، فهو مستمسك بالعُرْوَة الوُثْقَى لا انفصام لها (٢) ، مُعتصم بحبل الله المتين ، لا يشغله عن إيمانه شاغل ، ولا يُلهيه عن طاعة الله وعبادته هدف ، ولا يصده عن سبيل الله داع ، ولا يصرفه عن واجبات الأُخوة الإسلامية صارف .

أيها الحاج الكريم ؛ لقد مَنَّ الله عليك فدعاك لأداء مناسك الحَجّ هذا العام ولزيارة مسجد رسوله ﷺ ، وللسلام عليه ، فإذا كنت فى المدينة المنوَّرة فاعلم أنك فى بلد رسول الله ﷺ وبجوار قبره الشريف وفى مواقع تنزيل الوحى من السماء ، هذا البلد الذى حَرَّمه نبينا ﷺ كما حَرَّم أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مكة المشرَّفة (٣) .

ورد فى الحديث الصحيح عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المدينة حرام ما بين عير إلى ثور ، فمَن

---

(١) سورة التوبة : ٣٢

(٢) إشارة إلى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه : البخارى فى الصحيح ، الجهاد باب رقم (٧٤) ، وحديث رقم (٢٨٩٣) بسياق طويل وفيه : « اللَّهُمَّ إنى أُحَرِّم ما بين لابتيها بمثل ما حَرَّم إبراهيم مكة ، اللَّهُمَّ بارك لهم فى مُدِّهم وصاعهم . . » ، ومسلم فى الصحيح ، كتاب « الحج » ، حديث رقم (٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ - ٤٦٤ ، ٤٧٢) خاص .

أحدث فيها حَدَثاً أو أوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه صرف ولا عدل » (١) ، فيا أخى الزائر ويا أخى المقيم أعطوا المدينة حقها من الوقار والسكينة والهدوء والخشوع وغض الصوت فى مسجد رسول الله ﷺ ، وخالقوا الناس بخُلُقٍ حسن (٢) ، احفظوا للمدينة قدسيتها وهيبتها وكرامتها ، فكل ما خالف هَدْيَه صلى الله عليه وسلم فهو حَدَث .

احذر أيها المسلم أن تُسيئ الأدب فى هذا البلد المقدَّس ، احذر إيذاء المسلمين بأى نوع من الأذى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٣) .

حَرِّموا ما حَرَّم الله ورسوله وعَظِّموا ما عَظَّم الله ورسوله : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ (٤) .

فإذا كنت أخى الحاج فى مكة المكرَّمة فاعلم أنك فى بلد حَرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض (٥) ، وأنك بجوار بيت الله الذى جعله قِيَاماً ومَثَابة للناس وأمناً ، مباركاً وهُدىً للعالمين (٦) ، مطهَّراً ﴿ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (٧) .

---

(١) متفق عليه : البخارى : فضائل المدينة ، حديث رقم (١٨٧٠) ، وهو من حديث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، باب (١) ، ومسلم : نحوه فى الحج ، حديث رقم (٤٦٧) خاص وعام (١٣٧٠) بمثل هذا اللفظ من حديث علىّ رضى الله عنه .

(٢) من حديث أبى ذر رضى الله عنه : الترمذى فى البر والصلة برقم (١٩٨٧) ، باب رقم (٥٥) ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، وأحمد فى المسند : ٥/١٥٣ وإسناده صحيح .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٨

(٤) سورة الحج : ٣٠

(٥) إشارة إلى حديث أبى شريح العدوى رضى الله عنه : البخارى برقم (١٠٤) العلم ، باب (٣٧) بسياق طويل .

(٦) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

(٧) سورة البقرة : ١٢٥

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١) .

الإلحاد هو الميل ، ومنه سُمِيَ الشق فى جانب القبر لحداً لأنه مائل ، فكل عمل يميل بصاحبه عن سيرة النبى ﷺ فى الحَجِّ فهو إلحاد ، وكل ما يتنافى مع حُرْمة ما حَرَّم الله وحَرَّم رسوله ﷺ فهو إلحاد ، فمَن أراد الإلحاد ظلماً فى بلد الله الحرام - وإن لم يفعل - أذاقه الله العذاب الأليم ، فما بالكم بمن يريد ويفعل .

ذكر ابن كثير رحمه الله عن بعض الصحابة والتابعين أنه من الإلحاد احتكار الطعام (٢) وضرب الخادم فما فوقه ، فما بالكم بما هو أعظم ، لقد خُدِمتَ أيها الحاج وكُفِيتَ ، فلقد بذلت حكومتنا كل طاقاتها الاقتصادية والاجتماعية لتوفير الراحة لحُجَّاج بيت الله الحرام ولزوَّار مسجد رسوله ﷺ ، ليؤدى الحاج مناسك حَجّه فى أمن واستقرار ورخاء وراحة نفسية وبدنية .

سَخَّرت المجالات العلمية والثقافية لتحقيق أهداف الحَجّ والدعوة إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، ولجمع شمل المسلمين وتوحيد صفهم وتفقد أحوالهم والتشاور بينهم وحل مشاكهلم ، فلم يبق لأحد كائناً مَن كان أىُّ مجال للفسوق والجدال ، لم يبق مجال للخلاف والشقاق والتشويش والفوضى وإشغال الحُجَّاج عن أعمال الحَجّ وعن طاعة الله ، ولم يبق مجال لانتهاك

---

(١) سورة الحج : ٢٥

(٢) نعم ذكر ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره : ٤/ ٦٣٠ - ٦٣١ نقلاً عن تفسير ابن أبى حاتم بإسناده عن يعلى بن أمية رضى الله عنه مرفوعاً إذ قال : احتكار الطعام بمكة إلحاد ، ثم ذكر أشياء أُخرى مسندة وفيها عموم إلى أن الإلحاد لم يكن منحصراً فى احتكار الطعام فقط ، بل هناك أشياء أُخرى مُحَرَّمة كالشِّرك والقتل والنهب والسَّلْب ظلماً وعدواناً وغير ذلك . . والله أعلم .

حُرْمة البقاع المقدَّسة بالتجمعات والهتافات غير المشروعة ، وإيذاء المسلمين عند بيت رب العالَمين ، وعند مسجد سيد الأوَّلين والآخرين .

فاتقوا الله أيها المسلمون . .

« المسلم مَن سلم المسلمون من يده ولسانه » [(١)] ، « مِنْ حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » [(٢)] ، المسلم لا يكون بوقاً لأعداء المسلمين ينفخون فيه ويصيح ، المسلم لا يكون ستراً لأعداء المسلمين ينفذون مخططاتهم من خلفه ، المسلم كَيِّسٌ فَطِنٌ ولا يكون إمعة مع كل صاعق وناعق .

وحكومتنا أعزَّها الله وإن ضبطت النفس وشرحت الصدر واستعملت الحلم والتأنى ، فإنها لن تسمح بإساءة الأدب فى حرم الله وحرم رسوله ﷺ .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد ، ونسألك حُسن الأدب عند نبيك وعند مسجد رسولك ﷺ .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم.

* *

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : البخارى مع الفتح : ١/ ٥٠ - ٥١ ، الإيمان من صحيحه ، ونحوه مسلم فى الصحيح ، الإيمان ، حديث رقم (٤٠) عام .

(٢) إشارة إلى حديث علىّ بن الحسين زين العابدين رحمه الله تعالى مرسلاً : أخرجه الإمام مالك فى موطنه : ٢/ ٤٧٠ ، باب : ما جاء فى حُسْن الخلق ، وإسناده صحيح ولكنه مرسل كما لا يخفى ، وله طرق أُخرى متصلة ولكنها ضعيفة يُتحمل ضعفها حسب قانون الرواية فيكون إسناده حسن لغيره إن شاء الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

التجارة مع الله أكثر ربحاً

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(١)] .. هدانا للإسلام ، وأنعم علينا بفضله التام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أرسل إلينا سيد الأنام ، وأكرمنا لكرمه ، فللَّه الحمد والشكر على آلائه العظام .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله كان خُلُقه القرآن ، وأثنى الله عليه فى محكم التنزيل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [(٢)] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على الصفوة المختار ، إمام المتقين وسيد الأخيار ، وعلى آله وأصحابه الأمجاد الأبرار ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار .

أما بعد ..

فخير وصية أُوصيكم بها هى وصية الله لعباده ، قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ [(٣)] ، اجعلوا من طاعة الله وقاية تقيكم عذابه ، اجعلوا من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ستراً بينكم وبين لفح جهنم .

ثم اعلموا - رحمنى الله وإياكم - أنَّ شهركم هذا ميدان سباق إلى الله :

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة القلم : ٤

(٣) سورة النساء : ١٣١

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (١) ، ميدان تنافس فى طاعة الله والأعمال الصالحة ، فإذا رأيتم الناس يتسابقون فى تنمية الأموال ، فتسابقوا على صراط الله المستقيم : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (٢) .

والتجارة مع الله أكثر ربحاً من التجارة مع الناس ، فمن يربح عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلا فى التجارة مع الله .

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) .

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

تذَكَّروا إخوانكم فى الإيمان ، أعوانكم على الأعداء ، فإن الكفرة تعدَّوا على كرامتهم ، وسفكوا دماءهم ، وأيتموا أطفالهم ، ورمَّلوا نساءهم ظلماً وعدواناً ، وبغضاً للإسلام والمسلمين : ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (٥) .

أكثِروا من الدعاء لإخواننا سراً وعلانية ، وامسحوا دموعهم بعطفكم وإحسانكم ، أروهم أنَّ لهم إخواناً يفرحون لفرحهم ويتألمون لآلامهم ،

---

(١) سورة النجم : ٤٢

(٢) سورة طه : ١٣١

(٣) سورة الأنعام : ١٦٠

(٤) سورة البقرة : ٢٦١

(٥) سورة البروج : ٨

اجعلوهم يحسون بأن لهم إخواناً فى الله يقفون خلفهم ، انصروا المظلومين بما استطعتم ، ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (١) .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة محمد : ٤

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٢ - استنكار ما خرج عن أعمال الحج [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] .. أحمده على عظيم منِّته وتكاثر نعمته .
اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، جلَّت عظمته ، وتقدَّست أسماؤه ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خاتم أنبيائه ، وحظوته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين ، اسمه - صلى الله عليه وسلم - مكتوب على قائمة العرش .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فالحمد لله على نعمة الإسلام ، والحمد لله على نعمة الأمن والرخاء ، والحمد لله على هذا الهدوء التام فى هذه الأيام ، فلا مظاهرات ، ولا تجمعات ، ولا صراخَ ، ولا دعاء غير الله ، ولا هتافات كاذبة ، ولا دعايات مزيفة .

---

(١) ألقيت يوم ٢/١٢/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

الدعاء لله وحده ، والذِكْر لله وحده ، والتوجه لله وحده ، تفرَّغ المعتمرون والزائرون لعبادة ربهم ودعاء خالقهم ، لم يشغلهم شاغل ، ولم يُكَدِّر صفو إقامتهم مُكَدِّر ، ولم يُقلقهم صراخ ماكر ، ولم يُلهِهم عمل مُخادع ، ولم تُضايقهم حركاتُ مفسد مكابر ، فجزى الله خادم الحرمين عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢) .

والحمد لله الذى جعل الحجّ واجباً فى العمر مرة واحدة من غير تكرار .

والحمد لله الذى فتح باب العُمْرة تطوعاً فى الليل والنهار .

لم يحج النبى صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة إلا مرةً واحداً ، واعتمر أربع مرات .

وكانت حَجَّته صلى الله عليه وسلم فى غاية من التمام والكمال مع اليُسْر والسماحة ، أحرم - صلى الله عليه وسلم - قارِناً وساق الهَدْى من المدينة إلى مكة مائة من الإبل ، فأهَلَّ بالتوحيد فقال : « لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك ، لَبَّيْك لا شريك لك ، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . . لا يزيد عليها .

فلما دخل مكة قصد إلى الكعبة المشرَّفة حتى إذا حاذى الحجر الأسود استلمه ، وطاف بالبيت ، فعل ذلك سبعة أشواط ، وكان يقول بين الركن

---

(١) سورة البقرة : ٢٥١

(٢) سورة الحج : ٤٠

اليمانى والحجر : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١) وكلما حاذى الحجر إما استلمه وإما أشار إليه . أما الركن اليمانى فإما أن يستلمه وإلا لم يشر إليه (٢) ، ثم صلَّى ركعتين موجزتين قرأ فيهما بالفاتحة وسورتى الإخلاص (٣) ، ثم خرج إلى الصفا فاستقبل القِبْلة وقال : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » (٤) ، ثم دعا ونزل إلى المروة ففعل عليها كما فعل على الصفا ، فعل ذلك سبع مرات ذهابه سعية وإيابه سعية ، وكان صلى الله عليه وسلم خَيَّرَ أصحابه بين الأنساك الثلاثة (٥) : التمتع ، والقِران ، والإفراد ، ثم ندبهم فى الطريق إلى جعلها عُمْرة (٦) فلما أتم سعيه أمر مَن لم يكن معه هَدْى أن يتحلل إلى عُمْرة (٧) ، وذلك لإبطال إعتقاد الجاهلية ، فقد كانوا يرون العُمْرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور .

وبقى صلى الله عليه وسلم فى إحرامه من أجل الهَدْى الذى ساقه ، وفى اليوم الثامن من ذى الحجة أحرم مَن كان حَلَّ ، وخرج عليه الصلاة والسلام ومعه المسلمون إلى مِنَى .

فلما طلعت الشمس يوم التاسع سار إلى عرفات ، وكان من أصحابه

---

(١) سورة البقرة : ٢٠١

(٢) صحيح البخارى : ١٨٦/٢ ، طبعة الحلبى ، باب : « مَن أشار إلى الركن » .

(٣) أى سورة : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، وسورة : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ .

(٤) مسلم : ٨٨٨/٢ من حديث جابر رضى الله عنه .

(٥) الهدى : ٢/ ١٦٠ ، وزاد المعاد : ٢/ ١٦٠

(٦) مسلم : ٢/ ٨٧٥ ، وزاد المعاد : ١٧٨/٢

(٧) مسلم : ٨٧٧/٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٢٨٨ ، حديث جابر رضى الله عنه .

المُلَبِّى ومنهم المُكَبِّر وهو يسمع ذلك ولا ينكر ، فلما زالت الشمس خطب الناس [(١)] ، فقرَّر قواعد الإيمان والتوحيد ، وهدم قواعد الشِّرْك ، وأبطل أعمال الجاهلية ، وحرَّم الدماء والأعراض والأموال ، وأوصى بالنساء خيراً وذكر الحق الذى لهن والحق الذى عليهن ، وأمر بالاعتصام بكتاب الله وأخبر بأن من اعتصم به لن يضل .. وبعد الخطبة صلَّى الظهر والعصر جمعاً وقصراً ، فلما فرغ من الصلاة ركب ناقته حتى أتى موقفه فى عرفة فى ذيل الجبل عند الصخرات جاعلاً المشعر بينه وبين القِبْلة وقال : « وقفت ههنا وعَرَفة كلها موقف » ، وأمر بالارتفاع عن بطن وادى عُرنة ، وأخذ صلى الله عليه وسلم فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله رافعاً يديه كاستطعام المسكين .

فلما غربت الشمس يوم التاسع أفاض من عَرَفة يُلَبِّى ، فلما وصل إلى مزدلفة صَلَّى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً بأذان واحد وإقامتين ، وأذِن لضعفة الناس [(٢)] بالانصراف من مزدلفة عند غياب القمر تلك الليلة ، وبات فيها ، فلما طلع الفجر يوم العاشر من ذى الحجة - أى الصبح - صلَّى الصبح فى أول الوقت ، ثم وقف عند المشعر الحرام فاستقبل القِبْلة وأخذ فى الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل حتى أسفر جداً [(٣)] وقال : « وقفت ههنا ومزدلفة كلها موقف » ، ثم انصرف إلى مِنَى ، وأمر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن يلتقط له حصى الجمار ، فأخذ سبع حصيات مثلَ حصى الخذف ما بين الحمص والبندق ، فقال صلى الله عليه وسلم : « بمثل هؤلاء فارموا وإياكم والغلوَّ ، فإنما أهلك مَن كان قبلكم الغلو » ، وكان يُلَبِّى فى طريقه

---

(١) مسلم : ٢/ ٨٨٩

(٢) البخارى : ٢/ ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ومسلم : ٢/ ٨٩١

(٣) البخارى : ٢/ ٢٠٤ ، ومسلم : ٢/ ٨٩١

حتى أتى جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات الواحدة تلو الأخرى يُكَبِّر مع كل حصاة [١] .

ثم رجع إلى مِنَى فخطب الناس ، ومن خطبته - صلى الله عليه وسلم : « اعبدوا ربكم ، وصلُّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنَّة ربكم » ، وبَيَّنَ حُرْمة يوم النحر وفضله عند الله وحُرمة مكة على جميع البلاد ، وفتح الله أسماع الناس [٢] فسمعه جميع مَن فى مِنَى وهم فى منازلهم [٣] ، ثم انصرف إلى المنحر فنحر هَدْيه [٤] ، ثم حلق رأسه ، ثم أفاض إلى مكة وطاف بالبيت طواف الإفاضة ، أما مَن كان متمتعاً فطاف وسعى [٥] ، ثم رجع إلى مِنَى ، وما سئل فى ذلك اليوم عن شىء قُدِّمَ أو أُخِّرَ من الأعمال الأربعة وهى : الرمى ، والذبح ، والحلق ، والطواف ، إلا قال : « افعل ولا حَرَج » [٦] ، وبات فى مِنَى ثلاث ليالى التشريق يرمى الجمرات الثلاث بعد الزوال كلَّ واحدة بسبع حصيات يُكَبِّر مع كل حصاة ، بادئاً بالأولى التى تلى مسجد الخَيْف ثم الوسطى ثم العقبة [٧] ، ولما أراد السفر إلى المدينة المنوَّرة طاف طواف الوداع [٨] .

---

(١) مسلم : ٢/ ١٢٥

(٢) البخارى : ٢/ ١٢٥

(٣) زاد المعاد : ٢/ ٢٥٧

(٤) زاد المعاد : ٢/ ٢٦٧

(٥) زاد المعاد : ٢/ ٢٧٠

(٦) زاد المعاد : ٢/ ٢٥٨

(٧) زاد المعاد : ٢/ ٢٨٥ ، ٢٩٠

(٨) زاد المعاد : ٢/ ٢٩١

فاتقوا الله أيها المسلمون . . ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حَجّاً مبروراً ، وسعياً مشكوراً ، وعملاً صالحاً مُيَسَّراً مقبولاً ، ومغفرة لذنوبنا .

اللَّهُمَّ يَسِّر لحُجَّاج بيتك أمورهم ، وأصْلِح شأنهم ، وظَلِّلْهم بالغمام ، وزدهم من الفضل والإنعام ، فإنهم ضيوفك ووفود بيتك وأنت الجوَّادُ الكريم والرَّبُّ الرحيم .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة المائدة : ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

ترك القبور والتوجه إلى الله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(١)] .. طهَّر بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود [(٢)] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد ..

فإن تعاليم الإسلام لها نفوذ روحانى وتأثيرٌ فى القلوب الحيَّة ، كنفوذ الماء وتأثيره فى الأرض الخصبة ، يرويها ويحييها .

وإن الحَجَّ والعُمْرة لهما تأثير فى النفوس الطيبة ، فقد جمعا أنواع العبادة الثلاثة ، فهما عبادة روحية مالية بدنية ، وبهما تتجلى آثار الإيمان وتظهر معالم الطاعة والانقياد لله ، والرغبة فيما عند الله ، فالحاج والمعتمر يتحمل المشقة والإنفاق بطيب نفس ، ويصبر على فُرقة الأهل والمال ، ويتوجه إلى بيت الله وإلى هذه الرحاب المشرَّفة ، فَيَحُط أثقاله من الذنوب والآثام عند باب الرؤوف الرحيم ، ويُريق دموع الندم بين يدى الله عند بيت الجوَّاد الكريم ،

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

فيخلع ثوب المعصية ، ويلبس حُلَّة التوبة ، فيرجع كما ولدته أُمه طاهراً نقياً من الذنوب .

ولا شك أن هذا العمل سيُغَيِّر مجرى حياة المسلم من الغفلة إلى اليقظة ، ومن الانحراف إلى الاستقامة ، ومن الكسل إلى الجد فى العمل ، ومن التردد على قبور الصالحين ودعائهم والذبح لهم ، إلى التوجه إلى الله وحده بالدعاء والاستغاثة وطلب المدد من الله وحده ، فهو الذى بيده الأُمور كلها ، وبيده حياة الإنسان وموته ، وبيده ضره ونفعه ، أما مَن سواه فمخلوق له محتاج إليه .

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١) .

وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة يونس : ١٠٧

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٣ - الأدب مع الله ورسوله ﷺ
خاصة فى الحج (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٢) .. ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٤) . .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اختاره لتلقى وحيه ، واصطفاه لتبليغ رسالته ، فبلَّغَ وأدَّى ونصح وجاهد .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد . .

فإن المسلمَ يفرح لفرح أخيه المسلم ، فنحن نعيش فرحةً غامرة بإتمام حجاج بيت الله الحرام مناسكهم ، فى أمن ورخاء وصحة ، نفرح بالإفاضات الروحانية التى أفاضها ربنا تبارك وتعالى على أهل الموقف فى ذلك اليوم العظيم . . اللَّهُمَّ فاحشرنا معهم فى المغفرة والرضوان .

---

(١) ألقيت يوم ٢٩/١١/١٤٠٧ هـ .
(٢) سورة فاطر : ١
(٣) سورة التغابن : ١
(٤) سورة الأنعام : ١٨

وأنت أخي الحاج وقد فُزت بهذه المكرمة الرَّبانية يجب عليك أن تشكر الله على ما يسَّر لك وعلى ما أعطاك وهداك ، فحافظ على نعم الله بشكرها ، ولازِم التوبة من كل الآثام ، واستقِم على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، واحرص على بقاء صحيفتك صافيةً نقية .

أيها المؤمنون ؛ إذ تأملنا كتاب الله العظيم وتدبرناه وجدنا فيه كلَّ ما يحتاجه الناس فى هذه الحياة وما بعدها ، فما من شىء إلا وضع له قواعد ونظاماً فيه الخير والسعادة .

ففى مجال الأدب والتوجيه نجد القرآن العظيم يهتم بتوجيه المؤمنين إلى أقوم السُّبُل وإلى أحسن الأخلاق والسلوك ، وأهم ما يتميز به المؤمن صلتُه بخالقه ، وصلتُه برسوله محمد بن عبد الله ﷺ .

فنجد القرآن الكريم وضع نظاماً أدبياً لهذه الصلة ، أدَبَ التلقى ، وأدب التنفيذ ، ففى مستهل سورة الحجرات يقول الرب تبارك وتعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

الإيمان هو الرابطة بين الخالق تبارك وتعالى وبين خلقه ، وهو الصلة بين رسول الهداية وأُمَّة الإجابة .

فالإيمان نعمة من الله على المؤمن حيث اختاره ليكون من حزب الله وجنوده وأوليائه .

أما غير المؤمنين فمن حزب إبليس وجنوده وأوليائه : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الحجرات : ١

(٢) سورة البقرة : ٢٥٧

ولهذا بدأت السورة بهذا النداء الحبيب اللطيف : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ لتحريك الهِمَم بأعزِّ الصفات وأعلاها وتنبيه النفوس إلى نعمة الله عليها ليكون أسرَع للإجابة وأقوى لتحمل المشقة مع امتثال الأمر .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره : ﴿ لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ أى : لا تُسرعوا بين يدى الله ورسوله فى الأشياء ، بل كونوا تبعاً له فى جميع الأُمور .

وهذا هو الأدب الشرعى . ومنه حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « بِمَ تحكم » ؟ قال : بكتاب الله ، قال : « فإن لم تجد » ؟ قال : بسُنَّة رسول الله ﷺ ، قال : « فإن لم تجد » ؟ قال : أجتهد رأيى ، فضرب صلى الله عليه وسلم فى صدره وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يُرضى رسول الله » (١) .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند : ٥/ ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، وأبو داود فى السنن برقم (٣٥٩٢) ، باب : اجتهاد الرأى فى القضاء ، والترمذى فى الجامع برقم (١٣٢٧) ، باب : ما جاء فى القاضى كيف يقضى ، كلهم من معاذ بن جبل رضى الله عنه ، وإسناده فيه الحارث ابن عمرو ابن أخى عفيرة بن شعبة عن إياس من أهل حمص من أصحاب معاذ رضى الله عنه . وقال الحافظ فى التقريب : ١/ ١٤٣ فى ترجمة الحارث المذكور ، رقم الترجمة (٥٢) : مجهول من السادسة ، بدون ترجمة .

قلت : ذكره الذهبى فى الميزان : ١/ ٤٣٩ ، رقم الترجمة (١٦٣٥) : عن رجال عن معاذ بحديث الاجتهاد . قال البخارى : لا يصح حديثه .

قلت : هكذا نقل هذا الكلام عن البخارى صاحب الصحيح ، وهكذا قال ابن عدى فى الكامل : ٢/ ٦١٣ ، أو قال ابن عدى : سمعت ابن حماد يقول : قال البخارى : الحارث بن عمرو ابن أخى المغيرة بن شعبة عن أصحاب معاذ ، عن معاذ روى عنه أبو عوف لا يصح ، ولا يُعرف . . . ثم ذكره . والحديث أورده الإمام ابن كثير فى =

فمعاذٌ رضى الله عنه أخَّر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسُّنَّة ، ولو قدَّمه قبل الكتاب والسُّنَّة لكان من باب التقديم بين يدى الله ورسوله .

وقال علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما : ﴿ لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ : « لا تقولوا خلاف الكتاب والسُّنَّة » (١) هذا هو الأدب الذى يجب أن يتصف به كل مؤمن مع كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وهو أدب التلقى وأدب الامتثال والتنفيذ .

فلا يجوز لأى مؤمن أن يعمل عملاً أو يقول قولاً يخالف كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ .

يجب على المؤمن أن يكون هواه تبعاً لما جاء به نبينا محمد ﷺ فى جميع أعماله ونظام حياته (٢) .

= تفسيره : ٦/ ٣٦٦ ، ثم قال : رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، ثم سكت ولم يتكلم على إسناده .

قلت : قول البخارى حُجَّة ، والله أعلم .

(١) ذكره الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٦/ ٣٦٧

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، وإسناده حسن ، أخرجه البغوى فى شرح السُّنَّة : ١/ ٢١٢ - ٢١٣ برقم (١٠٤) ، وفى إسناده نعيم بن حماد المروزى شيخ البخارى وقد تكلم فيه بعض الناس ، والتحقيق أنه ثقة يُحتج بحديثه ، ومن رجال البخارى وشيوخه ، وقال الحافظ : وقد تتبع ابن عدى ما أخطأ فيه وقال : باقى حديثه مستقيم (انظر : التقريب : ٢/ ٣٠٥ رقم الترجمة (١٢٤) .

قلت : وقد ترجم له ابن عدى فى الكامل : ٧/ ٢٤٨٢ ترجمة طويلة ، وقد تتبع أحاديث نعيم بن حماد فى هذه الترجمة ، وليس فيها هذا الحديث ، ثم قال فى نهاية الترجمة : ولنعيم بن حماد غير ما ذكرت وقد أثنى عليه قوم ، وضعَّفه قوم ، كان ممن يتصلب فى السُّنَّة ومات فى محنة القرآن فى الحبس ، وعامة ما أُنكر عليه هو الذى ذكرته ، وأرجو أن يكون باقى حديثه مستقيماً . =

فليس للمؤمن الحقيقى رأى أو إرادة يخالف منهج الله .

ولا يكون الإنسان كذلك إلا إذا عرف ثلاثة أشياء : إذا عرف عظمة الله وكمال قدرته وعظيم ملكوته : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ (٢) .

الثانى : إذا عرف منزلة الرسول ﷺ وكمالَ رسالته وشمولَها وشهد له بالتبليغ والأداء والنصح لأُمَّته :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٤) .

الثالث : إذا عرف الإنسانُ نفسَه : أصلَه ونشأتَه ومآلَه : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ (٥) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن

= قلت : هكذا أنهى الترجمة ، والله أعلم . قال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (٨/ ٤٦٤) : سألت أبى عن نعيم بن حماد فقال : محله الصدق .

(١) سورة آل عمران : ٢٦

(٢) سورة الأنعام : ٩١ ، والحج : ٧٤ ، والزمر : ٦٧

(٣) سورة التوبة : ١٢٨

(٤) سورة الجمعة : ٢

(٥) سورة الطارق : ٥ - ٧

نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ﴾ (١) .

ولكن بعض الناس إذا انغمس فى أطماع هذه الدنيا وغمرته نشوتها نسى ربه ، ونبيه ، ودينه ، فيأخذ يتصرف تصرفات لا تتفق مع دين الإسلام ، ولا مع العقل والإنسانية ، فَيْستغِلُه أعداءُ الإسلام وأعداء الإنسانية ، لتنفيذ مخططاتهم الهادفة إلى إضعاف الشعوب ، وسل الروح الإسلامية منهم ليسهل الاستيلاء عليهم ، واستعبادُهم ، وامتِصَاصُ خيراتِ بلادهم ، فالطامعون المستعمرون لا يرون أمامهم معوقاً إلا دينَ الإسلام ، لأنه هو الذى يحفظ كرامة الفرد والجماعة ، ويحفظ حقوق الناس ، وهو الذى ينشر العدل ، ويرفع الظلم ، ويُحَرِّم استعباد الإنسان للإنسان الحر ، لذلك فإن تركيزهم على الإسلام والشعوب المسلمة ، وهم يعرفون أنه لن يكون للكافرين على المسلمين سبيلاً ، لذلك فهم يتصَيَّدون الشذاذ من المسلمين لتسخيرهم فى مصالحهم .

فحرام على المسلم أن يكون منجلاً فى يَدِ عدوِّه .

حرام عليه أن يكون مِعْوَل هدم للإسلام والمسلمين يخدِمُ مصالح أعدائهم .

يجب على المسلم أن يعرض الأمر على دين الإسلام : كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، فما وافق أخذ به ، وما خالف نبذه .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه فى السر والعلن ، لن ينفعكم الناس إذا

---

(١) سورة الحج : ٥

أطعتموهم وعصيتم ربكم ، لن ينفعوكم إذا اتخذتم بعض الناس أرباباً من دون الله تقدمون طاعتهم على طاعة الله .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (١) .

* *

(١) سورة آل عمران : ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أدب مناجاة الرسول ﷺ

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الهادى إلى سبيل الرشاد .

وأشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . يهدى مَن يشاء ويُضل مَن يشاء [١] ، وإليه المعاد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير العباد .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد .

أما بعد . .

فيقول الخالق تبارك وتعالى فى محكم التنزيل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [٢] .

يأمر الخالق تبارك وتعالى عباده المؤمنين بأدب الخطاب والمناجاة مع رسول الله ﷺ وتوقيره فى القلوب والألسن خشية أن يغضب عليهم رسول الله ﷺ ، فيغضبُ الله لغضب نبيه فتحبط أعمالُهم فيهلكوا .

لما نزلت هذه الآية قال أمير المؤمنين أبو بكر عبدُ الله بن أبى قحافة رضى الله عنه للنبى ﷺ : والله لا أكلمك إلا كأخى السرار [٣] ؛ يعنى الهمس وخَفْض الصوت .

---

(١) إشارة إلى الآية ٤ من سورة إبراهيم ، والآية ٩٣ من سورة النحل ، والآية ٨ من سورة فاطر ، والآية ٣١ من سورة المدثر .

(٢) سورة الحجرات : ٢

(٣) عزاه الإمام ابن كثير فى تفسيره إلى مسند البزار : ٣٦٨/٦ عن أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه مع الشاهد الآخر .

وأمير المؤمنين عمر بنُ الخطَّاب رضى الله عنه ما كان يُسْمِع رسولَ الله ﷺ حتى يستفهمه (١) .

وقال ثابت بن قيس بن الشماس رضى الله عنه : أنا الذى كنت أرفع صوتى على رسول الله ، وخاف أنه حبط عمله فجلس حزيناً فى بيته حتى بشَّره النبى ﷺ بأنه من أهل الجنَّة (٢) ، وهكذا أصحاب رسول الله يتلقون الوحى من النبى ﷺ بفهم وقبول وتنفيذ فى الحال فأثنى الله عليهم بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) .

ولا شك أن حُرْمة النبى ﷺ بعد الْتِحَاقِه بالرفيق الأعلى مِثْلُ حُرمتِه فى حياته عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ؛ فلا يجوز رفع الصوت عند قبره ولا فى مسجده - صلى الله عليه وسلم - ، احتراماً له وتأدباً معه وتوقيراً .

روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه سمع صوت رجلين فى مسجد النبى ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء ، فقال : أتدريان أين أنتما ؟! ثم قال : من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، فقال : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً (٤) .

---

(١) البخارى : ٨/ ٥٩٠ برقم (٤٨٤٥) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه وأحمد فى المسند : ٤/ ٤

(٢) البخارى ٨/ ٥٩٠ برقم (٤٨٤٦) من حديث أنس رضى الله عنه أورده ابن كثير فى التفسير : ٦/ ٣٦٨

(٣) سورة الحجرات : ٣

(٤) أخرجه البخارى مع الفتح : ١١/ ٥٦٠ ، وفى الصحيح برقم (٤٧٠) ، باب (٨٣) : رفع الصوت فى المسجد ؛ وهو من حديث السائب بن يزيد رضى الله عنه ، وقد أورد الحديث الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٦/ ٣٧٠ وقال : قد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه - ثم ذكر الحديث . =

فلا يجوز للمؤمن أن يرفع صوته أمام قبر النبى ﷺ ، بل يُسَلِّم عليه بأدب واحترام كأنه حى تماماً ، حتى فى الصفة التى يُسَلِّم بها المؤمن على النبى تكون مثلَ سلامه عليه حياً ، فإذا صَلَّى فى المسجد ركعتين ذهب إلى المواجهة الشريفة فيُسَلِّم باختصار وإيجاز لأنه من الأدب والاحترام تقليل الكلام أمامه صلى الله عليه وسلم ، فيقول : « السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، أشهد أنْ لا إلَه إلا الله وأنك عبده ورسوله ، وأنك بلَّغتَ الرسالة وأديتَ الأمانة ونصحتَ الأُمَّة وجاهدت فى الله حق جهاده » (١) .

ثم يُسَلِّم على أمير المؤمنين أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ، ثم يُسَلِّم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم إذا أراد أن يدعو يتوجَّه إلى القِبْلة ، ويدعو الله بما أحب ، وإن قال : « اللَّهُمَّ آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام الذى وعدته » ، فحسَنٌ ، ولا يجوز الطواف حول الحجرة النبوية المطهَّرة ، وإنما الطواف خاص ببيت الله الكعبة المشرَّفة فقط .

فاتقوا الله أيها المؤمنون .. إنكم فى بلد رسول الله ﷺ وفى حرمه

= قلت : وإن عنده إسناداً مستقلاً عن عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه فللَّه دره رحمه الله تعالى ..

(١) هذا من خطبة النبى ﷺ فى يوم عرفة أخرجه مسلم فى الحج رقم الحديث (١٤٧) ، وابن ماجه برقم (٧٤٣٠) ، وهو جواب بعض أصحابه له عليه الصلاة والسلام حينما قال لهم فى خطبة : « وأنتم مسئولون عنى ، فما أنتم قائلون » ؟ ثم أجابوه رضى الله عنهم بهذا اللفظ ، وأخرجه أحمد فى المسند : ١٦/٥ ، وذلك من حديث خطبة سمرة ابن جندب رضى الله عنه .

ومواطئ أقدامه ، فأحسنوا الاقتداء به ، وأحسنوا الأدب فى الأفعال والأقوال والجوار والأخلاق .

وصلُّوا على البشير النذير ....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٤ - التوفيق للحج نعمة يجب شكرها [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [٢] . بعث محمداً ﷺ بالهُدَى ودين الحق لِيُظْهِرَهُ على الدين كله [٣] .

أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وهداهم به إلى صراطه المستقيم ، فبلَّغ ، ونصح ، وجاهد ، وتركنا على المحَجَّة البيضاء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك [٤] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسَلِّم تسليماً كثيراً .

---

(١) ألقيت يوم ١٢/١٢/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة ، والآية ٢٨ من سورة الفتح ، والآية ٩ من سورة الصف .

(٤) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه ، أخرجه ابن ماجه فى السُّنَّة : ١٦/١ ، المقدمة ، باب (٦) : اتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين ، حديث رقم (٤٣) ، وإسناده حسن مع الشواهد الكثيرة .

أما بعد . .

فيا أيها الناس ؛ اتقوا الله تعالى فإن التقوى هى ملاكُ الأُمور وأساسُها فراقبوا الله تعالى فى كل أعمالكم ، وأحوالكم ، وفى جميع أوقاتكم ، إنه يعلم السر والعلن .

عباد الله ؛ إن يومنا هذا من الأيام المفضَّلة ، أيام الذِكْر والدعاء والإنابة والاستغفار ، أيام الخير والبركة ، فهو أحد الأيام المعلومات ، وثالث الأيام المعدودات ، وهو يوم النفر الأول من الحج لمن تعجَّل ، ويومنا هذا ويوم غد ، هما آخر الأيام المشرَّفة فى عامنا ، فقد تصرَّم هذا العام ، ومضت ساعاته ، وانقضت أيامه وشهوره ، بما فيها من مواسم الخير والبركة والأيام والليالى المفضَّلة .

وعلى وشك أن تُطْوَى صحائف هذا العام بما أودع فيها من الأعمال والأقوال ، فكم من صحيفة مضيئة مشرقة تحمل لصاحبها الخير والسعادة والعِزَّة والكرامة والفوز والفلاح ، وكم من صحيفة مظلمة كالحة تحمل لصاحبها الخيبة والخزى والعار والهلاك ، فعلينا أن نتدارك ما بقى من هذه الأيام القلائل قبل أن تُطْوَى الصحائف ، فمَن كان عمل عملاً صالحاً وسطر فى صحيفته خيراً ، فليحافظ على نقاء صحيفته ، وليتزوّد من الحسنات والأعمال الصالحة .

ومَن كان أساء فيما مضى وسطر فى صحيفته المعاصى والإهمال والأمانى ، فليتنبه من غفلته ويثيب إلى الله تعالى ، فليندم على ما مضى ، وليُقلع عن المعاصى ، وليعزم على إصلاح العمل والقول فى المستقبل ، ويبدأ حياةً عمليةً صالحة خالصة لوجه الله تعالى ، فإنَّ الله يتوب على مَن تاب ، ويقبل مَن أناب ، ويعفو عن السيئات ، فسبحانه من إله عظيم ، ورب كريم ، رؤوف

رحيم ، يقبل القليل ويجزى عليه الجزيل ، ويعفو عن الكبير ويستر الإثم العظيم .

عباد الله ؛ فى هذا اليوم يُوَدِّع الحُجَّاج مشاعر الحَج الطيبة المقدَّسة ، بعد أن وقفوا بين يدى الله فى تلك البقاع المفضلة ، سيعودون من تلك المجتمعات الإسلامية الخالدة ، بعد أن أفاض عليهم الرب جَلَّ جلاله ، وتقدَّست صفاته وسماؤه من نفحات جُوده وكرمه ، ووهب مسيئهم لمحسنهم ، وغفر لهم ولمن شفعوا فيه ، سينصرفون إلى أهليهم وبلادهم بعد أن فازوا بهذا الفضل العظيم وهذا الشرف الدائم بيُسْر وسهولة فى أمن وأمان وراحة واستقرار ورغد من العيش ، فهنيئاً لمن كان حَجّه مبروراً وسعيه مشكوراً وعمله مقبولاً ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه [١] ، وفاز برضوان الله ورحمته ، فهذه نعمة كبرى يجب شكرها ورعايتُها ، فما جزاء النعمة إلا الشكر ، وما جزاء التوفيق إلا التزود من الخير والاستقامة ، وما جزاء المغفرة إلا الإكثارُ من العمل الصالح وإخلاص العمل لله وتعلقُ القلب بالله وحده لا شريك له .

أيها المؤمنون ؛ إذا تأمل الإنسان هذه الشعائر الإسلامية وتلك المجتمعات المقدَّسة ، علم أنها مجتمعات إسلاميةٌ ساميةٌ فى مقاصدها ، عاليةٌ فى أهدافها ، مثمرةٌ فى نتائجها ، تهدف إلى الخير وإسعاد الأُمَّة ، وجمع الشمل ، وتوحيد الكلمة ، وتوطيد روابط الأُخوة الإسلامية وتثبيت قواعدها ، وتحث على التضامن والاعتصام بحبل الله ، وكذلك إذا تأملنا جميع أصول الدين وفروعَه

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : أخرجه الشيخان فى صحيحيهما فى هذا المعنى ، البخارى : ١/ ٧٣ ، باب : « مَن قال : إن الإيمان هو العمل » ، وكذا مسلم فى كتاب الإيمان ، باب : بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، والبغوى فى شرح السُّنَّة : ٧/ ٤ برقم (١٨٤١) .

وجدناها تهدف لإسعاد الإنسانية وتحافظ على حقوقها وكرامتها ، وترتفع بها عن مشابهة الحيوانات فى طباعها .

فتشريع الإسلام - أمره ونهيه - كله فى مصلحة الإنسان فى عاجل أمره وآجله ، فالله غنىٌّ عمن سواه ، لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصى .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (١) .

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٢) .

كما أنها كلَّها تحث المسلمين على التعاون والتكاتف والتضامن ، فمثلاً : الإيمان بالله وربوبيته وإلهيته وعبادته وحده لا شريك له ، كما أنها حقٌّ واجبٌ لله على عباده ، فهو الذى خلقهم ورزقهم ويسَّرَ لهم سُبُل الحياة ، وفضَّلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً ، فهى الرابطة القوية بين المسلمين ، يلتفون حولها ويعملون لتحقيق معناها والدعوة لها والدفاع عنها .

والصلاة . . كما أنها صلة بين العبد وربه ، فهى أيضاً صلة بين المسلم وأخيه المسلم ، يجتمعون لها فى المساجد فيحصل بينهم التواصل والتعاطف والتَعرفُ على أحوالهم وتجديدُ روابط الإخوة الإسلامية كل يوم وليلة خَمْسَ مرات .

وكذلك صلاة الجمعة والعيدين . . مظهر من مظاهر الوحدة والإخوة ، فالمسلمون فى كل بلد يجتمعون للصلاة فى مكان واحد ، لهدف واحد ، ويقتدون بإمام واحد فى أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته .

الزكاة بركة فى المال ، وطُهْرة للنفس ، ومواساة للفقراء ، وتصل بين

---

(١) سورة فاطر : ١٥

(٢) سورة فصلت : ٤٦

المسلم الغنى وأخيه الفقير ، تبعث المودَّة بينهما والمحبة ، فيحصل توطيد الروابط والصلات الأخوية .

الصيام صلة خفية بين العبد وربه ، وفيه منافع للإنسان فى بدنه ونفسيته ، وفيه كسر شهوات النفس وتضييق مجارى الشيطان الذى هو حريص كل الحرص على تفريق شمل المسلمين ، وإيجاد الضغائن والخلاف بينهم ، كما أنه يُذكِّر الأغنياء بحالة إخوانهم الفقراء طيلة أيام العام .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إصلاح للمجتمع ، يدفع ما يُفسده ويصدعُ وحدته وإخوتَه ، ويحافظ على بقائها واستقامتها .

وتحريم الزنا والربا والخمور ، والغيبة والنميمة ، وتحريم الأموال والأعراض والدماء إلا بحق : فيه حفظ الأنساب والكرامات والشيم والإخوة والمحبة بين جميع أفراد الأُمَّة ، وفيه قطعٌ لأسباب الخلاف والشقاق ، وحفظٌ للحقوق .

فمَن حافظ على تعاليم الدين وقام بها على الوجه المشروع ، فهو يدعو بعمله هذا إلى الإسلام وإلى التضامن والوحدة الإسلامية .

وأما مَن ضيَّعَ شرائع الإسلام وخالف أوامره ونواهيه وحدوده وحقوقه ، فهو بذلك دعاية سيئة ضد الإسلام وضد التضامن والوحدة الإسلامية .

وإننا - أيها المسلمون - فى وقت أحوج ما يكون فيه المسلمون إلى التعاون والتكاتف والاستعداد والقوة والاعتصام بحبل الله . فى هذا الوقت الذى قام فيه إمام المسلمين بتجديد الدعوة للإسلام والتضامن الإسلامى ، يجب أن يكون كل فرد منا قدوةً حسنةً ومثالاً صحيحاً للإنسان المسلم ، ينبغى أن نكون مثالاً فى القيام بشرائع ديننا والتأدب بآدابه ، والائتمار بأوامره ، والوقوف عند نواهيه ، والتحلِّى بالأخلاق الفاضلة والشِيَم الكريمة ، والعفة والنزاهة والترفع عن الدناءة ، ويجب الصدق فى القول والمعاملات ، والوفاء بالوعد والعهد ،

والنُّصح لكل مسلم ، وينبغى أن نكون مثالاً حقاً فى الإيمان الصادق والعقيدة السليمة المستقيمة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما أمرنا رسول الله ﷺ حتى نكون حقاً خير أُمَّة أخرجت للناس (١) بالمعنى الصحيح .

فاتقوا الله تعالى واشكروه على هدايته وتوفيقه فى هذه البقعة المقدَّسة ، فى جوار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فأحسنوا الجوار واعملوا بسُنَّته واهتدوا بهَدْيه .

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا ، وقِنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونزغات الشيطان .

اللَّهُمَّ أصلح شأن المسلمين ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، واجمع كلمتهم على الهُدَى ، وقوِّ شَوْكتهم ووَحِّد صفوفهم وانصرهم على أعدائهم ، واحفظ كرامتهم ، وأعِدْ لهم مجدهم وعزَّتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ (٢) .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إكرام الزُّوَّار

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على نعمه التى لا تُحصَى .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى ، واستمسكوا بالعروة الوثقى (١) ، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (٢) .

عباد الله ؛ بعد وقت قليل سيفد إلى هذا المسجد الكريم الطاهر جَمٌّ غفيرٌ من وفود البيت الحرام لزيارة مسجد رسول الله ﷺ (٣) ، هذا المسجد الذى أُسس على التقوى من أول يوم (٤) ، فى هذا البلد الذى حرَّمه رسول الله ﷺ ، واختاره الله مكان هجرة لرسوله ﷺ ، فهو منبع الرسالة ومشع النور

---

(١) إشارة إلى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة ، والآية ٢٢ من سورة لقمان .

(٢) سورة البقرة : ١٩٧

(٣) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما ، أخرجهما البخارى مع الفتح : ٤/ ٢١٠ من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه بسياق طويل فى الصوم ، باب : الصوم يوم النحر ، ومسلم فى الصحيح برقم (٨٢٧) ، (٤١٦) فى الحج ، ومن حديث أبى هريرة رضى الله عنه مختصراً ، ومسلم فى الصحيح برقم (١٣٠٧) باب : « لا تُشَد الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد . . . . . » .

(٤) إشارة إلى الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

ومصدر الهدى ومأرز الإيمان ، فأحسنوا جوارهم ، وخالقوهم بالخُلُق الحسن ، وأصدقوهم فى المعاملة ، وانصحوا لهم ، وأحِبُّوا لهم كما تحبون لأنفسكم ، وكونوا لهم قدوة حسنة فى المعاملة الإسلامية والأخلاق الفاضلة ، فإنهم سينقلون الصورة التى يجدونها فى هذا البلد الشريف ، مدرسة محمد ﷺ .

فاتقوا الله فى ضيوف الله وزُوَّار مسجد رسول الله ، واتقوا الله فى دينكم ، تخلَّقوا بأخلاقه وتأدَّبوا بآدابه ، وصَلُّوا على النبى المصطفى فقد أمركم الله بذلك فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد ، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية أصحاب نبيِّك أجمعين ، وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أدم علينا نعمة الأمن والإيمان ، وعُمَّ بها جميع بلاد المسلمين ، وزدنا من جودك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ احفظ إمامنا ووَفِّقه لما تُحب وترضَى ، وكَلِّل مساعيه بالنجاح ، وأعِزَّهُ بالإسلام وانصر به المسلمين ، واجمع كلمتهم على يديه يا خير مَن دُعِىَ وأجاب . . . . . إلى آخر الدعاء .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٥ - وصية للحجاج (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، لك الحمد ربنا : أكملتَ ديننا وأتممتَ علينا نعمتك ورضيت الإسلام لنا ديناً (٣) .. فلك الحمد إلهنا .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .. واحد فى ربوبيته ، واحد فى أُلوهيته ، واحد فى أسمائه وصفاته ، واحد فى أمره ونهيه وتشريعاته .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح للأُمَّة وجاهد فى الله حق جهاده ، وتركنا على المحَجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع هَدْيه وسار على منهاجه .

أما بعد ..

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ، اجعلوا بينكم وبين غضبه وعقابه وقاية ، ولا واق إلا طاعتُه وطاعة رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى

---

(١) ألقيت يوم ١٩/١٢/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ (١) ، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (٢) ، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (٣) .

أيها الحاج الكريم ؛ لقد أديتَ شعائر حَجّ هذا العام ، واشتركتَ فى هذه العبادة الإسلامية الكبيرة ، واطلعتَ بنفسك على عدالة الإسلام وتسويته بين أبنائه فى الأقوال والأفعال واللِّباس والمواقف والهدف . الكل مُتَّجه لله ، والكل خاضع لله ، والكل مناجى لله ، والكل يعاهد الله بالإقامة على طاعته ، والله تعالى مُطَّلِع يَسْمَع ويرى .

لقد عرفت أخى المسلم كيف يقيم الإسلام تَصورات المسلمين ومناهجَهم وسلوكَهم وحياتهم كلها على أساس العقيدة الخالصة لله ، وعلى أساس الوحدانية المطلقة لله ، لقد زالت جميع التقاليد والعادات وجميع السمات إلا سمة العبودية لله ووحدانيته .

لقد أعلَنْتَ أيها الحاج التوبة لله وأشهدته عليها ، وأرقتَ دموع الندم فى تلك المشاعر ، وعاهدتَ ربك أن تُوَحِّده بالعبادة ، وأن تُفْرده بالعمل الخالص لوجهه ، ولقد رجوتَ من الله وحده المغفرة والرضوان ، ورجوتَ الخروج من ذنوبك ، ورجعتَ كيوم ولدتك أُمك ، لقد رجوتَ من الله وحده أن تعود صحيفتك بيضاءَ نقية لا سواد فيها ولا معصية .

فأوف بعهدك وحافظ على توبتك ، وانظر ماذا تَضَعُ فى صحيفتك ، احذر كل الحذر أن تنقض عهدك مع الله ، احذر كل الحذر أن تُدَنِّس صحيفة تعبت على تنقيتها .

---

(١) سورة آل عمران : ٣١

(٢) سورة النساء : ٨٠

(٣) سورة الحشر : ٧ ، وأولها : ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِه مِنْ أَهْلِ الْقُرَى .... ﴾ .

قد ترى إذا رجعت إلى بلادك من العادات والتقاليد ما يخالف شريعة دينك ، قد ترى ما ينافى الوحدانية لله ، قد ترى العبودية لغير الله ، قد ترى المثيرات والمغريات ، فإياك أن تقع فيها ، إياك أن يخدعك المخادعون ، اعتز بدينك وارفع رأسك به فخراً واعتزازاً ، قولاً وعملاً واعتقاداً ، فإنه دين خالد وشريعة ثابتة كاملة ، اختاره جَلَّ شأنه ونزَّله على خير رُسُله وأنبيائه صلى الله عليه وسلم ليكون شريعة ومنهجاً ونظاماً لكل أُمَّة ولكل جيل إلى أن تقوم الساعة ، فليس لكل زمان شريعة وليس لكل عصر دين وليس لكل إقليم نظاماً ، إنما هى الرسالة الأخيرة للبَشَر جميعاً ، إنما هو دين الله الذى اختاره لخلقه قد أكمله وأتمه ، وأتمَّ به النعمة ورضيه لهم ديناً ، فمَن أراد أن يُبْدِّل أو يُغَيِّر أو يُطَوِّر فقد ابتغى ديناً غير الإسلام : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (١) ، ولا يكفى إذاً أن يتخذ البَشَر لأنفسهم شرائع تشابه شريعة الله ، أو حتى شريعة الله إذا هم نسبوها إلى أنفسهم ووضعوا عليها شاراتهم ولم يردوها إلى الله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٢) ، إن تعديل شىء من هذا الدين أو إدخال ما ليس منه فيه كإنكاره كله لأنه إنكار لما قرر الله تمامه وكماله .

إن منهج الإسلام منهج إلَهى يشتمل على تصحيح الاعتقاد وإخلاص العبادة لله ، كما يشتمل على الشرائع المنظمة لنشاط الحياة كلها ، وهو يسمح للحياة بأن تنمو فى إطاره وترتقى وتتطور دون خروج على أصل فيه ولا فرع ، لأنه أُنْزِل من عند الله لتوحيد المصدر الذى تتلقى منه البَشَرية منهج حياتها ونظام مجتمعها وشرائع ارتباطاتها ومصالحها إلى يوم القيامة .

---

(١) سورة آل عمران : ٨٥

(٢) سورة المائدة : ٣ ، وأولها : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ .... ﴾ .

إن تطور الحياة فى ظل منهج الإسلام لا يعنى مجافاتها أو إهمالها لأصل من أُصوله ولا لفرع من فروعه ، ولكن يعنى أن طبيعة هذا المنهج تحتوى على الإمكانيات التى تتسع لهذا التطور ، وليكن معلوماً أنَّ كل تطور فى الحياة - سواء حاضراً ومستقبلاً - كان محسوباً حسابه فى ذلك المنهج الإسلامى ، لأن الذى أنزله ونظَّمه وشرَّعه لا يخفى عليه أنَّ هناك تطوراتٍ ستقع ، وأنَّ هناك حاجات ستبرز ، وأنَّ هناك مقتضياتٍ تحتاج إليها هذه التطورات والحاجات ، ولقد أعلن فى أواخر الرسالة فى حَجَّةِ الوداع أنه أكمله وارتضاه للناس ديناً ، وما قَدَرَ الله حقَّ قدره مَن يظن غير هذا فى أمر من الأُمور .

فيجب على المسلم أن يكون سلوكه على منهج الإسلام ، وأن يكون نظام حياته وفق شريعة محمد ﷺ ، وأن يكون إيمانه وعقيدته ثابتةً قويةً راسخة لا تلعب بها الأهواء ، ولا تزعزعها الدعايات ، ولا تقبل البدع والخرافات .

أخى المسلم ؛ احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أن الأُمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك (١) .

أخى المسلم ؛ تعرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة (٢) ، لا تُعَلِّق

---

(١) إشارة إلى الحديث الذى رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وأوله : « يا غلام ؛ إنى أعلمك كلمات ..... » ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وفى رواية غير الترمذى : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » .

(٢) جزء من الحديث السابق فى رواية غير الترمذى .

قلبك بأحد غير الله ، ولا تطلب الغوث والمدد إلا من الله ، ولا تطلب قضاء الحوائج وكشف الضُّرّ إلا من الله .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الثبات على الأمر والعزيمة على الرُّشد والفوز بالجنَّة والنجاة من النار .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

التوجه إلى الله وترك القُطْب والغَوْث

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾ (1) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن التناصح بين المسلمين واجب بل قاعدة من قواعد الدين وأصل من أصول الإسلام ، ومن حقوق المسلم على أخيه أن ينصح له ، فالجارُ يأتى يوم القيامة إلى جاره ويأخذ بتلابيبه يقول : رأيتنى على معصية ولم تنهنى ، والعامة تأخذ بتلابيب العلماء يقولون : رأيتمونا على معاصى ولم تُبيِّنوا لنا .

ومن هذا الباب أنصحك أيها المسلم وأُبيِّن لك ، بأن دعاة الضلال قد كثروا ونشطوا ، سترى أُناساً يلبسون ثياب الإسلام والإسلام منهم برئ ، فمنهم مَن هو مغرور مخدوع تائه ، ومنهم مَن هو عميل للصليب واليهود والماسونية ، إنهم يريدون أن يقطعوا صلتك بربك ، يريدون أن تجعلهم واسطة بينك وبين خالقك ، ليتحكمُّوا فى سلوكك ، ولتكون عبداً لهم تُقَبِّل الأرض من تحت أقدامهم .

---

(1) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

لقد أتاك الله السمع والبصر والفؤاد ، فاستعمل عقلك وفكِّر فى أمرك وقِس الأمور بمقاييس الشريعة وزِنْها بموازين الإسلام ، فما كان موافقاً فخذه وما كان مخالفاً فدعه وارفض الدعوة إليه .

إذا قال لك قائل : هَلُمَّ بنا إلى القطب والغَوْث فقل له : المغيث هو الله ، والرازق هو الله ، والنافع والضار هو الله ، فتوجه إليه واترك مَن سواه .

وإذا قال لك : تعال إلى ضريح الرجل الصالح ، فقل : تعال إلى الحى الذى لا يموت ، تعال إلى الذى خلقه وأماته ، تعال إلى الحى القيوم : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ (١)

وإذا قال لك قائل : تعال إلى المسارح والكباريهات ، فقل : هَلُمَّ بنا إلى بيوت الله محل العبادة والطاعات ، وإذا دعاك إلى الساحل حيث العراة ، فادعه إلى مجالس العلم وحِلَق العلماء ، وإذا دعاك لتلعب القِمار فقل : تعال إلى البيع والشراء والكسب الحلال ، وإذا دعاك إلى الشراب المحرَّم ، فادعه إلى ما أحَلَّ الله من الطيبات ، وإذا دعاك لسماع المطربين والمطربات ، فادعه إلى سماع كلام رب الأرض والسموات القرآن الكريم ، وإذا دعاك إلى الزنا والمحرَّمات ، فادعه إلى الزواج الشرعى واحذر المومسات ، وإذا أعجبتك امرأة بجمالها فاذهب إلى زوجك ، فإن معها مثل الذى معها ، وإذا قال : تعال نسهر ليلنا على المسليات ، فقل : تعال نناجى ربنا فى الغفلات .

إنهما طريقان متغايران ومنهجان متضادان : منهج إبليس وجنوده وأعوانه يتبعه الغاوون ، ومنهج محمد ﷺ إلى ربه يتبعه المهتدون ، فاختر لنفسك أيها المسلم ما فيه سلامة عقيدتك ، ونظافة إيمانك ، وما يُقَوِّى صلتك بربك ،

---

(١) سورة الشعراء : ٧٨ - ٨٢ .

واحذر كل الحذر أن تخدعك الدعايات وأن يصطادك الضُّلال ، احذر أن تُصلح دنياك وتُفسد آخرتك ، احذر أن تُصلح بدنك وتُعذِّب روحك .

اتقوا الله أيها المسلمون ، إن دينكم واضح جلى كامل متكامل لا يحتاج إلى زيادة ولا يقبل النقصان ، فخذوا به واتركوا ما سواه .

وصَلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢٦ - تذكير الحاج بالأحوال أولاً ..

والمقارنة بينها وبين الوقت الحاضر (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ (٢) .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .. نزَّل الذِكْر وحفظه من العابثين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بعثه الله رحمة للعالمين (٤) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الله تعالى اعتنى بهذه الأُمَّة ، أُمَّة محمد ﷺ وأكرمها وفضَّلها ، فاختار لها ديناً قِيَما ومِلَّة سمحة كاملةً شاملةً عزيزةً قويةً ثابتةً ، متلائمة مع الفِطْرة ،

---

(١) ألقيت يوم ١٣/١٢/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الكهف : ١

(٤) إشارة إلى الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

وافية بمتطلبات العقل والروح والبدن ؛ شاملة لحاجات العمران والتقدم وحاجات البيئات المتنوعة ومتطلبات الحياة .

وما من صاحب مِلَّة غير الإسلام ينظر إلى الإسلام نظرة مجردة من التعصب والهوى ، إلا ويقر بفقه هذا الدين وكماله وشموله ، وقدرته على قيادة البَشَر وسياسة الحياة قيادةً حكيمة رشيدة .

ولقد تحدَّى القرآن خصومه على أن يأتوا بمثله أو بعَشْرِ سور مثله ، أو بسورة واحدة فعجزوا واستسلموا : ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾ (١) .

قد عجز أعداء هذا الدين أن يُبطلوه ؛ أو يُنقصوه ، أو يُحرفوه ، فقد كتب الله له الكمال وسجَّل له البقاء ، فهو الدين الذى بقى محفوظاً لا تصل إليه أيد العابثين على كثرة أعدائه ومحاولاتهم ، محفوظاً لا يناله الدثور ، فما كان لأعداء الإسلام أن ينالوا منه أبداً ، وما كان لهم أن ينالوا من أهله إلا إذا انحرفوا عنه ، فلم ينهضوا بتكاليفه ومقتضياه ، ولم يحققوا نصوصه وأحكامه ، اختاره الله ليكون خاتماً لرسالاته إلى الثَّقَلين الجن والإنس حتى تنقضى هذه الحياة .

لا يجوز للمؤمن أن يتصور أن فى هذا الدين نقصاً يستدعى الإضافة ، فيبتدع فيه ما ليس منه فيهلك ، ولا أن يعتقد أن فيه زيادة لا تتلاءم مع العصر فيُلغيها فيهلك : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٢) .

إن ارتضاء الله الإسلام ديناً لهذه الأُمَّة يقتضى بذل جُهدها وطاقتها فى

---

(١) سورة المائدة : ٣

(٢) سورة المائدة : ٣

إدراك هذا الاختيار ، وبذل الوسع فى معرفة النعمة التى أتمها والاجتهاد فى شكرها والاستقامة عليها .

إنه من الجهالة والحماقة أن يرفض المسلم ما رضيه الله له ويختار غيره ، وإنها لجريمة نكدة لا تذهب بغير عقاب أن يرفض المسلم ديناً رضيه الخالق لعباده المؤمنين ، وقد يُمهل الله الذين لم يدخلوا فى الإسلام ولم يؤمنوا به فاتخذوا لأنفسهم منهجاً غير الإسلام ، قد يمهلهم الرب إلى يوم يلقونه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ (١)

الذين دخلوا فى الإسلام فتركوا منهجه إلى مناهج من وضع البَشَر ، لن يتركهم الله أبداً وسيذوقون وبال أمرهم في هذه الحياة إن لم يتوبوا ويرجعوا إلى إسلامهم وإلى ربهم : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (٢) .

الإسلام نظامٌ متماسك يؤيد بعضه بعضاً ، غير قابل للتجزئة ولا التفرقة ، ولا الأخذ ببعض وترك بعض ، سواء ما يختص بالاعتقاد ، أو ما يختص بالشعائر والعبادات أو ما يختص بالمعاملات والحلال والحرام ، أو ما يختص بالتنظيمات الاجتماعية وغير ذلك من تشريعات الإسلام ، فمجموعها هو الدين الذى أكمله الله ، وهو النعمة التى أتمها ، فالخروج على قاعدة من هذا الدين كالخروج عليه كله : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٢ - ٤٣

(٢) سورة الإسراء : ١٦ - ١٧

(٣) سورة البقرة : ٨٥

إن هذا الدين مُصَدِّقاً لما سبقه من الرسالات السماوية ومهيمناً عليها ، ولقد ظهر دين الله وامتد إلى المعمورة كلها ، ولا يزال دين الحق ظاهراً على الدين كله حتى بعد انحساره عن جزء كبير من الأرض التى فتحها ، وحتى بعد انحسار قوة المسلمين ، فوعد الله محقق : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (١) .

فما يزال هذا الدين ظاهراً على الدين كله فى حقيقته ، أما ظهور المسلمين فهو متوقف على حملهم هذا الدين بالمعنى الحقيقى قولاً وعملاً واعتقاداً ودعوة وجهاداً .

روى البخارى رحمه الله فى صحيحه بسنده عن معاوية بن سفيان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يزال من أُمتى أُمة قائمة بأمر الله لا يضرهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » (٢) ، ولئن كان المنافقون فى كل زمان ومكان يتربصون بالمؤمنين الدوائر ويتوعدونهم بالخذلان ، فإن القرآن لا يبالى بكيد الكافرين والمنافقين :

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الفتح : ٢٨

(٢) البخارى مع الفتح : ٦/ ٤٦٤ ، ومسلم : ٣/ ١٥٢٤ برقم (١٠٣٧) ، كلاهما من حديث معاوية رضى الله عنه .

(٣) سورة آل عمران : ١١٩ - ١٢٠

ولئن كان المنافقون يغترون بأنفسهم وسياستهم ويرون أنهم أعِزَّة أقوياء ، فهذا دليل على عمق جهلهم وغفلتهم عن صاحب العزَّة والقوة المتين ، فهم الأذلَّة والمحتقَرون الصاغرون : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

إن العدو الكامن فى صفوف المسلمين المستتر أشدُّ خطراً على المسلمين من العدو الخارجى الصريح ، ولذلك حذَّر الخالق تعالى نبيه ﷺ منهم ، فقال : ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ليس الإسلام بالتمنى ولا بالتحلى ولا بالشعارات والهتافات ، وإنما الإسلام ما وقر فى القلب وصدقته الجوارح (٣) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم .... إلى آخر الدعاء .

* *

---

(١) سورة المنافقون : ٨

(٢) سورة المنافقون : ٤

(٣) بمعناه ورد الحديث كما فى مسند البزار برقم (٢٠) وهو من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، وانظر : كشف الأستار عن زوائد البزار : ١/ ١٩ وإسناده حسن .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقارنة بين الماضى والحاضر

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [١] ، يسَّرَ لحجاج بيته مناسكهم ، وأفاض عليهم من نفحاته .

اللَّهُمَّ احشرنا معهم فى الأجر يا حىُّ يا قيوم .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، هو الرحمن الرحيم .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان أجمعين .

أما بعد . .

فيا أيها الحاج الكريم ، قد مَنَّ الله عليك فدعاك لأداء مناسك الحَجّ فى هذا العام ، ويسَّرَ لك أداءها فى يُسْرٍ وراحة وأمان واستقرار ، وفى رغد عيش وهناء ، وجئتَ لزيارة مسجد رسول الله ﷺ وللسلام عليه وصاحبيه ، ولعلك مكثت فى الطريق بين مكة والمدينة بضع ساعات ، وشاهدت السائرين معك فى الطريق عن يمينك وشمالك ، أمامك وخلفك ، الكل فى أمن وارتياح ، ورأيتَ الخدمات على طول الطريق لخدمة المسافرين وراحة السائرين ، ولعلك أدركتَ نعمة الله علينا وعليك وعلى إخواننا الحُجَّاج والزائرين ، فيجب علينا وعليكم شكر هذه النِعَم والاعتراف لله بها ، فهو الذى أعان ويَسَّرَ ، وهو

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

الذى وَفَّقَ وسَدَّدَ ، وهو الذى حفظ وحرس ، ثم نشكر المسئولين الذين وفَّقهم الله لخدمة ضيوفه .

إننى أُذَكِّر الحُجَّاج بالحال التى كانوا عليها من مدة بضع سنوات ، كانت وسائل السفر فى البَرِّ هى الجمال والخيل والبغال والحمير ، وكانت المسافة بين المدينة ومكة عشرة أيام بلياليها تقريباً للسير الهادئ .

وكانت وسائل السفر فى البحر السُّفُن البطيئة والشراعية ، يضاف إلى ذلك أنه كان فى الطريق الصحراوى الطويل قُطَّاع طريق لا يبالون بحُرْمة المسلم ولا بحُرْمة الإحرام ، همهم السلب والنهب ، فلما أراد الله بالبلاد وأهلها وبالحُجَّاج خيراً مكَّن الملك عبد العزيز آل سعود غفر الله له لتولى شئون البلاد ، وعاهد الله على العمل بكتابه وتحكيم شريعته وسُنَّة نبيه ﷺ ، وصدق الله فى عهده ، فجعل القرآن نظام حياته ودستور بلاده ، وجعل سُنَّة الرسول ﷺ قائداً يسير خلفها ، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الحدود ، وجعل القضاء بكتابه وسُنَّة نبيه ﷺ ، فألَّف الله القلوب عليه وصارت هذه البلاد حاضرتُها وباديتُها أُخوةً فى الله متحابين كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وصار الشعب مع الدولة كالجسد الواحد متماسكاً متلاحماً ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى (١) ، فأنجز الله له ما وعده ، فكان هذا الأمن وهذا الرخاء ، فالحمد لله على نعمه التى لا تحصى ، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ (٢) .

وخادم الحرمين الشريفين وولى عهده وأولاد عبد العزيز وحكومتهم ماضون

---

(١) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه : البخارى مع الفتح : ١٠/٤٣٨ برقم (٦٠١١) الأدب ، ومسلم : البر والصلة (٦٦ - ٦٧) .

(٢) سورة الحج : ٤٠

على منهج أبيهم ، متمسكون بدين الله ، حاكمون بشرع الله ، متعاونون مع إخوانهم المسلمين فى أى مكان كانوا ، يشاركونهم مشاعرهم ، ويواسونهم ويقفون فى صفهم ، ويشدون عضدهم ، ويبذلون كل جهودهم وإمكانياتهم لخدمة الحرمين الشريفين وخدمة الحُجَّاج وراحتهم ، فجزى الله المحسنين خير الجزاء .

وواجب على كل مسلم أن يحفظ المعروف لأهله ، ومَن لا يشكر الناس لا يشكر الله (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون كونوا كما أمركم الله .

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (٢) .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣) .

* * *

(١) أحمد فى المسند : ٢٥٨/٢ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وإسناده صحيح .

(٢) سورة النساء : ١٣٥

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٧ - الاقتداء بالنبيِّ ﷺ فى الحج [(١)]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله على فضله وإحسانه ، وأشكره على نعمه وآلائه .

اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، طَهَّر بيته للطائفين والقائمين والرُكَّعِ السجود ، وجعله مثابة للناس وأمناً [(٢)] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه بالهُدْى ودين الحق ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً [(٣)] .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد : .

فإن قاصد بيت الله الحرام يحرص على أعمال الحج والاقتداء بالنبى ﷺ فى نُسُكه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى مناسككم » [(٤)] .

---

(١) ألقيت يوم ١٨/١١/١٣٩٨ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة ، وإلى الآية ١١٩ من سورة البقرة ، وإلى الآية ٤٦ من سورة الأحزاب .

(٤) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه ، أخرجه مسلم فى الصحيح : ٢/٨٨٦ - ٨٩٢ بسياق طويل نحو هذا المعنى الذى أورده الخطيب وفقه الله وهو برقم (١٤٧) خاص وعام (١٢١٨) ، كتاب : الحج : ٢/٨٨٦ - ٨٩٢

لقد كانت حَجَّة النبى ﷺ درساً عملياً ، وكانت فى منتهى التمام والكمال ، وفيها الرأفة والرحمة بأُمته عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه جموع من المسلمين ، وخيَّرهم بين الأنساك الثلاثة : القِران ، والتمتعِ ، والإفراد . فأحرم - صلى الله عليه وسلم - من ذى الحليفة ، وهى الميقات المعروف الآن بآبار على ، أحرم قارناً وساق معه الهَدْى من الإبل ، وأهَلَّ ، فقال : « لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك ، لَبَّيْك لا شريك لك لَبَّيْك ، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ، وأمر مَن معه برفع الصوت بالإهلال والتلبية ، وساروا آمين البيت الحرامَ يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً ، فلما دخل - صلى الله عليه وسلم - المسجد الحرام قصد إلى البيت المطهَّر ، حتى حاذى الحجر الأسود فاستلمه ، وطاف بالكعبة المشرَّفة سبعة أشواط ، وكان يقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١) وكلما حاذى الحجر الأسود أشار إليه أو استلمه ، فلما فرغ من طوافه صَلَّى خلف المقام ركعتين ، واتخذ من مقام إبراهيم مُصَلَّى ، ثم خرج إلى الصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبله وقال : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، لا إلَه إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا - كرر ذلك ثلاث مرات - ثم نزل إلى المروة ، فلما انصب فى الوادى أسرع حتى جاوزه ، فلما وصل إلى المروة رقى عليها واستقبل البيت وفعل مثل ما فعل على الصفا ، فلما أكمل سعيه قال : « لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لما سُقت الهَدْى وجعلتها عُمْرة » ، وأمر مَن لم يَسُق الهَدْى أن يتحلل إلى عُمْرة رحمة بهم وتخفيفاً

---

(١) سورة البقرة : ٢٠١

عنهم ، لأن فى بقاء الإحرام عليهم حتى يوم النحر مشقةً لِطُول الوقت فى الإحرام .

فلما كان يومُ التروية وهو اليوم الثامن من شهر ذى الحجة ، أحرم مَن كان حَلَّ من منازلهم ، وخرج صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون إلى مِنَى وبات فيها ، فلما طلعت الشمسُ يوم التاسع سار إلى عَرَفة ، وكان من أصحابه المُلَبِّى ومنهم المُكَبِّرُ وهو - صلى الله عليه وسلم - يسمع ذلك ولا يُنكر ، فلما وصل إلى نمرة نزل بها ، فلما زالت الشمسُ ركب ناقته حتى أتى وادى عُرَنَة فخطب الناس ، فقرَّر قواعد الإسلام ، وهدم قواعد الشِّرك ، وأبطل أعمال الجاهلية ، وقرر تحريم الدماء والأعراض والأموال ، وأوصى بالنساء خيراً وذَكَرَ الحق الذى لهنَّ والحق الذى عليهن ، وأمر بالاعتصام بكتاب الله تبارك وتعالى ، وأخبر بأنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين به ، فلما انتهى من خطبته الجامعة الشاملة أمر بلالاً فأذَّن ، ثم صَلَّى الظهر والعصر جمعاً وقصراً ، فلما قُضيت الصلاةُ ركب ناقته حتى أتى موقفه فى ذيل الجبل عند الصخرات فى عَرَفَة ، فجعل الجبل بينه وبين القِبْلة وقال : « وقفت ههنا وعَرَفة كلها موقف » ، وأمر بالارتفاع عن بطن عُرنة ، وأخذ نبينا صلى الله عليه وسلم فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله تبارك وتعالى رافعاً يديه ، كاستطعام المسكين وهو مستقبل القِبْلة .

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم يومَ عرفة : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير » .

فلما غَربت الشمسُ ذلك اليوم ، أفاض من عَرَفَة وأمر بالسكينة والهدوء ، فلما وصل إلى مزدلفة صَلَّى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً ، ثم نام وأذِنَ لضَعَفة الناس بالانصراف من مزدلفة عند غياب القمر تلك الليلة ، فلما طلع الفجر صَلَّى الصبح فى أول الوقت ، ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر

الحرام فاستقبل القِبْلة ، وأخذ فى الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل والذكر حتى أسفر جداً ، وقال : « وقفتُ ههنا ومزدلفة كلها موقف » . ثم سار إلى مِنَى ، وأمر عبد الله بن عباسٍ أن يلتقط له حَصَى الجِمار فأخذ سبعَ حصيات من حصى الخَذْفِ ، فجعل صلى الله عليه وسلم ينفضهن فى كفه ويقول : « بمثل هؤلاء فارموا وإياكم والغلوَ فى الدين ، فإنما أهلك مَن كان قبلكم الغلوُّ فى الدين » ، وكان يُلَبِّى فى طريقه حتى أتى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس يوم العيد فرماها بسبع حصيات الواحدةَ تلو الأُخرى يُكَبِّر مع كل حصاة . ثم رجع إلى مِنَى وخطب خطبةً فتح الله لها أسماع الناس ، حتى سمعه جميعُ أهلِ مِنَى فى منازلهم .

وقال فى خطبته : « اعبدوا ربكم ، وصلُّوا خَمْسَكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ذا أمركم ، تدخلوا جنَّة ربكم » ، وبَيَّن حُرْمة يوم النحر وفضلَه عند الله جَلَّ وعلا ، وحُرْمة مكة على جميع البلاد .

ثم انصرف إلى هَدْيه فنحره وقال : « نحرتُ ههنا ومِنَى كلها منحر ، وفجاج مكة كلها طريقٌ ومنحر » . فلما كَمُلَ نحرُ هَدْيه حَلَق رأسه ، ثم أفاض إلى البيت العتيق فطاف طواف الإفاضة ، ثم رجع إلى مِنَى فبات فيها ، فلما أصبح اليوم الثانى وهو اليوم الأول من أيام التشريق انتظر زوال الشمس ، فلما زالت نزل إلى الجمار فبدأ بالأولى ، وهى التى تلى مسجدَ الخِيْف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة يُكَبِّر مع كل حصاة ، ثم تقدَّم إلى الجمرة الثانية وهى الوسطى فرماها بسبع كذلك ، ثم تقدَّم إلى الجمرة الثالثة وهى العقبة فرماها بسبع كذلك ، ثم فعل فى اليوم الثانى من أيام التشريق مثل ذلك ، بات بمِنَى ورمى الجمار الثلاث بعد الزوال .

ولم يتعجل – صلى الله عليه وسلم – وإنما بات بمِنَى ليلة اليوم الثالث من أيام التشريق ، ورمى الجمرات بعد الزوال ، ثم أفاض إلى مكة ، وقال :

« اجعلوا آخر عهدكم بالبيت » (١) فطاف طواف الوداع ، ثم ارتحل قافلاً إلى المدينة المنوَّرة ، مأوَى هجرته ، ومُنْتَشَرِ دعوته ، ومأرز الإيمان فى أُمَّته : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ انفعنا بالقرآن العظيم وبسُنَّة رسولنا الأمين .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الهداية والقول السديد ، ونسألك التوفيق والعمل الرشيد ، ونسألك الفوز والنجاة يوم الوعيد .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك شفاعة نبينا محمد ﷺ فشفِّعه فينا ، واسقنا من حوضه شربة تروينا ، وارزقنا العمل بسُنَّته على الوجه الذى يرضيك عنا .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : أخرجه مسلم فى الصحيح فى هذا المعنى ، حديث رقم (٣٧٩) خاص وعام (١٣٢٧) ، وقد عقد عليه النووى الباب بقوله : باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض : ٢/ ٩٦٣ ، وحديث رقم (٣٨٠) خاص ، وأخرجه الشافعى فى مسنده : ٢/ ٧٣ ، والبغوى فى شرح السُّنَّة : ٧/ ٢٣٢ برقم (١٩٧٢) عن طريق الشافعى به عنه .

(٢) سورة المائدة : ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المواقيت المكانية للحج

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الهادى إلى سواء الصراط .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، منه المبتدا وإليه المعاد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خيرُ العباد .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد .

أما بعد . .

فإن النبى ﷺ خيَّرَ أصحابه عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة وهى : التمتع ، والقران ، والإفراد ، فكان منهم مَن أهَلَّ بعُمْرة متمتعاً بها إلى الحَجِّ ، ومنهم مَن أهَلَّ بعُمْرة وحَجٍّ قارناً بينهما ، ومنهم مَن أهَلَّ بحَجٍّ مفرداً .

وقد أجمع أئمة الهُدَى وأهل العلم والتُقَى على جواز الأنساك الثلاثة ، وإنما اختلفوا فى أيها أفضل ، والذى يظهر والله أعلم أن التمتع هو الأفضل ، لأن النبى ﷺ أمر مَن لم يَسُق الهَدْى أن يجعلها عُمْرة فيكون متمتعاً ، ولأن التمتع أيسرُ وأسهلُ ، ولأنه يشتمل على نُسُكَيْن كل واحد مستقلٌ عن الآخر .

أيها المؤمنون ؛ لقد وقَّتَ نبينا محمد ﷺ للإحرام مواقيت مكانية ، فقال : « يُهل أهل المدينة من ذى الحليفة ، وأهلُ الشام من الجحفة ، وأهلُ نجد من قَرْن ، وأهلُ اليمن من يلملم » ، وقال : « هن لهن ولمن مَرَّ عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة » (١) . فلا يجوز للحاج أو المعتمر أن يتجاوز

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : أخرجه الشيخان فى صحيحيهما ،=

الميقات إلا مُحْرِماً إما من الميقات أو من محاذاته ، وأما مَن كان دون الميقات جهة مكة المشرَّفة ، فمن مكانه ، ويُسَن لمن أراد الإحرام أن يتنظف وأن يغتسل وأن يتطيب قبل الإحرام ، ولو تهيأ من منزله ثم ذهب إلى الميقات وعقد الإحرام منه جاز ، فإذا عقد الإحرام وجب عليه اجتناب المحظورات ، فلا يلبس المخيط ، ولا يمس الطيب ، ولا يأخذ شيئاً من شعره ولا من ظفره ، ولا يقتل صيد البر ، ولا يأكل لحم صيد البر إذا صيد من أجله ، ولا يغطى الرجل رأسه بملاصق . والمرأة فى الإحرام مثل الرجل فى الإحرام إلا أنها تخالف الرجل فى أمرين : فى لُبس المخيط وتغطية الرأس ، وما عدا ذلك فهى كالرجل فى الأعمال واجتناب المحظورات ، وأما الرَّفَث والفسوق والجدال فى الحج فحرام على الجميع .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وراقبوه فى السِّر والعلانية ، وصَلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير ، فقال جَلَّ من قائل عليماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارِك وأنْعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود .

وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

= البخارى : ٣٠٧/٢ : الحج ، باب : مهل أهل الشام ، وباب : مهل أهل مكة للحج والعُمْرة ، ومسلم برقم (١١٨١١) عام ، وكذا البغوى فى شرح السُّنَّة : ٣٦/٧ - ٤٣ برقم (١٨٥٩) ورقم (١٨٦٠) من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه .

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ مَن أراد الإسلام والمسلمين بسوء فاشغله مع نفسه واجعل كيده فى نحره ، واطمس على أمواله ، واشدد على قلبه ، ومَزِّقه كل ممزق إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ أَدِم الأمن والاستقرار فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفِّقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد .

اللَّهُمَّ انشر الأمن فى جميع أوطان المسلمين ، وأصلح أئمتهم وولاة أُمورهم ، واهدهم سُبُل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللَّهُمَّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللَّهُمَّ اسقنا وأغثنا .

اللَّهُمَّ أغث قلوبنا بالإيمان ، وأغثنا بالمطر الزلال .

اللَّهُمَّ إنَّا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك .

اللَّهُمَّ ارحم عبادك وبلادك وبهائمك وانشر رحمتك ، وأحيى بلدك الميت ، إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك إنك كنت غفاراً ، فأرسل السماء علينا مدراراً .

اللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك ونتوب إليك ، ونعتمد فى إجابة دعائنا عليك .

ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم ، وتُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

واذكروا الله العظيم يذكركم ، واستغفروه يغفر لكم : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

الباب الثانى

البيـــــوع

ويشتمل على عشر خطب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٢٨ - الحلال بيِّن والحرام بيِّن [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ [٢] . . أنزل على عبده الكتاب فيه بيانُ الحلال والحرام ، وتبياناً لكل شيء [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أمر بحفظ الدين ومراعاة المروآت .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بيَّن للناس ما نُزِّلَ إليهم ، فترك أُمَّته على صراط مستقيم نَيِّر واضح الجنبات .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتُقَى ، ومَن سار على نهجهم واهتدى .

أما بعد . .

فإن الإنسان يتكوَّن من الروح والجسد ، ولكل من الروح والجسد غذاء وداء ، فغذاءُ الروح صلتها بالله وحده بدون واسطة ، صلتُها بالذى خلقها ويرعاها وإليه معادها ، وبإرادته فجورها وتقواها ، فتأنس بطاعته ، وبإخلاص العبادة له ، وباتباع شرعه ، وتحكيم كتابه ، وبتوحيد الله فى ذاته وفى أفعاله ، وفى أسمائه وصفاته ، وفى عبادته .

---

(١) ألقيت يوم ٢/١١/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٨٩ من سورة النحل .

وداؤها معصيةُ الله بجميع أنواعها وأشدها الشِّرك وأسبابه ، وهى : البدع

واتباع الهوى وتقديم العقل على الشرع والإلحاد فى أسمائه وصفاته [١] ، وإرضاء الناس بسخط الله ، والحكمُ بغير ما أنزل الله ، والكفر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم أو النفاق فيها .

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [١] .

وأما الجسد فغذاؤه الطعام والشراب والهواءُ واللباس من الضروريات ، وأوجب الشرع أن يكون غذاؤه من الحلال .

وأما داؤه فحسيّ ومعنوى ، أما الحسى فالأمراض والأسقام التى ترد عليه ، وأما المعنوى فتعاطى المحرَّمات : « أيما جسد غُذى بالحرام فالنار أولى به » [٢] .

ومن رحمة الله بالإنسان يسَّر له ما يحتاج إليه وسخَّر له ما فى الأرض جميعاً وأعانه على فعل الأسباب وبارك له فى عمله .

فأهم الضروريات للإنسان الهواء الذى يستنشقه ، تجده متوفراً فى كل مكان ، فى متناول كل فرد كبير أو صغير ، غنى أو فقير ، يأتيه بلا طلب وبلا سبب .

ولم يكن لأحد فى تكوينه دور ، ولم يجعل الله لأحد عليه ملك ، ولا سلطان ، ولم يُكلَّف الإنسانُ ولا غيرهُ من الكائنات الحية جُهداً فى تحصيله ولا فى الانتفاع به ، وإنما الجهاز التنفسى يتحرك بإرادة الله وقدرته

---

(١) سورة البقرة : ١٠

(٢) الحاكم فى المستدرك : ١٢٧/٤ من حديث أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ، وكذا من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإسناده فيه ضعف ولكن معناه صحيح ، وقد جاء فى سورة البقرة (الآية : ٢٧٥) : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ .

شفطاً ودفعاً ، حركةً عادية لا مشقة فيها ولا عناء ، فالحمد لله على فضل الله

وإحسانه .

ولو كان لأحد دور فى تكوينه لتحكَّم فيه ، ولو كان لأحد عليه سلطان لباعوه بالأثمان .

ثم بعد الهواء فى الأهمية للإنسان : الماء ، فهو عنصر الحياة وأصلها الذى تنشأ به على وفق إرادة الله : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ (١) .

ومن رحمة الله بخلقه لم يجعل لأحد من البَشر دوراً فى تكوين الماء ولا تصنيعه ، بل ذلك لله وحده : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) ، وإنما دور الإنسان البحث عنه وتحصيله من مظانه بأى سبب من الأسباب .

ثم بعد الماء فى الأهمية : الغذاءُ واللباس ، فللإنسان فيه دور الحرث والعمل والإصلاح .

أما الزارع ، والمنتج ، والمبارك فهو الله : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ (٣) .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة النور : ٤٥

(٢) سورة الواقعة : ٧٠

(٣) سورة الواقعة : ٦٣ - ٦٧

(٤) سورة المؤمنون : ٢١

﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ﴾ (١) .

وقد يطرأ على ما يحتاجه الإنسان مفسداتٌ ، أو مخبثاتٌ ، أو مضراتٌ ، أو ما يجعل تعاطيه مخلاً بالعفة والشرف ، أو بالمصلحة العامة ، أو ظلماً لأحد من الخلق .

كما أن هناك أشياءَ مضرةٌ أو خبيثةٌ مِنْ أصل خلْقها أو مستقذرة فى البيئة التى نزل عليها الوحى بالتشريع أو لا تليق بوظيفة الإنسان ، والإنسان كرَّمه الله وأعزَّه ، وللمحافظة على كرامته ، وحِفْظ حقوقه ، وحَقْن دمه ، وصِيَان عِرضه ، وحِفْظ نسبه ، وتزكى نفسه : أحلَّ الله له الطيبات وحرَّم عليه الخبائث [٢] ورغَّبه فى ترك ما يشتبه عليه ، ونهاه عما يؤثر فى مرتبة العبودية .

روى البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّن ، وبينهما مُشبَّهاتٌ لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المُشبَّهاتِ استبرأ لدينه وعِرضه ، ومَن وقع فى المُشبَّهاتِ كراعى يرعى حول الحِمَى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حِمَى ، ألا وإن حِمَى الله فى أرضه محارمه ، ألا وإن فى الجسد مُضْغَةً إذا صلَحت صَلح الجسدُ كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » (واللفظ للبخارى) [٣] .

قال فى عمدة القارى (١/ ٣٣٩) : أجمع العلماء على عِظَم موقع هذا الحديث ، وأنه أحد الأحاديث التى عليها مدار الإسلام ، وسبب عِظَم موقعه أنه عليه الصلاة والسلام نبَّه فيه على صلاح المطعم والمشرب والملبس والمنكَح

---

(١) سورة النحل : ٨٠

(٢) إشارة إلى الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

(٣) البخارى مع الفتح : ١/١١٦ ، ١١٩ ، باب : فضل مَن استبرأ لدينه ، ومسلم برقم (١٥٩٩) المساقاة من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنهما .

وغيرها ، وأنه ينبغى أن يكون حلالاً ، وأرشد إلى معرفة الحلال وأنه ينبغى

ترك المشتبهات ، فتركها سبب لحماية دينه وعِرضه ، وحذَّر من مواقعة الشُبهات ، وأوضح ذلك بضرب المثل بالحِمَى ، ثم بَيَّن أهم الأُمور وهو مراعاة القلب .

فالحلال المحض بيِّن لا اشتباه فيه مثلُ الطيبات من الحبوب والثمارِ وبهيمة الأنعام والأشربة الطيبة ، واللباس من القطن والكتان والصوف والشعر والمنسوجات من الخامات الحلال ، ومثل النكاح الشرعى والتسرى بملك اليمين الصحيح وغير ذلك مما عُلم حله إذا كان اكتسابه بقصد صحيح كالبيع ، أو الهبة أو الهدية ، أو الميراث ، أو غنيمة مشروعة ، أو بعقد شرعى .

والحرام المحض مثل : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، والخمر ، والميسر ، والربا ، والزنا ، ونكاحِ المحارم ، ولُبْس الحرير والذهب والفضة للرجال إلا ما ورد الشرع بإباحته ، ومن الحرام المحض : الأموال المسروقة والمغصوبة والمنهوبة والمختلسة ، والرشوة ، والغلول ، وثمن ما لا يحل بيعه .

وهناك أُمور تشتبه على كثير من الناس لا يعلم هل هى من الحلال فينتفع بها ، أم هى من الحرام فيجتنبها .

والورع اجتناب المتشابه حذراً من الوقوع فى المحرَّم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « إنى لأنقلب إلى أهلى فأجد الثمرة ساقطة على فراشى فأرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون من الصدقة فألقيها » (خرَّجاه فى الصحيحين) (١) .

كما قال فى جامع العلوم : ولكل من الحلال والحرام حماية وحاجز مثل الغلاف يمنع من تجاوز الحلال ومن الوقوع فى المحرَّمات ، فغلافَ الحلال

---

(١) البخارى مع الفتح : ٥/٦٣ فى اللقطة ، باب : إذا وجد ثمرة فى الطريق من حديث أبى هريرة رضى عنه ، ومسلم برقم (١٦٣) خاص وعام (١٠٧٠) : الزكاة ، باب : تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ ، ومن حديث أنس : مسلم (١٠٧١) .

المباحات ، وغلاف الحرام المكروهات ، فمَن خرج من الحلال إلى المباح تطرَّق إلى المكروهات ، ومَن أكثر من المكروهات تطرَّق إلى الحرام كالراعى يرعى حول الحِمَى ، فالورع أن يجعل المسلم بينه وبين الحرام حاجزاً وستراً من المباحات خشية الوقوع فى المكروهات ثم المحرمات ، ففى حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن النبى ﷺ أصابه أرق من الليل فقال له بعض نسائه : يا رسول الله ؛ أرقتَ الليلة ؟ فقال : « إنى كنتُ أصبتُ تَمْرة تحت جنبى فأكلتها ، وكان عندنا تمر من تمر الصدقة فخشيتُ أن تكون منه » (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على النبى المطهَّر صلى الله عليه وسلم .

وحاصل الأمر : أن الله تعالى أنزل على عبده الكتاب وبيَّنَ فيه الحلال والحرام ، ووكل بيان ما أشكل من التنزيل إلى الرسول ﷺ كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢) ، وما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكمل لأُمَّته الدين ، فأنزل عليه فى يوم عرفة فى حجة الوداع : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تركتكم على بيضاء نقيةٍ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » (٤) ، فما ترك رسول الله ﷺ حلالاً إلا مبيناً ،

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند : ٢/١٩٣ وإسناده حسن ، وذلك من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم .

(٢) سورة النحل : ٤٤

(٣) سورة المائدة : ٣

(٤) ابن ماجه : ١/١٦ ، المقدمة برقم (٤٣) من حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه ، وإسناده حسن .

ولا حراماً إلا مبيناً ، لكن بعضه كان أظهر بياناً من بعض ، فَيُرد ما خفى إلى ما ظهر : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .. واتقوا الله أيها المؤمنون .

اللَّهُمَّ أغننا بالحلال عن الحرام ، وبفضلك عمن سواك ، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم ...... إلى آخر الدعاء .

* *

(١) سورة النحل : ٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحب لله والبغض لله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه .

أما بعد . .

فهناك مَن يتكلم فى الولاء والبراء والذى يظهر من كلامه أنه لا يعرف الولاء والبراء .

فالولاء هو المحبة فى الله وموالاة كل مؤمن .

والبراء هو البغض فى الله ، والبراءة من غير المؤمنين ، فعلى المؤمن الصادق أن يُعادى فى الله ، وأن يُوالى فى الله ، فإذا كان هناك مؤمن أو مؤمنون وجبت على كل مؤمن موالاتهم ومحبتهم فى الله لأنهم مؤمنون بالله فيلتزمون بشريعة الله ، حتى لو حصل من مؤمن ظلم لمؤمن ، فإن الظلم لا يقطع الإيمان ولا الموالاة بالإيمان وإنما ينقصه .

والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك ، فإن الله تعالى بعث الرُّسُل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

والبغض لأعدائه ، والثواب والإكرام لأوليائه والإهانة والذلة والعقاب لأعدائه .

فإذا اجتمع فى الرجل الواحد خير وشر ، وفجور وطاعة ، وسُنَّة وبدعة ، استحق من الموالاة بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة بحسب ما فيه من الشر .

وقرابة النسب أو الجوار ، أو المصالح الدنيوية لا تأثير لها فى البراء والولاء : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴾ (٢) فالذى يحب أن يعلن البراء من الكفرة والمشركين ، يعلنه فى مجتمعاتهم وفى عهده معهم ، وفى رفض توجيهاتهم ، ونبذ مخططاتهم ، فقد كان إعلان النبى ﷺ البراءة من المشركين يوم الحَجِّ الأكبر حينما كان المشركون فى مكة وكان بينهم وبين المسلمين عهود ، ولم يكن المشركون يحافظون على عهدهم ، وكانوا يتحينون الفُرَص للكرَّة على المسلمين ، وكانوا يطوفون بالبيت عراة ويُصفقون ويُصفرون مُخلِّين بكرامة البيت العتيق ، مُحْتمين بعهدهم مع المسلمين ، فأمر الله نبيَه ﷺ بإعلان براءته وبراءة رسوله ﷺ منهم ، ومنع المشركين من الطواف بالبيت ومن القُرب من المسجد الحرام : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (٣) .

والحمد لله لم يَقْرُب المسجد الحرام مشرك بعد تلك البراءة إلى هذا الزمن ، فليس فى البيت العتيق ولا حوله إلا مؤمنون موحِّدون صادقون تجب محبتهم

---

(١) سورة المجادلة : ٢٢

(٢) سورة التوبة : ٢٣

(٣) سورة التوبة : ٢٨

وموالاتهم فى الله ، والذين يحجون البيت مؤمنون يحبون الله ويحبون رسوله ، فلأى شىء تُعلن البراءة من المشركين بين المؤمنين وليسوا من أهلها .

والنبى ﷺ أعلن البراءة من المشركين بين أظهرهم وواجههم بها ، فمَن أراد أن يقتدى به - صلى الله عليه وسلم - فليجعل براءته فى بلد الشِّرْك ، وبين أظهر المشركين ، أما التعنت والمغاطات والنفاق فغير مظنة المسلم ، وكل دولة مسلمة وكل شعب مسلم ، وكل رجل يعقل ، وكل دولة معتدلة تجب موالاتها ومحبتها فى الله .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ - المعاملات المنهى عنها (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله أحمده ، وأستعينه ، وأستغفره ، وأتوب إليه .

وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومَن دعى بدعوته ، واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون ؛ أُوصيكم وإياى بتقوى الله فإن تقواه هى أساس الصلاح والفلاح ؛ واعلموا أن الربا حرام بنص كتاب الله ، وسُنَّة رسوله ﷺ ، وإجماع المسلمين . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) ألقيت يوم ٩/١١/١٤١٠ هـ .

(٢) سورة آل عمران : ١٣٠ - ١٣٢

وقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا السبع الموبقات » - أى المهلكات - قالوا : وما هُنَّ يا رسول الله ؟ قال : « الشِّرْكُ بالله ، والسِّحرُ ، وقتلُ النفس التى حرَّم الله إلا بالحق ، وأكلُ الربا ، وأكلُ مال اليتيم والتولى يوم الزحف » (١) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « وكل ربا الجاهلية موضوع تحت قدميّ هاتين » (٢) .

إن أكلَ الربا ، وكسبَ الربا من أشنع المعاصى وأعظم الآثام ، وعاقبتُه سيئةٌ فى الدنيا والآخرة ، فهو تعبٌ ونكد فى الدنيا ، وعذاب بعد الموت ، وخِزْى وعار عند البعث والنشور ، وحساب شديد عند العرض ، وحسرة وندامة ، وآخر أمره خلود فى النار ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٣) .

وعن النبى ﷺ قال : « أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى شط النهر رجلٌ بين يديه حجارةٌ ، فأقبل الرجل الذى فى النهر ، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجلُ بحجر فى فِيهِ ، فردَّه حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرجَ

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أخرجه الشيخان فى صحيحيهما : البخارى مع الفتح : ٥/٣٩٣ برقم (٢٧٦٦) ، ومسلم فى الصحيح : الإيمان ، حديث رقم (١٤٤) ، ولفظه : « اجتنبوا السبع الموبقات » ثم ذكره . .

(٢) من خطبة النبى ﷺ يوم عرفة أخرجها مسلم فى الصحيح برقم (١٤٧) : الحج من حديث جابر الأنصارى رضى الله عنه .

(٣) سورة البقرة : ٢٧٥

رمى فى فِيهِ بحجر ، فيرجعُ كما كان ، فقلت : ما هذا الذى رأيت فى النهر ؟ قال : آكل الربا » (١) .

وفى حديث آخرَ : « أيما لحم نبت من السُّحْت فالنار أولى به » (٢) .

الربا - عباد الله - ممحوق وممقوت عند الله تعالى ، ومآل الربا إن قَلَّ وإن كثر فهو محرَّم ، والكسب الحلال أعظمُ بركةً ، وأكثر نفعاً ، وإن قَلَّ ، وعاقبته حميدة ، والذى يتعامل بالربا إنما قصد الإكثار من المال لشدة جشعه ، فلم يقنع بما أحلَّ الله له من الكسب الطيب ، وإنما يسعى لأكل أموال الناس بأنواع المكاسب الخبيثة ، ولكن الله سيعامله بنقيض قصده ، فإما أن يسلبه المال بالكلية ، أو يحرمه من الانتفاع به فى الدنيا ، ويُعذِّبه به فى الآخرة ، المرابى يجحد نعمة الله ، أثيم بأكل أموال الناس بالباطل قال جلَّت عظمته وتقدَّست أسماؤه : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٣) ، والذى يأكل الربا ويتعامل بالربا محارب لله ورسوله ، ومعاند لله فى شرعه وأمره ونهيه ، ما أذلّ وما أحقر مَن حارب الله ورسوله ؟ ويا حسرة من عاند الله وعصى أمره وانتهك محارمه .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ ﴾ (٤) .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند : ٥/ ١٤ - ١٥ ، وذلك من حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه ، وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك : ٤/ ١٢٧ من حديث أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكذا من حديث أبى بكر الصِّدِّيق ، وفى إسنادهما ضعف .

(٣) سورة البقرة : ٢٧٦

(٤) سورة البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩

قال بعض المفسِّرين على هذه الآية ، عن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : من كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه كان حقاً أن يُستتاب ، فإن نَزَع وإلا ضُرِبَت عنقه (١) .

الربا - عباد الله - من أكبر الكبائر ، وعظائم الذنوب ، التى لا تُغفر إلا بالتوبة إلى الله ، ورد الأموال الربوية إلى أهلها ، والاكتفاء برأس المال الحلال ، ومَن تاب تاب الله عليه ، ومَن ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

وأما قوله تعالى فى الآية السابقة : ﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (٣) فذلك ما كان قبل تحريم الربا .

« إن الربا بضع وسبعون شُعْبَة ، أيسرها فى الإثم والشناعة أن ينكح الرجل أُمَّه » (٤) . . أعاذنا الله جميعاً من ذلك .

روى الحاكم فى مستدركه بسند قال : صحيحٌ على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « الربا ثلاث وسبعون باباً ، أيسرها

---

(١) قاله الإمام ابن كثير فى تفسيره (١/ ٥٨٧) : إذ قال : قال علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ثم ذكره .

(٢) سورة البقرة : ٢٧٩ - ٢٨٠

(٣) سورة البقرة : ٢٧٥

(٤) ابن ماجه فى السنن برقم (٢٢٧٤) : التجارات ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وفى إسناده نجيح بن عبد الرحمن أبو معشر السندى . قال الحافظ فى التقريب : ٢/ ٢٨٩ ، رقم الترجمة (٤٦) : ضعيف من السادسة ولكنه يُكتب حديثه ويُستشهد به ولا يُترك ، وله شاهد صحيح سوف يأتى فيما بعد .

أن ينكح الرجل أُمه » (١) لذلك لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ، وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : « هم سواءٌ » : أى فى الإثم (٢) .

وقد بيَّن الرسول ﷺ نماذج للمبايعات الشرعية وأباحها ، وأوضح لنا أنواعاً من المبايعات الربوية وحذَّرنا منها ، وهو - صلى الله عليه وسلم - رءوف رحيم بأُمته يُحِلَّ لهم الطيبات ويُحَرِمُ عليهم الخبائث ، فقال : « الذهب بالذهب ، والفِضة بالفِضة ، والبُرِّ بالبُرُ ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والمِلح بالمِلح ، مثلاً بمثل ، يداً بيد ، فمَن زاد أو استزاد فقد أرْبى » (٣) الآخذ والمعطى فيه سواء ، وفى حديث آخر : « ولا تبيعوا منها غائباً بناجز » (٤) ، وفى حديث : « فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم » (٥) إذا كان يداً بيد .

وجاء بلال إلى النبى ﷺ بتمر برنى ، فقال له : « من أين هذا » ؟ قال : كان عندنا تمر ردئ فَبِعْتُ منه صاعاً بصاعين ، فقال : « أوَّه ، عَيْنُ الربا عَيْنُ الربا ، لا تفعل ، ولكن إذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به » (٦) .

---

(١) الحاكم فى المستدرك : ٢/ ٣٧ من حديث ابن مسعود رضى الله عنه وإسناده صحيح على شرط البخارى ومسلم ، هكذا قال الذهبى فى التلخيص .

(٢) مسلم فى الصحيح برقم (١٥٩٨) من حديث جابر الأنصارى ، وكذا حديث ابن مسعود رضى الله عنه : مسلم برقم (١٥٩٧) .

(٣) مسلم فى الصحيح برقم (١٥٨٧) من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، وكذا أبو داود برقم (٣٣٤٩) .

(٤) الشيخان فى صحيحيهما من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : البخارى : ٤/ ٣١٧ ، ومسلم (١٥٨٤) .

(٥) مسلم فى الصحيح : ٣/ ١٢١١ برقم (٨١) : المساقاة ، من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، وأبو داود : البيوع ، باب رقم (١٢) .

(٦) الشيخان فى صحيحيهما ، البخارى : الوكالة ، باب (١١) ، ومسلم : ٣/ ١٢١٥ : المساقاة ، حديث رقم (٩٦) ، وهو من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

واعجباً لآكل الربا ، كيف يستريح له بال وهو محارب لله ورسوله ؟ وكيف تنعم له نفس وهو ملعون على لسان المصطفى ﷺ ؟ وكيف يَتلذذ بالحياة ومآله إلى الوعيد الشديد ؟

آكل الربا إن تصدَّق لم يُقبل منه : « إنَّ الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً » (١) ، وإن دَعَى لا يُستجاب له فمأكله حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنَّى يُستجاب له » (٢) .

أما يخشى الذى يأكل الربا ويتعامل بالربا من سخط الله وعقابه أن ينزل به فى ساعة من ليل أو نهار بغتة أو جهرة ؟

فاتقوا الله عباد الله ، واحذروا مخالطة البيوع الربوبية ، فإنها تُفسد عليكم أموالكم وأعمالكم ، والله قد وسَّعَ الحلال وأطابه لنا .

فلا يُلجئنكم إلى معصية لله فاقة ، ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

ولا تغتروا بكثرة العاصين والمعاندين والمرابين ، ولا بقلة المطيعين المتقين ، فإن الحلال ما أحلَّ الله ورسولُه ، والحرامَ ما حرَّم الله ورسوله ، لا بمرغبات الشهوات ولا بنزغات الشيطان ، والأكثرية غالباً فى كل زمان ضالون أهل فسق وجهالة ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٤)، وقوله : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ

---

(١) مسلم فى الصحيح : ٢/٧٠٣ : الزكاة ، حديث رقم (٦٥) خاص وعام (١٠١٥) ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) هو نفس هذا الحديث : مسلم فى الصحيح : الزكاة ، حديث رقم (٦٥) ، وأحمد فى المسند : ٢/٣٢٨

(٣) سورة التوبة : ٢٨

(٤) سورة الأنعام : ١١٦

﴿ أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)
فاتقوا الله أيها المؤمنون ، ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بالآيات والذكر الحكيم ، وأغننا بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عمن سواك ، وبارك لنا فى عطائك يا أرحم الراحمين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الأعراف : ١٠٢

(٢) سورة الأعراف : ١٨٧

(٣) سورة البقرة : ٢٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخير فيما أَحَلَّ الله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .. والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمامُ المتقين وقائد الغر المحجلين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان أجمعين .

أما بعد ..

فيا أيها الناس ؛ اتقوا الله تعالى واعلموا أن الخيرَ والبركةَ فيما أَحَلَّ اللهُ ورسولُه ، والشرَّ والخبثَ فيما حَرَّم الله ورسوله ، والعزَّةُ والكرامة فى طاعة الله ، والذِلَّةُ والهوان فى معصية الله ، فاقنعوا بما أَحَلَّ اللهُ وازهدوا فيما حرَّم الله .

مَن يُطع الله ورسوله فقد رشد ، ومَن يعص الله ورسوله فقد غوى : « الكيس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » (٢) .. والآجالُ وتصريفُ الأُمور بيد الله ،

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) من حديث شداد بن أوس رضى الله عنه : أخرجه أحمد فى المسند : ٤/ ١٢٤ ، والترمذى فى جامعه ، وابن ماجه فى سننه من هذا الوجه واللَّفظ ، وإسناده فيه ضعف=

لا يعلمها إلا هو ، فلا يدرى الإنسان ماذا يصيبه فى صباحه ومسائه ، فخذوا حذركم وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا ، وزِنوها قبل أن تُوزَنوا .

وأكثروا من الصلاة والتسليم على نبينا الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المبين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى علىَّ مرة واحدة صلَّى الله عليه بها عشراً » (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأنْعِم على عبدك ورسولك ، وصفوتك من خلقك ، صاحب الوجه الأنور ، والجبين الأزهر ، الشافع المُشفَّع فى المحشر .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء ، الأئمة الحنفاء : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وارض عنا معهم بِمَنِّك وجودك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حَوْزة الدين يا رب العالمين .

= شديد ، لأن فيه أبو بكر بن أبى مريم وهو واهٍ جداً ، ولكن معناه صحيح ولا يجوز أن يُنسب هذا الكلام إلى رسول الله ﷺ والله أعلم . انظر : الترمذى ، رقم الحديث (٢٤٦١) ، وابن ماجه برقم (٤٢٦٠) ، والبغوى فى شرح السُّنَّة برقم (٤١١٧) .

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) أخرجه إسماعيل القاضى فى فضل الصلاة على رسول الله ﷺ بطرق عدة وإسناده حسن ، وذلك من حديث أبى طلحة رضى الله عنه برقم (٣) ص ٢٣ ، وله شاهد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه برقم (٨) ص ٢٦ ، وإسناده صحيح .

اللَّهُمَّ آمنا فى أوطاننا ، وانصر واحفظ إمامنا ، وأصلح ولاة أُمور المسلمين .

اللَّهُمَّ مَن أراد المسلمين بسوء فاشغله بنفسه واجعل كيده فى نحره ، واجعله عبرة للمعتبرين .

اللَّهُمَّ ادفع عنا الغلاء والوباء ، والربا والزنا ، والزلازل والمحن ، وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، عن بلدنا هذا خاصة ، وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ تُبْ على التائبين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين ، واكتب الصحة والسلامة لنا ولجميع المؤمنين . .

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، واجمع شملهم ، ووحِّد كلمتهم ، وألِّف بين قلوبهم ، واهدهم سُبُل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، إنك على كل شىء قدير .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه يزدكم . . ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٠ - الحث على الكسب الحلال (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (٣) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (٤) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، طيب لا يقبل إلا طيباً (٥) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله حَثَّ على الكسب الحلال ، وحذَّر من كسب الحرام : « أيما لحم نبت من حرام فالنار أولى به » (٦) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) ألقيت يوم ٢١/٣/١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة المؤمنون : ٥١

(٤) سورة البقرة : ١٧٢

(٥) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم : الزكاة ، برقم (٦٥) خاص وعام (١٠١٥) .

(٦) الحاكم فى المستدرك : ٤/١٢٧ ، وفى إسناده ضعف يُتحمل .

أما بعد . .

فإن الله تعالى خلق بنى آدم على خِلقة قِوامها أربعة أشياء : اثنان ضروريان للحياة ، واثنان ضروريان للآداب والحياء ، وهى الطعام والشراب ، واللِّباس والسكن .

فلو فقد إنسان الطعام والشراب مدة هلك : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ (١) .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

واللِّباس مِنَّةٌ من الله على بنى آدم يستر السوأة وريشٌ وجمال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٣) .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (٤) .

وأما السكن فهو ضرورى للإنسان ، فله حاجات شخصية وأعمال ذاتية يكره أن يراها أحد ، فلا بد له من سكن يستتر فيه ويرتاح إليه ، وأيضاً فإن الإنسان خُلِقَ ضعيفاً لا يتحمل شدة الحر ولا صقيع البرد ، فلا بد له من سكن يتقى فيه ما لا طاقة له به : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ ﴾ (٥) .

وهذه الضروريات لا تحصل إلا بالعمل والكسب .

---

(١) سورة الأنبياء : ٨

(٢) سورة الأنبياء : ٣٠

(٣) سورة الأعراف : ٢٦

(٤) سورة الأعراف : ٢٧

(٥) سورة النحل : ٨٠

كما أن المسلم يحتاج إلى ما يُعينه على أداء الفرائض وما يُغنيه عن التطلع إلى ما فى أيدى الناس ، وهذا لا يكون إلا بالكد وابتغاءِ فضل الله .

والكسب إما أن يكون حلالاً وإما حراماً ، فطلب الحلال من عمل الأخيار ، وهو طريق الأبرار ، فيه قُرْبة وطاعة لله ، يُثيب عليه ويُبارك فيه : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (١) .

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (٣) .

وأما الحرام فهو عارٌ ونارٌ وخزىٌ ودمار على ما كسبه ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ (٤) .

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ (٥) .

و﴿ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ (٦) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٧) .

وفى الأحاديث المتفق عليها عن النبى ﷺ : « مَن ظلم شِبراً من أرض

---

(١) سورة الجمعة : ١٠

(٢) سورة المزمل : ٢٠

(٣) سورة البقرة : ٢٦٧

(٤) سورة البقرة : ٢٧٥

(٥) سورة البقرة : ٢٧٦

(٦) سورة النساء : ٢٩

(٧) سورة النساء : ١٠

طُوِّقه من سبع أرضين » (١) ، « مَن اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنَّة وإن كان قضيباً من أراك » (٢) ، « إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحُجَّته من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع ، فمَن قضيتُ له بحق أخيه فإنما أقطعُ له قطعة من نار » (٣) .

فآخذُ المالِ إما كاسب لنفسه وإما كاسب عليها ، فمَن أخذ المال من طريق حلال فهو كاسب لنفسه ، ومَن أخذه من طريق مُحرَّم فهو كاسب على نفسه .
يرى بعض العلماء رحمه الله أن طلب الكسب فريضةٌ على كل مسلم كما أن طلب العلم فريضةٌ ، واستدلوا بأحاديث عن النبى ﷺ ، أحدها عن ابن مسعود والثانى والثالث عن أنس رضى الله عنهما : « طلبُ الحلال فريضة على كل مسلم » (٤) ، « مَن أمسى كالاً فى طلب الحلال بات مغفوراً له » (رواهما الطبرانى) (٥) ، « ما من عبد استحيا من الحلال إلا ابتلاه الله بالحرام » (رواه ابن عساكر) (٦) .

وأصول مكاسب الحلال ثلاثة هى : الزراعة ، والتجارة ، والصنعة ، وتدخل الإجارة فى التجارة .

---

(١) البخارى برقم (٢٤٥٢) : المظالم ، من حديث سعيد بن زيد رضى الله عنه ، ومسلم : المساقاة برقم (١٣٩) خاص .

(٢) مسلم فى الصحيح : الإيمان برقم (١٣٧) خاص من حديث أبى أمامة رضى الله عنه .

(٣) البخارى برقم (٢٦٨٠) : الشهادات من حديث أُم سلمة رضى الله عنها ، ومسلم : الأقضية برقم (٤) خاص .

(٤) المجمع : ١٠/ ٢٩١ أورده من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، وقال : إسناده حسن .

(٥) المجمع : ٤/ ٦٣ ، وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم .

(٦) لم أقف على هذا اللفظ فى تاريخ دمشق مع طول البحث ، والله أعلم بصحته .

إن فى كل أصل من هذه الأصول توكلٌ على الله وحسنُ ظن به وطلبٌ لفضله ، وفيه أجْرٌ إذا صلحت النِيَّة ، والمال سلاح هذا الزمان .

فأما الزراعة فما من مسلم يغرس غرساً ولا يزرع زرعاً إلا كان ما أكل منه إنسان ولا طير ولا دابة ولا شيء ، إلا كان له صدقةٌ إلى يوم القيامة (١) ، حتى الذى يُسرق منه أو يُغصب يكون له صدقة ، جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة عند مسلم (٢) .

وأما التجارة ففيها الاستغناء عن الناس والتوسعة على الأهل والعيال ، ومنها البر والصلة وعملُ المعروف ، وفيها الاختلاط بالناس فيتمكن من أمرٍ بمعروفٍ أو نهيٍ عن منكر ، أو عمل خير خاص أو عام ، وهى من أفضل الكسب وأطيبه .

قال بعض المفسِّرين فى قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ (٣) : أى التجارة ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (٤) : أى التجارة ، ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ : أى التجارة (٥) .

وأما الصنعة . . فمجالها واسع ولا تحتاج إلى رأس مال ، وإنما قوامها النُصْح والمَعرِفة والإخلاص ، وكسبها خير المكاسب . روى البخارى رحمه الله

---

(١) البخارى برقم (٦٠١٢) ، كتاب : الأدب ، من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ومسلم : المساقاة (٧) ، ورقم (٨ - ١٢) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) ذلك من حديث جابر الأنصارى : مسلم : المساقاة برقم (٧) خاص وعام (١٥٥٢) .

(٣) سورة البقرة : ١٧٢

(٤) سورة البقرة : ٢٦٧

(٥) سورة المزمل : ٢٠

فى صحيحه بسنده عن النبى ﷺ أنه قال : « ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وكان داود عليه السلام يأكل من عمل يده » (١) .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه يرى الرجل فيعجبه ، فيسأل : أَلَه صنعة ؟ فإذا قالوا : لا ، سقط من عينه » (٢) .

والخِراقُ فى المعيشة أخوف على المسلم من العَوْز فلا يَقِلُّ شىء مع حُسن التدبير والإصلاح ، ولا يبقى شىء مع التبذير والفساد ، وأفضل المكاسب ما كان نفعه أعم والناس إليه أحوج .

وليس فى طلب الرزق بالطرق المباحة ما ينافى المروءة ، ولا ما يُعَد دناءة ، ولا ما يخدش الكرامة .

وإنما الدناءة وسقوطُ المروءة وهبوط الرجولة ففى البطالة ومجالس الردى ومسالِك الخنا ، وفى أكل أموال الناس بالباطل بأى وسيلة كانت .

وأما الكسب بالطرق المباحة ، فسبيل المرسلين ، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ، فكان آدم مزارعاً وصانعاً ، وكان نوحُ نجاراً يصنع الفلك (٣) ، وإدريس خياطاً (٤) ، وإبراهيم بزازاً (٥) ، وكان إسماعيل

---

(١) البخارى برقم (٢٠٧٢) : البيوع ، باب (١٥) ، وهو من حديث عائشة رضى الله عنه .

(٢) لم أقف على هذا الأثر وإن معناه لصحيح ويؤيده : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

(٣) ذكره الحافظ فى الفتح : ٣٠٦/٤ ، ونسبه إلى الحاكم فى المستدرك وقال : إسناده ضعيف ، ولكن قوله تعالى : ﴿ اصْنَعِ الْفُلْكَ ﴾ (المؤمنون : ٢٧) يؤيد هذا المعنى .

(٤) ذكره الحافظ فى الفتح : ٣٠٦/٤

(٥) ورد ذلك فى قصص الأنبياء للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى .

رامياً [١] ، وكان داود يصنع الدروع [٢] ، ونبينا محمد ﷺ كان تاجراً وراعياً للغنم [٣] ، ثم داعياً ومجاهداً وغانماً ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ هم عمال أنفسهم وهم خدم أنفسهم ، يعملون ويأكلون من كسب أيديهم ، فمنهم التاجر والمزارع والراعى والعامل والأجير ، فلم يضرهم ذلك ولم يؤثر فى نشاطاتهم الإسلامية ، فكانوا سادة العالَم وقادَة الأُمَّة وأهل الحل والعقد والأمرِ والنهى ، وكانوا دعاةَ الإسلام وروَّاد الأمن والسلام وحملةَ مشاعل الهداية ، فأناروا الطريق للناس ، ووضعوا العدل ، ورفعوا الظلم ، وأخذ كلٌ فرد حريته ، وصارت العبودية لله وحده .

والمنهج الإسلامى يمتاز بالتوازن بين واجبات الحياة .

يوازن بين العمل والراحة ، وبين الكسب والعبادة ، وبين حق الخالق وحق المخلوق ، وحق الدنيا وحق الآخرة .

إن بعض الناس يظن أنه لا سبيل إلى الكسب إلا بالوظيفة الحكومية ، ولا شك أن الوظيفة من عمل اليد وفيها مشاركة فى خدمة الدولة ورعاية مصالح الأُمَّة ، ولكن الوظائف محدودة بحسب متطلبات الأعمال والمصالح فلا تتسع للراغبين ، والدولة - أدام الله عزها وتوفيقها وهدايتها - بذلت ما فى الوسع للتعليم والتوجيه وكثَّر اللهُ خيرها .

أما عمل السبب لطلب الرزق ، فواجب على الفرد نفسه ، وأسبابُ

---

(١) ورد فى صحيح البخارى برقم (٢٨٩٩) : الجهاد ، من حديث سلمة بن الأكوع رضى الله عنه .

(٢) إشارة إلى الآية ٨٠ من سورة الأنبياء ، وقد ورد ذلك فى الصحيح أيضاً .

(٣) أما التجارة فى حقه - صلى الله عليه وسلم - فقد كانت قبل النبوة كما فى الصحيح ، وأما رعى الغنم فى حقه عليه الصلاة والسلام فهو ثابت ، البخارى برقم (٢٢٦٢) : الإجارة ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

المكاسب وطرقُها متوفرة فى بلادنا كثيرة ، ولله الحمد والمَنَّة : هذه الشركات والمؤسسات والقطاعات والتجارات والزراعة والصناعة بأشكالها وألوانها ، والدولة اشترطت الأولوية للسعودى فيما يحسنه ، فعلى المواطن أن يطرق أبواب الرزق مثل هذا العالَم الذى نشاهده يهتز ويتحرك ، من صلاة الفجر إلى هزيع من الليل ، والتوفيق بيد الله ولا يحصل إلا ما قَدَّر .

أخى الشاب السعودى ؛ لا يَغْلبُك الناس على خدمة بلادك والاستفادة من خيراتها ، فالواجب عليك آكد ، وأنت إلى الخير أحوج وأحق ، ادْخُل فى ميدان العمل ولا تحقر شيئاً .

واعلم أن الصعود يبدأ بأول درجات السُّلَم ، والأُمور مقرونة بأسبابها . قال سعيد بن المسيب رحمه الله : « لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دَيْنه ويصون به عِرضه ويقضى به ذِمامه » (١) .

ورأى سفيان الثورى رحمه الله أناساً جلوساً فى المسجد ، فقال : اطلبوا من فضل الله ولا تكونوا عيالاً على المسلمين .

وجاء رجل بابنه للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يستشيره ، فقال : خذ ولدك إلى السوق وجَنِّبه الأقران (٢) .

واعلم أيها المسلم أن النُّصح والصِّدق والأمانةَ والوفاءَ واحترامَ النظام والمواظبةَ على العمل هى أسباب النجاح وضدُها أسباب الفشل ، استعن بالله ولا تعجزنّ ، ولا تقولنّ لو أنى فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل ، اعمل الأسباب ولا تستسلم لليأس والخمول .

---

(١) لم أقف عليه مسنداً ، ولكن معناه صحيح بدون شك .

(٢) لم أقف عليه مسنداً ، ولكن معناه صحيح بدون شك .

كل مخلوق كُتِبَ له رزقه ، لكن لا بد من فعل الأسباب ، انظر إلى الطير تغدوا خماصاً جائعةً وتروح بِطاناً إلى أوكارها ، فهى تعمل السبب بغدوها ورواحها (١) .

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا ، ووفقنا لما يرضيك عنا ، ويَسِّر لنا أمورنا ، واهد التَّائه منا ، وارزقنا حلالاً طيباً مباركاً فيه ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده ، والترمذى ، وابن ماجه فى سننهما ، والحاكم فى مستدركه ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٧٤٢٠) ورمز له بالصحة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آداب البيع والشراء

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) . . فله الحمد والمنَّة .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ومراقبته فى السِّر والعلن ، فما خاب مَن اتقَّى الله ، وما أفلح مَن نسى الله ، ثم اعلموا - رحمنى الله وإياكم - أن للمعاملات آداباً لا بد من التحلى بها ، فمنها الصدق ؛ فمن صدق بورك له فى أخذه وعطائه ، ومنها السماحة ؛ رحم الله عبداً سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى (٢) ، ومنها أن صاحب السلعة أحق أن يذكر الثمن ، فيقول : أبيعها بكذا ؛ بالثمن الذى يبيعها به ، وحرام أن يزيد فى الطلب ، ثم يأخذ فى التخفيض قليلاً قليلاً ، ليخدع المشترى لعله يَسوم بأكثر مما تستحق ، وعلى المشترى أن يبذل الثمن الذى

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه : البخارى برقم (٢٠٧٦) : البيوع ، باب : السهولة والسماحة فى الشراء والبيع ، ومَن طلب حقاً فليطلبه فى عفاف .

يرغب الشراء به ، فلا يَسوم بقليل ثم يأخذ يزيد ، فإن الطريقة التى يتبعها بعض الباعة أن يطلب فى السلعة مائة وبعد المماكسة يبيعها بخمسين .

هذه الطريقة مع أنها كذب فهى خداع ، وكلاهما لا يليقان بالمسلم ، والآداب الإسلامية ، أن يحدد البائع السعر وأن يبذل الراغب الثمن مرة واحدة ، فإما أن يأخذ وإما أن يدع ، ومع ما فى ذلك من الصدق والأمانة ، ففيه راحة للنفس وتوفير للوقت .

وقد يقول قائل : إن الزبون لا يشترى بما يُعْرَض عليه أولاً ، فالجواب لأن الزبون تخمَّر فى ذهنه أن الباعة يكذبون ويزيدون ، لكن إذا عُرِف تاجر بالصدق وبتحديد السعر أقبل عليه الناس وائْتمنوه .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وتخلَّقوا بآداب الإسلام .

صَلُّوا على البشير النذير ....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٣١ - التحذير من الكذب فى البيع والشراء [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] .. ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣] .. ولا عدوان إلا على الظالمين [٤] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان أجمعين .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون : أُوصيكم ونفسى بتقوى الله .. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [٥] .

أيها الناس ؛ إن أعز شيء عند الإنسان هو حياته وسعادته ، فكل سعيه من أجل المحافظة على حياته ، وتحقيق سعادته .

إلا أن الإنسان كثيرُ الغفلة والخطأ والزلل ، فقد يعمل عملاً لا يفكر فى

---

(١) ألقيت يوم ٢١/ ٤/ ١٣٩٥ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) جزء من آية الأعراف (١٢٨) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة الآية : ١٩٣

(٥) سورة التوبة : ١١٩

عاقبته ، أو يتكلم بكلام لا يُلقى له بالاً ، يكون فيه هلاكه وشقاوته ، وإن أخطر بريد يركبه الإنسان يورده موارد الهلاك ، ويهوى به أبعد مما بين السماء والأرض ، وهو لا يدرى ؛ هو مطية الكذب ، الذى اتخذه الناس نزهة لمجالسهم ، وطريقاً للبيع والشراء ، وواسطة للتعارف والتزلف ، ومخرجاً من المسئوليات الواجبة .

إن الكذب مرض اجتماعى خطير يهدم الدين ويضيع الحقوق ، ويُورث البغضاء والشحناء ، فلا يصدر الكذب من إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا من شخص يؤمن بالعدالة ويتصف بها ، وإنما هو من صفات المنافقين الذين لا إيمان لهم ولا خَلاق لهم .

قال صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث ، وإن صلى وصام وقال إنه مسلم : إذا حَدَّث كذب ، وإذا وَعَد أخلف ، وإذا ائتمن خان » (١) .

هذه الخصال الثلاث فيها دمار الدين والدنيا ، لذلك لا تجتمع فى قلب مؤمن ، ومَن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق (٢) .

والكذب هو رأس هذه الخصال ومصدرها ، فلا يكون إلا من نفس شريرة وطوية خبيثة ، ذلكم أن الكذب يؤثر فى القلب نكتة سوداء ، فكلما زاد الكذَّاب فى الكذب ازداد السواد ، حتى يَسْوَد قلبه فيُكتب عند الله من

---

(١) أخرجه البخارى فى الصحيح : ١/ ٨٣ - ٨٤ فى الإيمان ، باب : علامة المنافق وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ومسلم فى الصحيح ، باب : خصال المنافق برقم (٥٩) .

(٢) البخارى فى الصحيح مع الفتح : ١/ ٨٤ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، باب : علامات النفاق ، ومسلم فى الصحيح برقم (٥٨) عام من هذا الوجه واللفظ .

الكذَّابين ، وحينئذ يكون القلب أغلف مطبوعاً عليه ، لا يعرف خيراً ولا يقبله ، ولا ينكر منكراً ولا يغيره .

ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنَّة ، وما يزال الرجل يصدُق ويتحرَّى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقاً ، وإياكم بكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّاباً » (١) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢) .

إنَّ من الكذب ما هو كفر مُخْرِجٌ من ملَّة الإسلام ، وهو الكذب على الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ ، كالذى يُحَرِّم ما أحَلَّ الله أو يُحلِّل ما حَرَّم الله (٣) ، ومَن زعم أن حكم القوانين أحسنُ فى حكم الله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٥) ، وأعظم من ذلك إثماً وجرأة على الله ورسوله الذى يزعم بأنه رأى النبى ﷺ بعد مماته ، يقظة لا مناماً ، وأعطاه

---

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضى الله عنه : البخارى برقم (٦٠٩٤) الأدب ، باب (٦٩) ، ومسلم : البر والصلة ، الأحاديث أرقام (١٠٣ - ١٠٥) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) سورة غافر : ٢٨

(٣) إشارة إلى حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه عزاه الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٣/ ٣٨٥ إلى الإمام أحمد والترمذى وابن جرير فى تفسير سورة التوبة (آية ٣١) ، وقال : إسناده صحيح .

(٤) سورة المائدة : ٥٠

(٥) سورة المائدة : ١٠٣

أوراداً وأعمالاً ، وشرَّع له منهجاً جديداً لا يتفق مع كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا يُصَدِّق بذلك مَن له عقل يُميِّز به ، ولا مَن له أدنى إلمام بشريعة الإسلام ، فإن الله تبارك وتعالى قضى على مَن انتقل من هذه الحياة الدنيا ألا يعود إليها ، وصفوة الخلق - صلى الله عليه وسلم - قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وترك أُمَّته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (١) . فمن المستحيل شرعاً وعادة أن يخرج بعد مماته فيقابل أحداً من الناس فى هذه الدنيا ، ولو قُدِّر حصول لذلك لخرج - صلى الله عليه وسلم - لإصلاح ما حصل بين أصحابه وأهل بيته من الخلاف فى القرون المفضَّلة ، ولكنه لم يخرج إليهم لأن الله قضى عدم خروجه بعد مماته عليه الصلاة والسلام .

وإنما تلك أكاذيب دُعاة الضلال ليصدُّوا المسلمين عن حقيقة دينهم ، وتعبدهم بما لم يأذن به الله (٢) ، والهدف من ذلك هو تفريق المسلمين ، وإضعاف قوة الإيمان من نفوسهم وعزلُهم عن ربهم تبارك وتعالى الذى منه مددهم وحده ، فاحذروا أيها المسلمون من دعاة الضلال ، وزِنُوا ما يقولونه بموازين الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهَّرة ، فما وافق فهو حق ، وما خالف فهو باطل يجب رده على صاحبه (٣) .

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه الإمام أحمد فى المسند : ١٢٦/٤ ، وابن ماجه فى السنن ، المقدمة برقم (٤٣) ، وله شاهد من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه ، أخرجه ابن ماجه فى مقدمة السنن ، وإسناده حسن .

(٢) إشارة إلى الآية ٢١ من سورة الشورى .

(٣) إشارة إلى حديث عائشة رضى الله عنها : البخارى مع الفتح معلقاً : ٢٩٧/٤ ، ومسلم فى الصحيح برقم (١٧١٨) عام ، ونحو معناه : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » هذا لفظ مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها كما سبق بيانه .

ومن الكذب ما هو كبيرة من الكبائر ، كالذى يقول : سمعت أو رأيت فلاناً يقول كذا وهو لم يسمع ولم ير ، قاصداً فساد ذات البَيْن ، وإيجاد الخلاف والشقاق بين الناس .

أو كالذى يروج بضاعته بالكذب ليأكل أموال الناس بالباطل ، فيصف سلعته بما ليس فيها ، أو يقول : شريتها بكذا ، أو أُعطيتُ فيها كذا ، وهو كاذب اشتراها بأقل ولم يُعْط فيها ما قال .

ومثال ذلك الذى يتقرَّب إلى الناس بوصف آخرين بما ليس فيهم من طيب وردىء ، قاصداً التزلف دون خوف من الله ، ودون نظر فى مصالح الآخرين .

وأما الذى يُحدِّث ويكذب ليُضحك القوم ، فويل له ، ويل له ، ويل له .. إنَّ العبد يقول الكلمة لا يقولها إلا ليُضحك بها الناس ، يهوى بها أبعد ما بين السماء والأرض (١) ، وإن زَلَّة اللِّسان أشد من زَلَّة القدم .

فاتقوا الله - عباد الله - وكونوا مع الصادقين ، فإن الصدق يفتح القلب وينمى فيه نور الإيمان ، يهدى إلى البر ، والبرُ يهدى إلى الجنَّة (٢) .

احفظوا ألسنتكم عن الكلام إلا ما ظهر منه مصلحة ، فإن السكوت سلامة ، والسلامة لا يعدلها شىء ، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر

---

(١) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : الإمام أحمد فى المسند : ٣٨/٣ ، وإسناده صحيح ، وأخرجه الترمذى فى جامعه ، كتاب الزهد ، الباب الأول من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضى الله عنه : البخارى برقم (٦٠٩٤) الأدب ، باب (٦٩) ، ونحوه مسلم فى الصحيح ، كتاب البر والصلة بأرقام (١٠٣ - ١٠٥) خاص ، من هذا الوجه .

فليقل خيراً أو ليصمت [١] ، ومن صمت نجا [٢] ، ومن كثر لغطه كثر غلطه [٣] .

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، واحفظنا من حصائد ألسنتنا [٤] ، واغفر لنا ، وتجاوز عنا .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

❊ ❊

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى مع الفتح : ١١/ ٢٦٥ ، فى الرقاق ، ومسلم فى الإيمان ، حديث رقم (٤٧) ، باب : الحث على إكرام الجار .

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه : أحمد فى المسند : ٢/ ١٥٩ ، ١٧٧ ، والترمذى فى جامعه (٢٥٠٣) : صفة القيامة ، وقال : حديث غريب .

قلت : إسناد الآخرين صحيح ما عدا الترمذى ، والله أعلم .

(٣) لم أقف على هذا اللفظ مرفوعاً ، وإنما معناه صحيح روى فى أحاديث كثيرة ، والله أعلم .

(٤) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه : الإمام أحمد فى المسند : ٥/ ٢٣١ ، وأخرجه بعض أصحاب السنن كالترمذى وابن ماجه وإسناده حسن ، والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

كذبة إبريل محرَّمة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً (١) . .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى ربوبيته وأُلوهيته وأسمائه وصفاته .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى وراقبوه فى السر والعلانية فكلكم فى قبضته وتحت قهره ، يسمعكم ويراكم : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (٢) .

ثم اعلموا أنَّ من الكذب ما يستهين به بعض الناس ولا يبالى به ، ولكنه يُسَجَّل عليه كذباً .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من الكذب أن تقول للصبى : تعال أعطك فلم تعطه » ، فكثير من الناس لا يعلم أن ذلك تعليم للصبى وتمرين له على الكذب (٣) .

---

(١) إشارة إلى حديث رفاعة بن رافع الزرقى رضى الله عنه : البخارى : الأذان ، حديث رقم (٧٩٩) ، باب رقم (١٢٦) ، وفيه هذا اللفظ المبارك وفيه فضل عظيم .

(٢) سورة غافر : ١٩

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند : ٢/ ٤٥٢ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وإسناده صحيح على شرط البخارى رحمه الله تعالى فى الصحيح لو كان الزهرى قد =

وأعظم من ذلك ما انتشر بين الناس مما يسمونه كذبة إبريل ، فلا يتماشى أن يكذب بما يفجع من الحوادث الكاذبة ، أو المواعيد الفاجرة ، والعاقبة وخيمة فى ذلك ، فقد نُقِلَ أن شخصاً مات بسبب كذبة إبريل ؛ وذلك أن مسلماً كان مريضاً بمرض ، فلما جلس على الطعام مع بعض أُسرته مرتاحاً فرحاً ، إذا بامرأة تكذب عليه كذبة إبريل ، فتقول : إن ابنك فلاناً حصل عليه حادث تصادم ، فأصابته الفجعة على غِرَّة وأُغمى عليه ، فمات بسبب كذبة إبريل .

اتقوا الله أيها الناس ، ما أبقيتم من الإسلام ، ولا من التقاليد ، ولا من العادات ، ولا حتى من اللُّغة العربية ، ما أبقيتم شيئاً إلا استبدلتموه بغيره من هنا وهناك !!

أيها المسلمون : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأنْعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود (٢) .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

= سمع من أبى هريرة رضى الله عنه ولكنه لم يسمع ، وقد أورد الحديث العلامة الإمام الهيثمى فى المجمع : ١٤٢/١ وقال : الزُّهْرى لم يسمع من أبى هريرة رضى الله عنه ، والله أعلم ، وإن معنى هذا الحديث لصحيح ثابت عن رسول الله ﷺ فى عموم أحاديث الكذب .

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) إشارة إلى الآية ٧٩ من سورة الإسراء .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ اجمع كلمة المسلمين واحفظ جيوشهم وألِّف بين قلوبهم وانصرهم على عدوك وعدوهم .

اللَّهُمَّ اخذل اليهود وأعوانهم ، وفَرِّق جمعهم وشَتِّت شملهم ، وأنزل الرعب فى قلوبهم .

اللَّهُمَّ أدم الأمن والاستقرار فى أوطاننا وجميع أوطان المسلمين ، وانصر واحفظ إمامنا ، وأيِّده بتوفيقك وعنايتك ، وكلل مساعيه بالنجاح ، وجميع ولاة المسلمين .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين الأحياء والميتين ، وفَرِّج هم المهمومين ، ونَفِّس كرب المكروبِين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة النحل : ٩٠ - ٩١

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٢ - التحذير من اليمين الكاذبة (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع مِلَّته واقتفى أثره .

أما بعد . .

فإن الإسلام حريص كلَ الحرص على ترابط أجزاء المجتمع وتقوية صِلاته ، وتوثيق التآخي والتعاطف .

ولما كانت الأموال محببة للنفوس بأصل الفِطْرة ، وهى من زينة الحياة الدنيا (٣) ، يتسابق الناس إليها ويتنافسون فيها ، فهى محك السرائر ومختبر الضمائر : ﴿ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴾ (٤) من أجل ذلك نظَّم الإسلام المعاملات المالية

---

(١) ألقيت يوم ١٦/٨/١٣٩٨ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ابن ماجه ، النكاح ، باب (١٩) برقم (١٨٩٢) ، وهو خطبة النكاح ، وبرقم (١٨٩٣) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

(٣) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة الكهف .

(٤) سورة محمد : ٣٦ - ٣٧

والصِّلات الاقتصادية ، وحَفظ المِلْكية الفردية ، بما يضمن الترابط والتآخى بين المسلمين ، دون حاجة إلى زيادة أو نقصان .. كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعِرضه [(١)] .

ولما كانت النفوس تختلف فى اتجاهاتها بحسب ما وقر فى القلب من إيمان ، قوةً وضعفاً وفقداناً ، فقد يطمع بعضٌ فى مال الآخر ، أمر الإسلام بسد هذا الباب ، فأمر بحفظ الأموال وصيانتها ، كما أمر بكتابة الدَّيْن والإشهاد عليه [(٢)] ، لقطع مادة الخلاف والشِّقاق ، فإن لم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة [(٣)] .

ولكن بعض الأحوال قد لا يتأتى الإشهاد عليها ، وليست لها دلائل ظاهرة يُرجع إليها ، إما لخفاء السبب أو لعدم الأحقية . وقد عالج الإسلام هذه الحالة بما يرفع الخلاف فى هذه الدنيا مع بقاء القضية مرفوعة إلى المحكمة العظمى عند الله يوم القيامة ونِعْمَ الحكَم العدل : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [(٤)] .

البيِّنة على المدَّعِى واليمين على مَن أنكر [(٥)] . وهذه قاعدة عظيمة فيها من المصالح والمنافع للناس ما الله به عليم ، وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله : « لو يعُطَىَ الناس بدعواهم لادَّعى رجال دماء أقوام وأموالهم ،

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح : البر والصلة حديث رقم (٣٢) خاص وعام (٢٥٦٤) ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ، ودمه ، وماله .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٨٣ من سورة البقرة .

(٤) سورة الكهف : ٤٩

(٥) إشارة إلى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : مسلم فى الصحيح فى الأقضية برقم (١٧١١) ، باب : اليمين على المدَّعَى عليه وهو المنكر إذا لم تكن عند المدعى البينة .

ولكن البَيِّنة على المدَّعِى واليمين على مَن أنكر »[(١)] ، وهنا المحك وموقع المعركة فيها ، إما النجاة وإما الهلاك ، إما السعادة وإما الشقاوة .

قد يظن بعض الناس أن اليمين سهلةٌ فهو يحسبها مجرد كلماتٍ معدوداتٍ يقولها ثم ينصرف سالماً غانماً ، وهذا تصور خاطئ ، وفهم قاصر ، ونظر دانى . إن اليمين جرأة على الله جَلَّ شأنه ، اليمين تخلُّص من المخلوق الضعيف ، ودخول تحت مسئولية الخالق تبارك وتعالى ، اليمين الكاذبة ربح فى العاجل وخسار ودمار فى المستقبل ، فكم من يمين كاذبة جعلت الديار بلقعاً ، شتتت الشمل وأهلكت الحرث والنسل .

والذى يحلف يميناً كاذبة يقتطع بها مال امرئ مسلم بدون حق[(٢)] عدو لله ، ليس له حظ من نعيم الآخرة ولا يُكلِّمه ربه بكلام له فيه خير ، ولا ينظر إليه نظرة رحمة وإحسان ، ولا يُطَهِّره من الذنوب والآثام ، وإنما مآله إلى عذاب مؤلم شديد .

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « مَن حَلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان » ، ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾[(٣)] .

---

(١) هذا الحديث : أخرجه مسلم فى الصحيح من حديث ابن عباس رضى الله عنه : الأقضية ، حديث (١) خاص وعام (١٧١١) باب : اليمين على المدَّعى . . . .

(٢) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضى الله عنه : البخارى برقم (٧٤٤٥) : التوحيد باب (٢٤) بهذا اللفظ ، وأخرجه مسلم فى الصحيح : كتاب الأيمان ، حديث رقم (٢١٨) خاص ، والإمام أحمد فى المسند : ١/ ١٨٩

(٣) البخارى فى الصحيح : ١١/ ٤٨٥ فى الأيمان والنذور من حديث ابن مسعود =

وعن الأشعث بن قيس رضى الله عنه قال : خاصمتُ رجلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بئر لى فى يده فجحدنى ، فقال رسول الله ﷺ : « بَيِّنَتك أنها بئرُكَ وإلا فيمينُه » ، قال : فقلت : يا رسول الله ؛ ما لى بَيِّنة وإن تجعلْها بيمينه تذهب بئرى ، إن خصمى امرؤ فاجر ، فقال رسول الله ﷺ : « مَن اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان » (١) .

فاتقوا الله أيها الناس . . كيف يتجرأ المسلم على مال أخيه المسلم بدون حق ينازعه فيه فيحضر بَيِّنة كاذبة أو يحلف يميناً فاجرة (٢) ، يجب على المسلم أن يراقب الله تعالى وأن يصاحب التقوى فى جميع أعماله .

يجب على العاقل أن يفهم أن الأُمور ليست مجرد انتصارٍ للرأى ولا كسبٍ للقضية ، وإنما الأمر حلال وحرام ، ثواب وعقاب ، كيف يتجرأ المسلم على خالقه ورازقه يحلف به كاذباً ليأكل به حقوق الناس ظلماً وعدواناً .

إنَّ حُكم الحاكم وفتوى المفتى تُبْنى على الأُمور الظاهرة ، فلا يُحل القاضى حراماً ولا يُحَرِّم حلالاً (٣) ، وإنما الحلالُ ما أحَلَّ الله والحرام

= رضى الله عنه ، ومسلم فى الصحيح فى الأيمان برقم (١٣٨) ، باب : وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة ، وأخرجه البخارى فى الصحيح برقم (٢٤١٦) ، (٢٤١٧) : الخصومات - والآية من سورة آل عمران : ٧٧

(١) هو نفس هذا الحديث - أى حديث ابن مسعود رضى الله عنه - وله شاهد من حديث أُم سلمة رضى الله عنها بمعناه ، أخرجه مسلم فى كتاب الأقضية ، حديث رقم (٤) خاص وعام (١٧١٣) ، وعقد عليه النووى الباب قائلاً : باب الحكم بالظاهر واللحن بالحُجَّة ، ولفظه الذى أورده الخطيب عزاه ابن كثير فى تفسيره : ٢/٦١ إلى الإمام أحمد فى مسنده .

(٢) إشارة إلى هذا الحديث : البخارى برقم (٢٤١٦) ، (٢٤١٧) من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، ومسلم فى الصحيح : الإيمان برقم (١٣٨) خاص .

(٣) إشارة إلى حديث أُم سلمة رضى الله عنها : مسلم فى الصحيح : الأقضية ، حديث رقم (٤) خاص وعام (١٧١٣) .

ما حرَّمه الله ورسوله ، فمَن حُكم له من مال أخيه بشيء ، فإنما هو قطعة من نار فليأخذها أو ليدعْها (١) ، فاتقوا الله أيها المسلمون ، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) سواء أكانت نقوداً أو مصاغات ، أو عروضاً أو أراضي وعقارات أو طعام ، ولو كانت شبراً من أرض أو قضيباً من أراك (٣) .

وينبغي للعاقل أن يحتاط لنفسه وأن يدع ما يُريبه إلى ما لا يُريبه (٤) ، وأن يجعل دنياه فداءً لدينه وآخرته ، وأن يُسخِّر ماله لخدمته ، ولا يُسخِّر نفسه لخدمة ماله وعبادته ، فاتقوا الله وراقبوه : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٥) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، ووفقنا إلى نهجه القويم ، وثبتنا على الصراط المستقيم (٦) .

اللَّهُمَّ أغننا بالحلال عن الحرام ، ومتعنا بما رزقتنا ، وبارك لنا فيما أعطيتنا (٧) ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى هذا الحديث : البخارى : ٥/ ٢١٢ فى الشهادات من حديث أُم سلمة رضى الله عنها ، ومسلم برقم (١٧١٣) فى الأقضية .

(٢) سورة البقرة : ١٨٨

(٣) إشارة إلى حديث أبى أمامة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح : الإيمان ، حديث رقم (٢١٨) خاص وعام (١٣٧) .

(٤) إشارة إلى حديث حسن بن على رضى الله عنهما : الترمذى برقم (٢٥٢٠) : صفة القيامة ، وقال : حسن صحيح ، والنسائى : ٨/ ٣٢٧ فى الأشربة ، وابن حبان فى الصحيح (٥١٢) كما فى الموارد .

(٥) سورة النور : ٣١

(٦) إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة إبراهيم .

(٧) إشارة إلى حديث علىّ رضى الله عنه : أخرجه الإمام أحمد فى مسنده : ١/ ١٥٣ ، وإسناده جيد وفيه : « اللَّهُمَّ اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بنفعك عمن سواك » .

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة الزور جُرم اجتماعي

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .. ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، قيُّوم السموات والأرضين .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله سيد الأوَّلين والآخرين .

صلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن من أعظم الآثام وأكبر الكبائر شهادةَ الزور (٣) ، شهادة الميل والحَيْف ، شهادةً بغير الحق وبغير الواقع ، شهادةً بالكذب والبهتان ، سواء أكانت بأجر أو بدون أجر ، شهادةُ الزور كلها ظلم وظلمات ، ظلم من الشاهد لنفسه إذ عرَّضها لسخط الله ، وأوجب لنفسه عقوبة الدنيا والآخرة ، وظلم للمشهود عليه فيأخذ ماله بشهادة الزور ، وظلم للمشهود له ، لأن شاهد الزور ساق له بشهادته ما هو محرَّم عليه .

شهادة الزور .. إجرام اجتماعى شنيع ، وخطر على المجتمع ، فبشهادة الزور تُستباح المُحرَّمات ، وتُحَرَّم المباحات ، وتُسفك الدماء البريئة ، وتُنهك

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة الأعراف : ١٢٨

(٣) إشارة إلى حديث أبى بكرة رضى الله عنه : البخارى : ٥/١٩٢ فى الشهادات ، باب : ما قيل فى شهادة الزور ، ومسلم فى الصحيح فى الإيمان ، باب : بيان الكبائر وأكبرها برقم (٢٨٧) .

الأعراض النزيهة ، وتُستحل الأموال المعصومة ، فهى خُلُق قبيح لا يصدر إلا عن نفس خبيثة ، ولا يستشهد بها إلا امرأ سوء لا خير فيه .

قال صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبؤكم بأكبر الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوقُ الوالدين ، ألا وقول الزور ، ألا وشهادةُ الزور » ، فما زال يكررها - صلى الله عليه وسلم - حتى قال الصحابة : ليته سكت (١) ، كل ذلك تحذيراً منها وبياناً لقبحها وخطرها .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾ (٢) .

وصَلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير ، فقال جَلَّ من قائل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الحوض المورود والمقام المحمود (٤) .

وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبيك أُمهات المؤمنين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

---

(١) إشارة إلى حديث أبى بكرة رضى الله عنه : البخارى : ٥/١٩٢ فى الشهادات ، ومسلم فى الأيمان برقم (١٨٧) .

(٢) سورة الحج : ٣٠ - ٣١

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

(٤) إشارة إلى الآية ٧٩ من سورة الإسراء .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ الأمن والاستقرار فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ، ووفقهم لما نحب ونرضى ، وارزقهم بطانة صالحة يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ آمن المسلمين فى أوطانهم ، وأصلح أئمتهم وولاة أُمورهم ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللَّهُمَّ فَرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : أكثروا من ذكر الله تعالى والتسبيح والتهليل والاستغفار . . ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٣ - السماحة فى البيع [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾ [٢] .. أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة [٣] ، فله الحمد والثناء الدائم الذى لا يُحصى .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الأوَّلين والآخرين ، وإليه مَرْجع الخلق أجمعين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح للأُمَّة .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه ودعا بدعوته .

أما بعد ..

فإن الشريعة الإسلامية جاءت بمكارم الأخلاق وصفاء القلوب ، وإزالة ما يؤثر فى الخُلُق ويُعكر صفو المَودَّة .

فالناس لا بد لهم من تبادل الأموال والمنافع لسد حاجاتهم ، فلا يخلو مُكلَّف غالباً من بيع وشراء ، ولو فى مأكول ومشروب وملبوس ، لذلك

---

(١) ألقيت يوم ٢٦/٥/١٤٠٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٣) إشارة إلى الآية ٢٠ من سورة لقمان .

اعتنت شريعة الإسلام السمحة بالبيوع والمعاملات ، وأمرت بتطهيرها ونقائها . قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ (١) .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ (٢) .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ (٣) .

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (٤) .

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (٥) .

وروى البخارى فى صحيحه عن المقداد بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أكل أحدٌ طعاماً قَطَّ خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يديه » (٦) .

وعن رافع بن خَديج رضى الله عنه قال : قيل لرسول الله ﷺ : أى الكسب أطيب ؟ قال : « عمل الرجل بيده وكلُّ بيع مبرور » (رواه الإمام أحمد) (٧) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٥

(٢) سورة النساء : ٢٩

(٣) سورة البقرة : ٢٨٢

(٤) سورة الجمعة : ١٠

(٥) سورة المزمل : ٢٠

(٦) البخارى : ٢٥٩/٤ : البيوع ، باب : كسب الرجل وعمله بيده من حديث المقداد بن معدى كرب رضى الله عنه .

(٧) الإمام أحمد فى المسند : ١٤١/٤ من حديث رافع بن خديج رضى الله عنه وإسناده جيد .

وحثَّتْ الشريعة المباركة على السماحة فى البيع والشراء وحُسن الوفاء والاستيفاء ، إبقاء على الأُخوة والمَودَّة ، فقال عليه الصلاة وأزكى السلام : « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » (رواه البخارى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه) (١) .

وأمر الرَّحيم بأُمَّته - صلى الله عليه وسلم - بالصدق فى البيع والشراء ، ونهى عن الكذب والحلف ، فقال : « إياكم وكثرةَ الحلف فى البيع ، فإنه يُنفق ثم يَمْحَق » (رواه مسلم عن أبى هريرة) (٢) .

وفى الصحيحين عنه أيضاً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلف مَنْفَقَة للسلعة مَمْحقة للبركة » (٣) .

وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه عند مسلم : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المُسبل ، والمنَّان ، والمنفق سلعته بالكذب » (٤) .

ومن السماحة فى البيع فتحُ باب التروى والتأمل أمام المتبايعين ، فجعل

---

(١) البخارى مع الفتح : ٤/ ٢٦٠ فى البيوع ، باب : السهولة والسماحة فى الشراء والبيع ، من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه ، والترمذى فى جامعه برقم (١٣٢٠) وقال : حسن صحيح غريب .

(٢) مسلم فى الصحيح : ٣/ ١٢٢٨ من حديث أبى قتادة رضى الله عنه بهذا اللفظ ، حديث رقم (١٦٠٧) عام ، ومن حديث أبى هريرة نحوه برقم (١٦٠٧) ، كتاب المساقاة .

(٣) البخارى : ٤/ ٢٦٦ فى البيوع ، باب : يمحق الله الربا ويُربى الصدقات ، ومسلم برقم (١٦٠٦) المساقاة ، كلاهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٤) مسلم فى الصحيح ، كتاب الإيمان ، حديث رقم (١٠٦) من حديث أبى ذر رضى الله عنه .

لهما الخيارَ ما داما فى مجلس المبايعة لم يتفرقا ، وكذلك اشتراط أحدهما أو كلاهما فى الخيار لنفسه (١) ، فإذا صدق المتبايعات وبيّنَا بورك لهما فى بيعهما (٢) .

وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما (٣) .

ولا ينبغى لأحد المتبايعين أن يحرص على مُفَارقَة صاحبه من المجلس خشية أن يَسْتَقيلَه .

ومن حرص شريعة الإسلام على مصالح الأُمَّة وإبقاء المحبة والأُخوة نهت عن كل بيع فيه غَرَرٌ وجهالةٌ (٤) ، لأنه يؤدى إلى إجحافٍ بأحد المتبايعين فيحصل الخلاف والشِّقاق .

فحرَّم الإسلام الربا بجميع أنواعه ومشتقاته ووسائله وحيله ، كما حَرَّم تطفيف الكيل والوزن ، وبخسَ المقياس ، ونهى عن بيع المخابرة (٥) والمزابنة (٦)

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : البخارى مع الفتح : ٤/٢٧٦ فى البيوع ، ومسلم برقم (١٥٣١) .

(٢) البخارى مع الفتح : ٤/٢٦٢ من حديث حكيم بن حزام رضى الله عنه ، ومسلم برقم (١٥٣٢) من هذا الوجه واللفظ .

(٣) هو نفس هذا الحديث : البخارى : ٤/٢٦٢ من حديث حكيم بن حزام رضى الله عنه ، ومسلم برقم (١٥٣٢) .

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح برقم (١٥١٣) باب : بطلان بيع الحصاة والغَرَر .

(٥) مسلم فى الصحيح : المساقاة برقم (١٥٣٦) من حديث جابر رضى الله عنه .

(٦) هذا هو نفس هذا الحديث ، فقد وردت فيه الألفاظ الآتية : نهى عن المخابرة والمحاقلة والمزابنة ، ثم ذكره . . .

والمحاقلة [١] والثُّنيا المجهولة ، كما نهى عن بيع الملامسة والمنابذة [٢] ، وعن بيع الثمار حين يبدو صلاحُها [٣] ، وأمر بوضع الجوائح [٤] ، ونهى عن النَّجْش [٥] ، والبيع على البيع [٦] والشراء على الشراء ، وعن تلقى الركبان [٧] ، وبيع حاضرٍ لبادٍ ، وقال : « دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » [٨] .

ونهى عن الغش والتدليس ، وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن غشنا فليس منا » [٩] ، وأمر ببيان العيوب فى المبيعات ، فمن أخفاها فقد غش ودلَّس ، والغاش يبغضه الله ، ومن أبغض اللهُ هلك . روى ابن ماجه عن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَن باع عيباً لم يبينه لم يزل فى مقت الله » أو : « لم تزل الملائكة تلعنه » [١٠] .

---

(١) هو نفس هذا الحديث وفيه : المحاقلة : أن يبيع الرجل الزرع بمائة فرق حنطة .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى : ٤/ ٣٠٠ فى البيوع ، باب : بيع المنابذة ، ومسلم برقم (١٥١١) .

(٣) البخارى : ٤/ ٢٧٨ من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، ومسلم برقم (١٥٣٤) عام وخاص (٥٢) : المساقاة .

(٤) حديث جابر رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح برقم (١٥٣٦) عام وخاص (١٠١) .

(٥) البخارى : ٤/ ٢٩٨ من حديث ابن عمر رضى الله عنه .

(٦) البغوى فى شرح السُّنَّة : ٨/ ١٢٠ وإسناده حسن .

(٧) البخارى مع الفتح : ٤/ ٣٧٣ معلقاً عقد به الباب ، ثم روى تحت معناه عدة أحاديث .

(٨) البخارى برقم (٢١٥٩) من حديث ابن عمر رضى الله عنه : البيوع .

(٩) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح ، الإيمان ، حديث رقم (١) خاص وعام (١٠٢) باب : قول النبى ﷺ : « مَن غَشَّنا فليس منا » وهذا لفظ أبى داود برقم (٣٤٥٢) .

(١٠) ابن ماجه برقم (٢٢٤٧) التجارات ، باب (٤٥) ، وعقد عليه باباً بقوله : باب =

لا بد من إزالة أسباب الخلاف والشِّقاق ، فلا بد من معرفة المبيع قَدْراً وجِنْساً وصفةً ، وكذلك الثمن .

فإذا كان المبيع أرضاً أو مربعاً من مخطط ، فلا بد من رؤية المشترى لها ، ليكون على بَيِّنة من الموقع والحدود والصفة .

أما بيع المربعات فى المكتب على المخطط دون رؤية المبيع فلا يجوز ، فقد تكون على صفة لا يرضاها المشترى ، إما على رأس جبل ، أو فى حفرة عميقة ، أو على صخور يصعب تسهيلها ، وإذا كانت الأرض مسوَّاة ومعدلة ومدفونة حفرها ، ولم يعلم المشترى حتى أخذ يحفر للبناء فوجدها هوة عميقة مردومة بأنواع من النفايات ، وقد تكون سياراتٍ خربة ، فله إذاً أرش العيب وله رد المبيع بالعيب ، والواجب أن يخبر البائع المشترى أن هذا المكان كان عميقاً فَدُق ، بل الأولى أن تُترك الأرض على طبيعتها ليراها المشترى ، وتكون التسوية للشوارع فقط .

أما الديون المؤجلة ، فشُرِعَت فيها الكتابة والإشهاد : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ (١) (اقرأوا الآية) ، فإذا لم يكن كاتب فرهان مقبوضة (٢) .

والواجب على مَن يرغب فى البيع والشراء أن يتعرف على البيوع الممنوعة ، وعلى النظام الإسلامى فى المعاملات .

= مَن باع عيباً فليبينه ، وهو من حديث واثلة بن الأسقع رضى الله عنه وإسناده فيه ضعف لأجل بقية بن الوليد الدمشقى وهو مدلس ، وإن معنى هذا الحديث لثابت بأحاديث أُخرى .

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ ، وهذه الآية هى أطول آية فى القرآن الكريم فى أطول سورة كما قال الإمام ابن كثير فى تفسيره : ١/٥٩٣

(٢) سورة البقرة : ٢٨٢ ، ٢٨٣

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه يتفقد الأسواق ويُخرج منها مَن لا يعرف البيوع الجائزة من الممنوعة [(١)] .

فاتقوا الله عباد الله . . المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسلمه ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعِرضه [(٢)] ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [(٣)] .

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وأطماعها ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا غاية مقصودنا ، واجعلها متاعاً لنا وعوناً على طاعتك يا أرحم الراحمين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) لم أقف عليه مسنداً عنه ، لعله أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ، والله أعلم .

(٢) مسلم فى الصحيح : البر والصلة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه برقم (٣٢) خاص وعام (٢٥٦٤) .

(٣) البخارى مع الفتح : ١/٥٣ - ٥٤ : الإيمان ، باب : من الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه ، ومسلم برقم (٤٥) عام ، من هذا الوجه واللفظ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الظلم ظلمات

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على ما هدانا ، وأشكره على ما أوْلانا .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، هو إلهنا ومولانا .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك ، نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن بعض الناس يشترى سلعة - وخاصة العقارات - على أنه ينقد الثمن فوراً ، فيعطى العُربون والباقى عند الإفراع ، ثم يأخذ يماطل ويتهرب عن الإفراع ، ينتظر السلعة تربح فيبيعها ، يتكسب بأموال الناس بدون رضاهم وغصباً عليهم ، وإذا لم تربح قال : هذه أرضك خذها وإلا اصبر ، والبائع إنما باع لينتفع بالثمن ، ومطله فى حقه ظلم ، وقد يكون المشترى لا يستحى من الله ولا من الناس ، فيضطر البائع للشكوى والمحاكمة ويتنكر له ، من أجل تطويل المدة وإتاحة الفُرْصة له ، فأين الأمانة الإسلامية ، وأين صدق المؤمن ، وأين التعاطف والتراحم ؟ لِمَ لَمْ يُخبره من أول مرة ويطلب أجلاً معلوماً بالثمن ليكون الطرفان على بَيِّنة ؟

أما من أخلفته الأمور وأعسر بالدَّيْن الذى فى ذِمَّته ، فيجب إنظاره إلى ميسرة ، وليس للغرماء إلا ما فى ملكه يُباع ، ويقسم ثمنه ، لكن مَن وجد عَيْن ماله لم يتغير عند المفلس فهو أحق به (١) .

---

(١) البخارى : ٥/٤٧ فى الاستقراض ، باب : إذا وجد ماله عند مفلس ، من حديث أبى هريرة رضى الله ، ومسلم فى الصحيح (١٥٥٩) المساقاة .

وما ظنكم بالتواضع عن المعسر ، وإعانته . قال عليه الصلاة والسلام : « مَن سرَّه أن يُنجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه » (رواه مسلم عن أبى قتادة) [١] .

كما روى مسلم عن أبى اليَسَر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظلَّه الله فى ظلِّه » [٢] .

وينبغى للعاقل أن يبتعد عن الدَّيْن ولا يَحملُه حبُّ الدنيا والرغبة فى التجارة أن يستدين ويشغل ذمَّته ، ومن ابْتُلِىَ فليحرص على الوفاء وملاطفة الغرماء ، فإنَّ نفس المؤمن معلَّقةٌ بدينه حتى يقضى عنه [٣] ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يُصلِّى على الميت إذا كان عليه دَيْنٌ وليس له وفاء [٤] .

فاتقوا الله عباد الله .. أحسنوا معاملاتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ، وتناصحوا فى معاملاتكم ، فمَن أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه ، ومَن أخذها يريد إتلافها أتلفها الله عليه ، وحاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا [٥] .

وصلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [٦] .

* * *

(١) مسلم فى الصحيح ، المساقاة برقم (١٥٦٣) ، باب : فضل إنظار المعسر من حديث أبى قتادة رضى الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم فى الصحيح ، الزهد والرقائق ، حديث رقم (٧٤) خاص وعام (٣٠٠٦) فى قصة طويلة ، وهو من حديث أبى اليَسَر صاحب رسول الله ﷺ .

(٣) أحمد فى المسند : ٢/ ٤٤٠ ، ٤٧٥ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، والترمذى برقم (١٠٧٩) ، وإسناده حسن .

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى برقم (٢٢٩٨) ، ومسلم فى الفرائض ، حديث رقم (١٤) خاص ، وهذا لفظ النسائى وأبى داود ، والدارمى الذى أورده فضيلة الشيخ الخطيب وإسناده صحيح .

(٥) هذه مقالة طيبة مشهورة لم أقف عليه مسنداً مرفوعاً أو موقوفاً أو مقطوعاً من كلام التابعين ، والله أعلم .

(٦) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٤ – التحذير من البيوع المنهى عنها [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .. بعث فينا رسولاً من أنفسنا رحمة بنا ، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، كما شهد لنفسه بذلك ، ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ونصح الأُمة وجاهد فى الله حق جهاده .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فما من إنسان إلا ويحتاج إلى شراء وبيع ولو لحاجيات نفسه من مطعوم ومشروب وملبوس ، فالإنسان لا يستطيع أن يُؤمِّن كل ما يحتاج إليه من عمل يده ، فهو يحتاج إلى بعض ما فى يد الآخرين . ومن حكمة الخالق تبارك

---

(١) ألقيت يوم ١١/٤/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة التوبة : ١٢٨

(٤) سورة آل عمران : ١٨

وتعالى جعل الناس يتفاوتون فى الرغبات والأعمال ، ليحصل التعاون فى هذه الحياة لتحقق مصالح الناس ، فيوجد عند إنسان ما لا يوجد عند الآخر ، ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرياً (١) .

فالكل فى هذه الحياة خادم من جهة ومخدوم من جهة أُخرى ، والإسلام وهو نظام الخالق لعباده لإصلاح معاشهم ومعادهم ، ولترابط الأُمة بعضها ببعض ، جعل نظاماً لكل مرفق من مرافق الحياة لنظم الأعمال وتنسيق الجهود ، وتوفير التآخى والتعاطف ، وقطع دابر الخلاف والشقاق . هذا النظام السماوى العادل الشامل يحفظ الحقوق والكرامات بجمع الشمل ، يلاحظ صلة الإنسان بخالقه طاعة وامتثالاً وانقياداً . وصلة الإنسان بالإنسان عدلاً وتعاطفاً وتراحماً ، فكما أن الخالق يتعبد خلقه بالصلاة والصيام فهو يتعبدهم بامتثال أمره واجتناب نهيه فى المعاملات . . والربا بطرقه كلها وأبوابه حرام ، والبيع حلال مباح ، وهناك بيوع منهى عنها ، إما لأنها وسيلة للربا أو لأن فيها جهالة وغرراً ، وهذه البيوع المنهى عنها تخفى على بعض الناس للغفلة من مذاكرة العلم ومن دراسة السُّنَّة المطهَّرة ، منها : بيع الملامسة (٢) ، وبيع المنابذة (٣) ، وبيع الحصاة (٤) ،

(١) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة الزخرف .

(٢) بيع الملامسة : البخارى مع الفتح : ٤/ ٣٠٠ فى البيوع من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم (١٥١١) عام ، أول كتاب البيوع .

(٣) مسلم فى الصحيح عن عطاء بن ميناء عن أبى هريرة رضى الله عنه ، حديث رقم (١٥١١) أول البيوع من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (انظر سنن النسائى الصغرى : ٦/ ٢٦١ - ٢٦٢) .

(٤) هو حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر » أخرجه مسلم فى الصحيح برقم (١٥١٣) عام فى البيوع ، باب : بطلان بيع الحصاة والبيع الذى فيه الغرر .

والمخاطرة والمزابنة (١) ، والمحاقلة (٢) ، وبيع المجر ، وبيع عسب الفحل (٣) ، وبيع العينة (٤) ، وبيعتان فى بَيْعة (٥) ، وبيع الإنسان ما ليس

---

(١) بيع المخاطرة : إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها ، نهى البائع والمشترى . . » : البخارى مع الفتح : ٤/ ٣٣٠ فى البيوع ، باب : بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها ، وأخرجه مسلم فى الصحيح برقم (١٥٣٤) فى البيوع ، باب : النهى عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها ، من هذا الوجه واللفظ .

وأما المزابنة والنهى عنها فهو بيع الثمر بالثمر إلا لأصحاب العرايا ، فإنه قد أذن لهم صلى الله عليه وسلم ، وعن بيع العنب بالزبيب ، وإن حديثه أخرجه الترمذى فى جامعه برقم (١٣٠٣) ، وهو من حديث سهل بن أبى حثمة رضى الله عنه ، وقال الترمذى : حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، ثم وقفت على أن مسلماً أخرجه فى الصحيح برقم (١٥٤٠) عام وخاص (٧٠) فى البيوع .

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح ، البيوع ، باب : النهى عن المحاقلة والمزابنة برقم (٨٥) خاص وعام (١٥٣٦) ، وفيه النهى عن المحاقلة والمزابنة والمخابرة والمعاومة .

والمعاومة هى : بيع السنين ، وقد أخرج هذا الحديث مسلم برقم (١٥٤٣) فى البيوع ، باب : كراء الأرض ، وهو من حديث جابر رضى الله عنه .

(٣) إشارة إلى ما أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى : ٥/ ٣٤١ من طريق أبى عبيد - أى موسى بن عبيدة الربذى - عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه نهى عن المجر ، قال أبو زيد : المجر أن يباع البعير أو غيره بما فى بطن الناقة ، وقد ذكر البيهقى أن ابن إسحاق رواه عن نافع عن ابن عمر أيضاً .

قلت : حسن لغيره مع الشواهد الكثيرة ، والله أعلم .

وأما بيع عسب الفحل فهو حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أخرجه البخارى فى الجامع الصحيح : ٤/ ٣٧٩ فى الإجارة ، باب : عسل الفحل ، ومسلم فى الصحيح برقم (٣٥) خاص وعام (١٥٦٥) فى المساقاة ، باب : تحريم فضل بيع الماء الذى يكون فى الفلاة .

(٤) ، (٥) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : أخرجه الترمذى برقم =

عنده (١) ، فبيع الملامسة (٢) مثل أن يقول : أى ثوب أو سلعة تلمسها بيدك فهى لك بعشر ريالات . والمنابذة : أى شىء تنبذه إلىَّ فهو لى بعشرة . وبيع الحصاة : أى شىء تقع عليه هذه الحصاة إذا رميتها فهو لك بعشرة . هذه بيوع منهى عنها ولا تصح لوجود الجهالة والغَرَر . ومن شرط البيع أن يكون المبيع معلوماً قدراً وصفة ، ومثل هذا ما يسمى « شختك بختك » ، واليانصيب .

أما بيع المخاطرة فهو بيع الزرع الأخضر فى المزرعة قبل بدو صلاح الحب بشرط البقاء فهذا لا يصح ، لأن الحب قبل أن يصلح مُعرَّض للآفات ، أما لو شرط حصده فى الحال كالبرسيم يحصده علفاً فإنه يجوز .

وبيع المزابنة : هو بيع الرطب فى رؤوس النخل بخرصه تمراً ، فإن التماثل

= (١٢٣١) ، وأبو داود برقم (٣٤٦١) بلفظ : « من باع بيعتين فى بيعة » ، وأخرجه النسائى : ٧/ ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، وإسناده حسن ، وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف برقم (١٤٦٣٢) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وله شاهد من حديث ابن مسعود رضى الله عنه : أخرجه أحمد برقم (٣٧٢٥) ، و(٣٧٨٣) من نسخة أحمد محمد شاكر . . .وهو بيع العينة . وله صور كثيرة ذكرها البغوى فى شرح السُّنَّة : ٨/ ١٤٣ فراجعه ، وفى بعضها إباحة وجواز .

(١) إشارة إلى حديث حكيم بن حزام قال : نهانى رسول الله ﷺ عن بيع ما ليس عندى ، أخرجه الترمذى فى جامعه برقم (١٢٣٣) من حديث حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن يوسف بن ماهك به ، وحسَّنه الترمذى ، وأخرجه النسائى فى الصغرى : ٧/ ٢٢٨ ، وأبو داود فى السنن (٣٥٠٣) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ نهى عن الملامسة والمنابذة : أخرجه البخارى فى البيوع ، باب : بيع المنابذة ، ومسلم فى الصحيح برقم (١٥١١) فى أول كتاب البيوع .

والمنابذة : أن ينبذ الرجل إلى الرجل ثوبه وينبذ إليه الآخر ثوبه على غير تأمل منهما يقول كل واحد منهما لصاحبه : هذا بهذا ، فهذا الذى نهى عنه .

وأما الملامسة : فأن يلمس كل واحد منهما ثوب صاحبه بغير تأمل ، فهذا أيضاً منهى عنه للجهالة والغرر ، كما فسَّره فضيلة الخطيب حفظه الله ورعاه .

مجهول هنا ، لأن الرطب ينقص إذا يبس فيحصل التفاضل فى جنس واحد ربوى ، والجهل بالتماثل كالعلم بالتفاضل ، وتستثنى العرايا ، فإذا كان إنسان عنده تمر وجاء الرطب وليس لديه ثمن يشترى به رطباً جاز له أن يشترى رطباً فى رأس النخلة بخرصه تمراً حويلاً على قدر حاجته فقط .

ومن البيوع المنهى عنها بيع العينة (١) : وهو أن يبيع إنسان لآخر سلعة بعشرة آلاف ريال مؤجَّلة سنة ثم يشتريها بائعها بثمانية قبل حلول الأجل وقبل استلام الثمن وقبل تغير الصفة ، وهذا مثل ما يفعله بعض أهل معارض السيارات بأن يبيع لإنسان سيارة على آخر بخمسة عشر ألف ثم يشتريها بائعها باثنى عشر ، فهذا منهى عنه لأنه وسيلة للربا ، فالواقع أنه أعطاه اثنى عشر ألف بخمسة عشر مؤجلة ، وإنما جُعِلت السيارة فى الوسط حيلة .

ومن البيوع المنهى عنها : بيعتان فى بَيْعة ، وهذا يحصل غالباً بين بائعى المصاغات بأن يأتى إنسان إلى بائع الذهب بحلى قديم ، فيقول صاحب الدكان : أشتريه كل مثقال بخمسين على أن تشترى منى حُلياً آخر كل مثقال بستين ريالاً ، فهذا منهى عنه . كان النبى ﷺ نهى عن بيع بيعتين فى بَيْعة (٢) ، ولأنه يُلْزم أحد المتبايعين بما لا يرغبه .

ومن البيوع المنهى عنها : ما يفعله بعض الناس فى المداينات إذا جاء إليه الزبون اتفق معه على سعر الكيس أو السيارة بكذا ويتم العقد والكتابة ، ثم

---

(١) إشارة إلى حديث جابر رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح برقم (١٥٣٦) عام وخاص (٨٥) فى رُخْصة العرايا ، وحديث سهل بن أبى حثمة رضى الله عنه : أخرجه البخارى : ٤/ ٣٢٤ فى البيوع ، ومسلم فى الصحيح برقم (١٥٤٠) عام وخاص (٦٩) ، وقد عقد عليه النووى الباب قائلاً : باب تحريم بيع الرطب بالتمر إلا فى العرايا .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : الترمذى برقم (١٢٣١) ، وأبو داود (٣٤٦١) وإسناده حسن .

يذهب فيشترى له من التاجر أو يحوله عليه ليستلم المبيع ، فهذا لا يصح لأن البائع باع ما ليس عنده . والنبى ﷺ نهى أن يبيع الإنسان ما ليس عنده (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . اعرفوا البيوع المنهى عنها فاخشوها .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (٢) .

* *

---

(١) هو نفس هذا الحديث وله صور كثيرة ، أخرجه النسائى فى الصغرى : ٢٩٥/٧ ، وعبد الرزاق فى المصنف برقم (١٤٦٣٢) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وإسناده حسن .

(٢) سورة محمد : ٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الشروط فى البيع

(الخطبة الثانية)

الحمد لله كما أمر . . وأشكره وقد تأذَّن بالزيادة لمن شكر [(١)] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، إرغاماً لمن جحد به وكفر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد البَشر ، الشافع المشفع فى المحشر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمداً وعلى آله وأصحابه السادة الغرر ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم المُسْتَقَّر .

أما بعد . .

فإن من الشروط فى المبيع شروط فاسدة تُفسد البيع ، وشروط فاسدة وحدها .

أما الشروط المبطلة للبيع : فكل شرط يتنافى مع مقتضى العقد ، مثل أن يشترط البائع على المشترى أن لا يبيعه ولا يهبه .

والشروط التى تبطل وحدها مع صحة العقد : كأن يشترط المشترى على البائع أنها إن نفقت السلعة وإلا ردَّها ، فالشرط فاسد والبيع صحيح ، ولو تلف المبيع أو أُصيب بنقص ، فإن كان بعد القبض فهو من ضمان المشترى ، والقبض بحسب العادة والعُرْف فى كل زمان ومكان بحسبه ، وأما إن نقصت الكمية أو زادت فإن كان مكيلاً أو موزوناً فيأخذ المشترى المقدار الذى وقع عليه العقد والباقى للبائع ، وأما إن كانت أرضاً كأن يشتريها على أنها عشرة مخازن

---

(١) إشارة إلى الآية ٧ من سورة إبراهيم .

بمائة ألف فبانت أحد عشر مخزناً ، فلكل من المتبايعين الخيار (١) ، إما أن يشتركا كلٌ بقدر حصته للمشترى ما اشترى وللبائع الزائد ، أو يأخذ المشترى الزائد بحصته ، أو يتقاسمان ، لكن إن بذل البائع الزائد للمشترى مجاناً فليس له الخيار ، وأما إن نقصت بأن اشتراها على أنها عشرة مخازن فثبتت ثمانية ، فالخيار للمشترى وحده ، إما أن يرد البيع أو يأخذ منه قيمة النقص أو يتسامح .

فاتقوا الله عباد الله ، وراقبوه مراقبة مَن يعلم أنه يسمعه ويراه .

وصَلُّوا على النبى النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أبو داود فى السنن برقم (٣٤٦٥) ، والترمذى برقم (١٢٤٧) ، وإسناده حسن ، وله شواهد كثيرة أخرجها البخارى ومسلم ، ومنها حديث ابن عمر رضى الله عنهما : البخارى مع الفتح : ٤/ ٢٧٤ ، ومسلم فى الصحيح برقم (٤٥) خاص وعام (١٥٣١) : البيوع .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٥ - الرِّبا ضد البيع والشراء [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣]ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أنْ لا إلَه الله وحده لا شريك له ، خلَق فقدَّر ، وشرَّعَ فيَسَّر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بشَّر وأنذر ورَغَّب وحَذَّر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإذا كان الجو عاصفاً دخل غباره فى كل بيت ، ولو حاول أحدٌ اتقاء الإعصار لم يستطع أن يتقى الغبار .

وإنَّ العالَم قد اجتاحته عاصفة مُدمرة من الحركة الرِّبوية ، والمسلمون فى مواجهة هذا الإعصار ثلاثة أقسام : فمنهم مَن دخل فى دوُّامته ليس بخارج منها إلا أن يشاء الله ، ومنهم مَن وقف على جانبٍ تلفحه الرياح ، ومنهم مَن هرب لكن أصابه الغبار والبخار .

---

(١) ألقيت يوم ٢٤/١/١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) جزء من آية الأعراف (١٢٨) .

وهذا مصداق ما أخبر عنه نبينا محمد ﷺ كما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ليأتين على الناس زمانٌ لا يبقى أحد إلا أكل الربا ، فإن لم يأكله أصابه من بخاره » ، ويروى : « من غباره » (رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه) (١) .

النظام الرِّبوى نظام يهودىٌ جاهلى من رواسب الجاهلية الأولى ، وهو نظام احتكارى استبدادى لا يعرف الرحمة ولا العطف ولا الأُخوة الإنسانية ، يقطع المعروف والتضامن ، فالمرابى لا يريد إلا المال والكسب ، فإذا حَلَّ دَيْنه على معسر قال له : إما أن تقضى وإما أن تُربى ، فلا يُنْظِره إلى ميسرة ، الربا بلاء وخسارة على المجتمعات أياً كان نوعها وعقيدتها ، فليس خطر الربا مقتصراً على الدين والأخلاق والأُخوة ، بل وعلى الاقتصاد والسياسة .

فالرِّبا يحصر الأموال والأرباح والحركة الرِّبوية فى أشخاص معدودين ، تصيبهم التخمة والشره ، بينما السواد الأعظم فقراءُ مدينون ، وحينئذ يتحكم المرابون فى أولئك : فى مصالحهم ومشاعرهم الظاهرة ، وفى سياسة الأُمور .

لما رَفَعت بعض البنوك الأرباح الرِّبوية توجهت إليها رؤوس الأموال المرابية ، وأُقْفِلت مصانع كان يعمل فيها آلاف العمال ، فتعطلوا عن العمل ، وبقوا لا مورد لهم ، ولما انتشر الربا بين الناس انشلَّت الحركة التجارية ، وتعطَّل كثير من الناس كانوا يستفيدون من حركة البيع والشراء .

الرِّبا وجه كالح ممقوت ، حرَّمه الإسلام وبالغَ فى تحريمه ، وتوعَّد المرابين وأغلظ فى الوعيد .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند : ٢/ ٤٩٤ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وإسناده صحيح ، وأخرجه أبو داود برقم (٣٣٣١) فى البيوع ، وابن ماجه برقم (٢٢٧٨) التجارات ، والنسائى فى السنن الصغرى : ٧/ ٢٤٣ ، وأخرج البخارى فى الصحيح : ٤/ ٢٥٣ فى البيوع من حديث أبى هريرة مرفوعاً : « يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذه منه أمن الحلال أم من الحرام » .

فما ذُكِرَ فى القرآن أنَّ صاحب معصية محارِبٌ لله ورسوله إلا الرِّبا ، فالمرابى عدو لله ورسوله ، محارب لله ورسوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (١) ومَن حاربه الله هُزِم ، إننا نشاهد آثار الهزيمة على المحاربين لله ، فما تلك المصائب والكوارث وتسلط الشيوعية ، وأعوان الشيوعية ، إلا مصائبُ يُرسلها الله على مَن عصاه وخالف أمره ولم يبال بمحارمه وحدوده : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٣) .

المرابى ملعون على لسان نبينا محمد ﷺ ، وما لُعن الكاتب والشاهد إلا فى الربا : « عن جابر رضى الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الرِّبا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم سواء » (رواه الإمام مسلم فى صحيحه) (٤) .

آكل الرِّبا لا يقوم يوم القيامة ﴿ إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ﴾ (٥) ، ولم يكن ذلك فى معصية غير الربا ، وهذا دليل قبحه وسوء عاقبته . الربا حرام وأى بدنٍ غذى بالحرام فالنار أولى به (٦) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩

(٢) سورة آل عمران : ١١٧ ، وسورة النحل : ٣٣

(٣) سورة الكهف : ٤٩

(٤) أخرجه مسلم فى الصحيح : المساقاة ، حديث رقم (١٥٩٨) ، باب : لعن آكل الربا وموكله ، ومن حديث ابن مسعود رضى الله عنه أيضاً برقم (١٥٩٧) ، وأخرج الحاكم فى المستدرك : ٣٧/٢ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً ولفظه : « الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أُمه » ، وصحَّحه ووافقه الذهبى على تصحيحه فى التلخيص .

(٥) سورة البقرة : ٢٧٥

(٦) الحاكم فى المستدرك : ١٢٧/٤ من حديث أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه .

الرِّبا وإن تكاثر فلا قيمة له عند الله ومآله إلى قِلَّة لأنه ممحوق حساً ومعنى ، يُحْرَم صاحبُه من لذَّة المال ولذَّة الحياة .

الإسلام لا يُحَرِّم شيئاً تحتاج إليه الأُمَّة ، ولا يُحَرِّم شيئاً إلا وقد عوَّض عنه خيراً منه : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (١) ، الإسلام نظام حيويٌّ عادل ينظم الحياة والمجتمع والاقتصاد بما يحفظ المصالح ويدرأ المفاسد ، ويوفر العِزَّة والكرامة لكل فرد على أساس العدل ، والمِلْكية المطلقة لله وحده ، فهو مالك كل شيء وخالق كل شيء ، وما فى أيدى الناس ملكه عاريةٌ عندهم .

الإسلام يفتح أبواب العمل والتعاون والحرية الكاملة للإنسان ، ويغلق أبواب الفساد والاستبداد والاستعباد .

الإسلام لا يقف أمام الحركة الاقتصادية ، ولا أمام العمل والإنتاج ، بل يحث على ذلك ويُرَغِّب فيه ، وقد وضع لها نظاماً يحقق الخير ويدفع الفساد ، ويضمن العدل .

وليس الرِّبا خاصاً بالبنوك ، بل يشمل غيرها .

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « الذهبُ بالذهبِ ، والفضةُ بالفضةِ ، والبُرُّ بالبُرِّ ، والشَّعيرُ بالشَّعيرِ ، والتمرُ بالتمرِ ، والمِلحُ بالمِلحِ مثلاً بمثلٍ يداً بيد ، فمَن زاد أو استزاد فقد رابى ، الآخذ والمعطى سواء » . وفى حديث آخر : « فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » (رواه مسلم) (٢) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٥

(٢) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح ، المساقاة ، حديث رقم (١٥٨٧) ، وأبو داود برقم (٣٣٤٩) فى البيوع ، والترمذى فى جامعه (١٢٤٠) .

وجاء بلال إلى النبى ﷺ بتمر برنى ، فقال : « من أين لك هذا » ؟ قال : كان عندنا تمر ردىء ، فبعتُ منه صاعين بصاع ، فقال : « أوه ، عينُ الربا عينُ الربا ، لا تفعل ، ولكن إذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به » (متفق عليه) (١) .

ففى وجوب التساوى بين الجنس الواحد فى البيع دون اعتبار الجودة والصَّنعة ، منع احتكار الأغنياء بالأموال ، فلا يشترى التاجر رديئاً بمقداره جيداً ، وحينئذ يُباع الردىء بثمن ، ويُشترى الجيد بثمن ، وفى هذا إتاحة الفُرْصة لأكثر من واحد ليشترى أو يبيع ، فمن الناس مَن لا يجد إلا ثمن الردىء ، فلو احتكره التاجر لحُرِم منه المحتاج .

اتقوا الله أيها المسلمون .

الأحكام الشريعة لا تُعلَّل ، ولا يتوقف اتباعها على معرفة العِلَّة أو الحكمة ، بل يجب الرضا والتسليم لأمر الله وحُكمه ، وما يُذكر من الفوائد والمصالح الظاهرة إنما هو محاولةً لإقناع المعاند ودفع الشك عن المرتاب .

فاتقوا الله يا أُمَّة الإسلام . . لا تجعلوا معاملاتكم كمعاملات اليهود والنصارى ، ولا يحملنكم حب المال على معصية الله ورسوله ، ولا على محاربة الله ورسوله .

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن

---

(١) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : البخارى برقم (٢٣١٢) الوكالة ، باب (١١) ، باب : إذا باع الوكيل شيئاً فاسداً فبيعه مردود ، ومسلم نحوه : المساقاة من هذا الوجه واللفظ ، حديث رقم (٩٦) .

جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، وتُبْ علينا إنك أنت التوَّاب الرحيم ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة البقرة : ٢٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

يُباع الذهب بالذهب مثلاً بمثل يداً بيد

(الخطبة الثانية)

الحمد لله مُعِزٌّ مَن أطاعه ، ومُذِلٌّ مَن عصاه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإن بيع الذهب بالذهب يُشترط فى صحته شرطان : التماثل فى الوزن قيراط بقيراط ، ولا عِبْرة بالصنعة ولا الجودة ، والثانى : التقابض قبل التفرق (١) .

وعلى هذا . . فإن ما يفعله بعض الناس ، وخاصةً بائعى المجوهرات والصاغة ، إذا جاءه إنسان بحُلى قديم من الذهب للبيع . قال : أشتريه على أن تشترى منى مصاغاً جديداً ، فيُقدِّر للقديم ثمناً وللجديد ثمناً ، ثم يدفع التاجر الجديد لذلك الإنسان ويأخذ منه القديم مع فرق الثمن ، هذا غير جائز لأن حقيقته هى أن التاجر باع مصاغاً جديداً من الذهب بمصاغ قديم من الذهب وبزيادة ريالات ، وهذا عَيْنُ الربا المحرَّم ، والذى ينبغى فى هذه الحالة أن يشترى القديم بثمن يسلمه للبائع ، ويترك له الحرية ، إن شاء اشترى منه جديداً ، وإن شاء اشترى من غيره .

---

(١) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح ، المساقاة ، حديث رقم (١٥٨٧) ، وفيه هذا اللفظ : « يداً بيد . . . . » .

وهناك مسألة غَفَل عنها بعض الناس ، يشترى إنسان مصاغاً من الذهب بريالات من التاجر ، ويكون معه بعض الثمن يسلمه ويؤخر تسليم الباقى إلى غد أو إلى آخر النهار ، هذا البيع لم ينعقد ولا ينفذ ، لأن من شرط صحة بيع الذهب بالريالات الحلول والتقابض قبل التفرق ، فإذا تفرَّق البيِّعان قبل قبض الثمن ، أو بعضه ، أو قبل قبض الذهب لم يصح البيع .

وأما مسألة التورق ، أى السَلَم المعروف بالمداينات ، فهو مستثنى من قاعدة « التقابض » مراعاة لمصالح الناس وتيسيراً لهم ، ولكن بشروط منها : أن يكون أحد العوضين نقداً ، وأن يكون الثمن مقبوضاً فى المجلس قبل التفرق ، ولها صورتان :

الأولى : أن يكون الثمن عَرضاً من عروض التجارة يُسلَّم حال العقد ، والعوض نقداً مؤجلاً إلى وقت معلوم مع وصف الثمن : نوعه وجنسه وما يتميز به .

مَثَل هذه الصورة : أن يبيع إنسان على آخر سيارة أو أرضاً أو طعاماً أو قماشاً بمبلغ عشرة آلاف ريال مؤجَّلة إلى سنة من تاريخ العقد ، هذا جائز بشرط قبض السيارة أو الأرض فى المجلس قبل التفرق .

الصورة الثانية : أن يشترى الدائن من المدين عَرَضاً موصوفاً فى الذمَّة ، كالمكيل أو الموزون أو ما ينضبط بالصفة ، بعشرة آلاف ريال مثلاً مسلَّمة للمدين فى المجلس .

مَثَل هذه الصورة أن يدفع التاجر عشرة آلاف ريال إلى المدين بعشرة آلاف كيلو من التمر أو السكر ، أو آصع من البُرِ أو الأرز ، أو بسيارة موصوفة حجماً ولوناً وقوة وقياساً ونوعاً وجنساً ، فهذه الصورة جائزة بشرطين : الأول : قبض الثمن حال العقد ، والثانى : وصف العرَض وصفاً شاملاً يتميز به من غيره ويقطع مادة الخلاف فى المستقبل .

هذه البيوع خير من بيوع الرِّبا ، لأن المدين قد يكسب فى صفقته ، فيستفيد ، أما الرِّبا فربحه مضمون للتاجر وحده .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. تعرَّفوا على البيوع الجائزة ، واجتنبوا البيوع الباطلة ، فالخير فيما وافق شرع الله .

وصَلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٣٦ - مقارنة بين الصَدَقة والرِّبا [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، له الحكم والأمر ، وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، طيِّبٌ لا يقبل إلا طَيِّباً ، توَّابٌ يُحب التوَّابين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجَّلين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن سُنَّة الله تعالى فى القرآن العظيم مطردةٌ ، يقارن بين المتضادات ويُبيِّن نتائجها وعواقبها للترغيب والترهيب ، رحمة بخلقه لعلهم يختارون سبيل النجاة ، ولعلهم يسلكون طريق السعادة ، فإذا تأملنا كلام الله نجده إذا ذكر الإيمان والمؤمنين ذكر الكُفر والكافرين ، وإذا ذكر الجنَّة ونعيمها ذكر النار وجحيمها ، وإذا ذكر الحلال وفوائده ذكر الحرام ومضاره ، وإذا ذكر الآخرة ودوامها ذكر الدنيا وزوالها ، وإذا ذكر الطائعين وثوابهم ذكر العاصين وعقابهم .

---

(١) ألقيت يوم ١٨/ ٤/ ١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

ومن هذا القبيل نجد مقارنة بين الصدَقات والرِّبا فى أكثر من آية فى القرآن .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

ثم قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٣) .

وفى سورة الروم : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ (٤) .

قال فى التفسير الكبير : اعلم أن بين الرِّبا والصدَقة مناسبةً من جهة التضاد ، وذلك لأن الصدَقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمر الله بذلك ، والرِّبا عبارةٌ عن طلب الزيادة على المال مع نهى الله عنه ، فكانا متضادَّين ، ولهذا قال : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ .

وقال ابن كثير فى تفسيره : لما ذكر الله الأبرار المؤدِّين النفقات المُخْرِجين الزكوات المُتفضِّلين بالبِّر والصدَقات لِذَوى الحاجات والقُربات فى جميع الأحوال والأوقات : شرع فى ذكر أكلة الرِّبا وأموال الناس بالباطل وأنواع

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٤

(٢) سورة البقرة : ٢٧٥

(٣) سورة البقرة : ٢٧٦

(٤) سورة الروم : ٣٩

الشُبهات ، ففرقٌ شاسعٌ بين مَن أطاع الله ورسوله وأحسن إلى الناس ، وبين مَن عصا الله ورسوله وأخذ أموال الناس فى غير مقابل ، وفرق شاسع بين صَدَقة يتقبَّلها الرحمن ويربيها وينميها ، وتُطَهِّر النفس وتُزَكيها ، وتزيد الأموال وتضع فيها البركة ، وبين الرِّبا الذى حرَّمه الله ورسوله ، وأخبر بأنه يعود إلى قل وإن كثر لأن الله يمحقه حِسّاً ومعنى .

والشُبهة التى ألقاها أكلة الرِّبا فى عهد النبى ﷺ بقولهم : ﴿ إنما البيع مثل الربا ﴾ يعترضون على حكم الله كيف يُحِل البيعَ ويُحَرِّم الرِّبا ، مردودة بأن الله تعالى حكيم عليم رؤوف رحيم ، هو العالِم بحقائق الأُمور ومصالحها وما ينفع عباده فيُبيحه وما يضرهم فيُحرِّمه ، وهو أرحم بهم فى الوالدة بولدها ، فيجب أن يعلم الإنسان أنه ملك لله وتحت إرادة الله وأمره ، يجب عليه اتباعُ شرعه واجتناب نهيه ، ويجب السمع والطاعة لنصوص الشريعة سواء عُلمت الحكمة أم خفيت ، يجب القبول والرضا سواء أدركنا المصالح أم لم ندركها .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢) .

وهذا لا يتنافى مع التدبر والتأمل والتعرف على ما يظهر من أسرار الشريعة وفوائدها . قال بعض العلماء : سبب تحريم الرِّبا أمورٌ منها : أن الرِّبا يقتضى أخْذُ مال الإنسان من غير عوض ، إذ الزيادة التى يأخذ المرابى من المدين ليس لها مقابل .

---

(١) سورة النساء : ٦٥

(٢) سورة الأنبياء : ٢٣

فإن قيل : إنما الزيادة فى مقابل بقاء المال عند المدين ولو كان المال عند الدائن لاستفاد من ربحه ، قيل : هذا تعليل غير صحيح لأن المال الذى عند الدائن لو استعمله لكانت فائدته مظنونة ، إذ التجارة لا يُعلم هل تربح أم لا ، فأخذ الزيادة المتيقنة فى مقابل الربح المظنون غير وارد .

ومن فوائد تحريم الرِّبا : الرِّبا يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب والحركة التجارية ، لأن صاحب الدرهم إذا عرف أنه يكسب بالرِّبا كسباً محققاً خَفَّ عليه الاكتساب ، فلا يتحمل مشقة التجارة والصناعات ، وذلك يفضى إلى انقطاع منافع الخلق ، ومن المعلوم أن مصالح العالَم لا تنتظم إلا بالتجارة والحِرَف والصناعات .

ومنها : أن الرِّبا يُفضى إلى انقطاع المواساة والمعروف والإحسان بين الناس.

ومنها : أن منفعة الرِّبا منحصرة فى التاجر وحده ، والتجار قليلون بالنسبة للعامة ، وذلك يؤدى تحكم المرابين فى الاقتصاد والتحكم فى مصالح الناس واستعبادِ المحتاجين وإخضاعِهم إلى التمشى على هواهم ، كما هو المشاهَد فى المجتمعات التى يقوم اقتصادها على الرِّبا ، يتحكمون فى الصناعات والزراعات وحتى فى السياسة ، فكم من مصنع أثقله الرِّبا بالديون فقُفِل ، وكم من مقاول أثخنه الرِّبا بالديون فأفلس ، وكم من بيت ملكه الرِّبا وأخرج منه أهله ، وإذا نظرنا إلى الشعوب التى تَحكَّم فيها الرِّبا نجدهم فى قلق واضطراب ، وفى أنواع من الأمراض النفسية والعصبية والحيرة والسآمة مما هم فيه ، والسبب هو الرِّبا الذى ينمى الأموال نماءً غير مُعتدل ، نماءً احتكارياً خاصاً بطائفة من الناس ، إنها أضرار تعود على الرِّبا والمرابى ، وأضرار تعود على المدين ، وأضرار تعود على المجتمع كله .

وما هو المَخْرَجُ من هذه المصيبة العامة ، المَخْرَج قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (١) .

إنَّ الأُمَّة الإسلامية عاشت قروناً ومعاملاتُها طاهرةٌ مُطهَّرةٌ من الرِّبا ، وكانت اقتصادياتها فى تقدم ، وكانت أموالها مباركة ، وكانت حركاتها مُوَفَّقة ، ودعواتها مُسْتجابة ، واقتصادياتها مُثْمِرة ، وارتباطها بربها وثيق . كانت متحدةً متعاونة ، فلما انغمست فى ردغة الرِّبا وصار مأكلها حرام ومشربها حرام وغَذَّت أولادها بالحرام تفرَّق جمعها وتشتَّت أمرها واختلفت كلمتها وانهارت قُوامها وأبْعِدت عن ربها ورُدت دعوتها ، فصارت ذليلة مغلوبة على أمرها ، ولا ملجأ إلا إلى الله ، ولا نجاة إلا بالاعتصام بكتاب الله والتمسك بحبل الله ، وترك الرِّبا والتعامل بالبيع الذى أحلَّه الله ، وما أحَلَّ اللهُ كفيلٌ بأن يحفظ مصالح الأُمَّة وأن ينمى اقتصادياتها .

الرِّبا معصية لله ورسوله ، والمرابى ملعون على لسان محمد ﷺ .

روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله ﷺ آكل الربا – أى المتعامل به – وموكله ، وكاتبه ، وشاهديه » وقال : « هم سواء » (٢) أى فى الإثم .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . . اتقوا الله أيها الناس . . لا تُفسدوا على الناس

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٨ – ٢٧٩

(٢) البخارى : اللباس (٨٦) ، و(٩٦) ، ومسلم : المساقاة (١٠٦) ، وأبو داود : البيوع (٤) ، وأحمد : ٨٢/١ ، والترمذى : البيوع (٢) ، والنسائى : الزينة (٢٥) ، وابن ماجه : التجارات (٥٨) .

معائشهم وأموالهم ، ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارِك لنا فى القرآن العظيم .... إلى آخر الدعاء .

* *

(١) سورة البقرة : ٢٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

الرفق بالمسلم

(الخطبة الثانية)

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . . ففى هذه الأيام التى اضطرب فيها الاقتصاد واختفت الأموال ، وركدت فيها الحركة التجارية وصار الناس كما يقال : غاصب ومغصوب ، يجدر بالمسلم أن يرفق بأخيه المسلم وأن يُقَدِّر ظروفه ، فعلى الدائن أن يُنظر المدين حتى يتيسر له الوفاء ، ويجدر بأهل الأموال أن يعطفوا على إخوانهم فيواسونهم مما آتاهم الله ، كما أنه يتعين على المدين القادر أن يُبرأ ذمته من حقوق الناس ، فهو لا يدرى متى أجله فيذهب ومعه عناء الديون وحسابها وعقابها ، ويترك الأموال لورثته ، نفس المؤمن مُعَلَّقة بيد الله ، وإنظار المعسر والرفق بالعاجز عن الوفاء من شِيَم الكرام ومن صفات المؤمنين ، وقد أمر به رب العالمين .

بل الأفضل والأكمل أن يتواضع الغنى عن بعض دَيْنه للمعسر . قال تعالى :

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

ولا يجوز للدائن أن يشتكى المدين ويحبسه وهو يعلم أنه لا وفاء له .

أما الذين يتواطئون على مداينات صورية ويدخل المدين السجن حتى تُسَدِّد عنه الدولة ، أو لجنة الوفاء عن المعسرين ، فهؤلاء محتالون خاسرون ، هم عُبَّاد الدرهم والدينار ، فإذا تحقق أمرهم فيجب تأديبهم وعدم الرأفة بهم ، وأما الذين يأخذون أموال الناس ويرحلونها إلى أماكن أُخرى ويدَّعُون الإعسار ، فهؤلاء يجب الحذر منهم وعدم تمكينهم وأمثالهم من الأموال ، والمؤمن لا يُلْدَغ من جُحْرٍ مرتين ، المؤمن كَيِّسٌ فَطِن ، لا ينبغى أن يلعب به المحتالون الماكرون ، فاتقوا الله أيها المؤمنون . . .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة البقرة : ٢٨٠

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٧ - عقوبة آكل الرِّبا (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحابته ومَن تبعهم بإحسان وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فقد روى الإمام البخارى رحمه الله فى صحيحه حديثاً عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ مما يُكثر أن يقول لأصحابه : « هل رأى أحد منكم من رؤيا » ؟ قال : فيقص عليه مَن شاء الله أن يقص ، وإنه قال ذات غداة : « إنه أتانى الليلة آتيان ، وأنهما قالا لى : انطلق ، وإنى انطلقتُ معهما ، وإنَّا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه ، فيثلغ رأسه ، فيتدهده الحجر ههنا ، فيتبع الحجر فيأخُذُه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعودُ عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى ، قال : قلت لهما : سبحان الله ! ما هذان ؟ قالا لى : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق على

(١) ألقيت يوم ١٩/٧/١٣٩٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٤

قفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد ، وإذا هو يأتى أحد شِقى وجهه فيشرشر شِدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل بالمرة الأولى ، قال : قلت : سبحان الله ! ما هذان ؟ قالا لى : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على مثل التنور - فأحسبه قال : فإذا فيه لغط وأصوات - فاطلعنا فيه ، فإذا فيه رجال ونساء عُراة ، وإذا لهب يأتيهم من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضؤا قال : قلت : ما هؤلاء ؟ قالا لى : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول : أحمر مثل الدم - وإذا فى النهر رجل سابح يسبح ، وعلى شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة فيغفر له فاه فيُلقمه حجراً ، فينطلق فيسبح ، ثم يرجع إليه ، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً ، قلت لهما : ما هذان ؟ قالا لى : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة - أو كأكره ما أنت راء رجلاً مرأى - وإذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها ، قلت لهما : ما هذا ؟ قالا لى : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نَوْرِ الربيع ، وإذا بين ظهرى الرَوْضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً فى السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان ما رأيتهم قَطُ . قلت : ما هذا وما هؤلاء ؟ قالا لى : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على دَوْحة عظيمة لم أر دَوْحة قَطُ أعظم منها ولا أحسن ، قالا لى : إرق فيها ، فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلَّبِنٍ ذهب ولَّبِنٍ فِضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففُتِح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقتهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر منهم كأقبح ما أنت راء ، قالا لهم : اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، وإذا هو نهر معترض يجرى كأن ماءه المخِض فى البياض ، فذهبوا فوقعوا فيه ، ثم رجعوا

إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة ، قال : فقالا لى : هذه جنَّة عَدْن ، وهذا منزلك ، فسما بصرى صُعُداً ، فإذا قصر مثل الرَّبابة البيضاء ، قالا لى : هذا منزلك ، قلت لهما : بارك الله فيكما فذرانى أدخله ، قالا لى : أمَّا الآن فلا ، وأنت داخله .

قلت لهما : فإنى رأيتُ منذ الليلة عجباً ، فما هذا الذى رأيت ؟ قالا لى : أما إنَّا سنخبرك ؛ أما الرجل الأول الذى أتيت عليه يُثلغ رأسه بالحجر : فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة ، وأما الرجل الذى أتيتَ عليه يُشرشر شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينيه إلى قفاه : فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق ، وأما الرجال والنساء العراة الذين هم فى مثل التنور : فإنهم الزناة والزوانى ، وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويُلْقَم الحجارة : **فإنه آكل الربا** ، وأما الرجل الكريه المرآة الذى عند النار يحشها ويسعى حولها : فإنه مالكٌ خازن النار ، وأما الرجل الطويل الذى فى الرَوْضة : فإنه إبراهيم ، وأما الولدان الذين حوله : فكل مولود مات على الفِطْرة ، وأما القوم الذين كانوا شطرٌ منهم حسن وشطرٌ منهم قبيح : فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم » (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على الصادق الأمين الذى لا ينطق عن الهوى (٢) ، لقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأنه رأى دار عامة المؤمنين ودار الشهداء المخلصين ليُرغِّب أُمَّته فى سلوك الطريق الموصل إلى جنَّات النعيم ، وأخبر بما رآه من عذاب أهل هذه الكبائر الأربع ، يُحَذِّر أُمَّته من الوقوع فيها لأن هذه الكبائر هى المعاول الهدَّامة لكيان الأُمَّة الإسلامية ، وسببُ الفساد فيها وخرابها .

ذلك أن الرِّبا فيه فساد المعاملات والأموال التى فيها معاش الأُمَّة وقِوَام

---

(١) البخارى مع الفتح : ٤٣٨/١٢

(٢) إشارة إلى الآية ٣ من سورة النجم .

حياتها ، وفيه تضييع لكثير من الحقوق ، وسدُ أبواب الكسب عن الطبقة غير الغنية ، بخلاف البيع والشراء الذى أحَلَّه الله فإنه يستفيد منه المتسبب والعامل ، وقد يزيد السلعة ثمناً فيربح المشترى .

وأما الزِّنا ففيه فسادُ الأخلاق واختلاطُ الأنساب وهتكُ المحارم وخدشُ الكرامات .

والكذب من أخطر عوامل الهدم لبناء الأُخوة الإسلامية ، وفيه تشتيت شملها وإيجادُ الإحن والضغائن فيها ، وحَمَلَة القرآن هم أُمناء هذه الأُمَّة على كتابها ، ومطلوب منهم أن يتخلَّقوا بخُلُق القرآن ، وأن يكونوا قُدوة يُقتدَى بهم فى الأقوال والأفعال ، فإذا لم يفعلوا ذلك فى أنفسهم ، اقتدت بهم الأُمَّة فضلَّت كما ضلَّت بنو إسرائيل ، فلعنهم الله على لسان داود وعيسى ابن مريم .

كما يُبيِّن - صلى الله عليه وسلم - فى هذا الحديث حكمة الله تعالى وعدله فى عباده ، وأن الجزاء من جنس العمل ، فعوقبت هذه الأعضاء التى باشرت معصية الله ، وتلذَّذت وتنعَّمت بما حَرَّم الله بالعذاب المجانس لمعصيتها عذاباً برزخياً مستمراً حتى تقوم الساعة .

فاتقوا الله عباد الله ، وراقبوه فى السر والعلانية ، فإنه أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، ونعوذُ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونسألك نعيماً لا ينفد ، وقُرَّة عَيْن لا تنقطع .

اللَّهُمَّ انفعنا بهدى كتابك ، واجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

❋ ❋

---

(١) سورة النور : ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الربا حرام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله .. ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون ؛ إن الرِّبا من أعظم الكبائر التى حرَّمها الله ورسوله ﷺ ، فاتقوا الله ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (٢) ، ولا تغتروا أيها المؤمنون بكثرة المتاجر التى تتعامل بالرِّبا وكثرة الأموال فيها ، فإنما هى رجوع إلى معاملات الجاهلية الأولى ومآلها إلى قلَّة ، وما هى إلا من سُنَن اليهود الذين ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ ﴾ (٣) ، وما هى إلا محاربة لله ورسوله ، ويا ندامة مَن حارب الله ورسوله ، وليست العِبْرة بكثرة العاصين وقِلَّة المطيعين ، وإنما العِبْرة بمقاييس سيد الأوَّلين والآخرين .

عباد الله ؛ إنَّ الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال عزَّ قائلاً عليماً :

---

(١) سورة غافر : ٣

(٢) سورة البقرة : ٢٧٨

(٣) سورة البقرة : ٢٧٥

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهم صَلِّ وسَلِّم على صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر الشافع المشفع في المحشر .

اللَّهُمَّ ارض عن الأربعة الخلفاء ، أئمة الهُدَى ومصابيح الدُّجَى : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، واحْمِ حَوْزَة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات .

اللَّهُمَّ أدم علينا نعمة الأمن والإيمان والرخاء والاستقرار ، وارزقنا شكر نعمك ، وزدنا من فضلك ، وعُمَّ بالخير والأمن جميع بلاد المسلمين .

اللَّهُمَّ احفظ إمامنا وأدم توفيقه لما يُصلح العباد والبلاد ، واجعل ولايتنا وولاية المسلمين فى يد مَن آمن بك واتبع رضاك يا حى يا قيوم .

اللَّهُمَّ فَرِّج هَم المهمومين ، ونَفِّس كرب المكروبين ، واقْضِ الدَّيْن عن المدينين ، واشْفِ مرضَى المسلمين .

عباد الله ؛ أكثروا من ذكْر الله ، فَبه تطمئن القلوب وترتاح النفوس ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

الباب الثالث

الأطعمـــــة

ويشتمل على تسع خطب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٣٨ - تفاوت الأرزاق

دليل على تفاوت منازل الآخرة (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه (٢) كما يحب ربنا ويرضى (٣) ، ونشكره على نعمه التى لا تُحصى (٤) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الحكيمُ فى خلقه وقَدَره وشرعه ، الخبيرُ بعباده .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله البشيرُ النذير والسراجُ المنير .

صَلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن الله تعالى قسَّم الأرزاق بين خلقه ، وفاوتَ بينهم فى الرزق (٥) كما

---

(١) ألقيت يوم ١٣/ ١٠/ ١٣٩٨ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث رفاعة بن رافع الزرقى : البخارى مع الفتح : ٢/ ٢٨٤ برقم (٧٩٩) : الأذان .

(٣) انظر هذا الدعاء : الدارمى فى سننه ، الصيام ، باب (٣) ، حديث رقم (١٦٩٤) ، وأخرجه أبو داود والنسائى والترمذى من هذا الوجه واللَّفظ ، وإسناده جيد .

(٤) إشارة إلى الآية ٣٤ من سورة إبراهيم .

(٥) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة الزخرف .

فاوت بينهم فى الخَلْق والخُلُق ، فمنهم غنى وفقير ، وطويل وقصير ، ودميم ونضير ، وعَلِّى وحقير ، وكريم ولئيم ، وحليم وسفيه ، وهو سبحانه هو العليم الحكيم فهو أعلَم بما يُصلح خلقه ، فمن الناس مَن لا يُصلحه إلا الفقرُ ولو اغتنى لفسد ، ومنهم مَن لا يُصلحه إلا الغنى ، ولو افتقر لفسد : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (١) ، وليس الغنَى علامة للسعادة والرضا ، وليس الفقر علامة للشقاوة والسخط ، وإنما علامة السعادة الاستقامةُ على طاعة الله والثباتُ على صراط الله المستقيم ، فالمال يُعْطَى للبَّرِ والفاجر : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝٣٣ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وأما الدين والتوفيق والهداية فلا يُعطاه إلا مَن يحبه الله (٣) : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (٥) ، مَن يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين (٦) ، وإنما الغنَى والفقرُ ابتلاءٌ واختبار لمعرفة الشاكرين ومعرفة الصابرين .

---

(١) سورة الإسراء : ٣٠ ، وبمعناه فى الآية ٢٦ من سورة الرعد ، ٨٢ من القصص ، ٦٢ من العنكبوت ، ٣٧ من الروم ، ٣٦ من سبأ ، ٥٢ من الزمر ، ١٢ من الشورى .

(٢) سورة الزخرف : ٣٣ - ٣٥

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، أخرجه أحمد فى المسند : ١/ ٣٨٧ - ٣٨٨ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك : ٤/ ١٦٥ من هذا الوجه واللفظ وإسناده صحيح .

(٤) سورة آل عمران : ٣١

(٥) سورة القصص : ٥٦

(٦) إشارة إلى حديث معاوية رضى الله عنه : البخارى مع الفتح : ١/ ١٥٠ - ١٥١ فى العلم ، ومسلم فى الزكاة ، حديث رقم (١٠٣٧) ، ومن حديث ابن عباس رضى الله عنهما بهذا اللفظ : الترمذى برقم (٢٦٤٧) : العلم .

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ (١) .

وفى تفاوت الأرزاق إشارة إلى تفاوت منازل الآخرة ونعيمها .

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (٢) .

وفيه أيضاً مصالح للناس ليحصل التعاون على شؤون الحياة : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣) .

فيجب على الإنسان أن يرعى نعمة الله إذا أنعم عليه ، وأن يؤدِّى حقها ، وأن يرضى بقَسم الله له إذا قَدر عليه رزقه ، وأن يعمل الأسباب المباحة لطلب الرزق ، ولا يُكلِّف نفسه بما لا يطيق من النفقات ليجارى الأغنياء فى نفقاتهم : ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ ﴾ (٤) .

وقد بيَّن الخالق تبارك وتعالى آداب الانتفاع بما أحَلَّ لعباده من الطيِّبات والرزق ، فأمر بالعدل والاستقامة والوسَط بين الإفراط والتفريط على كُلٍّ بحسبه حاله ومقدرته ، فأذن فى الأكل والشرب ، ونهى عن الإسراف : ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٥) . والإسرافُ كلُ ما خرج عن الحاجة ، وقد بيَّن

---

(١) سورة الفجر : ١٥ - ١٦

(٢) سورة الإسراء : ٢١

(٣) سورة الزخرف : ٣٢

(٤) سورة الطلاق : ٧

(٥) سورة الأعراف : ٣١

صلى الله عليه وسلم مقدار الحاجة للإنسان من الطعام والشراب ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ آدميُ وعاءً شراً من بطنٍ ، بحَسْب ابن آدم أُكيلاتٌ يُقِمن صلبْه ، فإن كان لا محالة فثُلُثٌ لطعامه وثُلُثٌ لشرابه وثُلُثٌ لنفسه »[(١)] .

والقاعدة التي ينبغي للإنسان أن يتبعها في الأكل والشرب لينتفع بلا ضرر ، أن يجلس على الطعام وهو يشتهيه ، وأن يقوم عنه وهو يشتهيه ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّا نأكل ولا نشبع » كما بيَّن تبارك وتعالى آداب الإنفاق ، وأنه يكون وَسَطاً بين البخل والتقتير وبين البذخ والتبذير : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[(٢)] .

إذا علمنا هذا ، فينبغي أن ننظر بتأمل وإنصاف إلى ما يصنعه بعض الناس في ولائم الزواجات والمناسبات ، يصنعون من الطعام ما يزيد على كفاية المدعوين بمقدار كبير ، ويُسرفون في الإنفاق إلى حد التبذير ، من أجل الفخر والخيلاء والمماراة ، وقد يكون بعضهم قد استدان قيمة الحفل ولكنه عائل مستكبر ، ثم إنَّ أولئك يُلقون فضل الطعام الكثير الصالح للأكل في صناديق النفايات أو جوانب الشوارع أو يُدفنُ في الأرض . أليس هذا من الإسراف الممقوت عند الله وعند رسوله ؟ أليس هذا من إهانة النعمة وكفرها ؟ أليس

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٤/ ١٣٢ ، والترمذي في جامعه برقم (٢٣٨١) في الزهد ، باب : ما جاء في كراهية كثرة الأكل ، وابن ماجه في الأطعمة برقم (٣٣٤٩) كلهم من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه وإسناده حسن ، وأخرجه الحاكم في المستدرك : ٤/ ٣٣١ ، وصحَّحه ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٢) سورة الإسراء : ٢٦ - ٢٩

من التبذير والتكبر ترك الطعام الذى يتكوَّن من كيس وذبيحتين سمينتين فى قدرها لم يُمَس حتى الصباح ثم يُدفنُ فى التراب وهو يُشبع مائة فقير ؟ أليس هذا من الإسراف والتبذير المحرَّم ؟ أليس هذا من عدم الاهتمام بأحوال البائسين المحتاجين ؟ ألا يستحى صاحب الوليمة من الله ثم من الناس ، إذ يقول للطباخ : احفر له وادفنه فى التراب ؟ أليس هذا من الجهل بأحوال الناس ؟ ألم يعلم بأن هناك مَن يتمنى ريح اللَّحم وطعم الدَّسم فى بعض الجهات ؟ أليس الواجب نقلُ فضلِ الطعام إلى المساكين الذين فى الأربطة والعشش والصنادق لينتفعوا به إبراءً للذمَّة واحتراماً للنعمة واحتساباً للثواب عند الله ؟ « مَن تواضع لله رفعه » (١) .

فاتقوا الله أيها الناس .. ألا تخشون من زوال النعمة إذا كفرتم بها ؟ أما تخشون من نقمة الجبار إذا لم تشكروا نعمته ؟

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ أعنَّا على شُكرك وذِكرك وحُسْن عبادتك (٣) .

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك من الأشر والبطر والفخر والكِبْر والخيلاء ، ونسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وكلمة الحق فى الغضب والرضا ، والقصد فى الفقر والغنى ، « ونسألك نعيماً لا ينفد ، وقرة عَيْن لا تنقطع » (٤) ،

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح : البر والصلة ، حديث رقم (٦٩) خاص وعام (٢٥٨٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وأحمد فى المسند نحوه : ٢/ ٣٨٦

(٢) سورة إبراهيم : ٧

(٣) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : ٢/ ٢٩٩ : مسند الإمام أحمد وإسناده صحيح .

(٤) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : الإمام أحمد فى المسند : ٣٨٦/١ ، وإسناده صحيح .

ونسألك الرضا بعد القضا ، وبرد العيش بعد الموت ، ولَذَّة النظر إلى وجهك الكريم ، والشوق إلى لقائك من غير ضرَّاء مُضِرَّة ولا فتنة مُظِلَّة [١] .

اللَّهُمَّ انفعنا وارفعنا بالقرآن العظيم وبما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث أبى مجلز رضى الله عنه : أحمد فى المسند : ٤/ ٢٦٤ وإسناده حسن .

بسم الله الرحمن الرحيم

احذروا الشيطان فإنه عدو

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذى خلق الإنسان من طين (١) ، وأسجد له الملائكة المقرَّبين ، فسجدوا إلا إبليس أَبَى واستكبر وكان من الكافرين (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الإله الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الطاهر الأمين وقائدُ الغر المحجلين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان أجمعين .

أما بعد . .

فإنَّ من أكبر نِعَم الله على بنى آدم أن أنزل عليهم لباساً يوارى سوءآتهم (٣) ويُغَطِّى عوراتهم وزينة يتجملون بها ، فهو يمنن بها على بني آدم وله الحمد والمنَّة : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ (٤) ، ولكن الشيطان الذى هو أعدى عدو للإنسان عداوته سابقة وباقية إلى أن تقوم الساعة لا يكل عنها ولا يفتر . قد أوقع بعض بنى آدم وفتنهم كما فتن أبوينا آدم وحواء وأخرجهما من الجنَّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءآتهما (٥) ، فبعض النساء

(١) إشارة إلى معنى فى الآية ١١ من سورة الصافات .

(٢) إشارة إلى الآية ٣٤ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة الأعراف .

(٤) سورة الأعراف : ٢٦

(٥) إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة الأعراف .

كاسياتٌ عاريات ، يلبسن الرقيق من الثياب الذى يصف البَشرة ولونها ، وبعضهن يلبس الضيِّق من الثياب يصف الأعضاء وحجمها ، فلا يُخفى من المرأة شيئاً ، وبعضهن تلبس المزلط تكشف نصف الظهر والصدر والكفين واليدين ، وأخنع من ذلك وأشر اللاتى يلبسن البنطلونات الضيقة التى تصف حجم العَوْرة فى أبشع صُورةٍ وأخسِ منظر وأقبح حال . فالكل ينطبق عليه قول النبى ﷺ : « صِنفان من أهل النار لم أرهما : قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مُميلات مائلات رؤوسُهن كأسنمة البُخْت المائلة لا يدخلن الجنَّة ولا يجدن ريحها ، وإنَّ ريحها يوجد من مسيرة كذا وكذا » (رواه مسلم) (١) .

مميلات : يُعَلِّمن غيرهن فعلهن القبيح ويُملن الشباب إلى أنفسهن بزيهن البشع .

مائلات إلى الخلاعة والدعارة وتقليد أعداء الإسلام فى لباسهن ، مائلات عن الحق ودين الإسلام وفضائله ومكارمه ومحاسنه .

وأولياء أُمور هذا النوع من النساء ليست عندهم غيرة إسلامية ولا شيمة عربية ولا روح إنسانية ، كثر عزهم وازداد ترفهم ويتركون نساءهم تخرج على الفضيلة وعن أخلاق الإسلام وشيمه ، إنهم ليسوا برجال وإنما هم أشباه الرجال ينطبق عليهم قول النبى ﷺ : « يكون فى آخر أُمَّتى رجال يركبون على سُرُجٍ كأشباه الرجال ينزلون على أبواب المساجد نسائهم كاسياتٌ عارياتٌ على رؤسهن كأسنمة البُخْت العجاف ، إلعنوهن فإنهن ملعونات ، لو كان

---

(١) مسلم فى الصحيح : اللِّباس والزينة ، حديث رقم (١٢٥) خاص وعام (٢١٢٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وراءكم أُمَّة من الأمم خدمتهم نساؤكم كما خدمكم نساءُ الأُمم قبلكم »(١) ، وباقى المسلمين إزاء هذا المنظر البشع ، إذا رأوه ولم يغيروا ، مُقَصِّرون فى أداء واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مهملون فى حق التناصح والتعاون على البرِّ والتقوى . فالكل على خطر أن يعمهم الله بعذاب من عنده : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٢) .

وبعض الشباب يلبس ثوباً رقيقاً يصف البَشرة ، وسروالاً قصيراً لا يستر كلَّ العَوْرة ، يتحاشى مَن خلفه أن ينظر إليه ، وهذا ليس من صفات الرجولة ولا من أخلاق المسلمين ، فإذا كان ولا بد من لبس الرقيق للرجل للتبرد فلا بد من كساءٍ إزار أو سروال يستر ما بين السُّرَّة والرُّكبة .

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وكونوا مسلمين حقاً ، وتمسَّكوا بجميع أطراف الإسلام وتعاليمه .

وكونوا دعاةً لإسلامكم بالعمل والقول ، ولا تُشوِّهوا إسلامكم بسيئ أفعالكم فتتحملوا مسئولية مَن ينصرف عنكم ، ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣) .

ثم اعلموا أنَّ الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثَنَّى بملائكته المقرَّبين وثَلَّث بكم أيها المؤمنون تعظيماً لنبيه وإكباراً لمقامه ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) هذا لفظ الإمام أحمد فى المسند : ٢/ ٢٢٣ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وإسناده جيد .

(٢) سورة الأنفال : ٢٥

(٣) سورة النور : ٣١

وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صَلَّى علىَّ مرةً واحدة صَلَّى الله عليه بها عشراً » (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارِك وأنْعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود .

وَارضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

وارض اللَّهُمَّ عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّرْ أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حَوْزة الدين يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ اخذل اليهود وأعوانهم ، وفَرِّق جمعهم وشَتِّت شملهم ، وأنزل الرعب فى قلوبهم ، ورُدَّ كيدهم فى نحورهم إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ آمنا فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ، واجعلهم هُدَاة مهتدين يقولون بالحق وبه يعدلون .

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) أخرجه مسلم فى الصحيح برقم (٤٠٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، باب : الصلاة على النبى ﷺ ، والترمذى فى جامعه برقم (٤٨٥) .

اللَّهُمَّ آمن جميع المسلمين فى أوطانهم ، وأصلح قادتهم وولاة أُمورهم ، واهدهم سُبُل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللَّهُمَّ ادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والسِّيما والمحن وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، عن بلدنا هذا خاصة ، وعن جميع بلاد المسلمين .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، وفَرِّج هَمَّ المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين ، إنك رؤوف رحيم .

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٩ - النهى عن أكل الحرام (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .. قوله حق (٣) ، وحكمه عدل ، وأمره حكمة ، ونهيه رحمة ، ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، منه المبتدأ وإليه المنتهى : ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ (٥) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بَشَّر وأنذر ، ورَغَّب وحَذَّر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيقول الخالق تبارك وتعالى فى محكم التنزيل : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ (٦) .

---

(١) ألقيت يوم ١/٦/١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٧٣ من سورة الأنعام .

(٤) سورة النحل : ٧

(٥) سورة النجم : ٣١

(٦) سورة البقرة : ١٨٨

الأموال هى محك العقول ، وهى التى تكشف عن السرائر ، فلا تَبْرز قيمة الإنسان وأمانتُه إلا عند الاحتكاك بالأموال ، فيُفْتَش غطاؤُه وتفوح رائحته .

أكل أموال الناس بالباطل : يشمل كلَّ أخذٍ للمال بطريق غير مشروع ، ويشملُ كلَّ معاطاة لم يأذن بها الله ، فكل البيوع المحرَّمة أكل لأموال الناس بالباطل وفى حضيضها الربا .

والرِّشوةُ (١) ، والغِشُ (٢) ، والقمارُ (٣) ، والتدليسُ (٤) ، والسَّرِقة (٥) والاختلاس (٦) ، والنهب (٧) ، والغصب (٨) ، والتحيُّل على أخذ المال

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى » : أحمد فى المسند : ٢/ ١٦٤ ، وبعض أصحاب السنن ، وإسناده حسن .

(٢) حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الإيمان برقم (١٠٢) : « مَن غشنا فليس منا » .

(٣) حديث البخارى برقم (٦١٠٧) : الأداب من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ومسلم فى الأيمان ، حديث رقم (٤) ، (٥) .

(٤) والتدليس أخو الكذب فهو نوع من الغش والكذب ، وحديث المدلس لا يُقبل - راجع كتب المصطلح ، وقول شُعبة فيه : الزنا أحب إلىَّ من أن أدلس (مقدمة ابن الصلاح) .

(٥) إليه يشير قوله تعالى فى سورة المائدة ، (الآية ٣٨) : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ .

(٦) إشارة إلى حديث جابر رضى الله عنه : أحمد فى المسند : ٣/ ٣٢٣ ، وفيه حرَّم النهبة والخلسة ، وإسناده صحيح .

(٧) هو نفس هذا الحديث : أحمد فى المسند : ٣/ ٣٢٣ ، وفيه تحريم النهب : « من انتهب فليس منا » ، الترمذى برقم (١٦٠١) .

(٨) إشارة إلى ما ذكره ابن الأثير فى النهاية فى مادة « غصب » إذ قال (٣/ ٣٧٠) : وهو أخذ مال الغير ظلماً وعدواناً ، يقال : غصبه يغصبه فهو غاصب ، ثم ذكره .

بالأَيْمان الكاذبة (١) والدعاوى الباطلة (٢) ، أكلٌ لأموال الناس بالباطل (٣) .

وبيع ما لا يحل بيعه ، كالأعراضِ ، والخُلُق ، والدِّين ، والضمائر ، وبيع الأحرار (٤) ، أكلٌ لأموال الناس بالباطل (٥) .

وسواء أكانت الأموال عقارات ، أو نقوداً ، أو عروضاً ، أو حيوانات ، أو غير ذلك ، فأخذ شيء منها بغير حقه سحتٌ ، وعارٌ ونار ، وخزى فى هذه الدنيا ويوم القَرار .

وحينما يُحَرِّم الإسلامُ أكلَ أموال الناس بالباطل ، إنما هو رحمةٌ بالمسلمين ، ورحمةٌ لجميع العالَمين .

ذلك بأن أكل أموال الناس بالباطل يَتْرك آثاراً مدمرة فى المجتمع ، ويترك آثاراً مهلكة فى الفرد ، يورث الشقاق والمنازعاتِ والبغضاءَ والحقدَ والحسدَ ، يؤدى إلى التنافر والتفرق .

كما يورث موت الضمير ، وفقدان الإحساس بواجب الفرد للمجتمع ، وفقدان الشعور بواجب الإنسان لجميع المخلوقات .

والإسلام بتشريعه يريد الخير للناس ، والإصلاح لجميع الخلق : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ

---

(١) إشارة إلى ابن ماجه رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح برقم (١٣٧) ، باب : مَن اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة .

(٢) هو نفس هذا الحديث من حديث أبى أمامة رضى الله عنه : مسلم فى الإيمان برقم (١٣٧) .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٩ من سورة النساء .

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى برقم (٢٢٢٧) ، البيوع : « إثم من باع حراً » باب رقم (١٠٦) .

(٥) إشارة إلى نفس هذه الآية الكريمة من سورة النساء : آية ٢٩

﴿ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (١)

اتقوا الله أيها المسلمون . .

ما هذه الدعاوى الكاذبة ؟ وما هذه الدعاوى الصورية ؟ وما هذه الشهادات المزوَّرة ؟ وما هذه الأقوال المخالفة للحقيقة والواقع ؟ أما سمعتم قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « مَن أخذ شِبْراً من الأرض ظلماً طُوِقه من سبع أرضين » ؟ (متفق عليه) (٢) .

أما سمعتم قول نبينا ﷺ : « لا يحل مالُ امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه » ؟ (٣) .

« إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » (٤) .

« أيما جسد غُذِى بالحرام فالنار أولى به » (٥) .

اعلم يا ابن آدم أنَّ قضاء القاضى لا يُحِلَّ لك حراماً ولا يُحِقَّ لك باطلاً ،

---

(١) سورة النساء : ٢٦ - ٢٨

(٢) حديث ابن عمر رضى الله عنهما : البخارى : ٥/ ٧٤ - ٧٥ فى المظالم ، ومسلم فى الصحيح برقم (١٦١٠) فى المساقاة .

(٣) إشارة إلى حديث عن عم أبى حرة الرقاشى رضى الله عنه : أحمد فى المسند : ٥/ ٧٢ ، وإسناده فيه ضعف وله شواهد كثيرة بمعناه ، أخرجه البخارى ومسلم .

(٤) هو نفس هذا الحديث ، وهو أيضاً من خطبة النبى ﷺ يوم عَرَفة : مسلم فى الصحيح ، الحج ، حديث (١٤٧) .

(٥) هذا لفظ الحاكم فى المستدرك : ٤/ ١٢٧ من حديث أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ، ومن حديث عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ، وإسناده حسن مع الشواهد الكثيرة .

وإنما يقضى القاضى بنحو ما يرى [١] ، ويشهدُ به الشهود ، والقاضى بَشَرٌ يُخطئ ويُصيب ، واعلموا أن مَن قُضِى له بباطل [٢] أن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينه وبين خصمه يوم القيامة فيُقضَى على المبطل للمُحِقِّ بأجودَ مما قُضى للمُبْطِل على المُحِقِّ فى الدنيا [٣] .

فاتقوا الله أيها المسلمون فى أنفسكم ، لا تُعَرِّضوها لسخط الله وأليم عقابه .

اتقوا الله فى إخوانكم ، لا تأكلوا أموالهم بالباطل .

ليس بمؤمن حقاً مَن لا يؤمن بوعد الله ووعيده .

ليس بمؤمن حقاً مَن لا يترك إيمانه أثراً فى نفسه وتصرفاته : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [٤] .

اللَّهُمَّ أغْنِنَا بالحلال عن الحرام ، وبفضلك عن من سواك [٥] ، وارزقنا

---

(١) إشارة إلى حديث أُم سلمة رضى الله عنها : البخارى : ٥/٢١٢ فى الشهادات ، ومسلم برقم (١٧١٣) .

(٢) هو نفس هذا الحدبيث إذ قال عليه الصلاة والسلام : « فإنما أقطع له قطعة من النار » : البخارى : ٥/٢١٢

(٣) راجع مسند الشافعى بترتيب السندى برقم (٦٢٦) ، والموطأ : ١/٧١٩ فى الأقضية ، باب : الترغيب فى القضاء بالحق وهو من حديث أُم سلمة رضى الله عنها .

(٤) سورة فصلت : ٤٦

(٥) إشارة إلى حديث علىّ رضى الله عنه : أخرجه أحمد فى المسند : ١/١٥٣ وإسناده صحيح ولفظه : « اللَّهُمَّ اكفنى بحلالك عن حرامك ، وأغننى بفضلك عن مَن سواك » ، وهو من طريق أبى وائل عن علىّ رضى الله عنه به .

القناعة التى تملأ قلوبنا بما رزقتنا ، ونسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، والقصد فى الفقر والغِنَى .

اللَّهُمَّ بارِك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذِكْر الحكيم ، وعَلِّمنا منه ما جهلنا ، وذَكِّرنا منه ما نسينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذى يرضيك عنا ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

كل المسلم على المسلم حرام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الحكيم الخبير [١] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، العَلِيُّ القدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، البشير النذير والسراج المنير [٢] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [٣]

ثم اعلموا أنَّ المسلم كلَّه على المسلم حرامٌ : دمه وماله وعِرضه [٤] ، وقليل من مال حلال أبقى وأنقى من كثير من حرام ، فكيف بالإنسان إذا

---

(١) إشارة إلى الآية ١ من سورة سبأ .

(٢) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة الأحزاب .

(٣) سورة النساء : ١٣١

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح ، البر والصلة برقم (٢٥٨٠) .

حضرته الوفاة وهو يعرف أنه أخذ مال أخيه المسلم بغير حق ، ولم يَردَّه إليه ولم يتحلله منه ؟ (١) .

كيف إذا بلغت الروحُ التراق ، وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق (٢) وهو يعلم أنه اكتسب ماله من طريق حرام ؟

كيف بالإنسان إذا تعلَّقت به حقوق بنى آدم يوم القيامة تطلب القضاء والفصل بالعدل ؟ (٣) .

اتقوا الله أيها المسلمون . . مَن أخذ من مال أخيه المسلم شيئاً فليرده إليه وليتحلله منه (٤) .

فإذا لم تُؤَدَّ الحقوق فى هذه الدنيا بقيت أثقالاً فى أعناق ظالميها تؤخذ منهم بالقسطاط المستقيم : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ (٥) .

مَن أتلف مال أخيه المسلم فعليه ضمانه : « على اليد ما أخذت على أن تؤديه » (٦) .

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : أخرجه البخارى فى الصحيح ، المظالم ، باب (١٠) ، وحديث رقم (٢٤٤٩) ، وأحمد فى المسند : ٢/٥٠٦ من هذا الوجه واللَّفظ .

(٢) إشارة إلى الآيات ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ من سورة القيامة .

(٣) إشارة إلى نصوص كثيرة وآنية وسنية ، ومنها حديث أبى حميد الساعدى رضى الله عنه بسياق طويل الجيل : أخرجه البخارى برقم (٦٩٧٩) ، الحيل ، باب (١٥) ، ومسلم : الأحاديث حديث رقم (٢٤) ، (٢٦) ، (٢٨) من هذا الوجه واللفظ .

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى فى المظالم برقم (٢٤٤٩) ، ونحوه أحمد فى المسند : ٢/٥٠٦

(٥) سورة الشعراء : ٨٨

(٦) إشارة إلى حديث أخرجه البخارى معلقاً فى كتاب الزكاة وموصولاً عنده فى =

مَن غرس فى أرض المسلم أو بنى بدون حق فيلزمه قلع غرسه ورفعُ بنائه وتسوية الأرض كما كانت ، وعليه أجرة المثل للمدة التى استولى فيها عليها . قال صلى الله عليه وسلم : « ليس لعرق ظالم حق » (١) .

اتقوا الله أيها المسلمون . . تراحموا وتعاطفوا واحترموا الحقوق ، ولا يُفزع أحدٌ أحداً ، لا جَدّاً ولا مزحاً ، لا فى كبير ولا فى صغير .

روى أبو داود رحمه الله بسنده : أن النبى ﷺ قال : « لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه لاعباً ولا جاداً ، ومَن أخذ عصا أخيه فليردها » (٢) .

ثم اعلموا أنَّ الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثَنَّى بملائكته ، وثلَّث بكم فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

= الاستقراض ، وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، البخارى مع الفتح : ٣/ ٢٩٥ ، والإمام أحمد فى المسند : ٢/ ٣٦١ من هذا الوجه واللفظ .

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه البخارى مع الفتح معلقاً : ٥/ ١٨ - ١٩

وقال الحافظ فى الفتح : هذا الحديث - أى « ليس لعرق ظالم فيه حق » - يروى عن جابر رضى الله عنه ، ثم ذكر تخريجه وقال : أخرجه أحمد فى المسند موصولاً ، ثم ذكر إسناده ومتنه .

قلت : أخرجه أحمد فى المسند : ٣/ ٣٣٨ ، كما ذكره الحافظ فى الفتح : ٥/ ١٩ ، وأخرجه أيضاً الترمذى فى جامعه من وجه آخر عن هشام بن عروة ، ثم ذكر لفظه وصححه .

(٢) إشارة إلى حديث أبى حميد الساعدى رضى الله عنه فى هذا المعنى ، وفيه النهى عن أخذ العصا ، أخرجه أحمد فى المسند : ٥/ ٤٢٥ وإسناده صحيح .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٠ - النهى عن المكاسب المحرَّمة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٢) ، خلَق فقدَّر وشرَّع ويَسَّر .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا ٱلله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى .

أيها الناس ؛ إن دين الإسلام الحنيف ، دين عمل وجد وكفاح ، دين عِزَّة وكرامة ، دين رفعة ونزاهة ، صالح لتنظيم أحوال المجتمع ، وتسيير مركبة الحياة ، وحل مشاكله وقضاياه فى كل زمان ومكان .

قد عالج جميع أحوال المجتمع ومتطلبات حياته ، ووضع لها نظاماً مركَّزاً واضحاً جلياً ، فيه جَلْبُ المصالح ودرئ المفاسد ، وبه يتحقق التعاون والتآخى وتقوى روابط المحبة والتضامن .

ولكن المفاهيم تختلفُ باختلاف قوة الإيمان وضَعْف اليقين ، وباختلاف الورع والتقوى وتحكم الرغبات والشهوات .

---

(١) ألقيت يوم ٢٥/٦/١٣٩٥ هـ .

(٢) سورة فاطر : ١

ولقد كان للحقل الاقتصادى من هذا التنظيم فى القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهَّرة الحظ الوافر ، فبيَّن الإسلام موارد المال الطيبة والمكاسب المباركة ورغَّبَ فيها ، وحَثَّ على تنمية الأموال بواسطتها .

كما بيَّن المكاسب الخبيثة ونهى عنها ، والموارد المحرَّمة وحَذَّر منها (١) ، كل ذلك من أجل تنظيم حياة اجتماعية إسلامية طاهرةٍ نقية ، تتصف بصفات الكمال والتآخى والتعاطف والتراحم .

وإن مما وقع فيه كثير من الناس من المكاسب المحرَّمة التى هى سبب للشقاق والخلاف والعداوة والبغضاء هو أكل أموال الناس بالباطل (٢) ، بأى وسيلة كانت ، سواء بالدعوى الكاذبة وبَيِّنة الزور الفاجرة ، أو بجحد الأمانة والعارية ، أو بإنكار البيع أو الشراء ، أو بكتمان الوقفية ، أو بأخذ المال على وجه الخفاء من حرزه كالسرقة ، أو من غير حرزه (٣) كالاختلاص (٤) ، أو بأخذه بالقهر والغلبة كالغصب (٥) ، أو الاستيلاء عليه ويُسكت عنه بدون طيب نفس من مالكه ، كل ذلك أكل لأموال الناس بالباطل إثم وحرام ، حرَّمه الله بنص كتابه وسُنَّة نبيه محمد ﷺ . قال تبارك وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً

(١) إشارة إلى الآية ٢٧٥ من سورة البقرة .

(٢) إشارة إلى الآية ١٨٨ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن صفوان عن أبيه رضى الله عنه : ابن ماجه برقم (٢٥٩٥) : الحدود ، وإسناده صحيح ، ونحوه حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهما برقم (٢٥٩٦) .

(٤) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه : أبو داود برقم (٤٣٩١) : الحدود ، وبرقم (٤٣٩٢) ، (٤٣٩٣) ، باب : القطع فى الخلسة والخيانة .

(٥) ورد الحديث بمعناه : البخارى برقم (٢٤٥٨) ، كتاب المظالم والغصب ، وفيه وعيد شديد للغاصب ، وهو من حديث أُم سلمة رضى الله عنها .

عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [١] .

وقال صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم النحر : « إنَّ دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا » [٢] .

ولما كان من الأموال ما هو محل طمع للظالمين لضعف مالكه عن حفظه وحمايته كاليتيم ، كان الإثم فى أكله بدون حق أعظم ، والعذاب أشد ، يُعذَّب المعتدى بالنار فى داخل جوفه [٣] وخارجه ، جزاءً له على ظلمه وعدوانه ، فقال جَلَّ جلاله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [٤] .

ومثل مال اليتيم [٥] أوقاف المسلمين [٦] ومال الغائب والمصالح الضرورية للمسلمين كالطرقات العامة والمساجد والمقابر ، لأن المتولى عليها لا يملكها ملكاً شخصياً ، فقد لا يجد عليها غيرة كغيرته على ماله الخاص ، فهو مظنة الإهمال والتغافل والتكاسل ، فمَن أخذ منها شيئاً بدون حق مشروع فهو عليه حرام وداخلٌ تحت الوعيد الشديد ، وإن سكت عنه المسؤول أو تواطأ معه ،

---

(١) سورة النساء : ٢٩ - ٣٠

(٢) من خطبته عليه الصلاة والسلام فى يوم عرفة : مسلم فى الصحيح : الحج ، حديث رقم (١٤٧) خاص ، وهو من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه .

(٣) إشارة إلى الآية ١٦١ من سورة النساء ، وكذا أكل مال اليتيم محرَّم ، إذ نصَّ على ذلك الله تعالى فى سورة النساء آية (١٠) .

(٤) سورة النساء : ١٠

(٥) هو نفس هذه الآية الكريمة : (النساء : ١٠) .

(٦) نحو هذا الحرام ما يأكله النظراء على أوقاف المسلمين بدون حق ولا يعطون لمن له حظ أو نصيب فى الوقف ، وهذا هو الأكل الحرام .

والقائم على هذه الأموال إذا أهملها حتى ضاعت : عليه من الإثم بقدر إهماله .

فاتقوا الله أيها الناس . . ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ (١) .

راجعوا أنفسكم وحاسبوها قبل أن يأتى يوم تظهر فيه السرائر ، يوم يأتى كل ظالم بمظلمته وكل غادر بغدرته ، وكل خائن بخيانته ، ومَن يغلل يأت بما غَلَّ يوم القيامة (٢) ، « من أخذ شِبْراً من الأرض ظلماً طُوقه من سبع أرضين » (٣) .

ردوا المظالم إلى أهلها قبل أن يأتى يوم لا درهم فيه ولا دينار ، ومَن كانت عنده مظلمة لأخيه يستطيع ردها ، فليستحله منها قبل يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون (٤) ، إنَّ المال الحرام عار ونار ، وآكل الحرام لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، إن صَلَّى فيه لم تُقبل صلاته (٥) ، وإن تصدَّق به لم تُقبل صدقته ، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً (٦) ، وإن دعا فأنَّى يُستجاب له ومأكله حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام (٧) .

---

(١) سورة المائدة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٦١ من سورة آل عمران .

(٣) إشارة إلى حديث سعيد بن زيد رضى الله عنه : البخارى برقم (٢٤٥٢) : المظالم ، ومسلم : المساقاة ، حديث رقم (١٣٩) ، (١٤٢) خاص .

(٤) إشارة إلى الآية ٨٨ من سورة الشعراء .

(٥) إشارة إلى حديث معقل بن يسار رضى الله عنه فى هذا المعنى : أحمد فى المسند ٥/ ٢٥ وإسناده جيد .

(٦) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى برقم (١٤١٠) : الزكاة ، ومسلم فى الصحيح : الزكاة ، حديث رقم (٦٣) ، (٦٥) خاص من هذا الوجه واللفظ .

(٧) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح : الزكاة ، حديث (٦٥) خاص وعام (١٠١٥) .

وأيما جسد غُذى بالحرام فالنار أولى به [1] .

اتقوا الله أيها المسلمون .. ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

اللَّهُمَّ بارِكْ لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ أغننا بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عمن سواك [3] .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه : الحاكم فى المستدرك : ١٢٧/٤ ولم يتكلم الحاكم على إسناده ، وقد سكت الذهبى عليه فى التلخيص أيضاً وشاهده فى مسلم .

(٢) سورة البقرة : ١٨٨

(٣) إشارة إلى حديث على رضى الله عنه : أخرجه الإمام أحمد فى المسند : ١٥٣/١ وإسناده صحيح .

بسم الله الرحمن الرحيم

إكرام المساجد

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

أيها المسلمون ؛ أُوصيكم ونفسى بتقوى الله تعالى .

أيها المسلمون ؛ إن المساجد هى بيوت الله ، أمر سبحانه أن تُطْهَّر ، وأن تُنَزَّه ، وأن تُرَفَّع عن الابتذال والامتهان (٢) ، هى محل العبادة ومحل النجوى ، وهى مكان الخلوة بالله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧ ﴾ (٣) ، ولكن من المؤسف جداً أن بعض الناس اتخذها ملعباً رياضياً لأولاده ، ودار حضانة لأطفاله ، دون نظر فى عواقب الأمور ، ودون مبالاة بحرمة بيت الله ، ودون احترام لحق الآخرين من القُرَّاء والذاكرين والعُبَّاد .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٤

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى برقم (٤٦٠) : الصلاة ، باب (٧٤) ، باب : الخدم للمسجد ، ومسلم فى الصحيح ، الجنائز ، حديث رقم (٧١) خاص ، من هذا الوجه واللفظ .

(٣) سورة النور : ٣٦ - ٣٧

إن الذى يحضر بأطفاله إلى المسجد قد يكون مقَصده حسناً فهو يريد الخير ، ولكنه قد يحصل له من الإثم فى إيذاء المسلمين ، وتنجس مكان العبادة ، أكثر مما يحصل له من الأجر ، فاتقوا الله عباد الله ، جَنِّبوا صبيانكم ومجانينكم مساجدكم (١) ، فإن فى حضورهم إلى المساجد وهم لا يعرفون الصلاة وأداءها ، ولا حرمة المسجد ومكانتها ، إيذاء للمسلمين وامتهان بيوت الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (٢) .

رأى النبى ﷺ - وهو يخطب - رجلاً يتخطى الصفوف يبحث عن مكان ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « اجلس فقد آذيت » (٣) ، فما بالكم بما ترونه وتسمعونه من أحوال الأطفال فى هذا المسجد المطهَّر .

فاتقوا الله عباد الله . . وصَلُّوا على النبى الكريم فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المبين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبَارِك وأنْعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر .

---

(١) إشارة إلى حديث واثلة بن الأسقع رضى الله عنه : ابن ماجه برقم (٧٥) : المساجد ، باب (٥) ، وفى إسناده ضعف ، ولكن معناه صحيح ثابت بأحاديث أخرى .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٨

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن بسر رضى الله عنه : أبو داود برقم (١١١٨) فى الصلاة ، باب : تخطى رقاب الناس يوم الجمعة ، والنسائى : ١٠٣/٣ : الجمعة ، وإسناده حسن ، وابن ماجه برقم (١١١٥) فى إقامة الصلاة . . . . . وهو من حديث جابر رضى الله عنه .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهُمَّ ارض عن الأربعة الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّرْ أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهُمَّ اجمع شمل المسلمين ، ووحِّد صفوفهم ، وقَوِّ شَوْكتهم ، وانصرهم على أعدائهم يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ عليك بأعداء المسلمين ، فَرِّق وشَتِّت شملهم ، واجعل الدائرة عليهم ، إنك أنت العزيز الحكيم .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين الأحياء والميتين .

اللَّهُمَّ فَرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله ؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٤١ - رزق الحيوان على الله (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٢) .. ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٣)

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أحاط بكل شىء عِلماً وأحصى كل شىء عدداً (٤) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، ما ترك أُمَّته وطائر يُقَلِّب جناحيه إلا ذكر منه عِلماً .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فليس بنو آدم وحدهم فى هذا الكون ، وليسوا وحدهم تحت رعاية الله ، وليسوا وحدهم يسمع الله شكواهم ، وليست رحمةُ الله خاصةً بهم ، ففى

---

(١) ألقيت يوم ٢٦/ ٤/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الإسراء : ٤٤

(٤) إشارة إلى الآية ٢٨ من سورة الجن .

هذا الوجود فى البرِّ والبَحر خلقَ الله أحياءً أمرها منتظم ، يعرف بعضُها بعضاً وتتفاهم بمنطقها : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١) ، وقال الهدهد لسليمان : ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (٢) ، ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾ (٣) ، تكفَّل الله برزقها ورعايتها ، ويعلم حركاتها وسكناتها ، مسخَّرة لما خُلقَت له : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٤) ، فيقْتَصُّ لبعضها من بعض ، فيأخذ للجمَّاء من القرناء ، فكل صنف من هذه المخلوقات أُمَّة .

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قلَّ الجراد فى سنة من سنى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه التى ولى فيها ، فسأل عنه فلم يُخبَر بشىء ، فاغتمَّ لذلك ، فأرسل راكباً إلى كذا وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق ، يسأل هل رُؤى من الجراد شىء أم لا ؟ قال : فأتاه الراكب الذى من قِبَل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه ، فلما رآها كبَّر ثلاثاً ثم قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خلق اللهُ عزَّ وجلَّ ألف أُمَّة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر ، وأول شىء يهلك من هذه الأُمم الجراد ، فإذا هلكت تتابعت مثلَ النظام إذا قُطع سلكه » (٥) . وهذه الأُمم

(١) سورة النمل : ١٨

(٢) سورة النمل : ٢٢

(٣) سورة النور : ٤٥

(٤) سورة الأنعام : ٣٨

(٥) أخرجه أبو يعلى فى مسنده ، وابن عدى فى الكامل : ٥/ ١٩٩٠ ، وأبو الشيخ فى العظمة (٩٣٨) . قال ابن كثير (١/ ٣٩) : وفيه محمد بن عيسى وهو ضعيف .

سُخِّرَ منها لابن آدم ما ينفعه ، وأُحِلَّ له منها الطيباتُ : ﴿ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ (١) ، ومن ألبانها يشربون ، ويتخذون من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً (٢) ، ومن جلودها أوعية وأحذية وبيوتاً ومصالح أخرى ، ومنها ما هو للحرث والسقى ، وأخرى للحراسة ، ويخرج من بعضها : ﴿ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (٣) ، ومنها ما هو آية وعبرة ، ولتربية بنى آدم والابتلاء وتعريفه بنفسه وضعفه وحاجته إلى مولاه ، وفى كل مخلوق صغر أم كبر ، يَنْفع أم يَضُر : آية على وحدانية الله الذى خلقه ، وعلى بالغ حكمته وكمال قدرته .

فما سُخِّر للإنسان منها وجب أداء حقه وحسنُ الانتفاع به ، وما يضر منها أو يؤذى يُستحّب اتقاء شره ، وما لا ينفع ولا يضر - فللّه فى خلقه حكمةٌ - يترك وشأنه ، وما طاف على الناس منها أُعطَى مما فضل ، لكن هناك بعض الناس لا يعرف حُرمة الحيوان ، ولا يعرف لها حقها ، فنسمع بما يسمونه بالفنون ، أو الرياضيات يحصل فيها تعذيب الحيوان وتحريش بعضها على بعض ، أو مصارعتها أو منافرة الطيور للضحك عليها وإضاعة الوقت أمامها ، وقد أمر الله تعالى بالإحسان إليها والرفق بها : ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤) ، ونهى رسول الله ﷺ عن إيذائها أو عمل ما يضرها ، فنهى عن الوقوف عليها ، وعن تحملها ما لا تطيق ، ونهى عن أخذ فراخها ، فقال : « مَن فجع هذه فى ولدِها » ؟ ويَحْرم قتلُ الحيوان والطيور بدونه حاجة إلى أكلها أو مصلحة شرعية فى قتلها .

---

(١) سورة يس : ٧٢

(٢) إشارة إلى الآية ٨٠ من سورة النحل .

(٣) سورة النحل : ٦٩

(٤) سورة البقرة : ١٩٥

قال فى التفسير الكبير : رُوى عن النبى ﷺ أنه قال : « مَن قتل عُصفوراً عَبَثاً جاء يومَ القيامة يَعُجُّ إلى الله يقول : يا ربِّ ، إن هذا قتلنى عبثاً لم ينتفع بى ولم يدعنى آكل من خشاش الأرض » (١) ، ودخلت امرأة النار فى هِرَّة ، ودخلت بغىّ الجَنَّة فى كلب ، وأُتلفت مزرعة فى عصافير .

روى الشيخان فى صحيحيهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « دخلت امرأةٌ النار فى هِرَّة ربطتها ولم تطعمها ولم تدعها تأكلُ من خَشاش الأرض » .

وفى رواية : « عُذِّبت امرأة فى هِرَّة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت النار ، لا هى أطعمتها وسقتها إذ هى حبستها ، ولا هى تركتها تأكلُ من خَشاش الأرض » (٢) .

ولهما أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتدَّ عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهثُ يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى ، فنزل البئر فملأ خُفَّه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلبَ ، فشكر الله له فغفر له » ، فقالوا : يا رسول الله ؛ وإنَّ لنا فى البهائم أجراً ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « فى كل كبد رطبة أجر » .

وفى رواية : « بينما كلب يُطيف برُكْيَه قد كاد يقتله العطش ، إذ رأته بَغيَّة من بغايا بنى إسرائل فنزعت موقها ، فاستقت له به ، فسقته إياه ، فغُفِر لها به » (٣) .

---

(١) أخرجه أحمد : ٣٨٩/٤ ، والنسائى : ٢٣٩/٧ ، والطبرانى فى معجمه الكبير : ٣١٧/٧

(٢) أخرجه البخارى مع الفتح : ٣٥٦/٦ ، ومسلم : ٢٠٢٢/٤ ، حديث (٢٢٤٢) .

(٣) أخرجه البخارى مع الفتح : ٥٥١/٦ ، ومسلم : ١٧٦١/٤ ، حديث (٢٢٤٤) ، (٢٢٤٥) .

وكان فلاح له زرع من النوع الجيد أعجبه نباته وتوسَّم فيه كثرة محصوله ، فلما اشتد الحَبّ صارت العصافير تأكل منه وتأوى إلى بئر معطلة فغاظه ما رأى ، ونسى أن الله هو الذى زرع ما حرث ، فوَسْوَسَ إليه الشيطان ، فلما أوت الطيور إلى البئر سقف عليها البئر عن قسوة وجبروت وغفلة عن قُدرة الله ، فلم تستطيع تلك الأُمَّة من الخروج فماتت جوعاً ، ووقع فى نفسه أنه حصَّن زرعه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(١) فأنزل الله على زرع الظالم من سحابة فيها بَرَد ، وأرسل عليها ريحاً عاصفاً ، فصار البَرَد يدك الزرع من السماء والريح يقصف به فى الهواء ، فأصبحت صعيداً زلقاً ، إلا مقدر مترين فى مثلها فلم يُصَب بأذى ، فإذا فيه هِرَّةٌ تُرضع أولادها ، فسبحان الحى القيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم ، وسبحان السميع البصير الواحد القدير ، فلا يغفل عن شىء من خلقه صغير أو كبير ، كريم أو حقير .

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٣) .

فالرب الذى لم يُضيع البهائم والدواب والطيور فأعطاها حقها ، وحفظ عليها حركاتها وأفعالها وأثبت ذلك منها فى كتاب وسيحشرها إليه ويجازيها على ما سَلَف منها فى دار البلاء : أحرى أن لا يضيع أعمال بنى آدم فسيحشرهم إليه ويجازى المحسن على إحسانه والمسىء على إساءته .

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٢

(٢) سورة هود : ٦

(٣) سورة العنكبوت : ٦٠

فاتق الله أيها الإنسان ، واتقوا الله أيها المؤمنون : ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

لقد خَصَّ الله بنى ادم بنعمته ، وبسط عليهم من فضله ، وأعطاهم ما لم يعط كثيراً من العالَمين ، فطاعة الله عليهم أوجب ، وشكره عليهم أوثق ، وتوحيده وعبادته عليهم ألزم .

وهم المعينون برسالات السماء ، وهم المخاطَبون بالقرآن ، ومن أجلهم شُرِّعت الشرائع ، وحُدَّت الحدود ، وخُلقت الجنَّة والنار .

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ انفعنا بالقرآن العظيم ، واجعله ربيع قلوبنا ونور صدورنا ونظام حياتنا ودستور بلادنا ، وآمنا والحاكم فيما شجر بيننا ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة الحشر : ١٨

(٢) سورة البقرة : ٣٨ - ٣٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صفة الداعى إلى الله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .. ﴿ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الدعوة إلى الله تعالى فى أعلى مراتب الكمال والشرف ، سواء أكانت دعوة إلى الإيمان بالله ورسالاته وعبادته وتوحيده ، أو دعوة إلى حضور جماعات الصلاة فى بيوت الله ، أثنى الله عليهم فى كتابه ومدحهم ، واستغفر لهم النبى ﷺ فى حديثه .

قال تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ (٣) .

فالشرط واضح أن يكون الداعى إلى الله مهتدٍ فى نفسه داعٍ إلى الهُدَى ، فمنفعته لازمة ومتعدية ، وليس من الذين ينيرون للناس ويحرقون أنفسهم يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويفعلونه .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة القصص : ٧٠

(٣) سورة فصلت : ٣٣

فالآية عامة فيمن دعا إلى الله وإلى طاعته وعبادته ، فيدخل فى عمومها المؤذِّنون الصلحاء ، كما ثبت فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال : « المؤذِّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » (١) .

فلهم خصوصية وصفة حسنة متميزة ، ودعا رسول الله ﷺ للأئمة بالرشاد لأنهم ضامنون ، ودعا للمؤذِّنين بالمغفرة لأنهم مؤتمنون (٢) .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللَّهُمَّ اغفر للمؤذِّنين » - ثلاثاً ، قال : فقلت : يا رسول الله ؛ تركتنا ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف ، فقال صلى الله عليه وسلم : « كلا يا عمر ؛ إنه سيأتى على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم ، وتلك لحوم حرَّمها الله عَزَّ وجَلَّ على النار : لحومُ المؤذِّنين » (٣) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . .

الواقع الآن فى كثير من المساجد كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : ترك الأذان إما على الضعفاء وإما طاعن فى السن ، أو مُعوق عن السوق ، فهل من شاب قوى يرغب فيما عند الله يتولى الأذان فى تلك المساجد ، فله دعاء الرسول ﷺ بالمغفرة وتحريم لحمه على النار .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

* * *

(١) صحيح مسلم : ١/ ٢٩٠ ، حديث (٣٨٧) .

(٢) نص الحديث : « الإمام ضامن والمؤذِّن مؤتمن ، اللَّهُمَّ ارشد الأئمة واغفر للمؤذِّنين » أخرجه أحمد : ٢/ ٢٣٢ ، وأبو داود (٥١٧) ، والترمذى (٢٠٧) وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير : ٧/ ١٦٨ (سورة فصلت : ٣٣) ، والبيهقى فى شُعَب الإيمان كما فى كنز العمال : ٢٣/ ٥٨

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٢ - تحريم أكل الأموال بالباطل (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (٢) ، خلق الخلق وقسم أرزاقهم وأخلاقهم ، ولن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ورزقها .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك لهِ ، طَيِّبٌ لا يقبل إلا طَيِّباً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .. ﴿ وما ينطق عن الهوى ۝ إن هو إلا وحي يوحى ۝ ﴾ (٣) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن الدنيا حلوة خضرة ، مذاقها لذيذ ، ومنظرها جميل ، وعاقبتها مثل عاقبة الطعام الذى يأكله الإنسان ، تخادع أهلها وتمكر بهم : ﴿ وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ (٤) .

فمَن أخذ منها بالحلال وأدَّى حق الله فيه ، أثابه الله عليه وأورده الجنَّة ،

---

(١) ألقيت يوم ١٢/٨/١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة النجم : ٣ - ٤

(٤) سورة آل عمران : ١٨٥ ، والحديد : ٢٠

ومَن اكتسب فيها مالاً من غير حِلّه وأنفقه فى غير حقه أدخله الله دار الهوان ، ولا يدخل الجنة لحم نبت من حرام (١) .

وسيُسئل الإنسان يوم القيامة عَن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه فيم عمل فيه ؟؟

فاتقوا الله أيها الناس . . أعِدُّوا لهذه الأسئلة أجوبة ، إن الطالب الذكى الفطنَ يراجع دروسه ويذاكر معلوماته ويتحرَّى الأسئلة ويُعد لها أجوبةً لكى ينجح فى الاختبار ، وإنكم أيها الناس مقبلون على اختبار وأيما اختبار ، ليس فيه غش ، ولا تدليس ، ولا محاباة ، ولا تثاقل ، إنما هو الحق وميزان العدل ، فتذاكروا معلوماتكم وراجعوا حساباتكم ، وتهيئوا للسؤال وأعِدُّوا له الجواب ، إن المعاصى - فيما بين العبد وربه - أخف منها فيما بينه وبين الناس ، فإن الله رؤوف رحيم غنى عن خلقه ، أما الناس ففيهم الشُّح - وخاصة يوم القيامة - أحوج ما يكون المرء إلى من يتحمل عنه بعض ذنوبه أو يعطيه من حسناته .

إن من أخطر شىء على الفرد والجماعة وكيان الأمة : أكل أموال الناس بالباطل بأى نوع كان ، وإن الرِّشوة من أخبث المكاسب وشرها على المصالح العامة والسلوك ، ترفع الأمانَةَ وتجعل مكانها الغش والخيانة ، وترفع الرحمة من القلب ، وتجعل مكانها الغلظة والقسوة . الرِّشوة : مأخوذة من الرشا ، وهو الحبل الذى يُجذب به الدلو من البئر ، سميت بذلك لأن الرَّاشى يجذب برشوته الضمير الميت ، ويستميل بها الإحساس الجامد ، ويُغرى بها النفس الدنيئة الرذيلة ، ويسيطر بها على القلب المريض .

---

(١) معنى حديث أخرجه الحاكم : ١٢٧/٤ ، وفى إسناده ضعف .

فإذا شاعت الرِّشوة فى قوم ضاعت مصالحهم وحقوقهم ، وضاع الوَرِع التَّقىَ ، والمسكين الضعيف .

فكم من حق ضاع بسبب الرِّشوة ، وكم من إنسان أُهين بسبب الرِّشوة ، وكم من مصالح وفرص ضُيِّعت بسبب الرِّشوة والتطلع إليها . لذلك لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى ، كما لعن الرائش - وهو الذى يسعى بينهما بالرِّشوة .

روى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه وغيره قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الراشى والمرتشى » (١) .

كما روى الإمام أحمد وغيره عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : « لعن رسول الله ﷺ الراشى ، والمرتشى ، والرائش » (٢) .

واعلموا أن الهدية التى يأخذها الموظف مقابل عمل يقوم به ، أو مقابل مساعدة أو خدمة يأخذها من المراجعين أو من أرباب الأعمال ، كله رِّشوة مُحرَّمة ملعون آخذها .

المرتشى ملعون لأنه أخذ مالاً بغير حقه ، ولأنه فتح على المسلمين باب شر وفساد ، فهو آكل أموال الناس بالباطل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ (٣) .

وأما دافع الرِّشوة . . فهو ملعون لأنه أعان الظالم على ظلمه ، وساعد فى

---

(١) أخرجه أحمد : ٢/٣٨٧ ، ٣٨٨ ، والترمذى (١٣٣٦) وهو صحيح .

(٢) قال المنذرى فى الترغيب والترهيب : رواه الإمام أحمد والبزار والطبرانى ، وفيه أبو الخطاب لا يُعرف .

(٣) سورة النساء : ٢٩

فتح باب الفساد على إخوانه المسلمين ، أما إذا كان الراشى دفع الرِّشوة رغم أنفه بأن تُحجز معاملته ، أو تُحجز أمواله وشيكاته فى الدرج ، ويقول له المسئول : إما أن تدفع كذا وإلا جمدتها ، فدفع ما طُلِبَ منه عن إكراه لإنقاذ حقه الشرعى ، فذلك - إن شاء الله - لا إثم عليه ، وإنما يتحمل الإثم الذى اضطره إلى دفع الرِّشوة ؛

وأما الساعى بالرِّشوة . . فإنه ملعون لأنه واسطة شر وخراب ، ولأنه يشجع على أكل أموال الناس بالباطل ويحث عليه ، فهو مثل حامل الخمر ، وكاتب الربا وشاهديه ، والجرار فى الزنا .

فاتقوا الله عباد الله . . أيرضى المسلم أن يَدْخُل تحت لعنة الله ولعنة رسوله ﷺ من أجل عَرَض من الدنيا ؟ ماذا يُجيب المرتشى إذا سُئِل عن ماله من أين اكتسبه ، والجواب علناً أمام الخلائق كلها ؟؟

اتق الله أيها الموظف . . إنَّ الدولة جعلتك لخدمة المواطنين وأصحاب الحاجات ، وأعطتك مرتباً من بيت المال مال المسلمين مقابل عملك ، فحرام عليك أن تأخذ من الناس شيئاً ، إنها خيانة ، ودناءة ، وذلة ، وعار فى الدنيا ونار فى الآخرة ، فاتقوا ربكم وراقبوه فى سِرِّكم وعلانيتكم .

اللَّهُمَّ أغننا بالحلال عن الحرام ، وارزقنا بالقناعة والعفة والنزاهة ، وقِنَا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، واحفظنا من جلساء السوء يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا إلى النار مصيرنا ، ولا تُسَلِّط علينا بذنوبنا مَن لا يخافك ولا يرحمنا .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلال بيِّن والحرام بيِّن

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الواحد القهَّار ، العزيز الغفَّار .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الرحيم الودود .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمداً وعلى آله وأصحابه الطيبين الأخيار .

أما بعد . .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وراقبوه مراقبة مَن يعلم أنه مُطَّلِعٌ على سِرِّه وعلانيته ، واعلموا أن الله طَيِّبٌ لا يقبل إلا طيباً ، وأنه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ (٢) ، (٣) .

« الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ وبينهما أُمور مشتبهات ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ الدين وعِرضه ، ومَن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحِمَى يوشك أن يرتع فيه » (٤) .

---

(١) سورة المؤمنون : ٥١

(٢) سورة البقرة : ١٧٢

(٣) حديث أخرجه مسلم فى صحيحه (١٠١٥) .

(٤) أخرجه الشيخان فى صحيحيهما : البخارى مع الفتح : ١/١٢٦ برقم (٥٢) من كتاب الإيمان ، ومسلم فى المساقاة ، وذلك من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه .

كيف يتجرأ الإنسان ويُغذى بدنه وأولاده وزوجه من كسب حرام ، وهو لا يُقْبَل له دعاء ولا صلاة ما دام فى جوفه حرام ، أو على جسده حرام ؟

كيف ينام آكل الحرام ، وهو يعرف أن دعوته مردودة ومآله إلى النار ؟

كيف يتجرأ المرتشى على أخذ أموال الناس بالباطل وهو يعرف أنه سيُحشر إلى ربه فيأتيه أهل المظالم يطالبونه بحقوقهم ؟

اتقوا الله أيها المسلمون .. الإنسان سيموت ويترك المال وراءه ، عليه حسابه وعذابه ونفعه لغيره .

حاسبوا أنفسكم ، وأطيعوا ربكم ، واتبعوا سُنَّة نبيكم .

وصَلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٣ - أسباب وجود المتناقضات (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهُدَى ودين الحق ، وأنزل عليه كتاباً من كلام الله فيه موعظة وشفاء لما فى الصدور ، وفيه شفاء ورحمة للمؤمنين فأضاء الطريق ، وعالج الأمراض ، وشرح الصدور .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن تصورَ الإنسان محدود ؛ وإدراكَه محصور ، فهو ينظر إلى الأشياء بحسب مفاهيمه وتصوراته ، فقد يرى شيئاً خيراً له فيُحبه وهو فى الواقع شرٌ له ، وقد يرى شيئاً شراً له فيكرهه بينما هو فى الحقيقة خيرٌ له : ﴿ **وَعَسَىٰٓ أَن**

---

(١) ألقيت يوم ١٠/١/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

والإنسان فى هذه الدنيا يسبح فى بحر الحياة بين أمواج الهواجس والأفكار والوساوس والظنون والأهواء والشهوات وأعاصير الأعراض ، فهو كمثل زورق فى بحر لجى يرفعه الموج ويخفضه ، وتُحرِّكه الرياح يميناً وشمالاً ، فلا بد له مَن يُوصِّله ويحدد اتجاهه ، ولا بد له من رُبان ماهر يعرف الممرات ، يسير به إلى اتجاه المرسى ، فإذا لم يكن كذلك ضَلَّ فى المتاهات وغرق .

والذى خلق الإنسان وخلق فيه أفكاره ووساوسه وغرائزه ، وخلق الأعراض التى تحيط به ، لم يغفُل عنه ولم يُهمله ، بل أعطاه عقلاً وبصيرة ، وأرسل إليه رسولاً وأنزل عليه نظاماً يوجهه فى مسيرته فى هذه الحياة ، ومدَّ له سبباً متصلاً بشاطئ النجاة وفيه عروة وثيقة لا تفصم .

فمَن اعتصم بحبل الله واستنار بنور الله وتمسَّك بكتاب الله استقام ونجا .

ومَن أفلت السبب وأغمض عينه عن النور وصَدَّ عن الصراط المستقيم ، تاه وهلك .

ومن هذا المثل نعرف أسباب المتناقضات فى هذا الزمن : كثُر العلم وانتشر الجهل ، وكثرت الأموال وزاد الفقر ، وتطور الطب وفشت الأمراض .

كثر العلم فى النظريات والصناعات والفلسفات ، ولكن كثر الجهل بواجب الإنسان ورسالته فى هذه الحياة ، فسار العلم بدون تقوى ، وعلى غير هُدًى ، فاستُغلَّت العلوم لغير ما خُلِقَت له ، خُلِقَت لتكون دليلاً على قُدرة خالقها ووحدانيته ، ولتكون رابطةً بين الإنسان وخالقه ، ولكن العلم بعيدٌ عن هذا الآن إلا ما شاء الله ، خُلِقَت لتكون عَوْناً للإنسان على طاعة ربه ، فإذا هى

---

(١) سورة البقرة : ٢١٦

بالعكس ، استُعْمِلت للتخريب والتدمير والصدّ عن دين الله ، واستعباد الضعيف . والسبب فى ذلك فصل العلم عن الإيمان ، فإلى متى هذه الجهالة ؟

تطوَّر الاقتصاد وكثُرت الأموال فزادت النفوس شحاً وبخلاً ونهمةً فى جمع الأموال بالحلال والحرام ، بحق وبدون حق ، كشارب ماء البحر كلما زاد شرباً ازداد عطشاً .

فبعض الناس يُنفق مئات الألوف فى رحلة سياحية ، ولكنه لا يواسى فقيراً ولا يعطف على يتيم ؛ والسبب فى ذلك الجهل بنظام الإسلام ، والجهل بالحُسْنَى .

تطور طِبُّ الأبدان ، ولكن كثرت أمراضُ الأرواح ، الشكوك والشبهات ، والإلحاد والزندقة ، ودعاة الكفر والضلال ، فلا بد من معالجتها بعلاجها النافع ، بعلاج القرآن ، ولا بد من إجراء عمليات جراحية للأمراض ، كما تُجرى عمليات الأجسام .

إنَّ الذى خلق الأبدان وخلق لها جراثيم وأمراضاً وخلق لها أدوية وعلاجات ، هو الذى خلق الأرواح وخلق لها أمراضاً وجراثيم ، وأنزل لها دواءً شافياً . . الأرواح هى الأساس ، والأبدانُ مسخَّرةٌ لها تركبها ، والروح هى السيد والبدن خادم لها ، فكيف تُعالَج المطية ويتركُ الراكب مريضاً ؟ وكيف يُعالَج الخادم ويُترك السيد ؟ ليس هذا من العدل .

الواجب تنظيم طرق السلامة من الأمراض الروحانية كما نُظِّمَت مستشفيات الأمراض البدنية .

اتقوا الله يا أُمَّة الإسلام : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (١) ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠

(٢) سورة البقرة : ١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تجب معاشرة الزوجة بالمعروف

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . . اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك (١)

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فاتقوا الله : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٢) .

أيها المسلمون ؛ استوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن أمانات عندكم ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله (٣) ، لهن عليكم كسوتهن ومعاشرتهن بالمعروف والرفق بهن ، ولكم عليهن السمع والطاعة فى غير معصية الله ، ولا يوطئن فُرُشكم مَن تكرهون (٤) ، وألا يخرجن من بيوتكم متبرجات بزينة .

لقد شكى بعض النساء أزواجهن من سوء العِشْرة وشدة الجفوة ، وليس

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضى الله عنه بهذا اللفظ : مسلم فى الصحيح : ١/ ٣٥٢ ، حديث رقم (٢٢٢) فى الصلاة .

(٢) سورة النساء : ١٣١

(٣) إشارة إلى خطبة النبى ﷺ يوم عَرَفَة : مسلم فى الصحيح ، حديث رقم (١٤٧) من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه .

(٤) هو نفس هذا الحديث (١٤٧) : مسلم .

من خُلُق الكرام أن يُسيء معاشرة زوجه وهى لباس له ، ليس من خُلُق الإسلام أن يضاجعها فى الليل ويُسيئ إليها فى النهار (١) .

وبعض النساء يذكرن عن أزواجهن انحرافاً فى الأخلاق وتعاطى بعض المسكرات ، وطلب الجِماع فيما حرَّم الله منها ، وهذا حرام كله ، وإنما جاءت بنت الناس إلى بيت زوجها وتركت والديها وبيتها الذى نشأت فيه ، إلا لتجد مملكة مستقلة ، تسود فيها وتسعدُ بالراحة والحياة الزوجية الهنية .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وراقبوا ربكم فإنه يراكم ، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢) .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) إشارة إلى الآية ١٨٧ من سورة البقرة .

(٢) سورة التغابن : ٤

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤ - تحريم لُبْس الذهب والفِضَّة على الرجال [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] .. ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أرسل رسوله بالهُدَى ودين الحق .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونصح للأُمَّة ، وجاهد فى الله حق جهاده .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله .

أما بعد . .

فإن الإنسان بطبيعته التى خُلِق عليها يميل إلى سبع من الشهوات ، حبِّبَت إليه وله فيها منافع ومصالح ، وعليه منها مضار وأخطار ، وهى المذكورة فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [٤] .

(١) ألقيت يوم ٢٢/ ١٠/ ١٣٩٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة سبأ : ١

(٤) سورة آل عمران : ١٤

ولما كانت هذه الشهوات فيها متاعٌ للناس فى هذه الحياة ، ولهم فيها منافع ، وفيها أخطار لمن أساء الاستمتاع بها ، من أجل ذلك جعل الخالق تبارك وتعالى لكل جنس من هذه الشهوات نظاماً أنزله على رسوله محمد ﷺ ليحصل الانتفاع بها بدون ضرر .

فالمسلم ينتفع بهذه المحببات فى إطار النظام الإسلامى ، ويجعلها وسيلة إلى غاية أشرف منها وأنفع له ، فيستعين بها على طاعة الله وعبادته ، ويستعد بها للقاء ربه ويستعين بها على تقوى الله ، وقد أشارت الآية الكريمة إلى هذا المعنى : ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (١)

فلا يجوز للمسلم أن يخرج عن نظام إسلامه ، إلا أنه قد تحصل منه غفلة ينتهزها عدوه ، من شياطين الجن والإنس ، فيخرج به عن سبيل الله إلى السُّبلِ المتفرقة ويُزَين له ما حرَّم الله ويُحَرِّم عليه ما أحَلَّ الله ، والعادة والتقليد لما يفعله الناس بدون بصيرة من الغفلة التى ينتهزها الأعداء .

ولكن المؤمن إذا كان الإيمان متمكناً من قلبه ، فلا بد أن تَنْجلى ظلمة الغفلة فيستضئ بنور اليقظة والهداية إذا ما سمع موعظة من كتاب الله تبارك وتعالى أو من سُنَّة رسوله ﷺ : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢) ، ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة آل عمران : ١٤ - ١٥

(٢) سورة الأعلى : ٩ - ١٣

(٣) سورة الذاريات : ٥٥

وإننى أُلفت أنظار إخوانى فى الإسلام إلى أن بعض الناس قد حصلت منه غفلة بسبب المجاراة والاتباع بغير بصيرة ، فخرجوا عن نظام الإسلام فى استعمال الذهب ، فقد لبسه بعض الرجال ، والذهب مُحَرَّم على ذكور هذه الأُمَّة (١) ، وأسرفت بعض النساء فى التنافس فى كثرة الحلى حتى وصل إلى حد الإسراف والخيلاء .

وهناك من المسلمين مَن اتبع سَنَن المشركين فاتخذوا أوان من الذهب والفِضَّة يأكلون ويشربون فيها (٢) ، ويُقال : إن بعض الناس جعل فى بيته بزابيز (أى صنابير للمياه) من ذهب .

وهذا من سَنَن اليهود الذين لا إسلام لهم ولا يسيرون على نظام سماوى ، وذلك مصداق قول النبى ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » (٣) .

فالحلى من الذهب والفِضَّة مُحَرَّم على ذكور أُمَّة محمد ﷺ سواء أكان قليلاً أو كثيراً لحديث ابن عباس رضى الله عنهما عن الإمام مسلم رحمه الله : أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه وقال : « يَعْمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها فى يده » ، فقيل للرجل بعد

---

(١) إشارة إلى حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : البخارى برقم (٥٨٣٠) اللِّباس ، باب (٢٥) ، ومسلم فى الصحيح فى اللِّباس والزينة برقم (٤) خاص وعام (٢٠٦٧) من هذا الوجه واللَّفظ .

(٢) هو نفس هذا الحديث عند البخارى فى اللِّباس برقم (٥٨٣٠) ، ومسلم فى الصحيح فى اللِّباس برقم (٤) خاص وعام (٢٠٦٧) من حديث حذيفة رضى الله عنه ، وفيه : « لا تشربوا فى إناء الذهب » .

(٣) البخارى مع الفتح : ١٣/ ٢٥٥ فى الاعتصام ، من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، ومسلم فى الصحيح فى العلم برقم (٢٦٦٩) باب : اتباع سنن اليهود والنصارى .

ما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك فانتفع به ، فقال : لا واللهِ لا آخذه ، وقد طرحه رسول الله ﷺ (١) .

وعند الإمام أحمد برُواة ثِقات عن أبى أمامة رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريراً ولا ذهباً » (٢) .

وفى حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « مَن مات من أُمَّتى وهو يشرب الخمر حَرَّم الله عليه شربه فى الجنة (٣) ، ومَن مات من أُمَّتى وهو يتحلى بالذهب حرَّم الله عليه لباسه فى الجنَّة » (٤) ، وأبيح الحلى للنساء بدليل آخر .

أما أوانى الذهب والفضَّة فالشربُ فيها والأكل فيها مُحَرَّم على الذكور وعلى الإناث من أُمَّة محمدٍ ﷺ لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا فى آنية الذهب والفضَّة ولا تأكلوا فى صحافها فإنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة » (٥) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « الذى يشرب فى إناء الذهب والفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » (٦) .

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح ، كتاب اللِّباس والزينة ، حديث رقم (٥٢) خاص وعام (٢٠٩٠) من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

(٢) أحمد فى المسند : ٥/ ٢٦١ بهذا اللفظ وإسناده صحيح ، وهو من حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه .

(٣) هذا لفظ الإمام أحمد فى المسند : ٢/٢٠٩ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما وإسناده صحيح .

(٤) هو نفس هذا الحديث : أحمد فى المسند : ٢/٢٠٩

(٥) أخرجه البخارى فى الصحيح ، اللِّباس برقم (٥٨٣٠) ، ومسلم فى الصحيح ، اللباس برقم (٤) خاص وعام (٢٠٦٧) من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .

(٦) إشارة إلى حديث أم سلمة رضى الله عنها : البخارى برقم (٥٦٣٤) : الأشربة ، باب (٢٨) ، ونحوه : مسلم فى الصحيح : اللِّباس ، حديث رقم (٢١) خاص من هذا الوجه واللَّفظ .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واعلموا أن دين الإسلام يريد من الرجل أن يكون رجلاً بالمعنى الكامل ، لا يرضى له الميوعة ولا الانحطاط ، ولا التشبه بالنساء ، ولا الركون إلى الذلّة والمسكنة ، وإنما يريده أن يكون رجلاً مسلماً حقاً ، قوى الشكيمة قوى الإرادة ، يتحمل المشاق ويصمد أمام الزعازع ليكون مسلماً مجاهداً فى سبيل الله .

اللَّهُمَّ ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [1] .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الفاتحة : ٦ – ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

خواتم الذهب والفضة محرمة على ذكور أمة محمد ﷺ

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الهادى إلى سبيل الرشاد .. ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، منه المبدأ وإليه المعاد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الشفيعُ يوم التناد .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فقد علمنا أن حلى الذهب والفضَّة محرَّم على الذكور من المسلمين ، فلا يجوز لرجل أن يلبس خاتم ذهب ولا دُبلة ذهب فإنها جمرة من نار يضعها فى يده ، ولكن استثنى النبى ﷺ الخاتم من الفضَّة للحاجة إليه ، فقد اتخذ صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضَّة كتب عليه اسمه ، فإذا كان الرجل فى حاجة إلى خاتمٍ يلبسه فى يده فليتخذه من غير الذهب بل من الفضَّة والبلاتين ، فالبلاتين لا يشمله التحريم .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وتعلَّموا شرائع دينكم وتعرَّفوا على الحلال فاتبعوه ، وتعرَّفوا على الحرام واجتنبوه ، وصَلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير ، فقال عزَّ من قائل عليماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الإسراء : ٩٧

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

اللّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبَارِك على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود (١) .

وارض اللّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات النبى أُمهات المؤمنين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وارض اللّهُمَّ عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللّهُمَّ آمنا فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ، ووفقهم لما فيه الخير والصلاح ، ولما فيه السعادة والنجاح ، وارزقهم بطانة صالحة مؤمنة عارفة بالحق وحدوده ، تُعينهم على الخير وتدلهم على سُبل الصلاح والتقوى .

اللّهُمَّ أصلح شأن المسلمين ، وأصلح قادتهم وولاة أُمورهم ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، يا عالم ما فى الصدور . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢)

* * *

(١) إشارة إلى الآية ٧٩ من سورة الإسراء .

(٢) سورة النحل : ٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٥ - جواز الانتفاع بصناعات الأعداء غير المحرَّمة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) .. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، ولا ند له ولا نظير ، ولا وزير له ولا ظهير : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٤) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير (٥) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإنَّ وظيفة الإنسان فى هذه الحياة أمران :

الأول : الإيمان بالله إيماناً يقتضى اتباع منهج الله فى كل التصورات وفى كل مرافق الحياة .

---

(١) ألقيت يوم ١٧/١/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الصف : ٩

(٤) سورة الأنعام : ١٨

(٥) إشارة إلى الآيتين ٤٥ ، ٤٦ من سورة الأحزاب .

الثانى : الرعاية والحماية للدين والدم والعِرض والمال .

فأما الأول فإنما يُستمَد من الله وحده ، من وحيه ورسالاته ، ولا نَنْسَى العدو المبين إبليس وحزبَه وجنودَه من بنى الإنسان ، فما يَحْرص أعداءُ الإسلام على شىء حرصهم على إضلال هذه الأُمَّة عن عقيدتها ، فهذه العقيدة هى صخرة النجاة لكل مسلم ، وهى خط الدفاع ومصدرُ القوة للمسلمين .

وأعداء هذا الدين يعرفون ذلك جيداً أكثر مما يعرفه بعض المسلمين فى الوقت الحاضر ، يعرفونه قديماً ويعرفونه حديثاً ، ويبذلون فى سبيل تحويل هذه الأُمَّة عن عقيدتها كلَّ ما فى وسعهم من مكر وحِيلة وتشكيك ، وبما يملكون من قوة وعُدة ، يتصيَّدون كُلَّ حُجَّة وكُلَّ شبهة لينفذوا منها إلى قلوب المؤمنين لصرفهم عن خالقهم وصدهم عن عقيدتهم ، وبلبلةِ الأفكار وإشاعة الاضطراب فى العقول .

وحين يَعْجز أعداءُ الإسلام عن محاربة هذه العقيدة بالقوة يدسون لها ماكرين ، وحين يُعييهم محاربتها بأنفسهم وحدهم ، يجدون من المنافقين أعواناً وأنصاراً يمتطونهم لتنفيذ أغراضهم ، فيتخذون منهم جنوداً ينخرون فى أصل العقيدة من داخل الدار وفى وسط الأُمَّة لصد المسلمين عن صراط الله ، ولصرفهم عن منهج الله ، فيزيفوا لهم مناهج غير سبيل المؤمنين ، وأوضاعاً غير أوضاع المتقين ، وعبادات غير عبادات السابقين الأوَّلين ، وحين يجد أعداءُ الإسلام من بعض المسلمين طواعية يستغلونها فى سبيل غايتهم ، ويقودون مَن يُصْغى إليهم إلى الكفر والضلال : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (١) .

لقد أُنزل هذا القرآن ليُنْشئ أُمَّةً مسلمةً تشق طريقها فى هذه الحياة على

(١) سورة البقرة : ١٠٩

منهج الله وحده ، متميزةَ بارزة ، لتؤدى دوراً خاصاً لا ينهض به غيرها ، ولقد شاء الله لأُمَّة محمد ﷺ أن تقرر منهج الله فى أرض الله ، وأن تحققه فى صورة عملٍ وتطبيق ، فترجمت نصوص الكتاب والسُّنَّة إلى حركة وأعمالٍ ومشاعَر وأخلاقٍ وأوضاعٍ وسلوكٍ وارتباطات ودولة .

والأُمَّة المسلمة لا يتحقق وجودها ولا تَبْرز قيمتها ولا تستقيم فى حياتها إلا إذا تلَقَّت من الله وحده ، فهذا كتاب الله غضٌ طرى كأنما أُنزل اليوم ، وهذه سُنَّة رسول الله ﷺ ناصع بياضها كأنما اليومَ نطق بها رسول الله ﷺ .

أما حين يميل أحدُ المسلمين إلى شىء من دسائس أعدائه يعنى ذلك اعترافه بالهزيمة وانقياده لهم .

إنَّ طاعةَ أهل الكفر والأهواء فيما يُخالف كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ يَعنى ذلك الشكَ فى كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام وفى تمامهما وكمالهما ، والله تعالى يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) .

كما أن طاعة أهل الكفر فى شىء يخالف أُصول دين الإسلام يعنى ذلك الرضا بعقيدتهم والرغبةَ فى منهجهم واختيارَه على منهج الله ومنهج رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك كفر بواح : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (٢) .

وما هى حال المسلم حين يرى نفسه منتكساً إلى الكفر بعد الإيمان وإلى الخسارة بعد الربح والفوز ؟ كيف يرى حاله حينماً يرجع إلى النار بعد نجاته

---

(١) سورة المائدة : ٣

(٢) سورة البقرة : ١٢٠

منها ؟ كيف يرى حاله إذا انضم إلى حزب الشيطان بعد أن كان من حزب الرحمن ؟ فياله من مُنكَر كُفُر المؤمن بعد إيمانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (١) .

أما الأمر الثانى : فمع أنه لا يستقيم إلا بالأول فلا بأس بالانتفاع بشىء من جهود البَشر من العلوم البحتة علماً وتطبيقاً وإنتاجاً مع ربطها بالمنهج الإسلامى من ناحية الشعور بها وكونها من تسخير الله للإنسان ، ومن ناحية توجيهها إلى نفع البَشر وتوفير الرعاية والحماية والأمن لهم ، ومع شكر الله على نعمة المعرفة ونعمة التسخير .

لقد أحْرَز البَشر انتصارات شتَّى فى تسخير ما سخَّر الله من مخلوقاته ، وحققوا فى مجال الطب والصناعة ما يشبه الخوارق بالنسبة للماضى ، وما يزال الناس فى طريق التقدم والتطور ، ولكن لما فقد أولئك المتقدمون الإيمان بالله وبخاتمة الرسالات لم يتقدموا فى تصورهم لهذا الوجود وغايته ، ولا فى معرفة الهدف الذى من أجله خُلِقَ الإنسان ، ولم يتقدموا فى إدراك ما بعد هذه الحياة ، ولا فى معرفة خالق تلك الأشياء التى سُخِّرت لهم ، ولا فى حكمته فى إعطائها صفاتها ، ولم يتأملوا حركات هذا الوجود حياةً وموتاً ، ومرضاً وصحةً ، وفقراً وغنىً ، وعزاً وذلاً ، وتقدماً وتأخراً ، وشباباً وهرماً ، فلم يربطوا الموجودات بموجدها ، ولا الحركات بمحَرِّكها ، فأدَّى بهم الأمر إلى الحيرة والضياع ، ثم إلى القلق والخوف والشقاء والأمراض العصبية والنفسية ، والشذوذ الجنسى ، والجريمة على أوسع نطاق ، لأنهم فقدوا النور الذى يُنير لهم الطريق ، فتاهوا عن المنهج الذى يربط بين حركتهم وحركة

(١) سورة المائدة : ٥٤

الكون ويربط بينهم وبين خالقهم . لقد أبعدتهم المُلابسات النكدة ، والعلم الذى عُزل عن المعلم فقادوا العالَم إلى متاهات الضلال والكفر والزندقة ، وصار الخُواءُ يأكل قلوبهم المكدودة ، والحيرة تهدد أرواحهم المُتعَبة .

ولا يكشف الغُمَّة التى تاهت فيها تلك الأُمَّة إلا الإيمانُ بالذى خلق الكون وخلق الإنسان وعلَّمه وخلق العلوم ، وبالإيمان تحصل الهداية إلى طريق النجاة .

ولا ينجو المسلم من مصائد أعدائه إلا بأمرين ، الأول : تقوى الله والتوكل عليه والالتجاءُ إليه ، وأداءُ ما أمر به واجتناب ما عنه نهى وزجر .

والثانى : الاعتصام بحبل الله الذى يربط المسلَم بالمسلم ، أُخوةً وتراحماً وتعاطفاً وتعاوناً ، ويجعلهم كالجسد الواحد ، يتفاعل ويتجاوب فرحاً وآلاماً .

إنَّ الاعتصام بحبل الله هو الذى جعل من القبائل المتناحرة : أُمَّةً متعاطفة ذاتَ إيثار وقوة .

وهو الذى جعل من العرب المتفرقين فى زاوية من الأرض دولةً لها مميزاتٌ وجَّهت العالَم وجهة الخير والعدالة .

فإذا لم يقم العرب بالواجب الذى نزل بلغتهم ، فما الذى يُقدِّمونه للعالَم إذاً ، لقد سبقهم الناس بعبقريات وصناعات وعلوم ، وإنما العالَم فى حاجة إلى مَن يهديهم الطريق المستقيم ، ويُخرجهم من الظلمات إلى النور ، وإلى مَن ينقذهم من الحيرة والضياع ، فى حاجة إلى مَن يُعَرِّفهم من أين جاؤوا وإلى أين هم ذاهبون ، وإلى مَن يأخذ على يد الظالم والسفيه ، فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

(١) سورة النحل : ٤٤

اللَّهُمَّ لك الحمد على نعمة الهداية فلا يعادلها شيء مما فى هذه الدنيا ولو أعجب الناس وأدهشهم : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ (١) ، ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم .... إلى آخر الدعاء .

* *

(١) سورة المائدة : ١٠٠

(٢) سورة الحشر : ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أسباب السعادة

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخِيرَته من خلقه .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه ودعا بدعوته .

أما بعد . .

فإنَّ الله تعالى خلق الإنسان من صلصال كالفخار (٢) ، ثم سوَّاه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والبصر والفؤاد (٣) ، فصار عنده استعدادٌ لتمييز المتضادات ، وقوةٌ مدركة داعيةٌ توجهه لاختيار الأفضل النافع وترك الضار .

فمَن استعمل هذه المميزات فى تطهير نفسه وتوجيهها إلى طريق الهُدَى فاز ورَشُد ، ومَن أهملها وأخفاها ضَلَّ وخاب وخسر .

ومن رحمة الله بالإنسان لم يتركه لاستعدادته الذاتية ، بل أعانه بالرسالات السماوية التى تضع له الموازين الثابتة ، وتكشف له عن موجبات الإيمان ودلائل الهُدَى فى نفسه وفى الآفاق من حوله ، وتجلو عنه غواش الهوى ،

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٤ من سورة الرحمن .

(٣) إشارة إلى الآية ٩ من سورة السجدة .

وتلبيسات الأعداء ، فيرى الحق فى صورته الحقيقية ، ويتضح له طريق السعادة لا غبش عليه .

وحينما أعطى الخالق تعالى هذا الإنسان أهلية الاختيار (فى حدود إرادة الله ومشيئته) ، فقد رفعه وكرَّمه وفضَّله ووضعه فى درجة تليق بالمخلوق الذى خلقه بيده وحَمَّله أمانته .

فيجب على الإنسان أن يشكر خالقه على هذا التكريم وهذا التفضيل ، والشكر نعمة من الله على عبده .

ويجب على الإنسان أن يوقظ مشاعر الإيمان والتقوى فى نفسه ، وأن يُحَرِّك تلك الطاقات التى امتاز بها ، فلا يخدعه هواه ، ولا تغره دعايات الأعداء ولا إرجافات المفسدين ، يجب عليه أن يكون دائماً على صلة بربه فى عُسْره ويُسْره ، وفى كربه وفَرَجَه ، وأن يحس بأنه فى حاجة إلى توجيهات خالقه ورعايته .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وصَلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦ - أكل الرِّشوة حرام [(١)]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض [(٢)] ، وهو الحكيم الخبير :

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [(٣)] .

عباد الله ؛ إنَّ لكل أُمَّة حقوقاً ومصالح لا بد من حفظها والمحافظة عليها ، ولها أعمالٌ ومتطلباتٌ لا بد من القيام بها وتحقيقها ، فمَن هو المسئول عن ذلك ؟

المسئول هم أهل القُدْرة والكفاءة والأمانة من أبنائها ، فالمجتمع يتكوَّن من أفراده ، وتحقيق المصالح ودرء المفاسد يحصل بالتعاون والتكاتف ، فلو تخلَّى أهل المقدرة والأمانة عن أعمالهم لاستولى عليها أهل الجهل والخيانة من

---

(١) ألقيت يوم ١٧/٨/١٣٦٦ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٣) سورة التوبة : ١١٩

غيرهم ، فينبغى من كل فرد أن يحس بمسئوليته ، وأن يقوم بما يجب عليه لدينه وأُمَّته .

ويجب على مَن تولَّى عملاً من أعمال المسلمين أن يكون هدفه الإصلاح والمحافظة على المصالح العامة ، والحقوق الخاصة المشروعة ، ومساعدة أرباب الحاجات وتيسير أُمورهم وإنجاز أعمالهم ، فإذا كان كذلك كان الله معه يُوفقه ويُسدده ويُعيّنه ، كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حيث قال : « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » (١) .

ويحرم الغش والخداع والأوعاد الكاذبة وتعطيل أعمال الناس ، فإن ذلك إثم وخطيئة وتعريضٌ للنفس للعقوبة العاجلة . روى عن النبى ﷺ أنه قال : « اللَّهُمَّ مَن وَلِىَ من أمر أُمَّتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومَن ولى من أمر أُمَّتى شيئاً فرفق بهم فارفق به » (٢) ، « لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه » (٣) .

ولا بد لمن ولى شيئاً من أُمور الناس أن يناله شىء من الأذى والتعب ، وعلاجُ ذلك هو الصبر والتحمل والعفو والصفح واحتساب الأجر على الله تبارك وتعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٥) ، ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) صحيح مسلم من حديث أبى هريرة .

(٢) صحيح مسلم (١٨٢٨) من حديث عائشة ، وشرح مسلم : ١٢/ ٢٣

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الإيمان ، باب : من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب (١٧) .

(٤) سورة الأعراف : ١٩٩

(٥) سورة الزمر : ١٠

(٦) سورة التوبة : ١٠٥

وينبغى للمسئول سواء أكان صغيراً أو كبيراً أن يتصف بالعفة والنزاهة ، فلا يتطلعُ إلى شيء مما فى أيدى الناس ، وأن يستغنى بالحلال وإن قَلَّ عن الحرام وإن كثر ، فإن تطلعَ المسئول إلى ما فى أيدى الناس بدون حق يَشُل حركة العمل ويَحْمِل على الحيف والإهمال وإضاعة الحقوق ، من أجل ذلك حرَّم الإسلام الرِّشوة ، ولعن آخذها ومعطيها والساعى فيها ، فكل ما يأخذه الموظف من الناس أو من أموال المسلمين العامة بدون إذن ولى الأمر ، اعتبره الإسلام غلولاً محرَّماً ، يحمله صاحبه يوم القيامة عاراً وناراً ، سواء أخذه باسم المكافأة ، أو باسم السعى ، أو باسم الهدية ، لما ورد فى الصحيحين عن عبد الرحمن بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : استعمل النبى ﷺ رجلاً على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أُهدى إلىَّ ، فقام صلى الله عليه وسلم على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله ، فيأتى فيقول : هذا لكم وهذا أُهدى إلىَّ ، أفلا جلس فى بيت أبيه أو أُمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ، والله لا يأخذُ أحدكم شيئاً بغير حقه إلا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفنَّ أحداً منكم لقى الله يحملُ بعيراً له رغاءً ، أو بقرةً لها خوارٌ ، أو شاةً تيعر » ، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض أبطيه فقال : « اللَّهُمَّ هل بَلَّغت ... » ؟ (١) .

تأملوا اهتمام النبى ﷺ بما فعله عامله على الصَدَقة وإنكاره ذلك الإنكار الشديد ، وإشهارَه أمام الناس ، وتحذيرَهم من سوء عاقبته ، مما يدل على أن أخذ الموظف هدية من أجل عمله منكر عظيم وإثم كبير ، وخطر على المجتمع والمصالح العامة ، فإذا كان هذا حال مَن يأخذ هدية ، فما هى حال رجال يتخوضون فى مال الله بدون حق ؟ يتحيلون على أخذ الأموال بالباطل

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح : ١٣/١٨٩ ، ومسلم (١٨٣٢) من حديث أبى حميد الساعدى .

بجميع أنواع الحيل : كذب وغش واختلاس وخداع وخفر أمانة ، أُولئك أخشى عليهم أن يدخلوا تحت قول النبى ﷺ : « إن رجالاً يتخوضون فى مال الله بدون حق فلهم النار يوم القيامة » (١) .

إن أخذ شىء من الأموال العامة للمسلمين بدون حق ، سواء أكانت من الغنائم التى لم تقسم ، أو من الأموال المعدَّة للمصالح العامة ، أو من أموال الزكاة المخصَّصة للفقراء والمساكين ، كل ذلك غلول مُحَرَّم يحمله صاحبه يوم القيامة قليلاً كان أو كثيراً ، وزماماً فى عنقه يجره إلى النار : ﴿ وما كان لنبى أن يَغُل ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ، ثم تُوفَّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ (٢) .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كان على ثِقل النبى ﷺ رجل فمات ، فقال رسول الله ﷺ : « هو فى النار » فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلَّها (٣) ، وامتنع - صلى الله عليه وسلم - من الصلاة على رجل قد غَلَّ يوم خيبر ، وقال : « إن صاحبكم قد غَلَّ فى سبيل الله » ، ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزاً من خرز اليهود ما يساوى درهمين (٤) ، فما بالكم بالذين يخفرون ذممهم ويخونون أماناتهم ويضيعون المصالح العامة والحقوق المشروعة من أجل مصالحهم الخاصة ، ويل لهم من سخط الله إن لم يتوبوا ، وويل لهم من سطوة الجبَّار إن لم يُنيبوا .

فاتقوا الله عباد الله ، اتقوا الله أيها الناس . . إن المال الحرام لا خير فيه

---

(١) صحيح البخارى : ٤/١٠٣ - ١٠٤ ، طبعة دار ومطابع الشعب .

(٢) سورة آل عمران : ١٦١

(٣) صحيح البخارى : ٤/٩١ ، ومسلم .

(٤) أخرجه أبو داود (٢٧١٠) ، والنسائى : ٤/٦٤ ، وابن ماجه (٢٨٤٨) .

ولا بركة ، ولا سعادة فيه ولا سرور ، كيف يُسَر جسد غُذِى بالحرام والنار أولى به ؟

أم كيف تطمئن نفس عاشت فى الحرام وهى فى معزل عن ربها تبارك وتعالى ؟ فإن تصدَّق لم تُقبل صدقته لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً (١) ، وإن صَلَّى وفى جوفه حرام لم تُقبل صلاته حتى يتوب ، وإن دَعَى لم يُستجب له ، وإن حج لم يُقبل حَجَّه : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)، وإن خلَّفه من بعده التهبَ عليه ناراً ، وإن تركه لورثته تعلقوا به يحمل أوزارهم كاملة يوم القيامة .

اتق الله أيها المسلم .. كن مسلماً حقاً ، فى سلوكك ومعاملاتك وأخلاقك ، سر على نهج الإسلام ولو كنت غريباً ، طُوبَى للغرباء ، أطب مكسبك وحاسب نفسك وأحسن التصرف فى مال الله الذى ولاك عليه ، « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئةَ الحسنةَ تمحها ، وخَالِق الناس بخُلُق حسن » (٣) .

اللَّهُمَّ إنا نسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، اللَّهُمَّ اكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عن من سواك (٤) .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) حديث : « إن الله طيب .... » أخرجه مسلم (١٠١٥) .

(٢) سورة المائدة : ٢٧

(٣) الترمذى (١٩٨٧) ، وأحمد : ٥/١٥٣ ، والحاكم : ١/٥٤ ، وسنده حسن .

(٤) الترمذى (٣٥٥٨) وهو حسن .

بسم الله الرحمن الرحيم

الدنيا حُلوة خضرة

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (١) .. والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى ، واعلموا أن : « الدنيا حلوة خضرة » (٣) ، ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ (٤) ، ولكنها لا تستقيم على حال ، فما أضحكت إلا وأبكت ، ولا أعطت إلا ومنعت ، فلا يغتر بخضرتها وروائها إلا مغرور ، وهى ضرَّة للآخرة دار البقاء والوفاء والدوام ، فالعاقل يعطى دنياه حقها كمتاع لآخرته ، ويعطى آخرته حقها كدار مقام ومستقر له : ﴿ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (٥) ، ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٩٣ من سورة البقرة .

(٣) صحيح مسلم (٢٧٤٢) .

(٤) سورة آل عمران : ١٤

(٥) سورة الضحى : ٤

(٦) سورة الأنعام : ٣٢

وإن المال من زينة الحياة الدنيا وشهواتها حُبِّبَ إلى النفوس ، وبه قوام الحياة ، وفيه زهرة الدنيا ، وهو فتنة يُختبر فيه الناس ، فحلاله حساب وحرامه عقاب ، فسيُسئل المرء عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟

فأطيبوا مكسبكم واكتفوا بالموارد الحلال عن الحرام ، وأحسنوا تفريق أموالكم فى مصارفها المشروعة والمباحة ، وأدُّوا حق الله فيها وأحسنوا إلى الفقراء والمساكين وذوى القربى ، فإن الصدَقة حجاب عن العقوبة وستر من النار : « إن الصدقة لتُطفئ غضب الرب تعالى كما يُطفئ الماءُ النارَ »(١) ، « اتقوا النار ولو بشِق تمرة »(٢) .

واحذر أن تصرف مال الله الذى آتاك فى معصيته ، فبئس الصنيعُ مقابلةُ الإحسان بالإساءة ، وتلَقّى النعم بكفرها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾(٣) .

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾(٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صَلَّى علىَّ مرة واحدة صَلَّى الله عليه بها عشراً »(٥) .

---

(١) أخرجه الترمذى (٦٦٤) ، وإسناده ضعيف .

(٢) صحيح البخارى : ٨/ ١٤٠ ، ومسلم : ٢/ ١٠٤

(٣) سورة الحشر : ١٨ - ٢٠

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

(٥) أخرجه العلامة إسماعيل بن إسحاق القاضى فى فضل الصلاة على النبى ﷺ برقم (٨) ، وذلك من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (ص ٢٦) ، وإسناده صحيح .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبَارِك وأنْعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية أصحابه أجمعين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّرْ أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهُمَّ أدم الأمن والاستقرار فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما تحب وترضى ولما فيه صلاح العباد والبلاد .

اللَّهُمَّ أصلح جميع ولاة أُمور المسلمين ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وافتح بصائرهم لمعرفة الحق واتباعه .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين ، الأحياء والميتين .

اللَّهُمَّ فَرِّج هَم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه يزدكم : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

الباب الرابع

مُتنوَّعات

ويشتمل على ثلاث عشرة خطبة

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٧ - فى الوصيـــة (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الجوَّاد الكريم ، تكفَّل بأرزاق خلقه ، وقسَّم بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، بالمؤمنين رؤوف رحيم (٣) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الناصح الأمين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى ، فإنَّ التقوى تسمو بالإنسان إلى شرف العلا ، إلى صفاء الضمير وطهارة السلوك ، وكثيراً ما تُختم آيات التشريع والتوجيه بالتقوى ، فالتقوى هى الميزة الوحيدة للإنسان عن بقية المخلوقات ، وهى الرباط الوثيق الذى يشد الحواس إلى طاعة الله ، وهى الزاجر القوى الذى ينهى عن مخالفة أوامر الله ، وهى السبب المتين الذى يصل العبد بخالقه تبارك وتعالى ، ثم هَلُمَ بتأمل آية كريمة ترسم جانباً من جوانب النظام

---

(١) ألقيت يوم ٣/٨/١٤١٢ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة الزخرف .

(٣) إشارة إلى الآية ١١٧ من سورة التوبة .

الإسلامي هي قوله تبارك وتعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ (١) .

هذه الآية نزلت قبل آية المواريث ، وكانت الوصية واجبةً للوالدين والأقربين على أصح القولين ، فلما نزلت آية الفرائض نُسخت آية الوصية وصارت المواريث المقدرةُ فريضةً من الله ، يأخذها أهلوها حتماً من غير وصية ولا تحمل مِنَّة من الموصى ، ولهذا جاء عن النبى ﷺ فى حديث عمرو بن خارجة قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يخطب وهو يقول : « إنَّ الله قد أعطى كلَّ ذى حق حقه فلا وصية لوارث » (رواه أهل السنن) (٢) .

أما الأقارب الذين لا ميراث لهم ، فتُستحَب الوصية لهم من الثُّلُث استئناساً بآية الوصية وشمولها ، ولما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر قال : قال رسول الله : « ما حق امرىء مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » (٣) ، قال الراوى عبد الله بن عمر : ما مرَّت علىَّ ليلة منذ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندى وصيتى (٤) ، والوصية لغير

---

(١) سورة البقرة : ١٨١ - ١٨٢

(٢) أبو داود برقم (٢٨٧٠) فى الوصايا ، والترمذى فى الجامع برقم (٢١٢١) من حديث أبى أمامة مرفوعاً بهذا اللفظ ، وإسناده صحيح مع الشواهد الكثيرة ، والبغوى فى شرح السُّنَّة : ٨/ ٣٣٢ فى تعليق المؤلف .

(٣) البخارى برقم (٢٧٣٨) : الوصايا ، الباب الأول ، ومسلم فى الوصايا برقم (١) خاص وعام (١٦٢٧) .

(٤) هذا لفظ مسلم : ٣/ ١٢٥٠ معلقاً ثم أسنده فى نفس الرقم (١٦٢٧) ، وقد تكلم عليه الحافظ فى الفتح : ٥/ ٣٥٩ فراجعه .

وارث مُستحَبة لمن ترك مالاً يزيد عن كفاية ورثته ، أما مَن كان ماله قليلاً فلا تُستحَب له الوصية بل يَتْركُه كلّه لذُرِّيته .

وتكون الوصية المستحَبة فى حدود الثُّلُث أو أقل للحديث المتفق عليه عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : مرضتُ عام الفتح مرضاً أشْفَيتُ على الموت ، فأتانى رسول الله ﷺ يعودُنى ، فقلت : يا رسول الله ؛ إن لى مالاً كثيراً وليس يرثنى إلا ابنتى ، أفأوصى بمالى كلِّه ؟ قال : « لا » ، قلت : فثلثى مالى ؟ قال : « لا » ، قلت : فالشطر ؟ قال : « لا » ، قلت : فالثُّلُث ؟ قال : « الثُّلُثُ ، والثُّلُثُ كثير ، إنك إن تذر ذُرِّيتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، إنك لن تُنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أُجِرْتَ بها ، حتى اللُّقمة ترفعها إلى فَىِّ امرأتك » (١) .

وروى الإمام أحمد عن حنظلة بن جُذيم بن حنيفة : أن جده حنيفة أوصى ليتيم فى حجره بمائة من الإبل ، فشقَّ ذلك على بنيه ، فارتفعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حنيفة : إنى أوصيتُ ليتيم لى بمائة من الإبل كنا نسميها المطية ، فقال النبى ﷺ : « لا ، لا ، لا ، الصدقة خمسٌ ، وإلا فعشرٌ ، وإلا فخمسَ عَشْرة ، وإلا فعشرون ، وإلا فثلاثون ، وإلا فخمسٌ وثلاثون ، فإن كثرت فأربعون » (٢) .

أما مَن كان عنده حقوق واجبة للناس مثلُ : الوديعة والأمانة والعارية ، أو الدَّيْن ، وحقوقٌ واجبةٌ لله ، مثل حج واجب لم يؤده وقد استطاع ،

---

(١) البخارى برقم (٢٧٤٢) من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، ومسلم : ٣/ ١٢٥٠ ، ١٢٥١ برقم (٥) خاص وعام (١٦٢٨) .

(٢) أحمد : ٥/ ٦٧ - ٦٨ ، وإسناده صحيح ، وأورده العلامة الهيثمى فى المجمع : ٤/ ٢١٠ - ٢١١ ، وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

أو كفَّاراتٌ مالية واجبة ، فالوصية فى حق هذا واجبة ، لأن أداء الحقوق وأداء الأمانات واجب ، ولا يخرج من عهدتها إلا بالوصية بها .

وإنفاذ الوصية المشروعة التى ليس فيها إثم ولا جنف واجب ، فمَن بدَّله بعد ما سمعه بِنَقْصٍ أو زيادة أو تغيير أو تدليس ، أو إخفائها وجحدها بالكلية ، فإنما إثمه على الذين يبدلونه (١) ، والإثم كبير لا يطيقه أحد .

أما إذا كانت الوصيةُ مخالفةً لنظام الوصية فى الإسلام كالوصية لوارث ، أو بأكثر من الثُّلُث لغير وارث ، أو بحرمان بعض الورثة من الميراث ، فإصلاح هذه الأخطاء والتوفيقُ بين الورثة والموصَى له مطلوب شرعاً وليس من التبديل المنهى عنه .

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله فى تفسيره عن عبد الرزاق بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة ، فإذا أوصى حاف فى وصيته ، فيُختم له بشر عمله فيدخل النار ، وإنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدلُ فى وصيته فيُختم له بخير عمله فيدخلُ الجنة » (٢) .

إن الحزم والاحتياط يقتضى تدوين ما يحتاج إليه المرء فى مستقبله مما له أو

---

(١) إشارة إلى الآية ١٨١ من سورة البقرة .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف : ٩/٨٨ برقم (١٦٤٥٥) ، وإسناده حسن ، وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ٢/٤٥٤ إلى الإمام أحمد فى المسند ، وكذا عبد بن حميد ، وأبى داود والترمذى وحسَّنه ، وابن ماجه فى سننه .

قلت : أخرجه أحمد فى المسند : ٢/٢٧٨ عن شيخه عبد الرزاق الصنعانى به عنه ، وأخرجه ابن ماجه : الوصايا برقم (٢٧٠٤) ، باب رقم (٣) ، باب : الحيف فى الوصية .

عليه ، وأن يحتاط لنفسه فيقدمُ أمامه زاداً مِن التقوى والبِّرِ والصِّلة ، فيوصى من ماله فى أفعال البِرِ والصِّلة .

والوصية لا تُقَرِّب أجلاً وتركها لا يُبعده ، وقد كثر موت الفُجأة بأسباب متنوعة ، ومما ينبغى الوصية به الولاية على الصغار ، فكثير من الناس لا يهتم بهم ، والوصية عليهم أمر مطلوب فى صالحهم ، وحفظِ حقوقهم .

فاتقوا الله أيها المسلمون . .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الثبات على الأمر والعزيمة على الرُّشد ، ونسألك إيماناً كاملاً ، ويقيناً صادقاً ، وعملاً صالحاً مقبولاً .

ونسألك حُسْن الاستماع ، وحُسْن الاتباع ، وحُسْن العمل .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين .

واستغفروا ربكم وتوبوا إليه ، إنه هو الغفور الرحيم .

❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

البيع والشراء بعد نداء يوم الجمعة محرم

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ (١) ..

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فإنَّ البيع والشراء والتكسب نظامٌ اقتصاديٌ مباح فى الإسلام ، وهو من مقتضيات التوازن الاجتماعى، الذى يُنَظِّم حياة الإنسان جمعاً بين الفِطْرة والإصلاح ، وبين ميول النفس واتصالها بالله ، لذلك فإنه لا بد فى كل حال من الأحوال من ربط القلوب بخالقها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (٢) ، والانغماس فى مُشْتهيات النفْس قد يُنسيها واجباتها ، أو يُبعدها عن خالقها ، لذلك فإنه لا بد من فترات يتفرغ فيها القلب عن شواغل الحياة ويُخلُص لله وحده ، ويحرم عليه أن يشتغل بغير الله فى تلك الفترة .

فالبيع والشراء بعد الأذان يومَ الجمعة مُحَرَّم ، ولا ينعقد البيع والصفقة

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) سورة المنافقون : ٩

خاسرة حساً ومعنى ، لأن تلك الفترة من الأذان حتى انقضاء الصلاة فترة خصصها الخالق تبارك لنفسه ليتفرَّغ فيها المؤمن لعبادته واستماع الموعظة وذكْر الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

وذلكم أنَّ الله تعالى يريد لعباده الأصلح لهم والأربح والأفضل والأبقى ، كان النبيُّ ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فقَدمت تجارة إلى المدينة فى تلك الساعة فتبادرها الناس وخرجوا من المسجد ، ولم يبق مع الرسول ﷺ إلا اثنى عشر رجلاً ، منهم أبو بكر وعمر ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال عليكم الوادى ناراً » ، فأنزل الله جَلَّ شأنه توبيخاً ولوماً وتوجيهاً : ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (٢) .

ويوم الجمعة فضَّله الله تعالى على أيام الأسبوع ، فهو عيدها وسيدها ، ففى الحديث : « أضل الله عن الجمعة مَن كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وللنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأوَّلون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق » . (رواه مسلم) .

---

(١) سورة الجمعة : ٩ - ١٠

(٢) سورة الجمعة : ١١

وفى يوم الجمعة ساعة مباركة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح .

ففى المسارعة إلى الخير فى هذا اليوم المبارك ، والاستعداد لصلاة الجمعة بالنظافة والطيب ولُبْس أحسن الثياب ، والتبكير إليها والمشى بالسكينة والوقار والذكر فى أثناء الطريق ، فإنه فى عباده .

فعن أوس الثقفى رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن غسَّل واغتسل يوم الجمعة ، وبكَّر وابتكر ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام واستمع ، ولم يلغ ، كان له بكل خطوة أجر سنة : صيامِها وقيامِها » ، وهذا الحديث أخرجه أهل السنن الأربعة ، وحسَّنه الترمذى ، وله طرق .

وفى حديث أبى هريرة قال صلى الله عليه وسلم : « مَن اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة ، ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرَّب بدنة ، ومَن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة ، ومَن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشاً أقرن ، ومَن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة ، ومَن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » (متفق عليه) .

وغُسل يوم الجُمُعة واجب على كل بالغ لإزالة الروائح وآثار العَرَق ، لأنه سيجتمع بإخوانه وبالملائكة ، فوجب إزالة ما يؤذى ، إن الاستماع إلى الخطبة واجبٌ ، والإنصات واجبٌ ، سواء كان عربياً يعرفها أم لا ، وسواء كان يسمع أم لا ، لأن المقام مقام خشوع وإنصات وتذلل لله تعالى ، وتلقى للرحمة ، من مَسَّ الحصى فقد لغى ، ومَن لغى فلا جُمُعة له .

والذى يأتى متأخراً ثم يأخذ فى شق الصفوف أو تَخطِّى الرِّقاب يبحث عن مكان ، فقد آذى المسلمين بغير ما اكتسبوا ، فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . بكِّروا إلى الجمعة واعملوا بسنتها وواجباتها ، واحذروا كل الحذر من اللَّغو وإيذاء المسلمين .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . . إلى آخر الدعاء .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) .

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٨ - خُلِقَ الإنسان للعبادة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [٢] ، خلق الجن والإنس لعبادته [٣] ، فمَن أطاعه أفلح ونجى ودخل الجنَّة ، ومَن عصاه خسر وهلك ودخل النار .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، غَنِىٌّ عن العالمين ، لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهُدَى ودين الحق ليُظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فإنَّ الإنسان المتبصرَ فى نفسه المتأملَ وجودَه فى هذه الحياة يعلم أن الذى خلقه هو الله ، ويتأمل : كيف خُلِق ، وإلى أين يذهب ، ولأى شىء خُلِق .

والقرآن الكريم قد بيَّن خلق الإنسان ، والهدفَ الأساسى من خلقه ومآله بعد هذه الدنيا ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن

---

(١) ألقيت يوم ١١/٨/١٤١٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة الذاريات .

طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ
مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا
ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (١) .

وقال جلَّ شأنه : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن
رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ (٢) .

فالإنسانُ يتقلب فى أطوار الخلقة وأكوان الإرادة فى تسع حالات :

الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾ (٣) ، السلالة : الخلاصة تُسَل من بين الكدر ، فالخالق تعالى قبض قبضةً من الأرض ، فصيَّرها طيناً لازباً وحمأً مسنوناً ، وصوَّر منها آدمَ عليه السلام ، فصار صلصالاً كالفخار ، ثم نفخ فيه الروح فصار بَشَراً سوياً ، فأصل الإنسان طين كما قال تعالى : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴾ (٤) .

وروى الإمام أحمد رحمه الله أن النبى ﷺ قال : « إنَّ الله خلق آدم من قبضةٍ قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأبيضُ والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب وبين ذلك » (٥) ، وخلق من آدم زوجه (٦) ، وأودع كلَّ نسل فى أصله ، وأخرج ذُرِّيَّة بنى آدم

---

(١) سورة المؤمنون : ١٢ - ١٦

(٢) سورة الذاريات : ٥٦ - ٥٧

(٣) سورة المؤمنون : ١٢

(٤) سورة الروم : ٢٠

(٥) رواه أحمد فى المسند ، وأبو داود فى سننه ، والترمذى فى جامعه ، والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى سننه ، عن أبى موسى ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (١٧٣٤) ورمز له بالصحة .

(٦) إشارة إلى الآية ١ من سورة النساء .

أمثال الذَّر ، وأخذ عليهم العهد والإقرار بربوبيته : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (١) .

الحالة الثانية : قوله جلَّت عظَمتُه : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ (٢) ، النُطْفَة : قَطَرة قليلة من الماء ، وهى ماء الرجل يخرج عند الجماع فيصل إلى رحم الأُنثى ، فيلتقى الماءآن فيكونا أمشاجاً ، فإذا أراد الله خَلقَ من هذا الخليط جنيناً ، تلقَّحت البويضة وعلقت بجدار الرحم فتتغذى بدم الأُم ، ومع هذا قد تختلف فصيلة دم الجنين عن فصيلة أُمه ، فسبحان العليم الخبير .

الحالة الثالثة : تحويل النُطْفة علقةً ، قطعة دم أحمر جامدٍ مستطيلة ، على شكل العَلَقة فى خلال أربعين يوماً فتعلق بالرحم .

الحالة الرابعة : تحويل العَلَقة قطعةَ لحم قليلة على قدر ما يُمضغ ، لا شكل فيها ولا تخطيط ، وذلك فى خلال أربعين يوماً أيضاً .

الحالة الخامسة : تحويل قطعة اللَّحم عظاماً مُشكَّلةً ذات رأس ويدين ورجلين بعَصبِها وعروقها فى خلال أربعين يوماً ، فهذه مائة وأربعون يوماً أى أربعة أشهر .

السادسة : قوله تعالى : ﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ﴾ (٣) قال ابن عباس رضى الله عنه : وفى العشر بعد الأشهر الأربعة يُنْفخُ فيه الروح ، فذلك عدة المتوفى عنها زوجها أربعةُ أشهر وعشرةُ أيام .

وفى الحديث المتفَق عليه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدَّثنا

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٢

(٢) سورة المؤمنون : ١٣

(٣) سورة المؤمنون : ١٤

رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : « إن أحدكم يُجمع خلقُه فى بطن أُمه أربعين يوماً نطفةً ، ثم يكون علقةً مثل ذلك ، ثم يكون مُضْغة مثل ذلك ، ثم يُرسَل إليه المَلَك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقىٌ أو سعيدٌ . . . . . . » (١) ، اللَّهُمَّ اجعلنا من السعداء .

الحالة السابعة : قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ (٢) خُلقت فيه جميع الأعضاء والأجهزة والمنافع والحواس ، حركةٌ واضطرابٌ ، فينمو ويكبر حتى يستتمَّ ويأذن الله له بالخروج : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ (٣) ، فهو الخالق وحده مُتْقِن خلقَه ، فليست « أحسنُ » هنا للتفضيل وإنما هى للحُسْن المطلق فى خلق الله .

وأما ما قصَّه القرآن عن عيسى فليس بخلق ، إنما يعمل السبب والخالق هو الله تعالى ، كما نصَّت على ذلك آية المائدة : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾ (٤) ، فعملُ عيسى عليه السلام تصوير الطين كهيئة الطير بإذن الله ، والنفخ فى الصورة بإذن الله ، والله تعالى يُكوِّنها طيراً بإذنه وقُدرته ، فالخالق المُبْدِع المنشئُ هو الله جلَّت عظمته وتقدَّست أسماؤه .

وفى الحديث المتفق عليه : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى » (٥) ، فجعل التصوير خلقاً .

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، كما رواه أبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه ، عن ابن مسعود ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٢١٧٩) ورمز له بالصحة .

(٢) سورة المؤمنون : ١٤

(٣) سورة المؤمنون : ١٤

(٤) سورة المائدة : ١١٠

(٥) جزء من حديث متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وأحمد =

الحالة الثامنة : قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ (١) أى بعد الخلق والحياة تفارق الأرواح الأبدان وتعود تلك الأجساد الناعمة والوجوه الناضرة والقلوب المتقلبة والعظام الصلبة تعود رُفاتاً وتراباً : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (٢) ، ولا يبقى من الإنسان إلا عَجْب الذَّنَب وهو أسفل الصلب ، فإنه لا يتفتتُ ينبتُ منه الإنسان يوم القيامة .

روى الشيخان رحمة الله عليهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كلُ ابن آدم يأكله التراب إلا عَجْب الذَّنَب منه خُلِق ، ومنه يُركَّب » (واللفظ لمسلم) (٣) .

ولم يُذكر فى الآية القبرُ وما فيه ، لأن الغَرَض ذِكْر النَّشْأة والإماتة والإعادة ، وهى داخلة فى الإعادة ومن جنسها .

الحالة التاسعة : قوله جَلَّ شأنه : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (٤) ، فَيَنفخُ إسرافيل عليه السلام النفخة الثانية فينبت الناس من قبورهم كالزراعة فى حميل السَّيْل : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) ، فيُحاسِب الجبارُ

= فى مسنده ، عن أبى هريرة ، ونصه : « قال الله تعالى : ومَن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقى ؟ فليخلقوا حبَّة ، أو ليخلقوا ذَرَّة ، أو ليخلقوا شعيرة » ، (ذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٦٠٢٧) .

(١) سورة المؤمنون : ١٥

(٢) سورة طه : ٥٥

(٣) رواه مسلم فى صحيحه ، وأبو داود والنسائى فى سننهما ، عن أبى هريرة ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٦٢٧٠) ورمز له بالصحة .

(٤) سورة المؤمنون : ١٦

(٥) سورة المطففين : ٦

الخلائقَ ويُوفى كل عامل عمله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ (١) .

وفى أطوار هذه النشأة وتتابعها بهذا النظام ما يشهد بوجود الخالق تعالى وما يشهد بالقصد والتدبير ، فالأمر لم يكن بفعل الطبيعة ، ولا بالتطور والارتقاء من حيوان إلى إنسان ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وإنما هو بإرادة الرب تعالى وفعْله وحُسن تدبيره وإتقان صُنعه . فالإيمان بالخالق تعالى وبكمال قدرته وقهر إرادته لمخلوقاته ، هو الطريق إلى بلوغ الكمال والعِزَّة والسعادة للإنسان فى الدنيا والآخرة . فمن أجل الابتلاء والاختبار خُلقَ الإنسان : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٢) ، يُبتَلَى الإنسان بالأمر والنهى ، بالأمر بالعبادة وبالنهى عن المحرَّمات . فالإنسان خُلق لوظيفة شريفة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (٣) .

فاتقوا ربكم . . فمَن قام بهذه الوظيفة حقَّقَ غايةَ وجوده وميَّزَ نفسه عن الحيوان ، ومَن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده وأصبح بلا وظيفة يشبه الحيوان ، حياته فارغة من القصد والهدف الأسمى ، فالمقصود من خلق الإنسان العبادة (٤) ، وهى اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال ، فيدخل تحتها أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة ، وركن

---

(١) سورة الزلزلة : ٧ - ٨

(٢) سورة الإنسان : ٢ - ٣

(٣) سورة الذاريات : ٥٦ - ٥٨

(٤) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة الذاريات .

الإحسان (١) ، والقيامُ بشريعة الله فى أرضه وتحقيقها بين خلقه ، كما تشمل أنواعاً من النشاطات فى إعمار الأرض والتعرُّف على ذخائرها ومكنوناتها وتحقيق إرادة الله فى استعمالها .

اللَّهُمَّ أعِنَّا على شكرك وذِكرك وحُسن عبادتك ، ووفقنا لما تحب وترضى من الأقوال والأفعال ، واهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق ، وبارِك لنا فى شعبان وبَلِّغنا رمضان ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه الذى أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام عن أبى هريرة ، ورواه مسلم فى كتاب الإيمان عن عمر بن الخطاب وفيه : « الإسلام أن تشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعتَ إليه سبيلاً » .

فهذه أركان الإسلام الخمسة ، أما أركان الإيمان الستة فهى : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقَدَر خيره وشره » .

أما ركن الإحسان : فـ « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تخطى الرقاب

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .. حَثَّ على الشهامة وحفظ الكرامة .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، حَثَّ على التآلف وأسبابه ، ونهى عن التنافر وموجباته .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بُعِثَ معلِّماً وموجِّهاً ومؤدِّباً .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهديه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فإن من الآداب الإسلامية ، والأخلاق الحسنة إذا أتى المسلمُ المسجدَ أن يكون حيث تنتهى الصفوف ولا يتخطَّى رقاب المسلمين ، بحثاً عن مكان فى مقدم المسجد ، فالذى يريد المقدم يُبكِّر مثل إخوانه المسلمين ، والتخطى إيذاء والإيذاء إثم كبير وخطيئة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٢) .

فإن رأى فُرْجَة لا يصل إليها إلا بالتخطى مثل الذين يبقون فى الأبواب والطرقات والمؤخر ويتركون المقدَّم خالياً يتخطَّى دون إيذاء أحد وإنما يتخلل مع الفتحات برفق وسكينة . قال الحسن البصرى رحمه الله : تخطوا رقاب الذين

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة الأحزاب : ٥٨

يجلسون على أبواب المساجد فإنه لا حُرْمة لهم . وإذا دخل فى المسجد وبدت له حاجة خرج ولو بالتخطى .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حُسْن الخلق وحُسْن الأدب مع إخواننا المسلمين وفى مسجد رسول الله ﷺ .

وصَلُّوا على البشير النذير ......

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٩ - راحة البـــال (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ، أكمل ديننا وهدانا لمعالم دينه الذى ارتضاه لنفسه (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، لا راحة إلا بالتوكل عليه ، ولا فَوْز إلا بطاعته ، ولا عِزّ إلا بالخضوع له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على شريعته وحُجَّته على خلقه .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإنَّ من أهم مطالب الإنسان فى هذه الحياة راحةَ البال وانشراحَ الصدر ، فلا لذَّة للحياة ، ولا طيب للعيش إلا براحة النفس وانشراح الصدر .

فشرح الصدر قوة للمؤمن ، بها يتحمل الأذى ويصبر على البلاء ، وينهض بالأعباء ، فهذا موسى عليه الصلاة والسلام لما أرسله الله إلى فرعون وهو أكبر مَلِكٌ فى زمانه ، وهو أشـــد الناس طُغياناً وتكبر وكفراً . قال عليه السلام :

---

(١) ألقيت يوم ٢٧/ ٥/ ١٤١٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾ (١) ، فبشرح الصدر يكون المؤمن قوياً فى جانب الحق ، مرتاح البال فى كل ميدان ، يجده عوناً فى كل الأمور ، لأنه دليل التوكل على الله .

وأعظم أسباب شرح الصدر الإيمانُ بالله وبرسالاته ، وتوحيده فى صفاته وأسمائه وأفعاله ، وإفرادُه بأفعال العباد ، وعلى حسب كمال الإيمان وقوته يكون شرح الصدر . قال تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ (٢) ، ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (٣) ، فالتوحيدُ والهُدَى من أعظم أسباب شرح الصدر ، والشِّرك والبدع والضلال من أكبر أسباب ضيق الصدر .

ولئن وجد بعض الناس فرحاً وسروراً فى غير طاعة الله وفى غير توحيد الله ، فإنما هى راحة مؤقتة وانشراح زائل لا يلبث أن ينقلب حسرة وضيقاً وندامة .

ومن أسباب انشراح الصدر وراحة النفس : العلمُ بكتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بهما ، فكلما اتسع علم المؤمن بشريعة الله انشرح صدره .

فعلماء الإسلام أكثرُ الناس انشراح صدر وراحة بال وطيب عيش على ما كانوا عليه ، وهم أنفع الناس للناس وأكثرهم نُصْحاً لأُمَّة محمد ﷺ .

---

(١) سورة طه : ٢٥

(٢) سورة الزمر : ٢٢

(٣) سورة الأنعام : ١٢٥

ومن أسباب انشراح الصدر : الإنابة إلى الله تعالى ومحبته ومحبةُ رسوله صلى الله عليه وسلم محبةً ذاتيةً دينية شرعية توجب امتثال الأمر والوقوف عند النهى ، والعمل بأقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، فلا يزيد المحبُّ بلا علم ولا ينقص بلا عذر ، للحديث الصحيح : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » ،

وفى رواية : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » (١) أى مردود على صاحبه غير مقبول ، فمحبة الله ومحبة رسوله ﷺ أُنس وراحة وسرور : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٢) .

والإعراض عن الله وعن سُنَّة رسوله ﷺ من أسباب ضيق الصدر وغم النفس ، وتسلط الأعداء : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (٣)، وصفاء القلب وطهارة النفس وحُسْن الظن من أسباب انشراح الصدر ، لأنها صفات خَيِّرة تربط المؤمن بإخوانه ، فتزول الحواجز ويحصل تبادل المشاعر النظيفة ، وتحْمِلُ على التعاطف والتراحم والإحسان ، وضبط اللِّسان عن الغَيْبة والنميمة وفضول القول ، والكلام بلا علم .

فالصفات المذمومة شرعاً تسبب ضيقَ الصدر وتكديرَ النفس ، لأن الغَيْبة والنميمة والكلام البذئ لا تصدر إلا عن ضيق الصدر إما لحقد أو لحسد .

والإيمان بالقَدَر من أسباب انشراح الصدر ، فإذا علم الإنسان أن ما أصابه

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده ، عن عائشة رضى الله عنها ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٨٨٦٨) ورمز له بالصحة .

(٢) سورة الرعد : ٢٨

(٣) سورة طه : ١٢٤

لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، لم يفرح بما أُوتِىَ فرحاً مذموماً ، ولم يندم على ما فات ، ولا يجزع لما أصابه . قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١)، فهذا الوجودُ الضخمُ أمامنا لا يقع فيه حدَثَ ، من خير وشر ، ومطلوب ومكروه ، من قحط وزلازل ، وخسْف وأمن وخوف ، ومن صحة وأمراض وأوصاب وأسقام وحياة وموت ، إلا وهو مُقَدَّر فى اللَّوح المحفوظ ، كائن فى علم الله أنه سيكون فى وقته المحدَّد له بالزمان والمكان والصفة ، قبل أن يخلق الخليقة ، وقبل أن يبرأ النَّسَمة كما قال جلَّت عظمته : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ (٢) .

فاتساعُ أُفق التأمل والإيمانُ بالقَدَر ورؤيةُ الأحداث فى مواضعها المقدَّرة فى علم الله الثابتة فى تصميم هذا الكون ، كل ذلك يشرح الصدر ويجعل النفس أفسح وأكبر وأكثر ثباتاً ورزانة فى مواجهة الأحداث العابرة ، وإنما يجزع الإنسان وتَسْتخفُّه الأحداث حين ينفصل اتصاله بالله ، وحين يفقد إيمانه بالقَدَر (٣) .

أما حين يتصل بالله ويؤمن بأن ما حصل مقدور ومرسوم ، فإنه يحس بالراحة والطمأنينة لمواقع القَدَر ، وهذه مرتبة عالية لا يدركها إلا القليل ،

---

(١) سورة الحديد : ٢٢ - ٢٣

(٢) سورة يونس : ٦١

(٣) القرطبى : ٢٧/١٢٦ ، ١٢٧

ولكن المطلوب من المؤمن ألا يخرجه الألم بالضَرَّاء ولا الفرح بالسَرَّاء عن دائرة الاتصال بالله .

روى عن عكرمة بن عمرو بن هشام رضى عنه - وقيل : عن ابن عباس رضى الله عنهما - أنه قال : « ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ، ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً » (١) .

أى فلا يفرح فرحاً يستخفه ويُذهله ولا يأسَ أسىً يُضعفه ويُزلزله .

ذكر القرطبى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن نبى الله ﷺ قال : « لا يجد أحدكم طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه » ، ثم قرأ : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (٢) .

وروى عن بعض الفضلاء أنه قال : يا ابن آدم ؛ مالكَ تأسَ على مفقود لا يرده عليك الفوت ، ومالك تفرحُ بموجود لا يتركه فى يدك الموتُ ؟

وقيل لبعض الصالحين : مالك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت ؟ قال : لأن الفائت لا يُتَلافَى بالعَبْرة ، والآتى لا يُستدامُ بالحَبْرة .

والفرح المذموم يجر صاحبه إلى الاختيال والفخر والتكبر ، وكلها من الشِّرك الخفى ، ولذلك أبغضه الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٣) ، فالمختال الذى يعجبُ بنفسه وبما أُوتى ، والفَخُور هو الذى ينظر إلى الناس بعين الاحتقار والازدراء ، والفَخُور بمنزلة الشاة المصراة تُشد أخلافها ليجتمع فيها اللَّبن فيتوهم المشترى أن تلك عادتها ، فما يلبث أن

---

(١) ابن كثير : ٤/ ٣١٤ ، والقرطبى : ١٩/ ٢٥٨

(٢) سورة الحديد : ٢٣

(٣) سورة لقمان : ١٨

يكشف حالها ويعرف حقيقتها ويعلم أنها مصراة وأنه خُدِع بها فيردَها ، فكذلك الذى يرى من نفسه .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ اشرح صدورنا ، ويَسِّر أُمورنا ، واغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، وعرِّفنا بأنفسنا ، واحفظنا من الفخر والخيلاء ، ووفقنا لما تحب وترضى .

واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

❊ ❊

---

(١) سورة الطلاق : ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

احفظ الله يحفظك

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) يرفع القسط ويخفضه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، لا تأخذه سِنَّة ولا نوم (٢) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بَلَّغ رسالة ربه ونصح لأُمَّته .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ، ثم تأملوا هذا الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال لى : « يا غلام ؛ إنى أُعلِّمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجَاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أن الأُمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجَفَّت الصحف » (٣) .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٣) حديث صحيح رواه الترمذى فى جامعه ، عن ابن عباس ، وقال : حديث حسن صحيح .

وفى رواية : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفَرَج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

٥٠ - صفة قبض الروح (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يُحيى ويُميت وهو على كل شىء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ، ونصح للأُمَّة .

صَلَّى الله عليْه وعلى آله وصحبه ، ومَن تبعهم بإحسان وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٣) .

الموت حق لا بد من ملاقاته ، فعلى الإنسان العاقل أن يفكر فى مآله بعد هذه الحياة الدنيا ، فكل واحد يؤمن إيماناً صادقاً بأن الموت سيلاقيه فى يوم من الأيام ، طالت به الحياة أو قصرت : ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ (٤) ، لأننا نشاهد فى

---

(١) ألقيت يوم ١٢/٧/١٣٩٣ هـ .

(٢) سورة الملك : ٢

(٣) سورة آل عمران : ١٠٢

(٤) سورة لقمان : ٣٤

كل يوم عدداً من الراحلين إلى الآخرة : من الآباء والأبناء والأُخوة والأحبة والجيران . ومن المعلوم أن الموت لا يتوقف على سن من العمر معين ، فليس للكبير دون الصغير ، ولا للفقير دون الغنى ، ولا للوضيع دون الشريف : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (١)، فلا يدفعه جاه ولا سلطان ، ولا يرده مال ولا أعوان ، ولا يحول دونه الحُجَّاب ولا الحصون : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (٢) ، ولو جُعِل البقاء لأحد من الخلق لكان أولى به سيد الأوَّلين والآخرين الذى هَدَى الناس إلى صراط الله المستقيم صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ (٤) .

فعلى الإنسان العاقل أن يفكر فى مآله وكيف تكون حاله إذا دنت مَنِيَّته ، وبلغت الروح التراق ، وظن أنه الفراق (٥) ، عليه أن يفكر على أى جنب يكون مصرعه ؟ وعلى أى هيئة تُقبض روحه ؟ ومن هو الوفد الذى يستقبله ؟ وكيف نُزُله ومدخله ؟ هل يجد القبر روضة من رياض الجنَّة وفيه جليس أنيس ؟ أو يجده حفرة من حفر النار ، وفيه جليس مخيف ؟

عليه أن يتصور تلك الحال التى لا بد من المرور عليها ، عليه أن يستحضر سكرات الموت ونزعات الروح ، إذا تشنجت أعضاؤه وانعقد لسانه وشَخَصَ

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٥ ، والأنبياء : ٣٥ ، والعنكبوت : ٥٧

(٢) سورة النساء : ٧٨

(٣) سورة الأنبياء : ٣٤

(٤) سورة الزمر : ٣٠ - ٣١

(٥) إشارة إلى الآيتين ٢٦ ، ٢٨ من سورة القيامة .

بصره ، والأهل حوله يبكون ، والأولاد فى البيت يتصاؤون ، والمال فى الخزائن مكنون : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (١) .

واستمعوا إلى هذا الحديث النبوى الشريف ، فإن فيه موعظة للمتقين ، وذكرى لمن كان له قلب سليم ، عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : خرجْنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يُلْحَد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله وكأنَّ على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت فى الأرض ، فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » - مرتين أو ثلاثاً - ثم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنَّة ، وحَنُوط من حَنُوط الجنَّة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجئ مَلَك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة ؛ اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فَىِّ السقاء فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طَرْفة عَيْن حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن ، وفى ذلك الحَنُوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدَت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون - يعنى بها - على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ، حتى ينتهون بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيُفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهون بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله عَزَّ وجَلَّ : اكتبوا كتاب عبدى فى عَلِّيين وأعيدوه إلى الأرض ، فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أُخرجهم تارة أخرى ، قال : فتُعَاد روحه فى جسده فيأتيه مَلَكان

---

(١) سورة الشعراء : ٨٨ - ٨٩

فيُجلِسانه فيقولان له : مَن ربك ؟ فيقول : ربى الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام . فيقولان : ما هذا الرجل الذى بُعثَ فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنتُ به وصدَّقتُ ، فينادى منادٍ فى السماء : أنْ صدق عبدى فافرشوه من الجنَّة وألبسوه من الجنَّة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويُفْسَح له فى قبره مدّ بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذى يَسُرُّك ، هذا يومك الذى كنتَ تُوْعَد ، فيقول له : من أنت ؟ ، فوجهك الوجه يجئ بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المُسوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجئ مَلَك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ؛ اخرجى إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتُفَرَّق فى جسده فينتزعها كما يُنتزَع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طَرْفة عَيْن حتى يجعلوها فى تلك المُسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجِدَت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يُسمى بها فى الدنيا ، حتى يُنتهَى به إلى السماء الدنيا ، فيُستفتح له فلا يُفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأعراف : ٤٠

فيقول الله عزَّ وجلَّ : اكتبوا كتابه من سجِّين فى الأرض السُّفلَى ، فتُطرح روحه طرحاً ، ثم قرأ : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (١) ، فتُعاد روحه فى جسده ، ويأتيه ملَكان فيُجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدرى . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدرى . فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بُعِثَ فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدرى . فينادى منادٍ من السماء : أنْ كذب ، فافرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حَرِّها وسمومها ، ويُضَيَّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، نتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوءك ، هذا يومك الذى كنتَ تُوْعَد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : ربِّ لا تُقِم الساعة » (٢) .

هذا حديث صحيح ، فاعتبروا يا أُولى الألباب .

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُ بك من عذاب النار وعذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجَّال .

اللَّهُمَّ ثَبِّتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ (٣) ، وقَدِّموا لأنفسكم ، واستعدوا للقاء ربكم ،

---

(١) سورة الحج : ٣١

(٢) أخرج هذا الحديث الطويل - بهذا السياق - الإمام أحمد فى المسند : ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨ ، وإسناده فى غاية الصحة ، وأخرجه أبو داود مختصراً برقم (٣٢١٢) ، والنسائى فى السنن مختصر أيضاً : ٤/ ٨٧ ، وابن ماجه برقم (١٥٤٦) فى الجنائز مختصراً .

(٣) سورة البقرة : ٢٣٨

ولا تغفلوا عن هازم اللَّذات ، فليحرص كل فرد على أن توافيه مَنِيَّته وهو على طاعة الله .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين ، من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

العض بالنواجذ على السُّـنَّة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الحى القيوم .. ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُـنَّته .

أما بعد ..

أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، وعليكم بسُـنَّة نبينا محمد ﷺ عَضُّوا عليها بالنواجذ ، واعلموا أن الموت قد تخطاكم لغيركم ، وسيتخطى غيركم إليكم ، فخذوا حذركم واستعدوا لرحيلكم ولقاءْ ربكم ، وتزوَّدوا فإنَّ خير الزاد تقوى الله جَلَّ جلاله ، وأكثروا من الصلاة والتسليم على النبى الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المبين ، فقال عزَّ من قائلٍ عليماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلى علىَّ مرة واحدة صَلَّى الله عليه بها عشراً » (٣) .

* * *

(١) سورة الحديد : ٣

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود فى السنن ، والنسائى والترمذى فى جامعه : ٢/ ٣٥٥ - ٣٥٦ برقم (٤٨٥) ، وقال الترمذى عقبه : هذا حديث حسن صحيح ، وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وقد عزاه إلى هذه المصادر الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٥/ ٣٠٥ ، وأبو داود برقم : ٢/ ٨٨ (١٥٣٠) ، وابن ماجه : ٣/ ٥٠ ، ومسلم : ١/ ٣٠٦ برقم (٧٠) خاص وعام (٤٠٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

٥١ - الجنائز (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله ، ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، يُحيى ويُميت وهو على كل شىء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ (٣) .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله ومَن تبعهم بإحسان ثم اهتدى .

أما بعد . .

فإذا أراد الإنسان السفر من بلد إلى بلد اهتم لذلك وأخذ زاده ومتاعه وسأل عن طريقه ومسكنه ، وأخذ كلَّ الاحتياطات مع أنه أيام ويعود ، لكن أمامنا سفر محقق موعده قريب ، وطريقه شديد ، وسالكه وحيد ، لا مفرَّ عنه ولا محيد ، فى كل يوم نشاهد أناساً يسلكون ذلك الطريق ، سفر لا يعود صاحبه ونحن به لاحقون ، إنه الرحيل من هذه الدنيا إلى الآخرة ، إلا أنَّ الناس عنه غافلون أغفلتهم نشوة اللّذات ، وأنستهم كثرة الخيرات : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

---

(١) ألقيت يوم ١٨/٧/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥

(٣) سورة النجم : ٣ - ٤

﴿ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ (١) ، وقد وصف نبينا محمد ﷺ انتقال الإنسان من هذه الحياة الدنيا إلى الآخرة ليكون بنو آدم على بَيِّنة من طريق لا بُدَّ لهم من المرور عليه .

روى الإمام أحمد وأبو داود (٢) بسند صحيح ، عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يُلْحَد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكت فى الأرض ، فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » - مرتين أو ثلاثاً - ثم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل عليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوه كأن وجوههم الشمسُ ، معهم كفن من أكفان الجنَّة ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجنَّة حتى يجلسون منه مد البصر ، ثم يجئ مَلَك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبةُ ؛ اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوانٍ ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القَطْرة من فِىِّ السقاء ، فيأخذُها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طَرْفة عَيْن حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحَنُوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدَت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون - يعنى بها - على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهون بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيُفتح لهم فيشيعه من كل سماء مُقرَّبوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهون به إلى السماء السابعة ، فيقول الله عَزَّ وجَلَّ : اكتبوا كتاب عبدى

---

(١) سورة العلق : ٦ - ٨

(٢) المسند : ٤/٢٨٧ ، وإسناده صحيح ، كما أخرجه أبو داود مختصراً برقم (٣٢١٢) .

فى علِّيين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أُخرجهم تارة أُخرى . قال : فتعاد روحه فى جسده فيأتيه مَلَكان فيُجلسانه فيقولان له : مَن ربك ؟ فيقولُ : ربى الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بُعثَ فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأتُ كتاب الله فآمنتُ به وصدَّقتُ ، فينادى مناد من السماء : أنْ صدق عبدى فأفرشوه من الجنَّة ، وألبسوه من الجنَّة ، وافتحوا له باباً إلى الجنَّة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويُفسح له فى قبره مدَّ بصره ، قال : ويأتيه رجل حسنُ الوجه ، حسنُ الثياب ، طيبُ الريح فيقول : أبشر بالذى يَسُرُّك هذا يومك الذى كنتَ تُوعَد ، فيقول : مَن أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالخير ، فيقولُ : أنا عملك الصالح ، فيقولُ : ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى » .

قال : « وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المُسوح فيجلسون منه مدَّ البصر ثم يجئ مَلَك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقولُ : أيتها النفس الخبيثة ؛ اخرجى إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتُفرَّقُ فى جسده فينتزعها كما يُنتزع السَّفودُ من الصوف المبلول فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طَرْفة عَيْن حتى يجعلوها فى تلك المُسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدَت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيثة ؟ ، فيقولون : فلانُ ابن فلانٍ بأقبح أسمائه التى كان يُسمى بها فى الدنيا ، حتى يُنتهَى بها إلى السماء الدنيا ، فيُستفتح له فلا يُفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ (١) ، فيقول الله عزَّ وجلَّ : اكتبوا

---

(١) سورة الأعراف : ٤٠ ، ونصها : ﴿ إنَّ الَّذينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ ، وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

كتابه فى سجِّين من الأرض السُفْلَى ، فتطرحُ روحه طرحاً ، ثم قرأ : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (١) ، فتُعاد روحه فى جسده ، ويأتيه مَلَكان فيُجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدرى . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدرى . فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بُعثَ فيكم ؟ فيقولُ : هاه هاه ، لا أدرى . فينادى منادٍ من السماء : أنْ كذب فافرشوا له من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرِّها وسَمومها ، ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه قبيح الثياب مُنتنُ الريح فيقول : أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنتَ توعد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : ربِّ لا تُقم الساعة » (انتهى الحديث الشريف) (٢) .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣) ، ﴿ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ (٤) .

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ (٥) .

فاتقوا الله عباد الله . . استعدوا لهذا المستقبل الرهيب ، تهيئوا لهذا الطريق الذى لا بد من سلوكه ، استيقظوا من الرقدة وانتبهوا من الغفلة ، أعطوا آخرتكم حقها كدار خلود ومقر ، وأعطوا دنياكم حقها كدار متاع إلى الآخرة

---

(١) سورة الحج : ٣١

(٢) هو من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه أخرجه الإمام أحمد فى المسند : ٤/٢٨٧ ، وأبو داود برقم (٣٢١٢) .

(٣) سورة (ق) : ٣٧

(٤) سورة عبس : ١١ - ١٢

(٥) سورة المزمل : ١٩

وممر ، والجأوا إلى مُقَلِّب القلوب واسألوه الثبات ، يا مُقَلِّب القلوب ، ثَبِّت قلوبنا على طاعتك .

اللَّهُمَّ ثبِّتنا بالقول الثابت فى الدنيا وفى الآخرة .

والصلاة على الميت من محاسن دين الإسلام ، يدعون لأخيهم ويودعونه إلى مثواه الأخير ، فما من أربعين رجلاً يقومون على جنازة مسلم إلا شفَّعهم الله فيه ، وصفة الصلاة على الميت كما هو معمول به الآن فى هذا المسجد وغيره من مساجد المسلمين : يُكَبِّر المُصَلِّى أربع تكبيرات ، يقرأ بعد الأولى سورة الفاتحة ، وبعد الثانية يُصَلِّى على النبى ﷺ كما فى التحيات ، وبعد الثالثة يدعو للمسلمين عموماً وللميت الحاضر خصوصاً ، وبعد الرابعة يُسَلِّم .

والصغير يُدْعى لوالديه ، وإذا فات أحدٌ بعض التكبيرات ، إن شاء قضاها بعد سلام الإمام ، وإن شاء سَلَّم مع الإمام .

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجَّال (١) .

اللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك ونتوب إليك ، فاغفر لنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) من دعاء النبى ﷺ أخرجه الشيخان فى صحيحيهما : البخارى : ٢/٣٦٣ ، ومسلم فى الصحيح برقم (٥٨٩) ، وذلك من حديث عائشة رضى الله عنها .

بسم الله الرحمن الرحيم

الاتعاظ بالموت

(الخطبة الثانية)

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره ، وأتوب إليه .

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الأوَّلين والآخرين ، وإليه مرجع الخلق أجمعين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فكان الناس إذا مات فيهم الميت اتعظوا ، تذكروا واعتبروا ، أما فى وقتنا هذا فبعض الناس يمشى فى الجنازة وكأنه فى حفلة زفاف ، حديثهم فى أُمور الدنيا والمباهاة بها ، وكأن الموت لذلك المحمول وحده وهم منه آمنون ، وما ذلك إلا للغفلة وطول الأمل ، وضعف الإيمان بما بعد هذه الحياة ، غشتهم سكْرة الحياة الدنيا ، فصرفتهم عن التفكير فى مصيرهم المحتوم .

وليس هذا من العقل ولا من الذكاء .

---

(١) سورة الكهف : ١٧

فاتقوا الله أيها الناس ، تذكروا بيت الغُرْبة والوحْدة ، تذكروا بيت التراب والدود ، تذكروا بيت الوحشة والضيق ، ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ (١) .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (٢) .

فتوبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، الجنَّة أقرب إلى أحدكم من شِراك نعله والنارُ مثلُ ذلك (٣) ، ما من أحد يموت إلا ندم ، إن كان محسناً ندم يود لو أنه ازداد ، وإن كان مسيئاً ندم على عمله وتفريطه يود أنه تاب ، فتوبوا إلى الله وبادروا بالأعمال الصالحة ، خذوا من صحتكم لمرضكم ، ومن شبابكم لهرمكم ، ومن فراغكم لشغلكم ، ومن حياتكم لموتكم ، وصِلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكره وشكره وبكثرة الصدقة ، تُرزقوا وتُنصروا وتُجبروا ، الكيِّسُ مَن حاسب نفسه ، وأتبع السيئة الحسنة ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز مَن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى (٤) .

وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٥) .

* * *

---

(١) سورة الجمعة : ٨

(٢) سورة النساء : ٧٨

(٣) البخارى مع الفتح ١١/٢٧٥ : الرقاق ، باب : « الجنَّة أقرب إلى أحدكم . . . . » من حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

(٤) أحمد فى المسند : ٤/١٢٤ من حديث شداد بن أوس رضى الله عنه وإسناده ضعيف .

(٥) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٢ - الاستعداد للاختبار الأكبر [(١)]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى ومراقبته فى السر والعلانية ، فإنه يرانا ويسمع نجوانا ويعلم ما تخفيه نفوسنا ، إنه عليم بذات الصدور .

عباد الله ؛ فى هذه الأيام تُكَرَّس الجهود من الآباء والأبناء ، ويتعاون أفراد الأسرة مع الطالب على الجد والمذاكرة ، وتحمل السهر والمشقة ، استعداداً لاختبار الدراسة ، طلباً للنجاح وخوفاً من الرسوب ، لأن النجاح فيه عِزَّة النفس ورفعتها ومنافسة الأقران ، وفيه علامة النجابة والذكاء ، كما أن الرسوب فيه من المساوئ ضد ما فى النجاح من المحاسن ، فالاستعدادُ

---

(١) ألقيت يوم ٦/٦/١٣٩٦ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الأعراف : ١٢٨

للاختبار وبذلُ أسباب النجاح أمر رشيد وعمل مطلوب ، فيه إحساس بالمسئولية وتطلع إلى مستقبل زاهر ، وحياة هنيئة وعيشة راضية .

أما الإهمال والتكاسل وإضاعة الوقت فيما لا ينفع كاللَّعب واللَّهو ، فهو أمر مذموم وسفه وترك للواجب ، وتعرض للفشل والخمول ، وما دام أن الاختبار الدراسى أمر مخيف يحمل على الخوف والرجاء ويحث الطالب النجيب على فعل أسباب النجاح ، فينبغى أن نأخذ من هذا درساً وعبرة للاختبار الأعظم ، والهول الأكبر ، إنه الاختبار النهائىُ للعالَم كله الشاملُ لجميع الخلائق ، يوم تُبلَى السرائر وتُخرَجُ مكنوناتُ الضمائر ؛ إنه هو الامتحان الحقيقى ، فنجاحه هو النجاح الحقيقى ، ورسوبه هو الرسوب الحقيقى ، فمَن نجح فيه سعد سعادة أبدية لا سقوط بعدها أبداً ولا فشل بعدها أبداً ، ومَن رسب فيه شقى شقاوة الذُّل والهوان وأُلْبِسَ ثوب الخزى والعار والتبار .

فهذا هو الاختبار الذى يجب أن نتذكره دائماً ، وأن نتعاون على جمع الجهود لتحصيل أسباب النجاح فيه ، إنه اختبار لا غش فيه ولا مخادعة ، وليس فيه إعانة ولا مداهنة ، وليس له دور آخر للمذاكرة ، ولا فرصة للعمل مرة ثانية ، ولا مفر منه إلى جهة أُخرى ، إنما هو أمر محتوم لا بد من مروره على كل إنسان ، صحائف مدوَّنة ثابتة ، وشهاداتٌ قائمة عادلة ، وموازين عدل موضوعة ، وحكم بالقِسْطاس المستقيم ، وليس هناك إلا رحمة أرحم الراحمين ، والإذن بشفاعة سيد المرسلين .

أيها المسلمون ؛ يجب أن نكون صرحاء ونتساءل : هل عملنا لذلك الاختبار المحتوم كما عملنا لهذا الاختبار المقسوم ؟

هل عرَّفنا أبناءنا بذلك الاختبار الأكبر ، وحَثَّيناهم على العمل من أجله ، كما عرَّفناهم بهذا الاختبار القريب ؟

هل يتمعر وجه الأب إذا رأى إهمال ابنه فى أُمور دينه ، وعمل آخرته ، كما يتمعر وجهه إذا رأى إهماله فى دراسته ؟

هل عرَّفناهم بواجبات دينهم وحقيقة عقيدتهم ؟

هل حمينا عقيدتهم من البدع والشكوك ، أم هل حثَّيناهم على العمل بالعلم النافع الذى علموه ؟

هل أمرناهم باحترام أوقات الصلاة وأدائها فيها كما حملناهم على اتباع مواعيد الدراسة وأوقات الاختبار ؟

إن بعض الناس قد لا يهتم بأمور الآخرة مثلما يهتم بأُمور الدنيا ، وما ذلك إلا لإيثار الدنيا على الآخرة ، ولأن إيمانه بالمظنون المشاهَد أقوى من الإيمان بالوعد الحقيقى ، وهذا هو ضعف اليقين بما أخبر عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم من الوعد والوعيد والعقاب والثواب ، ولو آمن الإنسان حقيقة الإيمان لوجد الفرق شاسعاً بين أُمور هذه الدنيا وأسبابها ، وبين ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم من أُمور الآخرة وجزائها .

فمثلاً الشهادات الدراسية التى يسعى لها كل طالب ويتمناها له ولى أمره ، قد يرجو بها رفعة بين أبناء جنسه ، وسِعة فى رزقه ، وراحة لبدنه ، وخدمة لأُمته ، وتقوية لإدراكه ومفاهيمه ، ولكن هل هذه الأمانى محقَّقٌ حصولها ؟ قد تحصل وقد لا تحصل ، وأما ما أخبر عنه نبينا محمد ﷺ من الثواب على العمل الصالح والعقاب على العمل السيئ ، فهو محتَّمٌ وقوعه لا محالة ، والحال والواقع شاهد بذلك ، فكم من طالب شهادة أدركته المَنِيَّة قبل أن ينالها ، وكم من حامل شهادة لم تزده إلا جهلاً بنفسه ، وجهلاً بتعاليم دينه ، وجحوداً لربه ، وكفراً بحقوق والديه وأقاربه ، أكسبته غروراً وتكبراً فلم تزده إلا ذِلَّة وهواناً عند الله تعالى ، ثم عند خلقه ، وكم من صاحب شهادة عالية أخفق فى عمله وفشل فى أداء واجبه ، بينما هناك إنسان آخر ليست عنده

شهادة وهو عامل ناجح وبطل مظفر ، ورجل اقتصاد موفق خدم بلاده وأُمته وأدَّى عمله على أحسن ما يرام ، قد أعطاه الله ما لم يخطر على باله وما لم يتطلع إليه ، ذلكم بأن الأُمور كلها بيد الله يُصَرِّفها كيف يشاء ، فقد تنفع الأسباب وقد لا تنفع ، ومع هذا فإن فعل الأسباب واجب ، لكن ينبغى ألا نشتغل بالأسباب المظنونة عن الأسباب القطعية ، فإن ما أخبر عنه المصطفى ﷺ من الثواب على العمل الصالح والعقاب على العمل السيئ أمر مُحقَّق وقوعه مُحتَّم حصوله ، فهو الصادق المصدوق أخبر عنه ربه تبارك وتعالى ، ومَن أحسن من الله حديثاً [1] ، ومَن أصدق من الله قيلاً [2] ، إنه وعد الله والله لا يخلف الميعاد [3] : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [4] ، ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [5] ، ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [6] .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . خذوا من دنياكم عبراً لما فى آخرتكم ، واعلموا أنه ليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا مجرد الأسماء ، فكما إنكم تعملون لإصلاح دنياكم اعملوا أيضاً لإصلاح آخرتكم ، ولا تؤثروا الفانية

---

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود وجابر رضى الله عنهما أخرجه مسلم وغيره ، وهو من خطبة النبى ﷺ (انظر الفتح : ١٠/٥١١) .

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٢ من سورة النساء .

(٣) إشارة إلى الآية ٣١ من سورة الرعد .

(٤) سورة النمل : ٨٩ - ٩٠

(٥) سورة الأنعام : ١٦٠

(٦) سورة فصلت : ٤٦

على الباقية ، ولا المظنون على المحتوم ، واستعينوا بالله فى جميع أُمور دينكم ودنياكم ، واسألوه الهداية والتوفيق والثبات .

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك التوفيق لكل قول سديد ، والهداية لكل عمل رشيد ، ونسألك الفوز والنجاح يوم الوعيد ، ونستغفرك من ذنوبنا ، فاغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

السفر إلى بلاد الكفر

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على نعمة الإسلام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإن أعظم نعمة يتمتع بها المسلم هى نعمة الإسلام ، ففيه السعادة والعِزَّة والكرامة ، يسمو بالإنسان إلى شرفات المجد والسيادة ، ولا يرضى لأهله بالذلَّة والهوان ، من أجل ذلك شُرِعت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، محافظة على القِيَم الإسلامية ، ولذلك لا يجوز لمن أنعم الله عليه بنعمة الإسلام وعاش فى محاسنه وفضائله ، أن يسافر إلى بلد قد ضعف فيها سلطان الإسلام ، وتقلصت فيها فضائله ومكارم أخلاقه ، إلا لحاجة مشروعة ، أو لضرورة مُلحَّة ، مع المحافظة على محاسن دينه ، وشِيَم أخلاقه ، وحفظ سمعه وبصره وجوارحه : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (١) .

أما السفر إلى بلاد غير مسلمة ، أو ضعف فيها سلطان الإسلام بدون مصلحة مشروعة مباحة فلا ينبغى ، لأن المسلم سيذهب بعقيدته ومحاسن دينه وسيرى أضدادها ، فيقع بين أمرين : إما أن يكون كارهاً لما يتنافى مع تعاليم

(١) سورة الإسراء : ٣٦

دينه مُبغضاً لها ، فلأى شىء يذهب إذاً ؟ وإما أن يستحسن ما يراه ويقبله قلبه فقد وقع فى المحذور ، وصاده الفخ العقور ، ثم لا يدرى الإنسان ماذا يحصل له ، فقد تدركه المَنِيَّة وهو على حال غير مرضية فيهلك مع الهالكين ، وقد يتأثر بما يراه ويسمعه فى دينه وعقيدته ونفسيته ، وإذا كان المراد هو النزهة والاصطياف ، ففى بلادنا مصائف أحسنُ من غيرها مع السلامة على العقيدة والدين والأخلاق الحسنة ، فبقى التعاون على تهيئتها وتشييدها ، والاستغناء بها عن غيرها .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (١) .

وصلُّوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه العزيز ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبَارِكْ وأنْعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الراشدين الهاديين المهديين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

---

(١) سورة المائدة : ٢

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّرْ أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ أدِمْ الأمن فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ، ووفقهم لما تحب وترضى ، واجعلهم عزاً للإسلام والمسلمين يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ اهد جميع ولاة المسلمين وأخرجهم من الظلمات إلى النور

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين ، الأحياء والميتين .

اللَّهُمَّ فَرِّج هم المهمومين ، واشف مرضى المسلمين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واكتب النصر والتأييد لجنود المسلمين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٣ - صفات المتقين (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢). مُجِيبُ الدعوات ومُقِيل العثرات .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأوَّلين والآخرين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبَّع سبيله إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ، فإن الجنَّة أعدت للمتقين ، وإنما يغفر الله للمتقين ، ولا يفلح إلا المتقون ، والتقوى تعتمد على الإيمان الصادق ، فغير المؤمن لا يتقى الله ولا يرجوه .

وكل مؤمن يُحب أن يكون من المتقين الذين أُعِدَّت لهم جنات النعيم ، بل يُحب أن يكون من المحسنين القريبين من رحمة الله رب العالمين ، والقرآن الكريم كثيراً ما يَحُث على التقوى ويُبيِّن صفات المتقين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

---

(١) ألقيت يوم ٨/٦/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً
أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ
وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (١) .

المسارعة إلى مغفرة الله وجنَّته تكون بالمبادرة إلى فعل الخيرات التى شرعها نبينا محمد ﷺ والتقرب بها إلى الله ، وتكون بترك المنكرات والابتعاد عن معصية الله ومعصية رسوله ﷺ ، وهذا هو منهج الإسلام الذى جعله الله نظاماً لهذه الحياة وطريقاً مستقيماً مُوصِّلاً إلى الله .

وقد اشتملت تلك الآيات على أربع صفات من صفات المتقين :

الأولى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ (٢) يبذلون المال على حُبِّه إلى الأقرباء والمحتاجين ، ولا تبطرهم السرَّاء وكثرة المال فتلهيهم عن البرِّ والمواساة ، ولا تضجرهم الضرَّاء فتنسيهم العطاء ، خُلُقهم الإحسان إلى الناس فلا يحقرون من المعروف شيئاً .

الصفة الثانية :﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ (٣)، يقال : كظم غيظه إذا سكت عليه ولم يُظْهره لا بِقَول ولا بفعل ، والغيظ هو الغضب . وغيظ الإنسان انفعال بَشَرى تصاحبه فَوْرة الدم والتحرك إلى الانتقام والانتصار ، ولا يُسَيْطر الإنسان على غضبه إلا بالقوة الروحية المنبعثة من تقوى الله والتطلع إلى ما هو

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٣ - ١٣٦

(٢) سورة آل عمران : ١٣٤

(٣) النهاية : ٤/١٧٨ - والآية من سورة آل عمران : ١٣٤

أعلى من الانتصار والانتقام ، وإلى ما عند الله من الجزاء والثواب ، وهذا من أقسام الصبر والحِلْم : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

قال عليه الصلاة والسلام : « ليس الشديد بالصُّرَعة ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » (رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة ، ورواه البخارى ومسلم عن مالك بن أنس) (٢) .

وروى أحمد فى مسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله » ؟ قالوا : يا رسول الله ؛ ما منا أحد إلا وماله أحب إليه من مال وارثه ، قال : « اعلموا أنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله ، ما لَكَ من مالك إلا ما قدَّمت ، وما لوارثك إلا ما أخَّرت » (٣) .

قال : ثم قال عليه الصلاة والسلام : « ما تعدون الصُّرَعة فيكم » ؟ قلنا : الذى لا تصرعه الرجال ، قال : « لا ، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب » (٤) .

وقال رجل : يا رسول الله ؛ أوصنى ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لا تغضب » (٥) ، قال الرجل : ففكَّر ، فإذا الغضب يجمع الشر كله .

---

(١) سورة الزمر : ١٠

(٢) البخارى مع الفتح : ٤٣١/١٠ : الأدب ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ومسلم برقم (٢٦٠٩) .

(٣) البخارى فى الصحيح مع الفتح : ٢٢١/١١ : الرقائق ، من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، وأحمد فى المسند : ٣٨٢/١

(٤) البخارى : ٤٣١/١٠ : الأدب ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٥) الموطأ للإمام مالك : ٩٠٦/٢ فى حُسن الخُلُق ، باب : ما جاء فى الغضب ، والبخارى فى الصحيح : ٤٣١/١٠ ، الأدب ، باب : الحذر من الغضب ، ومسلم برقم (٢٦٠٩) فى البر والصلة .

والغضب إحدى الصفات التكوينية فى الإنسان ، وقد يكون مطلوباً محموداً أحياناً ، وهو الغضب لله وتمعر الوجه إذا انتهكت محارم الله ، وما عدى ذلك فهو مذموم ، وقد جعل الله لكل داء دواءً ، فأرشد النبى ﷺ إلى علاج الغضب بثلاثة أنواع من العلاج ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلِقَ من النار ، وإنما تُطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » (رواه أبو داود) (١) .

وروى البخارى ومسلم عن سليمان بن صُرد رضى الله عنه قال : استبَّ رجلان عند النبى ﷺ ، فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه ، فنظر إليه النبى ﷺ فقال : « إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » (٢) .

وقال أبو ذر رضى الله عنه : إن رسول الله ﷺ قال : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع » . (رواه أبو داود) (٣) .

الصفة الثالثة من صفات المتقين : قوله : ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ (٤) . قال ابن كثير : أى - مع كف الشر - يعفون عمن ظلمهم فى أنفسهم ، فلا يَبْقى فى أنفسهم موجدةٌ على أحد ، وهذا أكمل الأحوال ، فإذاً لا يكفى

---

(١) الإمام أحمد فى المسند : ٢٢٦/٤ ، وأبو داود فى السنن برقم (٤٧٨٤) فى الأدب ، وإسناده حسن مع الشواهد . . . وهو من حديث عطية السعدى رضى الله عنه .

(٢) البخارى مع الفتح : ٤٣١/١٠ فى الأدب ، باب : الحذر من الغضب ، ومسلم برقم (٢٦١٠) فى البر والصلة .

(٣) أبو داود برقم (٤٧٨٢) : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس » ، وصححه ابن حبان كما فى الموارد برقم (١٩٧٣) من حديث أبى ذر رضى الله عنه وإسناده حسن .

(٤) سورة آل عمران : ١٣٤

كظم الغيظ ، بل لا بد معه من العفو والصفح ، فقد يكظم غيظه فيتحوَّل الغيظ الفائر إلى إحنة غائرة ، ويتحوَّل الغضب الظاهر إلى حقد دفين ، والحقد أشد خطراً وأقبح خُلُقاً من الغضب ، فلا بد إذاً مع كظم الغيظ من العفو والسماحة ، وذلك خير لمن يعفو ويصفح ، والعفو من شِيَم الكرام ، فإن الغيظ حِمْلٌ ثقيل على النفس حين تكتمُه ، وشواظ يحرق القلب حين يكظمه ، فإذا عفا المظلوم انطفأت النار واستراح القلب وزكت النفس وانشرح الصدر .

وهذه الصفات الثلاث من صفات المحسنين ، والله يحب المحسنين .

الصفة الرابعة من صفات المتقين : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) . قال الإمام الرازى فى التفسير الكبير عن ابن مسعود قال : قال المؤمنون للنبى ﷺ : كانت بنو إسرائيل أكرمَ على الله مِنَّا ، فكان أحدهم إذا أذنب ذنباً أصبحت كفَّارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه : اجدع أنفك ، افعل كذا ، افعل كذا ، فأنزل الله هذه الآية وبيَّن أنهم أكرم على الله منهم ، حيث جعل كفَّارة ذنبهم الاستغفار (٢) .

إن المتقين فى أعلى مراتب المؤمنين ، ولكن رحمة الله وسماحة شرعه

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٥

(٢) أورد هذه الرواية السيوطى فى الدر المنثور : ٢/٣٢٦ إذ قال : أخرج ابن المنذر عن ابن مسعود ، أنه ذكر عنده بنو إسرائيل وما فضَّلهم الله به ، فقال : كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنباً أصبح وقد كتبت كفَّارته على أسكفة بابه ، وجُعِلَت كفَّارة ذنوبكم قولاً تقولونه ، تستغفرون الله فيغفر لكم ، والذى نفسى بيده لقد أعطانا الله آية لهى أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً ﴾ .... الآية » .

قلت : الرواية موقوفة على ابن مسعود والإسناد لم أطلع عليه ، والله أعلم بصحته .

جعلت فى عداد المتقين الذين : ﴿ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ (١) ذكروا عظمة الله وكبرياءه وغضبه وعقابه فهرعوا إليه ، وذكروا رحمة الله وفضله وإحسانه فطمعوا فيما عنده فأسرعوا إليه ، فجزاؤهم عند الله مغفرته وجنَّاته ، والفاحشة أبشع الذنوب وأعظمها ، ولكن سماحة هذا الدين لا تطرد الذين استَهْوتهم الشياطين وغلبتهم الشَّهْوة من رحمة الله إذا تابوا ، ولا تجعلهم فى مؤخرة الرَّكْب إذا نصحوا ، وإنما ترفع بهم التوبة إلى مرتبة المتقين .

وهكذا أُسلوب القرآن فى تربية البَشَر : لا يُغْلِق فى وجه هذا الإنسان الضعيف باب التوبة ، ولا يطرده إلى التيْه ، ولا يتركه حائراً بائساً يائساً ، إنه يُطمعه فى العودة إلى صراط الله ، ويدله على الطريق ، ويأخذ بيده الخائفة المرتعشة ، ويسند خطوته المتعثرة ، ليئوب إلى حِمَى الله الآمن ، وليرجع إلى كَنَف اللهِ الغفور الرحيم .

إن الطفل إذا أخطأ وعرف أنه ليس فى الدار إلا السَّوْط يسرح آبقاً ما وجد مفراً ، أما إذا كان يعلم بجانب السَّوْط يداً رحيمة مشفقة ومربياً حكيماً ، يقبل العذر ويعفو ويصفح ويبذل الإحسان ، أسرع إذاً الطفل إلى البيت .

وهكذا يأخذ الإسلام هذا الإنسان فى لحظات ضعفه فيرفعه من مهابط المعصية إلى معالى الطاعة ، ومن مسالك الضيعة إلى صراط الهداية ، بشرط أن يكون ذلك الإنسان يذكر الله فلا ينساه ، ولا يُصر على معصيته ، فإن الإصرار على المعصية ، وإن كانت صغيرة يجعلها كبيرة ، وإن كانت كبيرة جعلها مهلكة .

والإسلام بهذه التربية لا يدعو إلى الترخص ولا يمجد العاثرين الهابطين ،

---

(١) نفس آية آل عمران (١٣٥) السابقة بلفظ : ﴿ وَالَّذِينَ . . . . ﴾ .

وإنما يُقيل عَثْرة الضعيف ويقبل الاعتذار ، أما الذين يُصِّرون على المعاصى ويستهترون بالقِيَم ويعبثون بالمقدَّسات ويَغْمطون الحقوق ، فلهم تربية أُخرى وأُسلوب آخر : الحدود والعقوبات والعذاب المضاعَف يوم المعاد : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١) .

اللّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم . . . . . . إلى آخر الدعاء .

* *

(١) سورة الفرقان : ٦٨ - ٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

اتصال الخطيب بخطيبته قبل الخطبة محرم

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، طيِّبٌ يُحب الطيبين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، يُحب الطاهرين المتطهرين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فقد ورد إلينا بضائع أخلاقية جاء بها أبناء الإسلام إلى بلاد الإسلام وهى بضائع فاسدة خربانة لا رواج لها فى بلادنا ، ولله الحمد فهى كاسدة ممقوتة ، ولكن قد تصادف صاحب هوىً فاجراً غادراً ، أو مخدوعاً مغروراً . من هذه البضائع التى صنعها أعداء الإسلام وروَّجوها لتحطيم القِيَم والشِيَم والأخلاق ، ألا وهى اتصال الخطيب بخطيبته والخلوةُ بها ، بل والسفر بها ، بدعوى معرفة السلوك والأخلاق قبل الارتباط بعقدة النكاح ، إنَّ الخاطب لا زال أجنبياً من المرأة قبل العقد ، وليس بمَحْرَم لها ، وقد حرَّم الإسلام خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية فضلاً عن السفر بها ، وما خلا رجل بالمرأة الأجنبية إلا كان الشيطان ثالثهما (٢) ، ويجب أن يُعلم أن الإسلام لا يتهم المرأة كما يقول بعض دعاة

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) هذا مستنبط من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أخرجه الإمام أحمد فى المسند فى هذا المعنى : ١٨٦/٢ ، وإسناده حسن ، والله أعلم .

التحلل وإسقاط الأخلاق ، وإنما يحافظ على كرامة المرأة وعزَّتها وسيمتها وأنوثتها وحياتها وشهامتها .

وكم من قصة حصلت بغدر الخاطب بخطيبته حتى إذا أخذ شرفها وفتك بسلْعتها تخلَّى عنها ، وقد تكون الخطبة من أجل ذلك ، فحرام على المرأة أن تخلو بخطيبها ، وحرام أن تخرج معه إلى النزهة ، وحرام أن تسافر معه ، وحرام على الخاطب كذلك ، وحرام على ولى أمرها أن يهملها وأن يتركها ورغبتها ، وحرام على المجتمع المسلم أن يترك نظام الإسلام وتوجيهاته ويأخذ بدسائس أعدائه .

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (اقرأوا الآية) (١) .

واتقوا الله أيها المسلمون ، وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة النور : ٣٠ - ٣١

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٤ - إفشاء السلام (١)

(الخطبة الأولى)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) .. هو السلام ومنه السلام .

اللَّهُمَّ حَيِّنَا ربَّنا بالسلام (٣) ، وأدخلنا الجنَّة دار السلام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، هو الملك القدوس السلام (٤) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله نبى الرحمة ورسول السلام .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن للإسلام آداباً وفضائل ، وللمسلم على أخيه المسلم حقوقاً وواجبات ، وإنَّ من أهم آداب الإسلام ترابط الأُخوة وتآلف القلوب وتبادل الموَدَّة بين المؤمنين .

ومن أهم الحقوق ما يُقوِّى الصلة بين المسلمين ويحث على المحبة والموَدَّة ، وهو إفشاء السلام .

---

(١) ألقيت يوم ١٠/ ١٠/ ١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ : مسلم فى الصحيح ، المساجد ، حديث رقم (١٣٥) خاص وعام (٥٩١) .

(٤) إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة الممتحنة .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخلوا الجَنَّة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تُحابُوا ، ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم » (١) .

إنَّ إفشاء السلام بين المسلمين من أسباب التآلف والتآخى والتعاون ، وهو مفتاح المودَّة والتعاطف ، ففيه تكمن الأُلفة ، وفيه إظهارُ لشعار المسلمين الذى يميزهم عن غيرهم ، وفيه ترويض للنفس على محبة الناس ، والتواضع ، وإكرام الأُخوة فى الله ، وهو من شُعَب الإيمان .

روى البخارى فى صحيحه عن عمار بن ياسر رضى الله عنه أنه قال : « ثلاثٌ مَن جمعهن جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالَم ، والإنفاق من الإقتار » (٢) .

ولا يختص السلام بالأقربين والأصدقاء والمعارف ، بل لكل مسلم سواء عرفته - أخى المسلم - أو لم تعرفه ، لأن الأُخوة الإسلامية هى أقوى الروابط وهى أوثق الصِّلاة .

روى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو : أنَّ النبى ﷺ قال له : « تقرأ السلام على مَن عرفت ومَن لم تعرف » (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح ، كتاب الإيمان ، حديث رقم (٩٣) خاص وعام (٥٤) ، وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) أخرجه البخارى معلقاً من حديث عمَّار بن ياسر رضى الله عنه : الإيمان ، باب (٢٠) ، وبه عقد العنوان ، ثم ذكر اتصال هذا التعليق فى الفتح : ١/ ١٨٢ ، إذ قال : أخرجه الإمام أحمد فى كتاب الإيمان ، ومن طريق سفيان الثورى ، ورواه يعقوب بن شيبة فى مسنده ، ثم ذكره وذكر الفوائد على إسناده فأجاد وأفاد رحمه الله تعالى .

(٣) أخرجه البخارى : الإيمان ، حديث رقم (٢٨) ، وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه تحت هذا الباب - أى العشرين - من الإيمان .

فما معنى السلام ؟ وما هو أكمل التحية ؟ وما حكم الابتداء بها ؟ وما حكم الرد ؟ وما هى آداب السلام ؟

أما السلام . . فهو اسم من أسماء الله تعالى كما فى آخر سورة الحشر (١) ، فهو سبحانه ينشر الأمن والسِّلم والاستقرار فى أرجاء الوجود ، وفى قلب المؤمن ، فمَن آمن به وتوكَّل عليه وعمل بشرائعه ، أنزل عليه السلم والأمن والراحة والسكون والاطمئنان النفسى .

روى البزَّار وغيره عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « السلام اسم من أسماء الله وضعه فى الأرض فأفشوه بينكم » (٢) ، فإن الرجل المسلم إذا مَرَّ بقوم فسلَّم عليهم ، فردوا عليه كان له عليهم فضل بتذكيره إياهم السلام ، فإن لم يردوا عليه رَدَّ عليه مَن هو خير منهم ، وفيه دعاء بهذا الاسم المبارك .

أما صيغة السلام فأكمله : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بالجمع ، وإن كان المسلَّمُ عليه مفرداً ، وفيه ثلاثون حسنة بكل كلمة عشر حسنات (٣) ، فإن اقتصر على بعضها كفى ونقص الثواب .

وأما الابتداء بالسلام فهو سُنَّة مؤكدة ، وهو من حقوق المسلم على أخيه المسلم ، والبادى له الفضل والأجر ، والقُرْب من الله والقرب من الناس ، ويُشرع عند اللِّقاء والافتراق من المجلس .

---

(١) إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة الحشر .

(٢) أورده العلامة أبو بكر الهيثمى فى مجمع الزوائد : ٢٩/٨ ، ثم علَّق عليه قائلاً : رواه البزار بإسنادين والطبرانى بأسانيد وأحدهما رجاله رجال الصحيح عند البزار والطبرانى ، وهو من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٣) إشارة إلى حديث أبى طلحة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح ، والإمام أحمد فى المسند : ٢٩/٤ ، وإسناده صحيح ، ونحوه من حديث عقبة بن عامر : أخرجه أحمد فى المسند : ١٥٧/٤

وأما رد السلام فهو واجب على الفور ما لم يكن عذر كصلاة أو فى خلاء فيرد إذا انتهى ، فيقول : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ (١) .

ومن آداب السلام الابتداء به قبل الكلام ، ويُسَلِّم الصغير على الكبير ، والمار على القاعد ، والراكب على الماشى ، والقليل على الكثيرين (٢) ، ويُسَلِّم الرجل على أهل بيته : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ (٣) .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : « يا بُنىّ ؛ إذا دخلتَ على أهلك فسَلِّم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك » (رواه الترمذى بإسناد صحيح) (٤) .

والسلام على الصبيان إذا مَرَّ بهم ، فعله النبى ﷺ (٥) ، وهذا من عظيم الخُلُق وكمال التواضع .

---

(١) سورة النساء : ٨٦

(٢) إشارة إلى حديث فضالة بن عبيد رضى الله عنه : أخرجه الدارمى فى سننه برقم (٢٦٣٧) ، وإسناده صحيح ، وقال المعلق : رواه أيضاً أحمد والنسائى والترمذى ، وصحَّحه ابن حبان والبخارى فى الأدب المفرد .

قلت : أخرجه الترمذى فى جامعه برقم (٢٧٠٥) من هذا الوجه واللفظ وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) سورة النور : ٦١

(٤) أخرجه الترمذى فى جامعه برقم (٢٦٩٨) : الاستئذان ، وهو من حديث أنس ابن مالك رضى الله عنه ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب .

قلت : فى إسناده علىّ بن زيد بن جدعان وفيه ضعف ولكنه يُحتمل ضعفه ، وله شواهد كثيرة من الكتاب والسُّنَّة .

(٥) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه : الترمذى فى جامعه برقم (٢٦٩٦) : الاستئذان ، باب رقم (٨) ، وعنوانه : ما جاء فى التسليم على الصبيان ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وأما سلام الرجل على النساء فإذا أُمِنتَ الفتنة جاز ، فيُسَلِّم على محارمه وعلى كبيرة فى السن ، والكلام بالهاتف كاللِّقاء والدخول ؛ يُسلِّم الطالب على المطلوب .

عباد الله ؛ ما أجمل تحية الإسلام : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » لم يبق خير فى الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه ، فأى شىء أكمل وأجمل منها : سلام ، ورحمة ، وبركة .

فاتقوا الله عباد الله ، تأدَّبوا بآداب إسلامكم وتحلوا بأخلاق دينكم ، واعتزوا وافخروا بإسلامكم فإنكم أقرب الناس إلى ربكم بإيمانكم وتراحمكم .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وسُنَّة سيد الأوَّلين والآخرين ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

المصافحة فى السلام من السُّنَّة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على نعمة الإسلام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله سيدُ الأنام .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فإن مصافحة الرجال فيما بينهم فى السلام من تمام التحية وتوثيق الأُخوة وجلب المودَّة .

روى البخارى والترمذى عن قتادة قال : قلت لأنس بن مالك رضى الله عنه : أكانت المصافحة فى أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم (١) .

والمعانقة عند قدوم أحدهما من سفر أو مناسبة من الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة وزيادة فى التحية والإكرام .

والمعانقة هى مقابلة صفحة العُنُق بصفحة العُنْق ، وأما التقبيل فإن

---

(١) أخرجه البخارى فى الصحيح : الاستئذان ، باب رقم (٢٧) وعنوانه : المصافحة وحديث رقم (٦٢٦٣) ، وهو من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، وهذا لفظ البخارى ، وللترمذى عن أنس رضى الله عنه بغير هذا اللفظ بمعناه ، وأورده الحافظ فى الفتح : ١١/ ٥٥ وقال : أخرجه الترمذى وقال : حسن .

الولد يُقَبِّل يد أبويه والرأس ، وكذلك الطالب يُقَبِّل يد ورأس شيخه ونحو ذلك (١) .

والتقبيل فى غير الفم ، أما الفم فإنه للزوج ، ويجوز تقبيل القادم من السفر بين عينيه أو مع رأسه وملازمته ، والقيام للاستقبال جائز لإظهار المحبَّة والمودَّة ، لا للتعظيم والتفخيم .. هذه من آداب التحية ، وإظهار المحبة والرحمة .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واعلموا أنَّ الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال جَلَّ شأنه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (٢) ..... إلى آخر الدعاء .

* * *

---

(١) انظر كتاب الإمام أبى داود السجستانى رحمه الله ، كتاب : تقبيل اليد والرجل ..... وفيه نصوص كثيرة .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٥ - التواصل بين الناس (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

لا شريك له فى ملكه ، ولا فى ألوهيته ، ولا فى ربوبيته ، ولا فى أسمائه وصفاته .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادقُ الأمين ، بلَّغ رسالة ربه ، وأدَّى أمانته ، ونصح لأُمَّته ، وجاهد فى الله حق جهاده .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه الذين اختارهم الله لصُحبة نبيه ، وطهَّرهم لحمل دعوته وتبليغها ، ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإنَّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم فيه هُدَىً ونورٌ (٣) وموعظةٌ وشفاءٌ لما فى الصدور (٤) ، ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ

---

(١) ألقيت يوم ١٣/١/١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الكهف : ١

(٣) إشارة إلى الآية ٤٤ من سورة المائدة ، وفيها : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ ، ونحو هذه الآية فى المائدة آية (١٤٦) ، أيضاً يؤخذ هذا المعنى بالنسبة للقرآن العظيم .

(٤) إشارة إلى الآية ٥٧ من سورة يونس .

﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [١] ، ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [٢] .

بُشْرَى للمؤمنين ، ورحمةٌ للمحسنين ، وحسرةٌ على الكافرين . .

ذكرٌ للمتقين ، وإنذارٌ للمعاندين ، وإعذارٌ للخلق أجمعين . .

فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحُكم ما بينكم . .

هو الفصل ليس بالهزل [٣] ، مَن تركه من جبار قصمه الله ، ومَن ابتغى الهُدَى من غيره أضلَّه الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذِّكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسُن ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا تشبعُ منه العلماء ، ولا يخلَق مع كثرة الترداد [٤] . .

راحة للنفس ، وأنيسٌ فى الوَحشة ، وجليسٌ فى الوحدة ، ورفيقٌ فى السَّفَر ، وصديقٌ فى الحَضَر ، ونور فى الطريق .

حِصنٌ من الأعداء ، وقوة فى الميدان ، ونظام لجميع مرافق الحياة .

مَن قال به صدق ، ومَن عمل به أُجِر ، ومَن حكم به عدل ، ومَن خاصم به غلب ، ومَن دعا إليه هُدِىَ إلى صراط مستقيم [٥] .

تكفَّلَ الله لمن قرأهُ وعمل به ألا يَضِلَّ فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة [٦] .

---

(١) سورة المائدة : ١٦

(٢) سورة الإسراء : ٩

(٣) إشارة إلى حديث علىّ رضى الله عنه : الدارمى فى سننه : فضائل القرآن برقم (٣٣٣٥) عن طريق الحارث الأعور عن علىّ رضى الله عنه .

(٤) إشارة إلى حديث علىّ رضى الله عنه : الدارمى فى سننه ، فضائل القرآن برقم (٣٣٣٤) من طريق الحارث الأعور عن علىّ رضى الله عنه .

(٥) هو نفس هذا الحديث عن الدارمى فى سننه برقم (٣٣٣٤) ، (٣٣٣٥) .

(٦) إشارة إلى الآية ١٢٣ من سورة طه .

أما مَن أعرض عنه ، وعن أحكامه ، وعن هَدْيه ونوره ، فحياته فى هذه الدنيا حياةُ بؤس ، وقلقٌ واضطراب ، لا يقَر له قرار ولا يهدأ له بال : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (١) .

معيشة ضيق ونكد ، وإن كان عنده من المال كنوزُ الدنيا ، وإن كان عنده من الجاه والشرف ما بلغ ، وإن كان عنده من الحَرَس والسُّلْطة ما أُعطى ؛ فحياته بؤسٌ وعيشته ضنكٌ ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يهلث أو تتركه يلهث (٢) ، دائماً فى بؤس ودائماً فى ضنك ، ضنك الحَيْرة وضنك الحِرص والحذر ، الحرص على ما فى يده ، والحذر من فوات شىء مما فيها ، ضنكِ السعى دائماً فى الليل والنهار وراء المطامع والمصالح ، والحسرةِ على ما يفوت منها .

ولا تكون الراحة والطمأنينة والاستقرار إلا فى رحاب قَيُّوم السموات والأرض ، ولا يحس بالراحة والثقة والقناعة إلا من تمسَّك بالعُرْوة الوثقى لا انفصام لها (٣) ولا زوال . . أما باقى العُرَى وباقى الصِّلات فإنها لا ثبات لها ولا ترابط .

إنَّ طُمأنينةَ الإيمانِ وتعلقَ القلب بالله : يُباركُ فى الحياة ، ويُضاعفها طولاً وعَرْضاً وعمقاً .

والحرمان من طمأنينة الإيمان شقوة لا تُطْفِيها سعةُ المال ولا تعدلها شقوة أُخرى .

وضنك الكفر والضلال لا يوسِّعها كثرة المال والجاه والسُّلْطة ، فكلُ حياة مقطوعةٌ صلتها بالله وبرحمة الله ضنكٌ وحسرةٌ مهما كانت ، وكل حياة موصولةٌ بالله وبرحمتِه سعةٌ وراحة مهما كانت .

---

(١) سورة طه : ١٢٤

(٢) إشارة إلى الآية ١٧٦ من سورة الأعراف .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

هذه حال مَن أعرض عن ذكر الله ، عن القرآن العظيم ، فى الدنيا .

أما حاله فى الآخرة ، فكما قال سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾ (١) .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (٢) .

جزاءً وفاقاً ، نسيان بنسيان ، وعمىً بعمى ، وضلال بضلال .

فاتقوا الله أيها الناس ، آمنوا بالله وبرسول الله ، وبما أُنْزِل على رسوله ، والإيمان يوجب العملَ والاتباعَ ، فليس بعد الإيمان إلا الكفر ، وليس بعد الهُدَى إلا الضلال (٣) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) .

اللَّهُمَّ ارحمنا برحمتك ، وعاملنا بعفوك ، وأعطنا من فضلك ، واهدنا إلى صراطك ، وثبتنا على طاعتك ، واحفظنا برعايتك ، وشفِّعْ فينا نبيَّك محمداً صلى الله عليه وسلم (٥) ، وأحينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين ، وقنا عذاب الجحيم ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرَّحيم .

* *

---

(١) سورة طه : ٩٩ - ١٠١

(٢) سورة طه : ١٢٤ - ١٢٦

(٣) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة يونس .

(٤) سورة الحديد : ٢٨

(٥) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما : البخارى مع الفتح : ٢/ ٩٤ برقم (٦١٤) الأذان ، باب : الدعاء عند النداء .

بسم الله الرحمن الرحيم

مشاهد يوم القيامة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ (١) .. ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، منه المبتدى وإليه المنتهى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وخليلُه المصطفى وكليمُه المجتبى .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واتَّقَى .

أما بعد . .

فإنَّ المجرمين الذين يُعْرِضون عن كتاب الله ، ولا يؤمنون بالله ، يأتون يوم القيامة يحملون آثامهم فى ذلك المشهد المُخيفِ المروِّع ، وكأنهم لم يلبثوا فى الدنيا إلا عشرة أيام ، أو يوماً واحداً (٣) ، فليس لهم رصيد إلا السرف والتكذيب ، والظلم والجور ، ولم يُقَدِّموا لآخرتهم إلا الأوزارَ فهم يحملونها كما يحمل المسافر مَتَاعه ، يأتى أُولئك المجرمون فى أقبح حال وأسوأ مآل ، هَمٌّ وغَمٌّ ونكدٌ وخوفٌ وفزعٌ ، فاسوَّدت وجوههم من شدة الهول والخوف ، وعميت أبصارهم (٤) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥

(٢) سورة الرحمن : ٢٦ - ٢٧

(٣) إشارة إلى الآية ٤٥ من سورة يونس .

(٤) إشارة إلى الآية ٦٠ من سورة الزمر ، وإلى الآية ٩٧ من سورة الإسراء .

فياله من مشهد رهيب ويومٌ عسير على الكافرين غير يسير (١). ﴿يَوْمَ يُنفَخُ
فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾
نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا
﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (٢)

فتأمل أيها المسلم هذه المشاهد من مشاهد يوم القيامة ، تأمل حال المجرمين ، وصفة الجبال والأرض ، اتباع الداعى ، خشوع الأصوات للرحمن ، لا تنفع الشفاعة إلا بإذن الله ورضاه .

تذكر علم الله بما قدَّم الخلائق وما هم فيه ، خضوعَ جميع الناس وخوفهم وقلقهم - بما فيهم الذين يملكون حق الڤيتو فى الدنيا - فلا تسمع إلا همساً .

تأمل صفة المؤمنين الذين يعملون الصالحات : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ (٣) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . . اتقوا الله أيها الناس .

---

(١) إشارة إلى الآيتين ٩ ، ١٠ من سورة المدثر .

(٢) سورة طه : ١٠٢ - ١١٣

(٣) سورة الأنبياء : ١٠٣

هذا كتاب ربكم ينطق عليكم بالحق [١] ، فآمنوا به واتبعوه لعلكم تهتدون ، قفوا عند حدوده واحكموا بأحكامه لعلكم تعلمون ، اتخذوه دستوراً ونظاماً لعلكم تُرْشَدون .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [٢] .

* * *

(١) إشارة إلى الآية ٦٢ من سورة المؤمنون ، وإلى الآية ٢٩ من سورة الجاثية .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٦ - الزُّهد فى الدنيا [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله على جزيل النِعَم ، وأشكره على فضله والكرم .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . خلقنا من العدم وربَّانا بالنِعَم .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد العرب والعجم . . عرف الدنيا فوصفها بظل شجرة ، وعرف الآخرة فآثرها .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن أحسن الاقتداء بهم وأصلح من أتباعهم .

أما بعد . .

فإن الدنيا قد آذنت بصُرم وولت حَذَّاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها ، وإنكم ستُنتقلون من هذه الدار إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، من عمل صالح وقول صدق وحُسْن خُلُق ، تمتعوا بما آتاكم الله من الطيبات بدون إسراف ، وأنفقوا منه دون تبذير ، وتنعَّموا بنعَمِ الله دون ترف ، واشكروا الله واحمدوه على كل نعمة تذوقونها أو تَمرُ بكَم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [٢] .

---

(١) ألقيت يوم ٢١/٢/١٤٠٤ هـ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٢

تأملوا ما أنتم فيه من النِعَم والأمن والرخاء ، وتنوع المآكل والمشارب ، مبذولةً لكل طالب ، ومهيأة لكل مستهلك وكاسب ، تُجْبَى إليكم ثمرات كل شيء رزقاً من ربكم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ (١) ، واعلموا أنَّ الأموال إما إنعام وإما استدراج ، فمَن اكتسبها من طريق حلال ، وصرفها فى مصرف حلال ، وأدَّى حق الله فيها ، واستعان بها على طاعة الله فهى له إنعام ، وأما مَن اكتسبها من طرق مُحَرَّمة ، وصرفها فى مصارف مُحَرَّمة ، ولم يعرف حق الله فيها ، واستعان بها على معصية الله ، فهى له استدراج : « إن لكل أُمة فتنة ، وفتنة هذه الأُمة المال » (٢) ، والناس يتفاوتون فى الأرزاق كما يتفاوتون فى الأبدان ، فعلى الإنسان أن ينظر إلى مَن دونه لكى يقتنع بما هو فيه ، ولا يزدرى نعمة الله عليه .

الدنيا والآخرة ضرَّتان (٣) ، إن أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى ، ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (٤) ، ومَن عرف الدنيا ومآلها ، وعرف الآخرة ودوامها ، أعطى كل واحدة حقها ، فليس للمرء من هذه الدنيا إلا ما أكل وأفنى ، ولبس وأبلى ، وتَصدَّق وأمضى (٥) .

---

(١) سورة المؤمنون : ٥١

(٢) إشارة إلى الحديث الذي رواه الترمذى والحاكم عن كعب بن عياض رضى الله عنه ، ونصه : « إن لكل أُمة فتنة ، وإن فتنة أُمتى المال » .

(٣) حديث صحيح أخرجه أحمد : ٤/ ١٦٠ ، والترمذى (٢٤٣٩) ، والحاكم : ٤/ ٣١٨

(٤) سورة الضحى : ٤

(٥) إشارة إلى الحديث الذى رواه مسلم عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه ، ونصه : « يقول ابن آدم : مالى مالى ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدَّقت فأمضيت » .

لا تلذذ للمرء من نعيم دنياه إلا بمسكن يظله ، وبكساء يستره ، وبطعام يتقوَّى به على أداء مهمته فى هذه الحياة وهى عبادة الله وحده حتى يبلغ منتهاه (١) .

وما زاد عن ذلك فإنما هو لمن بعده ، للوارث غُنمه وعلى المورِّث حسابه وغُرمه ، فأيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ (٢) .

فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « يتبع الميت ثلاثةٌ : أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ويبقى عمله » (٣) .

وفى صحيح مسلم : إنَّ الدنيا حُلوة خضرة ، وإنَّ الله تعالى مستخلفكم فيها ، فينظرُ كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » (٤) .

إنَّ أعرف الخلق بالدنيا نبينا محمدٌ بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فما ترك بعد موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أُمَّة ، ولا شيئاً إلا بغلته التى كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة (٥) .

ولما رقد - صلى الله عليه وسلم - على الحصير أثَّرَ فى جنبه ، فقال له

---

(١) إشارة إلى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ونصه : « ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال : بيت يسكنه ، وثوب يوارى عَوْرته ، وجلف الخبز ، والماء » .

(٢) إشارة إلى الحديث الذى رواه البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، ونصه : « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله » ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه ، قال : « فإن ماله ما قدَّم ، ومال وارثه ما أخَّر » .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الرقاق ، باب : سكرات الموت ، ومسلم : ٤/٢٢٧٣ ، حديث (٢٩٦٠) .

(٤) صحيح مسلم : ٤/٢٠٩٨ ، حديث (٢٧٤٢) .

(٥) صحيح البخارى : ٥/٣٥٦ ، كتاب الوصايا ، باب الوصايا .

أصحابه : لو اتخذنا لك وِطاء ، فقال : « مالى وللدنيا ؟ ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظلَّ تحت شجرة ثم راح وتركها » (١) . وقال صلى الله عليه وسلم : « لو كان لى مثل أُحُد ذهباً لسرَّنى أن لا تمر علىَّ ثلاثُ ليال وعندى منه شىء ، إلا شىء أرصُدُه لدَيْن » (متفق عليه) (٢) .

وكان قُوْته - صلى الله عليه وسلم - خشناً لم يأكل خبزاً مرققاً حتى مات (٣) ، وما شبع من خبز الشعير حتى مات (٤) ، وما رأى النقى من الحَبِّ منذ بعثه الله حتى قبضه الله تعالى ، قالت أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لعُروة بن الزبير رضى الله عنهم : يا ابن أُختى ؛ إنَّا كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال - ثلاثةِ أهلَّةٍ فى شهرين - وما أُوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نار ، قال عروة : قلت : يا خالة ؛ فما كان عيشكم ؟ قالت : الأسودانِ : التمر والماء (٥) .

وهل التمر متواجدٌ فى أبيات رسول الله ﷺ ؟

---

(١) أحمد : ٣/ ٣٩ - ٤٠ ، وفى كتاب الزهد (٣٩٩) ، والبخارى فى الأدب المفرد (٣٩٨) وهو صحيح .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الاستئذان ، باب (٣) ، ومسلم : ٢/ ٦٨٧ ، حديث رقم (٩٤) .

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك الذى رواه البخارى فى كتاب « الرقائق » ، باب : « كيف كان عَيْش النبى ﷺ وأصحابه » ، وفيه أن أنساً قال وخبَّازه قائم : « كُلُوا ، فما أعلم النبى ﷺ رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله ، ولا رأى شاة سميطاً بعينه قَطٌّ » .

(٤) صحيح مسلم : ٤/ ٢٢٨٢ ، والبخارى مع الفتح : ٩/ ٥٤٩

(٥) البخارى مع الفتح : ٥/ ١٧٩ ، حديث (٢٥٦٧) ، كتاب « الهبة » .

روى مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدَّقل ما يملأ بطنه (١) .

وتوفى - عليه الصلاة والسلام - ودرعه مرهون عند يهودى فى ثلاثين صاعاً من شعير (٢) .

وخرج عليه الصلاة والسلام يوماً - أو ليلة - من بيته ، فرأى أبا بكر وعمر ، فقال : « ما أخرجكما هذه الساعة » ؟ قالا : الجوع ، قال : « وأنا - والذى نفسى بيده - ما أخرجنى إلا الذى أخرجكما ، قُوما » ، فأتيا رجلاً من الأنصار فجاءهم بعذق فيه بُسْرٍ وتمرٍ ورطب ، فقال : « كُلُوا » ، ثم ذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العِذْق وشربوا ، فلما أن شبعوا ورُووا قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما : « والذى نفسى بيده لتُسألنّ عن هذا النعيم يوم القيامة » (٣) .

فأين هذا مما نحن فيه الآن ؟ فاتقوا الله أيها المسلمون .

اللَّهُمَّ آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته (٤) .

اللَّهُمَّ ارزقنا شكر نعمك وأعِنَّا على أداء حقها ورعايتها ، ولا تجعل الدنيا

---

(١) صحيح مسلم : ٤/ ٢٢٨٥ ، حديث (٢٩٧٨) .

(٢) إشارة إلى الحديث الذى رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها فى كتاب « الرهن » ، باب : من رهن درعه ، وفيه : « أن النبى ﷺ اشترى من يهودى طعاماً إلى أجل ورهنه درعه » .

(٣) صحيح مسلم : ٣/ ١٦٠٩ ، حديث (٢٠٣٨) .

(٤) صحيح البخارى (٦١٤) ، وأبو داود (٥٢٩) ، والترمذى (٢١١) ، والنسائى : ٢/ ٢٧

أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا إلى النار مصيرنا ، ولا تُسَلِّط علينا بذنوبنا مَن لا يرحمنا .

اللَّهُمَّ اجعل محيانا فى طاعتك ، ومماتنا تحت رحمتك ، وأعذنا من فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجَّال ، واجعل ما أعطيتنا فضلاً وإنعاماً ، ولا تجعله محنة واستدراجاً .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المترف يعمل ما يشاء

(الخطبة الثانية)

الحمد لله كما أمر ، وأشكره وقد تأذَّن بالزيادة لمن شكر (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد البَشر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه السادة الغرر ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم المستقر .

أما بعد . .

فإن الترف بريد الفسق ، والفرح بريد الغفلة ، وما رأيت الترف مُدح ، لا فى آية ولا فى حديث ولا حكمة ، بل هو مذموم : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ (٢) .

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣) .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٤) .

---

(١) إشارة إلى الآية ٧ من سورة إبراهيم .

(٢) سورة الإسراء : ١٦

(٣) سورة الزخرف : ٢٣

(٤) سورة سبأ : ٣٤

والمُتْرَف هو الذى لا يرد نفسه عن شهواتها المُحَرَّمة ، ويلعب بالأموال فى معصية الله ، وإفساد الأخلاق واستعباد الأحرار .

والمُتْرَفون فى كل زمان ومكان هم أداة الفساد ، ووسيلة انتشار الفواحش ، والخروج عن طاعة الله ، وسُنَّة الله التى لا تتبدل : كلما أهملت أُمَّة واجباتها وتخلَّت عن نظام ربها ، ولم تأمر بالمعروف ولم تنه عن المنكر ، حتى تترك المترفين يفسقون فيها ويزعموا أن تركهم حق اجتماعى باسم الحرية والانطلاق والتقدم والديمقراطية والعدالة الاجتماعية . . . وما إلى ذلك من العناوين التى تلعب الماسونية بها فى عقول الناس .

وما أهملت أُمَّة مُتْرَفيها وتركتهم يعيثون فى الأرض فساداً ، يستهترون بالقِيَم ويلعبون بالفضائل والكرامات ، إلا أصابها الترهل فى النفوس والجمود فى الغيرة ، وإذاً ترخص عندها القِيَم العليا ، التى لا تعيش الأُمَّة إلا بها ، ولا بقاء لها إلا بها ، فتهلك وتُطوى صحيفتها ، وتكون عاقبة أمرها خُسْراً ، ذليلة فى الدنيا ، حقيرة عند الآخرين ، مُهَانة عند الله .

فاتقوا الله عباد الله ، خذوا على أيدى السفهاء وأطروهم على الحق أطراً :
﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (١) .

وصَلُّوا على النذير البشير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة النساء : ٥

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٧ - التحذير من الاغترار (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله . . أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه .

وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئآت أعمالنا (٢) ، ومن نزغات الشيطان وتضليله .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم القيامة .

أما بعد . .

فإنَّ الله تعالى قد حذَّرنا فى آيات كثيرة من كتابه العزيز من عدونا اللَّدود الذى هو شر الأعداء وأخطرَهم ، عدوٌ متأصل فى العداوة ولا ينفك عنها أبداً ، عدوٌ متمردٌ يريد أن يُفسد علينا ديننا (٣) ودنيانا وأخلاقنا ، وأن يُفرِّق جمعنا ووحدتنا ، وأن يوقع بيننا العداوة والبغضاء . . إنه عدو ماكر لا يندفع بمال ولا جاه ، ولا ينافسنا فى هذه الحياة الدنيا فنعطيه منها ما يدفعه عنا

---

(١) ألقيت يوم ٧/٨/١٣٩٢ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بسياق طويل فيه هذا الثناء والدعاء : مسلم فى الصحيح : الجمعة ، حديث رقم (٤٦) خاص وعام (٨٦٨) .

(٣) إشارة إلى الآيتين ١٦٨ ، ٢٠٨ من سورة البقرة .

ويكفينا شره ، ولكنه ينافسنا فى دار الخلود ، فى جنَّات النعيم ، تلك الدارُ التى أُخرج منها وأُبعد عنها مذءوماً مدحوراً (١) ، بسببك أيها الإنسان ، ذلكم العدو المبين هو الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ (٢) .

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٣) .

كان إبليس فى الجنَّة يتقلَّب فى نعيمها ، فلما خلق الله أبانا آدم عليه السلام بيده ، وعلَّمه الأسماء وأمر الملائكة بالسجود له ، وخلق له زوجه ليسكن إليها ، حسده إبليس على هذه الخصائص وهذه الفضائل ، فاستكبر عن أمر ربه وامتنع من السجود ، فأخرجه الله من الجنَّة مذءوماً مدحوراً ، وبقى آدم فى الجنَّة يتقلَّب فيها كيف يشاء ، إلا شجرة واحدة مُنعَ آدم وزوجه من الأكل منها ، ابتلاءً وامتحاناً من الله لهما ، ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٤) ، فازداد حقد إبليس على آدم وزوجه ، فأخذ يكيد لهما المكائد ويدس عليهما الدسائس ، ويوسوس إليهما ويخادعهما ، ويتظاهر لهما أنه ناصح وهو ماكر مخادع ، يحاول إخراجهما من الجنة ، وإيقاعهما فى معصية الله : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ (٥) ، ﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا

---

(١) إشارة إلى الآية ١٨ من سورة الأعراف .

(٢) سورة فاطر : ٦

(٣) سورة الأعراف : ٢٧

(٤) سورة البقرة : ٣٥

(٥) سورة طه : ١٢٠

رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١) .

ومن رحمة الله تعالى ولطفه وكرمه ألهم آدم عليه السلام كلمات التوبة والإنابة وأسباب الرحمة والغفران : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٢) ، ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣) .

أما إبليس . . فإنه بقى متكبراً معانداً طائشاً مطروداً من رحمة الله ، وتحت سخط الله وغضبه ، فلما رأى أن الله قد غفر لآدم وزوجه ، وأنه نجى من مكيدته ، اشتد غضبه وحقده وطلب الإنظار إلى يوم البعث ، فأنظره الله لمشيئة قاهرة وحكمة بالغة ، فأقسم إبليس بالله قَسَماً أن يضل بنى آدم وأن يحتنك ذُرِّيته ، وأن يصدهم عن طريق الحق وسبيل النجاة ، وأن يضلهم عن صراط الله المستقيم ، لئلا يعبدوا الله ويُوحِّدوه ، وأن يشككهم فى آخرتهم ، وأن يُرَغِّبهم فى الدنيا ، وأن يُشَبِّه عليهم أمر دينهم ، وأن يُزَين لهم فى المعاصى ، وأن يعمل على إحباط حسناتهم ، وتكثير سيئآتهم ، وأن يصدهم عن طريق الخير ، وأن يدعوهم إلى طريق الشر والضلال : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠ - ٢٢

(٢) سورة البقرة : ٣٧

(٣) سورة الأعراف : ٢٣

(٤) سورة الأعراف : ١٦ - ١٧

وذلك ظنٌّ من إبليس وطمعٌ فى نيل مراده ، فردَّ الله عليه ظنه وكيده ، ولم يجعل له سلطاناً على عباد الله المؤمنين : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (١) ، ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٢) .

ومن رحمة الله ببنى آدم فتح لهم أبواب الخير وكَثَّرَ حسناتها وأعطاهم أسباب النجاة من مكائد الشيطان : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ (٣) ، ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (٤) وفى الحديث القدسى : « وعِزَّتى وجلالى لأغفرن لهم ما استغفرونى » (٥) .

عباد الله ؛ إنَّ الشيطان دائماً على استعداد ، يتحين بالإنسان الفُرَص لتضليله وإهلاكه وحرمانه من دخول الجنَّة ، وإيقاعه فى معصية الله وغضبه ، وإنه ليستعين فى دعوته وخداعه ومكره بالنفس الأمَّارة بالسوء وشهواتها ورغباتها ، وبدُعاة الشر ، وأسباب الخلاعة والفساد والبدع والخرافات ، التى لا مسند لها من الشريعة ، وما أنزل الله بها من سلطان .

إنَّ عدونا يتحرَّى من كل إنسان مواطن الضعف ، فيأتيه من جهتها وينصب شراكهُ عليها ليصطاده ، فيأتى الإنسان من جهة الإهمال والكسل والخمول وترك القيام بما أوجب الله ورسوله عليه ويدعوه للتخلى عن تعاليم دين الإسلام والتحلل فى الأخلاق الفاضلة والشيَم الكريمة ، حتى يكون كالحيوان مع أفعاله فيُبعده من رحمة الله ، ويوقعه فى سخط الله ، فإذا لم ينجح فى

---

(١) سورة الحجر : ٤٢

(٢) سورة النساء : ٨١ ، ١٣٢ ، ١٧١ ، وسورة الأحزاب : ٣ ، ٤٨

(٣) سورة الأنعام : ١٦٠

(٤) سورة هود : ١١٤

(٥) أخرجه أحمد فى المسند بهذا اللفظ : ٣/٢٩ من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، وإسناده صحيح .

ذلك أتاه من طريق التنطع فى الدين ، والغلو فى الصالحين ، والزيادة فى شرع الله بما لم يأذن به الله ورسوله ﷺ ، فيجب علينا أيها المسلمون أن نتحصن من عدونا بربنا الذى خلقنا وإليه معادنا ، وأن نحترز من مكامن عدونا بالتمسك بكتاب الله العزيز وسُنَّة نبيه ﷺ ، وعلى الإنسان العاقل أن يحاسب نفسه إذا أمسى على ما فعله فى نهاره ، وإذا أصبح على ما فعله فى ليله .

فإذا وجد نفسه قد وقع فى معصية الله بترك مأمور به أو فعل منهى عنه ، فإن ذلك من مكر عدوه وخداعه ووسوسته ، فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) ، وليعلم أن له رباً كريماً ، رؤوفاً رحيماً ، يغفر ذنوب المذنبين ويتوب على التائبين ، ويجب عليه أن يتوجَّه إلى الله أرحم الراحمين بقلب سليم ، وبنية صادقة وتوبة نصوح ، فيُقلع عن معصيته ويندم على ما مضى منها ، ويعزم ألا يعود إليها أبداً .

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

وأن يتقرَّب إلى الله بالأعمال الصالحة التى شرعها الله لرسوله ﷺ : ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ (٣) .

وإذا صدق العبد فى توبته خوفاً من الله وطمعاً فيما عند الله وعمل صالحاً ، ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠٠ ، وفى فصلت (٣٦) : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

(٢) سورة الزمر : ٥٣

(٣) سورة الفرقان : ٧١

(٤) سورة الفرقان : ٧٠

اللَّهُمَّ أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واحفظنا من أمامنا ومن خلفنا ، وعن أيماننا وعن شمائلنا ، ونعوذ بك أن نغتال من تحتنا ، ونعوذ بك من الشيطان الرجيم .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذِكْر الحكيم ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام دين العدل

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وعليه وآله وصحبه وأتباعهم وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فيا أيها الناس ؛ اتقوا الله تعالى وتمسَّكوا بتعاليم دين الإسلام ، فإنه هو الدين الحق الذى لا يقبل الله من أحد سواه (٢) ، هو خير الأديان وأفضلها ، مهيمن علينا وناسخ لها ، يهدف لإصلاح الإنسانية ، وإسعاد الأُمَّة الإسلامية ، فيه العدالة والمساواة ، قد رسم صلة المخلوق بالخالق ، وصلة المخلوق بالمخلوق ، إنه دين كامل شامل ، قد أتم الله علينا به النعَم (٣) ، وفضَّلَنا به على سائر الأُمم (٤) ، مَن تمسك به فاز ونجا وعَزَّ وبَزَّ ، ومَن أعرض عنه فمآله إلى الذل والهوان والهلاك .

وصلُّوا على النبى المصطفى ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه العزيز ، فقال

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٤

(٢) إشارة إلى الآية ٨٥ من سورة آل عمران .

(٣) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

(٤) إشارة إلى الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك وخليلك ، نبينا محمد .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وعن التابعين ومَن تَبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين .

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ونَوِّر على أهل القبور قبورهم ، وأصلح الأحياء ويَسِّر أُمورهم .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) سورة النحل : ٩٠

(٣) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨ - التحذير من الأفلام الخليعة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .. ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .. أرسله بالهُدَى ودين الحق [٤] ، ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [٥] والمرجع والمآل إلى الحساب والمقاصة : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [٦] ، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [٧] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، صفوة الخلق أجمعين ، وقائد الغُرِّ المحجلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

---

(١) ألقيت يوم ١٦/٣/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة الأنعام : ١

(٣) سورة الأنعام : ٣

(٤) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة ، ٢٨ من سورة الفتح ، ٩ من سورة الصف .

(٥) سورة يونس : ١٠٨

(٦) سورة الأنعام : ١٦٤

(٧) سورة الكهف : ٤٩

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله . . اجعلوا بينكم وبين سخط الله وقايةً من الأعمال الصالحة ، تدفع عنكم البلاء وترفع العقوبة . . اجعلوا بينكم وبين عذاب الله سِتْراً من طاعة الله وطاعة رسوله . . اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً يقيكم حرَّها وزمهريرها .

لو قال قائل : إنَّ إنساناً يوزع نقوداً من الذهب والفضة لاشرأبت الأعناق ولتفتحت الأسماع وكثرت التساؤلات : متى وأين يكون ؟

وكذلك لو أخبْر مُخْبِر عن مسلسل خيالى تمثيلى مضحك لأسرع أكثر الناس إليه ، فتجد العيون محدِّقة والآذان مصغية والقلوب حاضرة ، لا يخفى شيء من القول ولا من الحَرَكة ، مع أن النتيجة أصغرُ وأحقر من دم الذباب ، لكن المهم عندهم التسلية وتضييعُ الوقت ، أما عَلِمَ ذلك المسكين أنَّ الوقت محسوب عليه وسيُناقَش عنه ، نسى ذلك المسكين أنَّ هذا الزمن الذى يقضيه فيما لا فائدة فيه : أنه جزء من عمره ، وهبوط فى حياته ، ونقص فى دينه ودنياه ، وخسارة فادحة عليه .

وبعض الناس لو قال له أخ ناصح أمين : اتَّق الله ، أخذته العِزَّة بالإثم ، لو قال له : أنت مسلم وفى بلد إسلامى وعضو فى دولة مسلمة ومن سلالة مسلمة ، أدِّ الصلاة فى وقتها . . . . لسخر منه وقال : هذه عادة قديمة ، وخَلْفِياتُ بالية .

لو قرأت آيةٌ من كتاب الله تحمل التوجيه والتربية والإصلاح ، فلربما أن يقول قائل : قد سمعناها وعرفناها .

إنه ليس المهم السماع ، وليست الغاية العلم وحده ، وإنما المهم والغاية هو العمل والتطبيق ، وإنما العلم للعمل .

أمَّا عبادُ الله المخلصون الذين يتوهج فى قلوبهم نور الإيمان وتُسيطر على مشاعرهم وجوارحهم تقوى الله وخشيته ، فهم الذين يُدركون مقاييس الأمور ونتائجها ، وهم الذين يحرصون على صلاح أنفسهم وأمتهم ونجاتها : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١) .

بعض الناس يظن أن الإسلام بطاقةٌ شخصيةٌ يحملها فى جيبه لإثبات شخصيته ، وليس الأمر كذلك .

الإسلام نظام وسلوك وعقيدة . قال تبارك وتعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢) .

المسلم يلتزم بنظام الإسلام ، والمؤمن تظهر أشعةُ النور من قلبه إلى جوارحه ، فتعمل لمقتضيات الإيمان : أمراً ونهياً ، عملاً وتركاً ، طاعة لله وانقياداً . فالذى لا يعمل بشرائع الإسلام ليس بمسلم وإن قال ما قال ، والذى لا تظهر آثار الإيمان على جوارحه ليس بمؤمن حقيقة ، والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، يزيد بالطاعة ، فيجعله كاشفاً قوياً يُنير الطريق ،

---

(١) سورة الأنفال : ٢ - ٤

(٢) سورة المؤمنون : ١ - ١١

ويُرهب اللصوص ، وينقص بالمعصية حتى لا يرى له بصيصاً ، فلا يُنير طريقاً ولا يُخيف عدواً .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » . (رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه) .

وزاد النسائى : « فإذا فعل ذلك خَلَعَ رِبْقة الإسلام من عنقه ، فإن تاب تاب الله عليه » (١) .

وعند البزَّار : « لا يسرق السارق وهو مؤمن ، ولا يزنى الزانى وهو مؤمن ، الإيمان أكرمُ على الله من ذلك » (٢) .

وفى رواية للبيهقى : « إن الإيمان سرْبال يُسَرْبله الله مَن يشاء ، فإذا زنى العبد نُزِع منه سِرْبال الإيمان ، فإن تاب رُدَّ عليه » (٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . استحيوا من ربكم ، ألا تستحيون من الذى خلقكم ورزقكم وأنعم عليكم وأعطاكم الصحة والأمن والرخاء ؟

كيف تصرفون نعمه فى معصية ؟

---

(١) صحيح البخارى : ٧/ ١٣٥ - ١٣٦ ، ومسلم : ١/ ٧٦ ، حديث (٥٧) ، والنسائى : ٨/ ٦٤ - ٦٥

(٢) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/ ١٠١) : هو فى الصحيح خلا قوله : « الإيمان أكرم على الله من ذلك » رواه البزار ، وفيه إسرائيل الملائى وثقه يحيى بن معين فى رواية وضعَّفه الناس .

(٣) أخرجه البيهقى فى شُعَب الإيمان ، وابن مردويه ، وابن الجوزى فى ذم الهوى (ص ١٩٠) ، وهو ضعيف جداً ، لأنه فيه عمرو بن عبد الغفار وهو متروك الحديث .

ألا تستحيون من الله وهو معكم يسمع ويرى ، وهو مستوٍ على عرشه والكون كله فى قبضته ؟

أما يستحى الذى يبيع الأفلام الخليعة والفضائح الشنيعة ؟

أما يخشى من سخط الله وعقابه العاجل ؟

أما يستحى الذى يشترى لأبنائه قصص الغرام والحب الفاجر ولهو الحديث ويُشغلهم عن ذكر الله ؟

أما يستحى الذى يعرض أفلام الجنس السافر على النساء والرجال ؟

هذا إما أن يكون عدو للإسلام يلبس ثياب الإسلام ليخدع المسلمين ، أو هو ديوث ماكر يريد أن يكون الناس كالكلاب والخنازير يتنازى بعضها على بعض .

إنه ليس من الدين أن نسوس دنيانا على حساب إسلامنا وعقيدتنا ، إنه ليس من العقل أن ننظر فى عاجل الأُمور ونغفل عن عواقبها .

إنه ليس من النُصح للمسلمين أن نرضيهم بسخط الله ، بل هو من الغش والخديعة ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ أصلح شأن المسلمين ، واهد ضالهم ، واقمع فاجرهم ، وافضح الدخلاء بينهم ، وطَهِّر قلوبهم ، ووفِّق مجتمعهم ، وقَوِّم سلوكهم ، واجعل ولايتهم فيمن يؤمن بك ويخافك ويرجوك ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الذى أسرف على نفسه لا يقنط من رحمة الله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلك وله الحمد وهو على شىء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح للأُمة .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمَّا بعد . .

فكثيراً ما يُعْلَن فى الصحف عن بشائر متنوعة ، بُشْرَى بتخفيض أسعار ، وبُشْرَى ببيع أراضى بالتقسيط ، وبُشْرَى باستقدام طبيب ماهر .

ولو أننى قلت لكم : عندى بُشْرَى ، لذهب كل واحد فى التفكير مذهباً .

ولكنها بشارةٌ أعظمُ مما يهتم به بعض الناس ، إنها بشارة رسول الهُدَى ونبى الرحمة صلى الله عليه وسلم ، جاء بها من عند ربه ، وحياً مُنزَّلاً ، إنها آية محكمة من سورة الزُّمَر : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ ﴾ (٢) هذه هى البُشرى الحقيقية التى تبعث الفرح الدائم والفوز الأبدى .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) سورة الزمر : ٥٣ - ٥٤

إنها الرحمة الواسعة التى تسع كل معصية كائنةً ما كانت .

إنها دعوة إلى التوبة والرجوع إلى الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى وإلى جنَّات النعيم ، دعوة إلى الأمل والرجاء والثقة بالرؤوف الرحيم .

إنها تفتح الأبواب الواسعة أمام الشاردين عن نظام الإسلام للعودة إليه .

إنها صلة بين العبد وربه مباشرة ، ومحاسبة بين العبد وربه ، فإذا اعترف المذنب العاصى بجميع بيانات الديون لربه وطلب العفو والمسامحة عفا وصفح ومحاها كلها وجعل صفحته بيضاء ليعمل فيها لحساب نفسه عملاً صالحاً .

فليست التوبة بالقلب وحدها كافية ، بل لا بد معها من العمل الصالح ، لا بد من ندم مُشاهَد تظهر آثاره على الأعمال المميزة التى يُغَيِّر بها العاصى اتجاهه ، ويُغيِّر بها معاملته مع ربه .

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١) .

الأمر ليس فيه مَجَالٌ للمغالطة والمخادعة ، فليس هناك إهمال ولا محاباة ، بل المآل إلى عَالِم الغيب والشهادة عالم ما فى الصدور ، والعملُ والقولُ مرصود مسجَّل يُعرض على صاحبه يوم العرض والحساب ، فيجازى كل عامل بعمله : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (٢) ، فاتقوا الله وتوبوا إليه .

وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) سورة التوبة : ١٠٥

(٢) سورة فصلت : ٤٦

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٩ - وصية للمسلمين (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) .. له ميراث السموات والأرض (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .. ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ (٤) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صفوته من خلقه ، وخاتِمُ أنبيائه .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله ودعا بدعوته .

أما بعد ..

فخير وصية المسلم لأخيه المسلم هى التقوى ، فهى أساس العمل الصالح ، وهى أساس الحق والصبر ، فأُوصيكم بتقوى الله تعالى ، والتواصى بها فهى خير ما يتزوَّد به المؤمن فى هذه الحياة المضطربة ، وفى آخرته المستقبلة القريبة ، فاتقوا الله أيها المسلمون .

اتقوا الله فى أنفسكم ، وفى أولادكم وفى أُمتكم وفى إسلامكم ، اتَّخِذوا

---

(١) ألقيت يوم ١٤/ ٣/ ١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٨٠ من سورة آل عمران ، و١٠ من سورة الحديد .

(٤) سورة الحديد : ٢

من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ حجاباً عن سخط الله وعقابه ، اتَّخِذوا من كتاب الله تعالى حصناً يحفظكم من أعدائكم ، أخلصوا العقيدة والإيمان لله تعالى ، وحَقِّقوا معنى : « لا إلَه إلا الله محمد رسول الله » .

لا تصرفوا شيئاً من حق الله لغير الله كائناً مَن كان ، اطلبوا المدد من الله وحده ، واستغيثوا بالله وحده ، ولا تُقَرِّبوا القرابين إلا لله وحده ، ولا تلوذوا فى الشدائد إلا بالله وحده .

أعطوا خالقكم حقه من الربوبية ، والأُلوهية ، والعبادة والطاعة والانقياد ، وأعطوا نبينا محمداً ﷺ حقه من المحبة الذاتية ، ومحبة الرسالة ، والتصديق والاتباع ، وأكثروا من الصلاة والتسليم عليه ، واسألوا الله له الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود .

أعطوا الصالحين حقهم من الفضل وحُسْن الاقتداء والدعاء والترضِّى عنهم والترحم عليهم ، اعرفوا حق الله تعالى وحق رُسُله وأنبيائه وعباده الصالحين ، وأعطوا الخالق حقه وأعطوا المخلوقين حقوقهم ، ولا تصرفوا لأحد حق أحد ، فإن ذلك وضع للشىء فى غير موضعه ، وهو الظلم بعينه .

أقيموا الصلوات فى أوقاتها ، وأدُّوها تامة كاملة بجميع أركانها وواجباتها ، يؤديها الرجال مع جماعة المسلمين فى بيوت الله المساجد ، ويؤديها النساء فى بيوتهن خير لهن ، وإذا حضرت جماعة المسجد أجزأتها .

اقرؤوا كتاب الله فى كل يوم ولو قليلاً ، ولا تكونوا من الغافلين ، لا تكونوا من الذين اتخذوا القرآن مهجوراً (١) ، ولا تكونوا من الذين نبذوه وراءهم ظِهْرياً (٢) ، اقرؤوا القرآن فإنه دستور إسلامكم ونظام حياتكم ، وفيه عِزَّتكم

---

(١) إشارة إلى الآية ٣٠ من سورة الفرقان .

(٢) إشارة إلى الآية ١٨٧ من سورة آل عمران فى هذا المعنى .

وكرامتكم ، وفيه سعادتكم ونجاتكم ، لا تشتغلوا عنه بلهو الحديث والقصص الخاسرة والمسلسلات الماجنة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١) ، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ (٢) .

أحسنوا تربية أولادكم وعلِّموهم أمور دينهم ووجهوهم إلى صراط الله المستقيم ، ولا تتركوهم لأهل التشكيك والأهواء ، فتخسرونهم ، ويخسرون أنفسهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (٣) ، و﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (٤) .

تعاونوا فيما بينكم ، وتآلفوا ، وكونوا عباد الله إخواناً .

المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسلمه (٥) .

كل المسلم على المسلم حرامٌ : دمه ، وماله ، وعِرضه (٦) ، تعاطفوا وتراحموا ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأحسنوا إلى الفقراء والبائسين ، وأجيبوا نداء المستنصرين ، فقد وجب عليكم نصرهم وإعانتهم .

---

(١) سورة المنافقون : ٩

(٢) سورة لقمان : ٦

(٣) سورة التحريم : ٦

(٤) سورة طه : ١٣٢

(٥) البخارى : ٧١/٥ ، فى المظالم ، من حديث ابن عمر رضى الله عنه ، ومسلم برقم (٢٥٨٠) باب : تحريم الظلم .

(٦) مسلم فى الصحيح : ١٩٨٦/٤ ، فى البر والصلة برقم (٣٢) خاص وعام (٢٥٦٤) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

كونوا على حذر واستعداد : فإن الشر محدق بجميع المسلمين من كل مكان ، وأعداؤهم يتربصون بهم الدوائر ، ويتحينون فيهم الفرص ، فخذوا حذركم أيها المؤمنون ولا تغفلوا ولا تهاونوا ، فـ « لا يُلدغ مؤمن فى جُحْرٍ مرتين » (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ حَبِّب إلينا الإيمان وزَيِّنه فى قلوبنا ، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق واجعلنا من الراشدين .

اللَّهُمَّ أبرم لهذه الأُمَّة أمر رشد يُعَزّ فيه أهل طاعتك ، ويُذَلّ فيه أهل معصيتك ، ويؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى فيه عن المنكر ، إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ اغفر لنا وتب علينا إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) البخارى مع الفتح : ١٠/٥٢٩ ، برقم (٦١٣٣) فى الأدب ، باب (٨٣) ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ومسلم ، كتاب الزهد من هذا الوجه واللفظ ، حديث رقم (٦٣) خاص .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشريعة الإسلامية للجميع

(الخطبة الثانية)

الحمد الله على نعمه التى لا تُحصَى .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد .

فيقول الله تبارك وتعالى فى محكم التنزيل : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (١) .

إنَّ رسالة نبينا محمد ﷺ هى أكبر النعَم وأعظمها على العالمين ، وعلى أهل الأرض أجمعين : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) .

فهذه الشريعة المحمدية هى الشريعة المتكاملة الشاملة المستوفية لجميع متطلبات الحياة ، ولما بعد هذه الحياة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ (٣) .

يا أيها الناس : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ

---

(١) سورة آل عمران : ١٦٤ ، وبهذا المعنى فى الآية ٢ من سورة الجمعة .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧

(٣) سورة النساء : ١٧٠

إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) ،

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ (٢) .

إنَّ شريعة محمد ﷺ لا تَخُص جماعةً دون جماعة ، ولا وقتاً دون وقت ، ولا قوماً دون قوم ، ولا جيلاً دون جيل ، ولا أُمَّة دون أُمَّة ، ولا حكومة دون حكومة ، وإنما أُنزلت للناس كافة : عربهم وعجمهم ، شرقيين وغربيين ، على اختلاف عاداتهم وتباين تقاليدهم وتفاوت تاريخهم : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٣) .

إنها شريعة لجميع الثَّقَلين الجن والإنس ، إنها نظام شامل متكامل واضح وجلي لا يحتاج إلى ترتيب ولا إلى تنسيق ولا إلى تصفية ، إنها صافية نقية ، بيضاء جلية ، ليلها كنهارها (٤) ، وإنما بعدت عنها الأفهام ، وشطحت عنها الرغبات ، وغَشت عنها العيون ، وانصرفت عنها القلوب بسبب وسوسة الشيطان ، وآراء أعداء الرحمن ، وبسبب الإهمال والتقصير ، والاشتغال عن دراسة الإسلام وتعاليمه ، بدراسة الرياضيات ، واتباع الشهوات ، وقصور الهمم ، وضعف النفوس .

إنَّ دين الإسلام نظام صالح لكل زمان ومكان ، يحكم كلَّ حال ، ويُنظم

---

(١) سورة المائدة : ١٥ - ١٦

(٢) سورة يونس : ١٠٨

(٣) سورة الأعراف : ١٥٨

(٤) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه : أخرجه أحمد فى المسند : ١٢٦/٤ وإسناده صحيح ، وابن ماجه فى السنن : المقدمة ، باب (٦) .

جميع الأُمور ، قد صاغه رب الناس وحماه بحيث لا يؤثر عليها مرور الزمن ، ولا تُبلى جِدَّته ولا يخلق جماله .

إنَّ الناس غير المسلمين اليوم يتخيلون معانى الشريعة الإسلامية ونظامها ، ولكنهم لا يستطيعون أن يوجدوها ، ولا تتركهم شهواتهم وعنادهم وشيطانهم إلى القول بالإسلام واتباعه ، فيجب على المسلمين إزالة الستار الذى وضعه الشيطان وأعداء الإسلام بين الناس وبين شريعة الله : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١) .

ولكن الأمر انعكس وانقلبت الأوضاع ، فصار ينفر من كل فرقة طائفة يتعلَّمون الزندقة والكفر والإلحاد والتشكيك والتقليل من قيمة الإسلام ، ثم يرجعون ليُفسدوا الباقين ، فكانت النتيجة ما ترون من واقع المسلمين فى كل مكان : تحلل الأخلاق ، وانهيار القِيَم ، واختلافٌ وشقاق ، وسهر على الرذائل والمنكرات ، ونوم عن العمل الجاد والطاعات ، أما العلوم النافعة ، والصناعات المثمرة ، والقوة والمنعة ، فليس لهم منها نصيب .

أخذ أعداؤنا ما ينفعهم فى دنياهم ، وأعطوْنا ما يضرنا فى ديننا ودنيانا ، فكانت النتيجة ما نرى : موالاة اليهود ، أعداء الله وأعداء الإسلام ، موالاة أعداء الإنسانية ، أعداءِ محمد ﷺ وأعداء الرسالات والأنبياء جميعاً ، كيف نواليهم وندخلهم فى أرضنا ، أرض الإيمان ، أرض العروبة ، أرض القرآن والأحكام .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. اتقوا الله أيها الناس .. الرجوع إلى الحق أحق من التمادى فى الباطل ، اتقوا الله فى أنفسكم ، واتقوا الله فى أُمَّتكم ،

---

(١) سورة التوبة : ١٢٢

اتقوا الله فى إسلامكم ، اتقوا الله فى بلادكم ، استعيذوا بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، إنه سميع عليم ﴾ (١) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على صاحب الرسالة الصادق الأمين ، نبينا محمد ، الطاهر الكريم .

اللَّهُمَّ آته الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته .

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠٠

(٢) سورة المائدة : ٥١ - ٥٦

اللّٰهُمَّ ارض عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّٰهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين .

اللّٰهُمَّ انصر عبادك المجاهدين ، وأنْزِل السكينة عليهم ، وقَوِّ شوكتهم ، وثبت أقدامهم وانصرهم على القوم الكافرين .

اللّٰهُمَّ آمنا فى أوطاننا واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ووفقهم لما فيه الخير والصلاح والسعادة والفلاح .

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة العنكبوت : ٤٥

قائمـــــة المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - جامع البيان فى تفسير القرآن : للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - دار المعرفة - بيروت .

٣ - الجامع لأحكام القرآن : للإمام الشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى - دار إحياء التراث .

٤ - أضواء البيان : للعلامة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكى الشنقيطى - مطبعة المدنى .

٥ - أحكام القرآن : للإمام الشيخ عماد الدين بن محمد الطبرى - مطبعة حسان - القاهرة .

٦ - تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ الشيخ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير - دار الكتب المصرية .

٧ - زاد المسير : لابن الجوزى - طبعة المكتب الإسلامى .

٨ - فتح القدير : للإمام الشوكانى - مطبعة مصطفى الحلبى - القاهرة .

٩ - تفسير القاسمى : للشيخ محمد جمال الدين القاسمى - دار الفكر - بيروت .

١٠ - تفسير التحرير والتنوير : للإمام الشيخ محمد الطاهر عاشور - الدار التونسية للنشر

١١ - الكشاف عن حقائق التنزيل : للإمام محمود بن عمر الزمخشرى - مطبعة مصطفى محمد .

١٢ - صحيح البخارى : للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبه البخارى - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

١٣ - فتح البارى : للشيخ أحمد بن على بن حجر العسقلانى - المطبعة السَّلَفية - مصر .

١٤ - عمدة القارئ : للإمام بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العينى - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

١٥ - شرح السُّنَّة : للإمام الحافظ أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى - المكتب الإسلامى .

١٦ - جامع الأُصول : للإمام أبى السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزرى - مطبعة السُّنَّة المحمدية .

١٧ - مشكاة المصابيح : للشيخ ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمرى - المكتب الإسلامى - دمشق .

١٨ - الترغيب والترهيب : للإمام زكى الدين عبد العظيم المنذرى - دار إحياء التراث - بيروت .

١٩ - جامع العلوم : لزين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى البغدادى - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .

٢٠ - رياض الصالحين : للإمام الشيخ زكريا بن يحيى النووى - دار العهد الجديد .

٢١ - السنن الكبرى : للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى - مطبعة مجلس دائرة المعارف - الهند .

٢٢ - سنن أبى داود : للإمام سليمان بن الأشعث - طبعة دار الحديث .

٢٣ - شرح مختصر سنن أبى داود : لابن قيم الجوزية - مطبعة السُّنَّة المحمدية .

٢٤ - بذل المجهود : للشيخ خليل أحمد الهارنفورى - دار الكتب العلمية .

٢٥ - مسند الإمام أحمد : للإمام أحمد بن محمد بن حنبل - دار صادر - بيروت .

٢٦ - الفتح الربانى : للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا (الساعاتى) - دار الحديث - القاهرة .

٢٧ - المنتقى : لسليمان بن خلف بن وارث - مطبعة السعادة - القاهرة .

٢٨ - الموطأ : للإمام مالك بن أنس ، تحقيق : فاروق سعد - دار الآفاق الجديدة - بيروت .

٢٩ - التمهيد : للإمام الحافظ أبى عمر يوسف بن عبد الله القرطبى - مطبعة فضالة - المغرب .

٣٠ - صحيح الإمام مسلم : للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى - دار إحياء التراث العربى .

٣١ - شرح النووى : للإمام النووى - المطبعة المصرية .

٣٢ - المغنى : للإمام أبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى - دار المناخ .

٣٣ - زاد المعاد : للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الذرعى (ابن القيم) - دار المعاد - بيروت .

٣٤ - إعلام الموقعين : للإمام محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم - مطبعة السعادة .

٣٥ - الإنصاف : للشيخ علاء الدين بن الحسن عليّ بن سليمان المرداوى - مطبعة السُّنَّة المحمدية - غزة .

٣٦ - تصحيح الفروع : لعلى بن سليمان المقدسى - مطبعة المنار - مصر .

٣٧ - كشاف القناع عن متن الإقناع : للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتى - مطبعة الحكومة - مكة .

٣٨ - فتاوى الشيخ ابن تيمية - جمع : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى - مطابع الرياض .

٣٩ - فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم - جمع : محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم - مطبعة الحكومة - مكة .

٤٠ - الرسائل والمسائل : علماء نجد - مطبعة المنار - القاهرة .

٤١ - البحر الرائق شرح كنوز الرقائق : لزين الدين بن نجيم الحنفى - دار المعرفة - بيروت .

٤٢ - شرح فتح القدير : للإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسى - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

٤٣ - البناية فى شرح الهداية : لأبى محمد محمود بن أحمد العينى - دار الفكر .

٤٤ - بدائع الصنائع : للفقيه إمام الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى الحنفى - مطبعة الإمام - القاهرة .

٤٥ - المدونة الكبرى : للإمام مالك بن أنس - دار صادر - بيروت .

٤٦ - روض الطالب : للإمام أبى يحيى زكريا الأنصارى الشافعى - المكتبة الإسلامية .

٤٧ - شرح منح الجليل : للشيخ محمد عليش - مؤسسة عبد الحفيظ البساط .

٤٨ - الخرشى على مختصر سيدى الخليل - دار صادر - بيروت .

٤٩ - حاشية الدسوقى : للشيخ شمس الدين محمد بن عرفة الدسوقى - دار إحياء الكتب .

٥٠ - روضة الطالبين : للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى - المكتب الإسلامى .

٥١ - المبدع فى شرح المقنع : لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح - المكتب الإسلامى - بيروت .

❋ ❋ ❋

محتويات الكتاب

الصفحة

التعريف والترجمة لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم ، بقلم الأستاذ عبد القادر بن حبيب الله السندى ٥

مقدمة الجزء الرابع من الخطب ، بقلم المؤلف ١٧

الباب الأول : الحج

(١٩ - ٢٢٠)

١ - فضل عشر ذى الحجة (ألقيت يوم ٣/١٢/١٣٩٨ هـ) ٢١

الخطبة الثانية ٢٦

٢ - بنيت الكعبة من أجل التوحيد (ألقيت يوم ١١/١١/١٤٠٦ هـ) ٢٨

الخطبة الثانية ٣٢

٣ - الحج ركن من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلاً (ألقيت يوم ٢/ ١٠/١٣٩٨ هـ) ٣٤

الخطبة الثانية ٣٩

٤ - إخلاص النية فى الحج لله (ألقيت يوم ٢١/١١/١٤٠٧ هـ) ٤١

الخطبة الثانية ٤٧

٥ - الحاج فى إطاعة الله (ألقيت يوم ١٦/١١/١٣٩٧ هـ) ٤٩

الخطبة الثانية ٥٤

الصفحة

٦ - خذوا عنى مناسككم (ألقيت يوم ٢٢/١١/١٤٠٢ هـ) . . . ٥٧
الخطبة الثانية ٦٢
٧ - أساس الحج توحيد الله (ألقيت يوم ٢٩/ ١١ /١٤٠٢ هـ) . ٦٤
الخطبة الثانية ٧٠
٨ - فوائد الحج لا تُحصى (ألقيت يوم ٣٠/ ١٠/١٣٩٩ هـ) . . ٧٢
الخطبة الثانية ٧٧
٩ - الأنساك ثلاثة . . كلها جائزة إن شاء الله (ألقيت يوم ٥/١١/١٤٠٢ هـ) ٨٠
الخطبة الثانية ٨٤
١٠ - مشاعر المسلم تتحرك شوقاً إلى بيت الله الحرام (ألقيت يوم ١٦/ ١٠/ ١٤١٥ هـ) ٨٦
الخطبة الثانية ٩١
١١ - اختيار النفقة الحلال فى الحج (ألقيت يوم ٤/١١/١٤٠٣ هـ) ٩٣
الخطبة الثانية ٩٦
١٢ - الاشتراط عند الإحرام (ألقيت يوم ١٣/١١/١٤٠١ هـ) . ٩٨
الخطبة الثانية ١٠٣
١٣ - أعمال الحج ومحظورات الإحرام (ألقيت يوم ٢٤/١١/١٤٠٨ هـ) ١٠٥
الخطبة الثانية ١١٠

الصفحة

١٤ - عند بيت الله تُحَط الآثام (ألقيت يوم ١١/١١/١٣٩٨ هـ) ١١٢
الخطبة الثانية ١١٦
١٥ - اجتناب الرَّفَث فى الحَج (ألقيت يوم ٢٩/١١/١٤١٠ هـ) ١١٩
الخطبة الثانية ١٢٤
١٦ - تشوق المسلم لمعرفة حَجَّة النبى ﷺ (ألقيت يوم ٦/١١/١٣٩٦ هـ) ١٢٦
الخطبة الثانية ١٣١
١٧ - صفة التمتع فى الحَج (ألقيت يوم ٢٣/١١/١٤٠٥ هـ) . ١٣٣
الخطبة الثانية ١٣٧
١٨ - من أحكام الحَج (ألقيت يوم ٦/١١/١٤٠١ هـ) ١٣٩
الخطبة الثانية ١٤٤
١٩ - آثار الحَج فى نفس الحاج (ألقيت يوم ٢٤/١١/١٤١٠ هـ) ١٤٦
الخطبة الثانية ١٥٠
٢٠ - الاستقامة على التوبة ووصية الحجاج بعد الحَج (ألقيت يوم ٢١/١٢/١٣٩٧ هـ) ١٥٢
الخطبة الثانية ١٥٨
٢١ - إيذاء المسلمين فى الحَج من الفسوق (ألقيت يوم ١٤/١١/١٤٠٧ هـ) ١٦٠
الخطبة الثانية ١٦٦
٢٢ - استنكار ما خرج عن أعمال الحَج (ألقيت يوم ٢/١٢/١٤٠٨ هـ) ١٦٩
الخطبة الثانية ١٧٥

الصفحة

٢٣ - الأدب مع الله ورسوله ﷺ خاصة فى الحَج (ألقيت يوم ٢٩/١١/١٤٠٧ هـ) ١٧٧
الخطبة الثانية ١٨٤
٢٤ - التوفيق للحج نعمة يجب شكرها (ألقيت يوم ١٢/١٢/١٤٠٨ هـ) ١٨٨
الخطبة الثانية ١٩٤
٢٥ - وصية للحجاج (ألقيت يوم ١٩/١٢/١٤٠٨ هـ) ١٩٦
الخطبة الثانية ٢٠١
٢٦ - تذكير الحاج بالأحوال أولاً ، والمقارنة بينها وبين الوقت الحاضر (ألقيت يوم ١٣/١٢/١٤٠٧ هـ) ٢٠٤
الخطبة الثانية ٢٠٩
٢٧ - الاقتداء بالنبى ﷺ فى الحَج (ألقيت يوم ١٨/١١/١٣٩٨ هـ) ٢١٢
الخطبة الثانية ٢١٧

الباب الثانى : البيوع

(٢٢١ - ٣١٠)

٢٨ - الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ (ألقيت يوم ٢/١١/١٤١٠ هـ) .. ٢٢٣
الخطبة الثانية ٢٣٠
٢٩ - المعاملات المنهى عنها (ألقيت يوم ٩/١١/١٤١٠ هـ) ... ٢٣٣
الخطبة الثانية ٢٤٠

الصفحة

٣٠ - الحث على الكسب الحلال (ألقيت يوم ٢١ /٣/ ١٤١٠ هـ) ٢٥٤
الخطبة الثانية ٢٥٢
٣١ - التحذير من الكذب فى البيع والشراء (ألقيت يوم ٢١/ ٤/ ١٣٩٥ هـ) ٢٥٤
الخطبة الثانية ٢٦٠
٣٢ - التحذير من اليمين الكاذبة (ألقيت يوم ١٦/ ٨/ ١٣٩٨ هـ) ٢٦٣
الخطبة الثانية ٢٦٨
٣٣ - السماحة فى البيع (ألقيت يوم ٢٦/ ٥/ ١٤٠٣ هـ) ٢٧١
الخطبة الثانية ٢٧٨
٣٤ - التحذير من البيوع المنهى عنها (ألقيت يوم ١١/ ٤/ ١٤٠٧ هـ) ٢٨٠
الخطبة الثانية ٢٨٦
٣٥ - الربا ضد البيع والشراء (ألقيت يوم ٢٤/ ١/ ١٤٠٠ هـ) .. ٢٨٨
الخطبة الثانية ٢٩٤
٣٦ - مقارنة بين الصدقة والربا (ألقيت يوم ١٨/ ٤/ ١٤٠٧ هـ) . ٢٩٧
الخطبة الثانية ٣٠٣
٣٧ - عقوبة آكل الربا (ألقيت يوم ١٩/ ٧/ ١٣٩٣ هـ) ٣٠٥
الخطبة الثانية ٣٠٩

الصفحة

الباب الثالث : الأطعمة

(٣١١ - ٣٨٤)

٣٨ - تفاوت الأرزاق دليل على تفاوت منازل الآخرة (ألقيت يوم ١٣/١٠/١٣٩٨ هـ) ٣١٣

الخطبة الثانية ٣١٩

٣٩ - النهى عن أكل الحرام (ألقيت يوم ١/٦/١٤٠٢ هـ) ٣٢٤

الخطبة الثانية ٣٣٠

٤٠ - النهى عن المكاسب المحرَّمة (ألقيت يوم ٢٥/٦/١٣٩٥ هـ) ٣٣٣

الخطبة الثانية ٣٣٨

٤١ - رزق الحيوان على الله (ألقيت يوم ٢٦/٤/١٤١٠ هـ) ... ٣٤١

الخطبة الثانية ٣٤٧

٤٢ - تحريم أكل الأموال بالباطل (ألقيت يوم ١٢/٨/١٤٠٢ هـ) ٣٤٩

الخطبة الثانية ٣٥٣

٤٣ - أسباب وجود المتناقضات (ألقيت يوم ١٠/١/١٤٠١ هـ) ٣٥٥

الخطبة الثانية ٣٥٩

٤٤ - تحريم لُبْس الذهب والفضة على الرجال (ألقيت يوم ٢٢/١٠/١٣٩٩ هـ) ٣٦١

الخطبة الثانية ٣٦٦

الصفحة

٤٥ - جواز الانتفاع بصناعات الأعداء غير المحرَّمة (ألقيت يوم ١٧/ ١/ ١٤١٠ هـ) ٣٦٨
الخطبة الثانية ٣٧٤
٤٦ - أكل الرِّشوة حرام (ألقيت يوم ١٧/ ٨/ ١٣٦٦ هـ) ٣٧٦
الخطبة الثانية ٣٨١

الباب الرابع : مُنوَّعات

(٣٨٥ - ٤٩٠)

٤٧ - فى الوصية (ألقيت يوم ٣/ ٨/ ١٤١٢ هـ) ٣٨٧
الخطبة الثانية ٣٩٢
٤٨ - خُلِق الإنسان للعبادة (ألقيت يوم ١١/ ٨/ ١٤١٢ هـ) ٣٩٦
الخطبة الثانية ٤٠٣
٤٩ - راحة البال (ألقيت يوم ٢٧/ ٥/ ١٤١٣ هـ) ٤٠٥
الخطبة الثانية ٤١١
٥٠ - صفة قبض الروح (ألقيت يوم ١٢/ ٧/ ١٣٩٣ هـ) ٤١٣
الخطبة الثانية ٤١٩
٥١ - الجنائز (ألقيت يوم ١٨/ ٧/ ١٤٠١ هـ) ٤٢٠
الخطبة الثانية ٤٢٥
٥٢ - الاستعداد للاختبار الأكبر (ألقيت يوم ٦/ ٦/ ١٣٩٦ هـ) .. ٤٢٧
الخطبة الثانية ٤٣٢

الصفحة

٥٣ - صفات المتقين (ألقيت يوم ١٤٠٧/٦/٨ هـ) ٤٣٥
الخطبة الثانية ٤٤٢
٥٤ - إفشاء السلام (ألقيت يوم ١٠/ ١٤٠٢/١٠ هـ) ٤٤٤
الخطبة الثانية ٤٤٩
٥٥ - التواصل بين الناس (ألقيت يوم ١٣/ ١٤٠٠/١ هـ) ٤٥١
الخطبة الثانية ٤٥٥
٥٦ - الزهد فى الدنيا (ألقيت يوم ٢١/ ١٤٠٢/٢ هـ) ٤٥٨
الخطبة الثانية ٤٦٤
٥٧ - التحذير من الاغترار (ألقيت يوم ١٣٩٢/٨/٧ هـ) ٤٦٦
الخطبة الثانية ٤٧٢
٥٨ - التحذير من الأفلام الخليعة (ألقيت يوم ١٦/ ١٤٠١/٣ هـ) ٤٧٤
الخطبة الثانية ٤٧٩
٥٩ - وصية للمسلمين (ألقيت يوم ١٤/ ١٤٠٠/٣ هـ) ٤٨١
الخطبة الثانية ٤٨٥
قائمة المراجع ٤٩١
محتويات الكتاب ٤٩٧

رقم الإيداع ٥٧١٤/ ٩٣
I. S. B. N
977 - 06 - 5254 - 41 - 8

شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : ٣٩٠٤٠٩٦

خطب الجُمع والأعياد

أُلقيت على منبر خير العباد ﷺ

أعدها وألقاها

عبدالله بن محمد بن زاحم

امام وخطيب المسجد النبوي الشريف

ورئيس محاكم منطقة المدينة المنورة

المجلد الخامس

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد : -

أقدم لك أيها القارئ الكريم المجلد الخامس من كتاب (خطب الجمع والأعياد ألقيت على منبر خير العباد) ويشتمل على تسع وستين خطبة في موضوعات مختلفة ، وقد حرصت على إخراجها المخرج المناسب ، ودعَّمتها بنصوص الكتاب والسنة ؛ ليحصل بها تمام الفائدة . أسأل الله (عز وجل) أن ينفع بها من قرأها وسمعها ، وأن تكون ذخرًا لي وصدقة جارية أنتفع بها ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** »[1] والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

المدينة المنورة ١ / ٦ / ١٤١٧

وكتب

عبد الله بن محمد بن زاحم

---

(١) رواه مسلم : كتاب الوصية (١٢٥٥/٣) والحديث برقم (١٦٣١) .
وأبو داود : (٣٠٠/٣) والنسائي والترمذي .

موجز عن حياة سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم «أمدَّ الله في عمره المديد»

● اسمه ونسبه :

هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن عبد الوهاب ابن زاحم بن محمد بن حسن بن سلطان بن زاحم من آل فضل ، من المرازيق من قبيلة البقوم ، من الازد من قحطان .

● أما مولده ونشأته :

فإنه ولد – حفظه الله – في قرية القصب من قرى اليمامة بنجد في الوشم ، في عام ١٣٥٠ هـ ، ونشأ فيها عند والديه ، على التقوى والصلاح ، وكان والده الشيخ « محمد ابن عبد الوهاب » – رحمه الله – حافظًا للقرآن الكريم ، وإمامًا لمسجدٍ في القصب .

فدرس على والده ، في دروس بعد العصر ، وبعد المغرب ، يقرأ القرآن الكريم ، وقد بدأ بالحفظ ، من قصار المفصل ، إلى آخر سورة طه وأكمل حفظ القرآن فيما بعد وكما أنه قرأ ودرس على المقرئ في القصب « الشيخ عبد العزيز بن محمد المحارب » ، وعلى المقرئ « الشيخ عبد العزيز بن عليّ بن عوجان » .

ولما توفي والده الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » في عام ١٣٦٢ هـ في القصب ، وقد بلغ سن الشيخ « عبد الله بن محمد » اثني عشر عامًا ، انتقل إلى عمه الشيخ « عبد الله بنِ عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن عثمان بن زاحم بن محمد ابن حسن بن سلطان بن زاحم » في الرياض ، وكان عمه رئيسًا للمحكمة الكبرى الشرعية هناك فأخذ منه في شتى العلوم ، وفي عام ١٣٦٣ هـ انتقل عمه الشيخ « عبد الله ابن عبد الوهاب » – رحمه الله تعالى – إلى المدينة المنورة ، عن طريق مكة المكرمة ، فانتقل معه ، وقد أدَّوا فريضة الحج في العام نفسه .

ويقول الشيخ عبد الله صاحب هذه الترجمة : وتلك أول مرة في حياته يرى فيها مكة المكرمة ، والكعبة المشرَّفة ، والبقاع المطهَّرة .

قلت : لا شك أنها لحظة مباركة ، يتمناها كل مسلم ، وموقف عجيب ، وهو محبب للنفس ، ووقت نفيس لا يمكن نسيانه ، بل هو ثابت في الذاكرة .

وبعد أداء فريضة الحج ، توجه مع عمه والأسرة إلى المدينة المنورة ، فوصلوا في ١٣٦٤/١/١ هـ ، ثم التحق بالمدرسة المحمدية الابتدائية ، التي عند باب المجيدي بالسنة الرابعة ، وقد بلغ سنه آنذاك ثلاث عشرة سنة ، وكان يدرس فيها علم الفرائض بالسنة الرابعة ، وهذا دليل قويٌّ على مستواه التعليمي الجيّد ، ثم التحق بوظيفةٍ في المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة لظروف الحياة التي قد تتعرض للإنسان ، فعُيِّن مساعدًا لكاتب ضبط ، وفي هذه الأثناء كان يأخذ العلم مساءًا على كلٍ من مشايخ المدينة المنورة :

١ – عمه الشيخ « عبد الله بن زاحم » رحمه الله .

٢ – الشيخ « محمد الخيال » رحمه الله رحمه الله .

٣ – الشيخ « عبد العزيز بن صالح » .

وكان يأخذ على هؤلاء الأجلاء في العقائد والفرائض ، واللغة العربية ، والفقه .

٤ – وكان يأخذ الحديث وعلومه على « الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الإفريقي » رحمه الله[1] . ولما فتح المعهد العلمي في عام ١٣٧١ هـ في الرياض ، ترك الوظيفة ، فالتحق به للدراسة ، وكان يحضر دروس سماحة الشيخ « محمد بن إبراهيم » ، والشيخ « عبد اللطيف بن إبراهيم » في المسجد . ومن مشايخه في الكلية والمعاهد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد الرزاق العفيفي ، والأستاذ « عبد اللطيف سرحان » ، والشيخ « حمد الجاسر » ، والشيخ « عبد الرحمن بن عودان » ، والشيخ « عبد العزيز بن رشيد » وغيرهم رحم الله الميت منهم أما الأحياء – فجزاهم الله خيرًا[2] – وكان يعود إلى المدينة المنورة في خلال العطلات الصيفية لملازمة علمائها المذكورين ، والأخذ عنهم . وكان من أساتذته في التجويد الشيخ قارئ

---

(١) وأخذ في التفسير وعلومه عن العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي .

(٢) وغفر نيتهم .

عبد الرءُوف ، والشيخ خليل عبد الرحمن .

٥ – وفي أثناء دراسته كان يقرأ على الشيخ « محمد بن الأمين الشنقيطي » ، رحمه الله ، للأخذ عنه في التفسير وعلومه ، والمنطق والأصول في العطل الصيفية .

وبعد تخرُّجه من المعهد العلمي بالرياض التحق بكلية الشريعة بالرياض ، وفي عام ١٣٧٨ هـ تخرج من الكلية وأتم دراسته الجامعية فدعاه الشيخ محمد بن إبراهيم من المدينة والزمه بمساعده محكمة حائل .

وفي ١٣٧٩/٤/١١ هـ عُيِّن مساعدًا لرئيس محكمة حائل ، وبعد إحالة رئيس المحكمة للتقاعد عُيِّن « الشيخ عبد الله » رئيسًا لها بتاريخ ١٣٨٠/٤/٤ هـ .

ثم عُيِّن رئيس محكمة (ب) في ١٣٨٥/٧/١ هـ ، ثم رئيس محكمة (أ) في ١/ ١٣٨٦/٧ هـ .

وفي عام ١٣٩٠ هـ عاد إلى المدينة المنورة ، وكُلِّف بعمل مساعد رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة ولما توفى رئيسها عين رئيسًا للمحكمة بأمر ملكي .

وفي آخر عام ١٣٩١ هـ عُيِّن إمامًا وخطيبًا للمسجد النبوي الشريف .

وفي ١٣٩٧/١٢/١٢ هـ عُيِّن على وظيفة قاضي تمييز ، ولا يزال على هذه الوظيفة ، ويعمل رئيسًا لمحاكم منطقة المدينة المنورة ، وإمامًا وخطيبًا للمسجد النبوي ، ولم يرغب الخروج من المدينة المنورة طوال هذه المدة ، وأحبَّ البقاء في المدينة النبوية الشريفة والموت فيها . عملا بقوله صلى الله عليه وسلم « **من استطاع أن يموت في المدينة فاليفعل فإني أشفع لمن يموت فيها** »

أمدَّ الله تعالى في عمره بالعمل الصالح ، وأجزل له مثوبته(١)

المدينة المنوره في ٢٥ / ٥ / ١٤١٧ هـ

عبد القادر حبيب الله

أحد علماء المدينة المنوّرة

(١) أكثر هذه المعلومات تلقيت من بعض الإخوة القريبين من الشيخ عبد الله .

٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى

٢٨ / ١٠ / ١٣٩٣

[الاستعداد للعدو بالقوة]

الحمد لله الغني الحميد، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له القوي العزيز.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ. فيا أيها المسلمون؛ اتقوا الله تعالى، وتأملوا في تعاليم دينكم، فقد نظم لكم حياة عزيزة كريمة، ورسم لكم دستورًا فيه تنظيم الأمور من جميع نواحيها مهما تعددت أنواعها وتغيرت مقاصدها، ورتب لكم نظام الحياة في السلم والحرب.

عباد الله؛ قال الله تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

جاءت هذه الآية الكريمة بعد سياق الآيات التي بَيَّنَ الله فيها قصة بدر، ونصره لعباده المؤمنين مع قلة عددهم وعُدَّتهم، نصرهم على الكافرين مع كثرة عددهم وعُدتهم، جاءت بعد الآيات التي وصف الله فيها أحوال الكافرين، ومشابهتهم للأمم

---

(١) الأنفال (٦٠).

التي قبلهم، كذبوا بآيات الله فأهلكهم.

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾(١)

وبعد أن وصف الله أعداء الإسلام بأنهم شر الدواب عند الله؛ لأنهم لا يؤمنون بالله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، ولا يفون بالعهود، ولا يحترمون الحقوق والوعود.

وبعد أن حرض الله نبيَّه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- على المعاندين المكابرين أن ينكل بهم متى ظفر بهم في الحرب، وأن يجعلهم عبرة لغيرهم.

وبعد أن أرشد الله نبيَّه -صلى الله عليه وسلم- لما ينبغي اتباعه إذا ظهرت له بوادر الغدر والخيانة، ونقض العهد من الكافرين.

بعد هذا كله جاءت هذه الآية الكريمة، فيها تهديد وتوبيخ للكافرين، وفيها توجيه وإرشاد للمؤمنين. فأما الكافرون لما ظهرت منهم علامات الغدر والخيانة والعناد دلَّ ذلك على تماديهم في الكفر بالله، وطمعهم في النيل من المسلمين وإيذاء المؤمنين، فتهددهم الله بأنهم تحت قهره وسيطرته، لا يفوتونه ولا يعجزونه، فليس لهم من دونه ولي ولا نصير، وليس لهم عنه مفر ولا محيص. فهو قادر على أن يهلكهم كما أهلك الأمم التي قبلهم، فقال تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ**﴾.

وأما المؤمنون، فلما حصل لهم النصر مع القلة، وحصلت لهم البشارة بتهديد الكافرين، أمرهم الله، أن يجمعوا بين التوكل على الله، وبين الأسباب المؤدية إلى النصر والظفر؛ فقال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾(٢) الآية.

فالاستطاعة هي بذل الجهد في العمل والصّبر على التعب، وكل ما في إمكان الإنسان أن يفعله. والقوة هي كل ما يحصل به إرهاب العدو ودحره، وما يحصل به

---

(١) الأنفال (٥٢).

(٢) الأنفال (٦٠).

النصر والعزة والكرامة ، من الرجال والمال والعتاد وحسن التدبير . وأخذُ الاحتياطات لجميع الاحتمالات ، فالآلات الحربية الموجودة الآن والتي ستوجد فيما بعدُ ، والتمرين على استعمالها وصُنعها واقتنائها ، كله داخل في هذه الآية الكريمة ، ومأمور بإعداده للأعداء .

وأساس القوة هو الاعتماد على الله ، والاعتصام بحبل الله ، والتعاون والتكاتف والتضامن ، كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، والتآخي كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمى . وقد أشارت هذه الآية إلى أن القوة لا تحصل إلا بالتعاون ، فكان الخطاب في الآيات المتقدمات للنبي – صلى الله عليه وسلم – لأنه هو القائد الأعلى للجيش ، وهو الذي يدبره ويوجهه . فلما جاء الأمر باتخاذ الاستعداد والقوة وجه الخطاب للجميع ؛ فقال : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ ﴾ .

وقال : ترهبون به عدو الله وعدوكم . هذا مع الآيات الصريحة في وجوب الاعتصام بحبل الله جميعًا ، وتحريم التفرق والخلاف .

وإذا تأملنا واقع الأمر الآن ، وجدنا أن التعاون والاتفاق والتضامن قد أوجد قوة بلغت في خدمة القضية الإسلامية ما لم تبلغه الطائرات والقنابل ، ولا الدبابات والمدافع ، ألحقت بجميع الأعداء خسائر فادحة أكثر مما أوجدتها القوة الحربية ، وكونت خطرًا على العدو أكثر من الحديد والنار ؛ فالحمد لله الذي ألَّف بين القلوب ، ووحَّد الجهود ، جزى الله العاملين على ذلك أحسن الجزاء .

إن الأمة الإسلامية الآن قد عرفت حقائق الأمور ، وأدركت خطأها فيما مضى ، وانطلقت بقوة الإيمان والصدق والعزم ، وانتفضت انتفاضة أسدٍ كان كامنًا في زُبية ، وسارت تجاه الطريق القويم نحو العزة والكرامة .

فعرفت العدو من الصديق ، وعرفت الصادق من الكاذب ، وعرفت الناصح من الغاش ، وعرفت الوفيَّ من الخائن . فيا تُرى ماذا سيكون موقف الأعداء ، هل تظن أخي المسلم ؛ أنهم مرتاحون لهذا ، أو أنهم سيقفون مشبكي الأصابع مُغْمضي الأعين ؟ كلا إنهم سيجندون كل قواهم لإعادة الوضع كما كان ، ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فاحذر أخي المسلم ؛ كل الحذر ، ولا تقبل منهم صرفًا ولا عدلًا . فإنهم يدسون السم في الدسم ، ويأتون الحَذِرَ من مأمنه ، ويغدرون بالنفوس من تلقاء شهواتها ورغباتها . فعلى الفرد وعلى المجموعة أن يعدوا لهم كل ما استطاعوا من قوة . ولا يخفى أن الاقتصاد له دور هام في تنمية القوة وتعزيزها . بل هو أساس وجود القوة إذا ضبط وصرف بحكمة وتدبير وإخلاص .

فأنت أيها الأخ المزارع ؛ تخير من الزراعة ما فيه قوة لك ، وبلاغًا لقومك ، ازرع الحبوب بأنواعها ، والثمار المدخرة بأصنافها ، ودع عنك التوابل والكماليات التي إذا مضى عليها أيام قلائل فسدت .

وأنت أيها التاجر ؛ لا تنجرف في استيراد البضائع التي ليس لبلادك فيها قوة ولا منفعةٌ ولا قوام . واحرص على تصنيع بلادك ، واستخراج خيراتها من أرضها .

وأنت أخي المستهلك ؛ لا تسرف في تبذير مالك ، ولا تندفع إلى تشجيع صنعة غيرك ، فلا تغير سيارتك كل سنتين أو ثلاث . ولا تغير أثاث بيتك من حين لآخر ، واكتفِ بما عندك ما دام صالحًا ، وفيه سداد لحاجتك .

وأنت أخي المدرس ؛ وجّه تلاميذك إلى طرق الخير ، وثبّت العقيدة الصحيحة في نفوسهم . وحذرهم من دسائس الأعداء والتيارات الإلحادية ، والأخلاق الرذيلة والعادات السيئة .

وأنتِ أيتها الأم ؛ احرصي على تربية أولادك على الخير والفضائل ، والجد والعمل ، والصبر والتحمل ، والصدق والنصح والإخلاص وحذريهم من أعداء إسلامهم .

وأنت أيها الشاب العزيز ؛ أنت رجل المستقبل فتعلم ما تبني به صرح بلادك ، وتحفظ به عزّتك وكرامتك ، وهيئ نفسك لخدمة أمتك وتصنيع وطنك ، واجعل دائمًا في جميع مراحل حياتك أمام عينيك وملء قلبك - الإيمان بالله الذي خلقك وإليه معادك ، وخشيته وتقواه في السرِّ والعلانية ، يجمع لك بين ثواب الدنيا والآخرة .

وأنت أيتها الشابة الكريمة ؛ بك نبتني البيوت ، لك رسالة في المجتمع هي أعظم

رسالة ، وعليك واجب هو أول واجب في المجتمع ، فهيئي نفسك للقيام بواجبك ، وتفرّغي لما من أجله خلقت الله وتوكلي على الله في جميع أحوالك ، واستعيني به في أداء رسالتك .

فإذا قام كل فرد وكل جماعة بما يجب عليه بجد ونشاط وإخلاص ؛ فإن الله سيوفّقكم ويعطيكم ما أعطى غيركم في هذه الدنيا ، ولكم عليهم الفضل والكرامة بالإيمان ، والثواب العظيم والسعادة في الآخرة إن شاء الله تعالى . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الحي القيوم ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له الواحد الأحد الفرد الصمد .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته .

أمَّا بعدُ . فإن أحسن الحديث كلامُ الله ، وخيرَ الهدي هدي نبينا محمد ، صلَّى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون ؛ تأملوا قول الله تعالى :

﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1]

فكلمة ﴿ **شيء** ﴾ عامة شاملة لكل ما يحتاجه المسلمون في جهادهم وكفاحهم ، ولكل ما يقدمه المسلم قربة لله من أعمال الخير التي تعين أخاه المسلم ، وتقوي شوكة المسلمين ، ويعينهم على عدوهم . فيدخل فيها التعود والتفرد حتى والطعام والعتاد . ويدخل أيضًا الدم الذي يتبرع به المسلم لإسعاف إخوانه المسلمين ، والعلاجُ الذي يقدمه لهم . كل ذلك وغيره داخل في هذا النص الكريم .

فمن أنفق شيئًا من ذلك قاصدًا به وجه الله ، وإعانة المظلوم ؛ فإن الله سيخلف عليه في الدنيا بأكثر مما أنفق ؛ وفي الآخرة ثوابًا عظيمًا وأجرًا مضاعفًا . عباد الله ؛ يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ . اللهم ؛ صلِّ وسلم وبارك بالنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود . وارض اللهم ؛ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وعن

---

(١) الأنفال (٦٠) .

التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم ؛ ارضَ عنا معهم ..... وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللهم ؛ أعزَّ الإسلام والمسلمين . اللهم ؛ انصر جيوش المسلمين . اللهم ؛ أنزلِ السكينة عليهم ؛ واربط على قلوبهم ؛ ووحِّدْ كلمتهم ، واجمع شملهم . اللهم ؛ كن لهم ناصرًا ومؤيدًا . اللهم ؛ دبر خِططهم ويسِّر أمورهم ، وافسح الطريق أمامهم ، وافتح لهم أبواب النصر والتمكين ، وثبِّت أقدامهم ، وانصرهم على القوم الكافرين . إنك أنت العزيز الرحيم .

اللهم ؛ أذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين . اللهم ؛ اخذل اليهود ومن والاهم . اللهم ؛ أنزل الرعب في قلوبهم ، وفرِّقْ جمعهم ، وشتِّتْ شملهم . اللهم ؛ احصر صدورهم ، وضيِّقْ نفوسهم ، واجعل بأسهم بينهم ، وسد الطريق أمامهم ، وافتح عليهم باب الهزيمة والذل والخذلان . اللهم ، اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم الظالمين ، إنك أنت القوي العزيز .

اللهم ؛ أمنا في أوطاننا ، وانصر واحفظ إمامنا وسدد خطاه ، وقو عزيمته ، وكلل مساعيه بالتوفيق والنجاح . اللهم ؛ واحفظ جميع ولاة أمور المسلمين . اللهم ؛ اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات . اللهم ؛ فرج هم المهمومين ، ونفس كرب المكروبين ، واقضِ الدين عن المدينين ، واشفِ أمراض المسلمين .

اللهم ؛ اسقنا الغيث والرحمة ، ولا تجعلنا من القانطين . اللهم ؛ إنا نستغفرك إنك كنت غفارًا ، فأرسل السماء علينا مدرارًا . اللهم ؛ إنا خلقٌ من خلقك ، فلا تمنع عنَّا بذنوبنا فضلك .

اللهم ؛ إن بالعباد والبلاد من الحاجة إلى سقياك ورحمتك ما لا نشكوه إلا إليك .

اللهم ؛ ارحم عبادك وبلادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحي بلدك الميت ، إنك على كل شيء قدير .

عباد الله ؛ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القرب ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون ؛ فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه يزدكم ، ولَذكرُ الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

٩ / ٩ / ١٤٠٩

[يوم الفرقان]

﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾

الحمد لله رب العالمين(١) . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين(٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٣) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله . جعل الله النصر والعزة لمن أطاعه ، وجعل الذلة والصغار على من عصاه(٤) . اللهم ؛ صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أمَّا بعدُ . فإن فضائل شهر رمضان وبركاتِه ونفحاتِ الله فيه لا تقتصر على الفرد المسلم وحده .

والأعمال الصالحة فيه لا تقتصر على الصلاة والزكاة والذكر والصوم والاعتكاف وحدها . بل تشمل أيضًا ذروة السنام(٥) . فلقد كان شهر رمضان موسم انتصارات وعز للإسلام والمسلمين ، وشهر فتوحات لإعلاء كلمة الله .

---

(١) سورة الفاتحة (١) .

(٢) سورة المنافقون (٨) .

(٣) سورة المجادلة (٢١) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النور آية رقم (٥٢) ، وبعكسها في سورة النساء (١٤) .

(٥) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أخرجه بعض أصحاب السنن وأحمد في المسند [٥/٢٣١] وإسناده جيد .

ففي شهر رمضان كان يوم الفرقان الأعظم[(١)] .

وفي شهر رمضان كان الفتح الأكبر[(٢)] .

وإذا تتبعنا أخبار الحركات الإسلامية التي كانت في رمضان من العصر الأول إلى يومنا هذا نجدها غالبًا مكلّلة بالتوفيق والنجاح . ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[(٣)] .

وإني لأرجو أن يكون النصر والنجاح في هذا الشهر المبارك لجميع الحركات الإسلامية وللمجاهدين في كل مكان .

ونسأل الله لكل مجاهد في سبيل الله ، ولإخواننا في الأرض المحتلة في فلسطين أن تكون انتفاضتهم المشرفة التي صمدت أمام عدوها من اليهود - مؤيدةً من الله ، وأن يكون هذا الشهرُ المبارك شهر عزٍّ وتأييد ونصر لهم[(٤)] .

وأوصي كل مسلم مجاهد بإخلاص النية لله ، وبالتمسك بأسباب النصر ، وهي خمسة :

الأول : الثبات على الإيمان والعقيدة ، والثبات على الثقة بالله ، فلا يتردد في أمره ولا يطع مُرجفًا[(٥)] ولا مُخذلًا بئس مطية الكذب يقولون .

الثاني : ذكر الله كثيرًا ، فلا يُلهيهم ما هم فيه عن الاتصال بالله ، وأداء حقوقه ، والاستغاثة به ، وطلب النصر من عنده[(٦)] .

الثالث : طاعة الله وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - في خاصة الفرد

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنفال آية (٤١) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الفتح [١-٢٩] فيها بيان كاف وشاف عن فتح مكة .

(٣) جزء من آية الأنفال آية رقم (١٠) .

(٤) مع وجود شرط أساسي ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ سورة محمد (٧) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب آية رقم (٦٠) .

(٦) إشارة إلى آيات كثيرة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية منها ما أوردها فضيلة الخطيب وفقه الله - منها آية رقم (٤٥) من سورة الأنفال . وكذا آية (٤٦) .

المسلم، والجماعة والبيت والأسرة. وخط المعركة وميدان الانتفاضة[١].

كما قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين أمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشَلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾

الرابع: الابتعاد عن الخلاف والشقاق والمنافسة على المناصب والمراكز والكراسي. فإن الخلاف سبب للفشل والهزيمة[٢].

الخامس: الصبر فلا يقول: طال الزمن، ولا يقول: اشتدت المحنة. فإن الفرج مع الكرب[٣]، وإن النصر مع الصبر، وإن مع العسر يسرًا[٤] إن مع العسر يسرا.

وأذكر إخواني المجاهدين وأذكر كل مسلم بيوم بدر الذي سماه الله يوم الفرقان[٥]. فهو فرقان بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وبين الإسلام والجاهلية. وفرقان بين تصور الناس لأسباب النصر والهزيمة، وبين إرادة الله وقدرته.

ففي العشر الأوائل من شهر رمضان خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لتلقي عيرًا لقريش مع أبي سفيان تحمل تجارتهم قادمة من الشام إلى مكة، ولا يخفى أن قريشًا حبست أموال المسلمين المهاجرين في مكة، ومنعتهم من أخذها لدار

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنفال آية رقم (١) إلى آخر الآيات وفيها دروس وعبر ومواعظ سامية في مثل هذه الأمور.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران آية (١٥٢)، والأنفال آية (٤٣-٤٦).

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أحمد في المسند (٣٠٨،٣٠٧) وإسناده حسن مع الشواهد.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الانشراح آية رقم (٥).

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنفال آية (٤١).

الهجرة . فخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم الإثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة مسرعًا قاصدًا العير ، ولم يكن على أهبة قتال ، وليس معه إلا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا ، ولم يكن معهم إلّا فَرَسان وسبعون بعيرًا ، يعْتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يأخذ دوره في العُقبة مع علي بن أبي طالب ، ومرثد بن أبي مرثد على بعير . وأبو بكر وعمر وعبد الرخمن بن عوف يعتقبون على بعير وهكذا .

فلما بلغ أبا سفيان خروج الرسول – صلى الله عليه وسلم – أرسل ضَمْضَم الغفاري يستنفر قريشًا لإنقاذ عيرهم ، وأخذ بالعير إلى أسفل جهة الساحل ، وترك طريق بدر[١] .

وذكر ابن هشام أن عاتكة أخت العباس رأت في المنام أن راكبًا وقف في الوادي في مكة على بعيره ، وصرخ بأعلى صوته ألا انفروا ياالغُدر لمصارعكم في ثلاث ، وفعل مثل ذلك في الحرم ، ومثل ذلك على جبل أبي قبيس ، ثم أرسل صخرة فهوت ثم تفتت ، فلم يبق بيت ولا دار في مكة إلا ودخله فيها شيء[٢] .

وفي اليوم الثالث دخل ضمضم الغفاري مكة ، وصرخ في الوادي واقفًا على بعيره ، قد قطع أنف البعير ، وحول رحله ، وشق قميصه على عادة الجاهلية للإثارة ، وهو يدعو باللطمة يقول : يا معشر قريش ؛ أموالكم مع أبي سفيان ، قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها فتجهز الناس سراعًا ، وخرجت قريش كما قال تعالى :

﴿ بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[٣]

---

(١) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة النبوية نقلًا عن مصادر موثوقة مع سوق الأسانيد ، وذلك في صـ ٣٨٧- [٥١٥/٢] ، وقد استوعب الإمام ابن كثير – رحمه الله – وقائع هذه الغزوة المباركة ، وفيها العجائب والغرائب فراجعه .

(٢) ذكرها الإمام ابن كثير في السيرة النبوية صـ [٣٨١/٢] إذ قال : قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ؛ قالا : ثم ذكر رؤيا لعاتكة بنت عبد المطلب ...

(٣) سورة الأنفال آية (٤٧) .

وتذكرت قريش ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من حرب ودماء حجزهم عن الانتقام ظهور الإسلام، واشتغال الناس به. فقالوا نخشى أن بني بكر يأتونا من خلفنا، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجي، وكان من أشراف كنانة، فقال إبليس لقريش: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا مسرعين[1].

فلما نجا أبو سفيان بِعيرِه أرسل إلى قريش يطلب منهم الرجوع، ويقول: إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجّاها الله - فارجعوا. فقال أبو جهل ابن هشام، والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم عليه ثلاثًا فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونُسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا.

فرد عليه الأخنس الثقفي وقال: إنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير منفعة. فرجع الأخنس ومن معه، ورجع أفراد من قريش[2].

ولما بلغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خروجُ قريش استشار الناس، فتكلم أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- وأحسن. وتكلم عمر وأحسن. وتكلم المقداد بن عمرو فقال: امضِ يا رسول الله؛ لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا. إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغِماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه[3].

---

(١) أورده الإمام ابن كثير في السيرة نقلًا عن ابن إسحاق جـ [٢/٣٨٦] مع ذكر الإسناد، ثم قال: قلت: وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ الآية من سورة الأنفال (٤٧) وقد قال السيوطي في الدر المنثور [٣/٧٧،٧٨]: أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، ثم ذكر قصة الشيطان في صورة سراقة بن مالك -رضي الله عنه- آنذاك.

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة [٢/٣٩٩،٤٠٠] نقلًا عن ابن إسحاق مع تأكيده له على ما ذكر من هذه القصة وزاد عليه من مصادر أخرى.

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة [٢/٣٩٢-٣٩٥]، نقلًا عن مصادر موثوقة، ومنها ابن رساف الصحيح ثم قال: هذا إسناده ثلاثي صحيح على شرط الصحيح.

فدعا له الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم قال، عليه الصلاة والسلام، أشيروا علي أيها الناس؛ فقال سعد بن معاذ - رضي الله عنه - وهو الذي يحمل راية الأنصار يومئذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال: أجل. قال سعد: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق. أعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله؛ لما أردت فنحن معك. فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا. إنا لصُبُرٌ في الحرب صدقٌ في اللقاء لعل الله يريك منا ما تَقَرُّ به عينُك، فسر بنا على بركة الله. فُسرّ رسول الله بقول سعد ونشَّطه، ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين[١]، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم. وارتحل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى نزل في العدوة الدنيا ونزلت قريش في العدوة القصوى[٢]. وما يعلم أحد بأحد حتى طلبت قريش الماء، ثم قال سعد بن معاذ - رضي الله عنه -: يا نبي الله؛ ألا نبني لك عريشًا تكون فيه ونُعدّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرَنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام - يا نبي الله - ما نحن بأشد لك حبًّا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يَمنعُك الله بهم، يناصحونك، ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيرًا ودعا له[٣].

واطلع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الكثيب على قريش؛ فقال: اللهم؛ هذه قريش قد أقبلت بِخُيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك. اللهم؛ فنصرَكَ الذي وَعدتني. اللهم؛ أحِنْهم الغداة. أي: أهلكهم. ثم طلب أفرادٌ من قريش المبارزة من أبناء عمهم من المسلمين - فبارزوهم فكانت الغلبة للمسلمين، وقتل

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنفال (٧،٨).

(٢) إلى هذا يشير قوله تعالى في سورة الأنفال آية (٤٢)، ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾.

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة [٢/٤٠٣،٤٠٤] نقلًا عن ابن إسحاق إذ قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدث: أن سعد بن معاذ قال: ثم ذكر قصة بناء العريش.

كل مسلم قرينه من الكافرين ، فتصاف الفريقان وتقابل الجمعان فعدَّل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صفوف أصحابه ، ثم رجع إلى العريش ، ومعه أبو بكر .

وأخذ نبينا - صلى الله عليه وسلم - يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد ، وأبو بكر يقول : يا نبي الله ؛ بعض مناشدتك ربَّك ، فإن الله منجز لك ما وعدك[١] . وخفق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خفقة ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريلُ آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النَّقْع[٢] .

وأنزل الله تلك الليلة مطرًا ، فكان على المشركين وابلًا شديدًا منعهم من التقدم . وكان على المسلمين طلًّا طهرهم به ، وأذهب عنهم رجس الشيطان ، وصلَّب به الرمل ، وثبت به الأقدام ، ومَهّدَ به المنزل ، وربط به على قلوبهم ، واستنصر المسلمون ربهم فأوحى الله إلى الملائكة :

﴿ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[٣] .

وأوحى إلى نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم :

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[٤]

---

(١) ذكره ابن كثير في السيرة [٤١١/٢، ٤١٢] ، وقد علق عليه ابن كثير تعليقًا جيدًا ... ثم قال : وكان الصديق - رضي الله عنه - رقيق القلب ، شديد الإشفاق على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة من [٤٢٠/٢] نقلًا عن ابن إسحاق ، وهذا بدوره ينقل ويروي عن الثقات بإسانيد متصلة فراجع السيرة [٤١١/٢-٤٢٠] .

(٣) سورة الأنفال آية (١٢) .

(٤) سورة الأنفال آية (٩) .

فلما رأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه ، وتبرأ من قريش ، وقال : ﴿ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(١) .

وتقابل الصفان فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المسلمين فحرضهم ، وقال : والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتل اليوم رجل فَيقتَل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة(٢) .

فلما دنا الناس بعضُهم من بعض أخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حَفْنة من الحصباء ، فاستقبل قريشًا بها ثم قال : شاهت الوجوه ثم نَفَحَهم بها وأمر أصحابه فقال : شدوا ، فكانت الهزيمة على الكافرين ، والنصر لله ولرسوله وللمؤمنين .

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾(٣) .

فقتل من المشركين سبعون رجلًا فيهم صناديد قريش وأشرافهم وسادتهم ، وأسر سبعون(٤) .

وقاتلت الملائكة يوم بدر ، فجاءت سحابة سمع فيها حَمْحمة الخيل ، وسُمع قائل يقول : أقدم حيزوم(٥) .

وكان المسلم يتبع المشرك ليقتله فيقع رأسه قبل أن يصل إليه . وسيما الملائكة عمائم بيض أرسلوها على ظهورهم . ويوم حنين عمائم حمراء . إلا جبريل - عليه

---

(١) سورة الأنفال آية (٤٨) .

(٢) إشارة إلى حديث أبي قتادة - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح الإمارة برقم (١١٧) وعام ١٨٨٥ وقد رواه الأموي في مغازيه كما عند ابن كثير في السيرة [٢/٤٢٤] ، بهذا اللفظ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنفال آية رقم (١٧) .

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح بالسياق الطويل الجهاد حديث رقم خاص ٥٨، وعام ١٧٦٣ وفيه هذا اللفظ المبارك ، وأورده مختصرًا الإمام ابن كثير في السيرة [٢/٤٢٦،٤٢٧] ، وعزاه إلى مسلم في الصحيح .

(٥) أورده الإمام ابن كثير في السيرة [٢/٤٢٦،٤٢٧] نقلًا عن ابن إسحاق بإسناده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ثم ذكره .

السلام – فكانت عمامته يومَ بدر صفراء[١] ، وانكسر سيف عكاشة بن محصن الذي شهد له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالجنة[٢] . فأعطاه جِذْلًا من حطب ، فقال : قاتل بهذا ، فلما هزّه في يده عاد سيفًا طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين . هذا ملخص موجز عن يوم الفرقان[٣] وهذه سنة الله في خلقه ، فالتدبير بيد الله ، والنصر بيد الله .

وكثرة العدد ليست هي التي تكفل النصر[٤] . والعدة المادية ليست هي التي تقرر مصير المعركة .

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[٥] ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ . وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٦] فاتقوا الله أيها المسلمون .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم وفي سنة نبينا الأمين ، وارحمنا وجميع المسلمين ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[٧] .

---

(١) أورده الإمام ابن كثير في السيرة نقلًا عن البيهقي من دلائل النبوة عن أبي أمامة – رضي الله عنه – صـ [٢/٤٢٨،٤٢٩] ، وكذا نقلًا عن يونس بن بكير عن عيسى بن عبد الله عن الربيع بن أنس به ثم ذكره .

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة [٢/٤٤٦] مختصرًا نقلًا عن ابن إسحاق مع ذكره أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – بشره بالجنة وقال : هذا الحديث مخرج في الصحاح .

(٣) هذا لفظ الإمام ابن كثير في السيرة [٢/٤٤٦] ، نقلًا عن ابن إسحاق ، رحمه الله تعالى ، ثم زاد عليه بقوله : وكان ذاك السيف يسمى العون ، ثم لم يزل عنده .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التوبة آية رقم (٢٥) : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ .

(٥) سورة آل عمران آية رقم (١٢٦) .

(٦) سورة البقرة آية رقم (٢٤٩) .

(٧) سورة البقرة آية (١٢٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين[1] . اللهم ، لك الحمد خلقتنا ورزقتنا ، وهديتنا وعلمتنا ، وانقذتنا وفرجت عنا .

لك الحمد بالإيمان ، ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال والولد والمعافاة كبّتّ عدونا ، وبسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وجمعت فرقتنا ، ومن كل ما سألناك أعطيتنا . ولك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث ، لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت .

وأشّهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله . عرف الدنيا وزاولها ، فلم يلتفت إليها ، وعرف الآخرة وبقاءها فأقبل عليها .

اللهم ، صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أمّا بعدُ . فأوصيكم وإياي بتقوى الله . فلا سعادة للمرء ولا صلاح إلا بالتقوى .

ولكي نعرف قيمة ما نحن فيه من الأمن والرخاء يجب أن نتعرف على أحوال الأخرين ، وأن نقرأ من أخبار الماضين .

والأجدر بالمسلم أن يدرس سيرة سيد الأولين والآخرين . روى مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم أو ليلة ، فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؛ قالا : الجوع يا رسول الله . قال : وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ، قوموا ، فقاموا معه . فأتى رجلًا من الأنصار ، فإذا هو

---

(١) سورة الفاتحة (١) .

ليس في بيته ، فلما رأتهَ المرأة قالت : مرحبًا وأهلًا ، فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أين فلان ؟ قالت : ذهب يستعذب لنا الماء . إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصاحبيه ثم قال : الحمد لله ما أحد اليوم أكرمَ أضيافًا مني . قال : فانطلق فجاءهم بعذق . فيه بسر وتمر ورطب ، فقال : كلوا من هذه ، وأخذ المدية ، فقال : رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إياك والحلوب . فذبح لهم فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ، وشربوا ، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لابي بكر وعمر : والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم[١] .

الحمد لله على نعم الله . فتأملوا المآكل والمشارب في البيوت الآن . الحمد لله على نعم الله . ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[٢] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا** » .

---

(١) مسلم في الصحيح كتاب الأشربة حديث رقم خاص ١٤٠ وعام ٢٠٣٨، ومن حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – بسياق طويل ونحوه حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه في قصة الخندق أخرجه مسلم برقم ١٤١ خاص وعام ٢٠٣٩ بسياق طويل وفيه عبر ومواعظ .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة

٢٢ / ٩ / ١٣٩٩

[في الجهاد]

الحمد لله الذي استخلص الحمد لنفسه ، واستوجبه على خلقه ، ناصيةُ كلِّ شيء بيده ، ومصيرُ كلِّ شيء إليه .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له . ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾(١) .

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان .

أما بعد .. فأوصيكم - عباد الله - بتقوى الله . فإنها العصمة من كل ضلالة ، والسبيلُ الى كل نجاة . واعلموا أن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذُّل وشمْلة البلاء ، وألزمه الصغار .

الجهاد عهد بين المؤمن وبين ربه ، وتجارة رابحة مع الله تعالى ، ثوابه الجنة ، وعاقبته النصر والعزة والسيادة والقيادة .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(٢) .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم (١٨) .

(٢) سورة التوبة آية رقم (١١١) .

٢٧

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، – ضمن الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيمانٌ بي ، وتصديقٌ برُسُلي فهو ضامن أن أدخله الجنه ، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر – أو غنيمة . والذي نفسُ محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلّا جاء يومَ القيامة كهيئته يومَ كُلِم ، لونُه لون دم ، أو ريحه ريح مسكٍ . والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا . ولكن لا أجد سعة فأحملُهم ولا يجدون سعة . ويشق عليهم أن يتخلفوا عني . والذي نفسُ محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل . ثم أغزو فأقتلَ ثم أغزو فأقتل . رواه مسلم » ..

أيها الناس ؛ إن النفس تهاب القتال ؛ لأنها تحب الحياة ، ولكن المؤمن بوعد الله ، والمؤمن بما جاء من عند الله ، يعلم أن الآجال محتومة ، والموتَ لابد منه واقعٌ لا محالة ، فَلأَن يكون الموتُ على كرامة وشهادة ، في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ثوابها الجنة ، والحياةُ الأبدية ، والنعيم السرمدي – خيرٌ من حياة الذُّل والإهانة والرضوخ لضغوط الأعداء .

والنفس أيضًا تكره القتال ؛ لأنه يحتاج إلى إنفاق المال ، والمؤمن يعلم أن هذه الحياة كلَّها عَرَض زائل سيفارقه عن قريب . والمؤمن يعلم أن ما عند الله خير وأبقى . والنفس أيضًا تكره القتال ؛ لأنها تخشى ألم الموت ، ولكن الشهادة في سبيل الله ليس فيها آلام ؛ لأن الشهيد يفرح بما يجده من تثبيت الله وإعانته ، وإقباله على حياة هي أكرم من هذه الحياة . وما يجده الشهيد من ألم الموت إلّا كما يجد أحدكم من قرصة بأطراف الأصابع ، أو قرصة نملة ونحوها لا تُحْدِث ألمًا ولا تترك أثرًا . قال صلى الله عليه وسلم : « ما يجد الشهيد من مس القتل إلّا كما يجد أحدكم قرصة » إذًا فالاحتمالات التي ينفذ منها الشيطان إلى النفس لتثبيطها كلُها منتَفِيةٌ ، فالموت لابد

(١) سورة الحجرات آية رقم (١٥) .

منه بأي سبب ، والقرضُ زائل ، والألم مفقود ، والثمن موجود ، والمشتري غني كريم .

فلم يبق أمام المسلم ما يمنع من طلب الشهادة وتمني الشهادة ، فإن من تمنى الشهادة في سبيل الله كُتبت له وأعطي ثوابها وجزاءها ، وإن مات على فراشه .

قال – صلى الله عليه وسلم – : « من تمنى الشهادة أعطيها وإن لم تصبه » . فالعزم على الجهاد واجب عيني على كل مسلم ، كما قال – صلى الله عليه وسلم – : « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » .

فالإسلام لا يرضى للمسلم عيشة الذِّلة والهوان ، ولا يرضى للمسلم أن يقف موقف المسكنة والخمُول .

والإسلام لا يرضى للمسلمين أن يكونوا في مؤخِّرة القافلة . الإسلام يريد للمسلم أن يكون شامخ الرأس ، أشمَّ الأنف ، قويَّ الشكيمة ، كريم المنزلة ، عزيز النفس ، له القيادة والرئاسة ، لإقامة العدل بين الناس ، ورفع الظلم عن الناس ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾(١) ولذلك كان الجهادُ ذروة سنام الإسلام ، وقاعدة ترتكز عليها قوته وعزته وانتصاره .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(٢)

قرأ النبي – صلى الله عليه وسلم – هذه الآية ، وهو على المنبر ، وقال : « ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » . ألا إن القوة الرمي . كررها ثلاثًا ، والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، يخاطب أمة مؤمنة ، فإن أعظم قوةٍ يعتمد عليها الجهاد في سبيل الله هي الإيمان ، فواجب على المسلمين أن يعدوا لجهادهم شبابًا مؤمنًا بالله مؤمنًا برسول الله ،

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم (١٠٧) .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٦٠) .

صلى الله عليه وسلم ، فجهادٌ بِلا إيمان غير ناجح وغير منتصر ، فالمؤمن يقاتل لينالَ الشهادة والثواب من الله تعالى والرضوان ، فهو يقاتل يَطْلُب الموت ، وفي المثل السائر : اطلب الموت توهب لك الحياة . والمؤمن له تأييد من الله ، وغير المؤمن يقاتل ليعيش ، ويقاتل من أجل الدنيا ، فهو يَفرُّ من الموت ، ولا يثبت كما يثبت المؤمن ؛ ولذلك وجب على المسلم أن يصمد أمام اثنين من الكافرين يقابل إنسان بإنسانا ، ويقاوم الآخر بالإيمان ودوافع الإيمان . القوة الثانية هي العدة بأنواعها وأساليبها ، فالرميُ كل ما يرمى به في الحرب ، فيشمل البنادق والرشاشات ، والمدافع والقنابل ، والصواريخ بأنواعها . ورباط الخيل وما حل محله مما يُركب في الحرب كالدبابات ، والمدرعات والسيارات والطائرات .

فواجب على المسلمين أن يعدوا هذه القوة ، وأن يتمرنوا عليها ، وأن يصنعوها بأنفسهم فما زاد أولئك بعضو من الأعضاء ، وإنما زادوا بالعمل والجد والتخطيط ، والتعاون ، فكل يعمل لمن بعده ، وكل يبدأ من حيث وقف سابقه . أما المسلمون فإنهم في غفلة ، في إهمال ، فدُخِلوا وفُرقوا وأُخرجوا عن دينهم ، فاتقوا الله أيها المسلمون يا شباب الإسلام كفى ما مضى ، كفى ما نحن فيه ، هل تريدون مزيدًا من الذلة والهوان .

إن الحالة الراهنة توجب العجب من جد أولئك والشك في باطلهم وصبرهم على تنفيذ مخططاتهم ، وتقاعُس المسلمين عن حقهم وإستسلامهم لعدوهم ، فصاروا غرضًا يُرمى ، يغار عليهم ولا يُغيرون . ويعصَى اللهُ وتِرضوَن ، فاتقوا الله يا شباب الإسلام يا رجال المستقبل وقادته .

كل ما حصل على المسلمين مما نرى إنما هو بسبب بعدهم عن دينهم ، وفصل الدين عن الدولة ، وفصل السياسة عن الدين إنما حصل بسبب صدود المسلمين عن كتابهم ودستور دينهم ، كل ما حصل بسبب انحراف المسلمين خلف مخططات أعدائهم ، أعطونا أخبث ما عندهم فأخذنا ؛ ودعونا لشر ما عندهم فأجبنا ، وأخذوا أحسن ما عندنا فرضينا ، شغلونا عن كتاب ربنا ومصدر قوتنا فانشغلنا ، وصدونا عن صراط ربنا فانصرفنا ، اشتروا منا الضمائر فبعناها ، وطلبوا منا البلاد فأعطيناها ، وطلبوا منا التفرق فتفرقنا فهل يبقى لكم يا مسلمون بعد هذا قوة ؟ كيف تريدون النصر وأنتم

كذلك ؟! اتقوا الله يا أمة الإسلام ، ارجعوا إلى دينكم ، وتوبوا إلى ربكم . لن تكون لكم قوةٌ حتى تعودوا إلى الله ، ولن تكون لكم هيبة حتى تخافوا من الله ، لن يكون لكم نصر حتى تعتصموا بحبل الله ، إن النفس لا تنتصر في المعركة الحربية إلّا إذا انتصرت في المعارك الأخلاقية والشعورية ، فالذين تولوا يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا من الذنوب .

والذين انتصروا في حرب رمضان كانوا صائمين تائبين مستغفرين معتمدين على الله ، صادقين وَعْدَ الله فصدقهم الله ونصرهم . وهذا هو الذي زلزل الأرض تحت أقدام الأعداء ، فَبَذلوا كل شيء للقضاء عليه . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، اللهم ؛ اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله القوي العزيز، لا يَذل من ولاه، ولايَعز من عاداه، وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ﴿ نعم المولى ونعم النصير ﴾.

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، بلّغ رسالة ربّه، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهديه ومن اتبع ملّته.

أما بعد .. فإن واقع المسلمين الآن مؤلم لا يُرضي الإسلامَ؛ صاروا أداة في يد عدوهم يُحرِّض بعضهم على بعض، ويحمل بعضُهم على بعض، وهم منقادون مستسلمون، رغبة في هذه الدنيا، وصدودًا عن الآخرة يا أمة الإسلام؛ إن نور الإيمان كامن في قلب كل مؤمن، وبذور الإسلام موجودة في شعور كل مسلم. فالنُّور يحتاج إلى إزالة الحواجز ليضيء من الخارج. والبذور تحتاج إلى سقي ورعاية لتؤتي ثمارها. والمسلمون في حاجة إلى راية جهاد صادق يلتفون حولها لقد سئم المسلمون، وحتى غير المسلمين من الشعوب سئموا نظامهم، فالكل يبحث عن الطريق الذي خلق من أجله، وعن النظام الذي يتفق مع فطرته. فالنفس مجبولة على التطلع إلى التقدم، واستمرار الآمال، وهذه الدنيا تنتهي آمالُها عند بلوغ غاياتها، وهي قريبة المدى. أما المسلم فإنه لا تنتهي آماله حتى يبلغ منتهاه ومنتهاه عند مولاه في جنة لا يبلغها تصوره ولا مناه، وأن إلى ربك المنتهى.

أيها المسلمون يا شباب الإسلام؛ إن المسلم لا يصلح أن يكون كسولًا، ولا مخذولًا، ولا جبانًا، ولا بخيلًا، وإنما هو عضو في جسم الأمة، وجندي من جنودها، دائمًا مرابطٌ في سبيل الله، وعلىاستعدادٍ لتحمل مسئوليته في الحياة، والجهاد لإعلاء كلمة الله، والدفاع عن مقدسات الله، فكونوا كذلك وأعِدُّوا للأمر عدته، وأحرصوا على التدريب والتمرين على جميع الآلآت والأساليب. فتحويل أوقات الفراغ في التدزيب أفضل من صرفها فيما لا ينفع، واحتسبوا الأجر من الله

تؤجروا ، والأجل قريب فكل ميت يختم على عمله إلا المرابطُ في سبيل الله فإنه ينمى له عملُه إلى يوم القيامة ، ويؤمَّن فتنة القبر وسؤال منكر ونكير . قال، صلى الله عليه وسلم ، : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات أُجْرِيَ عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجري عليه رزقه ، وأمن الفتان » ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة

٧ / ٦ / ١٤١٢

[وجوب طاعة القائد في غير معصية]

الحمد لله رب العالمين . جعل في كل أمة إمامًا يتحمل المسئوليات والأعباء والتَّبعات يُتَّقى به ، ويُدفع به الأعداءُ ، والأخطارُ ، يقيم العدل ، ويدفع الظلم ، وينظر في المصالح .

واشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له . أمر بالجماعة ، وحث على السمع والطاعة ، ونهى الفرقة والاختلاف .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ما بعث سرية إلا أمَّر عليهم واحدًا منهم ، وأمَرهم بطاعته ، ونهاهم عن الشقاق .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد نبي الرحمة شفيع الأمة ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسَان وسار على نَهجهم واستقام .

أما بعد .. فبفضل الله وبرحمته جَمع قلوب المؤمنين وألّف بينها من عهد النبوة إلى أن تقوم الساعة لا يَضُرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم ؛ لأنهم معتصمون بحبل الله متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- يشُدُّهم الترابط والتعاون ، والسمع والطاعة لولاة أمورهم ، فحرسهم الله برعايته وتوفيقه ، ويسَّر أمورهم ، وحماهم من كيد الحاسدين .

ولما كانت الطاعةُ مرتبطةً بالجماعة والاعتصام ، أمر الله تعالى وأمر رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، بلزوم الجماعة والاعتصام بحبل الله ، ونهى عن الفرقة ؛ لأن الجماعة قوة ومَنَعة ، والفرقةَ فشلٌ وهلكة . قال تعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [(١)]

وقال جل جلاله :

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [(٢)]

فمتى تمسكت الأمة بكتاب ربها ، وعضّت على سنة نبيها ، والتفّت حول ولي أمرها ، فهي مؤمنةٌ ، معتصمةٌ بحبل الله ، ملازمة لجماعة المسلمين . فطاعة ولي الأمر من طاعة الله ، ومن طاعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأن الله أمر بطاعة ولي الأمر في محكم التنزيل ، وأمر – صلى الله عليه وسلم – بطاعته في صحيح المنقول . قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [(٣)]

روي عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال : حقٌ على الإمام أن يحكمَ بالعدل ويؤديَ الأمانة ، فإذا فعل ذلك وجب على المسلمين أن يطيعوه[(٤)] .

وقال سهل بن عبد الله : لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماءَ ، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأُخراهم ، وإذا استخفُّوا بهذين أفسد الله دنياهم وأُخراهم[(٤)] .

وأولو الأمر هم الأئمة والأمراء .

---

(١) آل عمران (١٠٣) .

(٢) آل عمران (١٠١) .

(٣) النساء (٥٩) .

(٤) تفسير القرطبي مجلد (٣) جزء (٥) صـ ٢٥٩ .

قال ابن جرير الطبري : فإذا كان معلومًا أنه لا طاعةَ واجبة لأحد غير الله أو رسوله أو إمام عادل ، وكان الله قد أمر بطاعة ذوي أمرنا ، بقوله تعالى : ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾[١] كان معلومًا أن الذين أمر الله بطاعتهم تعالى ذكُره من ذوي أمرنا هم الأئمة ومن ولي أمر المسلمين .

وقال القرطبي :[٢] لما أمر الله تعالى الولاة في الآية المتقدمة بأداء الأمانات ، وأن يحكموا بين الناس بالعدل ، أمر تعالى في هذه الآية بطاعته أولًا ، وطاعة رسوله ثانيًا ، ثم بطاعة الأمراء ثالثًا .

وقال ابن كثير : الآية عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء ، وصحَّت الأخبار عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لِلَّه طاعةً ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني ، وإنما الإمام جنةٌ يُقاتَل من ورائه ، ويُتَّقى به ، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرًا ، وإن قال بغيره فإن عليه منهُ »[٢] .

وروى البخاري عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال : « اسمعوا وأطيعوا وإن استُعْمل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة »[٣] .

وفي الحديث المتَّفق عليه عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر ، فإنه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية »[٣] . الجاهلية ما قبل الإسلام ، فمن مات في الجاهلية فليس له إمام وقبل بلا إسلام ، وكذلك الذي يفارق

---

(١) تفسير القرطبي مجلد (٣) جزء (٥) صـ ٢٥٩.

(٢) تفسير القرطبي مجلد (٣) جزء (٥) صـ ١٥٩.

(٣) البخاري مجلد (٩) صـ ٧٨ كتاب : الأحكام ، باب : السمع والطاعة .

الجماعة ويشق الطاعة ولم يُتُب حتى مات فهو كالذي مات في الجاهلية . فالسمع والطاعة لولي الأمر من أصول الإسلام يجب التمسك بها في المنشط والمكره ، ولا تتوقف على الرغبة والهوى ولا على المحبة والرضا .

وأخبر – صلى الله عليه وسلم – أنه ستكون بعده أثرة وأمورٌ تنكر وأمر عليه الصلاة والسلام بأداء الحق وسؤال الله ما فات .

فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها . قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله . قال : أدُّوا إليهم حقَّهم ، وسلوا الله حقَّكم »(١) .

روى مسلم عن وائل بن حُجر – رضي الله عنه – قال : سأل سلمة بن زيد رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا نبي الله ؛ أرأيت إن قام علينا أمراءُ يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا ، فما تأمرنا ؟ قال : « اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليهم ما حملوا ، وعليكم ما حملتم »(٢) .

والتمسك بالبيعة والثباتُ عليها واجب امتثالًا لأمر الله وأمر رسوله ، صلى الله عليه وسلم .

روى مسلمٌ عن عبد الله بن عمر ؛ قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : « من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »(٣) .

اتقوا الله أيها المسلمون ؛ اعتصوا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا ، والزموا كتاب الله يهدكم للتي هي أقوم ، وتمسكوا بسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – فيما لكم وعليكم تفلحوا وترشدوا ، وأطيعوا ذا أمركم تُوفّقوا ، وتسددوا ، وتنصروا .

---

(١) المشكاة صـ ٣١٨ ج الثاني كتاب : الإمارة .
(٢) رياض الصالحين صـ ٢٦١ باب : السمع والطاعة .
(٣) رياض الصالحين صـ ٢٥٩ باب : السمع والطاعة .

اللهم ؛ ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، اللهم ؛ لك الحمد ربنا أنت أهل الحمد والثناء ، حفظت عقيدتنا من الشوائب ، وحميت بلادنا من دسائس إبليس ، وهديتنا للإيمان والتوحيد . لك الحمد ، جمعت شملنا على إمامنا ، ووحدت صفوفنا خلف قائدنا ، ونصرتنا وأعززتنا ، وكبتّ عدونا ، وحفظتنا من الفتن . اللهم ؛ ارزقنا شكر نعمك ، وزدنا من فضلك وإحسانك ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . جعل الكتاب والسنة حكمًا بين المختلفين .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له عدلٌ يحب المقسطين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين أسوة المؤمنين .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على خاتم النبيين قائد الغرِّ المحجَّلين ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن قواعد الإسلام وفروض الإيمان واضحة بينة متفق عليها ، ولا يخالف فيها إلا من قدَّم عقله وهواه على النصوص ، وإن حصل خلاف بين المسلمين في بعض المسائل الفرعية فكما حصل بين الصحابة - رضي الله عنهم - في مسائل اجتهادية في فهم نص ، أو استنباط حكم ، أو أمر استجدَّ ، ولكنهم كانوا إذا اختلفوا في أمر رجعوا فيه إلى الله ورسوله ، فكان التوفيق منارهم ، والسداد هدفهم ، والسمع والطاعة رائدهم .

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾(١)

ولا يُخرجهم تنازعهم عن دائرة الإيمان ، ولا يزحزحهم عن الحق والصدق ، ولا عن صراط الله السوي .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ؛ يجب علينا جميعًا إخوتي في الله أن نَرُدَّ ما اختلفنا فيه من أمور الدين إلى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وذلك مقتضى الإيمان عملًا بقوله تعالى :

---

(١) سورة النور الآية (٥١) .

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾(١)

وواجب رد ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى كتاب الله وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما قال سبحانه:

﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾(٢)

فما حكم به الكتاب والسنة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال. والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، وخير من التنازع، وأحسن من آرائكم وتأويلكم، أحسن مرجعًا ومالًا.

ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه.

﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(٣).

---

(١) النساء الآية (٥٩) آخر الآية.

(٢) سورة الشورى الآية (١٠).

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة

١٤ / ١٠ / ٩٣

[الجهاد في سبيل الله]

الحمد لله الذي كتب النصر لعباده المؤمنين .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له العزة ولرسوله وللمؤمنين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أسوة المجاهدين ، وقائد الغرِّ المحجَّلين . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين رفعوا راية الإسلام ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، رحماء بينهم أشداءُ على الكافرين ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فإن الأمة الإسلامية تخوض اليوم معركة الجهاد في سبيل الله ، لنصر المظلوم ، وقمع الظالم ، وأخذ الحقوق الإسلامية من غاصبها الغاشم . وقد تجلت الوحدة الإسلامية من جميع جوانبها ، وفي جميع معانيها ، وبرزت بالعمل والجهاد المقدَّس ، بجميع إمكانياتها بعزم وحزم وتدبير ، واعتماد على الله تعالى ، فاعتصمت الأمة الإسلامية بحبل الله ، ولهجت ألسنتها بذكر الله في جهادها تهليلًا وتكبيرًا ، فخرًا بدينها واعتزازًا واستعانة بربها ، واعتمادًا عليه ، فهزت أركان الصهيونية الماكرة ، وحطَّمت أساطيرها وأحلامها ، وبدَّدت قوتها ، وهتكت حصنها ، وغرست الرعب في قلبها وأطرافها وأعوانها ، واهتزَّت لهم الدنيا في مشارقها ومغاربها خوفًا وقلقًا ، فصارت تطلب ودها وصداقتها ، فالحمد لله الذي وفق لذلك عباده المؤمنين .

أيها المسلمون ، إن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام ، وهو حق واجب على المسلمين لدينهم وأمتهم ، وهو من أفضل الأعمال التي تقرب إلى الله تعالى ، وهو مفتاح من مفاتيح الجنة ، وسُلَّمٌ يَرقى به المؤمن في درجاتها ، وقد تكفَّل الله لمن خرج في سبيله أن يدخله الجنة ، أو يردَّه إلى بيته الذي خرج منه بأجر وغنيمة ، فهنيئًا لمن جاد بنفسه وماله في سبيل الله .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(١)

ولو يعلم المسلم ما للمجاهد في سبيل الله من الأجر والثواب عند الله لتمنى أن يغزو في سبيله فيقتل، ثم يغزو فيقتل، ثم يغزو فيقتل.

أيها المؤمنون؛ إن الجهاد كما أنه يحتاج إلى الرجال والعتاد، فإنه أيضًا يحتاج إلى المال والتعاون في جمع المجالات الحربيَّة والسياسيَّة والإقتصاديَّة، ومن أهم الأمور التي لا يستغنى عنها هو الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، والاستعانة به، وطلبُ المدد والنصر منه.

قال - صلى الله عليه وسلم: «قاتلوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم، فمن جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا، وكلٌّ من أعان المجاهدين على جهادهم بأي نوع من الإعانة فهو مجاهد».

أيها الإخوة في الإسلام؛ إن لنا إخوانًا في الدين وأحبابًا في الله، يقفون في ساحة القتال، وعلى خط العز والشرف، جادوا بأنفسهم ودمائهم للكفاح والفداء، اختاروا الصحاري لهم مسكنًا، وجعلوا الدبابات والمدافع لهم سررًا، وجعلوا السهر والمرابطة لهم سكنًا، ولم يبالوا بالقنابل والرصاص فهى لهم لحافٌ، ولا بأعاصير الدخان والغبار فهي لهم منتزه، تمثَّلَتْ فيهم الشجاعة العربيَّةُ، والأُخوَّةُ الإسلاميَّة.

يقاتلون عدوَّ الله وعدوَّكم، ويدافعون عن حقوق الأمة وكيانها، ويناضلون عن شرفها وعزتها، فكونوا معهم أينما كانوا، وسيروا معهم أينما ساروا، واهتموا بأمورهم كيفما كان اهتمام المسلم بأخيه المسلم، كونوا خلفهم وسندًا لهم بما آتاكم الله من مال وقوة ومقال.

أخي المسلم، لما لم يقدَّر لك الجهاد بالنفس فلا يفتك الجهاد بالمال، فإن المال فيه قوام الحياة وقوة الجهاد، وإن النفقة في سبيل الله تضاعف سبعمائة ضعف، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن تصدق في سبيل الله بريال فله سبعمائة، ومن نتصدق بعشرة فله سبعة آلاف، ومن تصدق بألف فله سبعُمائة ألف، فبادر أيها المسلم؛ وطِبْ نفسًا بشيء من فضل المال الذي آتاك الله، لينفق ذو

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٦٩).

سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله .

واعلم أخي المسلم ؛ أن الصدقة لا تنتقص المال ، بل تنمي المال ، وتزكيه ، وتطهره ، لأنها متاجرة مع الكريم الجواد ، مالك الملك ورب الأرباب ، وهي فرض لله مضاعف الجزاء .

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾(١)

والمتصدق إنما يضع الصدقة في يد الرحمن ينميها له ويربيها له ، وهي سبب لقبول التوبة والغفران .

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢)

أخي المسلم ؛ أرأيت لو أن ذا منصب وجاه وسلطان ومال . طلب منك قرضًا ألا تسارع إلى إعطائه تقديرًا له وتقربًا إليه ، وتحببًا إليه ، أرأيت لو أن غنيًا مليًا طلب منك تجارة بربح محدود ألا تجيب طلبه رغبة في الربح ، فهذا ربك - أيها المسلم - مالك الملوك ، وخالق الخلق ، منه منشؤك ، وإليه معادك ، يدعوك لتقرضه قرضًا حسنًا . يدعوك لتتجر معك صفقة رابحة بشيء من فضل المال الذي آتاك يخلف عليك ما أنفقت ، ويبارك لك فيما أبقيت . أيها المسلم ؛ إن الإنسان لا يفرح بالمال ، ولا يقتني إلّا المال ليجده ذخرًا عند الحاجة إليه ، فأي شيء أحوج من هذا اليوم ، فهذا هو اليوم الذي يدخر من أجله المال ، فجاهد - أيها المسلم - بشيء من فضل مالك ولو كان قليلًا ، فإن القليل ، من الكثير كثيرٌ ، وجاهد - أيها المسلم - بلسانك في جميع المواقف والمجالات ، واعلم أن التضرع إلى الله والالتجاء إليه ، والاستعانة به من أهم عوامل النصر والتأييد ، فارفعوا أكُفّكُم ، وأحضروا قلوبكم ، وتوجهوا إلى الله ، وعلّقوا آمالكم بالله ، وأيقنوا بالإجابة منه ، فإنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٤٥) .

(٢) سورة التوبة آية رقم (١٠٤) .

اللهم ؛ أعزَّ الإسلام والمسلمين . اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى ، وألِّف بين قلوبهم على البرّ والتقوىٰ ، ووحّد صفوفهم ، وسدِّد خطاهم ، وكلِّل مساعيهم بالتوفيق والنجاح . اللهم ؛ انصر جيوش المسلمين ، وأنزل البشرى والنصر عليهم ، وطمئن قلوبهم ، وثبّت أقدامهم ، وانصرهم على القوم الكافرين .

اللهم ؛ انصرهم نصراً عزيزًا ، وافتح لهم فتحًا مبينًا . اللهم ؛ سدد رميتهم ، وقوِّ شوكتهم ، واحم بيضتهم . اللهم ؛ توجهم بتاج عزك وكرامتك ، وألبسهم درع حفظك ورعايتك ، وقلدهم سيف نصرك وتأييدك . اللهم ؛ أنزل عليهم نصرك الذي وعدته عبادك المؤمنين . اللهم ؛ اخذُل اليهود ومن والاهم . اللهم ؛ شتت شملهم ، وفرّق جمعهم ، وأضعِف قوتهم ، وأنزل الرعب في قلوبهم ، وغل أيديهم ، وزلزل أقدامهم ، واقطع حبلك وحبل الناس عنهم . اللهم ؛ مزِّقهم كل ممزق . وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم الظالمين .

ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الجواد الكريم الرحمن الرحيم .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمَّا بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى وتذكروا إخوانًا لكم من الضعفاء والنساء والصبيان تعرضوا للعدوان اليهودي الصهيوني الغاشم ، وهم في مآمنهم المدنية في فلسطين ، فهدموا بيوتهم ، وأتلفوا أموالهم ، وقتلوا نساءهم وأطفالهم وعائليهم ، مُدُّوا إليهم يد العون بما تطيب به أنفسكم المؤمنة ، وما يجود به ربكم الكريم .

واعلموا أن الدنيا دار ابتلاء واختبار ، والآخرة هى دار القرار ، فكونوا مع إخوانكم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وكالبنيان يشد بعضه بعضًا . وأكثروا من ذكر الله العظيم ، والصلاة والتسليم على نبيه الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[1] اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الوجه الأنور ، والجبين الأزهر .

اللهم ؛ وارض عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم ؛ ارض عنا معهم بمنّك وإحسانك يا أرحم الراحمين . اللهم ؛ انصر واحفظ إمامنا وجميع ولاة المسلمين . اللهم ؛ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشرك والمشركين ، ودمِّرْ أعداء المسلمين . اللهم ؛ من أراد المسلمين بسوء أو مكر أو خديعة فاشغله في نفسه ، واجعل تدميره في تدبيره يا حي يا قيوم .

اللهم ؛ اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات . اللهم ؛ فرِّج هم

(١) سورة الأحزاب (٥٦) .

المهمومين. ونفس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضى المسلمين. اللهم؛ أغث بالإيمان قلوبنا، وأغث بالنصر والتمكين جنودنا، وأغث بالماء الزلال أوطاننا. اللهم؛ إنا نعترف لك بتقصيرنا، ونلجأ إليك من ذنوبنا. اللهم؛ فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين. اللهم؛ اسقنا وأغثنا ولا تجعلنا من الآيسين، اللهم؛ إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك. اللهم؛ ارحم بلادك وعبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت إنك على كل شيء قدير.

عباد الله؛ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبرُ، والله يعلم ما تصنعون.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة

١٨ / ١٠ / ١٤٠٠

[في الجهاد]

الحمد لله رب العالمين . أعطى وتفضل ثم اشترى بِعِوَضٍ ثمين .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له . جعل أبواب الجنة تحت ظلال السيوف .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله . كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، فقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأمرنا باتباع سبيلهم والاقتداء بهم .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، ثم اعلموا أن المؤمن بينه وبين الله عهدٌ ، وبينه وبين الله صفقةُ بيع وشراء ، بَيْعٌ لازم لا يقبل الإقالة ولا الاستقالة .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١)

ما من مسلم إلا ولله عز وجل في عنقه بيعة ، وفى بها أو مات عليها . ولذلك قال الرسول – صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » . رواه مسلم « من لم يغز ولم يجهز غازيًا أو يخلف غازيًا

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١١١) .

في أهله بخير أصابه الله بقارعة يوم القيامة » . رواه أبو داود .

الأنفس ملك لله ، هو الذي خلقها ، وهو الذي يَرْعاها ، وهو الذي يحييها ويميتها . والأموال ملك لله ، هو أعطاها ورزقها ، وبيده نماؤها وفناؤها .

ومع هذا فقد اشتراها سبحانه بأعلى عوض وأغلى ثمن ، إنها بيعةٌ رابحة ، وصفقةٌ ناجحة ، وكفةٌ راجحة . بيعة لازمة في عنق كل مؤمن ، لا تسقط إلا بسقوط الإيمان والعياذُ بالله ، ولا يتخلف عن الوفاء بها وقت الوفاء إلا من ظهر نفاقه ، وهبطت رجولته .

﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾(١) .

الجهاد ذِروَةُ سِنام الإسلام ، فإسلام ليس فيه جهاد لا سنام له . وذلك دليل الضعف والهزال . إن بيعَ الأنفسِ صفقةٌ ظاهرها مُخيف ولكن الحقيقة خلافُ هذا فهو يسير على من يسره الله عليه .

فالموت لا مفر عنه ولا محيد ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾(٢) والمجاهد في سبيل الله ناجح لا محالة ، إما أن يرجع بما أصاب من أجر وغنيمة ، أو يدخل الجنة يسرح فيها كيف يشاء ، والاستشهاد ليس موتًا ، وإنما هو انتقال من هذه الحياة المعرَّضة للمصائب والأخطار ، إلى حياة دائمة وعيشة راضية في أكرم دار .

﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون ﴾(٣) .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٤) .

(١) سورة التوبة آية رقم (٨٧) .

(٢) سورة النساء آية رقم (٧٨) .

(٣) سورة البقرة آية رقم (١٥٤) .

(٤) سورة آل عمران آية رقم (١٦٩) .

فإذا أيقن المسلم بصدق المشتري ووفائِه أنفذ البيع، وإذا أيقن بنجاح الصفقة وعلو ثمنها أوفى بالعهد. ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾(١) ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾(٢) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيْعَادَ ﴾(٣) وأي ثمن أغلى من الجنة وأي أُمْنِيَّة للمسلم غير رضا ربه ومناجاته.

الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، والغدوة أو الروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ما من أحد يدخلُ الجنةَ يُحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما في الأرض من شيء إلَّا الشهيد يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة.

وأولياء المجاهدين وأحبابهم إذا آمنوا بثواب الله وإنجاز وعده جادت أنفسهم بفراق أبنائهم وأحبابهم رغبة في الخير لهم ورجاء أن يشفعوا لهم.

لمَّا قتل حارثة بنُ سراقة في بدر - رضي الله عنه - قالت أمه الرُّبَيِّعُ بنتُ البراء: يا رسول الله؛ حدثني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت وإلا اجتهدت في البكاء، فقال عليه الصلاة والسلام: « يا أمَّ حارثة؛ إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى ». رواه البخاري وعنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: « للشهيد عند الله ست خصال يُغفر له في أول دفعة، ويُرى مقعده في الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويُؤمَّن من الفزع الأكبر، ويُوضع على رأسه تاجُ الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويُزوَّج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشفَّعُ في سبعين من أقربائه ».

فيا أيها المسلمون؛ في مشارق الأرض ومغاربها، يا أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - يا أمةً جعلت خير الأمم.

---

(١) سورة النساء آية رقم (٨٧).
(٢) سورة النساء آية رقم (١٢٢).
(٣) سورة آل عمران آية رقم (٩).

هذا بيت المقدس يئنُّ من وطأة الجور والطغيان، إنهُ قبلتكُم الأولى، وثالثُ مقدساتكم، ومسرى نبيكم محمد - صلى الله عليه وسلم - عتت فيه الصهيونية بالظلم والفساد، قتلوا المسلمين الذين كانوا يعمرونه بالعبادة، وشردوا بعضهم ومنعوكم من الوصول إليه، وحرقوه محادة لله وأنتهاكًا لمقدساتكم، وأخيرًا جعلوه عاصمة لعصابة الظلم والعدوان استفزازًا لكم، وعدم مبالاة بشعوركم، ضربوا بقرارات الأمم عُرْضَ الحائط، وداسوها بأقدامهم، أيرضى بهذا مسلم، أيرضى بهذا منصف، أيرضى بهذا عربي؟ كلا، لا يرضى به من عنده إنسانية، فضلًا عمَّن عندهُ إيمان وعقيدة وإحساس.

لقد أعلنت المملكة العربية السعودية - أدام الله عزَّها وتوفيقها وحفظ أمْنهَا واستقرارها - ممثلة في ولي عهدها - حفظه الله من كل سوء ومكروه - أعلنت الجهاد المقدس دفاعًا عن الإسلام ومقدساته، وعن حقوق المسلمين المغصوبة، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء، فاستجيبوا للنداء المقدس، ووحدوا صفوفكم، وأجمعوا كلمتكم، وتضامنوا فيما بينكم **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيْعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾**(١) **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيْحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَ﴾**(٢). ولا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموه فاصبروا. **﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوةٍ﴾**(٣).

جاهدوا في سبيل الله بأنفسكم وأموالكم وأقلامكم وألسنتكم وإعلامكم، **﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾**(٤) **﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**(٥)

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٠٣).

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٤٦).

(٣) سورة الأنفال آية رقم (٦٠).

(٤) سورة آل عمران آية رقم (١٣٣).

(٥) سورة آل عمران آية رقم (١٣٩).

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. اللهم؛ اجعلنا ممن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويعمل بمحكمه، ويؤمن بمتشابهه، ويحكم بأحكامه، ويسير على نظامه، واغفر لنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي قال وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، ذو القوة المتين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، إمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، نصروا الله فحقق لهم نصره ، وأنجز لهم وعده .

أما بعد .. فخير وصية المسلم لأخيه المسلم تقوى الله تعالى ، فهي قاعدة الحق وملاك الأمر فتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

واعلموا أنه يجب على المسلم أن يعرف صفاتِ المؤمنين الذين يبايعون الله وتربح صفقتهُم ، وأن يعرف من هم المؤمنون الذين يُزعجون اليهود ، ويقضون مضجعهم ويرهبونهم . ليقتدي بهم وليسلك سبيلهم هم الذين قال الله عنهم :

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿**كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون**﴾ هؤلاء هم الذين قال الله فيهم : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ سهمهم صائب ، وهدفهم ممزّق .

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١١٢) .

هؤلاء هم الذين إذا خرجت من أفواههم كلمةُ التوحيد لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله . والله أكبر صدَّعت قلوب الجبابرة ، أشد من القنابل النووية ، ولنا فيهم أسوة حسنة ، فأصْلحوا من أنفسكم يا أمة الإسلام ، واعلموا أن الرابطة بين أفراد المسلمين وجماعاتهم رابطةٌ قوية فاعتصموا بها ، والركن الذي يعتمدون عليه ركن شديد لا يُكْسر فأووا إليه .

والنظام الإسلامي في السلم والحرب لا يماثل ولا يجارى فاعملوا به .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وكونوا عباد الله إخوانًا . المسلمُ أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يُسلمه - أي لعدوه - ولا يخذُله ، ولا يُكْذبه . ولا يحقره ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعِرضه .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائَكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

اللهم ؛ صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد .

وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات النبي أمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان ، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللهم أمنا في أوطاننا ، واحفظ أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعلهم هداة مهتدين ، يقولون بالحق وبه يعدلون . اللهم ؛ انصرهم بالإسلام . واجعلهم عزًّا للإسلام والمسلمين . اللهم ؛ انصر المجاهدين .... إلخ الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة

٦ / ١١ / ٩٣

[الهدنة]

الحمد لله الذي هدانا لمعالم دينه الذي ارتضاه لنفسه .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، نعم المولى ونعم النصير .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، بيَّن لنا بيانًا شافيًا ، ورسم لنا صراطًا مستقيمًا ، فيه العزة والكرامة . والسعادة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ إن دين الإسلام دين رحمة وشفقة يحترم الحقوق ، ويحقن الدماء ، ويحقق العدالة بين الأفراد والجماعات ، يحثُّ على الخير والفضائل ، وينهى عن الشر والرذائل ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ، ويحرم الخبائث .

نظم الحياة تنظيمًا فيه تحقيق الأهداف الخيرة للإصلاح ، ووضع قواعد ومنهجًا يسار عليه ، وجعل حدودًا تمنع الوقوع فيما يفسد المجتمع ، ويذهب برونق الحياة . فمن سار على منهج الإسلام واستقام على صراطه المستقيم ، ووقف عند حدوده لا يتعداها ، واتخذ من الإسلام نورًا يهتدي به ، في جميع أفعاله وأقواله ، كان له الفضل والعزة والكرامة في الدنيا ، والفوزُ والسعادة الدائمة ، والثواب العظيم عند الله تعالى ، ومن أعرض عنه فله الهوان والذلة والصغار ، مهما كان الأمر ومهما طال الزمن .

ومن أجل تحقيق العدالة في خلق الله ، وحفظ حقوق الإنسان وغير الإنسان – أوجب اللة تعالى الدعوة إلى دين الإسلام ، ونشرَها بين الناس ، وإيصاله إلى أبواب القلوب والأذهان . وأما إدخاله في القلوب والبصائر فذلك راجع إلى الله وحده لا

شريك له ﴿إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[٢] ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[٣].

ولحكمة إلهية، وقدرة ربانية جعل الله لكل نبي عدوًّا من المجرمين، يعاندونه، ويقاومون دعوته، ويثبطون الناس من حوله، كما حصل لخاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فأمره الله بمقاتلة أعداء الإسلام والاستعداد لهم.

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾[٤]

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[٥].

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[٦]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

ذلك من أجل إزالة الفتنة وإخضاع الناس لدين الإسلام، إما بالدخول فيه وهو خير لهم، يغفر لهم ما قد سلف، وإما بالخضوع لحكم الإسلام وإعطاء العهد والذلة، وإفساح الطريق للدعوة الإسلامية حتى لا تجد مقاومة أمامها ولا تخشى كمينًا خلفها.

ولهذا إذا تقابل الجيشان، وطلب العدو الهدنة ومال إلى السلم، وإيقاف القتال

(١) سورة الشورى آية رقم (٥٢).
(٢) سورة القصص آية رقم (٥٦).
(٣) سورة الكهف آية رقم (١٧).
(٤) سورة محمد آية رقم (٤).
(٥) سورة البقرة آية رقم (٢١٦).
(٦) سورة التوبة آية رقم (٢٩).
(٧) سورة التوبة آية رقم (١٣٢).

أجيب لذلك ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾[١] ولا شك أن في ذلك مصالح كثيرة تعود على الإسلام والمسلمين، منها إظهار محاسن الإسلام. وإنه يسالم من سالمه ويحارب من حاربه، ومنها إتاحة الفرصة للمسلمين لاستعادة القوى، وإحضار الإمكانيات وإحكام التدبير، وترتيب الجيش وتقويمه، ومنها إفساح المجال للكافرين لعلهم يفكرون في حالهم، ويدركون خطأهم، ويرجعون عن غيهم ومكابرتهم، ومنها فتح باب المحادثة بين الفريقين لعله يحصل صلح واتفاق يحقن الدماء، ويحفظ الحقوق المشروعة، وفيه صالح للإسلام والمسلمين في العاجل أو الآجل، كصلح الحديبية بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وكفار مكة المشرفة.

ولما كان طلب العدو إيقاف القتال مظنة لغدره وخيانته لم يهمل القرآن هذه الناحية ولم يغفل عنها؛ لأنه تنزيل من حكيم عليم، فقال تعالى:

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[٢]

فلم تكن مظنة وجود الخيانة والغدر من العدو مانعًا من إجابة طلبه؛ لأن السرائر علمها عند الله تعالى، والعواقب لا يدرك كيف تكونُ قبل أن تكون إلا الله تعالى، فهو الذي بيده أزمة الأمور يدبرها كيف يشاء، وبيده النواصي والقلوبُ يصرفها كيف يشاء. فالنصر بيد الله، والهزيمة بيد الله، وليس على المسلم إلا فعْل الأسباب وأخذُ الاستعداد.

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾[٣].

---

(١) سورة الأنفال آية رقم (٦١) آخرها ﴿ **أنه هو السميع العليم** ﴾.

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٦٢،٦٣).

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢١٦) أولها ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ** ﴾.

ولهذا أمر الله تعالى نبيه - صلى لله عليه وسلم - بالتوكل على الله عند قبول السَّلم من العدو، وأخبره بإنه هو حسبه وكافيه كلَّ أمر يهمه. فلو أراد العدو المكر والخيانة فهو سبحانه يجازيه ويعاقبه ويجعل الذلة والهزيمة عليه ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾[1].

وإذا تأملنا الحالة الراهنة في كفاح المسلمين ضد اليهود الصهاينة لاسترداد الحقوق الإسلامية المغتصبة، وقبول المسلمين عرض العدو للهدنة وإيقاف القتال وجدناه موافقًا لأمر الله تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ وقد حقق الله وعده لعباده، فأراد العدو أن يغدر ويمكر فلم ينل خيرًا، بل أصابه ضر حربي واقتصادي وسياسي أكبر مما توقع، وهو الآن في خطر عظيم وقلق دائم؛ لأن جُزءًا عظيمًا من قوته في قاع صفصف صحراء مكشوفة، يهددهم الخطر في الصباح والمساء وتحيط بهم جيوش المسلمين من تسعة أعشار الجهات.

﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2].

وسوف يعذبهم الله بأيدي المؤمنين، وينصر المؤمنين عليهم ويخزي الكافرين ويشف صدور قوم مؤمنين إن شاء بحوله وقوته.

فعلى المسلمين أن يصبروا ولا يستعجلوا الأمور قبل أوانها فلكل أجل كتاب.

واعلموا رحمني الله وإياكم.

﴿**إِنَّ الله مَعَ الصابرين**﴾[3] ﴿**وإِنْ تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُم كَيْدُهُم شَيْئًا**

---

(١) التوبة (٥٨) أولها ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ**﴾.

(٢) النساء (١٠٤) أولها ﴿**وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ**﴾.

(٣) البقرة (٥٣) وأولها ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾ وفي الأنفال (٤٦) أولها ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا**﴾.

إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[1] .

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ، ﴾[2]

وكل ما حصل ابتلاء من الله واختبار ﴿ **فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾[3] . ﴿ **وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ** ﴾[4] .

فاتقوا الله عباد الله ، وأخلصوا النية لله ، وتعاونوا وتضامنوا وعلقوا آمالكم بالله ، واطلبوا النصر من عنده إنه هو القوي العزيز .

اللهم ؛ أعز الإسلام والمسلمين . اللهم ؛ انصر جيوش المسلمين ، وألف بين قلوبهم ، ووحد صفوفهم ، واجمع كلمتهم ، وعجل لهم نصرًا عزيزًا ، وفتحًا مبينًا ، وثبت أقدامهم ، وانصرهم على القوم الكافرين . اللهم ؛ أذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين . اللهم ؛ أخذل اليهود ، ومن والاهم ، وأنزل الرعب في قلوبهم ، وشتت شملهم ، وأذهب ريحهم ، واجعل بأسهم بينهم ، واضرب عليهم الذلة والمسكنة ، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين .

---

(١) سورة آل عمران (١٢٠) ، وأولها ﴿ **إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا** ﴾ .

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٤٠،١٤١) .

(٣) سورة العنكبوت آية رقم (٣) وأولها ﴿ **ولقد فتنا الذين من قبلهم** ﴾ .

(٤) سورة العنكبوت آية رقم (١١) .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، وأخلصوا النية لله في جهادكم وصدقاتكم وجميع أعمالكم . واعتمدوا على الله في جميع شئونكم ، وتوكلوا عليه يكفكم كل أمر يهمكم ، والجئوا إليه وحده في قضاء حوائجكم ، واطلبوا المدد والنصر منه لا من غيره ، فمن اعتمد على الله كفاه ، ومن اعتمد على غير الله وكل إليه ، فمن وكل إلى نفسه هلك ، ومن وكل إلى غير الله ضاع .

وصلوا على النبي الكريم فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين فقال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَي النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١] .

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة

٢٨ / ١٠ / ١٤١٢

[انتصار الأفغان بسبب مساعي خادم الحرمين]

الحمد لله رب العالمين ، يرفع القسط ويخفضه ، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك . وعده حق وقوله صدق ﴿ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾[1] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، إمام المتقين وقدوة المجاهدين ، أوضح السبيل للسائرين .

اللهم ؛ صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد .. فيا لها من فرحةٍ شرحت الصدور وأنْعَشت القلوب ، يا له من انتصار شَفَى الله به الجروحَ ومسح به الدموع .

اللهم ؛ لك الحمد ربنا نصرت إخواننا الأفغان ، وانجزت لهم وعدك ، لك الحمد ربنا نصرت عبادك ، وكبت عدوك ، وحققت وعدك فعاد إخواننا الأفغان إلى بلادهم فرحين مستبشرين مهللين مكبرين شاكرين لك مطيعين .

اللهم ؛ لا نحصي ثناءًا عليك ، ألَّفت قلوبهم ، وجمعت شملهم ، ووحدت هدفهم ، ونصرتهم على عدوهم .

اللهم ؛ إنا نسألك فرحة بتحرير القدس من أيدي الصهاينة الغاصبين ، وفرحة بانتصار المسلمين في كل مكان على أعدائهم الظالمين .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٢٢) .

لك الحمد ربنا ، إلهنا وفقت إمامنا إلى المساعي الخيرة ، والنداء الناصح إلى التآخي والترابط والتعاون ، فاعتصم إخواننا الأفغان بحبل الله جميعًا ، وأصبحوا بنعمة الله إخوانًا .

وهذا شأن خادم الحرمين الشريفين ينهض بأعمال ضخمة ومسئوليات كبيرة ومساع حميدة لإخواننا المسلمين في جميع أنحاء المعمورة .

والله تعالى يختار من عباده دُعاةَ خير ، وسعاةَ إصلاح ، يجمع الله بمساعيهم الكلمة ، ويؤلف بجهودهم القلوب ، ترجع إليهم الأمم في أزَماتها ، وتستعين بالله ثم بهم في محنتها ، تأخذ منهم الرأي السديد ، والتوجيه الرشيد والنصح المجيد .

وهذه نعمة من الله وفضلٌ يَهبه لمن يشاء من عباده ، والإصلاح بين الناس من أجل الأعمال ، وأكرم الخصال ، وأشرف المقامات .

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١) .

فجزى الله خادم الحرمين الملك فَهدًا عن بلاده وعن شعبه وعن الإسلام والمسلمين أجرًا عظيمًا وخيرًا كثيرًا .

كما أسألُ القوي العزيز أن ينصر عباده الذين آمنوا به وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن يكْبت عدوهم ، وأن يرفع عنهم الظلم والتعذيب والتشريد .

أوصيكم أيها المسلمون في جميع أنحاء العالم بوصية الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١١٤) .

(٢) سورة آل عمران آية رقم (٢٠٠) .

مر النبي – صلى الله عليه وسلم – بعمار بن ياسر وأبويه ، يُعذبهم المشركون في مكة فقال – صلى الله عليه وسلم – : « صبرًا آل ياسر ؛ إن موعدُكم الجنة » . فقال عمارٌ – رضي الله عنه – قد بلغ منا العذابُ كل مبلغ . فقال نبيُ الرحمة صبرًا أبا اليقظان . ثم قال – صلى الله عليه وسلم – : « اللهم ؛ لا تعذب أحدًا من آل عمارٍ بالنار » فكانت العاقبة للتقوى ، وكانت العاقبة لله ولرسوله وللمؤمنين .

فصبرًا أيها المسلمون المضطهدون ، صبرًا أيها المسلمون المشردون ، توجهوا إلى الله وتضرعوا إليه يجعلْ لكم من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ، ومن كل بلاء عافية .

إن المسلم عند الله عزيز كريم ، يسمع دعاءه ويحب نداءه ، ويحفظ له عزته وكرامته ، وإذا تعدى الحدود أدبه ، وإذا رأينا الأعْداء تسلطوا على المسلمين فلأحد أمرين :

أما لأن المسلمين أهملوا ما بينهم وبين الله ونَسُوا ربهم وكتابه ورسالتة ؛ فسلَّط الله عليهم عدوه ليوقظِهم من الرقدة ولينبههم من الغفلة ، فعلى المسلمين أن يرجعوا إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وأن يتوبوا ويصلحوا ويأخذوا بأسباب القوة والسعادة والنجاة .

وإما لأن الله أراد تَقْريبهم منه ، ورفع درجاتهم ؛ فاتخذ منهم شهداء وأصاب منهم من شاء بجروح ليكفر عنهم وليطهرهم ، وذلك خير من الدنيا وما فيها .

إن قوىٰ الشر والطغيان لا تنفك عن أعمالها ، ولا عن تَنْفِيْذ مخططاتها ، فهي تسعى لإضعاف المسلمين ، وتفريق جمعهم ، وتمزيق وحدتهم ، وإيقاع العداوة والبغضاءِ بينهم ، وصدهم عن عقيدتهم وصرفهم عن دينهم وفصلهم عن ربهم .

والشر له جولة ، والباطل له صولة ، والمسلم له غفلة وحسن نية .

فقد تملك القوى الشريرةُ صَدَّ الناس عن طريق السعادة إن هم اهتدوا ، وقد يملكُ لمسعِي بالوشاية بينهم والتفرقة إن هم اتفقوا . والمؤمن كيِّسٌ فطن .

ولم يترك الخالق تعالى عباده المؤمنين فريسةً لأعدائهم فبين لهم أسباب القوة والمنعة ، وأسباب النصر على الأعداء ، وهي : طاعة الله ورسوله ، والصبر ، والتقوى ،

والاستعداد ، والاعتصام بحبل الله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾(١) .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ ﴾(٢) .

إن الأُخوة الصحيحة هي التي تَنْبُع من الإيمان والتقوى ، فتكون مرتبطةً بعهد الله ومنهجه ، متصلة بدين الله وشريعته . وهذه الأخوة نعمة من الله يَهَبُها لمن يشاء من خلقه ، إنها قوة ومنعة وعزة وكرامة ، ووسيلة وفضيلة يعطيها الخالق تعالى للذين يحبهم من عباده .

وضدها الفُرقة والخلاف والشقاق ، فالفرقة فشلٌ وهزيمة وذِلة ومهانة ونقمة ودمار . تسبب الضعف والخمول ، وكسر الشوكة وتَسلُّط الأعداء .

إن الصراع بين المسلمين وأعدائهم لم يكن في الحقيقة على أرض ولا على مال ، وإنما هو عداء من أجل العقيدة والتوحيد والدين .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا

حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾(٣)

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾(٤)

---

(١) آل عمران (١٠٣) (١٠٢) .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٤٦) .

(٣) سورة البقرة آية رقم (١٠٩) .

(٤) النساء (٨٩) آخرها ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ .

﴿ مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

فعلى المسلمين أن يأخذوا حِذْرهم وأن يتمسكوا بإيمانهم. وتوحيدهم ومنهج رسولهم - صلى الله عليه وسلم - وأن يراقبوا الله وأن يتقوه في جميع أحوالهم، اللهم ؛ ألف بين قلوب المؤمنين. اللهم ؛ بارك لنا في كتابك وفي سنة نبيك.

اللهم ؛ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشنا وآخرتنا التي إليهما معادنا، وانصر اللهم كتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين، إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٠٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(١) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله أفضل خَلْقِ الله ، وأكرمهم على الله ، وأقربهم منزلة من الله . فضله بالرسالة وأكرمه بالعبودية .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّـم على عبدك ورسولك نبينا محمدًا ، وعلى آله وأصحابه ، ومن سار على منهجه واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن أعلى المقامات ، وأشرفَ المنازل ، وأجلّ الصفات ، هى العبودية لله . اختار نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – مقام العبودية على غيره ، ومدح الله الصفوة المطهرة – صلى الله عليه وسلم – في القرآن الكريم بمقام العبودية .

﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ﴾(٢) ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ﴾(٣) ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾(٤) ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾(٥) ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾(٦) ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾(٧) .

---

(١) سورة الحج آية رقم (٣١) .

(٢) سورة الكهف آية رقم (١) .

(٣) سورة الأنفال آية رقم (٤١) .

(٤) سورة الإسراء آية رقم (١) .

(٥) سورة الفرقان آية رقم (١) .

(٦) سورة النجم آية رقم (١٠) .

(٧) سورة الحديد آية رقم (٩) وآخرها **﴿لِيُخْرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** .

وكفى بالعبودية شرفًا ورفعة أن الله تعالى خاطب عباده وناداهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾(١) .

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾(٢) .

فمقام العبودية لله أشرف المقامات وأعلاها ، وبضدها العبودية لغير الله أيًا كان نوعها ، فهي خسار وبوار ، وجهد ضائع مردود ، فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه ، فبيده مقاليد الأمور وأزمتها ، ومن سواه مخلوق لله فقير محتاج إلى مولاه .

ثم اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائَكِته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾**(٣) .

---

(١) العنكبوت الآية (٥٦) .

(٢) سورة الزمر الآية (٥٣) وآخرها **﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾** .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة

٦ / ٦ / ١٤١٣

[التآخي والتحذير من الفرقة]

الحمد لله رب العالمين ، يقلب القلوب كيف يشاء ، له ملك السموات والأرض ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، حثَّ على الاتفاق والائتلاف ونهى عن الفرقة والخلاف .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله أمر بالجماعة ، والاعتصام ، وبالأخوة في الله والوئام .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ، ومن اتبع سبيله واقتفى أثره .

أما بعد .. فإن الاعتصام بحبل الله من قواعد الإسلام وأصل من أصول الدين ، فمن لم يعتصم بالله فهو ضائع ، ومن لم يعتمد على الله فهو هالك .

قال تبارك وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(١) .

أمر الخالق تعالى عباده المؤمنين بالتقوى وبالاعتصام ، ونهاهم عن الفرقة . فالتقوى يبلغ بها المؤمن أداء حق الله بامتثال أمره ، واجتناب نهيه بحسب الاستطاعة فما خرج عن قدرة المكلف لا يُلزم به لقوله تعالى :

(١) آل عمران (١٠٣) .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [1] .

ولقوله جل شأنه :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ [2] .

ولقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله عفى لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » [3] . فالذي يصدر عن الإنسان على سبيل السهو والنسيان والإكراه فهو غير قادح فيه ؛ لأن التكليف مرفوع في تلك الأحوال .

فمن اجتهد في العمل وبذل طاقته وما في وسعه ، ففعل ما يستطيع فعله من الطاعات ، ووقف عند الحدود ، واجتنب المنهيات ، فقد أتى بأسباب التقوى . ومن نقص في العمل عمدا وتجرأ على الحدود ، ووقع في المنهيات ، فقد نقص إيمانه ، ونقصت تقواه بحسب الخطأ الذي ارتكبه .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ [4] .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [5] .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [6] .

---

(١) سورة التغابن آية رقم (١٦) .

(٢) سورة البقرة أوّل الآية (٢٨٦) .

(٣) رواه ابن ماجة .

(٤) سورة الطلاق آية رقم (٣) وآخرها ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ .

(٥) سورة الطلاق آية رقم (٤) .

(٦) سورة الطلاق آية رقم (٥) .

وجاء الأمر بالتقوى مطلقة ليجتهد المسلم في بلوغها، كما يتصورها بحسب استطاعته، فكلما توغل المسلم في أسبابها انكشفت له أمور وجدَّ له طموحات، وكلما اقترب من الله بتقواه تاقت نفسه إلى مقام أقرب وإلى درجة أعلى.

الأمر الثاني: الاعتصام بحبل الله واجتناب الفرقة.

حبل الله هو القرآن لما رُوي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أما إنها ستكون فتنة. قيل: فما المخرج منها؟ قال: كتابُ الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو حبل الله المتين».

وروي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي وأهل بيتي، فمتى تمسك المسلمون بالقرآن، وعملوا بأحكامه، واتعظوا بمواعظه، ورغبوا في ترغيبه، وخافوا من ترهيبه، كانوا مع الله فكان الله معهم، يوفقهم ويسددهم ويحميهم ويحفظهم ويلهمهم رشدهم، فليوحدوا اتجاههم، ويتآخوا بينهم، ويؤلفوا قلوبهم، ويجمعوا كلمتهم، ويكونوا كالجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضه بعضًا».

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾(١)

ومتى كانت الأمة المسلمة مع ربها كان الله معها ﴿ **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾(٢) ومن نصره الله لا يُغلب ولا يُقهر. فالقوة الفاعلة للنصر

---

(١) الفتح أول الآية الأخيرة (٢٩).

(٢) سورة الحج آية رقم (٤٠).

والخذلان لله وحده. فمن الله يُلتمس النصر ومنه تتقى الهزيمة، وإليه يكون التوجه وعليه التوكل، وليس على المسلم إلا فعل الأسباب وترك النتائج إلى الله ﴿ **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾(١) فعلى المسلم أن يصل قلبه مباشرة بذي القوة القاهرة والإرادة النافذة، وأن يَنْفُضَ يده من كل التصورات الباطلة، والتعلقات بغير الله، فإنها فاسدة غير مجدية. والاعتصام بحبل الله سببٌ قويٌّ للنصر. أما الفرقة فسبب للفشل والهزيمة والخذلان، كما أن إخلاص العمل والنصح عاملان قويان في الترابط بين المسلمين. فمن كانت وجهته إلى الدنيا صار معاديًا لأكثر الخلق، ومن كانت وجهته إلى طاعة الله وابتغاء مرضاته لم يكن معاديًا لأحد؛ لأن الدنيا تضيق بالناس فتحصل المشاحة أما طاعة الله فهي واسعة لا يحصل فيها مشاحة، وهى لا تستحق المشاحة والمنافسة. قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴾(٢).

والأخوة في الله من ثمرات الاعتصام بحبل الله، فبمقتضاها يؤثر المرء على نفسه، ولو كان به خصاصه، وتصغر أمامها الثارات القبلية والأحقاد التاريخية، والأطماع الدنيوية(٣).

والفرقة فشلٌ وشتاتٌ وهزيمة وضعف وذلة سواء الفرقة في أصول الدين، أو بالمشاحنات والأطماع واتباع الهوى والأغراض المختلفة(٤). والفرقة هلكة والجماعة نجاة.

ذكر القرطبي عن أبي داود من حديث معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه –

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٦٠).

(٢) الآيتان من سورة محمد (٣٦،٣٧).

(٣) الرازي [٧٥/٨].

(٤) القرطبي [١٥٩/٣].

عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه المِلَّة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة ، وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجاري بهم تلك الأهواء ، كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله .

وأصول الفرق التي حذر منها الرسول – صلى الله عليه وسلم – ست معروفة ، وكل واحدة انقسمت اثنتي عشرة فرقة[1] وبموجب آية آل عمران (١٠٣) أوجب الخالق تعالى التمسك بكتابه وسنة نبيه ، والرجوع إليهما عند الاختلاف ﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ الآية وأمرنا بالاجتماع والاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادًا وعملًا ، وذلك سببُ اتفاق الكلمة ، وانتظام الشتات ، وبه تتم مصالح الدنيا والدين ، وفيه السلامة من الاختلاف .

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، ويكره لكم ثلاثًا قيل وقال : وكثرةَ السؤال ، وإضاعة المال » .

فاتقوا الله أيها المسلمون . اعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا .

استحيوا من الله وارغبوا فيما عند الله ، فرُّوا إلى الله ، احكموا بما أنزل اللهَ واعملوا بسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – مروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، وأقيموا حدود الله .

اللهم ؛ ألهمنا رشدنا ، وحبب إلينا ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، واجعل الآخرة هى دارنا ، وانصرنا على من عادانا ، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) ذكرها القرطبي في التفسير عن ابن الجوزي [١٦٠/٣] .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة العاشرة

٩ / ٣ / ١٤١١

[تنوُّع استعدادات الناس]

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾(١) .

وأشهد ألّا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يُغيرِّوا ما بأنفسهم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله . ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلىٰ اللَّه بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُّنِيرًا﴾(٢) .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فلقد شاء الله أن تتنوع استعداداتُ الناسِ واتجاهاتُهم ، وأعطى الخالق تعالى كل فرد القدرة على حرية الاتجاه ، وعلى اختيار طريقه في هذه الحياة ، وحمَّله تَبِعة هذا الاختيار ، فيُثيبه على اختيار الهدى ، ويعاقبه على اختيار الضلال . فالذي يختار الهدى إنما اختار بإرادته ورغبته ، والذي يختار الضلال إنما يختار بإرادته ورغبته .

والكل جار على سنة الله ، وعلى وفق قَدَره ومشيئته . ومن سُنن الله في هذا الكون ارتباطُ أحوال البشر وأوضاعِهم بأعمالهم وكسبهم . فصلاح قلوب الناس وأعمالِهم صلاحٌ لحياتهم ومتطلباتها . وفساد اعتقادهم وقلوبهم وأعمالهم وسلوكهم - فساد لمعاشهم فإذا حصل الشيء علمنا أنه مقدر .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم (٧٣) .

(٢) سورة الأحزاب آية (٤٥) .

والفساد الذي تسببه المعاصي عام. فالقتل والنهب، والتشريد والتخريب، وانتهاك الحرمات، ونقص الزروع والثمار، وتوقف المطر وغور المياه، والجوع والخوف، وتسلط الناس بعضهم على بعض، وحصول البغضاء والشحناء - من الفساد الذي تسببه المعاصي.

قال أبو العالية:[١] من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة؛ ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود «لحدٌّ يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يُمطروا أربعين صباحًا»[٢] والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناسُ أو أكثرهُم أو كثيرٌ منهم عن تعاطي المحرمات، وإذا اجتُنبت المعاصي كان اجتنابُها سببًا في حصول البركات من السماء والأرض.

وكلما أقيم العدل ونُفِّذت شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - على الغني والفقير والشريف والوضيع: كثر الخير والبركات، وكلما عطلت شريعة محمد، صلى الله عليه وسلم، واستبدلت بآراء البشر وأفكارهم ظهرَ الفساد، ورفعت الخيرات والبركات، وسلط الله الأشرار على الناس يستبيحون بيضتهم، ويأخذون ما في أيديهم، وينتهكون حرماتهم والله يعطي الدنيا من يحب من لا يحبه أما الآخرة فلا يعطها إلا من يحب.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣].

فمن رحمة الله وكرمه، ومن حكمته وعدله، لا يشلب نعمة تفضل بها على

---

(١) الإمام الحافظ رفيع - بالتصغير - بن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء وبالتحتانيّة ثقة نبيل، كثير الإرسال من الطبقة الثانية مات سنة ١٩٠٠ م قاله الحافظ في التقريب.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند [٣٦٢/٢] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - والنسائي، وابن ماجة، وإسناده حسن لغيره مع الشواهد، وأورده الهيثمي في المجمع [٦/ ٢٦٣] من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -.

(٣) سورة الأنفال آية رقم (٥٣).

خلقه حتى يكونوا هم السببَ في إزالتها ، فهو جل وعلا لا يغفل عن خلقه ، ويعلم ما يحدثون من تغيير في أنفسهم وعقيدتهم وسلوكهم فيُرتب على أفعالهم نَفاذَ قدره فيهم . والناس كالمعادن منها ذهب وفضة . ومنها نحاس ورصاص ، ومنها فحم وكبريت ، وهم أيضًا حقول مثلُ حقول النبات منها غرس طيب زكي وكلما أكرمه ربه إزداد طيبًا وزكاة ، ومنها غرس خبيث كلما أكرم إزداد خبثًا وقبحًا .

وإن الإنسان ليرى من بعض الناس ما يضيق به الصدر وتَنْفر منه القلوب وتقشعرَّ منه الجلود ثم ينظر فيرى الله تعالى وسِعَهُم في ملكه يُطْعمهم ويَسْقيهم ويُغدِق عليهم ، ويفتح عليهم أبواب كل شيء ، فإنما هو حلم الله وحده ، وهو تعالى يَسْتدرجهم من حيث لا يعلمون[١] .

أما الطاقة البشرية فلها حدود في الصبر والحلم والإمهال ، وما يحَلُم على البشر ويُمهلُهم على عصيانهم وتمردهم إلا الله العظيم الحليم .

وسنة الله في خلقه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾[٢] .

فلا يُغير سبحانه نعمة ولا بؤسًا ولا عزًّا ولا ذُلًّا ولا مكانة ولامهانة إلا أن يُغير الناس من أنفسهم من اعتقادهم وتصوراتهم ، ومن أعمالهم ، ومعاملاتهم ، ومكاسبهم ، ومطاعمهم ، ومشاربهم ، فيغير الله ما بهم على وفق ما صارت إليه نفوسهم وحياتهم العملية .

وإنها لتبعة على البشر جرت بها سنة الله ، ومضى بها القدر . والناس قسمان : مترفون ، ومُتقون ، فالمترفون غالبًا هم أداة الفساد والفسوق ، والمتقون هم أداة الإصلاح والاستقامة .

فالمترفون في كل أمة هم طبقة الأغنياء الذين بَطَرهُم الغِنَى فَيُطلقون لأنفسهم العنان ترتع في الشهوات ، وهم الذين يركنون إلى الراحة والدعة والخمول لتَوَفُّر كلِّ الطلبات

---

(١) إشارة إلى معنى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم (١٨٢) .

(٢) سورة الرعد : آية رقم (١١) .

وأسباب الترف ، فَيَنْعمون بالدعة وبالراحة حتى تترهلَ أجسامهم ، وتضعفَ نفوسُهم ، ويأسن إحساسهم ، ويستمرءون الفسق والمعاصي ، ويستهزءون بالقيم والكرامات .

فإذا لم يجدوا من يأخذ على أيديهم عاثوا في الأرض فسادًا ، ونشروا الفواحش وأشاعوها ، وأرخصوا القيم والأخلاق التي لا بقاء للشعوب إلا بها ، ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي وتفقد حيوتها ويُصْيبُها الوهن ، وإذًا حقت عليها سنة الله وعرَّضت نفسها للعِقَاب ، وهي إذًا المسئولة عما يَحل بها ، لأنها لم تضرب على أيدي المفسدين ولم تصلح من شأنها وأعمالها ، ولا من سلوكها ومعاشها وأحكامها .

والمتقون في كل عصرٍ هم دعاة الإصلاح الذين يقاومون الظلم والفساد ، فهم صِمامُ الأمان للأمم والشعوب ؛ لأنهم يؤدون واجبهم لربهم ، ويَحُولون دون أمتِهم وغَضبِ الله .

وهكذا تبرز قيمة المكافحين الداعين إلى الخير والصلاح ، والناهين عن الظلم والفساد ، وعن المنكر ، والفحشاء ، هؤلاء هم حزب الله المفلحون ، وهم أنصار الله المتقون ،وهم سفينة النجاة ، وهم منار الطريق ، وهم جمال الأرض ومن عليها ، وهم الذين يدافع الله عنهم ، وهم الذين كتب الله لهم نصره وتأييده[١] .

إن قوى الشر والطغيان تعمل في هذه الدنيا ، والحربُ قائمة بين المصلحين والمفسدين ، والشر جامح ، والباطل مسلح وهو يبطش غير متحرج ، ويضرب غير متورع ، فلابد للإيمان والخير من قوة تحميهما وتقِيْهما من الفِتْنة ، وتحرسُهما من الأشواك والسموم . والخالق تعالى لم يكتفِ من المؤمنين بالاعتماد على قوة الإيمان في النفوس وتغلغل الحق في القلوب ، بل أمر باتخاذ العُدة وبذِل الوسِع والطاقةِ في مقاومة الظلم والفساد ، والمحافظةِ على الدماء والأعراض ، والأموال ، فقال تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** ﴾[٢] وأمر باتخاذ الحذر وأخذ الاحتياطات ، والاستعداد بالأسلحة وآلات القتال حتى في الصلاة صلاة الخوف والمرابطة[٣] .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحج آية رقم (٣٨) ، وإلى قوله تعالى في سورة الحج آية (٤٠) .
(٢) سورة الأنفال : آية رقم (٦٠) .
(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء آية رقم (١٠٢) والأحاديث في هذا الباب =

والباطل متربص لا يكف ولا يَقِف عن العدوان إلا أن يُدفع بمثل القوة التي يَصُول بها أو أقوى منها ، فلابد للحق من قوة تحميه وتدفع عنه .

ولقد شاء الله تعالى أن يجعل دفاعه عن الذين آمنوا[١] يتم بسبب من أنفسهم لكي تصفو قلوبهم لله .

فالبنية الإنسانية لا تتحرك فيها كل الطاقات المدخرة ، كما تتحرك وهي تواجه الخطر ، فإذا هي تدافع وتجمع قوتها لتواجه القوة المهاجمة ، عندئذ تتحفز كل خلية من خلايا أجسامهم بما أودع فيها من استعداد لتؤدي دورها . والأمة التي تقوم على الإيمان والتوحيد ، وتحكيم شرع الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومقاومة الظلم والفساد في حاجة إلى استيقاظ نشاطها ، وحشد قواها الذائبة وغيرها ، والنصر السريع الذي لا يكلف عناء وإنما يحصل هينًا لينًا على القاعدين المستريحين يعطل طاقة الإنسان ، كما أن التربية الوجدانية التي تنشأ من النصر والهزيمة ، والكر والفر ، والقوة والضعف ، والتقدم والتقهقر ، وما يُصاحب ذلك من آلامٍ وآمالٍ ، وفرحٍ وغمٍ ، وقلقٍ واطمئنانٍ ، يحث على استعادة القوة .

والنصر قد يبطئ على المظلومين ، فيكون الإبطاء لحكمة يريدها الله . ومن ذلك تحريكُ الهمم وحشدُ الطاقات ، والتحفز ، ومنها تكثير الأجر ، ورفُع الدرجات ، ومنها تعريف الأمة بأن النصر ليس بالعدد والعدة وحدها ، بل لابد من نصر من عند الله يشدُ أزرها ، ويربط على قلوبها ، ويثبت أقدامها فتعلق قلوبها بالله . ومنها أن الباطل الذي يحاربه المؤمنون لم ينكشف زيفه للناس تمامًا ، فلو عجل النصر قد يجد الباطل أعوانًا يلتفون حوله ، وعلي كل حال فالنصر محقق للذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخلصوا عَمَلهم وجهادَهم وكفاحهم لله ﴿ **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾[٢] فاتقوا الله وأخلصوا العمل لله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . اللهم ؛ احفظ

= كثيرة متواترة .

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحج آية رقم (٣٨) ، وأية (٤٠) .

(٢) سورة الحج آية رقم (٤٠) .

علينا أمننا واستقرارنا ، ونعمك ، وإحسانك علينا وارزقنا شكرها .

اللهم ؛ كف عنا أكف الظالمين ، وادفع عنا مكر المجرمين ، وحسد الحاسدين ، وطمع الطامعين . اللهم ؛ عليك بالظلمة المعتدين اللهم ؛ خذهم أخذ عزيز مقتدر . اللهم ؛ زلزل أقدامهم ، وأنزل الرعب في قلوبهم ، وشتت شملهم ، وفرق جمعهم ، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين . اللهم ؛ إنا ندرأ بك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم .

اللهم ؛ اغفرلنا وارحمنا ، وتب علينا ، وعلى جميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوي الله في السر والعلن ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهِ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[1] ومن كان مع الله كان الله معه ، ومن توكل على الله كفاه ، ومن اعتصم بحبله عصمه ، ومن لجأ إليه حماه .

اللهم ؛ اجعلنا واجعل إمامنا وولي عهده وحكومته من المتقين الذين قلت فيهم .

﴿ آلم ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2] .

ومن الذين قلت فيهم :

---

(١) سورة الطلاق آية رقم (٢-٣) .

(٢) سورة البقرة من آية رقم (١:٥) .

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾(١) .

ذكر ابن كثير في التفسير عن ابن سوادة الكندي ؛ قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول : **﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾**(٢) الآية .

قال : ألا إنها ليست على الوالي وحده ، ولكنها على الوالي والمؤلّى عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم ، وبما للوالي عليكم منه ، إن لكم عل الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتي هي أقومُ ما استطاع ، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المنبوذة ولا المنكرة بها ولا المخالِف سرُها علانيتَهَا .

ثم اعلموا إخواني في الله أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال تعالى : **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾**(٣) .

---

(١) الحج آية رقم (٤١) .

(٢) سورة الحج آية رقم (٤١) .

(٣) الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الحادية عشرة

٤ / ٢ / ١٤١١

[آثار المعاصي]

الحمد لله رب العالمين ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[١] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٣] .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن سار على نهجه واقتدى بهديه .

أما بعد .. فإن الكسب يطلق عادة على ما ترتاح له النفس ، وتطلبه ، وترتضيه ، كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[٤] .

﴿يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي

(١) سورة آل عمران آية رقم (٢٨) .

(٢) سورة آل عمران آية رقم (٣٠) .

(٣) سورة آل عمران آية رقم (١٦٤) .

(٤) سورة البقرة آية رقم (٢٦٧) .

إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾[١].

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾[٢].

وكما في الأثر: الرجل من كَسْب أبيه.

لكن وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم يطلق فيها الكسب على اجتراح السيئات، كقوله تعالى:

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٣]. ﴿ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[٤].

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[٥].

﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾[٦].

فالتعبيرعن اجتراح السيئة بالكسب إشارة إلى أنه من الناس من يجترح السيئة وهو يتلذذ بها ويستثيغُها ويعدّها إذا ظَفَر بها كسبًا له إذ لو كانت في حسه كريهةً ما اجترحها، ولو كان يُحس بأنها خسارة ما أقدم عليها برغبة وحماس. وإذا تأملنا الآيات التي تعبر عن اجتراح السيئات بالكسب نجدها تدل على أن تلك السيئات قد أحاطت بصاحبها أوبقته وأهلكته واستحق بموجبها العقوبة.

أما إذا غلبت الدوافع أوبقته، على اجتراح سيئة فوقع فيها وهو يعلم أنها خسارة

---

(١) سورة الأنعام آية رقم (١٥٨).
(٢) سورة النساء آية رقم (٣٢).
(٣) سورة البقرة آية رقم (٨١).
(٤) سورة الطور آية رقم (٢١).
(٥) سورة الشورى آية رقم (٣٠).
(٦) سورة النور آية رقم (١١).

فإذًا لا يتمادى فيها ، ولا تحيط به ، ولا تغلق أمامه باب التوبة والاستغفار ، ولا تسد منافذ العودة إلى الله ، ولا تغطي نور الإيمان في القلب . فالمؤمن لا يعمل السيئة ويعدّها كسبًا بل يندم ويتحسر ، ويتوب ويستغفر . ولا يجتمع الإيمان وضده في قلب واحد . فمقتضى الإيمان تعلق القلب بالله ، وإذا حصلت له غفلة ذكر الله فاستغفر وأناب .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾(١) .

ومقتضى الإيمان أن يعمل المؤمن الأعمال الصالحة .

فأي إنسان يدعي بأنه مؤمن ولا ينبثق من إيمانه عمل صالح فدعواه تحتاج إلى نظر والذين يَدَّعون الإسلام ولا يقيمون شعائر الإسلام فلا تنفعهم في دعواهم .

فكيف بمن يدعي الإسلام ويزعم بأنه يدعو للإسلام ، وينادي المسلمين إلى الجهاد ، وهو يفسد في الأرض ، ويحارب المسلمين ، ويغدر بالآمنين ، ويقتل الأبرياء ، ويشرِّد النساء والأطفال ، ويقاوم الإصلاح ، ويظلم ويعتدي ، إن أعماله تخالف أقواله ،

إن الغدر محرم في دين الإسلام ، فإذا كان الغدر بغير المسلم محرّمًا فكيف بالمسلم ، إن مَن عنده نور من الإيمان لا يرضى أن يُغدر بالمسلم ، ولا أن تُهان كرامة أخيه ، ولا أن تنتهك حرمته ، ولا أن يُسْلَم للذلة والمهانة وقد أمر الله تعالى نبيَّه محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، بالوفاء ، ونهاه عن الغدر حتى لو خاف غدر أعدائه وخيانتهم فقال تعالى :

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾(٢) .

• وروى ابن جرير الطبري أن أهل سمرقند اشتكوا إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٣٥) .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٥٨) .

أن قتيبة بن مسلم ظلمهم، وغدر بهم، وأخذ بلادهم على غرة، وقالوا: إن الله أظهر العدل والإنصاف، فإن كان لنا حق أعطيناه، فكتب عمر إلى عامله في سمرقند؛ قال: إن أهل سمرقند شكوا إليّ ظلمًا أصابهم، وتحاملًا من قتيبة عليهم أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي هذا فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة، وحكم القاضي بأن يُخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم ويُنابذوهم على سواء، ويكون صلحًا جديدًا أو ظفرًا عنوة، فقال أهل سمرقند: بل نرضى بما كان، فهلا ينصف المعتدي من نفسه، إن الرجوع إلى الحق أحق من التمادي في الباطل.

﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾(١) ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾(٢) ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾(٣).

ولئن اختفى المجرمون في الأنفاق والسُّرادق خوفًا من البشر أن ينتقموا منهم، فإنهم لن يختفوا عن الله ولن يخرجوا عن قبضته **﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾**(٤).

﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٥).

---

(١) سورة فاطر آية رقم (٤٣).

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٣٠).

(٣) سورة إبراهيم آية رقم (٤٦).

(٤) الأنعام آية رقم (١٨).

(٥) سورة هود آية رقم (٥).

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[١] .

ولئن أمهل الله للظالم فإنه لن يغفل عنه ، فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ، فالله قادر أن يسلط عليه أقرب الناس إليه ، أو أن يسلط عليه أضعف خلق الله كما فعل بالنمرود . أدخل في أنفه بعوضة ، وأخذت تأكل من دماغه ، وهو يصيح حتى أهلكه الله[٢] .

عجبًا لمغالطات ذلك الإنسان ، يقول : يدعو إلى الجهاد وقد فعل بإخواننا المسلمين ما فعل من الفضائح والخزايا والإرهاب والإبادة الجماعية ، يجب على المسلم أن يسأل فمنهم الذي يُريد أن يجاهدهم ويدعو لجهادهم ، إنه يدعو إلى جهاد المسلمين المتمسكين بإسلامهم ، الذين يحكمون بكتاب الله ، ويعملون بسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويعملون بشعائر الإسلام الظاهرة والباطنة ، ويقيمون حدود الله ، وينشرون العدل ، ويرفعون الظلم ، إذًا هو يريد هدم الإسلام والقضاء عليه في منبعه ، يريد أن يقضي على الإسلام اسمًا ومعني ، ويجعلها ماسونية حمراء وعلمانية سوداء ، ولكنه يلبس قناع الإسلام للتضليل على العامة ولإخفاء مخططاته ضد الإسلام والمسلمين .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ لا تنطلي عليكم أكاذيبه ، بعض الناس ولا تغرنكم إرجافاته ، فإنه لن يفلت من قبضة الله ونقمته ، فسيأخذه أخذ عزيز مقتدر إن شاء الله . « اللهم ؛ إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك ، نواصينا بيدك ، ماض فينا حكمك ، عدل فينا قضاؤك ، نسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء غمومنا ، وذهاب أحزاننا »[٣] .

اللهم ؛ إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا

---

(١) سورة النساء آية رقم (٧٨) .

(٢) ذكرها ابن كثير [٥٥٦/١، ٥٥٧] سورة البقرة آية رقم (٢٥٨) من دون إسناد .

(٣) حديث بدايته : « ما أصاب أحدًا قطُّ هم ولا حزن فقال : « اللهم ؛ إني عبدك ...» أخرجه أحمد رقم ٣٧١٢، وابن حبان في صحيحه والحاكم [٥٠٩/١] وإسناده صحيح .

نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

اللهم ؛ لا تعاقبنا بسيئات أعمالنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، واكفنا كل أمرٍ يهمّنا ، وكن لنا مؤيدًا وناصرًا .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] .

اللهم ؛ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

(١) البقرة آية رقم (٢٨٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن الخالق تبارك وتعالى يعلم ضعف البشر ، هذا الإنسان الذي كرمه الله وفضله ، ثم تهوي به الشهوة إلى مكان سحيق ، وتدفعه الميولات والرغبات النفسية إلى فعل ما يفعله المتوحش من الحيوان .

فالذي خلق الإنسان أعلم بما خلق .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(١) .

فهو لا يطرد الإنسان إذا عصى ، وإنما يرده إلى الصواب ، ويأمره بالرجوع إلى الله وبالتوبة النصوح .

ولئن جاء في الشريعة عقوبات وتعزيرات وحدود ؛ فإنما هى للتربية والتطهير ، وليست للانتقام والتعذيب ، ولا للتنفير . والإسلام حينما يدعو إلى السماحة والتعقل . ويختار أيسر الأمرين وأسهلهما للبشر فهو لا يدعو إلى الترخيص ، ولا التشجيع على المعصية ، وإنما يجمع بين التربية والرحمة ، فأنجح أساليب التربية ما جمع بين الترغيب والترهيب ، وصلوا على البشير .؟

---

(١) سورة الملك آية رقم (١٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية عشرة

١٧ / ٣ / ١٤٠١

[مؤتمر القمة الإسلامي في مكة]

الحمد لله ولا يحمد أحد سواه، هدانا للإسلام، وجعلنا من خير الأنام، وأعزّنا بالإيمان، وتفضل علينا بالأمن والأمان.

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ومن أصدق من الله حديثًا، ومن أصدق من الله قيلًا. إن الله لا يخلف الميعاد.

﴿ولينصرنَّ الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز﴾.

﴿إنا لننصُر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحَى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديه واستنَّ بسنته.

أما بعد.. فإن الفرحة تغمر القلوب المؤمنة، والبشر يعلو الوجوه، حينما نرى الأمة المسلمة تتحرك وفيها دوافع الأخوة الإسلامية وتستطيع النهوض بنشاطاتها الإسلامية. يلتفت بعضهم إلى بعض في نقطة الاتصال بمعاني الأخوة وسمات التعاون.

الأمل كبير، والتفائل جميل حينما نرى قادة المسلمين تهوى قلوبُهم وأبدانُهم إلى قبلة المسلمين للتشاور في أمور دينهم ودنياهم.

إنه لفخر كبير، أن تبذل الأمة المسلمة جهودها لجمع شمل المسلمين، وتوحيد قواهم، وإنارة الطريق أمامهم للرجوع إلى نظام إسلامهم.

وإنه لشرف عظيم للطائفة المؤمنة ، أن تتحمل أمانة الله وتَحرِصَ على أدائها على وجهها .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] .

إن أول مؤتمر إسلامي عقد في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤ بدعوة من الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس هذه المملكة وموحد أطرافِها ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وأفسح له في قبره ونور له فيه .

لقد أحسَّت الأمة المسلمة بواقعها ، وأدركت ما يحيط بها ، وعرفت ما يراد بها ، وأخذت الحياة تنتشر في جسمها ، نظرت إلى الواقع نظرة تأمل ، ونظرت إلى حالها نظرة أسف وتألم ، ويبقى أَنْ يُعلم أَنَّ اليهودية بكل قواها ، وبكل أساليبها ، وبكل أحزابها وتنظيماتها الظاهرة مثل الشيوعية ، أو الخفية مثل الماسونية وما يتشعَّبُ منها ، إنها تلعب في العالم لعبتها ، وتضع المعوقات والعقباتِ في طريق العدل والإصلاح ، وتبث سمومها في الشعوب ، وتضع أصابعها . مع كل حركة إصلاحية لإفسادها .

ورغم ذلك فإن الإيمان يتوقد في القلوب المؤمنة والحركات الإسلامية وستشق طريقها إن شاء الله تعالى ، تدعو للتضامن ، والتعاون ونشر العدل والإيمان .

ومؤتمر القمة الذي سيعقد في مكة المكرمة بعد غدٍ إن شاء الله بدعوة من الملك فهد بن عبد العزيز – انتفاضةٌ حية لقادة الشعوب المسلمة . وحركة إصلاحية خيرة يشكر عليها أولاد عبد العزيز ، ويشكر كل زعيم مسلم استجاب لندائه فأُوصى كل من يحضر ذلك المؤتمر ، بل أوصي جميع المسلمين باستحضار عظمة هذا الموقف ، يا له من موقف عظيم بين يدى رب العالمين فوقهم يسمع ويرى . وبيت الله أمامهم فيه البركة والهدى . وحرم الله يضمهم ، تضاعف فيه الحسنات والسيئات ، وكتاب الله بين أيديهم غضًّا طريًّا يقطر حيوية وروحانية يهدي للتي هى أقوم . وإخوانهم المسلمون

---

(١) سورة يوسف آية رقم (١٠٨) .

من حولهم ، وشعوبهم المسلمة من خلفهم .

فَرَبُّ العالمين شاهدٌ وراعٍ ، وبيت الله مذكّرٌ وداعٍ ، وحرم الله مانعٌ ورادع ، والقرآن واعظ وهادٍ ، وإخوانهم يناصحونهم ويشاركونهم مشاعرهم ، وشعوبهم تتطلع إلى النتائج ، وتتشوق إلى موارد إيمانها .

هذه الأمور تحرك نور الإيمان في قلب المؤمن ، وتهزُّ القلوب الواعية والأبدان الحساسة ، وتوقظ الضمير الحي ، تثيرُ أمام العيون نور الإيمان ، وتصرخ في الآذان بخشية الله ومراقبته خوفًا وطمعًا .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾(١) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾(٢) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾(٣) .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١) .
(٢) سورة الحج آية رقم (١) .
(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٧٠،٧١) .

إن أول واجب على المسلم (شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)، وهذه الشهادة تستلزم الحكم بما أنزل الله فتحكيم شرع الله أهم الواجبات، وكل ما بعده تبع له، ولم يبق لأحدٍ عذرٌ أمام الله، فقادة المسلمين من أبنائهم ويرجى فيهم الخير والقوة في جانب الله، ومصالح الراعي والرعية لا تتحقق إلّا بإقامة العدل من نظام الإسلام، والأمن والاستقرار لا يستقيمان إلّا بإقامة حدود الله، ومن أراد العزة والسيادة فإن العزة لله جميعًا ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1] فليسلك سبيلهم ومن أراد ثواب الدنيا، ﴿ **فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾[2] فليطلب من مالكه ليفوز بالثوابين، لا يليق بالمسلم أن يهجر كلام ربه، ويأخذ بنظام أعدائه، لا يليق بالمسلم أن يأخذ بكلام المخلوق ويترك كلامَ الخالقِ.

إن المسلمين أمانةٌ لدى قادتهم. وَوُلاةُ الأمر منهم مسئولون عنهم أمام الله، مسئولون عنهم أمام التاريخ إنه لا عز للمسلمين إلّا بالإسلام، ولا أمن إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[3].

فإلى الأمام يا دعاة الخير والسلام، إلى الأمام يا زعماء المسلمين.

اللهم؛ ألِّفْ بين قلوب المسلمين، واجمع كلمتهم ووحِّد صفوفهم، واجعل مؤتمرهم مؤتمر خير ورشد وصلاح، واجعل فيه خيرًا وبركة وعزًّا للإسلام والمسلمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) المنافقون آية رقم (٨).

(٢) النساء آية رقم (١٣٤).

(٣) الحج آية (٤١).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، ألَّف بين قلوب المؤمنين ، وجعلهم إخوة في الله متحابين .

وأشهد ألا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له الملك الحق المبين . ذو القوة المتين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين وقائد الغر المحجلين ، صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن العالم ينظر إلى هذه البلاد نظرة إجلال وإكبار لأنها تعظم شعائر الله ، ودستورها كلام الله ، وتحكم بما أنزل الله ، فأنعم عليها بالمهابة والوقار ، وإذا قارنا بين حاضر البلاد ، وبين ماضيها عرفنا الفوارق ، فكانت على جانب مؤلم من الفوضى والسلب والنهب وسفك الدماء ، وقطع الطريق وإرهاب حجاج بيت الله الحرام ، وزوار مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما حُكم فيها بما أنزل الله ، وأقيمت فيها حدود الله ، وأصلح الراعي صلته بالله . أصبحت كما ترون من الأمن والرخاء ، والتعاطف والإخاء ترابط بين الراعي والرعية بحبل الله ، يسودها التعاطف والتناصح ، حفظها ربها من كيد الأعداء ، وأضفى عليها نعمة الأمن والرخاء ، يسافر الرجل وحده يحمل ما شاء من الأموال يبيت في الصحراء وحده لا يخاف إلا الله وحده ، الدكاكين تُضفي عليها غطاء قماش لا يمسها أحد بسوء ، أبواب المنازل قدْ تترك مفتوحة طوال الليل والنهار لا يدخلها إلا أهلها . كل ذلك بفضل الله وحده وبرعايته بسبب تحكيم شريعته والعمل برسالته . فمن كان يُحب أن تكون بلاده كذلك فليحكم بما أنزل الله وليجعل دستوره كلام الله ، ولينفذ حدود الله ، وليصلح ما بينه وبين الله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾(١) .

(١) محمد آية رقم (٧) .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(١) .

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾(٢) .

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ ﴾(٣) .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٤) .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٥) .

وصلوا على البشير النذير .

---

(١) سورة الحج آية رقم (٤٠) .

(٢) سورة غافر آية رقم (٥١) .

(٣) سورة آل عمران آية رقم (١٦٠) .

(٤) سورة آل عمران آية رقم (١٠٢) .

(٥) سورة آل عمران آية رقم (١٠٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة عشرة

١٠ / ١ / ١٤١٠

[ساعة العسرة والثلاثة الذين خلفوا]

الحمد لله رب العالمين ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾(١) .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، يَبْتلي ويختبر ؛ ليعلم الذين آمنوا ويعلم المنافقين ، ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، إمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. ففي مثل هذه الأيام في حرارة القيظ ، في وقتٍ اشتد فيه الحرُّ ، في سنة مجدبة ، وفي عُسرة من الزاد والراحلة ، وفي قلة من الماء ، وحين طاب الظل ، ونَضَجت الثمار في المدينة المنورة ، وحين توفرت مغريات الإقامة نَدب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لتجهيز جيش العسرة إلى تبوك(٣) فلم تَقْعد مُنفِّرات السفر ، ولا مُغريات الإقامة بالمؤمنين الصادقين عن تلبية دعوة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنفر أكثر من ثلاثين ألف مقاتل ، وعشرة آلاف فارس ، ولم يتخلف إلا منافق منغمس في النفاق أو صاحب عذر إلا ثلاثة نفر من المؤمنين الصادقين ، أقعدهم القدر ، وأخرهم التسويف ، ولله في ذلك حكم(٤) .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٤٣) .

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٣) .

(٣) إشارة إلى حديث كعب بن مالك – رضي الله عنه – خ برقم (٤٤١٨) باب ٧٩ [١١٣/٨] الفتح انظر الذهب المسبوك لهذا المقدم الفقير (١/٩٢–١٠٠) فسوف تجد التخريج بالتوسع .

(٤) إشارة إلى حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – في هذا المعنى خ برقم (٢٨٣٩) =

فجهز عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ذلك الجيش بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وعدتها، وبألف دينار، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غفر الله لك يا عثمان ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وما أخفيت، وما أعلنت، وقال عليه الصلاة والسلام: ما على عثمان ما فعل بعد هذا ما ضر ابنَ عفانَ ما عمل بعد اليوم يُكررها[1].

وكان النفر يتعاقبون على بعير، وكان زادهم التمر المسوّس، والشعير المتغير، والإهالة النتنة، وبعض الرفقة ليس معهم إلا التمرات، فإذا بلغ الجوعُ من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها لصاحبه حتى يشرب عليها جُرعة من ماء، وهكذا حتى تأتي على آخرهم فلا يبقى في التمرة إلا النواة، فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على صِدقهم ويقينهم، وعلى صبرهم وتحملهم واحتسابهم لما عند الله، فأنزل الله فيهم قوله تعالى:

﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

وصف أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - ساعة العسرة فقال: نزلنا منزلًا أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، وحتى إن الرجل لَيَنْحر بَعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويحمل ما بقي على كتفه، وأصاب الناس مجاعةٌ[3].

= [٤٧،٤٦/٦] الفتح.

(١) إشارة إلى حديث عبد الرحمن بن حباب - رضي الله عنه - الترمذي برقم (٣٧٠٠) [٥/ ٦٢٥] قال الترمذي: غريب من هذا الوجه وفي الباب عن عبد الرحمن بن سمرة ا.هـ قلت: إسناده حسن لغيره راجع الذهبس المسبوك [٢٠٦/١]، والحاكم [١٠٢/٣] وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) سورة التوبة آية رقم (١١٧).

(٣) الحاكم في المستدرك [١٥٩/١]، وإسناده صحيح راجع الذهب المسبوك [٤٩/١-٥٢]،=

ثم طلب أبو بكر - رضي الله عنه - من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يستسقي ربه فاستسقى فأمطرت سحابة على المعسكر فشربوا، وحملوا كفايتهم، وطلب عمر من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجمع ما مع الجيش من طعام ويدعو، فيه فجاء الرجل بكسرة تمر، والرجل بحفنة من تمر، والرجل بكسرة من خبز ووضع على النطع أقل من ربضة العنز فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الطعام وسأل فأنزل الله فيه البركة فأكلوا وشبعوا وملئوا ما معهم[(١)].

وكان ممن تخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تلك الغزوة كعب بن مالك شهد العقبة، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، شهدا بدرًا - رضي الله عنهم - ولم يتخلفوا لشك ولا لريب، وإنما أدركهم الضعف البشري، وإليكم موجز خبرِهم مما في صحيح البخاري:

قال كعب بن مالك - رضي الله عنه -: فلما بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توجه قافلًا حضرني بثي فطفقت أتذكر ما أخرج به من سَخَط رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فلما أظل قادمًا زاح عني الباطل فأجمعت صدقه، فلما جلس في المسجد جاءه المتخلفون يعتذرون ويحلفون فقبل منهم - صلى الله عليه وسلم - ظواهرهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فلما سلمت على رسول الله تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعالَ، فجلست بين يديه، فقال: ما خلفك؟ ألم تكن ابتعت ظهرك (أي اشتريت بعيرك). فقلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلًا، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يُسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عقبى الله، والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك. قال: وكان هلال بن أمية ومُرارة بن ربيعة قالا مثل ما قلتُ وقيْل

= فسوف تجد التخريج بالتوسع.

(١) إشارة إلى نفس الحديث السابق وفيه هذا المعنى [١٥٩/١] الحاكم في المستدرك.

لهما مثل ما قيل لي .

قال : ونهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرضُ التي أعرف فلما مضى أربعون ليلة أرسل لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن نعتزل نساءنا .

قال كعب : وكنت أشَبَّ القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة ، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسلم عليه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ، ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ ، وإذا التفت نحوه أعرض عني ، ثم جئت ابن عمي أبا قتادة - وهو أحب الناس إلي - فسلمت عليه فوالله ما رد السلام ، فقلت له : يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم أني أحب رسوله فسكت فناشدته ، فسكت فناشدته فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناي وبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطيٌّ من أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدلني على كعب بن مالك ؟ فَطفِق الناس يشيرون إليّ ، فدفع إليّ كتابًا من مَلِك غسان ، فقرأته فإذا فيه : أما بعد ؛ فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله في دار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسِك . قال : فقلت : هذه أيضًا من البلاء ، فسجرت بها التنور ، وبعد مضي خمسين ليلة من إرجاء توبتنا بينا أنا على ظهر بيت من بيوتنا جالس بعد صلاة الفجر على الحال التي ذكر الله عز وجل . قد ضاقت علي نفسي ، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت ؛ سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ؛ أبشر . قال : فخررت ساجدًا وعلمت أنه جاء فرجٌ . قال : فنزعت ثوبيّ وكسوتهما المبشر ولا أملك غيرهما ، واستعرت ثوبين فانطلقت أتأمم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلقاني الناس فوْجًا فوجًا يهنئونني بالتوبة ، فلما سلمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ، وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك ، قال : فقلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله(١) .

---

(١) خ برقم (٤٤١٨) باب (٧٩) [١١٣/٨] .... وقد مضى تخريجه آنفا .

قال : وأنزل الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - :

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ
إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ
عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟
مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(١)

قال : وأنزل الله في الذين اعتذروا وكذبوا .

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٩٥ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟
عَنْهُمْۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ٩٦ ﴾(٢) .

فاتقو الله أيها المسلمون .

أذكِّر بهذه الغزوة كلَّ مجاهد في سبيل الله أصابه الجهد والمشقة ، وكل مدافع عن دينه ، ودمه ، وعرضه ، وماله أصابته محنة .

(١) سورة التوبة آية رقم (١١٧-١١٩) .

(٢) سورة التوبة آية رقم (٩٥) .

وأحث بها كل مسلم أعطاه الله حظًّا من الدنيا لينفق في سبيل الله ، وأعظ بها كل ملحد وزنديق ينال من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فليتق الله .

اللهم ؛ اغفر لنا وارحمنا وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله.

اللهم، صلِّ وسلِّم على عبد ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد.. فإن أصدق الحديث كتاب الله[1]، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخيرَ الملل ملة إبراهيم، وخيرَ السنن سنة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأشرفَ الحديث ذكر الله، وأحسنَ القصص هذا القرآن، وخيرَ الأمور عوازمها، وشرَّ الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدي الأنبياء، وأشرف المَوْت قَتْل الشهداء، وأعمى العمى الضلالةُ بعد الهدى، وخيرَ الأعمال ما نفع، وخير الهدي ما اتُّبع، وشرَّ العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى[2] وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يَحضر الموت، وشر الندامة يومَ القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبرًا، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرًا، ومن أعظم خطايا اللسان الكذب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى[3] ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل[4].

وخير ما وقر في القلب اليقين[5] والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية[6]،

(١) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه مسلم برقم خاص (٤٣) صـ [٢/٥٩٢].

(٢) خ برقم (١٤٢٧) من حديث حكيم بن حزام - رضي الله عنه - وم برقم (١٠٢٤)، الزكاة.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة آية رقم (١٩٧).

(٤) لم يكن هذا اللفظ مرفوعًا وإنما هو من كلام السلف رحمهم الله تعالى، والله أعلم.

(٥) هذا اللفظ وقع في حديث جبير بن مطعم - رضي الله عنه - خ برقم (٤٠٢٣) [٧/٣٢٣].

(٦) هذا اللفظ لم يكن مرفوعًا، وإنما عقد البخاري الباب في الجنائز وهو برقم (٣٣) وقال: =

والغلول من جثا جهنم ، السكر من النار ، والشعر من إبليس[١] والخمر جماع الإثم وشر المأكل مال اليتم[٢] والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه[٣] .

وإنما يصِيرُ أحدكم إلى موضع أربعة أذرع ، والأمر إلى الآخرة ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب .

وكل ما هو آت قريب[٤] ، وسبابُ المؤمن فسوق ، وقتاله كفر[٥] ، وأكل لحمهِ من معصية الله ، وحرمةُ ماله كحرمة دمه ، ومن يتألَّ على الله يُكَذِّبهِ ، ومن يغفر يُغْفر له ، ومن يَعْفُ يَعْفُ الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجرْه الله ، ومن يصبر على الرذية يعوضه الله ، ومن يبتغِ السمعة يسمعس الله به ومن يتصبر يضاعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله ، فاتقوا الله عباد الله ، تأملوا ماضيكم ، وتأملوا واقعكم ، وتأملوا مُشتقبلكم ، واحذروا الغفلة فإنها قاتلة ، ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٦]

= باب ما يكره من النياحة على الميت الفتح [١٦٠/٣] .

(١) هو الشعر المخالف للدعوة الإسلامية الذي أشار الله ربنا في سورة يس آية رقم (٦٩) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء آية (١٠) .

(٣) إشارة إلى حديث مسلم في الصحيح بهذا اللفظ ، القدر برقم ٣ خاص مسلم ٢٦٤٥ وهو من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - .

(٤) جزء من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - جه برقم (٤٦) المقدمة [١/١٨] ، بسياق طويل .

(٥) خ برقم (٤٨) ، الإيمان من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - وم الإيمان برقم (١١٦) خاص .

(٦) الأحزاب : آية (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة عشرة

١٩ / ١ / ١٤١١

[النفير إذا طلب الإمام]

الحمد لله رب العلمين الرحمن الرحيم ، أمر بوفاء العهد ، ونهى عن الغدر والخيانة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لاشريك له ، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[2] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين وقدوة المجاهدين .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان .

أمَّا بعد .. فإن المملكة العربية السُعودية هي مَعْقِلُ الإسلام ومهبط الوحي على خير الأنام محمد - صلى الله عليه وسلم - وإليها يأرز الإيمان ، لها مكانتها عِند الله ، ولها وزنها عند خلق الله ، فهي قبلة المسلمين ومُتَعلَّق قلوب المؤمنين .

وقد وفق الله خادمَ الحرمين الشريفين للقيادة بالحكمة والرشد ، وبذلِ كلٍّ ما فيه خدمةُ المقدسات الإسلامية ، والمحافظةُ على كِيانِ الإسلام . فالدفاع عنها دفاع عن منابع الرسالة ومهابط الإيمان وعن الإسلام والمسلمين .

وفي أعقاب الأحداث التي فاجأت العالم يوم الخميس الماضي الموافق ١١/١/ ١٤١١ هـ وأدهشت كل إنسان تلك الأحداث المؤسفة التي عكست الأوضاعَ ،

---

(١) سورة المنافقون آية رقم (٨) .

(٢) سورة الحج آية رقم (٣٩) .

وقلبت المقاييس ، وتعدّت العهود والمواثيق في أبشع عدوان عرفته الأمة العربية في حاضرها ، مما أدى إلى تشريد شعب مسلم عربي ، وفي أعقاب ذلك أعلن خادمُ الحرمين الشريفين الملكُ فهد بن عبد العزيز في خطابٍ ألقاه يوم أمس موجهًا لأبناء هذه البلاد المحروسة أشار فيه - وفقهُ الله - إلى الجهود التي بذلها ، واتصالاته مع الأشقاء ، واجتماعه مع الدولتين المعنيَّتَيْن لتسوية الخلافات بين القُطرين العربيين بالأمور السليمة ، إلّا أن الأمور ساءت مع الأسف على عكس الاتجاه الذي كان يتطلع إليه ، بل وعكس تطلعات الشعوب الإسلامية والأمة العربية ، وجميع دول العالم المحبة للسلام ، وأعرب حفظه الله عن رفض المملكة العربية السعودية رفضًا قاطعًا لكل ما أعقب هذا الاعتداء من إجرآت وإعلانات ، ووضع رَفَضتْه القياداتُ العربية وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومجلسُ التعاوُن لدول الخليج العربية ، ورفضته جميعُ الهيئات والمنظمات العربية والدولية ، وتؤكد المملكة العربية السُعودية مطالبتها بإعادة الأوضاع في دولة الكويت الشقيق إلى ما كانت عليه قبل الاجتياح العِراقي لها .

ورَجَا خادم الحرمين الشريفين أن تسفر القمة العربية الطارئة المجتمعة في مصر العربية هذا اليوم عن النتائج التي تُحقق آمال الآمة العربية وتعزيز موقفها نحو التضامن ووحدة الكلمة .

وأشار حفظه الله في حديثه إلى أنه أعقب ذلك الحدث المؤسفَ إقدامُ بعض الجيران على حشد قوات كبيرة على حدود المملكة العزبية السعودية ، وأنه أمام هذه الوقائع المريرة ، وانطلاقًا من حِرص المملكة على سلامة أراضيها وحماية مقوماتها الحيوية والاقتصادية ، ورغبةً منه - أدام الله عزّه وتوفيقه في تعزيز قدُرات المملكة الدفاعية ، ورفع مستوى التدريب لقواتها المسلحة ، وانطلاقًا من حرص حكومة المملكة العربية السعودية على اللجوء إلى السلم ، وعدم اللجوء إلى القوة لحل الخلافات : أعربت المملكة العربية السُعودية عن رغبتها في اشتراك قوة عربية شقيقة وأخرى صديقة ، فبادرت بحكم علاقات الصداقة التي تربط بين المملكة العربية السعودية وتلك الدول إلى إرسال قوات جوية وبريّة لمساندة القوات المسلحة السعودية في أداء واجبها الدفاعي عن الوطن والمواطنين ضد أي اعتداء والقيام بالتدريبات المشتركة .

وأشار حفظه الله إلى أن تواجد هذه القوات على أرض المملكة مؤقت ، وأنَّها ستُغَادِرها فورًا عندما ترغب المملكة العربية السعودية في ذلك ، وإن ما ذكره خادم الحرمين الشريفين يتفق مع قوله تعالى :

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾[١] ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٢] .

إن الملك فهدًا وضع في خطابه النُّقَط على الحروف ، وهذا دليل على إخلاصه لدينه وأمته وشعبه ، ودليل على حرصه على حماية الحرمات والدفاع عن الإسلام والمسلمين فعلى الشعب السعودي التأييد والمساندة والاستعداد يجب على شعب المملكة العربية السعودية الأبطال البواسل الاستجابةُ لنداء الإمام إذا دعاهم إلى النفير للدفاع عن الإسلام والمحارم والحقوق ، فذلك واجب عَيْنيٌّ على كل مواطن سعودي وهو جهاد مقدس .

فالله الله عليكم بالجماعة والائتلاف على الطاعة ، والجهاد في سبيل الله ، يجمعِ الله قلوبكم ويكفرْ عنكم سيئاتكم ويحصِّل لكم خيري الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة الأنفال آية رقم (٥٨،٥٩) .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٦٠) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١).

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٢).

فإذا استنفركم الإمام فقولوا : سمعنا وأطعنا

﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١١١).

(٢) سورة النساء آية رقم (٩٥،٩٦).

(٣) سورة التوبة آية رقم (٤١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾(١) .

عن عبد الله بن عَمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، « من قُتل دون ماله فهو شهيد » . متفق عليه .

وروى أبو داود ، والترمذي وصححه عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد المشهود لهم بالجنة -رضي الله عنهم- قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « من قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » .

وروى مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : جاء رجل إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛ أرايت إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال : « فلا تُعطه مالك » . قال : أرايت إن قاتلني . قال : « قاتله . قال : » أرايت إن قتلني . قال : « فأنت شهيد » . قال : أرايت إن قتلته . قال : « هو في النار » .

وأوصيكم بتقوى الله فإنها تفتح طرقًا مغْلقة ، وأبوابًا مقفلة ، وتوسع ما كان ضيّقًا ، وتسبب رزقًا حسنًا بلا مشقّة .

اللهم ؛ أصلح شأن المسلمين ، وألّف بين قلوبهم ، ووحّد صفوفهم ، واجمع كلمتهم على ما يرضيك .

اللهم ؛ احفظ علينا نعمك وارزقنا شكرها ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا .

اللهم ؛ اخذل الظلمة المعتدين ، الذين ينقضون العهد ولا يوفون ، لا يرقبون في

---

(١) سورة الصف آية رقم (١١) .

مؤمن إلًّا ولا ذمة ولا يعدلون ، اللهم ؛ إنا نعوذ بك من شرورهم وندرأ بك في نحورهم . اللهم ؛ إنك محيط بهم وهم في قبضتك لا يعجزونك . اللهم ؛ أنزل الرعبَ في قلوبهم ، وحطِّم قوتهم ، واكِسر شوكتهم ، واقمع غرورهم ، وهبِّط طيشهم ، وردَّهم إلى الحق رغم أنوفهم .

اللهم ؛ احفظنا من البلايا والمحَنْ وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

١٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم . ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وكل شيء عنده بمقدار .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، تفرد بتصريف الأمور جملة وتفصيلًا .

وأشهد أن سيدنا ونبيَّنا محمدًا عبده ورسوله ، أعرف الناس بربه ، وأصبرهم على البلاء .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقى ، ومن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد .. فإن الإنسان محصورٌ بين الأمل والقدر . فالعبد يريد ، والله تعالى قد قضى وقدر ولا يحصل إلا ما قدر الله .

فما يحصل في هذا الوجود من أحداث وتقلبات من خير وشر ، وصحة ومرض ، وأمن وخوف ، وعِزٍّ وذُلٍّ ، ورِخصٍ وغلا ، ووفاق وفراق .

كل ذلك في علم الله وبمشيئته الكونية ، ولحكمة بالغة يعلمها ، فما كان من خير فمن فضل الله ، وما كان من سوء فبما كسبت أيدي الناس ، وكل ذلك مسطر في اللوح المحفوظ .

روى مسلم في الصحيح عن عَمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : « قدَّر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة » .

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١).

والأخذ بالأسباب مطلوب، والمؤمن كيِّس فَطن لا يلدغ من جحر مرتين، يأخذ للأمور أهبتها، ويستعد لها بعدتها، فينظر فيما مضى من أمره وفي مستقبل شأنه، قويًّا بإيمانه معتمدًا على ربه مفوضًا أمره إليه مستعينًا بذي القوة المتين مستعدًّا لعدوه بما يستطيع من قوة فإذا وقع البلاء وجب الصبر والاحتساب والرضا. فلا علم للإنسان بعواقب الأمور، والدنيا وسيلة وليست غاية.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢)

وروى الترمذي وصححه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: « ما يزال البلاء بالمؤمن، والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة ».

وكلما قوي إيمان العبد اشتد بلاؤه ليَعظُم أجرهُ وليتُرفع درجاته، فَعِظَمُ الجزاء مع عظم البلاء.

وأشد الناس بلاء صفوة خلق الله الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والتسليم، فقد كُذِّبوا وأوذوا وقوتلوا وامتحنوا فصبروا والعاقبة للتقوى.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٣).

---

(١) سورة التغابن آية رقم (١١).

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢١٦).

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة عشرة

١٥ / ٧ / ١٤١٣

[تحريم قتل النفس المعصومة]

الحمد لله رب العالمين ، شرع الحدود رحمة للعالمين ، وزجرًا للفاسقين ، وعقوبة للمجرمين ، وهو الرحمن الرحيم .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أعلم بما يصلحه ويحفظ حقوقه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، بلَّغ رسالة ربه ، ونَصَحَ لأمته ، وجاهد في الله حق جهاده .

اللهم ؛ صلِّ على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه وسلِّم تسليمًا كثيرًا .

أمَّا بعد .. فإن علاقة المسلم بأخيه المسلم علاقةٌ أخويةٌ غاليةٌ عزيزةٌ . فليس في رغبات الدنيا ما يوهن ارتباطها ، ولا ما يقطع حبل الصلة فيها ، ولا ما يُعَكِّرُ صفوها ؛ ولهذا أمر – صلى الله عليه وسلم – بأسباب الألفة ، ونهى عن أسباب الفرقة ؛ فقال – صلى الله عليه وسلم – : « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانًا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله . التقوى هاهنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » . رواه مسلم .[١]

وأكثر ما يثير الضغائن ، ويسبب الحقد قتل النفس بغير حق . وقد ثبت بنص الكتاب والسنة تحريم قتل النفس المعصومة إلا بالحق ، فقال تعالى :

(١) رياض الصالحين (١١٢) .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴾(١) .

وقال سبحانه :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(٢) .

وثبت في الصحيحين من حديث أبي بكرةَ نُفَيْع بن الحارث - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (أي في حجة الوداع) : « فإن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض »(٣) .

وقد نص القرآن على أن القتل نوعان : خطأ ، وعمد . فالخطأ أن يعمل الإنسان عملًا يباح له ، كأن يرمي غرضًا ، أو صيدًا ، أو يسوق سيارة فيحصل فيها خللٌ ، أو يصادفه في الطريق عارض فيصيب إنسانًا مسلمًا من دون قصد ، ومن دون إرادة فيموت المصاب بسببه . وقتل الخطأ هو الممكن وقوعه من المسلم على المسلم ، فإن وجود الأخ في الله بجوار أخيه - نعمة من الله يحصل بها التعاون على البر والتقوى ، فلا يُتَصوَّر أن يزيل المسلم هذه النعمة برغبته وإرادته . فإذا وقع القتل خطأ فالحكم واضح في القرآن الكريم :

﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ

---

(١) سورة النساء أول الآية (٩٢) .

(٢) سورة النساء آية رقم (٩٣) .

(٣) رياض الصالحين ، باب تحريم الظلم (١٠٦) .

إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1] .

فهذه ثلاث حالات في قتل الخطأ ، الأولى أن يكون القتيل مؤمنًا وأهله مؤمنين فتجب الكفارة والدية . وأما الكفارة فهي تعويضٌ للمجتمع المسلم بعتق رقبة مؤمنة ؛ لتكون عضوًا فيه بدل التي فُقدت ، فمن لم يجد فيتقرب إلى الله بعبادة خَفِيَّة تمس من نفسه وبدنه وتكْسِرُ من قُوَّته ، فهي دليل الندم والتحسر على قتل الخطأ .

وأما الدِّية ففيها تسكين ثائرة النفوس ، وتطمين المفجوعين ، وتعويض لبعض ما فات من نفع المقتول ، وهي على العاقلة مقسطة ثلاث سنوات تخفيفًا ، وتحقيقًا للتضامن وتعاونًا على نوائب الحياة ، ومع هذا يلوح القرآن الكريم بالعفو عن الدية ﴿ **إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا** ﴾ . ففي العفو إحساس القاتل بالتسامح فتطمئن نفسه ، وفيه تعاون مع العاقلة وتعاطف .

الحالة الثانية : أن يقع القتل الخطأ على مؤمن ، وأهله محاربون للإسلام مُعادون للمسلمين ، أي : غير معاهدين ، ففي هذه الحالة تجب الكفارة فقط ولا تدفع لهم الدية يستعينون بها على المسلمين ، وليس لهم حق الاسترضاء وجبرُ الخاطر .

الحالة الثالثة : أن يقع قتل الخطأ على مؤمن ، أهله معاهدون عهد هُدنة أو عهد ذمة ، ففي هذه الحالة تجب الكفارة والدية كما نصت الآية الكريمة . أما قتل العمد فهو أن يقصد المكلَّف من يعلمه معصوم الدم فيضربُه بما يغلب على الظن موته به ظلمًا وعدوانًا ، كأن يضربه بعيار ناري ، أو بسيف ، أو رمح ، أو سكين ، أو بمثقل ، أو يقتله بسحر ، أو سم ، أو يجعل في المجتمع العام متفجرات ،أو مواد سامة من أجل الإخلال بالأمن والإساءة إلى فرد أو أفراد ، أو لقصد نزْع الثقة وتحريش العامة ، فهذه الأعمال التي يحصل بسببها قتل فرد أو أفراد أو جماعة فاعله قاتل عمدًا داخل تحت قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ**

---

(١) سورة النساء آية رقم (٩٢) .

﴿وَلَعَنَهُ وأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[١] والقاتل عمدًا فاسق خارج عن طاعة الله وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، وعمله من أكبر الكبائر ولعظم جريمة قتل العمد وقُبحها وسوء مَغَبَّتِهَا قُرنت بالشرك في أكثر من آية ، كقوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[٢] .

وكقوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣] .

وقتل العمد محرم بنص الكتاب والسنة ولا يفعله مسلم بمسلم إلا مَنْ زاغ قلبه وحق عليه العذاب ، للآية المتقدمة ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾[٤] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يَكْذِبه ولا يخذله . كل المسلم على المسلم حرام : عرضه ، وماله ، ودمه . التقوى هاهنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »[٥] . رواه الترمذي وحسنه .

وعند مسلم « كلُّ المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه »[٦] .

وعن سهل بن حنيف أن أمير المؤمنين عثمان بن عفانَ – رضي الله عنه –

---

(١) سورة النساء آية رقم (٩٣)

(٢) سورة الفرقان آية رقم (٦٨) .

(٣) سورة آل عمران آية رقم (٢١) وذكره ابن كثير .

(٤) سورة النساء آية رقم (٩٣) .

(٥) رياض الصالحين (١١٢) .

(٦) رياض الصالحين (١١٢) .

أشرف يوم الدار «أي: على الخوارج الذين جاءوا لقتله» فقال: «أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زِنًى بعد إحصان، أو كفرٍ بعد إسلام، أو قتل نفس بغير حق فقتل به». فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام. ولا ارتددْت مُنذ بايعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا قتلت النفس التي حرم الله فَبِمَ تقتلونني[(١)].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا** ﴾ الآية: هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، وموجب قتل العمد القصاصُ في الدنيا ووعيد في الآخرة، قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾[(٢)]

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[(٣)].

وقال تعالى:

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾[(٤)].

وفي الصحيحين عن أنس أن يهوديًّا رضَّ رأس جارية بين حجرين فأتي به فاعترف فأمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «فرض رأسهُ بالحجارة»[(٥)].

وعن أنس أنَّ الربيعَ عمة أنس بن مالك كسرت ثنية جارية من الأنصار فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالقصاص «فرضي القوم وقبلوا الأرش»[(٦)].

(١) مشكاة المصابيح (٢٦٢).

(٢) البقرة (١٧٨).

(٣) البقرة (١٧٩).

(٤) المائدة (٤٥).

(٥) المشكاة [٢/٢٦١].

(٦) المشكاة [٢/٢٦١].

وقد رغب الكتاب والسنة في العفو عن القصاص، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾(١)

وروى الترمذي رحمه الله عن عَمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: قال: «من قَتَلَ متعمدًا دفع إلى أولياء المقتول، فإن شاءوا قتلوا، وإن شاءوا أخذوا الدية»، وقال: وما صالحوا عليه فهو لهم.

وإذا تمالأ جماعة على قتل مسلم عدوانًا اقتُصَّ منهم؛ لما روى مالك عن سعيد بن المسيِّب أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قتل خمسة أو سبعة بفرد واحد.

قتلوه غيلة. وقال عمر: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم، وإذا أمسك إنسانٌ وقتل آخر قتل القاتل، وحبس الممسك حتى يموت؛ لأنه حبس المقتول إلى الموت فيحبس إلى الموت(٢).

وهناك نوع ثالث لم يذكر في الآيات لكن ذكر في السنة وهو شّبه العمد، وهو أن يقصد المكلف معصومًا فيضربُه بما لايقتل غالبًا فيموت، فقصد القتل غير موجود، وقصد الفعل موجود، كأن يضربه بعصًا خفيفة، أو يلكزه بيده في غير مقتل فيموت فهو شبه عمد، لم يكن عمدًا لانتفاء قصد القتل، ولم يكن خطأً لوجود قصد الفعل، فصار شبه عمد، وموجب شبه العمد دية مغلظة ولا قود؛ لما روى أبو داود عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «عقل شبه العمد مغلظ مثلُ عقل العمد ولا يُقْتَل صاحبه»(٣).

ومن قَتَل مورثه عمدًا أو خطأً حُرم الميراث، ومتى تَطَبَّبَ معروف بالطبب ضمن ما أتلفه، فاتقوا الله أيها المسلمون، إن الدماء سيقضى فيها يوم القيامة؛

(١) سورة البقرة آية رقم (١٧٨).

(٢) الكشاف [٥/٦٠٤] المشكاة [٢/٢٦٥].

(٣) المشكاة [٥/٢٧].

فاحترزوا ومنها

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[١] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم واغفر لنا .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم [٧٠،٧١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(١).

وأشهد ألّا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق بشيرًا ونذيرًا.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، علَّم أمته الآداب والفضائل ليكونوا شهداء على الناس.

اللهم، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله.

أما بعد .. فإن من هدي نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إفشاء السلام، وهو دعاء بالسلامة من المصائب والآفات.

وأول من بدأ بالسلام أدم عليه الصلاة والسلام. روى البخاري في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « خلق الله أدم على صورته، طوله ستون ذراعًا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر نفر من الملائكة جلوسٍ فاستمع ما يحيُّونك فإنها تحيتك وتحية ذُرِّيَتِك فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. وإفساء السلام سنة وردُّه واجب، والسلام اسم من أسماء الله، يسلم على من يعرفه ومن لا يعرفه، فيسلم القليل على الكثير، والراكب على الماشي والماشي على القاعد، والصغير على الكبير، وذلك من حق المسلم، على أخيه المسلم، ولا يبدأ بالسلام من عرف بالفسق.

وأما سلام الرجال على النساء وسلام النساء على الرجال فلا يشرع إلا إذا أُمنت

---

(١) سورة النحل آية رقم (٨٩).

الفتنة ، كأن تكون المرأة كبيرةً أو برزة أو محرمًا فيشرع السلام إذًا ؛ لما روى البخاري رحمه الله أن عجوزًا كانت تسقي شرابًا طيبًا فيأتيها بعض الصحابة – رضي الله عنهم – فيسلمون عليها وتسقيهم(١) .

وأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – عائشة أن جبريل عليه السلام يُقْرِئُها السلام . أما إذا لم تؤمن الفتنة ، بأن تكون أجنبية شابة ، فيكره السلام ، ويحرم النظر إليها .

ويسلم الرجل على أهله إذا دخل البيت ، وإذا سلم أهل الذمة رد عليهم كما رد النبي صلى الله عليه وسلم « وعليكم » .

والقيام إلى كبيرًا لقوم جائز لقوله – صلى الله عليه وسلم – قوموا إلى سيدكم والمصافحة مشروعة للرجال ، وإذا سلم الرجل على امرأة من محارمه صافح وإن شاء قبل رأسها ولا يقبل وجهها . والفم للزوج .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تأدبوا بآداب الإسلام ، وأفشو السلام بينكم تحابوا .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئكته يُصَلُّونَ عَلَي النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢) .

---

(١) البخاري [٦٣/٨] فتح الباري [٣٣/١١] .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة عشرة

٢٣ / ٣ / ٩٥

[لولي القتل عمدًا ثلاثة خيارات]

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله[١]

وأشهد ألا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له. له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون[٢].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله. تركنا على المحجة البيضاء لَيْلِهَا كنهارها لا يزيغ عنها إلّا هالك[٣].

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد.. فيا أيها المسلمون؛ أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى، والتمسكِ بتعاليم دينه والعمل بكتابه وتحكيم أحكامه، والوقوف عند حدوده.

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[٤].

عباد الله؛ إن حياة المجتمع تتركز على ثلاث قواعد أساسية، هي: الدماء، والأعراض، والأموال: من أجل ذلك حافظ عليها الإسلام، وحرم الاعتداء عليها، وحرم أخذ شيء منها إلّا بحق الإسلام، وأحاطها بسور رفيع يحفظها ويحافظ عليها،

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم (٤٣).

(٢) سورة القصص آية رقم (٧٠).

(٣) جه برقم (٤٣) المقدمة والإمام أحمد في المسند [١٢٦/٤]، كلاهما من حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - وإسناده صحيح.

(٤) سورة الطلاق آية رقم (٢،٣).

ويمنع من التعدي عليها ، فحفظ الأموال بحد السرقة :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

وحفظ الأعراض بحد القذف :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢) .

وبحد الزاني :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) .

هذا إذا كانا بكرين لم يحصنا . أما المحصن الزاني فحده الرجم بالحجارة حتى يموت(٤) .

سنة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وحكمه العادل ، وحفظ الدماء بحد القصاص .

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٣٨) .

(٢) سورة النور آية رقم (٤) .

(٣) سورة النور آية رقم (٢) .

(٤) إشارة إلى حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أخرجه الشيخان في صحيحيهما خ في المحاربين [١٢٨/١٢] ، ومسلم برقم (١٦٩١) في الحدود باب رجم الثيب الزاني .

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾[١].

فمن تصدق به فهو كفارة له ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[١].

إن قتل المسلم عمدًا عدوانًا جريمةٌ شنعاء، وخطر على المجتمع تورث البغضاء والشحناء والشقاق. لا يقدم عليها إنسان يؤمن بالله حقًا، ولا تصدر من إنسان يتصف بالمثل العليا، والفضائل. بل لا يخطر على البال أن مؤمنًا يقتل مؤمنًا عمدًا عدوانًا.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾[٢].

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٣].

من أجل ذلك كتب الله تبارك وتعالى على المؤمنين القصاص في القتلى. وبيَّن فوائده للفرد والجماعة. ففيه حياة الناس وصلاح الأمة وقطع دابر الشر، وفيه حفظ الأمن والاستقرار، ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[٤]. صدق الله العظيم، إن في القصاص حياة للناس يعرف ذلك أهل العقول السليمة والبصائر المستقيمة.

فإذا عَرف صاحب النزعةِ الشريرة أنه إذا قَتلَ اقتص منه جزاء وفاقًا لم يقدم على ارتكاب الجريمة.

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٤٥).

(٢) سورة النساء آية رقم (٩٢).

(٣) سورة النساء آية رقم (٩٣).

(٤) سورة البقرة آية رقم (١٧٩).

وإذا اقتُص من القاتل طابت نفوس أولياء القتيل، وذهب البغض من نفوسهم.

ومن حكمة الله تعالى وعدله جعل دماء المسلمين متكافئة لا فرق بين الصغير والكبير، ولا بين الذكر والأنثى، ولا بين عربي وعجمي، ولا بين شريف ووضيع، ولا بين متعلم وأمي. لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى(١) وكفى بالقصاص ملامةً ونكالًا وعظة لأهل السفه والجهل من الناس.

وما أَمَر الله تعالى بأَمْر قط إلا وهو أمر صلاح ورشد في الدنيا والآخرة، ولا نهى الله تعالى عن أَمْر إلا وهو أمر غي وفساد في الدنيا والآخرة.

ومن رحمة الله تعالى بأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- وكرم فضله وإحسانه لم يجعل القصاص حتمًا لازمًا. بل جعل لولي الدم الاختيار بين ثلاثة أمور يختار منها ما يرى فيه صلاحًا في أمور الدين والدنيا وقطع دابر الفساد. جعل له حق القصاص ووعده بالنصر والتأييد وأوصاه بالعدل فلا يقتل غير القاتل ولا يمثل في اقتصاصه.

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾(٢)

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾(٣).

وجعل له العفو على المال.

---

(١) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري -رضي الله عنه- عزاه السيوطي في الدر المنثور [٥٧٩/٧] إلى الإمام ابن مردويه في تفسيره، والبيهقي في سننه الكبرى، وذلك في خطبة النبي -صلى الله عليه وسلم- في يوم حجة الوداع وإلى هذا يشير قوله تعالى في سورة الحجرات آية رقم (١٣).

(٢) سورة الإسراء آية رقم (٣٣).

(٣) سورة النحل آية رقم (١٢٦).

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾(١)

وجعل له حق العفو مطلقًا واحتسابَ الأجر على الله .

﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾(٢) .

فإذا عفى ولي الدم عن القصاص وأخذَ المال لم يكن له إليه سبيل ، فإن اقتص بعد ذلك فهو معتد ظالم يجب عليه القصاص ،

﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾(١) .

وإذا كان القصاص حدًّا راجع لولي الأمر فلا عفو إذًا .

فاتقوا الله عباد الله ، هذا كتاب الله ينطق عليكم بالحق فاتبعوه في أمره ونهيه ، وحكموا أحكامه ، واسلكوا منهجه وشريعته ، واستسلموا لحدوده .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٣) .

فإذا وقع الأمْر علمنا أنه قضاء الله وقدره فيجب الرضا به والتسليم

أقول ما سمعتم وأتقوا الله واستغفروه . إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٧٨) .

(٢) سورة المائدة آية رقم (٤٥) .

(٣) سورة النساء آية رقم (٦٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمه التي لا تحصى وله الحمد أولًا وآخرًا .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلىّ الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[١] .

إن من نعم الله على عباده أن جعل ولايتهم في قادة من أحسنهم عقيدة وإيمانًا وفضلًا وخلقًا ورحمة ، ونسبًا ، يؤمنون بالله وبرسوله -صلى الله عليه وسلم- يحكمون فيهم بحكم الله ، ويسوسون الأمور بسياسة الإسلام الذي فيه سعادة الأمة وصلاحها ، وأمنها واستقرارها . فالحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا .

أيها الناس ، إن الموت قد تخطاكم إلى غيركم ، وسيتخطىٰ غيركم إليكم فخذوا حذركم[٢] .

وتأهبوا للقاء ربكم ، وقدموا لأنفسكم زادًا من التقوى والأعمال الصالحة تجدوه أمامكم .

تمكسوا بكتاب الله العزيز ، واجعلوه أمامكم ، اقتفوا أثر ، واتبعوا سبيله ، فإنه

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٧١) .

(٢) هذه مقالة طيبة واقعية لبعض السلف الصالحين رحمهم الله تعالى ، وليس بحديث مرفوع ، والله أعلم .

أحسن الحديث وأصدق القول. حكمه عدل، وقوله فصل، ووعده حق، فيه خبر من قبلكم، ونبأ من بعدكم، وفصل ما بينكم، وعليكم بِسُنة نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، فإنها تفسر القرآن وتبينه، عضوا عليها بالنواجذ(١).

وإياكم ومحدثات الأمور في الدين والتشريع، فإن كل محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار(٢).

وصلوا على البشير النذير، والسراج المنير، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود نبينا، محمد الأمين، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين. فقال عز من قائل عليم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشرًا»(٤).

اللهم؛ صلِّ وسلم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الراشدين الهادين المهديين الذين كانوا يقولون بالحق وبه يعدلون، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين، وأهل بيته الطيبين الطاهرين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين اللهم؛ ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين.

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - أخرجه أحمد في المسند [٤/ ١٢٦]، وإسناده صحيح، وأخرجه ابن ماجة برقم (٤٢).

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح الجمعة برقم خاص (٤٣) وعام (٨٦٧) صـ [٢/٥٩٢].

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

(٤) مسلم في الصحيح كتاب الصلاة حديث رقم خاص (٧٠) وعام (٤٠٨)، وهو من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ونحو هذا اللفظ أخرجه أحمد في المسند [٤/٣٠]، وذلك من حديث أبي طلحة، رضي الله عنه.

اللهم ؛ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين . اللهم ؛ أدم الأمن والاستقرار في أوطاننا ، وانصر واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، واجعلهم خير خلف لخير سلف ، اللهم ؛ انصرهم بالإسلام وأعزهم بالتقوى والإيمان .. وكن عونًا لهم على البناء والإصلاح ، وسدد خطاهم ، وكلل مساعيهم بالتوفيق والنجاح ، واجعلهم عزًّا للإسلام وارفع بهم راية الإيمان . اللهم ؛ انصر واحفظ جميع ولاة أمور المسلمين . اللهم ؛ اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات . اللهم ؛ فرج هم المهمومين ، ونفِّس كرب المكروبين ، واقضِ الدين عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين . عباد الله ؛

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١) .

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم .

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة النحل آية رقم (٩٠) .

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٤٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة عشرة

١٣ / ٦ / ١٤٠١

[القصاص من عدالة الإسلام]

الحمد لله على نعمة الإسلام ، وأشكره على آلائه وفضله التام ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وهو الحكيم الخبير ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فيقول الخالق تبارك وتعالى :

﴿ يا يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[١] .

كانت بعض القبائل في الجاهلية إذا ظهرت على أخرى وغلبتها تترفع عليها في كل شيء حتى في الدماء ، فإذا قُتِل منهم عبد لا يرضون إلا بأخذ حر من الفئة المستضعفة ، وإذا قُتِلت منهم امرأه يأخذون بها رجلًا ، فأبطل الإسلام ذلك ، وجاء بالعدل والمساواة فلا يُقتص إلا من القاتل إذا كان القتل عمدًا عدوانًا ، فقوله تعالى ﴿ **كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ** ﴾ أي فرض عليكم . والقصاص هو المساواة والعدل .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٧٨،١٧٩) .

والخطاب للمؤمنين فهم الذين يدينون بدين الله ، ويحكمون بحكم الله ، وهم المسئولون عن تبليغ رسالة الله إلى جميع خلقه. فولي الأمر مسئول عن التنفيذ ، والجاني ملزم بالاعتراف بالواقع والاستسلام لأمر الله وحُكمه ، فإن لم يفعل فقد ظلم نفسه ، وحاد عن صراط الله ، وتنكر لحكم الله ، والله تعالى له بالمرصاد .وعامة الناس ملزمون بالرضا بحكم الله والقناعة به. فلا تحمِلُهم الشفقه إلى تعطيل حكم الله والحيلولة دون تنفيذه ، والسكران مسئول عن تصرفاته ؛ لأنه تعمد شرب الخمر وهو يعلم أنه سيغطي عقله ، فكل ما يصدر منه على حقوق الآخرين فهو المسئول عنه ، ولا ينبغي أن يجعل السُّكر أداة إجْرَام ، وأعذارًا للمجرمين.

والجماعة إذا تمالئوا على قتل إنسان قتلوا به ؛ لأن كل واحد منهم أزهق نفسًا من دون حق باشتراكه في القتل بالتمالؤ عليه.

ومن خصوصيات أمةِ محمد - صلى الله عليه وسلم - أبيح لهم العفو عن القصاص في العمد إلى الدية أو مطلقًا. وكان فيمن قَبْلنا ليس لهم إلا القصاص أو العفو مطلقًا من دون دية فإذا عفى ولي الدم. فيتْبعُ ما عفى إليه بالرضا. والمودة ، ويجب إذًا على القاتل أو وليّه أن يؤديه إليه بإجمال وإكمال وإحسان ، تحقيقًا لصفاء القلوب وشفاءًا لجراح النفس ، وتقوية لأواصر الأخوة. فمن اعتدىٰ بعد العفو فله عذاب أليم عند الله ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[1] فَيَكُفُّ الجُناةُ عن الاعتداء إذا عُلم أن القاتل سيُقتل. وبالقصاص يذهب غيظُ أولياء الدم ، فلا يعتدون على غير القاتل ، وفي القصاص أمن للناس وراحة واستقرار ، فلا يخشى أحد منهم الاعتداء على نفسه ، ولكن لا يعقل ذلك ولا يدركه إلا أهل العُقُول الواعية والأفهام المتدبرة.

ومن تشريع الحدود ، ندرك بعض حكمة الله تعالى في تنظيم حوافز النفس البشرية لمعرفته بما فطرت عليه من النوازِع ، فإن الغضب للدم فطرة وطبيعة. فالإسلام يلبيها بتقرير شريعة القصاص. والعدلُ الجازم هو الذي يكسر شِره النفس ويهدئ ثورتها ، ويردع الجاني عن التمادي ، ونُدْرك أيضًا رحمة الله تعالى بالإنسان فَفي الوقت الذي شرع فيه القصاص رغب في العفو وفُتح طريقه. فالدعوة إلى العفو بعد

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٧٨).

تقرير القصاص دعوة إلى التسامي في حدود المقدرة والرغبة فيه .

أما ما يفعله بعض الناس من محاولة الإكراه على العفو ، أو ادعاء العفو ، وإحضار بيّنات ملفقة ، فليس من هذا الباب ، ولا يحصل به تسامح ، ولا تسامي ، ولا يذهب به غيظ النفس بل يزيدُها ويشعل نارها .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وراقبوه ، فإن التشريع كلّه في صالح الإنسان . اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم .

اللهم ؛ إنا نسألك العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، منه المبتدئ وإليه المنتهى .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصفوة المرتضى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن اتبع سبيله واهتدى .

أما بعد .. فيقول الخالق تبارك وتعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١)

المؤمن الحقيقي يتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويرضى بحكم الله فيما له وفيما عليه ، سواء في الدماء ، أو الأموال ، أو الأعراض ، في الحقوق والحدود ، ويؤمن بأن هذا هو العدل والإصلاح ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢) ولكن بعض الناس يتأثر بدعايات خصوم الإسلام ، وأعداء المسلمين الذين حسدونا على نعمة الله وهدايته . إذا سمعوا بإقامة حد من حدود الله ، تحملهم الشفقة على المجرم ، إلى إظهار الجزعِ والتبرمِ ، وهذا خطر عظيم قد يؤدي إلى الهاوية إذا وصل إلى حد الاعتراض وعدم الرضا .

بعض الناس ينظر إلى الواقع نظر الأعشى الذي لا يبصر إلا ما تحت قدميه ، ينظرون إلى المجرم وقت إقامة الحد عليه ، ولكنهم لا ينظرون إلى ما هو أعمق من ذلك وأهم ، لا ينظرون إلى حقوق الأمة كلها ، إلى أمنها واستقرارها ، أو خوفها واستفزازها ، لا ينظرون إلى حال المجني عليه وقت الجناية ، ولا إلى حال أسرته وعشيرته ، وما يصيبهم من الآلآم والقلق وغيظ الصدور .

(١) سورة النساء آية رقم (٦٥) .

(٢) سورة المائدة آية رقم (٥٠) .

بعض الناس لا ينظرون إلى نتائج الحزم وتنفيذ الحدود ولا إلى نتائج الإهمال وتعطيل الحدود .

إن التاريخ في الماضي والحاضر هو الذي يعبر عن الواقع ويوضح النتيجة .

الأمة التي فيها العزم والحزم وتحكم بشرع الله تعيش في أمن واستقرار ، وراحة في النفس ، واطمئنان في البدن ، وحرية في العمل والانتقال .

أما الأمة المهملة المتساهلة المتفككة التي لا تحكم بشرع الله ، ولا ترتبط برباط الإسلام ، فإنا نسمع عنها في كل يوم نشرات في صحفها عن الجرائم المتنوعة ، وانتهاك الأعراض ، وقتل الأولاد ، والاعتداء على الأموال بالسلب والنهب ، وما إلى ذلك من الجرائم الشنعاء ، والبوليس عندهم ليس مسئولًا عن شيء من ذلك .

نَشَرت جريدة المدينة يوم الثلاثاء الماضي رسالة من طالب سعودي يدرس في الخارج ، قال فيها : إن المُدَرسة طلبت منهم التحدث عن الجريمة وعقابها ، فرأى أحدهم أن يُسجن المجرمُ مدةً ليكون رادعًا له عن العودة إلى الجريمة ، فلم يؤيده إلا قليل ، ورأى آخر أن يُسجنَ القاتل مدى الحياة ، فأيده أكثر من الأول . وقال ثالث : إن بناء السجون التي تستوعب المجرمين يكلف أموالًا ومصاريف ، فنحن الخاسرون لهؤلاء القتلة ، وأيدته فتاة ، وقالت : نريد أن يُعاقب المجرم على ما فعله من الإجرام ، المجرم قتل إنسانًا وسلبه حياته فكيف يسمح له بأن يهنأ بالحياة فأيدها معظم الطلبة ، وقالت : هناك دولة لا أدري ما اسمها يقتلون القاتل ويقطعون يد السارق ويعيشون في أمن وسلام ولا توجد عندهم سرقات .

ثم تكلم الطالب السعودي فأدى ما عليه كثر الله من أمثاله وجزاه الله خيرًا .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ إننا في نعمة يتمناها العالم كله ، ولكنهم لم يوفَّقوا لها ، والذي يظهر أن الجو فى تلك البلاد التي يسود فيها الخوف والفوضى متهيئ لقبول الإسلام إذا وصل إليهم على وجهه الصحيح ، فعلى من تقع مسئولة الدعوة والتبليغ . اللهم ؛ اهدنا إلى سواء الصراط ، وصلوا على البشير النذير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة عشرة

٢٠ / ٤ / ١٤٠٥

[العقوبات تتناسب مع الجريمة]

الحمد لله رب العالمين ، علَّم الإنسان بعد جهالته ، وهداه بعد ضلالته ، وفقهه بعد غفلته .

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١) .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣) .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن

(١) سورة النحل آية رقم (٧٨) .

(٢) سورة الشورى آية رقم (١٣) .

(٣) سورة التوبة آية (١٢٨) .

اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى، فإن التقوىٰ هي ملاك الأمر، وجماع الخير، وطريقُ السعادة والسيادة، ثم اعلموا بأن القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للخير.

والناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباعُ كل صاعق وناعق، يميلون مع كل صاعق، لم يستنيروا بنور العلم.

أيها المؤمنون، إن الله تعالى لما خلق الخلق، وخلق الموت والحياة، وخلق الجنة والنار، وجعل ما على الأرض زينة لها ليبلو عباده ويختبرهم، أيهم أحسن عملًا، هيأ لهم أسباب الابتلاء، فجعل لهم العقول والأسماع، والأبصار والإرادات، والقوى والطبائع والشهوات، وتواجد مواضع الرغبة والشهوة من الأموال والنساء، والسلطان، والمطعوم، والمشروب، والملبوس، وأحلَّ لهم ما فيه الخير، وحرَّم ما فيه ضرر، وأكَّد هذه الأسباب بقُرناءَ خير، وقرناء سوء ليتم الابتلاء والاختبار، ويُعرف الناجح من الساقط الراسب، ولتظهر حكمة الثواب والعقاب، ولإنفاذ أمر الله ونهيه، واقتضت حكمته تعالى، ورحمته الواسعة، ونعمتُه السابغة أن لا يَضْرب عن عباده الذِّكر صفحًا، وأن لا يتركهم سدى، بل ركب في فطرهم وعقولهم معرفة الخير والشر، والنافع والضار، واللذة والألم، ومعرفة أسبابها، والقدرة على العمل والترك، ولم يكتف بذلك بل أرسل إليهم رسلًا من أنفسهم يبشرونهم وينذرونهم، ويذكّرونهم.

وكان من حكمته جل شأنه، ومن رحمته سبحانه أن شرع العقوبات في الجنايات الواقعة من بعض الناس على بعض، في الدماء والأعراض والأموال كالقتل، والجراح، والقذف، والسرقة، والحرابة، فأحكم وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الإحكام، وشرعها على أكمل الوجوه، ولم يتجاوز بهذه العقوبات ما يستحقه الجاني، فلم يشرع قطع اللسان في القذف والكذب، ولم يشرع الخصاء في الزنا، ولا الإعدام في السرقة، وإنما شرع في كل جناية ما يستحقه مرتكبها، وما يحصل به الزجر والإصلاح، وما تقتضيه رحمته وحكمته وعدله، وما يحصل به قطع

دابر الفساد ، ونشر الأمن والاستقرار في العباد ، فجعل القتل عقوبة لِأعظم الجرائم ، كالجناية على الدين بالطعن فيه وفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو الردة عن الدين ؛ لأن بقاء هذا الجاني بين أظهر الناس مفسدة لهم ، ولا خير في بقائه ، ولا مصلحة ترجى منه ، فكان قتله أصلح للمجتمع وأصلح لنفسه ، لئلا يتحمل أوزار الذين يُضلهم بغير علم .

والقتل أيضًا عقوبة للجناية على النفس المعصومة ، فالجزاء من جنس العمل ، فالجاني أزهق نفسًا معصومة من دون حق ، ويتَّم أطفالًا ، وهدم بناء أسرة ، فعوقب بمثل ما فعل ، وهذا هو العدل ، ولولا القصاص لفسد الناس ، وصارت كل طائفة تأخذ حقها وأكثر ، وترد عليها الطائفة الأخرى بأشد ، فتهلك آلاف النفوس والقصاص يمنع هذا الفساد . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] .

كما أن القصاص مكفر عن الجاني خطيئة الجريمة . وأيضًا جُعل القتل عقوبة للزاني المحصن ؛ لأن الزنا تعد على المحارم والمكارم ، ومفسد للأخلاق ، وبه تختلط الأنساب ، وتتداخل الأولاد . والمحصن قد عرف حرمة الفراش وغيرة المحارم ، وكرامة الأسرة ، ويعرف ثقل اختلاط الأنساب وخَطَره ، فلما أقدم على إفساد ما يعرفه كانت عقوبته أشد من البكر .

ومن الحكمة أن جعلت عقوبة الزاني المحصن الرجم ؛ ليشترك فيه أفراد الأسرة المنكوبة ، وأفراد المجتمع ؛ لأن فساد الزنا صار فاجعة كبيرة ، وأما عقوبة السارق فهى القطع ، وهى أليق به من سائر العقوبات ، لأن هذه اليد جعلت وسيلة إلى إيذاء الناس وإرهابهم ونَشْر الخوف والاضطراب بينهم ، فحقها القطع .

وانظر إلى حكمة المشرِّع تبارك وتعالى ، فإن اليد إذا كانت أمينة فهى ثمينةٌ ، فمن اعتدى عليها خطأ ففيها نصف الدية ، ومن اعتدى عليها عدوانًا وظلمًا اقتص منه ، فلما هانت هذه اليد السارقة انحطَّت قيمتها ، وانخفض ميزانها ، فقطعت تطهيرًا للجاني ، وإصلاحًا للمجتمع .

---

(١) البقرة (١٧٩) .

وكذلك النفس إذا كانت أمينة فهي ثمينة ، من اعتدى عليها خطأ فعليه الدية والكفارة ، ومن اعتدى عليها متعمدًا وظلمًا ﴿ فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(١) فإذا خانت هذه النفس ، وقتلت نفسًا معصومة من دون حق ، هانت على الله فسقطت قيمتها وكان عليها القصاص جزاء وفاقًا .

وأما عقوبة الجلد والحبس فعقوبة الجناية على الأعراض بالقذف ، وعلى العقول بالسكر ؛ وعلى الإبضاع ما لم تبلغ هذه الجناياتُ مبلغًا يوجب القتل ولا إبانة طرف ، وهي عقوبة تتناسب مع الجناية .

وليس المراد من إقامة الحدود إيلامَ الجاني فقط ، ولا منعه من العودة فقط ، ولا تشفي المجني عليه فقط ، بل مع هذا يراد إصلاح المجتمع ، وتطهيره من الفوضى ، وتنظيمه عن الغوغاء وحفظ كِيانه من التردي والانهيار ،وصيانته من الهبوط إلى مستوى الحيوان ، الذي ينهش بعضه بعضًا ، وينزو بعضه على بعض .

وأيضًا فإن إقامة الحدود - متى وجبت - طاعة لله ولرسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فكما أن المسلم يؤمن بأن الله خلق هذا الكون وأتقن نظامه ؛ يجب عليه أن يؤمن بأن الله أنزل هذا النظام وأتقن نظامه ؛ وكما أنه يصلي ويصوم ؛ ويزكي ويحج ، طاعة لله ، يجب أيضًا إقامة الحدود طاعة لله .

والحمد لله الذي منَّ علينا في هذه البلاد بقادة يؤمنون بالله ورسوله ، ويحبون الله ورسوله ، يسيرون على منهاجه ، ويحكمون بأحكامه ، ويعملون بكتاب الله ، ويقيمون حدود الله ، ويدعون إلى الله على بصيرة ، فكان ولله الحمد هذا الأمن والرخاء بفضل تحكيم شرع الله ، والعمل بما أنزل الله .

وكم تمنت الشعوب الواعية أن يكون نظامها إسلاميًا ، وأن يمنع عنها الفساد ، وأن تصان عن الظلم ، وأن تحفظ عن الفوضى .

اللهم ؛ أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل

---

(١) النساء (٩٣) .

معصيتك ، ويؤمر فيه بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر . اللهم ؛ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وآخرتنا التي إليها معادنا .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمة الإسلام، وأشهد ألّا إله إلّا الله، وحده لا شريك له الملك العلّام.

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله سيد الأنام.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، ومن تبعهم بإحسان واستقام.

أما بعد .. فإن شريعة الإسلام شرعها رب العالمين مكملةً جامعةً شاملة مانعة، ليس فيها نقص ولا زيادة، تمثلت فيها قدرة الخالق وعظمته وكماله، وإحاطته وعلمه، وبقاؤه، فجعلها باقية ما بقيت الدنيا، ومحيطةً بكل متطلبات الناس في كل زمان ومكان، لم تكن لجماعة دون جماعة، ولا لإقليم دون آخر، ولا لدولة دون دولة، وإنما هى للناس كافة عجمهم وعربهم، وأسودهم وأبيضهم، لا يؤثر عليها مرور الأزمنة، ولا تتنافى مع التقدم، بل تنظمه وتصلحه، وتوجهه الوجهة النافعة بلا ضرر.

ولقد أدت شريعة الإسلام وظيفتها حينما كان المسلمون متمسكين بها عاملين بأحكامها، فصنعت أمة هى خير الأمم، وكوَّنت قرنًا هو أفضلُ القرون. فلما تركها المسلمون رجعوا القهقرى فاتهم التقدم والرقي.

وقد قيل لبعض الناس: إن التقدم الذي أحرزه الشرق والغرب راجع إلى قوانينهم وأنظمتهم، فذهب ينقلها وينسج على منوالها، فلم يزده ذلك إلا تأخُّرًا وضعفًا.

وإنما التقدم الذي أحرزوه بسبب ما أخذوه من توجيهات قرآننا وإرشادات ديننا، وتنظيم إسلامنا فأخذوا ما يصلح دنياهم، وتركوا ما يصلح سلوكهم وآخرتهم،

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[1].

---

(١) الروم (٧).

فاتقوا الله أيها المسلمون ، إن حياة المسلمين وتقدمهم متوقف على تطبيق شريعتهم وكِيانُهم تابع لكيانها ، ووجودهم مرتبط بوجودها ، وسلطانهم تابع لسلطانها ، وعزهم تابع لنصرتها ، وأمْنُهم متوقف على تنفيذها .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلِائَكُته يُصَلُّونَ عَلَي النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١)

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة عشرة

[منافع الحدود للإنسان]

الحمد لله رب العالمين ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١) .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، ما ترك خيرًا إلا دلَّ أمته عليه ورغَّبها فيه ، ولا شرًّا إلا بيّنه لها ، وحذَّرها منه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع ملته وحكم بحكمه .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى في السر والعلن ، فمن اتقى الله كفاه كل أمر يهمه ، وحفظ له شأنه ، ويسَّر له أمره ، وزرقه من حيث لا يحتسب . ثم أوصيكم بتأمل هذه الآية الكريمة من سورة المائدة ، وتدبر معانيها ، وتفهم مدلولاتها ، والنظر في مصالحها للفرد والجماعة ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٤٠) .

(٢) سورة التوبة آية رقم (٣٣) .

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

إن الإسلام وضع أحكامًا وحدودًا لحماية الأنفس والأعراض والأموال ، وحماية النظام العام ، المبني على شرع الله ، ونظام الإسلام هو كتاب الله الذي ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[2] . ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[3] والسنة المطهرة الصحيحة تفسر القرآن وتبينه ، هذا الدستور الذي تكفل الله له بالخلود إلى أن تقوم الساعة ، وتكفل لمن اتبعه وسار على منهجه بالعز والتمكين ، خضعت له الجن والإنس طوعًا وكرهًا ، طوعًا بالإيمان ، والتصديق ، وكرهًا ، بالفطرة والأمر الواقع ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا** ﴾[4] .

من عشرات السنين اجتمعت هيئة الأمم المتحدة لدراسة نظمها وقوانينها ، وكل مندوب قدم دستور بلاده من القوانين الوضعية ، ولما جاء الدور لمندوب بلاد الإسلام مندوب الدولة المسلمة حقًّا ، رفع المصحف العظيم وقال : هذا هو دستورنا ، فخضع له جميع الحاضرين من المسلمين وغيرهم ، وحنَوْا صدورهم وأرخَوْا رءوسهم خضوعًا له وتعظيمًا ، ولو قدم دستورًا من وضع البشر فقرات ومواد لدخل في النقاش مثل غيره ، ولكن كلام الله العظيم يقف عنده كل قول ، وتذوبُ أمامه جميع المعارضات والأباطيل .

فالمجتمع المسلم والأمة المسلمة تُقيم حياتها كلها على نظام الإسلام ، وعلى منهج الإسلام ، وعلى شريعة الله في جميع شئونها وارتباطاتها ، وعلاقاتها . وبهذا يكفل لكل فرد ولكل جماعة . مقومات العدالة والكفاية ، والأمن والاستقرار ، وتستطيع أن تدفع عنها عوامل الشر والاستفزاز ، وكل دوافع الظلم والاعتداء .

وأمة تتخلق بأخلاق الإسلام ، وتحكم بشريعة الله ، وحكمه في جميع شئونها ، يعتبر الاعتداءُ على شيء من حقوقها الفردية أو العامة ، والخروجُ على نظامها جريمة

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٣٨،٣٩) .

(٢) سورة فصلت آية رقم (٤٢) .

(٣) سورة الحجر آية رقم (٩) .

(٤) سورة الرعد آية رقم (١٥) .

بشعة منكرة ، لذلك وضع الخالق تبارك وتعالى الحدود والجزاءات على الجرائم لحماية الأمة المسلمة ، وحماية حقوقها العامة والخاصة ، ولإصلاح ما فسد ، ومعالجة الأمراض الاجتماعية . ويجب على كل مسلم أن يتلقى أحكام الإسلام ، وحدود رب الناس بالرضا والقبول ، دون تردد دون شك أو ريب .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١)

وقال - صلى الله عليه وسلم - : « وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . رواه البخاري ومسلم(٢) . هذا منتهى العدالة

ولا شك في أن فوائد الحدود راجعة إلى البشر ، حتى الذي أقيم عليه الحد . فإقامة الحدود تربي الضمائر ، وترقق الطباع ، وتهذّب الأخلاق ، وتصدُّ عن طريق الشر إلى طريق الخير ، وتكسِرُ شوكة الشر من النفوس ، وتحملُ على القناعة بالرزق المباح وإن قلَّ ، وتكسر سورة الحسد والنظر إلى ما في أيدي الناس ، وتنشر الأمن والاستقرار ، وتسببُ الرخاء والخيرات ، وتحث علىَ التوبة إلى الله والاستقامة . فالقطع في السرقة واعظ ملازم ، وزاجر مشاهد ، من رآه اتعظ به فبقطع واحد يَصْلح ملايين ، وتستقر أقاليم ، ويتعظ أمم . والعجبُ كلُّ العجب ممن يقول : إنا لقطع فيه شدة ولا يتفق مع المدنية المعاصرة . سبحان الله هل المدنية من حقها أن تنشر الفوضى ، وتخل بالأمن ، وتبث الإرهاب ، وتغمط الحقوق ، وتسعى بالظلم ؟ هل هؤلاء أعرف بمصالح الناس من خالقهم؟ هل هم أرحم بالناس من ربهم؟ ما يريد هؤلاء إلا تشجيع الجرائم ، وإفساد المجتمع ، والإخلال بالأمن ، ونشر الفوضى والإرهاب ، وقد أثبتت التجارب أن إقامة الحدود هي التي تقضي على الجرائم ، وتسد باب الشر والفساد ،

(١) سورة النساء آية رقم (٦٥) .

(٢) أخرجه الشيخان في صحيحيهما خ برقم (٣٧٣٣) ص [٨٧/٧، ٨٨] . وذلك من حديث عائشة - رضي الله عنها - وكذا مسلم في الصحيح ، الحدود حديث رقم (٩٢٨) ، وكذا أحمد في المسند [٣٢٩/٦] .

وأن إهمال الحدود هو الذي يسبب الفوضى وانتشار الشر والفساد ، وعدم المبالاة .

إن إقامة حد في الأرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين يومًا ، كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عند النسائي ، وابن ماجة[١] وحديث ابن عمر ، - رضي الله عنهما - عند ابن ماجة[٢] وأما حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي رواه الطبراني بإسناد حسن فيقول : « وحدٌّ يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عامًا »[٣] .

وإذا تأملنا البلاد التي تحكم بشرع الله ، وتُقام فيها حدود الله ، وجدنا الجرائم فيها قليلة ضئيلة لا تذكر بالنسبة للجرائم والحوادث والفتن ، في البلاد التي لا تحكم بشرع الله ، ولا تقيم حدود الله ، فالسلطان الذي يدين بدين الحق ، ويحكم بما أنزل الله يجعل الله له هيبة وقبولًا ، وضده بضده ، كما قال - صلى الله عليه وسلم - : « من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس »[٤] .

ولا عبرة بما نسمعه من تجمع الأحزاب مع زعمائهم ، فإنما هي أطماع دنيوية ، فإذا لم ينالوا منه مرادهم انفضوا عنه وصاروا ضده في الانتخابات الأخرى القادمة كما هو مشاهد ملموس . « ما كان لله دام واتصل ، وما كان لغير الله انقطع وانفصل »[٥] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند [٣٦٢/٢] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وكذا النسائي ، وابن ماجة من هذا الوجه واللفظ .

(٢) وأما حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - فأخرجه ابن ماجة برقم (٢٥٣٧) ص [٨٤٨/٢] وإسناده ضعيف .

(٣) أورده أبو بكر الهيثمي في المجمع [٢٦٣/٦] وقال : رواه الطبراني في الأوسط وقال : لا يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد ، وفيه زريف بن السخت ولم أعرفه . اهـ . قلت : إذا كان هو زريف بن أبي زريف فهو ثقة ، فقد ترجم ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل [٦٢٤/٣] . وأما إذا كان غيره فلا أعلم ، والله أعلم .

(٤) أخرجه الترمذي مرفوعًا وموقوفًا على عائشة - رضي الله عنها - برقم (٢٤١٤) الزهد باب (٦٤) وفي إسناده مبهم ، وقال الترمذي : رواه موقوفًا على عائشة أنها كتبت إلى معاوية ثم ذكر الحديث بمعناه .

(٥) إشارة إلى معنى حديث أخرجه البخاري في الصحيح وذلك من حديث عائشة =

فإذا رأيتم حدود الله تُنفذ فاحمدوا الله على نعمه ، وهدايته ورعايته وتوفيقه ، واسألوا الله العفو والعافية ، ولا تلوموا ولا تشمتوا ، ولازموا طاعة الله وطاعة رسوله وجماعة المسلمين .

نسأل الله الهداية والتوفيق والثبات ، لنا ولإخواننا المسلمين ، ونسأله المغفرة والرحمة ، إنه هو الغفور الرحيم .

= - رضي الله عنها - اللباس باب (٤٣) ، حديث رقم (٥٨٦١) ص [١٠/٣١٤] ، الفتح وفيه : وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام ، وإن قلَّ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فإن أحسن الحديث كتاب الله ، وأصدق القول كلام الله ، وخير الهدي هديُ نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة في الإسلام ضلالة ، وكل ضلالة في النار(١) ، واعملوا أن يد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ في النار(٢) إن الفتن تحيط بالمسلمين من كل جانب ، ولا منجاة منها إلا بالاعتصام بكتاب الله ، والالتجاء إلى فاطر السموات والأرض ، والعمل بسنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - .

واعلموا أن الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم إليكم فخذوا حذركم ، فقد تنوعت أسباب المنايا وكثر موت الفجأة ، ونحن آخر الزمان في وقت الفتن والمحن ، الجئوا إلى فاطر السموات في السراء والضراء ، وأصلحوا ما بينكم فالله يصلح فيما بينكم وبين الناس .

راجعوا أنفسكم ، وأصلحوا من شأنكم ، واعترفوا بتقصيركم وخطئكم ، ولا

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه النسائي في الصغرى [١٨٠/٣-١٨٩] وأخرجه الحافظ في الفتح [٥١١/١٠] ، وقال : أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وأحمد ، وابن ماجة وغيرهم من طريق علي بن الحسين عن أبيه عَن جابر بن عبد الله الأنصاري به .

(٢) الترمذي في جامعة برقم (١٢٦٧) الفتن ، وهو من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وإسناده حسن لغيره ، وقال الترمذي في نهاية الحديث : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وسليمان المدني هو عندي سليمان بن سفيان . وقد روى عنه أبو داود الطيالسي وأبو عامر العقدي وغير واحد من أهل العلم . اهـ .

ترغبوا عن نظام الإسلام، ولا عن دستور القرآن ونصوصه، تعبدوا لله بتلاوة القرآن وتحكيم أحكامه، ارحموا الفقراء والمساكين، وانصروا المظلومين،وكونوا عباد الله إخوانًا، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء[١]، وأكثروا من ذكر الله بالتهليل والتكبير والاستغفار، وحافظوا على الصلوات المكتوبة، في أوقاتها، وأدوا زكاة أموالكم يبارك الله لكم فيها، ويحفظها لكم.

وصلوا على البشير النذير، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير؛ فقال جل من قائل عليم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٢] اللهم؛ صلِّ وسلِّم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم؛ ارض عن الخلفاء الراشدين. اللهم؛ أعز الإسلام والمسلمين. اللهم؛ انصر عبادك المجاهدين. اللهم؛ قوِّ شوكتهم، واربط على قلوبهم، وانصرهم بالرعب والتمكين.

اللهم؛ اخذل الشيوعية واليهود والمعتدين. اللهم؛ فرق جمعهم، وشتت شملهم، ورُد كيدهم في نحورهم، واهزمهم بقدرتك التي لا ترد عن القوم الظالمين.

اللهم؛ آمنا في أوطاننا، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا، ووفقهم لما تحب وترضى، ولما فيه الخير والسعادة والفلاح والصلاح والإصلاح اللهم؛ ارفع عنا الغلاء والوباء، والربا، والزنا، والزلازل، والمحن، وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذا خاصة، وعن جميع البلاد المسلمة عامة. اللهم؛ فرّج هم المهمومين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضى المسلمين. عباد الله؛ إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذى القربىٰ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه الترمذي في الجامع برقم (١٩٢٤)، البر، وذلك من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – بهذا اللفظ مع الزيادة الأخرى، وقال أبو عيسى فى نهاية الحديث: هذا حديث حسن صحيح. ص [٣٢٤،٣٢٣/٤].

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة العشرون

[الزجر عن الزنا]

الحمد لله فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير.

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١).

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله البشير النذير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد.. فإن سعادة الأمة وعزتّها وكرامتها تُبنى على فضائلها وشيمها وأخلاقها. فمتى استقامت الصفات والأخلاق استقامت أحوال الأمة، وتمكنت من السيطرة على مصالحها، وجلب الخير لها، ودفع الأذى عنها، أما إذا تدهورت الأخلاق وانحطت المكارم، وذهبت المحاسن. فذلك دليل على ضعف الأمة، وانهيار قواها، فهي كالمريض الذي لا يستطيع أن يطرد الذباب والحشرات عن وجهه؛ وحينئذ ينهار أساس القوة، ويتهدم الصرح والحصون؛ فيتسلط عليها الأعداء، وتتداعى عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها(٢).

---

(١) سورة الحديد آية رقم (٤).

(٢) إشارة إلى حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أحمد في المسند [٥/ ٢٧٨]، وأبو داود في السنن برقم (٤٢٩٧)، الملاحم: باب تداعي الأمم على الإسلام وإسناده عندهما يصح إن شاء الله تعالى. وأخرجه البغوي في شرح السنة برقم (٤٢٢٤) ص [١٦/١٥].

أيها المسلمون : إن كبائر المعاصي خطرها عظيم على كيان الأمة وعزتها ، وإن أخطر هذه الكبائر على المجتمع ، وعلى الأسرة ، وعلى الفرد جريمة شنعاء ، وفاحشة كبرى فيها الخنا والردى ، وهي جريمة الزنا ، بل إن الزنا هو أخطر المعاصي وأكبرُها فسادًا . وأشنعها إجرامًا ، فيه جُرأة على رب العالمين ، بانتهاك محارمه ، وتعدي حدوده ومخالفة أمره ونهيه ، وفيه خيانة للمجتمع بالتعدي على أخلاقه ، وفضائله واختلاط أنسابه ، وخيانة للفراش والأسرة بانتهاك حرمته والتعدي على حقوقه ، وفيه خيانة للمرأة وغدرٌ لها ، وإراقة ماء الحياة من وجهها ، وتمزيق كساء العفة عنها ، وفيه هدم بيت المرأة وتحطيم مستقبلها وجعلُها عالة على المجتمع وعلى أسرتها ؛ لأن الرجال لا يرغبون في الزواج منها ، ومن ذا الذي يرضى أن يتزوج بزانية ؟

﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) .

الزنا جريمة على النطفة توضع في رحم حرام ، وتنسب لغير نسبها وتُورَّث غير مورثها ، ويَحْرُم عليها غير محارمها ، وقد توضع في دار الحضانة ؛ لا أم لها ولا أب عالة على الأمة مجردة من عطف الأبوة وحنان الأمومة ، قد توأد في أى طور من أطوار حياتها ظلمًا وعدوانًا وهى لا ذنب لها وإنما للتخلص من شخصيتها .

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾(٢) .

الزنا عقوبته عاجلة وآجلة . فما انتشر الزنا في قوم فلم يُنْكر إلا سلط الله عليهم ذُلًا وهوانًا ، وابتلاهم بالأمراض والأسقام ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ونزع البركات . هذا في حق المجتمع ، أما في الزاني فما تسلط رجل على نساء الناس إلا سلط الله على نسائه ، من يفعل بهن كما فعل هو بنساء الناس سواء بسواء ، كبيرة أو صغيرة . قال - صلى الله عليه وسلم - : « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف

---

(١) سورة النور آية رقم (٣) .

(٢) سورة التكوير آية رقم (٨،٩) .

نساؤكم »[١] والأمور كلها بيد الله والقلو بين أصابعه يصرفها كيف يشاء .

وأما في حق المرأة الزانية فإنها تُحرم عطف الرجل وميوله إليها وحنانه عليها ، إذا كانت ذات زوج ، وإلَّا حُرمت رغبة الرجال فيها ، وحرمت عطف وليها وأسرتها وحنانهم عليها ، وتُلبس ثوب المقت والذلة والهوان عند الناس ، ولما كان الزنا بهذه المنزلة من الفساد والأخطار ، وهدم البيوت ، حرمهُ الإسلام وبالغ في تحريمه ، وتوعد عليه بالوعيد الشديد يوم القيامة ورتب عليه عقوبة عاجلة في هذه الدنيا ، وهي حد الزنا ، فإذا كان الزاني محصنًا سواء كان ذكرًا أو أنثى (أي قد تزوج زواجًا شرعيًا) وإن كان خاليًا من الزوجية بعد ذلك . فحده الرجم بالحجارة حتى يموت ؛ لما ورد في الصحيحين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله تعالى عنه - قال وهو جالس على منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله قد بعث محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالحق ، وأنزل عليه الكتاب . فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها . فرجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أُحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الحبَل أو الاعتراف[٢] .

أما الزاني البكر فحده الجلد مائة جلدة ، وتغريب عام لقوله تبارك وتعالى :

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط كما أورده العلامة أبو بكر الهيثمي في المجمع [١٣٨/٨] ، وهو من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني أحمد : غير منسوب والظاهر أنه من المكثرين من شيوخه فلذلك لم ينسبه والله أعلم ... قلت : هو أحمد بن زهير التستري إمام ثقة كبير القدر والله أعلم .

(٢) الشيخان في صحيحيهما خ [١٢/١٢٨-١٣١] ، الفتح باب رجم الحبلى ، ومسلم في الصحيح برقم (١٦٩١) في الحدود باب رجم الثيب الزاني كلاهما من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأخرجه البغوي من طريق البخاري به عنه برقم (٢٥٨٢) ص [١٠/٢٨٠] .

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) .

وكان أعرابي له ابن أجير عند إنسان فزنى بامرأته، فقيل للأعرابي: إن على ابنك الرجم فافتداه بمائة من الغنم، ثم جاء يسأل النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال له: «على ابنك جلد مائة وتغريب عام والغنم رد عليك»(٢).

فاتقوا الله عباد الله، اتقوا الله أيها المسلمون، ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلًا، عُفوا تعف نساؤكم، واستغنوا بما أحل الله لكم عن الحرام يغنكم الله. ويا معشر الشباب تزوجوا فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء(٣) ويا أولياء الأمور، إن أولادكم وبناتِكم أمانة في أعناقكم وتحت مسئوليتكم زوجوا وأعينوا، ويسروا ولا تعسروا، وسهلوا ولا تكلفوا، ولا تجعلوا الدنيا ومباهاتها، ومجاملاتها تحول بينكم وبين ما أمر الله به من الإعانة والتيسير، لا تعرضوا أبناءكم ومحارمكم إلى الوقوع فيما حرم الله؛ فيكونُ الندم والحسرة عليكم، إذا جاءكم من ترضون ديانته وأمانته فزوجوه(٤) وإن لم يكن له غنى وإن لم يكن له عظمة وجاه؛ فإن الزواج سبب للغنى، قال تبارك وتعالى:

---

(١) سورة النور آية رقم (٢).

(٢) خ: المحاربين باب إذا رمى امرأته [١٥٣/١٢]، الفتح ومسلم برقم (١٦٩٧) من حديث أبي هريرة وخالد الجهني – رضي الله عنهما –.

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – خ [٩٣/٩]، الفتح وكذا [٩٥/٩]، ومسلم برقم (١٤٠٠)، كلاهما بإسنادهما عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن ابن يزيد عن ابن مسعود – رضي الله عنه –.

(٤) الترمذي: برقم (١٠٨٥)، وبرقم (١٠٨٤)، الأول: من حديث أبي حاتم المزني والثاني من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –، وكذا أخرجه: برقم (١٩٦٧)، الحاكم في المستدرك [١٦٤/٢-١٦٥] وهو صحيح بشواهده الكثيرة والله أعلم.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١) . ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ﴾(٢) .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، اللهم أغننا بحلالك عن الحرام وبفضلك عمن سواك، اللهم أصلح بناتنا وذرياتنا واحفظنا برعايتك، واكلأنا بعنايتك، إنك على كل شيء قدير.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة النور آية رقم (٣٢).

(٢) سورة النور آية رقم (٣٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته .

أما بعد .. فإن المسببات معلقة بأسبابها ، فغض البصر وتستُّر المرأة في لباس الحشمة والعفة ، وقارها في بيتها ، واحتجابها بحجابها ، وضربُ خمارها على جيبها ، وإخفاء زينتها وجمالها ، كل هذه وأمثالُها من الفضائل الإسلامية ، والشيم العربية وسبب للعفة ، والنزاهة وحفظ الشيم والكرامة ، وإن غض البصر من الرجل ، والابتعاد عن مجامع النساء ، وممراتهن ، سبب لحفظ الفرج ، وإن اختلاط الرجال بالنساء وخروج المرأة من بيتها إلى مجامع الرجال وطرقاتهم متجملة ، متعطرة ، مظهرة لزينتها ، فيه سبب للوقوع في الفحشاء فاتقوا الله عباد الله ، وتمسكوا بدينكم وفضائله ، ومحاسنه ، وامتثلوا أمر الله ، واجتنبوا نواهيه فإنه جل وعلا هو الذي خلق الخلق وهو أعلم بما فيه صلاحهم وسعادتهم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١) .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الحادية والعشرون

١٥ / ٦ / ١٤٠٧

[أضرار جريمة الزنا]

الحمد لله رب العالمين . خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ليسكن إليها .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له . خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين وقائد الغر المُحجَّلين . اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن بعض الناس لا يعرف مكانته في هذا الوجود ، ولا رسالته في هذه الأرض ، ولا مسيرته في هذه الحياة ، ولا مآله بعدها . فهو لاهٍ ساهٍ عن واقعه وعن واجباته .

والله تبارك وتعالى فضل الإنسان وكرَّمه ، فخلقه بيده ، وأسجد له ملائكته ، وعلَّمه الأسماء كلها ، وفضَّله على كثيرٍ من العالمين ، وحمّله أمانة التكليف ، ليعبد الله وحده ، وليتلقى رسالات ربه ، وإقامة منهج الله ، ونشر العدل بينهم .

وأعانه على حمل هذه الأمانة ، فأعطاه العقل والسمع والبصر ، وخلق له ما في الأرض جميعًا ، وسخر له ما في السماوات . ومن أجل بقاء الإنسان في هذه الأرض إلى يوم الوقت المعلوم جعل فيه خصائص التناسل ، ودوافع الإنجاب ، وحب البقاء .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(١).

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾(٢).

فهذه الغرائز التي جُبِل عليها الإنسان إنَّما خلقت لمصالح وحكم. فالغريزة الجنسيَّة والتعاطف بين الذكر والأنثى خلقت للتناسُل والإنجاب، وتكوين البيوت الطاهرة الشريفة النَّظيفة المؤهلة لمناجات الله، وتلقِّي تشريعاته، وتحقيق عبوديته تلك الغرائز المبنيَّة على فضائل الأخلاق وحسن السلوك، ولم تخلق للعبث بها والانحطاط إلى المستوى البهيمي. فالأجهزة التناسلية والطاقة البشرية التي في الذكر والأنثى - أمانةٌ عندهم تجب رعايتُها، والمحافظةُ عليها، ووضعها في المكان الذي خصّصه خالقها، وهو الزواج المشروع في دين الله.

الزواج الذي يؤسس البيت، ويبنى الأسرة، وينجب الطاقة البشرية، ويربي النشأ على معرفة الله والإيمان برسالاته، وعلى الفضائل والبر والصلة، والتعاون والتكاتف والعمل، وحسن الصحبة والنُّصح للأمة، والدفاع عن العقيدة والمقدَّسات. أما وضع النطفة في رحم حرام فهو إثمٌ وجناية على النطفة، وجريمة في حق المجتمع، وجرأةٌ على الله، وتعدٍ لحدود الله.

فالزنا يورث الفقر والذلة والمهانة ويسبب الأحقاد، ويفتح باب الفوضى، وينزل بالزاني إلى المستوى البهيمي. ويخلط الأنساب، ويورث الولد من غير أبيه، وقد يتزوج ولدِ الزنا بنت أبيه الزاني، فالزنا خِزْيٌ وعارٌ وَوَصمة فاضحة على الزاني، وهو

(١) سورة الروم آية رقم (٢١).
(٢) سورة آل عمران آية (١٤).

على الأنثى أشد لأنها تتحمل مسئولية هذه الجريمة، وهي التي تحمل أثقالها. فقد تخلق تلك الشهوة النازية، فَتُبْذَلُ الوسائل للتخلُّص منها فإما وَأْدة كبرى أو وأدة صُغرى، ولو كتَبَ الله لتلك النطفة المجني عليها البقاءَ لطرحت في دور الحضانة لا تجد حنان الأم، ولا شفقة الأب، ولا تربية جدية صالحة، فيصبح الولد عالة على المجتمع.

الإسلام لا يحارب الغرائز ولا يستقذرها، وإنما ينظمها ويطهرها، ويرفعها إلى المستوى الإنساني الذي خُلِقت له.

الإسلام نظام تربية وتعليم، وشفقة ورحمة وعلاج ووقاية فلا يعاقب إلّا إذا لم تنفع الوقاية والحصانة.

وللوقاية من جريمة الزنا، أَمَرَ الله بغض البصر، وحفظ الفرج، وستر زينة المرأة. وحرَّم خُلوتها بالرجل الأجنبي، وأمرها بالحجاب، ونهى عن دخول البيوت إلّا بإذن صاحبها. ونهى المرأة عن الخضوع في القول فيطمع الذي في قلبه مرض، وأمر بالحشمة والعفة، ونهى عن التبرج والسلوك المريب.

وللمحافظة على كرامة الإنسان وحصانته لم يأخذ بالتهمة ولا بالوشاية، وأمر بالتبين عن الأخبار، وحثَّ على معافاة الحدود ما لم تصل إلى السلطان، ورغَّبَ في الستر ونهى عن التجسس، ورغَّب في درء، الحدود بالشبهات، فإذا لم تنفع هذه السماحة، ولا هذه الوقاية، ولا الحصانة، فجاء شخص يسْتَهتر بالقيم ويفعل فعلته أمام أناس - أقلهم أربعة عدول - أو جاء مسلم تقي صادتْهُ شراكُ إبليسَ على غرة فآثر الآخرة على الدنيا، ورَغِب فيما عند الله، واعترف على نفسه أربع مرّات وطلب التطهير، فإذًا يقام الحد عليه تطهيرا له وصيانة للأمة من الوقوع فيما وقع فيه.

والعجب كل العجب من إنسان يقع في ردغة الخبائث ويستر الله عليه، فيذهب يتحدث بفعلته أمام الناس، ويَفْتَخر بها دون حياء ولا توبة ولا خجل. بل إنَّ بعضهم ليجعل نفسَهُ جرَّارًا للخبيثات فيُهدي أرقام الهواتف إلى أصدقائه فبئس الهدية، وبئس الصنيع، وبئس الصديق.

وإذا ثبت الزنا بأربعة شهود أو بالإقرار فالحد واجب ، ولا تجوز الشفاعة فيه ، وحد الزاني البكر مائة جلدة وتغريب عام ، وأما المحصن فحده الرجم بالحجارة حتى الموت . قال تعالى :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – في قصة الأجير الذي زَنَى بامرأة مستأجرة ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « والذي نفسي بيده لأقضينَّ بينكم بكتاب الله ردُّ الوليدة والغنم عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام . واغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها »(٢) .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد . أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ، ورجم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورجمنا بعده فأخشى أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله . فالرجم في كتاب الله حق على من زَنَى من الرجال والنساء إذا أحصن وإذا قامت عليه البينة أو الحَبَل أو الاعتراف »(٣) .

والذي يقيم الحدود هو الإمام أو نائبه ، وتَولِّيه شرف وفضيلة ، فقد كان أفاضل الصحابة يتولونه . « وإقامة الحد في الأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة »(٤) .

---

(١) سورة النور آية رقم (٢) .
(٢) صحيح البخاري [٢٤١/٤] ، ومسلم كتاب الحدود (٢٥) .
(٣) صحيح البخاري [٣٠٤/٤] ، ومسلم [١١٦/٥] ، وأبو داود (٤٤١٨) .
(٤) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث (٢٣١) .

والمقصود من الجلد التأديب والزجر. فلابد وأن يكون مؤلماً لا يجرح. فتُزال اللَّفَائفُ الواقية.

ولا يكفي تنفيض الثوب، بل لابد وأن يكون الضرب على الجلد فيشد الثوب من الأمام ليلصق على الجلد، فيكون الضرب إذًا مؤلماً. وسمى الجَلْدُ جَلْدًا لأنه يباشر الجلد، ويوزع الضرب على الأعضاء التي تتحمل كالظهر والإليتين والفخذين، ويتجنب الوجه والرأس والفرج والمقاتل.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ حافظوا على أخلاقكم وتعاليم إسلامكم، وأحسنوا تربية أولادكم وعلموهم ولاحظوهم وراقبوهم، ومروهم وانهوهم، فإنكم مسئولون عنهم يوم القيامة.

اللهم؛ إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنْيا والآخرة. اللهم؛ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ودنيانا التي فيها معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا.

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم .....

١٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله لا نحصي ثناء عليه.

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اتبع سبيله .

أما بعد .. فإن من الظواهر المستغربة كثرة البائعات من النساء في الشوارع وعلى الأرصفة . هذه الظاهرة تزداد عامًا بعد عام ، ويقال : إن من بينهن نساء شابات عليهن خطر ومنهن خطر .

إن الإسلام حينما أوجب على ولي المرأة رزقها وكسوتها ، أراد حفظ كرامتها ، ورفع شأنها عن مثل هذا الابتذال .

والإسلام حينما جعل للفقير حقًّا في أموال الأغنياء ، وحقًّا في بيت المال ، أراد المحافظة على كِيانه الإنساني وشرفه من الإهانه ومواطن الدنس .

إن الذين يمرون بالبائعات ليسوا من نوع واحد ولا من طائفة معينة ، بل فيهم مختلفُو الرغبات والسلوك والاتجاهات . ولا يخفى أن البيع والشراء يحتاجان إلى كلام ومساومة ومماكسه . ويتطلب من البائع أن يكون لبقًا لطيفًا ليجذب المشتري للشراء .

وإذًا فلابد من لين الكلام ، والخضوع في القول فيطمع الذي في قلبه مرض ، وقد يستعمل المشتري أسلوب الاجتذاب .

فيشتري السلعة بأكثر من قيمتها ؛ ليَستميل قلب البائعة ؛ وليوقعها في شراك الشيطان .

اتقوا الله أيها المسلمون ؛ واتقين الله أيَّتُها المسلمات ؛ لا يحملكن حب الدنيا إلى النزول إلى هذا المستوىٰ .

اتقوا الله يا أولياء أمور البائعات .

اتقوا الله أيها الناس؛ المرأة كلها عورة على الأجنبي؛ جسمُها وشعُرها وصَوْتها ، وخير للمرأة ألا ترى الرجال ولا يرونها ، وقعْر بيتها خيرٌ لها .

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال تعالى .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَي النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .[2]

(١) سورة النور آية رقم (٣١) .
(٢) سورة الأحزاب آية (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية والعشرون

١٥ / ٨ / ١٣٩٥

[حد الزاني]

الحمد لله أحمده وأستعينه . وأستغفره وأتوب إليه .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ، بلَّغ رسالة ربه ونصح لأمته ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فإن سعادة الأمة وعزتها وكرامتها تنبى على فضائلها ، وشيمها وأخلاقها فمتى استقامت هذه الصفات ، استقامت أحوالها ، وتمكنت من السيطرة على مصالحها ، ودفع الأذى عنها ، أما إذا تدهورت هذه الشمائل وذهبت تلك المحاسن فقد انهار أساسها ، وأصبحت مهددة بالخطر والدمار في كل لحظة من حياتها .

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾(١) .

وإن جريمة الزنا أيها الناس هي أخطر جريمة على المجتمع بأسره ؛ لأن فيها زوال الأخلاق ، والعفة ، والشيم التي هي أساس الاستقامة .

وما انتشر الزنا في قوم فلم ينكر ؛ إلّا سلط الله عليهم ذلًا وهوانًا ، وابتلاهم بالأمراض ، والأسقام ، ونقص من الأموال ، والأنفس ، والثمرات .

الزنا جريمة شنعاء ، وكبيرة عظمى فيه جرأة على رب العالمين بانتهاك محارمه وتعدي حدوده .

---

(١) سورة الإسراء آية (١٦) .

وفيه خيانة للمجتمع بالتعدي على فضائله وأخلاقه، واختلاط أنسابه، إنه جريمة، في حق الرجل والمرأة معًا بوضع نطفة حرام في رحم حرام وبتعريضهما لسخط الله وغضبه، فيه اراقة ماء الحياء وتمزيق قناع العفة، وهدمُ بيت المرأة وتحطيم مستقبلها. وخيانة للأسرة والفراش إنه جناية عظمى على النطفة، تنسب لغير نسبها وتورَّث غير مورثَّها. ويحرَّم عليها غير محارمها ويحل لها ما حُرم عليها. توضع في دار الحضانة لا أم ولا أب لها حُرِمت عطف الأبوة وحنان الأم وقد توأد تلك النطفة في أول أطوارها ظلمًا وعدوانًا كل هذه كبائرُ، وفواحش يرتكبها الزاني؛ من أجل ذلك حرم الله الزنا وحذر منه وتوعد عليه بالوعيد والتدمير، ورتب عليه عقوبة لإصلاح المجتمع وتطهره. فإذا كان الزاني محصنًا ذكرًا كان أو أنثي، أي قد تزوج زواجًا شرعيًّا فحده الرجم بالحجارة حتى يموت.

ففي الصحيحين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال وهو جالس على منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن الله قد بعث محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها. وعقلناها فرَجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورجَمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيَضِلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أوالحَبَل أو الاعتراف.

وهذه الآية بقي حكمها ونسخ لفظها.

أما الزاني البكر، فحده الجلد مائة جلدة وتغريبُ عام **﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِيْنِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[١].

وقال - صلى الله عليه وسلم - للأعرابي: «على ابنك جلد مائة وتغريب عام»[٢].

---

(١) سورة النور (٢).

(٢) صحيح البخاري [٤/٢٤١]، ومسلم كتاب الحدود (٢٥).

فاتقوا الله عباد الله . اتقوا الله أيها المسلمون .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[١] .

واستغنوا بما أحل الله عما حرم الله . يا معشر الشباب تزوجوا فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج . يا أولياء الأمور يسروا ، ولا تعسروا ، وسهلوا ولا تكلفوا ، لا تجعلوا الدنيا ومباهاتها ومفاخرتها تحول بينكم وبين ما أمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الإعانة والتيسير .

اللهم ؛ أغننا بالحلال عن الحرام ، واحفظنا من الوقوع في محارمك ، ووفقنا لطاعتك ، وطاعة نبيك - صلى الله عليه وسلم - .

اللهم ؛ أصلح بناتنا وذرياتنا إنك على كل شيء قدير أستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة الإسراء آية (٣٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة والعشرون

٢٧ / ٦ / ٩٣

[الزنا يسبب أمراضًا خطيرة]

الحمد لله رب العالمين .بعث رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق . وأنزل عليه الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين وقائدُ الغر المحجلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ،

أئمة الهدى الذين كانوا يقولون بالحق وبه يعدلون ، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ يقول الله تعالى في كتابه العزيز - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - : ﴿ **تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[1] . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]

---

(١) سورة فصلت آية (٤٢) .

صدق الله العظيم ، لقد أنزل في هذه السورة الكريمة أحكامًا شرعية متعددة لا غنى للمسلم عن معرفتها والعمل بها بيَّن فيها الحلال والحرام ، والأمر والنهي ، والإرشاد والتوجيه ، واللوم والتوبيخ ، والعمل والجزاء ، والثواب والعقاب ، أنزل فيها آيات قرآنية واضحاتٍ مفسراتٍ محكماتٍ يعرفها من قرأها وتدبرها ، أنزل فيها التربية الاجتماعية الصحيحة ، بَيَّنَ طرقَها وَعَالج مشاكلها ، أنزل فيها هدى للعالمين ، ورحمة للمتقين ، وموعظة وذكرى للمؤمنين .

حقًّا إنها اشتملت على أحكام شرعية وحدود مفروضة تهدف لإصلاح المجتمع وتربيته ، وتطهيره من أدناس الشهوات ، وتصفيته من نزعات الشيطان ، تأمر بكل فضيلة ، وتوضح أسبابها والطرق الموصلة لها ، وتنهى عن كل رذيلة وتبيِّن طرقها وتحذر منها ؛ وقد صدَّر الله تعالى هذه الآيات البينات في هذه السورة بآية الزنا ، لخطر شأنِه ، وقباحة فعله ، وما بعده له صلة به ، إما لصيانة الأعراض من القذف به ، أو لمعالجة المجتمع من الوقوع في الزنا وأسبابه ، أو لإرشاد العباد إلى طرق العفة والنزاهة ، وتحذيرهم من طرق الخلاعة والابتذال ،

ثم بيان أهل الطاعة والإيمان والفضائل والشيم الكريمة وبيان أهل الفسق والعصيان والفجور ، وذكر عاقبة كل فريق وجزائه إلى غير ذلك من الكنوز الذهبية التي اشتملت عليها هذه السورة .

عباد الله ؛ إن جريمة الزنا هى أخطر جريمة على المجتمع بأسره فإنما تَزُول الأمة بزوال أخلاقها ، ولا تذل وتهون إلا بهوان فضائلها وشيمها ، ولا تهلك إلا بالأنحراف عن دينها ، ووقوعها في معصية ربها .

---

(١) سورة النور آية (١-٣) .

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾(١).

وما انتشر الزنا في قوم إلا سلط الله عليهم أمراضًا فتاكة كالطاعون، وما كثر الزنا في قوم واشتهر فلم يُنكر إلا سلط الله عليهم ذلًّا وهوانًا وفقرًا ومجاعة.

الزنا فيه جرأة على الله تعالى بانتهاك محارمه وتعدي حدوده، وفيه خيانة للمجتمع بالتعدي على فضائله ومكارمه. وخيانة للأمة باختلاط أنسابها.

إن الزنا جريمة في حق الرجل والمرأة على أنفسهما بتعريضهما لسخط الله وغضبه، وفيه جناية على المرأة بخيانة فراشها وهدم بيتها وتحطيم مستقبلها.

إنه جناية عظمى على النطفة التي توضع في رحم حرام قد تُخْلَقُ إنسانًا فيُنسب لغير نسبها ويَرث من غير مورثه، ويحرم عليه غير محارمه، وقد يتزوج من محارمه، أو يُوضع في دور الحضانة لا أم ولا أب له قد حرم عطف أبيه وحنان أمه.

ولوثوا تلك النطفة في أول حياتها ظلمًا وعدوانًا. كل هذه كبائر وفواحش يرتكبها الزاني والزانية.

لذلك حذَّر الله تعالى من الوقوع في هذه الفحشاء، ورتب عليها عقوبة لإصلاح المجتمع وتطهيره، فكانت العقوبة في أول الأمر حبس المرأة الزانية في بيتها حتى تموت، وإيذاء الرجل الزاني بالضرب والشتم، فنسخ ذلك بهذه الآية التي في سورة النور، وبآية أخرى نسخت تلاوتها وبقي حكمها وهى: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة».

فاستقر الحد الشرعي بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع الأمة الإسلامية.

---

(١) سورة الإسراء آية رقم (١٦).

فحد الزاني البكر الذي لم يتزوج زواجًا صحيحًا شرعيًّا جلد مائة جلدة وتغريب عام كامل عن البلد التي وقعت فيها الفاحشة لإماتة ذكرها، وقطع خوض الناس فيها، وأما الزاني المحصن وهو الذي سبق أن تزوج زواجًا صحيحًا شرعيًّا. وهو حُرٌّ بالغ عاقل، فحده - ذكرًا كان أو أنثى - الرجم بالحجارة حتى يموت؛ ذلك لأن المحصن قد عرف مدى غيرَة الزوج على زوجه، وشدة حرصه عليها، والمحافظة على كرامته وعفته، فلما عرف ذلك ثم هتك حرمات الأقربين، وكشف أستارهم، وخان أمانتهم، صارت عقوبته أشد وأنكى، ذلكم حكم الله تعالى وسنة نبيكم محمد - صلى الله عليه وسلم - روي في الصحيحين أن أعرابيين جاءا إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال أحدهما: يا رسول الله؛ إن ابني هذا كان عسيفًا (يعني أجيرًا) على هذا فزنى بامرأته فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم.

فقال رسول - صلى الله عليه وسلم - والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى: الوليدة والغنم ردٌّ عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغدُ يا أنيس (لرجل من أسلم) إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجهما. فغدا عليها أنيس فاعترفت فرجمها»(١).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؛ قال - وهو جالس على منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله قد بعث محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف»(٢).

---

(١) صحيح البخاري [٢٤١/٤]، ومسلم كتاب الحدود (٢٥).

(٢) صحيح البخاري [٣٠٤/٤]، ومسلم [١١٦/٥]، وأبو داود (٤٤١٨).

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾(١) وحَذروا من تحت ولايتكم من الأسباب الموصلة إلى هذه الفاحشة الشنعاء، وإياكم والغفلة والإهمال، فإن الراعي إذا أهمل رعيته أكلتها السباع.

اللهم؛ احفظنا من الوقوع في محارمك، واعصمنا من تعدي حدودك، ووفقنا لطاعتك وطاعة نبيك - صلى الله عليه وسلم - اللهم؛ أصلح بناتنا وذرياتنا واستُر عورات المسلمين، إنك على كل شيء قدير.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الإسراء آية رقم (٣٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله أحمده ، وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فأوصيكم بتقوى الله تعالى ، والرغبة في ثوابه ، والخوف من غضبه وعقابه .

واعلموا أن لكل شيء أسبابًا ولكل طريق منتهى . فغض البصر وتستُّرُ المرأة والرجل في لباس الحشمة والعفة ، ووقار المرأة في بيتها فلا ترى الرجال ولا يرونها ، واحتجاب المرأة بحجابها ، وضرب خمارها على جيبها ، وإخفاءُ جمالها وزينتها عن الأجانب ، كل هذه وأمثالها من الفضائل سبب للعفة والنزاهة وحفظ الشيم والكرامة ، وإحصان الفرج .

كما أن التبرج ، واختلاط الرجال الأجانب بالنساء وخروج المرأة من بيتها متجملة مظهرة لزينتها وفتنتها ، فيه سبب للوقوع في المحذور ، وطريق يوصل إلى الفحشاء ، فاتقوا الله عباد الله ؛ وتمسكوا بدينكم وفضائله وشمائله الغالية ، فإن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما فيه صلاحه وسعادته .

أيها المسلمون ؛ إن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾(١) .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

وقال – صلى الله عليه وسلم –: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرًا»(١).

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وابعثه – اللهم – مقامًا محمودًا وآته الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة. اللهم؛ ارض عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين وأهل بيته الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم؛ ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين. اللهم؛ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين. اللهم؛ أدم علينا نعمة الأمن والإيمان والرخاء والاستقرار، وعم بها جميع أوطان المسلمين. اللهم؛ انصر واحفظ إمامنا وارزقه بطانة صالحة يا رب العالمين. اللهم؛ اجعل ولاية المسلمين في يد من آمن بك وأطاعك واتبع رضاك؛ يا حي يا قيوم.

اللهم؛ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

اللهم؛ فرج هم المهمومين، واقض الدين عن المدينين، واشف أمراض المسلمين.

عباد الله؛ أكثروا من ذكر الله؛ فإن به حياة القلوب، وبه تغفر الذنوب. ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٨) وأبو داود (١٥٣٠)، والترمذي (٤٨٥)، والنسائي [٣/٥٠].
(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٤٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة والعشرون

١١ / ١ / ١٤١٦

[حد القذف]

الحمد لله رب العالمين . أحاط الإنسان بالحصانة والعناية والتكريم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . قولهُ حق ، وحكمه عدلٌ ، ولا يرغب عنه إلا هالك .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبه ورسوله أخشى الناس لله وأتقاهم وأشدهم غيرة .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نُبينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين تلقوا التشريع بالامتثال والقبول ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن الخالق تبارك وتعالى شرع التكاليف تتلائم مع فطرة الإنسان وميولاته واتجاهاته . فالله هو الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه . فوضع التكاليف لإصلاح الإنسان وحفظ حقوق الفرد والجماعة ، وصيانة الأعراض وحفظ الكرامات أن تخدش أوتهان .

فمن ذلك حد القذف . والقذف هو الرمي[١] بالزنا أو اللواط ، وهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٢]

---

(١) المغني المجلد الثامن صـ (٢١٥) .

(٢) سورة النور الآية (٤) .

وقوله جل شأنه :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١] .

قال ابن كثير في تفسير[٢] الآية الأولى : « هذه الآية فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة ، فإن كان المقذوف رجلًا فكذلك يجلد قاذفه أيضًا ليس فيه نزاع بين العلماء ، فإن أقام القاذف بينة على صحة ما قاله درأعنه الحد فالآية أوجبت على القاذف ثلاث مسائل : الأولى : جسدية وهي جلده ثمانين جلدة ، والثانية أدبية وهي : رَدُ شهادته فيسقط اعتباره بين الناس ، ويمشى بينهم متهمًا لا يُوثق بكلامه ، والثالثة دينية وهي الفسق ، فالقاذف منحرف عن الإيمان خارج عن طريق الله المستقيم ليس بِعَدْل لا عند الله ولا عند الناس ، إلا أن يأتي القاذف بأربعة شهود يشهدون برؤية الفعل ويصفونه . فإذًا يسلم القاذف من الحد ويحد الزاني حد الزنا بحسبه » .

وأما الآية الثانية فقال الفخر الرازي فيها[٣] : « إن الله ذكر فيمن يرمي المحصنات المؤمنٰت ثلاثة أشياء :

أحدها كونهُم ملعونون في الدنيا والآخرة وهو وعيد شديد وقال الجبُائي : التقيد باللعن عام في جميع القذفة والملعونُ في الآخرة لا يكون من أهل الجنة . الثانية : أن جوراحهم يوم القيامة تشهد عليهم إذا أنكروا وليست شهادة الجوارح متعلقةً بالحياة فالله قادر على أن يخلق في تلك الجوارح قدرةً وكلامًا . الثالثة : أن الله يجازيهم على فعلهم لا يُنقضُ منه شيء ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٤] .

أما دليل ثبوت حد القذف بالسنة[٥] فقوله – صلى الله عليه وسلم – في

(١) سورة النور آية رقم (٢٣) .

(٢) ابن كثير [٣/٢٦٤] .

(٣) الرازي [٢٣/١٩٣] .

(٤) آل عمران (١١٧) .

(٥) المغني [٨/٢١٥] .

الحديث المتفق عليه دليل ثبوت اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذفُ المحصنٰت المؤمنٰت ....» وحد - صلى الله عليه وسلم - الذين تكلموا بالإفك رجالًا ونساء ، قال ابن عبد البر في الاستذكار[١] : « وقد أجمع علماء المسلمين على أن المحصنين من الرجال حكمهم في ذلك حكم المحصنٰت » .

وأن من قذف مسلمًا حرًا عفيفًا كمن قذف حرة مسلمة عفيفة وأما تبوت حد القذف بالإجماع ، فقد أجمع علماء الإسلام على وجوب حد القذف على القاذف إذا طالب به المقذوف .

وقال في المبدع[٢] وهو الرمي بالزنا وكذا رمية باللواط . وأصله الرمي بالحجر وهو في الأصل رمي الشيء بقوة ثم استعمل في الرمي بالزنا ونحوه من المكروهات .

فإقامة حد القذف يقطع الألسنة من الخوض في جريمة الزنا واللواط . ولو لم يكن حد القاذفِ لتجرأت الألسنة على اتهام المحصنات والمحصنين ، وتعطيلُ حد القذف يترك المجال فسيحًا أمام من شاء أن يقذف ، ويهدم البيوت المستقيمة ، ويشوه السمعة النظيفة ، وهلَّ يتركه المقذوف فتكون المسألةُ فوضى قتل وشتم واغتيالات ؟! وأيضًا بعده تصبح الأمة وتمسي بأعراض مجرحة ، وسمعة ملوثة ، وإذا كل فرد مهددٌ بالاتهام وإذا كلُ زوج أو زوجة شاكٌ في زوجه ، وكل رجل شاكٌ في أصله ، وكل بيت مهددٌ بالانهيار كما أن إشاعة الفاحشة تهون من بشاعتها وقُبْحها وتجُرئ على فعلها .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

فإقامة حد القذف يصلح المجتمع ، ويصونُ الأعراض ، ويحمى من آلام فظيعة

---

(١) الاستذكار مجلد [٢٤/١٢٠] .

(٢) المبدع [٩/٨٣] .

(٣) سورة النور آية رقم (١٩) .

فالقرآن الكريم أُنزل لتهذيب النفوس ، وترقيق الطباع ، وإصلاح الأمة ، ورفعها إلى أعلى مستويات الأخلاق والفضائل ، وإزالة كل ما يسبب الخلاف والشقاق بين المسلمين .

والسنة المطهرة تفسر القرآن ، وتصدقه ، وتؤيده ، وهي وحي من الله .

والآيتان الكريمتان وإن كان الذِّكر فيهما للمحصنٰت ؛ فلأن الواقعة حصلت في شأن امرأة كما وصف القرآن الكريم ، وإلا فالحكم يضم الرجال والنساء ، وأيضًا قذف المحصنات أغلب ورميهن بالفاحشة أشنع ، وإلَّا فلا فرق بين الذكر والأُنثى .

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره الجامع لأحكام القرآن[1] : « المسألة الثالثة : ذكر تعالى النساء في الآية من حيث أنهن أهم ورميهن بالفاحشة أشنع ، وأنكى ، وقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى وإجماعُ الأمة على ذلك وهذا مثل النص على تحريم لحم الخنزير ، ودخل شحمه وغضاريفُه ونحوُ ذلك بالمعنى وبالإجماع .

إلى أن قال : « وهو أن يقذف[2] بوطء يلزم فيه الحدُ وهو الزنا واللواط » وحد القذف حقٌ للمقذوف فلا يقام إلا بطلبه فهو من حقوق الناس تجوز الشفاعة فيه والإصلاح بين الناس بخلاف ما إذا كان الحد خالصًا لله مثلُ حد السرقة فلا تجوز الشفاعة فيه إذا وصل الأمر إلى السلطان .

ولو رمى رجل امرأته بالزنا وترافعا إلى السلطان ؛ فيشرع بينهما اللعان ، فتخرج من ذمته ، ولا يلحقه الولد . قال سبحانه :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ

---

(١) المجلد السادس من القرطبي الجزء ١١ صحيفة (١٧٢) .

(٢) صـ ١٣٣ .

ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[١].

أما إذا لم يصل أمرهما إلى السلطان فهي زوجه ويلحق به الولد وينسب إلى أبيه .

إن اللعان بين الزوجين تيسير للأزواج يناسب حَرَج الموقف فقد يطلع على فعل زوجه وليس لم شاهد إلا نفسُه فلا يلزم بإمساكها وقد رأى ما رأى وأثر في نفسيته ولا يطالب ببينه وهي زوجة يغار عليها ولا يلزم بالولد ، وقد قال ما قال فشرع الله اللعان بين الرجل وامرأته إذا قذفها ، فشهاده الأربع تقوم مقام البينة وتزاد الخامسة لحكمة يعلمها الله فإذا امتنع من أداء الشهادات أقيم عليه حد القذف ، فإذا شهد الشهادات الخمس برئ وتوجهت المسئولية على امرأته ، فإما أن تشهد بكذبه أربعَ شهادات والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، وإما أقيم عليها حد الزاني المحصن وهو الرجم فإذا شهدا هذه الشهادات وتلاعنا تُرك أمرهما إلى عالم السرائر والخفيات ، ويفرق بينهما وينسب الولد لأمه إن كان ، ولا يُلحق بالرجل .

وإذا قذف الرجل امرأته ثم طلقها هروبًا من الملاعنة فقال بعض العلماء ؛ ما دام أنه قذفها وهيَ زوجُه فيعامل بنقيض قصده فيلاعن[٢] .

وقال البعض الآخر ما دام أنه فارقها قبل الملاعنة فهى أجنبية منه فيلزمه إما البينة وإما حد في ظهره وهو حد القذف ، ويلحقه نسب الولد .

فاتقوا الله عباد الله .

مما تقدم نعلم أن الرمي باللواط قدف يُلزمُ القاذف بأربعة شهود يصفون الفعل وإلا فهو كاذب يقام عليه حد القذف جلدُ ثمانين جلده . ثبت ذلك بالقرآن والسنة وإجماع الأمة المسلمة . فإنكار حد القذف محادة لله ورسوله وللمؤمنين ، ومحاولة يائسة لتعطيل حد من حدود الله . والمحاكم في المملكة العربية السعودية تحكم بكتاب الله وبسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وبإجماع الأمة .

---

(١) النور الآيات (٦-٩) .

(٢) مصنف عبد الرزاق ج ٧ (١٠٢) .

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟
فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتفضل علينا باتباعه والعمل بأحكامه.

اللهم رد المحاكم الشرعية في البلاد الإسلامية، وأقم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل الطاعة، ويذل فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر إنك على كل شيء قدير.

واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم

---

(١) سورة النساء الآية (٦٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . من عباده أمةٌ يقولون الحق وبه يعدلون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يغار على حدوده ومحارمه .

أشد غيرة من خلقة .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله جاء بالملة السمحة بيضاءَ نقية مُنيرةً ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا متكبر اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الذين أخذوا عنه سنته ، وبلغوها لأمته ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فإذا قذف إنسان جماعةً في كلمة واحدة ؛ فحدٌّ واحد ، وأما إن قذف كل واحد بكلمة فعليه الحد بعد دهم إلا مَنْ عَفَى(١) .

وإذا قال إنسان لرجل : يا ابن الزانيين فهو قاذف ؛ إما البينة ، وإمَّا حد القذف في ظهره ثمانون جلدة .

وإذا قال إنسان لإنسان : أنت زنيت بفلان ، أو عملت به عمل قوم لوط فهو قاذف يقام عليه حد القذف إذا طلب المقذوف ، ومن نفى رجلًا عن أبيه ، فهو قاذف .

قال في المغني : « وكذا إذا نفاه عن قبيلته أي ، فهو قاذف ، وذكر حديثًا عن الأشعث بن قيس عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يقول : « لأوتَين برجل يقول : إن كنانه ليست من قريش إلا جلد » .

ورُوي عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال : « لا جَلْد إلا في اثنين : رجلٌ قذف محصنةً ، أو نفى رجلًا عن أبيه ، وهذا لا يقوله إلا توقيفًا »(٢) .

---

(١) المغني ج ٨ صـ ٢٣٤.

(٢) المغني [٨/٢٢٣،٢٢٤] .

وقال في المغني : القياس أن لا يجب الحد بالنفي عن القبيلة ؛ لأن ذلك لا يتعين فيه الرمى بالزنا ؛ فلا حد فيه وعليه التعزير.

والتعريض بالقذف ليس فيه حد ؛ لكن يعزر بالضرب والحبس بحسب ما تقتضيه الحال ، والتعريض كأن يقول : أنت لست بزان وليس أبي ولا أمي بزانيين[١] وكأن يقول لامرأة رجل آخر قد فضحتيه وغطّيت رأسه . وجعلت له قرونًا وأفسدت عليه فراشه . ونكست رأسه .

ففي كل ذلك التعزير ولا يحد حد القذف وقيل يحد[٢] . وهناك مسائل متعددة تركتها رغبة في الاختصار .

فاتقوا الله عباد الله . المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ولا يحقره كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه .

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[٣] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٤] .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٥٣٩/٩) .

(٢) المغني [٢٢٣/٨] .

(٣) الأعراف الآية (٩) .

(٤) الأحزاب الآية (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة والعشرون

١٤ / ٢ / ١٣٩٤

[الزجر عن اللواط]

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ (١).

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، أحلَّ لنا الطيبات، وحرَّم علينا الخبائث(٢)، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد.. فيا أيها المؤمنون؛ أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، فإنه يعلم السر وأخفى(٣).

عباد الله، إننا نقرأ كتاب الله الكريم القرآن العظيم، وهو كلام رب العالمين تنزيل من حكيم حميد(٤)، نزل به الروح الأمين(٥) على قلب نبينا محمد الأمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وإننا نجد في القرآن العظيم أخبار الأمم السابقة، وقصص الأنبياء مع أممهم، وما جرى بينهم من المحاجة والخصومة والجدال، وإن العاقبة والنصر والتمكين لعباد الله

---

(١) سورة الكهف آية رقم (١-٣).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم (١٥٧).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة طه آية رقم (٧).

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة فصلت آية رقم (٤٢).

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الشعراء آية رقم (١٩٢،١٩٣).

المؤمنين، وأوليائه الصابرين، إنه قصص حق، فيه موعظة وعبرة، وذكرى للمؤمنين وهدى وبشرى للمتقين.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(١).

وإذا تأملنا – أيها المسلمون – أخبار هذه الأمم التي أهلكها الله بعذابه العاجل في الدنيا، نجد أن كل أمة أهلكت بنوع واحد من العذاب.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾(٢).

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٣).

﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ ﴾(٤).

إلا قوم لوط عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، فإنهم أهلكوا بأنواع من العذاب، فأنزل الله عليهم ملائكة من السماء لإهلاكهم، وطمس أعينهم، وقلب ديارهم، فجعل عاليها سافلها، وأنزل عليهم رجزًا من السماء حجارة من سجيل(٥).

(١) يوسف آية رقم (١١١).

(٢) الحاقة آية رقم (٥،٦).

(٣) الفرقان آية (٣٧).

(٤) العنكبوت آية (٤٠).

(٥) إشارة بمعناه إلى قوله تعالى في سورة البقرة آية (٥٩)، والأعراف آية (١٦٢) وأشارة إلى =

وجعلت ديارُهم بحيرة منتنة على طريق دائم آية للمتوسمين آية للمؤمنين، وهذه من حكمة رب العالمين، وعدل قيوم السماوات والأرضين.

فإن الجزاء من جنس العمل[١] فقوم لوط تمادوا في الكفر والطغيان، فإنهم مع كفرهم بربهم، ومعاندتهم لرسولهم يأتون الفاحشة الشنعاء التي ما سبقهم بها أحد من العالمين. إنهم يأتون الذكران من العالمين[٢]، يأتون الرجال شهوة من دون النساء بل هم قوم مسرفون[٣]. فنهاهم نبيهم لوط وأرشدهم إلى ما خلق الله لهم من أزواجهم التي فيها عفة لهم وتطهير لهم فلم يقبلوا إلا الجريمة القذرة النجسة، فأهلكهم الله، وهلم نتأمل هذه الآيات في خبر قوم لوط عليه السلام أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾
وَجَاءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى
هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ
شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ
وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ
ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً
مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

= قوله تعالى في سورة الفيل آية رقم (٤).

(١) إشارة إلى معنى الآية من سورة يونس رقم (٢٧).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الشورى آية رقم (٥٠).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النمل آية رقم (٥٥).

بِبَعِيدٍ ﴾[١].

عباد الله؛ إن عمل قوم لوط وإتيان الذكران من دون النساء كبيرة عظيمة، وفاحشة كبرى، وجريمة شنعاء، تشمئز منها الطبائع السليمة والفطر المستقيمة، فلا تجد ذكرًا من الحيوانات البهيمة يعلو ذكرًا، ولكن الله ابتلا بهذه الخبائث قوم لوط، فهم أول من فعله من خلق الله، فنُسب هذا العمل إليهم. وليس في المعاصي مفسدة أعظم من مفسدة قوم لوط، وهي تلي مفسدة الكفر، وقتل المفعول به خير له من وطئه، فإنه إذا وطئه الرجل قتله قتلًا لا ترجى له معه حياة، بخلاف ما إذا قتل ظلمًا بإزهاق روحه فإنه شهيد، جعل الله لوليه سلطانًا إن شاء أخذ به، وإن شاء عفا، وأما إتيانه كالأنثى فإنه يقتل الفاعل والمفعول به[٢] حتمًا كما أجمع على ذلك أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ودلَّتْ عليه سنة المصطفى، صلى الله عليه وسلم، وعليها عَمَلُ أصحابه وخلفائه الراشدين وخلق كثير من التابعين، وأئمة الإسلام والمصلحين.

روي عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[٣] وثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط»[٤].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة هود الآيات (٧٨-٨٣).

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - ت برقم (١٤٥٦) الحدود، ود: برقم (٤٤٦٢). الحدود: وجه برقم (٢٥٦١)، الحدود، وإسناده فيه ضعف. وأخرجه الحاكم في المستدرك [٣٥٥/٤]، وصححة وأخرجه الذهبي في التلخيص .اهـ. قلت: وله شاهد من حديث المغيرة عند ابن ماجة برقم (٢٥٦٢)، والحاكم في المستدرك [٣٥٥/٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢٣٢/٨]، وبذلك يكون إسناده حسنًا لغيره، والله أعلم. وأخرجه البغوي في شرح السنة برقم (٢٥٩٣) من هذا الوجه واللفظ.

(٣) هو نفس هذا الحديث أخرجه أحمد في المسند أيضًا برقم (٢٧٣٢) وبرقم (٢٧٢٧) نسخة أحمد محمد شاكر ومضى آلآن.

(٤) أحمد في المسند [٣٨/١] و[٣١٧/١] وهو من حديث ابن عباس - رضي الله

وقد اختلف أصحاب نبينا - صلى الله عليه وسلم - في صفة قتل اللوطي، فقال بعضهم: يحرق بالنار، وقد حرق خالد بن الوليد - رضي الله عنه - رجلًا يُنكح كما تنكح المرأة، كتب عنه لأمير المؤمنين أبي بكر الصديق، فاستشار أبو بكر الصحابة فكان عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أشدهم قولًا، فرأى أن يحرق فكتب أبو بكر إلى خالد فحرقه بالنار[١].

وقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - يفعل به كما فعل الله بقوم لوط، يرفع على أعلى مكان في القرية ويرمى منكسًا على رأسه ثم يتبع بالحجارة[٢]. وقال بعضهم: يقتل بالسيف[٣].

إن فاحشة اللواط أشنع وأخطر من فاحشة الزنا، فاللواط فيه قلب للفطرة، وقتل للرجولة، وإماتة للذكورية التي فُضِّل بها الرجل على الأنثى.

وقد جعل الله لبني آدم أزواجًا من أنفسهم يحصل لهم فيها منافع في دينهم ودنياهم، كحصول المودة والرحمة بين الزوجين، وإحصان أحدهما الآخر. ووجود التناسل الذي من أجله خلق الله الذكر والأنثى، وحصول علاقة المصاهرة بين العائلات، وفيه اتباع لَسَنن الأنبياء والمرسلين، وأستجابة لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في تكثير أمته[٤].

وفاحشة اللواط تقاوم هذه المصالح الشرعية كلها، وقد أرشد نبينا، صلى الله عليه وسلم، لطرق الوقاية من الفواحش والفسادِ فقال - صلى الله عليه وسلم -: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج،

= عنهما - وإسناده حسن مع الشواهد.

(١) البيهقي في السنن الكبرى [٢٣٢/٨] وهو مرسل، ثم قال البيهقي. وروي من وجه آخر.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى [٢٣٢/٨]، وهو فتوى ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - البغوي (٢٥٩٧) وذكره ونسبه إلى الشافعي رحمه الله تعالى.

(٤) إشارة إلى حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - خ برقم (٥٠٦٥) النكاح الفتح [١٠٦/٩].

ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»(١).

وقال تبارك وتعالى:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾(٢).

ولا شك أن الزواج الشرعي مفتاح من مفاتيح الرزق والخير والبركة. كما قال تعالى:

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ ﴾(٣).

بخلاف الزنا واللواط؛ فإنهما من مفاتيح الفقر والشر وضيق النفس وحسرة الضمير.

عباد الله؛ إن من الأسف الشديد، والخزي الأكيد أن كثيرًا من الناس قد وقعوا في فاحشة اللواط، بل وبعضهم يقال: إنه يخرج من زوجته التي أحلها الله له، فيها كمال وجمال، وطهارة وعفة، إلى الخبائث والفواحش والنجائس، وما ذاك إلا لفرط جهلهم، وقلة من يرشدهم، وقلة سماعهم للعلم النافع والمواعظ التي تحيي القلوب.

فاتقوا الله - أيها الناس - واحذروا من سخط الله، ولا تعرضوا أنفسكم لغضبه وأليم عقابه، ولا توبقوا أنفسكم بالوقوع في محارم الله، وراقبوا أبناءكم، وعرفوهم بخطر الفواحش، وخوفوهم من مصائدها مغبتها ولا تغفلوا عن رعايتهم وتربيتهم،

---

(١) هو نفس هذا الحديث الذي مضى الآن في الرقم الأول.

(٢) النور آية رقم (٣٠).

(٣) سورة النور آية رقم (٣٢).

فإن الراعي إذا غفل عن رعيته ؛ أكلتها الذئاب والكِلاب .

اللهم ؛ إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك . اللهم ؛ جنبنا وذرياتنا جميع الفواحش والنقم ما ظهر منها وما بطن . اللهم ؛ نور بصائرنا بالإيمان ، واحفظنا ، وذرياتنا من كل شيطان ، إنك أنت الكريم المنان ، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات ، والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ، ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شرك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ، صلِّ وسلِّم عليه ، وعلى آله وأصحابه ، وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون[١] .

أيها المسلمون لقد انتشرت في زمننا هذا دعايات ضد الزواج المبكر ، ودعوة إلى تحديد النسل ، وقد ارتاح لها كثير من الناس في كل مكان ، بل وارتاح لها بعض رجال الفكر الإسلامي .

ولا أرى ذلك إلا من تخطيط الصهونية العالمية التي لها تخطيط بعيد المدى للسيطرة على العالم أجمع ، والتحكم فيه إذا غلبت بكثرة المال والرجال ، وأفسدوا الأخلاق والشيم . فهى تغزو العالم بدعايتين إحداهما : تقليل النسل في العالم ، بينما الصهيونية تعمل على تكثير نسلها بأي طريق كان ، حتى بالطرق المحرمة وغير المشروعة . والثانية : تقليل الثروة في أيدي غيرها بدعوة الشيوعية والاشتراكية التي قضت على الرطب واليابس من ثروات الشعوب ومعنوياتهم بينما الصهيونية تعمل على تكثير أموالها ، وتطوير دخلها بأي وسيلة كانت ، فالواجب على الإنسان أن ينظر في المنافع والمضار الخاصة والعامة ، الشرعية والاجتماعية قبل استحسان الأمر قبل تأييده .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٣٢) .

ولا حكم للمسألة الفردية أو الحالة النادرة والضرورة الخاصة، وإنما العبرة بما فيه صلاح الأمة أجمع، وتحقَيق أهداف الشريعة. والواجب على المسلم أن يكون مؤدّيًا دوره، ولا يكون مع كل صاعق وناعق، وإنما ينظر ببصيرة إيمانه ونور شريعته.

وصلوا على النبي الكريم فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين فقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١).

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة والعشرون

١٩ / ٧ / ٩٣

[عقوبة آكل الربا]

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين .

وأشهد ألا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، الملك الحقّ المبين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان وسلم تسلميًا كثيرًا .

أما بعد .. فقد روى الإمام البخاري – رحمه الله – حديثًا عن سمرة بن جندب – رضي الله تعالى عنه –

قال : كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مما يكثر أن يقول لأصحابه : « هل رأى أحد منكم من رؤيا » . قال فيقص عليه من شاء الله أن يقص ، وإنه قال ذات غداة : « إنه أتاني الليلة آتيان ، وإنهما قالا لي : انطلق ، وإني انطلقت معهما . وإنا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه ، فيتدهده الحجر هاهنا . فيتبع الحجر فيأخذُه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعودُ عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى .قال : قلت لهما سبحان الله ، ما هذان ، قالا لي : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق على قفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد ، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر ، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانبُ كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل بالمرة الأولى ، قال : قلت : سبحان الله ، ما هذان ؟ قالا لي : انطلق ، انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنُّور ، فأحسبه قال : فإذا فيه لغط وأصوات ، فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة ،

وإذا يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضو . قال : قلت : ما هؤلاء ؛ قالا لي : انطلق ، انطلق ، فانطلقنا فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول : أحمر مثل الدم - وإذا في النهر رجل سابح يسبح وعلى شطر النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ، فإذا ذلك السابح يسبح ، ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرًا ، فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا ، قلت لهما : ما هذان ؟ قالا لي : انطلق ، انطلق ، فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة أو كأكره ما أنت راءٍ رجلًا مرأى ، وإذا هو عنده نار يحشها ، ويسعى حولها . قلت لهما : ما هذا؟ قالا لي : انطلق ، انطلق ، فانطلقنا ، فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع . وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولًا في السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان ما رأيتهم قط . قلت : ما هذا ، وما هؤلاء؟ قالا لي : انطلق ، انطلق فانطلقنا فأتينا على دوحة عظيمة لم أرَ دوحة قطُّ أعظم منها ولا أحسن . قالالي : ارق فيها فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال : شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ ، وشطر منهم كأقبح ما أنت راءٍ . قالا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر . وإذا هو نهر معترض يجري كأن ماءه المحض(١) في البياض ، فذهبوا فوقعوا فيه ، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم ، فصاروا في أحسن صورة ، قال : فقالا لي : هذه جنة عدن ، وهذا منزلك ، فسما بصري صُعُدًا فإذا قصر مثل الرَّبابة البيضاء . قالا لي : هذا منزلك . قلت لهما : بارك الله فيكما ، فذراني أدخله . قالا لي : أمَّا الآن فلا ، وأنت داخله(٢) .

قلت لهما : فإني رأيت منذ الليلة عجبًا ، فما هذا الذي رأيت ؟ قالا لي : أما إنا سنخبرك . أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ راسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه ، وينام عن الصلاة المكتوبة . وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينيه إلى قفاه ، فإنه الرجل يَغْدو من بيته فيكذب الكَذبة تبلغ الآفاق ، وأما الرجال والنساء العُراة الذين هم في مثل التنور ، فإنهم الزناة

(١) قال في الفتح بفتح الميم وسكون المهملة بعدها ضاد معجمه هو اللبن الخالص عن الماء .
(٢) فتح الباري [٤٣٩/١٢] .

والزواني ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا ، وأما الرجل الكريه الذي عند النار يحسها ويسعى حولها فإنه مالكٌ خازن النار ، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة ، وأما القوم الذين كانوا شطرٌ منهم حسن وشطر منهم قبيح ، فإنهم قوم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا تجاوز الله عنهم »(١) .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى ، لقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأنه رأى دار عامة المؤمنين ، ودار الشهداء المخلصين ، ليرغب أمته في سلوك الطريق الموصل إلى جنات النّعيم ، وأخبر بما رآه من عذاب أهل هذه الكبائر الأربع ، يحذر أمته من الوقوع فيها ؛ لأن هذه الكبائر هي المعاول الهدَّامة لكِيان الأمة الإسلامية ، وسببُ الفساد فيها . وخرابها .

ذلكم أن الربا فيه فساد المعاملات والأموال التي فيها معاش الأمة وقوام حياتها ، وفيه تضْيِيع لكثير من الحقوق ، وسدُ أبواب الكسب عن الطبقة غير الغنيّة ، بخلاف البيع والشراء الذي أحلَّه الله ، فإنه يستفيد منه المتسبب والعامل ، وقد تزيد السلعة ثمنًا فيربح المشترى ، وأما الزنا ففيه فسادُ الأخلاق ، واختلاطُ الأنساب ، وهتكُ المحارم ، وخدش الكرامات .

والكذب من أخطر عوامل الهدم لبناء الأخوة الإسلامية ، وفيه تشتيت شملها ، وإيجادُ والإحن والضغائن فيها . وحملة القرآن هم أمناء هذه الأمة على كتابها ، ومطلوب منهم أن يتخلقوا بخُلُق القرآن ، وأن يكونوا قدوة يقتدي بهم في الأقوال والأفعال ، فإذا لم يفعلوا ذلك في أنفسهم ، اقتدت بهم الأمة فضلت كما ضلت بنو إسرائيل ، فلعنهم الله على لسان داود وعيسى بن مريم .

كما بين – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث حكمة الله تعالى وعدله في عباده ، وأن الجزاء من جنس العمل ، فعوقبت هذه الأعضاء التي باشرت معصية الله ، وتلذذت وتنعمت بما حرم الله ، بالعذاب المجانس لمعصيتها عذابًا برزخيًا مستمرًا حتى

---

(١) صحيح البخاري [٤٣٨/١٢] فتح .

تقوم الساعة .

فاتقوا الله عباد الله وراقبوه في السر والعلانية فإنه أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، بل أقرب إليه من حبل الوريد .

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] .

اللهم ؛ إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهاد ، ونعوذ بك من شرورو أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونسألك نعميًا لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع .

اللهم ؛ انفعنا بهدي كتابك ، واجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة النور آية رقم (٣١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول ، لا إله إلا هو إليه المصير . .

وأشهد ألا إله إلّا الله ، وحده لاشريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ إن الربا من أعظم الكبائر التي حرَّمها الله ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فاتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . ولا تغترُّوا أيها المؤمنون بكثرة المتاجر التي تتعامل بالربا وكثرة الأموال فيها فإنما هي رجوع إلى معاملات الجاهلية الأولى ومآلها إلى قلة ، وما هي إلّا من سنن اليهود الذين قالوا ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[1] . وما هي إلّا محاربة لله ورسوله ، ويا ندامة من حارب الله ورسوله ، وليست العبرة بكثرة العاصين وقلة المطيعين ، وإنما العِبْرةُ بمقاييس سيد الأولين والآخرين .

عباد الله ؛ إن الله تعالى أمرنا بأمرٍ بدأ فيه بنفسه فقال عز من قائل عليم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٧٥) .
(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة والعشرون

١٢ / ٦ / ١٣٩٨

[حد السرقة]

الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، تعظيمًا وتقديرًا .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أرسله الله هاديًا وبشيرًا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ إنكم في نعمة كبرى تحسدون عليها تغبطون عليها ، لم تكن لأحد غيركم في عصركم حسدَكم عليها كثير من الناس . وتمنَّوا زوالها ، وحسدكم عليها كبار الدول وكادوا لإزالتها ، فاشكروا نعمة الله عليكم إذ هداكم للإيمان ، واشكروا نعمة الله عليكم ؛ إذ جعلكم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ وفقكم لهذا الدستور السماوي ، فيه الأمن والاستقرار ، والصلاح والفلاح ، به تحقَن الدماء ، وتُصان الأعراض ، وتحفظ الأموال .

فيه أحسن تنظيم ، وأجمل ترتيب لنظام الحياة ، يحث على الفضائل وينهىٰ عن الرذائل ، يأمر بالخير والبناء ، وينهى عن الشر والفساد والخمول ، حفظ الحقوق الخاصة والعامة والملكية الفردية ، وحافظ على المجتمع الذي يعيش في ظله وتحت لوائه بما يكفل له العدالة ويضمن له الكفاية والاستقرار .

إنه دينٌ حقٍ وقولُ صدق كله جدٌ ليس فيه هزل ، يأمر بالعدل والإحسان ، والتآخي والتعاون ، وينهى عن الفرقة والغدر والخيانة ، وعلى أساس هذا النظام السماوي العادل . بنىٰ قواعد الأمن ، وترتكز عليه دعائم الدعة والاستقرار ؛ ولهذا يختلف الأمن قوةً وضعفًا في مكان وزمان عنه في مكان آخر وزمان ، بحسب قوة الإيمان ، وقوة سلطان الإسلام ، وقوة الوازع الديني في النفوس ، وبحسب اتجاهات

الأمة والمربين في التربية والتعليم والسلوك والسير على منهج الإسلام في جميع المرافق والميادين، وفي كل الأحوال. بقوة هذا وضعفه يقوى الأمن ويضعف.

وإذا نظرنا إلى الأحداث الفردية الشاذة: من حصول بعض السرقات من الدكاكين والبيوت والسيارات، وما حصل من أخذ مالٍ قهرًا ممن هي في يده في بعض الجهات، ولا يكون لها كبير اهتمام، تُعتبر في هذه البلاد جرائم شنيعة لما ألفناه من العدالة والأمن والاستقرار في ظل هذا الحكم العادل الذي أُسس على قواعد الإسلام، وبُني على منهج الإسلام، ونُظمت شئونه وارتباطاته على منهج شريعة الله، وبنيت أحكامه على حكم الله، حتى كفل لكل فرد ماللجماعة من الأمن والعدالة، وكفَّ عن الأمة كلَّ عوامل الاستفزاز والإثارة، وكل عوامل السفه والطيش.

ولا شك أن هذه الأحداث لها ارتباط بضعْف الإيمان في بعض النفوس، وضعف الغيرة على دين الله، وعلى محارم الله، ولو أُقيمت على المجرمين حدود الله، لما تجرأ أحد على حرمات الله،

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

وهذه الصلوات الخمس لا يصليها كثير من الناس في جماعة المسلمين، وبعضهم لا يصليها أبدًا، وهي آخر ما يفقد من هذا الدين، وهي العلامة الفارقة بين المسلمين والكافرين. وهذا الربا انتشر على المستوى الاقتصادي، وهو حرب لله ورسوله، وهذه الخمور وأنواع المسكرات والمخدرات مع كل ساقط وسفيه، وهي رجس من عمل الشيطان. وهذه دور السينما في أماكن متعددة، وأمثالها من الآلات في كل مكان تدعو إلى الفسق والفجور، وتثير الغرائز، وتُعلِّم الغدر والخيانة، وطريق الجرائم، وفي هذا هلاك الحرثِ والنسلَ، وتحطيمُ الفضائل، ومحادَّةٌ لله ورسوله، وخطر على أمن البلاد، وهذه دعوة اختلاط النساء بالرجال نَشِطت على مستوى المسئولية، وهي دعوة من أعداء الدين الذين حسدونا على هذه النعم، ويريدون

(١) سورة المائدة آية رقم (٣٨).

زوالها ، وهي من بقايا الاستعمار في البلاد المجاورة ، ومع الأسف الشديد حملها أبناء المسلمين وأبناء هذه البلاد الذين درسوا عند أولئك وتعلموا على أيديهم ، تأثروا بأفكارهم ، وزهدوا في دينهم ، وتقاليد إسلامهم ، تأثرًا أعمى ، وتقليدًا أجوف ، ونظرةً قاصرة دون تأمل في العواقب والنتائج . اللهم إلّا إذا كانوا لا يؤمنون بالله ، ولا بما جاء من عند الله ، ولا باليوم الآخر ، ولا غيرة عندهم على المحارم ، ولا حُسبان عندهم للفضائل والمكارم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

إن نتائج اختلاط النساء بالرجال مشاهدة في البلاد المجاورة ، أدّى بها إلى الهلاك ، والدمار والانحطاط ، والانهيار .

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾(١) .

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ۝٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢) .

فلا شك أن الأحداث يرتبط بعضها ببعض ، والمصيبة تحصل على الإنسان أو المجتمع بما يعمل من سيئة .

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾(٣) .

﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ ﴾(٤) .

---

(١) سورة الإسراء آية رقم (١٦) .

(٢) سورة الأنعام آية رقم (٤٤،٤٥) .

(٣) سورة النساء آية رقم (٧٩) .

(٤) سورة فصلت آية رقم (٤٦) .

إن حوادث الأعتداء على الأموال مترتبة على حوادث الأعتداء على فضائل الدين، ومحاسن الإسلام التي لم تنكر ولم تغير.

فسبحان الله ما أعظم شأنه، وسبحانه ما أغيره على محارمه، وسبحانه ما أحكمه في أمره ونهيه، وسبحانه من رقيب لا يغفل ولا يهمل!

اتقوا الله أيها المسلمون؛ لا تهاونوا بدين الله، فتهونوا عليه، كونوا مع الله يكن الله معكم، أوفوا بعهد الله يوف بعهدكم، ولا تأمنوا من مكر الله ﴿ **فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾(١). ولا تيأسوا من روح الله.

﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾(٢).

إن كلًّا من سارقي الأموال، وقطاع الطريق، وسارقي الفضائل والعقيدة، ومروِّجي الأفكار الصهيونية والمبادئ الشيوعية، كل منهم مفسد في الأرض، وكل محارب لله ورسوله، محارب لكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولكلٍّ عقوبةٌ في دين الإسلام، فأقيموا أيها المسلمون حدود، الله وخذوا على يد السفهاء، واقصروهم على الحق قصرًا، وأطروهم على الحق أطرًا.

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣).

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٩٩).

(٢) سورة يوسف آية رقم (٨٧).

(٣) سورة المائدة آية رقم (٣٣-٣٤).

اللهم ؛ أقم علم الجهاد واقمع أهل البغي والزيغ والفساد ، وانشر رحمتك على العباد يا من له الدنيا والآخرة وإليه المعاد . اللهم ؛ احفظ ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وآخرتنا التي إليها معادنا ، أنت ولينا ومولانا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألّا إله إلّا الله، الملك الحق المبين.

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله الصاددق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فإن الله قد فتح على الناس أبوابًا من الدنيا أخذوا يتنافسون فيها، ويخشى أن يهلكوا كما هلك من كان قبلهم.

الدنيا والآخرة ضرتان، إن أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى، والدنيا زائلة زائل ما فيها، والآخرة باقية باق ما فيها، فعلى العاقل أن يرضي آخرته، وإن أغضب دنياه وللآخرة خير لك من الأولى، وإذا كان ولابد فأعط كل واحدة حقها دون الإضرار بالأخرى.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١]

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢].

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣].

وصلوا على البشير النذير، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال جل من قائل عليم: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**[٤] وقال صلى الله عليه وسلم: «من صلى عليَّ واحدة صلى الله

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٠١).

(٢) سورة المائدة آية رقم (٢).

(٣) سورة الأنفال آية رقم (٢٥).

(٤) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

عليه بها عشرًا »[١] .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك ، ونبينا محمد إمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجاته أمهات المؤمنين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللهم ؛ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين . اللهم ؛ أدم الأمن والاستقرار في أوطاننا واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ووفقهم لما تحب وترضى ، واجعلهم سلمًا لمن سالمك واتبع إسلامك ، وحربًا على من حاربك ، وخالف دينك . اللهم ؛ ادفع عنا الربا ، والوباء ، والزنا ، والمحن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾[٢] .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[٣] .

عباد الله ؛

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ

---

(١) صحيح مسلم (٤٠٨) وأبو داود ١٥٣٠، والترمذي ٤٨٥، والنسائي [٣/٥٠] .

(٢) سورة الأعراف آية رقم (١٥٥) .

(٣) سورة آل عمران آية رقم (٥٣) .

كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[١] .

وفاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[٢] .

---

(١) سورة النحل آية رقم (٩٠،٩١) .

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٤٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة والعشرون

٩ / ٥ / ٩٩

الإسلام لا يكبت الغرائز بل ينظمها

الحمد لله رب العالمين[١] . اللهم ، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٢] . وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله بعث متممًا لمكارم الأخلاق . صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع ملته واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن الإنسان يعتمد وجوده على عنصرين أساسيين هما : الجسد والروح ، فالجسد هو وعاء الروح ، والروح هي اللباب ، فجسد بلا روح خراب ، ومتى فارقت الروح الجسد فسد وعفّن ، وإنما الفارق بين الإنسان وسائر الحيوانات هو العقل ، وبه فُضل الإنسان على سائر المخلوقات ، وخوطب بالخطاب من رب الأرباب ، ولذلك خلق الله الإنسان ، وخلق للإنسان ما في الأرض جميعًا .

فمن استجاب للخطاب وامتثله فقد سار على منهج الإنسان الذي خُلق من أجله ، ومن أعرض عن الخطاب فقد تحول إلى زمرة الحيوانات ، كما قال الخالق تبارك وتعالى :

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[٣] .

فالإنسان ، والحيوان كل منهما يحرص على حياته ومقومات جسده ، ويتميز

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) من حديث عائشة – رضي الله عنها – أخرجه مسلم في الصحيح الصلاة حديث رقم (٢٢٢) .

(٣) سورة الفرقان آية رقم (٤٤) .

الإنسان بالعقل، فهوا أساس الفهم والإدراك، فمطلوب من الإنسان أن يحافظ على مقومات عقله وزَكاة روحه. وقد أثبتت التجارب وما نطق به نظام الإسلام أن الوقاية أنفع وأنجح من العلاج، فأمراض الأبدان معلومة، والوقاية منها قائمة بجدية وعلى كل مستوى وفي كل بقعة، وأما أمراض القلوب والأرواح فهي المغفول عنها، بل الناس أنفُسهم هم الذين يختارون نَشْرها في المجتمع، وإن أعظم مرض على النفس والروح هو مرض الأخلاق، فهو مرض معدٍ ومستعصٍ إذا انتشر في الأمة صعب استئصاله لذلك اعتنى الإسلام بالوقاية والحماية منه خشية وقوعه، وعالجه بعد وقوعه بأنفع علاج. والإسلام لا يقاوم الغرائز الطبيعية في نفس الإنسان، ولكنه ينظمها ويوجهها إلى الهدف الذي خلقت من أجله مع التطهير والتنسيق. وإذا تأملنا آيات المحارم في سورة النساء تأملنا آيات الحث على الزواج وإباحة التعدد، تأملنا سورة النور ومعالجتها للموضوع نفسه، مع ما في سورة الأحزاب من أمر وتوجيه إلى أسباب الوقاية من أمراض الأخلاق، إذا تأملناها، وعرفنا معناها وجدنا الوقاية والعلاج.

الوقاية الأولى: الاستئذان العام. فلا يدخل أحد بيت أحد إلا بإذنه وعلمه، وفي المكان المأذون له فيه فقط، ولا ينظر إلا إلى المكان المأذون له بالدخول فيه.

الثانية: الاستئذان الخاص وهو استئذان أفراد الأسرة - بعضهم على بعض - في الحجرات الخاصة، فلا يدخل الأخ على أخته في غرفة نومها، ومكان خلع ثيابها، إلا إذا استأذن فأذنت خشية أن يراها على ما يكره وتكره.

الثالثة: الاستئذان المقيد وهو استئذان الأطفال والمماليك في أوقات النوم والراحة وفي أماكنها.

﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ﴾(١).

---

(١) سورة النور آية رقم (٥٨).

لأن هذه الأوقات مظنة خلوة خاصة ، واستغراق في النوم ، فينكشف ما يُكره أن يُرى ، وإذا بلغ الأطفالُ الحلم فليستأذنوا كغيرهم في جميع الأوقات .

الرابعة : غض البصر من الرجال والنساء ، فلا ينظر أحدهما إلى محرم بتأملٍ وتلُّذذ ، ولا إلى غير محرم ، إلا ما دعت الضرورة إليه ، هذا عدا الأزواج ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾(١) .

الخامسة : إخفاء الزينة ، سواء كانت طبيعية خلقية أو صناعية . والحلي واللباس من الزينة ، إذا كان شهرةً فيجب ستر الزينة بجلباب وخمار ، أو عباءة ضافية من الرأس إلى القدمين .

السادسة : تيسير الزواج المشروع ، لا نكاح إلا بولي(٢) وشاهدي عدل ، وتسهيلُه والإعانة عليه .

فينبغي أن تخفف تكاليف الزواج ، وتتركُ المباهات والمجاملات غير الرابحة وغير المجدية .

والوقاية السابعة : التعَففُ والصبر ، وابتعاد الرجال عن النساء والنساء عن الرجال خير للمرأة . فلا ترى الرجال ولا يرونها ، ولا يجوز للرجل أن ينظر إلى امرأة من غير محارمه حتى ولو كانت امرأة قريبة أو صديقة ، إلا من وراء خجاب ساتر ، واستعينوا بالصبر والصلاة إن الصلاة(٣) تنهى عن الفحشاء والمنكر .

الثامنة : قوة الرجل والمرأة في دينهما وأخلاقهما ، فلا يخضع أحدهما بالقول للآخر ؛ فيطمع الذي في قلبه مرض(٤) .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٨٧) .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أخرجه الشافعي في مسنده [٣١٧٥/١] ، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى [١١٢/٧] ، وله شاهد عن ابن حبان كما في الموارد برقم (١٢٤٧) ، وله طرق أخرى فيكون الإسناد حسنًا لغيره إن شاء الله تعالى .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة آية رقم (٤٥) .

(٤) سورة الأحزاب آية رقم (٣٢) .

هذه من الأسباب التي تقي وتمنع من وقوع الفحشاء وتحافظ على العقل والروح من الأمراض الأخلاقية . وأما العلاج بعد وقوعها فهي الحدود والتقريرات التي نظمها الإسلام .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ ولا تحملنكم العادات والتقاليد والمجاملات على مخالفة تعاليم دينكم ، والأستهانة بقيم إسلامكم .

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . اللهم ؛ افتح بصائر المسلمين لمعرفة الحق واتباعه . اللهم ؛ حبّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين(٢) ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٢٠٠) .

(٢) إشارة إلى حديث عبيد بن رفاعة الزرقي - رضي الله عنه - أخرجه أحمد في المسند [٣/ ٤٢٤] وإسناده جيد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون[١].

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، فهو المتعالي بعظمته ومجده.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، وصفوتة من خلقه، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن آمن به واتبع رسالته.

أما بعد.. فإن العادات والتقاليد لها تأثير بليغ في حياة الأمة؛ فالطَّيب منها يغرس الطَّيب في النفوس، والخبيثُ منها يورث الخُبث والعواقب السيئة.

وفي هذا الزمن الذي انتشر فيه الوعي وكثر العلم، أصبح التقليد في العادات تقليدًا أعمى من دون تبصر من دوَن تَعقُل من دون نظر في العواقب.

فهناك من إخواننا وأبناء بلدنا ومن أهل ملتنا من يستورد عادات وتقاليد من أعدائنا وأعداء ديننا، ويبثها بين الناس، ويحسّنها عندهم. والناس أصبحوا يرغبون في كل مستورد حتى ولو كان رديئًا. والسبب هو أن السفهاء صاروا هم الذين يسيطرون على الأمور، ويتحكمون في شئون أهلهم، والشيطان يسوّل كل خبيث ويرغب فيه.

ومن هذه البضائع الفاسدة التي استورَدْناها من رجيع الاستعمار من بعض البلاد التي كانت مستعمرة - عادةٌ سيئة قبيحة، وهي تمكين الفتاة المسلمة من خاطبها، وتمكين الخاطب منها قبل عقد الزواج، يختليان ويسافران معًا بحجة معرفة الأخلاق والسلوك، يعرفها وتعرفه. إن المروءة والشيم تأبى هذا، فضلًا عن نظام الإسلام الذي حث على الفضائل، ونهى عن الرذائل، وحرَّم خلوة الرجل بالمرأة غير المحرم[٢].

---

(١) سورة القصص آية رقم (٧٠).

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - خ في الجهاد [٦/١٠٠] الفتح باب من اكتسب في جيش فخرجت امرأته حاجة، ومسلم في الصحيح (١٣٤١) الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره من هذا الوجه واللفظ.

وما دام أن عقد الزواج لم يتم فليس الخاطب بمحرم ، وإنما أباح الإسلامُ النظر إلى المخطوبة من دون خلوة ، ومن تلك العادات السيئة الرديئة التي تخرج على الفطرة والدين - عرض الزوجين ليلة الزفاف معًا يُلبِّسها وتلبسه ويؤكلها وتؤكله ، ويكلمها وتكلمه أمام شباب وشابات ، فأي مصلحة تحصل من هذا ، وبأي دليل شرعي أو عقلي يُستحل هذا ، أليس من الأفضل الفخرُ بديننا ، والإعتزاز بتقاليدنا ، وجعلُ المرأة مع النساء ، والرجل مع الرجال ، ويكون اللقاء بينهما مع المحارم فقط .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وانظروا في النتائج والعواقب ، فكم من نظرة رجل إلى امرأة أفسدته على زوجته ؟! وكم من نظرة امرأة إلى رجل أفسدتها على زوجها ؟! وكم من نظرة جعلت القلب المملوء بمحبة الزوج خاليًا ؟! وكم من نظرة أعقبت كلامًا ، ثم لمسًا ثم لقاء ، ثم حرامًا ، وانتهاك حرمات ، وهتك أستار ؟! فاتقوا الله أيها الناس ؛ يجب أن تقدروا للأمور قدرها . وأن تحسبوا للغرائز حسابها ، وأن تعالجوا الأمور بعلاج الإسلام . والوقاية خير من العلاج .

وصلوا على البشير النذير والسراج المنير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١] .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة والعشرون

٩ / ٥ / ٩٩

[حكم الزواج في الإسلام]

الحمد لله رب العالمين[١] . الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى[٢] .

وأشهد ألَّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[٣] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله . أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله[٤] .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . فإن ديننا الحنيف اعتنى بنظام الأسرة ، لأنها هي القاعدة التي تقوم عليها الأمة ، ويقوم عليها الفرد المسلم والعائلة المسلمة ، لذلك أحاطها الإسلام برعاية خاصة واضحة ، وفصَّل نظامها تفصيلًا عادلًا تتوفَّر فيه كل الضمانات للذكر والأنثى كما تتوفَّر للفرد والجماعة .

وينْشأ نظام الأسرة في الإسلام من خصائص الفطرة الإنسانية وحاجاتها

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) مع البسملة .

(٢) سوْرة الأعلى آية رقم (٢،٣) .

(٣) سورة الروم آية رقم (٢١) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التوبة آية رقم (٣٣) ، سورة الفتح آية (٢٨) ، وسورة الصف آية (٩) .

ومقوماتها ، ومن قاعدة التكوين الأولى ، وتلك سنة الله في الأحياء كلها وفي المخلوقات كافة . وتبدو هذه النظرة واضحةً في قوله تعالى :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١) .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) .

وليس نظام التزاوج مجرد اجتماع الذكر والأنثى لقضاء وطر أو لإشباع رغبة ، وإنما لإنتاج ما من أجله خلق الذكر والأنثى ، ومن أجله جبلًا على التعاطف والتفاعل ، والإنسان أولى بإدراك هذه الخصائص . قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣) .

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤) .

الإسلام يضع النظام لبشر لهم غرائز ، ولهم عواطفُ وشهواتٌ ، وفيهم ميول ونزعاتٌ وقد لاحظ كل هذه الصفات ، وقادها كلها إلى طريق الصلاح والطهارة من غير تعسف ولا مشقة ، والزواج الشرعي هو أقوى الروابط ، وأدوم الصلات وأنظف العلاقات بين الذكر والأنثى ، وبين أسرتيهما بعُقدة موثقةٍ بوثاق العبودية لله .

---

(١) سورة الذاريات آية رقم (٤٩) .

(٢) سورة يس آية رقم (٣٦) .

(٣) سورة الروم آية رقم (٢١) .

(٤) سورة البقرة آية رقم (٢٢٣) .

والناس يختلفون في وجوب الزواج ، أو استحبابه ، أو جوازه ، فالذي له شهوة غالبة يخاف على نفسه الوقوع في المحظور إن لم يتزوج ، ويجد طولًا ، هذا يلزمه إعفاف نفسه ، وحفظُ فرجه ، وطريق ذلك الزواج ، فيجب عليه الزواج إذا وجد طولًا ، ومن لم يستطع فعليه بوصية الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ، كما في حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب ؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج(١) ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »(٢) متفق عليه . لأن الصيام يكسر حدة الشهوة ، وفيه أمن من الوقوع في المحرم ، ولأن الصيام يضيق مجرى الشيطان ، ويقوي الإيمان ، ويغرس تقوى الله وخشيته في القلب .

أما الذي له شهوة ويأمن معها الوقوع في المحرم فيستحب له الزواج لعله يحصل له ولد صالح يبره في حياته ، ويدعو له بعد مماته(٢) ، ولعله يشارك في تكثير أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -(٣) . فالزواج في حق هذا أفضل من نوافل العبادة ، وأفضل من التفرغ لها .

رُوي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : « لو لم يبق في أجلي إلا عشرة أيام ، وأعلم أني أموت في آخرها وليَ طول النكاح فيهن لتزوجت خوف الفتنة »(٤) .

وقال إبراهيم بن ميسرة رحمه الله : قال لي طاوس : لتَنْكحن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد : ما يمنعك من النكاح إلا عجزٌ أو فجور(٥) .

---

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه خ برقم (٥٠٦٥) ص [١٠٦/١٩] الفتح .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح الوصية برقم عام (١٦٣١) باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته .

(٣) إشارة إلى حديث معقل بن يسار - رضي الله عنه د : برقم (٢٠٥٠) في النكاح ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند [١٥٨/٣] [٢٤٥/٣] وابن حبان في الصحيح كما في الموارد برقم (١٢٢٨) .. وإسناده حسن .

(٤) ذكر ذلك الحافظ في الفتح ص [١٠٧/٩] .

(٥) وذكر الحافظ في الفتح هذا الأثر من ص [١٠٦/٩-١١٢] .

وقال الإمام أحمد: ليست العُزْبَةَ من أمر الإسلام في شيء[1].

أما الذي لا شهوة له فلا يستحب له الزواج، لكن يباح له، إذا لم تكن هنا مفسدة بسبب هذا الزواج.

والزواج فضيلة وصفة كمال، ومن سنن المرسليين، ومحبب إلى صفوة الخلق، صلى الله عليه وسلم، ويستوي فيه الذكر والأنثى؛ فالنساء شقائق الرجال[2] لهن مثل الذي عليهن بالمعروف، والزواج مشروع في حقها كما هو مشروع في حق أختها، والمصالح التي تحصل للذكر من الزواج تحصل للمرأة ومطلوب لها.

فالزواج يحصن الدين ويحفظه، وبه يحصل الولد الشرعي، فإن عاش نفع وإن مات شفع، وفيه تتحقق مباهات النبي - صلى الله عليه وسلم - بأمته، وفي الزواج إحصان الفرج، وغض البصر، والمحافظة على العزة والكرامة، ورَفيْع الأخلاق، والترفعُ عن الرذائل وسفاسف الأخلاق، وعن إيذاء الآخرين.

وبه يحصل السكن والراحة والتلذذ بالغريزة في طاعة الله وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فكل من الزوجين يتصدق على الآخر، فلم يكن الزواج لقضاء الوطر وإشباع الغريزة فقط، بل لهذه المصالح وغيرها من الفوائد. والهدف الأكبر هو بناء الأسرة التي تعبد الله وتساعد في بناء المجتمع، وهذه مصالح يحتاج إليها الرجل والمرأة، ومطلوبة لهما معًا.

إذا عرفنا هذا فاسمحوا لي أن أقول لكم بكل صراحة قاصدًا النصح لكم ولمن يسمع أو يبلغه، لقد شكى كثير من الفتيات، والأيامى أولياءهن في عضلهن ومنعهن من الزواج رغم وجود خاطب كُفء، وإنما المانع لأنه يخشى أن يشاركه زوجُها وأولادها في مالها الذي تحت يده أو في الوقف الذي تستحق فيه.

وهذا ظلم وجور، فبأي وسيلة أيها الولي تمنعها من لذة الحياة لأي مبرر تحرمها

---

(١) انظر فقه الحنابلة في هذا الموضوع، منها المغني في كتاب النكاح.

(٢) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - أحمد في المسند ص [٢٥٦/٦]، وإسناده جيد.

من الولد ، بأي نظام استحللت قهرها ، وكبتها ، وكسرَ شعورها ، وكتم أنفاسها ، بأي ضمير تَبيتُ أنت مع زوجتك ، وتحرمُها الزواج وقدخطبهامن هو كفء لها ، أما سمعت قول الله :

﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾(١) .

أما سمعت قوله : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَ ﴾(٢) ؟ أما سمعت قول النبي – صلى الله عليه وسلم – « يا علي ؛ ثلاثةٌ لا تُؤخرهن : الصلاة إذا أتت ، والجنازة إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفئًا »(٣) أما خَشيت أن تقع بسببك في محظور يوقعك تحت سخط الله والفضيحة ؟ أما تخشى من العقوبة فتحرم من زوجك كما حرمتها ؟ قلت لإحدى الشاكيات : إذا رغبت أن أكلم وليَّك وأنْصحه لعل الله أن يهديه فأعطني عنوانه فقالت : لو يعلم أبي أنني كلمتك لقتلني ضربًا . وقالت الثانية : إن جماعتي يعيبون على لو علموا أنني شكوت أخي .

إنني على يقين من أن هؤلاء المظلومات المعضولات المحرومات يشتكين إلى الله كلما خلت إحداهن في مضجعها والله تعالى يسمع شكواهن .

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾(٤) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾(٥) إنما هم أمانة ، إنما هم عارية فأحسنوا إليهم إن الله يحب المحسنين(٦) .

---

(١) سورة النور آية (٣٢) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣٢) .

(٣) الإمام أحمد في المسند [١٠٥/١] ، والترمذي في جامعه برقم (١٧٣) إسناده حسن ، وحسنه الترمذي ، ومعناه صحيح ثابت في أحاديث كثيرة وهو من علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه .

(٤) سورة المجادلة آية رقم (١) .

(٥) سورة الأنفال آية رقم (٢٨) .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة (١٩٥) .

أما المرأة التي تغتر بالمناظر ومعسول الكلام دون نظر في العواقب فإذا هي ترغب في رجل منحرف العقيدة، منحرف السلوك والأخلاق غير متزن الاتجاه. فإنما جعل الولي شرطًا في الزواج لا ليختار لها الأصلح والأكفأ، بل ليختار الزواج الذي يتوسم فيه حسن المعاشرة والإمساك بالمعروف. والرجالُ هم الذين يعرفون الرجال واتجاهاتهم وسلوكهم؛ فالولي هو المسئول عن مُؤليته إذا لم يستقم الحال.

لكن ينبغي أن يشرح الوضع لموليته لتقتنع.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم.

---

(١) سورة النور آية رقم (٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ،(١)

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ،

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه .

أما بعد .. فإننا نفتخر بإسلامنا وعقيدتنا ، ونفخر بنظام ديننا ، ونؤمن بأنه هو الحق والعدل وأنه هو منهج الإصلاح ، وميزان العدالة ، لا يقبل فيه أيُّ جدال ، ولا يرغب عنه بأي حال .

فيه عزنا وكرامتنا ، وفيه نجاتنا وفلاحنا ، رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، نبيًّا ..(٢) .

أيها الإخوة في الله ؛ قدْ يَحْتَجُّ بعض الناس المعاندين بأن منع المرأة من الخروج إلى ما تريد دون معرفة طريق السير ، ودون معرفة الاتجاه أن هذا عدم ثقة فيها ، وليس الأمر كذلك ؛ فأزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – هن أعف النساء وأشرفهن ، قد طهرهن الله ، واختارهن لصفوة خلقه – صلى الله عليه وسلم – والبيئة التي كن فيها هى أفضل القرون وأعف الشعوب وأتقى لله .

وقدْ أمرهن الله بالوقار في البيت وملازمته ، ونهاهن عن الخروج وعن التبرج على الرجال فقال تعالى :

---

(١) إشارة إلى حديث رفاعة بن رافع الزرقى – رضي الله عنه – خ برقم (٧٩٩) . وهو من دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – حينما كان يرفع رأسه من الركوع .

(٢) إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – مسلم في الصحيح الصلاة حديث رقم خاص (١٣) وعام (٣٨٦) وهذا لفظه ، يقوله العبد المؤمن بعد انتهاء الأذان غفر له ذنبه .

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[١] .

فليس منعها من الخروج تهمة لها ولا عدم ثقة بها وإنما هو لحمايتها من رجس الشيطان ، وتطهيرها و حفظ عرضها وسمعتها وكرامتها أن تنال فهو خير لها عند الله . ذكر ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره عن البراء بسنده عن أنس – رضي الله عنه – قال : « جئن النساء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقلن : يا رسول الله ؛ ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى فمالنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى . فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « من قعدت (أو كلمة نحوها) منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهد في سبيل الله تعالى »[٢] .

وذكر حديثًا آخر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقربُ ما تكون بروحة ربها وهى في قعر بيتها » ..[٣] .

وفي حديث ثالث : صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها ، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها »[٤] .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٣٣) .

(٢) أورده الإمام ابن كثير في تفسيره [٥/٤٥١] وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : هذا إسناد جيد اهـ .

(٣) أورده ابن كثير في تفسيره [٥/٤٥١] نقلًا من البزار ثم قال : رواه الترمذي عن بندار ثم ذكره قلت : بمعناه أخرجه أحمد في المسند [٦/٢٩٧] من حديث أم سلمة – رضي الله عنها .

(٤) أخرجه أبو داود في السنن برقم (٥٧٠) ، في الصلاة وصححه الحاكم في المستدرك [١/ ١٠٩] وهو من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – وإسناده صحيح .

وهذا القرآن نهى الصحابة عن دخول بيوت النبي إلّا بإذنه، وعن مخاطبة أزواجه إلّا لحاجة من وراء حجاب[١]. فإيما أفضل – أيها الناس – أنساء النبي أم نساء زماننا ؟ وأيما أكرم وأشرف أصحاب رسول الله أم رجال هذا العصر المادي الشهواني ؟

اتقوا ربكم، وتحسسوا أموركم، واعرفوا مجتمعكم، وحافظوا على دينكم وأخلاقكم وأماناتكم.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢].

---

(١) امتثالًا لأمر الله عز وجل في سورة الأحزاب آية (٥٣).

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثلاثون

٢٣ / ٧ / ١٤٠٠

[الترغيب في الزواج]

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، ملء السموات وملء الأرض وملء ما شاء(١) ربنا من شيء بعد .

وأشهد ألّا إله إلا الله وحده له شريك له .

لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع(٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله . وصفوته من خلقه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله .

أما بعد .. فحينما يعالج الإسلام الغرائز النفسية في الإنسان لايضغط عليها ، ولا يفنّدها وإنما ينظمُها ويطهرها ويوجهُها إلى مسلك الخير والصلاح ، ويرتفع بها عن مهاوي الضرر والفساد .

فالنِّساءُ والأولادُ : من الشهوات التي زُين حبُها للناس ، والميولُ الذي يجده كل واحد من الجنسين إلى الآخر أمر جُبِل عليه الإنسان لحكم بالغة بائعة ، وفيه مصالح للإنسان منها : استمرارُ التناسُل وبقاء الإنسان على هذه الأرض ؛ لأداء الأمانة التي حُمّلها . واتبّاع الرسالة التي أبْلِغها حتى الأجل المسمى .

---

(١) إشارة إلى دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - النسائي [١٩٨/٢] من حديث ابن عباس - رضي الله عنه - وإسناده صحيح وكذا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه [٢/ ١٩٩] .

(٢) هو نفس هذا الحديث وفيه هذا اللفظ الدعائي وأخرجه البخاري في الصحيح [٢٧٥/٢] ، الفتح ، ومسلم في الصحيح حديث رقم (٥٩١) ، وهو من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

وقد أعطى الإسلام لهذه الميول النفسيّة عناية كاملة ونظمه أجمل تنظيم ونسقها أكمل تنسيق. قال تبارك وتعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (٢).

وقال - صلى الله عليه وسلم - «يا معشر الشاب؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء» متفق عليه(٣). «الدنيا كلها متاع؛ وخير متاع الدُّنيا المرأة الصالحة»(٤). فالضغط والكبت شيء، والتنظيم والتنسيق شيء آخر، والانفلات والفوضى شيء ثالث، وإنما يكون جمال عقد المجوهرات في تنظيمه وتنسيقه.

فكلما كانْ نظمه متقنًا، وترتيبه شيقًا، كان أجمل منظرًا، وأغلى ثمنًا. فالغريزة في الإنسان لها أهداف سامية، وغايات نبيلة «إذا جاءكم من ترضون دينه

---

(١) سورة الروم آية رقم (٢١).

(٢) سورة النساء آية رقم (٣).

(٣) خ: [٩/٩٢] الفتح من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - ومسلم برقم (١٤٠٠) النكاح.

(٤) مسلم الرضاع برقم (١٤٦٧) باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنه.

وأمانته فزوجوه»[١]. «تزوجو الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»[٢].

فإذا نظمت بنظام الإسلام ولوحظت فيها المقاصد الشريفة فهى محمودة مطلوبة، تعتبر من كمال الإنسان وجماله، أما إذا انفرط عقدها، وتشتَّت نظامها، فقد ذهب جمالها وبهاؤها، وأصبحت شهوة حيوانية مذمومةٌ وخُلقًا سيِّئًا مستقذرًا قبيحًا. قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[٣].

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[٤].

﴿ الزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥].

والأسباب تتبع الغايات في الخير والشر، والحسن والقبح، والحل والحُرمة، والعبرة في الوصف والتقييم بموازين الإسلام ومقاييس رب السماء، لا بآراء البشر وأفكارهم ولا بر غباتهم وشهواتهم ولا بشذوذهم وإستحساناتهم؛ فالإنسان ضعيف

---

(١) ت: برقم (١٠٨٥) باب ما جاء فيمن ترضون دينه: وقال: حديث حسن غريب، وهو من حديث أبي حاتم المزني، وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي برقم (١٠٨٤)، والحاكم [٢/١٦٤،١٦٥].

(٢) د: برقم (٢٠٥٠)، النسائي [٦/٦٥،٦٦] وإسناده حسن، وهو من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٣) سورة الإسراء آية رقم (٣٢).

(٤) سورة الأعراف آية رقم (٨٠-٨١).

(٥) النور (٣).

قد تغلب عليه نفسه وتميل به رغباته ، والإيمان نور يضيء الطريق للمؤمن في تصرفاته .

ولو جُسّمت أفكار كثير من الناس التي تدور في رءوسهم هذه الأيام في تصريف أيام العطلة الصيفية ؛ لرأيتم المتضادات ولرأيتم الطيب والخبيث ، فالحمد لله على لطفه بأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وتيسيره « من هم بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنةً وإن عملها كتبت له عشر حسنات ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة وإن تركها من أجل الله أثيب على قصده »[(١)] .

والناس مختلفون في الاتجاهات والمقاصد ، فمن الناس من يأتي إلى المشاعر المقدسة بين مكة المشرفة وطيبة الطيبة قاصدًا بيت الله الحرام ، في عمرة طاهرة مطهّرة ، وزيارة لمسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عبادة نقية من الشوائب . فهؤلاء في أعلىٰ المقاصد وأسمى الفوائد ، يقضون أيامهم في طاعة ربهم ، واتباع منهج نبيهم محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - ؛ فيرجى لهم الثواب الجزيلُ ، والفوزُ العظيم ، وهذا هو ما يغيظ أعداء الإسلام .

ومنهم من يذهب لزيارة قريب ، أو عيادة مريض وذلك عمل خير وقربةٌ وصلةٌ .

ومنهم من يذهب للمباحات ، للاستجمام ، والاستطلاع والسياحة والتجارة ونحو ذلك ، فإذا حافظوا على شعائر دينهم وشيم أخلاقهم ؛ ترجى لهم النجاة ، ولكن الشرور تحيط بهم من كل جانب في العقيدة ، والسلوك ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتعَ فيه[(٢)] والمعصوم في عصمة الله .

ومنهم من يذهب إلى أسواق الدعارة ومراقص المومسات ؛ يتّبع مواقع الردى وبيوت الخنا ، يقضى ليله بين الخمر والزمر ،وبين الميسر والقمار ، ثم يقضى باقي وقته

---

(١) خ برقم (٦٤٩١) ، الرقاق باب (٣١) من هم بحسنة أو سيئة . من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يروى عن ربه عز وجل ثم ذكر الحديث ، ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان حديث رقم (٢٠٣،٢٠٤،٢٠٦،٢٠٧،٢٥٩) من هذا الوجه واللفظ وأحمد في المسند [٢٢٧/١] .

(٢) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنهما خ برقم (٢٠٥١) الفتح [٢٩٠/٤] وم المساقاة رقم الحديث (١٠٧) وأحمد في المسند [٢٦٩/٤-٢٧٠] .

في النوم لا يؤدى فريضة، ولا يقوم بواجب، ولا يذكر الله إلا قليلًا فهؤلاء في أسوأ حال، وأقبح مآل، صرفوا أموالهم فيما حرم الله، وضيعوا أوقاتهم في معصية الله، قد خسروا دينهم، ودنياهم، ودنسوا سمعة بلادهم، وشوهوا سمعة الإسلام، وهذا هو غاية ما يتمناه أعداء الإسلام.

وسيلحق إثمُ هؤلاء بمن يعينهم وسيسأل عنهم من يقدر على منعهم ولم يمنعهم، كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته[١].

فاتقوا الله أيها المسلمون؛

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[٢].

« وأحصنوا أولادكم بالزواج المبكر، وخففوا من تكاليفه، ولا تغلبكم العادات على تأخير الزواج بعد سن البلوغ. والنساء شقائق الرجال، إن جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه »[٣].

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٤].

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. اللهم؛ أبرم لهذه الأمة أمر رشدها .... إلخ إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - خ [١٣/١٠٠] الفتح ومسلم برقم (١٨٢٩).
(٢) المائدة (٢).
(٣) الترمذي برقم (١٠٨٥)، في النكاح من حديث أبي حاتم المزني - رضي الله عنه - وله شاهد عند الترمذي برقم (١٠٨٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وابن ماجة برقم (١٩٦٧)، والحاكم في المستدرك [٢/١٦٤، ١٦٥] ... وإسناده حسن.
(٤) المائدة (٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع ملته واقتفى أثره .

أما بعد . فإن الإسلام قد أعطى المرأة المسلمة حظًا وافرًا في الإسلام ، ورفع مستواها ، وعظم شأنها ، وأعطاها حقها ، وصانها من الابتذال ، وحماها من كيد الرجال ، ومكر الأنذال ، وحمَّلها مسئولية عظيمة في الحياة ؛ فحرمها على غير المسلم ؛ لأنه لا يقدرها قدرها ، ولا يعرف رسالتها في الوجود ، وحرم على المسلم الزواج من المشركة ؛ محافظة على كيان المرأة المسلمة ، وحافظ على صحتها فنهى عن الوقاع في غير طهر لما في ذلك من الأذى(١) وأوجب لها الإمساك بالمعروف ، والمعاشرة الحسنة أو التسريح بالإحسان وأوجب لها الحقوق المالية والرعاية الاقتصادية .

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾(٢) .

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾(٣) .

وجعل لها الحق في طلب النظر في حياتها الزوجية إذا لم يقدر لها النجاح ، وإذا لم يتوفر لها الارتياح .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ **فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ** ﴾ آية رقم (٢٢٢) . انظر الأحاديث الواردة في الموضوع ابن كثير في التفسير [١/٤٥٨-٤٧١] .

(٢) سورة النساء آية رقم (٢٠) .

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٣٧) .

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾(١).

وجعل لها من الحقوق مثل ما عليها، مما يتفق مع أصل الفطرة والتكوين، وخوطبت بالتكليف والتشريع كما يخاطب الرجل، ولما كانت مهمتها في الحياة شاقة وواجبُها كبيرًا حفف عنها في بعض التكاليف؛ فلم يوجب عليها الجهاد، ولم تؤمر بقضاء الصلاة في أيام العذر، ولم توجب عليها صلاة الجمعة ولا الجماعة، ولم تكلف بالإنفاق على نفسها وأولادها وإنما ذلك واجب على الرجل، وحَفِظ عرضها وسمعتها من الابتذال والإهانة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

وما إلى ذلك من الحقوق التي حفظها الإسلام للمرأة ورعاها بها، وأوجب عليها الترفع عن مواطن الذلة والابتذال، وأمرها بعزة النفس، وصانها بنظام الحجاب وأسلوب العفة أن ينال أحد منها ولو لين المقال.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾(٣).

فاتقوا الله أيها المسلمون اتقي الله أيتها المرأة المسلمة، قد أعطاك الله مكانة في الإسلام فلا تهمليها، ورفعك إلى مستوًى رفيع فلا تنزلي عنه، وأحاطك بحصن حصين فلا تُصدعي قواعده.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

(١) سورة النساء آية رقم (٣٥).

(٢) سورة النور آية رقم (٢٣).

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٣٢).

ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(١) .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(٢) .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وزوجاته أمهات المؤمنين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللهم ؛ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين .

اللهم ؛ أمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد ولما تحب وترضى ، اللهم اغفر لجميع المسْلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ؛ اللهم فرج هم المهمومين ، واقض الدَّين عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٣) .

فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(٤) .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٧١) .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

(٣) سورة النحل آية رقم (٩٠) .

(٤) سورة العنكبوت آية رقم (٤٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الحادية والثلاثون

١٥ / ٢ / ١٤١٠

[الحث على تكثير النسل]

الحمد لله رب العالمين . ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ (١) .

وأشهد ألّا إله إلّا الله وحده لا شريك له ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ (٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن الذين يتحدثون عن الكبت وأضراره ، وما يُسببه من عُقَد نفسية - لا يفرقون بين الكبت وبين الضبط ، والفرق بينهما شاسع ، فالكبت معارضة الغرائز ، التي جُبل عليها الإنسان ، وأما الضبط فهو تنظيم الغرائز والشهوات ، وتوجيهُها توجيهًا سليمًا ، بِحيثُ يُحقق للفرد رغبتَه من دون ضرر عليه ولا على المجتمع ، وبحيث تكون تلك الشهواتُ تحت إرادة الإنسان وتوجيهه ، فلا يستسلم لضغطها ونزواتها . والبَنُون من الشهوات التي زين للناس حبها في أصل تكوين الإنسان ، فمحاولة كبت هذه الغريزة في الإنسان بتحديد النسل بصفة جماعية بحجة قلة الكفاية الاقتصادية في بلد ما أو بدعوى ضخامة السكان في شعب من الشعوب ، يُعتبر ذلك كبتًا لحرية الإنسان ، وقتلًا لتلك الغريزة ، وهو تخطيط عُدواني خبيث

---

(١) سورة السجدة آية رقم (٧،٨) .

(٢) سورة الأنعام آية رقم (١٨) .

لتقليل الطاقة البشرية في المستَهدفين ، وكفى أنه مخالفٌ لنصوص شريعتنا وتَضْليلٌ عن أهدافها ومقاصِدها . قال تبارك وتعالى في معرض الامتنان :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[1] .

وقال سبحانه في معرض الحث على طلب الذُّرية .

﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[2] .

أي : من الولد . قاله ابن عباس وعددٌ من التابعين ، وروى أبو داود والنسائي رحمة الله عليهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « تزوجو الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم »[3] .

وروى أحمد - رحمه الله - في مسنده عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « انكحوا أمهات الأولاد ، فإني أباهي بهم يوم القيامة »[4] والمراد هنا بأمهات الأولاد اللواتي عُرف نساؤهن بكثرة الأنجاب .

ولا يخفى ما للطاقة البشرية من قوة ومنعة ونفوذ ، فلا يكون الجهاد إلا بالرجال ، ولا تكون حماية البيضة إلا بالرجال ، فهم الذين ينتجون الآليات ويستعملونها .

وكما أن حب الأولاد جبلةٌ فَلَهم نفع يرجى وثواب ينتظر لمن أحسن التربية واتقى صَحبةٌ في الدنيا وجمال وقوة ، ودعاء بعد الممات واستغفار وصلة . روى مسلم

---

(١) سورة النحل آية رقم (٧٢) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٨٧) .

(٣) أخرجه أبو داود [٢/٥٤٢] حديث (٢٠٥٠) ، والنسائي [٦/٦٥،٦٦] ، والحاكم [٢/١٦٢] وهو صحيح .

(٤) أخرجه أحمد [٢/١٧٢] وهو ضعيف .

في صحيحة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»(١).

وروى أحمد في مسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، «إن الله عز وجل ليرفَع الدرجة للعبد الصالح في الجنة؛ فيقول: يا رب؛ أنّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك، أما إذا مات الأولاد قبل أبويهم واحتسبا وصبرا كانوا لهما حجابًا من النار، وسببًا لدخول الجنة، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحِنْث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»(٢) متفق عليه.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: جاءت امرأة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله؛ ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه، تعلِّمنا مما علَّمك الله. قال: «اجتمعن يوم كذا وكذا فاجتمعن، فأتاهن النبي - صلى الله عليه وسلم - فعلَّمهنَّ مما علمه الله».

ثم قال: «ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابًا من النار». فقالت امرأةٌ: واثنين؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «واثنين».

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - يرفعه إن أفراط المسلمين الصغار: دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال: بيده - فلا يتناهى أو ينتهي حتى يدخله الله وإياه الجنة. إن الذي خلق الإنسان وكَتَبَ لِذَريته البقاء، ورغب في تكثير النسْل - تكفَّل بأرزاق خلقه، فهو سبحانه يرزق الأولاد كما يرزق الآباء، ويرزق الفقير بسبب الأولاد، فما من مولود إلا ورزقه مكتوب في الأذل، ومسطر في سجله، فيولد رزقه معه، وعلى الإنسان فعل الأسباب، وفق شرع الله، وحسبَ سنة نبي الرحمة - صلى الله عليه وسلم -.

---

(١) صحيح مسلم [٣/٢٥٥] حديث (١٦٣١).

(٢) أخرجه أحمد [٢/٥٠٩]، والطبراني في الأوسط.

والذرية مظهر من مظاهر القدرة الإلهية في العطاء والحرمان فليس في مقدور أحد من البشر أن يخلق نُطفته إنسانًا، ولا أن يجعلها ذكرًا ولا أنثى، ولا أن يختار صفات معينة، وإنما ذلك لله وحده، فإرادته قاهرة وحكمته بالغة.

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[1].

فالخالق تعالى بعطائه ومنْعه قسم خلقه أربعة أقسام:

قسم يعطيه إناثًا بلا ذكور مثلُ لوط عليه السلام.

وقسم يعطيه ذكورًا بلا إناث مثلُ إبراهيم الخليل عليه السلام.

وقسم يُعطيه إناثًا وذكورًا مثلُ نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

فله أربع بنات وأربعة بنين.

والقسم الرابع لا يولد له لا ذكور ولا إناث، وهو العقيم مثلُ يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام.

وقد يمضي على الإنسان معظم حياته لا يولد له، ثم يوهب ما شاء الله من ذكور أو إناث.

وقد يمضي عليه أكثر عُمُره يولد له نوعٌ من الجنسين، ثم يوهب له الجنسُ الآخر في آخر حياته.

والتقديم في الخطاب يقتضي غالبًا الاهتمام وزيادة معنى، ففي الآية المتقدمة قَدَّم تعالى ذكر الإناث، ردًّا على تصورات الجاهلية ورواسبها من التسخط للإناث،

---

(١) سورة الشورى آية رقم (٤٩، ٥٠).

والتذمر منهن. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1] أي ساكتٌ من شدة ما فيه من الحزن والخجل، فإذا قيل له: جاءك ابنة؛ يحزن، ولا يتكلم، ولا يرد على المبشر، ولا يدعو للمولودة وأمها، بل يسخطها، ويمقت أمها.

وهل تملك الأم المسكينة شيئًا؟! لكن لا زالت بعض رواسب الجاهلية موجودة عند بعض الناس، ولو يعلمون ما في الإناث من الثواب والخير والبركة لما سخطوهن، ولو أيْقنوا بأن إرادة الله هي المقسمةُ، وهي الواهبة لما سخطوا هبة الله، وكم من بنت أبر من أخيها؟! وتمتاز بما أخبر به – صلى الله عليه وسلم – روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من عالَ جاريتين حتى يبلغا؛ جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا، وضم أصبعيه» ومن صحب النبي، صلى الله عليه وسلم، دخل الجنة.

وروى الإمام البخاري – رحمه الله – في الصحيح عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: دَخَلتْ عليَّ امرأة معها ابنتانِ لَها تسأل، فلم تجد عندى شيئًا غير تمرةٍ، فأعطيتها إياها، فقَسَمَتْها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت فدخل النبي، صلى الله عليه وسلم، علينا فأخبرته فقال: «من ابتُلي من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار»، وهذا مشروط بالإحسان والتقوى، والأخوات ونحوهن ممن يعولهن الإنسان مثلُ البنات في الأجر والسَّتْر.

روى أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لا يكون لأحد ثلاثُ بنات، أو ثلاث أخوات، أو ابنتان، أو أختان، فيتقي الله فيهن ويحسنُ إليهن إلا دخل الجنة».

قال يعقوبُ بن بُخْتان: وُلِدَ لي سبعُ بنات، فكنت كلما ولد لي ابنة دخلت على أحمد بن حنبل فيقول لي: يا أبا يوسف؛ الأنبياء أباء بنات فكان يُذهب قولُه همي.

وكان رجل من إخواننا المعاصرين ولد له خمس بنات متواليات، فسخط ذلك، فلما حملت امرأته البطن السادس، وقع في نفسه أنه إن جاءت بابنة طلقها،

---

(١) سورة النحل آية رقم (٥٨).

فلما قربت ولادتها رأى في المنام كأنه مات وحملته الزبانية إلى النار، فلما جاء الباب الأول وجد عنده ابنته الأولى، فقالت: هذا أبي لا يدخل النار، فذهبوا به إلى الباب الثاني، فوجد ابنته الثانية فأبت دخوله هكذا خمسة أبواب فاستيقظ مذعورًا قد عرف حق البنات وأجرهن، وقال: يا رب اجعل حملها بنتًا وارزقنا سابعة ليكن عدد أبواب جهنم.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ واعلموا أن الخلق لله، وأن الرزق بيد الله.

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[1].

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم.

---

(١) سورة الشورى آية رقم (٤٩، ٥٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، حَكم عدل ، أمر بالعدل .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، مُطّلع على خلقه ، يعْلم القاسطين من المقسطين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ ، وعلى آله وأصحابه ،

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن القَسْم بين الزوجات لمن عنده أكثرُ من واحدة واجب ؛ لأن الله تعالى أمر بمعاشرة النساء بالمعروف ، وليس مع الميل معروف ، ويجب على الزوج أيضًا أن يُوفي لكل واحدة من أزواجه كسوتها ونفقتها ومسكنها .

وما زاد عن ذلك مثْلُ المودة فليس إليه . وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يَقْسم بين نسائه فيعدل ، ويقول : اللهم ؛ هذا قسمي فيما أملك ؛ فلا تلمني فيما تملِك ولا أملك . يعني : الجماع والمود وميل القلب .

وقوامُ القسم المبين فيبيتُ عند كل واحدة ليلة ، يدُور عليهن ، ويحرم عليه أن يُعطي إحداهن حق الأخرى إلا برضاها . فإن غمطها حقها فهوا متقوٌّ عليها مستضعفًا لها ، فهو على خطر عظيم ووعيد شديد .

روى الترمذي ، وأبو داود ، والنسائي ، والدارمي بسند صحيح عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « إذا كان عند رجل امرأتان فلم يعدل بينهما ، جاء يوم القيامة وشقه ساقط » .

وقد شكا عددٌ من النساء أزواجهن بأنهم بعد أن تزوجوا عليهن جَفَوهن في

النفقة والكسوة والمبيت ، وقالت إحداهن : إن زوجها جفا أولاده منها فلم يقم بواجب النفقة والرعاية ، وقالت أخرى : إن زوجها جفاها في المبيت فإذا كانت ليلتها يسهر مع أصدقائه ، ولا يأتي إليها ، فلما كلَّمته قال : اللهم هذا قسمي فما أملك فلا تلمني فيما لا أملك .

فَنقُول لأولئك الأزواج الجفاة : هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟! حينما كنت فقيرًا ناشئًا ، وأم أولادك تعاشرك على ما كان منك ، وعلى ما كان من العيش ، فلما نثرت لك بطنها ، وملأت لك حجرها ، وأغناك الله ؛ تكبرت عليها !! ونسيت حسن معاشرتها !! ليس هذا من خلق الرجال . إن القسم والتسوية بين الزوجات في المبيت والنفقة والكسوة في مقدور الإنسان ، وإنما لا يملك ميل القلب والمودة ، فاتقوا الله .

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(١) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

---

(١) سورة النساء جزء من الآية رقم (١٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية والثلاثون

٢١ / ٧ / ١٤٠٢

[لا يكون الخاطب مَحْرما للمرأة إلا بالعقد]

الحمد لله على نعمة الإسلام ، والحمد لله الذي جعل ولايتنا فمن يُقيم شريعة الله .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(١) .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن شريعة الإسلام حريصة على إصلاح المجتمع ، وصيانة الدماء والأعراض والشرف والأموال ، فوضعت قواعد للتشريع ، وخصت نظام الأسرة بالتفصيل والتركيز ، فهي تريد أن ترقى بالأمة المسلمة إلى المنزلة اللائقة بها عزًا وكرامةً وخلقًا وشرفًا وقربًا من الله تبارك وتعالى ، فلا يستحق القرب من الله إلا المطهرون حسًا ومعنىً .

فالإنسان خلقت فيه دوافع وميولات إلى الغرائز التي خلقت فيه ، ولم تخلق إلا لحكم ومصالح وأهداف سامية ومقاصد شريفة تعود على الإنسان نفسه .

والإسلام نظام سماوى تنزيل من حكيم عليم يُنظم حياة الإنسان ويوجه مسيرته إلى الهدف الذي من أجله خلق لإصلاح سلوكه ، وتطهير أعماله وأخلاقه ؛ ليستحق

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١٢٨) .

القرب من الله ومناجاته، والخلود في نعيمه ومرضاته.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(١).

فميول كل واحد من الذكر والأنثى إلى الآخر معروف وتبادل المودة والتعاطف، يحث على بناء الأسرة والولادة وإنتاج النسل لبقاء الإنسان على هذه الأرض لاستمرار عبادة الله فيها حتى منتهاها.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾(٢).

والإسلام لا يصادم هذه الغريزة ولا يكبتها؛ وإنما ينظمها ويوجهها إلى الهدف الذي من أجله خلقت، وهو بناء الأسرة الطيبة الطاهرة التي تؤمن بالله وتَعبُدُ الله.

بل الإسلام يُنَمي هذه الغريزة ويحث على استثمارها. في حقولها المخصصة لها.

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث معقل بن يسار رضي الله عنه عند أبي داود، والنسائي، والحاكم وصحَّحه: «تَزَوَّجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»(٤).

(١) سورة الأعراف آية رقم (٣٥،٣٦).

(٢) سورة الذاريات آية رقم (٥٦-٥٨).

(٣) سورة البقرة آية رقك (٢٢٣).

(٤) أخرجه أبو داود [٥٤٢/٢] حديث (٢٠٥٠)، والنسائي [٦٥٦٦/٦]، والحاكم [١٦٢/٢] وهو صحيح.

ومن أجل المحافظة على هذه الجبلة التي قد تسيطر على مشاعر الإنسان، حث الإسلام على الزواج وبيَّن طرقه وصِلاته ابتداء من الخِطبة ومِمَّن تُطلب وإلى من توجه؟، وأباح النظر إلى المخطوبة عند العزم في حدود ما يبيح الشرع النظر إليه: الوجه وأطراف اليدين والرجلين، يحتال حتى يراها، أو بحضور محرم المرأة أبيها أو أخيها أو وليها.

وإنما أبيح النظر ليكون بناء الأسرة على أساس القناعة والرغبة لتثبيت قواعدها، لا للعبث والاستهتار وأوجب رضا الزوجين وموافقة الولي، ونهى أن تزوج المرأة نفسها فقال، صلى الله عليه وسلم: «لا نكاح إلا بولي». وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أيما امرأة نَكَحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن اشتجرا فالسلطان ولي من لا ولي له».

روى الحديثين الإمام أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة والدارمي بإسناديين صحيحين(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لا تُزَوج المرأةُ المرأةَ ولا تزوج المرأةُ نفسها؛ فإن الزَّانية هى التي تزوج نفسها»(٢). رواه ابن ماجة.

كما أمر الإسلام بإعلان النكاح، محافظة على كرامة المرأة والرجل، وصيانة لعرضها، وسدًّا لمداخل إبليس.

ومن أجل صيانة وحرمة الأسرة وحفظ الأنساب وطهارة المجتمع حرم الإسلام

---

(١) الحديث الأول أخرجه أحمد [٣٩٤/٤]، وأبو داود [٥٦٨/٢] حديث (٢٠٨٥)، وابن ماجة (١٨٨١)، والدارمي [١٣٧/٢]، والحديث الثاني أخرجه أحمد [٤٧/٦،١٦٥]، وأبو داود [٥٦٦/٢]، حديث (٢٠٨٣)، وابن ماجة (١٨٧٩)، والدارمي [١٣٧/٢] وهما صحيحان.

(٢) أخرجه ابن ماجة (١٨٨٢) صحيح دون الجملة الأخيرة، إرواء الغليل [٢٤٨/٦].

الفحشاء بجميع أنواعها، حرم الزنا وعاقب عليه، وحرم اللواط ومقته ورتب عليه حَدًا يليق بشناعته. وسدَّ الأبواب التي توصل إلى الفحشاء، وقطع أسباب الزنا والتحلل؛ فأمر بغض البصر والاستئذان عند دخول البيوت وحذر من النظرة بعد النظرة لأنها سهم من سهام إبليس يُصيب بها قلب المؤمن والمؤمنة فتجرحه وقد تَتْرك فيه علةً قاتلة تُسبب عارًا أسود يخرب الديار ويسفك الدماء.

أمر الإسلام المرأة بحفظ زينتها وجمالها وسترها عن غير محارمها، وحرم عليها الخلوة بأجنبي والخاطب الراغب في الزواج ليس بمحرم حتى يتم عقدة النكاح. فحرام على المرأة وحرام على الرجل أن يخلو بخطيبه قبل العقد فضلًا عن السفر بها أو الخروج معها إلى النزهة، قبل إجراء عقدة النكاح.

والرجل الذي يترك ابنته أو أخته أو موليته تذهب مع خطيبها لاخير فيه ولا غيرة عنده، والخاطب الذي يغرر بمخطوبته فيخرج بها ويخلو بها رجل سوء.

والمرأة التي توافق على ذلك إما مخدوعة أو لا تبالي بشرفها ودينها. فكل وصال قبل العقد صغيرًا كان أو كبيرًا محرم، وإنما أبيح النظر إلى المخطوبة على صفة معينة في وقت محدود، وبحضور المحرم. عباد الله؛ إنه لا يجوز للمرأة أن تصف لأخيها زميلتها أو صديقتها حتى كأنه يراها، ولا يجوز لها أن تصف أخاها لزميلتها كأنها تراه، ولا يجوز العمل على الوصال بين أخيها وزميلتها بدعوى الرغبة في الخطبة والزواج؛ إن ذلك نوع من الجراءة والدياثة يُعاقب عليه من يفعله.

والرجل الذي لا يسأل عن ابنته أين ذهبت؟ ولا مع من خرجت؟ ولا مع من كلمت في الهاتف؟ رجل مهمل مقصر.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ تمسكوا بإسلامكم وأخلاقكم، واحذروا العادات المستوردة من الشرق والغرب؛ فإنهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون بدين، لا يتصفون بخلق العفة والطهارة.

احذروا أخلاق اليهودية والماسونية فإنها ترسل عوائدها وأخلاقها إليكم بكميات كبيرة ومغلفة بغلاف منظره خادع لهدم الإسلام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ
أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ
لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ
وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة النور آية رقم (٣١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمه المتوالية، فهو أهل الحمد والثناء.

وأشهد ألا إله إلّا الله، وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الفوز والنجاة.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله وصفوته من خلقه خليل الله وكليمه.

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فإن النصوص الواردة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - تدل على أن الولي شرط في النكاح.

فعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا نكاح إلا بولي». رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجة، والدارمي(٢) وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل؛ فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها؛ فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له». رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجة، والدارمي(٣).

---

(١) التوبة (١٢٨).

(٢) أخرجه أحمد [٣٩٤/٤]، وأبو داود [٥٦٨/٢] حديث (٢٠٨٥)، وابن ماجة (١٨٨١)، والدارمي [١٣٧/٢] وهو صحيح.

(٣) أخرجه أحمد [١٦٥،٤٧/٦]، وأبو داود [٥٦٦/٢] حديث (٢٠٨٣)، وابن ماجة (١٨٧٩)، والدارمي [١٣٧/٢] وهو صحيح.

والأحاديث المتقدمة آنفًا في الصحيحين تدل على أن الولي هو الذي يزوج، لكن برضى المرأة وإذنها. فهي تدل على اشتراط الولي.

فالولي يختار ويستأمر المرأة إن كانت ثيبًا ويستأذنها إن كانت بكرًا. فإن وافقت وإلا فلا يجبرها.

وإذا خطب الكفُء الذي ترضاه، فلا يجوز للولي أن يمنع من تزويجها فإن عضل الولي الأقرب زوَّج الذي بعده، أو السلطان ونائبه قاضي البلد، وإلا حق بالولاية الآباء الأقرب فالأقرب، ثم ابن المرأة وأبناؤه الأقرب فالأقرب، ثم الأخوة كذلك، ثم أبناء الأخوة، ثم الأعمام، ثم أبناؤهم بحسب الأقدمية في الميراث، ثم السلطان فهو ولي من لا ولي له.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفحلون.

عباد الله.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1].

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة والثلاثون

٢١ / ٣ / ١٤٠٠

[من شروط النكاح رضى الزوجين]

الحمد لله لا نحصي ثناء عليه له الحمد في الآخرة والأولى .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له (وله الحمد في السموات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون)(١) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾(٢) .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، واتبع سبيله .

أما بعد .. فقد اعتنى الإسلام بتنظيم الحياة الزوجية ، وجعل لها قواعد تُبنى عليها ، وعالج الأحوال التي تطرأ عليها .

قال تباك وتعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣)

---

(١) سورة الروم آية رقم (١٨) .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٤٥-٤٦) .

(٣) سورة الروم آية رقم (٢١) .

فالسكن إلى الزوج : هو الأنس والارتياح ، والاطمئنان ، والمودة . والرحمة من مقومات السكن وأسبابه ، وهذا هو أساس الحياة الزوجية .

فالحياة الزوجية هي المصدر للإنتاج البشري الذي من أجله خلق الذكر والأنثى . والأسرة هى المحضن الذي يُنشَّأ فيه الأولاد ، وتربي فيه الأجيال .

فالأخلاق التي تسود في الأسرة ينشأ عليها الأولاد ويتربَون عليها ؛ فوجب أن تكون صِلات الأسرة وأخلاقُها مبنيةٌ على المودة والرحمة ، والارتياح والاطمئنان والأنس ؛ لتستقيم الحال بعيدة عن الخلاف الشقاق والضغائن ، ولينشأ رجال المستقبل مُهيئين لتحمل مسئوليات الحياة ، وتفهم متطلباتها على أساس التعاطف ، والتراحم ، والتعاون والمودة .

ومن أجل المحافظة على هذه الأسس ؛ نظم الإسلام بناء الأسرة من أول تحركاتها ، وجعل لها شروطًا تضمن تحقيق الأهداف الزوجية ، وتوفر المصالح الزوجية ، وتطهرُ الأسرة من المنغصات ؛ فجعل للنكاح شروطًا ، وجعل للأسرة نظامًا ، وجعل للخلافات الطارئة علاجًا .

ومراعاة للمقام اقتصر على الشرط الذي قد أخل به كثير من الناس وحصل بسبب إهماله تنغيصُ الحياة الزوجية وهدمُ بنائها ، وتفريقُ أسرتها .

فمن شروط النكاح رضا الزوجين ، فكما أن الرجل لا يتزوج إلا بمن يرغب فيها ويرضاها ، فكذلك المرأة لا تزوج إلا برضاها ، وقد بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجوبَ رضا المرأة بالزواج ، وأنه يحرم إجبارها على من تكره الزواج منه .

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تُنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تُنكح البكر حتى تستأذن ؛ قالوا يا رسول الله : وكيف إذنها ؟ قال أن تسكت »(١) متفق عليه .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تُستأذن ، وإذنها صُمَاتُها »(٢) .

(١) صحيح البخاري [٢٣/٧] ، ومسلم [١٠٣٦/٢] حديث (١٤١٩) .
(٢) صحيح مسلم [١٠٣٧/٢] حديث (١٤٢١) ، وأصحاب السنن الأربعة .

فلو زوج الأب أو غيرُه من الأولياء موليته الثيب من دون رضاها رد نكاحها .

روى البخاري - رحمه الله - أن امرأة زوجها أبوها ، وهي ثيبٌ فكرهت ذلك فأتت النبي - صلى الله عليه وسلم - فرد نكاحها(١) .

وفي رواية ابن ماجة : رد نكاح أبيها .

أما والبكر إذا زوجها أبوها من دون رضاها فلها الخيار في القبول والرد ؛ لحديث لابن عباس - رضي الله عنهما - قال : إن جارية بكرًا أتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكرت أن أباها زوجها ، وهي كارهة ، فخيرها النبي - صلى الله عليه وسلم - رواه أبو داود(٢) .

فإذا اختارت الفسخ فذلك حق لها ، ويجب إعطاؤها حقَها .

ومع الأسف الشديد ، لا زال بعض الناس يُكرهون بناتِهم على الزواج . مع أن العلم كثر ، والثقافة انتشرت ، وتعلمت النساء ، وأصبحن يعرفن حقوقهن ، ويصارحن آباءهن بالرفض ، وعدم القبول . فماذا نقول لهؤلاء ، أليسوا بمسلمين ؟! ألا يعرفون العدل ؟!

أم بأى شيء يفسر هذا الإكراه ؟! ولأي شيء يكره ابنته على زوج لا ترغب فيه إن موضوع الإجبار لا يتفق مع قواعد الزواج ؛ فلا تحصل به مودة ، ولا رحمة ، ولا سكن ، وأما تحيير الرجل ابنة عمه ، ومنعها من الزواج بغيره ، فذلك من أعمال الجاهلية التي أبطلها الإسلام .

فالاسلام حفظ حق المرأة كما حفظ حق الرجل ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾(٣) الإسلام أعطى المرأة حقوقها كاملة : حفظها ، وحافظ عليها ، وأحاطها برعايته وعنايته .

---

(١) صحيح البخاري [٧/٢٣] ، ورواية ابن ماجة (١٨٧٣) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٩٦) ، وابن ماجة (١٨٧٥) ، وأحمد (٢٤٦٩) ، وقد صححه أحمد شاكر .

(٣) سورة البقرة آية (٢٢٨) .

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ لا يجوز للرجل أن يُجبر ابنته على الزواج ممن لا ترغب فيه. لا يجوز للولي أن يصادق بها، ولا أن يُرضي بها قريبًا، ولا أن يجرُّ بها لنفسه، أو لولده نفعًا.

وإنما اشترط الولي في النكاح؛ لضبط الأمور؛ ومحافظة على كرامة المرأة وسمعتها؛ ومن أجل اختيار الكفُء الذي تتوفر فيه مقومات الحياة الزوجية، وتتوفر فيه كفاءة الولاية على الأسرة. فإذا خطب من فيه الكفاءة فليقنعها بالتي هى أحسن، وحينئذ يتوجه على المرأة إذا عرفت من وليها حسن الاختيار، والسعي في مصلحتها، ينبغي أن تقبل مشورته، وأن ترضى باختياره، فإن الأب في الغالب يحرص على ما يسعد ابنته، وما ينير الطريق أمام مستقبلها، وما يرى فيه راحتها وأنسها، فإن رضيت فبها، وإلا فلا يجبرها.

ويجب أن تعلم المرأة أن الرجال أعلم بأخلاق الرجال وكفاءتهم وسلوكهم، ولا يخدع غالبًا بالمظاهر. وزخرف القول.

بخلاف المرأة فإنها لا تحتك بالرجال، وقد تُخدع بأمر من الأمور. بمظهر خلاب، أو بقول معسول.

جاءت إمرأة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - تستشيره في الزواج من أحد الخاطبين؛ فقال عليه الصلاة والسلام: «أما فلان فصعلوك لا مال له، وأما فلان فلا يضع العصا عن عاتقه»[1].

أي: أنه يكثر من ضرب نسائه.

وإذا تأملنا الخلافات الزوجية وجدنا أكثرها ناشئًا عن عدم الرضا ابتداء بالزواج، إما أن تكون مكرهة، أو مخدوعة فتجد خلاف ما تعتقد، كما أن بعض الخلافات تنشأ من أمور طارئة، أو بمؤثرات خارجية. وقد جعل الإسلام لكل حلًا وعلاجًا، فيجب على المسلم أن يعرف ما يلزمه من أحكام الإسلام، وأن يعمل بها، وأن يحب

---

(١) صحيح مسلم [١١١٤/٢] حديث (١٤٨٠).

لابنته وموليته ما يحب لنفسه من الراحة والسعادة ، والمودة والرحمة ؛ فلا يجبرها على من لا ترغب فيه ، ويجب على الخاطب أن يعرف الحقوق الزوجية ، وشروط النكاح ، وأن يعرف ما للنساء من حقوق ، فلا يغضب إذا ردّت خِطبته ، ولا يجد في نفسه على قريبة إذا لم يجبر ابنته على الزواج منه فالحق في ذلك حقها ، هى التي ستعاشر وتضاجع ، وهى التي ستسعد بالزواج ، أو تشقى ، وليس للأب في ذلك شيء .

والعاقل لا يرضى أن يَدْخل على امرأة رفضت قبوله ، فضلًا عن أن يطلب من وليها إجبارها عليه .

فاتقوا الله عباد الله ؛

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(١) .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . اللهم ؛ فهمنا سنة سيد المرسلين ، وعلمنا أحكام الدين ، واجعلنا من عبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، واغفر لنا ولأمهاتنا وآبائنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) سورة النساء آية (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، اللهم ؛ لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم ؛ ارزقنا شكر نعمك كما تحب وترضى .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم صلِّ على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فإن الإسلام حرَّم ثلاثة أنواع من الأنكحة لقيام وصف عارضَ بها ، وهى : نكاح الشغار ، ونكاح المتعة ، ونكاح المحلل .

فنكاح الشغار أن يزوج الرجل موليته على شرط أن يزوجه الآخر موليته : ابنته أو أخته .

روى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال نهى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن الشغار(١) .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الشغار . والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الرجل الآخر ابنته وليس بينهما صداق(٢) .

وأما نكاح المتعة فهو الزواج المحدود بأجل مثل أن يقول زوَّجتك ابنتي شهرًا ، فإذا تم الأجل ملكت المرأة نفسها ، وفارقها زوجها بلا طلاق ، وكانت المتْعة أحلت في صدر الإسلام في حالات خاصة ، ثم نسخت وحرمت إلى الأبد ، وعامة الصحابة والفقهاء على تحريم المتعة ، وابن عباس - رضي الله عنهما - رجع عن فتواه بحلها ، وممن روى عنه تحريم متعة النساء علي - رضي الله عنه - وابن عمر ، وابن مسعود ، وابن الزبير - رضي الله عنهم - قال في المغني : قال ابن عبد البر : وعلى تحريم المتعة

---

(١) صحيح مسلم [١٠٣٥/٢] حديث (١٤١٦) .

(٢) صحيح البخاري [١٥/٧] ، ومسلم [١٠٣٤/٢] حديث (١٤١٥) .

مالكٌ وأهل المدينة ، وأبو حنيفة وأهل الكوفة ، والأوزاعي في أهل الشام ، والليثُ في أهل مصر ، والشافعي وسائر أصحاب الآثار.

روى البخاري ، ومسلم – رحمهم الله – عن علي – رضي الله عنه – قال لعبد الله ابن عباس – رضي الله عنهما – أما علمت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نهى عن المتعة(١) .

وأما نكاح المحلل فسببه أن يطلق رجل زوجته بالثلاث ، فليس له عليها رجعة حتى تنكح زوجًا غيره ؛ لقوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ** ﴾(٢) .

فيتفق المطلق أو المطلقة مع رجل على أن يتزوجها ؛ ليحللها لزوجها الأول فهذا زواج محرم ، ملعون صاحبه . فعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال : لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المحلِّل والمحلَّل له(٣) .

وروى مثله عن أبي هريرة – رضي الله عنه(٤) .

وعن عقبة بن عساكر – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا : بلى يا رسول الله . قال : المحلِّل . لعن الله المحلِّل والمحلَّل له »(٤) .

وقال عمر لا أوتَى بمحلل ومحلَّلٍ له إلا رجمتهما .

وذكر رجل لعثمان – رضي الله عنه – حال جار له طلق امرأة ثلاثًا ورق له فأراد أن يحللها له ، فقال له أمير المؤمنين عثمان – رضي الله عنه : « لا تنكحها إلا نكاح رغبة »(٤) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ... ﴾(٥) .

---

(١) صحيح البخاري [١٦/٧] ، ومسلم [١٠٢٨/١] .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣٠) .

(٣) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل [٣٠٧/٦-٣١١] .

(٤) انظر إرواء الغليل [٣١١/٦-٣١٢] .

(٥) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة والثلاثون

٢٠ / ٢ / ٩٩٦

[الحفلات]

الحمد لله الذي جعل العزة والكرامة لمن أطاع الله ورسوله، وجعل الذلة والهوان على من عصىٰ الله ورسوله.

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته.

أما بعد .. فأوصيكم - أيها المؤمنون - وإياي بتقوى الله؛ عباد الله إننا نشاهد من واقع الأحوال أن الأرض المجدبة إذا نزل عليها المطر أخصبت واخضرت[١] أشجارها، وأزهرت أعشابها، وكثرت خيراتها؛ ثم إذا انقطع عنها المطر تقلص الماء، وجفت الأشجار، إلا منابع الماء، ومصادر الأنهار، فإنها تبقى خضرة محتفظة بروائها وخيراتها مدة أطول.

وهكذا دين الإسلام وقلوب العباد. فالإسلام غيث للقلوب يحييها ويكسبها جمالًا ورواء، ويكسوها ثوب التقوى، يظهر في الأقوال والأعمال، فإذا ضعفت قوة الإسلام تقلصت أنواره إلى منابعها.

كما قال صلى الله عليه وسلم: « بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبىٰ للغرباء »[٢].

إن لهذا الدين إقبالًا وإدبارًا، فإن قوي أبناء الإسلام؛ فحملوا مصابيح الهداية

(١) إشارة إلى قوله تعالى: بمعناه في سورة الحج آية رقم (٦٣).

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أخرجه مسلم في الصحيح، الإيمان، حديث رقم خاص (٢٣٢)، وعام (١٤٥)، ولفظه « بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء ».

إلى القلوب المجدبة أحياها وأنقذها من الهلاك ، وإن تقاعس أبناء الإسلام عن حمل مشعله وتبليغ رسالته ، ضعفت قوته ونفوذه ، ودبَّ الجفاف إلى القلوب حتى تيبس فتعصف بها الرياح يمينًا وشمالاً .

إلا أنه مهما كان الأمر فإن منابع الخصب ومصادر النور يجب أن تكون محتفظة بنُضرتها وخُضرتها ، ثابتة على الحق لا يضرها من خذلها إلى يوم القيامة ، فواجب على أهل هذه البقاع المقدسة التي نبع منها الإسلام وشعت منها أنواره أن يكونوا قدوة في التمسك بالدين ، وأسوة حسنة في الفضائل ، صامدين أمام العواصف والزعازع ، ولكن مع الأسف الشديد نسمع عن بعض الناس من أبناء الإسلام ضد الإسلام .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾(١) .

تراهم يفتحون محلات السينما ، يعرضون فيها أخلاقًا قذرة ، لا تتفق مع الشيم ، ولا تتلائم مع الأخلاق ، ولا يرضاها أهل الغيرة والفضائل ، تحرك الغرائز ، وتفسد الأخلاق ، تدعو إلى الغرام ، وتعلم طريقة الوصال المحرم ، وأفلامًا تعلم التمرد والخروج عن الطاعة ، وتدعو إليه ، وأخرى تعلم السرقة وطرقها ، وأخرى تشوِّه رجال الإسلام ، وتستهزئ بهم ، وتُلَفِّق عليهم ما هم منه بُرآء ، وأظن هؤلاء لو فتح لهم باب الخراب ، وفسح لهم مجال الفساد لأتوا بأشنع من ذلك ، ولكن الحمد لله الذي حفظ هذه البلاد بإسلامها ودينها ، فمنها نبع الإسلام وجرت أنهاره ، وفيها نبتت شجرة الإيمان ، وامتدت أغصانها ، فاختار الله لها ولاية من خير أبنائها دينًا وعقلًا ونسبًا .

فهذه هيئات للأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وهذه لجان لمكافحة الفساد وأسبابه .

ومع هذا فإن بعض الناس يخالفون فضائل الإسلام ، ويكابرون ولاة الأمر ،

---

(١) سورة لقمان آية رقم (٦) .

ويعاندون المسئولين فلا يقفون عند حدٍّ، ولايوفون بعهدٍ، رَغبوا عن الخير والإصلاح إلى الشر والفساد، فهؤلاء ينطبق عليهم قول الباري جل جلاله في أول سورة لقمان، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال سبحانه:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[١].

إنهم على خطر عظيم، فما هو الباعث لهم على هذا العمل السيء؟ أفأمنوا مكر الله؟! فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون[٢].

هل يريدون كسب المال بهذا العمل الشنيع؟ فإن طرق الكسب الحلال كثيرة ميسرة ناجحة، هل يريدون إرضاء الناس بسخط الله؟ فإن القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء، من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس[٣].

اتقوا الله أيها الناس؛ لا تسيئوا إلى الإسلام في عقر داره، ولا تعكروا صفو الفضائل في منابعها، ولا تشوهوا شجرة الإيمان في منبتها، يأبىٰ الله ذلك، ويأبى أهل الحق والعدل والفضائل أن يهان دينهم في كنفهم وفي حصنهم.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ تعاونوا على البر والتقوى[٤]، ولا تجعلوا أمركم بينكم تواكلًا وتلاومًا وانتقادات، ولكن اجعلوه تعاونًا على الإصلاح وتناصحًا لله،

---

(١) لقمان آية رقم (٦).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم (٩٩).

(٣) الترمذي في الجامع برقم (٢٤١٦) في الزهد باب: من التمس رضا الله في إسناده رجل مبهم لم يسم، ولكن رواه من طريق القضاعي في مسند الشهاب [٢/٤٢]، وابن عساكر في تاريخ دمشق [١/١٥/٢٧٨] أقاله محقق شرح السنة [١٤/٤١١].

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: في سورة المائدة آية رقم (٢).

ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١) .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات ، والذكر الحكيم .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾(٢) .

ربنا ؛ لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا . اللهم ؛ اهد ضال المسلمين ، وثبتنا على الصراط المستقيم ، واغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا . اللهم ؛ اغفر لنا ولآبائنا وإمهاتنا ؛ إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) الأنفال آية رقم (٢٥) .

(٢) البقرة آية رقم (٢٨٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله ؛

﴿ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(١) .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فإن أحسن الحديث كلامُ الله ، وخير الهدي هديُ نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم(٢) فاقرءوا كتاب الله ونذيرَه ، واعملوا به ، فإنه الصراط المستقيم ، وهو حبل الله المتين ﴿ **فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** ﴾(٣) وعليكم بسنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - عضوا عليها بالنواجذ(٤) ففيها الخير والبركة ، والسعادة والكفاية عن كل ما سواها .

أيها المسلمون ؛ إن ما يفعله بعض الناس في الحفلات والمناسبات من استئجار سينما أو مغنيات تجمع عليها بعض الناس من المؤمنين - أمر خارج عن المباح ومصاريف تصل إلى حد التبذير والإسراف ، وفيه فتح باب على المسلمين ، وسنة في

---

(١) التوبة آية رقم (٣٣) .

(٢) من خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - أخرجه النسائي في الصغرى من حديث جابر ، رضي الله عنه ، بهذا اللفظ . انظر السنن للنسائي [٣/١٨٠-١٨٩] ، والفتح للحافظ [١٠/٥١١] .

(٣) الأنعام آية رقم (١٥٣) .

(٤) رواه أحمد في المسند [٤/١٢٦] من حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - وإسناده صحيح .

الحفل سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها[١]

فاتقوا الله - أيها المسلمون - واكتفوا بما أحل الإسلام، فماذا يستفيد صاحب الحفل إذا جعل في حفله منكرات، لا يستفيد إلا وزرًا وإثمًا ومقتًا من أهل الخير، ودعاء عليه من الصالحين، وإنما المقصود المشروع من الحفل هو إشهار الزواج وإظهار السرور، وهذا يحصل بالأمر المباح المشروع.

فاتقوا الله عباد الله؛ وصلوا على البشير النذير، والسراج المنير، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٢].

---

(١) إشارة إلى معنى حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مسلم في الصحيح برقم (١٠١٧) في الزكاة.

(٢) الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة والثلاثون

١/ ٣/ ١٤٠٥

[المحافظة على عقدة النكاح]

الحمد لله رب العالمين . اللهم ، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله واقتفى أثره .

أما بعد .. فإذا طلب إنسان من أخيه مزرعة لينتفع بها ويغرس فيها فأعطاه . وقال له : كل ما تغرسه فيها تثمره فهو لك ، لكن حافظ عليها من التيارات الهوائية ، والمجارف المائية ، وعن السَّبخ فإذا أعيتك أو طابت نفسك منها فردها إليّ فالتزم بذلك . ألا يجتهد في إصْلاحها ، وينفق عليها بطيب نفس كلَّ ما تحتاجه رغبة في نفعها . ونمو غرسها . حتى لو حصل فيها نقص في بعض النفع ، أو زيادة النفقة صبر وقارن بين الأمور . وحتى إنه لو طابَت نفسه منها ، وأراد إن يردها إلى صاحبها ، لأخذ يفكر في غرسه ماذا يفعل به ، ويفكر هل يجد مزرعة أحسن منها أو مثلها ، فأخذ يتأمل ماذا يقول لصاحبها إذا ردها إليه وقد ذبل ورقها ونقص إنتاجها . إذا كان هذا شأن الرجل العاقل في المزرعة الأرضية التي نفعها مادي فقط . فما بالكم بالمزرعة الإنسانية التي هي أُنس الرجل وشريكةُ حياته . تنتج له الأولاد ، وتربي الأطفال ، وتحفظ المال ، وتحرس البيت ، وتُعين على أمور الحياة ، وتحفظ دينه ، وتحصن فرجه .

وتغض بصَرَه ، وتشاركه في آلامه وآماله ، أليست هي أولى بالعناية وحُسْنِ الرعاية ، أليست أحق بمراعاة شعورها .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(١).

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(٢). ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٣).

فما بال بعض الرجال يُسيء معاشرة زوجه، ويغمطها حقَّها، ويتسلط عليها بلسانه، وقد يُحرِّض عليها أولاده منها أو من غيرها. ما بال بعض الناس خَشِنُ الطبع مع ربة بيته، وشريكة حياته، يقابلها بالسباب، ويكيل لها الاتهامات، ويرهبها بالوعيد وتحطيم الحياة. ما بال بعض الناس ليس أمامه إلا الطلاق، فهو دائمًا على لسانه لأي سبب تافه ومن دون سبب فإذا به يندم على عمله، ويحاول التخلص من حصائد لسانه. هذه هَوَاتف العلماء دائمًا رنانة ومشغولة بالسائلين عن الطلاق من شباب وشيب، مثقفين وعوام. والسبب في ذلك هو البعد عن نور الشريعة المحمدية وعن توجيهاتها وعن أحكامها. فكثير من الناس ثقافته غير إسلامية، ويتعلم غير علوم الشريعة الإسلامية، ولا يعرف عن الإسلام، إلا أن أباه وأمه مسلمان، وهو مسلم على أثرهما، ما هذا الجفا، لا يحضرون مجالس العلماء، ولا حلق الذكر، ولا يتدبرون كلام الله. فَوَجد منهم عدوهم المبين غفلة وجهاله فأراد أن يفسد عليهم دينهم ودنياهم.

إن علوم الشريعة المحمدية حياةٌ للقلوب، وغذاء للارواح، وطهارة للنفوس، وحمايةٌ للأبدان، ترقق الطباع، وتهذب الأخلاق، وتنمى المدارك، وتصل العبد بربه، فيشع في القلب نور الإيمان، وتَعْلُو الجوارحَ آثارُ التقوى، فيهرب عنه الشيطان وجنوده من الجن والإنس.

ما من بيت إلا ويحصل فيه بعض المشاكل الزوجية، وليس الطلاق علاجًا لها، وإنما تعالج بما تقتضيه المصلحة للإبقاء على الصلة الزوجية وعزة البيت وكرامة الأسرة.

---

(١) سورة الروم آية رقم (٢١).

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٨).

(٣) سورة النساء آية رقم (١٩).

إن استئصال أي عضو من أعضاء البدن، لا يكون إلا بعد بذل كل الوسائل والمحاولات للعلاج، فإذا لم ينفع العلاج وتحققت المصلحة في قطعه قطع، فكذلك الطلاق لا ينبغي أن يقع إلا لإسباب تقتضيه، إذا لم تنفع المحاولات والإصلاح.

وحيث توفرت أسباب الطلاق، فإن له نظامًا لابد من اتباعه. فليست المسألة فوضى ولا ارتجالية، إنما هو تنظيم العليم الخبير جلَّ جلاله.

فالطلاق المشروع أن يكون طلقة واحدة في طهر لم يحصل فيه جماع، وتبقى الزوجة في بيت الزوجية، وتتشرف للزوج لعل الله أن يُحدث بعد ذلك أمرًا، فإذا وجد الزوج في نفسه رغبة في الإصلاح رَدَّها إليه فله ذلك. من دون الزوجة. قال سبحانه:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ ﴾[1]

فهذه فرصة اختيار واختبار. أما إذا كان الحال على ما هي عليه فيتركها حتى تقضي عدتها، فتذهب إلى أهلها، فإذا خرجت من العدة فلا تحل له إلا بزواج جديد بعقد ومهر جديدين برضاها. وإذا راجعها في المرة الأولى. ثم بدا له فطلقها، فأمامه فرصة ثانية، وهي حق الرجعة في العدة. أما إذا طلقها الثالثة فهو دليل على فساد متأصل في الحياة الزوجية، فليس له رجعة حتى تنكح زوجًا غيره، وهذا من محاسن الإسلام وعنايته بحقوق المرأة، وكانت الحال في أول الأمر يطلق الرجل امرأته ما شاء ثم يراجعها ولو مائة مرة، حتى غضب رجل من الأنصار على امرأته، فقال: لا أطلقك ولا آويك. قالت: وكيف. قال أطلقك فإذا دنت عدتك راجعتك ثم أطلقك وهكذا. فأخبرت النبي، صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية بتنظيم الطلاق والرجعة.

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ،

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢٩، ٢٣٠).

مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

فاتقوا الله أيها المسلمون اتقوا الله أيها الأزواج .

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

فالطلاق إما رجعي وإما بائن فالرجعي ما كان بواحدة على غير عوض . والبائنة بثلاث أو بعوض . والسنة أن يطلق واحدة في طهر لم يجامع فيه .

وأما الطلاق حال الحيض فهو بدعة ومعصية الله ولكنه يقع عند أكثر العلماء ؛

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي [٣/٤٩٧] حديث (١١٩٢) ، والحاكم [٢/٢٧٩-٢٨٠] وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب قال عنه الذهبي : قد ضعفه غير واحد . والآيات في سورة البقرة آية (٢٢٩-٢٣١) ، وانظر جامع الأصول [٢/٤٦] .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣١) .

لحديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أنه طلق امرأة له وهي حائض، فذكر عمر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فغضب وقال: «مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، فإن بدا له فليطلق في طهر لم يجامع فيه، فتلك العدة التي أمر الله تعالى»[١] في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ﴾[٢].

والطلاق حال الحمل ليس ببدعة ويقع، وما شاع من أنه لا يقع لم أر أحدًا من العلماء قال به. والطلاق بالثلاث في كلمة واحدة بدعة، ويقع عند جمهور العلماء. والعدة المشروعة للمرأة التي دَخَل بها زوجها. والدخول هو إرخاء الأستار. ورد الباب عليهما منفردين والله أعلم بأمرهما. أما التي لم يُدخَل بها فليس عليها عدة.

والمعتدات من الطلاق ثلاثة أنواع:

ذات الأقراد - أي: الحيض - فعدتها ثلاثة قروء، وأما الصغيرة التي لم تُدْرك المحيض والكبيرة التي انقطع عنها الحيض وأيست منه فعدتهن ثلاثة أشهر. وأما الحامل فعدتها وضع حملها. وأما المتوفى عنها زوجها فتتربص أربعة أشهر وعشرًا، وكانت في الجاهلية تعتد سنة كاملة، فجاء الإسلام بسماحتة ويسره فجعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرًا تخفيفًا على المرأة.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ اتقوا الله أيها الأزواج، إنهن عندكم عوارٍ وأمانات أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم منهن بكلمة الله فاحسنوا المعاشرة والصحبة.

﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[٣] اللهم؛ إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة، إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) صحيح البخاري [٥٢/٧]، ومسلم [١٠٩٣/٢] حديث (١٤٧١).

(٢) سورة الطلاق آية رقم (١).

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٣٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع ملته .

أما بعد .. فإن جمال الرجل في طاعته لله ، وفي أخلاقه وسلوكه ، وحسن معاملته . وليس في التشبه بالنساء في أزيائهن وتجميلاتهن وحليهن فهناك من الرجال وخاصة الشباب من يتشبه بالمرأة فَيلبس خاتم الذهب . وهذا محرم على ذكور هذه الأمة الإسلامية ؛ لأن الرجل له وظيفة غير وظيفة المرأة . فالرجل له صفات الرجولة من القوة والشجاعة والصلابة ؛ ليدافع عن دينه ومحارمه . أما التحلي بالذهب فتجمل وإغراء فهو محرم على ذكور هذه الأمة . عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « حُرم لباس الحرير والذهبُ على ذكور أمتي » رواه الترمذي[(١)] .

وروى البخاري رحمه الله بسنده عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – أنه قال : نهانا النبي – صلى الله عليه وسلم – عن سبع :

نَهىٰ عن خاتم الذهب – أو قال حلقة الذهب – وعن الحرير ، والإستبرق ، والديباج ، والميثرة الحمراء ، والقسيّ ، وآنية الفضة .

وأمرنا بسبع : بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، ورد الإسلام ، وإجابة الداعي ، وإبرار المقسم ، ونصر المظلوم[(٢)] .

---

(١) سنن الترمذي (١٧٢٠) ، وهو صحيح .

(٢) صحيح البخاري [١٠/٣١٥] فتح .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «أنه نهى عن خاتم الذهب» رواه مسلم[١].

فاتقوا الله يا شباب المسلمين، ما هذه الخواتم التي في أيدي بعضهم انزعه أخي المسلم من يدك، وأعطه زوجك، وإذا كان ولابد فاتخذ خاتمًا من فضة، فإن خاتم خير البشر وسيد الأولين والأخرين - صلى الله عليه وسلم - كان من فضة. ولم يتخذه للزينة، وإنما نقش فيه اسمه (محمد رسول الله) ليختم به الرسائل التي يبعثها للدعوة إلى الله ولرسوله. ليس الذهب جمالًا للرجل، وإنما هو تشويه لأنه مخالفة لنهي النبي - صلى الله عليه وسلم - ومخالفة للفطرة.

فاتقوا الله وراقبوه، وكونوا رجالًا أهل شكيمة قوية، وأهل عزة وعزيمة، ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَي النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢].

---

(١) صحيح مسلم [١٦٥٤/٣] حديث (٢٠٨٩) الميثرة الحمراء يتخذها الأعاجم لسرج الخيل.
(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة والثلاثون

٣ / ١١ / ١٤٠٨

التذمر بين الزوجين

الحمد لله رب العالمين(١) اللهم ؛ لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك(٢) .

وأشهد ألَّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾(٣) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، مِنَّتُه على المؤمنين ، ورحمته للخلق أجمعين .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن الإسلام اعتنى ببناء الأسرة ورعايتها ، والمحافظة على تماسكها وترابطها ، لأنها هي مصدر إنجاب الإنسان ، وبقائه على هذه الأرض حتى يأتي وعدُ الله .

ولما كان الرجل والمرأة هما القاعدة الأساسية لبناء الأسرة وتكوين المجتمع ، جعل الخالق تبارك وتعالى أنظمة للأسرة من حين اتصال الرجل بالمرأة حتى الفراق والفصال .

هذه الأنظمة هي أساس بقاء الأسرة وتماسِكها : حسنُ المعاشرة ، واحترامُ الشخصية ، وحفظُ الحقوق ، وتبادلُ المشاعر ، والتفاهمُ بالحسنى لحل المشاكل ، وإزالةِ الخلافِ ، وتقوى الله هي القاعدة التي عليها مدار الأمر كلِّه .

والإسلام كما أنه ينظر إلى البيت على أنه سكن للزوجين ، وأمن وراحة واطمئنان ، وكما أنه أيضًا ينظر إلى العلاقة الزوجية على أنها مودةٌ ورحمةٌ وأنسٌ ،

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) إشارة إلى حديث عائشة - رضى الله عنها - مسلم في الصحيح ، الصلاة ،حديث رقم (٢٢٢) .

(٣) سورة الروم آية رقم (٢٠) .

تقوم على الاختيار والرضا .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١) .

فالإسلام ينظر إلى البيت والعلاقة الزوجية على أنها تعاون على إنجاب النسل ، وإنشاء جيل على الفطرة ، يعبد الله ، ويُصلح في أرض الله ، يرثُ الإيمان والفضائل والتراث ، ويدعو بالرحمة والمغفرة للآباء والأمهات ، ويترحم عليهم ويَكونُ من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - يُكاثر بهم الأمم فقد تطرأ على الحياة الزوجية أمور أخرى ، فلابد من الصبر والتحمل ، والاحتساب وحسن المعاشرة . فلا ينبغي أن تكون الطوارئ الجانبية مؤثرة في البيت ، ولا مصدعة صرحَه ، ولامشتتة شمله ..

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٢) .

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقال : إنه يريد أن يطلق زوجته ؛ لأنه لا يحبها . فقال عمر : ويحك ألم تُبْنَ البيوت إلا على الحب ، فأين الرعاية وأين التذمم(٣) ؟! .

قال ابن كثير : فعسى أن يكون في صبركم في إمساكهن مع الكراهة - خير كثير لكم في الدنيا والآخرة(٤) .

وقال ابن عباس : هو أن يَعْطف عليها فَيُرزَقُ منها ولدٌ ، فيكون في ذلك الولدِ خير(٥) .

---

(١) سورة الروم آية رقم (٢١) .

(٢) سورة النساء رقم (١٩) .

(٣) لم أقف على هذا الأثر الموقوف مسندًا ، والله أعلم به ، وإن معناه لصحيح .

(٤) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره [٢/٢٢٩] .

(٥) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره [٢/٢٢٩] من دون عزو إلى أحد من المخرِّجين .

وقد أوصى النبي – صلى الله عليه وسلم – بالنساء، وحث على الصبر على ما يَبدر منهن في غير معصية، فَعَن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله، – صلى الله عليه وسلم – : «استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنهن خُلِقْنَ من ضِلَع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمُه كسرته، وإن تركته لم يزلْ أعوجَ، فاستوصوا بالنساء» متفق عليه[١] وفي رواية لمسلم وكسْرُها طلاقها[٢].

وقال – صلى الله عليه وسلم – : «لا يفرك مؤمن مؤمنةً، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر»[٣] أي لا يبْغضْها بل يغفر سيئتَها لحسَنتها، ويتغاضى عما يكره لما يحب. روى مكحول رحمه الله عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال: إن الرجل ليستخير الله تعالى فَيخَار له، فيسخط، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو قد خِيرَ له[٤].

وقال القرطبي – رحمه الله – عند تفسير ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. وذلك تَوْفِيَةُ حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها[٥]. بغير ذنب، وأن يكون منطلقًا في القول لا فظًّا ولا غليظًا، ولا مُظهرًا ميلًا إلى غيرها؛ فإنه أهدأ للنفس، وأهنأ للعيش، وأكمل للصحبة، وأكملُ المؤمنين إيمانًا وأحسنُهم خُلقًا، وخيارهم خيارهم لنسائهم وألطفهم بأهلهم[٦] ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٧].

---

(١) خ برقم (٣٣٣١) الأنبياء: الباب الأول من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – ومسلم الرضاع برقم (٦١،٦٢) خاص. وعام (١٤٦٩).

(٢) مسلم في الصحيح، الرضاع، حديث رقم خاص (٥٩)، وعام (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – .

(٣) مسلم في الصحيح، الرضاع، حديث رقم خاص (٦١)، وعام (١٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره [٩٨/٥] من عزو، ولم أقف عليه في مصادر الحديث التي بين يدي.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره [٩٧/٥].

(٦) من حديث عائشة – رضي الله عنها – أحمد في المسند [٤٧/٦-٩٩] إسناده صحيح.

(٧) سورة البقرة آية رقم (٢٢٨).

وكما أمر الإسلام الرجلَ بأداء حق زوجه بالمعروف والإحسان أمر المرأة بأداء حق زوجها كذلك ؛ فقال تعالى .

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[١] ، ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبانًا لعنتها الملائكة حتى تصبح » متفق عليه[٣] من حديث أبي هريرة ، وفي رواية : « ما من رجل يدعوا امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها »[٤] .

وعن عَمرو بن الأحوص - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ألا إن لكم على نسائكم حقًّا ، ولنسائكم عليكم حقًا ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فُرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون . أَلَا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » .[٥] رواه ابن ماجة والترمذي .

وعن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا صلَّتِ المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ؛ قيل لها : ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت »[٦] . رواه الإمام أحمد وغيره .

---

(١) سورة النساء آية رقم (٣٤) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٨) .

(٣) خ : بدء الخلق [٦/٢٢٦] وهو من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ومسلم في الصحيح ، النكاح ، برقم خاص (١٢٢) وعام (١٤٣٦) .

(٤) هذا لفظ أحمد في المسند [٢/٤٣٩] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه .

(٥) إشارة إلى حديث جابر الأنصاري ، مسلم في الصحيح ، الحج ، خطبته عليه السلام برقم (١٤٧) ، وأحمد في المسند [٥/٧٣] وذلك من حديث عم أبي حرة الرقاشي - رضي الله عنه .

(٦) أورده العلامة أبو بكر الهيثمي في المجمع [٤/٣٠٦] وقال : رواه أحمد في المسند والطبراني في الأوسط ، وفيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن ، وهو من حديث عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه ، ونحو هذا الحديث دون اللفظ الآخر عن أنس بن مالك - رضي الله =

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنُون عليه، وإنه استَصْعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: إنه كان لنا جملٌ نَسْني عليه، وإنه استَصْعَبَ علينا، ومنَعَنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: «قوموا، فقاموا، فَدخل الحائطَ، والجملُ في ناحيته، فمشى النبي - صلى الله عليه وسلم - نحوه. فقالت الأنصار: يا رسول الله؛ قد صار مثل الكلْب نخاف عليك صولته. قال: ليس عليّ منه بأس. فلما نظر الجمل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقبل نحوه حتى خرَّ ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل. فقال له أصحابه: يا رسول الله؛ هذا بهيمة لا يعقلُ يسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك. فقال - صلى الله عليه وسلم -: «لا يصْلَح لبشر، أن يسجد لبشر ولو صلَح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ لِعظَم حقه عليها». رواه أحمد والنسائي، وابن حبان في صحيحه[١].

وفي حديث معاذ عند الحاكم ولا تجدُ امرأةٌ حلاوةِ الإيمان حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفَسها وهي على ظهر قتب[٢].

ومن حق الرجل على زوجته، ووجوب طاعته ولا تصوم النفل إلا بإذنه، ولا تخرج إلّا بإذنه[٣]، وأن تَظْهر أمامه بالمظهر الذي يحبُّ من غير معصية.

ومن تمام الصُّحبة بين الزوجين وكمال الخلق التلطفُ في البيت، ولينُ الجانب،

= عنه، أورده الهيثمي في المجمع [٣٠٥/٤] وقال: رواه البزار، وفيه داود بن الجراح، وثقه أحمد وجماعة، وضعفه جماعة .ا.هـ قلت: إسناده حسن مع الشواهد.

(١) أحمد في المسند [١٥٨/٣-١٥٩] من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - وإسناده جيد.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك [١٧٢/٤] وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه، وأورده السيوطي في الدر المنثور [٥١٩/٢] وذلك من حديث معاذ بن جبل بسياق طويل.

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح برقم (١٠٢٦) الصيام. والترمذي في جامعه برقم (٧٨٢).

وطيبُ الكلام، وتبادلُ الحديث الحسن، وتجنب التهكم والاحتقار والاستنقاص.

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة[١]. فإنه صاحب الخلق الكريم سَابَقَ زوجه عائشة، فسبقته، ثم سابقها أخرى لما ثقلت، فسبقها. فقال: هذه بتلك[٢].

وقال لها يومًا: «إني لأعلم إذا كنت عني راضيةً، وإذا كنت علي غضبي». قالت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: «إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت علي غضبى قلت: لا ورب إبراهيم» رواه البخاري ومسلم[٣].

ورأى لُعَبًا لعائشة - رضي الله عنها - وفي وسطها فرس له جناحان من رقاع. فقال: فرس له جناحان! قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة؟ قالت عائشة: فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى رأيت نواجذه» رواه أبو داود بإسناد صحيح[٤].

وكان - صلى الله عليه وسلم - يمازح أصحابه ويداعبهم. فقال لجابر بن عبد الله: هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك. وقال للصبي: ماذا فعل النّغير يا أبا عمير[٥]. كان خليقًا لطيفًا مع أهله وأبنائه، ركب الحسن على ظهره، وهو ساجد، فما زال ساجدًا حتى نزل[٦]، وركب على بطنه، وأخذ يلعب بنقرة السرة. ورأى الحسن والحسين يتعثران، وهو يخطب فنزل وحملهما وأكمل الخطبة[٧]. وكان يعمل في بيته مع

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب آية: (٢١).

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها الإمام أحمد في المسند [٣٩/٦]، وإسناده صحيح.

(٣) خ: برقم (٥٢٢٨) النكاح من حديث عائشة - رضي الله عنها - ومسلم، فضائل الصحابة حديث خاص (٨٠) وأحمد في المسند [٦١/٦]، [٢١٣/٦].

(٤) أبو داود في السنن كتاب الأدب: باب في اللعب بالبنات حديث رقم (٤٩٣٢) بهذا اللفظ بسياق طويل، وإسناده صحيح، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) إشارة إلى حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - خ الأدب [٤٣٦/١٠] الفتح، ومسلم في الصحيح، الآداب برقم (٢١٥٠).

(٦) إشارة إلى حديث شداد بن الهاد - رضي الله عنه - أحمد في المسند [٤٦٧/٦]، وإسناده صحيح.

(٧) إشارة إلى حديث بريدة - رضي الله عنه، الإمام أحمد في المسند [٣٥٤/٥] =

أهله ، فَرَقّع ثوبه ودَلوه ، وحصف نعله ، وحلب شاته ، وخدَم أهله بنفسه ، وذلك من عظيم خلقه وكمال تواضعه ولتعليم أمته - صلى الله عليه وسلم -[١] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ اعرفوا الحقوق لأهلها ، وأدوها بطيب نفس واحتساب ، اللهم ؛ اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت . اللهم ؛ ارنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ... إلخ .

= وإسناده صحيح .

(١) إشارة إلى حديث أبي بصرة الغفاري - رضي الله عنه - أخرجه أحمد في المسند [٦/ ٣٩٧] ، وإسناده جيد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة والثلاثون

١٩ / ٦ / ١٣٩٨

[عناية الإسلام بالأسرة]

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين . وميَّزه بالعقل ، وفضله على العالمين . وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن الإسلام قد اعتنى كل العناية بتنظيم الأسرة المسلمة ، جعل لها نظامًا تسير عليه ، وقاعدة ترتكز عليها ، وأعطاها جهدًا كبيرًا لتنظيمها وتطهيرها من أرجاس الجاهلية الأولى ، ومن أدناس الجاهلية المعاصرة ، وحماها من فوضى التحلل والإباحية ، وصانها من غوغاء الطيش والشهوات الدنية ، ذلكم لأن الأسرة هي أساس المجتمع ، وهى معمل الإنتاج لرجال المستقبل ، فبصلاحها يصلح الإنتاج ، ويتهيا لتحمل مسئولياته في الحياة ، ويستعد لأداء وظيفته على هذه الأرض ، ويتفهمُ ما سيلاقيه بعد هذه الحياة . « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يُنَصرانه »[(١)] .

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[(٢)] .

إن النظام الاجتماعي للأسرة في الإسلام قد لوحظت فيه جميعُ خصائص الفطرة الأساسية ومقوّماتها ، ولوحظ فيه أساس التكوين الأول .

فنظام الأسرة في الإسلام هو النظام الطبيعي الذي يتلائم مع غرائز وخصائص الإنسان ، ويتلائم مع صفاته الخلقية والخُلقيه ، لأن الذي شرع هذا النظام هو الذي

---

(١) هذا لفظ مسلم في الصحيح كتاب القدر حديث رقم (٢٦٥٨) باب كل مولود يولد على الفطرة وللبخاري في الصحيح بمعناه [١١/٤٣٢] فتح ، كلاهما من حديث أبي هريرة .

(٢) سورة الروم آية رقم (٣٠) .

خلق الإنسان، وأودع فيه غرائزه وطبائعه، فهو أعلم بما يتلائم معه ويتفق مع مصالحه، ولهذا فإن نظام الأسرة في الإسلام هو الذي ترتاح له النفوس السليمة، والأسر المستقيمة، وهو الذي يُصلح النشأ ويهيئه لتحمل مسئولياته، ويكونه لتقبل أعماله في الحياة.

وقد أثبتت التجارب أن أي نظام في الحياة غير نظام الأسرة في الإسلام لو استعمل لتربية الطفل لم يكن صالحاً، ولا معوضًا عن جهاز الأسرة. ولا يقوم مقامه، وإنما هو نظام فاشل، يصطدم بفطرة الطفل وتكوينه النفسي، فيحصل له من الأضرار والتعقيد النفسي، والاضطراب الصحي، والانفصام الشخصي، والشذوذ الاجتماعي، والانحراف الديني - ما يضر بحياته وسلوكه ويحطم مستقبله.

ولو تتبعنا أسباب الجرائم في العالم، لوجدنا أغلب القائمين بها من هذا النوع آلَ بهم الحالُ إلى السآمة من الحياة، والسخط على العالم، فوجدوا في الجريمة متنفَّسًا لهم، وإشباعًا لنزعة الشذوذ فيهم. أما نظام الإسلام بالأسرة وتقويمها، فإنه ينبني على قواعد أساسية ثابتة تربط بين أفرادها وبين أصلها وفرعها ينبني على أساس الزوجية الصحيحة، وعلى وفق دين الله، وعلى وفق النظام الفطري العام، تسوده الرحمة والمودة والشفقة والتعاون على أداء الواجب من كل فرد من أفرادها فيما يخصه بأصل الفطرةوبالنظام العام للإسرة. مثل المعاشرة والنفقة والحضانة، والرضاعة والتوجيه، والتربية والتعليم، ومعالجة كل ما يطرأ على الأسرة من أحوال ومنغصات ومفسدات، كالنشوز والشقاق

ولنظام الأسرة في الإسلام قاعدة يعتمد عليها، وركيزة يرتكز عليها في جميع أحوالها ومقوماتها، وهي تقوى الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(١).

(١) سورة النساء آية رقم (١).

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[(١)].

فأعمال الأسرة ليست مجرد غرائز فطرية ، ولا مجرد شهوات نفسانية ، ولا مجرد واجب يُمليه المجتمع كما تقوله بعض العناصر الشيوعية واللادينية ، وإنما هي أعمال تقرب إلى الله ، وذخيرة عنده لمن أحسن فيها ، وفي بضع أحدكم صدقة ، واللقمة تجعلها في فيّ امرأتك صدقة ، وابدأ بمن تعول . فهي نظامٌ سماويٌ عالٍ في تنظيمه ، رفيعٌ في مقاصده ، طموحٌ في أهدافه ، مرتبط بقدرة الله وإرادته ، ومتصل بفضله وعنايته .

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[(٢)].

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(٣)].

فالفرق بين نظام الأسرة وغيره شاسع ، كما بين المشرق والمغرب ، وبينهما فروق واضحة جلية . فالأبوان قد جُبلا على حب طفلهما ، والشفقة عليه ، والاستئناس به ، والارتياح لخدمته ، والعملِ على ما يصلحه ويغذي مداركه وينمي فيه روح الإحساس بالمسئولية ، ويهيئه لشق طريقه في الحياة . ويبذلان في ذلك كل غال ونفيس .

كما أن الولد مجبول أيضًا على حب أبويه ، والانقياد لهما ، والتشوق إلى عطفهما ، والتلذذ بالعيش معهما ، والارتياح لمشاهدتهما ومناجاتهما . فباجتماع هذه الأحاسيس الفطرية من الأبوين والولد ، ينشأ الطفل نشأة صالحة على سلوك مستقيم .

---

(١) سورة الملك الآية رقم (١٤) .

(٢) سورة النحل الآية رقم (٧٢) .

(٣) سورة الروم آية رقم (٢١) .

أما غير هذا النظام أيًا كان نوعه سواء كان عند مربية ، أو في دار حضانة - وهى أشد وأمر - فإن الطفل يُحرم من حنان الأبوين ، ويفقد المشاعر التي جبل على تلقيها ، ويفقد العناية الخاصة به التي يتشوق إليها ، ويستشعر في نفسه إما بفقد الأمومة والأبوة ، أو بإهمالهما لحقه . فلا يرى إلا أوامر تصدر من غير ذي شفقة ، وغير ذي حنان .

ومن هذا فعلم أن كل نظام إجتماعي يخالف نظام الإسلام فهو نظام فاشل ، وكلّ نظام يخالف تنظيم الإسلام للإسرة فهو نظام فاشل سافل .

وعلى هذا فإن المرأة التي تهمل أولادها وأسرتها وتودعهم في دور الحضانة ، أو عند المربية لتحصل إما على رغبة نفسية ، أو على السياحة بعيدة عن أولادها وأسرتها المسئولة عن رعايتها ، أو لتحصل على كسب مادي تستكثر به في حياتها ، وتترفه به في ملذاتها وشهواتها . لقد أخطأت في تصرفها ، وخرجت على نظام فطرتها ، ونظام الأسرة في دينها ، وأساءت إلى طفلها ، وتحملت مسئوليته أمام الله تعالى : لأنها ليست في ضرورة إلى هذا ، فقد كفل لها نظام الأسرة كل ما تحتاجه إما من زوجها ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾(١)، أو ممن تلزمه نفقتها أو نفقة ولدها .

﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ ﴾(٢) .

أو من بيت المال كما هو المتبع في هذه البلاد التي من الله عليها بقيادة رشيدة تحكم بدين الله وتسير على منهج الإسلام .

وأما الذين يدعون المرأة إلى الخروج على نظام الإسرة ، وهتك سترها ، ورفع حجاب الحياء والإيمان عنها ؛ للعمل في الحقل العام بجانب الرجال ، تحتك بمختلفي

---

(١) سورة النساء جزء من آية (٣٤) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣٣) .

الطبائع والنزعات تحت شعار التقدم والانطلاق، وباسم الواجب الاقتصادي؛ فإنما هي دعوة إلى التبرج كما كان في الجاهلية الأولى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾[(١)].

إنها دعوة إلى النظام الإفرنجي الساقط السافل، إنها مكيدة من أعداء الإسلام وأعداء الإنسانية للقضاء على الإسلام وعلى كيان الإنسانية؛ لأن الإسلام يقْلقهم، ويقُضُّ مضاجعهم، يخشون أن يهدم سلطانهم فهو دائمًا له الغلبة، والعزة والسيادة إذا قدم في أي ميدان، وأقرب دليل لم تعف آثاره هو حرب العاشر من رمضان على القناة قناة السويس.

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوا الله أيها الأقوام؛ ارجعوا إلى دينكم، فإن عهدكم به قريب، وتوبوا إلى ربكم فإن الباب مفتوح للتائبين.

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[(٢)].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٣٣).

(٢) سورة النور آية رقم (٣١).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمة الإسلام، وأشهد ألَّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الملك العلام، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله سيد الأنام.

اللهم، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان واستقام.

أما بعد.. فإن الشيطان أعاذنا الله منه - حريص على إفساد بني آدم، وهو يجري منه مجرى الدم، فيجعل خرطومه عند قلب الإنسان يوسوس إليه، فإذا هواستعاذ بالله منه خنس، وإذا هو استرسل معه ذهب به كل مذهب إلى الهلاك.

ويستعين إبليس بجنوده من الإنس على أداء مهمته، وإن من وساوسه أن يأتي إلى الشاب أو الشابة ويكره إليه الزواج المبكر، ويوسوس إليه أن الزواج سيعثر دراسته وسيثْقِلُ عاتقه، ويحبس حريته، ويفْصله عن زملائه وأصدقائه، وهذا تصور غير مسلَّم به. بل الزواج حسب التجارب يساعد على الدراسة؛ لأن الزوجة ستكفيه بعض شئونه، وتوفر له وقته، وقد تكون عونًا له في البحث والمذاكرة، أضف إلى ذلك راحة النفس، وغض البصر، وإحصان الفرج، وراحة البال والبدن، ولَوْ وجدت هناك حالة تخالف ما ذكر فهي نادرة لا حكم لها.

هناك تكاليف يفرضها الزوج على نفسه بلا ضرورة تجعله يحجم عن الزواج مثل نوعيَّة المسكن وتأثيثه، وحفلة الزواج، لا يريد أن يتغص عن فلان، ولِيس فلان بأطيب منه ولا أشرف، فلابد أن يفعل، كما فعل. فإما أن يحجم إذًا عن الزواج، أو يثقل عاتقه بالديون، وهذا تصرف خاطئ، والعاقل من عرف نفسه ومدَّ رجله على قد فراشه، ليس الشرف في تبذير المال، وإنما الشرف في العقل وتقوى الله.

فاتقوا الله أيها الناس؛ لا تسيطر عليكم التقاليد المستوردة، ولا تُطاوعوا النساء

في كل شيء؛ فإن الأمور تخفى عليهن، وهُن يحرصن على المظاهر أكثر من الحرص على الحقائق، ولا يُقَدرن العواقب ولا النتائج.

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾(١).

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائَكُته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢).

---

(١) سورة النساء آية رقم (٣٤).

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة والثلاثون

٢٢ / ٥ / ١٤٠٩

[نظام البيت الإسلامي]

الحمد لله رب العالمين ، والحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، خلق الإنسان وكرَّمه ، وفضَّله وعلَّمه ، واصطفاه وطهَّرَه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أفضل الخلق أجمعين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، قائد الغرِّ المحجلين .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيلهِ واستقام .

أما بعد .. فإن الإسلام كما أنه نظام عقيدة وتوحيد ، ونظام اقتصاد وسياسة ، ونظام دعوة وجهاد ، فهو أيضًا نظام اجتماعي ، أعطى الأسرة اهتمامًا كبيرًا ، فوضع لها نظامًا يحث على بنائها ، ويحافظ على ترابطها ، وعلى إصلاح إنتاجها ، ويعالج جميع جوانب حياتها وما يطرأ عليها ، ووضع الضمانات والاحتياطات التي ترعى كرامتها ، وتحفظ حقوقها ، وتربط بين أطراف الأسرة ، برابطة المودة والرحمة والعطف والبر والصلة .

ونظام الأسرة في الإسلام ، واضح في سور من القرآن الكريم ، في سور البقرة ، والنساء ، والمائدة ، والنور ، والأحزاب ، والمجادلة ، والممتحنة ، والطلاق . كما هو واضح في سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر بغض البصر وحفظ الفرج عن المحرمات ، وكف اللسان عن الأعراض ، وحث على الزواج ، ورغَّب فيه ، وأمر باختيار الزوج الصالح ، وبين حق كل واحد من الزوجين على الآخر ، وحق المرأة في ملكية مالها وصَداقها ، وأوجب المعاشرة بالمعروف ، وعالج حالات النشوز والإيلاء والظهار ، ووضع نظامًا للفراق ، إما بالخلع أو الطلاق ، ورغَّب في الرجعة ، وبيَّن أحكام العدد ، كما وضع نظامًا لكفالة الطفل ورضاعته وتربيته ،وأوجب النفقة

بالمعروف وأوضح أحكام الوصية والإرث، وغير ذلك من التعليمات السماوية التي تحافظ على تماسك البيت، وطهارته، وإصلاح النشء وسعادته.

وإذا تأمل العاقل المنصف نظام البيت في الإسلام علم حقًّا أنه هو النظام الذي يتلائم مع فطرة الإنسان، ويتفق مع أصل تكوينه. فهو ينمي العقول، ويزكيّ الأرواح، ويهذب النفوس، ويطهر السلوك. وهو الذي تلتقي فيه مشاعر المودة والشفقة والرحمة، والتكافل والتكافؤ، ويطبع الأسرة بالطابع الخيِّر، ولا غرابة، فالذي خلق الإنسان هو الذي أنزل القرآن، وأرسل سيد الأنام، صلى الله عليه وسلم.

وقد أثبتت التجارب العملية أن أي جهاز آخر غير الأسرة لا يعوض عنها، ولايقوم مقامها، ولايخْلو من أضرار مفسدة لتربية الطفل ونشأته، وخاصة نظام المحاضن الجماعية.

ونحن - ولله الحمد - في هذه المملكة العربية السعودية الشعب والحكومة - مؤمنون. نظامنا الإسلام، ودستورنا القرآن وسنة سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - نربي أبناءَنا في بيوتنا، وعلى نهج الإسلام عقيدة ومنهجًا وسلوكًا.

ولو وجد طفل فقد أبويه تولَّته الدولة برعايتها وعنايتها، فتختار له اسمًا حسنًا، وتجعله في بيت صالح في عقيدته، وخلقه، وتنفق الدولة عليه، وتتابع أحواله، وتتفقد أموره من كل جوانبها، حتى يكبر ويتعلم ويسير في طريق حياته ويستقل بنفسه.

ولكن بعض الناس في هذا الزمن اعتمد في تربية أطفاله على الخادمات، فيسلم الطفل الناشيء البريء إلى الخادمة ليل نهار، وقد تكون تلك الخادمة لا تعرف من الإسلام إلا مجرد النسبة، وقد تكون غير مسلمة، فتُعلم الطفل عقيدتها وسلوكها، وأخلاقها، وتصْبغه بالصبغة التي تعرفها، فينشأ الطفل لا يعرف ربه ولا البر ولا الصلة. فمن هو المسئول عن هذا الناشئ البريء. المسئول أبوه وأمه، فهو أمانة عندهما وتحت رعايتهما، ومسئولية الأم أكثر فهي راعية البيت، ومسئولة عن رعيتها. والواجب أن تعلم الخدم دين الإسلام، والسلوك الحسن، والخلق الكريم.

إن كثرة الخدم في المنزل ليس مَفْخرة، وليس دليل التقدم، ولا دليل الرفعة، بل هو دليل الكسل والترف.

لا ينبغي أن يتكاسل الإنسان عن خدمة بيته ونفسه وأولاده، وأبويه وأخواته ،ولا تحضر الخادمة إلا لضرورة، وليست الدراسة مانعة من القيام بالواجب، فكثير من الناس يدرسون ويخدمون في بيوتهم، ولكن المعوق هو الاشتغال بالمسليات والملهيات، وإضاعة الوقت، بما لا فائدة فيه، سهر في الليل ونوم في النهار.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ اتقوا الله في أولادكم، فإنهم أمانة عندكم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

وإذا احتاج المسلم إلى خادمة فليتخير مسلمة أمينة عاقلة، ولو كلفه الأمر مالًا ليخرج من المسئولية أمام الله، ولتكن أعمالها فرعية لا أساسية.

وما من مسلم يتأمل نظام الإسلام في التربية والتعليم، ويقارن بينه وبين النظام الجاهلي الماضي، وبين النظام الجاهلي المعاصر، إلا ويجد الفرق شاسعًا كما بين الشمس النيرة، وبين قعر الأرض المظلمة، فسيدرك مدى كرامة الخالق تبارك وتعالى للإنسان.

وما من امرأة سوية تُدْرِك رعاية الإسلام للمرأة وعنايته بها، ورفع مستواها وحفظ حقوقها وكرامتها، إلا ويمتلئ قلبها حبًا لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - وللإسلام وأهله. ربنا؛ لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب. اللهم؛ ألهمنا رشدنا، وقنا شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، واجعل ما أعطيتنا عونًا لنا على طاعتك وطاعة رسولك - صلى الله عليه وسلم - وأعِذنا من فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال[2]. اللهم؛ اغفر لنا ولجميع المسلمين، إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) الأنفال آية رقم (٢٧،٢٨).

(٢) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - خ ص [٢/٢٦٣-٢٦٤]، ومسلم في الصحيح المساجد حديث رقم (٥٨٩) باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون.

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام.

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله،

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ ﴾[1].

هناك حالة نفسية تصيب بعض الناس لسبب من الأسباب تدفعهم إلى الحلف على ترك واجب، أو على فعل محرم، أو على ترك مستحب، أو فعل مكروه.

فالاستمرار على هذه اليمين آثم لصاحبها من الخروج منها بالكفارة، فإذا حلف على ترك واجب كفر عن يمينه وفعل، وإذا حلف على فعل محرم كفر عن يمينه وترك، ومن هذا القبيل إذا حلف رجل ألا يجامع زوجته.

فإن في هذا هجرانًا يضر بالزوجة نفسيًا وعصبيًا، وفيه جفوة قد تؤثر في جو الأسرة وتصدع بناءها، لكن قد يراها الزوج علاجًا لبعض الحالات الزوجية الطارئة من المرأة.

---

(١) سورة الطلاق آية رقم (٣).

وقد أذن الله له في هجرها في المضجع ﴿ **وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ** ﴾(١) . ولكن الخالق تبارك وتعالى وهو اللطيف بعباده العادل في أحكامه – لم يترك للرجل مطلق الإرادة يفْعل كيف يشاء ، بل وقَّت له زمنًا محدودًا في حالة الحلف على تجنب الفراش .

﴿ **لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾(٢) .

فجعل حَدًا أقصى للإيلاء وهو أربعة أشهر فقط ، فإذا حلف الرجل ألا يجامع زوجته مدة أقل من أربعة أشهر فالخير له أن يكفر ويأتي أهله ، وإذا كان يرى أن هناك حالة تستدعي التأخير فله أن يبقى على يمينه حتى تنحل بانتهاء المدة .

أما إذا كانت المدة التي حلف عليها أكثر من أربعة أشهر ، فإذا تمت أربعة أشهر ولم يرْجع إلى حَل اليمين ، فإن الشريعة تجبره إما بحل اليمين بالكفارة ، أو بالطلاق وإعْطاء المرأة حريتها .

وليس للمرأة مطالبة الزوج بالفيء أو الطلاق قبل أربعة أشهر ، وبعدها يحق لها أن تطالبه بأحدهما . ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(٣) .

---

(١) سورة النساء آية رقم (٣٤) .

(٢) البقرة : آية (٢٢٦) .

(٣) الأحزاب : آية (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة والثلاثون

٦ / ٦ / ١٤٠٩

[المرأة غير الدَّينة خطر على الأسرة]

الحمد لله رب العالمين[١] ؛ خلقكم من نفس واحدة ،وجعل منها زوجها ليسكن إليها[٢] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[٣] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه ، حُبب له النِّساء والطيب[٤] .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإنَّا نجد في القرآن الكريم تنظيمات للقواعد والأسس التي يقوم عليها نظام العائلة ، وقد أشار هذا النظام إلى النفس الأولى التي كان منها الزوجان لربط هذا النظام بالذي خلق الإنسان ، ولينتبه الإنسان إلى أصله ومنشئه .

---

(١) الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) الأعراف آية رقم (١٨٩) .

(٣) الروم آية رقم (٢١) .

(٤) الإمام أحمد في المسند [١٢٨/٣] من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - وإسناده صحيح .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(١) .

فنظام الأسرة ليس مجرد تنظيم لإصلاح حالات فردية من حالات الناس ، وإنما هو نظام . يشد القلب إلى خالقه ، ويُحرِّك المشاعر لتعرف واجبها ، ويوقظ النفس لتدرك أنها تواجه أمرًا عظيمًا له خطره وله وزنه في ميزان الله . فنظام العائلة قاعدة من قواعد المنهج الإسلامي ، وأصل من أُصول العقيدة ، فهو نظام موصول بالخالق تعالى وبإرادته ، وبحكمته ومشيئته ، يترتب على تطبيقه رضوان الله وثوابه ، ويترتب على إهماله غضب الله وعقابه .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٢) .

وأول قواعد بناء البيت الإنساني الذكر والأنثى ، ومن أجل إقامة عائلة طاهرة نظيفة مؤهلة لأداء رسالتها في هذه الحياة ؛ حثَّ الإسلام على الزواج ، ونَظَّم الغريزةَ الجنسية ، ومنع الفوضى والتلاعب بها . فالزواج مشروع بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

قال تعالى :

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٣) .

وقال - صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب ؛ من استطاع منكم الباءة

(١) سورة النساء آية رقم (١) .

(٢) سورة الحجرات آية رقم (١٣) .

(٣) سورة النور آية رقم (٣٢) .

فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » متفقه عليه(١) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ثلاثةٌ حق على الله عونُهم : المكاتبُ الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف ، والمجاهد في سبيل الله »(٢) رواه الترمذي وغيره .

ومن أجل إقامة أُسرة متوازنة متراحمة متعاطفة ، حثَّ الإسلام على اختيار الودود الولود ذات الدين .

روى أبو داود ، والنسائي عن معقل بن يسار رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول - صلى الله عليه وسلم - : « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم »(٣) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « تُنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك »(٤) .

وجاء في حديث أبي أمامة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه يقول : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا من زوجة صالحة : إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نَصَحته في نفْسها وماله » رواه ابن

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب النكاح [٩/٩٢-٩٥] باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم : « من استطاع الباءة فليتزوج » . ومسلم في الصحيح ، النكاح ، حديث رقم (١٤٠٠) ، وهو من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) الترمذي في جامعه الجهاد برقم (١٦٥٥) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وإسناده حسن ، والنسائي [٦١/١٦] النكاح ، وابن ماجة في العتق (٢٥١٨) ، والحاكم في المستدرك ، [١٦٠/٢] وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه .

(٣) د : برقم (٢٠٥٠) النكاح باب تزويج الأبكار ، وهو من حديث معقل بن يسار - رضي الله عنه - وله شاهد من حديث أنس بن مالك ، وأحمد في المسند [١٥٨/٣] ، [٢٤٥/٣] ، وإسناده حسن .

(٤) في الصحيح ، النكاح ، باب الأكفاء [١١٥/٩] ، الفتح ، ومسلم في الرضاع ، باب استحباب نكاح ذات الدين برقم (١٤٦٦) ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ماجة[١] .

وأجمع المسلمون على أن النكاح مشروع ، وإنما اختلفوا هل هو واجب أو مستحب .

ولما كان النكاح أعمقَ وأقوى الروابط ، وأدوم الصلات بين الزوجين ، فلابد من توافق القلوب في عقدة النكاح .

ولكي تتوحَّد القلوب يجب أن يتوحد ما تنعقد عليه وما تتجه إليه ، ولذلك حرم الإسلام زواج المسلم بالمشركة[٢] وحرم زواج المسلمة بالكافر[٢] .

قال تعالى :

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[٣] .

فالإعجاب المستمد من الغريزة الجنسية الخالية من المشاعر الإنسانية العليا – لا يَصْلح لبناء البيت وتكوين الأُسره . وجمالُ الإيمان أعلى وأفضل من جمال الجسم الملوث بالشرك ، فطريق المسلم لا يلتقي مع طريق المشركة ، ودعوة عباد الله لا تلتقي مع دعوة أعداء الله . فكيف يلتقي الزوجان المختلفان في العقيدة والمنهج ، وكيف يتكون منهما أسرة مسلمة . فحرام أن يربط الزواج بين قلبين لا يجتمعان في عقيدة ،

(١) ابن ماجة في السنن ، النكاح باب رقم (٥) باب أفضل النساء حديث رقم (١٨٥٧) من حديث أبي أمامة – رضي الله عنه – وقال صاحب الزوائد : في إسناده علي بن زيد ، قال البخاري : منكر الحديث وله شاهد من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه النسائي وكذا له شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قاله صاحب الزوائد على ابن ماجة .

(٢) إشارة إلى آية البقرة رقم (٢٢١) .

(٣) آية البقرة رقم (٢٢١) .

ولا يلتقيان في الله ، ولا تقوم حالهما على منهج الله .

فأي زواج لا يَرْتَبط بالله ، ولا بكلمة الله ، ولايسير على منهج الله ، فهو شهوة حيوانية ، ومَيْل شهْواني . والله تعالى رفع الإنسان وربط بينه وبين مشيئته ومنهجه .

ومن المعلوم بنص القرآن الكريم أن الله أحلَّ للمسلم نكاح الحرائر العفيفات من الكتابيات كما في سورة المائدة .

﴿ اليو ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(١) .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره ما ملخصه : من أدخل أهل الكتاب في عموم آية البقرة ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ جعل آية المائدة هذه مخصصةً لها . ومن أخرج أهل الكتاب من عموم آية البقرة فلا تعارض بينهما(٢) .

والآية الكريمة تبيح نكاح المسلم الكتابيةَ من أهل التوراة والإنجيل إذا كانت حرة عفيفة ، بشرط الإحصان والتعفف . فأهل الكتاب يؤمنون بالله ، ولهم كتاب تشريع يُوضح الحلال والحرام والحدود ، بخلاف غيرهم من أهل الديانات الأخرى .

وكره أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه -(٣) وطائفة من العلماء

---

(١) المائدة آية رقم (٥) .

(٢) إشارة إلى سورة البقرة آية رقم (٢٢١) وأما قول الإمام ابن كثير في تفسيره ، فقد ذكره [٢/ ٥٠١-٥٠٥] .

(٣) أشار إليه الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى - في التفسير [٢/٥٠٤] جزمًا منه على حجة النسبة إلى الشافعي رحمه الله تعالى عنه ، ثم قال الإمام ابن كثير في تفسيره [٢/٥٠٣٥] : وقد كان عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - لا يرى التزويج بالنصرانية ، ويقول : لا أعلم شركًا أعظم من أن تقول : إن ربها عيسى ثم ذكر الآية .

زواج المسلم مِنْ كتابية كراهة تنزيه خشية أن يتعاطوا المومسات منهن، وأن تتعطل المسلمات.

وذكر البيهقي رحمه الله في السنن أن الأمام الشافعي - رحمه الله - قال: أُبيحَ نكاحُ حرائر أهل الكتاب، قال: وأحبُّ إليّ لو لم يَنْكِحْهُن مسلم. وقال في كشاف القناع: والأولى ألَّا يتزوج من نسائهم، قال في الاختيارات: قاله القاضي وأكثر العلماء.

ولا يخفى أن الكتابيات كن تحت ظل الإسلام بالعهد والذمة طائعات منقادات خاضعات لأحكام الإسلام. أما اليوم فكما لا يخفى. فيخشى على الذي يتزوج من اليهودية أو النصرانيّة أن يميل إليها فتفْتِنَه عن دينه، ولربما يحصل بينهما ولد فتُغَيِّرَ فطرته.

ولو تأملنا أَحْوال الذين تزوجوا من الكتابيات في الوقت المعاصر، لعرفنا أن تلك الزيجات شرٌّ على البيت المسلم. فالمرأة غير المسلمة تَصْبَغُ البيت بصْبغتها وتربي الأطفال على دينها، وتُخرجُ جيلًا بعيدًا عن الإسلام، بعيدًا عن البر والصلة والتراحم.

أما زواج المرأة المسلمة من غير المسلم أيًّا كانت عقيدته وديانته، فهو حرام بنص الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى:

﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾(١)

وقال في شأن المؤمنات:

﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾(٢).

وروى البخاري - رحمه الله - في قصة صلح الحديبية أنه من جاء منهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رده إليهم وإن كان مسلمًا، فلما جاء نساءٌ

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢١).

(٢) سورة الممتحنة آية رقم (١٠).

مسلمات مهاجرات إلى النبي عليه الصلاة والسلام أنزل الله تعالى فيهن:
﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾(١).

وقال القرطبي: أجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه؛ لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام.

إن الإسلام لا يرضى أن يكون الكافر قوامًا على المسلمة وله عليها درجة، ولا أن تكون تحت إرادته وإمرته. روي عن حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: إن الله عز وجل بعث محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالحق ليظهره على الدين كله. فَدِيْنُنا خيرُ الأديان، وملتُنا فوق الملل ورجالنا فوق نسائهم، ولا يكون رجالهم فوق نسائنا(٢).

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ تعرفوا على نظام إسلامكم واتبعوه، وخذوا بأسباب النجاة، واحذروا أسباب العطب، فإن الأجل محدود، والكتاب دقيق، والحساب سريع، والمآل إما إلى الجنة أو إلى النار.

اللهم؛ إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم؛ خذ بأيدينا لما يرضيك عنا، وخذ بنواصينا إلى ما فيه عزنا وقوتنا، اللهم؛ لا تكلنا إلى أنفسنا فنهلك، ولا تكلنا إلى سواك فنضيع، وبارك لنا في القرآن العظيم .... إلخ

---

(١) سورة الممتحنة آية رقم (١٠) والحديث في خ عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور [١٣٢/١] وهو من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم - رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى [١٦٥/٦]، وإسناده يحتج به، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور [١٧٥/٤]، إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه في تفسيريهما، والبيهقي في السنن الكبرى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ثم ذكر الحديث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما أمر، وأشكره فقد وعد بالزيادة لمن شكر، خلقنا من العدم، وربانا بجميع النعم.

اللهم، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك(١).

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، منه المبتدى وإليه المنتهى.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

أما بعد.. فكثيرًا ما يحصل خلافٌ بين الأبوين على حضانة الطفل إذا كان بينهما نشوز أو فراق. والإسلام قد وضع للحضانة قواعد ونظامًا، محافظة على مصلحة الطفل وراحته وتربيته وخدمته. فالأم أحق بحضانة طفلها ما لم تتزوج؛ لأنها أشفق عليه وأكثر حنانًا؛ لماروى الإمام أحمد، وأبو داود وغيرُهما عن عبد الله بن عَمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن امرأة قالت: يا رسولَ الله؛ إن ابني هذا كان بَطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحِجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينتزعه مني. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أنت أحق به مالم تنكحي»(٢) أما إذا نكحت توجهت لحقوق الزوج وخدمته عن الطفل، وعلى الأب نفقة الولد، وأجرة الحضانة إذا طَلبت بالمعروف. فإذا تزوجت الأم سقط حقها؛ لأنها

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - مسلم في الصحيح حديث رقم (٢٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الطلاق، باب من أحق بالولد، حديث رقم (٢٢٧٦) وهو من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - [٢/٢٨٣]، وأخرجه أحمد في المسند برقم (٦٧٠٧) نسخة أحمد شاكر، وإسناده حسن، وقال المعلق على البغوي: انظر ما قاله الإمام ابن القيم في زاد الميعاد [٤/٢٣٩] عن هذا الحديث.

قد تشتغل بالزوج وشئونه عن الطفل فتهمله .

فتنتقل إذًا الحضانة إلى أم الأم ؛ لأنها أشفق من غيرها .

ولما رُي أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قضى بحضانة طفل لجدته بعد أن تزوجت أمُّه[١] .

فإذا بلغ الصبي سبعَ سنين خُير بين أبويه فإن اختار أمه كان عندها ليلًا ، ويذهب إلى أبيه في النهار ليعلمه الأخلاق والرجولة وأمور الحياة والعلم ، وإن اختار أباه كان عنده ليلًا ونهارًا . ويَزُور أمَّه . وأما البنت فإذا بلغت سبعَ سنين فتكون عند أبيها لأنه يحفظها حتى تخطب ولا تُمنع الأم من زيارتها[٢] ، وإذا كان أحد الأبوين غير كفء للحضانة لسبب من الأسباب سقط حقه .

بعض الناس قد تخفى عليه الأحكام الشرعية فيستغل قوَّته وضعف الأم فيأخذ الولد منها قهرًا وهي أحق بحضانته ، وهذا تعد على حق الأم ، وعلى مصلحة الطفل . والواجب على الأب إذا نازعته الأم أو الجدة في الحضانة ، ورأى أنه أحقُ - أن يَرْفع أمره إلى الحاكم الشرعي يقضي بينهما بالعدل .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ إن لكم نظامًا سماويًا عادلًا فاتبعوه ، وعليكم حقوق الأخوة والقرابة ، فأدوها بالمعروف ، حافظوا على مصالح أولادكم وتربيتهم ، وتعليمهمُ الفضائل والمكارم والعلم النافع ، ولا توقعوهم في دائرة الخلاف والشقاق والعناد والتشفي . اتركوهم بعيدين عن هذا كله ، واحتسبوا الأجر من الله في حُسن الصحبة والتربية والصلة .

---

(١) إشارة إلى ما أخرجه البغوي في شرح السنة برقم (٢٤٠٠) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ما أخرجه مالك في موطئه [٧٦٧/٢] ومن أحق بالولد ، ورجاله ثقات ، ولكنه منقطع ، وقال مالك عقب روايته : وهذا الأمر آخذ به في ذلك . قاله المعلق على شرح السنة .

(٢) الترمذي في جامعه برقم (١٢٥٧) باب ما جاء في تخيير الغلام بين أبويه ، وهو من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وأخرجه ابن حبان في الصحيح كما في الموارد (١٢٠٠) وقال الترمذي : حسن صحيح .

٢٨٤

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1] .

وصلوا على البشير النذير[2] .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم (١٦٠) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأربعون

٢٤ / ٢ / ١٤١٣

[فوارق بين الذكر والأنثى]

الحمد لله رب العالمين . ﴿ خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾(١) .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، يخلق ما يشاء ، يُعطى ، ويمنع ، ويخفض ، ويرفع .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، بينٍ لأمته بيانًا شافيًا .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه .

أما بعد .. فإن القرآن الكريم نوّه عن الذكر والأنثى في مجالات مختلفة بحسب ما يقتضيه المقام والسياق ، مثل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾(٢)

وقوله : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾(٣)

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾(٤)

---

(١) سورة الفرقان آية رقم (٥٤) .

(٢) سورة الحجرات آية رقم (١٣) .

(٣) سورة النساء آية رقم (١٢٤) .

(٤) سورة آل عمران آية رقم (١٩٥) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾(١) .

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾(٢) .

فَبَنُو آدم خُلقوا من ذكر وأنثى ، والمجتمع البشري يتكون من الذكر والأنثى ، وكل من الصنفين محتاج للآخر ، قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣) .

وإذا تأملنا التشريع الإسلامي وجدناه يخاطب الأنثى كما يخاطب الذكر ، ويكلفها بما كلف به الرجل ، فهي داخلة في المنادىٰ بقوله تعالى : **﴿ يا يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾**(٤) **﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾**(٥) **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾**(٦) فالأنثى يجب عليها الإيمان بوحدانية الله وبرسالة محمد - صلى الله عليه وسلم- وتجب عليها الصلاة والزكاة ، والصيام والحج إذا كان لها محرمًا يسافر معها ، والبر والصلة ، والقنوت والخشوع ، والصبر والعفة ، وحسن المعاملة والمعاشرة ، وبذل القرى ، وكف الأذى ، ولها حقُّها من الكسب والميراث .

ولا تختلف الأنثى عن الذكر في التكليف إلا في مسائل يقتضيها اختلافهما في أصل التكوين ، فلا تكلف الأنثى إلا بما في وسعها وخفف عنها ما يشق عليها ، ويتضح ذلك في فَوارق ، أذكر بعضها .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (٣٦) .

(٢) سورة النساء آية رقم (١١) .

(٣) سورة الروم آية رقم (٢١) .

(٤) سورة النساء آية رقم (١) ، الحج (١) .

(٥) سورة الأعراف آية رقم (٢٦،٢٧،٣١،٣٥) وسورة يس آية رقم (٦٠) .

(٦) سورة البقرة آية رقم (١٠٤- ١٥٣- ٢٠٨- ٢٦٤- ٢٦٧- ٢٧٨) وآل عمران آية رقم (١٠٠-١٠٢-١١٨-١٣٠) إلخ .

فقوةُ الإرادة عند الذكر ، وصلابةُ العود ، والقدرةُ على التحمل ومواجهة الحوادث والمصائب لا توجد عند الأنثى . وترتب على هذا ، شَرْعُ الجهاد والقتال والكر والفر على الرجال ، وأعفيت منه الأنثى ، وكُلِّف الرجل بالأعمال الصعبة مثل الزراعة والتجارة وسائر الحرف ، وطلب الكسب ، ولم تكلف بها المرأة . ومن الفوارق قوة الحفظ ، والذاكرة عند الرجل ، وقوة الشخصية ، فجعلت شهادة المرأة نِصفَ شهادة الرجل .

﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾[1] .

ولا تُقبل شهادة الأنثى في الحدود ، ولا دَخْل لها في أيمان القسامة على القاتل ، ولا تصح إمَامتُها الرجال في الصلاة ، ولا ولايتها في الأمور مثل رئيسة وزراء لقوله - صلى الله عليه وسلم - لا يفلح قوم ولو أمرهم أمرأة .

وجعلت القوامة ، وعقدة النكاح بيد الرجل ، لأنه أقوى وأبعد نظرًا في العواقب ، فلا يخدع بالشهوة والرغبة ، وعنده من الروية والتأمل في الجملة ما ليس عند الأنثى ، فلا تغلبه الانفعالات الطائشة والتصورات الطارئة .

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[2] .

ومن الفوارق أن الرجل زارع يبتغي هِبَةَ الله وفضلَه ، والمرأة مزرعة ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ** ﴾[3] فهي محل الرغبة والشهوة ، فجعل في أصل خلقها فوارق تستميل الرجل وتجلبه ، من ذلك الجمال والترف والتجمل ، ولما كان شعر اللحية والشارب

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٢٨٢) .

(٢) سورة النساء الآية رقم (٣٤) .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٢٣) .

دليل القوة ، والصلابة ، والرجولة ، وعنوان الهيبة ، والمرأةُ محل الرقة ، والنعومة ، والشُهوة فمن حكمة الله لَم يَنْبتُ لها لحية ولا شارب ، ولا شعور لها ظاهرة ، فاللحية جمال للرجال كما قالت عائشة - رضي الله عنها - والذي جمل الرجال باللحا ، وعدمها جمال في المرأة ، فيجب إعفاؤها للرجل ، وإن وجدت في المرأة فهي نادرة تستحب إزالتها .

ومن الفوارق بين الجنسين أن الأنثى اختصت بالحمل والرضاعة ، وهي ترغب هذا وتميل إليه بأصل خلقتها ، وتلك صِفَة تمتاز بها فالمرأة هي المنتجة وهي المربية ، في أطوار الطفل الصعبة ؛ فلا يعبر عن حاجته وتألمه إلا وتفهم منه حاجته .

وتُشكر على أداء واجبها الإنساني وواجبها الشرعي ، لذلك أوجبت الشريعة لها النفقة ، والكسوة ، والمسكن ، وتهيئة ما يلزم لحملها ، وولادتها ، وإرضاعها .

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ ﴾ (١) .

وجُعلت العادةُ الشهريةُ دليلًا على خلوها من الحمل ، وأمدًا العدة . الفراق في الحياة ، وجعلت المرأة مؤتمنة على ما فيها من حمل ، فيجب عليها تقوى الله .

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ (٢) .

ومراعاةً لحالها خفف عنها فوُضعت عَنْها الصلاة أيام عادتها ونفاسها ، فلا تُصَلى ولا تقضيِ ، أما الصيام فلا يصح من المرأة أيامَ عادتها ونفاسها ، وتقضي

(١) سورة البقرة (٢٣٣) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٢٨) .

الواجب منه إذا طهرت لأنه لا مشقة عليها في قضائه لأنه مره واحده في السنة وأبيح لها الفطر في رمضان إذا خافت على نفسها، أو على ولدها.

ومن الفوارق بين الذكر والأنثى، أن المرأة محل أطماع الرجال، وتلحقها مذمةٌ ودنسٌ، إذا هي خلت برجل أجنبي، فأوجب الشارع على وليها وزوجها رعايتَها والمحافظة على قيمتها الإنسانية وشرفِها، ومُنِعت من الخروج من البيت إلا بإذنه، ومنعت من السفر إلا بمحرم. فالمرأة كلها عورة حتى صوتها، فلَمْ يشرع في حقها الأذان ولا الإقامة، ولا رفع الصوت بالقراءة، وأسقطت عنها الجمعة والجماعة؛ لأنه مطلوب منها أن تقر في بيتها.

ومراعاة لتلك الحالات وجب عليها الحجاب وتغطيةُ وجهها عن الرجال الأجانب، وحرم عليها إبداء شيء من زينتها إلا ما يتعذر ستره مثل العباءة وما تغطي به رجليها، ولهذا تُحرم في ثيابها، وتغطي في الإحرام رأسها، وإذا كان عندها رجال أجانب حجبت وجْهها، فإذا جاوزوا كشفته، كما قالت عائشة - رضي الله عنها.

هذه بعض الفوارق بين الجنسين، وهي لا تؤثر في المنزلة الاجتماعية، ولا في المكانة الإسلامية، وما عدا تلك المسائل المعدودة، فالكل خلق الله، والكل عبيد الله، والكل مخاطب بتكاليف الشريعة، وموعود بالجنة؛ من أطاع فله الجنة، ومن عصى فله النار، والكل يرجو رحمة الله ويطمع في عفوه، والكل يرجو الولد، ويتشوق للحياة الزوجية السعيدة.

وما خرجت المرأة من بيت أهلها إلى بيت لم تألفه إلا لتجد فيه العزة والكرامة، وحسن الصحبة والمعاشرة، فيجب على كلٍّ من الزوجين معاشرةُ الآخر بالمعروف، والصحبة الجميلة، وكفُّ الأذى، وأداء الحق الذي عليه للآخر بلا مطل ولا معاندة. ينبغي إظهار السماحة والارتياح والبشر والطلاقة، ولا يُتْبع إحسانه منًّا ولا أذىً، والحقوق الزوجية واجبة في شرع الله، ولازمة بنظام الإسلام، قال تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[١].

وقال جلت عظمته:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢].

فواجب على كل واحد من الزوجين أن يتقي الله في الآخر. قال ابن عباس: إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ** ﴾ فكل ما يُحب الرجلُ أن تعمله زوجه من أجله يَعْملُه هو من أجلها، لكن بعض الأزواج ينسىٰ الذي عليه، وخاصة إذا كان مرهقًا من عمله، أو ثائرًا شعوره فيتحوَّل وحشًا يصُب شره على زوجه، يشتم ويَسُب، ويصيح ويَنقد، ويستهزئ ويتهكم، ويتوعد ويهدد، وما ذنب زوجه المسكينة، إن هذا العمل محرم في دين الله، وسوء عشرة ممنوع بنص كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- فاتقوا الله أيها المسلمون.

اللهم؛ بارك لنا في القرآن.

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٩).

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، من أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، من يطع الرسول فقد أطاع الله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن بعض الأزوج يأخذ من قوله تعالى : ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾[1] ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَىٰ النِّسَاءِ**﴾[2] أن له مطلق الإرادة يفعل ما يشاء ويتكلم بما يشاء ، وأن ما يَفْعلُه عدل ؛ فيؤذى المرأة بلسانه ويده ، ويذلُها ويهينها إذا لم تنقد لإرادته ، ويغمطها حقها ، وليس الأمر كذلك ، فله السمع والطاعة في المعروف ، وله درجة في الفضيلة والخلقة ، إذا كان كفئًا ، وله الرئاسة وسيادة البيت إذا قام بواجباته ، وله الوقار والاحترام إذا فعل أسبابه ، أما إذا كان عاصيًا لله يترك الصلاة ويعمل المحرمات ولا يعمل الطاعات ، بخيلًا شرسًا بذيًّا سليطًا عنجهيًّا لا يرى لبيته حقًّا ولا لزوجة حُرمة ، فليست له درجة ولا قوامة ، بل المرأة المعتدلة خير منه وأكرم .

فاتقوا الله عباد ؛ إن الله وملائكته يصلون على النبي .

---

(١) سورة النساء آية رقم (٢٢٨) .

(٢) سورة النساء آية رقم (٣٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الحادية والأربعون

٨ / ١٠ / ١٤١٢

[المرأة مكلفة مثل الرجل]

الحمد لله رب العالمين . رفع مستوى المرأة وأكرمها وأعطاها حقها وافرًا . ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(١) .

وأشهد ألّا إله إلاالله ، وحده لا شريك له ، أمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن الظلم والطغيان .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله أمر بأداء الحقوق بلا من ولا عضل ولا هجران .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن الإسلام كرَّم المرأة ، وأعزها ، وحفظ لهآ حقوقها ، وبين أن المرأة شقيقة الرجل لها مثل الذي عليها بالمعروف .

وكانت المرأة قبل الإسلام مهانة مبتذلة ، مركزها هابط عن مستوى الإنسان ، ليس لها حق الاختيار ولا الدفاع ، وإنما تورث كما يورث المتاع .

فلما جاء الإسلام أنقذ المرأة من تلك التصورات الهابطة إلى تصور الواقع والحقيقة . فالمرأة إنسان مخلوق لله مُتَعَبِّدةٌ مأمورةٌ منهيةٌ تؤمن بربها ، وتناجيه ، وتدعوه وتتضرع إليه مباشرة ، يَقْبل إيمانَها ، ويستجيب دعاءها ، ويسمع تضرعها ، فهي مخاطبة بالتكاليف كما خوطب الرجل وداخلة تحت خطاب الأمر والنهي كالرجل : **﴿ يا أيها الناس ﴾** . **﴿ يا بني آدم ﴾** . **﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾** . ومع هذا لما جاء

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢٨) .

نسوةٌ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقُلن : ما بال الرجال يذكرون في القرآن ولا تذكر النساء ؟ ، وقال بعضهن لنساء النبي - صلى الله عليه وسلم : ما بالكن تذكرن في القرآن ولم يذكر نساء المؤمنين سمع الله قولهن ، فأنزل الله - تعالى - قرآنا ذكر فيه النساء مع الرجال تطييبًا لخاطرهن ، ورفعًا لقدرهن ، فقال تعالى :

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[١] .

وهذه الصفات العشر لكل صفة دورٌ كبير في بناء الشخصية المسلمة ؛ لأنها تربط المسلم والمسلمةَ بخالقهما ، وتوقظ الحس والهمم ؛ لتلقى أوامر الله بالقبول واحتساب ما عند الله من الرحمة والرضوان ، والعفو والغفران ، ورفع الدرجات في الجنان ، والترفع عن وصَمات الجاهلية والجحود والنكران .

وأما في تَقرير المصير ، فكما أن الإسلام أعطى الرجل حق اختيار الزوجة الصالحة الدينة ؛ تَرْعى بيته ، وتُنجب ذريته ، وتربي أولاده . كذلك أعطى المرأة حق اختيار الزوج الصالح ، الدين ، العاقل ، فهى صاحبة الشأن تعيش مع بعلها في بيت واحد ، وفي لحاف واحد ، فتختار بعلم وليها ومشورته ، فلابد من الولي ؛ لأن المرأة لا تعرف الرجال وسلوكهم ، وإنما يعرفُ الرجالَ أمثالُهم .

فقد ترغب المرأة في غير كفء ، وقد ترغب في قبيح الأخلاق والسلوك ، فالولي هو الذي يختار لها من يرى فيه الكفاءة والصلاح وحُسنَ المعاشرة . فَرِضا المرأة ، ووجود الولي شرطان لصحة النكاح فلابد من اجتماعهما ، ولا يصلح أحدهما

(١) الأحزاب آية رقم (٣٥) .

دون الآخر ، فإذا حصل خلاف بين المرأة ووليها ، فَيَرْفَعَان أمرهما إلى القاضي الشرعي ، وهو يتدخل بالأصلح .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن . قالوا : يا رسول الله : وكيف إذنُها ؟ قال : أن تسكت ؛ لأن الحياء يغلبها . وفي حديث ابن عباس عند مسلم : الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر يستأذنها ، فالحديثان يُفَسر أحدهما الآخر .

وأما اشتراط الولي فلما روى الإمام أحمد ، والترمذي ، وأبو داود ، وابن ماجة ، والدارمي عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهم - عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا نكاح إلا بولي » .

وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : « أيما امرأة نَكَحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فإن دخل بها فلها المهر ؛ بما استحل من فرجها ؛ فإن اشتجروا فالسلطان وليُ من لا ولَّى له » فتنقل الولاية إلى الذي بعده .

إن الشريعة الإسلامية تعمل لِضَبط الأمور وإصلاح المجتمع ، ولسد أبواب الفساد والمكر والخداع ، فلو جُعل للمرأة الحق في تزويج نفسها بغير علم وليها لفتح باب الفساد فكل خَدِين يضْبط مع خدينته يدعي بأنه تزوجها ، وتدعي هي بأنها زوجته نفسها ؛ فاشتراط الولي في النكاح يسد أبواب الفساد والفوضى ، ويحفظ للمرأة قيمتَها وكرامتَها .

وإذا امتنع الولي من التزويج ، فلها أن تخبر القاضي وهو يتصرف بالأصلح .

أما ما يفعله بعض الناس ، إذا خطب امرأة وامتنع أبوها أغراها وغرر بها ، وخدعها وسافر بها إلى جهة ما ، وتزوجها زواجًا سريًا بلا ولي ومن دون علم الأب . فهذه خيانة وجريمة لها خطرها على المرأة وعلى المجتمع ، ومع هذا فلها أن تتقدم إلى القاضي ، والقاضي أب حنون يعمل الأصلح ويدل على الخير .

والأَوْلَى بتزويج المرأة أبوها ، ثم جدها ، ثم ابنها وأبناؤه الأعلى فالأعلى ، ثم

الأخ الشقيق، ثم الأخ لأب، ثم أولاد الإخوة ثم الأعمام، ثم أبناءُ الأعمام الأقرب فالأقرب كالميراث، ثم السلطان، ووكيل الولي يقوم مقامه.

وللمرأة في الإسلام حق الملكية سواء بالكسب أو بالإرث، أو بالصداق، قال تعالى ﴿ **وآتوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿ **فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا** ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ** ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ** ﴾[٤] فلا يحل للولي ولا للزوج أن يأخذ من صداق المرأة ولا من مالها شيئًا، إلا بطيب نفس منها: ﴿ **فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا** ﴾[١].

ولو أراد الزوج أن يستبدل امرأة مكان زوجه فلا يحل له أن يأخذ من صداقها شيئًا، ولا أن يُضايقها لتفتدي منه، فإن ذلك ظلم لها.

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾[٥].

لكن إن كان سببُ الفرقة في المرأة أو هي طلبت الانفصال فعليها أن تفتدي ولزوجها أخذ الفداء قال تعالى:

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا

(١) سورة النساء آية رقم (٤).
(٢) سورة النساء آية رقم (٢٠).
(٣) سورة النساء آية رقم (١١).
(٤) سورة النساء آية رقم (٣٢).
(٥) سورة النساء آية رقم (٢٠-٢١).

﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(١) .

وروى البخاري - رحمه الله - عن عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما - أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت يا رسول الله : ثابتُ ابنُ قيس ما أعيب عليه في خُلق ولا دين ، ولكن أكره الكفر في الإسلام . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أتَردين عليه حديقته قالت : نعم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إقبل الحديقة وطلقها تطليقة » .

وأما إن كان الطلاق قبل الدخول ، فللزوج نصفُ المهر المسمى ، إلا أن تعطيه المرأة كل الصداق أو هو يسامحها به كلِّه ؛ قال تعالى :

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٢) .

وتيسير الصداق وتقليل الكلفة خَيْر للزوجين وأكثر بركة . روى البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن أعظم النكاح بركةً أيسره مؤنة »(٣) .

وروى الإمام أحمد وجماعة من المحدثين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لا تُغالوا في صدقات النساء ؛ فإنها لو كانت مكرمةً في الدنيا ، وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبيُّ الله - صلى الله عليه وسلم - ما علمت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نكح شيئًا من نسائه ، ولا أنكح شيئًا من بناته على أكثر من اثنتى عشرة أوقية ، وفي رواية أم سلمة عن عائشة - رضي الله عنهما - أنها خمسمائة درهم .

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٢٢٩) .

(٢) سورة البقرة الآية رقم (٢٣٧) .

(٣) أبو داود كتاب النكاح (٣١) ، أحمد [٨٢/٦] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن ... إلخ

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، بين حق كل زوج على الآخر وحث على النصح في الأداء .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ربط الأعمال بالنيات .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله سيد الناس وخيرهم لأهله .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن الحياة الزوجية لا تستقيم إلا بالتوازن في أداء الحقوق ، ولا تدوم العشرة إلا بالاعتدال في القيام بالواجبات ، وبالصبر والتحمل والتسامح ، قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1] .

وروى مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر » ، والحياة الزوجية مرتبطة بالله كسائر الطاعات[2] .

فيجب على كل واحد من الزوجين ، أداء الحقوق التي عليه للآخر بصدق وإخلاص ، واحتساب الأجر على الله .

كما يجب تركُ ما يسيء إلى الآخر خوفًا من عقاب الله .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ والعاقل ينصف من نفسه ، ويحاسب نفسه ، وينظر في عواقب أعماله وتصرفاته .

---

(١) سورة النساء الآية رقم (١٩) .

(٢) مسلم رضاع (٦٣) ، أحمد [٣٢٩/٢] .

ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أيهاالذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾[١] .

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية والأربعون

٢٦ / ٢ / ١٤٠١

[البيت معمل الإنتاج]

الحمد لله رب العالمين . اللهم ، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له ، خلق فسوى ، وقدر فهدى .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين - صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن سعادة الفرد والجماعة ، وراحة الحكومات والشعوب ، لا تتحقق ، ولا تستقيم إلا إذا بُنيت على أصلين : إحدهما - الإيمان ، وهو صلة الإنسان بخالقه ، والثاني - الأخوة في الله ، وهي صلة المخلوق بالمخلوق ، فالإيمان : نور يهتدى به الإنسان في مسيرته فَتَكون تصرفاتُه مُعْتَدلة وأعمالُه موفقةً ، وأقواله مسددةٌ ، والأخوة في الله قوة تربط بين القلوب ، وتجمع بين الأبدان ،فيحصل التعاطف والتكاتف .

فإذا اجتمع الإيمان والأخوة تكونت أمة متماسكة متعاطفةٌ ، قوية صلبة قادرةٌ على تحمل مسئولياتها ، والمحافظة على حقوقها وكراماتها ، قادرة على تطهير مجتمعها ، ونشر العدل بين الناس .

فالإيمان والأخوة في الله متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ومعلوم أن الإيمان : قول واعتقاد وعمل ، وأن الأخوة مودة ورحمة ، وتكافؤ وإيثار . « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »(١) .

المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ، ولا يسلمه ولا يخذله(٢) .

---

(١) خ : الفتح [١/٥٣] ، وم حديث رقم (٤٥) الإيمان كلاهما من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه .

(٢) مسلم البر والصلة برقم (٢٥٨٠) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه .

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشّد بعضه بعضًا.(١)

مثلُ المؤمنين في توادهم وتعاطُفهم وتراحمهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى(٢).

وبهذا كون النبي – صلى الله عليه وسلم – أمة قوية، صلبة متعاطفة متناصحة، فلم يستطع أحد أن يتخلل صفوفها، ولا أن يثنى قناتها، ولم يستطع أحد أن يقف أمامها، وبقيت كذلك قرونًا من الزمن.

فلما فُتحت الدنيا على المسلمين تنافسوا فيها، وجد الأعداء فجوة دخلوا منها، وكانوا يتحينون الفرص، ويتربصون الدوائر بالمسلمين، فعمدوا إلى القاعدتين؛ لتعطيل الإيمان والأخوة، لتحطيمهما فألبسوا أناسًا ثياب الإسلام فأخذوا يصنعون الخلافات العقائدية، ويلقون الشبه، والتشكيك، وبلبلة الأفكار، وفتحوا بابًا وصرفوهم عن الله إلى خلق الله ودسوا للناس التمسح بالحيطان والشبابيك، والغلوُ في الصالحين، والعكوفُ عند قبور الأولياء وإثارة الخلافات، والنعرات القبائلية، والإقليمية بين المسلمين مع السعي بالوشاية والأكاذيب، حتى تصدعَت الإخوة في الله، وتفرقت أجزاؤها، واختلت العقيدة الإسلامية وصفاء الإيمان، وما زال أعداؤنا كذلك، ولن يزالوا يبذلون جهدهم بالعمل المستمر الجاد، والتعاون مع جميع القوى المعادية للإسلام، بطول النفس، والتخطيط يأخذه الأخير منهم عن الأول.

ولله تعالى له في قَدَره ومشيئته حكم وأسرار ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾(٣).

وقد أدرك المسلمون واقعهم، وأحسوا بما يحيط بهم، وعرفوا ما يراد بهم، وكأنهم استيقظوا من رقدة أهل الكهف، فإذا المعالم قد تغيرت، والطرقات قد

(١) م: برقم (٢٥٨٦) عام وخاص (٦٦) من حديث أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه.

(٢) خ [١٠/٣٦٧]، الأدب ومسلم برقم (٢٥٨٦) البر والصلة من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) سورة الشورى آية رقم (٣٠).

خُرِّبَت ، والعوائق قد وضعت ، والقوة نهكت ، وقدرة الله تحول من حال إلى حال ، فالانتباهة يبشر بالخير .

طريق الله واضح ، نَير مستقيم ، لا تخفيه الحواجز ، وإنما الأمر يحتاج إلى ضوء ينير طريق العودة إلى الله ، وإلى دليل ماهر يسلك أقرب الطرق .

يقتدي بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في دعوته وصبره وجهاده ، ولا يهتم بالدنيا وما فيها . فالإيمان : هو النور الذي يجب أن تهتدي الأمة بنوره والإسلام هو الدليل الذي لا يضل تابعه ولا يشقى وواجب على علماء المسلمين وطلاب العلم أن يبينوا للناس حقيقة الإسلام .

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[١] .

والداعي : هم علماء الإسلام ، وأبناء الإسلام قوة ، فالأمر يحتاج إلى عزيمة وجلد ، وعمل مستمر ، وتخطيط ، وتعاون وتأسيس الأمور بمن القواعد الثابتة ، ويحتاج إلى تنظيم المناهج الدراسية في جميع البلدان الإسلامية ، على نظام الإسلام وإبعاد النظم الوضعية عنها ؛ من أجل تكوين جيل مؤمن مسلم يتحمل مسئولياته ، فاهم ما له وما عليه ، والبيت هو معمل الإنتاج ، فتطهير المعامل من الفساد يُصلح الإنتاج ، والمدرسة هي معمل التصنيع فأصلحوها فتصلح الصناعة ، والإعلام هو واسطة التبليغ والتوجيه فيجب أن يكون أعلامنا إسلاميًا حقيقيًا .

إن الشعوب غير المسلمة قد سئمت حالها ، فعملت على نشر الأمن ، وحفظ الحقوق ، والعالم في شوق إلى نظام تتوفر فيه أمنيّاتُهم ليقيم الأمن ويحفظ الكرامات وليس ذلك إلا في نظام الإسلام . والمسئولية تقع على المسلمين ، فيجب تبليغ الإسلام بالعمل والقول إلى تلك الشعوب .

---

(١) طه : (١٢٣) .

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾(١) .

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾(٢) .

والمسلمون في أشد الوله إلى العودة إلى نظام الإسلام وتطبيقه في الحقل الخاص والعام ، على الفرد والمجموعة ، على الدولة والرعية ، والمسئولية تقع على قيادة الأمة المسلمة الزعماء والرؤساء .

فقد جعل الله ولاية عبادة في أيديهم ، لينظر كيف يعملون ، فحرام على القادة المسلمين أن يعزلوا شعوبهم عن نظام الإسلام ، حرام على زعماء المسلمين أن يتركوا نظام إسلامهم السماوي ، ويأخذوا بنظام البشر ، حرام على المسلم أن يكون غريبًا بعيدًا عن تعاليم دينه .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اتقوا الله أيها الناس . -

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(٣) .

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾(٤) .

إن المسلمين في كل مكان يشكرون الحكومة المسلمة التي قفزت قفزة إسلامية حية شجاعة ، وحطمت جميع العوائق حتى وصلت إلى صراط الله المستقيم ، وحكمت بما أنزل الله وأقامته الحدود .

---

(١) آل عمران آية رقم (١٨٧) .

(٢) سورة يوسف آية رقم (١٠٨) .

(٣) سورة هود آية رقم (١٠٢) .

(٤) سورة الإسراء آية رقم (١٦) .

فنسأل الله أن يثبتها على الحق ، وأن يديم توفيقها ، وأن يفتح الطريق أمامها ، وأن يهدي قادة المسلمين جميعًا إلى تحكيم كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

اللهم ؛ بارك في القرآن العظيم .... إلخ .

٣٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله ولا يحمد أحد سواه .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن الأمة الإسلامية مستبشرة مُتَفائلة بمؤتمر القمة الإسلامي الذي سيُعقد قريبًا إن شاء الله تعالى عِنْد البيت الحرام ، عند أول بيت وضع للناس ، عند القبلة التي يؤُمها المسلمون ، وتهوى إليها أرواحهم ، وتحن إليها أبدانهم .

الفرحة تغمر القلوب ، والسرور ينير الوجوه بهذا المؤتمر فهو في ذاته انتصار ، بتألف القلوب ، وتوحيد الرأى ، والاحساس بالمسئولية ، والقائمون عليه يعرفون واقع المسلمين ومشكلاتهم ، ويعرفون طرق السلامة ، وشواطئ النجاة ، والوافدون إليه يعرفون أنهم يمثلون أممًا مسلمة ، وشعوبًا مؤمنة ، لها شوق إلى نظامها ، والسير على منهاج ربها قد سئمت شتات أمرها ، وتفرق أجزَائها .

فنرجوا الله أن يجعله مؤتمر خير وعز للإسلام والمسلمين ، وأن يحققق للأمة الإسلامية آمالها .

ونسأل الله تعالى أن يكلله بالوفاق والنجاح ، وأن يجزي قادة المسلمين المخلصين عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وأن يخزي الظالم المعاند المفسد ، وأن يسلط عليه أضعف جنده الذي لا يهزم ولا يرد ، مثل البعوضة التي أرسلها على النمرود ، فكان الناس يضربون رأسه بمطرقة والبعوضة تمخرُ في دماغه .

عباد الله ؛ **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا ﴾**(١) ..... إلخ الدعاء .

(١) سورة الإحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة والأربعون

٢٥ / ٢ / ١٤٠٣

[حقوق الوالدين]

الحمد لله رب العالمين[١] ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٢] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وهو الغني الحميد .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم[٣] .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم الجمع والتغابن .

أما بعد ؛ فأذكرك أيها الإنسان ؛ أذكرك أيها المسلم أمرًا عظيمًا قد تغفلُ عنه أو تلهوْ عنه ، وهو عظيم عند الله ، وعظيم في شرع الله ، وعظيم عند خلق الله ، عظيم في الدنيا والآخرة ، فاسمح لي أولا أن ألقي عليك سؤالًا ستعجب منه لبساطته ، ولكون جوابه بديهيًا لكني أريد الجواب منك في نفسك مَنْ أنت ؟ ومن أين خلقت ؟ الجواب : فلان ، خلقني الله من أبي وأمي . فأنت تعرف بأن الله أوجدك من العدم ، ووالداك هما السبب في وجودك ، وأن الله هو الذي رباك ورزقك ، ووالداك هما السبب في هذه التربية وهذا الرزق .

إذًا أذكرك بأنك بقيت في ظلمات ثلاث[٤] .

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (١) .

(٢) سورة هود آية رقم (٦) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التوبة آية رقم (١٢٨) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سروة الزمر آية رقم (٦) .

تسعة أشهر غالبًا بطن أمك بين قلبها وكبدها وأحشائها، فما ظَنك بما تلاقي أمك في مدة الحمل من الآلام والأمراض والمتاعب، لا يعلمها إلا عالم الغيب والشهادة - فالولاده التي تُحس بها وَهْنًا على وهن[١] وكرها على كره فإذا آن وقت خروجك، وحضرتْ آلام الوضع، فإنه الموت الأحمر المشاهد، ولولا لطف الله ورحمته وعنايته ما حييت أنت ولا أمك، وأبوك يشارك أمَّك في آلامها، ويتألم لما يرى بها، يا رب سلم، سلم.

وهل تقف المتاعب عند هذا الحد؟، لا بل تتوسع وتتنوع، صِيَاح في الليل يُحرَم أبواك لذة المنام، وصَراخ في النهار تُنغِّص عليهما العيش، أضف إلى ذلك خدمتك ونظافتك، أما إن أَلَّم، بك مرض؛ فالخوف والقلق يعصر قلوبهما، والرحمة والشفقة تجُري الدموعَ من عينيهما.

وهل يكفي لذلك أيام أو شهور أو عام؟ بل أعوام عديدة بلياليها ونهارها، وأبَوَاك في تعب بدني ونفسي ونفقات ورعاية وقلق عليك.

إِن حقوق الوالدين واجبة على الأولاد، واجبة بالعقل وواجبة بالشرع، وواجبة في المجتمع الطاهر النقي. إن بر الوالدين فريضة في ديننا وفي الشرائع قبله.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٢].

والإسلام أمر ببر الوالدين والإحسان إليهما، وهو دين الرحمة، ودين الجزاء والإحسان، وهو نظام العدل والتعاون ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[٣].

ولذلك نجد القرآن العظيم يُوْلي بر الوالدين اهتمامًا بالغًا كما في سورة البقرة[٤]، وفي سورة النساء[٥]، وفي سورة الأنعام[٦]، وفي سورة الإسراء[٧]، وفي

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة لقمان آية رقم (١٤).

(٢) سورة البقرة آية رقم (٨٣).

(٣) سورة الرحمن آية رقم (٦٠).

(٤) سورة البقرة آية رقم (٨٣).

(٥) سورة النساء آية رقم (٣٦).

(٦) سورة الأنعام آية رقم (١٥١).

(٧) سورة الإسراء آية (٢٣).

سورة مريم[١] ، وفي سورة العنكبوت[٢] ، وفي سورة لقمان[٣] ، وفي سورة الأحقاف[٤] .

وقد بينت سورة الإسراء قواعد بر الوالدين وأسسه ، فقال تبارك وتعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[٥] .

أما سنة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – فقد أوضحت فوائد البر وحُكمه في الشريعة ، وبينت مضار العقوق ، في دين الله[٦] .

الإحسان إلى الوالدين أفضل من الجهاد في سبيل الله[٧] ، ومن الحج والعمرة .[٨] الوالدان هما جنة الولد أو ناره ، هما بابان إلى الجنة ، أو بابان إلى النار . الجنة تحت أرجل الوالدين[٩] رضاهما من رضا الله وسُخْطهما من سُخطه[١٠] البار بوالديه الدين قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس يوسع له في رزقه وينسأله في أجله[١١] ويشرح

---

(١) سورة مريم آية رقم (١٤) .

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٨) .

(٣) سورة لقمان آية رقم (١٤) .

(٤) سورة الأحقاف آية رقم (١٥) .

(٥) سورة الإسراء آية رقم (٢٣،٢٤) .

(٦) إشارة إلى حديث أنس – رضي الله عنه – خ برقم (٥٩٧٧) وفيه هذا المعنى وإنه من الكبائر .

(٧) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – خ برقم (٣٠٠٤) الجهاد باب (١٣٨) ، وم : في الصحيح البر والصلة من هذا الوجه واللفظ حديث رقم خاص (٥) .

(٨) وردت الروايات الكثيرة في هذا المعنى ، ذكرها الحافظ في الفتح [٦/١٤٠-١٤٢] .

(٩) جه برقم (٣٦٦٢) ، وبرقم (٣٦٦٣) بمعناه الأول من حديث أبي أمامة والثاني من حديث أبي الدرداء ، وإسنادهما حسن لغيره .

(١٠) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – ابن حبان في صحيحه كما في الموارد برقم (٢٠٢٦) وإسناده صحيح .

(١١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه خ في الأدب ص [١٠٣٤٨] الفتح ، ومسلم في البر برقم (٢٥٥٧) .

له صدره، وتيسر له أموره، ويُصلح له ذريته، وتكون خاتمته حسنة، والعاق بوالديه ضد ذلك كله، وكما أن البر قُرن بالتوحيد(١)، فالعقوق مقرونٌ بالشرك(٢) فاقبح بالعقوق من خلق !! وأعظم به من إثم !! لا يصدر إلا من نفس خبيثة، لئيمة، لا دين لها، ولا خلق ولا مروءة ولا حياء لا يصدر العقوق إلا ممن يجحد المعروف.

بهذا أذكرك أيها الإنسان؛ وأذكرك أيها المسلم؛ تذكر الدَّوْر الذي قام به أبواك جعلًا سببًا في وجودك فلولاهما ما خُلقت ولولاهما ما خرجت إلى هذا الوجود.

فاتقوا الله، اعرفوا للبر حقه، واعرفوا لأمهاتكم وآبائكم حقوقهم، وأدّوها موفورة غير منقوصة.

اللهم؛ إنا نسألك بر الوالدين، والإحسان إليهما، كما أحسنا إلينا، واغفر لابآئنا وأمهاتنا وجميع المسلمين، إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء آية رقم (٢٣).

(٢) إشارة إلى أيتي لقمان: (١٣،١٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة الرخاء، والأمان .

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، صاحب الفضل والإحسان .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..فقد جاء رجل إلى أبي الدَّرْداء، رضي الله عنه؛ فقال: إن أبي لم يزل بي حتى زوجني، وإنه الآن يأمرني بطلاقها فقال له: ما أنا بالذي آمرك أن تعُق، ولا بالذي آمرك أن تطلق امرأتك، غير أنني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «الوالد أوسط أبوابِ الجنة، فحافظ على ذلك إن شئت أودع»[١] .

وكان تحت عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- امرأةٌ يُحبها، ويكرهها أبوه، فأمره فامتنع فذكر عمر ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- «فأمره بطلاقها»[٢] .

وجاء رجل إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-: يستعدي على والده أيْ يشتكيه: فقال: إن أبي أخذ مالي، فقال له عليه الصلاة والسلام «أما علمت أنك ومالك من كسب أبيك»[٣]، وفي لفظ لابن ماجة «أنت ومالك لأبيك»[٤] .

(١) جه برقم (٢٠٨٩) كتاب الطلاق باب (٢٠) باب الرجل يأمره أبوه بطلاق امرأته، وإسناده حسن لغيره وهو من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) جه برقم (٢٠٨٨)، من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- وإسناده جيد، وأخرجه الترمذي أيضًا في الجامع: ص [٣/٤٩٤] من هذا الوجه واللفظ، وقال: حسن صحيح .

(٣) أخرجه أحمد في المسند [٢/٢١٤] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده -رضي الله عنهما- وإسناده حسن .

(٤) جه: التجارات باب (٦٤)، باب ما للرجل من مال ولده حديث رقم (٢٢٩١) . =

وكان رجل يحمل أمه على كتفيه يطوف بها الكعبة المشرفة، فمر بأحد العلماء، فقال: هل قمتُ بحق أمي؟ فقال له: أنت تحملها، وتتمنى أن تموت، وهي كانت تحملك، وتتمنى أن تعيش.

ومر أحد التابعين برجل يحمل أمه على ظهره يطوف بها فقال له: أتُراني كافأتها، قال: لا، ولا بطلق واحد من طَلْقِ الولادة.

اتقوا الله أيها الناس؛ كلكم أولادٌ لآمهاتكم وآبائكم، بعض الناس إذا أغضبه أحد والديه يخرج عن شعوره وينسىٰ واجباته.

ومعلوم أن التضجر لا يكون في حالة إحسان، وإنما يكون في حالة إساءة من أحد الوالدين.

وقد نهيت عن التضجر، وعن تَقْطيب الحاجب، وعن التأفف أذا أغضبك أحد والديك. وأمرت بالصبر، والتحمل، والقول الطيب اللين، والخضوع. مع الدعاء بالرحمة والرضوان.

إن الله وملائكته يصلون على النبي(١).

= وهو من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - وقال المعلق: وفي الزوائد. إسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط البخاري.

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة والأربعون

٢٣ / ٢ / ١٤٠٥

[البيت مدرسة]

الحمد لله رب العالمين . ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[١] .

وأشهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ألوهيته ، واحد في ربوبيته ، واحد في أسمائه وصفاته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صاحب الخُلق العظيم ، والرسولُ الأمين . اللهم ؛ صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان لرسالة عظيمة ، وخلق منه زوجه لمهمة كبيرة ؛ ذلك لتكوين الأسرة البشرية التي تكون مؤمنة بربها ، مؤمنة برسولها ، صلى الله عليه وسلم ، تعبد الله وتربط شئونها كلها مباشرة بالله ؛ ولذلك اعتنى الإسلام بشأن الأسرة الإنسانية ، وأحاطها بكل رعاية وبكل الضمانات ، لإصلاح شئونها مع هذه الحياة وفيما بعدها ؛ ليرفع الإنسان من مشابهة الطبائع البهيمية إلى مستوى الكرامة والقداسة الإنسانية التي فُضل بها الإنسان على سائر المخلوقات .

ليكون الإنسان إنسانًا حقًّا كما أراد له خالقه تبارك وتعالى ؛ ليكون طاهر الروح ، طيب النفس ، سليم التصور والشعور ، نقيَّ العقيدة ، منقادًا لأوامر الله ، مستعدًا للقاء ربه ، يقيم العدل ، وينشر الأمن .

جرت قدرة الله تعالى أن تكون الحياة الإنسانية تنشأ من الأسرة مبتدأة بالزوجين ، ثم الأولاد ، ثم المجتمع المتعاطف المتعاون المتكافئ .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١) .

والله تعالى قادر على أن يخلق الملايين من البشر دفعة واحدة، وقادر على أن يهدي الناس جميعًا، ولكن هناك حكم، ومصالح وإزادة الهيه اقتضت أن ينشأ الإنسان من فرد، ثم من اثنين، ثم الذرية. والله تبارك وتعالى أعطى الإنسان العقل، والإدراك، وحرية الاختيار، ومطلق التصرف في هذه الحياة، وبين له طرق الخير والسعادة، وأمره باتباعها، وحذره من مسالك الفساد والهلاك، وبين له مآل كل مسلك ونتائج كل عمل ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾(١) فمن أجل استعمال المواهب الإنسانية كلفت الأسرة بتنظيم شئونها وتربية أولادها، وكلف المجتمع بإصلاح أفراده. فالأسرة المسلمة هي التي تُربي الشخصية، وتغرس فيها الفضائل وتُقَوِّم أخلاقها، وتصحح تصوراتها، وتنمي الفطرة التي فُطر عليها المولود.

فمسئولية الأب والأم في الأسرة كبيرة وشاقة، ومسئولية لا يستهان بها.

ولذلك نظم الإسلام واجبات الأسرة بحسب القدرة والطاقات، وبحسب ما تقتضيه المصلحة. فالأب عليه واجبات والأم عليها واجبات، والأولاد الأكبر فالأكبر عليهم واجبات، فلا يجوز لأحد منهم أن يتساهل في واجباته، ولا أن يهملها. كلكم راعٍ وكلٌّ مسئولٌ عن رعيته؛ فلابد من النهوض بالواجب سواء كان مختصًا أو مشتركًا، ولابد من ربطها بنظام الإسلام، ولابد من ربط الأسرة بخالقها الذي خلقها ورزقها وحفظها وإليه معادها.

فالواجب على الأب والأم وكبار الأولاد والعقلاء أن يُتابعو حركات النشء في البيت، وفي المدرسة، وفي السوق، يمرنونهم على الكلام الطيب، والسلوك الحسن، والتعاطف والتراحم، والتأخي والتعاون، وطاعة ولاة الأمر، وتمرينهم على شرائع الدين ومتطلبات الحياة، لابد من معرفة الجلساء، والأتجاهات لتدارك الأخطاء في أول أمرها، قبل استفحالها.

«مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»(٢).

---

(١) سورة التكوير آية (٢٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده [١٨٧/٢]، وأبو داود في السنن برقم (٤٩٥،٤٩٦)، والدارقطني [٨٥/١]، والحاكم [١٩٧/١]، وإسناده حسن.

وليس في التَّعرف على سلوك الأولاد عدم ثقة بهم، وليس فيها اتهام، وإنما هو واجب الرعاية، واجب التربية، بل واجب الشفقة والرحمة، وواجب الإنسانية الطاهرة للإبقاء على طهارتها ونظافتها. إنما هو واجب إسلامي وتربية إسلامية، وحماية للنشء من الوقوع فيما لا يعرفون عواقبه ونتائجه.

كيف يليق بالمرأة المسلمة أم كيف يرضى وليها والمسئولون في بيتها أن تخرج كاشفة وجهها أمام الرجال الأجانب تؤذي أهل العفة ويستشرف إليها من في قلبه مرض؟!

إن الوجه هو مصدر المحاسن وهو مصدر الفتنة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾(١).

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾(٢) اقرءوا الآية.

أم كيف يسوغ للمسلم أن يترك ابنه أو ابنته يقضي معظم الليل خارج البيت دون أن يعرف أين هو، وكيف يعمل، ومن هم الجلساء.

حرام على المسلم أن يسترسل مع شهواته في معصية الله، وحرام عليه أن ينقاد لنفسه الأمارة بالسوء فيترك ما أوجب الله عليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٩).

(٢) سورة النور آية رقم (٣١).

(٣) سورة الحشر آية (١٨، ١٩).

ولا تنس مسئوليات المسلم في سوقه ، وجيرانه ، ومحل عمله ، ومكان تجارته . ولا مسئوليات المدرسة ومعلميها ، ولا مسئوليات السلطة الرسمية . « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[1] .

لابد أن تكون التربية على نظام الإسلام بالترغيب والترهيب ، والثواب والعقاب ، ولا نلتفت إلى ما تقوله الفلسفات البشرية عن علم النفس ، فالله تعالى أعرف بنفوس خلقه ، وأعلم بطبائعهم ، وأعرف بما يصلحهم ، فلا يجوز للمسلم أن يترك النظام السماوي الذي أنزله الله وأتم به علينا نعمته ، إلى فلسفات بشرية صادرة من نفوس ، إما كافرة أو فاسقة ، أو مقلدًا لأولئك تقليدًا أعمى ، فاتقوا الله أيها المسلمون .

اللهم ؛ اهدنا صراطك المستقيم ، واهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصلح نياتنا وذرياتنا ، وألِّف بين قُلوبنا ، واجمع شملنا ، ووحد صفوفنا . اللهم ؛ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا . اللهم ؛ إنا نستغفرك يا غافر الذنب ويا قابل التوب . فاغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩) في كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأبو داود برقم (١١٤٠) في الصلاة ، وأخرجه أحمد في المسند [٣/١٠-٢٠-٩٢] كلهم من حديث أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله لا نحصي ثناء على الله ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن الواجب على الإنسان أن يعمل بأسباب السعادة ، وأن يتمسك بعروة النجاة لإصلاح نفسه ، وإصلاح أسرته ؛ فإذا بذل جهده . فباقي الأمور على الله ، ولا يضره من خالف بعد ذلك .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾(١) .

وإنما المرء مؤاخذ ومسئول عن الإهمال والتقصير . وأعظم وسيلة إلى النجاة هي التوبة إلى الله تعالى توبةً نصوحًا . فإنها تكفر الذنوب وتجُبُّ ما قبلها ، وتجعل المسلم الناصح في توبته قريبًا من الله يتلقى الكرامة يوم العرض الأكبر على الله ، ويجعل الله له نورًا يهتدي به يوم تطفأ الأنوار في ذلك المجمع العظيم ، ويسعى به إلى جنات النعيم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢) .

---

(١) سورة القصص آية رقم (٥٦) .

(٢) سورة التحريم آية رقم (٨) .

التوبة النصوح تبدأ بالندم على فعل المعصية ، والإقلاع عنها ، والعزم على ألَّا يعود إليها أبدًا ، ويعمل الصالح الذي يغسل آثارها عن القلب والنفس والبدن ، فيكون طاهرًا نقيًا ، يستحق أن يكون قريبًا من الله في ذلك اليوم الذي لا يقبل فيه اعتذار الكافرين .

ومن وسائل النجاة أن يختار المسلم لبِنَاء أسرته زوجةً ، صالحة ، مسلمة فإنها تؤثر في الأسرة تأثيرًا بالغًا بإسلامها وصلاحها ، أو بكفرها وفسادها . إن البيت المسلم قلعة إسلامية ، والمرأة حارسة في هذه القلعة فيجب على من أراد أن ينشىء بيتًا إسلاميًا أن يختار حارسًا مسلمًا أمينًا .

ولا ينبغي أن يغتر بالمظاهر البراقة ، والمنظر الخلاب ، ولا ينبغي أن يميل إلى خضراء الدمن التي تفسد ما أصلح ، وتهدم ما بنى . وإنما عليه أن يختار ذات الدين التي تعينه على البناء ، وتحرس القلعة إذا غاب قائدها . ولا ننسىما للمربية والخادمة من تأثير على الأسرة ، وتأثير على الأطفال . فيجب على المسلم إذا احتاج إلى خادم أو خادمة أن يختار المسلم ؛ فإنه مهما كان فإنه أقرب للتقوى وأقرب للانقياد ، وعلى الأقل يؤمن بالله ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، ويعبد الله وحده .

أما الكافر الذي ينكر وجود الله ، أو ينكر رسالة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فكيف ترضى نفس المسلم أن يدخله بيته ، أم كيف ينام المسلم ، وفي بيته عدو لله ولرسوله ؟! .

كيف تجتمع عبادة الله ، وعبادة الصنم في بيت مسلم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، نستغفر الله ونتوب إليه . كيف يعبد الشيطان في جزيرة العرب بعد أن أيس أن يعبد فيها نستغفر الله ونتوب إليه .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١] .... إلخ الدعاء .

اللهم ؛ اسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة والأربعون

٥ / ٥ / ١٤٠٣

[اختيار الأسماء الحسنة]

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم[١] .

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الفوز والنجاة يوم نلقاه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله . إن الأسماء قوالب للمعاني تدل عليها فلابد أن يكون بينهما ارتباط وتناسب . بل للإسماء تأثير غالبًا في المسميات ، وللمسميات تأثر بأسمائها في الحُسْن والقُبح ، والخِفَّة والثقل ، واللطافة والكثافة . فكان - صلى الله عليه وسلم - يَسْتَحِبُ الاسمَ الحسن الذي يبعث على الفأل[٢] ، ويكره الاسم الخبيث الذي قد يسبب لأحدٍ تَشَاؤُمًا أو طيرة ، أو يكون منها إثم ، كل ذلك رحمة بأمته صلى الله عليه وسلم ، وشفقة عليهم .

فمن رحمته بهم منع عنهم الأسباب التي توجب لهم سماع المكروه ، أو تكون سببًا في وقوع مكروه ؛ فإذا سمع اسمًا قبيحًا غيره إلى حَسَن .

فمن ذلك ما رواه مسلم - رحمه الله - عن ابن عُمر أن بنتًا يقال لها : عاصية . سماها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جميلة[٣] .

(١) سورة الفاتحة : آية (٢-٣) .

(٢) إشارة إلى معنى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - خ برقم (٥٧٥٥) كتاب الطب ، ومسلم نحوه كتاب السلام حديث رقم خاص (١١٠) من هذا الوجه واللفظ .

(٣) مسلم في الصحيح ، كتاب الآداب ، حديث رقم خاص (١٤) وعام (٢١٣٩) من =

وروى أبو داود ، عن بشير بن ميمون ، عن عمه أُسامةَ بن أخدريّ : أن رجلًا يقال له أصرم . كان في النفر الذين أتوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ما اسمك ؟ قال : (أصرم) قال : « أنت زُرْعة »[١] .

وروى البُخاري – رحمه الله – عن عبد الحُميد بن جُبير بن شُعْبة ، قال : جلست إلى سعيد بن المسيب ، فحدثني أن جده (حَزْنًا) قدم على النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : « ما اسمك ؟ » قال : اسمي (حَزْنٌ) قال : « بل أنت (سَهْل) » قال : ما أنا بمغير اسمًا سمانيه أبي . قال ابن المسيب : فما زالت فينا الحزونة بعد[٢] .

وكان إذا سمع اسمًا أو كنية لا تصلح للمسمَّى ؛ إما لكونها تسامي اسمًا من أسماء الله أو صفاته . أو تدل على الكمال[٣] .

كما روى أبو داود والنسائي بسند جيد عن شريح بن هانئ عن أبيه ؛ أنه لما وفد إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع قومه سمعهم يُكنونه بأبي الحكم ، فدعاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : « إن الله هو الحكم وإليه الحكم فَلِمَ تُكنى أبا الحكم » قال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين بحكمي فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما أحسنَ هذا فمالك من الولد : قال : شريح ، ومسلم ، وعبد الله . قال : « فمَن أكبرُهم ؟ قال : قلت : شريح . قال : « فأنت أبو شريح »[٤] .

= حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وأخرجه أحمد في المسند [١٨/٢] من هذا الوجه واللفظ . وأخرجه أبو داود في السنن برقم (٤٩٥٢) كتاب الأدب من هذا الوجه واللفظ .

(١) أبو داود في السنن كتاب الأدب حديث رقم (٤٩٥٤) من حديث أسامة بن أخدري رضي الله عنه . إسناده جيد .

(٢) خ برقم (٦١٩٣) كتاب الأدب من جامعه الصحيح ، وهو من حديث سعيد بن المسيب عن جده ثم ذكر الحديث، وأخرجه أبو داود في السنن برقم (٤٩٥٦) من غير هذا الوجه عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده [٢٨٩/٤] بهذا اللفظ .

(٣) ذكر ذلك الإمام أبو داود تعليقًا من ذكر الإسناد حديث رقم (٤٩٥٦) ، ثم قال : تركت أسانيدها للاختصار [٢٨٩/٤] .

(٤) د : برقم (٤٩٥٥) كتاب الأدب من حديث شريح بن هانئ عن أبيه رضي الله عنه =

وكما غيرَّ – صلى الله عليه وسلم – كُنْية أبي الحكم بن هشام فكناه بأبي جهل[١] ؛ لأنها هي التي تليق به ؛ لفرط جهله ومعاداته لرسول الهدى ونبي الرحمة ، ووقوفه ضد دعوة الإسلام .

وكنى الخالق تبارك وتعالى عبد العزى (بأبي لهب) ؛ لأنه سيصلى نارًا ذات لهب ، فهذه الكنية أَلْيَقُ به[٢] .

ولما كان الاسم مقتضيًا لمسماه ومؤثرًا فيه كان أحبُّ الأسماء إلى الله تعالى ما اقتضى أحبَّ الأوصاف إليه كعبد الله وعبد الرحمن[٣] .

روى مسلم عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن أحبَّ أسمائكم إلى الله عبد الله وعبدُ الرحمن »[٤] وكذلك أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، محمد وأحمد ، ومن أفضل الأسماء أسماء الأنبياء ؛ لأن الاسم يُذكر بمسماه ، ويقتضي التعلق بمعناه ، وفيه حفظ أسماء عباد الله الصالحين ، وحفظُ أوصافِهم وأحوالهم ، وإذا نظرنا إلى استعمال الأسماء وجدناها تدور على أحكام أربعة ، فمنها ما هو مستحب ، ومنها ما هو محرم . ومنها مكروه ، ومنها ما هو مباح :

فأما المستحب فأفضله ، عبد وحمد مثلُ عبد الله ، وعبد الرحمن ، ومحمد ، وأحمد ، وأسماء الأنبياء[٥] .

= وإسناده جيد .

(١) لم أقف على نص ثابت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كنَّاه بهذه الكنية ، وقد ذكر ابن الأثير في الكامل [٢/٧٣] أن المسلمين قد كنوه بهذه الكنية إذ قال ابن الأثير : وكنيته أبو الحكم ، وأما أبو جهل فالمسلمون كنوه بها والله أعلم .

(٢) إشارة إلى سورة المسد آية رقم (١) .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – مسلم في الصحيح ، الأدب ، حديث رقم خاص (٢) ، وعام (٢١٣٢) ، والبخاري معلقًا في الأدب عاقدًا به الباب رقم (١٠٥) ثم قال الحافظ في الفتح [١٠/٥٧٠] ، أخرجه مسلم متصلًا موصولًا ثم ذكره .

(٤) إشارة إلى هذا الحديث بالذات مسلم في الصحيح ، الأدب ، خاص (٢) ، وعام (٢١٣٢) وأحمد في المسند ص [٢/٢٤] ، [٢/١٢٨] من هذا الوجه واللفظ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) إشارة إلى ما عقد به البخاري الباب في كتابه الجامع الصحيح ، كتاب الأدب =

ثم ما دلَّ على معنى حَسَن .

وأما المحرم فهو ما يوازي أسماء الله تعالى وصفاته ، مثل : ملك الملوك ، وشاه شاه ، ومحيي ، وخالق .

ونسبة العبودية لغير الله ، مثلُ : عبد الرسول ، وعبد النبي ، وعبد عمر ، وعبد علي ، وعبد الحسن ، وعبد الحسين ، وعبد الكعبة ، وعبد الحارث ، وما أشبه هذا ؛ هذه أسماء محرمة ، ومثل : هذا غلام رسُول ، وغلام علي ، وغلام الحسن ، ومن المحرم الصِّفات الخاصة بنبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، مثل سيد ولد آدم ، وسيد الناس ، وكذلك نَبِي ورسول ، فلا يجوز أن يسمى بها أحد إلا رسل الله وأنبياؤه ؛ لأن الاسم يدل على معناه في صاحبه .

وأما المكروه ؛ فما دلَّ على التعظيم المطلق ، واستغراق المعنى الحسن الذي يدل عليه الاسم ، كما يكره كل اسم قبيح ، مثلُ : حرب ، وحزن ، وصَرْم ، وعضره ، والعاصي ، ويثرب ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - سماها طيبة ، فهي طيبة أبدًا[١] .

وتكره التسمية بأسماء الجبابرة ، وأعداء الله وأعداء رُسُله سواء من الأولين ؛ مثل : فرعون ، وهامان ، وقارون[٢] .

أو من الآخرين ، مثل أعلام اليهود والنصارى والمجوس ، لكن إن كان اختيار الاسم منهم ناتجًا عن محبتهم وموالاتهم ، ورغبة في إحياء ذكر من أخذ مسماه فهو محرم ، ويُستحب تغيير الأسماء المكروهة .

= باب رقم (١٠٩) إذ قال : باب من سمى بأسماء الأنبياء . ثم أورد تحته عدة أحاديث ، ثم شرحها وفسرها الحافظ في الفتح [١٠/٥٧٧-٥٨٠] الفتح .

(١) إشارة إلى ما ثبت من حديث جابر بن سمرة - رضي الله عنه - أحمد في المسند [٥/٩٦] ، وإسناده جيد .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة العنكبوت آية رقم (٣٩) ، وقد وردت هذه الأسماء الخبيثة في آية واحدة هنا ، وقد وردت أسماء هؤلاء الكفار المعاندين متفرقة في عدة مواضع من كتاب الله تعالى .

وما عدا ما ذكر من الأسماء فهو مباح وخيرها ما دلَّ على معنى جميل، ما لم يقترن بها وصفٌ أو سبب يجعلها محرمةً أو مكروهةً.

فاتقوا الله عباد الله؛ إن في أسماء الإسلام ما يغني عن استيراد الأسماء من أعداء ديننا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾[1].

اللهم؛ بارك لنا في القرآن، وانفعنا بما فيه من الآيات والبيان، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين. إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الأعراف من آية رقم (١٨٩) إلى (١٩٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله لا نحصى ثناء على الله[١].

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن آمن به واتبع سبيله.

أما بعد .. فإن تسمية المولود مستحبة في اليوم السابع[٢]، ولا تكره قبله ولا بعده.

والعقيقة حق للمولود على أبيه؛ لما روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، عن الحسن، عن سمرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الغلام مرتهن بعقيقته تُذْبح عنه يوم السابع، ويسمَّى ويُحْلقُ رأسه»[٣].

والسنة أن يُنسك عن الذكر شاتان متكافأتان، وعن الأنثى شاة وتكون[٤] مثل الأضحية إلا أن العقيقة لا تصح سُبع بدنة في جزئ مما للأضحية والعقيقة أفضل من الصدقة بثمنها، والسنة أن تقطع العقيقة أشلاء مع المفاصل فلا يكسر عظمها تفاؤلا بالسلامة، لما روي عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: السنة شاتان

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - مسلم في الصحيح الصلاة حديث رقم (٢٢٢).

(٢) أحمد في المسند [٥/٧] من حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - و [٥/١٧]، [٥/٢٢]، د: برقم (٢٨٣٨)، والنسائي [٧/١٦٦] وإسناده صحيح.

(٣) هذا هو نفس هذا الحديث أخرجه الترمذي في الجامع برقم (١٥٢٢) في الأضاحي.

(٤) إشارة إلى حديث أم كرز رضي الله عنها، أبو داود في السنن برقم (٢٨٣٥)، (٢٨٣٦)، وأحمد في المسند [٦/٣٨١]، [٦/٤٢٢] وإسناده صحيح.

متكافأتان (أي متشابهتان) عن الغلام ، وعن الجارية شاة تطبخ جدولا ولا يكسر لها عظم ، ويأكل ، ويطعم ، ويتصدق ، وذلك يومُ السابع[١] .

وإذا أعسر الأب بالعقيقة ، أو أهمل استَحبَّ بعض العلماء للابن أن يذبح عن نفسه إذا قدر .

والتهنئة بالمولود كسائر ما يُسَرُّ به المسلم ، وتشتمل على الدعاء الصالح ، كما روي عن الحسن ؛ أن رجلًا هنأه في مولود فقال : ليهنك الفارس ، قال : ما يدريك أنه فارس ، أو حِمَار ، قال : وما أقول ، قال : قل : بورك في الموهوب ، وشكرت الواهب ، وبَلَغَ أشده ، ورُزقت بره .

وأي دعاء صالح ينفع[٢] مثلُ : بارك الله لكم في المولود ، وجعله من عباده الصالحين ، ومن طلبة العلم ، وحفظة القرآن ، وألحقكم بره .

كما أن التهنئة بالزواج تشتمل على الدعاء الصالح ، مثل : بارك الله فيكما وعليكما ، وجَمعَ بينكما في خير وعافية[٣] . ولا يقال : (بالرفا والبنين) لأنها من أعمال الجاهلية .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ تخيروا لأولادكم من الأسماء أحسنها مما يدل على خير ، ويحث على خير ، ويبعث بالفأل والسرور .

وصلوا على البشير النذير[٤] .... إلخ الصلاة على النبي والدعاء .

---

(١) هو نفس حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه - روى عنه الحسن البصري رحمه الله تعالى وقد سمع منه حديثه عند الإمام أحمد [٥/٧] ، [٥/٢٢] ، وأبو داود في السنن برقم (٢٨٣٨) وإسناده صحيح .

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن القيم في كتابه تحفة المودود وذكره بعدة طرق .

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - خ برقم (٥١٥٥) ، باب رقم (٥٦) ، وعنوانه : كيف يدعي للمتزوج ، ومسلم في الصحيح ، النكاح ، برقم (١٤٢٧) .

(٤) إشارة إلى سورة الأحزاب : آية رقم (٥٦) .

٣٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة والأربعون

٩ / ٤ / ١٤٠١

[عاقبة التربية السيئة]

الحمد لله الهادي إلى سواء الصراط .

وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له .

من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا(١) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه ، صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد .. فيقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢) .

بعض الناس يظن أن العدو هو الذي يحب أن يضره في بدنه أو ماله أو سمعته ، ولا يتصور أن يكون الزوج أو الولد عدوًّا له ، لوجود القرابة والمودة والرحمة ، ولكن الآية الكريمة تؤكد وجود حقيقة واقعية يتصف بها بعضُ أزواج المؤمنين وبعضُ أولادهم .

والآية الكريمة تشير إلى الروابط المتصلة بالتركيب العاطفي بين أفراد الأسرة ، وهي الزوجية والبنوة .

وهذه الروابط قد تكون سببًا للغفلة والرضا بالصفات التي تعتبر في حقيقتها من صفات العداء .

---

(١) سورة الكهف آية رقم (١٧) .

(٢) سورة التغابن آية رقم (١٤) .

فالمودة والرحمة بين الزوجين قد تحمل على التغافل عن الأخطاء واستحسان ما يصدر من أحدهما وهو غير حسن، والعطف والشفقة على الأولاد قد يحمل على الإهمال والتغافل عما لا ينبغي التغافل عنه.

والقرآن الكريم، يعالج مشاكل المجتمع، ويُنظم شئون الأسرة، كما يعالج قضايا الجماعة والفرد، فهو تنزيل من حكيم حميد[(١)] يعلم صفات خلقه وطبائعهم واتجاهاتِهم، ويعالجها بما يناسبها.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[(٢)].

فالقرآن الكريم، وهو نظام الإسلام، وهو دستور المسلمين - قد عالج هذه الناحية بأنفع علاج وأسهله؛ فأمر باتخاذ الحذر، وحث على العفو والصفح والمغفرة. والآية عامة مطلقة، فتشمل جميع أنواع العداء الديني والدنيوي، فمن أراد بالإنسان سوءًا في بدنه، أو ماله، أو عرضه من دون حق فهو عدو.

ومن أشغل عن أداء واجب، أو حث على فعل محرم فهو عدو، إلا أن العداوة الدينية أشدُ خطرًا، وأبقى أثرًا؛ فالعداوة في أمور الدنيا لها أجل تنتهي إليه، وأقصاه موت أحد المتعادين.

أما العداوة الدينية فآثارها في هذه الحياة الدنيا أخطر على الفرد والجماعة، وتمتد آثارها إلى الدار الآخرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[(٣)].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة فصلت آية رقم (٤٢).

(٢) سورة ق آية رقم (١٦).

(٣) سورة المنافقون آية رقم (٩).

وقال مجاهد في تفسير هذه الآية : إن الولد يحمل الرجلَ على قطيعة الرحم أو معصية ربه ، فلا يستطيع مع حبه إلا أن يطيعه(١) .

ورُوي عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – في سبب نزول هذه الآية ، قال : فهؤلاء رجال أسلموا في مكة ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعُوهم ، فلما آتوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رأوا الناس قد فقهوا في الدين ، فهَمُّوا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢) .

﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣) .

والعبرة بعموم اللفظة لا بخصوص السبب(٤) ، فنصوصُ القرآن تمتاز بالعموم والشمول وسعةِ الدائرة لمعالجته كل القضايا في كل العصور .

والقرآن الكريم حينما ينبه المؤمنين إلى هذه الحقيقة ، ويأمر بأخذ الحذر ، ثم يحث على العفو والصفح والمغفرة . يريد من المؤمن أنه يكون يقظا حكيمًا يأخذ بأسباب الإصلاح لنفسه وأسرته ، يريد منه أن يكون مرابطًا في بيته في سبيل الله مجاهدًا من أجل الله ، لا يرضى للمسلم أن يكون غافلًا خاملًا ضعيفًا أمام العواطف والغرائز ، إنما يريد منه أن يكون حازمًا في تربيته ، رحيمًا في أسرته قويًّا في جانب دينه وطاعة ربه .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اقرءوا كتاب الله ، وتفهموا معانيه ، وخذوا بتوجيهاته

---

(١) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره [٧/٣٠] .

(٢) نقل ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره [٧/٣٠،٣١] ، عن تفسير ابن أبي حاتم عن ابن عباس ثم قال : رواه الترمذي أيضًا وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه ابن جرير ، والطبراني من حديث إسرائيل به .

(٣) سورة التغابن آية رقم (١٤) .

(٤) قاعدة معروفة لدى أهل أصول التفسير ، راجع الإنفال للإمام السيوطي ، رحمه الله .

واعملوا بأحكامه، وسيروا على نظامه. في جميع المواقف، وفي جميع شئونكم الخاصة والعامة.

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1].

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم.

---

(١) سورة التوبة آية رقم (٢٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم(١)، وأشهد ألّا إله إلا الله وحده لاشريك له.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله.

اللهم، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد.. فأوصيكم وإياي بتقوى الله، فإنَّ التقوى هي التي ترفع الإنسان، وترفع اهتماماته عن النزوة البهيمية، وعن الخلق الذميم، وما أقبح من خبب امرأة على زوجها باسم الحب، وإنما الحب عاطفة متقلبة لا ثبات لها ولا قرار ما، أخبث من حرَّض امرأة على زوجها بدعوى أن الزوج لا يحبها أو أنها لا تحبه، وأقبح من ذلك الرجل الذي يترك زوجه في البيت تَنْتظِرُه وهو هامل فيما حرم الله من الزنا واللواط بدعوى أنه لا يحبها، وما أعظم جرم امرأة تضطر زوجها إلى ما حرم الله.

روى الإمام أحمد -رحمه الله- بسند صحيح، والبزار، وابن حِبَّان في صحيحه، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ليس منا من حلف بالأمانة ومن خبَّب على امرئ زوجته أو مملوكه فليس منا»(٢).

وروى مسلم في صحيحه عن جابر عن عبد الله -رضي الله عنه- عن النبي،

---

(١) سورة الفاتحة (٢-٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند [٣٥٢/٥] من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي -رضي الله عنه- بإسناد صحيح، وأورد هذا الحديث العلامة الهيثمي في المجمع [٣٣٢/٤]، وقال: رواه أحمد، والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح خلا الوليد بن ثعلبة وهو ثقة. اهـ. قلت: الوليد ابن ثعلبة الطائي قال الحافظ عنه في التقريب رقم الترجمة (٤٤) [٣٣٢/٢]، العبدي البصري ثقة من السادسة/ د،س ق. اهـ. قلت: إسناده صحيح.

صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن إبليس يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئًا ، ثم يجيئ أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه ويقول نعم أنت فيلتزمه[(١)] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[(٢)] .... إلخ الصلاة والدعاء .

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح صفة المنافقين برقم خاص (٦٦،٦٧) وعام (٢٨١٣) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري – رضي الله عنه ، وأحمد في المسند [٣/٣١٤،٣١٥] ، من هذا الوجه واللفظ .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة والأربعون

١٦ / ١ / ١٤٠١

[وصية الأولاد بالوالدين]

الحمد لله الذي هدانا[1] ، وأشكره على ما أعطانا .

وأشهد ألّا لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، هو ناصرنا ومولانا .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، إلى سبيل الله دعانا ، ومن طريق الجهالة ، حذَّرنا ونهانا .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فيقول ربنا تبارك وتعالى في كتابه العزيز في سورة الإسراء :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[2] .

وفي سورة العنكبوت :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

---

(١) إشارة إلى آية الأعراف رقم (٤٣) .

(٢) سورة الإسراء آية رقم (٢٤) .

(٣) سورة العنكبوت آية رقم (٨) .

وفي سورة لقمان :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وفي سورة الأحقاف :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] .

وقال – صلى الله عليه وسلم – كما في صحيحي البخاري ومسلم ، رحمهما الله عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : سألتُ النبي ، صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة لوقتها » . قلت : ثم أي ؟ قال : « برُّ الوالدين » . قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله »[3] .

وفي صحيح مسلم ؛ عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « رَغِمَ أنفُ ثم رَغِمَ أنفُ ثم رَغِمَ أنفُ من أدرك أبويه عند الكبر أحدَهما أو

(١) سورة لقمان آية رقم (١٤،١٥) .

(٢) سورة الأحقاف آية رقم (١٥) .

(٣) خ برقم (٢٧٨٢) الجهاد ، الباب الأول ، باب فضل الجهاد والسير ونحوه .
مسلم في الصحيح كتاب الإيمان حديث رقم خاص (١٣٥-١٣٧-١٣٩) كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – .

كليهما فلم يَدْخل الجنة »[١]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما ، قال : أقبل رجل إلى نبي الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغي الأجر من الله تعالى . فقال : « هل لك من والديك أحَدٌ حيٌّ » . قال : نعم . بل كلاهما : قال فتبتغي الأجر من الله تعالى . قال : نعم . قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » متفق عليه[٢] .

اتقوا الله عباد الله ؛ واعرفوا حقوق الوالدين ، وجهودهما وتعبهما .

الصلة بين الولد وأبويه صلة فرع بأصل ، فالأصل يتحمل ثِقَلَ الفرع ويُمِدُّه بالماء والقوة والنماء ، والولد جزءٌ من أبويه وبَضْعة منهما ، ومعلوم أن الإنسان يحرص كلَّ الحرص على أجزائه ، ويعمل على إصلاحها ، ويحافظ عليها ، فهو يتألم لألم أي جزء من جسده .

فالأبوان بِدافع الرغبة والرحمة والشفقة – يبذلان كلَّ الجهودِ لراحة الولد وإسعاده وتنظيم حياته ، وتربيته ، والحرص على حسن مستقبله . والأم تتحمل أتعابًا على أتعاب ، وثِقَلًا مع ثقل : أعراضُ الحمل الأولى ، ثم حملٌ تسعةَ شهور أو أكثر ، تحافظ عليه وتحرص على ما ينفعه ، ثم الولاده وأخطارها وأتعابها ، وآلامها ثم رضاع وخِدمةٌ ، سهرٌ في الليل وتعبٌ في النهار . فهذه ثلاثون شهرًا[٣] ؛ رضاعة ثم التربية ،

---

(١) مسلم في الصحيح كتاب البر والصلة حديث رقم خاص (٩،١٠) وعام (٢٥٥١) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه ، وأخرجه الترمذي بهذا المعنى برقم (٣٥٣٩) الدعوات من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – وفيه ثلاثة أشياء ١ – رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك أبويه الكبر فلم يدخلاه الجنة ، وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه .اهـ . قلت : صححه ابن حبان كما في الموارد برقم (٢٣٨٧) .

(٢) هذا لفظ مسلم أخرجه في كتاب البر والصلة حديث رقم خاص (٦) وعام (٢٥٤٩) وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – ولم أقف عليه في البخاري ، والله أعلم وفيه أحاديث أخرى بغير هذا اللفظ ، والله أعلم .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحقاف آية رقم (١٥) .

والحضانة والكفالة كلها أثقال ومتاعب وهمٌّ وخوفٌ ، وكلمّا كبر الولد زادت الرحمة به والشفقة عليه ، ويتعلق الأمل في نفعه وبرّه .

والأب يشارك الأم في أحوالها ويقوم بما يجب لها ولطفلها .

جهود تبذل من أجل الأولاد ، الجَهْد البدني ، والجَهد النفسانيِ والجهدُ المالي ، لذلك أوجب الخالق - تبارك وتعالى - حق الوالدين على الأولاد وقرن حقهما بحقه .

﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1] .

فيجب على الولد أن يُحْسن إلى والديه ، وأن يبرَّهما ، وأن يُظهر لهما الارتياح لوجودهما ، وأن يَخْفِضَ الصوت عند خطابهما ، وأن يخاطبهما خطابًا حسنًا وكلامًا جميلًا .

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[2] .

يجب على الولد أن يكون متأدّبًا مع أبويه ، يُلين لهما الجانب ، ويحفظُ لهما معروفهما ، يدعو لهما بالرحمة والمغفرة والرضوان من الله[3] .

يجب عليه أن يلتمس رضاهما فإن رضاهما من رضا الله[4] .

الولد قد تغلب عليه نشوة الشباب ووساوس الجلساء فيقصر في واجب الله

(١) سورة النساء آية رقم (٣٦) .

(٢) سورة الإسراء آية رقم (٢٣) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة إبراهيم آية رقم (٤٠) .

(٤) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أخرجه ابن حبان في الصحيح كما في الموارد برقم (٢٠٢٦) من حديث الحسن بن سفيان وله شاهد بمعناه أخرجه الإمام أبو داود الطيالسي كما في مسنده [٣٤/٢] من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه : « الوالد أوسط باب الجنة فإن شئت فحافظ على الباب أوضيع » ، وأخرجه أحمد في المسند [١٩٦/٥] .

وابن ماجة برقم (٢٠٨٩) وأخرجه الحاكم وصححه في المستدرك [١٥٢/٤] ، ووافقه الذهبي على تصحيحه .

عليه، ويقصر في واجب أبويه وهو آثم مؤآخذ.

لكن إذا رزق أولادًا تأكد الوجوب عليه؛ لأنه عرف حق الأبوين، وإذا بلغ من العمر أربعين سنة وبلغ أشدَّه وجب عليه أن يصحو وأن يقلع عن طيش الشباب فإنه قد أخذ في الانحدار والنقص.

فالإثم أكبرُ إن تمادى في الغي والعقوق، يجب على المقصر أن يندم وأن يقلع وأن يتوب إلى الله؛ يجب عليه أن يتوجه إلى الله، وأن يشكر نعمته عليه، وأن يشكر نعمة والديه، وأن يدرك أهمية تربية الأولاد على البر والصلة والفضائل، فيحرصُ على تربية أولاده ويسأل الله لهم الهداية والصلاح.

قد يجد الولد من أحد أبويه ما يكدر خاطره ويخالف رغبته فما يجب أن يتبعه في هذه الحالة؟ ينظر فإن كان ما طلبه أحد الأبوين ليس معصية لله؛ وجب على الولد أن يَنزْل على رغبتهما.

وإن كان فيه معصيةٌ لله فليس شيء أعظم ذنبًا ولا أكبرَ إثمًا ولا أخطرَ من الشرك، ومع هذا فلو كان أحد الأبوين كافرًا والولد مسلمًا. فألح عليه بطلب الرجوع عن الإسلام إلى الكفر، لم يكن هذا مبيحًا للعقوق ولا مبرِّرًا لمعاملتهما بغير إحسان، بل يصاحِبُهما في هذه الدنيا بالمعروف ولا يطيعهما في معصية الله.

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾(١).

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق(٢).

وإذا حصل خلاف بين الأب والأم لِسَبب من الأسباب أو تفارقا، فيجب على الولد أن يعطي كلَّ واحد من أبويه حقه من البرِّ والصلة، ولا يجوز أن تحمله الشفقة

---

(١) سورة لقمان آية رقم (١٥).

(٢) في الأحكام [١٣/١٦٧] الفتح من حديث النواس بن سمعان - رضي الله عنه، ومسلم في الإمارة حديث رقم (١٨٦٧)، باب البيعة على السمع والطاعة.

على أحدهما على عقوق الآخر. فإن العقوق من أكبر الكبائر[(١)].

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - الإشراكُ بالله، وعقوق الوالدين، وقتلُ النفس، واليمين الغموس» رواه البخاري.[(٢)].

«بروا آباءكم تبرّكم أبناؤُكم»[(٣)] فكُل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة، إلّا عقوق الوالدين فإنه يعجِّل لصاحبه. وإن من أشنع العقوق أن يطيع الرجل زوجته ويعصي أمَّه، أو يعصي أباه ويطيع زوجته.

أخبرني من أثق به أن ولدًا لطم أباه فأراد من حضر أن يوبخ الولد، فقال أبوه: اتركوه؛ فق لطمت أبي في هذا المكان، وقال: الحمد لله الذي عجل له العقوبة في الدنيا. إن أسرعَ الخير ثوابًا البرُّ والصلة، وأسرعَ الإثم عقابًا العقوق وقطيعة الرحم وصدق صلى الله عليه وسلم[(٤)].

فاتقوا الله أيها المسلمون، وتوبوا إليه واستغفروه.

اللهم أوزِعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا وعلىِ والدينا، وأن نعمل صالحًا ترضاه[(٥)] وأصلح لنا في ذرياتنا. اللهم؛ وفقنا للبر والإحسان وصلة أرحامنا، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين؛ إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) إشارة إلى حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - خ برقم (٥٩٧٦) [٤٠٥/١٠]، الفتح وفيه: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثم ذكره... ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان حديث رقم خاص (١٤٤،٢٤٣).

(٢) خ برقم (٦٦٧٥) كتاب الأيمان والنذور باب رقم (١٦) اليمين الغموس، وهو من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، كما أورده الهيثمي في المجمع [١٣٨/٨] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) تحقق ذلك وقال البخاري معلقًا في تفسير سورة الفاتحة: [كما تدين تدان] [١٠٦/٨].

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النمل آية رقم (١٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين[١] . اللهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٢] . وأشهد ألَّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، والاعتصام بحبل الله[٣] والتماس أسباب النجاة ، والاستقامة على صراط الله .

روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : صلَّى بنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يومًا صلاة العصر بنهَار ، ثم قام خَطيبًا فلم يدع شيئًا يكون إلى قيام الساعة إلّا أخبرنا به حفِظه من حَفِظه ونسيه من نسيه ، وكان فيما قال : إن الدنيا حُلوة خضِرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء[٤] ، وكان فيما قال : ألا لا يمنعَنَّ رجلًا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه ، فكان فيما قال : ألا إنه يُنْصب لكل غادرٍ لواءٌ بقدرِ غدرته ، ولا أعظمُ من غدرة إمام عامة ، يُركز لواؤه عند استه . فكان فيما حفظنا يومئذ ألا وإن بني آدم خُلقوا على طبقات شتَّى ، فمنهم من يولد مؤمنًا ، ويحيى مؤمنًا ، ويموت مؤمنًا ، ومنهم من يولد كافرًا ويحيى كافرًا ويموت كافرًا ، ومنهم من يولد مؤمنًا ، ويحيى

---

(١) سورة الفاتحة (٢) .

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح ، الصلاة ، حديث رقم (٢٢٢) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران آية رقم (١٠٣) .

(٤) إشارة إلى حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أخرجه مسلم في الصحيح برقم (٢٧٤٢) .

مؤمنًا ويموت كافرًا ، ومنهم من يولد كافرًا ويحيى كافرًا ويموت مؤمنًا ، ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفئ ألا وإن منهم سريع الغضب سريع الفئ فتلك بتلك ، ألاوإن منهم سريع الغضب بطيء الغيء ألا وخيرهم بطيء الغضب سريعُ الفئ ألا وشرُّهم سريع الغضب بطيء الفئ ، ألا وإن منهم حسن القضاء حسن الطلب ، ومنهم سيىء القضاء حسنُ الطلب ، ومنهم حسنُ القضاء سيىء الطلب فتلك بتلك ، ألا وإن منهم السيىء القضاء السيىء الطلب ، ألا وخيرهم الحسنُ القضاء الحسنُ الطلب ، ألا وشرُّهم سيىء القضاء سيىء الطلب ، ألا وإن الغضب جمرة في قلب بني آدم ، أما رأيتم إلى حمُرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه ، فمن أحسَّ بشيء من ذلك فليلصق بالأرض .

قال : وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بَقِيَ من يومكم هذا فيما مضى فيه » . وقال الترمذي : هذا حديث حسنٌ صحيح[١] .

إخوتي في الإسلام ؛ أكثرزا من الصلاة والتسليم على نبينا محمد بن عبد الله ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَي النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[٢] .

وقال ، صلى الله عليه وسلم « من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشرًا »[٣] . اللهم ؛ صلِّ وسلم .

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب الفتن حديث رقم (٢١٩١) بسياق طويل ، وهو من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - وقال عقبه : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الأحزاب آية : (٥٦) .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، مسلم في الصلاة برقم (٤٠٨) والترمذي في جامعه برقم (٤٨٥) باب فضل الصلاة على النبي ، صلى الله عليه وسلم - .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة والأربعون

٨ / ٤ / ١٤٠٦

[الأسرة الصالحة]

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم[١] أرحم بالعباد من أنفسهم، وأرأف بالإنسان من أمه وأبيه[٢].

وأشهد ألّا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها ليسكن إليها[٣].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله.

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤].

اللهم؛ صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد .. فيا أيها المسلمون؛ أوصيكم وإياي بتقوى الله.

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٥].

---

(١) سورة الفاتحة (٢،٣).

(٢) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه خ برقم (٥٩٩٩) الأدب باب (٣١) باب رحمة الوالد .. وم: كتاب التوبة حديث رقم خاص (٢٢) من هذا الوجه واللفظ.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم (١٨٩).

(٤) سورة التوبة: آية رقم (١٢٨).

(٥) الطلاق: آية رقم (٣).

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾(١).

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾(٢).

أيها الإخوة في الإسلام ؛ إن ديننا كما أنه نظام روحاني رباني ، فهو أيضًا نظام سياسي وعسكري ، وكما أنه نظام اقتصادي ، فهو نظام اجتماعي أخلاقي ، أعطى الإنسان كامل العناية ، وأحاطه بضمانات الحفظ والرعاية ، بنى مجتمعًا إسلاميًّا ثابت القواعد شامخ الصرح ، لم تُزعزعه الأهواء ، ولم تحركه الأعاصير ، ولكن بعض المسلمين خُدعوا ، وأخرجوا من هذا الحصن الحصين ، وصاروا إلى ما نرىٰ ، الإسلام ينادي يا أبنائي ؛ هلموا ، يا أحبابي ؛ أقبلوا ، ولكن كثيرًا من المسلمين يولّونه الأدبار مسرعين إلى الأهواء ، ومنقادين للتيارات المعادية للإسلام ولأبناء الإسلام .

يجب على المسلمين الجد في الإصلاح ، وفي التعاون والكفاح ، ولنبدأ بالأسرة فهي المعمل الذي ينتج أفراد المجتمع ، يُنتج رجال المستقبل وأمهاته ، فلنصلح الأفراد لتَصْلح المجموعة ، لِنُصلح البيوت لتصلح الأسواق . إن مشاعر كل جنس من الذكر والأنثى تجاه الآخر معلوم لا ينساه إلّا متجاهل ، ولا ينكره إلّا مكابر ، وهذه المشاعر تُحرك خطاهم وتُقوّي نشاطهم لتحقيق الصلة والتواصل .

والإسلام ينظم هذه الصلة على مبادئ العدل والكرامة بالمحافظة على كِيان المرأة وعزتِها ، وحفظ كرامتها ومستقبلها ، وعلى أساسٍ طاهرٍ نظيفٍ ينظّم الإنتاج ، ويصلح النشيء إن جاذبية الفطرة بين الجنسين لا تصلح أن تكون فوضى ، ولا تصلح أن تكون لمجرد قضاء الوطر وتحقيق اللذّة من دون نظام ، بل لابد من نظام ، فلابد من ربط هذه العواطف بين الجنسين بنظام الإسلام ، الذي أنزله ربُّ الإنسان وخالقُ الإنسان .

فإذا اجتمعت العواطف الغريزية مع نظام السماء تكوّنتْ الأُسرة المسلمة الصحيحة

---

(١) سورة الطلاق آية رقم (٣) .

(٢) سورة الطلاق آية رقم (٥) .

التي تنتج ، وتربي أبناء الإسلام ، وإذا نظرنا إلى طفولة الإنسان وجدناها أطول طفولة من جميع المخلوقات الحية ، ذلكم لحكمةٍ عظيمةٍ وهدفٍ سامٍ ؛ فمسئولية الإنسان في هذه الحياة كبيرة وشاقة . تحتاج إلى تمرين وتدريب . فمدة الطفولة فترة إعداد ، وتمرين للنُّهوض بالوظيفة الكبرى التي خلق من أجلها الإنسان يرافق فيها أبويه ؛ يتعلم منهما كيفية التحمل والتطبيق ، قبل الوجوب والتكليف ، فالطفل يقلد ما يرى ، ويحاكي ما يسمع ، ويتأثر بالبيئة التي يعيش فيها .

قال نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود إلّا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه »(١) .

ولقد اعتنى الإسلام بتكوين الأسرة الصالحة التي تصلح الإنتاج ، ووضع لها نظامًا دقيقًا مفصَّلًا شاملًا .

فهو يبدأ باختيار الزوجة التي يُرجى أن تدوم عشرتها ، ويرجى فيها المودَّة والرحمة والإنجاب قال عليه الصلاة والسلام : « تزوجوا الودود الولود ؛ فإني مكاثرٌ بكم الأمم »(٢) .

وحث على اختيار ذات الدين ؛ لأنها قدوة في بيتها ؛ ولكي تحافظ على نفسها ومال بعلها . قال عليه الصلاة والسلام : « تنكح المرأة لمالها ، ولجمالها ، ولحسبها ، ونسبها ، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »(٣) .

كما نهى عن نكاح المشركات والكوافر ، ونهى عن تزويج المشركين ؛ قال تعالى :

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ

(١) مسلم في الصحيح في القدير برقم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أحمد في المسند [١٥٨/٣] وإسناده جيد .

(٣) خ النكاح ص [١١٥/٩] الفتح من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ومسلم برقم (١٤٦٦) الرضاع .

أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[١] ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[٢].

كما وضع الإسلام نظامًا للمعاشرة، وتوزيع الواجبات في البيت، كل ذلك محافظة على فطرة المولود، وطريقة حل المشاكل والنشوز، كما فصل نظام الطلاق والإيلاء والظهار، والرجعة والعدد، والنفقات والرضاع والحضانة، والوصية والولاية وبسط نظام المواريث؛ كل ذلك من أجل العناية بالأسرة، والمحافظة على حقوقها، وعلى مقومات تماسكها ونبذ الخلاف عنها، وهذه الأنظمة توضِّح أن الخالق - تبارك وتعالى - يتولى بذاته تنظيم حياة هذا المخلوق البشري، ويتولى رعايته؛ ليقوم بواجبه في هذه الحياة.

كما حث الإسلام على اختيار الزوج الدين، الصالح، العاقل القوي الأمين؛ قال، صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم من ترض دينه وأمانته، فزوجوه»[٣].

إلا أن بعض الناس لا يدرك هذه المعاني فلا يُطَبِّقها على نفسه، ولا على أهل بيته ونسله، ولا يعرف من التربية والتوجيه إلا ما يحصل به مساعدته في طلب الدنيا.

أما الصلة بالله، والأخلاقُ، والسلوك الحسن، والعفة، وحسنُ الأخوة، والمخالقة، وبذل المعروف، وكف الأذى فإنه لا يبالي به.

فاتقوا أيها المؤمنون، إن الأولاد أمانة عندكم مسئولون عنهم، فأحسنوا ولا يَتَكم، وحافظوا على أماناتكم وأنتم تعلمون

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢١).

(٢) سورة الممتحنة آية رقم (١٠).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (١٠٨٥) في النكاح برقم (١٠٨٤) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وابن ماجة في السنن برقم (١٩٦٧)، والحاكم في المستدرك (١٦٤)، [١٦٥/٢].

﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجرٌ عظيم ﴾[١].

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣].

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وفي سنة نبينا الكريم . اللهم ؛ اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلّا أنت[٤].

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾[٥].

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[٦].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٧].

---

(١) سورة الأنفال آية رقم (٢٨).

(٢) البخاري الأحكام [١٣/١٠٠] الفتح من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما ومسلم برقم (١٨٢٩) في الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.

(٣) سورة الأنفال آية رقم (٢٧).

(٤) إشارة إلى دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بسياق طويل مسلم في الصحيح حديث رقم خاص (٢٠١) وعام (٧٧١).

(٥) سورة الفرقان آية رقم (٧٤).

(٦) سورة الكهف آية رقم (١٠).

(٧) سورة الحشر آية رقم (١٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المنان واسعِ الفضل والإحسان ، وأشهد ألّا إله الله ، وحده لا شريك له ،

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلىآله وأصحابه ، ومن آمن به ، وسار على منهاجه .

أما بعد .. فإنما جُعل الطلاق بيد الرجل ؛ لأنه أكثرُ صبرًا وتحملًا ، فلا يستعجل الأمور ، وأبعد نظرًا في العواقب فلا يطيش في التصرفات ، فيجب على الأزواج أن يلاحظوا هذه المقاصد الشرعية .

وهل للمرأة أن تطلب الطلاق من زوجها ؟ .

قد روى بعض أهل السنن والمسانيد ، عن ثوبان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة سألت زوجها طلاقها في غير ما بأس ، فحرام عليها رائحة الجنة »(١) ، فلا يجوز لها طلب الطلاق أو الخلع إلا لسبب موجب ، ولا يجوز لها أن تمتنع عن فراش زوجها من دون سبب ، فإن الملائكة تلعنها كما في الحديث المتفق عليه(٢) .

لكن إذا كان هناك أمرٌ موجب لطلب الطلاق ، أو الفسخ فلها ذلك ؛ لما روى

(١) أحمد في المسند [٥/٢٧٧] [٥/٢٨٣] من حديث ثوبان مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وإسناده قوي ، وأخرجه الترمذي في جامعه برقم (١١٨٧) في الطلاق ، وابن ماجة برقم (٢٠٥٥) وحسنه الترمذي .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - خ برقم (٥١٩٣) النكاح باب (٨٥) وعنوانه : باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها ، ونحوه مسلم في الصحيح ، النكاح ، حديث رقم خاص (١٢١) .

البخاري وغيره - رحمهم الله - أن جسة بنتَ سهل زوجة ثابت بن قيس - رضي الله عنهما - أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكرت كراهيتها لزوجها ، وقالت : يا رسول الله ؛ ما أعيب عليه في خلقٍ ولا دينٍ ، ولكن أكره الكفر في الإسلام . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، « أتَردِّين عليه حديقته ؟ قالت : نعم . قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « اقبل الحديقة وطلقها تطليقة »(١) .

وهل للزوج أن يطلب أكثر مما أعطاها ؟ قال بعض العلماء : ليس له أن يطلب أكثر منه ، وبعضهم قال : له أن يأخذ أكثر منه إذا هي بذْلته ؛ لقوله تعالى :

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ ﴾(٢) .

هذا إذا كان النشوز من قبل المرأة ، أما إذا كان الانصراف من الرجل ؛ فإنه لا يحل له أن يأخذ مما أعطاها شيئًا .

﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٣) .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال سبحانه :
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

وقال صلى الله عليه وسلم : « **من صلى علىّ مرة صلى الله عليه بها عشرًا** » .

---

(١) البخاري في الصحيح كتاب الطلاق [٩/٣٤٨] الفتح من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - ومن حديث عائشة - رضي الله عنها - أخرجه أبو داود برقم (٢٢٢٨) ، في الطلاق هذا لفظه الذي أورده فضيلة الخطيب ، وإسناده حسن .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٩) .

(٣) سورة النساء آية رقم (١٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة والأربعون

٢٧ / ٤ / ١٤١٣

[يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب]

الحمد لله رب العالمين .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾(١) .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له خلق فقدر وشرع فيسر .

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، آتاه القرآن ومثلَه معه ، يبينه ويفسره ويؤكِّده .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن القرآن الكريم اعتنى بالأسرة البشرية فنظم شئونها تنظيمًا وافيًا شاملًا ، ومن هذا التنظيم بيان المحارم من النسب ، وما يتبعه من الرضاعة والمصاهرة ، كما في سورة النساء فذكر الخالق تعالى أنواع المحرمات من النسب والمصاهرة ، أمَّا الرضاعة فذكر الأم والأخت فقال سبحانه :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ

---

(١) سورة الكهف آية رقم (١) .

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٨) .

وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا

وهذا دليل على أن الخالق تعالى أجرى الرضاعة مجرى النسب .

فذِكرُ الأم إشارة إلى محرمية الولادة ، وذكر الأخت إشارة إلى بقية المحارم ، وقد أكد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذا البيان بصريح قوله عليه الصلاة والسلام : « الرضاعة تُحرم ما تحرُم الولادة »(٢) عن عائشة رضي الله عنها .

تأمَّلُوا عناية الله بنظام الأسرة ، وتأملوا تكريم الخالق تعالى لبني آدم فلا يُحرم إلا لبن الأدمية ، أما بقية الألبان فلا تحرم ، فلو أن رضيعًا من قبيلة وآخر من قبيلة ثانية ارتضعا من امرأة من قبيلة ثالثة صارا أخوين من الرضاعة تثبت بها المحرمية كالنسب .

روى البخاري – رحمه الله – عن أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان أنها قالت لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم : إنا نُحدَّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة قال صلى الله عليه وسلم : « بنتُ أم سلمة » قالت : نعم . قال عليه الصلاة والسلام : « لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي ، إنها لإبنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة ثويبة » .

والحُرمة بالرضاع مثلُ الحرمة من النسب من حيث التحريمُ والمحرميةُ ، أما بقية

---

(١) سورة النساء آية رقم (٢٣) .

(٢) صحيح البخاري ج [١٢/٧] عن عائشة – رضي الله عنها – ورواه مسلم عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – مشكاة المصابيح ج [١٧٦/٢] .

الأحكام ؛ كالإرث والنفقة فلا .

وقد تكررت الأسئلة عن مسائل في الرضاع ، فبعض الناس يظن أن التحريم يقتصر على المرضعة والمرتضع وابنها للنسب الذي حصل اللبن بسببه ، ولكن النصوص الشرعية صريحة في أن الصبي المرتضع صَار ابنًا لمرضعته فاخوتُها أخواله وآباؤها وأمهاتها أجداده . وأولادها إخوته ، سواء الذي ارتضع معه أو الذي ولد قبله أو الذي ولد بعده ، وصار المرتضع ابنًا لزوجها كذلك .

والأخوة من الرضاعة كالأخوة من النسب فالأنواع أخ شقيق ، وأخ لأب ، وأخ لأم من الرضاعة وأما ... إخوة المرتضع من أبويه أو من أحدهما فلا دخل لهم في الرضاعة ، وإنما يختص التحريم بالطفل الذي ارتضع يكون ابنًا للمرضعة وابنًا لزوجها ؛ لما روى البخاري – رحمه الله – عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت : إن أفلح أخا أبي القيْس استأذن عليها فأبت . فقال الرسول – صلى الله عليه وسلم : إنه عمك من الرضاع . فقالت : إنما ارضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل . فقال صلى الله عليه وسلم : « إنه عمك فليلج عليك » . وذلك أن الفحل له تأثير في اللبن وسببٌ في وجوده ، فصار المرتضع ابنًا له ، وعلى هذا فلو طلق رجل امرأته طلاقًا بائنًا وهي ترضع ولده ، فأرضعت صبيًا صار المرتضع ابنًا لها وابنًا لمُطلقها ؛ لأن اللبن لها وللفحل .

ولا تنتشر الحرمة بغير لبن الآدمية ، فلوا ارتضع اثنان من لبن بهيمة لم يصيرا أخوين .

ونَقْلُ الدم من رجل إلى امرأة أو بالعكس لا يثبت به تحريم ؛ لأن التحريم إنما هو بالنسب ، أو الرضاعة أو المصاهرة ، ولا يسمى نقل الدمْ رضاعة فلا تثبت له أحكامه .

ويشترط في الرضاع المحرِّم ثلاثةُ شروط :

١ – أن يكون المرتضع في سن الرضاعة ؛ لقوله تعالى :

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾[1]

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٣٣) .

قال ابن كثير رحمه الله : هذا إرشاد من الله للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهي سنتان فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك .

وروى الترمذي – رحمه الله – عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء في الثدي – أي إذا كان الطفل في محال الرضاعة قبل الحولين » كما في الحديث الذي رواه أحمد . عن البراء بن عازب ؛ قال : لما مات إبراهيم بن النبي ، صلى الله عليه وسلم – قال : « إن ابني مات في الثدي » إن له مرضعًا في الجنة .

والعمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة – رضي الله عنهم وغيرهم أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين .

وأما قصة سالم مولى أبي حذيفة ؛ كما رواها الإمام مسلم – رحمه الله– عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن سالمًا مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم . فأتت تعني سهلَة بنتَ سهل امرأة أبي حذيفة النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – فقالت : إن سالمًا قد بلغ ما يبلغ الرجال ، وعقل ما عقلوا ، وإنه يدخل علينا ، وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئًا ، فقال لها النبي – صلى الله عليه وسلم : أرضعيه تحرمي عليه ، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة . فقالت : « إني ارضعته » .

هذه قضية عين خاصة بتلك الحالة . وقال بعض العلماء هذه رخصة أرخصها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لسالم .

٢ – الشرط الثاني أن يكون الرضاعُ خمسَ رضعات فما فوق ؛ لما روى مسلم رحمه الله ، عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت : كان فيما أنزل من القرآن ؛ عشر رَضعات معلومات يحرمن ، ثم نسخت بخمس معلومات ، وقد روى الإمام مسلم رحمه الله أن النبي ، صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحرِّم الرضعة والرضعتان ، أو المصة والمصتان والإملاجة والإملاجتان » .

وأمَّا ما رواه البخاري – رحمه الله – عن عقبة بن الحارث – رضي الله عنه –

قال : تزوجتُ امرأةً ، فجاءتنا امرأة سوداءُ فقالت : أرضعتكما فأخبرت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « كيف بها وقد زعمت أنها أرضعتكما ، دعها عنك » ولم يذكر عدد الرضعات . فقال العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - (والحقيقة أنه لا إشكال فيه ، فهي قد ذكرت رضاعًا محتملًا لأن يكون خمسًا ، ويحتمل أن يكون دون ذلك ، وقد جاء حديث عائشة (أي خمس رضعات) فيُحمل (أي حديث عقبة) على أنه رضاع يعرفونه ، ولا يُخالف حديث عائشة وهو صريح) .

٣ - الشرط الثالث في الرضاع المحرِّم : أن يصل اللبن إلى جوف الصبي ، فلو كان يرضع ويمجه لأي سبب من الأسباب ولم يصل إلى أمعائه لم يُحرِّم ؛ لما روى الترمذي وصححه عن أم سلمة - رضي الله عنها - مرفوعًا لا يُحرِّم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام ، وإذا شُك في عدد الرضعات ؛ هل هن ثلاث أم خمسٌ بُني على اليقين ؛ لأن الأصل عدم الرضاع فلا يثبت إلا المتيقنُ .

وما هو مقدار الرضعة ؟ . قال في المغني : والمرجع في معرفة مقدار الرضعة إلى العرف ؛ لأن الشرع ورد بها مطلقًا ولم يحدَّها بزمن ولا مقدار ، فدل ذلك على أنه ردهم إلى العرف ، فإذا ارتضع الصبي وقطع قطعًا بينًا باختياره كان ذلك رضعَةً ، فإذا عاد كانت رضعةً ثانية .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، الحلال ما أحل الله ورسوله ، والحرام ما حرم الله ورسوله .

والحمد لله الذي أغنى الناس بالحليب المجفف والرضاعات الصناعية عن مشاكل الرضاع .

اللهم ؛ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا .

واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألّا إله إلّا الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد.. فإن بعض الناس يدعي الغضب في طلاق زوجته، وقد ذكر العلماء(١) رحمهم الله أن الغضب ثلاثة أقسام:

أحدها؛ أن يكون في مبادئ الغضب، فهذا يقع فيه الطلاق.

الثاني: الغضب الشديد الذي يزول معه الشعور فلا يدري ما فعل ولا ما تكلم به، فهذا لا يقع فيه الطلاق.

والثالث: الغضب المتوسط، بحيث يدرك ما قال ويعلم كيف فعل فهذا محل خلاف بين العلماء.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائَكُته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢).

---

(١) فتاوى الشيخ محمد [١٩/١١].

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخمسون

٢٩ / ٦ / ١٥

[الرضيع المبارك]

الحمد لله رب العالمين . عنايته متتابعة ، ونِعمُه متوالية ، ورحمتُه واسعة .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، بيده الخير ، ومنه النفع والضُر .

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، رفع ذكره ، وأعطاه الحكمة والسكينة .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اتبع سبيله .

أما بعد .. ففي القرآن ، الكريم في قصار المفصل سورتان متجاورتان ، الثانية تكمل الأولى ، موضوعهما واحد هو : الرد على أعداء محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، قولَهم قلاةُ ربه وهاتان السورتان تنفسان عن رسول الله وحبيبه ، صلى الله عليه وسلم ، ما أصابه بسبب مقالتهم ، ولتأخر نزول الوحي عليه ، هما سورةُ الضحى ، وسورةُ ألم نشرح . وكلكم يحفظهما . فيهما الحنان والرحمة ، والتلطف والشفقة من فاطر السماوات والأرض إلى صَفِي محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – .

وكان الوحيُ ولقاءُ جبريلَ عليه السلام ، والاتصالُ بالله كانت هي زاد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فلما فتر الوحي ، وقال المشركون مقالتهم . اشتدّ

---

(١) سورة يونس آية رقم (١٠٧) .

ذلك على النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله قرآنًا يرد على المشركين مقالتهم ، ويُطمئن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويُذكرهُ بنعِمه عليه ، فالله تعالى لَمْ يَغْفُل عن نبيه حال حَمْله وولادته ، ولا رضاعته وصغره ، فلا يغفل عنه بعد أن أوحى إليه واتخذه خليلًا وكليمًا وصفيًّا وحبيبًا ؛ ولتمام الفائدة أذكركم بما قاله العماد ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية المجلد الثاني باختصار :

كانت العرب تسترضع أولادهم والمرضعات يرغبن في أخذ أولاد الأغنياء والمشاهير رجاء برهم وإحسانهم ، أما اليتيم فكانوا لا يقبلونه ، لأنهم لا يرجون نول أبيه ، وكان صفوة الخلق ، صلى الله عليه وسلم ، يتيم الأب ، وهو رضيع .

قالت حليمة السعدية : قدمت مكة في عشر نسوة من بني سعد بن أبي بكر يلتمسن بها الرُّضعاءَ في سنة شهباء ، فقدمتُ على أتان لي قمراء كانت أذمَّت بالركب ، ومعي صَبيّ لنا وشارفٌ (أي ناقة مُسنة هزيلة) ، والله ما تَبِضُّ بقطرة وما نَنام ليلنا من صَبينا ، ليس في ثديي ما يغنيه ، ولا في شارفنا ما يُغَذِّيه ، ولكنا نرجوا الغيث والفرج . أي من الله .

قالت : فقدمنا مكة فوالله ما علمتُ منا امرأةً إلا وقد عُرض عليها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فإذا قيل : إنه يتيم تركناه ، وقلنا : ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ؟ إنما نرجوا المعروف من أبي الولد . فوالله ما بقي من صواحبي واحدةٌ إلا أخذت رضيعًا ، إلّا أنا ، فلمَّا لم نجد غيره وأجمعنا الانطلاق ، ولما أراد الله بحليمة وأهلها وعشيرتها خيرًا ، قالت : قلت : لزوجي الحارث بن عبدِ العُزَّى : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع أَلَا أنطلق إلى ذلك اليتيم فآخذه . قال : لا عليك أنْ تَفْعلي ، فَعَسى أن يجعل الله لنا فيه بركة ، فذهبت فأخذته ، فوالله ما أخذته إلا أنّي لم أجد غيره ، فما هو إلا أن أخذته ، فجئت به رحْلي ، فأقبل عليه ثديي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشربَ أخوه حتى روي ، وقام صاحبي - أَيْ زوجها - إلى شارفنا فإذا لبنُها لحافلٌ ، فحلب منها وشرب ، وشربت حتى روينا ، فبتنا بخير ليلة ، فلما أصبحنا قال صاحبي : يا حليمَة ؛ والله إني لأراك قد أخذت نَسَمة

مباركةً ألم تري ما بِتْنَا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله - عز وجل - يزيدنا خيرًا .

قالت : ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فلما ركبتُ هي ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على الدابة نشطت وأسرعت ، فقال صوَاحبي أهذه أتانك التي خرجت عليها معنا ؟ والله إن لها لشأنًا حتى قدمنا أرض بني سعد ، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجْدب منها ، فإن كانت غنمي لتسرح ، ثم تروح شِبَاعًا لُبَّنًا فنحلب ما شئْنا وما حولنا أحد تَّبِضُّ له شاة بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جياعًا حتى إنهم ليقولون لرعاتهم : انظروا حيث تسرح غنم حليمة ، فاسرحوا معهم ، فيسرحون مع غنمي ، فتروح أغنامُهم جياعًا ما فيها قطرةُ لبن ، وتروح أغنامي شباعًا لُبنا نَحْلب ما شِئْنا ، فلم يَزل الله يُرينا البركة نَتَعَرَّفها حتى بلغ سنتين ، فكان يشب شبابًا لا يُشبه الغِلْمان ، قالت : فرددته إلى أمه ، وأحب أن يبقى عندنا ، ثم قلت : إننا نخشى عليه وباء مكة ، فوافقت على الرجوع به معنا . قالت : فأقمنا به شهرين ، أو ثلاثة ، فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا ؛ جاء أخوه يشتد قال : ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه فشقا بطنه ، فخرجت أنا وأبوه - أي من الرضاعة - نشتد ، فوجدناه قائمًا فاعتنقه أبوه ، وقال : يا بني ؛ ما شأنك . قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني ، ثم استخرجا منه شيئًا فَطَرحاه ، ثم رَداه كما كان ، فرجعنا به معنا . فقال أبوه : يا حليمة ؛ نَردُّه إلى أهله ، فلم تُرع أمه - أي آمنةُ بنت وهب - إلا به .

فقالت : ما ردكما به وقد كنتما عليه حريصين ، وما زالت تناشدهما حتى أخبراها خبره فقالت آمنة كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ، والله إنه لكائن لابني هذا شأنٌ ما حملت به فلم يكن حملٌ أخف منه ، ورأيت في المنام وهو حمل كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ، ولما ولدته وقع معتمدًا على يديه رافعًا رأسه إلى السماء - هو من إحسان الله وفضله على نبينا - صلى الله عليه وسلم .

وكان مع أخته في شدة الحر فجاءت غمامة تظلل عليه إذا وقف وقفت ، وإذا

سار سارت ، ووزنه الملائكة بعشرة من أمته فوزنهم ، ووزنوه بمائة فوزنهم ، ووزنوه بألف من أمته فوزنهم ، ولو وزن بأمته كلِّهم لوزنهم ، وفي بعض الروايات : أن الملك ختم على قلبه - صلى الله عليه وسلم - بخاتم النبوة - فلما صار عمره بضعَ عشْرةَ سنة سافر به عمه الزبير بن عبد المطلب إلى اليمن . وكان جمل قد هاج وسدا الوادي الطريق ، فلما رأى الصبيَّ محمدًا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - برك ، فركبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتىٰ هدأ ومرَّ الناس ، وكان سَيْلٌ العرمٌ قد قطع الطريق مع الوادي فخاضه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو صبي ، فأيبسه الله حتى جَاوَزُوه . وبعد غزوة حنين ، جاءه وفدٌ من هوازن قد أسلموا فقال خطيبهم : إن ما في الحضائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللائي كن يكفلْنك وأنت خير المكفولين . فعد علينا وامنن يا نبي الله . فقال عليه الصلاة والسلام : أما ما كان لي وبني عبد المطلب فهو لله تعالى وهبته لكم . فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فأطلق لهم الذراري وكانت ستَّة آلاف ما بين صبي وامرأة ، وأعطاهم أنعامًا وأناسيَّ كثيرًا .

فانظروا إلى عناية الله بنبيه - صلى الله عليه وسلم - جعل الله فيه البركة أينما حل وسار في هذه الدنيا ، فكيف ببركته على من آمن به وعمل بسنته في الدار الآخرة .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وارغبوا فيما عند الله ، واطلبوا الفضل والبركة من الله ، واطلبوا قضاء حوائجكم من الله ، فهو النافع الضار ، وهو مجيب الدعوات ، والكربات ، أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد ، فتوبوا إليه واسألوه . اللهم ؛ وفقنا للعمل بكتابك ، وبسنة رسولك محمد ، صلى الله عليه وسلم ، واهدنا الصراط المستقيم ، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الأخرة ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، له الحمد والنعمة والفضل ، وله الثناء الحسن .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، جوادٌ واجدٌ ، كريم بخلقه رءوف رحيم .

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾(١) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، آواه ربه وهداه ، وأغناه بالقناعة والزهد في الدنيا ، فلم يشبع يومًا من خبز الشعير ، ويأخذ شهرًا ما أوقد في بيته نارًا طعامه التمر والماء . اللهم ؛ صل وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن خير خلق الله – صلى الله عليه وسلم – ولد يتيمًا وعاش يتيمًا . فتولاه الله فتُوفي أبوه وهو حمل ، وماتت أمه آمنة وعمُره ست سنوات أو ثمان على خلاف ، وتوفي جده عبد المطلب وعمره عشر سنين ، وتوفي عمه الزبير بن عبد المطلب وعمره أربع عشرة سنة ، فكفله ربه وأحاطه برعايته وعنايته وسخر له عمه أبا طالب ، آزره وهو على غير دينه ، وحماه من الأعداء ، ورفع الله ذكره . وأيّده ، ونصره وشرح صدره ؛ لتلقي قولًا ثقيلًا .

وللصبر على الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته وأداء أمانته ، والصبر على ما يلاقيه في سبيلها .

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة فاطر آية رقم (٤٥) .

(٢) سورة يوسف آية رقم (١٠٨) .

٣٥٧

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١].

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الحادية والخمسون

١٣ / ٢ / ١٣٩٦

[حقوق المرأة في الإسلام]

الحمد لله العلي الأعلى . الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى[١] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأن حزبه هو الأعلى .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فاتقوا الله أيها الناس . ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[٢] .

أيها المؤمنون ؛ يحاول بعض الناس إما عن حسن نية أو عن خبث طويه ، ترويج دعوة كانت ميتة مدفونة من دعاوي أعداء الإسلام .

إنها دعوة إلى الخروج من الفضائل ، دعوة إلى تفكك الأسرة التي جمع الإسلام شملها ، دعوة إلى تشتت المجتمع الذي ربط الإسلام بين أطرافه . دعوةٌ ماكرة مخادعة زُيفت باسم الحرية ، وفي طيَّاتها لهب محرق وداء عضال ، دعوةٌ كلِها غرور وخداع باسم المساواة تدعو المرأة المسلمة إلى الخروج عن حشمتها وفضائلها ومحاسن دينها والتخلي عن أداء رسالتها وماذا تحت هذه الدعوة ، وما هي نتائجها ؟ .

إن الإسلام قد أعطى المرأة حرية لم تكن لها من قبل ؛ حفظ لها حقها ، ونظم حياتها ، وخاطبها بالتشريع ؛ ففي القرآن الكريم سورة من طوال السور سميت باسمها وهي سورة النساء[٣] ، وهناك آيات كثيرة في القرآن اعتنت بشئون المرأة وعالجت

---

(١) سورة الأعلى آية رقم (٢،٣) .

(٢) سورة الحشر آية رقم (١٨) .

(٣) وفيها آيات بينات تتعلق بالمرأة وحقوقها منها آية رقم (١٩-٢٣) .

مشاكلها، وحفظت لها عزتها وكرامتها؛ كما في سورة البقرة وسورة النور[(١)] وسورة الأحزاب[(٢)] وغيرهما من السور، بالإضافة إلى دخول المرأة في عموم الخطاب والتكليف والثواب والعقاب كالرجل سواء بسواء، بل فضلت المرأة على الرجل في بر الولد وصلته فأوصىٰ النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات ببر الأمهات[(٣)] وأوصى مرة واحدة ببر الآباء[(٤)]. وأمر - صلى الله عليه وسلم - بالرفق بالمرأة وأوصى بها خيرًا[(٥)].

وأعطاها حقوقها من المال والميراث والمعاشرة الحسنة واختيار الحياة الزوجية في ظل الإسلام، فالمرأة قد اختصت في الإسلام بحظ وافر من الحرية والعزة والكرامة.

وأما الفوارق الخلقية والصفات الطبيعية التي خلق عليها كل من الذكر والأنثى فهي فوارق إلهية لحكم ومصالح لبناء المجتمع ونماء الإنسان، وإصلاح شئون الأمة، فليس بمقدور أحد أن يَخلق نُطْفة إنسان، ولا أن يخلق ولده ذكرًا أو أنثى وإنما ذلك لله وحده.

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[(٦)].

(١) وفيها أحكام وقيم روحية وخلقية تتعلق بالمرأة ومنها آية رقم (٣١).

(٢) فيها حقوق وآداب شرعية تتعلق بالمرأة المسلمة آخر آية (٤٩-٥٥).

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - خ برقم (٥٩٧١)، الأدب باب رقم (٢) من أحق الناس بحسن الصحبة وأخرجه مسلم في الصحيح البر والصلة حديث رقم خاص (١-٢٠) من هذا الوجه واللفظ، وأحمد في المسند [٥/٣] من حديث حكيم بن معاوية - رضي الله عنه -.

(٤) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - خ برقم (٥٩٧١) الأدب، ومسلم البر والصلة برقم (٢،١).

(٥) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه خ برقم (٦٢٠٩) الأدب وفيه الأمر بالرفق بالنساء.

(٦) سورة الشورى آية رقم (٥٠).

وكذلك الفوارق في الطول والقصر، والبياض والسواد كلها فوارق لا دخل لأحد من الخلق فيها، ولا شك أن الله تبارك وتعالى يعلم حقائق الأمور ومصالح خلقه، وعواقب الأحوال قد تكون ظاهرة للبشر، وقد تكون خفية لا يعلمها إلا الله. فالواجب الرضا بقدر الله ولا يكون إلا ما قدر الله، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط[١]، وليس له إلا ما قدر له وليس على أحد من هذه الفوارق الخلقية غضاضة ولا ينتقص أحد من حق أحد، ولا يجوز لجنس أن يتمنى ما فُضل به الجنس الآخر[٢]، بل الواجب أن يعتز كل جنس بما قدر له، وأن يهتم بما خلق له، وأن يقوم بالحق الواجب عليه لأمته ومجتمعه، وبيته وأسرته، فقد بيَّن الإسلام وظيفة كل جنس في المجتمع. إذًا ماذا وراء هذه الدعوة، وما هي نتائجها؟.

إن المرأة المسلمة المتمسكة بدينها العارفة بربها وبالقيم الإنسانية والحقوق الإسلامية، قد بلغت الذروة في العزة والكرامة، وعرفت حقيقة الحرية في الإسلام، فهي تدرك أن هؤلاء الدعاة يريدون منها النزول من هذه الدرجة العالية والصفات المشرفة إلى مستوى تكون في المتناول، لأنهم يَرَوْنها قد سمت في أعلى المنازل فلا يوصل إليها ولا يقترب منها.

إن الفتاة المسلمة تدرك أن تعاليم دينها كلها في صالحها[٣]، وأن دين الإسلام إنما منع اختلاط المرأة بالرجل الأجنبي، وإنما أمرها بالحجاب ليرفع من شأنها، وليحفظها من الابتذال والامتهان، فلا يطمع من في قلبه مرض[٤]، وقد أثبتت التجارب ذلك (والسعيد من وعظ بغيره)[٥] إن اختلاط النساء بالرجال في المدارس

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - الترمذي في جامعه الزهد حديث رقم (٢٣٩٦) وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه وابن ماجة الفتن برقم (٤٠٣١) من هذا الوجه واللفظ وإسناده حسن مع الشواهد الكثيرة.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء آية رقم (٣٢).

(٣) إشارة إلى حديث أم سلمة - رضي الله عنها - خ (٥٣٣٦) الطلاق، وأحمد في المسند [٦/ ١٩٢]، [٦/٣١١] وفي الحديث واقع مرير كانت المرأة تعيشه في الجاهلية.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب آية: (٣٢) وكان ذلك بالنسبة لأمهات المؤمنين رضي الله عنهم فكيف بغيرهن في هذا الزمن المعاصر والوضع أخطر وأشد وأفظع.

(٥) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - بسياق طويل. أخرجه مسلم =

وفي دور السينما يؤدى إلى تحلل الأخلاق، وتدهور الشيم وتفكك المجتمع وحينئذ تسيطر عليهم الأعداء وتعصف به الأهواء، وإنما يبنى صرح الأمة على أخلاقها وفضائلها فإذا انهارت انهار صرحها.

وهذا ما يريده أعداء الإسلام، وهذا ما وراء هذه الدعاية أمارتنا بحبها فإنها ليست وليدة عصرها، فقد قام بها شرار الخلق من الناس من قبل، إلا أن الله - تبارك وتعالى - حفظ هذه البقاع الطيبة من شرها وأبعدها عنها. بسبب دعوة الإصلاح وأعوان الحق والعدالة، ولكنها وجدت رواجًا في بعض البلدان فعلينا أن ننظر في نتائجها لدى تلك الشعوب التي تتهافت عليها كما يتهافت الفراش على النار فوقعت في شباكها، وأصبحت في تحلل من القيم والأخلاق، وتدهور من الفضائل والمكارم، تمكنت منهم الصهيونية والشيوعية وصارت أحزابًا يضرب بعضها بعضًا لا ترابط بينهم ولا تعاطف ولا تآخي، لا يرحم كبيرُهم صغيرَهم ولا يوقر صغيرُهم كبيرَهم[١]، ولا يعطف غنيهُم على فقيرهم، قد تفكك مجتمعهم وتشتت أمرهم، نفر الأب من ابنه، وعقَّ الابن بأمه.

لا دين لهم يلم شعثهم، ولا أخلاق تردع مُفسدهم، ولا دعوة حق ترد ضالهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض[٢]. ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[٣] وأنساهم أنفسهم[٤]. وأصبحوا في خوف وقلق واضطراب، في سلب ونهب، في متاهة مظلمة لا تستقر على مرسى، ولا تأوي إلى ميناء سلامه. هذه ثمار حريتهم التي اتبعوها فهم يريدون أن تقعوا فيما وقعوا فيه فتكونون سواء.

= في الصحيح كتاب القدر حديث رقم خاص (٣) وعام (٢٦٤٥)، وفيه هذا اللفظ تمامًا.

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - الترمذي برقم (١٩٢٢) البر والصلة، وإسناده ضعيف ولكن له شاهدًا قويًا من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - حم [٥/٣٢٣) والحاكم في المستدرك [١/١٢٢] وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) إشارة إلى حديث جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - خ برقم (١٢١) تعلم بهذا المعنى أو أقول فيه.

(٣) سورة التوبة آية رقم (٦٧).

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحشر آية رقم (١٩).

فاتقوا الله أيها المسلمون . احذروا دعوة السوء لا تنطلي عليكم زخارفها ، فقد حماكم الله منها بإيمانكم وعقيدتكم فلا تنكروا نعم الله عليكم .

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(١) .

إن الله تعالى قد منَّ عليكم بهذا الدين القويم فلا تمنُّوا به على الله .

﴿ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٢) .

فَزِنوا الأمور بميزان الإسلام ، فما وافقه فخذوه وما خالفه فاتركوه .. إن الله تعالى قد أنعم علينا في هذه البلاد الطيبة الطاهرة بنعم ليس فيها إلا نحن ، تفضل علينا بقيادة مسلمة مؤمنة طيبة عادلة تحكم بشرع الله ، وتدين بدين الإسلام ، تحفظ الحقوق وتنشر الأمن والاستقرار(٣) . تعمل بالفضائل وتأمر بها ، وتُبغض الرزائل وتنهى عنها .

إنها قيادة أسست على دين الإسلام بالعدل والإصلاح فأنجز الله لها وعده . فأعطاها أمنا واستقرار وهيبة وعزة ورفعة . يسير الرجل بما شاء من المال إلى أي جهة من البلاد شاء ، قد أمن على دمه وماله وعرضه ، فلا يخشى إلا الله تبارك وتعالى .

فاشكروا هذه النعمة لله ، وحافظوا عليها ، بأداء حق الله عليها ، وأكثروا من الدعاء لولاة أمور المسلمين في السر والعلانية ، فإن الأمة بخير ما دام ولاة أمرها بخير . وبصلاح الراعي تصلح الرعية(٤) .

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم (٧) .

(٢) سورة الحجرات آية رقم (١٧) .

(٣) إلى هذا المعنى يشير قوله تعالى في سورة النحل آية رقم (٩٧) ، أو قال جل وعلا : ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ راجع تفسير هذه الآية في تفسير ابن كثير - رحمه الله تعالى - ص (٢٢٤) [٤/٢٢٥] فقد أجاد وأفاد : أنه إذا عاش مسلم تحت قيادة إسلامية رشيدة تؤمن بالله ورسوله الكريم وتطبق شرع الله فإنها وشعبها سيعيشان حياة طيبة آمنة ...

(٤) إشارة إلى مقالة مالك رضي الله عنه [لا تصلح هذه الأمة إلا إذا صلح أولها أي =

اللهم لك الحمد على ما أعطيت، ولك الشكر على ما أوليت. لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[١] اللهم إحفظ ولاة أمرنا من كل سوء ومكروه

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

= قادتها] وهذا المعنى محسوس وواقع ملموس.

(١) إشارة إلى حديث عائشة، رضي الله عنها، أخرجه مسلم في الصحيح الصلاة حديث رقم (٢٢٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

إن الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه[(١)] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه .

أما بعد .. فأوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى فلا خاب من اتقاه ، ولا أفلح من عصاه .

أيها المسلمون ؛ إننا نشاهد كثيرًا من الصناعات ، ونسمع عن الكثير ونعرف أنها صنعة بأيدي بني آدم ، فليس من العقل أن يقول إنسان إن الطائرة أو السيارة وجدت بدون صانع صنعها ، أو أنها تسير بدون مسيرٍ يديرها .

وأيضًا أليس الذي صنع الصنعة هو أعرف بمادتها وبما يصلحها ، وبما يحافظ على سلامتها .

إذًا فلابد أن هذه الموجودات العظيمة في هذا الكون العظيم ؛ الأرض والسماء والكواكب ، والإنسان والإبل ، والشمس والقمر لها خالق خلقها ومسير يسيرها . وهو أعلم بما يصلحها ويحافظ على سلامتها .

هذا شيء معلوم بالفطرة السليمة والعقل المستقيم ، أيّد ذلك الشرعُ القويم . لقد أخبرنا خالق هذا الكون عنه بنفسه بواسطة رسله .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[(٢)] .

---

(١) ورد الحديث بصيغة الجمع [إن الحمد لله نحمده ونستعينه] من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – مسلم في الصحيح كتاب الجمعة حديث رقم خاص (٤٦) وعام (٨٦٨) .

(٢) سورة الحشر آية رقم (٢٤) .

وهو سبحانه وتعالى أعلم بطبائع خلقه وبما فيه صلاحهم وسعادتهم وتنظيمُ أمورهم، وحفظُ دمائهم وأموالهم، وأعراضهم. فشرع لهم دينًا قيمًا فيه السعادة والحرية والأمنُ والاستقرار، فأرسل إليهم رسولًا من أنفسهم[١] آتاه القرآن ومثله معه[٢]، وأمرنا باتباعه وطاعته وحذرنا من معصيته[٣].

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٤] ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٥].

فاتقوا الله أيها المسلمون، أطيعوا الله ورسوله، تمَسكوا بتعاليم دينكم، واعتزوا بأحكامه وتوجيهه، وافخروا بتعاليمه وأوامره.

ولا تأخذكم في الله لومة لائم[٦] وكونوا من حزب الله فإن حزب الله هم المفلحون[٧]، واحذروا حزب الشيطان فإن حزب الشيطان هم الخاسرون[٨].

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[٩].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران آية رقم (١٦٤).

(٢) إشارة إلى حديث المقدام بن معد بكري - رضي الله عنه - أحمد في المسند [٤/١٣٠]، وإسناده حسن.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النور آية رقم (٦٣).

(٤) سورة النساء آية رقم (٨٠).

(٥) سورة آل عمران آية رقم (٣١).

(٦) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - خ برقم (٧٢٠٠) الإحكام ومسلم في الصحيح: الإمارة حديث رقم خاص (٤١)، وعام (١٧٠٩) من هذا الوجه.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المجادلة آية رقم (٢٢).

(٨) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المجادلة آية رقم (١٩).

(٩) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية والخمسون

٢٣ / ٧ / ١٤٠٣

[الإخوة من الرضاع]

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا[١] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحد لا شريك له ، خلق فقدر وشرع فيسر .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ونصح للأمة[٢] .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تعبهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فكثيرًا ما ترد أسئلة عن الرضاع ، وعن تحريم النكاح بالرضاع ، وهذا الموضوع مهم جدًّا ، قد يغفل عنه بعض الناس ، أو يتساهلون به في بادئ الأمر فيُنسى .

فالواجب على المرضعة إذا أرضعت طفلًا أو طفلة ، أن تخبر من يحفظ هذا الرضاع ، وتعلنه خشية النسيان ؛ فيقع المحذور ؛ لأن الرضاع له آثار شرعية في التحريم دل عليها القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة ، فأما الكتاب ؛ فقوله تعالى : في معرض المحرمات .

﴿ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ ﴾[٣] .

---

(١) سورة الكهف آية رقم (١) .

(٢) إشارة إلى حديث طويلٍ لجابر بن عبد الله الأنصاري أخرجه مسلم في الصحيح في كتاب الحج ولكن هذا اللفظ رواه ابن ماجة في سننه حديث رقم (٣٠٧٤) . باب (٨٤) وعنوانه باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم وإسناده صحيح [٢/١٠٢٥] .

(٣) سورة النساء آية رقم (٢٣) .

وأما السنة ؛ فقد وردت عدة أحاديث تدل على أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب .

فروى البخاري - رحمه الله - عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة »[١] ورواه مسلم وغيره .

وفي رواية للنسائي : يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب[٢] . وقد أجمع علماء الأمة على التحريم بالرضاع .

فتحريم الأم والأخت من الرضاع بنص القرآن الكريم ، وتحريم بقية المحرمات من الرضاع بالسنة ، وإذا ثبتت الحرمة ثبتت المحرمية ؛ لأنها فرع عنها .

والرضاع الذي يسرى التحريم به هو ما اجتمع منه ثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن يكون خمسَ رضعات[٣] فأكثر فإن كان أقل من خمس رضعات لم يحرم ؛ لما روى مسلم ، عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان فيما أنزلَ : عشرُ رضعات معلومات يُحرمن ، ثم نسخت بخمس رضعات معلومات يحرمن ، فتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والأمر على ذلك[٤] .

وروى البيهقي في السنن وأخرجه مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تحرِّم المصةُ والمصتان »[٥] .

---

(١) هذا لفظ البخاري في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها برقم (٣١٠٥) فرض الخمس باب (٤) ونحوه مسلم في الصحيح كتاب الرضاع حديث رقم خاص (١) وعام (١٤٤٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) هذا لفظ مسلم تمامًا ، الرضاع حديث رقم خاص (٩) ، وعام (٤٤٤٥) ، [٢/١٠٦٩] .

(٣) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - الآتي قريبًا .

(٤) مسلم في الصحيح كتاب الرضاع من حديث عائشة - رضي الله عنها - برقم خاص (٢٤) ، وعام (١٤٥٢) ، وكذا برقم (٢٥) .

(٥) صحيح مسلم الرضاع حديث رقم خاص (٢٠) وعام (١٤٥١) وهو من حديث أم الفضل رضي الله عنها .

وعن أم الفضل أن رجلًا جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : كانت لي امرأة فتزوجت عليها أخرى ، فزعمت الأولى أنها أرضعت الحرثى أي الجديدة . فقال نبي الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تحرم الإملاجة والإملاجتان »[١] وأخرجه مسلم .

وإذا فلابد من معرفة مقدار الرضعة الواحدة لضبط الخمس المحرّمة .

قال بعض العلماء : إذا امتصَّ الطفلُ اللبنَ ، ثم توقف فهي رضعة ، سواء توقف لتنفس ، أو لتعب ، أو لانتقال من ثدي إلى آخر ، فإذا عاد فهي رضعةٌ أُخرى ، وقيل : المصة رضعة لقوله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تحرم المصة والمصتان » فدل على أن خمس مصات تحرم فكل مصة رضعة .

الشرط الثاني : أن يكون الرضاع في الحولين لقوله تعالى :

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[٢] .

فما بعد الحولين ليس بزمن رضاع فلا يحرم ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « انظرن من إخوانكن من الرضاعة ، فإنما الرضاعةُ من المجاعة »[٣] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها ، « لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام » رواه الترمذي وصححه[٤] .

---

(١) مسلم في الصحيح الرضاع حديث رقم خاص (١٨) وعام (١٤٥١) من حديث أم الفضل رضي الله عنها .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣٣) .

(٣) البخاري في الصحيح الشهادات باب (٧) حديث رقم (٢٦٤٧) من حديث عائشة - رضي الله عنها - ومسلم في الصحيح كتاب الرضاع حديث رقم خاص (٣٢) من هذا الوجه واللفظ .

(٤) الجامع للإمام الترمذي برقم (١١٥٢) من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - وصححه الترمذي .

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مرفوعًا وموقوفًا، قال: «لارضاع بعد فصال» رواه البيهقي في السنن[١]، كما روي أن رجلًا جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقال: كانت لي وليدة، وكنت أطؤها، فعَمِدتْ امرأتي إليها فارضعتها، وقالت: إن جاريتك هذه صارت ابنتك فقال: أوْجع امرأتك أي: اضربها وأْتِ جاريتك فإنما الرضاعة رضاعة الصغير[٢].

وأما قِصّةُ سالم مولي أبي حذيفة فهي رخصة لسالم كما قاله بعض أزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم[٣].

الشرط الثالث: أن يصل اللبن إلى الجوف، أما إن مجّه الطفل، أو كان الثدي ليس فيه لبن وإنما يتلهى به مثل المطاط فلا يحرم.

وسواء وصل اللبن إلى جوف الصبي من طريق المص من الثدي، أو من طريق الشرب بإناء، أو وجور، أو من طريق الهبوط مع الأنف، فإنه يحرم إذا كان مقدار خمس رضعات. ويثبت الرضاع بشهادة امرأة مرضية؛ لما روى البخاري عن عُقبة بن الحارث: أن امرأة سوداء زعمت أنها أرضعته هو وامرأته، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «كيف وقد قيل»[٤] وفي رواية: «دعها عنك»[٥] وبعض العلماء قال: إن كانت دعوى الرضاع بعد الدخول فلا يكفى فيه شهادة امرأة، وإن كان قبل

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى موقوفًا على علي - رضي الله عنه - [٤٦١/٧] وقد روي مرفوعًا هكذا قال البيهقي: وقد أخرجه مرفوعًا من حديث جابر - رضي الله عنه - [٧/ ٣١٩، ٣٢٠].

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى عن طريق الشافعي وهو يروى عن مالك عن عبد الله بن دينار قال: جاء رجل إلى ابن عمر، ثم ذكر ابن عمر - رضي الله عنهما: أن رجلًا جاء إلى أبيه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ثم ذكر القصة وإسناده صحيح.

(٣) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - مسلم في الصحيح برقم خاص (٢٦) وعام (١٤٥٣) وأما خصوصية لسالم هذا الأمر فهو أيضًا في مسلم برقم خاص (٣١)، وعام (١٤٥٤).

(٤) إشارة إلى حديث عقبة بن الحارث - رضي الله عنه - خ برقم (٢٦٤٠) الشهادات [٢٥١/٥].

(٥) خ برقم (٥١٠٤) كتاب النكاح باب (٢٣) شهادة المرضعة وهو من حديث عقبة بن الحارث - رضي الله عنه - وفيه هذا اللفظ [دعها عنك].

الدخول أخذ بشهادتها .

إذا علمنا هذا فينبغي أن نعلم مدى سريان التحريم ، وإلى من يمتد .

يختص تحريم الرضاع بالطفل الذي شرب اللبن ، دون بقية إخواته فيكون المرتضع ابنًا للمرأة التي أرضعته ، وابنًا لزوجها . وأخا لأولادهما ؛ ولأولاد أحدهما سواء السابقين لرضاعهة ، واللاحقين فيما بعد وتكون جميع محارم أبويه من الرضاع محارم له مثل الجدات ، والعمات ، والخالات والأخوات ، وبنات الأخوات ، والإخوة إلا أن الحقوق المالية لا تجب بالرضاع مثل النفقة .

وهنا نقطة مهمة يجب الانتباه لها ، وهي : إذا أرضعت امرأة طفلًا من قبيلة ، وطفلة من أخرى ، سواء كانا في زمن واحد أو متقارب أو متباعد صارا بهذا الرضاع أخوين ؛ لأن كل واحد منهما صار ابنًا لها فتسرى بينهما الحرمة والمحرمية .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واضبطوا الأمور خشية الوقوع في المحذور .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[١]

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ....

---

(١) سورة النساء آية رقم (٢٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة والخمسون

٦ / ١١ / ١٤٠٩

[الطلاق الرجعي والبائن]

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين[(١)].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(٢)].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله القائل: « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ».

اللهم؛ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلم ربنا على نبيناوعلى إبراهيم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد .. فكما أن الإسلام حث على بناء الأسرة وتكوين البيوت النظيفة حَثَّ أيضًا على تماسكها وترابطها، وعالج المشاكل الجانبية، ورفأ الصدوع الطارئة ومامن بيت إلا ويحصل فيه مشاكل وخلاف على بعض الآراء والاختيارات أو بسبب الغفلة، أو السهو عن بعض الحقوق، أو التساهل في بعض الواجبات.

ومن ذا الذي تصفو له الحياة، وإنما الكمال والصفاء في دار الكرامة والنعيم جعلني الله وإياكم من سكانها.

ومهما يكن في البيت من خلاف جانبي، أو تفاوت في وجهات النظر فلا

(١) سورة النحل آية رقم (٤).

(٢) سورة الروم آية رقم (٢١).

ينبغي أن يكون ذلك معول هدم لصرح البيت، ولا مكدرًا للحياة الزوجية، ولا قاطعًا للوصل، ولا قاصمًا للرابطة، وإنما تعالج وتزال المؤثرات بالتي هي أحسن.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

قال ابن كثير أي فعسى أن يكون صَبْرُكم في إمساكهن مع الكراهة فيه خير كثيرٌ لكم في الدنيا والآخرة. كما قال ابن عباس في هذه الآية: هو أن يعطف عليها فيُرزق منها ولد ويكونُ في ذلك الولد خيرٌ كثير. وفي الحديث الصحيح لا يَفْرِكْ مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقًا رضي منها آخر.

فلابد أن يُبنى البيت على الصبر، والتحمل، والمروءة، والنظر في المصالح، وتأمل العواقب، وعلى الشيم، والتجمل، والنفس البشرية قد تستغرقها اللحظة الحاضرة وما فيها من أوضاع وملابسات، وقد تغلق عليها منافذ الأمل في المستقبل فتعيش في آلام اللحظة الحاضرة.

وقد تَشْعر أنها حالة ستستمر معها، وهذا شعور ناتج من الغفلة عن قدرة الله وإرادته، وعن رحمته ولطفه بخلقه.

فقدرة الله دائمًا تعمل، ودائمًا تغير وتبدل، ودائمًا تنشيء ما لا يخطر على البال، وما لا يقع في الحسبان: فرجٌ بعد ضيق، وعسر بعد يسر، وبَسط بعد قبض، ومودة بعد بغض، وصحة بعد مرض، وولد بعد عقم؛ فينبغي للرجل والمرأة أن يصبرا وأن يتحملا، وأن يتوكلا على الله في كل شئونهما، وأن يُعلقا آمالهما بالله.

لكن إذا وجد أحد الزوجين في الحياة الزوجية ما لا يطاق معه الصبر ولا تتوفر معه المودة والرحمة، فالخالق تعالى لم يترك عباده في سجن الانفعالات، ولم يُغلق أمامهم الأبواب ولم تسد المسالك، بل جعل نظامًا للانفصال وحَلِ عُقدة النكاح.

فالحياة الزوجية إذا لم تَقُم على أساس تقوى الله، وعلى المودة والرحمة،

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٩).

واحترام المشاعر والحقوق، فإنها تتحول إلى ميدان للشقاق ونكد العيش؛ ولذلك أباح الخالق تعالى الطلاق وجعل له نظامًا سماويًّا، قال تعالى:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾(٢).

كان الناس في أول الأمر يطلق الرجل زوجته ما شاء بلا حدود، ثم يراجعها فاشتكى بعض النساء للرسول - صلى الله عليه وسلم - فنزلت تلك الآيات وحددت للرجل ثلاث تطليقات فقط له حق الرجعة في الأولى والثانية ما دامت المرأة في العدة، فإذا طلقها الثالثة انفصلت منه فليس له عليها سبيل، ولا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره. فليس للزوج أن يطلق من نساء كيف شاء.

فالاسلام حافظ على حق المرأة وكرامتها، ولاحظ شعور الرجل، وانفعالاته، فأعطاه الفرصة مرتين، فالطلقة الأولى محكٌ وتجربة، والطلقة الثانية إتاحةُ فرصة ثانية مثلُ اختبار الدور الثاني، فإذا صلحت الحياة بعدها فذاك، وإلا فالطلقة الثالثة دليل على وجود فساد في حياتهما الزوجية لا تستقيم معه العشرة، أو أن الزوج مستهتر متلاعب بالقيم فيعاقب بحرمانه من حق الرجعة بعد الثالثة، بل يُحرم من الزواج منها

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٣٠).

(٢) سورة الطلاق آية رقم (١).

حتى تنكح زوجًا غيره .

فالإسلام لا يربط الحياة الزوجية بالسلاسل والقيود ، ولا بالحبال والأغلال ، وإنما يربطها بالمودة والرحمة ، أو بالواجب والتجمل ، والصبر ، والتحمل ؛ فإذا بلغ الحال بين الزوجين إلى حد لا تنفع معه الوسائل ولا الحلول المناسبة ، ولا العلاج الموصوف في القرآن والسنة ، فإنه لا يحكم عليها أن تقيم في سجن من الكراهية والنفرة أو في رباط ظاهري ونفرة وانفصام حقيقي .

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن امرأة ثابت ابن قيس أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ؛ ثابت بن قيس ما أعيب عليه من خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أتَرَدين عليه حديقته » قالت : نعم . قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « اقبل الحديقة وطلقها تطليقة » .

فإباحة الطلاق فيه مصالح للزوجين الرجل والمرأة ، وقد يكون في حق المرأة أظهر ، لكن قد لا تبرز المصلحة في الساعة المواتية وقد تظهر فيما بعد .

وليس الطلاق حيث تعذر الوفاق بقاطع رزق أحد من الزوجين فالأرزاق بيد الله ، وقد وعدهما بالغنى ﴿ **وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سِعَتِهِ** ﴾[1] .

مع هذا فإنه يجب على الأزواج التأني في الطلاق والبعد عن التسرع ، وإن يكون الطلاق لسبب أساسي ، يتعذر معه توفر المودة والرحمة ، ويصعب معه أداء الحقوق الزوجية ، فإنما جُعل الطلاق بيد الرجال ؛ لأنهم أكثرُ روية وأعمقُ نظرًا في العواقب ، ولكن بعض الأزواج لا يعرف قيمة ذلك ، ولا يهتم بالحياة الزوجية ، ولا يعرف نتائج الطلاق ، ولا يراعي شعور زوجه ، فإذا بالطلاق على لسانه دائمًا يتلفظ به الأدنى سبب ، بل وبدون سبب من المرأة ، فإذا وقع في شراك قوله وامتنعت المرأة من البقاء معه ، أو تدخل أهلها أخذ يبحث عمن يفتيه ويرد زوجته إلى عصمته .

وبعض الأزواج مستهتر بالحدود الشرعية ، ومتلاعب بالقيم الإسلامية ، فإذا هو

(١) سورة النساء آية رقم (١٣٠) .

يطلق ثلاثًا وأربعًا وخمسًا متفرقات ، ويقول : إنني لم أقصد الطلاق إنما أردت حثها أو منعها أو تخويفها وقد تَنخدع زوجه بقوله ، وقد يكون لها ظروف صعبه فتبقى عنده بعد طلاق الثلاث ، ويتسترأن بستار الزوجية ، وهذا حرام فمتى طلقها ثلاثًا فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ، وليس تراضيهما مبيحًا لما حرم الله ، أما إذا طلق الزوج ثلاثًا وأنكر ، فإذا كانت المرأة تعلم أنه طلق ثلاثًا متيقنات فلا يحل لها أن تبقى عنده وحرام عليها أن تمكّنه من نفسها ، ولا يجوز لولي أمرها أن يجبرها على السمع والطاعة له ، وأما القضاء فإنه يعتمد على الظاهر والبينات الواضحة ، روى أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة ، والدارمي عن رُكانة بن عَبْد يَزِيد ، أنه طلق امرأته البتة فأُخبِرَ بذلك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقال والله ما أردت بذلك إلا واحدة فقال ، صلى الله عليه وسلم : « واللهِ ما أردت إلا واحدة » فقال رُكانة : واللهِ ما أردت إلا واحدة ، فردها عليه ؛ فإذا كان اللفظ يحتمل الأمرين أخذ بقول الزوج ، وكذلك إذا كانت المرأة لا تعلم كم طلق ، فيترك الأمر إلى ذمة الزوج ومسئوليته والله حسيبه .

وفي هذا الزمن كثر الطلاق قبل الدخول ، ولعل السبب التساهل في الاختيار وأيضًا تواصلُ الزوجين قبل الدخول المعلن فيحصل بينهما أوهام وظنون ، أو اختلاف على بعض الأمور أو يَتدخل أهلها في شأنها فيحصل الطلاق ، فالأفضل ألا يمكن الزوج من الاتصال بزوجه إلا في دخول معلن ويذهبُ بها إلى منزله فيستقلا ويأخذ الحرية المطلقة والراحة الكاملة ، ويعالجان مشاكلهما وحدهما ، ويتحملان مسئولياتهما .

فاتقوا الله أيها المؤمنون .

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(١)

أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه أنه هو الغفور الرحيم .

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٨١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

[طلاق السنة والبدعة]

الحمد لله رب العالمين ، شرع من الدين أقومه وهدانا صراطه المستقيم .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله وصفوته من خلقه ،

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فإن الطلاق له سنة وبدعة فما وافق نظام الإسلام فهو سنة ، وما خالفه فهو طلاق بدعة .

وذلكم أن الطلاق له عدد وزمن .

فالسنة أن يطلق الرجل امرأته طلقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه ، أو تكون حاملًا قد بان حملها ، أو تكون آيسة أو لم تبلغ المحيض . فإن بدا له راجع وهي في العدة وإلا تركها حتى تنقضي عدتها فتخرج من عصمته .

وهذا عبد الله بنُ عمر - رضي الله عنهما - يحدثنا عن قصته كما رواها البخاري رحمه الله : طلق امرأته وهى حائض . فذكر عمر ذلك لرسول الله ،صلى الله عليه وسلم ، فقال : « مُرْه فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهرَ ، ثم تحيضَ ، ثم تطهرَ ، ثم إن شاء أمسك بعدُ ، وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء » .

وذكر القرطبي رحمه الله عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال :

الطلاق على أربعة أوجه وجهان حلالان، ووجهان حرامان، فإما الحلالان: فإن يطلقها طاهرًا من غير جماع، أو أن يطلقها حاملًا مشتبينًا حملُها.

وأما الحرامان: فأن يطلقها وهى حائض، أو يطلقها حين جامعها لا يدري أشتمل الرحم على ولد أم لا؟ وهذا الطلاق يقع عند الجمهور.

هذه بدعة الزمن، أما بدعة العدد: فأن يطلق بأكثر من واحدة اثنتين أو ثلاث.

وهل يحسب طلاق البدعة أم لا يحسب، الجمهور من العلماء على أنه يحسب، وقد ذكر الإمام أحمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري الأقوال في هذه المسألة وأدلة الجمهور. والرد على أدلة الفريق الآخر لا يتسع المقام لذكرها فلتراجع في الجزء التاسع.

ويتُصور طلاق البدعة في العدد من جميع الزوجات المدخول بها وغير المدخول بها، ذات الأقراء وغيرها.

أما بدعة الزمن فلا يكون إلا من المدخول بها ذات الأقراء، لأن غير المدخول بها ليس عليها عدة.

وعِدة الحامل حتى تضع حملَها والصغيرة والأيسة ثلاثة أشهر.

فاتقوا الله أيها المسلمون.

اتقوا الله أيها المطلقون، ثم اعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى قولًا كريمًا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾(١) ...... إلخ الصلاة والدعاء.

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة والخمسون

٥ / ٨ / ١٤٠٢

[كاسيات عاريات]

الحمدُ لله رب العالمين[١] ، خلَقنا من العدم ، وربّانا بالنعم ، وفضلنا على كثير ممّن خلق تفضيلًا[٢] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، كرّم بني آدم ، وحملهم في البر والبحر[٣] ، ورزقهم من الطيبات[٤] ، وأنزل إليهم لباسًا يواري سوأتهم ،[٥] وجمالًا يتجملون به ، وفضّلهم على كثير العالمين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبدهُ ورسوله ، بلغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح للأمة . فلم يدَعْ خيرًا إلّا ودلَّهم عليه ، ورغَّبهم فيه ، ولا شرًّا إلّا نهى عنه وحذّر منه .

اللهم ؛ صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمَّا بعد .. فأوصيكم ، وإياي بتقوىٰ الله .

ثم اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الجاهلية التي تَناوَلَها القرآن الكريم ، والسنة المطهرة بالذم والتقبيح ، وتشنيع عاداتها ، تلك الجاهليةُ ليست فترة معينة في الزمان ، ولا تختص بجيل من الأجيال ، وإنما هي صفات اجتماعية ذاتُ تصورات معينة للحياة .

---

(١) الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء آية رقم (٧٠) ، وإشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في هذا المعنى ، الترمذي في جامعه الدعوات برقم (٣٤٣١) باب ما يقول إذا رأى مبتلى وجه برقم (٣٨٩٢) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء آية رقم (٧٠) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء آية رقم (٧٠) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم (٢٦) .

ويُمكن أن توجد هذه الحالة ، وذلك التَصوُّر في أي زمان ومكان ، وفي أي جيل من الأجيال ؛ فمتى وجد كان دليلًا على الجاهلية حيث كان ، حتى ولو كان العلم التنظيم والتطور في الصناعات والتفكير في أمور الدنيا - متقدمًا فلا تخرج عن إطار الجاهلية ، إذا غلبت عليها صفات الجاهلية ، وإذا نظرنا إلى واقع العالم عرفنا أنه يعيش في فترة جاهلية ، غليظة الإحساس والتصوُّر ، حيوانية الأخلاق ، هابطة في تقاليدها إلى الحضيض .

وإذا استثنينا هذه المملكة المحروسة ؛ لتمسكها في الجملة بأخلاق الإسلام ، ولتحكيمها شرع الله ؛ ولإقامة الحدود ، فإن الداء الجاهلي قد تسرب إليها ، ولم نر له تطعيمًا ولا محاجر ، ويُخْشَى من سريانه .

نرى ما أخبر عنه - صلى الله عليه وسلم - ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ ، مميلاتٌ مائلاتٌ رءوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة[١] ، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ، ليوجد من مسيرة كذا وكذا . وذكر في الترغيب والترهيب عن صحيح ابن حبان والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم[٢] .

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : « يكون في آخر أمتي رجالٌ يركبون على سُرج كاشْباهِ الرجال ، ينزلون على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسياتٌ عارياتٌ ، على رءوسهنَّ كأسنمة البخت العجاف ، العنوهن فإنهن ملعونات ، لو كان وراءكم أمة من الأمم لخدمتهم نساؤكم ، كما خدمكم نساء الأمم قبلكم[٣] .

إنها معجزات النبوة ؛ فقد وقع ما أخبر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) مسلم في الصحيح في اللباس والزينة ، وهو من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات برقم : (٢١٢٨) ، وأخرجه البغوي في شرح السنة برقم : (٢٥٧٨) عن طريق الإمام مسلم به عنه .

(٢) هذا لفظ رواه مسلم برقم خاص : (١٢٥) وعام (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة ، عن حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ولم أقف عليه في المستدرك لو أخرج هذا الحديث لكان ناسيًا رحمه الله تعالى بأن مسلمًا قد أخرجه رضي الله عنهم .

(٣) هذا لفظ الإمام أحمد في المسند ص [٢٢٣/٢] من حديث عبد الله بن عمرو =

وإن الواقع ليفسر ما به قد نطق المصطفى - عليه الصلاة والسلام - ولقد أُعْطى - صلى الله عليه وسلم - جوامع الكلم[1] ، وحسن البيان ، وإن لم يحصل هذا في بلادنا ، لكنهم في غيرها .

أما الرجال فهم المترفون المنعمون ، بلغ بهم الترف إلى احتقار الناس وإيذائهم والغفلة عن واجبهم تجاه أسرهم ونسائهم ، فلا يبالي الرجل منهم بما تفعل زوجته ، أو ابنته ، فهم على صور الرجال ، وليسوا برجال ؛ لأنهم فقدوا القيومية التي فضلهم الله بها ، وفقدوا الرجولة المعنوية .

وأما النساء الكاسيات العاريات ؛ فاللباس متوفر لديهن ، ولكنهن يُسِئْن استعماله ، فلا يكتسين ثوب الحشمة ، فتلبس إحداهنّ ثوبًا رقيقًا يصف البشرة ، أو ضيقًا البنطلون الذي يوضح أجزاء الجسم ، ومكان العِفَّة ، أو قويًّا مشقوقًا من الأمام ، تلفحه الريح ، فيبدو ما تحته ، وغير ذلك مما ابتلي به مجتمعنا ، من الأزياء المستوردة ، أما المائلات المميلات ، فقد فسَّر الواقع هذه الصفة مائلات إلى الرجال غير المحارم ، يزاحمنهم في الطرقات إذا مررن بالرجال يضحكن ويتغَنَّجن ، ويُقهقهن ، ويلتفتن إليهم بحركات شيطانية ساحرة ، وعبارات فاجرة ماكرة ، تدل على الميول إلى الرجال ، يتمايلن في مشيتهنَّ وهيئتهنّ بفعلهنّ هذا ، مميلات للرجال إليهنّ .

فإذا رآها الذي في قلبه مرض ، مال إليها وطمع فيها ، وهذا مفتاح البلايا والرزايا ، أما رءوسهن كأسنمة البخت المائلة . البُخت هي : الإِبِل فالجمل له سنام على ظهره ، فإذا مال انسدل إلى الخلف ، ويميل عادة إذا هزل .

وهذه هى بعينها مشطة الكوفيرة ، وهي من صفات البغايا والمومسات ، جاءت إلينا من المسارح والمراقص ، فاستحسنها من لا أخلاق له ، وتقلدها من لا معرفة عنده ، وتصدى لها من لا يؤمن بخلق ولا فضيلة .

= ابن العاص رضي الله عنهما ، وأورده الهيثمي في المجمع [١٣٧/٥] وقال : رجال أحمد رجال الصحيح .

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم في الصحيح ، المساجد برقم خاص (٥) ، وعام : (٥٢٣) .

هذا الصنف من الرجال ، وهذا الصنف من النِّساء مُحرَّم عليهم دخول الجنة ، وعملهم هذا كبيرة من الكبائر ، تجب فيه التوبة النصوح .

وهذا النوع من النساء اللائي هذه صفتهن لا خير فيهن ، ولا دين ، ولا خلق ، ولا حياء ، العنوهن بألسنتكم ، واطردوهن من بيوتكم ، فقد لعنهن الله على لسان نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وامقتوا فعلهن ، واحفظوا أهلكم من التشبه بهن ، فيدخلن تحت اللعنة مِثلهن .

إن المرأة المسلمة لا تستخف بإسلامها ، ولا تستهين بأوامر ونواهي نبيِّها ، ولا تخالف نظام دينها .

ما أجمل لباس الحشمة والعِفَّة ، وما أجمل المشطة الإسلامية ، ترسل الشعر إما مفرودًا أو مَظْفورًا .

إن الذوق بجمال الحشمة الطاهر النقي النظيف هو ذوق الفطرة ، وهو ذوق الرجولة ، وهو ذوق الإنسانية .

أما الذوق بملامح الجسد العاري ، المكشوف أمام الناس ، المبذول لكل ساقط ، فهو ذوق حيواني بهيمي ، ذوق ساقط سافل ، لا يريد إلّا الخلق السافل الساقط .

اتقوا الله يا أمة الإسلام ، وراقبن ربَّكُنَّ يا مسلمات ؛ إن الصحوة الإسلامية يجب أن تنير الخلق والسلوك ، كما تنير الفكر والعقيدة ، فلا يصح أن يؤخذ من الإسلام بطرف ، ويُترك طرف آخر .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١) .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم .

اللهم ؛ أصلح بناتِنا وذرياتنا وأزواجنا ، ونساء المؤمنين ، واحفظهن من دسائس الأعداء ، وساقط الأخلاق ، واغفر لنا .

---

(١) سورة الحشر آية رقم (٧) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل . وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، تفرد بالألوهية كما تفرد بالخلق والرزق ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، الصادق الأمين ، صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن الأموالَ بِجَميع أنواعِها من الشهوات التي زُين حُبها للناس . ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[1] .

ولعله من الحكمة في ذلك تقويمُ هذه الحياة ، وحصول الترابط بين الناس ، وحب المال في ذاته غريزة في الإنسان ؛ فإذا كان كسب المال ، وصرفه بالطرق المشروعة من وحي السماء ، فهو محمود ومطلوب ، ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾[2] وقال – صلى الله عليه وسلم – : « لا حسد إلّا في اثنتين : رجل آتاه الله مالًا ، فسُلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها » . متفق عليه[3] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى ، والنعيم المقيم ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل من أموالهم يحجُّون ويعتمرون ،

---

(١) سورة الكهف آية رقم (٤٦) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٧٥) .

(٣) خ كتاب العلم : [١/١٥١] ، [١/١٥٣] ، ومسلم في صلاة المسافرين برقم : (٨١٦)، كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – .

ويجاهدون ، ويتصدقون فقال - صلى الله عليه وسلم - ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكونُ أحدٌ أفضلَ منكم إلّا من صنع مِثل ما صنعتم ، قالوا : بلى يا رسول الله قال : « تسبحون ، وتحمدون ، وتكبرون ، خَلْف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين » متفق عليه(١) .

وفي رواية لمسلم : « فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : سمع إخوانُنا أهل ٱلأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »(٢) .

أما إذا كان جمع الأموال من طرق محرمة ، وصرفه في طرق محرمة ، أو كان يصل إلى حَدٍّ استعباد صاحبه ، يشغله عن الواجبات ، أو كانت أرصدة في البنوك لا يُعطَى حقُ الله فيها ، ولا يساوي منها فقير ، ولا تُوصل بها رحم ، فهذا هو المحرم المذموم .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾(٣) .

﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴾(٤) .

وهناك من الناس من ينطبق عليه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح البخاري ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - « تَعِس عبد الدينار ، تعس عبد

(١) خ كتاب الأذان برقم : (١٥٥) ، وحديث رقم : (٨٤٣) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه ، ومسلم في الصحيح - المساجد : برقم (١٤٢) خاص من هذا الوجه ، واللفظ .

(٢) هذا اللفظ عند مسلم برقم خاص : (١٤٢) ، وعام : (٥٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة التوبة آية رقم : (٣٤) .

(٤) سورة البقرة آية رقم : (٢٧٥) .

الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضيَ وإن لم يعطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»[(١)].

والتصرفات المحرمة في الأموال، على الوصف المتقدم، هو الذي فتح الأبواب للأفكار الشيوعية المكذوبة حتى دخلت بلاد المسلمين، وهي التي جعلت فجوة واسعة بين أهل الأموال والفقراء، فلوا أن هذه الأرقام التي نسمع عنها في البنوك تؤدى زكاتها على الوجه الصحيح؛ لما بقي فقير.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وكونوا مسلمين حقًّا، سيروا على نظام الإسلام في جميع أموركم، وفي كل حياتكم، وإلا فلا تلوموا إلَّا أنفسكم ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾[(٢)].

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[(٣)].

---

(١) خ برقم: الجهاد، باب: (٧٠) الحراسة في الغزو في سبيل الله، برقم: (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وابن ماجة في الزهد برقم: (٤١٣٥) من هذا الوجه واللفظ.

(٢) سورة النساء آية رقم (٧٩).

(٣) سورة الشورى آية رقم (٣٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة والخمسون

١ / ٢ / ١٤٠٢

[التساهل في الطلاق]

الحمدُ لله رب العالمين .

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[١] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

﴿ خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾[٢] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

اللهم ، صلِّ على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله في السر والعلن .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ ﴾[٣]

---

(١) سورة النساء آية رقم (١) .

(٢) سورة الروم آية رقم (٢١) .

(٣) سورة الطلاق آية رقم (٢-٣) .

عباد الله؛ لقد حرص الإسلام على بناء أسرة الإنسان وتنميتها وتنظيمها، والمحافظة على روابطها.

فرغب في الزواج، وأوصى بالتسهيل والتيسير، وجعل نظامًا للأسرة تسير عليه، وحفظ حق كل فرد فيها، وألزم كلًّا بالقيام بقسطه من المسئولية رغب في التحمل والصبر، وجعل القيادة والرئاسة فيها للرجل؛ لأنه غالبًا أكثر جلدًا، وأبعد نظرًا في العواقب، وجعل عُقْدة النكاح بيده لقيومته؛ فالمسئولية عليه أكبر، واللوم يلحقه أكثر؛ فيجب على الرجل أن يعرف للقيومية حقها، وأن يعطي ما فُضِّل به واجبه، وأن يتروَّىٰ في أموره، وأن يتأمل عواقب الأمور، وأن يعرف لله حدوده، ولشرع الله أحكامه.

فلا يليق بالعاقل أن يهدم أسرته بدون مبرر، فإن هدم البناء دونه خراب، أو ما تقتضيه المصلحة حمق، إن بعض الرجال ينزل من مستوى الرجولة والثبات إلى مستوى الحمق والطيش، وعدم المبالاة بأسرته.

فالطلاق - دائمًا - على لسانه في أي وقت، وعند أبسط شيء، فإذا أراد أن يُلزم ضيفَه بضيافته طلق، وإذا أراد أن يصدّق خبرُه طلق، وإذا أراد أن يُكذِّب خَبَرًا طلق، وإذا تجادل مع زوجته في شئون البيت طلق، وهكذا، وكأنَّ الطلاق عنده قطعةٌ من الحلوى يتطعم بها في فمه، أو لعبة في يده، وبعضهم من حماقته يطلق ثلاثًا، ثم يذهب يبحث عمن يفتيه، فهو يهدم، ثم يبحث عمَّن يبين له، ويتحمل مسئوليته أمام الله.

فالواجب على الأزواج أن يتصفوا بالصفة التي فُضِلوا بها في جميع الأمور، التأني، والتروي، وإذا غضب داوى الأمر، إما بركعتين يُصليهما، أو بخروج من المكان، أو بقول غير محرم ينفس به عن نفسه ويطرد غضبه، أما الطلاق فلا يطلق إلا بعد اقْتِناع ورويه، وبعض الناس أو أكثرهم لا يعرف أن الطلاق له وقت بالنسبة لحال الزوجة؛ فالطلاق السني أن يطلق طلقة واحدة في طهر لم يحصل فيه وقاع.

أما الطلاق حال حيضها، فهو بدعةٌ ويقع الطلاق لحديث ابن عمر حُسبت

علي طلقة ، وكذلك الطلاق في طهر حصل فيه وقاع ، ولم يتبين فيه حمل - بدعة أيضًا ، وقع الطلاق ؛ أما إن تبين الحمل فليس ببدعة .

وإذا طلق الرجل امرأته وهي حائض ، يلزم مراجعتها وإمساكها حتى تطهر ، ثم تحيض ، ثم الخيار بيده إن شاء طلق قبل إن يجامعها وإن شاء غير ذلك .

لما في الصحاح عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأل عُمرُ بنُ الخطاب رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن ذلك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : مُره فليراجعها ، ثم ليمسكها حتى تطهرَ ، ثم تحيضَ ، ثم تطهرَ ، ثم إن شاء أمسك ، وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العِدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء .

فاتقوا الله عباد الله ، وراقبوه وتفهموا أحكام دينكم ، واعرفوا نظام إسلامكم لحياتكم ، واحتاطوا لاماناتكم وفرشكم ، وتَطهروا لنسلكم ، واسألوا ربكم الهداية والتوفيق .

اللهم ؛ أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ،

واغفر لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله لا نحصي ثناء على الله .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فإن الأحكام الشرعية تُبنى على الظاهر ، أما السرائر فعلمها عند الله تعالى .

فإذا تكلم الإنسان بالطلاق أُخذ به ، وكذلك إن كتبه بخط يده .

والمرأة قد لا تعلم بالطلاق ثلاثًا ، وتعلم ، ولكنها مثله لا تحتاط لدينها ، وهذا حرام ، حرام أن تبقى المرأة عند زوجها بعد طلاق الثلاث ، والوقاع بعد ذلك زنا .

لا يجوز للمرأة أن تَطْلب من زوجها الطلاق بدون مبرر .

فعن ثوبان – رضي الله عنه – قال : قال – صلى الله عليه وسلم – : « أيما امرأة سألت زوجها طلاقًا في غير ما بأس؛ فحرام عليها رائحة الجنة » . رواه أحمد ، والترمذي ، وأبو داود ، وابن ماجة ، والدارمي .

وحرام على المرأة أن تدعي على زوجها بدعًا كاذبة لتبرر الطلب .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، كونوا مسلمين حقًّا ، قولًا وعملًا وسلوكًا ؛ المسلم قد يسرق ، وقد يزني ، لكن لا يكذب ، فإن الكذب من صفات المنافقين .

وصلوا على البشير النذير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة والخمسون

٢١ / ٣ / ١٤١٣

[التعدد]

الحمدُ لله رب العالمين(١)، يُحب التوابين، ويُحب المتطهرين(٢).

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أمر بالعدل والإحسان، ونهى عن الفحشاء والمنكر، وأحل الطيبات، وحرم الخبائث.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، بيّن طريق الخير، ورغب فيه، وحذر من طرق الضلالة والردى.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك، ورسولك، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اتبع سبيله، وعمل بسنته.

أما بعد .. فإن الإنسان لم يُخلق عبثًا، ولن يترك سدى، وليست حياتُه فَوضى، ولا وفق هوَاه وانحرافاته، إنما هي حياةٌ منظمةٌ بأمر الله، عامرة بالتكليف.

والقرآن الكريم، وهو كلامُ العليم الخبير، يُنظم حياةَ المسلم، ويعالج مشاكلها، والطوارئ عليها، يعيش مع المسلم في خصائص ذاته، لا يهمل منها شيئًا، وينظم لقاءه بزوجه في فراشه، فَهَيَّا بنا نتأمل قول الخالق تبارك وتعالى في هاتين الآيتين من سورة البقرة:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢).

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٢).

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) .

كان اليهود يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها ، فلم يجالسوها ولم يُساكنوها ، ولم يؤاكلوها ، ولم يشاربوها ، وأخذ بعض العرب عادة اليهود ، أما النصارى فكانوا لا يبالون بالحيض ، فكانوا يجامعون نساءهم في المحيض .

فلما جاء الإسلام بالطهارة والنزاهه ، وبالرحمة والشفقة ، وإكرام المرأة ، تَحَرَّج المسلمون من عادة اليهود ، ومن فعل النصارى ، فسأل بعض الصحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عما يحل للرجل من امرأته وهي حائض ، فسمع الله سؤالهم ، وعلم صالح نيتهم ، فأجابهم من فوق سبع سموات .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ الآية(٢) .

فقال - صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » فبلغ ذلك اليهودَ ، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئًا من أمرنا إلا خالفنا فيه .

فكلمة المحيض تكون مصدريةً ، وتكون ظرفيةً ، فَهِيَ في قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ** ﴾ مصدرية ، أي : عن الدم السائل من الرحم ، قل : هو أذًى ، والعاقل يجتنب الأذى ، ويَحْذَر منه ؛ فهو أذى في كل صفاته ، يضر بالرجل وبالمرأة وبالنطفة .

وأما في قوله تعالى : ﴿ **فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فَي المحيض** ﴾ فهي ظرفية ، أي : فاعتزلوا النساء في مكان الحيض حال سيلان الدم ، أما المباشرة دون الفرج ؛ فهي مباحة ، بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم - : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » أي : الجماع ، والمباشرة فيما دون المحل وسيلةٌ لقضاء الوطر ، وتطييبٌ لخاطر المرأة ، وإظهار للود ، وبيانُ أن مكانتها الزوجية عند بعلها لم تتغير لوجود العادة الشهرية .

والحيضُ دم جبله يُرخيه الرحم إذا بلغت المرأة ، ثم يعتادها في أوقات معلومة ،

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢٢ ،٢٢٣) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٢) .

خلق لحكمة تغذية الولد ، فالجنين يتغذى بدم أمه ؛ ولذلك لا تحيض الحامل ، وإن وجد دم فهو فساد ، لا تترك الصلاة والصوم من أجله ، فإذا وضعت الولد حول الله ذلك الدم إلى الثديين ، فصار لبنًا يتغذى به الطفل ، ولذلك قبل أن تحيض المرضع ، فإذا لم يكن حمل ولا إرضاع صار ذلك الدم فضالةً ، يُخرجها الرحم بصفة منتظمة .

وأقل مدة الحيض بالاستقراء يومٌ وليلة ، وأكثرُهُ خمسةَ عشر يومًا ، وغالبه ست أو سبع ، فما نقص عن يوم وليلة فليس بحيض ، وما زاد عن خمسة عشر يومًا فكذلك إنما هما دمُ فساد تصوم ، وتصلي ، وتفعل الطاعات .

وقد تَزِيد أيامها عن ست أو سبع ، وقد تنقُص ، وقد تنتقل من وقت إلى آخر ، وقد تَتَقطَّع ، ولكل حالة أحكامها .

ومتى انقطع دمها وجب عليها الغسل بالماء ؛ فتَنْقُضُ شعرها ، وتضربه بالمُشط وتنقيه ؛ فإن لم تجد ماء تيممت حتى تجد الماء ؛ لقوله تعالى :

﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١) .

وقد عَلَّق الشرعُ على الحيض أحكامًا . منها : تحريمُ وطء الحائض في المحل ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ ، ومنها أنه يُسقط وجوب الصلاة عنها مدة عادتها ، فلا تُصلي ولا تقضي الصلاة ، ومنها أنه يَمْنع الصيام فلا تصوم وقت العادة ، وتقضي عدة ما أفطرت من أيام أخر .

فيمنع قراءة القرآن ، ومسَّ المصحف ، واللبثَ في المسجد ، فلا تطوف بالكعبة المشرفة حتى تَطهرَ ، وتتطهر ، ومنها يَحْرُم الطلاق وقت العادة ؛ لقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾(٢)

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٦) .

(٢) سورة الطلاق آية رقم (١) .

ولما طلق عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - امرأته وهي حائض ، أمر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، برجعتها وإمْساكها حتى تطهر ، ثم تحيض ، وتطهر ، ثم إن عزم الطلاق طلقها في طهر مستقل لم يجامعها فيه ، وهل يُعتد بالطلاق وقت الحيض ؟ فيه خلاف بين العلماء ، وجُعلت عدَتُها من الطلاق ثلاثة قروء ﴿ **والْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾[١] أما الآيسة والصغيرة فثلاثةُ أشهر[٢] ، وأما المتوفى عنها فأربعةُ أشهر وعشرةُ أيام[٣] من تاريخ الوفاة ، وعدة الحامل وضع حملها ، وإذا تأملنا قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** ﴾[٤] مع قوله تعالى : ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾[٥] عرض سؤال يطرح نفسه : ما هو الذي أمر الله ؟ وما هو الحرث ؟ الجواب : أمر الله تعالى بالطيب ، ونهىَ عن الخبيث ، والحرث هو مكان الولد الذي يغرس فيه الرجل نطفته ، يبتغي ما كتب الله ، والمباشرة مباحة فهي من الطيب ، فما عدى الطيب ، وما عدى مكان الولد ؛ فهو خبيث محرم ، ويحرم على الرجل أن يواقع زوجته في الدبر سواء كانت في العادة ، أو طاهرًا ؛ لقد وردت أحاديث كثيرة مروية من طرق متعددة ، ذكرها ابن كثير رحمه الله في التفسير نهى الرجال عن إتيان النساء في أدبارهن .

روى الحسن بن عرفطة ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « استحيوا من الله ، فإن الله لا يستحيي من الحق ، لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن » .

وروى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي بأسانيدهم إلى أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ملعون من أتى امرأته في دبرها » . وفي رواية « ملعون من أتى النساء في أدبارهن » ، وسأل رجل عليًا رضي الله عنه ، عن إتيان المرأة في دبرها فقال - رضي الله عنه - سفُلت سفَّل الله بك ، ألم

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٣٨) .
(٢) راجع الآية الرابعة من سورة الطلاق .
(٣) راجع الآية رقم (٢٣٤) .
(٤) سورة البقرة آية رقم (٢٢٢) .
(٥) سورة البقرة آية رقم (٢٢٣) .

تسمع قول الله تعالى :

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١)

وسأل رجلٌ ابنَ عمر فقال: ما تقولُ في الجواري أيحمض لهن. قال: وما التحميضُ؟ فذكر الدبر قال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟ وأطلق بعض السلف الكفر على هذا العمل الخبيث، إذًا ما معنى قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾. قال القرطبي رحمه الله: الحرث مكان الولد، فالآية نص في إباحة الحال إذا كان الوطء في موضع الحرثِ أي: كيف شئتم من خلفٍ ومن قدام، وباركة، ومستلقية ومضطجعة. فأما الإتيان في غير الحرث، فليس بمباح ولا يباح، وذِكر الحرث يدل على أن الإتيان في غير المأتى محرمٌ.

وروى الترمذي عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاء عمر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله؛ هلكتُ قال: وما أهلكك، قال: حولت رحلي الليلة، فنزلت ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ أقبل، وأدبر، واتقى الدبر والحيضة.

والرجل لا يحل له من زوجته إلا ما أحل الله، وعند أصحاب أبي حنيفة أن حكمَ من أتى امرأته في دبرها حكمُ عمل قوم لوط؛ ولأن القذر والأذى في موضع النجْو أكثرَ من دم الحيض فكان أشنع.

وروي عن طاوس أنه قال: كان بدءُ عمل قَوم لوط إتيانَ النساء في أدبارهن؛ فاعتادوا اللواط، ووقعوا في الذكران، فكانت عقوبتهم، كما قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٨٠).

(٢) سورة هود آية رقم (٨٣).

فليست هذه العقوبة لقوم لوط وحدهم؛ وإنما يعاقب بها كل ظالم تعدى حدود الله، واستباح ما حرم الله.

فاتقوا الله أيها المسلمون، ما بال أقوام تتشكى أزواجهم بأنهم يطلبون ما حرم الله، أليسوا مسلمين؟ أليسوا طاهرين؟ أليسَ فيما أحل الله كفاية لقضاء الوتر؟

اتقوا الله أيها الناس، واخشوا سطوته ومقته وعقوبته، أما يخشى أولئك أن تأتيهم غاشية من عذاب الله. اللهم؛ اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وأغننا بالحلال عن الحرام، وبالطيب عن الخبيث، واغفر لنا ولجميع المسلمين؛ إنك أنت الغفور الرحيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله رب العالمين ، يعطي كثيرًا ، فضلًا منه وإحسانًا ، ثم يطلب قرضًا مردودًا أضعافًا .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، يعطي الجزيل ، ويقبل القليل .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أجود من الريح المرسلة . اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اقتفى أثره واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن مِنْ فضل الله وعظيم إحسانه رزقه الإنسان رزقًا حسنًا ، ثم يطلب منه قرضًا حسنًا مثابًا أضعافًا مضاعفه ، إنه الجود والكرم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(١) .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : نزلت الآية في أبي الدحداح ، قال : يا رسول الله ؛ إن لي حديقتين ، فإن تصدقت بإحداهما ، فهل لي مثلاهما في الجنة ؟ قال : « نعم » . قال وأم الدحداح معي ؟ قال : نعم . قال : والصبية معي ؟ قال : نعم ؛ فتصدق بأفضل حديقتيه ، وكانت تسمى الحُنينية ، قال : فرجع أبو الدحداح إلى أهله ، وكانوا في الحديقة التي تصدق بها ، فقام على باب الحديقة ، وذكر ذلك لامرأته ، فقالت أم الدحداح : بارك الله لك فيما اشتريت ، فخرجوا منها وسلموها .

فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول : « كم نخلة رَداح تدلي عروقها في

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٤٥) .

الجنة لأبي الدحداح » .

والآية الكريمة لم تُبيِّن مقدار الجزاء إلا مجملًا ، أضعافًا كثيرة ، لكن في آية أخرى مثَّل الصدقة بالحبة ، تزرع في أرض خصبه ، فقال تبارك وتعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] .

هذه الآية تبين شرف النفقة في سبيل الله ، وفيها حث على الصدقة ، وترغيب في الجود والكرم ، والبذل والعطاء ، فإن الصدقة مُضاعفة عند الله للمتصدق (وما نقصت صدقة من مال شيئًا) .

روى ابن ماجة بسنده ، عن علي ابن أبي طالب ، وأبي الدرداء ، وعبد الله بن عُمر ، وأبي أمامة الباهلي ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر بن عبد الله ، وعمران بن حصين ، كلهم يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : من أرسل بنفقة في سبيل الله ، وأقام في بيته ، فلَه بكل درهم سبعمائة درهم ، ومن غزا بنفسه في سبيل الله ، وأنفق في وجهه ؛ فله بكل درهم سبعمائه ألف درهم ، **﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾** .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2] .

﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة أية رقم (٢٦١) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٥٤) .

(٣) سورة المنافقون آية رقم (١٠) .

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

وقال صلى الله عليه وسلم : « **من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا** ..» إلخ الدعاء

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة والخمسون

١ / ١ / ١٦

[عضل المرأة حرام]

الحمد لله رب العالمين، إنما يستجيبُ الذين يسمعون، وإنما ينقاد لأمره ونهيه المؤمنون .

وأشهد ألَّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، اعتنى بالبيت المؤمن ، وحث على الترابط والوفاق .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، مَنْ أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار .

اللهم ، صلِّ وسلِّم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الذين اصطفاهم ربهم وطهرهم ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن الخالق تبارك وتعالى يعلم حاجة القلوب ، وصدقَ اتجاهها ، فيفيض عليهم مِنْ نِعَمه وسهل تشريعه وأحكامه .

ذلكم المنهجُ القويم الذي يواجه الواقع في حياة الناس في جميع الأحوال ، ولمعرفة الحَقيقة على وجهها نتأمل هذه الآية من سورة البقرة ، قال جلتْ عظمته وتقدست أسماؤه :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

ذكر المفسرون سبب نزول الآية أن أبا البَدَّاح تزوج ابنة عمه فاطمة بَنتَ يسار

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٣٢) .

أختَ معقل بن يسار، ثم طلقها طلاقًا رجعيًا؛ إلا أنه تركها حتى انقضت عدتها، ولم يراجعها فحمي معقلٌ لذلك، ثم جاء البداح يخطبُها من معقل، ورغب فيها، ورغبت فيه؛ إلا أن أخاها امتنع من تزويجه، وقال: يا لكَعَ بنَ لكع، منعتُها من الخطّاب، وأكرَمْتك بها وزوجْتكهَا فطلقتها، والله لا ترجع إليك أبدًا، وقال معقل لأخته فاطمة: وجهي من وجهك حرام إن تَزَوجتيه، فأنزل الله تلك الآية، فدعا رسول الله، صلى الله عليه وسلم معقلًا، وتلاها عليه فقال: رغم أنفي لأمر ربي، اللهم؛ رضيت وسلمت لأمرك، فدعا معقلٌ أبا البدَّاح وقال له: أزوجك وأكرمك؛ فزوجه مُطلقته، وكفر عن يمينه، قال في الجامع لِأحكام القرآن: وفي الآية دليل على وجوب الولي في النكاح، وأن المرأة لا تزوج نفسها حتى لو كانت ثيبًا، ويضاف إلى الآية الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة الدالةُ على وجوب الولي في النكاح، والواقع يستدعى الولي؛ سدًّا للذرائع، ومنعًا لدعوى الزواج وهي غير صحيحة. فلو وُجدت امرأة مع رجل أجنبي قالا: تزوجنا ويأتيان بشهود، فتُصبحُ المسألة فوضى لا يأمن الرجل على ابنته، وأخته، ولا موليته، والشريعةُ الإسلامية سدت ذرائع الفساد، ومَنَعت الفوضى، وألزمت بأحكام الشريعة دون نظر إلى مُجَارات العادات والتقاليد، ودون مجاملة لأحد ولا إرضائه.

وأما تفسير الآية كما ذكره المفسرون فبلوغُ الأجل انقضاءُ العدِة الشرعية. والعضل: قِيلَ: الحبسُ والمنع، وقيل: التضييق وهو راجع إلى الحبس؛ فالاختلاف تنوعي.

وفي الآية دليل على وجوب رضا المرأة في تزويجها مع الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة وقوله: ﴿ **أن ينكحن أزواجهن** ﴾ أي أن يتزوجن الذين كانوا لهن أزواجًا. وقوله: ﴿ **إِذَا تَرَاضَوا بيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوْفِ** ﴾ قال في التفسير الكبير: أي: إذا تراضوا رِضا يوافق الشرع في عَقْد صحيح، ومَهْرٍ جائز، وشهود عدول.

وخصّ المؤمنين بالوعظ؛ لأنهم هم الذين ينتفعون به كقوله – سبحانه – ﴿ **هُدىً لِلْمُتَّقِيْنَ** ﴾ ﴿ **ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ** ﴾. الزكاة هي النما، وفيه إشارة إلى استحقاق الثواب، وقولهُ ﴿ **وَأَطْهَر** ﴾ إشارةٌ إلى إزالة الذنوب والمعاصي التي يكون حصولُها سببًا لحصول العقاب.

﴿ واللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ المعنى - والله أعلم - أن المكلف قد يعمل شيئًا يظن أن المصلحة تتوفر فيه، لكنه لا يعرف شيئًا عن الحقائق والنتائج، والمستقبل والله يعلم ذلك كلَّه، كقوله سبحانه:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

والمقصود أن الآية نزلت بالحكم الشرعي. فمن عمل بها؛ فالله يعلم عمله ونيته، ومن لم يَعْملْ؛ فالله يعلم عِنادَه ومراده.

قال في التفسير الكبير السؤال الثاني لمَ خَصَّ المؤمنين بالوعظ دون غيرهم؟ الجواب، لوجوه، أحدها - لما كان المؤمن هو المنتفع به حسن تخصصه، كقوله: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾[2] ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾[3] مع أنه كان منذرًا للناس عمومًا، كما قال سبحانه: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيْرًا ﴾[4] ثانيها - احتج بعض العلماء بهذه الآية على أن الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الدين، والدليل قوله سبحانه:

﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[5].

فالإشارة المفردة ترجع للأحكام المتقدمة، فهو خاص بالمؤمنين، فَدَلَّ ذلك على أن التكليف بفروع الشريعة غيرُ حاصل إلا في حق المؤمنين، وهذا ضعيف لمخالفته ظاهر النصوص الشرعية ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيْرًا ﴾[4] ﴿ وللَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾[6]؛

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢١٦).

(٢) سورة النازعات آية رقم (٤٥).

(٣) سورة يس آية رقم (١١).

(٤) سورة الفرقان آية رقم (١).

(٥) سورة البقرة آية رقم (٢٣٢).

(٦) سورة آل عمران آية رقم (٩٧).

فالكل مخاطب بفروع الشريعة ، كما هم مخاطبون بأصولها ، إلا أنه لا يصح الفرع إلا بالأصل ، وثالثها - إن بيان الأحكام الشرعية - وإن كان عامًّا في حق الناس كِلِّهم ، إلا أن ذلك البيان وعظ مختصّ بالمؤمنين ؛ لأن هذه التكاليفَ إنما تجب على الكفار على سبيل إثباتها بالدليل القاهر الملزِم والمُعجِز ، أما المؤمن الذي يؤمن بحقيقتها ؛ فإنما تُذَكِّره ، وتَشْرحُ له صدره على سبيل التنبيه والتحذير . انتهى . والمسألة فيها خلاف أصيل بين العلماء .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، إن الخالق تبارك وتعالى اعتنى بالبيت المسلم عنايةً كاملة فجعل له أنظمة يُسار عليها في داخل البيت ، فبها صلاحه وصلاح الفرد والمجموعة ، وفيها سعادة البيت ، وربات البيت ، وفلاحُهم في الدنيا ، والآخرة ؛ فاشكروا الله على الهداية ، وعلى نعمة الإسلام .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات ، ولذكر الحكيم ، واهدنا لتلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا .

اللهم ؛ علمنا من القرآن ما جهلنا ، وذكرنا منه ما نُسينا ، واجعل عَمَلَنَا ونِيَّاتنا خالصةً لوجهك ، وارزقنا خشيتَك في السر والعلن ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) سورة الأنفال آية رقم : (٢٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، له الفضل وله الثناء الحسن، اللهم؛ لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

وأشهد ألَّا إله إلا الله، وحده لا شريك له ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله.

اللهم؛ صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فإن الخالق تبارك وتعالى جعل للبيت المسلم نظامًا يسيرون عليه في بُيُوتهم مع حَلائِلهم، ففي سورة البقرة أجاب على سؤال عن المحيض بأنه أذى، وأمر باعتزال الزوجات مدته، فلا تواقع لكن الاختلاطُ في الفراش لمن أمِنَ الفتنة، وفي المأكل والمشرب لا بأس به، وذكر الإيلاءَ، ومَنَع الأزواج من عضل الزوجات، وذكر شيئًا من أحكام الطلاق والعِدد، والحضانة، والرضاعة، والنفقة، وطلاق غير المدخول بها.

وفي سورة النساء ذكر الميراث، ومَنَع نِكاح المحارم، وأجاز نكاح المملوكات بشرطين، وجوز افِتداء المرأة من زوجها، وفي سورة النُّور بيَّن حكم القذف، واللعانِ، وفي سورة المجادلة ذكر الظهار، وفي سورة الطلاق فصّل أحكام الطلاق.

وذكر عدةَ الآيسة، والصغيرة، وعدة الحامل، وذكر حقهن في المسكن، والنفقة مدة الحمل، ومدة العدة إذا كان الطلاق رجعيًا. وفي سورة التحريم بيَّن أحكام طاعة الزوجات فيما حرم الله، وفي سورة التغابن حذر من بعض الأولاد

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٥٤).

والزوجات . وهناك أحكام متفرقة في سور متعددة غير ما ذكرت ، وفي السنة شيء كثير .

فاتقوا الله أيها المؤمنون « كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم » الحديث .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾(1) .

ثم اعلموا أن الله أمركم بأمر لكم فيه خيرٌ فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(2) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا** » .

---

(1) سورة التحريم آية رقم (٨) .

(2) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة والخمسون

٢٥ / ٧ / ١٤٠٩

[حكم الظهار]

الحمدُ لله رب العالمين[١] ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[٢] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، مستوٍ على عرشه[٣] ، وكل العالم في قبضته[٤] ، يسمع ويرى[٥] ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا حال عن حال .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ، ورسوله ، أعرف الناس بربه ، وأخشاهم لخالقه ، وأرحمهم بأمته .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان ، حتى الورودِ على حوضه .

أما بعد .. فإن سُورةً من سُور القرآن الكريم ، ذلك الكتابُ الذي تَتجاوب جنبات الوجود لكل كلمة من كلماته ، وهي تتنزل من الملأ الأعلى على قلب محمد ، صلى الله عليه وسلم - تُعْلِن تلك السورة في طياتها أن الله تعالى لا يشغله تَدْبِيرُ هذا الكون ، ولا رعايةُ هذا الخلق عن سماع شكوى امرأة من عامة المسلمين ، تلك المرأة التي تغُضُّ صوتَها عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتخبره بما قال زوجها وتجادلُه ، وتشتكي إلى الله[٦] ، وكانت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وعن

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) سورة الشورى آية رقم (١١) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في كتابه في سبع مواضع ، ومنها في سورة الرعد (٢) وطه (٥) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الزمر آية رقم (٦٧) .

(٥) إشارة إلى معنى قوله تعالى في سورة طه آية رقم (٤٦) .

(٦) إشارة إلى سورة المجادلة آية رقم (١) .

أبيها في جانب البيت ، قريبةٌ منها ، ولا تسمع أكثر كلامها[١] ؛ ولكن الله تعالى يراها وهو عالٍ على خلقه ، مستوٍ على عرشه ، يسمع كلامها وشكواها من فوق سبع سموات .

فاستجاب لندائها ، ونَزَّل حُكمَه في قضيتها ، وأعطاها حقها ، ورسَم للمسلمين الطريق السوي لمثل مشكلتها ، وأشعر الأمة المسلمة بأن الله تعالى معهم في كل لحظة من لحظات حياتهم ، وأنه حاضر شئونَهم كبيرَها وصغيرَها ، معتنٍ بمشكلاتهم ، مُستجيبٌ لدعواتهم رحيم بأزَماتهم ، وهو الكبير المتعال ، وهو الغني الحميد .

روى الإمام أحمد - رحمه الله - بسنده عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وعن أبيها - قالت : الحمدُ لله الذي وسع سمْعه الأصوات ، لقد جاءت المجَادِلة إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، تكلمه - وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾[٢] .

ورواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقًا[٣] ، وفي رواية للبيهقي في السنن ، وابن أبي حاتم : أنَّ المجادِلة تشتكي وتقول : يا رسول الله ؛ أكل مالي ، وأفنى شبابي ، ونثرت له بطنِي حتى إذا كَبُر سِني وانقطَع ولدي ظاهر مني[٤] ، وزاد في التفسير الكبير ، وفي فتح القدير : إن المجادلة قالت : يا رسول الله ؛ إن لي منه صِبْية صغارًا ،

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، الذي عزاه السيوطي في الدر المنثور [٨/٦٩،٧٠] إلى عدة مصادر حديثية ، إذ قال : « أخرج سعيد بن منصور ، والبخاري تعليقًا في الصحيح ، وعبد بن حميد ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه عن عائشة رضي الله عنها ، ثم ذكر الحديث اهـ قلت : أخرجه أحمد في المسند .

(٢) سورة المجادلة آية رقم : (١) .

(٣) كتاب التوحيد في البخاري : باب : (٩) [وكان الله سميعًا بصيرًا] ، ثم أورده معلقًا عن عائشة [١٣/٣٧٢] الفتح .

(٤) عزاه الإمام ابن كثير في تفسيره [٦/٥٧١] إلى ابن أبي حاتم في تفسيره ، وهو من حديث الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - ، ثم ذكر الحديث ، كما أورده غفيفة الخطيب رعاه الله تعالى وتولاه ... آمين وأخرجه ابن ماجة أيضًا في سننه .

إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «ما عندي في أمرك شيء»[١] وفي رواية قال، لها: «حَرُمْت عليه» فترفع رأسها إلى السماء، وتقول: اللهم؛ إني أشكوا إليك، فسمعها الحي القيوم الذي لا ينام ولا يغفُل عن شئون خلقه، فأنزل على نبيه - صلى الله عليه وسلم - الآيات الأربع من صدر سورة المجادلة فبشرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتلاها عليها. بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢].

المجادِلة هي: خولة زوجة أوس بن الصامت - رضي الله عنهما - دخل عليها زوجها وهي تصلي، فأعجبته فلما سلمت طلبها للفراش، فامتنعت، وكان به حرص على النساء، فغضب وقال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم ندم، وعاد إليها، وطلبها فامتنعت حتى تسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما قال زوجها، فنزل

(١) ذكر ذلك العلامة الشوكاني في تفسيره فتح القدير: [١٧٧/٥] بدون عزو، والله أعلم بصحته.

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما، عزاه السيوطي إلى الإمام أبي بكر بن مردويه ص [٧٢/٨]، والآيات سورة المجادلة من آية رقم: (١-٤).

القرآن[١].

وكانوا في الجاهلية إذا غضب الرجل على امرأته، ظاهر منها، فتحْرُم عليه ولا تطلق فَيَذرُها كالمعلقة، فأبطل الإسلام عادة الجاهلية وشرع حكم الظهار، والظهار حرام؛ لأن الله سماه منكرًا من القول وزورًا، ولا ينقص عدد الطلاق، ويحرم وطءُ المظاهر منها قبل الكفارة لا في الليل، ولا في النهار، دون غيرها من نسائه، إلا في نهار صيام رمضان الكفارة، والكفارة كما نصت الآية، عتق رقبة مؤمنة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا[٢].

ولو خالف المظاهر، وجامع قبل أن يكفر، كان عاصيًا، ووجبت عليه الكفارة، ويَقَع الظهارُ المؤقت بزمن، وتجب الكفارة إذا جامع قبل أن تَتِم المدة، لما روى أبو داود، والترمذي، وحسنه، وابن ماجة واللفظ لأبي داود، عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر قال: كنت امرءًا أصيب من النساء مالا يصيب غيري، فلما دخل شهر رمضان، خِفْت أن أصيب من امرأتي شيئًا، يُتَابع بي حتى أُصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهرُ رمضان، فبينا هى تخدمني ذات ليلة؛ إذ تَكَشَّف لي منها شيء فلم أثبت أن نزوت عليها، فلما أصبحت خرجت إلى قومي؛ فأخبرتهم الخبر، وقلت: ائتوا معي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: لا والله، فانطلقت إلي النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته فقال: «أنتَ بذاك يا سلمة؟ قلت: أنا بذاك يا رسول الله، مرتين، وأنا صابر لأمر الله - عز وجل - فاحكم في ما أراك الله، قال «حرر رقبه، قلت: والذي بعثك بالحق ما أملك رقبة غيرها، وضربت صفحة رقبتي، قال: فصمْ شهرين متتابعين، قال: وهل أصبت الذي أصبت إلَّا من الصيام قال: فأطْعِم وسقًا من تمر بين ستين مسكينًا. قلت: والذي بعثك بالحق لقد بِتْنا، وحشَين مالنا طعام، قال: فانطلق إلى صاحب صدقة بَني زُريق فليدفعها إليك، فأطعمْ ستين مسكينًا وسْقًا من تمر، وكلْ أنت وعيالُك بقيَّتها، فرجعت إلى قومي،

(١) إشارة إلى حديث خولة بنت ثعلبة - رضي الله عنها - أحمد في المسند، وأبو داود في السنن، وابن المنذر في التفسير، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه، والبيهقي في السنن الكبرى، عزاه إليهم السيوطي في الدر المنثور [٨/٧٠].

(٢) إشارة إلى معنى قوله في سورة المجادلة آية رقم (٣).

فقلت : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، السَّعة وحسن الرأي ، وقد أمرلي بصدِقتكِم(١) .

ويجب التتابع في صيام الكفارة ولا يقطعه صيامٌ واجب ، كأن يبدأ بصيام شهر شعبان ، فيصوم رمضانَ ، ويفطر يوم العيد ، وُيتم بعدَ ذلك .

وكذلك إذا ابتدأ صوم الكفارة من أول ذي الحجة ، فإنه يفطر يوم العيد وأيام التشريق ، ويُتم بعد ذلك .

ولو شبَّه رجل زوجته بإحدى محارمه غير الأم ، كالأخت والعمة والخالة ، بأن قال : أنت على كظهر أختي ، فعند أكثر العلماء أنه ظهار .

أما إن شبهها بأبيه فقال : أنت على كظهر أبي ، فجمهور العلماء على أنه ليس بظهار .

وإذا قال الرجل لزوجته أنت على حرام ، ولم يشبهْها بإحدى محارمه ، فإن نوى بهذا التحريم ظهارًا ، فهو ظهار عند عامة العلماء ، وإن نوى طلاقًا فهو طلاق ، وإن لم ينو ظهارًا ولاطلاقًا فعليه كفارة يمين .

﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾(٢) .

لقوله تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾(٣) ، وإذا قالت امرأة لزوجها : أنت عليّ كظهر أبي ، فليس بظهار ، ورأى بعض العلماء أن تكفر احتياطًا ،

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور [٧٨/٨] إلى عبد الرزاق في المصنف ، وعبدِ بن حميد في مسنده ، وأحمد في مسنده أيضًا ، وأبو داود ، والترمذي ، وحسنه ابن ماجة في سننه ، والطبراني في الأوسط ، والبغوي في معجمه ، والحاكم وصححه ، والبيهقي عن سلمة بن صخر الأنصاري – رضي الله عنه – ثم ذكر هذا الحديث بطوله وإسناده حسن.

(٢) سورة المائدة آية رقم (٨٩) .

(٣) سورة التحريم آية رقم (٢) .

ويكره أن يقول الرجل لامرأته : يا أختي أو يا أخيَّه ، وإن كان يعني في الإسلام . قال الخطابيُّ في شرح السنن : كَره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا لئلا يلحقه بذلك ضرر في أهل أو مال[١] .

وأما قول إبراهيم - عليه السلام - لما سأله جبار من الجبابرة عن زوجته من هي ؟ قال : إنها أختي ؛ فلأنه خشي عليها منه[٢] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اجتنبوا الألفاظ المتشابهه ، وحافظوا على كرامة أزواجكم ، واحفظوا أيمانكم .

اللهم ؛ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، ربنا هب لنا من أزواجنا ، وذرياتنا قرة أعين ، ربنا هب لنا من لدنك رحمة ؛ إنك أنت الوهاب اللهم ؛ اغفر لنا .... إلخ .

---

(١) أخرج الحديث أبو داود في السنن برقم (٢٢١٠) وبرقم (٢٢١١) ، وفيه كره النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن يقول الرجل لزوجته يا أختاه .. وإسناده حسن.

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه خ برقم (١٣٥٨) كتاب الأنبياء [٦/٣٨٨-٣٨٩] الفتح ود : برقم (٢٢١٢) [٢/٢٦٤،٢٦٥] .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله رب العالمين(١) .

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢) .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبدُه ، ورسوله ، اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، واتبع سبيله .

أما بعد .. فمتى سقطت أحقية أُمّ الطفل في حضانته لتزوجها ، أو لعدم صلاحيتها للحضانة ، انتقلت الأحقية إلى أمها ؛ لما روى البيهقي ، عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد ، عن أبيه عن الفقهاء الذين يُنتهى إلى قولهم - في أهل المدينة ، أنهم كانوا يقولون : قضى أبو بكر الصديقُ - رضي الله عنه - على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه ، لجدة ابنه عاصم بن عُمر بحضانته حتى يبلغَ ، وأم عاصم يومئذ حيةٌ متزوجة(٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، لا تضار والدة عن ولدها .

ثم اعلموا رحمكم الله أن الله تعالى أمركم بأمر ، بدأ فيه بنفسه ، وثنّى بملائكته المُسَبحة بقدسه ، وثلث بكم أيها المؤمنون ، فقال جل من قائل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(٤) .

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) سورة النحل آية رقم (٧٨) .

(٣) البيهقي في السنن الكبرى [٨/٥] ، وإسناده جيد .

(٤) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

وقال صلى الله عليه وسلم - «من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشرًا» .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم[١] ..... إلخ الدعاء .

(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أخرجه مسلم في الصحيح ، باب الصلاة على النبي ، صلى الله عليه وسلم برقم (٤٠٨) ، والترمذي في جامعه برقم (٤٨٥) .

٤١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة والخمسون

٢ / ٨ / ١٤٠٩

[الرجال قوّامون]

الحمدُ لله رب العالمين ، خلق الإنسان ، ويعلم ما توسوس به نفسهُ ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد(١) .

وأشهدُ ألّا إله إلّا الله ، وحده لاشريك له ، أمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن الفحشاء والمنكر .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه ، اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وأهل بيته الذين أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرًا .

أما بعد .. فإذا أراد أحد أن يكوّن شركةً تجارية ، أو مؤسسة مالية ، جعل لها نظامًا تسير عليه ، واختار لها رئيسًا تتوفر فيه مقومات الرئاسة ، وحُسن الإدارة ، فإذا أهمل واجبه ، أو قصر فيه سُلب الثقة والاعتبار ، فإذا كان هذا شأن الإدارات الوقتية ، وهي تنتهي بتصفيتها لأي سبب من الأسباب .

فما بالكم بالمؤسسات التي هي أعظم قدرًا ، وأشرف واجبًا ، وأهم إنتاجًا ؛ إنها الأسرة التي تنتج الأولاد ، وتربي الأجيال ، وتبني الشعوب ورجالات الدول ؛ فبصلاح الأسرة تصلح الأمة وتسعد ؛ وبفسادها تخسر كل مقومات السعادة .

ولقد اعتنى الإسلام بالأسرة ، وجعل لها نظامًا يُحقق الترابط ، والبقاء ، والنجاح ؛ فجعل لها قيّمًا تتوفر فيه القدرة ، والكفاءة ؛ ليُريحها ؛ وليسعدها قال الله تبارك وتعالى :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟

---

(١) معناه في سورة ق آية رقم (١٦) .

مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾[1] .

وهذا من عناية الإسلام بالمرأة ، يحافظ على عزتها أن تُذل ، وعلى كرامتها أن تهان ، وعلى شرفها أن ينال ، وعلى عرضها أن يخدش ؛ لأن المرأة لها رسالة عظيمة في المجتمع ، وعليها واجب صعب ، ولها وظيفة ليست بالهينة يجب أن تفرغ لأداء مهمتها والقيام بوظيفتها ، والله تبارك وتعالى هو الذي خلق الزوجين - الذكر والأنثى - وأعطى كل واحد من الخصائص الخلقية والخلقية ، ما يتناسب مع وظيفته التي هُيء لها .

فالمرأة هُيِّئت لإدارة الأسرة في الداخل ، وإنجاب الأولاد ؛ فأعطيت العاطفة والرحمة ، وسرعة الاستجابة لمتطلبات الطفل بسرعة وبارتياح ، وأعطيت الصبر على أعباء الحضانة ؛ فلو أن امرأة خالية من الأطفال سمعت صبيًا يصيح لتحركت أحاسيس الأمومة ، ومشاعر الوظيفة التي خصصت لها .

والرجل أعطي مقومات العمل والجهاد ، وتحمل المشاق ، والخشونة وصلابة العود ، وقوة النفس ، والقدرة على الكد والكسب ، والعطف على الأسرة ، وحمايتها . فالرجل عليه واجبات ، وله أعمال لا تستطيعها المرأة ، والمرأة لها وظائف وأعمال لا يستطيعها الرجل ، وهناك أمور مشتركة ، فبالتعاون ، والتعاطف ، وأداء الواجبات تنجح الأسرة ، وتُفلح ؛ لكن إذا أهمل أحدهما واجباته ، أو قصر فيها دب إليها التدهور ، ونشب فيها الفساد ، وصارت خطرًا على المجتمع ، والمهمل إذًا عضو في الأسرة أشل ومسئول فاشل .

وإذا تأملنا الأسرة في بلادنا ، وقارناها مع غيرها ، وجدنا الخير ، والاستقامة

(١) النساء آية رقم (٣٤) .

بفضل الله ، ثم بفضل إقامة شرع الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة العدل ، ومع هذا فإن بعض الأولياء مقصرون في واجباتهم نحو أسرهم ، وبعضهم يفقدون حُسن السياسة والرعاية ، فمنهم مهملون غافلون ؛ فهناك نساء شابات يخرجن من بيوتهن إلى الأسواق من غير ضرورة ، وإنما للتسوق والتجول في حالٍ تلفت النظر ، وتثير الشعور ، فتلبس إحداهن أجمل ما عندها ، وتتعطر بأذكى الروائح ، وتدخل في الدكان وفيه شاب وسيم .

وغالبًا ما يختار عُبَّاد المال عُمالًا من الشباب الوسيم ؛ ليجذبوا الزبائن إليهم ، وقد يكون أعزبًا ، أو بعيدًا عن أهله ، وغريبًا في البلد لا يخشى مذمة ، ولا عارًا ، وما لديه من الخشية والتقوى ما يحميه ، فتكشف تلك المرأة أمامه ما تكشف ، ويفوح من طيبها ما يفوح ، وهو يعرض عليها البضائع والملابس الداخلية ، وهذا ميدان إبليس وفرصته فيرقص بينهما ، وقد ذهب حجاب الحياء ، وزالت حواجز الخوف فما هي النتيجة إذًا اللهم سلم سلم ، واحفظنا ، وعافنا ، واعف عنا .

وولي أمرها المسكين لاه في عمله ، غافلٍ عما حوله ، لا يعرف أحوال الناس ، ولا يعرف مصالح التشريع ، أليس هذا مسئولًا أمام الله ؟ ثم أمام الناس عن غفلته وإهماله ؟ أو هو شيطان آخرُ سلك مسلكًا مماثلًا ؟

وهناك صنف آخر من الناس سيىء الظن ، سليط اللسان ، يتهم بدون مبرر ، ويتخيل وهمًا ، فيجاهر زوجته بأوهامه ، ويقسو عليها ؛ لاتهاماته يسهر في الليل بعيدًا عن زوجه ، والله أعلم بما هو فيه ، فيعود إليها بسيىء الظنون وخواطره النفسية ، ومثل هذا العمل خطر على الأسرة ، وعمل خاطيء يكدر صفوها ، ويشتت شملها .

وصنف ثالث يأخذ زوجه لأصدقائه ، يسمران معًا ؛ فالواجب على الرجل أن يكون قيِّمًا بالمعنى الصحيح ؛ فيسلك الطريق الوسط ، حزمٌ مع حسن السلوك ، وطيب الكلام وسياسة الأمور ، لا إهمال ، ولا غفلة ، ولا سوء ظن ، ولا اتهامات ، كما أن الواجب على الرجل أن يضمن للأسرة كل ما تحتاجه ، وأن يحضر لها متطلباتها ، ولا يحوجها إلى الخروج ، والابتذال ، والاحتكاك بالشباب ، وسفهاء الناس ، وإذا كان ولابد من حاجة لخروجها ، فتكون بذلة لا عطورات ، ولا حلي ، ولا ثياب شهرة ،

ولا سفور ، ولا خضوع في القول . ﴿ وَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه فإنه ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[1] .

اللهم بارك ؛ لنا في القرآن العظيم .

(١) غافر آية رقم (١٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين[(١)] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن الإنسان يحيط به ثلاث عواطف غريزية ، قد تسيطر على مشاعره ، وقد تغلب على تصرفاته ، فيقع في المحظور وهذه الثلاث هي : العاطفة الزوجية ، ومودة الأولاد ، وحب المال .

وقد حذر الخالق - تبارك وتعالى - من بعض الأزواج وبعض الأولاد يقول سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين أمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم** ﴾ ، ولم يهمل جانب المال ، بل أعطاه حقه من التنبيه والتحذير ؛ فقال سبحانه في الآية الأخرى ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَة** ﴾[(٢)] الفتنة : هى الاختبار ، والابتلاء ، كقوله تعالى : ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بالشَّر والخَيْرِ فِتْنَةً** ﴾[(٣)] ولم تحدد الآية الكريمة نوعًا من أنواع الاختبار ، فهي عامة شاملة لكل معانيها ومقتضاتها .

وقد روى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن بريدة عن أبي بريدة : « أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يخطب على المنبر ، فجاء الحسن والحسين ، - رضي الله عنهما - عليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويتعثران ، فنزل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من المنبر ؛ فحملهما ، فوضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هٰذين الصبيين يمشيان ، ويتعثران ، فلم

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٤) .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٢٨) .

(٣) سورة الأنبياء آية رقم (٣٥) .

أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما »[١] ، وهذا من رحمته وشفقته ، وعظيم خُلُقه ، صلى الله عليه وسلم ، وكمال تواضعه ، وفيه بيان شفقة الأبوة ، فالحسن والحسين ، رضي الله عنهما ، وأمهما فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رضي الله عنها .

فالزوج الذي يحمل زوجته على قطيعة الرحم مع الأقارب ، أو يحملها على العقوق بالوالدين ، وهجرهما ، والتقصير في حقهما لا شك أنه عدو ، والولد الذي يطلب من أبيه صرف الأموال في المحرمات ، أو الإسراف والتبذير ، إنما هو عدو .

والرجل الذي يطلب من زوجته الوقاع المحرم في غير مكان الحرث والنسل هو أيضًا عدو ، المال الذي يشغل صاحبه عن أداء الصلوات في أوقاتها ، أو تحمله الرغبة في الحال على منع الزكاة ؛ لاشك أنه وبالٌ وهلاكٌ ، ومن أشد الأعداء عداوة .والذي يحْمِلُه حبُ المال على الكذب ، والتزوير ، والتدليس ، والغش ، وأخذ ما ليس له ، وغمط حقوق الناس هذا سفيه ضائع قد وقع في فخ الفتنة ، وأخفق في الاختبار فاتقوا الله أيها المؤمنون .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾[٢] .

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣] .

وصلوا على البشير النذير .

---

(١) النسائي في السنن الصغرى كتاب الجمعة باب (٣٠) ، وكتاب العيدين (٢٧) ، وأبو داود كتاب الصلاة (٢٢٧) ، والإمام أحمد في المسند [٥/٣٥٤] ، كلهم من حديث بريدة ابن الحصيب الأسلمي - رضي الله عنه - وإسناده صحيح .

(٢) سورة التغابن آية رقم (١٦) .

(٣) سورة الحشر آية رقم (٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الستون

٢١ / ٨ / ٩٢

[تعليم الأولاد]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾(١).

وأشهد ألّا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا، عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد .. فإذا تأمل الإنسان ما حوله، من أمامه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه، ومن تحته، من موجودات هذا الكون العظيم من جمادات، وحيوانات، ونباتات، وكواكب وأفلاك على اختلاف ألوانها، وأحجامها وطبائعها، وفوائدها ومضارها، ودِقة صُنعها، وبديع تنسيقها، وإذا تأمل الإنسان أيضًا في نفسه، في أصله ونشأته وأطواره، وما فيه من التركيب العجيب، والتصوير البديع، وما فيه من الأجهزة المختلفة، كلُ جهازٍ قائمٌ بعمله أتم قيام بدون إرادة من الإنسان، وبدون اختياره، وبدون جهد منه، إذا تأمل ذلك بعقل سليم، وبصيرة نيرة، وإدراك مستقيم، علم يقينًا، أن خالق هذا الخلق ومدبر هذا الكون، واحد أحد، فرد صمد. حكيم، عليم، ليس له شريك ولا ظهير، ولا معين ولا وزير، حي قيوم، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام؛ فهو الذي يرفع القسط ويخفضه **﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾**(٢) وأنه هو الإله الحق، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، بجميع معانيها وأنواعها.

فنحن نشاهد هذا الكون العظيم، وما فيه من المخلوقات والتصرفات،

---

(١) سورة الأنعام آية رقم (١).

(٢) سورة الحج جزء من الآية رقم (٦٥)

والحركات ، والحياة والموت .

فلابد أن له خالقًا خلقه ، ومدبرًا يدبره ، ومسيرًا يسيره ؛ لأنه من المعلوم بالعقل والشرع أن كل مخلوق لابد له من خالق ، وكل مصنوع لابد له من صانع ، وكل أثر لابد له من مؤثر ؛ فالبعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير .

فلو قال إنسان :إن هناك سيارةً وجدت بدون صانع صنعها ، تسير في الأسواق يمينًا وشمالًا بنظام وتوازن ، تذهب وتعود ، تنقل حمولتها وتنزلها ، وليس لها مسير ، لا متصل بها ولا منفصل عنها ، لقيل إن هذا غيرُ معقول ، ولا يصدق به عاقل ؛ فينبغي إذًا أن ننظر بتأمل وتفكير في أنفسنا وفي محيانا ومماتنا ، وفيما نشاهده من النباتات ، وسائر الكائنات النامية توجد من العدم ، وتنشأ ضعيفة ، وتقوى شيئًا فشيئًا حتى تكمل قوتُها ، فتأخذُ في النقص والضعف ، حتى تَفْنَى ولا يبقى منها إلا البذور ، فتمكث مدة طويلة محتفظة بمفعوليتها ؛ فإذا وصل إليها الماء الذي ينبتها في وقت إنباتها ، نبتت بإذن الله .

ولننظر أيضًا إلى هذه المخلوقات العظيمة كالسماء ، والأرض ، والشمس ، والقمر ، والكواكب التي لها زمن طويل لا يعلم عددها إلا الله تعالى .

نجدها محفوظةً بنظامها وقوتها ، لا تتغير ولا تضطرب ، فمن الذي أوجد هذه المخلوقات ونظمها وسيرها وأعطاها خلقها ، وهداها لأداء وظيفتها ، وحفظها هذه المدة ، إنه هو الله ، الواحد ، القهار هو الله الخالق ، البارئ ، المصور ، له الأسماء الحسنى ، تعالى الله عما يقول الظالمون[1] والجاحدون علوًّا كبيرًا .

فهل يقول إنسان سليم العقل ، مستقيم الفهم ، منصف من نفسه ؛ إن هذه المخلوقات أوجدت نفسها ، وسيرت نفسها ، ونظمت نفسها ، وتهلك نفسها وتعيد نفسها مرة ثانية ، لا يقول هذا إلا من عميت بصيرته ، وتَغيرت فطرته ، وسبَقت شقاوته .

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2] أيها

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء آية رقم (٤٣) .

(٢) سورة الحج آية رقم (٤٦) .

المسلمون ، لقد انتشر دعاة الإلحاد ، وتعدَدت أسباب الفساد ، لصد المسلمين عن دينهم ، ووجدت رواجًا في كثير من الجهات ، وتوغلت في البلاد التي ضعف فيها سلطان الإسلام ، فأصبحوا لا يعرفون في الإسلام إلا مجرد النسبة إليه ، والتسمي باسمه فلا يُحرمون ما حرم الله ، فلا يفرقون بين ما وافق الشريعة ، ولا غير الموافق ، ولا يحكمون بما أنزل الله ولا يدينون دين الحق ، فلا تجد فرقًا في الجملة في العادات بين المسلم منهم وغير المسلم ، ويخشى أن تمتد هذه الشرور إلى بقية أبناء المسلمين ؛ فتشككهم في دينهم ، وتفسد عليهم عقيدتهم ، وتفسد أخلاقهم ؛ فيُصبهم ما أصاب غيرهم الذين نسوا الله فنسيهم .

فواجب على أبناء الإسلام أن يعرفوا محاسن دينهم ، وفضائله ، وشمائله ، وأن يدفعوا بنور الإسلام كل شبهة ، أو بدعة تلقى عليهم ، وأن يفهموا حقيقة الإسلام قولًا وعملًا وخلقًا ، بحضور حِلَق الذكر ، وسماع المحاضرات الإسلامية وواجب على الآباء والأمهات ، وأولياء الأمور أن يعرفوا أبناءهم من الصغر بربهم ، الذي خلقهم ورزقهم ، وبدينهم الذي ارتضاه لهم ، ونبيهم محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي اختاره الله مبلغًا لرسالته وشافعًا لأمته ، وأن يَغْرسوا العقيدة الإسلامية في نفوسهم .

فما من مولود إلا ويولد على الفطرة(١) ، صاف الذهن خال من الشكوك والزيغ ، قابل للخير والتوجيه ؛ فإذا لم يُملأ ذِهنه بالعقيدة الإسلامية الصحيحة فإن كل شبهة أو بدعة تلقى عليه يتقبلها ، وقد تنمو في ذهنه حتى تسيطر عليه ، وواجب على أهل الفكر الإسلامي من الموجهين والمربين ، أن يكونوا داعين لله في جميع المواقف والمجالات ، وأن يبينوا للناس محاسن هذا الدين ، وفضائله ، وفوائده ، وأن يوجهوا الناس إلى الصراط المستقيم ، وأن يوضحوا لهم الآيات الدالة على وجود خالق هذا الكون ، ومدبر هذا الوجود ، وأن يكونوا قدوة حسنة ، ومثالًا يقتدىٰ بهم في أخلاقهم ، وأفعالهم ، وعاداتهم ، كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والسلف الصالح ،

---

(١) إشارة إلى حديث جابر رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند [٣٥٣/٣] ، وأيضًا من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - خ [٤٣٢/١١] القدر ، ومسلم في الصحيح حديث رقم (٢٦٥٨) .

الذين حملوا راية الإسلام ، وثبتوها في الآفاق ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١) .

فيا أيها المسلمون ؛ أيها الشباب المسلم ؛ يا شباب الإسلام ، ويا شباب محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الله الله ، تمسكوا بعقيدتكم الإسلامية ، وبإيمانكم بربكم الذي خلقكم ، وإليه معادُكم ، تأملوا في آياته ، ومخلوقاته ، ودلائل وجوده وقدرته ، واحذروا دعايات الإلحاد ، والتشكيك ، ودافعوا عن إيمانكم وإسلامكم ، فإن الله معكم يسمع ويرى .

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾(٢) .

اللهم ؛ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، اللهم ؛ ثبتنا على الصراط المستقيم ، والإيمان الصحيح ، وأصلح بناتنا ، وذرياتنا ، واهدِهم سبل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، يا أرحم الراحمين . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٦٤) .

(٢) سورة غافر آية رقم (١٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه[١] ، وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه ، واستن بسنته .

أما بعد .. فإن أحسن الحديث كتاب الله - وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكلُ محدثة في الدين بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار[٢] ، فتمسكوا بكتاب ربكم ،واستنوا بسنة نبيكم ، تجدوا الخير والهداية ، والصلاح والسعادة ، واحذروا بدع المبتدعين ، فمن أحدث في هذا الدين ما ليس منه فهو مردود[٣] على صاحبه .

واحذروا القول على الله بغير علم[٤] أو نسبة شيء إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لم تكن في سنته ؛ فمن كذب عليه متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار[٥] .

وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبو ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتأهبوا للعرض على الله ، فإنكم على أعمالكم محاسبون ، وعلى تفريطكم نادمون .

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٦] .

---

(١) إشارة إلى حديث رفاعة بن رافع الزرقي خ برقم (١٧٩٩) الاذان ، وأخرجه أحمد في المسند من حديث وائل بن حجر - رضي الله عنه - [٣١٧/٤] .

(٢) إشارة إلى حديث جابر الأنصاري ، مسلم كتاب الجمعة حديث رقم خاص (٤٣) ، وعام (٨٦٧) .

(٣) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - خ الصلح [٢٢١/٥] ، وم : (١٧١٨) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة ، آية رقم (٨٠) .

(٥) إشارة إلى حديث متواتر رواه سبعون رجلًا من الصحابة - رضي الله عنهم - .

(٦) سورة الشعراء آية رقم (٢٢٧) .

وصلوا على خاتم الأنبياء والمرسلين فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين، فقال جل من قائل عليم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] .

(١) الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الحادية والستون

٢٨ / ٧ / ٩٤

[التمسك بالفضائل]

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين(١) .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، الإله الحق المبين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، ومَن اهتدى بهديه ، واستن بسنته .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون والمسلمات ، أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، فهي الحصن الحصين ، والدرع المتين ، لمن تحصن بها وهي أجمل الصفات ، وخير اللباس .

عباد الله ؛ إن من أعظم نعم الله على الناس أجمعين ، ومن أكبر إحسانه على المؤمنين ، أن بعث فيهم رسولًا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة(٢) ، وينقذهم من الضلالة إلى الهدي ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى صراط مستقيم(٣) ، نبي كريم على رب العالمين .

اتخذه الله خليلًا ، وكلمه تكليمًا ، اصطفاه على جميع النبيين ، ورفعه درجة لم يبلغها أحد من العالمين - صلى الله عليه وسلم ـ شرع الله سبحانه على لسانه ، صلى الله عليه وسلم ، دينًا قيمًا ملة سمحة ، فيها صلاح الإنسانية كلها ، وفيها تنظيم حياتها ، وحفظ كرامتها ، وإصلاح مجتمعها ، وتهذيب أخلاقها ، فسمَى بالأمة الإسلامية إلى شرفات الفضل والكمال ، ورفع بها إلى قمة العزة والكرامة ؛ فكل أمره ونهيه - صلى الله عليه وسلم ، فيه خيْر الأمة ، وسعادتها .

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢-٤) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران آية رقم (١٦٤) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المائدة آية رقم (١٦) .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١] .

فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك[٢] ، ولا يتيه عنها إلا أعمى البصيرة ، ولا يرغب عنها إلامن أزه الشياطين ، واتخذ إلهه هواه ، ومع الأسف الشديد أيها المؤمنون والمؤمنات ؛ إن هذا الدين القويم أخذ يعود إلى الغربة كما بدأ[٣] .

فالعقيدة الإسلامية الصافية النقية التي أرسى قواعدها المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وجاهد وقاتل من أجلها ، أخذت تدب إليها الأفكار الهدامة ، وكادت أن تخالطها البدع والضلالات .

ومكارم الأخلاق ، والفضائل التي أتمها - صلى الله عليه وسلم - قد تزعزعت قواعدها ، وعسر طريقها ، ذهب الحياء ، وغار ماؤه من الوجوه ، وخفت الغيرة من النفوس ، وسيطر الوهن على الأحاسيس ، وران على القلوب سيء الأعمال ، وتحكمت الشهوات والرغبات ، والتمس رضا المخلوق ، بسخط الخالق . وضعف سلطان الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وفقد التعاون على البر والتقوى ، ولم يبق إلا التلاوم والتناكل ؛ فتخلت العامة عن واجباتها تجاه دينها ، وأبنائها ، وتكاسلت الخاصة عن أداء واجباتها ، وترك الحبل على الغارب ، ونشطت دعايات الكفر والخلاعة والضلال .

وأكثر الناس لا يشهدون الصلوات في بيوت الله ، وبعضهم يتركها بالكلية ، فهذه الأسواق ، والمقاهي والمعارض والمكاتب غاصة بالناس في أوقات الصلوات ،

---

(١) التوبة آية رقم (١٢٨) .

(٢) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - أخرجه أحمد في المسند [١٢٦/٤] إسناده حسن مع الشواهد الكثيرة ، ومنها حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - جه برقم (٥) المقدمة .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح .. الإيمان حديث رقم خاص (٢٣٢) ، وعام (١٤٥) [١٣٠/١] .

وانتشر الربا ، ولُعِبَ القمار ، وكثرُ شرب الخمر والزنا ، وتوفرت دواعي الخلاعة والغرام ، وبعض النساء يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وبعضهن كاسيات ، عاريات لباسهن يصف مواضع العفة والحشمة والإحصان ، وبعضهن يمشين مشية تلفت الأنظار ، يتدافعن في الأسواق أمام الرجال والشباب بكل وقاحة وجرأة ، يصْفُقن في الطريق يَصْطدِمن وجها إلى وجه مع الرجال بدون حياء ، ولا مبالاة ، قد استشرفهن الشيطان ، وبعضهن يتشبهن بالذكور في لباسهم ، وبعض الذكور يتشبه بالإناث في لباسهن ومشيتهن ، وحُليهن ، وعاداتهن ، فلا يميز منهم الذكر من الأنثى ؛ إلا بعد تأمل طويل ، ألم يعلموا أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لعن المتشبيهين من الرجال بالنساء ، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال(١) ، فهل يرضى مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكون هو أو ابنته أو ابنه مطرودًا مبعدًا من رحمة الله ؟

وهذه بعض الطوائف الضالة ، نشطت في نشر عقائدها المبتدعة ، وتجرأت على إظهار أعمالها ، المخالفة للشريعة النبوية ، وتظاهرت بمخالفة أهل السنة والجماعة في عقائدهم ، وعباداتهم .

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(٢) .

وهذه دعوة الهدم والفساد سرًا وعلنًا ، تدعو لاختلاط البنات بالأولاد ، إنها دعوة تقتل الفضيلة ، وتهدم الكرامة والعفة ، والمثل الإسلامية .

فاتقوا الله عباد الله ، يا أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - .

يا شباب الإسلام ، ويا فتيات الإسلام ؛ أين الروح الإسلامية ؟ أين الحشمة الإسلامية ؟ أين الفضائل والحياء ؟

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - خ في الصحيح اللباس [١٠/ ٢٧٩] ، الفتح باب : المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال .

(٢) سورة الزمر آية رقم (٤٥) .

ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

يا أهل الفضائل والمعرفة ؛ أيها الآباء والأمهات ؛ يا خير أمة أخرجت للناس يا أمة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ ما هذا الوهن ؟ وما هذا التكاسل ؟ ، وما هذا التتاكل ؟ أين الغيرة الإسلامية ؟! أين الأمانة الربانية ؟! أين التناصح والتعاون على البر والتقوى ؟! .

اتقوا الله في أنفسكم ، اتقوا الله في أولادكم ، اتقوا الله في أمتكم .

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2] .

كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته[3] ، استعينوا بالله واعتمدوا عليه ، واسألوه الهداية والتوفيق والإعانة[4] .

اللهم ؛ اهدنا الصراط المستقيم ، وأصلح بناتنا ، وذرياتنا ، وأصلح شأن المسلمين .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٢٦-٢٧) .

(٢) الأنفال آية رقم (٢٥) .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - خ الأحكام [١١١/١٣] الأحكام ، ومسلم في الصحيح الإمارة برقم (١٨٢٩) باب فضيلة الإمام العادل .

(٤) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - خ الأحكام حديث رقم (٧٢٠٠) باب : (٤٢) ، باب كيف يبايع الإمام الناس ، ومسلم في الصحيح الإمارة حديث رقم خاص (٤١) .

اللهم ؛ أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه .

اللهم ؛ انفعنا بهدي كتابك ، وسنة نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم - .

اللهم ؛ اغفر لنا ، ولجميع المسلمين ، وتوبوا إلى الله واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله ، وأصحابه وأتباعهم بإحسان ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى ، وراقبوه مراقبة من يؤمن بأنه يعلم السر وأخفى .

أيها الأخوة في الإسلام ، والأحباب في الله ؛ إنه من البوادر التي لا تبشر بخير ، والأخلاق المذمومة شرعًا ؛ ما يفعله بعض الناس من الوقوف أمام أبواب المساجد ، والجلوس عند المعارض والطرقات ، ينظرون إلى النساء نظرات شيطانية مسمومة ، وينظرن إليهم كذلك ويضيقون الطريق على السالكين ، ويؤذون المتحشمات من المؤمنات ولا يعطون الطريق حقه .

فاتقوا الله عباد الله ، اعطوا الطرقات حقها ، وغضوا أبصاركم ، واحفظوا شيمكم ، وحافظوا على حصانتكم ، ومكارم أخلاقكم ، وردوا السلام على من سلم .

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾(١) .

عباد الله ؛ إن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه :

---

(١) سورة النور آية رقم (٣١) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١).

اللهم؛ صلِّ وسلِّم، وبارك وأنعم على صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، اللهم؛ ارض عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين، وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

اللهم؛ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، اللهم؛ انصر جيوش المسلمين، وأيدهم بالنصر والتمكين، وسدد رميتهم، ووحد صفوفهم، وألف بين قلوبهم وانصرهم على القوم الكافرين.

اللهم؛ اخذل اليهود وأعوانهم، وشتت شملهم، وفرق جمعهم، وأذهب ريحهم، واجعل الدائرة عليهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم الظالمين.

اللهم؛ انصر واحفظ إمامنا، وسدد خطاه، ووفقه لما يصلح البلاد والعباد، لما تحب وترضى. اللهم؛ أدم علينا نعمة الأمن والإيمان، وعلى جميع المسلمين، اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين، واهدهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، واجعل ولاية المسلمين في يد من آمن بك واتقاك واتبع رضاك يا أرحم الراحمين. اللهم؛ اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات. اللهم؛ فرج هم المهمومين ونفس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين واشف مرضى المسلمين، اللهم ارفع عنا الغلاء والربا، والزنا والزلازل والمحن، وسوء الفتن، وعن جميع المسلمين.

عباد الله.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١]

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[٢] .

---

(١) سورة النحل آية رقم (٩٠) .
(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٤٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية والستون

٦ / ٨ / ١٣٩٤

[الحرية الصحيحة ، والحرية الكاذبة]

الحمد لله رب العالمين ، خلق فسوى ، وقدر فهدى ، فهو أهل الثناء والحمد ، وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله بلغ الرسالة كاملًا غير منقوحة ونصح لأمته ، صلى الله عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأتباعهم بإحسان ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(١) .

أيها المسلمون والمسلمات ؛ لقد كثر الكلام عن الحرية والدعوة إلى الحرية ، وكل قوم يدَّعون بأن الحرية عندهم ، إلا أن النتائج تكشف الحقائق ؛ فلابد أن نعرف معنى الحرية الحقيقية ، والحرية غير الحقيقية ، فالحرية بالمعنى الصحيح تطلق على خيار كل شيء ، فيقال : فرس حر ، إذا كان خيارًا في أصله وفعاله ، ويقال : طين حر ، إذا كان جيدًا صالحًا للإنبات والانتفاع به ، ورجل حر ، وامرأة حرة ، إذا كانت فعالهما ، وخصالهما ، خيرة حسنة ، فالحرية الحقيقية هي التي فيها سعادة الإنسان ، وصلاحه ، ورفعته وعزته وكرامته ، هي التي ترفع الإنسان إلى قمة الفضل والكمال ، وتنهاه عن

---

(١) سورة النساء آية رقم (١) .

الخسة والرذالة، والابتذال، والانحطاط، وهذه الحرية الحقيقية بلفظها ومعناها، هي التي يتشوق إليها كل إنسان عاقل فاهم مدرك، له نظرةُ فَهْم في الماضي، وتأمُّل وتعقل في المستقبل، وهذه الحرية هى التي جاء بها الإسلام، فكَان العالم قبل الإسلام في جاهلية مظلمة.

كانت الإنسانية قبل الإسلام معذبة، فهي تقع بين القتل والسلب والنهب والظلم والاستبداد، لاحظّ للضعيف، ولا نصيب، ولا أثر للعدالة، والمساواة، الغلبة للقوي سواء بحق، أو بغير حق، وكانت المرأة في الجاهلية قبل الإسلام عند جميع الأجناس، عربهم وعجمهم، الحضر والبدو - مضطهدة مهانة، وعند البعض يبيح القانون للأب بيع ابنته، وعند البعض تبيح العادة قتل ابنته، ووأدها ودفنها وهي حية[1]، لاحظَّ لها في الرأي والمشورة، ولا نصيب لها في المال والميراث، فلما أراد الله بالإنسانية خيرًا؛ بعث الله نبيه محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالهدى ودين الحق فوضع - صلى الله عليه وسلم - قواعد العدالة والحرية والمساواة، ووضع جميع أمور الجاهلية تحت قدميه[2]، جاء بدين الإسلام والسلام، دين الأمن والاستقرار.

فحرم الظلم، وحفظ الحقوق، وجعل الضعيف قويًا، حتى يأخذ له الحق، وجعل القوي ضعيفًا، حتى يأخذ منه الحق، وضع قواعدَ ثابتة، لجميع متطلبات الحياة يستوي فيها القوي والضعيف، والعربي والعجمي، والذكر والأنثى، وكان للمرأة من هذه العدالة الإسلامية، والحرية الإسلامية - الحظُ الأوفر، والنصيب الأكبر، رفع مكانتها وأعلى شأنها، وحفظ لها حقها، أخبر بأن المرأة شقيقُة الرجل[3]، لها عزتها

---

(١) تشير إليه آية التكوير آية رقم (٨).

(٢) إشارة إلى خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم عرفة، يوم حجة الوداع أخرجها أصحاب السنن: أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، والدارمي في سننه كلهم من حديث عمرو بن الأحوص - رضي الله عنه - انظر ابن ماجة حديث رقم (٣٠٥٥) باب: (٧٦) باب الخطبة يوم النحر، ومن حديث جابر الطويل أخرجه مسلم في الصحيح، الحج، حديث رقم خاص (١٤٧)، وعام (١٢١٨) [٢/٨٨٦-٨٩٢]، وإنها خطبة بليغة للغاية وقد حملت في طياتها المعاني السامية الكثيرة وينبغي أن تفرد لها رسالة مستقلة لعظيم فوائدها وكثير آدابها وأخلاقها..

(٣) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - أخرجه أحمد في المسند [٦/٢٥٦]، =

وكرامتها ، أدخلها تحت الخطاب السماوي ، وتحت الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، جعل لها حق التملك والتصرف في مالها كالرجل على وفق قواعد الإسلام ، لتحقيق المصالح ، ودرء المفاسد ، أعطاها حصتها من الميراث ، وأوجب لها حق المشاورة في الزواج .

قسم أعمال المجتمع بين الرجل والمرأة ، لتحقيق التعاون والتكاتف ، والعمل على تطوير الإنماء والإنتاج ، وتوفير جميع متطلبات الحياة ، وللمحافظة على النظام والمسئوليات ، فأعطى كل جنس من الذكر والأنثى ، من الوظائف وأعمال المجتمع ما يتفق مع قدرته ، ويتلائم مع فطرته ، ولا شك أن مصالح الأمة العامة والخاصة ، لا تتوفر إلا بقيام كل من الذكر والأنثى ، بالأعمال التي تخصهما في المجتمع ، فلو أن أهل الاختصاص في صناعة العدة الحربية ، تخلوا عن اختصاصاتهم ، وتركوا مصانعهم لنفدت العدة ، ولو أن أهل الاختصاص بالحرب والمواجهة والحيل والكر والفر ، تخلوا عن اختصاصاتهم ، وتركوا مواقعهم لتسلط العدو ولو أن أهل الاختصاص في الحقل الاقتصادي ، تركوا أعمالهم لانهار الاقتصاد ، ولو لأن أهل المعرفة والتعليم ، تركوا مدارسهم ، لفشى الجهل ، وهكذا ، وكذلك لو أن الرجل أو المرأة ترك أحدهم أعماله الخاصة به بأصل الفطرة والشرع والعقل الصحيح ، لفسد المجتمع ، وانهارت قواه ، وفسدت أخلاقه ؛ فالمرأة عليها واجب للمجتمع ، ولها رسالة هامة في الحياة ، ولها دور كبير في صناعة القوة المدافعة عن الدين ، والحقوق ، والبلاد ، عليها واجب كبير ومسئوليتها عظمى ، لا يصح أن تتخلى عنها ، ولا يجوز أن تهمل فيها ، وهي تنظيم الأسر ، وتربية الأولاد ، وتهيئة القوة البشرية ؛ فالقوة البشرية هي أساس كل قوة ، بل لا يحصل أي قوة إلا بطاقة بشرية ، تفكر وتعمل ، وتنتج ، وتجاهد .

كما أن الرجل عليه واجب عظيم ، وله رسالة في الحياة ، وهي بقية الأعمال في جميع متطلبات المجتمع التي هي خارجة عن اختصاص المرأة ، فعليه الكد والتعب ، وحماية البلاد ، والدفاع عن الحقوق والمحارم والأخلاق والديار ، عليه أن يتلقى ما تنتجه المرأة من رجال المستقبل ، وتثقيفهم وتقويمهم وتمرينهم على القوة والصلابة

= ومن حديث أمِّ سليم رضي الله عنها أخرجه أحمد في المسند [٣٧٧/٦] بسياق طويل وإسنادهما حسن وأخرج الحديث أبو داود في السنن ، الطهارة : باب (٩٤) ، والترمذي في جامعه الطهارة : باب (٨٢) ، والدارمي في سننه أيضًا باب الوضوء : (٧٦) .

والرجولة، وعَمل الأعمال المطلوبة منهم، وتلقي المشاق، والاستعداد للكفاح، والجهاد.

هذه هي الحرية الصحيحة، وهذه هي الإنسانية، التي فيها صلاح الأمة، وسعادة المجتمع، واستقامته في جميع متطلباته.

أما الحرية بالمعنى الآخر أي الكاذبة، فليست بحرية بل هى رق وعبودية، فليس فيها أي صالح للفرد والجماعة، بل فيها شر للفرد والجماعة، وليس فيها أي خير، بل هي فساد ودمار، وهذه الحرية المزيفة الكاذبة، هي التي قامت الدعوة إليها في هذا العصر المضطرب، وهي التي يتشوق إليها بعض الناس من السذج، وأتباع الهوى، فدعاة هذه الحرية الماكرة قسم مسكين مغرور، وقع في شباك التحلل، والخلاعة، ولم يَجد منها مخرجًا لضعف إرادته، وعمي بصيرته، فهو يدعو الناس ليقعوا فيما وقع فيه فيكونون سواء، وقسم ماكر خبيث يسعى في الأرض بالفساد، وهم مؤسسو هذه الحرية الفاجرة من الصهاينة، والشيوعية أعداء الفضيلة، وأعداء الرسالة؛ أعداء الأمن والاستقرار.

﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾(١).

فهل دعاة هذه الحرية يدعون للطيب من القول والعمل؟ هل يدعون إلى الفضائل والعفة والنزاهة والشيم؟ كلا. إنما يدعون إلى الشك في العقيدة، والحيرة في الحياة، يدعون إلى دور الخلاعة والفساد، إلى أسواق الدعارة، والتحلل من الفضائل والأخلاق.

فيا أيها الناس؛ أيها العقلاء؛ أيها الشباب؛ تأملوا هذه الحرية، هل هى خيار من كل شيء؟ أم هي رق وعبودية؟ وخبيث من كل شيء؟ تأملوا نتائجها.

فهل تنكر الإنسان للخالق المتفضل - جل وعلا - وجحد آياته والكفر بنعمه، وتكذيب رسله؟ هل هذه حرية تنفع الإنسان؟ أم هي عبودية للشيطان واتباع للهوى؟

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٦٤).

﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[(١)] .

هل خروج المرأة إلى مجامع الرجال ، والشباب كاشفة صدرها وفخذيها ، ومظهرة محاسنها ، ومفاتن زينتها ، دون حياء ولا مبالاة ، هل هذه حرية أيها العقلاء ؟ أم أنها خسة ونذالة وعبودية للشهوات ، والنفس الأمارة بالسوء ؟

هل ترجل المرأة ، ومشابهتها للرجال في الأعمال ، والاختصاص في كل ميدان ، وترك واجبها ومسئوليتها التي خلقت من أجلها هل هذه حرية محمودة ؟ أم هي خروج على المسئولية وجناية على الإنسانية والمجتمع ؟ وهل تخنث الذكور ، ومشابهتهم للإناث في الأزياء واللباس والحركات ، وبعض الخصائص هل هذه حرية ؟ أم هي تنكر للفضائل التي فضل بها الرجال على النساء ؛ وانحطاط في الأخلاق ؟ هذه حريتهم التي يدعون إليها ، فهل كل ما يخطر على بال الإنسان أو يحلق في خياله مما يعود عليه بالضرر والهلاك ، هل يحق له أن يفعله ، ويقول : إنه حرية ؟ وهل يسوغ لولاة الأمور والمصلحين أن يتركوه ، ويقولوا هو حر في نفسه وتصرفاته ؟ فهل يجوز للإنسان أن يهيم في متاهة الصحراء بلا زاد ولا ماء ولا راحلة يموت جوعًا أو عطشًا ، أو تأكله السباع ؟ هل هذه حرية يسمح له بها ويدعى إليها ؟

اتقوا الله أيها الناس ، انظروا في نتائج تلك الحرية الفاسدة عند أهلها ، أدت إلى الانحطاط ، والملل والسآمة .

اتقوا الله أيها المسلمون ؛ تمسكوا بدينكم ، وبأخلاقكم ومميزات حياتكم ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[(٢)] .

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[(٣)] .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (١٧٩) .

(٢) سورة الحشر آية رقم (١٩) .

(٣) سورة النساء آية رقم (٣٢) .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، ولجميع المسلمين من كل ذنب ؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة والستون

[تنظيم الغرائز في الإنسان]

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد[1].

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، واحد في ألوهيته، في ربوبيته، وفي أسمائه وصافته وفي ملكوته.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا، عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ..فأوصيكم وإياى بتقوى الله، وبالنصح لكل مسلم، وبأداء الآمانات.

ثم اعلموا أن الإسلام قد اعتنى عناية كاملة بالأسرة، وأحاطها بمقومات الصلاح، وأسباب الاستقامة، وأولاها بالضمانات، وجعل لها نظامًا في كل وضع من أوضاعها، ولكل حالة من حالاتها، ومن تأمل نظام الأسرة في القرآن؛ عرف مكانتها عند الله، وارتباطها بخالقها من مبتداها إلى منتهاها، وأول لَبنات الأُسرة الصالحة التي ترتبط بربها - الزواج الشرعي، والتقاء الذكر والأنثى على أساس طاهر نظيف، لتنموا الأسرة على نظافة الأخلاق، وطهارة الروح، وبذلك ترتفع إلى مستوى القداسة المتصلة بالله في كل مراحلها، وعلى طول الطريق.

الإسلام لا يصادم الفطرة، ولا يكبت دوافع الشهوة؛ وإنما ينظمها، ويطهرها،

---

(١) إشارة إلى آية رقم (١٦) من سورة (ق).

ويرفع بها من المستوى الحيواني إلى المستوى الإنساني .

الإسلام يريد أن تصرف الغريزة الجنسية - وهي طاقة بشرية - فيما خلقت له في بناء مجتمع طاهر نظيف ، يريد أن يكون اتصال الذكر بالأنثى على أساس المشاعر الراقية الثابتة ، لا على أساس الشهوة الوقتية الزائلة ، على مستوى النفس ، والروح ، لا على مستوى الضمير الميت ، على مستوى الإنسان المفضل المكرم ، لا على مستوى الحيوان المذلل المسخر .

فالزواج الشرعي هو الذي يُكون حياةً مشتركةً بين الرجل والأنثى والأما مشتركة بينهم وآمالًا وآلامًا مشتركة ، ومودة متبادلة ، ومستقبلًا متعاونًا عليه ، وبناء أسرة راقية في الآداب والأخلاق ، وجيلًا جديدًا تحت قوامة ، وحراسة أمينة نظيفة .

لذلك حث الإسلام على الزواج ، وحث على التيسير فيه والتسهيل ، واختيار الأصلح دينًا وإنتاجًا . قال تبارك وتعالى :

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) .

روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : رغبهم الله في التزويج ، وأمر به الأحرار والعبيد ، ووعدهم عليه بالغنى(٢) .

وروى عن أمير المؤمنين أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ؛ يُنجز لكم ما وعدكم من الغني(٣) قال تعالى : ﴿ **إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾(٤) .

(١) سورة النور آية رقم (٣٢) .

(٢) ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره [٥/٩٤] إذ قال : قال : علي بن أبي طلحة عن ابن عباس - رضي الله عنهما ..

(٣) رواه ابنْ أبي حاتم في التفسير بإسناده عن أبي بكر رضي الله عنه ، ذكره ابن كثير في التفسير [٥/٩٤-٩٥] .

(٤) سورة النور آية رقم (٣٢) .

وقد زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - امرأة من رجل ليس عليه إلا إزار ؛ ولم يجد إلا خاتمًا من حديد ، وجعل صداقها عليه أن يعلمها ما معه من القرآن[١] .

والشاب إذا بلغ توقدت فيه الغريزة الجنسية ؛ لحكمة التناسل ، ولم يَغْفُلِ الإسلامُ عن هذه الحاله ؛ بل عالجها بأجمل علاج ، وأنفعه ، فقال - عليه الصلاة السلام - : « يا معشر الشباب ؛ من استطاع منكم الباءة ، فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه له وجاء »[٢] .

أي يكسر حدة الشهوة ، ويضعفها ؛ لأن الصوم يقوي الإيمان ، ويزيد التقوى ، ويضيق مجاري الشيطان من الإنسان ، والزواج إحصان ، وصيانة ، ووقاية . إن بقاء الإنسان البالغ بدون زواج وهو يشتاق إليه ، ويقدر عليه ، لا يرضي الله ، ومخالف سنن المرسلين . لما توفيت سيدة نساء الجنة ، فاطمة بنتُ الرسول - صلى الله عليه وسلم - زَوْجُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - سارع بالزواج ، وقال لقد خشيت أن ألقى الله ، وأنا أعزب .

والإسلام وهو دين الرحمة والتعاطف والتعاون قد حث على تيسير الزواج ، والإعانة عليه ، ورغب في تخفيف التكاليف ، وتقليل المؤنة .

روى البيهقي بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن من أعظم النساء بركة أيسرهن صداقًا » ، وفي رواية « أيسرهن مؤنة »[٣] .

وعنها - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « من يُمن المرأة أن تتيسر خطبتها ، وأن يتيسر صداقها ، وأن يتيسر رحمها »[٤] قال

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه الشيخان في صحيحيهما وذلك من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه البخاري [١٦٤/٩] الفتح ومسلم برقم (١٤٢٥) النكاح ، باب الصداق .

(٢) في الصحيح [٩٥،٩٢/٩] من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - وكذا مسلم في الصحيح (١٤٠٠) .

(٣) البيهقي في السنن الكبرى [٢٣٥/٧] من حديث عائشة مرفوعًا ، إسناده جيد .

(٤) البيهقي في السنن الكبرى [٢٣٥/٧] من طريق عبد الله بن المبارك ، عن أسامة بن زيد عن صفوان بن سليم به عنها يروي البيهقي عن الحاكم بتحويلين .

عروة : وأنا أقول من شؤم المرأة أن يكثر صداقها[١] ، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : لا تغلوا في صداق النساء ؛ فإنها لو كانت مكْرمةً في الدنيا ، أو تقوى في الآخرة كان أولاكم بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[٢] .

فيسروا يا عباد الله ؛ واحذروا المغالاة في المهور والبذخ والتبذير في الولائم ، والحفلات ، فإنها لا تزيد شرفًا ، ولا جاهًا ، ولا تعود على صاحبها إلا بالملامة والمذلة ، وكل شيء يصرف لغير حاجة تدعو إليه فهو تبذير ، قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[٣] .

وما زاد عن الحاجة من المأكل والمشرب فهو إسراف ، والله تعالى لا يحب المسرفين[٤] .

ولينظر العاقل ماذا ينال من الإسراف ، والإكثار في حفل الزواج ، وصرف الأموال على المطربين والمداحين ، والسهر طول الليل في غفلة عن ذكر الله وقد يكون عمَّا أوجب الله من الصلاة . لا ينال منه إلا المقت من الله ، والذم من الناس ، والعقوبة المحرقة .

فاتقوا الله وكونوا مسلمين في جميع تصرفاتكم ، ولا يحملكم حب الجاه ، والظهور ، والكبرياء على معصية الله ، وإهانة نعم الله ، كل الناس يشكو من التوسع في الحفلات ، ويذمون صاحبه ، ويرغبون في التيسير ، والتخفيف ، ويثنون على صاحبه ، لكن ما هو الطريق التنفيذي لهذه الرغبات الحل هو : العقل ، والحزم ، والأخذ على أيدي السفهاء ، فلو اجتمع في كل بلد أعيانها ، ووضعوا خطة ميسرة يسار عليها ، ويمنع ما سواها ؛ لكان في ذلك خير إن شاء الله تعالى .

اللهم إنا نستغفرك يا غافر الذنب ، ويا قابل التوب فاغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) البيهقي في السنن الكبرى [٧/٢٣٥] .

(٢) البيهقي في السنن الكبرى [٧/٢٣٤] من طريقين عن عمر رضي الله عنه .

(٣) سورة الإسراء آية رقم (٢٦) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في آية الأنعام رقم (١٤١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا(١) .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ، ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ومن اتبع سبيله ، واستقام على ملته .

أما بعد .. فإن كفالة الأطفال ، وحضانتهم واجبة ، لحقهم ، ولحفظهم ، وتعليمهم وتربيتهم ؛ فلا يقر الطفل عند من لايحسن التربية ، أو يهمل فيها ، ولا يقر عند من سلوكه سيء وأخلاقه مُتدهورة ، لأن في ذلك ضررًا على الطفل ، يقدم من الأبوين والأقربين في توفر مصلحة الطفلة « جاءت امرأة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالت : يا رسول الله ؛ إن ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجري له حواء ، وإن أباه طلقني ، وأراد أن ينزعه مني ، فقال – صلى الله عليه وسلم : « أنت أحق به ما لم تنكحي » (٢) .

وروي أن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – قضى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتسليم ابنه عاصم لأمه ، وقال : « ريحها ولطفها خير له منك »(٣) .

---

(١) خطبة الحاجة والنكاح أحمد في المسند برقم (٤١١٦،٣٧٢١) ، النسائي في النكاح [٦/ ٨٩] ، وابن ماجة برقم (١٨٩٢) ، والبغوي في شرح السنة برقم (٢٢٦٨) كلهم من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – وإسناده صحيح ، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/٢١٤] .

(٢) أحمد في المسند [٢/١٨٢] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه من جده عبد الله بن عمرو ابن العاص – رضي الله عنه – وإسناده حسن ، وأخرجه أبو داود أيضًا الطلاق باب رقم (٣٥) .

(٣) أخرجه مالك في موطئه برقم (١٤٥٤) ص (٥٤٥) بمعنى هذا الآخر وأخرجه البغوي في شرح السنة (٢٤٠٠) في [٩٤/٣٣٣] .

قال بعض العلماء : وإذا بلغ الطفل سبع سنين ، فالذكر يخير بين أبويه ، فمن اختار منهما صار عنده أما البنت فإذا تم لها سبع سنين قال بعض العلماء تكون عند أبيها وقال بعضهم تكون عند أمها حتى تتزوج(١) .

جاءتْ امرأة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ؛ إن زوجي يريد أن يذهب بابني ، وقد سقاني من بئر أبي عنبه ، وقد نفعني ، فقال عليه الصلاة والسلام ، للصبي : هذه أمك ، وهذا أبوك ، فخذ بيد أيهما شئت ، فأخذ بيد أمه ، فانطلقت به .

أما الأنثى فإذا بلغت سبع سنين ، فالأصلح لها أن تكون عند أبيها ؛ لرعايتها ، ولرفع شأنها وقدرها(٢) ، وإذا كان الطفل عند أحد الأبوين ، لنشوز أو فراق ؛ فلا يمنع من زيارة الآخَر ، بل يجب أن يُعلم البر ، والصلة ، ولا يجوز أن يجعل الأولاد أداة انتقام ، فيمنع من زيارة الأب ، أو الأم ؛ لقصْد الإساءة والانتقام . الطفل يتأثر نفسيًا وبدنيًا إذا رأى الخلاف بين أبويه ، فما بالكم إذا رأى الفرقة ؟ وجُعل أداة انتقام دون مراعاة لمصلحة ، ودون إحساس بشعوره ؟ .

ليس في مصلحة الصبي أن يترك هائمًا في الشوارع ، وفي النوادي دون رعاية ، وليس من مصلحة الصبيَّة أن تترك تتردد على الباعة ، والخياطين ، وتنتقل من دكان لآخر فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ وأحسنوا رعايتكم ، وقوموا بولايتكم ، وأدوا أماناتكم . ثم اعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(٣) .

---

(١) أحمد في المسند برقم (٧٣٤٦) ، ود : (٣٢٧٧) ، وت : (١٣٥٧) ، وجه : (٢٣٥١) كلهم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وإسناده صحيح .

(٢) أخرج معناه الإمام أحمد برقم (٦٧٠٧) ، وأبو داود برقم (٢٢٧٦) .. هو نفس حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص - رضي الله عنه ..- انظر شرح السنة للبغوي [٩/٣٣٣-٣٣٦] في هذا الموضوع .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة والستون

١٤٠٧/٧/٠٦

[وجوب الحجاب على المرأة المسلمة]

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له شهاده ادخرها ليوم الدين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، والتابعين بإحسان .

أما بعد ..فإن من أخطر البضائع الاجتماعية المستوردة من المدنية الغربية بضاعة خبيثه ، ودسيسة ماكرة ، خطرة ، ولقد وجدت رواجًا كبيرًا ، وقبولًا مدهشًا في الأمة المسلمة .

إنها مسألة الحجاب كشف المرأة وجهها دَخَلَت إلى بلاد الإسلام ، بواسطة بعض الوافدين إليها ؛ المتأثرين بالدعايات الغربية ، وبواسطة بعض أبنائها الذين يسافرون إلى البلدان المتأثرة بتلك الدعايات ، وما هو إلا تقليد أعمى ، واقتداء المغلوب بالغالب ، وخاصة في البلاد التي كانت تحت ضُغوط الاحتلال المعادي للإسلام ، لقد علم كل مسلم واع يعرف إسلامه ؛ أن الغرب نظر إلى الحجاب ، والنقاب ، وحشمةِ الإسلام ، وصيانته للمرأة بعين المقتِ ، والزدراء ، وصَوَّره أقبح تصوير ، وشنع عليه بكل وسائل الإعلام ، وبأنواع الدعايات ، والتمثيليات وَعَدَّ وقار المرأة في بيتها ، من أبرز عيوب الإسلام ، كما خالوا مثل ذلك في الجهاد والرق ، وتعدد الزوجات ، وإقامة الحدود فعدّهما أعداءُ الإسلام مآخذ على الإسلام ، والهدف معلوم ، وهو فَصْل المسلمين عن مصدر قوتهم ، وأساس عزتهم ونظام حياتهم ، وهو الإسلام ، وعن القرآن الكريم ، ومنهج سيد الأولين و الآخرين ، و ساعدهم على ذلك غفلة المسلمين

عن نصوص الكتاب والسنة ، وتقهقر العلماء عن الإيضاح والبيان ، بل إن بعض رجال الإسلام ، وقادة الفكر الإسلامي ورجال الإصلاح أحسوا بالتَّيار الجارف ، والضغوط المصاحبة له ؛ فانشلت فيهم الحركة الإصلاحية ، وضعفت الغيرة للإسلام ، وبعضهم يرى التيار الجارف أخذ يبحث في كتب الإسلام ؛ لعلهم يجدون ما يدفعون به نقد الغربيين للحجاب ، فإذا أخذوا يحتجون بأقوالٍ لبعض العلماء التي تجُيز للمرأة أن تُبدي وجهها وكفيها ، وأن لها أن تخرج من بيتها لقضاء حوائجها ، وأن المرأة يجوز لها أن تشهد الحروب ، لسقي المجاهدين ، ومداواة المرضى ، كما وجدوا إذنا لخروج المرأة إلى المسجد للصلاة إلى المسجد للصلاة ، يضاف إلى ذلك ما يشاهدُه أبناء المسلمين قليلو الحظ في علوم الإسلام إذا سافروا إلى البلاد الغربية ، ومستعمراتها ، فيرون ما عليه نساء تلك الجهات من زينة ظاهرة ، وتبرج سافر ، وانطلاق في الشوارع ، والمعارض والمتنزهات ، والكبريهات ، ونشاط في الحركة الشيطانية ، فينظر إلى ذلك بعين غافلة عن إسلامها ، ويَتأملونه بقلوب نائمة عن إيمانها ، وبمشاعر تائهة عن سلوكها فأحبوا أن تكون نساؤهم مثلَ نساء أولئك ، فتلقوا تلك الدعايات الكاذبة ، على أنها حقيقة ، وأفسحوا المجال أمام الحملة الغربية الماكرة ، وهل توقف الأمر على القول بجواز كشف الوجه والكفين ، والخروج إلى المسجد للصلاة ، أو للحاجة ؟.لا . بل جعل ذلك نقطة انطلاق إلى التحلل ، والتبرج الجاهلي ، وانهيار الأخلاق ، والخروج على فضائل العفة ، وعلى مكارم الأخلاق ، بل كان حربًا شعواء ضد الإسلام في بلاد الإسلام ، ومن أبناء المسلمين ، وهذا هو التخطيط ، وهو الهدف من تلك الدعايات ، ومن نقدهم لتعاليم الإسلام .

ومن أخبث الخداع ، والمكر إظهار الدعاية بأنَّ الإسلام يوافق النظام الأخلاقي الغربي ، والحقيقة أن الفروق شاسعةٌ في المبدأ والهدف ؛ فالإسلام نظم حياة الجنسين ، وجعل لكل جنس دائرةَ عَمل تتوافق مع طبيعته وقدرته ، وقسم مسئوليات الحياة على الجنسين ، ونظم الصلة بينهما ، وجعل لها هدفًا شريفًا ، وغاية محترمة تضمن حقوق المرأة في شبابها ، وعند كبرها ، وحافظ على كرامتها من الابتذال والإهانة ، وجعل لها ضمانات على الزوج ، وعلى الوارث ، وعلى بيت المال .

أما المدنية الغربية فإنها أهملت المرأة من الرعاية ، وتركتها هائمة باسم الحرية

يلعب بها الشيطان ويخدعها الشباب ، وتلعب بها الأحزاب ، همُّها إشباع الرغبة الحيوانية بدون هدف ، والاتجاهُ خلف كل صاعق وناعق بلا غاية ، والإسلام حينما يأمر المرأة بالحجاب ، والوقار في البيت لايتهمها كما يظنه بعض المستهترين الذين جمعوا بين الجهل والحماقة ، وإنما أمرها الإسلام بالوقار في البيت ، وإخفاء الزينة والحجاب ، محافظة عليها ، وصيانة لكرامتها ؛ فهي عزيزة على الإسلام، شريفة ، كريمة في دين الله ، فقد أعطاها الإسلام حقها المالي ، والاجتماعي ، والأدبي ، وافرًا كاملًا غير منقوص ، وأما التقاليد الأخرى فليست حرية ، كما يزعم دعاتها ؛ وإنما هي دجل على المرأة ، وخداع لها ، وإهدار لكرامتها ، وكشف لجمالها ومحاسنها

وقد أدرك بعض علماء المسلمين خطر الفكر المستورد ، وكذبَ الدعايات المسمومة ؛ فقامت نهضة للمحافظة على ما بقي ، ولإصلاح ما فسد ، ولكنها مقاومة من دعاة المدنية المزيفة وأشياعها ﴿وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(١) وكثيرًا ما ترد أسئلة من بعض الشباب المسلم الفاهم الواعي من الذكور والإناث عن الحجاب وعن الزينة المسموح شرعًا بإظهارها ، وعن صفة الضرب بالخمار على الجيب ، وعن صفه إدلاء الجلباب على المرأة .

وإذا تأملنا نصوص الشريعة من الكتاب والسنة ، وكلام العرب ، وتفسير الصحابيات لآيات الحجاب لما نزلت وأنْصَفْنا من أنفسنا ، وأبعدنا عاداتنا وتقاليدنا ، وتحررنا من التعصب لها ، عرفنا يقينًا أنه يجب على المرأة أن تغطى وجهها وكفيها عن الرجال الأجانب ، إلا ما استثنى لحاجة كالنظر إلى المخطوبة ، وعند الشهادة ، أو التعريف ، أو الكف عند الأخذ والعطاء في حدود المباح ، وعند ضرورة العلاج وفي حدود الحاجة ، والقول بوجوب تغطية وجه المرأة ، هو ظاهر نصوص الكتاب والسنة ، وإليكم طائفة منها باختصار مراعاة للمقام :

- قوله تعالى : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾(٢) .

---

(١) سورة التوبة آية رقم (٣٢) .

(٢) سورة النور آية رقم (٣١) .

الخمار: هو ما يوضع على الرأس يُغَطَى به، والجيب: فتحة الثوب على الصدر؛ فإرخاء الخمار من الرأس إلى الصدر يقتضى تغطية الوجه.

والتعبير بقوله: وليضربن، تأكيد لإشْباع تغطية الوجه، والصدر مع الرأس بالخمار، فلا تكفى الغطوة القصيرة التي لا تصل إلى الصدر.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[١] فالمرأة مأمورة بإخفاء زينتها إلا ما ظهر، وهو ما يَتَعَذَّر سَتْره مثل العباء، والجلباب، والملحفة، والشرشف أما الوجه والزينة التي على الوجه، فيمكن سترها، فهى من الزينة الخفيَّة التي يجب سترها عن الأجانب.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[٢]

وإن كان الخطاب في شأن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - ورضي عنهن إلا أن قوله ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ دليل على أن الحكم عام لكل المسلمات، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وغيرهن؛ لأن كل مسلمة مطلوب منها أن يكون قلبُها طاهرًا، ولا يجوز تخصيص الحكم بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلا بدليل شرعي، والقاعدة الأصولية: أن أحكام الشريعة عامة شاملة. وإن كان المخاطب واحدًا، ولا يخصص إلا بدليل.

٤ - قوله تعالى

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ﴾[٣] الآية.

---

(١) سورة النور آية رقم (٣١).
(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٣).
(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٩).

الجلباب : كساء متين تغطي به المرأة جميع بدنها مثل العباءة والملاءة والشرشف ، فلا يجوز للمراة أن ترفع العباءة فوق حقوها ، بل ترخيها على جسدها كله ، ونحن في هذه البلاد السعودية - ولله الحمد - يحتجب نساؤنا الحجاب الشرعي ، فلا يرى منها وجه ، ولا يد ، فعلى الوافدين إلينا ، وعلى المدرسات تقوى الله في نِساءنا وإبقائهن على حجابهن وعفتهن وحيائهن يقتدين بأمهات المؤمنين . فقوله تعالى : ﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دليل على أن حكم الحجاب ، وتغطيةِ وجه المرأة عن الأجانب عام في كل المسلمات ، واجب على كل المؤمنات ، كما هو واجب في حق أزواج النبي ، صلى الله عليه وسلم .

٥ - قوله تعالى :

﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ﴾[١] .

فقوله ﴿يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ مع قوله ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ فإذا كانت المرأة الكبيرة التي لا رغبة لها في النكاح ولا رَغْبة للرجال في زواجها سمح لها أن تضع العباءة ونحوها ، ونُهيت من التبرج بالزينة الظاهره ، فغير القواعد لا يحل لهن أن يضعن العباءة أمام الرجال الأجانب وفيه دليل على وجوب تغطية الوجه ؛ لأن الآية نهت القواعد من التبرج بالزينة ، والوجه هو أساس الزينة وهى عجوز ، فكيف بالمرأة الشابة ؟

٦ - حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : لما نزلت آية ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أخذن أزرهن فشققنها من قبل الجوانب فاختمرن بها » رواه البخاري - قال : في فتح الباري : اختمرن أي : غطين وجوههن .

٧ - حديث عائشة - رضي الله عنها - في الحج عند أبي داود بسند صحيح قالت : كان الركبان يمرون بنا ، ونحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا

---

(١) سورة النور آية رقم (٦٠) .

حاذونا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها ، فإذا جاوزونا كشفنا .

٨ - وروى الحاكم عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : كنا نغطى وجوهنا عن الرجال .

٩ - من أدلة وجوب تغطية الوجه عن الرجال الأجانب قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِن ﴾ ، فأمرها بإخفاء صوت الخلخال الذي في الرجل وهذا دليل بطريق الأولى على وجوب إخفاء الوجه ، خشية الفتنة إذ الوجه والكفان أشد فتنة من صوت الخلخال .

هذا ملخص ما ذكره المحققون من العلماء ومن أراد التفصيل ، وزيادة إيضاح ، فليراجع كتاب الحجاب ، وأضواء البيان في المجلد السادس .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، كما أن المرأة تصلى ، وتزكى ، وتصوم ، وتحج طاعةً لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - ورجاء ثواب الله ، وخوف عقابه ، فكذلك يجب على المرأة المسلمة أن تغطي وجهها عن الرجال الأجانب ، طاعةً لله تعالى ؛ ولرسوله ، صلى الله عليه وسلم ، ورجاء ثواب الله وخوفًا من عقابه .

اتقوا الله يا دعاة السفور ، هل أحد من العلماء قال إن السفور واجب حتى تدعوا إليه ، أم أن واحدًا قال : إنه مستحب حتى ترغبوا فيه ؟

الواجب عليكم أن تأمروا بما أمر الله به ورسوله ، وأن تنهوا عما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، إنما الخلاف بين العلماء هل يجوز كشف وجه المرأة عند الرجال الأجانب أم لا يجوز ؟ وليس على الجواز دليل صحيح صريح رأو ، أما حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق الذي تحتج به دعاة السفور ؛ فقد أجاب عليهم أئمة الهدى ، وذكروا خمس علل تمنع الاستدلال ، فليرجع إليها في رسالة سماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز في الحجاب أثابه الله .

اتقوا الله وراقبوه ، اللهم ؛ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، واغفر لنا ، ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، اللهم لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ،

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ، ورسوله .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ، ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فأوصيكم وإياى بتقوى الله .. ذكر بعض النساء المسلمات المتمسكات بإسلامهن المطيعات لربهن ، الملتزمات بحجابهن ، ذكرن أن بعض الأزواج يُكره زوجه على أن تكشف وجهها أمام إخوانِهْ ، ويهددها بالطلاق إذا لم تفعل ، مع أنه مثقف ، ومتعلم ومن رجال التربية والتعليم ، وبعضهم يأمرها أن تجلس مع أقاربه ، وأبناء عمه ، وأخواله ، يأكلون سواء على المائدة ، ونقول لهؤلاء : اسمعوا قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الذي ، رواه البخاري ومسلم ، من حديث عقبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : « يا رسول الله أفرأيت الحمو » قال : الحمو الموت » والحمو : هو قريب الزوج فالحمو إذًا أجنبي عن المرأة ، وليس محرمًا لها ، وقد سمعتم في الخطبة الأولى من وجوب ستر الوجه عن الرجال الأجانب ، وسمعتم أنه لا يجوز أن يسألها متاعًا إلا من وراء حجاب ، فكيف بك أيها المسلم وقد رزقك الله امرأة مسلمة ، متحشمة ، متعففة تأمرها برفع حجاب الحشمة عن وجهها ، إرضاءً لإخوانك وأبناء عمك ، أو مجاراة لهم على فعلهم؟ اتق الله ، وكن عونًا لزوجك على مكارم أخلاقها وعفتها ، كن لها عونًا على طاعة ربها ، وحرام عليك أن تأمرها بمعصية الله ، ومعصية رسوله - صلى الله عليه وسلم - وحرام عليها أن تطيعك في معصية الله ، ومعصية رسوله - صلى الله عليه وسلم - فبئس صنعهم بئس ما يصنعون

وبئس الاخوان وأبناء العم والأقارب الذين يجلسون مع النساء غير المحارم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة والستون

١٨ / ١١ / ١٤٠٣

[من أهداف الزواج]

الحمدُ لله رب العالمين ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾(١) .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك ، نبينا ، محمدٍ ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فأوصيكم ، وإياى بتقوى الله .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢) .

لقد كثرت المشاكلُ الزوجية ، وتنوعت أسبابها ؛ ذلك أن بعض الناس لا يعرف مقاصد الزواج ، ولا الحقوق الزوجية . بل بعض الناس يوقعه الشيطان في أم الخبائث ، وبناتها ، فيشرب المسكرات ويتعاطى المخدرات ؛ فتكون عنده امرأة طيبة ، عفيفة ، تستُر عليه ، وتحفظ بيته ، وفراشه ، وماله ، وتصبر على أذاه ؛ فإذا وعظته ، وخوفته بالله ، أو لامته في مال ، أو دين ، أو ذكرته ببعض أفعاله ؛ انهال عليها بأنواع السباب ،

---

(١) سورة الروم آية رقم (٢٠) .

(٢) سورة النساء آية رقم (١) .

والشتائم، والتهديد.

هذا في غاية من السفه، وفي منتهى اللوم والخسة، وما يحمله على ذلك؛ إلا أنه يحس في نفسه بالنقيصة، وانحطاط كفاءة لتلك المرأة الطيبة؛ فيحاول تغطية هذا النقص بإهانتها، وهل ينفعه ذلك شيئا؟ بل يزيده ذُلا إلى مذلة، واحتقارا إلى حقارة، فيتق الله هذا الصنفُ من الناس، وليعلموا أن دين الإسلام، أعطى المرأة حقها كاملًا غير منقوص، وليعلموا أن الزواج لم يكن لقضاء الرغبة الجنسية فقط، بل له أهداف سامية، وله واجب شريف وهو طلب الولد.

إن من أهداف الزواج الأساسية: بناءَ البيت الصالح، الذي ينتج أولادًا صالحين يعبدون ربهم، ويصلون أرحامهم ويبرون بأهلهم، ويساعدون في بناء مجتمعهم، وخدمة أمتهم، ووطنهم.

ووجود الخلاف في الأسره ليس بغريب؛ فما من مجتمع كبيرا أو صغير، حتى بين اثنين، إلَّا ويحصل فيه خلافٌ عند تبادل الآراء وَوجهات النظر، ولكنه لا يؤثر في أسس الأسرة وبنائها، بل يعالج بالتي هى أحسن حتى يزول.

أما ما يفعله بعض الأزواج في التسرع في الطلاق، وإخراج زوجه من المنزل عند أدنى خلاف، ثم بعد لحظة يندم ويبحث عن الحلول.

وما يفعله بعض النساء، فتخرج من بيت بَنَتْه، وتترك أولادها، ومملكتها؛ لأدنى سبب ليس هذا من العقل، ولا من الحكمة، ولا يزيد الموقف إلا توترًا وحِدة، فلابد من الصبر والتحمل، والتماس الحلول المناسبة، وخير الحلول ما ينص عليه القرآن الكريم، والصلح هو أفضل السبل.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾[١]

---

(١) سورة النساء آية رقم (٣٥).

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (1) .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات ، والذكر الحكيم .

اللهم ؛ علمنا من القرآن ما جهلنا ، وذكرنا منه ما نسينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا ، ويسر به ألسنتنا ، ووفقنا للعمل به ، وتحكيم آياته ، واتباع منهاجه إنك على كل شيء قدير ، اللهم ؛ اغفر لنا ، ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٢٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، واحد في ربوبيته ، وفي إلٰهيته ، وفي أسمائه وصفاته .

واحد في أمره ونهيه ، وشرعه ، وملكوته .

وأشهد أن سيدنا ، ونبينا ، محمدًا ، عبده ، ورسوله . تمَّم مكارم الأخلاق ، وطهر المجتمع من أدناس الجاهلية .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، واقتفى أثره ، واستقام .

أما بعد .. فكثيرًا ما ترد الأسئلة عن النمصِ ، وُحكمِه في شريعة الإسلام . ومعلوم أن التشريع ، وتقريره للحلال والحرام مبنى على النَّص من كِتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

والنمص هو : نتف الشَّعرِ من الوجه كما قاله الإمام النووي في شرح مسلم ، وقال في « القاموس » : النمصُ : نتف الشعر .

وغالبًا ما تستعمل النساء النمص ، لترقيق الحواجب وتقويسها ، من باب التجمُّل والزينة .

وأما حكمه في الشرع ، فلا مجال للاجتهاد مع النص ، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما . ورواه غيرهما عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : « لعن الله الواشمات ، والمستوشمات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله ، ما لي لا ألعن من لعنه الله ورسوله ، وهو ملعون في كتاب الله ؟ ! » هذا لفظ البخاري[١] ، وكل شيء رتب عليه لعن فهو كبيرة .

---

(١) صحيح البخاري [٨/ ٦٣٠] رقم (٤٨٨٦) فتح .

وزاد مسلم ، قال : فبلغ ذلك امرأة من بني أسدٍ يقال لها : أمُ يعقوب ، وكانت تقرأ القرآن فأتته (أي عبد الله) ، فقالت : ما حديث بلغني عنك ، أنك لعنت الواشماتِ ، والمستوشمات ، والمتنمصات والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله ، لقد قرأت ما بين لوحيْ المُصحف فما وجدته ، قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، قال الله عز وجل : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ قالت المرأة : فإني أرى شيئًا من ذلك على امرأتك الآن قال : اذهبي فانظري . قال : فدَخَلَتْ على امرأة عبد الله بن مسعود ، فلم تر شيئًا ، فجاءت إليه ، فقالت : ما رأيت شيئًا ، فقال : «أمَّا لو كان ذلك لم نُجامعها»[1] أي : لم نخالطها ولم نجالسها ، ولم نصاحبها ، بل كنا نطلقها ، ونفارقها .

فاتقوا الله عباد الله ؛ اتقين الله يا نسَاء المؤمنين ، إن النامصة هي التي تنتف الشعر ، والمتنمصة : المنْتُوفُ منها ، والمتفلجات : اللاتي يبردن أسنانهن ؛ للتفريق بينهن ، من غير مرض ؛ وإنما للحسن ، والإيهام بأنها صغيرة شابة ، والواشمات ، وهن اللائي يضعن الوشم تغرز الجلد بإبرة فإذا دَمِي ، وضعت عليه ورسًا أوِ كحلًا فيخْضَرُّ ، وقد : يجْعل نقشاتٍ مختلفة سواء في الوجه ، أو في أي مكان من الجسد ، والمستوشمة التي تطلب الوشم . هذه الأفعال من أعمال الجاهلية ، وهو محرم ، مصاحب باللعنة فلا يُحمل على الكراهة والتنزيه ، بل هو كبيرة ، ومن عمل الشيطان ، الذي توعد به بني آدم ، كما قال تعالى :

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا

---

(١) صحيح مسلم [١٦٧٨/٣] برقم : (٢١٢٥) .

مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[١].

راقبوا ربكم، واعملوا بتعاليم دينكم، وسنة نبيكم - صلى الله عليه وسلم - وانقذوا أنفسكم **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾**[٢].

(١) سورة النساء آية رقم (١١٧-١٢٠).
(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة والستون

١ / ١١ / ١٤٠٢

[حدود العورة]

الحمد لله رب العالمين[1] ، والعاقبة للمتقين .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه .

أما بعد ..فقد كثرت الأسئلة ؛ عما يحل النظر إليه من بدن الإنسان ، وما يحرم . وبعض السائلين يشير إلى كثرةِ المفتين ، وتنوع الأقوال ، وطلب مني بعضهم بيان ما يؤيده الدليل من الكتاب والسنة .

ينبغي أن يعلم أن سبب الخلاف بين العلماء المحققين في الفروع[2] ؛ إما لأن الدليل بلغ أحدهم ، ولم يبلغ الآخر ، أو لصحته عند بعضهم ، ولم يصح عند الآخر ، أو لفهم يهبه الله لبعض دون بعض ، أو لتغير حال عن حال ؛ ولذلك نجد لبعض الأئمة في المسألة الواحدة قولين ، والكل إن شاء الله تعالى يُثاب على اجتهاده ، وعلى صوابه .

ومعرفة ما يباح النظر إليه ، وما يحرم ؛ يستلزم معرفة عورة الرجل ، وعورة المرأة ، فالعورة يجب سترها ، ومنع النظر إليها إلا لضرورة ، فالعورات بالنسبة للرجل مع المرأة ، والمرأة مع الرجل ، أربعة أقسام هي :

عورة الرجل مع الرجل ، وعورة الرجل مع المرأة ، وعورة المرأة مع المرأة ، وعورة المرأة مع الرجل .

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) راجع رفع الملام ، عن أئمة الأعلام للإمام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى ، وإنها لنافعة ومفيدة جدًا في هذا الباب المهم .

فأما عورة الرجل مع الرجل ومع المرأة؛ فهي من السرة إلى الركبة، والفخذ عورة؛ لعدة أحاديث متضافرة[١]، وعورة المرأة مع المرأة، كالرجل مع الرجل؛ من السرة إلى الركبة.

وأما النوع الرابع، وهو عورة المرأة مع الرجل، فهو موضع المعركة، ومحل السؤال، فأما الزوج فله شأن خاص. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[٢].

وأما المحارم غير الزوج؛ فالذي يؤيده الدليل، ويوافق قواعد الشريعة ومقاصدها، أنه يجوز للرجل أن ينظر إلى وجه المرأة من محارمه، ورأسها، وكفيها، وقدميها فقط، ومعني المحرم، أي: الذي يحرم عليه أن يتزوجها تحريمًا مؤبدًا؛ إما لقرابة، أو لرضاع، أو مصاهرة، أي: لنسب، أو سبب.

وأما ما وقع فيه بعض الناس من التساهل والإهمال، فليس بدليل على الإباحة، ولا يجوز التكلف من أجل إرضاء الناس.

وأما من قال: إن عورة المرأة مع محارمها من السرة إلى الركبة، فلم أجد عليه دليلًا من كتاب ولا من سنة، وليس من صفات العفة والحشمة، ولا يوافق مقاصد الشريعة وقواعدها، والمرأة كلها عورة، يجب سترها[٣]؛ إلا ما ورد الدليل بجواز كشفه، كما سيأتي، إن شاء الله تعالى.

وأما المرأة مع الرجل الأجنبي، فالذي يدل عليه الكتاب والسنة أنه يحرم على المرأة أن تكشف له شيئًا من بدنها لا الوجه، ولا الكفين، ولا القدمين، ويحرم على الرجل أن ينظر إلى شيء من بدن المرأة غير محارمه، وليس في ذلك مشقة، ولا

---

(١) قال البخاري في الصحيح، كتاب الصلاة، باب رقم: (١٢)، وعنوانه: باب ما يذكر في الفخذ، ويروى عن ابن عباس، وجرهد، ومحمد بن جحش، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، «الفخذ عورة»، ثم شرح وفسر الحافظ هذه التعليقات، ثم قال: في الفتح (١/ ٤٧٨،٤٧٩)، وقد ذكرت كثيرًا من طرقه في تغليق التعليق، وقد ذهب البخاري إلى أن الفخذ ليس بعورة، وقد رد عليه الإسماعيلي، ذكر ذلك الحافظ في الفتح [١/٤٧٩]، وهو الراجح، والله أعلم.

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٨٧).

(٣) لم أقف على هذا اللفظ مرفوعًا، وإنما هو معنى صحيح، يؤخذ من عدة آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، ومنها قوله تعالى في سورة النور: **﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾** آية رقم (٣١)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا.

تكلف، فخير لها ألّا ترى الرجال ولا يروها، والألبسة المخصصة متوفرة.

وقد حقق العلامة صاحب أضواء البيان - رحمه الله تعالى - هذه المسألة، تحقيقًا شافيًا كافيًا، وذكر الأدلة على وجوب ستر الوجه عن الأجانب من الكتاب والسنة، ورد القول بجواز كشف وجهها، وأجاب عن أدلة المجيز عند تفسير آية الحجاب في سورة الأحزاب(١).

وملخص ما قاله - رحمه الله - في سبعة أدلة على وجوب الستر:

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾(٢).

فتعليل الأمر بالحجاب بطهارة القلوب - دليل على أن الحجاب واجب على نساء المؤمنين، كما هو واجب على نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - لأن الطهارة مطلوبة للجميع، بل غير أهل البيت أحوج؛ لأسباب الطهارة والعفة منهن.

٢ - الدليل الثاني على وجوب تغطية الوجه، قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾(٣).

إنه لا نزاع بين المسلمين في وجوب ستر الوجه على أمهات المؤمنين، فذِكرُ نساء المؤمنين معهن دليل على أن ستر وجوههن عن الأجانب واجب، وأيضًا قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ أي: بِستر الوجه الذي هو الحجاب، وتغطية البدن بالجلباب.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾(٤) ثم قال: ﴿وَلَا

(١) ذكر ذلك في كتابه أضواء البيان عند تفسير هذه الآية الآتي.
(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٣).
(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٩).
(٤) سورة النور آية رقم (٣١).

﴿يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ الآية ؛ فالزينة نوعان : ظاهرة يتعذر سترها ، كالجلباب ، والعباءة فوق الثياب ، فهي ما ظهر من الزينة[(١)] .

والنوع الثاني : ما يمكن ستره ، وهو ما لامس الأعضاء ، كالحلي ، والحناء ، والكحل ، وهو ما أبيح للمحارم النظر إليه ، ومنع الأجانب عنه .

٤ - سبب نزول آية الحجاب ، أن النساء كن يكشفن وجوههن ؛ فيعْرِض لهن الفُساق ، فأمرن بالحجاب ؛ ليعرفن بالحشمة والعفة والحصانة ، لا بكشف الوجه والتبرج .

٥ - قوله تعالى : ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾[(٢)] .

فالمرخص لها في وضعه من الثياب ، هو العباءة والخمار عن الوجه ؛ لأنه لا حاجة لها في الرجال ، ولا حاجة لهم فيها ، لكبر سنها ، وتغير منظرها ، فخفف عنها ؛ لضعفها ؛ ولعدم الفتنة فيها .

ولم يقل أحد : إنها تتجرد من ثيابها ، فدل ذلك على أن المرأة الشابة لا تضع خمارها ، ولا جلبابها أمام الأجانب .

٦ - الدليل السادس على وجوب ستر وجه المرأة عن الأجانب :

فعل نساء المؤمنين لما نزلت آية الحجاب ، شققن من مروطهن ، واختمرن بها . قال في فتح الباري : أي : غطين وجوههن[(٣)] .

---

(١) إشارة إلى أثر عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره بإسناد صحيح عنه عند تفسير هذه الآية الكريمة .

(٢) سورة النور آية رقم (٦٠) .

(٣) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - خ برقم : (٤١٤١) المغازي : باب (٣٤) ، باب حديث الإفك ، وفيه لفظ صريح على تغطية الوجه ، وهو : « فخمرت وجهي بجلبابي » ، وأما الحديث الذي أورده الخطيب فهو أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٤٧٥٨) =

٧ - الدليل السابع ما ورد في السنن من أن النساء عورة، ومنع دخول الرجال الأجانب عليهن[(١)]، وما في الصحاح من أنه خير للمرأة ألّا ترى الرجال، ولا يروها[(٢)]، وأن بقاءها في بيتها خير لها، وأن صلاتها في قعر بيتها أفضل[(٣)] لها؛ ذلك من أجل ألّا يراها الرجال الأجانب، وهو دليل على وجوب ستر جميع بدنها، بما فيه الوجه والأطراف.

فاتقوا الله عباد الله؛ ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[(٤)]: فاتبعوه، وأخضعوا أموركم لنصوصه.

ولا تتأولوه؛ لموافقة عاداتكم، ورغبات نسائكم.

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم.

= تفسير سورة النور، وهو من حديث عائشة - رضي الله عنها - وقد شرحه الحافظ في الفتح [٨/٤٨٩، ٤٩٠].

(١) إشارة إلى حديث أم سلمة - رضي الله عنها - أخرجه الإمام أحمد في المسند، وأصحاب السنن الأربعة، وصححها الحافظ في الفتح [٩/٣٣٧]، «أفعمياوان أنتما ؟» ؟

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - خ الجهاد [٦/١٠٠]، ومسلم في الصحيح برقم (١٢٤١).

(٣) إشارة إلى حديث أم سلمة - رضي الله عنها - أحمد في المسند [٦/٢٩٧]، [٦/٣٠١]، وإسنادهما حسن لغيره.

(٤) سورة الإسراء آية رقم (٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين[١] ، هو أهل المجد والثناء[٢] ، هدانا للإسلام ، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلًا[٣] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[٤] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أتم مكارم الأخلاق ، وأذهب الله به الرجس عن المؤمنين ، وطهرهم تطهيرًا .

اللهم ، صلِّ على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وسلِّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فإن المنْصِفَ المطلَع على قواعد الشريعة ومقاصدها - يعلم أنه يبعد كلَّ البعد ، أن يأذن الشارع للنساء في الكشف عن وجوههن أمام الرجال الأجانب ، مع أن الوجه هو أصل الجمال ، وهو محل الفتنة ، والنظر إليه من شابَّة جميلة ، هو أعظم مثير للغريزة ، وداع إلى الشهوة والفتنة ، والوقوع في المحذور .

أترضى أيها المسلم أن تسمح للشباب والفسعاق بالنظر إلى نسائك وتعريضهن للفتنة والإيذاء ؟

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) إشارة إلى أثر أبي عبيدة بن عبد الله الجراح الفهري - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح ، برقم خاص (١٩٤) ، وعام (٤٧١) الصلاة .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء آية : رقم (٧٠) .

(٤) الفتح : (٢٨) .

وما عجبٌ أن النساء ترجلت ولكن تأنيث الرجال عجيبُ

والعجب كل العجب ممن يدعي من المنتسبين للعلم ؛ أنه لم يرد في الكتاب والسنة ما يدل على وجوب ستر وجه المرأة عن الأجانب ، مع أن الآيات تضمنت الأمر بستره ، والصحابيات فعلن ذلك ممتثلات أمر الله في كتابه ؛ إيمانًا بتنزيله ، وتصديقًا لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد أثنت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - على نساء الصحابة بمسارعتهن لامتثال أمر الله بستر الوجه(١) .

ونحن ولله الحمد في هذه البلاد السعودية ؛ قد امتثلت نساؤنا أوامر الله ، واقتدين بنساء النبي ، ونساء الصحابة في ستر الوجه ، وجميع البدن عن الأجانب ، فلا يحق لأي إنسان أن ينقل الوضع من الحال الحسنة المفضلة الواجبة ، إلى السفور والتبرج ، ولم يقل أحد بوجوبه ؛ من أجل موافقة ما ألفه نساؤهم ، واعتادوه في بلادهم ؛ فليست العبرة بالعادات ، وإنما العبرة بنصوص الشريعة وأحكامِها .

إنه لم يقُل أحد من الناس بأن كشف الوجه واجب أمام الأجانب ؛ فكيف يدعو بعض الناس إلى السفور ويفتي بما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ ! .

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢) .

وأما القول بالجواز فليس فيه دليل صريح صحيح .

وكل أدلة المبيحين ثلاثة أحاديث ، أجاب عليها صاحب أضواء البيان ، بما ملخصه :

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، عزاه الحافظ في الفتح [٨/ ٤٩٠] ، إلى الحاكم في المستدرك ، وذلك من حديث زيد بن الحباب ، عن إبراهيم بن نافع ، ثم ذكر الأحاديث الأخرى ، ومنها حديث عائشة - رضي الله عنها - في هذا الباب ، الذي أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ، وفيه : والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، أشد تصديقًا بكتاب الله ، ولا إيمانًا ، بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ فانقلب رجالهن يتلون عليهن ما أنزل فيها ، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها ، ثم ذكر الحديث .

(٢) سورة النور آية رقم (٦٣) .

فأما حديث أسماء[١] : فهو مرسل ، وفيه راوٍ ضعيف ، ولو فرض صحته ؛ فإنه يحمل على أنه قبل الأمر بالحجاب .

وأما حديث جابر - رضي الله عنه - في سفعاء الخدين[٢] ، وحديث الفضل بن العباس في المرأة الوضيئة ، فليس فيهما تصريح بأن المرأتين كانتا كشفتا عن وجهيهما ، وأقرهما النبي صلى الله عليه وسلم . ولو فرض كشفه ؛ فإنه يحمل على أنه بدون قصد منهما[٣] .

فبطل القول بجواز كشف وجه المرأة عند الأجانب ؛ لعدم الدليل المخصص للأمر بالوجوب .

فاتقوا الله عباد الله ؛ وراقبوه ، وحافظوا على كراماتكم ، وتأدبوا بآداب الإسلام ، وتحلوا بمكارم الأخلاق ، وصلوا على البشير النذير[٤] .

فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال جل قائلا عليمًا ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾

وقال صلى الله عليه وسلم : « **من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا** » .

---

(١) د شرحه في عون المعبود [١١/١٦١،١٦٢] في إسناده خالد بن دريك ، لم يدرك عائشة . قاله الإمام أبو داود في سننه ، عقب هذا الحديث ، وفي إسناده سعيد بن بشير ، وهو مدار الحديث .

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح ، العيدين حديث رقم خاص (٤) ، وعام (٨٨٥) ، وجوابه في قوله تعالى في سورة النور آية رقم (٦٠) .

(٣) أما حديث الخثعمية الذي أخرجه البخاري وغيره ففيه زيادة مهمة عند الحافظ أبي يعلى الموصلي في مسنده ، وقد ذكرها الحافظ في الفتح [٤/٦٨] ، وصححها ، هي تقضي على جميع الشبه ، وفيها أن الرجل كان يعرض ابنته على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رجاء أن يتزوجها ، وأما حديث جابر - رضي الله عنه - فالآية في سورة النور برقم (٦٠) ، توضح وتفسر هذا الإجمال ، والله أعلم .

(٤) إشارة إلى آية الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة والستون

٩ / ١١ / ١٤٠٢

[حكم تعلم الفرائض]

الحمد لله رب العالمين[١] هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وهو بكل شيء عليم[٢].

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾[٣].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٤].

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقوى.

أما بعد .. فإن من العلوم الإسلامية علمًا اجتماعيًّا اقتصاديًّا، تولى الخالق - تبارك وتعالى - في القرآن بيانه وتفصيله.

وورد الترغيب في تعلمه وتعليمه، وهو من أجلِّ العلوم قدرًا، وأرفعها شأنًا وأعظمها أجرًا، فيه خدمة للدين، وإحسان للمسلمين، قليل من يرغب فيه، وكثير من يحتاج إليه، إنه أحد العلوم الثلاثة التي قال فيها نبينا - صلى الله عليه وسلم -: (العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فضل: آية محكمة؛ أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة[٥].

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢).

(٢) سورة الحديد آية رقم (٣،٤).

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٥٥).

(٤) النجم آية رقم (٣).

(٥) د: برقم (٢٨٨٥) الفرائض، وجه برقم (٥٤) المقدمة والبغوي في شرح السنة برقم (١٣٦)، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي: وفيه ضعف؛ وفيه أيضًا عبد الرحمن =

إنه علم الفرائض، وتقسيم المواريث.

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «تعلموا الفرائض، وعلموها الناس، فإني امرؤٌ مقبوض؛ وإن العلم سيقبض وتظهر الفتن، حتى يختلف الرجلان في الفريضة، فلا يجدان من يفصل بينهما». رواه أحمد والترمذي(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: «تعلموا الفرائض، وعلموها؛ فإنها نصف العلم، وهوَ يُنسى، وهو أول ما ينزع من أُمتي.» رواه ابن ماجة(٢).

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «تعلموا الفرائض؛ فإنها من دينكم، وإذا تحدثتم فتحدثوا بالفرائض»(٣).

وروي عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: «مثل الذي يقرأ القرآن، ولا يحسن الفرائض، كمثل بُرنُس لا رأس له»(٤)، وقال ابن الحجاج المخزومي: «الاعتناء بعلم الفرائض، والاشتغال به مصلحة في الدنيا والدين»(٥) وحكي أن الوليد بن مسلم - رحمه الله - رأى في منامه أنه دخل بُستانًا، فأكل من جميع ثماره إلا العنَب الأبيض، فقَصَّ رؤياه على شيخه الأوزاعي - رحمه الله - فقال: «تُصيب من العلوم كلها إلا الفرائض، فإنها جوهر العلم، كما أن العنب

= ابن رافع التنوخي قاضي إفريقيه قال الحافظ في التقريب [٤٧٩/١]: ضعيف.

(١) ت: برقم (٢٠٩١) وهو من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وضعفه الترمذي نقلًا عن الإمام أحمد - رحمه الله - وقال الترمذي: «هذا حديث فيه اضطراب، والله أعلم»، وقد عزاه الحافظ في التلخيص برقم (١٣٤١) [٧٩/٣] إلى عدة مصادر.

(٢) جه برقم (٢٧١٩) باب: الحث على تعليم الفرائض، وقال المعلق [٩٠/٢]: أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: إنه صحيح الإسناد، وفيما قاله نظر، ثم ذكر علته.

(٣) ابن أبي شيبة في المصنف برقم (١١٠٨١) وإسناده صحيح، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٠٩].

(٤) ابن أبي شيبة برقم (١١٠٨٢) وفيه: كاليدين بلا رأس.

(٥) لم أقف على مصدره، والله أعلم.

الأبيضَ جوهرُ العنب »[١] .

إن علم الفرائض مِنْ فروض الكفاية ، فلابد للأمة من تقسيم فرائضهم ، ويُوزع تركاتهم على الورثة بالفريضة الشرعية ، ومصدر علم الفرائض ثلاث آيات في سورة النساء : الأولى - تبين أنصباء الآباء والأمهات والأولاد[٢] . والثانية - في حصص الأزواج وبعض الإخوة لأم[٣] . والثالثة . وهي في آخر السورة ، تبين توارث بقية الأخوة لأبوينِ ، أو لأب[٤] ، فنظام المواريث مستمد من هذه الآيات الثلاث ، ومن الأحاديث الواردة في ذلك ، مما هو تفسير وبيان ، وإذا تأملنا الآيتين السابقتين لآيات الميراث :

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[٥] .

فالأولى تحرّك شعور الرحمة في الآباء ، وتُذكرهم شُعورهم تجاه أبنائهم ، وتُخبرهم بأن هذا الشعور واجب عليهم للأيتام الذين فقدوا آباءهم ، والآية الثانية تَهُز كيان النفس ، وتحذر تحذيرًا شديدًا من غمط الأيتام حقوقهم ، فَمَا هو شعور من يحس النار تلتهب في بطنه ، وإنه سيلقى في نار مستعرة ؟ وإذا تأملنا أيضًا افتتاحية آيات المواريث : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾[٦] إنها تبين للبشر ، وتفهم بأن الله تعالى أرحم بالأبناءِ من آبائهم ، وأبر بالآباء من أبنائهم ، وأعدل من الأقرباء بأقربائهم ، وأن الخالق - تعالى - أولى بالناس من أنفسهم ، ومن آبائهم ، ومن أبنائهم ، فهو الذي

---

(١) لم أقف على مصدره والله أعلم.

(٢) سورة النساء آية رقم (١١) .

(٣) سورة النساء آية رقم (١٢) .

(٤) سورة النساء آية رقم (١٧٦) .

(٥) سورة النساء آية رقم (٩ ، ١٠) .

(٦) النساء آية رقم (١١) .

ينظم حياتهم، ويضع لها الأنظمة العادلة، التي تحفظ حقوقهم، ومصالحهم وتَدْفع المفاسد عنهم ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

فنظام البشر في كل مرافق حياتهم، ومتطلباتها مرده إلى خالقهم، فهو الذي يحكم بين الوالدين وأولادهم، وبين الأقرباء وأقربائهم، وهو الذي يوصي ويفرض، وهو الذي يحلل ويحرم في كل شيء، فكما أنه هو الذي يرزق، فهو الذي يقسم الميراث بين الناس، فمن عِندِه - سبحانه - تَرِدُ التنظيمات، والشرائع، والقوانين الشرعية، وعن الله يَتَلقى الناس الأوامر والنواهي بالقبول والرضا والتسليم في أخص شئون حياتهم، وهو توزيع أموالهم بين آبائهم، وذرياتهم، وأزواجهم، وأخواتهم، وهذا هو الدِّين، فليس للناس دين إذا لم يَتَلَقَّوا من الله وحده تنظيم شئُون حياتهم كلها؛ فنظام الخالق تبارك وتعالى أبر للناس وأنفع لهم مما يقسمونه لأنفسهم، وأصلح لهم مما يختارونه لذرياتهم، فلله الحمد والمنة على نعمة الإسلام وعدالته، وله الحمد على فضله وإحسانه على البشر، ولنعرف نعمة الإسلام في المواريث، أذكر لكم نماذج من نظام المواريث في الجاهلية قبل الإسلام.

قال الفخر الرازي - رحمه الله - ما ملخصه: «اعلم أن أهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئَين: بالنسب وبالمعاهدة».

أما النسب: فكانوا يورثون الرجال الذين يقاتلون على الخيل، ويأخذون الغنيمة، ويَحرمون النساء والصغار من الميراث»[2].

وأما العهد فمن وجهين: الحِلْف، والتبني، أما الحِلْف: فيقول الرجل لصاحبه: دمي دمك، وهدمي هدمك، وترثني وأرثك، وتُطلب بي، وأُطلب بك، فإذا مات أحدهما كان للحي ما اشترط من مال الثاني، وحرمت زوجته، وأبناؤه وأبواه الميراث، وأما التبني: فإن الرجل منهم كان يَتَبنَّى ابن غيره، فينسب إليه دون أبيه من النسب، ويرثه[3] مثلما استشهد سعد بن الربيع، وترك زوجته، وابنتين، وأخًا، أخذ

(١) سورة الأعراف آية رقم (٥٤).

(٢) التفسير الكبير.

(٣) إشارة إلى قوله - تعالى - في سورة الأحزاب آية رقم (٤٠).

الأخ المال كله ، فأتت المرأة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت : يا رسول الله ؛ هاتان ابنتا سعد ، وإن سعدًا قتل ، وإن عمهما أخذ مالهما ، فقال – عليه الصلاة والسلام – : « ارجعي فلعل الله أن يقضي فيه ، ثم رجعت إليه بعد مدة وبكت ، فنزلت آية الميراث ، فدعى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عمهما ، وقال : أعط ابنتي سعد الثلثين ، وأمهما الثمن ، وما بقي فهو لك »(١) وأما الجاهلية المعاصرة ، فهناك من يورث من لا يرث ، ويحرم من يرث ، وهناك من يورث النساء من المنقول ، ويحرمهن من العقارات ، وهناك من يماطل بحق الإناث من الميراث حتى تترل حقها قهرًا ، وأغرب من هذا الذين يحرمون أقرباءهم من الميراث ، ويوصون به للكلاب بدعوى الحرية ، وأن له أن يضع ماله كيف يشاء .

فاتقوا الله أيها الناس ، اتقوا الله واشكروه أيها المسلمون ، فإن نعمة الإسلام لا يعد لها نعمة .

تعلموا الفرائض فإنه ميسر لهن طلبه ، ولا يُسْتَغْنى عنه ، فما من أحد إلا وسيكون وارثًا ، أو موروثًا ، تدارسوا هذا العلم الفاضل ؛ لئلا ينقرض ، فإننا لا نجد في البلد إلا اثنين ، أو ثلاثة يعرفون نظام المواريث ، وحسابها ، ومقاسماتها ، وتقسيم التركات تقسيمًا فنيًا مترابطًا دقيقًا .

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾(٢) .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم .

---

(١) ت : برقم (٢٠٩٢) الفرائض وقال : « هذا حديث صحيح » حم في مسنده [٣/٣٥٢] من هذا الوجه واللفظ ، وإسناده حسن ..

(٢) سورة النساء آية رقم (٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين[١] اللهم ؛ لا نحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٢] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

﴿هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾[١] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن من فضائل الإسلام ترابط الأسرة ، وتعاطفها ، وتراحمها في الحياة وبعد الممات ، فلم تقف عناية الإسلام عند الآباء ، والأولاد والأزواج ، بل امتدت إلى بقية القرابة ، ولو كانت بعيدة ، ولو كانت قرابة إحسانٍ ؛ كولاء المعتق ، بل المسلمون كالأسرة الواحدة ؛ فالإمام ولي من لا ولي له بعقله ، ويرثه[٤] .

أما الذي يُوْرثُ كلالةً ، فهو : الميت ليس له والد ولا ولد ؛ وإنما يرثه إخوته ،

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم م : برقم (٢٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) سورة غافر آية رقم (٦٥) .

(٤) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أحمد في المسند [١/٢٥٠] وأصحاب السنن ، وإسناده صحيح .

سواء كانوا من الأم، أو من الأب، أو من الأب والأم، فأما الإخوة لأم؛ فيبين الخالق، تعالى، نصيبهم بقوله:

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ﴾(١).

فالإخوة لأم يستوي ذكرهم وأنثاهم في الميراث، ولا تزيد حصصهم عن الثلث.

أما الإخوة لأب وأم، أو لأب، فقد بين - تعالى - تقسيم الميراث بينهم بقوله:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾(٢).

تأملوا قوله - تعالى -: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾(٢). فمن خالف نظام الإسلام في التوارث فهو ضال، تائه عن طريق الإسلام.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ أعطوا أخواتكم نصيبهن من الميراث، فإن نصيبهن عندكم سحت وحرام، أعطوا أخواتكم نصيبهن، فإن منعه عار ونار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٢).

(٢) سورة النساء آية رقم (١٧٦).

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[١].

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائَكُته يُصَلُّونَ عَلَي النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢].

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٠).

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة والستون

٦ / ٧ / ١٥

[العناية بالأبوين]

الحمد لله رب العالمين ، أرحم بالأبوين من أولادهما ، فوصى بحقهما .

وأشهد ألَّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، قرن حق الوالدين بحقه في أكثر من آية .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، رحمة الله للعالمين ، ومِنَّتُه على الخلق أجمعين .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن بعض الأولاد يغفُل عن حق الوالدين ، أو يتغافل عنه ، أو يجهله ، والذي يتدبر القرآن الكريم ، ويتأمل سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – يجد أن الوصية بالوالدين تتكرر ، أما وصية الوالدين بالأولاد ، فقليلة تَرِدُ في حالات خاصة ؛ وظروف معينة . مثل وأد الأولاد .

ذلكم أن الأولاد في حاجة إلى الوصية ، والتذكرة بحق الوالدين ؛ لأنهم متَّجهون إلى مستقبل الحياة ، إلى الأصدقاء ، وإلى الملذات ، وإلى المصالح الشخصية .

أما الأبوان فليسا في حاجة إلى الوصية بالأولاد ؛ فالفطرة الإنسانية ، والحنان ، والشفقة ، والتطلع إلى البر والصلة ، والعطفِ ، والرعاية ، والصفاتُ المغروسة في الأبوين تدفعهما إلى رعاية الأولاد لضمان امتداد الحياة البشرية إلى الوقت المعلوم ، وإن الوالدين يبذلان لولدهما مِنْ أجسامهما ، وأعصابهما ، وأعمارهما ، ومن كل ما يملكان من عزيز ونفيس من غير تذمر ، ولا تأفف ، ولا شكوى ، بل بِفَرَحٍ وارتياح ،

وسرور، وكأنهما هما اللذان يأخذان، فالفطرة والميول النفساني في الوالدين كفيل بتوصية الوالدين نحو الأولاد، أما الأولاد فهم في حاجة إلى وصية مكررة؛ ليلتفتوا إلى الوالدين، إلى الأبوين اللذين سكبا عصارة عمرهما للأولاد؛ لراحتهم، فالوالدان لهما فضل، ولهما حقوق، وواجبات: واجب التوقير والاحترام، والرعاية، والكفالة، والطاعة في طاعة الله.

وما يملك الولد مكافأة الوالدين على ما بذلاه، ولو وقَّف حياته كلَّها عليهما، فالأب حمله في صلبه سنين، ورباه بكسبه سنين، وحنا على الأم، وعالها سنين، وعلّم وعالج، وسهر، ورفق، وأشفق على ولده.

والأم بطبيعة الحال تكلفت النصيب الأوفر للولد، وتجود بما تؤديه بطيب نفس، فهي حملت الجنين في بطنها تسعة أشهر، والله أعلم بما تجد، ثم الولاده آلام مضنية، وطلق مزعج، ونزيف الدم محقق، تدخل بسبب الولادة في مرض مخوف، لا تنفذ تصرفاتها في مالها إلا في الثلث[(١)]

قال الحافظ ابن كثير عند تفسير آية العنكبوت:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾[(٢)].

بعد الحث على توحيده - سبحانه - أمر عباده بالإحسان إلى الوالدين؛ فإنهما سبب وجوده، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق، فما يريد الوالد لولده إلا الخير، ولا يعظُ، ولا يعنف، ولا يوجه إلا ناصحًا، فمن حق الولد على أبيه تعليمه ما ينفعه في دينه، فيعلمه الصلاة، ويأمره بها إذا تم له سبع سنين، ويؤنّبه ويؤدبه على تركها، إذا تم له عشر سنين، لقوله صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر، وفرقوا

---

(١) المتنبي [٦/٨٦].

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٨).

بينهم في المضاجع » . حديث حسن ، رواه أبو داود .

وروى الترمذي حديثًا حسنًا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « علموا الصبي الصلاة لسبع سنين ، واضربوه عليها ابن عشرِ سنين » .

والأولاد هم رجال المستقبل فهم الأمة بعد حين ، والمسئولون إذا صلحوا ، وفي نشأة الأولاد على الدين - تأسيسُهم على مكارم الأخلاق ، وتمرينُهم على الفضائل ؛ لأن في الدين صلاح النفوس والعقول والأجسام ، فتربية النشء على الإسلام وتعاليمه من واجب الآباء والمربين والمؤدبين والمعلمين .

والأولاد نعمة من الله ، فمن شكرِ نعمة الأولاد تربيتهم على فضائل الأخلاق ، وترغيبهم في دين الله ، وتحبيب خالقهم إليهم ، وفي الأولاد يحصل النصرة ، وتدوم الذكرى ، وينبغي أن يكون الأباءُ والأمهاتُ قدوةً للأولاد في شرائع الإسلام الظاهرة ، يعلمونهم صفاءَ العقيدة والاتصال بالله وحده ، والاعتماد عليه دون من سواه ، ويعلمونهم قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾(١) .

ويعلمونهم الإيمان بالله ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، ويعلمونهم أركان الإسلام : شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ومعناها ، ويعلمونهم الصلاة ، وفضلها ، ومكانتها من الإسلام ، وتأثيرها في حياة الفرد والجماعة ، وتأثيرها في السلم : والحرب ، ويرغبونهم في صوم شهر رمضان ، ويبينون لهم فوائد الصوم ، وتأثيره في حياة الإنسان .

---

(١) سورة الشعراء آية رقم (٧٥ : ٨٢) .

وطاعة الأبوين لا تراعى في ارتكاب كبيرة، ولا في ترك فريضة عينية، وإنما تلزم طاعتهما في المباحات، ولن يوفي الابن حق الأبوين مهما خدمهما، وبذل لهما. روى الحافظ أبو بكر البزار، في مُسنده أن رجلًا كان في الطواف حاملًا أمه يطوف بها، فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم -: هل أديت حقها؟ قال عليه الصلاة والسلام: «لا ولا بزفرة واحدة».

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾(١).

فلله على العبيد نعمةُ الإيجاد، ابتداءً بالخلق، ونعمةُ الإبقاء والرزق، فتجب عبادته وحده لا شريك له، وللأم على ولدها نعمة الحمل والولادة، والحضانة، والبقاء، فيجب لها البر والإحسان، والمصاحبة بالمعروف.

وللأب على ولده نعمةُ التربية والتعليم، وحمله في ظهره سنين، وهو سبب أساسي في وجوده؛ فيجبُ له الشكر، وحسنُ الطاعة في المعروف؛ فنِعمة الله على الإنسان في الدنيا والآخرة، أما نعمة الأبوين عليه ففي الدنيا فقط، فَبَيْنَ النعمتين فرق كبير، فكذلك الفرق بين الحقوق والطاعة، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

يجب على الوالدين أن يعلما ولدهما حق الله عليه؛ فهو أول الحقوق، وحق الوالدين، وحقوق الأقرباء، والجيران والمجتمع، والإخوان.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ لا يحملنكم حب الأولاد، وحب راحتهم على ترك ما أوجب الله، والوقوع فيما حرم الله.

فاتقوا الله أيها المؤمنون؛ اتقوا الله أيها الآباء والأمهات في أولادكم، أحسنوا تربيتهم، واتقوا الله أيها الأولاد، في حق الخالق تعالى، وفي حق الآباء والأمهات.

اللهم؛ أعنا على شكرك وذكرك، وحسن عبادتك، اللهم؛ وفقنا لما تحب وترضى وألهمنا رشدنا، وقنا شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.

---

(١) سورة لقمان آية رقم (١٤).

اللهم ؛ وفقنا لأداء حقك علينا ، وأداء حق الآباء والأمهات ، وتقبل منا صالح أعمالنا وتجاوز عنا ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ، ولجميع المسلمين ؛ إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله رب العالمين ، خلقنا من العدم ، وربانا بالنعم ، وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا ، واحد لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا له موحّدًا .

وأشهد أن سيدنا ، ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، عرَّف أمته بحق الله ، وبحق الوالدين والأقرباء .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك ، نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ومن اهتدى بهديه ، وآمن برسالته .

أما بعد .. فإن الأم أكثر مشقَّةً على الولد ، كما قال جل شأنه في سورة الأحقاف :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾(١) .

فتجب لها الشفقة والعطف ، والبر والصلة ، من غير أن يُنْقص الولد شيئًا من حق الأب ، حتى لو أساء إلى الأم أولأمها أو أدبها ، فحقه باقٍ لا يتغير ، وتكون طاعة الأم من طاعة الله .

روى مصعب بن سعد عن أبيه قال : قالت أم سعد لسعد : أليس قد أمرك الله بطاعة الوالدين ؟ فلا آكل ولا أشرب شرابًا حتى تكفر بالله ، فامتنعت (أي الأم) عن الطعام والشراب حتى جعلوا يفتحون فاها بالعصا ، فنزلت الآية ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا** ﴾ وإذا قارنا بين هذه الآية ، وبين الآية في سورة لقمان :

---

(١) سورة الأحقاف آية رقم (١٥) .

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1].

مع الآية التي في سورة العنكبوت.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[2].

مع الحديث الذي رواه مسلم عن مصعب بن سعد، عن أبيه سعد، تيقّنًا أنه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق، ولا يجوز لأحد الأبوين أن يحمل الابن على معصية الله أيًا كان نوعها، ولا أن يزين له عملا فيه معصية، ولا أن يرغبه فيما خالف هدي النبي - صلى الله عليه وسلم؛ فإنه معصية، بل يعلمه الإيمان والتوحيد، والصدق والنصح، والوفاء والإخلاص لله وحده لا شريك له.

فاتقوا الله أيها المؤمنون بروا آباءكم تبركم أبناؤكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَي النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[3]

---

(١) لقمان آية رقم (١٤-١٥).

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٨).

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة والستون

١٤ / ١١ / ١٤٠٤

[الترغيب في الجهاد]

الحمد لله رب العالمين ، فرض الجهاد على المؤمنين ، وجعله ذروة سنام الإسلام ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١) .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له . ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾(٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وقال : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف » ، صلى الله عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فهل تعرفون ما هو العمل الذي يرفع الله به العبد في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ..

إنه الجهاد في سبيل الله ، كما في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عند الإمام مسلم .

إن الجهاد - يا عباد الله - باب من أبواب الجنة ، ومن وصل إلى بابها ، يوشك أن يؤذن له في الدخول ، وهو أقرب طريق يوصل إلى الله تعالى ، ومن سار على الدرب وصل ، الجهاد كله خير للمؤمن ، فإما حياةٌ كريمةٌ عزيزة ، وإما شهادةٌ في سبيل الله ، وحياةٌ أبدية في جنات النعيم ، والجهاد على الكافر هلاك ودماره إما حياة ذل وهوان ، وإما موت شقاوة ، وخلود في نار الجحيم .

---

(١) سورة الحج آية رقم (٤٠) .

(٢) آل عمران آية رقم (١٢٦) .

إن الجهاد - يا عباد الله - النشر دين الله، ولإعلاء كلمة الله، والدفاع عن شعائر الله ومقدساته، عن حرمات المسلمين وحقوقهم - من واجبات الإسلام ودعائمه؛ من تركه ألبسه الله الذلة، وشملة البلاء، وألزمه الصغار والهوان.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

إن الجهاد أربع درجات، «أعلاها وأفضلها: الجهاد بالنفس والمال، ثم الجهاد بالنفس، ثم الجهاد بالمال، ثم الجهاد باللسان والقلم والإعلام.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3].

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «من جهز غازيًا في سبيل الله؛ فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير؛ فقد غزا»، متفق عليه.

---

(١) سورة التوبة آية رقم (٣٨).

(٢) سورة المنافقون آية رقم (٨).

(٣) سورة التوبة آية رقم (١١١).

وقال - عليه الصلاة والسلام - « أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله » . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

وقال الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » رواه أبو داود بإسناد صحيح .

إن الله - تبارك وتعالى - قادر على أن ينصر دينه ، وأن يعلى كلمته ، وأن يعز أولياءه وأتباع نبيه صلى الله عليه وسلم بدون قتال ، ولا جهاد ؛ إما بهداية الناس إلى الحق ، كما قال سبحانه : ﴿ **لَوْ يشَاء، اللهُ لَهَدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾(١) ، وإما بأمر قاهر فوق طاقة البشر وإمكانياتهم ؛ كما حصل للأمم السابقة : قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وأصحاب الأيكة ، وفرعون وجنوده .

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢) ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴾(٣) .

ولكن الله - تعالى - له حِكَم بالغةٌ في أمره ونهيه وتشريعه ، لا تُدركها عقولُ البشر القاصرة ؛ إلا بعلم الله ، ولا تصورها أفهامهم المحدودةُ إلا بفتح من الله .

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٤) .

فإذا تأمل الإنسان مشروعية الجهاد ، ونتائج الجهاد ، وعواقبه ، وثمراته ، بتتبع التجارب ، والنظر في الحقائق ، يمكن أن يدرك شيئًا من مصالح الجهاد ، وما يخفى أكثر ، وما استأثر الله بعلمه أكثر وأكثر .

---

(١) سورة الرعد آية رقم (٣١) .

(٢) سورة النحل آية رقم (٤٠) .

(٣) سورة القمر آية رقم (٥٠) .

(٤) سورة الإسراء آية رقم (٨٥) .

أولًا – إن الإسلام يريد من المسلمين أن يكونوا هم القادة في كل الأمور، جعلهم الله أمة وسطا شهداءَ على الناس، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، اختارهم لحمل أمانته، وتبليغ رسالة، وتحكيم شريعته، والعدل بين الناس، وهذه الوظائف التي رُشحوا لها من قيوم السموات والأرض، تحتاج إلى قوة وعزيمة، وصلابة وجَلَد وصبر، وهذه الصفات، تحتاج إلى تحريك الهمم وإيقاظ الشعور، وإحفاز النفس، ولفت الانتباه دائمًا، ولا يكون ذلك إلا بالجهاد.

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾(١).

ثانيًا – إن الله تعالى جعل للبشر عقولًا وأفهامًا يدركون بها الخير والشر، والنافع من الضار، وخاطبهم بالتكليف، وأراد منهم أن يدخلوا في دينه باختيارهم، فإذا كانت الدعوة من بعضهم لبعض بالأمر المعهود بينهم، وفي مستواهم؛ انقادوا باختيارهم ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾(٢).

ثالثًا – إذا حصل النصر، والتأييد للمسلمين بالجهاد والكفاح والتعب والمشقة، وبذل الأموال والأنفس، كانت له حلاوة وطعمٌ، ومنزلة عالية في نفوسهم؛ فيحافظون على هذا النصر، والبقاء عليه، بخلاف لو حصل النصر بيسر وسهولة؛ فإنه يهون عليهم فقدُه.

رابعًا – إن الله تعالى أراد من المسلمين أن يكونوا أمة معتصمة بحبل الله جميعًا، متعاونة متكاتفة بين أفرادها وجماعاتها، والجهاد يحمل على التجمع والالتفاف تحت راية الجهاد؛ فيحصل التعاون على البر والتقوى، وحَمْل المسئوليات الإسلامية.

خامسًا – في الجهاد كرامةٌ لأولياء الله الشهداء، فلا تعلم نفس ما أخفى للشهداء من قرة أعين، وحياة في جنات النعيم، ولا تحصل هذه الشهادة إلا بالجهاد.

وهناك فوائدُ كثيرة في الجهاد، تدرك بالتتبع والتأمل، وكلها تعود على البشر.

---

(١) سورة الفتح آية رقم (٢٩).
(٢) سورة النصر آية رقم (١).

وقد تكفل الله تعالى للمجاهدين في سبيله بالنصر والتمكين ؛ ولكن قد يعجل الله بالنصر ، وقد يؤخره ؛ لحكم ومصالح أيضًا ، قد يُعرف بعضها بالنظر والتأمل ، والتدبر .

إذا علمنا هذا عرفنا أن الجهاد من شرائع الإسلام ، والنصوصُ من الكتاب والسنة كثيرة معلومة ، وعلى هذا فإنه يجب على كل مسلم أن يكون جُنديًا من جنود الله ، على استعداد دائمًا ، وعلى أهبة أبدًا في سبيل الله وفي سبيل الإصلاح ، وإعلاء كلمة الله ، لا في سبيل الإفساد والتخريب ، ولا في سبيل الدنيا والحمية فلا يجوز منك أيها المسلم ؛ أن تركن إلى الخمول والكسل ، ولا ينبغي لك أن ترى إخوانك المسلمين في كثير من البلدان يقتلون ويشردون ، ويفتنون عن دينهم ؛ فلا تثور الغيرة الإسلامية ، ولا تمد لهم يد العون والمساعدة .

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

اللهم ؛ لا تجعلنا في غَمرة ، ولا تأخذنا على غِرة ، ولا تجعلنا من الغافلين .

اللهم ؛ ثبتنا باليقين والبر والتقوى ، وذكر الوقوف بين يديك ، وارزقنا الحياء منك ، والخشوع فيما يرضيك ، وتُبْ علينا واغفر لنا ؛ إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) سورة التوبة آية رقم (٤١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله الجواد الكريم ، لا راد لما أعطى ، ولا معطي لما منع .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، بيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله ، وصفوتُه من خلقه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فأوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى ، فهي الأساس لكل خير ، وهى الوقاية من كل شر .

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[(١)] .

ثم اعلموا – رحمكم الله – أن لكم إخوانًا في الإسلام ، أحبابًا في الله ، شُردوا من ديارهم ، وأُخرجوا من بيوتهم وقتلوا ، يُتمت أطفالهم ، ورملت نساؤهم ، واستبيحت بيضتهم ، وسلبت حقوقهم ، حوصروا في قمم الجبال ، وأغوار الأودية .

إخوانكم في أفغانستان ، تسلطت عليهم الوحشية الروسية ؛ في هذا الوقت القاسي الذي اشتدَّ برده ؛ لقصد إبادتهم ، والقضاء على الإسلام وأهله .

تصوروا حال إخوانكم ؛ فهم بين برد قارس ، وجوع طاوٍ ، وقلة ما في اليد ، فراشهم الصخور ، ولحافهم الصقيع ، شعارهم الخوف والقلق ، ودثارهم القتل والقتال ، صابرون بإيمانهم أمام العدو المعتدي ، ينتظرون فرج الله ونصرَه ، قد استنصروكم فعليكم النصر ، أعينوهم بكل ما تستطيعون ، أعينوهم بالسلاح والمال والرجال ، أعينوهم بالدعاء والتضرع إلى الله في السر والعلن ، ﴿**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ**

---

(١) سورة الطلاق آية رقم (٢–٣) .

مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١) .

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾(٢) .

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ﴾(٣) .

انصروهم ينصركم الله ، وارحموهم يرحمكم الله .

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾(٤) .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾(٥) .

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾(٦) .

اللهم ؛ انصر المجاهدين في أفغانستان وفي كل مكان ، اللهم ؛ أنزل عليهم السكينة والأمنة ، وانصرهم بنصرك الذي وعدته عبادك المؤمنين ، اللهم ؛ عجل لهم فرجًا قريبًا ، وانصرهم على عدوك وعدوهم ، اللهم ؛ أنزل الرعب في قلوب الكافرين المعتدين ، وزلزل أقدامهم ، وشتت شملهم وفرق جمعهم ، واجعل بأسهم بينهم ، وَرُدَّ

(١) سورة الأعراف آية رقم (٥٦) .
(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٤٥) .
(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٦١) .
(٤) سورة الحج آية رقم (٣٩،٤٠) .
(٥) سورة إبراهيم آية رقم (٤٢) .
(٦) سورة إبراهيم آية رقم (٤٧) .

كيدهم في نحورهم .

اللهم ارْمِهم بسهمك الصائب ، وأنزل عليهم بأسك الثاقب ، ياولي المستضعفين ، يا ذا القوة المتين ، يا مجري السحاب ، ويا هازم الأحزاب ، أنزل على المعتدين أشد العذاب ، واجعلهم عبرة لأولى الألباب .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكته يُصَلُّونَ عَلَي النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١] .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة المؤلف	أ
موجز عن حياة سماحة الشيخ عبد الله بن زاحم	٥
الخطبة الأولى : الاستعداد للعدو بالقوة	٨
الخطبة الثانية : يوم الفرقان	١٥
الخطبة الثالثة : في الجهاد	٢٦
الخطبة الرابعة : وجوب طاعة القائد في غير معصية	٢٣
الخطبة الخامسة : الجهاد في سبيل الله	٤٠
الخطبة السادسة : في الجهاد	٤٦
الخطبة السابعة : الهدنة	٥٣
الخطبة الثامنة : [انتصار الأفغان بسبب مساعي خادم الحرمين]	٦٠
الخطبة التاسعة : التأخي والتحذير من الفرقة	٦٧
الخطبة العاشرة : تنوع استعدادات الناس	٧٢
الخطبة الحادية عشرة : آثار المعاصي	٨٠
الخطبة الثانية عشرة : مؤتمر القمة الإسلامي في مكة	٨٧
الخطبة الثالثة عشرة : ساعة العسرة والثلاثة الذين خلفوا	٩٣
الخطبة الرابعة عشرة : النفير إذا طلب الإمام	١٠١
الخطبة الخامسة عشرة : تحريم قتل النفس المعصومة	١٠٩
الخطبة السادسة عشرة : لولي القتل عمدًا ثلاثة خيارات	١١٨
الخطبة السابعة عشرة : القصاص من عدالة الإسلام	١٢٦
الخطبة الثامنة عشرة : العقوبات تتناسب مع الجريمة	١٣١
الخطبة التاسعة عشرة : منافع الحدود للإنسان	١٣٨
الخطبة العشرون : الزجر عن الزنا	١٤٥

الموضوع	رقم الصفحة
الخطبة الحادية والعشرون : أضرار جريمة الزنا	١٥١
الخطبة الثانية والعشرون : حد الزاني	١٥٨
الخطبة الثالثة والعشرون : الزنا يسبب أمراضًا خطيرة	١٦١
الخطبة الرابعة والعشرون : حد القذف	١٦٨
الخطبة الخامسة والعشرون : الزجر عن اللواط	١٧٦
الخطبة السادسة والعشرون : عقوبة أكل الربا	١٨٥
الخطبة السابعة والعشرون : حد السرقة	١٩٠
الخطبة الثامنة والعشرون : الإسلام لا يكبت الغرائز بل ينظمها	١٩٨
الخطبة التاسعة والعشرون : حكم الزواج في الإسلام	٢٠٤
الخطبة الثلاثون : الترغيب في الزواج	٢١٣
الخطبة الواحد والثلاثون : الحث على تكثير النسل	٢٢١
الخطبة الثانية والثلاثون : لا يكون الخاطب محرمًا للمرأة إلا بالعقد	٢٢٩
الخطبة الثالثة والثلاثون : من شروط النكاح رضا الزوجين	٢٣٦
الخطبة الرابعة والثلاثون : الحفلات	٢٤٣
الخطبة الخامسة والثلاثون : المحافظة على عقدة النكاح	٢٤٩
الخطبة السادسة والثلاثون : التزم بين الزوجين	٢٥٦
الخطبة السابعة والثلاثون : عناية الإسلام بالأسرة	٢٦٣
الخطبة الثامنة والثلاثون : نظام البيت الإسلامي	٢٧٠
الخطبة التاسعة والثلاثون : المرأة غير الدَّينة خطر على الأسرة	٢٧٥
الخطبة الأربعون : فوارق بين الذكر والأنثى	٢٨٥
الخطبة الحادية والأربعون : المرأة مكلفة مثل الرجل	٢٩٢
الخطبة الثانية والأربعون : البيت معمل الإنتاج	٣٠٠
الخطبة الثالثة والأربعون : حقوق الوالدين	٣٠٦
الخطبة الرابعة والأربعون : البيع السعيد	٣١٢

الموضوع | رقم الصفحة

الخطبة الخامسة والأربعون : اختيار الأسماء الحسنة ٣١٨
الخطبة السادسة والأربعون : عاقبة التربية السيئة ٣٢٥
الخطبة السابعة والأربعون : وصية الأولاد بالوالدين ٣٣١
الخطبة الثامنة والأربعون : الأسرة الصالحة ٣٣٩
الخطبة التاسعة والأربعون : يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ٣٤٦
الخطبة الخمسون : الرضيع المبارك ٣٥٢
الخطبة الحادية والخمسون : حقوق المرأة ٣٥٨
الخطبة الثانية والخمسون : الإخوة من الرضاع ٣٦٦
الخطبة الثالثة والخمسون : الطلاق الرجعي والبائن ويليه طلاق السنة والبدعة ٣٧١
الخطبة الرابعة والخمسون : كاسيات عاريات ٣٧٨
الخطبة الخامسة والخمسون : التساهل بالصلاة ٣٨٥
الخطبة السادسة والخمسون : التعدد ٣٨٩
الخطبة السابعة والخمسون : عضل المرأة حرام ٣٩٨
الخطبة الثامنة والخمسون : حكم الظهار ٤٠٤
الخطبة التاسعة والخمسون : الرجال قوامون ٤١٢
الخطبة الستون : تعليم الأولاد ٤١٨
الخطبة الحادية والستون : التمسك بالفضائل ٤٢٤
الخطبة الثانية والستون : الحرية الصحيحة والحرية الكاذبة ٤٣٢
الخطبة الثالثة والستون : تنظيم الغرائز في الإنسان ٤٣٨
الخطبة الرابعة والستون : وجوب الحجاب على المرأة المسلمة ٤٤٤
الخطبة الخامسة والستون : من أهداف الزواج ٤٥٢
الخطبة السادسة والستون : حدود العورة ٤٥٨
الخطبة السابعة والستون : حكم تعلم الفرائض ٤٦٦

الموضوع	رقم الصفحة
الخطبة الثامنة والستون : العناية بالأبوين	٤٧٤
الخطبة التاسعة والستون : الترغيب في الجهاد	٤٨١
الفهرس	**٤٨٩**

خطب الجمع والأعياد

ألقيت على منبر خير العباد ﷺ

أعدها وألقاها
عبد الله بن محمد بن زاحم
الإمام والخطيب بالمسجد النبوي الشريف
ورئيس محاكم منطقة المدينة المنورة
(سابقاً)

المجلّد السادس

مكتبة العلوم والحكم
المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

خطب الجمع والأعياد

ألقيت

على منبر خير العباد ﷺ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فأقدم لك أخي القارئ المجلد السادس من الخطب التي ألقيتها على منبر رسول الله ﷺ ويشتمل على تسعة وأربعين خطبة في مواضيع مختلفة وعدد من المحاضرات والمقالات وأجوبة على أسئلة عرضت عليّ .

أسأل الله أن ينفع بها من قرأها وسمعها وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

المؤلف

عبدالله بن محمد بن زاحم

بسم الله الرحمن الرحيم

(التعريف بالمؤلف)

التعريف بسماحة الأخ العزيز الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة وخطيب المسجد النبوي وفقه الله تعالىٰ للخير والتي أخذتها من مصادر قريبة منه وهي موثقة ومدلله إن شاء الله تعالىٰ والذي جمع وألف رسالة قيمة بعنوان « فضل العلم والقضاء » والتي شرفني بتخريج آياتها القرآنية والأحاديث النبوية علىٰ صاحبها الصلاة والسلام والأقوال السلفية من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين فأقول وبالله التوفيق والسداد والإعانة .

أما نسبه :

فهو عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن زاحم بن محمد بن حسن بن سلطا بن زاحم ، من آل فضل المرازيق البقوم من الأزد. محمد بن حسن ، ولد له ابنان ، أحدهما زاحم ، وهو جد آل زاحم ، والثاني عوجان وهو جد آل عوجان ومنهم الشيخ الجليل محمد بن عبد الله عوجان المعروف في

بلدة الزبير ، وتفرّع عن عوجان ، غدير ، جد آل غدير ، وفايز جد آل سويد ، وآل علي (١) .

والأزد م ذرية سبأ كما رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ بإسناده عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وكذا الطبراني في الكبير وفي إسناده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف وله شواهد يقوىٰ بعضها بعضا ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره (٢) والهيثمي في مجمع الزوائد لفظ الحديث : أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن سبأ ماهو؟ أرجل أم إمرأة ، أم أرض ؟ قال ـ ﷺ ـ بل هو رجل ولَد عشرة ، فسكن اليمن ، منهم ستة ، وسكن الشام منهم أربعة ، فأما اليمانيون فمذحج ، وكندة ، والأزد ، والأشعريون ، وأنبار وحمير ، هذا نص ابن كثير ، وأما الشامية فلخم ـ وجذام وعامله، وغسان (٣) .

---

(١) تاريخ علماء نجد للشيخ عبد الله البسام : ٢/ ٥٨٨ و ٣ / ٨٧٨ و ٨٩٩ .

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالىٰ : ٥/ ٥٣٩ وقال في إسناده ابن لهيعة وفيه ضعف ثم ورد له شاهد آخر وهو قوي الإسناد ، وهو من حديث فروة بن مسبك ـ رضي الله عنه ـ ثم قال : وإسناده حسن .

(٣) مجمع الزوائد للإمام أبي بكر الهيثمي ٧/ ٩٤ هكذا قال . ثم قال : وعن يزيد بن حصين السلمي ـ رضي الله عنه ـ ثم ذكر نحو هذا اللفظ ثم قال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن الحسن بن صالح الصائغ ولم أعرفه أورد له الإمام ابن كثير في تفسيره شواهد كثيرة وقد ثبت هذا المعنىٰ . . إن شاء الله تعالىٰ ـ وقد ذكره القرطبي في تفسيره .

وكان الأزد يسكنون مأرب ، الوقع شمال صنعاء بمسافة مائتي كيلو فلما ضرب سد مأرب وحصل سيل العرم المذكور في سورة سبأ ، تفرقت القبائل ، فنزل عشيرة بن الأزد في وادٍ اسمه باقم يقع بين نجران صعدة ، فقيل سموا باسمه : البقوم ثم انتقل البقوم من ذلك الوادي ، ونزلوا وادي تربة الواقع في حدود نجد بما يلي جبال السراة جهة رنية ، وتفرع عنهم بطنان كبيران هما : آل محمد ، وآل زرع ، وتحت كل منهما أفخاذ ، وعشائر كثيرة [1] ، ثم نزح زاحم الأول من تربة إلىٰ القصب من مدة تزيد علىٰ سبعة قرون ، لأن الدرجة الثالثة عشرة من ذريته أعمارهم الآن ما بين الخمسين إلىٰ الستين[2] ، فإذا أعطينا كل جد ستين سنة فنضربه في ثلاثة عشر ٦٠/ ١٣= فسيكون ٧٨٠ سبعمائة وثمانين سنة وكان آل زاحم يتداولون أمارة القصب[3] حتىٰ غلبهم عليها السيايرة ، ثم استعادوها .

---

(١)تاريخ علماء نجد : ٢/ ٥٨٨ و ٣/ ٨٧٨ ، ٨٩٩ .

(٢) وقد ورد الحديث بهذا المعنىٰ وفيه : (أعمار في ما بين الستين إلىٰ السبعين) .
الترمذي برقم ٢٣٣١ الزهد وقال الترمذي : حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قلت : نعم أخرجه ابن ماجه في السنن برقم ٤٢٣٦ وإسناده لذاته وهو من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً بهذا اللفظ والترمذي برقم ١٥٥٠ أيضاً .

(٣) تاريخ علماء نجد : ٣/ ٥٩٩ .

موقع بلدة القصب :

وبلدة القصب من بلدان الوشم في قلب نجد ، تبعد عن شقراء شرقاً حوالي ثلاثة كيلو شرق النفود ، وتقع شمال الرياض بمسافة مائة وستين كيلو تقريباً .

ماذا تنتج القصب ؟ :

والقصب مشهورة بإنتاج الملح المائي ، ومن آثارها القديمة الزاهرية ، والدبكية ،الرقيبية ، والسياري ، وصيران ، حميدان الشويعر .

مولده :

ولد الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن زاحم في بلدة القصب عام ١٣٥٠هـ وهو من الدرجة الثالثة عشر بالنسبة للجد الأول زاحم ، وكان أبوه الشيخ محمد بن عبد الوهاب حافظاً للقرآن الكريم ، وإماما لمسجد في البلدة ، فتوسم في ابنه عبد الله خيراً ، لحرصه على الطلب والتحصيل وجدّ في تعليمه ، فأدخله في الكتاب عند الشيخ عبد العزيز بن محمد المحارب ، ثم عند المقرئ ، الشيخ عبد العزيز بن عوجان ، وحفظه أبوه القرآن الكريم من قصار المفصل ، حتى وصل إلى سورة طه ثم ثم توفي والده محمد بن عبد الوهاب عام ١٣٦٢هـ فأكمل الشيخ عبدالله حفظ القرآن الكريم فيما بعد .

نزوحه عن القصب :

لما توفي والده الشيخ محمد بن الوهاب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ رحل الشيخ عبد الله إلىٰ عمه في الرياض ، ليزداد علماً ، ومعرفه ، وكان عمه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ رئيساً لمحكمة الرياض ويساعده الشيخ محمد الخيال ـ رحمه الله ـ ثم جاء الإمام الجليل الشيخ عبد العزيز بن صالح ـ رحمه الله ـ إليها فيما بعد .

وفي عام ١٣٦٣هـ أمر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـ رحمه الله تعالىٰ ـ علىٰ الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم بتولي رئاسة محكمة المدينة المنورة والدوائر الشرعية بها ، فتوجه الشيخ الكبير عبد الله بن عبد الوهاب من الرياض إلىٰ المدينة المنورة ، عن طريق مكة المكرمة في شهر شوال عام ١٣٦٣هـ ومساعداه الشيخ محمد الخيال والشيخ عبد العزيز بن صالح ، والسكرتير الخاص به الشيخ عبد الرحمن الحصين ، وأبناء أخيه عبد الوهاب وعبد العزيز وعبد الله والحاشية وبعد انتهاء مناسك الحج توجهوا إلي المدينة المنورة فوصلوها في أول شهر محرم الحرم في بداية عام ١٣٦٤هـ والتحق الشيخ عبد الله صاحب الترجمة بالمدرسة المحمدية الابتدائية التي كانت عند باب المجيدي ، وكانت دروسها قوية ، وكان يديرها الشيخ عبد الكريم السناري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ومساعده عبيد ترجمان خازمان ، وكانت لهما هيبة ووقار

ونظراً للظروف المالية ترك الشيخ عبد الله صاحب الترجمة المدرسة، والتحق بالوظيفة وصار يدرس دراسة جديَّة عند المشائخ منهم عمه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم رحمه الله والشيخ محمد الخيال رحمه الله تعالىٰ في البيت وعند الشيخ عبد العزيز بن صالح ـ رحمه الله ـ بعد الفجر في المسجد النبوي الشريف ، وعند الشيخ عبد الرحمن الإفريقي في المسجد النبوي الشريف وفي مدرسة دار الحديث . ولما وصل العالم الجليل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المدينة النبوية الشريفة من بلاده توسط له رئيس المحكمة والدوائر الشرعية بالمدينة الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم رحمه الله تعالىٰ لدىٰ المسئولين في الدولة وفقهم الله تعالىٰ بمنحه الإقامة فأعطىٰ وسمح له بالتدريس في المسجد النبوي الشريف فأخذ عنه صاحب الترجمة في تفسير القرآن الكريم وعلومه ومن قال غير ذلك فقد وهم وأخطأ الذي توسط للشيخ محمد الأمين هو الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم ثم رغب الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم صاحب هذه الترجمة في المزيد من العلم والثقافة ، فأراد الالتحاق بدار التوحيد في الطائف ، إلا أنه لما سمع بأن معهدا علمياً سيفتح في الرياض عام ١٣٧٠هـ برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وإدارة أخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم رحمه الله ، وإن الشيخين الشيخ عبد الرحمن الإفريقي والشيخ محمد الأمين الشنقيطي سيد رسان

فيه انتظره وفي عام ١٣٧١هـ توجه للرياض للدراسة واستقال من الوظيفة ، وأحس بمس الغربة والوحدة إلا أنه صبر وثابر واحتسب فأعانه الله تعالىٰ ويسر أمره . ثم عين الشيخ عبد الله بن زاحم صاحب الترجمة إماما لمسجد الإمام عبد الرحمن الفيصل المعروف بمسجد الحسي الواقع في البطحاء بجوار البنك الأهلي بتاريخ ٨/ ١١/ ١٣٧٦هـ وكان المسجد يحتاج إلىٰ درج ومحل للماء فراجع المسئولين فأصلحت .

العلماء الذين استفاد منهم :

ومن العلماء الأجلاء الذين درس عليهم في المعاهد والكليات واستفاد منهم :

١ ـ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

٢ ـ الشيخ عبد الرزاق العفيفي .

٣ ـ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي .

٤ ـ الشيخ عبد الرحمن الإفريقي .

٥ ـ الشيخ محمد المختار الشنقيطي .

٦ ـ الشيخ حمد الجاسر أطال الله في حياته .

٧ ـ الشيخ عبد العزيز ابن رشيد .

٨ ـ الشيخ عبد الرحمن بن عدوان .

٩ ـ الشيخ عبد اللطيف سرحان ، وغيرهم .

ثم تخرج الشيخ عبد الله صاحب الترجمة من كلية الشريعة ونال الشهادة العالية عام ١٣٧٨هـ وسجلت برقم ٥١ ، وكان يقضي العطلة الصيفية في المدينة المنورة ، ويتزود من علمائها وبعد التخرج طلبه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأصر على تعينه مساعداً لرئيس محكمة حائل فاعتذر وبقي شهران في الرياض وهو يعتذر ، فلم يقبل منه وبتاريخ ١١/ ٤/ ١٣٧٩هـ عين الشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم صاحب الترجمة مساعداً لرئيس محكمة حائل بالقرار رقم ١٢٥ وكان رئيسها الشيخ عبد الله بن صالح الخليفي ، فلما انحرفت صحة الشيخ الخليفي وأحيل للتقاعد رحمه الله عين الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم رئيساً للمحكمة بالقرار رقم ١٣٧ في ٤/ ٤/ ١٣٨٠هـ فعمل على رفع مستوى المحكمة فطالب لها بمحكمة مستعجلة ، وكتابة عدل ، ومدير بيت المال ، وزيادة قضاة وكتبة ومستخدمين ، واقترح فتح ثلاث عشرة محكمة في الملحقات لبعدها عن حائل وفتح بعضها وهو في حائل .

وكان الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم يقضي إجازته في المدينة المنورة عند إخوانه ، وأسرته ويحن إلى الرجوع إليها لمحبته المثالية الشديدة ، ورغبته الأكيدة للمدينة النبوية الشريفة ولسكناها والمكث فيها إلى أن ينتقل إلى جوار ربه جل وعلا لحديث عائشة رضي الله عنها ، الذي أخرجه الشيخان في صحيحهما وغيره من أهل السنن والمسانيد خ برقم ١٨٨٩ فضائل المدينة بسياق طويل وفيه

وقال رسول الله ﷺ اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وبارك لنا في صاعنا وفي مدنا الحديث ـ ونحوه مسلم في الصحيح في كتاب الحج حديث رقم ٤٨٠ وفيه زيادة اللهم حبب إلينا المدينة وصححها ومن هذا قد تحققت أمنيته الغالية فيما أحب .

وفي عام ١٣٩٠ هـ عاد إلى المدينة المنورة ، وعمل في محكمتها ، وكان رئيس محاكم المدينة المنورة سماحة الشيخ عبد العزيز بن صالح ، ومساعده الشيخ عبد المجيد بن حسن الجبرتي ، فلما رفع الشيخ عبد المجيد إلى قاضي تمييز في مجلس القضاء بالرياض عين الشيخ عبد الله صاحب هذه الترجمة مساعدا لرئيس محكمة المدينة حسب الأمر رقم ٥٦ في ٢/ ١/ ١٣٩١هـ .

ورشحه سماحة الشيخ عبد العزيز بن صالح إماماً وخطيباً بالمسجد النبوي الشريف مساعداً له فوافق الملك فيصل رحمه الله تعالى كما عين عضواً في مجلس الأشراف على التدريس في المسجد النبوي الشريف بالأمر الملكي رقم ٢٩٧٧٤/ ٢/ م في ٢٦/ ١٢/ ١٣٩٣هـ ثم عينه الرئيس العام لشئون المسجدين المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف الشيخ ناصر الحمد الراشد إماماً وخطيباً للمسجد النبوي بالقرار رقم ٣٨٤ في ١/ ١٠/ ١٣٩٨هـ ثم عينه مجلس القضاء الأعلى قاضي تمييز بتاريخ ١٢/ ١٢/ ١٣٩٧هـ ولا يزال حتى الآن على هذه الوظيفة وبتاريخ ١/ ٧/ ١٤٠١هـ أجريت معادلة قضاة التمييز بالمرتبة الممتازة .

خدمات الشيخ عبد الله بن زاحم :

وإذا نظرنا إلى خدمات الشيخ عبد الله بن زاحم صاحب الترجمة فإنه وفقه الله تعالى آبتدأ عمله الإداري بتاريخ ١٧/ ١/ ١٣٦٤هـ والأمر باعتبار الخدمة ١٨ سنة صدر بتاريخ ١٦/ ٣/ ١٣٦٤هـ فالفرق شهران فلا يشمله الأمر وأفاد مكتب الديوان بالمدينة برقم ٤٥٢١ في ٢٥/ ٥/ ١٤١١هـ بأن الخدمة التي قبل ١٦/ ٣/ ١٣٦٤هـ معتبرة لو كان السن أقل من ١٨ سنة فالخدمة الإدارية من ١٧/ ١/ ١٣٦٤هـ حتى ٩/ ٣/ ١٣٧١هـ حتى هذا التاريخ ١٠/ ١٢/ ١٤١٤هـ خمسة وثلاثون سنة وثمانية أشهر والجميع أثنان وأربعون سنة وتسعة أشهر وخدمته في الإمامة في الرياض ٨/ ١١/ ١٣٧٦هـ حتى ١٩/ ٤/ ١٣٧٩هـ سنتان وستة أشهر وفي المدينة من ١/ ١/ ١٣٩١هـ حتى تاريخه هذا ١٠/ ١٢/ ١٤١٤هـ (١) أربعة وعشرون سنة إلا أيام . الجميع ست

---

(١) هذا التاريخ هو تاريخ كتابة الترجمة لكن الشيخ عبد الله حفظه الله استمر في القضاء بمرتبة قاضي تمييز وعين رئيساً لمحاكم منطقة المدينة المنورة بالأمر السامي الملكي رقم ٧/ ب/ ٧٥٧٣ وتاريخ ٣٠/ ٥/ ١٤١٦هـ وفي عام ١٤١٧هـ قدم الشيخ استقالته من رئاسة محاكم منطقة المدينة المنورة فأتت من المقام السامي بالموافقة اعتباراً من ١١/ ١٠/ ١٤١٧هـ وبقي الشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم أمد الله في عمره مستمراً في الإمامة والخطابة في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ ومتفرغاً للعبادة والمطالعة والتأليف حتى شعر بشيء من الإرهاق الصحي فقدم استقالته من الإمامة والخطابة وفي / / ١٤١٨هـ أتت الموافقة على الاستقالة من الإمامة والخطابة في المسجد النبوي الشريف =

وعشرون سنه ونصف .

وهذه المعلومات أخذتها من ملف خدمات المترجم له ومن شجرة نسبه ومن معلوماتي والمراجع الأخرىٰ ، وهي موثقة إن شاد الله .

مشائخه : الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم . الشيخ محمد الخيال . الشيخ عبد العزيز بن صالح . الشيخ عبد الرحمن الإفريقي . الشيخ محمد الأمين الشنقيطي . وفي الرياض سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز . الشيخ عبد الرزاق العفيفي . الشيخ عبد الله بن ناصر بن رشيد . الشيخ عبد الرحمن بن عودان . الشيخ حمد الجاسر . الشيخ محمد المختار الشنقيطي . الشيخ عبد اللطيف سرحان (١) .

مؤلفات الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم وفقه الله تعالىٰ للجد أمين :

١ ـ مجموعة خطب قيمة نافعة جدا أعدها وألقاها علىٰ منبر

=من رئاسة شئون المسجدين المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف فغد الشيخ أمد الله في عمره متفرغاً للتأليف والعبادة جعل الله عمره مديداً في طاعته مع التمتع بتمام الصحة والعافية وجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين كل خير وحفظه ورعاه أ . هـ . (صلاح محمد كرنبه ـ الدمشقي) .

(١) وهناك مدرسون في المعاهد والكليات أخذ عنهم سنين وهم كثيرون كما أخذ عن الشيخ محمد ثاني علم الرياضيات (أ . هـ / صلاح محمد كرنبه : نقلاً عن الشيخ عبدالله) .

المسجد النبوي الشريف منذ قدومه المدينة وقد وقعت في خمسة مجلدات كبار (١) وقد طبع منها المجلد الأول قسم الإيمان والثاني في التفسير والباقي تحت الطبع وسوف تطبع قريباً تباعاً إن شاء الله تعالىٰ فيما بعد .

٢ ـ موجز الكلام في فضل المدينة وملخص توسعة المسجد النبوي الشريف وهي رسالة صغيرة طبعت عدة طبعات .

٣ ـ كتاب فضل العلم والقضاء وهذه هي الرسالة التي رقمت آياتها القرآنية وخرجت أحاديثها النبوية والآثار السلفية تحت الطبع الآن(٢) .

٤ ـ تراجم قضاة المدينة النبوية الشريفة من عام ١٩٦٤ هـ حتىٰ سنة ١٤١٧هـ وهو تحت الجمع والتحرير (٣) .

اهتمامات الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم :

أما اهتماماته ورغبته فالمطالعة ، والتأليف فقد عرفته حريصاً

---

(١) بل ستة مجلدات وهذا هو المجلد السادس منها تم طبعها جميعًا والحمد لله رب العالمين .

(٢) تم طبعه والحمد لله .

(٣) طبع والحمد لله رب العالمين ، وقد تم طبع رسالة في أحكام الخمر والزنا وثانية بعنوان أيام في لندن ورسالة في التوحيد عقيدة أهل السنة والجماعة . والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل أ. هـ صلاح محمد كرنبه .

أشد الحرص على مطالعة الكتب القيمة النافعة ، والاستفادة منها على الدوام من كتب الحديث والتفسير والفقه وأصولها كما شاهدت عند تحضيره وإعداده خطب الجمع والأعياد والاستسقاء والخسوف والكسوف واستدلاله واستشهاده واقتباسه من تلك الأدلة التي استدل بها علي الأحكام الشرعية والآداب المرغبة والأخلاق النبيلة والعقائد الإسلامية الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة وهي كثيرة جداً كما نشاهد ذلك عند تخريجي لخطبه القيمة التي نُشر منها المجلد الأول الذي يتعلق بالإيمان والباقي تحت الطبع ومن هنا أدركت تماماً أنه وفقه الله كثير المطالعة والدراسة ولقد شاهدت مكتبته القيمة النافعة التي جمعت التراث الإسلامي الخالد العظيم وهي تقع في غرفتين كبيرتين زيادة على ما عنده في مجالسه العامة والخاصة من كتب كثيرة متنوعة ولقد أكثر النقل عن تفسير الإمام ابن كثير والقرطبي وابن الجوزي وغيرهم من أئمة التفسير وكذا (الحديث النبوي الشريف فقد أكثر النقل عن أصحاب الكتب الستة مع شروحاتها وعلى رأسها فتح الباري ونيل الأوطار وشرح النووي على صحيح الإمام مسلم هكذا وتجده ينقل كلام الأئمة الفقهاء الكبار كالإمام ابن قدامة المقدس الحنبلي صاحب المغنى وسائر كتبه فقد أكثر النقل عن المغني فيما يتعلق بالمسائل الفقهية ثم

---

(١) قد تم طبعها جميعاً كما أشرت إلى ذلك سابقاً . أ هـ صلاح كرنبه .

يذهب إلي جميع كتب الفقه إذا كانت المسئلة خلافية بين الفقهاء ثم يقارن بينها عن طريق الدليل الصحيح ثم يأخذ الصحيح مع الترجيح في ضوء الدليل مع ترحمه ودعائه لجميع الفقهاء المعروفين بالصلاح والرشاد من السلف والخلف . الذين كانوا على عقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

أما نقله للفتاوى إذا كانت القضية أو المسئلة تتعلق بالفتوى فإنه يكثر النقل من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله تعالى من القدماء ثم يثنيها من فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى وهكذا دأبه وشأنه دائماً وأبدا وفقه الله تعالى للخير .

أسلوب القضاء عند صاحب الترجمة :

فإنه وفقه الله تعالى كما عرفت وتأكدت يحتاط في القضايا ويتريث فيها كثيراً ويضبطها تمام الضبط صغيرة كانت أو كبيرة وقد كانت عنده قضيتي في السنوات الأخيرة مع رجل طبع كتابي ثم ادعى عليّ بأني أجزت لواحد من الناشرين قبل نفاذ الطبعة الأولى ولقد عرفت تماماً أن الشيخ المترجم له احتاط في هذه القضية وضبط إفادتي بالوفاء والتمام ثم حولها إلى وزارة الإعلام لكي تنظر فيها وقد سبق للإعلام النظر فيها وقد أنهاها في الرياض بعد ما ترددت

هذه القضية بين المدينة والرياض لأخذ إفادتي فيها لأن المدعي كان عمله في الرياض وكان مخطئاً فيها ثم ادعىٰ عليّ مرة أخرىٰ هنا بالمدينة ثم قدّمت الأوراق الرسمية إلىٰ سماحة الشيخ بإنهاء القضية في الإعلام وكان المدعي في وقت من الأوقات مرتبط بسماحة الشيخ لأنه كان مدرساً بالمسجد النبوي الشريف وكان قريباً منه جداً ومع ذلك لم يبال به وحول الأوراق والدعوىٰ إلىٰ وزارة الإعلام بالرياض التي سبق لها النظر فيها ثم الحكم في القضية ومن هنا تعرفت تماماً أن لا ظلم ولا استبداد ولا محاباة عنده وفقه الله تعالىٰ وسدد خطاه وهكذا نظام القضاء في الإسلام ثم بقي في القضاء إلىٰ يومنا هذا خمسة وثلاثون سنة وثمانية أشهر وأن هذه المدة الطويلة في هذه المهنة الشريفة أكسبت الشيخ مهارة وخبرة كبيرة مع علمه وزهده وورعه زاده الله تعالىٰ براً ووتوفيقاً وسداداً وخشية وخوفاً من ربه جل وعلا .

أما خطبه المنبريه : فإنه أعدها إعداداً جيداً بتلك الصور الرائعة التي تجدها في المطبوع ثم النظر في نصوصها الصحيحة المنقولة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وكلام السلف الصالح من أصحاب رسول الله ﷺ وممن تبعهم بإحسان ثم إلقاؤها وإسماعها ؛ كان أروع وأنفس، سمعها العالم الإسلامي منذ أمد بعيد عن طريق

الإذاعة والبث التلفازي المباشر كما حصل لي الشرف بتخريجها وما فيها من العلم المنقول كتاباً وسنة وذلك في الجزء الأول المطبوع فقد تكلمت عنها وعن بعض ميزاتها وأساليبها الحكيمة والبليغة فلا بد من مراجعة ذلك من المطبوع الجزء الأول وسوف تجد هذه الميزات المميزة إن شاء الله تعالىٰ وصلي الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

كتب ذلكم

العبد الفقير إلى الله تعالى

عبد القادر بن حبيب الله السندي

نزيل المدينة المنورة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة رقم (١)

تفسير يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم

الحمد لله رب العالمين . خلق فسوىٰ وقدر فهدىٰ ، وهو العلي العظيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . خلق الإنسان من طين وأسجد له ملائكته المكرمين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة ربه ونصح لأمته فأقام الدليل وأوضح السبيل . اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ اله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد : فإن الخالق تبارك وتعالىٰ خاطب الإنسان وعاتبه علىٰ تقصيره في جانب ربه . خلقه فسواه وجعله في أحسن تقويم ورباه بالرعاية والعناية والحفظ وبالنعم ومع هذا خالف أمره ونهيه وأنكر ما وصف الله به نفسه وجحد رسالاته وآذىٰ رُسله .

أسمعوا قوله سبحانه في سورة الانفطار في جزء عمَّ .

﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ إقرؤا السورة من أولها ﴿إذا

السماء انفطرت ﴾ فإن أول السورة بمثابة المقدمة لهذه الآية لتهيئة السامع لتلقي الموعظة لأنها تكون أشدَّ تغلغلاً في القلب (١) .

فالقادر على شق السماء وعلى نثر الكواكب وعلى تفجير البحر وبعثرة القبور ، وعلى إحصاء ما عمله الإنسان في أول أمره وآخره من الأقوال والأفعال ـ جدير بأن يُرهب وأن يُخاف من غضبه وانتقامه ، ولا يُغتر به . ولا يطاع إبليس في وسوسته .

إن خلق الإنسان على الصورة المعروفة الجميلة المعتدلة . كاملة الشكل والمنفعة . أمر يستحق التدبر والتأمل والشكر لله على نعمه والأدب مع الخالق سبحانه الذي أكرمه بهذه الخلقة فضلا وإحساناً فالله سبحانه قادر على أن يُركِّبه في أي صورة أخرى مشوهة ولكن الله بفضله وإحسانه على الإنسان اختار له هذه الصورة السوية تتوفر فيها عجائب الإبداع ، فهذه الأجهزة في الإنسان الجهاز العظمي والعضلي والجلدي والهضمي والدموي والتنفسي والتناسلي والفقري والعصبي وأجهزة الذوق والشم والسمع والبصر . وعُدَّ أخي المسلم ما شاء الله أن تَعدَّ من الأجهزة في جسم الإنسان كل جهاز عجيبة من العجائب يقف الإنسان مدهوشاً أمامها .

وإذا تأملنا واحدة من هذه العجائب وما ذكره الأطباء فيها :

(١) التحرير : ٣ / ١٧١ .

عرفنا قدرة الله ، عرفنا قدرة الخالق سبحانه وسعة علمه بما كان وبما لم يكن كيف يكون إذا كان فمن المستحيل أن يخترع الإنسان جهازاً يقوم مقام الصنع لاإلهي . فمثلاً اليد الإنسانية من المستحيل أن تُخترع آلة تضارعها من حيث البساطة والقدرة . وسرعة تنفيذ الإرادة مع الضبط والدقة ، والأذن عدة أجزاء فالأذن الوسطىٰ يقول علماء الطب إنها سلسلة تتكوَّن من أربعة آلاف قوس مدرجة بنظام دقيق جداً في الحجم والشكل تلتقط الأصوات علىٰ ما هي عليه فمن المستحيل أن يستطيع أحد من الناس أن يخترع أُذناً تضاهي الأذن البشرية فسبحان اللطيف الخبير .

وحاسة الإبصار فيك أيها الإنسان المغرور بربه قال بعض علماء التشريح أنها تشتمل علىٰ مائة وخمسة وثلاثين مليون من مستقبلات الضوء وهي أطراف الأعصاب كما يقوله بعض أطباء العيون . وجعل الله الجفنين عند كل عين لحمايتها من الأذىٰ فإذا أحس بشيء يدخل إلىٰ العين يتحرك الجفن تلقائياً بدون اختيار والدموع التي تحيط بالعين ـ أقوىٰ مطهر لها فسبحان العليم القدير .

والجهاز العصبي الذي يسيطر علىٰ الجسم يتكون من شعيرات لطيفة تمر في جميع أنحاء الجسم وتتصل بأعصاب أكبر منها . فإذا أحس الإنسان بشيء نقلت الشعيرات العصبية هذا الإحساس إلىٰ المراكز وهي بدورها ـ تبلغه إلىٰ المخ في سرعة لا يتصورها الإنسان والمخ يتصرف فيُصدر أوامره إلىٰ بقية الأعضاء فينتج الحك والنقل

إلىٰ الطبيب مثلاً فالمدة التي بين اللسعة والحك باليد هي مدة التبليغ وإصدار الأوامر والإنسان لا يشعر . فسبحان اللطيف الخبير . والغذاء الذي نأكله علىٰ أنه لذة نطرد به الجوع يدخل إلىٰ المعدة أنواع من الطعام والماء كلها خامات ولا يخطر علىٰ البال ماذا تحول ولا إلىٰ أين توجه فتحطم المعدة جميع ما أدخل فيها فتختار الأشياء ذات الفائدة فترسلها إلىٰ أماكنها وتحول بقية الطعام إلىٰ بروتينات غذاء لجميع خلايا الجسم وتحول الألياف إلىٰ مسالكها فسبحان الخالق البارئ المصور .

وكل جهات أجهزة الإنسان يقال فيه الشيء الكثير ولكن الأجهزة التي أشرت إلىٰ بعض ما قاله علماء الطب والتشريح لها مساس مباشر بحاجات الإنسان الضرورية وقد يشارك فيها الحيوان فيتميز الإنسان بخصائصه العقلية والروحية التي هي مناط الامتنان وهناك أمور من خصائص الإنسان لم يدركها العلم الحديث . وهناك خصائص لن يدركها أبداً لأن الله يقول : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥] مثل الروح والحياة والموت ، والخالق سبحانه تفضل علىٰ الإنسان وأولاده عنايته والإنسان غافل . نرجع إلىٰ آية العتاب . ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ .

إنه عتاب شديد حين يدرك الإنسان حقيقة مصدره وحقيقة

وقوفه بين يدي ربه . ما هو الشيء الذي غرَّ الإنسان .

قال عمر بن الخطاب وابنه عبد الله غره الجهل . وقال قتادة ما غره غيرُ هذا العدو الشيطان . وقال الفضيل بن عياض لو قال لي ما غرك بي لقلت ستورة المرضاة . وقال أبو بكر الورَّاق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني كرمُ الكريم ولنأخذ الآن في شرح ألفاظ آية العتاب .

النداء يا أيها : للتنبيه إلىٰ أن الكلام الآتي بعد النداء له أهمية كبرىٰ فيجب الإنصات لسماعه .

والتعريف في الإنسان تعريف الجنس إذ ليس المراد إنسان معين فالعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب والمراد بالعموم الذين أنكروا للبعث وقارفوا المعاصي ولفظة (ما) في قوله سبحانه (ما غرك) استفهامية عن الشيء الذي غرَّه ، والغرور : الإطماع بما يتوهه المغرور نافعاً وهو في الحقيقة ضار .

واختيار ذكر الرب عن بقية الصفات والأسماء المقدسة لأن الرب يدل علىٰ أن الخالق تبارك وتعالىٰ خلق وأنعم وفي اسم الرب صفاتُ الإنشاء والملك والرفق والإنعام والرعاية ـ فالرب الذي هذه صفته حقيق بالشكر والطاعة لا بالعصيان وذكر صفة الكريم لتذكير الإنسان بنعم الله عليه وكرمه، والخلق والإيجاد والعدم .

والتَّسْوية جعلُ الشيء سوياً قويماً سليماً .

والتعـديل التناسب والتناسق بين أجزاء البـدن . مـثل تناسب اليديـن والرجلين والعينين وصـورة الوجه فـلا تفاوت بين متزاوجـها ولا بشاعة في مجموعها .

وقـوله جلَّ ذكـره : ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ أي فـي أي شكل من الأشكال إرادة الله ركبك فالله قـادر على أن يجـعله في صورة منكرة مثل بعض الحيوانات ولكـن الله شاء للإنسان صـورة حسنة فضـلا منه وإحسـاناً ذكر ابن كـثير عند قول سبحـانه في أي صورة ما شاء ركبك إن شاء جعله في صورة قرد ، وإن شاء في صورة كلب . وإن شاء في صورة حمار ، أوخنزير وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً قال يارسول الله إن امرأتي في ولدت غلاماً أسودَ ـ منكراً هذا اللون الذي يخالف لونه وزوجه ـ فقال المعلم ﷺ هل لك من إبل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر ، قال فهل فيها من أورق قال نعم قال فأنَّى أتاها ذلك قال عسى أن يكون نزعه عرق قال وهذا عسى أن يكون نزعة عرق (١) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون : ﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) ﴾ [لقمان : ٣٣] .

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] .

(١) البخاري : ٧/ ٩٨ . ومسلم : ٤/ ٢١١ .

اللهم بارك في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تنزه عن الفحشاء ولا يقع في ملكه إلا ما يشاء .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

اللهم صلىٰ وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وأزواجه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد : فإن السعادة والنجاة في اتباع هدي نبينا محمد ﷺ والشقاوة والهلاك في اتباع الهوىٰ ومخالفه هديه ﷺ ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ الحشر : ٧ .

﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [**آل عمران** : ٣١]

والأعياد المشروعة في دين الإسلام عيد الفطر وعيد الأضحىٰ والجمعة عيد الأسبوع . وما عدا ذلك فهي أعياد لم يفعلها نبينا محمد ﷺ ولا القرون المفضلة وإنما دخلت علىٰ الأمة الإسلامية من طريق المستعمرين كفانا اللّه شرهم بما شاء . فما دخلوا بلدا إلا أفسدوا عقيدة أهله ، وما خرجوا من بلد حتىٰ جعلوا فيه ركيزة لهم

ولا زال أعداء محمد ﷺ وأعداء ملته جادون في صرف الناس عن دين الإسلام بكل قدراتهم وخبراتهم .

اللهم اكفنا شرهم ، وأبطل كيدهم ، وادحض مخططاتهم ، ورد شرهم عليهم ، اللهم ألف بين قلوب عبادك المسلمين واجعلهم يداً واحدة على من سواهم ، إنك على كل شيء قدير .

ثم اعلموا أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ الأحزاب . . . الخ الدعاء .

الخطبة رقم (٢)

الإيمان والأخوة

الحمد لله رب العالمين . اللهم لا نُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (خلف فسوىٰ وقدر فهدىٰ) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله كوَّن أمة مسلمة مترابطة متعاونة . يشدُّ بعضها بعضا ويحمي بعضها بعضا .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ اله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد : فإن سعادة الفرد والجماعة تتحقق بأمرين :

أحدهما : الأيمان الصادق ، وهو صلة الإنسان بخالقه ، والثاني : الأخوة في الله وهو صلة المخلوق بالمخلوق .

فالايمان نور يعطه الله من يشاء ومن عباده يهتدي به في مسيرته فيقول ويعمل لله ومن أجل الله ، فتكون تصرفاته مسددةً وأعماله ـ موفقةً .

وأما الأخوة في الله فهي تربيط بين القلوب وتجمع الأبدان . ، فيحصل التعاطف والتكاتف .

فإذا اجتمع الأيمان والأخوة في الله صارت الأمة متماسكة ـ متعاطفةً قويةً صلبة لها هيبة تخافها الأمم لأنها متصلةٌ بمصدر قوتها الغالب القاهر متعاونةً فيما بينها قادرةٌ على تحمل مسؤلياتها والمحافظة على حقوقها وعلى عزتها وكرامتها .

وتكون بذلك أمةً مسلمةً كما يريد ربها قادرةً على تطهير مجتمعها ونشر العدل بين الناس .

فالأيمان والأخوة هما قوة الأمة .

ومعلوم أن الأيمان قول واعتقاد وعمل علي وفق شريعة الله تبارك وتعالى . ومعلوم أن الأخوة تعاطف وتعاون .

وهما مُتلازمان كما قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه وكما قال ﷺ : « المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله » رواه مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وكقوله ﷺ : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » أخرجه مسلم رحمه الله من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . وقوله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد

بالسهر والحمَّىٰ » رواه الشيخان من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه .

وبهذه المحاسن والفضائل كوَّن النبي ﷺ أمة قوية متعاطفة متناصحة أحبت ربها وأحبّها ربُّها تعمل لله وتترك لله فلم يستطع أحد أن يتخلل صفوفها ولا أن يثني قناتها ولا أن يقف أمامها . كانت مع الله فكان الله معها ، نصرت خالقها فنصرها خالقها ، والمسلمون في زمان ومكان إذا اقتدوا فازوا وظفروا .

فلما فتحت الدنيا علىٰ المسلمين تنافسوا فيها فتصدعت وحدتهم فوجد أعداؤهم من اليهود والنصار والمجوس فجوة دخلوا منها ، . فركزوا علىٰ مصدر القوة . الأيمان بالله والأخوة في الله ، وألبسوا أناساً ثياب الإسلام وهم عملاء فصاروا يدسون علىٰ المسلمين في العقيدة ويسعون بالتفرقة ويلقون عليهم الشبه للتشكيك وبلبلة الأفكار وزينوا الغلو في الصالحين . فعكفوا عند قبور الموتىٰ يطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحوائج وكشف الكربات والعاقل إذا رجع إلىٰ عقله عرف الحقيقة (مرضت امرأة وطال بها المرض وبذلت جميع ما تستطيع من العلاجات فلم يُقدِّر الله لها الشفاء فقال لها بعض أهلها إذاً نذهب للرجل الصالح ، فذهبوا بها إلىٰ قبر ولي من الأولياء فلما وصلت قالت أين الرجل الصالح قالوا صاحب هذا القبر فنظرت وفكرت وأراد الله بها خيراً ، فقالت لو كان ينفع شيئاً لنفع نفسه وأزال عنه هذا التراب

وسفَّهمت أراءهم وانصرفت .

وما زال أعداء الإسلام ولن يزالوا يدسون الدسائس ويزينون للمسلمين . وقد يُرغبون في عمل خير للصد عن عمل أهمَّ وأنفع للإسلام والمسلمين . ولله تعالىٰ في شرعه وقدره حكمٌ وأسرار لا يعلمها إلا الله .

وقد أدرك المسلمون واقعهم وأحسوا بما يحيط بهم وعرفوا ما يراد لهم . وحصلت الصحوة الإسلامية في الأفراد . ولكن لابد من الرجوع إلىٰ تعاليم الإسلام . لابد من العقيدة السليمة المستقيمة لابد من الاقتداء بالنبي ﷺ في العبادات والعادات والتآخي والتعاون والبعد عن الخلاف والشقاق وتنظيم مناهج الدراسة علىٰ وفق نظام الإسلام . وإصلاح الأعلام الإسلامي ليكون إعلاماً إسلامياً .

إن الشعوب غير المسلمة قد أحست بضياع القيادة التي تحقق العدل وتصُون الأموال والأعراض والدماء ، وتنشرُ العدل ، وتحافظ علىٰ الأمنِ . كأنهم يلتسمون شيئاً فقدوه فهم يبحثون عنه إنه الإسلام دينُ الفطرة دينْ العدالة والسماحة .

واجب علىٰ المسلمين أن يكونوا مسلمين حقا في عباداتهم ومعاملاتهم وسلوكهم وفي عاداتهم ، وأن يكونوا دعاة إسلام بالقول والعمل .

فاتقوا الله أيها المسلمون اتقوا الله يا زعماء المسلمين سيروا في حياتكم على منهج رسول الله ﷺ كونوا عباد الله إخواناً لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ـ كفى بالمرء إثماً أن يحقر أخاه المسلم .

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

اللهم اهدنا الصراط المستقيم وثبتنا عليه . اللهم أصلح شأن المسلمين اللهم ألف بين قلوبهم وأجمع كلمتهم ووحد صفوفهم . اللهم احفظ الصحوة الإسلامية من كيد الأعداء . اللهم أحطها برعايتك وعنايتك وكللها بالتوفيق والسداد . واهد قادة المسلمين للعمل بكتابك واتباع سنة نبيك محمد ﷺ ، وأن يراقبوا الله . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وأنفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين لا يحمد أحد سواه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و لا معبود بحق إلا الله وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله النبيُّ المصطفىٰ اللهم صلّ وسلم علىٰ البشير النذير نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن اتبع سبيله إلىٰ يوم الدين .

أما بعد : فإن أمة الإسلام الآن أحوج ما يكون للتعاون والتكاتف والسير علىٰ منهاج القدوة الحسنة صلىٰ الله عليه وسلم .

ما أحوج المسلمين إلىٰ رأب الصدوع الماضية والحاضرة ما أحوج المسلمين إلىٰ نبذ الشقاق والخلاف . والتسامح والأخوة في الله ، ما أحوج الصحوة الإسلامية إلىٰ موجهين إلىٰ الكتاب والسنة .

ومعرفة المستحب من الواجب ، والمعصية من الكفر بالله وبرسوله ﷺ ، ومعرفة حق المسلم علىٰ أخيه ومعرفة حرمة المسلم . ومنزلته عند الله فاتقوا الله أيها المؤمنون وتوبوا إلىٰ الله ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ** ﴾ (١) .

---

(١) سورة طه : آية ٨٢ .

ثم اعلموا أيها المؤمنون أن الله تعالىٰ أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه وثنىٰ بملائكته المسبحة بقدسه وثلث بكم أيها المؤمنون من جن العالم وإنسه فقال جل ثناؤه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾(١) . . . . الخ .

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٥٦ .

الخطبة رقم (٣)

موسى والخضر عليهما السلام

والخضر نبي يوحى إليه

الحمد لله رب العالمين أعطى موسى معجزات كبرى فأعطاه العصا آية لفرعون فألقاها فإذا هي حية تسعى . وضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتي عشرة عيناً . وضرب بها البحر فانفلق فكان بأمر الله كل فرق كالطود العظيم ، وكلمه ربه بدون واسطة فهو مقرب عند الله . ونبينا محمد ﷺ أقرب إلى الله وأفضل .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كل شيء قدير إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله شق له القمر يرى بالعينين وأعطاه القرآن آية يتلى إلى آخر الزمان .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه مصابيح الدجى ونجوم الهدى ومن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد : فلما وعظ موسى عليه السلام قومه موعظة وجلت

منها القلوب وذرفت منها العيون ، قال له رجل فهم هل يوجد في الأرض من هو أعلم منك . قال لا ولم يردَّ العلم إلى الله عالم كل شيء فأَوحى الله إليه أن العلم أعظم من أن يحويه رجل أويتفرد به رسول ـ وأنه يوجد في الأرض من هو أعلم منك . قال يارب أين مكانه لعلي ألقاه فآخذ من علمه ، قال إنه عند مجمع البحرين : فأوحى الله إلى الرجل الصالح أن رسولي موسى سيأتي إليك فعلمه مما أوحيت إليك . قال اجعل لي آية اعرف به مكانه قال خذ حوتاً ميتا فإذا فقدت الحوت فهو ثَمَّ . فاستعد موسى للسفر إلى مجمع البحرين وأخذ غلامه يوشع بن نون وقال له مهمتك أن تخبرني إذا فقدت الحوت ، وأعطاه المكتل فيه الحوت المملح وقيل إنه مشوي .

فلما بلع مجمع البحرين كان موسى مجداً فنام فانتفض الحوت وخرج من المكتل ودخل في البحر وكره يوشع أن يوقظ موسى . فلما قام من نومه . نسي يوشع أن يخبره فواصلا السير . فأحس موسى بالتعب والجوع فقال لفتاه آتنا غدائنا فأخبره بما فعل الحوت . فقال ذلك ما كنا نبغ فرجعا يتبعان أثرهما فلما وصلا حيث فُقِدَ الحوت . وجدا العبد الصالح مسجى بثوب تعلوه السماحة وآثارُ النبوة . فسلم عليه موسى فقال من أنت قال أنا موسى قال موسى بني إسرائيل قال نعم . ومن أعلمك بهذا ، . قال الذي أرسلك إليَّ فعلم موسى أنه هو الرجل الذي جاء إليه ، والنبي الصالح هو

الخضر سمي بذلك لأنه إذا جلس بأرض مجدبة اخضرت بأمر الله[1] فقال الخضر لموسى عندك علم لم يكن عندي ، وعندي علم لم يكن عندك وما علمي وعلمك في علم اللّه إلا كما يأخذ الطير إذا نقر في البحر .

والخضر يوحى إليه ربه والعلم اللَّدوني وحي من الله والحكايات الكثيرة التي تقال لا نص فيها لا من كتاب ولا سنة ، ومعلوم أن المؤمن يأخذ العلوم عن الله بواسطة القرآن الكريم أو سنة سيد الأولين والآخرين ، أما المنامات والحكايات بدون دليل فلا يأخذ بها ، وموسى عليه السلام أفضل من الخضر لأن الخضر نبي لم يرسل وموسى نبي مرسل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

والصحيح الذي أيده النص من القرآن وسنة النبي ﷺ أن الخضر ميت وأنه لا وجود له الآن قال شيخنا الشيخ محمد الأمين في التفسير والذي يظهر لي رجحانه بالدليل أن الخضر ميت وذكر أربعة أدلة :

١ ـ قال سبحانه : ﴿ **وما جلعنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ . كل نفس ذائقة الموت .

---

(١) أما اسمه فمختلف فيه ولا يترتب عليه كبير فائدة مثل صفة قتل الغلام وصفة خرق السفينة وصفة إقامة الجدار لا يترتب عليها حكم شرعي فلم يرد تفصيلها .

٢ ـ وقوله ﷺ يوم بدر : « اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض» .

٣ ـ وإخباره ﷺ أنه علىٰ رأس مائة سنة من الليلة التي تكلم فيها رسول الله لم يبق علىٰ وجه الأرض ممن كان موجوداً ذلك اليوم أحد .

وقوله ﷺ : « ما من نفس منفوسة اليوم أي قبل موته ﷺ بشهر يأتي عليها مائة سنة وهي يحية .

٤ ـ ولو كان الخضر حيا وقت الرسول ﷺ لكان من أمته وأتباعه وتعامل معه لأن الرسول ﷺ مبعوث إلىٰ جميع الثقلين ، وأشرف أحوال الخضر أن يكون بين يدي الرسول محمد ﷺ ووقوفه تحت راية التوحيد أشرف له واختفاؤه لم يقم عليه دليل . وظهوره أعظم لأجره وأعلىٰ لقدره ومرتبته لمعجزته ، ولم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس إليه . أن الخضر اجتمع برسول الله فهو إذاً ميت مثل بقية الأنبياء .

قال القاضي أبو يعلي محمد بن الحسين بن الفراء سئل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات قال نعم ولكن النفوس مجبولة علىٰ اتباع الهوىٰ والله المستعان وعليه التكلان .

وقد تأدب موسىٰ مع النبي الصالح الذي عنده علم لا يعلمه فاستأذنه في مُرافقته وفي أخذ بعض ما عنده من العلم وجعل نفسه

تبعا له وصبر على قوله وأعطاه العهد كما طلب إلاَّ أن موسى أَنْسته غيرته وحرصه ثم العدل تلك العهود ومن حسن أدب موسى أنه قال في إجابته إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فخشي إن يقل عليه فهذه ثلاث مسائل فعلها الخضر وأنكرها موسى :

١ ـ الأولى خرق السفينة .

٢ ـ قتل الغلام .

٣ ـ إقامة الجدار في قرية الشيخ فلما تمت الرحلة أخبر الخضر موسي عن أسباب العمل الذي لم يصبر عليه فأخبره أنه خرق السفينة ليعيبها لأن ملكاً ظالماً يأخذ كل سفينة صالحة من أهلها قهراً وصبرا وأما قتل الغلام فكان في علم الله أنه كافر وأبواه مؤمنين فخشي الخضر أن يؤثر عليهما في دينهما .

انظر إلى أدب الخضر النبي مع الله فنسب خرق السفينة وقتل الغلام لنفسه وبناء الجدار نسبه لله . ثم أخبر أن الكل بوحي الله قال فإنه بنى الجدار لأنه ليتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمةً من ربك قال وما فعلته عن أمري فإنما هو أمر الله بوحي قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : ٥١]

فاتقوا الله أيها المؤمنون وراقبوه في السر والعلن فإن مصيركم إليه فارجوا ثوابه واخشو عقابه و تمسكوا بما جاء به نبينا محمد ﷺ من القران والسنة فيهما الخير والبركة ولا تتركوهما إلى قول أحد من البشر فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي محمداً ﷺ .

اللهم بارك لنا في القرآن وانفعنا فيه من الآيات والبيان وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا وعلمنا منه ما جهلنا وذكرنا منه ما نسينا واجعله قائدنا إلى رضوانك والجنة ، وتب علينا واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم . . الخ الدعاء .

(الخطبة الثانيـــة)

الحمد لله رب العالمين أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الحق المبين لا إشكال ولا غموض ولا شك ولا ريب من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه الله بشيراً ونذيراً اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد : فإن أعداء الإسلام يتربصون الدوائر بالمسلمين ويعملون ويخططون والمسلمون غافلون فغيروا العقيدة وحطموها في نفوس بعض المسلمين، ولا زالوا يواصلون تنفيذ مخططاتهم للقضاء علىٰ المسلمين وعلىٰ الإسلام ، ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ولا يزالون يرسلون ما يخالف العقل والشرع لينظروا هي في المسلمين بقية تعرف الطيب من الخبيث والحق والباطل إلىٰ أن صاروا غثاء كغثاء السيل لا يفرقون بين منكر ومعروف فيهمون عليهم فمن ذلك الدولار الصاروخي والبنت التي أعياها المرض كله ليس من الإسلام في شيء و لكنهم يختبرون

عقول المسلمين ودياناتهم فإذا كانوا على ما يريد أعداء المسلمين هجموا عليهم وأخذوا بعض ما في أيديهم ، كما هو المشاهد الآن في كثير من البلاد الإسلامية والسعيد من وعظ بغير .

يجب على المسلم أن يكون مسلماً حقا متمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويميز بين الطيب والخبيث وبين النافع والضار وبين الحق والباطل ولا يكون مع كل صاعق وناعق ، ولا يقبل ما يخالف الدين والعقل الصحيح ، فاتقوا الله عباد الله وراقبوه في كل ما تعملون وما تقولون ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ إلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [**النحل** : ٤٣] .

واعلموا أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] .

الخطبة رقــم (٤)

الحــج

المقارنة بين الحاضر والماضي

الحمد لله رب العالمين له الإرادة النافذة والحكمة البالغة يخْرق العادة بما شاء على يد من يشاء كيف يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه فسبحانه هو الإله الحق .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله قربه واصطفاه ورفعه منزلة لم يبلغها أحد سواه ونهى عن الغلو والإطراء ، فقال عليه الصلاة والسلام (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله) .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبيا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله وأطاع أمره وأتبع سنته إلى يوم القيامة .

أما بعد : فإن الله سبحانه من لطفه بأمة محمد ﷺ سخر للحرمين الشريفين من يخدمها ، وسخر للبقاع المقدسة من يعتني

بها وبروادها فجزى الله المحسنين أحسن الجزاء . لقد أتممتم مناسك الحج في يسر وسهولة في أمن واستقرار وكان الإنسان من قبل إذا أراد السفر إلى الحج يودع أهله ويوصيهم وصية مودع ، ويعتبر نفسه في عداد المفقودين لما يري من السَّلب والنهب وسفك الدماء والآن ولله الحمد والمنة في أمن واستقرار وراحة بال وذلك كله بفضل الله سبحانه ورعايته وحمايته لحجاج بيته وزوار مسجد رسوله ﷺ . فاشكروا نعم الله قولا وعملا يا حجاج بيت الله وزوار مسجد رسوله ﷺ لا تنسوا ما رأيتم اذكروه لمن وراءكم ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ .

وأخلصوا أعمالكم لله فالخير كمله بيديه . . واحذروا أن تعلقوا آمالكم بغير الله . . حافظوا على الرحمة والمغفرة التي أفاضها الرب عليكم في عرفات فلا تذهبوا إلى غير الله لا إلى نبي مرسل ولا إلى ولي ولا عبد صالح فالكل محتاجون إليه ولكي تعرف أخي الحاج قدرة الله ألقي هذه الأسئلة وأجب عليها : من الذي يرفع القسط ويحفظه ، أليس هو الله من الذي أعطى القدرة لبعض المخلوقات فاستطاع الذي عنده علم من الكتاب أن يحضر عرش بلقيس من اليمن إلى القدس في الشام في طرفة عين حتى استقر عند سليمان عليه السلام ، من الذي سخر الريح لسليمان بن داود غدوها شهر ورواحها شهر أليس هو الله القادر الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في بعض ليلة

وصلىٰ بالأنبياء في بيت المقدس وهو يبعد عن مكة شهر .

من الذي عرج بنبيه ﷺ فوق سبع سموات وكلمه ربه من وراء حجاب وفرض عليه خمس صلوات وهي في الأجر تعدل خمسين صلاة أليس ذلك هو الله الواحد القهار من الذي جعل في المحيطات البحار الكبيرة أجزاء تخفي السفن الضخمة والطائرات مثل مثلث برمودا . أليس هو الله القاهر .

من الذي أسمع الصحابة رضي الله عنهم تسبيح الطعام وهو يؤكل أليس هو الله من الذي بارك في طعام أي بكر رضي الله عنه حتىٰ شبع الضيوف وبقي أكثر مما كان أليس هو الله .

من الذي استجاب دعاء نبيه محمد ﷺ يوم الجمعة فأنشأ سحابة مثل الترس خلف سلع فتوسعت وأمطرت سبتا أليس هو الله القادر علىٰ كل شيء .

من الذي أمر الأرض أن تلفظ جثمان النصراني الذي أسلم ثم تنصر أليس هو الله .

من الذي شق القمر معجزة لنبيه ﷺ في مكة فرآه أهل البرية منشقاً . أليس هو الله .

من الذي أرسل علىٰ قوم نوح الطوفان فأغرقهم أليس هو الله من الذي أرسل علىٰ عاد الريح العقيم فأهلكتهم . من أرسل علىٰ ثمود الصيحة فقطعت قلوبهم . من الذي أرسل علىٰ قوم لوط

حجارة من جهنم تضرب الأنسان مع رأسه وتخرج مع أسته . أليس هو الله العزيز الجبار . من الذي أغرق فرعون وقومه أليس هو الله المنتقم الجبار .

من الذي قلب عصىٰ موسىٰ حية تسعىٰ تلقف ما يلقي السحرة أليس هو الله .

من الذي أنطق عيسىٰ بن مريم وهو صغير في المهد يكلم الناس . أليس هو الله . خارق العادات والقاهر فوق عباده .

من الذي أسمع الصحابة صوت الجذع يحن وهو الذي كان يعتمد عليه رسول الله وهو يخطب لما تركه رسول الله ﷺ .

ومن الذي هدىٰ النبي ﷺ لضمه وتسكيته ـ أليس هو الله .

من الذي خسف بقارون وبداره الأرض لإعجابه بنفسه وبما له أليس هو الله وحده لا شريك له ، فإذا كان الله هو المتصرف في هذا الكون وحده لا شريك له ولا ظهير ولا معين ولا وزير .

فلماذا يضحك عليناأعداء التوحيد أعداء الإسلام فيصرفوننا عن الله .

قال العلامة الحافظ ابن كثير الدمشقي عند تفسير قول الله تعالىٰ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] قال : يمجد تعالىٰ نفسه ويعظم شأنه لقدرته علىٰ ما

لا يقدر عليه أحد سواه فلا إله غيره ولا رب سواه .

العبادات مبناها كلها على نصوص الشارع ﷺ من القرآن والسنة فمبناها على التوقيف . والله تعالى أمرنا باتباع الرسول ﷺ وطاعته وموالاته . وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواها ، وضمن لنا بطاعته ومحبته محبة الله وكرامته : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ [**آل عمران** : ٣١] .

ولا ينبغي لأحد أن يخرج عما مضت به السنة وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة ، وما علمه الإنسان قال به وما لم يَعْلمه أمسك عنه . ولا يقْفُ ما ليس له به علم ولا يقولُ على الله ما لم يعلم فإن الله تعالى حرم ذلك ﴿ **قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ** ﴾ [**يونس** : ٦٩] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم وتفضل علينا بتلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا اللهم علمنا من القرآن ما جهلنا وذكرنا منه ما نُسِّينا اللهم ارحم عبادك المسلمين . اللهم ارحم ضعفهم وردهم إلى كتابك وسنة رسولك محمد ﷺ رداً سريعاً . اللهم اخذل أعداء الدين ، واجعل بأسهم بينهم واكف المسلمين شرهم . اللهم أهد ضال المسلمين ، وافتح بصيرته لمعرفة الحق واتباعه . اللهم اكفنا شر الأحزاب ، والطرق المبتدعة واهد المسملين سبل السلام واخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللهم تقبل منا ومن إخواننا حجاج بيت الله الحرام وردهم إلىٰ أهلهم سالمين اللهم كما غفرت ذنوبهم في عرفات فثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . اللهم احفظهم من البدع وعلق قلوبهم وآمالهم بك وحدك إنك علىٰ كل شيء قدير واغفر لنا جميعاً ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانيــة)

الحمد لله رب العالمين . بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قيوم السموات والأرضين ربُ كل شيء ومليكه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله طهره الله واصطفاه وقربه وأدناه . شرح له صدره ورفع له ذكره . ووضع عنه وزره .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر . وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المستقرّ .

أما بعد : فينبغي للإنسان أن يدعوا بالأدعية المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة فإن ذلك أفضل وأحسن وهو الصراط المستقيم فيحمد الله ويصلى على النبي ﷺ ثم يدعو بما أحب .

ومراتب دعاء المخلوقين ثلاث مراتب ـ أن يكون المدعو بيناً أو غائباً فيقول الداعي يا سيدي فلان أغثني أو أنا مستجير بك فهذا حرام لا يجوز لأنه دعاء غير الله ، وقد يتمثل له إبليس في صورة ـ المستغاث به ، وقد يقضي الشيطان حاجته أو بعضها فيظن المستغيث ذلك كرامة للمستغاث به وقد استغاث بعض الناس برجل صالح

وبعبد غائب فجاء الشيطان على صورة ذلك الرجل الصالح فقضى حوائجهم فلما بلغه الخبر قال أنا لم أتحرك من بلدي وأنكر فعلهم .

وهذا أصل عبادة القبور والأصنام واتخاذ الشركاء من دون الله .

وأعظم من ذلك أن يسجد لقبر ولي أو صالح ويصلي إليه ويرى أن ذلك أفضلُ من استقابل القبلة فقد قال بعض الناس القبر قبله الخواص والكعبةُ قبلةُ العوام ﴿ قل أَبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون﴾ وأعظم من ذلك من يقول إن قراءة ورده أفضل من قراءة القرآن عدة مرات . أو يقول أن رؤيته أفضلُ من رؤية الله ـ تعالى الله عما يقول الجاهلون والظالمون علوا كبيرا . الشر على المسلمين الذي يصدقونهم .

المرتبة الثانية من مراتب الدعاء : أن يقول أحد لميت أو غائب ادع الله لي كما تقوله النصارى لمريم عليها السلام ، وهذا لم يرد عن الرسول ﷺ ولا عن الصحابة ، ولا عن أحد من سلف الأمة ـ فهو أمر بدعي غير جائز .

الثالثة : أن يقول قائل أسألك بفلان أو بجاه فلان والمنقول عن أبي حنيفة وغيره من أئمة الإسلام أنه منهي عنه لا يجوز .

فاتقوا الله أيها المسلمون واعرفوا الدعاء الجائز من المحرم واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وصلوا على البشير النذير فقد

أمرنا الله بذلك في كتابه المبين فقال سبحانه ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب : ٥٦].

الخطبة رقم (٥)

عيادة المريض وتشييع الجنازة

الحمد لله رب العالمين . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . ماترك خيراً إلا ودل الأمة عليه ورغبهم فيه ، ولا شرا إلا حذرهم منه ونهاهم عنه . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى .

عباد الله . إن للمسلم على أخيه المسلم حقوقا بها يحصل ـ ترابط الأخوة الإسلامية وتوثيق عُراها .

وفي هذا الزمن الذي فتح الله فيه أبواب الدنيا واشتغل الناس بها عن كثير من هذه الحقوق الإسلامية ، وصار الحب ، والبغض والاتصال عند كثير من الناس من أجل هذه الدنيا لا يجوز للمسلم أن ينسى حق أخيه المسلم الذي ـ لا يكلفه مالا ولا عناء ، وهو له

خير وبركة في الدنيا وثواب عند الله تعالىٰ ـ وإن الإنسان ـ في هذه الحياة معرض لأَعراضها ومصائبها . ففي كل يوم نصلي علىٰ ميت من إخواننا في الله ونسمع عن آخر أقعده المرض في بيته .

ومن حق المسلم علىٰ أخيه المسلم أن يعوده إذا مرض وأن يشيع جنازته إذا مات . فالمريض أحوج ما يكون إلىٰ زيارة إخوانه ليرىٰ منهم العطف والشفقة والمشاركة في الإحساس وليفرجوا عنه بدعواتهم الطيبة وينفسوا عنه بأحاديثهم الأخوية ويؤنسونه بوجودهم عنده . والميت أشد حاجة إلىٰ إخوانه يجهزونه ويحملونه ويصلون عليه ويدعون له ويدفنونه في قبره . من أجل ذلك شرع ديننا هذه الحقوق وحث عليها في قوله ﷺ : « حق المسلم علىٰ المسلم خمس رد السلام ، وعيادة المريض ، وتشييع الجنازة ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » . وهذه من فضائل هذا الدين الحنيف . ومحاسن الإسلام . ومن صفات أمة محمد ﷺ . إن التخلق بأخلاق الإسلام والتحلي بفضائله أبلغ في الدعوة إليه وإدخاله إلىٰ القلوب ـ فكم من إنسان دخل في الإسلام لما يرىٰ من محاسنه في أخلاق أهله . من ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال كان غلام يهودي يخدم رسول الله ﷺ فمرض فأتاه النبي يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم . فنظر إلىٰ أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار .

ويسن لمن عاد مريضاً أن يُدخل عليه السرور ويرشده إلىٰ الصبر والاحتساب فيقول له لا بأس عليك طهور ـ إن شاء الله ويدعو له بالشفاء ، ويدله إلىٰ السبب المباح كما قال ﷺ لعثمان بن أبي العاص الثقفي . لما شكىٰ له وجعا يجده في جسده . فقال له رسول الله ﷺ ضع يدك علىٰ الذي تألَّم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ، وينبغي لزائر المريض أن يحتسب ثواب الله تعالىٰ ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال (إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة ـ يعني جناها ـ حتىٰ يرجع) . وفي السنن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلىٰ عليه سبعون ألف ملك حتىٰ يمسي وإن عاده عشية صلي عليه سبعون ألف ملك حتىٰ يصبح ، وكان له خريف في الجنة) . ويسن تلقين من حضره الموت كلمة الإخلاص فيقول من عنده لا إله إلا الله . حتىٰ يسمعه فيقول مثل قوله فتكون آخر كلامه ؛ من كان آخر قوله لا إله إلا الله دخل الجنة . وينبغي لمن حضرهُ أن يوصي أهله بالصبر والاحتساب والدعاء له . اللهم اغفر له وارحمه وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه . ويجوز البكاء علىٰ الميت بدون رفع صوت وبدون نياحة . وبدن تعداد المحاسن والمناقب فإن الملائكة

يؤمنون على ما يقول أهله . والمشروع في ذلك ما ورد في القرآن العظيم فهو أنفع للحي والميت وأسلم . ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين (١٥٥) الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٥، ١٥٦] .

ومن حقوق الميت على إخوانه الإحياء الإسراع في تجهيزه لأنه أصبح جيفة معرضة للنتن والتشقق . ثم الصلاة عليه على الصفة الواردة عن النبي ﷺ وتشييعه إلى قبره حتى يدفن وفي ذلك أجر عظيم وثواب كبير .

قال ﷺ : من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان كل قيراط مثل جبل أحد ولكننا عن هذا غافلون وبدنيانا عن الثواب مشتغلون . فلو قيل من وصل إلى مكان كذا مسافة بعيدة يعطي جنيها أو مائة ريال لأسرع الناس في الليل والنهار يطلبون هذا العطاء ولكنهم يتكاسلون عن هذا الثواب الكبير فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وينبغي لمن شهد الجنازة أو رأى المقبرة أن تكون له ذكرى وموعظة فينتبه من غفلته ويصحو من سكرة هذه الدنيا . وأن يعلم أنه سيمر مع هذا الطريق الذي مر عليه غيره وأنه يسكن تلك المساكن . ﴿ كل من عليها فان (٢٦) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ . ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون (٣٠) ثم إنكم يوم القيامة عند

رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ ، فـإذا دفن الميت يسـتـحب أن يدعىٰ له ، اللـهم اغفر له اللهم ثبته ، ولا يقال قل يا فلان كذا وكذا فإنه لا أصل له في الشرع والسنة لجيران الميت أن يصنعوا طعـاماً لأهله لأنهم مشغولون بمصيبتهم .

وأما ما يفعله بعض الناس من إقامة الولائم وإحضار النائحات والجهر بالصياح والصراخ فإنما هو من أعمال الجاهلية الأولىٰ ولا يتفق مع هدي نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم .

فـاتقـوا الله أيهـا المسلمـون ، تواصـوا بينكم بالحق والصبـر والتقوىٰ وعـودوا مرضـاكم وشيعوا موتاكم ، وادعـوا لهم بالمغفـرة والرحـمة ولا تقـولوا علىٰ أنفسكم إلا خيـرا ، واحذروا أعـمال الجاهلية والعادات التي لاتتفق مع دينكم الحنيف .

واعلمـوا أن الخير كل الخير والفـخر والعزة في اتباع سنة نبينا محمد ﷺ وتوبوا إلىٰ الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

اللهـم انفـعنا بآيات القـرآن العظيم ، وبهـدي نـبيك الكريم ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة إنك علىٰ كل شيء قـدير ، اللهم اغفـر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

(الخطبـة الثـانيـة)

الحمد لله الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .

وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له منه المبتـدأ وإليه المنتهىٰ وأن إلىٰ ربك الرجعىٰ .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله وصفوته من خلقه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهديه وعمل بسنته .

أمـا بعـد : فـإن الحـازم هو الذي يأخـذ للأمـور احـتـيـاطاتهـا ويحـسـب للمسـتقبـل حسـابة ، والـفطن الذكي هو الذي ينظر في عواقب الأمور ونتائجها ويتخذ من حوادث التاريخ عبرا ومواعظ ، فكل واحـد يعـرف أن المنية ستـوافيـه ، ولكنه لا يعـرف في أي وقت ولا في أي مكان ، ولا علىٰ أي صـفــة تكـون ، وكل إنســان له ارتبـاطات مع إخـوانه في دنيـاه فـينبـغي ألا يبـيت ثلاث ليـال إلا ووصيته مكتوبة عند رأسـه يوضح فيهـا ماله وما عليـه وما ينفعـه بعد مماته .

قـال ﷺ : « إذا مات ابن آدم انـقطع عمله إلا مـن ثلاث صدقـة جارية أو علم ينتفع به أوولد صالح يدعو له » .

وللإنسان التزامات لآخرته فيجب أن يقـدم أمامه عمـلاً صالحاً يجـده ذخراً وأن يحـاسب نفسه علىٰ أعـمالهـا في الليل والنهـار وأن

يحسن المعاملة مع ربه ومع إخوانه ، وأن يؤدي المسؤليات التي عليه لتربية أولاده وإصلاح أهل بيته . وتثبيت العقيدة الإسلامية في نفوسهم وتوجيههم إلى صراط الله المستقيم والعمل علي تثبيت أقداهم عليه .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ وقال ﷺ : « من صلى عليَّ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً . اللهم صل وسلم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود . وارزقنا شفاعته وثبتنا على سنته ، اللهم أرض عن الأربعة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين . وزوجاته أمهات المؤمنين وأهل بيته الطيبين الطاهرين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ـ اللهم ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين واحم حوزة الإسلام يارب العالمين .

اللهم أدم الأمن في أوطاننا واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ووفقهم لما تحب وترضى وسدد خطاهم وثبتهم على صراطك المستقيم . اللهم انشر الأمن في أوطان المسلمين وأصلح أئمتهم

وولاة أمورهم واهدهم سبيل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور. اللهم اغفر لجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، اللهم نور على أهل القبور قبورهم وأصلح الأحياء ويسر لهم أمورهم . وفرج هم المهمومين واقض الدين عن المدينين واشف مرضى المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم اسقنا واغثنا اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدراراً اللهم إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك. عباد الله ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾ فاذكر الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

الخطبة رقـــم (٦)

الأعمال الصالحة هي الوسيلة

الحمد لله على نعمه المتوالية ، لا نحصي لها عدا ، ولا نقدر لها حمدا .

وأشهدألا إله إلا الله وحده لا شريك له . أحصى كل شيء عددا وأحاط بكل شيء علماً .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله اختاره لتبليغ رسالته ، واصطفاه لعبادته صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن العمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى هو الوسيلة التي يتقرب بها العبد إلى ربه .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون** ﴾ . وفي حديث النفر الثلاثة قدوةٌ وعبرةٌ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدَّت عليهم

الغار . فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالىٰ بصالح أعمالكم . قال رجل منهم اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالاً . فنأىٰ بي طلبُ الشجر يوما فلم أرح عليهما حتىٰ ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا . فلبثت والقدح علي يدي أنتظر استيقاظهما حتىٰ برِق الفجرُ والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا مانحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحبَّ الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتىٰ ألَمّت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار علىٰ أن تخلىٰ بيني وبين نفسها ففعلت حتىٰ إذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تَفُضَّ الخاتمَ إلا بحقه فانصرفتُ عنها وهي أحبُ الناس إلي وتركت الذهبَ الذي أعطيتها . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم إني اسْتأجرت أجراء وأعطيتهم أجورهم غيررجل واحد ترك الذي له وذهب فثمَّرت أجْرَهُ حىٰ كَثُرتْ منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أدِّ إليَّ أجري فقلت كل ما ترىٰ من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال يا عبد الله لا

تستهزئ بي . فقلت لا أستهزء بك فأخذه كله ـ فاستاقه فلم يترك منه شيئاً . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة ـ فخرجوا يمشون . متفق عليه بألفاظ متقاربة .

هذه ثلاثة أنواع من الأعمال الصالحة برُ الوالدين ، والعفَّةُ والأمانةُ فرَّج الله بها محنة النفر الثلاثة ، وهكذا جميع الأعمال الصالحة ثمارها دائماً يانعةٌ مدرةٌ مستمرة . فكم من مكروب توسل إلى الله بوحدانيته فكشف ما به من ضرٌ ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين**﴾

إن العمل الصالح هو الرصيد الثابت الذي يجده صاحبه أحوج ما يكون إليه لا يُخشى عليه من الكساد ولا ينقص من كثرة الصرف أما أرصدة الدنيا أيا كان نوعها فهي معرضة للآفات ولا تنفع عند الشدائد والكربات القدرية .

ماذا تنفع الأرصدة في البنوك إذا جاء الأجل وانقطع العمل ، ماذا تنفع إذا ضرب في الأرض فلم يجد الدواء وأعجز الأطباء . لكن لو أنفق منها في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله لكان عملاً صالحاً يتوسل به إلى الله جل شأنه .

فاتقوا الله عباد الله إنكم في هذه الحياة رهن لمصائبها فما

يدري أحدكم أيَّ سهم يصيبه فقدموا لأنفسكم عملاً صالحاً خالصاً لله تجدونه ذخراً عند الله تعرفوا إلى الله تعالى في الرخاء يعرفْكم في الشدة .

أصلحوا ما بينكم وبين الله يصلح الله ما بينكم وبين الناس إلجأوا إلى الله يكفيكم كل أمر يهمكم التمسوا رضي الله يُرضي الله عنكم جميع خلقه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم** ﴾ اللهم بارك لنا في القرآن العظيم . .

اللهم اغفر لنا ولأُصولنا وفروعنا وجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانيــة)

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن لكثير من الأشياءِ آفاتٍ ومفسداتٍ والرياء هو آفة العمل الصالح يعمل الإنسان عمل الخير فيزينه ويحسنُه لما يرىٰ من نظر إنسان . والرياء في أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم أخفىٰ من دبيب النمل . ولذلك تخوف النبي ﷺ منه علىٰ أمته . ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ عن محمود بن لبيد قال قال رسول الله ﷺ : « إن أخوف ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشركُ الأصغر يارسول الله قال الرياء . إن الله تبارك وتعالىٰ يقول يوم يجازىٰ العباد بأعمالهم . اذهبوا إلىٰ الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » . فاتقوا الله عباد الله . إن الشيطان يلقي في نفس الإنسان ما يغير اتجاه القصد إلىٰ الله تعالىٰ . ويحوله إلىٰ الرياء ـ لإفساد عمله فكُن حذراً أيها المسلم وادفع هذه الوساوس وكن مكافحاً ومجاهداً لعدوك . واحذر الاستسلام والاسترسال مع عدوك فيؤديك إلىٰ المهلكة

والضياع إن الله وملائكته يصلون على النبي .

وارض اللهم عن الخلفاء . .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين .

اللهم انصر المجاهدين .

اللهم آمنا في أوطاننا .

اللهم فرج هم المهمومين .

﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ .

واذكروا الله . . . . الخ .

الخطبة رقم « ٧ »

الإنسان لم يخلق عبثاً

الحمد لله رب العالمين، الجواد الواجد الكريم . ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعطي الجزيل ويقبل القليل ، ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أرسله رحمة للعالمين وشاهداً ومبشراً ونذيراً .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد : فإنني أرجو لحجاج بيت الله الحرام أن يكون حجهم مبروراً وأن ذنوبهم قد غفرت . وأنهم رجعوا من مكة ولا ذنب عليهم . كيوم ولدتهم أمهاتهم . فقد منَّ الله عليهم بأداء مناسكهم، في أمن ورخاء ويُسر وبَاهى بهم ربهم ملائكته المقربين .

---

(١) الأعراف : ٥٤ .

أخي الحاج الكريم لقد أرَقْتَ دُموعَ الندم عند بيت الله المحرم وأعلنت توبتك إلىٰ الله . ومعنىٰ التوبة : العزم علي ترك المعاصي وعدم العودة إليها . فأوف بعهدك مع الله ، وحافظ علىٰ توبتك ، وعلىٰ نقائك من الذنوب . وتفكر وتدبر . من الذي خلقك؟ ولأي شيء خلقك ؟ فستعلم يقيناً أن الذي خلقك هو الله ، فأحضر قلبك والقي سمعك . وتفهم قوله جل شأنه :

﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)** ﴾ [١] .

وقوله تبارك وتعالىٰ : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)** ﴾ [٢] .

كما أنك إذا تتبعت النصوص الشرعية وتأملت هذا الكون العظيم ونظرت نظرة تأمل وتفكر عرفت يقيناً أنك لم تخلق عبثاً ولن تترك سدىٰ وأن الله خلقك لعبادته كما قال جل شأنه : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)** ﴾[٣] .

العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال . فما هو من خصائص الله لا يطلب إلا من الله ، وما لا يقدر عليه

(١) الانفطار : الآية ٦ـ٨ .
(٢) التين : ٤ .
(٣) الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨ .

إلا الله لا يطلب إلا من الله .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في التفسير : ومعنىٰ الآية أنه تبارك وتعالىٰ خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب .

فالعبادة هي الوظيفة الأساسية للإنسان . فيجب أن تكون أعمال الإنسان في بيته ومتجره وفي عمله مرتبطة بالله فيعمل لله ومن أجل الله لإرضاء الله . لطلب الثواب من الله ، يكل نتائج العمل لله ، فليست النتائج داخلة في واجباته ، ولا في مقدوره . إنَّما هي لله وقدرته . فمتىٰ استسلمت النفس لله وتعلقت بالله ، أنفَت من الركون إلىٰ الدنيا وملذاتها . أو اتخاذ وسيلة خسيسة للوصول لغاية كريمة .

وإذا أخلص العبد عمله لله فيما أمره الله ، وجد راحة نفسية وسعة صدر وسداداً وتوفيقاً ؛ لأن الله يكفيه كل أمر يهمه ورضي الله عنه ورضي هو عن الله .

أوصيك أخي المسلم بالمحافظة علىٰ الركن الثاني من أركان إسلامك ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾(١) .

---

(١) البقرة : ٢٣٨ .

فامتثل أمر ربك أيها المسلم ، حافظ على الصلوات في أوقاتها مع جماعة المسلمين في المساجد فإنها عمود الإسلام ، من حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . وهي الفارق بين الإسلام والكفر ، وهي أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة فإن صلحت صلح سائر عمله والصلاة نور وبرهان ونجاة لصاحبها يوم القيامة . وهي عَوْن له على كل الأمور ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** (٤٥) ﴾ [**البقرة** : ٤٥] .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** (١٥٣) ﴾ [**البقرة** : ١٥٣] .

إنك أخي الحاج مؤمن بالله وبرسوله ﷺ فخذ ما جاء به الرسول محمد بن عبد الله ﷺ بقوة وبفخر واعتزاز ، فدين الله منهج حياة ونظام وهو أدب وخلق فثق بأن الله يراقبك في جميع أعمالك لا تخفى عليه منك خافية . واحْذر أن تضعُف عن حمل التكاليف . انتبه واحذر أن تضعف أمام شهواتك وأمام النفع القريب فتنتكس من كونك إنسان كرَّمه الله وأعزه ورفعه فترجع إلى مشابهة الحيوان في اتباع الشهوات ، لا إرادة ولا اختبار ولا رجاء ولا خوف . اتق الله حيثما كنت وخَفْ من عقابه وارغب في ثوابه فإنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً . اتق الله فإن التقوى شعور في الضمير وحالة في الوجدان . تنبثق منها اتجاهات وأعمال تتوحَّد بها

الاتجاهات والمشاعر الباطنة والتصرفات الظاهرة وتصل الإنسان بالله في سره وجهره ، وتزيل الغشاوة والأكنة التي تحول بين الإنسان وبين خالقه ، وبين فهم نصوص الكتاب والسنة ، والتقوىٰ تُسهل للمتقي عبادة تكون صلة بين العبد وربه ، وترغبه في السخاء اعترافاً بجميل العطاء . وشعوراً بالإخاء وتحمله التقوىٰ علىٰ الشعور بآصرة القربىٰ قربىٰ النسب وقربىٰ الدين . والتقوىٰ تُشعر بأن ما جاء من عند الله حق لا مرية فيه فيؤمن المتقي بالله وبما جاء من عند الله علىٰ لسان نبيه محمد ﷺ ، وبشعور التقوىٰ ومستلزماتها يصْنع الله من البشر إخوةً متحابين يُؤْثر الواحد منهم الآخر علىٰ نفسه ، ولو كانت به خصاصة .

وبهذه المشاعر وهذه الأحاسيس تألفت الجماعة المسلمة الأولىٰ في مدينة الرسول ﷺ فكانت شيئاً عظيماً . أوجد الله بتلك الجماعة أشياء غيَّرت حياة البشر ، وقامت بتبليغ دين الله ورسالة محمد ﷺ علىٰ الوجه الأتم .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وراقبوه في سركم وعلانيتكم فإنه معكم يسمع ويرىٰ وهو مستو علىٰ عرشه فوق سمواته .

أدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم فإن الله أعطىٰ الكثير ورضيَ بالقليل فهي ربع العشر والورق النقدي عوض عن أصله ففيه الزكاة ولا يَحْسَبَن أحد الزكاة مغرماً ، فإنما هي مغنم للمسلم

وسد حاجة المسلمين المحتاجين ومساندة للمجاهدين ، وفي نفس الوقت طهرة للمزكي ونماء للمال . تزيده ولا تنقصه كما قال ﷺ : «ما نقص مال عبد من صدقه» . ودفع الزكاة لمستحقيها اعتراف لله بالفضل كما قال سبحانه : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ [**القصص** : ٧٧] .

فالإحسان إلىٰ عباد الله اعتراف لله بالإحسان وشكر لله علىٰ الإحسان ، فالميزة البارزة للمؤمن هي السمةُ التي تجمع في نفسه بين الإيمان والقيام بالفرائض وأعداء الإسلام يُدْركون نتائج الإيمان الصحيح ، فلهذا بذلوا كل الجهد لصرف المؤمنين عن إيمانهم بالله وبما جاء من عند الله وعن الإيمان باليوم الآخر . واشغلوا المسلمين بأمور ما أنزل الله بها من سلطان وماهي من هدي الرسول ﷺ .

فخذ حذرك أخي المسلم من دسائس أعدائك ولا تطع من كان قوله يخالفُ هدي النبي ﷺ فإنه عدو لك ولدينك وإن قال ما قال . وإن قال إنه صدوق ناصح وأنه حريص علىٰ نفعك فلا تطعه فيما خالف أصول دينك .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) ﴾ [**آل عمران** : ١٤٩، ١٥٠] .

يجب أن يعلم المسلم أن الإسلام لا يأمر بالإساءة إلىٰ المسيء وإنما يأخذ الحذر منه ولا يتولاه ولا تتخذه بطانة من دون المؤمنين .

فالإسلام لا يحرض علىٰ مقابلة غل الحاسدين وحقدهم والدسِّ والمكرِ بمثله وإنَّما يأمر بالوقاية وينبه علىٰ خطر الأعداء ودسائسهم وإيضاعهم خلال صفوف المسلمين .

والمسلم يتعامل مع الناس بسماحة الإسلام . فالإسلام يتقي الكيد ولا يكيد ، ويتقي الحقد والحسد فلا يحقد ولا يحسُد . الإسلام يوصي المسلمين بالصبر والتقوىٰ . فإذا تعلقوا بالله ووكلوا أمرهم إلىٰ الله لا يضرهم كيد أعدائهم . قال تبارك وتعالىٰ :

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

اللهم بارك لنا في القرآن ووفقنا للعمل به في كل مكان وبارك لنا في سنة سيد الأنام ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين البر الرحيم الغفور الحليم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة ربه ونصح لأمته . وأحسن التوكل على الله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الوفى ومن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد : فإن الإسلام حدَّدَ ضوابط الحياة وربطها كلها بالله تبارك وتعالى . وكفل لها البقاء والوقارَ فلا تُنتهك ولا تُهان ولا يُستهزأ بها ، فليس لأحد من الخلق اختيار ولا تبديل ولا تعديل في ضوابط نصوص الكتاب والسنة لا تؤثر فيها الشهوات النازية ولا الرغبات المتقلبة ، ولا المصالح العارضة التي يراها فرد أو مجموعة ، أو جيل من الأجيال ، فَيُحطِّمون باسم المصلحة وباسم اليُسر والسماحة ، تلك الضوابط التي نظَّمت حياة المسلمين .

فالمصلحة لا تتحقق إلا في نصوص الشريعة التي أنزلها خالق الإنسان ، وإن خالفت رغبات بعض الناس . والله يعلم ما يصلح

الإنسـان وهو أعلـم بما ينظم حيـاته ، ويعلـم جل شـأنه مـا لا يعلم البشر .

﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

فـمـا يقـرره الخـالق تبـارك وتعـالىٰ في شـريعتـه خير للخلق مما يقرورنه لأنفسهم .

وأدنىٰ مراتب الأدب مع الله . أن يتهمَ الإنسان رأيه أمام تقدير الله .

وأما حـقيـقة الأدب مع الله فـهي أن لا يكون للإنسان خِيَرة مع أمر الله ولا يكون له رغبة تخالف هذا الدين الذي أكمله الله ورضيه للمسلمين ديناً ، فـيجب علىٰ المسلم الانقيـاد لأوامر الله بالـرضا والتسليم .

والثقة والاطمئنان بأَنَّ قدرَ الله خير للإنسان من تقـدير نفسه ، وأن شرع الله خيرٌ للبشر من شرع المخلوقين .

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [النساء : ٦٥] .

إن الله وملائكته يصلون علىٰ النبي . . . إلىٰ الدعاء .

الخطبة رقم « ٨ »

منطلق البشر

الحمد لله رب العالمين ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ [النساء : ١] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله بالبر والإحسان والعدالة والمساواة وبالتوحيد والإيمان .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتّبعه ودعى بدعوته .

أما بعد :

فلقد انطلقت البشرية من الجنة في السماء ممثلة في آدم وزوجه حواء عليهما السلام أخرجهما الله ـ عز وجل ـ من الجنة وأهبطا ومعهما عدوهما إبليس الذي وسوس لهما وتسبب في إخراجهما من الجنة والناس يريدون الرجوع إلى الجنة إلا أن إبليس العدو المبين وأعوانه يحول بينهم وبين طريقها .

ومن رحمة الله بالناس أن أرسل إليهم رسلاً يذكرونهم ما نسوه من عهد الله، وبعداوة إبليس، ويُنْذرونهم لقاء يومهم الموعود.

وآخر الرسل الصفوة المطهر ﷺ. فأخرج الناس من الجاهلية إلىٰ الإيمان، إلا أن الناس اليوم في موقفهم الذي كانوا فيه حينما جاء محمد ﷺ وأخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، رجع البشر إلىٰ الجاهلية فعكفوا عند الأصنام والقبور التي كانت موجودة قبل الإسلام.

جاء الإسلام ليقيم معنىٰ لا إله إلا الله.

إن هذا الدين لم يكن حادثاً تاريخياً ينتهي بمضي تاريخه، بل هو نظام سماوي من رب العالمين من رب الناس الذي خلق الناس ثابت صالح لكل أمة فليس للعرب وحدهم، وصالح لكل زمان ومكان فليس لأهل مكة والمدينة والجزيرة العربية، إنَّما هو لكل الناس، يقيم تصوراته علىٰ رضا من الله وعلىٰ وفق منهج الله الذي أرسل به رسله وآخرهم محمد بن عبد الله ﷺ، فمتىٰ كان المسلمون مع الله، كان معهم ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨)**﴾ [**محمد**: ٧، ٨]. ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) ﴾ [آل عمران : ١٢٦] .

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) ﴾ [الصف : ١٣] .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾ [الروم : ٤٧] .

ألم يأتكم نبأ قوم نوح وهود وشعيب ولوط لما عاندوا الرسل وكذبوهم وعلم الله أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن كيف عاقبهم الله بذنوبهم .

﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾ [العنكبوت : ٤٠] .

فهذه هي الصورة الحقيقية للإسلام ، وإذا اتبع المسلم وحي الله الذي أنزل علىٰ رسوله محمد ﷺ الذي حفظه الله وسخر له ما في السموات وما في الأرض وأخلص العمل لله كان متقدماً متحضراً متحرراً وإن سبقه غيره إلىٰ الصناعات والمقترحات والتنفيذ .

وإذا ترك المسلم دينه ، رجع إلىٰ الوراء القهري ؛ لأنه رجع إلىٰ الجاهلية الأولىٰ قبل الإسلام ، ولكن الناس يؤثرون الحياة الدنيا

والآخرة خير وأبقىٰ . قال سبحانه : ﴿كلا بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقي﴾ .

أما التقدم في الصناعات والحرف فهي أمر ظاهر يعرف بالتجارب والتمرين وبناء الأخير علىٰ بنيان الأول ـ وقد أخبر سبحانه عنهم أنهم يفعلون ذلك فقال سبحانه ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** (٧)﴾ [الروم: ٧] .

يجب علىٰ المسلم أن يأخذ إسلامه من مصادره ، من القرآن الكريم فإنه سهل ، ومن السنة المطهرة فهي ميسرة علىٰ من يسرها الله عليه .

إن العالم الإسلامي قد رجع الجاهلية الأولىٰ بعد أن أخذ بيدهم نبي الرحمة والهداية محمد ﷺ وبعد أن أنقذهم عليه الصلاة والسلام من الجاهلية .

ولن تفلح الأمة المسلمة إلا إذا أخذت بتوحيد الله وإفراده بالعبادة ، وكانت مع الله ليكون معها ، ولكنهم انقسموا علىٰ أنفسهم أقساماً بسبب بعدهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبسبب أن الإسلام لا يُعَلَّم في المدارس الرسمية .

أما إذا كانت تعظِّم غير الله وترجوا غير الله وتَدعو غير الله فالله يكون بعيداً عنها ولا ينظر إليها نظرة رحمة ولا يستجيب دعائها ، فهي قبل غيرها مثل أعداء الإسلام .

والإسلام لا يصادم الدنيا ولا المادية ولا يحتقرها وإنما ينظمها، ويُطهِّر مأكل المسلمين ومشاربهم .

يعمل الإسلام على إصلاح البشر ورفع مستواهم من مشابهة الحيوانات إلى مشابهة الملائكة الذين ﴿ **لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ⦗٦⦘ ﴾ [**التحريم** : ٦] .

لكن حين تكون الدار الآخرة هي الهدف ويكون الإيمان بمعناه سائراً والتوحيد لله في جميع الأقوال والأفعال تكون خصائص الإنسان أسلم محل لتكريم الله ولرعايته ويكون المجتمع متحضراً متقدماً ربانياً ، أما إذا كان الإيثار للحياة الدينا ، الحلال ما حلَّ في أيديهم والعكوف عند القبور والله أعلم هل هي قبور صالحين أو طالحين وهل هي قبور آدميين أم حيوانات يضحك أعداء الإسلام على المسلمين . ويُغررون بهم هم وأعوانهم من المسلمين . وعملاؤهم من دعاة الرذيلة والخنا والسخرية والاستهزاء بالمسلمين . يكون إذاً المسلمون في مؤخرة الركب دائماً ويرجعون إلى الجاهلية التي أنقذهم منها رسول الله ﷺ .

إن الإسلام لا يحتقر المادة ، في جميع صورها ونظرياتها وإنما ينظمها ويعمل على ما فيه تأليف القلوب وجمع شمل المسلم بأخيه المسلم ،فيحل الطيبات ويحرم الخبائث ويحترم شعور الآخرين ويضع الأغلال والآصار التي كانت على المعاندين المكذبين .

الإسلام يريد أن يكون المسلم حراً في ذاته وتصوراته متصلاً بالله وحده ، مُتحرراً من الشهوات والهوىٰ من اتباع الأعداء وأولهم إبليس أعاذنا الله منه ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ** (٢٧) ﴾ [**الأعراف** : ٢٧] .

﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** (٩٩) ﴾ [**النحل** : ٩٩] .

إن المسلمين الآن قد صاروا شيعاً ، كل حزب بما لديهم فرحون ، فمنهم ملحد ينكر وجود الله ، ومنهم من يعترف بوجود الله ولكنه يجعل له من عباده أضداداً وأنداداً ويجعلون لعباده مما خلق نصيباً . ومنهم من جعل لله ولداً واتخذوا العظماء والزعماء أرباباً من دون الله يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله فيطيعونهم .

ومنهم من يتبع مناهج أعدائهم حَذو النعل بالنعل ويسمونه رقياً وتقدماً وتطوراً . ويرفضون منهج الله الذي أنزله من فوق سماواته علىٰ خير خلق الله محمد ﷺ .

إن أهل الجاهلية الأولىٰ أكثر فهماً للنصوص من الجاهلية المعاصرة ، فالأولىٰ قال لهم الرسول ﷺ : قولوا لا إله إلا الله .

قالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً . أما الوقت الحاضر فيقرأ الشخص قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** (٣١) ﴾ [**الحج** : ٣١] . فإذا انتهىٰ قال : يا سيدي فلان أغثني المدد ، سهل ولادة فلانة أو نجح فلاناً أو اذكرني عند الصراط . تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا .

إن الأموات تحت التراب لو كانوا ينفعون أحداً لنفعوا أنفسهم . فاتقِّ الله أيها المسلم . النَّفْعُ والضَّرر بيد الله . ليس لأحد معه تصرف في هذا الوجود ولا يوم القيامة :

﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (١٢٠) ﴾ [**المائدة** : ١٢٠] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، واجعلنا ممن يحل ما أحل ويحرم ما حرم ، ويعمل بتوجيهاته ، إنك ولي ذلك والقادر عليه . واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين . ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝١ ﴾ [الكهف : ١] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد : ٣] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . إمام المتقين وقائد الغر المحجلين . اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديه إلىٰ يوم الدين .

أما بعد :

فإن التشريعات الإسلامية والتوجيهات في منهج الله ، تَنْبُع من العقيدة ، وترتكز علىٰ التوحيد الخالص لله وحد . وهذه سمة منهج الإسلام فاتقوا الله أيها المسلمون . راقبوا ربكم وأخلصوا له العمل ولا تصرفوا شيئاً من حقه إلىٰ خلقه فيغضب فإذا غضب أدخل النار .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

وصلوا علىٰ البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقـــم « ٩ »

الصلاة تؤثر في السلوك

الحمد لله رب العالمين، وعْدُه لا يخلف ، وشرعه مُيَسَّر وقضاؤه نافذ لا يُسأل عما يفعل وهم يسئلون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . منه المبتدأ وإليه المنتهىٰ .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله دعا إلىٰ الله علىٰ بصيرة وجاهد في الله حق جهاده . بلغ رسالة ربه ولازالت غضةً طريَّةً كما أنزلت صالحة لكل زمان ومكان ولكل جيل وإقليم والله المستعان .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد :

فإن ركنا من أركان الإسلام ورد ذكره في القرآن الكريم ، مقروناً بالألف واللام سبْعاً وستين مرة في ثمانٍ وعشرين سورة . ورد ذكره في القرآن تارة بالأمر بأدائه . وتارة بمدح فاعله والثناء

عليه وبيان ثوابه . وتارة بذم تاركه وبيان عقابه . وهذا يدل على مكانة هذا الركن ـ عند الخالق تبارك وتعالى . وقوةِ تأثيره في سلوك المسلمين ـ وتَثْبِيتِهم في الشدائد .

إنه الركن الثاني من أركان الإسلام ، وهو الصلاة ، ذلك الركن العظيم الذي غفل عنه كثير من المسلمين وتهاونوا به ، وآثروا النوم والراحة على أدائها مع جماعة المسلمين في المساجد ولو يعلم أولئك مكانة الصلاة من الإسلام وتأثيرها في سلوك الفرد والجماعة . وثواب فاعلها وعقاب تاركها ؛ لطار النوم من أعينهم ولذهب الكسل من أبدانهم .

ولأهمية الصلاة جُعل لها أوقاتٌ لا تعارض مصالح المسلم **﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾** .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «وقتُ الظهر إذا زالت الشمس ، وكان ظل الرجل طولَه ما لم يحضر العصر . ووقت صلاة العصر ما لم تصفر الشمس . ووقتُ صلاة المغرب ما لم يغب الشفق . ووقتُ صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط . ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس » .

فأوقات الصلوات المكتوبة : إما قبل العمل ، مثل صلاة العصر والفجر . وإما بعد العمل مثل : صلاة الظهر والمغرب

والعشاء .

ولما كانت الصلاة تشد المسلم إلىٰ القوة الغالبة القاهرة إلىٰ ربه الذي خلقه شرعت له صلاة الجماعة للرجال ، وجُعل لها أماكن تؤدىٰ فيها ، وهي المساجد . ولقد كان المسجد ملتقىٰ المسلمين يتعاونون فيه علىٰ البر والتقوىٰ وحل مشاكلهم .

وكان المجتمع المسلم سمحاً طاهراً نظيفاً هدفه الصدق والوفاء والنصح . وصفاء الضمير ، وخلوص النية لله تعالىٰ .

ولمكانة المسجد وأهميته رغب النبي ﷺ في بناء المساجد . روىٰ البخاري ومسلم رحمة الله عليهما بسنديهما عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول : من بني لله مسجداً يبتغي به وجه الله بنىٰ الله له بيتاً في الجنة » . وروىٰ الطبراني عن أبي قِرْصافه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ابنوا المساجد إلىٰ أن قال : وإخراجُ القمامة منها مهورُ الحورالعين . فهنيئاً وبشرىٰ لمن بنىٰ مسجداً أو وسَّع مسجداً ونظفه وجعل فيه الهواء البارد والماء البارد بشرىٰ له بالنعيم عند الحور العين في جنات النعيم .

ولتأثير الصلاة في إصلاح الأمة ، شُرع لها الأذان إعلاناً بدخول وقتها لتنبيه الغافل ، وإيقاظ النائم وليجتمع المسلمون في بيت من بيوت الله ليدعو بعضهم بعضاً . وليتفقدوا أحوالهم .

وليتعاونوا على نوائب الدهر ويتصلون بربهم يناجونه ويُعَظمونه ويسبحونه ويتْلُون كلامه ويسألونه لدينهم ودنياهم .

ولهذا يجب أن يكون المصلى لائقاً لمناجاة ربه والوقوف بين يديه طاهراً من الحدث الأكبر والأصغر والنجاسات بحسب استطاعته ، وينبغي أن يكون المصلي على جانب من العناية بنفسه حسب طاقته . فلا يأكل ثوماً ولا بصلاً ويلقي عنه كل ما يقلقه ويشوش عليه في صلاته مثل مدافعة الأخبثين ومن لطف الله بعباده وتيسيره في شرعه أسْقط عن المكلف ما يعجز عنه من الأركان والواجبات وشرع للمسافر قَصْر الصلاة وأباح المسح على الخفين . والجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في وقت إحداهما للحاجة . ومن لم يستطع استعمال الماء لعدمٍ أو عجزٍ أو عذرٍ فالتَّيممُ يقوم مقامه . ومن له عذر يصلي بحسب حاله ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** (٢٨٦)﴾ [**البقرة** : ٢٨٦] .

ولتأثير الصلاة في حياة المسلمين ولعظم شأنها عند الله لا تسقط عن المسلم ما دام قلبه يعي .

ولا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها أبداً مهما كان الأمر بحسب الاستطاعة ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ .

وروى البخاري رحمه الله عن عمران بن حُصَيْن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «صلِّ قائماً فإن لم تستطع فقاعداً ،

فإن لم تستطع فعلىٰ جنب» . وقال عليه الصلاة والسلام : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . ومن هذا أخذ بعض العلماء أن المريض إذا لم يستطع الصلاة علىٰ جنب صلىٰ مستلقياً ، فإن لم يستطع أومأ بطرفه . فإن لم يستطيع نوىٰ بقلبه أعمال الصلاة ، فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها ما دام القلب يعي ويدرك ما يُقال له . سواء مستقبل القبلة أم لا ، وسواء كان علىٰ وضوء أم لا ، يصلي بحسب حاله .

ولمكانة الصلاة وتأثيرها في قوة المسلمين وشجاعتهم أمروا بأدائها في حال الخوف وتقابل الجيشين حتىٰ في حال اشتباك القتال وفي حال الضرب والطعن . فالصلاة سلاح في المعركة .

ولقد كان إمامنا وقائدنا النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم الذين تربوا بالقرآن وبسنة سيد الأنام ﷺ : يَلْقون عدوهم بهذا السلاح قبل أي سلاح ، وكانوا متفوقين علىٰ عدوهم .

والمسلمون في العصر الحاضر إذا تخلقوا بأخلاق النبي ﷺ وتخلقوا بالقرآن ورجعوا إلىٰ الله . وعملوا بشرائع الإسلام ، كان لهم ما لرسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم : نصر وعز وتمكين . فالصلاة تعبئة روحية تصلهم بالله الذي بيده النصر والهزيمة فيكون معهم يؤيدهم ويثبتهم ويَهَبُهم قوة وعزيمة . ويلقي في قلوب أعدائهم رعباً وخوراً وذلاً وهواناً .

فاتقوا الله أيها المسلمون ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**﴾ . حافظوا على صلتكم بالله . ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**﴾ .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم .

وأشـهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له . له الملك وله الحمد وله الثناء الحسن .

وأشـهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ترك أمته علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يُصرف عنها إلا محروم .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد :

فكثيراً ما يُذكِّر القرآن المؤمنين بنعيم الله عليهم ؛ لأن المسلم الحقيقي يعرف نعمة الله . ويعرف قيمة نعمة الله عليه . وأن من أكبر نعم الله علىٰ المسلمين هدايتهم للإيمان بالله وبرسالة محمد ﷺ . وكفىٰ فضلاً وغبطة أن المسلم دائماً مرتاح البال ، طيب الضمير ، وحاله كلها خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له . وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له .

فاتقوا الله . أيها المسلمون واشكروا نعم الله بالقول والعمل .

واعلموا أن الله تعالىٰ أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه . . ﴿ **إِنَّ اللَّهَ**

وَمَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
(٥٦)﴾ [الأحزاب: ٥٦]. إلخ الدعاء.

الخطبة رقم « ١٠ »

الـــزواج

الحمد لله رب العالمين ، ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) ﴾ [غافر : ١ –٣] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين وإله الأولين والآخرين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله إلى الناس كافة على فترة من الرسل ، فحمل راية الهداية وجاءنا بهذا النور الواضح فأظهر الله به الحجة وأبان المحجة . وتركنا على ملة سمحة بيضاء ناصعة ليلها كنهارها ، لا يحيد عنها إلا من كتب له الشقاوة .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ﷺ وعلى اله وأصحابه الذين اتبعوا النور الذي أنزل معه وجاهدوا في الله حق جهاده ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد :

فإن الزواج من سنن المرسلين ومحبب للنفوس : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ

أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم: ٢١].

وهوأول الأسرة وبه يبنى المجتمع .

والأصل في مشروعيته : الكتاب والسنة والإجماع .

قال سبحانه : ﴿ ..... فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ (٣) ﴾ [النساء: ٣].

وقال ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فَلْيَصُم فإن الصوم له وجاء» . متفق عليه .

وأجمع المسلمون على أن النكاح مشروع في دين الإسلام .

وحكم النكاح في الشرع مندوب في الجملة . وقيل : بالوجوب في العمر مرة واحدة والناس في النكاح من جهة الوجوب وغيره ثلاثة أنواع :

النوع الأول : نوع يخاف على نفسه أن يقع في المحظور إذا لم يتزوج ، فهذا يجب عليه الزواج .

الثاني : له شهوة يملكها فيأمن على نفسه الوقوع في المحظور ، فهذا يستحب له الزواج ابتغاء الولد وإحصان المرأة .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام ولي طول النكاح لتزوجت مخافة الفتنة » . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لسعيد بن جبير رضي الله عنه : «تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء» .

وقال إبراهيم بن ميسرة قال لي طاووس رحمهم الله : «لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر رضي الله عنه لأبي الزوائد ما يمنعك عن النكاح إلا عجز أو فجور» .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : ليست العزبة من الإسلام في شيء والزواج مشروع بقوله ﷺ وفعله . فقد ثبت أنه ﷺ قال على أثر مقالة عثمان بن مظعون ورفاقه : «ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني » . وقال ﷺ : « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة . . » .

النوع الثالث : ليست له شهوة أبداً ولا يحصل له شيء من مقاصد الزواج لا ابتغاء الولد ولا إحصان المرأة فيكون النكاح في حقه جائز وتفرغه للعبادة أولىٰ .

وإذا تعددت الزوجات جاز للمرأة أن تتنازل عن ليلتها لضرتها .

وإذا نظرنا إلىٰ النص الشرعي وجدنا أن سودة وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنهما وأن صفية وهبت يومها لعائشة لأن الحق

للمرأة فإذا تركت حقها بطوعها واختيارها . سقط . وصار القسم بينهما ويسقط نصيب التي وهبت . وإن وهبت ليلتها للزوج وضعها حيث شاء؛ لأنه لا ضرر على الباقيات .

الطلاق حل عقدة النكاح أو بعضها ، وتجرى عليه أحكام خمسة :

١ ـ يكون الطلاق واجباً في حق المولى ، مثل طلاق الحَكَمين إذا رأيا ذلك .

٢ ـ يكون الطلاق مكروهاً إذا كان من غير حاجة ، فيكره للرجل أن يطلق زوجه بدون سبب شرعي ، وإنما لشيء وجده في نفسه .

٣ ـ الثالث : يكون الطلاق مباحاً إذا كان لحاجة مثل سوء عشرة المرأة .

٤ ـ الرابع : يكون الطلاق مندوباً إليه ، إذا فرَّطت المرأة في حق الله تعالى ، أو في حق زوجها إذا كانت غير عفيفة .

٥ ـ الخامس الطلاق المحرَّم : وهو طلاق البدعة ، بالثلاث في كلمة واحدة . أو حال الحيض ، أو في طهر وقع فيه اتصال جنسي لقوله سبحانه وتعالى : ﴿**فطلقوهن لعدتهن**﴾ وطلق عبد الله بن عمر زوجته وهي في العادة فأنكره عمر عليه فأخبر النبي ﷺ فغضب وقال مرة : فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض وتطهر . ثم إن بداله له أن يطلق فليطلق في طهر لم يجامعها فيه فتلك العدة التي

أمر الله أن تطلق فيها النساء .

والجمهور على أن طلاق البدعة يقع ؛ لقول ابن عمر : حُسبت عليَّ طلقة ، ولقوله عليه الصلاة والسلام (مرة) فليراجعها والرجعة تكون بعد طلاق .

لكن إذا صدر اللفظ المقتضي وقع ما اقتضاه اللفظ والنية أمر خفي . قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** (١) ﴾ [**الطلاق** : ١] .

قال ابن كثير في التفسير خوطب النبي ﷺ بهذه الآية ابتداءً تشريفاً وتكريماً . ثم خوطبت أمته .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، اجعلوا تصرفاتكم شرعية وفق ما جاء به نبينا محمد ﷺ وخلفاؤه . واعرفوا الطلاق البدعي من غيره وافعلوا السنة .

اللهم بارك لنا في القرآن . وانفعنا بما فيه من الآيات والبينان . وعلمنا منه ما جهلنا وذكرنا منه ما نُسِّينا وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا . إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يقبل توبة التائبين ويغفر ذنوب المستغفرين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين وقائد الغز المحجلين .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه الذين جاهدوا في الله حق جهاده . واختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ . ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد :

فأمامنا موضوع اهتم به الناس ، وهو مخالف لهدي رسول الله ﷺ وخلفائه ، وهوالاحتفال بالمناسبات الشرعية . مثل المولد النبوي والإسراء . ولو كان احتفال خير لسبقنا به نبينا محمد ﷺ والصحابة والتابعون ، وإنَّما حدث لما استولىٰ علىٰ المسلمين أعداء لدينهم تظاهروا بالنصح لهم فَغَزُّوهم .

ذكر في المشكاة عن قيس بن سعد قال : أتيت الحيرة فوجدتهم يسجدون لمرزبان لهم . فقلت لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَحقُ أن يسجد له . فأتيت رسول الله فأخبرته ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أرأيت

لو مررت على قبري أكنت تسجد لي ؟ قلت : لا . فقال : لا تفعلوا ، لو كنت آمراً أحد أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من حق » رواه أبو داود .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . إذا كان النبي ﷺ وخلفاؤه وأصحابه والتابعون لم يحتفلوا بالمولد فهو بدعة مردودة على صاحبها ، يجد عقابها يوم القيامة فاتقوا الله وراقبوه وارغبوا فيما عنده ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [الأحزاب : ٥٦] . إلخ الدعاء .

(١) مشكاة المصابيح : ٢ / ٩٧٤ والحديث برقم ٣٢٦٦ .

الخطبة رقــم (١١)

كل من الجنسين موافق للآخر

الحمد لله رب العـالمين، نظَّم الغـرائز في الإنسـان علىٰ وفق الحكمة التي خلقت لها .

وأشـهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له . خلق الإنسـان وتكفَّل برزقه ورعايته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمـداً عبده ورسوله أحل الطيبات وما فيه نفع للإنسان وحرم الخبائث ؛ لأنها ضرر علىٰ الإنسان .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمـد وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديه واتبع سبيله .

أما بعد :

فإن الله تعالىٰ خلق في الإنسان غرائز جنسية لحكمة التناسل وبقاء ولد آدم إلىٰ أن تقوم الساعة ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم: ٢١] . ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ

يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ﴿٧٢﴾ [النحل : ٧٢] .

فعلى الإنسان أن يأخذ بالأسباب التي من شأنها تحقيق الحكمة الربانية في التناسل والتوالد وهو الزواج الشرعي وتكوين الأسر وعلى الأولياء التيسير وتقليل المؤنة .

والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر ، وتشغل أفكارهم تلك الصلة بين الجنسين، وتلك المشاعر تحرك نشاطهم وتدفعهم إلى اتصال الزوجية التي تفتح البيوت وتبني الأسر . ولكنهم يغفلون ، وقلَّما يتذكرون قدرة الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر وجعلت في تلك الصلة الشرعية سكناً للنفس وهدوءاً للأعصاب وراحة للجسم والقلب واستقراراً للحياة وأنساً للأرواح والضمائر واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء .

فيجب على الإنسان أن يدرك حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على طبيعته التي تجعله موافقاً للآخر يجد عنده ما ذكره الخالق تبارك وتعالى لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد . فالمرأة أصيلة في نظام الحياة كأصالة الذكر مع بقائها على طبيعتها ومهمتها التكوينية في الحياة . بل ربما كانت المرأة أشد أصالة لأنها هي المستقر وهي التي تنتج الأولاد وتربيهم وتَتْعَب عليهم . وهذا الإدراك مرتبط بالإيمان . فالانحراف عن الإيمان لا تقف آثاره عند

حدود العقيدة بل تمتد إلىٰ غيرها من العادات المستحكمة وتسير في أوضاع الحياة والتقاليد المتعارف عليها . فإذا استقام الإيمان استقامت الأوضاع ، وإذا انحرفت العقيدة والإيمان انحرفت الأوضاع ، ولئن سمعنا بمن يلمز العقيدة والشريعة الإسلامية في مسألة المرأة نتيجة لما يرونه في هذه المجتمعات المنحرفة . ولم يكلف أولئك الناعقون أنفسهم نظرة في الإسلام . وما أحدثه في حق المرأة وإنقاذها من التصورات الخاطئة .

فالإسلام أوضح مكانة المرأة في الحياة وفي المجتمع المسلم وبيَّن رسالتها في الوجود . وأعطاها حقها من العزة والكرامة وجعل لها حق التملك والإرث وحسن الاختيار ، ولكن أولئك يريديون إذلالها وإذهاب مكانتها في الوجود وتعطيل الرسالة التي من أجلها خلقت . وجعلها تحت إراداتهم لتنفيذ مخططاتهم المعادية للإسلام .

وحين تنحرف العقيدة ويُفقد الإيمان تنحرف التصورات والاتجاهات .

إن الإيمان بالله الواحد القهار والإيمان بقدرته وإرادته ، يقود إلىٰ الإسلام . إلىٰ سُنَنه وشرعه . وقد شاء الله أن يخلق البشر والشعوب ذكراً وأنثىٰ وجعلهما شقين للنفس الواحدة تتكامل بهما وأن يتم بقاء هذا الجنس عن طريق النسل وأن يكون الغسل من التقاء

ذكر بأنثى . وقد ركبهما الخالق بإرادته وقدرته صالحين للتناسل ، مجهزين عُضوياً ونفسياً لتلك المهمة كل فيما يخصه . والخالق تبارك وتعالى نظم هذا اللقاء لبناء البيوت وتكوين الأسر . هذه سنة الله التي يتصلُ العلم بمقتضاها بالإيمان بالله وبحكمته ولطفه . فإذا حصل انحراف عنها فهو مرتبط بالانحراف عن الإيمان كلياً أو جزئياً ، فتنحرف الفطرة ويتضح انحراف الفطرة في قصة قوم لوط . وقد تجاوزوا المنهج الإلهي المتمثل في الفطرة . فإذا هم يريقون ويبعثرون الطاقة البشرية في غير موضعها .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ (٢٩) ﴾ [**العنكبوت** : ٢٨ ، ٢٩] .

فإتيان الذكرِ الذكرَ فاحشةٌ شاذة قذرة تداني انحراف الفطرة وفسادها . فلا هدف لتلك الفاحشة ولم يخلق الذكر للاستعمال والتلذذ فإذا وجد أحد تلذذا بالذكر فقد انسلخ نهائياً من خط الفطرة وصار ممسوخاً لا يرتبط بنظام الحياة ، والذين استقامت فطرتهم يستقذرون ذلك العمل . فقُبْحُ ذلك العمل مستقر في الطباع السليمة . وفيه تشبيه بالبهائم من همها الشهوة ، بل أخبث وأشنع فإن البهائم لا تعمل عمل قوم لوط إلا ما روي عن الخنزير والحمار فمن يرضى لنفسه أن يشابه الخنازير والحمير . ولو أن اللوطي آمن بأن الله حرمه لما فعله ولو آمن بأن الله يراه ما قرب منه فإن المفعول

فيه يلحقه العار والذلة والصغار والعيب الكامل على وجهه لا يزول. والعاقل لا يُلْحق العيب بغيره من أجل لذة خسيسة تنقضي في الحال.

إن هذا العمل القبيح يسبب العداوة المستنكرة بين الفاعل والمفعول فيه. وقد تؤدي تلك العداوة إلى أمر لا تحمد عقباه.

قال القرطبي في تفسيره جامع الأحكام: (سمى الخالق تعالى هذه الجريمة فاحشة لبيان أنها زنى قال سبحانه ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾**﴾ [**الإسراء**: ٣٢]. قال: واختلف العلماء فيما يجب على من فعل ذلك بعد إجماعهم على تحريمه. فقال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: يرجم الفاعل أحصن أو لم يُحصن. وأما المفعول به فإن كان قد بلغ رجم. ومستند الإمام مالك قوله تعالى: ﴿**وأمرنا عليه حجارة من سجيل**﴾. وما رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي والدارقطني أن رسول الله ﷺ قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ـ فاقتلوا الفاعل والمفعُول به» وعند الترمذي: «أحصنا أو لم يحصنا».

وروى أبو داود والدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنهما في البكر يوجد على اللوطية قال: يرجم.

وقد رُوي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه حرَّق رجلاً يسمى الفجاءة حين عمل عَمَل قوم لوط. وقال علي بن أبي طالب

رضي الله عنه : إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة صنع الله بها ما علمتم أرىٰ أن يحرق بالنار ، فأجمع الصحابة رضي الله عنهم علىٰ تحريق اللوطي بالنار .

وأحرق ابن الزبير اللوطية في زمانه . وأحرقهم هشام بن الوليد، وأحرقهم خالد القسري بالعراق . قال ابن العربي رحمه الله : والذي صار إليه مالك أحق فهو أصح سنداً وأقوىٰ معتمداً . وذكر القرطبي قول الشافعي وقول أبي حنيفة رحمة الله عليهما .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوا ربكم فإنه يراكم ويعلم أعمالكم ويسمع نجواكم . اتقوا الله عباد الله «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء» .

يا شباب الإسلام خذوا بتوجيهات نبيكم ﷺ .

﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** (١٢٨) ﴾ [**التوبة** : ١٢٨] .

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة .

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والرضا والغنىٰ والعفاف .

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** (١٠) ﴾ [**الحشر** : ١٠] .

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . حلَّل وحرم لمصلحة الناس ، لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق بني آدم لعبادته وطاعته ، منه المبتدأُ وإليه المعاد فيجازىٰ كل عامل بعمله .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين فبشر وأنذر ورغب وحذر . ﴿**وما على الرسول إلا البلاغ**﴾ .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أهل الفضل والتقىٰ ومن تبعهم واهتدىٰ .

أما بعد :

فإن عمل قوم لوط عاقبته وخيمة علىٰ الفاعل والمفعول به . فاللواط نذير الرعب . ودواعي الخَيْبَة ، ودليلٌ علىٰ سقوط الأخلاق وانحراف الفطرة . ودليل الخسة والدناءة . وسبب لانتشار الأوبئة والأمراض المهلكة . ويسبب غضب الرب تبارك وتعالىٰ ولعنته .

ويوجب الحد الشرعي القتل سواء بالنار أو بالسيف . ولا تقبل شهادةُ الفاعل ولا المفعول فيه ؛ لأنه كبيرة من الكبائر تُرَدُّ به

الشهادة . وفعلُ اللواط دليل قلة الإيمان وقلة الحياء من الله . فالله يسمع ويرىٰ ولو آمن العاصي بأن الله يسمعه ويراه ما أقدم علىٰ معصيته .

فاتقوا الله عباد الله . المشرِّع هو الله ، فلا يجوز لأحد أن يُحل ما حرم الله ولا أن يحرم ما أحل الله . فاتقوا الله عباد الله ، خافوا من الله واتقوه واحْذروا سخطه وعقابه . فاتقوا الله أيها الناس في أي مكان وراقبوه . فالخلق خلق الله والأمر أمر الله .

ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن الله تعالىٰ أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقــــم « ١٢ »

عناية الإسلام بالمرأة

الحمد لله رب العالمين، أكرم النساء وأعطاهن حقهن وافراً غير منقوص .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك . أعدل الحاكمين .

﴿ ... وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ﴾ [المائدة : ٥٠] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة ربه ، وأدَّىٰ أمانته كاملة ، ونصح لأمته . وجاهد ﷺ في الله حق جهاده . وكان بالمؤمنين رحيماً .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن آمن به وعمل بسنته .

أما بعد :

فإن الإسلام اعتنىٰ بالمرأة عناية تامة وأعطاها حقها جزلاً وافراً . أعطاها حقها في الكسب وجعل لها حق التملك من المال وفي الثواب والعقاب ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ

مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢) ﴾ [النساء : ٣٢] . الآية مطلقة عامة فتشمل كسب الآخرة والدنيا .

وكانت المرأة قبل الإسلام تُورَث ولا تُورِّث فأعطاها الإسلام حقوقها . وكانت مهانة مضطهدة عند أهل الكتاب ، وعند العرب لا يقبل رأيها ولا قولها فأكرمها الإسلام ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ... ﴾ [النساء : ١٩] .

قال البخاري رحمه الله كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته إن شاؤوا تزوَّجها أحدهم وإن شاؤا زوجوها (أي وأخذ واجدتها وإن شاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها فأبطل الإسلام ذلك وجعل لها حقها وأعطاها الإسلام حقها من الميراث وكانت من قبل تورث هي كالمتاع ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا** ﴾ (١) . ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ** ﴾ (٢) .

أعطى الإسلام المرأة حقها في اختيار الزوج الصالح ، وما

---

(١) النساء ، الآية : ٧ .

(٢) النساء ، الآية : ١١ .

اشتراط الولي إلا لأن الرجال يعرفون الرجال ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ (١).

وقال ﷺ : لا تنكح البكر حتىٰ تستأذن (وإذنها صماتها)، ولا تنكح الثيب حتىٰ تستأمر فتقول زوج وتُنعَّم بحسناتها وتُعذب بسيئاتها كالرجل وتدخل الجنة . فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت» (٢) رواه أبو نعيم في الحلية . وله شواهد تقويه ويرقىٰ بها إلىٰ الصحة .

وجعل لها حق النظر متحجبة إلىٰ الذين يلعبون قريباً من دارها قالت عائشة رضي الله عنها : «والله لقد رأيت النبي ﷺ يقوم علىٰ باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه لأنظر إلىٰ لعبهم بين أذنه وعاتقه يقوم من أجْلي حتىٰ أكون أنا التي أنصرف» (٣).

وجعل الله لها حق مسابقة الزوج والمزاح معه ، فعن عائشة

---

(١) البقرة ، الآية : ٢٣٢ .

(٢) مشكاة المصابيح : ٢ / ٢٠٢ والحديث برقم ٣٢٥٤ .

(٣) مشكاة المصابيح : ٢ / ١٩٩ .

رضي الله عنها قالت : تسابقت أنا ورسول الله قبل أن أحمل لحماً فسبقته ثم سابقته بعد أن حملت لحماً فسبقني . فقال : هذه بتلك، اللهم صل وسلم على صاحب الخلق العظيم (١) .

وقال نبي الرحمة ﷺ لعائشة رضي الله عنها : «إني لأعرف إذا كنت عني راضية وإذا كنت على غضبى . قالت : من أين تعرف ذلك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : إذا كنت عني راضية قلت : لا ورب محمد . وإذا كنت عني غضبى قلت : لا ورب إبراهيم . قالت : قلت أجل والله يا رسول الله إني ما أهجر إلا اسمك» (٢) متفق عليه .

وجعل الإسلام للمرأة حق النفقة والكسوة والسكن ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴿٧﴾ ﴾ [**الطلاق** : ٧] .

وقال ﷺ : «اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » رواه مسلم وغيره.

وجعل لها الإسلام حق المخالعة إذا لم تطق الصبر على الزوج. جاءت امرأة ثابت بن قيس فقالت : يا رسول الله ما أعتب

---

(١) انظر مشكاة المصابيح : ٢/ ٢٠٢ .

(٢) المشكاة : ٢/ ١٩٩ .

علىٰ ثابتٍ في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام ، فقال عليه الصلاة والسلام : أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم . فقال ﷺ لثابت : خذ الحديقة وطلقها تطليقة » رواه البخاري .

إذا عرفنا هذا وغيره كثير ، فما بال بعض النساء لا ترضىٰ بما كتب الله لها ، يجب عليها الرضا بعدالة الإسلام . بعض النساء ترىٰ أن البيت سجناً والأولاد قيداً ، تحب أن تكون مثل الرجل في أعماله ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ... ﴿٣٢﴾ ﴾ [**النساء** : ٣٢] . ألا يكفي المرأة أنها هي التي تُنشئ الرجال وتربيهم وتؤدبهم وتؤهلهم . ألا يكفي النساء ما أعطاهن الله ورسوله ﷺ من الحقوق التي كانت ضائعة الذي يقنع بما كتب الله له وهو العدل في أحكامه . فقد كمل عقله . ومن لم يرض فهو ناقص العقل والدين . والمرأة جزء من الرجل فلا بد من التعاون علىٰ الحياة فكل خلق لعمل لا يقوم به الثاني .

فلما رأىٰ الغرب أن الإسلام أعطىٰ النساء حقهن أراد أن يغطي ما مضىٰ . فأفلت المرأة ودعا لانفلاتها وتحللها من جميع الأخلاق ليسهل صيدها ، إذا وجدت بين الرجال ، وقصر الثوب ليعرف من حال الساقين حال بقية الجسم .

فاتقي الله أيتها المرأة المسلمة عليك الرضا بما كتب الله فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وأزواجنا وذرياتنا والمسلمين أجمعين إنك أنك الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، نظم حياة عباده وألزمهم بكفالة أولادهم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أوجب على الأبوين حضانة طفلهما وعلى الوارث مثل ذلك .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير الهادي القدير .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتّبع سبيله .

أما بعد :

فإن الأم أحق بكفالة ابنها ذكراً كان أو أنثى قبل سبع سنين . ما لم تتزوج ؛ لأنه يتعلق بها حق الزوج . فإذا بلغ الصبي الذكر سبع سنين خير بين أبيه وأمه .

كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عنبه وقد نفعني فقال النبي ﷺ : هذا أبوك وهذه أمك فخذ بيد أيهما شئت فأخذ بيد أمه فانطلقت به » رواه أبو داود وأجمع عليه الصحابة .

أما الأنثىٰ فإذا أتمت سبع سنين ففيها خلاف بين العلماء؛ فبعضهم قال تكون عند أبيها ؛ لأنه أحفظ لها .

وقال بعضهم : تخير كالغلام .

وقال بعضهم : تكون عند أمها حتىٰ تتزوج . أو تحيض علىٰ خلاف .

والمقيم أحق بالحضانة من الذي يسافر من بلد إلىٰ بلد ثم يعود؛ لأن السفر بالصغير ذكراً كان أو أنثىٰ فيه إضرار به والمقصود من الحضانة أو الكفالة الإرفاق بالصغير ، وصلاحه وتربيته .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . احرصوا علىٰ مصالح أولادكم فإن الإسلام حرص علىٰ مصالحهم وتربيتهم والنظر الأحفظ لهم .

وصلوا علىٰ البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبـة رقـم « ١٣ »

أخذ الحذر من فتنة النساء

الحمد لله رب العـالمين . شـرع الأحكام لإصـلاح العـبـاد وسعادتهم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لطيف في علمه حكيم في أمره ونهيه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . رحيم بأمته يَعِز عليه ما يشق عليهم . حريض على نفسهم في دينهم ودنياهم .

اللهم صل وسلم وسلم على عبدك ورسولك نبنيا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد .

أما بعد :

فلما ذكر سبحانه وتعالى في سورة النساء أنواعاً من الأحكام في المواريث والمحللات والمحرمات ونهى عن الفاحشة أعقبها بقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ

الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء : ٢٦ – ٢٨] .

قال المفسرون : أي ليبين لكم ما أحل لكم وما حرم عليكم . كقوله سبحانه : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ [الأنعام: ...] ؛ فالخالق تعالىٰ يتلطف مع خلقه فيبين لهم حكمة تشريعاته ويكرمهم ويرفعهم إلىٰ هذا المستوىٰ ويقول لهم : إنه يريد أن يكشف لهم عن حكمته ليتقبلوا تشريعاته بقناعةٍ وإدراك .

ولكن لا يُدرك مدىٰ هذا التكريم إلا من يعرف مقام الألوهية ومقام العبودية ودين الله الذي شرعه للمؤمنين منهج ثابت في أحواله . مُوحد في مبادئه مطرد في غايته وأهدافه . وهو منهج المؤمنين في كل مكان وزمان فمن عِلْمه وحكمته جل شأنه تصْدر تشريعَاتُه .

فالآية تكشف عن حقيقة ما يريده الله بالبشر حين يشرع لهم ويبين الحلال والحرام . كما يُبيِّن حقيقة ما يريده أعداء المسلمين ، أعداء الإنسانية الذين يتبعون الشهوات ولا يتبعون منهج الله .

وكل ما حاد عن منهج الله فهو اتباع للشهوات ، فطريق السعادة واحد هو الجد والاستقامة ، وما عداه هوىً متبعاً ، وشهواتٍ تطاع . وانحرافٍ وضلال .

وحين يُشرِّع سبحانه ويُبين منهجه ، إنَّما يريد أن يتوب علىٰ المؤمنين به وبرسالته . يريد أن يهدهم صراطاً مستقيماً ، وأن يجنبهم

المهالك والمزالق .

يريد الله تبارك وتعالىٰ أن يطهر المجتمع الذي ينتمي إليه . حتىٰ يلقاه الرجال والنساء علىٰ الهيئة التي يحبها الله .

يريد أن يرفَعُهم إلىٰ المرتقىٰ الذي يليق بالمؤمنين، يليق بحزب الله .

أما الذين يتبعون الشهوات فُيريدون إطلاق الغرائز من كل قيد بلا حاجز وبلا نظام والشهوات حينما تُفْلتُ وتُتبع لا يَقَر معها قلب . ولا يَسْكن عصب، ولا يطمئن بيت ولا يسلم معها عِرض، ولا تقوم معها أُسرة .

يريد الذين يتبعون الشهوات أن يعود الآدميون قِطْعَاناً من البهائم ينزووا فيها الذكران علىٰ الإناث بلا ضابط وبلا نظام ولا هدف . إلا إشباع الرَّغبة واتباع الهوىٰ . وإفسادَ المجتمع وإشغال الناس عما يريده أولئك . وهذا هو الميل الذي يحذر الله منه المؤمنين وممن يتبع الشهوات والأقلام الهابطة والأجهزة الموجهة لتحطيم ما بقي من التشريعات والنظم الإسلامية .

قال الحافظ ابن كثير عند قوله تعالىٰ : ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا** (٢٧) ﴾ [النساء: ٢٧] : أي : يريد أَتْباع الشياطين من اليهود والنصارىٰ والزُّناة أن تميلوا عن الحق إلىٰ الباطل .

وقال ابن أبي حاتم : ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا (٢٨) ﴾ [النساء : ٢٨] ، أي : في أمر النساء .

وقال وكيع : يذهب عقله عندهن .

ونقل القرطبي أن سعيد بن المسيب رحمه الله قال : لقد أتىٰ علي ثمانون سنة وذهب إحدىٰ عيني وأنا أعشوا بالأخرىٰ وصاحبي أعمىٰ أصم - يعني عضوه وإني أخاف من فتنة النساء . ونُقَل عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : ألا تروني لا أقوم إلا رَفْدا أي معاناً ولا آكل إلا ما لُوِّق لي يعني لُين وسُخن . وقد مات صاحبي من زمان وما يسرني أن أخلوا بامرأة لا تحل لي مخافة أن يأتي الشيطان فيحركه عليَّ فاتقوا الله أيها المؤمنون اتقوا الله يا دعاة الاختلاط اتقوا فتنة النساء .

قال الرازي (١) كان المجوس يحلّون الأخوات وبنات الإخوة وبنات الأخوات ، فلما حرَّمَهن الله وأحل بنت الخالة وبنت العمة . قالوا : الخالة والعمة عليكم حرام فكيف تحلون بناتهن فانكحوا أيضاً بنات الأخ والأخت ، قاتلهم الله : قياس مع الفارق . فتحريم بنات الأخ والأخت ؛ لأن قرابتهما من جهة ذات الشخص فيحرمن وتحرم بناتهن علىٰ ذات الرجل إلىٰ الأبد .

أما العمة والخالة فتحريمهما لقرابتهما بِأَبِ الإنسان فتحل

---

(١) الرازي : ١٠ / ٦٧ .

بناتهما للولد دون الأب .

وقوله سبحانه : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ** ﴾ [**النساء** : ٢٨ . من ذلك إباحة نكاح الأمة عند الحاجة ومنه تيسيره وتسهيله في التشريع ولم يُثقل التكيف كقوله سبحانه : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ وقوله : ﴿ **ما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ ، وكقوله ﷺ : « جئتكم بالحنيفية السمحة السهلة » . وقوله عليه الصلاة والسلام : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» . وكقوله تعالىٰ : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ... ﴾ [**البقرة** : ٢٨٦] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبـة الثـانيــة

الحمد لله رب العالمين ، هدانا لمعالم دينه الذي ارتضاه لنفسه .

وأشـهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له يحب التـوابين ويحب المتطهرين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقائد الغر المحجلين . اللهم صل على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فـبعضُ النـاس يظن أن التـقـيـد بمنهج الله شاق مُـجْـهـد وأن الانطلاق وراء الذين يتعبون الشهوات ميسر مريح ، وهذا وهم وظن سُوء . والواقع الماضي يبين الحقائق . فانظر أيها الإنسان إلى سيرة النبي ﷺ وأصحابه وخلفائه والتابعين لهم بإحسان . وتعأمل حياة المجتمعات التي تحررت كما تزعم من قيود الدين والأخلاق والحياء . تجدا أن النخبة المتدينة المطيْعة لربها الملتزمة بنظام الإسلام في راحة واطمئنان وعز ونصر وتمكن ورفعة ورقي وتقدم وقرب من الله وسعادة تامة وراحة شاملة وأيضاً الذين ساروا على سنتهم يتمتعون بالراحة النفسية والأمن والرخاء والاستقرار ، وتيسير الأمور وحل المشاكل بسهولة وتوفيق مثل هذه المملكة العربية

السعودية . وانظر إلى حياة الذين اتبعوا الشهوات وانفلت عندهم زمام الأخلاق وذهبت منهم الغيرة والحياء .

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية معولاً هداماً حطم حضارتهم وانهارت قواهم . فَدَيْدَنُهم الانهزام في كل معركة يخوضونها . فسيطر عليهم الانهيار التام . فاضمحلت قواهم الجسدية؛ لأن الهياج المسعور يوهن الأعصاب . وطغيان الأمراض السرية أجحفت بصحتهم . فأين الدولة التي تسمي نفسها قاهرة البحار . وأين الدولة التي تسمى نفسها قاهرة الصحراء . أين الدولتين اللتين استعمرتا العالم . اضمحلت قوتهم وانهارت أعصابهم بسبب انفلات الأخلاق والبعد عن منهج الله . إن الأمر لله ، والحكم لله . والعز والنصر بيد الله . فمن اتبع شريعته وآمن برسالته وبرسوله وكان معه أيَّده ونصره .

ومن نسيه ونسي شريعته، نسيه الله ﴿**نسوا الله فأنساهم أنفسهم**﴾ .

فاتقوا الله أيها الناس، راقبوا ربكم واشكروا نعمة الله عليكم ﴿**وإذن تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد**﴾ [سورة . . .] .

ثم اعلموا أن الله تعالى أمركم في كتابه بالصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ فقال تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦)﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم (١٤)

الحدود

الحمد لله رب العالمين. حد الله حدوداً لإصلاح البشر ولزجرهم عن محارم الله .

وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له ، لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نفذ الحدود وأمر بتنفيذها .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقى ومن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد :

فإن العقوبات المقدرة في شرع الله تسمى حدوداً مثل : السَّرقة والقذف، والزنا والشرب، وقطع الطريق . وإنَّما شرعت الحدود لتمنع من الوقوع في المعصية .

وإقامة الحد للإمام أو نائب الإمام ، وتحرم الشفاعة في حد من حدود الله ؛ لما روى مسلم والبخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا :

من يكلم فيها رسول الله ﷺ . قالوا : ومن يجترئ عليه . إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال : «**أتشفع في حد من حدود الله!! . ثم قام وخطب ثم قال عليه الصلاة والسلام إنَّما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» .

وعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله يقول : «**من حالت شفاعته دون حدمن حدود الله فقد ضادَّ الله ، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله تعالى حتى ينزع ، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال**» والردغة عصارة أهل النار . رواه الإمام أحمد وغيره .

وتحرم إقامة الحد في المسجد لما روىٰ حكيم بن حزام أن النبي ﷺ نهىٰ أن تقام الحدود في المساجد . وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرقىٰ برجل زنىٰ فقال : أخرجوه من المسجد واضربوه .

ولا يكفي في إقامة الحد علم الإمام ، فلا بد من بينة أو اعتراف ، وينبغي أن يحتسب الإمام في إقامة الحد ويقصد به وجه الله ، وتأديب العاصي ، وتنفيذ شرع الله ، ويأثم إن جلده للتشفي ، أو لغرض في نفسه غير شرعي .

وأشد الجلد في الزنا ، ثم جلد قذف ، ثم شرب خمر ، ثم تعزير .

ويختار الإمام أداة الجلد جريداً أو نِعالاً أو بأيدي وخاصة في حد الشرب ولا يؤخر استيفاء الحد لمرض ولا نفاس ، ولا لحر ولا لبرد ولا ضعف محدود لوجوبه فوراً ويكون السوط بحسب حال المحدود وقوته وضعفه ومرضه . حتىٰ لو كان عثكول نخل أي عِذْقاً فيه شماريخ بعدد الجلدات ؛ لما روىٰ أبو أمامة بن سهل عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً اشتكىٰ حتىٰ ضنىٰ فدخلت عليه امرأة فهش لها فوقع بها فسئل له رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ أن يؤخذ مائة شمراخ فيضربوه ضربة واحدة . رواه أبو داود والنسائي . فترك من عليه حد غير جائز وضرب المريض ما قيد يتلفه .

وإذا كان المحدود في رجم أو جلد امرأة حامل فلا يقام عليها الحد حتىٰ تضع لئلا يتضرر الجنين .

والسكران لا يقام عليه الحد حتىٰ يصحو . وبعد إقامة الحد يحرم إيذاء المحدود بكلام أو غيره .

وإذا كان ثبوت حد الزنا أو السرقة أو خمر ونحوه بإقرار ثم رجع قبل إقامة الحد قُبل منه ؛ لأن الحدود تُدرأ بالشبهات . وفارقَ الحدُ سائرَ الخصومة ؛ لأنها لا تُدرأ بالشبهات . فلو اعترف بمال لإنسان ثم رجع لم يقبل رجوعه ، وإن اجتمعت حدود من جنس

واحد على شخص حد حداً واحداً .

وإن كانت من أجناس بأن زنا وسرق وشرب فلكل واحد حد فيبدأ بالأحق فالأحق فيجلد أولاً لشرب ، ثم لزنا ، ولا يستوفى حد حتى يبرأ الذي قبله ، وإن فعل حدوداً فيها قتل بأن كان زانٍ محصن ، استوفي القتل وَحْدَهُ ويسقط البقية . لما روى سَعيد بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : إذا اجتمع حدان أحدهما القتل أحاط القتل بذلك ولا يعرف له مخالف من الصحابة فكان كالإجماع .

والحد كفارة لما اقترف من الذنب ؛ فعن خزيمة بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ من أصاب ذنباً فأقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ . قال : «من أصاب حدا فعجلت عقوبته في الدنيا في الدنيا فإن الله أعدل من أن يثني على عبده العقوبة في الآخرة والمعاصي التي فيها عفو باب محددة هي :

١ ـ الزنا .

٢ ـ القذف .

٣ ـ السُكْرُ .

٤ ـ السرقة .

٥ ـ قطع الطريق والإفساد في الأرض .

أما الزنا فهو معروف وهو أعظم ذنب بعد الشرك وقتل النفس

المحرمة . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أي ذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قال : قلت : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك . قال : قلت : ثم أي ؟ قال : أن تزني بحليلة جارك . فأنزل الله سبحانه وتعالىٰ تصديقها ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ ...** ﴾ [**الفرقان** : ٦٨] .

فالمُحصن هو الذي وطئ زوجته في نكاح صحيح . بعد الإسلام أو قبله فيرجم المحصن حتىٰ يموت ويجلد غير المحصن ، مائة جلده ويغربُ سنة عن بلده ليموت ذكر الفاحشة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الأسلمي إلىٰ النبي ﷺ ، فشهد علىٰ نفسه أربع مرات بأنه أصاب من امرأة حراماً كما يصيب الرجل امرأته حلالاً . وفي كل مرة يعرض عنه النبي ﷺ . فأقبل في الخامسة فقال عليه الصلاة والسلام : أَنِكْتَها ؟ قال : نعم . قال حتىٰ غاب ذاك منك في ذلك منها ؟ قال : نعم . قال : كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر ؟ قال: نعم . قال : هل تدري ما الزنا ؟ قال : نعم أتيت منها حراماً كما يأتي الرجل من أهله حلالاً . قال : فما تريد من هذا القول . قال : أريد أن تطهرني فأمر به فرجم . وقال ﷺ : والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها . وفي سنده مجهول .

وأما القذف بزنا أو لواط فحده ثمانون جلده لقوله سبحانه

﴿ والَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) ﴾ [النور: ٤، ٥].

فيطالب القاذف بالزنا بأربعة شهود ، فإن أحضرهم ، وإلا جلد ثمانين جلدة وحكم بفسقه حتىٰ يتوب ويُعْلن توبته .

وأما شرب المسكر فما أسكر كثيره فقليله حرام ، فحده ثمانون جلدة ؛ لأن عمر استشار الناس في حد الخمر ، فقالوا : إذا سكر هذىٰ وإذا هذا افترىٰ فَحدُّه حد الفِرْية . وكتب بذلك إلىٰ عماله في الأمصار .

ويثبت شرب مسكر بإقرار به مرة واحدة أو بشهادة عدلين فإذا جاش العصير فهو مسكر حرام ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : علمت أن رسول الله ﷺ كان يصوم فتمنيت فِطْره بنبيذ صنعته في دباء . ثم أتيته به فإذا هو ينش فقال ﷺ : «اضرب بهذا الحائط فإن هذا شراب من لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر » .

وأما السارق ، وهو الذي يأخذ مال غيره من حرزه خفية فحده قطع يده اليمنىٰ من مفصل الكف الذي فيه الأصابع ؛ لقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) ﴾ [المائدة: ٣٨] . فلما ترك بعض الناس إقامة الحدود عمت لديهم الفوضىٰ وتثبت السرقة باعتراف مرتين أو شاهدي عدل .

وقطاع الطريق والمفسدون في الأرض ، حدهم القتل ؛ لقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** (٣٣) ﴾ [**المائدة** : ٣٣] .

وسواء كان قطع الطريق في صحراء أو في بنيان ، بل البنيان أشد .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللهم علمنا من القرآن ما جهلنا وذكرنا منه ما نُسِّينا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار علىٰ الوجه الذي يرضيك عنا . اللهم انصر المسلمين وأيدهم بتأييدك وأنزل الرعب في قلوب أعدائهم . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نطقاً بها وعملاً بمقتضاها .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله رحمة الخلق ورسولُ الثقلين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبله .

أما بعد :

فقد ذكر العلماء تعريف أهل البغي فقالوا : وهم الخارجون على الإمام سُمُّوا بُغاةً لعدولهم عن الحق ، وما عليه أئمة المسلمين .

ويجب على عامة الناس أن يكونوا مع الإمام ومع نائبه ضد أهل البغي ؛ لقوله تعالى : ﴿ ... **فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** (٩) ﴾ [**الحجرات** : ٩] ؛ ولقوله ﷺ : «من أتاكم وأمركم جمعٌ علي رجل واحد يريد أن يشق عصاكم

ويفرق جماعتكم اقتلوه) رواه مسلم وغيره وقاتل عليٌّ أهل النهروان فلم يُنكر عليه . وقوله ﷺ : «من فارق الجماعة شبراً فميتته جاهلية » متفق عليه .

وفي الحديث المتفق عليه عن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**سيخرج قومٌ في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يومَ القيامة**»(١) وعند مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**تكون أمتي فرقتين فيخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق** » .

وروىٰ أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن أنس ابن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القِيْل ويسيئون الفعل يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مَرْقَ السهم من الرمية ، لا يرجعون حتىٰ يَرْتَدَّ السهم إلىٰ فُوقِه . وهم شر الخلق والخليقة ، طوبىٰ لمن قتلهم وقتلوه يَدْعون إلىٰ كتاب الله وليسوا منا في شيء . من قاتلهم كان أولىٰ بالله منهم قالوا : يا رسول الله : وما

(١) مشكاة المصابيح : ٢ / ٧٨١ .

سيماهم؟ قال: التحليق أي استئصال شعر الرأس » رواه أبو داود .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا بذلك في كتابه العزيز فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [الأحزاب : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم « ١٥ »

خطبة عيد الأضحى

الله أكبر .

الله أكبر كلما أهل الحجاج محرمين ملبين .

الله أكبر كلما أفاضوا من عرفات مغفوراً لهم فرحين .

الله أكبر كلما رموا جمرة العقبة مهللين مكبرين .

الله أكبر كلما أفاضوا إلى البيت العتيق مستبشرين .

الله أكبر عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته .

الحمد رب العالمين . تفرد بالوحدانية ليس له شريك ولا ظهير ولا يَشْفع أحد عنده إلا بإذنه .

خلق الجن والإنس لعبادته ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧)** ﴾ [**الذاريات** : ٥٦ ، ٥٧] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جواد كريم ربٌ رحيم يعطي الجزيل ويقبل القليل .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين ، بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً .

اللهم صلِّ وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد خاتم الأنبياء أفضل خلق الله سيد الأولين والآخرين . وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد :

فإن عيد الأضحىٰ فرحة بعبادة يحبها الله وبإتمام حجاج بيت الله مُعظم مناسكهم وفرحة بما أفاض الرب علىٰ أهل عرفات من نفحاته ومغفرته ورضوانه ، وبين المقيم والحاج تشابه في بعض الأعمال .

فإذا كان الحاج يلبي ويوحد الله ويُعظمه ، فالمقيم يكبر الله ويحمده ويوحده .

وإذا وقف الحاج بعرفات ، فالمقيم يصوم ذلك اليوم رجاء مرضات الله ومغفرته ، وإذا اجتنب الحاج محظورات الإحرام فالذي يريد أن يضحي اجتنب أخذ شيء من ظفره أو شعره أو بشرته حتىٰ يذبح أضحيته ، وإذا أفاض الحاج من مزدلفة إلىٰ منىٰ أفاض المقيمون من البيوت إلىٰ مصلىٰ العيد .

وإذا ذبح الحاج فديته ذبح المقيم أضحيته ، وفي أيام التشريق يشرع للحاج رمي الجمرات الثلاث ، واستحب للمقيمين الزيارات

وصفاء القلوب ونبذُ الخلاف .

والرابطة القوية بين المسلم وأخيه المسلم هي العروة الوثقىٰ يلتف حولها المسلمون كما التف حولها محمد رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم .

إن الأضحية مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع . قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)** ﴾ [**الكوثر** : ١ - ٣] .

وروىٰ البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ضحىٰ رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده سمىٰ وكبر ووضع رجله علىٰ صفحتيهما .

وأجمع المسلمون علىٰ مشروعية الأضحية ، فمنهم من جعلها واجبة علىٰ المقتدر؛ لقوله ﷺ : من وجد سعة فلم يضح فلا يقربنَّ مصلانا .

والجمهور علىٰ أنها سنة ، ومعروف أنه لا ينبغي لمن قدر عليها تركها . والمقصود من الأضحية التقرب إلىٰ الله بتكبيره وتعظيمه . لا مِنْ أجل لحمها لكن من أجل التقوىٰ والتوحيد والإخلاص لله سبحانه ، ﴿ **لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)** ﴾ [**الحج** : ٣٧] .

ولذبح الأضحية وقت معلوم يبدأ من بعد انتهاء صلاة العيد إلىٰ آخر أيام التشريق . روىٰ البخاري رحمه الله عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أول ما نبدأ به يومنا هذا نصلي ثم نرجع فنَنْحر ، من فعله فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبلُ (أي قبل الصلاة) فإنما لحم قدَّمَهُ لأهله ليس من النسك في شيء ويشترط للأضحية أسنان معلومة ، وهي الثني من كل شيء ويجزئ الجذع من الضأن خاصة ، فالثني من الإبل ما تم له خمس سنين ومن البقر ماتم له سنتان ، ومن المعز والضأن ، ما تم له سنة .

وقد جعل اللّه للثني وللجذع علامات ظاهرةً ، فالثني الذي نبت له سنان في الوسط أكبر من الأولان . والجذع بأن يفترق الصوفُ الذي علىٰ الظهر يميناً وشمالاً فيطيح علىٰ الجنبين وكان قبل تَمام ستة أشهر واقفاً .

ويشترط في الأضحية سلامتها من العيوب التي تنقص الثمن . الله أكبر الله أكبر .

وتجزئ البقرة والبدنة كل واحد عن سبعة أشخاص ، وتجزئ الشاة سواء معزاً أو ضأناً عن الرجل وأهل بيته .

وأفضل كل نوع أسمنه ، وأكثره لحماً ، وأغلاه ثمناً .

﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)** ﴾ [**الحج** : ٣٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما تعظيمها استسمانها واستحسانها . والسنة أن يأكل ثلثاً ويهدي ثلثاً ويتصدق بثلثٍ .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد .

يجب التزام جانب الأدب مع الله في الاعتقاد وفي الأسماء والصفات وفي طلب قضاء الحوائج .

وحِّدوا الله في ذاته ، وبأفعالكم ، فإنكم في قبضته وتحت قهره . احذروا الكبائر كلها ، فإنها تسخط الرب وجرأة على الله ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)** ﴾ [**الانفطار**: ٦ - ٨] .

أدوا الصلوات المكتوبة في أوقاتها ، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً . وعلى الرجال أداؤها مع جماعة المسلمين في المساجد . جاء رجل وأظنه ابن أم مكتوم فقال : يا رسول الله : إنني رجل أعمى والمدينة كثيرة الهوام والطريق وعر فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : تسمع النداء ؟ قال : نعم . فقال : أجب ؛ لا أجد لك رخصة .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : من سره أن يلقى الله غداً مُسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سُنن الهدى وإنهن سنن الهدى ، ولو أنكم صَليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة

نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم إلىٰ أن قال : ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يمشي بين الرجُلين حتىٰ يأتي الصلاة . وقال : إن رسول الله علمنا سنن الهدىٰ ، وإن من سنن الهدىٰ الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه .

أدُّوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم فقد أعطاكم الله الكثير ورضىٰ منكم القليل .

برُّوا آباءكم وأمهاتكم . وإياكم والعقوق، فإن مُفتاح الجنة تحت أقدام الأمهات ، فمن حرم رضاها حرم الجنة إلا ما شاء الله(١) .

مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وخذوا علىٰ يد السفيه ، تابعوا أولادكم واعرفوا من هم جلساؤهم وإلىٰ أين يذهبون إذا سافروا فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، والتي ليس معها راعٍ .

إياكم وسوء الظن ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

واحذروا الخمر بكل مسمياتها ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)** ﴾ [**المائدة** : ٩١] .

واحذروا اللواط فإن عاقبته وخيمة ويقضي علىٰ الرجولة وجزاؤه شديد .

احذروا الزنا ﴿ **إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢)** ﴾ [**الإسراء** : ٣٢] .

---

(١) الترغيب والترهيب : ٣/ ٣١٦ .

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ﴾ [البقرة: ١٧٩].

واحذروا الغَدرَ والسرقة، فإن اليد إذا كانت أمينة كانت ثمينة فإذا خانت هانت ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) ﴾ [المائدة: ٣٨].

صوموا شهركم، فإنَّما هو شهر من اثني عشر شهراً ﴿ ... فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأدُّوا الحج الواجب عليكم، ومن حج فرضه فليوسع لإخوانه المسلمين، فإن الأمكنة محدودة ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) ﴾ [البقرة: ١٨٨].

اللهم بارك لنا في القرآن وانفعنا بما فيه من الآيات والبيان وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا.

اللهم علمنا من القرآن ما جهلنا وذكرنا منه ما نُسِّينا.

اللهم يسر لضيوفك مناسكهم وحجهم وتقبل منهم واغفر لهم.

اللهم يسر للمقيمين أمورهم وثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وتقبل منهم صالح أعمالهم.

واغفر لنا ولجميع المسلمين. إنك أنت الغفور الرحيم.

الخطبـة الثـانيـة

الله أكبر الله أكـبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكـبر . الله أكبر . الله أكبر .

الحمد لله رب العالمين ، عليه توكلت وإليه أنيب ، وأعوذ بالله من الضلالة ومن المعصية ومن الشك والعَمىٰ .

وأشـهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له . هدانا للإيمان ورحمنا بنبيه محمـد ﷺ فهدانا به وأيدنا ونصرنا علىٰ عدونا وجعلنا في الله إخواناً متحابين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه الله رحمة للعالمين ، اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد :

فـأوصيكم وإياي بتـقـوىٰ الـله ، وبشكر نعـم الله ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** (٧) ﴾ [إبراهيم : ٧] .

فما شكر قوم نعم الله عليهم وأطاعوه إلا أعزهم ونصرهم ، ومـا كفـر قوم نعم الـله ، ولم يتـوبوا إلا سبلوا عزهم وسلط الله عليهم عدوَّهم ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ**

الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فاتقوا الله عباد الله، وأطيعوا الله ورسوله ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) ﴾ [آل عمران: ٣١].

واعلموا أن طاعة ولي الأمر من طاعة الله ومن طاعة رسوله ﷺ فتجب طاعة ولي الأمر بنص القرآن والسنة والإجماع.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) ﴾ [النساء: ٥٩].

وروىٰ مسلم في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك». قال العلماء: تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفس.

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه زيادة. وألا ننازع الأمر أهله، فحرام علىٰ الإنسان مهما كانت درجته العلمية أن ينازع ولاة الأمور في ولايتهم، وحرام إيذاء المسلمين والإضرار بهم بدنيا وماليا من أجل شخص آخر أو أشخاص.

قال جل شأنه في محكم التنزيل : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)** ﴾ [**الأحزاب** : ٥٨] .

وأجمع المسلمون على تحريم الخروج على الإمام ؛ لأنه ستر للمسلمين يقاتل من ورائه ويمنع العدوَّ . ويُحافظ على مصالح الرعية . ويَدفع عنهم الاضرار والمشاكل والإزعاج ويحلُّ مشاكلهم ويَفْصل بين المحق والمبطل ويحفظ حقوقهم ويحمي بيضة الإسلام . ويترتب على الخروج مفاسد كبيرة . وإذا بدر من ولي الأمر مخالفة للشريعة نبه عليه ويُبين له الحق من الباطل ، ولا يجوز الخروج عليه ولا مخالفة الأمر الذي ليس فيها معصية ، ولا ينتزع يده من طاعته .

بل يناصح ويُبَيَّن له الحق . وما يفعله بعض الناس من الإرجافات والكذب والافتراء من أجل الإساءة إلى سمعة الدولة فهو سفه مخالف لشريعة الإسلام ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)** ﴾ [**الحجرات** : ٦] .

ولقد أثبتت الدولة أدام الله عزها وتوفيقها بالقبض على المفسدين قدرتها على حماية مقدساتها والإحسان إلى الناس والضربَ على أيدي العابثين المخربين فلا يطمع مفسد بالانفلات من رجال الدولة له ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ،

وتُشكر وزارة الداخلية ورجال الأمن على الجهود الموفقة التي بُذلت للقبض على المخربين ، مهما اختفوا ومهما اندسوا . وبلادنا محفوظة من فضل الله بسبب تحكيم الشريعة المحمدية والوحي السماوي ، والله محيط بالمجرمين المفسدين ، فلا يظُن أحد أنه يُفْلِتُ من يد العدالة مهما طال الزمن . فنسأل الله أن يحفظ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وولي عهده ، والنائب الثاني ، وأن يطيل في حياتهم على طاعة الله ولخدمة الإسلام والمسلمين . وخدمة الحرمين الشريفين . وحجاج بيت الله الحرام .

اللهم أتمم للحجاج مناسكهم في أمن واستقرار وراحة وهدوء .

اللهم تقبل منا ومنهم واغفر لنا ولهم وتُبْ علينا وعليهم . وردهم إلى بلادهم سالمين مغفوراً لهم .

اللهم أدم أمننا واستقرارنا واحفظ أئمتنا وأمرائنا . واكفنا شر المفسدين المخربين . إنك على كل شيء قدير .

وصلوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] . إلخ . . . الدعاء .

الخطبة رقم (١٦)
خطبـة عيد الفطر

الله اكبر الله (٩ مرات نسقا)

لا إله الا الله والله أكبر الله أكبر . الله أكبر الله أكبر ولله الحمد الله أكبر عدد خلقه وزنة عرشة ومداد كلماته .

سبحان من تسبح له السموات وأملاكها والنجوم وأفلاكها والأرض وسكانها والبحار وحيتانها . ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ [1] الحمد لله رب العالمين تفرد بحكمه ، وأوجد الكون بقدرته وسيره بإرادته ونظمه بمشئته . لايسأل عما يفعل وهم يسألون . ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[2] ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [3] .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له . خلق الجن والانس لعبادته وأعطاهم العقل والفهم لمعرفته فمن أطاعه أعزه ونصره وأدخله الجنة ومن عصاه أذله وأهانه وعذبه بالنار .

---

(١) سورة الإسراء : آية / ٤٤ .

(٢) سورة ص : آية / ٢٧ .

(٣) سورة آل عمران : آية / ١٩١ .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب المقام المحمود والحوض المورود وشفيع المؤمنين وفرطهم على الحوض .

اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدجى ومن تبعهم واهتدى .

أما بعد : ـ فاتقوا الله أيها الناس وتأملوا وجودكم في هذه الدنيا ولأي شيء خلقتم قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (١) خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة فيها يحصل العلم والمعرفة فالذي خلق عزيزا وعلمه التوراة وأرسل عيسى وأعطاه الإنجيل هو الذي أرسل محمداً ﷺ وأنزل إليه القرآن فَلِمَ يؤمن الناس ببعض ويكفرون ببعض فالكل من عند الله لانفرق بين أحد من رسله فرسالة النبي العربي محمد بن عبدالله الهاشمي القرشي ﷺ خاتمة الرسالات مصدقة لها ومهيمنة عليها موصوف في التواراه وفي الأنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فأهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ﴿الذين يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عندَهُمْ في التَّوْرَاة وَالإنجيل يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوف وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَات وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ

---

(١) سورة الذاريات : الآية / ٥٦ .

الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١) ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢) فاتقوا الله ايها الناس .

أيها المؤمنون تذكروا واقعكم بين صوم قدمتموه ترجون ثوابه وبين فطر فعلتموه طاعة لله ولرسوله ﷺ فسبحان الحكيم العليم حرم علينا الفطر بالأمس وأوجب الفطر علينا اليوم فسبحان الكبير المتعال يفعل مايشاء ويحكم مايريد وفي ذلك تنبيه إلى أن الخلائق كلها تحت إرادته وقهره فبحكمته يأمر المكلفين وينهاهم وبحكمته نظم حياة مخلوقاته وتكفل بأرزاقهم ، إن الهداية للإسلام والتوفيق للعمل بواجباته نعمة من الله فقد أنعم الله على الأمة المسلمة بصيام رمضان وأتم لهم العدة ووعدهم بجزيل الثواب وفتح باب الجنة للطائعين فسابقوا إلى الجنة بما كنتم تعلمون ولاتقابلوا نعم الله بالمعاصي ولاتقولوا ذهب رمضان فتتركوا العمل بطاعة الرحمن وتتهاونوا بالفسوق والعصيان فإن الله يحب أن يعبد ويطاع في كل الشهور ويكره أن يعصى في أي وقت كان تيقنوا بأن الله يراكم ويطلع على سرائركم وخفيات نفوسكم فقابلوا أنعم الله بالشكر

---

(١) سورة .

(٢) سورة الأعراف : الآيتان / ١٥٧ و ١٥٨ .

وأبشروا بالزيادة ﴿وإذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (١) واعلموا رحمني الله وإياكم أن الاعياد الإسلامية فرحةٌ باتمام عبادة فرضها الله وفرحةٌ بما حصل للسلمين من عفو وكرامات وعتق من النار .

يأأيها الأنسان تأمل هذا الكون الذي يحيط بك وتأمل ماخلق الله لك في الأرض تأمل مافي هذا الكون من أسرار سخرت من أجلك . قلمٌ مأمور . ولوح فيه نظام حياتك مسطور . أفلاك وأملاك على مايُلصحك تدور حفظة وكتَّاب تحصي أعمالك ولاتجور ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٢) فستجد أيها الانسان أعمالك وأقوالك وتصرفاتك في كتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرةً إلا أحصاها يقال لك ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (٣) تأمل أيها الإنسان الطريق الذي ستسلكه بعد هذه الدنيا فأمامك الموت وسكراته والقبر ووحشته وتذكر أيها المؤمن البعث وهوله والحساب ودقَّته والميزان وعدله والصراط وزلته فتأهب لهذه الأمور وأعد لها عدتها .

أوصيكم أيها المؤمنون بالمحافظة على الصلاة فإنها عمود الإسلام وتنهى عن الفحشاء والمنكر حافظوا عليها في أوقاتها فإنها

---

(١) سورة إبراهيم / آية ٧ .

(٢) سورة ق : آية / ١٨ .

(٣) سورة الإسراء : آية / ١٤ .

نور ونجاة وبرهان من حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لغيرها من واجبات الإسلام أكثر ضياعاً . أدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم فإن الله رزقكم الكثير وطلب القليل فالزكاة ربع العشر تُطهر المال وتزكي نُفُوس المتصدقين وتسد حاجة المساكين فطهروا أموالكم وزكوا نفوسكم أدوا الأمانات إلىٰ أهلها وخالقوا الناس بخلق حسن واحذروا الخمر فإنها ملعونة ملعون شاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ملعون بائعها . ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)**﴾ سورة المائدة واجتنبوا الربا فإنه حرب لله ورسوله والربا حرام بنص كتاب الله وسنة رسوله حتىٰ لو سمي بغير أسمه الربا هو الربا حتىٰ لو سمي فوائد وكلٌ يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب الرسالة ﷺ ولا يعذر المسلم أن يترك العمل بكتاب الله ويذهب إلىٰ قول فلان وفلان وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ولاتبخسوا الناس اشياءهم واحذروا شهادة الزور فإنها من أكبر الكبائر والفسوق وإياكم والكذب فبئس المطية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)**﴾ [التوبة : ١١٩] وابتعدوا عن الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فيه قتل للنطفة وتحليل ماحرم الله ولاتستعملوا أواني الذهب والفضة فإنها محرمة علىٰ

الرجال والنساء وإنما ابيح للنساء التحلي بالذهب والفضة .

واحذروا جميع المعاصي فإنها تُغْضب الرب وتسلط الأعداء وتسبب أنواعاً من البلايا وتمنع القطر من السماء مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وخذوا على أيدىٰ السفهاء ﴿**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾ .

أيها المؤمنون إذا تأملنا أحوال العالم علمنا أن الأعداءتسلطوا علىٰ المسلمين يقتلونهم ويشردونهم ويضطهدونهم ويذلونهم ويفعلون بهم اشنع الظلم والعدوان . ويستنزفون أموالهم بالحروب . والظالم تعينه الظلمة كما تسمعون عن فلسطين والبوسنة والهرسك وكشمير وغيرها والله تعالىٰ قادر علىٰ نصر المسلمين ولكن ليبتليهم وليختبرهم وليتخذ منهم شهداء وفي نفس الوقت لعلهم ينتهون عن التقصير والإهمال وتقليدالأعداء فيما يخالف وحي السماء ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)**﴾ [الحج : ٣٩ ، ٤٠] اللهم أعِدْ علينا من بركات هذا العيد وآمنا من هول يوم الوعيد وأدخلنا الجنة دار الخلود اللهم إنَّ عبادك قصدوا إليك واجتمعوا لرجاءك وتعرضوا لرحمتك وإحسانك ورجوا مغفرتك ورضوانك اللهم فحقق آمالهم وأصلح أحوالهم

وتقبل أعمالهم ويسر أمورهم واغفر ذنوبهم واستر عيوبهم اللهم عوضنا عن رمضان بالقبول والمغفرة والتوفيق للهداية ولزوم طاعتك وطاعة رسولك ﷺ اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة اللهم اغفرلنا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبـة الثـانيـة

الله أكبر (٧ مرات) .

الله اكبر . الله اكبر . لاإله إلا الله . والله أكبر . الله أكبر . ولله الحمد الحمد لله معيد الجمع والأعياد ، رافع السماء بغير عماد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له خلق الدنيا والآخرة وإليه المعاد .

واشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الهادي إلىٰ سبيل الرشاد اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم التناد .

أمابعد : ـ فاجعلوا فرحتكم بالعيد مصحوبة بتقوىٰ الله وخشيته فإنه يراكم ويعلم ماتكنه صدوركم ولاتغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . الدنيا كلها عرض زائل ودار إبتلاء وإختبار وبلايا فكم من أخ لنا في الله مشغول بنفسه لم يفرح بالعبد وكم من أخ لنا كان معنا في العام الماضي فأخذهم ريب المنون فأصبحوا في القبور لا يجالسهم إلا أعمالهم فأحسنوا الجليس تذكر الذين فارقونا من الآباء والأمهات والأخوات والأحباب والجيرا ن اصبحوا رهائن أعمالهم في حفر في قعر التراب لم يأخذ أحدهم من دنياه إلا خرقة لفت علىٰ جسده . انقطعت عنهم

الاعمال إلامن صدقة جارية أو علم ينتفع به أوولد صالح يدعو لهم ونحن إلىٰ ماصاروا إليه صائرون ومع الباب الذي دخلوه داخلون وفي أمثال قبورهم مدفونون وفي مثل أكفانهم ملفوفون فقدموا لأنفسكم فإن الآجال محدودة والمنايا محتومة ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [**لقمان**: ٣٤] فاستعدوا للرحيل وأعدوا للسؤال جوابا والسعيد من وعظ بغيره وكفىٰ بالموت واعظا .

الله أكبر . الله أكبر . لا إله إلا الله . والله أكبر . ولله الحمد﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [**الأحزاب**: ٥٦] اللهم صلِ وسلم علىٰ النبي الرحيم بأمته نبي قربه الله وأدناه ورفعه منزلةً لم يبلغها أحد سواه اتخذه ربه كليما وخليلا وكتب اسمه فوق العرش لاإله إلا الله محمد رسول الله أعطاه المقام المحمود والحوض المورد ولايرفع الدعاء إلىٰ السماء إلا بالصلاة والسلام عليه .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين وعن بقية أصحابه أجمعين وزوجاته أمهات المؤمنين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

اللهم ارض عنا . . .

اللهم اجمع كلمة المسلمين علىٰ الهدي والبر والتقوىٰ وأجمع شملهم ووحد صفوفهم وقوي شوكتهم وانصرهم علىٰ عدوك

وعـدوهم اللهـم أصلح زعـمـاء المسلمين واهدهم سـبل السـلام وأخرجـهم من الظلمات إلىٰ النور ووفقهم لتحكيم كتابك والعمل بسنة نبيك محمد صلىٰ الله عليه وسلم .

اللهـم أدم الأمن والاستـقـرار في بلادنا وارزقنا شكر نعـمك علينا واكفنا شر الاعداء والحاسدين والحاقدين اللهم احفظ إمامنا برعـايتك واكلأه بتوفيقك وعنايتك اللهم من أراده بسـوء فرد كيده في نحـره اللهم انصـر به دينك وأعل به كلمـتك وأعـز به عـبادك الصالحين اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والأموات ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم فرج هم المهمومين واقض الدين عن المدينين واحم حوزة المسلمين يارب العالمين فاذكروا الله . . الخ الدعاء .

الخطبة رقم (١٧)

تذكر الموت والبلى

الحمد رب العالمين له مافي السموات وما في الأرض إن الله لهو الغني الحميد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يرث الأرض ومن عليها وإليه ترجع الآمور .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أول من تشقق عنه الأرض وأَول شفيع وأَول من يدخل الجنة وهو يفتح بابها

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله و أصحابه ومن أهتدىٰ بهديه واتبع سبيله .

أما بعد : ـ فإن الحق نور يبدد الظلام ولا يضره مصدره ولا يقصربه حامله (١) .

تذكروا أيها المؤمنون أنكم تسيرون علىٰ طريق سفر لايستقر رحله دون الغاية ولايتأتي معه إقامة دون المنتهىٰ فمن أصلاب الآباء إلىٰ أرحام الأمهات إلىٰ الوجود في دار الفناء إلىٰ القبور إلىٰ البعث والنشور إلىٰ دار القرار إلىٰ الجنة أوالنار فما أولادكم ولا

---

(١) الزواجر والعظات : ١٦٢ .

أعمالكم ولادنياكم إلا مثل بناء في قفر قريباً يرحل عنه صاحبه ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٥] فما بعد المقيل إلا الرحيل ومابعد الرحيل إلا المستقر إِنَّ امامكم أهوالاً تشاغلتم عنها وكأنَّها للناس دونكم تذكروا سكرات الموت تذكروا القبر ووحشته والحساب ودقته والصراط وزلته فلو كُشف لنا عن قليل من تلك الأهوال لذهلت العقول ولطاشت الأحلام ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥] هل أعد المسلم لهذاه الأهوال حيلة أم أن الأماني والتسويف حالا دون الاستعداد أم أَمِنَ مكر الله فانجرف خلف الشهوات وترك التشريع وراءه ظهريا ﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] فرحم الله من نظر لنفسه قبل غروب شمسه وقدم خيراً لغده ولم ينسىٰ نفسه .

واعلموا أن الحياة تجر إلىٰ الموت والغفلة تقود إلىٰ الفوت والشباب سفينة مرساها ساحل الهرم .

فإذا شعرت أيها المسلم بأن نفسك تميل إلىٰ شيء من المعاصي فاشعل عود الكبريت واعرض عليه أُصبعك فستجد الحرارة فقل لها ذوقي ماتدعونني إليه يا أمَّارة بالسوء كيف التواني والموت يرتقب مع الانفاس ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤]فليس الموت للشُيَّب دون الشبان ولا للفقراء دون الأغنياء الناس فيه سواء فكم صغيراً

صلينا عليه مع الكبار وكم من شاب قطعت المنية آماله. ومهما طالت الحياة فالموت محتوم .

أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ عليه الصلاة والسلام أن ضع يدك علىٰ جلد ثور فبقدر ماحُزته من شعر تعيش عدد سنين فقال يارب وماذا بعد ذلك قال تموت فقال يارب فالآن .

تذكروا الآباء والأمهات والأحباب كانوا معنا فأين هم الآن وجوه علاهن التراب وصحائف تنتظر الحساب وعظام صارت رفاتاً ونضرة الأجسام صارت تراباً ﴿ **فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ [فاطر : ٥] حب الدنيا رأس كل خطيئة يحمل الإنسان علىٰ قطيعة الرحم وسفك الدماء ويسبب البغضاء حلالها حساب وحرامها عذاب والمشتبه نقاش وعتاب .

ولو تأمل العاقل سبب الشقاء لوجده البعد عن الله وحب الدنيا وطول الأمل فما اورد النفس الموارد إلا طول الأمل كلما قويت النفس بأحكام الحدود فسح لها أركان الرخص. وكلما قويت العزيمة افسدها بالغرور فيا أ صحاب المخالفة أسرعوا إلىٰ التوبة فإن بابها مفتوح ومالك الملك يجير ولايجارعليه نستغفر الله ذا الجلال ونستهديه من الضلال ونتبرأ إليه من الحول والقوة فلا حول ولاقوة إلا بالله .

اللهم انْظُرنا بعين رحمتك التىٰ وسعت الأشياء وشملت الأحياء والأموات يادليل الحائرين ويارحيم ارحمنا ياولي من ولينا

إذا أعرضت عنا فمن لنا نحن المذنبون وانت غفار الذنوب يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك واستر عيوبنا ياأمل الطالبين يامغيث المستغيثين ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا علي القوم الكافرين ﴾ [آل عمران: ١٤٧] اللهم بارك لنا في القرآن ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٩]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾ [الحج: ٣١] وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله طهر الأعمال والإعتقاد من أَخطار الجاهلية وحمى جناب التوحيد اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد فإن في السنة الصبر على البلاء والرضاء بالقضاء وحفظ اللسان والجوارح عن إظهار الجزع والتسخط روى البخارى ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال اشتكي سعد بن عبادة شكوي له فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود رضي اله عنه فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال: «قد قضى » قالوا: لا يارسول الله . فبكى النبي ﷺ . فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا . فقال الاتسمعون : (أن الله لايعذب بدمع العين ولابحزن القلب ولكن يعذب بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أويرحم . إن الميت يعذب ببكاء

أهله عليه) [1] .

أغمي على عبدالله بن رواحة رضي الله عنه فجعلت أخته تبكي واجبلاه واكذا وكذا تعدد عليه فقال حين أفاق ماقلتِ شيئاً إلا قيل لي أنت كذلك رواه البخاري فلما مات لم تبك عليه وأغمي على معاذ بن جبل رضي الله عنه فجعلت أخته تقول واجبلاه أو كلمة أخرى فلما أفاق قال مازلتِ مؤذية لي منذ اليوم قالت لقد كان يعز عليّ أن أوذيك قال مازال ملك شديد الإنتهار كلما قلت واكذا قال أكذلك أنت فأقول لا . وأغمي على أبي موس الأشعري رضي الله عنه فاقبلت إمراته تصيح برنة ثم أفاق فقال ألم تعلمي وكان يحدثها أن رسول الله ﷺ قال أنا بريء عن حَلَق وصلق وخرق[2] .

وهل يجدي الصراخ وتعداد المحاسن شيئاً . الذي ينفع الدعاء والترحم وطلب المغفرة والصبر على البلاء

والسنة أن يُصنع لأهل الميت طعام يرسل إليهم لأنهم مشغولون بما هم فيه . أما تركة الميت فقد تعلق بها حق الورثة وقد يكون فيهم صغير أو غائب فما يؤخذ من التركة يضمنه آخذه والتجمعات التي يكون فيها ثرثرة وقهقهة بحيث لايُفرق من رأهم بين التعزية وبين حفل العرس مخالفة والذي فيه السلامة أن من عزى انصرف إلى أهله .

---

(١) متفق عليه البخاري برقم ١٣٠٤ ومسلم ٩٢٤ .

(٢) المشكاة : ١/ ٥٤٣ .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . فرقوا بين السنة وأعمال الجاهلية فالزموا السنة واتركوا أعمال الجاهلية واتقوا الله أيها المؤمنون وصلوا على البشير النذير .

الخطبة رقم (١٨)

الإيمان بالقدر

الحمد لله رب العالمين حي قيوم لاتأخذه سنة ولا نوم .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة ربه ونصح لأمته وجاهد في الله حق جهاده حتى عُبدالله وحده .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينامحمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان امابعد .

فإن الله تعالى بعث رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ارسله رحمة للعالمين فاخرج العرب اقواماً من الظلمات إلى النور وفتح الله به قلوب غلفا وآذاناً صما وأعيناً عُمياً فهداهم صراطاً مستقيما .

بلّغ ﷺ رسالة ربه ونصح لأمته وبين حق الله على خلقه وثبّت الإيمان في نفوس من آمن به وحقق العبادة لله وحده لاشريك له صان توحيد الله من الأهواء و إتباع الشهوات والهوى وحفظ التوحيد من أعمال الجاهلية قبل الإسلام وبين قواعد الإسلام ونصح لأُمته وبين الإيمان بالقدر فعن عبدالله بن عباس رضي الله

عنهما قال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي ياغلام إنِّي أعلمك كلمات اي يحفظك الله بهن احفظ الله يحفظْك إحفظ الله تجده تُجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن إجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفّت الصحف وفي رواية إحفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا»[1].

هذا الحديث قاعدة من قواعد الإيمان واصل عظيم في مراقبة الله والخوف منه والإيمان بالقدر والتوكل على الله وتفويض الأمر لله اشتمل على بشاريتن الأولى أن من تعرف إلى الله بامتثال امره واجتناب نهيه وآمن برسوله ﷺ وقت قدرته وجد ذلك مدخراً عند الله يوم ضعفه وعجزه عن العمل. الثانية: أن الشدة لاتدوم ولله الحمد والمنة فلا بد أن يكشفها الله وكل شيءٍ إذا بلغ منتهاه أعقبه جنده فآخر الصبر أول النصر وآخرالكرب أول الفرج وآخر العسر أول اليسر ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [الشرح: ٥، ٦]والمؤمن من كلما اشتد عليه الكرب ازداد إيمانه بالله

---

(١) شرح الأربعين النووية: ٥٣ ـ ٥٤ الحديث التاسع عشر.

وبرسوله ﷺ ويحتسب الأجر علىٰ الله فالنفع والضر بيد الله .

فاذا اجتهد المؤمن في إمتثال امر ربه واجتناب نواهيه وأثنىٰ علىٰ الله بما هو أهله حفظه الله وحفظ أهله وثبّته علىٰ الصراط المستقيم وشرح الله صدره ووفقه بتوفيقه وكان الله معه حيث كان يؤنسه ويشد من أزره ويقوي حاله ويغنيه عن سوىٰ الله فالأمور كلها بيده خزائن كل شيئ عنده يعطيها من يشاء .

وأقرب الناس إلىٰ الله واعزّهم واكرمهم علىٰ الله هو خاتم رسله وأنبيائه وخيرته عند جميع خلقه نبينا محمد ﷺ يجب علىٰ جميع الثقلين الإيمان به وإتباع رسالته ومع هذا أخبر ﷺ أنه لايملك لأحدضراً ولانفعا .

روىٰ البخاري في صحيحه ومسلم ايضا أنه عليه الصلاة والسلام قال لابنته فاطمة ولعمه وعمته رضي الله عنهم أجمعين (سلوني من مالىٰ ماشئتم لا أغني عنكم من الله شيئاً) وقال سبحانه لنبيّه محمد ﷺ (قل لا أملك لنفسي ضراً ولانفعاً الا ماشاء الله)

فما بالكم بمن هو أقل قدراً من النبي ﷺ وابنته وعمه وعمته .

فما دام أن الأمر كله لله ولايحصل الا قدر الله فكيف أيها المسلم تطلب قضاء حوائك من إنسان مثلك بل هو ميت وأنت حي أم كيف تطلب من انسان مخلوق تحت التراب نفعك أو كشف الضر عنك وهو لا يملك لنفسه شيئاً والأمر لله قال سبحانه ﴿**إِن يَمْسَسْكَ**

اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) ﴾ [**الأنعام**: ١٧]

وان تعجب أخي المسلم فعجب فعل بعض المخلوقين يذهب إلىٰ أخيه الميت وهو تحت التراب يطلب منه كشف الشدة ويطلب منه المدد والإغاثة علىٰ قضاء الحوائج ويقرب له القرابين وقد يصرف له شيئاً من انواع العبادة الخاصة بالله واعجب من ذلك الذي يذهب إلىٰ بعض الجمادات كالأحجار والأصنام يطلب منها بركة ولا أري هذا إلا من دسائس أعداء الإسلام.

أيها المسلمون إن العقول التىٰ أعطاكم ربكم إنما هي منحة من الله ونعمة لتميزوا بها بين الحق والباطل ﴿**اللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (٧٨) ﴾ [**النحل**: ٧٨]ألا يفكر الناس ألا ينظرون ألا يؤمنون بما جاء به رسول الله ﷺ ألا يتبعون النبي صلىٰ الله عليه وسلم ويتركون محدثات الأمور الا يتبعون نبّيهم ويتركون مَنْ سواه من البشر.

أخي المسلم حياتك وموتك وجزاؤك عند الله فلم تعلق آمالك علىٰ غير الله ثق أن القرآن كلام الله وأن وعد الله حق وأن كلام رسول الله ﷺ حق فاعبد الله وحده وعلق آمالك بالله وحده واترك من سوىٰ الله فإنه لاينفعك ولايضرك وإنما هذا من الشيطان ووسوسته ليبعدك عن الجنة التىٰ أُخرج منها أبواك آدم وحواء

بسببه .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه في سركم وعلانيتكم﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾ [الأنفال : ٢٩] اللهم إنا نسألك نعيما لاينفد وقرت عين لا تنقطع ونسألك إيماناً صادقاً ويقيناً كاملاً حتى نعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وأن ما أخطئنا لم يكن ليصيبنا . واغفر لنا ماقدمنا وما أخرنا وماأسررنا وما اعلنا وتجاوز عن ذنوبنا اللهم إنا نسألك برد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجيمع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين تفرد بتصريف هذا الوجود كيف يشاء وسخره لمن يشاء.

وأشهد أن لاإله إلاالله وحده لا شريك.

ليس له شبيه ولانظير ولاند ولاوزير ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ⦗١١⦘ ﴾ [الشورى: ١١]وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها ولايرغب عن الاقتداء بها إلا هالك .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أمابعد : فإن من مرغوبات الإنسان انتشارالأمن وشرح الصدر وراحة البال فلا طيب للعيش إلا بها والإيمان بالله وبقدر الله والثواب و العقاب من أسباب شرح الصدر وراحة البال . وتحكيم شرع الله وإقامة حدود الله من أسباب الأمن واستتبابه .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه في سركم وعلانيتكم فإنه يراكم ويعلم ماأنتم فيه ﴿ **أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ⦗٥⦘ ﴾ [هود: ٥] (يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور) . إحذر أخي المسلم البدع والمحدثات وتمسك

بسنة نبينا محمد ﷺ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولاتطع أعداء الإسلام فإنهم يريدون أن يصدوك عن الله من كان مع الله كان الله معه ومن نصر الله نصرهُ الله (ياأيها الذين آمنوا إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

أخي المسلم لاتجعل بينك وبين الله واسطة فإنه معك حيثما كنت يسمعك ويراك ويستجيب دعاك وهو مستوٍ على عرشه بائن من خلقه .

قس أعمالك بمقياس الشريعة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واحذر من دسائس الأعداء وأعوانهم فإنه ليس مع الله شريك ولايملك أحد لأحد شيئاً والأمر لله وحده فعلق آمالك بالله واترك من سواه فإنّ تعلقك بالله ينفعك وتعلقك بغير الله يضرك .

﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** (١٨٦) ﴾ [البقرة: ١٨٦] واعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه وثنّى بملائكته المسبحة بقدسه وثلث بكم أيها المؤمنون من جن العالم وإنسه فقال تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب**: ٥٦] وقال ﷺ من صلى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشرا . . إلى آخر الدعاء .

الخطبة رقم (١٧)

مسائل الصيام

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الإسراء : ١٢]

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله رغب في الصيام وحث عليه .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .

فهناك مسائل تمر على الصائم قد يتشوق لتذكر حكمها وهل تفسد الصوم فيقضى أو لا تفسده . سأذكر إن شاء الله طائفة منها باختصار . المسألة الأولى : إذا أذن المؤذن الفجر والإناء في يد الصائم يشرب منه فيكمل شرابه ولاشيء عليه واذا كانت اللقمة في

فيه بلعها ويصوم لما روىٰ أبوداود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : إذا سمع النداء أحدكم والإناء في يده فلا يضعه حتىٰ يقضي حاجته منه . أما إذا لم يكن الإناء في يده فلايذهب يطلب الماء يسعىٰ للثلاجة أو الترمس لأن هذا العمل لايشمله نص الحديث والحمد لله مع كل واحد ساعة أويسأل من كانت معه ساعة وقبل الأذان بقليل يذهب ويشرب .

المسألة الثانية إذا كان الانسان عليه غسل واجب من جنابه أوحيض أو نفاس انقطع الدم قبل الفجر صام ثم اغتسل لان الصيام لاتشترط له الطهارة من الحدث .

إذا أذن المؤذن وهو مع زوجته في الفراش فإذا نزع فوراً فلا شيء عليه إن شاء الله ولاتقاس هذه المسألة علىٰ مسألة الشراب فيقضي حاجته .

٤ ـ إذا سافر المسلم سفراً يبيح له الفطر فواقع زوجته فلاشيئ عليه إن شاء الله لكن يستحب احترام أيام رمضان .

٥ ـ من جامع زوجته في نهار رمضان وهو مقيم عالماً ذاكراً صومه عليه القضاء والكفارة ومن باشر دون المحل فسد صومه وعليه القضاء والكفارة ومن فكر أو تخيل فأنزل فسد صومه ولاكفارة عليه بل يقضي .

٦ ـ إذا أكل أوشرب في نهاررمضان ناسيا فإنما أَطعمه الله

وسقاه وصومه صحيح .

٧ ـ اذا ذرغه القيء بلا اختياره فلا شيء عليه ومن استقاء فقاء فعليه القضاء .

٨ ـ وحكم الرعاف مثل القيء إذا رعف بدون اختياره فلا شيء عليه .

٩ ـ واخراج الدم بالابرة من العرق للتحليل يفطر ولأنه أخرجه باختياره مثل الفصد والحجامة على خلاف والصحيح ومثله قلع الضرس و ابرة العلاج في الوريد تفطر أيضاً لأنه جوف وأما في العضل فقال شيخنا الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ الأولى تركها (١) .

١١ ـ من نام في نهار رمضان فاحتلم فلا شيء عليه وصيامه صحيح إن شاء الله .

١٢ ـ للمرأة أن تستعمل الحبوب لمنع الحيض في رمضان وفي الحج لأنه لم يرد نص يمنعه لكن يجب على المرأة أن تأخذ رأي الطبيبة المختصة لئلا تحدث مضاعفات .

١٣ ـ بعض الناس معه مرض الربو ويحتاج إلى بخاخ الاكسجين فله استعماله وصومه صحيح إن شاء الله .

---

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم : جـ ٤ ص ١٩٣ .

١٤ ـ المريض إن كان مرضه يرجى برؤه ويصح بعده أفطر وقضى عدة ماأفطر من أيام آخر لقوله تعالى ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ [**البقرة**: ١٨٦] أما إن كان مرضه لايرجى بروءه بل هو باقٍ باستمرار مثل الشيخوخة والأمراض المزمنة فيفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً لأنه لايستطيع أن يصوم عدة ماأفطر من أيام آخر.

والحيض والنفاس موجبات للفطر وقضاءِ الصيام دون الصلاة.

١٥ ـ والمرأة التي ترضع ولدها فإذا صامت خشيت ضرراً عليها أو على ولدها تفطر وتقضى عدة ماأفطرت من أيام آخر وكذلك الحامل.

١٦ ـ إذا افطر يظن الشمس قد غابت لاختفائها بغيم ثم طلعت أو أكل يظن الفجر لم يطلع ثم تيقين أنه أكل وشرب بعد طلوعه ففي المسألتين خلاف والأحوط أن يقضي والمسألة خلافية.

١٧ ـ اذا وجب القضاء على إنسان فقدر على الصيام ولكنه تهاون وأخر حتى ادرك رمضان آخر فعليه القضاء بعد رمضان ويطعم عن كل يوم مسكيناً أما إن كان تأخره لعذر وجب القضاء فقط.

١٨ ـ ومن مرض وأفطر ثم مات فلاشيء عليه لانه لم يعش

أياماً أُخر يقضي بها لكن يطعم عنه وليه عن كل يوم مسكيناً لما روىٰ أبوداود عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال إذا مرض الرجل في رمضان ثم مات أطعم عنه وليه .

١٩ ـ ذوق الطعام باللسان يكره إلا لحاجة وللحاجة لايفطر أما ذوقه بالبلع فيفطر وعلىٰ الانسان أن يسال عما أشكل عليه .

٢٠ ـ ومن لزمه صيام نذر فما قبل أن يَفِيَ بنذره صام عنه وليه لما روىٰ البخاري رحمه الله في الصحيح قال قال رسول الله ﷺ (من مات وعليه صوم صام عنه وليه) قال أبوداود وهذا في النذر ويدل عليه مارواه البخاري عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال جاءت امرأة إلىٰ النبي ﷺ فقالت يارسول الله إنّ أمي ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها ؟ قال أرايت لو كان علىٰ أمك دين فقضيتيه أكان ذلك يؤدىٰ عنها قالت نعم قال صومي عن أمك والصيام غير لازم للولي فإن لم يصم كفر من الترك فاتقوا الله أيها المؤمنون وايقنوابأن الصيام إنمافرض لمصلحتكم فالصيام له أهداف سامية ومصالح شرعية ترفع مستوىٰ المسلم في اخلاقه وسلوكه وإيمانه إلىٰ درجة رفيعة ويقوي الصلة بين العبد وربه ويضعف مجرىٰ الشيطان ويُعِدُّ المسلم لطلب السعادة فالصيام حبس النفس عن الشهوات وفطامها عن المألوفات وتعديل مَيْلِها إلىٰ الملذات فصيام شهر رمضان فرصة للمسلم يروض فيها نفسه فينبغي أن يهتم العاقل بنظام الصيام وأن يستفيد من فوائده فما شرع الصيام

إلا لمصلحة الصائمين فلا يرفث ولايصخب ولايشاتم أَحداً ويكون متذكراً الصوم عن المفسدات راغباً فيما عند الله من الثواب مجتنباً قول الفحش والزور.

روى البخاري في الصحيح ومسلم أن رسول الله ﷺ (قال الله تعالى كل عمل بن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفُث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤٌ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أَطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحها إذا أَفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه) (١).

(ياأيها آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولاتولو عنه وانتم تسمعون).

اللهم بارك لنا في القرآن وفي سنة سيد الأنام واغفرلنا ولآبائنا وامهاتنا ولجميع المسلمين إنك انت العغور الرحيم.

---

(١) صحيح البخاري: ٢/ ٣٤.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين جعل الصيام راحة للنفس والبدن .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له لطيف بعباده وهوالرحيم الغفور .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله أخبر بأن المعدة شر وعاء ملأه الإنسان .

واللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نيبنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أمابعد :

فإن الله تعالى أحل للانسان التمتع بالطيبات من الشرب والأكل واللباس مالم يكن إسرافاً أو مخيلة قال تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾ [الأعراف] والمندوب عقلا وشرعاً الاكتفاء بما تدعوا اليه الحاجة ماسد الجوع وسكن الظماء ففي ذلك حفظ الحواس وحرارة النفس. ومازاد عن الحاجة وهو الشبع والامتلاء فقيل مكروه وقيل حرام . قال بعض العلماء والصحيح أنه مكروه. فإن قدر الشبع يختلف باختلاف البلدان والأزمان والاسنان والطعمان.

وكلما قلل الأنسان من الأكل فهو أصح وانفع اصح جسما وأجود حفظا وأزكى فهما وأخفُّ نفساً . وفي كثرة الأكل كظ المعدة ونتن التخمة وتتولد منه الأمراض المختلفة وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى بيانا شافيا يُغْني عن كلام الحكماء والأطباء قال عليه الصلاة والسلام « ما ملأ آدمى وعاء شر من بطنه بحسب ابن آدم لقيماتٌ يقمن صلبه فإن كان لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »[1] روى أن طبيبا نصرانيا حاذقا قال لعلي بن الحسين رحمه الله ورضي عن أبيه قال الطبيب لعلي : العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان وليس في كتابكم من علم الطب شيء . فقال له علي قد جمع الله الطب في نصف آيه من كتابنا﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا [الأعراف : ٣١]﴾ فقال النصراني ولايؤثر عن رسوكلم شيء من الطب قال علي بن الحسين جمع رسول الله ﷺ الطب في الفاظ يسيرة قال المعدة بيت الأَدْواء والحمية رأس كل دواء [2]وأعط كل جسد ماعودته فقال النصراني ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا . وقيل إن جُلَّ معالجة حكماء الهند بالحمية . تمنع المريض من الأكل والشرب عدة أيام فيبرأ بإذن الله والإسراف مازاد عن الحاجة المشروعة . وكثرة الأكل والشرب يثقل المعدة ويكسل

---

(١) تفسير القرطبي : ٧/ ١٩٢ .

(٢) ليس بحديث وأنا هو كلام طيب العرب الحارث بن كلدة أو غيره (انظر كشف الخفاء : ٢/ ٢١٤).

الانسان عن عبادة ربه وندامه يوم القيامة ورد في الحديث عن النبي ﷺ « إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة » .

فاتقوا الله أيها المسلمون ولاداعي للزحام عند دكاكين بائعي الأطعمة والإكثار بعد الإفطار من المأكولات فإن ذلك لايتفق مع حكمة الصيام وفوائده

وصلوا على البشير النذير فقد قال الله تعالى في محكم تنزيله : إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) . اللهم . . الخ الدعاء .

الخطبة رقم (٢٠)

الصيام

الحمد لله رب العالمين . فضل أمة محمد وكرمها .

وأشــهــد أن لا إلـه إلا الله وحــده لا شــريك له خص بعض الأزمنة بخصائص وميزها .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خُير من صلىٰ وصام . اللهم صل وسلم وعلىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أمابعد :

ففي هذا اليوم المبارك يوم جمعة في أول يوم من شهر رمضان تغمر المسلمين فرحة بفضلية اليوم وفضلية الشهر ورغبة فيما عند الله . فرحة بوعد الله وكرامته ويتسابقون برغبة إلىٰ الأعمال الصالحات كيف لا يفرح المسلم بشهر رمضان وهو شهر المسلمين لا يصومه غيرهم كيف لا يفرح المسلمون بشهر تفتح فيه أبواب الجنة ليدخلوها .

ففي الصحيح عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة) [١]شهر تغفر فيه الذنوب وتنمّىٰ

---

(١) البخاري في الصحيح : ٣/ ٣٢ فتح الباري : ٤/ ١١٢ .

فيه الحسنات .

أن شهر الصوم الذي أضافه الله لنفسه (الصوم لي وأنا أجزي به) إنه شهر الصبر (وبشر الصابرين) . والصيام جنه لصاحبه من لفح جهنم فالصائمون لا يسمعون حسيسها ولا يحزنهم الفزع الأكبر هنيئاً لك أيها المسلم بشهر الصيام وحق لك التهنئة .

فهو موسم من مواسم الطاعات وطلب الزلفىٰ والوسيلة إلىٰ الله وفي الجنة باب اسمه الريان خاص للصائمين فاذا دخلوا الجنة اغلق . والصيام عبادة خاصة لله لم يُتَعّبد بها أحد إلا الله . والحسنات كفارات للمعاصي يؤخذ منها ويعطىٰ المظلوم . الا اجُر الصيام فإنه يدخر لصاحبه ويدْخل بسببه الجنة . والصيام خفي لا يطلع عليه الشيطان فيفسده .

حق لك أخي المسلم التهنئة بشهر انزل فيه القرآن أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النيران . شهر البركات والخيرات قال بعض العلماء الصيام علىٰ أربعة أنواع . الأول صيام عن الأكل والشرب والجماع وهذا يفعله كل الصائمين الثاني صيام عما ذكر وعن كل المحرمات . وهو أخص مما تقدم الثالث صوم عن الأكل والشراب والجماع وعن المحرمات وصيامٌ عن غير ذكر الله فلا يتحرك لسانه إلا بذكر الله . النوع الرابع صيامٌ عما ذكر وعن غيرالله فيتفرغ لعبادة الله بالقول والعمل فليس في قلب ذلك

الصائم ولافي لسانه ولا في عمله ذكر لأحد إلا الله . وهذا أعلىٰ المقامات واشرفها وهو سهل علىٰ من وفقه الله وأعانه .

ومن رحمه الله ولطفة بإمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم ومن تسيره عليهم في التشريع جَعَل لدخول شهر رمضان علامات ظاهرة وهو الهلال فلا يثبت دخول شهر رمضان إلا إذا رأىٰ الهلال أحدالمسلمين أو أكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً كما هو الحال في هذا الشهر لقوله صلىٰ الله عليه وسلم : **(لا تصوموا حتي تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين)** (٢)وإذا تأمل المؤمن جميع التكاليف وجدها ملحوظاً فيها مصلحة المكلف فمثلاً الصلاة جعلت أوقاتها لا تنافي مصلحة المكلف وجعل لأوقاتها علامات ظاهرة، ومثل ذلك أَعداد الركعات فصلاة الفجر ركعتان، وصلاة كل من الظهروالعصر والعشاء أربع ركعات وصلاة المغرب ثلاث ركعات وصلاة السفر ركعتان، فلابد من إكمال المفروض إقتداءً بالنبي ﷺ فمن أَفطر من أَيام شهر رمضان قضىٰ عدّة ما أَفطر من أيامٍ أُخر .

ومن نقص من الصلاة ركعة أتىٰ بها وسجد للسهو فمثلاً إذا صلىٰ الثلاثية أو الرباعية وسلم بعد ركعتين وجب عليه أن يأتي بما

---

(١) فتح الباري : ٤/ ١٠٩ .

(٢) صحيح البخاري : ٣/ ٣٤، فتح الباري : ٤/ ١١٩ .

بقيٰ ويسجد للسهو وكذلك إذا سلم بعد ثلاث ركعات من الرباعية وجب عليه أن يأتي بالرابعة ويسجد للسهو .

هذا إذا لم يطل الفصل فإن طال أعاد الصلاة أو إذا زاد ركعة في الصلاة ساهياً سجد للسهو . وإن كانت الزيادة أو النقص عمداً بطلبت صلاته ولزمها أن يستأنفها . ومع أن صيام شهر رمضان ركن من أركان الإسلام واجب صيامه ولا يتم إسلام المرء إلا بصيام شهر رمضان . فإنه سبب للتقوىٰ ويزكي النفوس . وبه يصّلحُ الافراد والجماعات وتُبْذُلُ فيه النفوس والأيدي مما أعطاها الله . وبالصيام يتذكر الواجدون حال اخوانهم المحتاجين فيذكرونهم بالصلة والبر والإحسان ويذكرون إخوانهم الذي يُقتّلون ويشردون من ديارهم بغير حق مثل مسلمي البوسنة والهرسك الذين تسلط عليهم نصارىٰ الصرب . وقتلوا المدنين الغافلين تكبرا وطغيانا . وعدم مبالاة بالإسلام والمسلمين لأن اعداء الإسلام عرفوا أن المسلمين تركوا الجهاد فصاروا إلىٰ الذل والهوان ، وأنهم انصرفوا عن الجد والاستعداد للعدو بالقوة إلىٰ اللعب والمسليات وتضيع الزمن فيما لا فائدة فيه .

نسأل الله أن يبرم لهذه الأمة أمر رشدها يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية ويؤمر فيه بالمعروف وينهىٰ فيه عن المنكر .

فاتقوا الله أيها المسلمون وأوصيكم بالتمسك بآداب هذا الشهر

واحترامه وأداء حقه والتعرض لرحمة الله وإحسانه فإن هذا الشهر فرصة لا تعوض فقد لا يدرك المرء شهراً مثله نسأَل الله أن يوفقنا لصيام هذا الشهر وقيامه إيمانا واحتساباً وأن يجعلنا من عتقائه والفائزين برحمة الله ورضوانه.

وأن يتقبل منا ومن جميع المسلمين. وأكثروا من الدعاء فإن ربكم قريب يجيب الدعوات (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون).

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم اللهم علمنا من القرآن ما جهلنا وذكرنا منه ما نُسِّنا وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا. واغفر لنا ولأبائنا وامهاتنا ولجميع المسلمين الاحياء والميتين أنك أنت الغفور الرحيم.

الخطبة رقم (٢١)

تسبيح الله وذكره

(في ١٠/٨/١٤١٤هـ)

الحمد لله رب العالمين. خالق الخلق ومالك الملك فيسبح المملوك مالكه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الأسماء الحسنىٰ . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، عظم الله وكبره وسبحه ونزهه . ودلنا علىٰ طرق الخير وأبانها .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اتّبع سبيله .

أما بعد :

ففي مستهل سورة الحديد يقول تبارك وتعالىٰ : ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢** ﴾ [**الحديد** : ١، ٢] .

يخبر تعالىٰ عن نفسه أنه تعالىٰ سبح له ، أي : مجّده ونزهه عن النقائص والدنيات . مُنزه في ذاته ، فذاته سبحانه وتعالىٰ كاملة مقدسة لا تشبه الذوات ، مُنزهة عن النقائص والعيوب والتغيرات ،

منزه سبحانه في أسمائه وصفاته فهو سبحانه محيط بكل شيء علماً قادر على كل شيء تدبيراً وصنعاً ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف.

فصفاته جل شأنه مُنزهة عن التشبيه والتعطيل. وعن التحريف والتأويل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾ [الشورى.

مُنزه سبحانه في أفعاله وتدبيره فكلها لحكمة، فلا يَتَطرَّق إليها اللعب والباطل ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت. ﴿... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ...﴾ [آل عمران: ١٩١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (١٦)﴾ [الأنبياء. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ [الأعراف: ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩)﴾ [الملك. وقال جلَّ شأنه: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)﴾ [الغاشية. مُنزه تعالى في أمره ونهيه وتشريعه. فأمره عدل ونهيه عدل وتشريعه عدل فمن رغب عن ذلك فقد ترك العدل. فكل ما شرعه مصلحة وإحسان، وخيرٌ للإنسان، فضلاً منه وامتنان فحكمه وتكليفه لازم. وليس لأحد عليه سبحانه واجب حق ﴿هُوَ

الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام].

قد يُلاحظ القارئ أنه ورد في بعض السور سبَّح بلفظ الماضي كما في سور الحديد ، والحشر ، والصف ، وكما في سور السجدة، وآل عمران ، وطه ، وورد بلفظ المضارع يسبح كما في سور الجمعة والتغابن، وآخر الحشر ، وغافر، وفصلت ، والشورىٰ ، وكما في سور : البقرة ، والرعد ، والإسراء ، والنور، والأنبياء، و ص ، والزمر وذلك إشارة إلىٰ أن تلك المخلوقات مسبحة باستمرار لا يختص تسبيحها بوقت ، وفي وقت بل هي مسبحة أبداً في الماضي والحال والمستقبل ما بَقِيَتْ تلك المخلوقات ، ولبيان أن التسبيح لازم للمخلوقات فلا تنفك عنها بحال من الأحوال.

والآية عامة شاملة جميع من في السموات والأرض والناميات والجمادات فأجزاءُ السموات ، وذاتُ الأرض والجبال والرمالِ والبحارِ والشجرُ والدواب والجنةُ والنارُ ، والعرش والكرسي والملائكة والإنسان والحيوانات ، والجن كلها تسبح الله تسبيحاً يليق بكل نوع وكلها خاشعةٌ لجلال الله ، منقادة لأمره ومشيئته ، وليس بغريب أن يسبح اللّه الجماداتُ وإن كنا لا نُدرك لها عقلاً ، فكذلك لا ندرك تسبيحها ، ولا علم لنا إلا ما علمنا ربنا ، والدليل علىٰ أن الآية علىٰ عمومها لم تخصص ، وأن جميع

المخلوقات ـ بما فيها الجمادات ـ تسبح الله بلسان المقال .

قوله تعالى : ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)** ﴾ [الإسراء] .

وقوله سبحانه : ﴿ ... **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ (١٨)** ﴾ [ص] .

وقوله جل جلاله : ﴿ ... **وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩)** ﴾ [الأنبياء] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ...** ﴾ [البقرة : ٧٤] .

وقوله ﷺ : « **لا يسمع صوتَ المؤذن جنٌّ ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة** » .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيحه » .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قَبْل أن أبعث » .

وأيضاً : «وخبرُ الجذع الذي حَنَّ لما فارقه رسول الله ﷺ إلىٰ المنبر» . والذراع الذي أخبر النبي ﷺ بأنه مسموم ، والله تعالىٰ أخبر في محكم التنزيل أن جميع مخلوقاته تسبحه ، ومن أصدق من الله حديثاً ومن أصدق من الله قيلاً .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾ [**الحديد**] . العزيز الذي خضع له كل شيء ، وانقاد لإرادته كل المخلوقات ، الغالب القاهر ، الجبار المتكبر ، له العزة الكاملة ، والغلبة الدائمة ، والوحدانية والألوهية ، لا إله غيره ولا رب سواه ، فتسبيح ما في السموات والأرض فرع عن العزة الغالبة والحكمة البالغة .

حكيم جلَّ شأنه في خلقه وأمره وشرعه له الحكمة المحكمة والعزة المهيمنة .

وقوله : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [**الحديد**:٢] . هو المالك الحقيقي للدنيا والآخرة لا شريك له ، وما يعطيه في الدنيا إنَّما هو عاريات ، إما أن يزول عنها صاحبها أو تزول عنه ، فلا بد من رد الودائع إلىٰ مالكها .

ومن تمام ملكه وكمال عزته وحكمته ، سبَّح له ما في السموات والأرض فهو تسبيح المملوك لمالكه الحقيقي ، الذي منه السداد وإليه المنتهىٰ .

وقوله : ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [**الحديد**:٢] .

يخلق الحياة ويخلق الموت ، فلا يكون إلا قدره الذي قدَّره .

والحياة سر في ذاتها وسر في كيفيتها ، ولا يملك أحدٌ أن يقول من أين جاءت ، ولا كيف جاءت ، ولما سأل إبراهيم ربه أن يريه كيفية إحياء الموتىٰ ، أراه نتيجة الحياة ؛ ليعلم أن الله علىٰ كل شيء قدير .

والله تعالىٰ قادر علىٰ كل شيء قدرة مجملة بغير حد ، ولا قيد .

وفي الآية يتمثل في القلب الواعي سلطان الله المطلق في ملكه الذي لا يَشْرَكُه غيره فهو المستحق للتسبيح والتنزيه والتقديس .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، واجعلنا ممن يحل ما أحلَّ القرآن، ويحرم ما حرم القرآن واجعلنا من أهله الذين هم خاصتك يا أرحم الراحمين .

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، له صفات لا تشبه صفات المخلوقين .

وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له ، ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)** ﴾ [الشورى] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أعرف الناس بربه وأطوعهم لأوامره ، وأكثر الناس فهماً لأسماء الله وصفاته .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته .

أما بعد :

فقد وصف الخالق تعالى نفسه بصفات لا يتصف بها المخلوق لبيان أن صفات الرب سبحانه وإن وافقت بعض صفات المخلوقين في الأسماء فإنها لا تشبهها في الحقيقيات ، فقال سبحانه : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [**الحديد** : ٣] .

وقد فسَّرها النبي ﷺ تفسيراً يُغني عن كل قول . ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله : «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**».

ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه، فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم (٢٢)

الحقوق في الشريعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين. ربط بين التشريعات وبين الإيمان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرسىٰ المناهج الاجتماعية علىٰ قاعدة التوحيد.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أتم الله به مكارم الأخلاق.

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديه واتبع سبيله.

أما بعد:

فإن الإسلام جعل علاقات الناس بعضهم مع بعض تشريعاً سماوياً وعبادة لله، فجعل التوحيد واسطة بين نظام الأسرة وبين العلاقات الإنسانية، ويتضح ذلك جلياً في آيات القرآن الكريم، فما من آية تحث علىٰ البر والإحسان إلا وصدرت بالتوحيد. قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَلا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ ...﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال جلَّ شأنه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا

بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ ...﴾ [النساء: ٣٦].

والخالق تعالىٰ جعل التشريع يوافق الفطرة الإنسانية، والجبلة التي جُبل عليها بنو آدم: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ [الملك: ١٤].

وإذا تأمَّلنا الآية التي في سورة النساء، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا (٣٦)﴾ [النساء: ٣٦]. وجدناها تذكر عشرة حقوق:

١ ـ حق الله تعالىٰ.

٢ ـ وحق الوالدين.

٣ ـ وحق القرابة.

٤ ـ وحق اليتامىٰ.

٥ ـ وحق المسكين.

٦ ـ وحق الجار القريب .

٧ ـ وحق الجار الجنب .

٨ ـ وحق الصاحب .

٩ ـ وحق ابن السبيل .

١٠ ـ وحق الرقيق .

١ ـ فحق الله تعالىٰ هو أول الحقوق ؛ لأنه سبحانه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل علىٰ خلقه في جميع الحالات والأوقات ، فالواجب عليهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً ، لا من الشرك الخفي ولا من الشرك الجلي ، لا لاتباع النفس وشهواتها ، ولا لاتباع الأحبار والرهبان ، والعادات والتقاليد ، وإخلاصُ العبادة لله حق واجب علينا وعلىٰ كل مسلم مكلف ، قال جلَّ جلاله : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] . وقال تعالىٰ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . . . ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

وإخلاص العبادة لله هو القاعدة الأساسية التي يقوم عليها منهج المسلم وهي قاعدة التوحيد التي تنبثق منها حياة المسلمين ويقوم عليها عزهم وكرامتهم . أما حين ينحرفون عن الإخلاص لله ، وعن توحيده ، فلا عزو لهم ولا كرامة ، بل هم غثاء كغثاء السيل ، هشيم تذروه الرياح وتلعب به الأعاصير .

٢ ـ الحقّ الثاني : حق الوالدين : أمر الخالق تعالىٰ بالإحسان إلىٰ الوالدين وقَرَن حق الوالدين بالتوحيد ؛ لأن النشأة الأولىٰ من عند الله ، والنشأة الثانية وهي النطفة والحمل والولادة والتربية والحضانة ، بسبب الوالدين .

والإحسانُ إلىٰ الوالدين هو معاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما ، وامتثال أمرهما والدعاء لهما بالرحمة ، وبذْلُ الفدىٰ وكف الأذىٰ ، وتحمل المشقة التي تحصل بهما . قال تعالىٰ : ﴿ ... **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣)** ﴾ [**الإسراء** : ٢٣] .

٣ ـ الحق الثالث ـ المذكور في قوله سبحانه ﴿ **وَبِذِي الْقُرْبَى** ﴾ [**الإسراء** : ٣٦] ؛ أي : الأقارب من الرجال والنساء ، أمر سبحانه بالإحسان إلىٰ الأقارب سواء من جهة الأب أو من جهة الأم . روىٰ الإمام أحمد وغيرُه عن سلمان بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : «الصدقة علىٰ المسكين صدقة» . وعلىٰ ذي الرحم اثنتان صلة وصدقة .

٤ ـ الحق الرابع حق اليتامىٰ : واليتيم من مات أبوه وهو صغير لم يبلغ الحلُم ؛ لأنه فقد من يقوم بمصالحه ، وفقد حنان الأبوة وعطف العائل فواجب علىٰ المسلمين أن يحسنوا إلىٰ اليتيم بالمال

والكلمة الطيبة وإشعاره بأن إخوانه المسلمين قاموا مقام أبيه فكأنه لم يفقده ، ولا يحس بفقده لما يجد من المسلمين وقد حثت الآية على كفالة اليتيم وحفظ حقوقه . أما بعد البلوغ فلا يُتْمَ .

وحث النبي ﷺ على كفالة اليتيم والإحسان إليه فقال عليه الصلاة والسلام : «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى » . أخرجه مسلم عن أبي هريرة[1] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ما قَعد يتيم مع قوم على قصعتهم فيقرب قصعتهم الشيطان» .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ من ضم يتيماً من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يُغْنيه الله عز وجل غُفرت له ذنوبه البتة إلا أن يعجل عملاً لا يغفر . ومن أذهب الله كريمتيه[2] فصبر واحتسب غفرت له ذنوبه . ومن كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يَبِنَّ أو يَمُتْنَ غفرت له ذنوبه البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر والذي لا يغفر كما قال سبحانه وتعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء : ٤٨] . وهذا الحديث من غرائب الحديث وغُرره .

٥ ـ الحق الخامس : كما قال جلَّ شأنه ﴿**وَالْمَسَاكِينِ**﴾ أي : أمر

---

(١) القرطبي : ٢/ ١٤ .

(٢) كريمتيه : يعني عينيه .

بالإحسان إلىٰ المساكين وهم الذين جعلتهم الحاجة في سكنة ضعفتهم سكنت بهم عن الحركة بعد القوة أو هم الذين لا يُفطن لهم فيتصدق عليهم . كما قال ﷺ : « ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف علىٰ الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قالوا : فما المسكين يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يجد غنىٰ يغنيه ، ولا يُفطن له فيتصدق عليه ولا يَسأل الناس شيئاً» رواه الشيخان(١) . والآية تتضمن الحث علىٰ الصدق والمواساة وتفقد أحوال المساكين والضعفاء ، روىٰ مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «الساعي علىٰ الأرملَة والمسكين كالمجاهد في سبيل » .

٦ ـ الحق السادس : حق الجار ذي القرابة ﴿والجار ذي القربىٰ﴾ .

٧ ـ الحق السابع : حق الجار الذي ليست له قرابة ﴿والجار الجنب﴾ وقد أمر الله تعالىٰ في كتابه وعلىٰ لسان نبيه صلىٰ الله عليه وسلم بحفظ الجار والقيام بحقه وأوصىٰ برعايته ، ومما يدل علىٰ ذلك أن الله تعالىٰ ذَكَرَهُ بعد الوالدين والأقرباء ، ومعنىٰ الجار ذي القربىٰ والجار الجنب . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : والجار ذي القربىٰ أي : القريب ، والجار الجنب ، أي : الغريب .

---

(١) ابن كثير والبغوي : ٤/ ١٨٧ .

وقيل : الجار ذي القربىٰ : المسلم، والجار الجنب : غير المسلم، وعلىٰ هذا فالجار قد أوصىٰ به الإسلام ، سواء كان مسلماً أو كافراً ، والإحسان إلىٰ الجار بمعنىٰ المواساة . وقد يكون بمعنىٰ : حسن العشرة ، وكف الأذىٰ والعموم أقرب إلىٰ النص .

ـ روىٰ البخاري رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عن النبي ﷺ قال : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه .

ـ وقال ﷺ : «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل : يا رسول الله ومن قال الذي لا يأمن جاره بوائقه ، وهذا عام في كل جار . وقد أكد عليه الصلاة والسلام تركَ أذيته بقسمه ثلاث مرات ، وأنه لا يؤمن أي الإيمان الكامل من آذىٰ جاره . فينبغي للمؤمن أن يحذر أذىٰ الجار وينتهي عما نهىٰ الله ورسوله عنه . ويرغب فيما رضيه الله ورسوله وحثَّ العباد عليه .

وحد الجيرة : أربعون بيتاً من كل جانب ، ومن سمع النداء فهو جار .

ومن إكرام الجار : ما رواه مسلم عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ، وتعاهد جيرانك فحضَّ عليه الصلاة والسلام علىٰ مكارم الأخلاق؛ لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع المفسدة فإن الجار قد يجد ريح الطبخ

وربما تكون له ذرية فإذا لم يُطعمهم هاجت الضغائن . وقد حثَّ عليه الصلاة والسلام على إكرام الجار الأقرب باباً بالهدية ؛ لأنه ينظر إلىٰ ما يدخل دار جاره وما يخرج منها ، فإذا رأىٰ خيراً أحب أن يشارك فيه وأيضاً فإنه أسرع إجابة إلىٰ النداء إذا نابه شيء ، والنبي ﷺ يَسَّرَ الأمر بتنبيه لطيف ، فجعل الزيادة فيما ليس له ثمن ولا يكلف عناء، وهو الماء فلم يقل فأكثر لحمها ، إذ لا يسهل إكثار اللحم علىٰ كل واحد بخلاف الماء .

وحديث معاذ بن جبل جمع فيه مرافق الجار قال : قلنا يا رسول الله : ما حق الجار ؟ قال : إن استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير سرك وهنيته ، وإن أصابته مصيبة ساءتك وعزيته ، ولا تُؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، ولا تستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح إلا بإذنه ، وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها ، وإلا فأدخلها سراً ولا يخرج ولدك بشيء منها يغيظون به ولده ، وهل تفقهون ما أقول لكم لن يؤدي حق الجار ، إلا القليل ممن رحم الله . فاتقوا الله . وأذكر بقية الحقوق في الخطبة الثانية إن شاء الله تعالىٰ .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . يعطي ويمنع ويحفظ ويرفع والعبرة بميزان الله ومقاييس الآخرة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق فقدر وشرع فيسر فحمده والثناء عليه واجب على البشر .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بشر وأنذر ورغب وحذر ، وتركنا على المحجة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدي بهديه واتبع ملته .

أما بعد :

فيُلاحظ في الآية المتقدم ذكرها أن الله تعالى قدم اليتامى والمساكين على من بعدهم ؛ لأنهم أشد حاجة وأولى بالرعاية .

٨ ـ الحق الثامن المذكور في قوله ﴿والصاحب بالجنب) أي : الرفيق في السفر . قال بعض العلماء : للسفر مروءة . وللحضر مروءة . فأما المروءَ في السفر فبذل الزاد وقلةُ الخلاف على الأصحاب وكثرة المزاح في غير ما خط الله .

وأما المروء في الحضر فالإدمان إلىٰ المساجد، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في الله عز وجل .

٩ ـ الحق التاسع كما في قوله سبحانه : ﴿وابن السبيل﴾ ، السبيل الطريق ، وإن السبيل هو الذي يجتاز ماراً ، فنسب المسافر إليه لمروره عليه ، فإذا قصرت به النفقة ، أحسن إليه بما يردُّه إلىٰ بلاده .

١٠ ـ الحق العاشر كما في قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ أمر الله تعالىٰ بالإحسان إلىٰ المماليك ، وبين النبي ﷺ الإحسان إليهم بقوله لأبي ذر : «هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

فندب الكتاب والسنة إلىٰ مكارم الأخلاق ، وحث السادة عليها وأرشدهم إلىٰ الإحسان وإلىٰ طريق التواضع حتىٰ لا يرىٰ السادة لأنفسهم مزية علىٰ مماليكهم ؛ إذ الكل عبيد الله والمال مال الله ، لكن سخر الناس بعضَهم لبعض وملَّك بعضهم بعضاً إتماماً لنعمة الله وتنفيذاً لحكمته .

وختم سبحانه الآية بقوله : ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ المختال : ذو الخيلاء، أي : الكبر . والفخور : الذي يعدد مناقبه تكبراً وخيلاء . وهاتان الصفتان : الاختيال والمفاخرة

تجعلان صاحبهما يأنف من الفقير ويضيع أمر الله فيه .

والتنظيم في الآية يتفق مع فطرة الإنسان ومع التنظيم الاجتماعي في الإسلام فجعلت التكافل يبدأ بالأسرة الصغيرة ، وهي البيت والقرابة ، ثم يمتد الإحسان إلىٰ المحتاجين من الاسرة المسلمة الكبيرة ، فتأملوا الآية أيها المؤمنون . وتدبَّروا معانيها ، فإنها محكمة لم ينسخ منها شيء ، والتوفيق بيد الله وأوصيكم بتقوىٰ الله في السر والعلانية .

وصلوا علىٰ البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير وأوصيكم بتقوىٰ الله في السر والعلانية ، فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم (٢٣)

تفطر السموات واستغفار الملائكة لمن في الأرض

الحمد لله رب العالمين . له ما في السموات وما في الأرض ، وهو العلي العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، من عظمته وهيبته وجلاله تكاد الجماداتُ أن تتفطر . ومن رحمته ببني آدم سخر الملائكة يستغفرون لهم .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، دعا إلىٰ الله علىٰ بصيرة ، وعدل بين الخلق ونصح لعباد الله وأدىٰ أمانته .

اللهم صل وسلم علىٰ المصطفىٰ المختار وعلىٰ آل وأصحابه البررة الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم القرار .

أما بعد :

فإن أمامنا الآن الآية الخامسةُ من سورة الشورىٰ حبذا لو تأملناها وتدبرناها وحاولنا فهم شيء من معناها ، هي قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ من فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)** ﴾ [الشورى] .

فكأني بإنسان يقول : ما هو سبب قرب السموات من التفطر؟ وما هو سبب تسبيح الملائكة ؟ وهل يتسغفر الملائكة لجميع من في الأرض وفيهم المؤمن والكافر ؟ .

ألخص لكم ما قاله المفسرون رحمة الله عليهم .

فأما سبب مقاربة السموات للتفطر في هذه الآية فللعلماء فيه وجهان كلاهما يدل عليه القرآن .

الأول : تكاد السموات يتفطرن خوفاً من الله وهيبته وإجلالاً تقديساً بدليل آخر الآية قبلها ﴿وهو العلي العظيم﴾ ؛ فالسموات في غاية الخوف من الله وفي غاية الهيبة والإجلال ، بخلاف بني آدم ، فإنهم لم يقدروا ربهم حق قدره . ولم يعظموه كما يليق بجلاله ولم يقدِّسوه كما ينبغي له ، بل هم غافلون ساهون لاهون في دنياهم عن واقع حالهم .

الوجه الثاني لسبب مقاربة السموات من التفطر . قيل : لعظم ذنوب بني آدم فجعلوا لله ولداً ، وجعلوا له نداً وشريكاً .

ويدلُّ على هذا قوله سبحانه في سورة مريم : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم] .

قال أهل هذا التأويل : غاية ما في هذا الوجه أن آية الشورىٰ فيها إجمال في سبب تفطر السموات ، وقد جاء ذلك موضحاً في اية مريم .

وهنا يرد استفهام عن معنىٰ الفوقية في قوله تعالىٰ : ﴿تكاد السموات يتفطرن من فوقهن﴾ . فعلىٰ القول الأول ظاهر ؛ لأن أعظم الآيات الدالة علىٰ جلال الله وعظمته فوق السموات ، وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المتحركة بالتسبيح والتقديس حول العرش ، وآثار ملكوت المالك العظمىٰ . فالتفطر من فوقه ظاهر .

وأما علىٰ القول الثاني بأن سبب مُقاربة السموات للتفطر كلمة الكفر التي قالها بنو آدم وافتراؤهم علىٰ الله وهي جاءت من تحت السموات .

فقال العلماء : لأن افتراء بني آدم أثَّر علىٰ فوقي السموات فكِدْن أن يتفطرن من فوقهن .

وأما سبب تسبيح الملائكة ، فإنهم مَجْبولون علىٰ الطاعة والبعد عن المعصية . كما قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ ... **لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴿٦﴾ ﴾ [**التحريم**] .

وإذا رأوا معاصي بني آدم ، نزّهوا الله تعالىٰ عما لا يجوز في

وصفه وعما لا يليق بجلاله ويتعجبون من جُرْأة المشركين وقولهم بلا علم فالملائكة بخلاف المشركين كما قال سبحانه : ﴿ **فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ** (٣٨) ﴾ [**فصلت**] . وقوله : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ** (٨٩) ﴾ [**الأنعام**] .

وأيضاً ، فإذا كانت السموات في غاية الخوف من الله والهيبة ، فإن الملائكة عقلاء معصومون يخافون الله ويهابونه لما يرون من عظمته وقدسيته وقهره وإحاطته وبلوغ أمره ونفاذ إرادته ، فهم ينزهون الله من النقائص ومن وصف الظالمين وعصيان العاصين ، وخضوعاً لعظمته .

وهذه الصفة التي بلغت من الملائكة شدة الخوف ، جعلتهم يخافون على أهل الأرض فيستغفرون لمن في الأرض .

استغفار الملائكة لمن في الأرض فللعلماء فيه كلام .

قال بعض العلماء : المراد بمن في الأرض المؤمنون .

وبيانه : في سورة المؤمن ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ .

وقال بعض العلماء : آية الشورى على معناها العموم وآية المؤمن على معناها ، فالملائكة منهم حملة العرش يستغفرون للذين آمنوا وهناك ملائكة آخرون يستغفرون لعموم من في الأرض

المؤمن وغير المؤمن . وإذاً يكون استغفارهم لغير المؤمنين ألاَّ يُعاجلهم الجبار بالعقاب ويطلبون لهم الرزق والسعة وبمناسبة استغفار الملائكة لمن في الأرض . قال بعض العلماء : أنصحُ عباد الله لعباد الله الملائكة وأغش عباد الله لعباد الله الشيطان ، فمن كان من البشر ناصحاً لعباد الله مخلصاً العمل فهو مثل الملائكة ومن كان منهم غاشاً لعباد الله يتربص بهم الدوائر فهو من أتباع الشيطان . فاتقوا الله أيها المؤمنون ، كونوا من حزب الرحمن تفوزوا وتفلحوا .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة واستر عيوبنا وارحم ضعفنا أمامك . واغننا بالحلال عن الحرام ، وبفضلك عمن سواك . وتب علينا وعلى جميع المسلمين إنك أنت التوَّاب .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . أكمل الدين ورضي الإسلام للمؤمنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله (وما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ) .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه نجوم الهدي ومصابيح الدجىٰ ومن تبعهم بإحسان واهتدىٰ .

أما بعد :

فإن السلف الصالح ذمُّوا الاعتماد علىٰ الرأي في الشرعيات ، وحرموا اتباع الهوىٰ والعقل . فالرأي ثلاثة أقسام :

رأي باطل بلا ريب . ورأي صحيح بلا ريب ، ورأي موضع اشتباه .

والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف فاستعملوا الرأي الصحيح . وذموا الباطل ، وفصلوا القول به .

أما الرأي موضع الاشتباه ، فجوزوا العمل به عند الضرورة .

والرأي الباطل أنواع : رأي خالف النص الشرعي .

والثاني القولُ في الدين بالخَرص والظن مع التفريط والتقصير في معرفة النصوص .

الثالث : رأي فتي على قياسات باطلة . مثل آراء الجهمية والمعتزلة والقدرية .

الرابع : رأي أُحدِثت به بدع وغُيرَّت به سنن ، وعَمَّ به البلاء .

فهذه الأنواع الأربعة . قد اتفق السلف والأئمة على ذمها وردها ، وفاعلها آثمٌ . قال الله تعالى : ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)** ﴾ [**القصص**] .

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة قومٌ يقيْسون الدين برأيهم يحرمون به ما أحل الله ، ويحلون ما حرم الله» .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : «أيُ أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأيي أو بما لا أعلم) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «أيها الناس : إن الرأي إنما كان من رسول الله ﷺ مصيباً إن الله كان يريه وإنما هومنَّا الظن

والتكلف؟» .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه في شأن العمرة : «إنما كان رأيا أشرتُ به فمن شاء أخذه ومن شاء تركه» .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «لو كان الدين بالرأي لكان أسفلُ الخف أولى بالمسح من أعلاه» .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «من قال في القرآن برأيه فليبتوأ مقعده من النار» .

وقال مالك عن نافع : «العلم ثلاثة : (كتاب الله الناطق ، وسنَّة ماضية ولا أدري» .

فاتقوا الله أيها المؤمنون **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾** [الحشر] .

وصلوا على البشير النذير ، فقد أمرنا بذلك في كتابه العزيز فقال سبحانه : **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾** [الأحزاب] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم (٢٤)

الإيمان والاستقامة

الحمد لله رب العالمين . وعد المستقيمين على طاعته بالأمن التام يوم الفزع الأكبر . يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وأشهد أن لا إله إلاالله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦)** ﴾ [**الأحزاب**] .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد :

فإن أمامنا الآن آية فيها بشارة للمؤمنين بشارةٌ مفرحة مؤنسة ، وهي من سورة فصلت، السورةُ الثانية من السور السبع التي بُدأت بالحاء والميم (حم) .

وهي أرحب آية كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : جمعت كمال الإسلام هي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**

تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)﴾
[**فصلت** : ٣٠ - ٣٢].

لـمَّا ذكر تعالىٰ في الآيات السابقة في السورة ما أصاب الأمم المكذبة وذكر جزاء الكافرين في الدنيا والآخرة. ذكر ثواب المؤمنين وجزاءهم فيستحسن أن نعرف معنىٰ الاستقامة. ومن هم الملائكة الذين يتنزلون، ومتىٰ تنزلهُم؟

الاستقامة: ضد الميل والروغان قال الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: استقاموا: لم يشركوا بالله شيئاً. وقال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه: استقاموا علىٰ الطريقة لطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعلب. وقال الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه: استقاموا: أخلصوا العمل لله. وقال الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه: استقاموا: أدُّوا فرائض الله. والآية تحتمل تلك الأقوال، وإنما هو اختلاف تنوع فتولي الخلفاء الأربعة علماء الإسلام تفسير الاستقامة دليل علىٰ أهميتها. وبرهانٌ علىٰ أن لها منزلة ومكانةً في الدين ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: استقاموا علىٰ شهادة أن لا إله إلا الله

وقال الحافظ ابن كثير أخصلوا العمل لله وعلموا بطاعة الله تعالىٰ علىٰ ما شرع لهم . والاستقامة وسط بين الإفراط والتفريط . فلا يتوغل العبد في إثبات الأسماء والصفات حتىٰ يصل إلىٰ التشبيه والتمثيل . ولا يتوغل في باب التنزيه حتىٰ يصل إلىٰ التعطيل إثباتٌ بلا تشبيه . وتنزيهٌ بلا تعطيل وكذلك في باب الجبر والقدر . والرجاء والخوف .

والإيمان بالربوبية يستلزم الإيمان بالواحدانية لله والألوهية فلم يستقم من آمن بالربوبية وأنكر الوحدانية والألوهية وقد وبخ الخالق تعالىٰ الذين آمنوا بالربوبية وأنكروا الألوهية والتوحيد، فقال تعالىٰ : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٢٥)** ﴾ [لقمان]. وقال تعالىٰ : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧)** ﴾ [الزخرف]. وقال تعالىٰ : ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١)** ﴾ [يونس]. وربط سبحانه بين الربوبية والألوهية في كثير من الآيات ، منها قوله تعالىٰ : ﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ**

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)﴾ [النمل: ٦٠ - ٦٤].

فما استقام من اعتقد أن لبعض المخلوقين تصرفاً في هذا الكون مثل الأقطاب والأوتاد والأبدال. وما استقام من جعل مع الله آلهة أخرىٰ. وما استقام من ترك ما أوجب الله عليه وفعل ما حرم الله. وما استقام من خالف سنة النبي ﷺ متعمداً. ولا من خالف ما كان عليه أصحابه ﷺ.

أما الملائكة الذين يتنزلون علىٰ المؤمنين ويؤمِّنونهم فهم الملائكة الذين كانوا مع المؤمنين في الدنيا يكتبون أعمالهم وأقوالهم؛ بدليل قوله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾؛ لأنهم كانوا يَعْرفون طيب أعمالهم واستقامة أحوالهم وصدق أقوالهم.

وأما وقت التأمين فهو وقت الخوف والقلق ويحصل في ثلاثة مقامات:

الأول: عند الموت إذا فارق المؤمن الدنيا وبلغت الروح الحلقوم فيكون المؤمن خائفاً وجلاً بماذا يلقىٰ ربه ولا يدري هل

عملَه مقبول أو مردود ؟ فيأتيه الملكان فيقولان له لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة ، وأبشر برضى ربك فتهدأُ نفسه ويرتاح باله ويطمئنُ خاطره . ويذهب خوفه .

الثاني : في القبر . إذا رُدت عليه روحه وهو في تلك الحفرة الضيقة المظلمة فيخرج عليه منكر ونكير ، فيخاف ، ويقلق ويغْتَمُّ لا يدري هل يثبته الله بالقول الثابت ، فيأتيه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا قد عرفا أعماله فيقولان له لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت ترجوها وتتمناها وعملت لله صالحاً رغبة فيها .

والمقام الثالث : إذا قام الناس من قبورهم يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ، فيذكر غضب الرب في ذلك الموقف وتطاير الصحف و يتذكر الصراط، ويسمع جهنم لها زفير وشهيق ، ذلك يوم الفزع الأكبر والخوف الأعظم والغم الكاتم . فيأتيه الملكان فيقولان له لا تخف ولا تحزن ويبشرانه بالجنة فما من عظيمة يخشاها الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن من قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** (٨٢) ﴾ [**الأنعام**] .

فاتقوا الله عباد الله .

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً ويقيناً صادقاً ، ونسألك الاستقامة

علىٰ الإيمان والتوحيد والعمل الصالح ، وتقبل منَّا . وأمن وحْشتنا واربط علىٰ قلوبنا وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . واجعلنا ممن استقام علىٰ طاعتك وتنزلت عليه الملائكة بالأمن والبشرىٰ وأدخلنا الجنة برحمتك . يا واسع الفضل والجود واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين .

استغفروا ربكم وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع ملته .

أما بعد :

فقول الملائكة للمستقيمين : ﴿**نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ تأنيس للمؤمنين وتعريف لهم بأنفسهم ، فإذا قدم الإنسان إلى مكان لا يعرفه فتلقاه صديق قديم يزيد في نفس القادم انشراحاً وأنساً وتزول دهشته وحشمة الغربة وتزول الوحشة .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . استقيموا على التوحيد وتمسكوا بسنة النبي ﷺ فلا يُزاد عليها ولا ينقص ، ولا تقدموا الآراء والاستحسانات على النصوص الشرعية فمن قدم الرأي على النص هلك .

وصلوا على البشير النذير ، فقد أمرنا بذلك في كتابه المنير فقال سبحانه : ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)**﴾ [**الأحزاب**] . إلخ الدعاء .

الخطبة رقم (٢٥)

القرآن ينظم حياة الناس

الحمد لله رب العالمين ، أنزل الذكر وحفظه وأنزل الفرقان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا رب غيره، ولا معبود بحق سواه .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أُنزل عليه الكتابُ بالحق ﴿ **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)** ﴾ [البقرة] ، ﴿ **هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)** ﴾ [النمل] ، ﴿ **هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣)** ﴾ [**لقمان**] .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدىٰ بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فإن هذا القرآن هو كتاب الدعوة . هو أساسها وباعثها هو نظامها ومنهجها . ومنه يستمد الدعاة والقضاة مناهج الحركة وزاد الطريق .

القرآن أنزل لينظم حياة الناس ، في منهجها وسلوكها وعلاقاتها . وليعالج المشاكل الفردية والجماعية . فيه لكل مشكلة حلٌ ونظام . وقد وجه القرآن النفوس المؤمنة والأحداث التي تمر بهم وأقام العدل ورفع الظلم . وكوّن أمة مؤمنة في أعلى المستويات في أخلاقها وسلوكها وعقيدتها ومعاملاتها ، وصلة بعضهم ببعض

وصلة بعضهم بغيرهم . كوَّن أمة وسطاً شهداء على الناس .

فينبغي أن نستحضر في نفوسنا حياة الرعيل الأول من أمة الإسلام وكيف رباها القرآن ونقلها من الجاهلية إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن خشونة الطبع وقسوة القلوب إلى الرحمة والإحسان .

ينبغي أن نستحضر تلك النخبة الطيبة التي تخلقت بخلق القرآن ، وتأدبت بآدابه وهي تواجه أحداثاً متنوعة وعادات مختلفة . وتصارع شهوات ورغبات . وتقاليد ألفوها وعاشوا فيها ردْحاً من الزمن ، ونتأمل كيف أخذ القرآن بيدها وسيرها خطوة ـ خطوة حتى وصلت إلى القمة .

يجب أن نعلم يقيناً أننا مخاطبون بالقرآن مثل ما خوطب به القرن الأول وأن الأحداث والشهوات والعادات والتقاليد والمشاكل المعاصرة لا تختلف في أصلها عن الأحداث والحالات التي كانت تواجهها الأمة المفضلة . وإن كانت بعض الملابسات وبعض البيئات قد تتغير في بعض صورها عن ذي قبل . فالجاهلية الأولى مثل الجاهلية المعاصرة ، أساسها وقواعدها وأهدافها وبواعثها ، ونتائجها وإن تغيرت بعض الهياكل والصور . والقرآن الكريم كما أنه عمل في تلك الأمة وأصلح شأنها وهيأها لأداء مهمتها قادر على أن يصلح شأن الأمة المعاصرة . وما على الرسول إلا البلاغ والهداية والتوفيق بيد الله ، فالواجب على دعاة الإسلام إيصال

القرآن إلىٰ الأسماع وهو كفيل بالدخول إلىٰ القلوب وإصلاحها .

وقد يقول قائل إن القوة الآن في أيدي غير المسلمين ، فأقول له إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء . . وأزِمَّة الأمور كلها بيد الله . والعز والذل بيد الله . والقوة التي يصنعها أولئك ملك لله . وفعاليتها بيد الله . وتعطيلها بيد الله والملك لله . والخلق خلق الله والإرادة إرادة الله وما يحصل في هذا الوجود من شيء إلا بعلم الله ومشيئته . وكل أمر مقدرٌ في اللوح عند الله . فلا يحصل في الكون إلا ما قدر الله . فلن يضيِّع أمة ناصحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم إن القرآن يتفق مع مَشاهِد هذا الكون . فكل ما نشاهده دال علىٰ وجود الله وكمال قدرته وشمول قهره . والقرآن كلام الله دال علىٰ وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته ، وشمول قهره .

فكما أن هذا الكون المشاهد لم يؤثر فيه تطاول الزمن . ولم ينقص من قدرته علىٰ أداء الواجب الذي من أجله خلق .

فكذلك القرآن لا يؤثر فيه تطاول الزمن ولم ينقص من قدرته علىٰ أداء مهمته التي من أجلها تكلم الله به وأنزله .

فالقرآن يخاطب الإنسان خطاباً لا يتغير بتطاول الزمان ولا يتغير باختلاف بعض الصور والأشكال . والإنسان بفطرته وتكوينه وعقله وفهمه لم يتغير .

فالقرآن أنزل لجميع الأجيال والعصور إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها ، حيث ينادي سبحانه لمن الملك اليوم فلا يجيب أحد لأن البشر تحت الثرىٰ فيجيب نفسه لله الواحد القهار .

فإذا كان لا يليق أن يقول قائل : إن الشمس كوكب قديم ينبغي أن يغير بكوكب عصري تقدمي يتلاءم مع متطلبات الحياة .

فكذلك القرآن لا يقال أنه نظام قديم ينبغي أن يبدل بنظام عصري تقدمي . فالذي خلق الشمس هو خلق الإنسان وهو الذي تكلم بالقرآن وأنزله نظاماً ومنهجاً يحقق العدل ويرفع الظلم وتضمن المساواة والعدالة الاجتماعية فكل من الشمس والإنسان والقرآن . أودع فيه خصائص لا تتغير ولا يؤثر فيها مرور الزمن ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) ﴾ [الأنعام] فأيُّ دعوة تُلبَس ثوبَ الإسلام ولم يكن القرآن الكريم نظامها ولا أساسها ولم يكن التوحيد هدفها ومبدأها ، فهي دعوة لم تكن علىٰ سبيل النبي ﷺ ولم تتمش علىٰ نظام الإسلام .

ذلكم أن القرآن هو نظام الدعوة في أي زمان ومكان ، وهو نظام أمة محمد ﷺ في كل ميدان .

ويجب أن يُعلم أن القرآن إنما يتلىٰ للتدبُّر والعمل والانقياد لأوامره ونواهيه . أما مجرد التلاوة التعبدية مع جعل القرآن بعيداً عن واقع الحياة فليست من أهداف القرآن ومقاصده

فاتقوا الله أيها المسلمون . كونوا دعاةً لله بأعمالكم وأخلاقكم ومعاملاتكم والصدق في القول والنصح لكل مسلم .

اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين . اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية ويؤمر فيه بالمعروف وينهىٰ فيه عن المنكر .

اللهم تُب علىٰ التائبين واغفر ذنوب المستغفرين . وارحم ضعف المسلمين ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم . .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، بلغ رسالة ربه ونصح لأمته وجاهد في الله حق جهاده .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبنيا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . . فإذا سهى المصلي سواء في فرض أو نفل سجد للسهو ، سواء في التراويح أو في الفريضة . قال البخاري رحمه الله باب : السهو في الفرض والتطوع[1] : وسجد ابن عباس رضي الله عنهما سجدتين بعد وتره . قال في فتح الباري وتعلق هذا الأثر بالترجمة من جهة أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يرى أن الوتر غيرُ واجب ويسجد مع ذلك في والجمهور على أن الفرض والنفل يتحد فيهما الحكم . والاحتجاج بأن فعل النبي ﷺ كان في الفرض. فلأن الصحابة لا يعلمون إلا ما رأوه . ولم أر نصاً أن

---

(١) صحيح البخاري : ٢/ ٨٧ فتح الباري : ٣/ ١٠٤ .

النبي ﷺ سهىٰ في نَفْل فلم يسجد .

وفعل الصحابي الجليل[1] فصل في المسألة .

أما المأموم فإذا سجد إمامه سجد معه وإلا فلا يختلف عليه .

﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦]

وقال ﷺ : «**من صلى عليّ مرة صُلي عليه بها عشراً**» إلخ الدعاء .

(١)أي فعل الصحابي الجليل حبر هذه الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حجة في هذه المسألة حيث تقدم أنه يرىٰ أن الوتر غير واجب ويسجد للسهو فيه .

الخطبة رقم (٢٦)

الاستسقاء

الله أكبر ٩ مرات

لا إله إلا الله الجواد الكريم . لا إله إلا الله العظيم الحليم .

لا إله إلا الله الحي القيوم .

لا إله إلا الله الغني الحميد .

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

الحمد لله رب العالمين . تفرد بصفات الجلال والكمال . وتوحد بالأسماء الحسنىٰ ، فله الحمد في الآخرة والأولىٰ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويرزق من يشاء بغير حساب .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أرسله رحمة للعالمين . وهادياً ونوراً للمبصرين .

اللهم صل وسلم علىٰ النبي الكريم وعلىٰ آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد . . فإننا نسمع ولله الحمد نزول بعض الأمطار علىٰ

بعض البلاد ، ولكن البعض الآخر في حاجة إلى بركة الله ورحمته، وإلى الأمطار والكلأ وإغاثته .

وكان ﷺ إذا شكى إليه بعض الناس القحطَ وتأخر نزوله عن وقته استسقى . والخالق تعالى نظم هذا الوجود ورتب المسبِّبات على أسبابها . فنزول الأمطار في وقت الوسمى ينبت بإذن الله وإرادته أنواعاً جيدة من الأعشاب وأنواعاً من الكماة ينتفع بها الناس وتشبع الماشية عشباً اخضراً . ويزيد الدر ويطيب الجو ويفرح عباد الله . وترتع الماشية وبقي في وقت الوسمى عشرة أيام لأنه إثنان وخمسون يوماً يبدأ من نجم العوى في أول شهر جماد الأولى الماضي فاجتهدوا في الدعاء والاستغفار وكونوا على يقين بأن خزائن الجواد الجريم ملأى ولكن منع المطر عن بعض البلاد إما ابتلاء واختبار . وإما انتقام وعقوبة وفي ذلك تنبيه للعباد وتربية ليتوبوا إلى الله . فواجب على المسلم أن يحاسب نفسه وأن يتأمل ما ينظر ويسمع هل فيه خير لدينه ودنياه .أم فيه مفسدة لدينه وتضييع لدنياه ويختار . أحل الطيبات وحرم الخبائث وشرع الشرائع فإنما لمصلحة المكلفين ، فأي خطر على البلاد والعباد من الجهر بتسمية الربا بغير اسمه مثل تسمية الخمر بغير اسمها . والإفتاء بحلها .

والنبي ﷺ جعل قاعدة واضحة بينة غير قابلة للتدليس ولا للتلبيس ، فَعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**الذهب بالذهب وزناً بوزن مِثْلا بمثل ، والفضة بالفضة وزناً بوزن مثلاً**

بمثل ، فمن زاد أو استزاد فهو ربا» رواه مسلم . وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد»** رواه مسلم (١) .

وعملات الورق الآن تقوم مقام أصلها فمثلاً الريال السعودي بدل ـ الريال الفضة . فلا بد إذاً أن تكون المعاملة به جارية على وفق النص الشرعي .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**» رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد (٢) واذا تأملنا أحوال الناس في العالم نجد الخطر محدق والعقوبة مستحقة .

فأي مصيبة أخطر على الدين والخلق من الصدود عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والانصراف الكلي بالقلب والقالب إلى اللعب واللهو والمسليات ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾** ﴾ [**الزخرف** : ٣٦، ٣٧] .

انتشر الغش والكذب والمكر والخداع ، واجتنَبَ كثير من

---

(١) بلوغ المرام مع فقه الإسلام : ٥/ ١١٢ .

(٢) الترغيب والترهيب : ٣/ ٨ .

الناس الصدق والتقوىٰ ، فقطعت الأرحام . وقلَّ التعاطف . وفشت الجفوة والقطيعة ذهبت الشيم ومكارم الأخلاق . وضيعت الصلوات . ومنعت الزكواة وصار بعض المعروف منكراً وبعض المنكر معروفاً .

فاتقوا الله أيها المسلمون وتوبوا إليه . وأتبعوا الحسنة السيئة تمحها . وخالقوا الناس بخلق حسن . وأكثروا من حمد الله وشكره علىٰ هذه النعم نعمة الأمن ، ونعمة الصحة ، ونعمة التآخي والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ ، ومعرفة المعروف وإنكار المنكر اشكروا الله علىٰ هذه النعم المتوفرة والرخاء وتوفر المتطلبات فكل يتمنىٰ أن يأتي إلىٰ بلادنا لعل الله أن يرحم عباده وبلاده وبهائمه ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [الشورى] .

فتوبوا إلىٰ الله أيها المؤمنون واستغفروه وردوا المظالم إلىٰ أهلها وتصافحوا وتسامحوا وأحسنوا إلىٰ ذوي القربىٰ والفقراء والأيتام والضعفاء .

توجهوا إلىٰ أرحم الراحمين ﴿ فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩) ﴾ [المائدة] .

كونوا مثل عباد الله الصالحين كما قال الله عنهم ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ

الذُّنوبَ إلاَّ اللَّهُ ولَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾ [آل عمران] .

تخوَّفوا من الذنوب والمعاصي أكثر من خوفكم من العدو فإن المعاصي تغضب الرب وتسبب النقمة (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) فبسبب الذنوب يمنع الله القطر من السماء ويرفع البركة ، ويَحرم المرء لذة الحياة وإن ضحكت له الدنيا . المعاصي سبب لمقت الله أو سبب نزول البلايا والرزايا والمحن والفتن .

﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)﴾ [العنكبوت]

فاتقوا ربكم أيها المسلمون أنتم الذين تؤمنون بالثواب والعقاب وباليوم الآخر والحساب . أنتم المؤمنون بما أنزل الله علىٰ رسوله محمد ﷺ وأنتم الذين اختاركم الله لحزبه .

الجأوا إلىٰ فارج الكربات وتوجهوا إلىٰ مجيب الدعوات وتضرعوا إلىٰ قيوم الأرض والسموات ، تعرضوا لمثوبة الله ورحمته فكلنا خطّاؤون وخير الخطائين التوابون . وارغبوا فيما عند الله ، فإنه جواد كريم ، واستغفروا ربكم **﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ**

جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر] .

أكثروا من الاستغفار ، فمن أكثر منه جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ومن كل عسر يسرا ، ومن كل بلاء عافية ، ورزقه من حيث لا يحتسب .

واعلموا أن الاستغفار هو مفتاح الرزق من السماء ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ [نوح] نستغفر الله ونتوب إليه . اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنا وتجاوز عن خطيئتنا وعمدنا وكل ذلك عندنا ، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا . ولا تؤاخذنا بإهمالنا وتقصيرنا ولا بما فعل السفهاء منا .

اللهم إن بالعباد والبلاد من الحاجة إلى الغيث والبركة ما لا نشكوه إلا إليك ولا يقدر عليه إلا أنت .

اللهم إن رجاءنا واقف ببابك ودعاءنا صاعد إليك وأنت الغفور الرحيم تُجيب دعوة المضطر إذا دعاك ، ونحن عبيدك الفقراء إليك اقتدينا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم . نرجوا فضلك وإحسانك وعفوك وامتنانك أنت الجواد الواجد . وأنت الخالق الرازق .

نسألك اللهم بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلى وباسمك الأعظم أن تُغيثنا وتغيث قلوبنا .

اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً غدقاً مجللاً سحاً طبقاً عاماً نافعاً غير ضار عاجلاً غير آجل .

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين . اللهم اسق عبادك وبلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت إنك على كل شيء قدير .

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من الآيسين .

اللهم إنَّا خلقٌ من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك .

اللهم اسقنا وأغثنا .

(اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدرارا) ، اللهم أجر الأودية والشعاب واملأ السدود وملازم الماء .

اللهم سقيا رحمة . . اللهم سقيا رحمة .

عباد الله اقتدوا بنبينا محمد ﷺ في قلب الرداء وألحُّوا في الطلب ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** (٢٨) ﴾ [الشورى] .

الخطبة رقم (٢٧)

إنما الحياة الدنيا لعب ولهو

الحمد لله رب العالمين . ضرب للدنيا مثلاً فيه عبرة للمعتبرين وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، يحيي ويميت وهو علىٰ كل شيء قدير .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، عرف حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة ، فاجتهد لدار البقاء تعليماً لأمته وإرشادا .

اللهم صلِّ وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلىٰ آله ، وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فلما كانت النفوس تميل إلىٰ العاجل وتؤثر الحياة الدنيا بيَّن الخالق تعالىٰ صفتة الدنيا في أكثر من آية من القرآن الكريم ليسير المؤمن في هذه الحياة علىٰ علم وبصيرة . قال تعالىٰ : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** (٢٠) ﴾ [الحديد : ٢٠] . فكل ما يستفيده المجتهدون لطلب الدنيا خمس خصال ، لعب ، ولهو ، وزينة ، وتفاخر ، وتكاثر في الأموال ، فاللعب ضد الجد يتعب اللاعب

نفسه ثم يعود مُجهداً وليس معه حصيلة تنفقعه في مستقبل أمره .

واللهو الاشتغال بالذي هو أدنىٰ عن الذهب هو خير يصرف اللاهي وقته المحسوب من حياته ويصرف بعض ماله . ويترك ما يجب عليه فعله . ثم يرجع إلىٰ أهله بلا فائدة تنفعه يوم العرض علىٰ الله . فيحس بالحسرة والندم .

والزينة تحسين الذات أو المسكن أو غيرهما ليُعجب الناظرين ، فإذا كان مآل الإنسان الفناء وعاقبة الدنيا الخراب فلا يجوز الاشتغال بالزينة عن العمل للآخرة بما يقرب من الله ويرفع الدرجات .

والتفاخر هو حديث المرأ عن محامد نفسه ومحاسنه وأفعاله . وعنه ينشأ الحقد والحسد . فالعاقل لا يتفاخر بالدنيا وزخارفها وهي زائلة زائلٌ ما فيها ولا يركن إليها وهي تخونه .

وأما التكاثر في الأموال والأولاد . فمن عادة الجاهلية لأنهم لا يؤمنون باليوم الآخر ولا بالجزاء والحساب . وأما المؤمنون فتكاثرهم بالإيمان والطاعة والأعمال الصالحة ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣)**﴾ [**المطففين**: ٢٢ ، ٢٣] .

فالدنيا كهذه الأشياء يشتغل بها صاحبها عما هو أهم ، وهي تزول وتفنىٰ ، فإذا كانت الدنيا لا تخرج عن هذه الخمس فإن العاقل لا ينصرف إليها انصرافاً كلياً ولا يلقيها باله وكل اهتمامه حتىٰ

يكون حبُه للدنيا ويبغضها للدنيا ، وليس أمام فكره إلا تحصيل الدنيا وينسىٰ الآخرة وعذابها ، فالذي يشتهيه الإنسان في هذه الدنيا لا عاقبة له وإنما بمنزلة اللعب واللهو ، ذكر القرطبي أن سليمان بن عبد الملك نظر في المرآة . فقال أنا الملك الشاب . فقالت له جاريته بيتين من الشعر معناهما أنه نعم المتاع لو كان يبقىٰ . ولكن لا بقاء للإنسان ، وأنه لم يبين فيه عيب كما في الناس إلا أنه يفنىٰ . وذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال علىٰ رضي الله عنه الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فَهِمَ عنها ، ودار غنىٰ لمن تزود منها ، ومن هوان الدنيا علىٰ الله أنه لا يعصىٰ إلا فيها . وأنها لا تُساوي عند الله جناح بعوضة .

والمثل المحسوس للدنيا كما ذكره تعالىٰ في سورة الحديد كما تقدم وفي سورة يونس بقوله تعالىٰ : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ** ﴾ [**يونس** : ٢٤] ، وفي سورة الكهف بقوله جل شأنه : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا** (٤٥) ﴾ [**الكهف** : ٤٥] .

فشريط حياة البشر ينتهي بهذه الصورة المشاهدة للنبات ، وغاية الفناء . ثم البعث للحساب ، فإذا أراد الإنسان أن يعرف نشأته وما له فليتأمل النبات . تراه ينبت من البذور ضعيفاً ثم يقوىٰ ويشتد حتىٰ يتكامل ثم يعود إلىٰ النقص والذبول والضعف ثم إلىٰ

الفناء حتى يجف وييبس وتتقطع أجزاؤه .

﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** (٥٤) ﴾ [**الروم**]

هكذا حقيقة الدنيا . أما الآخرة فشأنها عظيم باقية أبداً لا تفنى ولا تضعف وليس لها منتهى . إما نعيم مقيم وإما عذاب دائم . وقوله تعالى : ﴿ **وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ** (٢٠) ﴾ [**الحديد** : ٢٠] أي لمن كفر بالله وكذَّب رسله وألهته دنياه عن آخرته . واتخذ الدنيا غاية وهدفاً .

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ** (٢٠) ﴾ [**الحديد** : ٢٠] أي لمن آمن بالله وصدق رسله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين . وعرف الدنيا واتخذها عوناً له على طاعة الله . وجعلها متاعاً إلى منتهاه .

وقوله سبحانه : ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** (٢٠) ﴾ [**الحديد**] متاع فانٍ يغتر بها الكفار الذين يركنون إلى الدنيا وتعجبهم حتى يعتقدون أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها . وهي حقيرة ضئيلة بالنسبة للآخرة .

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**» .

فلا ينبغي للمؤمن أن يتخذ الدنيا غايته ومنتهى إرادته فيحب

من أجلها ويُبغض من أجلها ويعمل من أجلها ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) ﴾ [غافر] .

إن الإسلام حين يقلل من شأن الدنيا ويحقرها لا يقصد تحريم ما أحل الله من الطيبات ، ولا أن يترك المسلم ما علمه الله من الصناعات ولا أن يترك الدنيا لأعداء الله يتحكمون بها في عباد الله ولا أن يكون المسلم في مؤخرة ركب الحياة مغلوباً على أمره .

وإنما يريد الإسلام تصحيحَ التصورات وتقويم الموازين . وأن يتخذ الدنيا وسيلة لا غاية ، وعوناً على الواجبات الإسلامية .

فمن أخذها بحقها وصرفها في طاعة الله في دعم المجاهدين وفي الدعوة إلى الله . والبر والإحسان إلى الأقارب والمحتاجين ، فالدنيا له نعمة وقد اتخذها وسيلة .

أما من جمعها بما حرم الله . وصرفها في معصية الله واستعان بها على خلق الله . وأحب في الدنيا وأبغض للدنيا فقد عبدها من دون الله ، تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط ، تعكس وانتكس وإذا شيك فلا انتفش . طوبى لعبد آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه . مغبرةٌ قدماه . إن كان في الحراسة كان الحراسة ، وإن كان في الساقة .

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرَنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا . اللهم ارحم في

الدنيا غربتنا وارحم في القبور وحشتنا . وارحم وقوفنا بين يديك واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين . فاستغفروا ربكم إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، ربَّانا بنعمه . وحفظنا بكرمه . وهدانا لمعالم دينه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . خلقنا لعبادته وبعث لنا رسولاً من أنفسنا أوجب علينا طاعته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله آتاه الله الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يعلم وقربه واصطفاه .

اللهم صلِّ وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن أطاعه وآمن به واتبع سبيله .

أما بعد . . فأوصيكم وإياي بتقوىٰ الله . فنعم الزاد ونعم المتاع ﴿ **إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** (٩٠) ﴾ [**يوسف** : ٩٠] . تأملوا واقع الدنيا فكم من عامر متقن يخرب بعد عماره ، وكم من إنسان أعطيها فهو مغبط وعما قريب ترحل عنه أو يرحل عنها .

فإذا علم العاقل أن الدنيا لم تكن دار إقامة فلا بد أن تكون حاله فيها علىٰ أحد أمرين . إما أن يحس بأنه في دار غُربة فيكون همه التزود والرجوعُ إلىٰ وطنه . وموطن المؤمن الجنة وإما أن يكون كالمسافر يسير ليله ونهاره ليصل إلىٰ بلد إقامته ، فتمتعوا من الدنيا علىٰ حذر فما أضحكت ساعة إلا وأبكت أياماً . وما أفرحت يوماً

إلا وأحزنت أياماً .

ثم استمعوا قول الجواد الحكيم : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] إلخ .

الخطبة رقم (٢٨)

القيام للقادم

الحمد لله رب العالمين . هدانا للإسلام وجعلنا من خير الأنام أمةً وسطاً شهداء على الناس .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . أنار بصائر المتقين . فاهتدوا بهدي القرآن وسنة إمام المتقين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير من دعا إلى الله على بصيرة فأظهر الحجة وأبان المحجة . وأقام الدليل وأنار السبيل .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فقد اعتاد الناس القيامَ للداخل إكراماً له وإظهاراً لقدره ومكانته . وهذا جائز إن شاء الله تعالى لعدم ورود النص فيه بالمنع . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام . ولو ترك لاعتقد أن ذلك لترك حقه . أو قصد خفضه فالأصلح أن يقام له . لأن ذلك أصلح لذات البين وإزالة التباغض والشحناء .

وإذا تأملنا النصوص الشرعية الواردة في شأن القيام ،

وجدناها تدور على ثلاثة أحكام . مباحٍ ، ومأمور به ، ومنهي عنه .

أما المباح فكما تقدم إذا أتى آت إلى أناسٍ جلوسٍ فقاموا له إكراماً وإجلالاً ، فهو جائز لعدم ورود النص فيه بالمنع . وخاصة إذا اعتاد الناس ذلك القيام . وأن الآتي يجد في نفسه على من لم يقم فلما قال شيخ الإسلام القيام أصلح محافظةً على الأخوة وإبقاء على المودة . ودفعاً لوسواس إبليس ودسائس الشياطين . ولأن القائم للآتي ساواه في القيام فكل منهما قائم بخلاف القائم على القاعد كما سيأتي إن شاء الله . والقاعدة المعروفة دفع أعظم المفسدتين بالتزام أدْناهما وتحصيل أعظم الصلاحين بتفويت الأقل . ولكن الأفضل أن يعتاد الناس ما كان عليه السلف الصالح في عهد رسول الله ﷺ . فإنهم خير القرون فلا يَعدِل أحد عن هَدي خير الورى وهدي خير القرون إلى ما هو دونه . فلم تكن عادة الصحابة القيام للرسول ﷺ كلما رأوه . ولم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ فلم يقوموا كلما رأوه لأنهم يعلمون كراهيته ﷺ للقيام .

وأما القيام المأمور به فهو القيام للقادم في غيبة تلقيا له كما رُوي أن النبي ﷺ قام لعكرمة (١) . وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ قوموا إلى سيدكم .

ومن القيام المأمور به القيامُ للجنازة . فإذا كان المسلم قاعداً قام

---

(١) فتاوى ابن تيمية : ١/ ٣٧٥ .

إذا مرت به الجنازة حتىٰ تتعداه ، وسواء كان جنازة مسلم أو غير مسلم أما من تبع الجنازة فلا يقعد حتىٰ توضح . لما رواه البخاري رحمه الله بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال مر بنا جنازة فقال لها النبي ﷺ وقمنا به فقلنا يا رسول الله إنها جَنَازة يهودي قال(إذا رأيتم الجنازة فقوموا) (١) . وروىٰ البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إذا رأيتم الجنازة فقوموا فمن تبعها فلا يقعد حتىٰ توضع) .

وأما القيام المنهي عنه فهو المذكور في قوله ﷺ (٢) : «**من سرَّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار**» . فهو ما يفعله الأعاجم تعظيماً لزعمائهم يكون الزعيم جالساً والناس قيام وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ لما صلىٰ بهم قاعداً في مرضه وصلوا قياماً أمرهم بالقعود . وقال لا تعظموني كما تعظم الأعاجم بعضُها بعضاً . فقد نهاهم ﷺ عن القيام في الصلاة وهو قاعد مع أن القيام ركن من أركان الصلاة . لئلا يتشبه بالأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود كره مشابهتهم في الصورة . وإن اختلفت النية والقصد .

وأما تقبيل الأرض من أجل فضول الدنيا إذا حكم لإنسان بالأرض المدعي فيها وذلك شوقاً اليها وتحبباً لها فلم يكن تدينا .

---

(١) البخاري : ٢/ ١٠٧ .

(٢) الفتاوىٰ لابن تيمية : ١/ ٣٧٥ .

وليس من عادة العرب ، وليس دليل الشكر لله . بل الأقرب أنه سجود ناقص والسجود كله لله وحده لا شريك له ، لما رُوي أن معاذ بن جبل رضي الله لما قدم من الشام سجد للنبي ﷺ فقال ما هذا يا معاذ . قال يا رسول الله رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم ويذكرون ذلك عن أنبيائهم . فقال ﷺ كذبوا عليهم . يا معاذ لا ينبغي السجود إلا لله .

فالسجود سواء كان تاماً أو ناقصاً خاصٌ في شريعتنا لله وحده وأما سجود يعقوب وأهله وأبناؤه ليوسف عليه السلام ، فذلك جاء في دينهم تحقيقاً للرؤيا .

وأما تقبيل الحجر الأسود في الكعبة المشرفة فلأن النبي ﷺ قبله وشرع لنا تقبيله .

والله تبارك وتعالىٰ أمرنا باتباع الرسول ﷺ وطاعته وموالاته ومحبته محبة تعلو علىٰ كل محبة ، وضمن لنا جلَّ شأنه بذلك محبته وكرامته . كما قال سبحانه ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** (٣١) ﴾ [**آل عمران**] .

ولا ينبغي للمسلم أن يخرج عما قضت به السنة وجاءت به الشريعة وكان عليه سلف الأمة . وكان السلف الصالح إذا علم أحدهم شيئاً قال به وما لم يعلمه أمسك عنه ولا يَقْفُ ما ليس له به علم ولا يقول علىٰ الله بلا علم . ويشترط لصحة العمل وقبوله

شرطان أن يكون صواباً موافقاً للسنة . وأن يكون خالصاً لوجه الله .

فاتقوا الله أيها المؤمنون وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسب وزنوها قبل أن توزن . وتذكروا الرحيل من هذه الدنيا والعرض على ربكم والحساب . تذكروا ذلك الموقف الرهيب ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** (٢٢٧) ﴾ [**الشعراء**] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وفي سنة النبي الكريم وارزقنا العمل بهما والوقوف عند حدودهما ، والإيمان بالمتشابه منهما . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . له الحمد والشكر وله الثناء الحسن .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن آمن به واتبع ملته .

أما بعد . . فإن العبادات مبناها علىٰ الشرع والاتباع لا علىٰ الهوىٰ والابتداع . والإسلام مبني علىٰ أصلين . .

أحدهما : أن نعبد الله وحده لا شريك له .

والثاني : أن نعبد الله بما شرعه علىٰ لسان رسوله ﷺ .

فلا يُعبد سبحانه بالأهواء ولا باتباع الذين لا يعلمون . ولا بتقليد المغضوب عليهم والضالين .

والواجب علىٰ المسلم أن يعبد الله بما شرعه رسوله ﷺ من واجب ومستحب . فلا يجوز لأحد أن يصلي ولا أن يجوز ولا أن يصوم إلا لله . ولا يجوز لأحد أن يحلف إلا بالله فلا يحوز الحلف

بحياة الإنسان ولا بحياة النبي ﷺ . ولا بالأمانة . فإن النبي الكريم ﷺ نهى عن الحلف بغير الله ، ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**» .

فالحلف بالله توحيد وعبادة ، والحلف بغير الله معصية لله ورسوله ﷺ فاتقوا الله أيها المسلمون . من كان حالفاً فليحلف بالله ﴿ **وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ** (٢٢٤) ﴾ [البقرة : .

ومن حلف بالله على شيء فرأى غيرها خيراً منها فليُكَفِّر عن يمينه وليأت الذي هو خير .

وصلوا على النبي المصطفى فقد أمرنا الله بذلك في كتابه الكريم ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [الأحزاب] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٢٩)

وأما بنعمة ربك فحدث

الحمد لله رب العالمين . حث على النظافة والزينة وشكر النعم إن الله جميل يحب الجمال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يزيد من شكر ويعاقب من كفر .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين وسراجاً منيراً .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى أله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فإن التحدث بالنعم من شكرها ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** (١١) ﴾ [**الضحى**] وما أكثر نِعم الله علينا . نعمة الهداية والإيمان ونعمة الصحة ونعمة الأمن والهدوء والاستقرار ونعمة المال . رزق ميسر وطرق معبدة نعم متكاثرة متوالية دينية ودنيوية . والبر بعباد الله شكر عملي صامت .

ورد في الدعاء المأثور عن النبي ﷺ : «**واجعلنا شاكرين لنعمك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا**» وإظهار آثار النعمة على العبد من شكرها فيتمتع العبد بنعم الله عليه في اللباس والمأكل والمشرب

والمنظر . ما لم يصل إلىٰ حد الإسراف والتبذير أو الفخر والخيلاء . والزينة شكر للنعمة وإظهار لآثارها وتمتع بنعمة الله وفضله .

قال تعالىٰ : ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)**﴾ [**الأعراف**] .

ونقل القرطبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «**إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمه على عبده**»(١) .

وروىٰ البخاري رحمه الله قال : وقال النبي ﷺ (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير اسراف ولا مخيلة ثم قال : وقال ابن عباس : كُلْ ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرفٌ أو نحيلةٌ(٢) . والطهر يتضمن نعمة النظافة ، وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ الذين يتطهرون فقال تعالىٰ : ﴿**لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)**﴾ [**التوبة**] .

ومنه ما في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا دخل علىٰ مريض قال : لا بأس طهور إن شاء الله أن أي مطهَّر من الذنوب ومنق من الآثام .

---

(١) تفسير القرطبي : ٢٠/ ١٠٣ .

(٢) البخاري علىٰ فتح الباري : ١٠/ ٢٥٢ كتاب اللباس باب قوله تعالىٰ : (قل من حرم زينة الله التىٰ أخرج لعباده) .

وقد أرشد نبينا محمد ﷺ أمته إلىٰ أسباب النظافة ، فحث ﷺ علىٰ السواك وعلىٰ خصال الفطرة لما روىٰ أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء**» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **الفطرة خمس أو خمس من الفطرة : الختان ، والاستحداد ، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط ، وقص الشارب**» [1]متفق عليه .

الفطرة هنا الملة والطريقة[2] التي جبل الناس عليها . فمن كانت فطرته سليمة مستقيمة أنف من بقاء تلك الخمس وحرص علىٰ إزالتها لأنها تجمع ما يضر بالإنسان من المكروبا والأوساخ ، فإزالة تلك الخمس من النظافة . وبقاؤها من الوساخة المنفرة .

فالنظافة تؤلف بين الناس والأوساخ تنفر . وكما أن النظافة مطلوبة في البدن فكذلك مطلوبة في البيت وفي الشارع . فلو أن أخاك دعاك إلىٰ بيت طريقه قذر وسِخ فإن أجبته مراعاة للأخوة وتطييباً لخاطره تأثرت إذا مررت مع الطريق .

وقد سمعت أن اليهود ينظفون أجسامهم وبيوتهم ولكن طرقاتهم تؤذي المارة . والإسلام جاء بإزالة كل ما يؤذي المسلم عن

---

(١) رياض الصالحين : ٤٠٣ .

(٢) دليل الفالحين : ٦/ ٣٥٧ .

الطريق ، سواء يؤذيه بمنظره أو رائحته أو ضرره أو يُعثر مروره .

روىٰ البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله»** .

وعن أبي بَرْزة رضي الله عنه قال : قلت يا نبي الله إني لا أدري نفسي تمضي أو أبقىٰ بعدك فزدني شيئاً ينفعني الله به فقال : افعل كذا ، افعل كذا وأمِر الأذىٰ عن الطريق أي أزله .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«ليس من نفس بن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم تطلع فيه الشمس ، قيل يا رسول الله من أين لنا صدقة نتصدق بها قال : إن أبواب الخير لكثيرة : التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الأذى عن الطريق وتُسمع الأصمَ وتَهدي الأعمى وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة منك على نفسك وفي رواية وتَبَسُّمُك في وجه أخيك صدقة وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن طريق الناس صدقة وهديك الرجل في أرض الضالة صدقة»**(١) .

فإذا كانت هذه الأعمال صدقة وأجر . فوضع الأذىٰ إثم وخطيئة ، فالطريق يشترك فيه جميع المارة لا يختص به فرد عن آخر

(١) الترغيب والترهيب : ٣/ ٦١٧ .

فإلقاء شيئ يؤذي الناس بمنظره أو بخطره أو برائحته إثمٌ وخطيئة وإيذاء للمسلمين مثل الذي يشرب ما في القارورة أو العلبة ثم يلقيها وهو في السيارة إلىٰ الشارع فقد تُسبب أذىٰ وضرراً لبعض الناس ، فقد تضرب إنساناً ماراً أو تتحطم الزجاجة فيمر عليها صاحب سيارة فتجرح الإطار . أو يطأُها إنسان فتجرح رجله . أو يلقىٰ مَنْديلاً ويلقي الآخر مثله وهكذا حتىٰ يكون منظر الطريق شيئاً وقد يكون فيه أذىٰ يأنف منه المارة فيؤذي المسلمين بالأذىٰ .

والأدب وحسن الخلق أن يحفظ المسلم فضلات شرابه أو مناديله حتىٰ يمر بصندوق الزبالة فيقف عنده ويضعها فيه .

فاتقوا الله أيها المسلمون . المسلم يتأدب بآداب الإسلام في كل شئونه ولا يضع ما يؤذي الناس ، ولا يستبد بالشيء المشترك ولا يتعدىٰ تعاليم دينه . ولا يتخطىٰ نظام بلاده .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨) ﴾ [الأحزاب]

اللهم بارك لنا في القرآن ، وانفعنا بما فيه من المواعظ والبيان وارزقنا تلاوته كما تحب يا منان . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد . . فإن الصمت سلامة ونجاة . والكلام فيه مزلة وعطب وعمل الفرج إما نجاة وإما هلكة . ولهذا حث رسول الله ﷺ علىٰ حفظ اللسان وحفظ الفرج ، روىٰ البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «**من يضمن لي ما بين لحيتيه وما بين رجليه أضمن له الجنة**» . وفي حديث أبي هريرة عند الترمذي : «**من وقاه الله شر ما بين لحيتيه وشر ما بين رجليه دخل الجنة**» .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار . قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير علىٰ من يسره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا

أدلك على أبواب الخير قلت بلىٰ يا رسول الله . قال الصوم جنَّة والصدقة تطفي الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين . ثم تلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** (١٦) **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٧) ﴾ [**السجدة**] ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلىٰ يا رسول الله قال : «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد**» ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلىٰ يا رسول الله قال : «**كف عليك هذا وأشار إلى لسانه**» قلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال : «**ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**» رواه أحمد والترمذي والنسائي (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون احفظوا ألسنتكم وفروجكم إلا من خير مباح في دين الله ، وتوبوا إلىٰ الله واستغفروه فإن الإنسان خطاء تغلب عليه رغبته .

ثم اعلموا أن الله تعالىٰ أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب**] .

---

(١) الترغيب والترهيب : ٣/ ٢٥٨ .

الخطبة رقم (٣٠)

يحصل بالرفق ما لا يحصل بالعنف

الحمد لله رب العالمين . يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله دعا إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة وجادل خصومه بالتي هي أحسن اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فإنه يحصل بالرفق ما لا يحصل بالعنف ويحصل باللين ما لا يحصل بالقسوة . والقرآن الكريم وضع قواعد للمناظرة والمجادلة بين الإسلام وخصومه . فتكون بأُسلوب حسن وقول لين وإلزام الخصم بما زعم لنفسه . والصبر والتحمل والتقوى وكثرة ذكر الله . قال تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)** ﴾ [**النحل**] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** ﴾ [**النحل**] . وقال جل شأنه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)** ﴾ [**النحل**] .

وقال جل شأنه لموسىٰ : ﴿ **اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)** ﴾ [طه] .

وقال عز من قائل : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)** ﴾ [البقرة] .

قال ابن كثير في تفسير آية البقرة في محاجة إبراهيم عليه السلام : الذي حاج إبراهيم هو ملك بابل نمرود بن كنعان ملك أربعمائة سنة وقال عن مجاهد الذين ملكوا الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة ، مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان سليمانُ بن داود وذو القرنين وأما الكافران فنمروذ وبختنصَّر . وذكر القرطبي[1] أن نمروداً كان يحتكر الطعام فإذا احتاجوا لشرائه دخلوا عليه وسجدوا له فدخل إبراهيم صلىٰ الله عليه وعلىٰ نبينا محمد وسلم ، فلم يسجد له فقال له مالك قال أنا لا أسجد إلا لربي فقال له نمروذ ومن ربك قال : ربي الذي يحيي ويميت . قال نمروذ أنا أحيي وأميت وزعم أنه يحضر رجلين فيقتل أحدهما ويترك الآخر فهذا إحياؤه وإماتته . وليس كما زعم فالإماتة سلب الحياة والإحياء إعطاء الحياة وذلك سر لا يقدر عليه إلا الله . وأما القتل والترك فإنما هما أسباب ولكن

(١) تفسير القرطبي : ٣/ ٢٨٥ .

إبراهيم ألزم نمروذ بما زعم فكأنه قال : إذا كنت تدعي بأنك ربا وأنك تحيي وتميت فالرب له مطلق التصرف في الكون فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فدحضت حجة نمروذ وبطل كذبه وتضليله . فإنه لا يقدر علىٰ إخراج الشمس من مغربها إلا الله تبارك وتعالىٰ . فنمروذ لم يستسلم للحق ولم يجد ما يقول فتحير ولم يهتد إلىٰ طريق السداد .

فغضب نمروذ علىٰ إبراهيم عليه السلام فلم يعطه طعاماً .

ولكن الله عوضه خيراً مما عند الكافر المتكبر . فلما قرب إبراهيم من أهله ولم يكن معه طعام عَمَد إلىٰ كثيب رمل أحمر وملأ منه عدليه وقال أشغل أهلي فلما وضع رحله نام . فعمدت امرأته إلىٰ العدلين فوجدتهما ملآنين من الطعام الجيد .

فعملت خبزاً . فلما استيقظ إبراهيم قدمت له الخبز فقال من أين لكم هذا قالت من الطعام الذي جئت به فعلم أنه رزق من الله . ثم أن الله أرسل إلىٰ نمروذ من يدعوه إلىٰ الإيمان فعاند وتكبر وأنكر وكفر فأرسل الله عليه باباً من البعوض غطىٰ عين الشمس ، وسلطها الله علىٰ نمروذ وجنوده فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظاماً عارية . ودخلت بعوضة في أنفه وجلعت تمخر في دماغه وهو يتألم ويصيح . وما يعلم جنود ربك إلا هو . فكان أحب الناس إليه من يضرب رأسه بالمطرقة حتىٰ أهلكه الله [١] .

(١) ابن كثير : ١/ ٣١٢ .

وهذه الآية تدل على إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة من هذا شيء كثير .

قال تعالى : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة : ١١١] ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود : ٣٢] و مجادلة موسىٰ مع فرعون . وهو تعليم من الله عز وجل لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل .

والاحتجاج بالعلم مباح إذا أريد بالمناظرة وجه الله . بدليل قوله تعالىٰ : ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥] ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ [آل عمران : ٦٦] .

وتجادل أصحاب رسول الله ﷺ في حرب أهل الردة . وجادل رسول الله ﷺ أهل الكتاب وبَاَهَلَهُم .

وحينما يذكر القرآن الكريم مجادلة الأنبياء مع قومهم فلتثبيت فؤاد النبي ﷺ ليَتأسَّىٰ وليصبر علىٰ ما يجده من خصومه ، ولبيان أن الحق يقلب الباطل ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء : ١٨] .

ولتعليم المسلمين وترويض نفوسهم لتلقي ما يجدونه من خصومهم في سبيل الدعوة إلىٰ الله من الأذىٰ والمشقة النفسية والبدنية والمالية .

وأخبرني من أثق به أنه سافر إلى بعض البلاد الإسلامية فوجد منظمات التبشير قد أقعدت المسلمين عن العمل وحولتهم إلى الركود والكسل فقالوا لهم نحن نعطيكم ما تحتاجون ولا داعي للتعب والمشقة لطلب الرزق .

قال واردنا أن نبصر إخواننا المسلمين ونحثهم على العمل والكسب لا سيما وعندهم الأنهار والأمطار . فزرعنا لهم وحصدنا وأعطيناهم الحبوب وقلنا لهم هذا شأن المسلم يعمل بيده ويكتسب بِعَرَق جبينه ولا يلجأ إلى أحد إلا لله لينزل له البركة ولِيَهَب له الصبر والإعاشة .

قال وأخذنا نوجه إخواننا المسلمين إلى طرق الكسب والعمل قال فغضبت المنظمات التبشيرية وأنّبونا ورفعوا فينا شكايات وكذبوا وافتروا وشوهوا الحقائق وصاروا ينفرون الناس منا ويخوفونهم من طاعتنا .

وقال ذلك الرجل المسلم ولكننا ماضون في طريقنا إن شاء الله وسنقابل ما يعمله أعداء المسلمين بالصبر واحتساب الأجر .

والحقيقة التي لا تنكر أن المسلمين حصل لهم ركود عدد سنين بسبب دعايات أعدائهم وارجافاتهم وتخويف المسلمين بعضهم من بعض وإثارة المسلمين بعضهم على بعض . فكان للدعوة ركود بل اختفاء عن الرأي العام .

أما الآن ولله الحمد والمنة وجدت الدعوة مجالاً فسيحاً وقبولاً طيباً وأخذ أبناء المسلمين والجامعات الإسلامية ترسل الدعاة لبيان الحق ولتعريف الناس بتعاليم الإسلام ولربطهم بخالقهم وتبين لهم مآلهم بعد هذه الحياة .

ولأبنائنا الطلاب الدارسين نشاط في الدعوة وإظهار الشعائر الإسلامية فاعتزوا بإسلامهم وفخروا بدينهم ، فانتشر الوعي الإسلامي وتحركت النفوس الخامدة وفتحت العيون المغمضة ، فالمجال مفتوح في أي مكان للدعوة إلىٰ الله فتجب مضاعفة الجهود وتدارك الواقع . ومَنْ أَفْضَلُ ممن يقف موقف الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

لكن يجب أن يُعْلَمَ أنَّ أعداء الإسلام سيقاومون الدعوة بكل قواهم فيجب علىٰ المسلمين في أي قطر كانوا أن يثبتوا علىٰ الحق ولا يقبلوا من أعدائهم صرفاً ولا عدلاً . فإنهم لن يهدوهم وقد ضلوا . ولن ينفعوهم وقد عادوهم .

كما يجب علىٰ إخواننا المسلمين الذين يسافرون إلىٰ البلاد الأخرىٰ أن يكونوا دعاة للإسلام بأعمالهم وأموالهم وسلوكهم وحسن معاملاتهم وصدقهم وأمانتهم ووفائهم .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾ [فصلت] .

اللهم بارك لنا في القرآن وانفعنا بما فيه من الآيات والبيان وارزقنا حسن تلاوته والعمل بمحكمه ، والإيمان بمتشابهه واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين (نزل الكتاب وهو يتول الصالحين) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره .

أما بعد . . فإنه يستحب للمسلم إذا أقبل إلى الصلاة أن يمشي إليها بسكينة ووقار ، وأدب وخشوع . حتى لو سمع الإقامة فيُكره الجري لقوله ﷺ : «**إذا سمعتم الإقامة فامشوا وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**» ولحديث أبي قتادة قال بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ سمع جلبه رجال ، فلما صلى قال ما شأنكم قالوا استعجلنا إلى الصلاة قال فلا تفعلوا : فإذا أتيتم الصلاة فعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا . والحديثان متفق عليهما . فما يفعله بعض المسلمين إذا أقبل على المسجد وسمع الإقامة أخذ يجري جرياً كأنه في سباق ، هذا مخالف لأمره ﷺ ، لكن إذا طمع في إدراك الركعة أطال الخطا

ليقف في الصف ما لم تكن عجلة تقبح .

وإذا أقيمت الصلاة فلا يدخل في نافلة سواء علم أنه يدرك الركعة مع الإمام أو خشي الفوات . أما إن أقيمت الصلاة وهو في النافلة ، فإن خشي الفوات خرج منها ودخل في الفريضة . وإلا أتمها خفيفة .

وبعض الناس يدخل في النافلة بعد الإقامة ويقول إنه متيقن من إدراك الركعة مع الإمام فما يفوته مع الإمام من أعمال الصلاة أفضل مما فعله منفرداً وأيضاً عمله مخالف لقوله ﷺ : «**إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة**» رواه مسلم .

وخرج نبينا محمد ﷺ إلىٰ المسجد بعد ما أقيمت الصلاة فرأىٰ أناساً يُصلون فقال أصلاتان معاً . مُنكراً عملهم .

فاتقوا الله أيها المسلمون . .

ثم اعلموا أن الله تعالىٰ أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه : ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦)﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] وقال ﷺ : «**من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشراً**» إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣١)

حكم المطلقة إذا مات زوجها وهي في العدة

الحمد لله رب العالمين ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربط التشريع بالعقيدة، فالإنسان حارس على نفسه والله تعالى رقيب وحسيب.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بلغ رسالة ربه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد.. فأمامنا مسألة علمية شرعية ورد السؤال عن حكمها وهي من الأحكام الزوجية. رأيت تعميم الفائدة بذكرها وذكر حكمها، وهي: (إذا طلق الرجل امرأته ثم مات وهي في العدة فما هي عدتها. أعدة وفاة فتبدأ من الوفاة. أم عدة طلاق فتكمل مدة تربصها.

وحيث إن الحكم يختلف باختلاف الطلاق فلا بد من معرفة العدد.

فإذا تأملنا المعتدات في الكتاب والسنة وكتب أهل العلم وجدناها تنقسم أربعة أقسام :

القسم الأول : تعتد بالحمل فتنتهي عدتها بوضع حملها سواء من وفاة أو فراق لقوله تعالىٰ : ﴿ **وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ④ ﴾ [**الطلاق** : ٤] . ولما روىٰ البخاري رحمه الله أن امرأة من أسلم يقال لها سُبيعة توفي عنها زوجها وهي حبلىٰ فوضعت بعد وفاته بليال فأذن لها رسول الله ﷺ أن تنكح .

القسم الثاني : معتدات بالأشهر وهن الآيسة والصغيرة والمتوفىٰ عنها ولا حمل فيها .

فعدة الصغيرة التي لم تأتها العادة الشهرية والكبيرة التي انقطعت عنها ثلاثة أشهر لقوله تعالىٰ : ﴿ **وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ** ﴾ [**الطلاق** :٤] .

وأما عدة المتوفىٰ عنها زوجها ولا حمل فيها فأربعة أشهر وعشرة أيام لقوله تعالىٰ : ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** ﴾ [**البقرة** : ٢٣٤] .

القسم الثالث : ذات الأقراء المفارقة في الحياة بعد الدخول فعدتها ثلاثة قروء ، لقوله تعالىٰ : ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ**

ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

القسم الرابع : تعتد للوفاة ولا تعتد للفراق وهي التي لم يخدل بها زوجها فتعتد للوفاة لعموم الآية المتقدمة ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] لأنها زوجة ولا تعتد للفراق في الحياة مثل الطلاق والخلع والفسخ لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٤٩)﴾ [الأحزاب] . وكيف الدخول إذاً؟ إنه لا يلزم أن يكون عُرس وحفل بل متى اختلى الرجل بامرأته في مكان لم يكن عندهما أحد . فهو دخول .

روى زُرارة بن أبي أوفى قال : قضى الخلفاء الراشدون أن من أغلق باباً أو أرخى ستراً فقد وجب المهر ووجبت العد وهذه قضية اشتهرت فلم تنكر فكانت كالإجماع .

ولأنه عَقْدٌ على المنفعة فالتمكن منه يجري مجرى الاستيفاء في الأحكام .

ولا تجب العدة بالقبلة واللمس بلا خلوة .

إذا عرفنا هذا فنقول : الطلاق إما أن يكون بائناً لا سبيل للرجل على المطلقة . ولا ترثه ولا يرثها ، فهي منفصلة عنه تماماً .

وإما أن يكون الطلاق رجعياً . مثلُ طلقةٍ واحدةٍ أو طلقتين ، فلم يستغرق عدد الطلقات ، فهي زوجته يرثها وترثه ولها عليه النفقة والكسوة والمسكن . والمستحب أن تعتد في بيته وتتشرف له بالتجمل لعله يراجِعُها وعلىٰ كل زوج إصلاح الأخطاء وإظهار الندم علىٰ ما سبق .

وهنا يأتي جواب السؤال والحكم في القضية المتقدم ذكرها فإذا مات الزوج وامرأته في عدة طلاق بائن فتكمل عدة الطلاق وليس عليها عدة وفاة، وليس لها حق في الإرث . ما لم يكن سبب آخر . وأما إن كانت المرأة في عدة طلاق رجعي ومات زوجها فترفض عدة الطلاق وتستأنف عدة الوفاة من تأريخ وفاته ، لأن الرجعية زوجة ولها حق الإرث . فوجبت عليها العدة .

فاتقوا الله أيها المسلمون (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وفي سنة النبي الكريم وفقهنا في الدين . وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين يقضي ولا يقضىٰ عليه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أثنىٰ عليه وغفر له ذنبه وشرح له صدره . ورفع ذكره ، فاسمه مكتوب علىٰ العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فكان عبداً شكوراً .

اللهم صل وسلم علىٰ عبد ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن اتبع سبيله .

أما بعد . . فإن القرآن الكريم عالج الآثار التي كانت في المجتمع المسلم من العادات والتقاليد فكان من عادات العرب إذا أعجبه إبن تبناه وألحقه بنسبه فيعرف بين الناس باسم الرجل الذي تبناه ويدخل في أسرته ، وصارت له حقوق البنوة وواجباتها . ومن هؤلاء زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه، وهو من قبيلة عربية سبي صغيراً في غارة فاشتراه حكيم ابن حزام لعمته خديجة رضي الله عنها فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له . ثم طلبه أبوه وعمه فخيره رسول الله ﷺ فاختار النبي الكريم ﷺ فأعتقه وتبناه وكان الناس يقولون زيد بن محمد ، فلما أخذ الإسلام ينظم علاقات الأسر علىٰ أساسها الحقيقي أبطل عادة التبني ورد علاقة

النسب إلىٰ أصلها وعلاقة الدم والأبوة والبنوة إلىٰ أسبابها الحقيقية وذكر أدلة مقنعة علىٰ نفي التبني .

فكما أن الرجل ليس له قلبان في جوفه ، فكذلك ليس للرجل أبوان أب بالنسب وأب بالتبني ، وإنما نسبة البنوة بالتبني . كقولة المظاهر من امرأته هي عليه كأمه . فقال تعالىٰ : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** (٤) ﴾ [**الأحزاب**] .

وقال سبحانه في شأن الظهار : ﴿ **الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ** (٢) ﴾ [**المجادلة**] .

والله الخالق تعالىٰ أبطل اثار التبني ورواسب العادات بأن زوج نبيه ﷺ مطلقة زيد بن حارثة .

روىٰ الإمام مسلم بسنده وروىٰ الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما انقضت عدة زينت بنت جحش رضي الله عنها أي بعد أن طلقها زيد بن حارثة قال ﷺ لزيد اذهب فاذكرها علي قال زيد فلما رأيتها عظمت في صدري حتىٰ لا أستطيع أن أنظر إليها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئاً حتىٰ أؤآمر ربي عز

وجل فقامت إلى مسجدها . ونزل القرآن ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** (٣٧) ﴾ [**الأحزاب**] .

فوليُّها خالق الخلق مالك الملك أوحى إلى نبيه أن يدخل عليها بلا عقد بَشَرٍ ولا مَهْرٍ ولا شُهُودٍ من الناس فدخل عليها رسول الله ﷺ كما أمره ربه . وكانت زينب تفخر على أمهات المؤمنين تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات .

وتأكيداً لإزالة بقايا التبني من نفوس المسملين قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** (٤٠) ﴾ [**الأحزاب**] فلا حرج في الأمر إذا نُظر إليه بعين الحقيقة . وعلاقة الرسول ﷺ بأمته ومنهم زيد بن حارثة الكلبي علاقة نبوةٍ ورسالة خاتمة ، أعطاه المقام المحمود والحوض المورود وجعل ذكره خالداً في الوجود فهو صلى الله عليه وسلم ليس في حاجة إلى أن يكون أباً لأحد من الرجال والرسول ﷺ لأمته كالأب في الشفقة ، وفي تعظيم قدرهم وتحمل المشقة عنهم بل هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأن الله تعالى قد علم شفقة رسول الله ﷺ على أمته ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم وحكمه فيهم واختياره ﷺ وقضاؤه مقدم على اختيارهم ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** (٣٦) ﴾ [**الأحزاب**]

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا إن شئتم (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا. وإن ترك دنيا أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه[1] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾ [التوبة].

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)﴾ [آل عمران].

فاتقوا الله أيها المسلمون.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب] إلخ الدعاء...

(١) ابن كثير في التفسير: ٣/ ٤٦٨ وعزاه للبخاري.

الخطبة رقم (٣٢)

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون

الحمد لله رب العالمين . خلق الجن والإنس لهدف نبيل .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له منه المبتدىٰ وإليه المنتهىٰ ، مَن أطاعه دخل الجنة ومَن عصاه دخل النار .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله دل أمته علىٰ طرق الخير والسعادة . وحذرها من أسباب البوار والرذيلة .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن هتدىٰ بهديه وسلك منهاجه .

أما بعد . . فحين يتأمل المسلم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة يجدها تخاطب القلب وتحرك المشاعر وتثير كوامن النفس في المعنىٰ الذي تدل عليه .

وأمامنا الآن آية من آخر سورة الذاريات تحتوي علىٰ حقيقة هائلة لا تستقيم حياة البشر بدون تحقيقها سواء كانت حياة فرد . أو حياة جماعة . أو حياة الإنسانية كلها تدل علىٰ معاني متعددة تحدد وظيفة ابن آدم في هذا الوجود .

هي قوله تعالىٰ : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا**

أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات] .

قال الحافظ ابن كثير في التفسير : ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب (١) .

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وذكر بعض العلماء (٢) عن ابن القيم رحمه الله قال ومدارها على خمس عشرة قاعدة من كمَّلها كمَّل مراتب العبودية وبيان ذلك أن العبادة منقسمة على القلب واللسان والجوارح . وأحكام العبودية خمسة . . . . واجب أي يثاب فاعله ويعاقب تاركه . مثل الصلاة والزكاة . ومستحب يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه . مثل نوافل العبادات من الصلاة والصوم والصدقة . وحرام أي يعاقب فاعله ويثاب تاركه مثل أكل الميتة والربا وأكل أموال الناس بالباطل . ومكروه أي يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله . مثل وضع اليدين على الخاصرة في الصلاة ، واشتمال الملحفة التي لا فتحة لليدين فيها ، وتسمى الصماء . والخامس مباح . لا يعاقب تاركه ولا فاعله ولا يثاب إلا لمعنى آخر . مثل البيع والشراء بعد صلاة الجمعة . فمن باع أو اشترى فلا بأس ومن ذهب إلى بيته فلا

---

(١) تفسير ابن كثير : ٤/ ٢٣٨ .

(٢) فتح المجيد : ١٤

بأس .

وتقديم الجن على الإنس في الآية للاهتمام بهذا الخبر لأن المشركين كانوا يعبدون الجن ليعلموا أن الجن عبادٌ لله تعالى فهو نظير قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) ﴾ [الأنبياء] .

فالوظيفة التي يشترك فيها الجن والإنس هي العبودية لله وأساسها التذلل والخضوع لله وأما تفاصيل العبادة فنحن نعرف حدود النشاط التعبدي للإنسان من نصوص القرآن والسنة . ولكنا لا نعرف تفاصيل العبادة عند إخواننا الجن مع إيماننا بأنهم مكلفون مخاطبون بالتكليف على لسان نبينا محمد ﷺ .

والإسلام لا يُلزم المكلف تفرغاً للعبادة وإنما يؤدي الفرائض الموقوتة في أوقاتها والنوافل بحسب استطاعته ويكون على صلة بالله فهناك نشاطات تعبدية يمكن أن يؤديها التاجر في متجره والعامل في عمله والفلاح في مزرعته في أي وقت من ليل أو نهار وهي تقوى الله في حركات القلب واللسان والجوارح ، فمثلاً إذا تعامل التاجر مع غيره اتقى الله في معاملته فيصدق في قوله . ويفي بوعده ويؤدي أمانته . ويوفي الكيل والوزن والمقياس ولا يبخس الناس أشياءهم .

والعامل إذا عمل أتقن صنعته وعمل فيها الأصلح لصاحبه

وأداها على أجود ما يتطلع إليه صاحبها وقرن عمله بالله وتقواه كان متق لله وكان عمله عبادة .

والموظف يراقب الله في عمله ويقصد الإحسان إلى المراجعين وأصحاب المعاملات ، فيجب أن يعامل الناس بما يحب أن يعملوه وأن يصدق في وعده وأن يحرص على إنجاز أعماله بصدق ووفاء ويحتسب الأجر على الله ويجعل لسانه رَطباً بذكر الله ما استطاع بلا غفلة ولا إهمال فتكون أعماله مقرونة بتقوى الله والفلاَّح في مزرعته يعبد الله وهو يعمل بحسن النية وإرادة الاحسان إلى خلق الله وتوفير حاجاتهم ويذكر الله بلسانه . فتكون حركاته في الغرس والزرع وأخذ المحاصيل طاعة لله وعبودية .

والمقصود استقرار معنى العبودية في النفس استقراراً تظهر آثاره على الجوارح فيصبح العمل كالشعائر التعبدية . فيعيش الإنسان في هذه الحياة مرتاح النفس طيب الضمير طاهر القلب نقي المقاصد ، صريح الأهداف لأنه يشعر بأنه أدى الوظيفة التي من أجلها خلق أداها طاعة لله . وعبودية لرب الأرباب . لا يقصد إيذاء أحد ولا مصلحة دنيوية ولا التزلف إلى أحد من الناس ، وإنما يعمل لتحقيق الطاعة والعبودية لله . وجزاؤه ما يجد في نفسه من الطمأنينة والرضى بوضعه الذي هو فيه ، والأُنس بقرب الله . والإحساس بأنه تحت رعايته وحمايته وفي كنفه وأنه سيجد في الآخرة تكريماً ونعيماً وفضلاً عظيماً هذا من الجزاء وما عند الله خير

وأبقىٰ ونحن نؤمن بأن مقتضيات الأعمال مستجدة من بواعثها لا من نتائجها فالعاقل يعمل علىٰ مقتضىٰ التكليف ويترك النتائج لله . فقد يشتاق إلىٰ شيء ليس في مصلحته وقد يكره شيئاً وفيه الخير الكثير ،

قال تعالىٰ : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** (٢١٦) ﴾ [البقرة] فالله تعالىٰ أعلم بنتائج الأمور وبمصالح خلقه . فعلىٰ المسلم عمل الأسباب ويترك النتائج لله . فلا ينبغي أن يستحسر المسلم إذا عمل شيئاً ولم يحصل له مطلوبه ولم تتحقق رغبته فقد نهىٰ الرسول ﷺ عن الندم علىٰ ما فات . روىٰ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**» .

فإذا استقر أن الله إنما خلق الجن والإنس لعبادته فمنهم مؤمن ومنهم كافر . ومنهم مسلم ومنهم قاسط وجب أن يقدم العبادة علىٰ غيرها فمتىٰ نودي للصلاة ترك ماسواها وهكذا بامكان المسلم أن يجعل أحواله وأوقاته عامرة بعبادة الله ، فالشكر والحمد والتوكل والإنابة والصدق والتقوىٰ والنصح والدعاء والذكر والاستغفار عبادات لا تقتضي تفرغاً ولا تُكلف عناء .

فاتقوا الله أيها المسلمون ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) ﴾ [لقمان] .

اللهم بارك لنا في القرآن وفي سنة سيد الأنام وانفعنا بما فيهما من الأحكام والبيان . واهدنا لطاعتك واملأ قلوبنا من خشيتك واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . طهر المساجد للمصلين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحب التوابين ويحب المتطهرين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أمر بسد الأبواب التي كانت مفتوحة على المسجد إلا باب أبي بكر رضي الله عنه صيانة لبيت الله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . . فإن المساجد هي بيوت الله تعالى أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها فمن جاء إلى المسجد فقد جاء إلى بيت الله . ومن زار الله في بيته أكرمه ويجب على زائر بيوت الله أن يكون على أكمل حال . قال تعالى ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع**﴾ فلا تبتذل ولا تُهان ولا تتخذ محلاً للتسلية وأحاديث الناس والقيل والقال إنما بنيت لعبادة الله ، للصلاة والذكر وقراءة القرآن .

وحرّم الخالق تعالى على الجنب أن يمكث في المسجد وأباح

المرور للحاجة . بأن كان الجنب نائماً في المسجد فاحتلم فيخرج ليغتسل أو مثل حال الناس في أول الأمر كانت أبواب بيوتهم على مسجد رسول الله ﷺ فإذا أجنب أحدهم خرج ليغتسل . فأباح الله لهم المرور ومنعهم من البقاء . قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا**﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله عن أبي حبيب في قوله تعالى : ﴿**ولا جنباً إلا عابري سبيل**﴾ إن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم شوارع في المسجد فكانت تصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا يجدون ممراً إلا في المسجد . ويشهد لهذا ما رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال : (سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر) .

وقال ابن كثير رحمه الله أيضاً : ومن هذه الآية احتج كثير من الأئمة على أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد ويجوز المرور . والحائض والنفساء في معنى الجنب يحرم عليهما المكث في المسجد .

ومما يدل على أن الحائض يحرم عليها المكث في المسجد ما رواه مسلم رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يدني إليّ رأسه أي وهو معتكف في المسجد وعائشة في حجرتها فترجله وتغسله وهي حائض . وقال لها

ناوليني الخمرة ، وهي في حجرتها والمصطفىٰ ﷺ في المسجد معتكفاً وقال ناوليني الثوب ولم تدخل عائشة المسجد لمناولة الرسول ﷺ ماطلب . فهذه الأحاديث الصحيحة تدل علىٰ أن الحائض لا تدخل المسجد أبداً حتىٰ تطهر وتغتسل .

ومما يدل علىٰ أن الحائض يحرم عليها دخول المسجد ما رواه ابن ماجه عن جسرة عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : (**إني لا أحل المسجد لحائضٍ ولا جنب**) .

ويُذكر أن بعض النساء تأتي إلىٰ مسجد رسول الله ﷺ وهي حائض وإذا وعظها أحد أخذت تجادل وتزعم بأن الحائض لها أن تدخل المسجد وأن تمكث فيه وإنما تمنع من الطواف مستدلة بقول الفقهاء رحمهم الله : والحائض تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت وهي ترىٰ الحاج يدخلون المسجد ويمكثون فيه ففهمت أن للحائض أن تدخل المسجد وأنها لا تمنع إلا من الطواف .

وهذا فهم خاطئ وتعدٍّ علىٰ النصوص الشرعية التي تحرم علىٰ الحائض المكث في المسجد ، وإنما قول الفقهاء والحائض تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت أي تفعل أعمال الحج مثل الإحرام والوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ورمي الجمرات والتقصير ، أما المكث في المسجد فلا يختص به الحاج فلا يدخل تحت قول

الفقهاء . فاتقوا الله أيها المسلمون . عظموا مساجد الله وطهروا بيوت الله ﴿ **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾ .

﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب**] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣٣)

المحرمات في النكاح

الحمد لله رب العالمين . أمر ونهى وأحلَّ وحرم لحكم يعملها ولمصالح تعود على العباد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)** ﴾ [**الأعراف**] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . آتاه الله الحكمة وجوامع الكلم وفصل الخطاب .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فقد تكررت الأسئلة عن بعض المحرمات من الرضاعة وعن بعض المحرمات إلى أمد مما يدل على أن بعض الناس في حاجة إلى بيان وسواء عرفت الحكمة أو لم تعرف يجب على المسلم الرضا والتسليم لحكم الله تعالى ولحكم رسوله ﷺ قال الله تعالى : ﴿**فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ .

والأصل في تحريم المحرمات من النساء الكتاب والسنة

والإجماع(1) . أما الكتاب فقوله تعالىٰ في سورة النساء : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٣) ﴾ [النساء] ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء : ٢٤] ﴿ وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء : ٢٢] .

وأما السنة فما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «**إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة**»(2) ومارواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «**لا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها**» (3)وفي رواية (لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها) .

وأما الإجماع ، فأجمعت الأمة علىٰ تحريم ما نص الله تعالىٰ علىٰ تحريمه وعلىٰ تحريم ما ثبت عن النبي ﷺ تحريمه .

فأسباب التحريم ثلاثة نسب ورضاعة ومصاهرة .

---

(١) المغني : ٦/ ٥٦٧ لابن قدامة .

(٢)البخاري : ٧/ ١١ فتح الباري : ٩/ ١٣٩ ومسلم : ٢/ ١٠٦٨

(٣) البخاري : ٧/ ١٥

والتحريم إما تحريم أعيان أو تحريم جمع ، وتحريم مؤبد وتحريم مؤقت فالمحرمات بالنسب سبعة أصناف .

١ ـ الأمهات ومنهن الجدات من جهة الأب ومن جهة الأم . وإن علون .

٢ ـ البنات ، ومنهن بنات الأبناء وبنات البنات وإن نزلن .

٣ ـ الأخوات سواء كن شقيقات أو لأب أو لأم وبناتهن ، وبنات أولادهن وإن نزلوا .

٤ ـ والعمات أخوات الأب شقيقات أو لأب أو لأم وأعمام الأب وأعمام الأم أشقاء أو لأب فقط [1]دون بنات من ذكر .

٥ ـ والخالات أخوات الأم شقيقات أو لأب أو لأم .

٦ ـ وبنات الأخ من أي جهة كان وبنات أبنائه وبنات بناته .

٧ ـ وبنات الأخت كما تقدم .

والمحرمات بالرضاع كل امرأة حرمت بالنسب حرم مثلها بالرضاع لقوله ﷺ : «**تحرم الرضاعةُ ما تحرم الولادة**» . والمحرمات بالمصاهرة أربع ثلاث بمجرد العقد :

١ ـ أمهات الزوجة وإن علون من النسب ومثلهن من الرضاع .

٢ ـ زوجة الأب وزوجة الجد من الأب أو من الأم وإن علا .

---

(١) الكشاف : ٥/ ٧٥ .

٣ ـ زوجة الابن أو ابن الابن وإن نزل من نسب أو رضاع .

٤ ـ وبشرط الدخول : فتحرم ابنة الزوجة علىٰ زوج أمها إذا دخل بالأم أما إن فارقها قبل الدخول فلا تحرم ابنتها فإذا دخل بالأم حرمت بناتها وبناتهن وبنات أبنائها علىٰ زوج الأم .

ويحرم الجمع بين الأختين من نسب أو رضاع للأدلة المتقدمة .

ويحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ولو رضيتا لنص الآية والحديث خلافاً للرافضة والخوارج الذين خالفوا السنة الصحيحة . وجعل بعض العلماء قاعدة في تحريم الجمع . فلو كانت إحدىٰ المرأتين رجل حرمت عليه الأخرىٰ لم يجز الجمع بينهما . فعقد المرأة الثانية باطل .

ويحرم أن يجمع رجل أكثر من أربع نسوة فيكون عقد الخامسة باطل وإن أصاب التي عقدها باطلْ فلها مهرها .

ويحرم علىٰ الرجل أن يتزوج امرأة مزوجة بغيره إلا ما استثني لقوله تعالىٰ : ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ . المحصنات هنا المزوجات ولم يذكر النص علل التحريم لا عامة ولا خاصة فكل ما يذكره بعض العلماء من العلل إنما هو رأي وتقدير واستنباط .

فقد يقال أن المحرمات يراد أن تكون العلاقة بهن علاقة إحسان ورعاية وعطف واحترام وتوقير فلا تتعرض لما قد يجدُّ في الحياة

الزوجية من خلافات تؤدي إلىٰ النفرة والطلاق فتُخدش المشاعر .

والمحرمات من الرضاعة إنما هو في تحريم النكاح والمحرمية والسفر بها والنظر إلىٰ وجهها والخلوة بها ونحو ذلك دون بقية الأحكام الأخرىٰ فلا تَوارُث بقرابة الرضاعة ولا تلزم النفقة ولا ترد شهادة أحدهما للآخر ، ولا يسقط القصاص بأمومة وأبوة الرضاع .

ومما تقدم نعرف أن زوجة الابن من الرضاع محرمة علىٰ أبيه من الرضاعة وهو محرمٌ لها لقوله ﷺ : «**تُحرم الرضاعة ما تحرم الولادة**» .

وأما قوله تعالىٰ : ﴿**وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم**﴾ فلإخراج من كانت العرب تتبناه[1] . ولما تزوج رسول الله ﷺ امرأة طلقها ابنه بالتبني زيد بن حارثة رضي الله عنه قال المشركون تزوج امرأة ابنه ، وأما الابن من الرضاع ففيه نص شرعي صحيح صريح .

واختلف العلماء في مقدار الرضاع المحرم علىٰ ثلاثة أقوال[2] :

١ ـ ذهب ذاهبون إلىٰ أنه يحرم بجزء الرضاعة لعموم آية ﴿**وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة**﴾ .

---

(١) القرطبي : ٣/ ١١٦ .

(٢) ابن كثير : ١/ ٤٦٩ .

٢ ـ وقال آخرون لا يحرم أقل من ثلاث رضعات لما رواه مسلم [١] عن أم الفضل أن النبي ﷺ قال : «**لا تحرم الرضعة والرضعتان و المصة أو المصتان**» .

٣ ـ وقال آخرون لا يُحرم أقل من خمس رضعات وعليه الجمهور والعمل جار به ، لما روىٰ مسلم [٢] عن عائشة رضي الله عنها كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات ، توفي الرسول ﷺ والأمر علىٰ ذلك .

والرضاع المعتبر ما كان في الحولين لقوله تعالىٰ : ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين**﴾ . ولقوله ﷺ : «**إنما الرضاعة من المجاعة**» ، وقوله : «**لا يُحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام**» [٣] .

قال في كشاف القناع [٤] ويشترط أن تكون خمس الرضعات متفرقات فمتىٰ امتص الطفل ثم تركه شِبَعاً أو للنفس أو مَللاً أو انتقل من ثدي إلىٰ آخر . أو قُطع عليه الرضاع ، فهي رضعة لأن المرجع فيها إلىٰ العرف .

---

(١) مسلم : ١٠/ ٣٨ .

(٢) مسلم : ١٠/ ٢٩ .

(٣) الترمذي .

(٤) كشاف القناع : ٥/ ٥١٦ .

والسعوط[1] والوَجُور [2]مثل الرضاع إذا وصل اللبن إلى مكان الغذاء .

ولو ارتضع طفلان من امرأة صارا أخوين من الرضاعة سواء منفردين أو مجتمعين . أما ألبان الحيوانات فلا تأثير لها .

---

(١) السَعُوط : بفتح السين وضم العين مايصب في الأنف (انظر المصباح المنير) .
(٢) الوَجُور : بفتح الواو وضم الجيم ما يصب في الحلق . (انظر المصباح المنير) .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد . . فأوصيكم وإياي بتقوى الله ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا** ﴿٥﴾ ﴾ [**الطلاق** : ٥] ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴿٢٩﴾ ﴾ [**الأنفال** : ٢٩] .

ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن أعداء الإسلام أعداء لمن دان بالإسلام ولذلك أمرنا رسول الله ﷺ بمخالفتهم في عاداتهم وفي عباداتهم وفي معاملاتهم ، فليكن المسلم على حذر من أعدائه . فإنهم لن يألوا جهداً في إيقاعه فيما يخالف دين الإسلام .

ألا تنظرون إلى بعض الملابس عليها صور ، وكتابات استفزازية وتهكمية يجب على أبناء المسلمين أن يكونوا فطناء أذكياء لا يضحك عليهم المجوس وأهل الكتاب . قال ﷺ : «**المؤمن كيس فطن**» ، وقال ﷺ : «**لا يلدغ مؤمن في جحر مرتين**» .

فاتقوا الله يا شباب الإسلام ، اتقوا الله يا أبناء الإسلام .

وصلوا على البشير النذير .

﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)** ﴾ [**الأحزاب**] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣٤)

حفظ الحقوق وضمان المصالح في الإسلام

الحمد لله رب العالمين . طهر عباده المؤمنين ورباهم وعلمهم أفضل تعليم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . نظم الحياة الزوجية بما يحفظ الكرامة ويحقق المصلحة .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أتم مكارم الأخلاق وهذب النفوس وأنار الطريق .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الهدى والتقى وأهل الفضل والمكارم . ومن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد . . فإن الإسلام عالج الحالات التي تعرض للإنسان في حياته وفي أسرته ويراعي مشاعر القلوب . وثائرة النفوس . فوضع الحلول المناسبة التي تحفظ الحقوق وتضمن المصالح .

والإسلام يواجه الفطرة البشرية مواجهة صريحة بواقع الحال ويعامل الإنسان معاملة المطلع على خواطر نفسه وعلى تقلبات فؤاده .

ومرد الجد أو العبث في كل شيء هو التقوىٰ يعمل الإنسان أو يقول رجاء ثواب الله . وخوفاً من عقابه . أو يترك خوفاً ورجاء .

وإذا تأملنا تصرفات بعض الأزواج في الحياة الزوجية وكثرة الطلاق علىٰ ألسنتهم في أقل شيء وأبسط خلاف حتىٰ مع غير الزوجة فيُطلِّقُ بصريح الطلاق ثم يزعم بأنه لم يرد الطلاق ولم يقصد الفراق .

ولكن الأحكام تُبْنىٰ علىٰ الظاهر ، والنية أمر خفي نكلها إلىٰ الذي يعلم النيات سبحانه وتعالىٰ .

وإذا عرفنا ما كان عليه الأمر في الجاهلية وفي صدر الإسلام أدركنا نعمة التشريع الإسلامي ، وعنايته بالإنسان .

روىٰ ابن جرير في تفسيره عن هشام بن عروة عن أبيه [1] قال : كان الرجل يطلق امرأته ما شاء (أي بلا عدد) ، ثم إن راجعتها وهي في العدة فهي امرأته ، فغضب رجل من الأنصار علىٰ امرأته فقال لها لا أقربك ولا تحلين مني ـ أي لا تنقضي عدتك ـ قالت : وكيف قال أطلقك حتىٰ إذا دنا أجلُك راجعتك ثم طلقتك فإذا دنا أجلك راجعتك ، قال فشكت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالىٰ ذكر الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، يعني قوله تعالىٰ : ﴿ **الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ﴾ [**البقرة** : ٢٢٩] .

---

(١) ابن جرير : ٢/ ٢٧٦ .

فإذا أخذنا هذه الآية مع الآية التي بعدها ، قوله تعالىٰ : ﴿ **فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** (٢٣٠) ﴾ [البقرة] ، علمنا يقيناً أن الله تعالىٰ جعل طلاق الرجل امرأته محصوراً في ثلاث تطليقات فقط . وجعل للزوج فرصة الاختيار بعد الأولىٰ والثانية ، فجعل له حق الرجعة بعدهما ما دامت في العدة كمحك واختبار وتربية وإنذار ، أما إذا أهمل حتىٰ خرجت من العدة فيُعاقب نوعاً ما علىٰ إهماله . فلا تحل له إلا برضاها وبعقد جديد ومهر جديد .

فإذا طلق الثالثة عُلِم فساد الحال وأن التجربة غير نافعة وأن الأمر استحكم ، فبقاء عقدة النكاح إذاً غيرُ صالح فيعاقب المطلق ثلاثاً عقاباً أشد فتحرم عليه امرأته بعد الطلقة الثالثة تحريماً مؤقتاً فلا تحل له حتىٰ تنكح زوجاً غيره نكاح رغبة وبقاء يذوق الزوج الآخر عسيلتها وتذوق عسيلته . فإن كان النكاح الثاني مشروطاً بالفراق لقصد التحليل فهو نكاح متعة محرَّم باطل والرجل الذي يرضىٰ بالنكاح لقصد التحليل هو التيس المستعار ، لعنه رسول الله ﷺ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت جاءت امرأة رفاعة القرظي إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت إني كنت عند رفاعة فطلقني فَبَتَّ طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وما معه إلا مثل هُدْبة الثوب . فقال ﷺ : «**أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة**» قالت : نعم قال : «**لا**

حتى تذوقي **عُسيلته ويذوق عسيلتك**»[1] متفق عليه .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (لعن رسول الله ﷺ المحللَ والمحلَّلَ له)[2] رواه الدارمي .

وقد يقول قائل : ما بال المرأة تهدَّد حياتها وأمنها واستقرارها بسبب كلمة تخرج من زوج عابث مستهتر . نقول إن الله تعالىٰ أرحم بالإنسان من الخلق والذي خلق الإنسان أعرف بما توسوس به نفسه وبما فيه سعادته وصلاحه ، فهو يعالج الحالات الطارئة بما يتفق مع مصالح الإنسان ﴿ **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢١٦] ﴿ **وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء : ١٣٠] .

وأيضاً أمامنا حالة واقعية فما هو العلاج ، إن أجبرنا الزوج علىٰ معاشرة امرأته وامساكها وقعنا في نفس المشكلة فكيف يكره رجل علىٰ إمساك من يكره إمساكه وقد يكون السبب في المرأة فيزداد أمرها وتفاقم الحال أكثر وماذا يحصل لو أجبر الزوج علىٰ إمساك امرأة لا يرغبها لا يحترم علاقته بها ولا يوقرها ولا يحفظ حقها . وقد يتكلم عليها بكلام يخدش كرامتها ويعصر قلبها وقد يعضلها حتىٰ تطلب الطلاق بنفسها . وقد يفرح بأمر يريحه منها

---

(١) المشكاة : ٢/ ٢١٣ .

(٢) المشكاة : ٢/ ٢١٣ .

كما هو المعروف في بعض الجهات . وفي حكم الله حفظ مصلحة الزوجين وكرامتهما، وتأديب للزوج ومعاقبة له على عمله كما تقدم . ولهذا شرطت الرجعة بقصد إقامة حدود الله والقيام بما يجب من الحقوق الزوجية بطيب نفس وارتياح بال .

أما إن كانت الرجعة للتشفي والإيذاء لأخذ ما أعطاها أو بعضه فالله هو الرقيب وهو الحسيب ، فالأمر لله والحكم لله ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ .

لقد كانت المرأة في الجاهلية تلاقي من العنت ما يمليه غِلظ الجاهلية كانت تلقاه طفلة تدفن حية بعض الأحسان . أو تعيش في ذل ومشقة وكانت تلقى العنت وهي زوجة كأنها قطعة من متاع الرجل . وكانت تلقاه مطلقة لا تزوج ، حتى يسمح مطلقها .

ثم جاء الإسلام فحفظ حقوق المرأة واحترم إنسانيتها ورفع النظر إليها وأعلى من شأنها لها مثل الذي عليها . خلقت هي والرجل من نفس واحدة وجعل الإسلام الصِّلات الزوجية عبادة لله إذا صلحت النية وأريد وجه الله ، فالخالق يشرع ما يحل مشاكل المسلمين بدون طلب من أحد وإنما هي رحمة الله بعباده ، شرع لهم من الدين ما يحفظ حقوقهم ويصلح بالهم وينظم حياتهم ومن هنا نعرف أن تشريع الطلاق والرجعة في مصلحة الزوجين معاً . وآيات الله التي بينها في العشرة والطلاق واضحة مستقيمة جادة تهدف إلى تنظيم الحياة الزوجية وإقامتها على الصدق والوفاء .

وما جعل الإسلام للرجل حق الرجعة في الطلقتين الأولين إلا للإصلاح والمعاملة بالمعروف وإقامة الحقوق الشرعية علىٰ وجهها، فيجب علىٰ الرجل إذا راجع امرأته أن يقصد الإصلاح وإكرامها وأداء حقوقها ﴿ **فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله** ﴾ .

أما الإمساك للضرار فقد نهىٰ عنه الخالق تعالىٰ في صريح القرآن ﴿ **فإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا** ﴾ ، فالذي يمسك ضَرّاً متعد حدود الله وتشريعاته . هو بذلك ظلم نفسه وعرضها لسخط الله وعقوبته . لأن المطلقة أخته في الإسلام وأخته في الإنسانية فإذا راجعها بنية الإضرار فقد ظلمها وظلم نفسه بإيرادها موارد العصيان والجموح بها عن طريق الطاعة .

والذي لا يرضىٰ بشرع الله وأحكامه قد اتخذ آيات الله هزوا . ولكي يزيل المسلم هذا الجموح النفسي يلزمه أن يتذكر نعم الله عليه : أوجده من العدم ، وأعطاه من الآلاء والمكارم، ورباه ورعاه، وأنعم عليه بالصحة والعقل والفهم . وهداه لهذه العقيدة الصافية ، وجعل صلته به سبحانه وتعالىٰ . وأكرمه بالطمأنينة والهدوء في النفس وفي البيت وفي المجتمع قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم** ﴾

، فاتقوا الله أيها المؤمنون .

اللهم بارك لنا في القرآن وانفعنا بما فيه من الأحكام والمواعظ والبيان . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . اللهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم حالات القلوب وخطرات النفوس وهو الرحيم الغفور .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة ربه ونصح لأمته وعالج مشاكلها بوحي الله وتوجيهاته . اللهم صل وسلم على الصفوة المطهر عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد . . فإنه يجب أن يسود المعروف والحسنى في الحياة بين الأسرة سواء اتصلت حبال النكاح أو انفصلت ولا ينبغي أن يكون الطلاق مثيراً للشغب والإيذاء . وقد تتأثر النفوس حالة الانفصال ، إلا أن الإيمان بالله وبما جاء من عند الله والإيمان بالقدر وباليوم الآخر يزيل تلك التأزمات ويصفي الجو العائلي ، فلا ينبغي لولي المرأة أن يغضب إذا طلق الزوج موليته طلاقاً رجعياً وتركها حتى خرجت من العدة ثم خطبها فلا ينبغي أن يمتنع من تزويجه إذا كانت راغبة . روى البخاري رحمه الله عن معقل بن يسار أن أخته طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها فأبى معقل فنزلت

﴿ **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف** ﴾ . فقال معقل سمعاً لربي وطاعةً ، فدعاه فقال أزوجك وأكرمك .

ومن هذه الآية وأمثالها في القرآن مثل آية المجادلة نعرف جانباً من رحمة الله بعباده وأنه يستجيب لحاجات القلوب التي علم الله صدقها .

فاتقوا الله أيها المؤمنون .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)** ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣٥)

عناية الإسلام بالإنسان

الحمد لله رب العالمين . ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن : ٣ ، ٤] خلقه بيده وأسجد له ملائكته وفضله على كثير من العالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حفظ حقوق الإنسان فكل ما قيل فقد سبق إليه الإسلام .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . رحمة الله بخلقه وصفوته من عباده ، ومنته على العالمين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان .

أما بعد . . فإن الخالق تعالى أعطى الإنسان عناية تامة لا يماثلها عناية . أوجده من العدم ﴿ هل أتي على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾ . خلقه بيده فأحسن تقويمه ، ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء كلها وفضله على الملائكة المقربين ، وأمرهم بالسجود له ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا

إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) ﴾ [ص : ٧١ - ٧٥] .

وحمَّله التكليف وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين ووعده المغفرة إذا استزله الشيطان فاستغفر الله ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٣) ﴾ [الأحزاب : ٧٢ ، ٧٣] .

اعتنى الخالق تعالى بالإنسان وحفظ حقوقه وهو في بطن أمه فأوجب له الرعاية والعناية والنفقة . قال تعالى في حق الزوجات ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ٦] .

وحفظ الخالق بالإسلام حق الإنسان وهو رضيع . فأحاطه بالحماية وحسن الولاية والحضانة . وأوجب له الرضاعة والنفقة والمؤمنة قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴾ [الطلاق : ٦] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

وقال جل شأنه ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء : ٦] .

ومن عناية الإسلام بالإنسان أنه إذا كان قاصراً ومات وليه أقيم عليه من يرعىٰ شئونه ويحفظ أمواله ويسعىٰ لمصلحته . وأوجب له الحضانة والصيانة والنظافة فإذا كان دون سبع سنين فالأم أحق بحضانته ، وإذا تمَّ للصبي سبع سنين خير بين أبيه وأمه فهو يميز الأرفق به . روىٰ أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءت امرأة إلىٰ النبي ﷺ فقالت إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عنبة وقد نفعني . فقال له النبي ﷺ : هذا أبوك وهذه أمك فخذ بيد أيهما شئت فأخد بيد أمه فانطلقت به(١) .

وحفظ الإسلام حق الإنسان وهو شاب تحمَّل الأب مسئولية تربيته وتمرينه علىٰ المكارم والفضائل والبر والصلة والإحسان . قال ﷺ : «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع**» وحفظ الإسلام حق الإنسان في الملكية فأعطاه حرية التملك والتصرف سواء كان ذكراً أو أنثىٰ في حدود الشرع وما أحل الله ، قال تعالىٰ : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء : ٣٢] ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾

(١) المغني : ٧/ ٦١٥ .

[النساء : ٧] .

وحفظ الإسلام حق الإنسان في بدنه وماله وعرضه . فحفظ الأموال بقطع يد السارق ، وحفظ الأبدان بالقصاص ، وحفظ الأعراض بحد القذف وتحريم الغيبة والنميمة .

وحفظ الإسلام حق الإنسان إذا كان فقيراً أو عاجزاً عن الكسب فأوجب الله الزكاة على الأغنياء تعطى الفقراء . قال تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن والله سميع عليهم** ﴾ . وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن ، قال : «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» (١) .

وحفظ الإسلام حق الإنسان إذا كان شيخاً كبيراً فأوجب له النفقة على أولاده وأقاربه وحث على توقيره واحترامه . وتقديمه على من هو أصغر منه . عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام ذي**

(١) مشكاة المصابيح : ١/ ٥٥٧ .

السلطان المقسط»[1] وحفظ الإسلام حق الإنسان حال مرضه فحث على عيادة المريض والدعاء له وتخفيف مصابه ووصي أهله بالصبر واحتساب الأجر والعناية بالمريض وخدمته وتحمل ما يحصل منه .

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس وإبراز المقسم ونصر المظلوم ، وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام[2] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكوا العاني**»[3] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان غلام يهودي يخدم رسول الله ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار[4]. رواه البخاري .

وحفظ الإسلام حق الإنسان بعد موته ، فشرع تغسيله وتجهيزه وإذا كان مسلماً شرعت الصلاة عليه إلا شهيد المعركة . ثم يدفن ، وإذا كان مديناً استحب لأقاربه والمسلمين تحمل دينه وإلا فمن بيت

---

(١) رياض الصالحين : ١٥٣ .
(٢) رياض الصالحين : ٣٢٨ .
(٣) رياض الصالحين : ٣٢٨ .
(٤) رياض الصالحين : ٣٢٨ .

المال ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يؤتىٰ بالرجل المتوفىٰ عليه الدين فيسأل هل ترك لدينه فضلاً ، فإن حُدِّثَ أنه ترك لدَينه فضلاً صلىٰ عليه وإلا قال للمسلمين صلوا علىٰ صاحبكم . فلما فتح الله عليه الفتوح قال أنا أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم من توفىٰ من المؤمنين فترك ديناً فعلي قضاؤه ، ومن ترك مالاً فلوارثه . وإذا تأملنا التشريع الإسلامي ، وتأملنا أوامره ونواهيه وتأملنا نصوص الحلال والحرام والبر والصلة والصبر والتحمل علمنا يقيناً أن الإسلام كله في صالح الإنسان وأنه حفظ حقوق الإنسان وحافظ علىٰ كرامته وإنسانيته وبذل الجهد لإصلاحه وتقريبه من خالقه .

لكن المعارضين للإسلام من اليهود والنصارىٰ والمجوس والذين أشركوا وأتباعهم وتلاميذهم أحسوا بأنهم أهملوا حقوق الإنسان وأن الإسلام هو الذي حفظها فأرادوا أن يغطوا أخطاءهم وأن يُلبِّسوا علىٰ العامة قبيح تصرفاتهم ، فصاروا ينادون باسم حقوق الإنسان ، وهم الذين حطَّموا الإنسان وهم الذين انتهكوا حرمة الإنسان وغمطوا حقوقه ألا تسمعون عن تصرفات الصرب النصارىٰ بالمسلمين في البوسنة والهرسك ، ألا تسمعون بتصرفات الصهاينة اليهود في فلسطين وجنوب لبنان ، ألا تسمعون بتصرفات المجوس في الهند وفي كشمير ، أليس ترك الحبل علىٰ الغارب للمجرمين والمخربين والمفسدين يفعلون ما شاءوا ، قتلاً وسلباً ونهباً

وإرهاباً وتخويفاً وتهديداً .

فلا تأمن العامة على أنفسهم ولا على أموالهم ولا على أهليهم .

أليس هذا إهدارٌ لحقوق الملايين من الناس وتعدٍ على كرامتهم . إن الإسلام هو الذي حفظ حقوق الإنسان ، أمر بالعدل ورفع الظلم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الحدود وأوقف كل ظالم عند حده . فالدولة التي تحكم بما أنزل الله وتقيم حدود الله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتأخذ على يد السفيه وتحفظ الأمن هي التي تحافظ على حقوق الإنسان وتحفظ كرامة الإنسان ، فاتقوا الله أيها المؤمنون . اتقوا الله أيها الناس .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥) ﴾ [النساء : ١٣٥] ، اللهم بارك لنا في القرآن . .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . أنزل الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . . فإن النبي ﷺ ذكر من صفة الجنة والنار وصفة عذاب القبر ، وحثَّنا علىٰ سؤال الجنة ، والاستعاذة من النار ومن عذاب القبر . وأخبر ﷺ بأنه ليس في الدنيا ولا في الآخرة إلا الأسماء ، وأن ما في الآخرة أو في البرزخ لا يطلع عليه أهل الدنيا ، فمن ذلك قوله ﷺ : «**قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**» .

وقال رسول الله ﷺ : «**لو أن قطرة من الزقوم قطرة في دار الدنيا لأفسدت على الأرض معائشهم**» .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب**» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي اللون لون الدم والريح ريح المسك**» .

فما كان في الآخرة قضى الله تعالى ألا يراه ولا يسمعه ولا يشمه أهل الدنيا من أجل عمارة هذه الدنيا والعيش فيها . فاتقوا الله أيها المسلمون إذا سمعتم شيئاً فزنوه بموازين الشريعة ، فإن وافقها فهو مقبول وإن خالفها فهو مردود مهما كان القائل .

وصلوا على البشير النذير .

﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣٦)

نعمة الإسلام وخطط الأعداء لمقاومتها

الحمد لله رب العالمين . (يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ **إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير** ﴾ .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﴿ **عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه المطهرين من الأدناس ، خيرِ القرون وخير الناسِ ، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الحساب .

أما بعد . . فإن أعظم نعمة يرفل فيها الْمُنْعَمُ عليهم نعمه غفل عنها بعض الناس وهي نعمة الإسلام فلله الحمد والمنة وله الشكر والثناء الحسن إذْ هدانا للإسلام وما كنا لنتهدي لولا أن هدانا الله . اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة . اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين . اللهم اجعلنا من أتباع نبينا محمد ﷺ ومن المستحقين لشفاعته ومن حزبك المفلحين .

إن نعمة الإيمان عليك أيها المؤمن لا يعدلها نعمة ولا يضاهيها منَّة ، فالإيمان يجعل للإنسان المخلوق من الطين ، ثم من الماء المهين يجعل له دوراً كبيراً في هذا الوجود ، ينطلق بأفكاره وتصوراته إلىٰ التفكر في هذا الوجود ، وإلىٰ إدراك حقائق الأمور علىٰ واقعها . وبتأمل نتائج الأمور ومضارها وفوائدها فلا تغلبه الشهوات . ولا تؤثر فيه الإرجافات والدعايات ، ولا تخرجه عن إيمانه المغريات .

فإذا غلبت الناس شهواتهم إذا بالمؤمن يتقي الله بإيمانه بأن الله يسمعه ويراه . وأن حوله ملائكة الله يكتبون الحسنات والسيئات وإذا انتهىٰ الناس في أعمالهم إذا بالمؤمن يستأنس بقرب الله فيكون قلبه ممتلئاً من خشية الله ولسانه رطباً من ذكر الله ، ويؤدي عمله لله ومن أجل الله .

وإذا اشتغل الناس بلهو الحديث والمسليات إذا بالمؤمن في طاعة الله ومن هذا التصور يستمد المؤمن موازين للحياة وأعمالها ، ويمضي في حياته طيب النفس مأنوس الضمير . إن أصابته سَرَّاء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، فالذي خلق الإنسان أرحم به وأرحم منه فلم يخلق عبثاً ولن يترك سدىٰ .
﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١١٥]
﴿ **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً** ﴾ [آل عمران : ١٩١] ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ**

الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ [الأنبياء] .

والمؤمنون في الدنيا على ثلاثة أصناف . أعلاها الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

الصنف الثاني: الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم .

الصنف الثالث: الذي إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل . سواء كان الطمع في مال أو عرض أو منصب . وكما أن الإيمان مجبول في الإنسان والمؤثرات تغير الفطرة فالأبوان لهما دور مهم في تنشئة الولد وتعليمه وتربيته والمحافظة على فطرته ، وتنبيهه على بعض الأشياء وفتح ذهنه لإدراك بعض الأمور . فإن كانا مستقيمين استقام ولدهما .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول قال رسول الله ﷺ : «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**»(١) وذكر ابن كثير عن الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليهما عن الأسود بن سريع وفيه فقال (**كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها**) .

فالدين والفطرة مرتبطان وكلاهما ثابت لا يتغير وإنما تغير الأموال والأفعال والصفات . فلا يرد الناسَ إذا انحرفوا إلا هذا الدين .

---

(١) رواه مسلم : ٤/ ٢٠٤٧ كتاب القدر .

ويلاحظ أن بعض الآباء يحرص على ضبط الولد إذا كان سنه أقل من خمس عشرة سنة . فإذا بلغ رفع عنه الرعاية . وهذا من أقبح الخطأ لأن الشاب والشابة أحوج ما يكون للرعاية والملاحظة وحسن التربية بعد البلوغ . كما يلاحظ أن الأولاد يكونون في طوع التربية إذا كانوا دون البلوغ . فإذا راهقوا وبلغوا اشتدوا على المربي وهذا شيء معروف فإن الشاب عند البلوغ تتحرك فيه قوة الشباب وتثور فيه الرغبات والشهوات فيخيل إليه أنه يستطيع أن يخرق الأرض وأن يبلغ الجبال طولاً وأنه لا يجاريه أحد وخاصة إذا أعطاه الله صحة وأعطاه أبوه كل ما يطلب فلا ينظر في الحال ولا يفكر في المستقبل . وهذه مفسدة للولد يجب على الآباء أن يحذروها ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** (٢٩)﴾ [الإسراء] . وهناك ما هو أشد من هذا ، فقد بلغني ممن أثق به أن بعض الآباء يكافئون أولادهم على النجاح ذكوراً وإناثاً بإتاحة السفر لهم إلى بلاد تختلف عاداتها ونظامها عن ديننا وتقاليدنا الإسلامية . فلا صلاة فيها ولا أخلاق ولا بِرَّ ولا صلة . ولا حلال ولا حرام ، بل كل ما تشتهيه أنفسهم حلال ، والمغريات متوفرة وأسباب الخلاعة والتحلل مبذولة .

والتخطيط اليهودي والنصراني على أشده ، والشباك لصيد أبناء المسلمين منصوبة ، فيرجع بعض الأولاد قد تأثر بما شاهده وبما عاش فيه أياماً . فلا يعرف لله وقاراً ولا يعرف للأبوين براً ولا لأقاربهم صلة ، ولا لكبير احتراماً ، قد انسلخ من الدين فلا يُحل حلالاً ولا يحرم حراماً . قد أعجب بتلك البيئة المتحللة وخرج على

دينه وعشيرته وأخلاقه . خسر الأب أمواله وولده وباء بإثم أعماله وأقبح من ذلك فعلاً وأشد خطراً وتعرضاً لسخط الله ونقمته الذي يسافر بزوجه وأبنائه وبناته إلىٰ بلاد عرف فيها سقوط الأخلاق والتحلل ، فيذهب الأب برفقة الشيطان ، ويذهب الأولاد والبنات مع كل واحد قرين من أبناء إبليس إلىٰ ما يغضب الرحمن . فراغ وشباب وأموال . ومنظمات تتمنىٰ قنص أولاد المسلمين فما هي النتيجة : أمور تبلغنا أُنَزِّهُ هذا المقام من ذكرها .

إن الأب والأم مسئولين عن أولادهما ذكوراً وإناثاً مسئولية كاملة ما داموا تحت ولايتهما وفي بيتهما .

في الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهل ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته**»(١) .

ولكن نعرف أن هناك مخططات معادية للإسلام والمسلمين وتُبذلُ أموالٌ لإسقاط أخلاق أبناء المسلمين ، وأن هذه المنظمات تتخذ من بعض وكالات الطيران والمكاتب السياحية وسيلة لتنفيذ برامجها ، تأملوا ما نشرته إحدىٰ الصحف اليومية في عددها الصادر يوم السبت ، الخامس من شهر صفر هذا العام ، تحت

---

(١) رياض الصالحبن : ١٣٥ قال النووي متفق عليه .

عنوان (خطط للإجازة مع وكالة (كذا) للطيران الدولي وهي في جدة جعلت برامج مخفضة الأسعار لإغراء الشباب إلى السفر إلى تلك الأماكن . مدتها سبعة أو ثمانية أيام . ولنأخذ مثلاً من برنامجهم نعرف به الأهداف . جاء في الجدول : لندن ثمانية أيام بمبلغ أربعين ومائتين وأربعة آلاف ريال داخل فيها أجرة الطيران ذهاباً وإياباً . وأجرة السكن والمعاش والتنقلات ، بينما المعروف أن قيمة التذكرة من جدة إلى لندن وحدها ذهاباً وإياباً بمبلغ ثمانية وأربعين وتسعمائة وأربعة آلاف) فقيمة برنامجهم محفولاً مكفولاً أرخص من قيمة التذكرة العادية بمبلغ ثمانية وسبعمائة ريال فمن أين أتى ذلك المكتب أو تلك الوكالة بالفرق وأجرة السكن ومقابل الطعام والشراب والخدمة والتنقلات . المعروف أن الوكالات إنما تفتح للربح لا للخسارة ولكنها ربحت دنيا من جهة (ما) وخسرت الآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

وبما نفسر هذا البرنامج الميسر ، وهذا التشجيع السافر .

إنني لم أر في برنامجهم المخفض تنظيم رحلات للعمرة ولا لزيارة مسجد رسول الله ﷺ ، لم أر في برنامجهم الميسر دراسات إسلامية ، وتعليم التاريخ الإسلامي في بلاد الإسلام ، ولا لدراسة اللغة العربية في بلاد العرب .

فاتقوا الله أيها المسلمون . اتقوا الله يا شباب الإسلام . اتقين الله يا شابات الإيمان .

اتقوا الله يا وكلاء السياحة والطيران .

من يضمن عودة المسافر إلى بلاد الإيمان .

من يضمن طول الحياة حتى يتوب العاصي إلى الله .

من يضمن أن الله لا يطبع على قلب من عصاه متعمداً .

كم من شاب وشابة ماتا في سفرهما .

كم من شاب وشابة طبع الله على قلبيهما .

كم من شاب وشابة خرجا عن طاعة أبويهما . فاتقوا الله يا أبناء ويا بنات إلاسلام .

حافظوا على إيمانكم حافظوا على أخلاقكم حافظوا على مصدر قوتكم وعزتكم .

حافظوا على المميزات التي جعلها الخالق لكم ، احذروا أعداءكم .

عفوا تعف نساؤكم ، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم .

﴿ يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكن وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . يحب التوابين ويحب المتطهرين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد . . فإن الإسلام حث على أسباب التآلف والترابط ونهى عن أسباب التنافر والتباعد ، فحث على النظافة وإزالة ما تعلق به الروائح . ونهى من أكل ثوماً أو بصلاً أن يقرب مصلى المسلمين . وفي نحوه الدخان الذي يعلق بالفم وبالثياب بل هو أخبث من الثوم والبصل وفيه ضرر . وأمر ﷺ بالغسل يوم الجمعة ، وحث على سنن الفطرة .

روى مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**عشر من الفطرة، قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء أي الاستنجاء**» ولعل العاشرة المضمضة . ومن هنا أُوصي إخواني العمال وأصحاب الحرف بالنظافة وإزالة الشعور التي تمسلك الروائح في الإبطين وحول

الفرجين فقد أخبرني أكثر من واحد بأنه يتأذىٰ من مجاورة مهملي نظافتهم ، فاتقوا الله أيها المؤمنون ، عليكم بأسباب الألفة والتآخي . واحذروا أسباب الفرقة والتنافر .

﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣٧)

صلح الحديبية

الحمد لله رب العالمين . ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا**﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مدح الصحابة رضي الله عنهم ووعدهم ورضي عنهم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أكمل به الدين وأتم به النعمة وهدىٰ أمته صراطاً مستقيماً .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فلما أمر رسول الله ﷺ بكتابة الصلح بينه وبين سُهيل بن عمر مندوب أهل مكة ، قال ﷺ : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لا تكتب لو أشهد أن رسول الله لما قاتلتك ولكن اكتب اسمك وسم أبيك . فرد الله علىٰ سهيل والمشركين . وربط علىٰ قلب حبيبه وخليله محمد بن عبد الله ﷺ ، ووَصف رسوله بما اشتمل علىٰ كل وصف جميل فقال سبحانه في آخر سورة الفتح ﴿**محمد رسول الله**﴾ أي هو رسول الله سواء آمن به سهيل والمشركون أم كفروا . وهو رسول الله سواء آمن به الشرق

والغرب أم كفروا .

وهو رسول الله سواء حُكِمَ بشريعة المسلمين أم بَدَّلُوا وغَيَّروا وهو رسول الله على أي حال من الناس . ودين محمد ﷺ ظاهر على كل الأديان حتى بعد انحسار نفوذه عن بعض البلاد ، فهو الدين القوي بذاته القوي بطبيعته . لما فيه من الاستقامة مع الفطرة . ولما فيه من تلبية لحاجات العقل والروح وحاجات العمران والتقدم والتصنيع وحاجات البيئات المختلفة . وما من صاحب دين غير الإسلام ينظر إلى الإسلام نظرة مجردة من التعصب والهوى إلا ويقر بشمول هذا الدين وكماله واستقامته وقوته .

ـ ثم أثنى الخالق تعالى على أصحاب رسول الله ﷺ ورسم أبرز صفاتهم التي هي الأساس لبقية الصفات وهي أساس النصر والتمكين وهي أساس الغلبة والظهور ، وهي مقتضى الإيمان والتقوى ، فقال القوي العزيز : ﴿ **وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الفتح : ٢٩] فقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ مَعَهُ** ﴾ أي مع رسول الله ﷺ على دينه وملته وجهاده ودعوته بخلاف المنافقين فلم يكونوا مع الرسول ﷺ بل هم أعداؤه يتربصون به الدوائر عليهم دائرة السوء .

وقوله : ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ كقوله : ﴿**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله[1]: وهذه صفة المؤمنين يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار ، رحيماً براً بالأخيار . غضوباً عبوساً في وجه الكافر ، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن . كما قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة**﴾ وقال ﷺ : «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» ، وقال ﷺ : «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**» .

هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ أشداء على الكفار ـ وفيهم آباؤهم وإخوانهم وذو قرابتهم ـ . فغلبت أخوة الدين على أخوة النسب كله لله ومن أجل الله . يشتدون على الكفار من أجل الله ، ويتراحمون بينهم لله ، فأصحاب رسول الله ﷺ يقيمون عواطفهم ومشاعرهم من أجل العقيدة ، والشدة على الكفار هي الشدة في قتالهم كما قال تعالى : ﴿**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**﴾ وقوله : ﴿**وليجدوا فيكم غلظة**﴾ كما أن أحكام الشدة تختلف بحسب ما تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين ، وكما تقتضيه نصوص الشريعة ، فتكون واجبة وتكون مندوبة وتكون مباحة ، جارية على مختلف الأحوال[2] ، ومن صفات الصحابة

---

(١) ابن كثير : ٤/ ٢٠٤ .

(٢) التحرير : ٢٦/ ٢٠٤ .

رضي الله عنهم قوة اتصالهم بالله ، خوفاً وطمعاً فهم يكثرون من الصلاة ومن الطاعات والأعمال الصالحة مخلصين لله محتسبين ما عند الله .

﴿ **تراهم ركعاً سجدا** ﴾ وكأنَّ هذه الصفة لازمة لهم في كل الأوقات وإنما هي العبادة والتهجد في جوف الليل وتلاوة القرآن ، والخطاب في قوله تعالىٰ تراهم لم يكن لمعيَّن وإنما هو للسامع مطلقاً ، فمن تمكن من رؤيتهم رآهم ركعاً سجداً .

وقوله : ﴿ **يبتغون فضلا من الله ورضوانا** ﴾ إنهم موحدون لله مخلصون العمل لله لا يرجون أحداً سواه . ولا يريدون من مخلوق جزاء ولا شكوراً .

إنما هم محتسبون بعملهم ما عند الله ، جزيل الثواب وهو الجنة وهي أعلىٰ المطالب ، ويرجون رضاء الله وهو غاية المآرب وأكبرها . كما قال تعالىٰ : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)** ﴾ [التوبة] وقوله : ﴿ **سيماهم في وجوهم من أثر السجود** ﴾ السيما العلامة واختلف المفسرون في المراد بهذه السما ثلاثة أقوال لا منافات وإنما هي من اختلاف التنوع . القول الأول السيما : حسن السمت ووضاءة الوجه مع صفرة تنشأ من السهر في التهجد وتعب القيام والخوف من مقام الله ووعيده . الثاني : أن السيما تكون يوم القيامة بياض

في الوجه كالقمر ليلة البدر . القول الثالث : أن السيما أثر مُشاهد يحصل في الجبهة في طول وضعها على الأرض ، وتكراره[1] يحصل من غير قصد لحصوله بخلاف الآثار التي تحصل بالتكلف والمعالجة لإيجاد الأثر فإنه لا يكون معه نور ولا بهاء ولا خشوع ، وفرق بين النوعين ، روي عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ما أسرَّ أحد سريرة إلا أبداها الله تعالىٰ علىٰ صفحات وجهه وفلتات لسانه فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالىٰ أصلح الله ظاهره للناس ، وأصحاب رسول الله ﷺ كلهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم ووقارهم وخشوعهم ، وروي عن الإمام مالك رحمه الله قال بلغني أن النصارىٰ كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين .

وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة مُعظَّمةٌ في الكتب المنزلة السابقة والأخبار المتداولة ، ولهذا قال تعالىٰ : (**ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم (في مصداق البشارة بالنبي صلي الله عليه وسلم وباصحابه) في الإنجيل كزرع أخرج شطأه**) أي فراخه ﴿**فآزره**﴾ أي شده وقواه ﴿**فاستغلظ**﴾ أي طال وشب وقوي .

فكذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فكان عليه الصلاة والسلام حين بدأ بالدعوة إلىٰ دينه فرداً فأجابه الواحد بعد الواحد حتىٰ قوي

---

(١) ابن كثير : ٤/ ٢٠٤ .

أمره ، وتكاثر الصحابة ونشروا الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

وكل أصحاب رسول الله ﷺ الذين معه مؤمنون ثقات عدول وعدهم الله كلّهم مغفرة وأجراً عظيماً ، فليست ﴿**من**﴾ في قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما**﴾ ليست للتبعيض ، فهم كلهم مؤمنون وإنما هي للجنس مثل قوله تعالىٰ : ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان**﴾ . أي فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثان . فقد أثنىٰ الله تبارك وتعالىٰ علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ ومدحهم ورضي عنهم ووعدهم بالجنة فمن تنقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد علىٰ رب العالمين . وأبطل شرائع المسلمين . بلغ الإمام مالك رحمه الله أن رجلاً يتنقص أصحاب رسول الله ً فقرأ مالك هذه الآية ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ حتىٰ بلغ ﴿**يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار**﴾ .

وقال رحمه الله من كان في قلبه غيظ علىٰ أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية (١) .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : «**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً لم يدرك مُد أحدهم ولا نصيفه**» .

---

(١) القرطبي : ٨/ ٢٩٧ .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وفي سنة سيد الأولين والآخرين . وانفعنا بما فيهما من الأحكام والتبيين ، واغفر لنا ولآبائنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . اصطفىٰ الله رسوله واختار أصحابه لشد أزره والنهوض بدعوته وتبليغها من بعده .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾ .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيدنا وسيد الخلق أجمعين .

اللهم صل وسلم علىٰ محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن اقتفىٰ أثره وعمل بشريعته .

أما بعد . . فقد ذكر القرطبي رحمه الله في التفسير عن عويمر ابن ساعدة قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله عز وجل اختارني واختار لي أصحابي ، فجعل منهم وزراء وأختانا وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . ومتى أُلحق واحدٌ منهم تكذيباً فقد سُب لأنه لا عار ولا عيب بعد الكفر من الكذب**» .

فالصحابة كلهم عدول أولياء الله تعالىٰ وأصفياؤه وخيرته بعد أنبيائه من خلقه . وهذا مذهب أهل السنة والسلف الصالح ، فلا يبحث عن عدالتهم لأنها محققة ثابتة بالكتاب والسنة .

(١) القرطبي : ٨/ ٢٩٧ .

وصلوا على البشير النذير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [الأحزاب: ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣٨)

صلح الحديبية والفتح المبين

الحمد لله رب العالمين . أتقن كل شيء صُنعاً ووسع كلَّ شيء علماً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أعطاه ربه فتحين كبيرن ذكرا في القرآن المبين .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديه واتبع سبيله .

أما بعد : فإن في القرآن الكريم سورة يتبادر إلىٰ ذهن بعض الناس معنىٰ غير ما صحت به الروايات وهي قوله تعالىٰ : ﴿**إنا فتحنا لك فتحا مبينا**﴾ فيظنه بعض الناس فتح مكة والصحيح أنه صلح الحديبية سنة ست من الهجرة وهو حدث عظيم فيه مصالح للإسلام والمسلمين وفتح مبين كما قال سبحانه وتعالىٰ (فجعل من دون ذلك فتحا قريباً - أي دون تحقيق الرؤيا وقال سبحانه (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) أي صلح الحديبية . أما فتح مكة

فهو المذكور في سورة النصر ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ في شهر رمضان سنة ثمانية أما قصة صلح الحديبية فبعد أن رأىٰ رسول الله ﷺ في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بها ففرحوا كثيراً .

وفي آخر سنة ست من الهجرة خرج رسول الله ﷺ في شهر ذي القعدة معتمراً وساق معه الهدي . وصحبه أربعمائة وألف من المهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين فلما وصل الحديبية جهة أسفل مكة قرب حدود الحرم بركت ناقته ﷺ فقال الناس خلأت الناقة أي حرنت ، فقال ﷺ ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة .

لا تدعوني قريش اليوم إلىٰ خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها .

ولم يكن في آبار ذلك المكان ماء فأخرج ﷺ سهماً من كنانته وأمر رجلاً من أصحابه أن يغرسه في قعر إحدىٰ الآبار ، ففعل فجاش بالرواء حتىٰ ضرب الناس عنه بعطن . وأخذت قريش ترسل الرسل إلىٰ النبي ﷺ تسأل عن أمر مجيئه فيخبرهم بأنه جاء معتمراً زائراً للبيت معظماً حرمته ومعه الهدي وأنه لم يرد حرباً .

وكُلُّ رسولٍ من قريش يخبر قريشاً بما شاهده وبما قاله رسول الله ﷺ فلا يصدقونه . وبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ليخبر

قريشاً بما جاء له . واحتبسوا عثمان عندهم فشاع أنهم قتلوه فقال رسول الله ﷺ لا نبرح حتىٰ نناجز القوم فدعا الناس إلىٰ البيعة فبايعوه تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان ثم تأكد ﷺ أن عثمان لم يقتل .

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو من بني عامر بن لؤي ليصالح رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم . فتراجعا وجرىٰ الصلح ولم يبق إلا الكتابة ، فقال عمر لرسول الله ﷺ ألست برسول الله ؟ قال : بلىٰ . قال : ألسنا بالمسلمين ؟ قال : بلىٰ . قال : أليسوا بالمشركين ؟ قال : بلىٰ . قال فعلام نعطي الدنية في ديننا . فقال نبي الرحمة ﷺ أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني ، فتراجع عمر وخاف أن ينزل فيه قرآن . ثم دعا رسول الله ﷺ عليا بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له اكتب فكتب الصلح بإملاء رسول الله ﷺ فوافقه سهيل بن عمر ، وفيه اصطلحا علىٰ وضع الحرب عن الناس عشر سنين علىٰ أنه من أتىٰ محمداً من قريش بغير إذن وليه رده إليه . ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه . وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وعلىٰ أنه إذا كان العام القابل خرجوا من مكة فدخلها محمد بأصحابه ومعه سلاح الراكب السيوف في القُرُب وكان أصحاب رسول الله ﷺ لما خرجوا للعمرة ظنوا أن هذا تحقق الرؤيا فلما صُدوا عن البيت ورأوا ما تحمل رسول الله ﷺ في موافقة سهيل بن عَمْرٍ دخل علىٰ

الناس أمر عظيم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ ألست أخبرتنا بالرؤيا قال بلىٰ وهل قلت لكم هذه السنة قال لا قال : لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله وفي أثناء كتابة الصلح جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يَرْسُفُ في الحديد قد انفلت من المشركين فقال أبوه سهيل بن عمرو يا محمد قد لجَّت القضية بيني وبيك (أي تمت) قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فلطم سهيل ابنه أبا جندل مع وجهه وأخذ ينهره بتلابيبه ويجره ليرده إلىٰ قريش ، فصرخ أبو جندل يا معشر المسلمين أأرد إلىٰ المشركين ليفتنوني عن ديني فزاد ذلك ما في نفوس الصحابة . فقال الرؤوف الرحيم بأمته ﷺ يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم علىٰ ذلك . وأعطونا عهد الله . وإنا لا نغدر بهم .

فلما فرغوا من كتابة الصلح نحر رسول الله ﷺ هديه وحلق رأسه وحل إحرامه . فاقتدىٰ به المسلمون .

ورجع ﷺ ومعه المسلمون إلىٰ المدينة فأنزل الله سكينته علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين . وذهب ما كان في نفوسهم وازدادوا إيماناً مع إيمانهم ، وفي أثناء الطريق أنزل الله علىٰ رسوله ﷺ قوله : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح : ١ - ٣] فلما قرأها علىٰ

أصحابه قالوا هنيئاً لك يا رسول الله بيَّن الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله ﴿ **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ [**الفتح** : ٥] .

فصُلْح الحديبية فتح بين لما فيه من المصالح ، غفر الله لنبينا ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وبويع بيعة الرضوان . وفيه شد عزائم الصحابة لثباتهم ، ومشى الناس بعضهم مع بعض وعلموا وسمعوا من كلام الله وكلام رسوله ﷺ فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه . وأُطعموا نخل خيبر ، وظهر الروم على فارس ففرح المؤمنون بنصر أهل الكتاب على المجوس .

فقوله تعالى : ﴿ **وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ** ﴾ أي في الدنيا والآخرة .

﴿ **وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾ أي بما شرع لك من الشرع العظيم والدين القويم . ﴿ **وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا** ﴾ أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء في الحديث : «**وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله عز وجل إلا رفعه**» وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما عاقبتَ أحداً عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وفي الآية بشارة للنبي ﷺ بأن الله سينصره على الذين صدوه عن البيت .

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة بعد الصلح أتاه أبو بصير عتبة بن أسد[1] وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهرُ بن عبد عوف والأخنس ابن شَرِيق إلىٰ رسول الله ﷺ يطلبان رده وبعثا رجلا من بني عامر ومعه مولىٰ لهم . فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإنَّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً فانطلق إلىٰ قومك)قال يا رسول الله أتردُني إلىٰ المشركين يفتنوني عن ديني قال (يا أبا بصير انطلق فإن الله تعالىٰ سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً) . فانطلق معهما حتىٰ إذا كان بذي الحليفة جلس إلىٰ جدار وجلس معه صاحباه . فقال أبو بصير للعامري أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ قال : نعم . قال : انظر إليه قال انظر إن شئت ، قال فاستله أبو بصير ثم علاه به حتىٰ قتله وخرج المولىٰ فزعاً وأتىٰ رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال قتل صاحبكم صاحبي ، فجاء أبو بصير متوشحاً بالسيف فقال يا رسول الله وفتْ ذمتك وأدىٰ الله عنك أسلمتني القوم وامتنعت بديني أن أفتن فيه . فقال رسول الله ﷺ (ويل أمة مِحَش حرب لو كان معه رجال) ، ثم خرج أبو بصير حتىٰ نزل بالعيص بطريق قريش إلىٰ الشام فخرج المستضعفون في مكة إلىٰ أبي بصير بالعيص فاجتمع منهم قريبٌ من سبعين رجلاً ، فضيقوا

(١) سير ابن هشام : ٣/ ٣٣٧ .

علىٰ قريش لا يظفرون بأحد إلا قتلوه . ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها ، فكتبت قريش إلىٰ رسول الله ﷺ تسأله بأرحامها إلا آواهم فقدموا المدينة وهذا فرج من الله ومخرج .

وهاجر نسوة من مكة إلىٰ رسول الله ﷺ فطلبت قريش ردهن ، فأنزل الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ** ﴾ [**الممتحنة** : ١٠] فأبىٰ رسول الله ﷺ ردهن ورد الرجال اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . الخ

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . نصر عبده وأعز جنده .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد . . ففي شهر ذي القعدة سنة سبع من الهجرة في الشهر الذي صدَّ فيه المشركون رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت خرج ﷺ إلى مكة معتمراً عمرة القضاء ، فلما أقبل خرج رؤوس الكفر وبقي الباقون ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فحل عمرته وبقي ثلاثاً حسب الصلح وخرج منها وهذا تحقيق لرؤيا النبي ﷺ ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [**الفتح** : ٢٧] .

والرؤيا قد لا تقع إلا بعد زمن فيوسف عليه السلام رأى وهو صغير ولم يقع تأويلها إلا بعد أن بلغ أشده وتولى خزائن الأرض في مصر وقدجاء الله بأبويه وإخوته من البدو .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [**الأحزاب**: ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٣٩)

الإسلام وتنظيم الاسرة

الحمد لله رب العالمين . خلق الإنسان على فطرةٍ توافق المنهج القويم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣)** ﴾ [**الأعلى** : ٢، ٣] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﴿ **النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ** ﴾ [**الأعراف** : ١٥٨] من اتبعه أفلح واهتدىٰ ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)** ﴾ [**طه** : ١٢٤] .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد صلاة وسلاماً متلازمين دائمين ما دام الليل والنهار .

أما بعد . . فإن الإسلام نظم الأسرة المسلمة وبناها على أساس ثابت من خصائص الفطرة السليمة ، بتشريع عادل يوفر الرعاية والحماية من التأثيرات الطارئة على الحياة الاجتماعية أقام العلاقات بين الأفراد والجماعات على أساس الإيمان والتقوىٰ ، وربط جميع الصلاة بحبل الله المتين الذي لا ينقطع وأمسكها بعروته الوثقىٰ التي لا تنفصم فالمجتمع المسلم الحقيقي هو الذي تكون

علاقاته لله ومن أجل الله ، والإسلام يهذب النفس ويطهرها ويزكي الأخلاق وينظمها بربط أعمال المسلم وسلوكه بالله وبإخلاص القصد والعلم لله . فأمر بتوحيد الله وبالمحافظة على الكتاب والسنة ، وأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى . وبالتآخي والتعاطف والتعاون والتراحم وحفظ الحقوق وأداء الأمانات ، وحث على الصبر ومجاهدة النفس والشيطان وعلى التناصح وتعظيم حرمات المسلم وعلى التواضح والصدق وستر عورات المسلمين وإقالة عثراتهم ورغب في العفو والصفح والتسامح والإصلاح بين الناس وغير ذلك من فضائل الإسلام .

ونهى عن الخبائث والرذائل وأسباب الفرقة فنهى عن الظلم والخيانة والقطيعة وعن أكل أموال الناس بالباطل . وعن الجهر بالسوء إلا من ظلم ، وعن النجوى بالإثم ، وعن الفحشاء والمنكر ، وعن الكبر والفخر وسيء القول ، وعن الغيبة والنميمة وعن الحقد والحسد والإفساد في الأرض ، وعن أكل مال اليتيم ظلماً وعن الربا ، وعن اليمين الكاذبة وشهادة الزور وقد علم الله ضعف الإنسان .

وقد علم الله أن سيكون من البشر تقصير وإهمال وغفلة ، واستسلام في بعض الأحيان لبعض الدوافع والأماني والمغريات ، ففتح باب التوبة على مصراعيه لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾ .

وروىٰ مسلم عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن اله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** » .

ومتىٰ وقع المسلم في المعصية فإنه لا يَخْرج من الملة ، ويكره لعنه أو الدعاء عليه بالخزي ، قال البخاري رحمه الله باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة . وذكر بسنده حديثاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً علىٰ عهد النبي ﷺ اسمه عبد الله ، وكان يلقب حماراً . وكان يُضحك رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأُتي به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتىٰ به فقال النبي ﷺ لا تلعنوه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله . وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أُتي النبي ﷺ بسكرانَ فأمر بضربه فضرب . فلما انصرف قال رجل ماله أخزاه الله . فقال رسول الله ﷺ : «**لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم**» قال في فتح الباري : يكره اللعن إذا قصد به محض السبب ، أما إن قصد اللاعن المعنىٰ الأصلي وهو الطرد ، والإبعاد عن رحمة الله فهو محرم .

وأما حديث لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده ففيه لعن غير معين . والنهي عن لعن المعين .

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن**» ، فإن الجمع بين النصوص يقتضي نفي كمال الإيمان لا أن الكبيرة غير الشرك تخرج من الإيمان جملة

ومقتضىٰ النصوص الشرعية أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

ولا يُكفَّر أحد بذنب ومن تاب ، تاب الله عليه ومن مات علىٰ معصية فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له . إلا الشرك فقد قال جل ثناؤه في سورة النساء ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً**﴾ [**النساء** : ١١٦] .

إن الإسلام أنقذ البشر من أعباء الجاهلية الأولىٰ ، وهو وحده هو المنهج الذي يستطيع أن ينقذ البشر من الجاهلية المعاصرة فماذا يقول أعداء الإسلام في منهج الله العادل ، ماذا يقول أعداء الشريعة في منهجٍ أَكرم الإنسان ورفع مستواه ، ماذا يقول أهل الأنانية والاستبداد والرغبة في السيطرة علىٰ البشر ، ماذا يقولون عن منهج حفظ الحقوق وأعطاها أهلها ماذا يقولون في منهج يربط المخلوق بخالقه ، ويُعرف المرء بِمنْشَئِهِ ومعاده .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تمسكوا بإسلامكم وارجعوا إلى الله والرجوع إلى الله يعني العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي أنزل به الكتاب ، وتحكيم كتاب الله في حياة الناس .

فإن الإنسان وهو من خلق الله . لا تفتح مغاليق فطرته إلا بمفاتيح من عند الخالق جل شأنه ، ولا تعالج أمراضه إلا بالدواء الذي أنزله في محكم كتابه ﴿ **ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ﴾ ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء** ﴾ ﴿ **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** ﴾ .

وهناك طائفة من الكفرة المخادعين يغيظهم ظهور الإسلام لأن رغباتهم وأطماعهم لا تتفق مع تعاليمه ، فهم يبذلون كل طاقاتهم في كبت الإسلام ، وإذلال أهله واستعبادهم ، والوقوف ضد ظهور الإسلام والحيلولة دون قيام دولة إسلامية في أي قطر من العالم . ويكيدون باسم الإسلام للمسلمين المتمسكين بدينهم ، فالله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل فاطلبوا من ربكم التوفيق والسداد والاعانة وافخروا باسلامكم واعتزوا بدينكم .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وألف بين قلوبهم واجمع كلمتهم ووحد صفوفهم وقوشكوكتهم واربط على قلوبهم وشد معنوياتهم وافتح بصائرهم وردهم إليك رداً حسناً والهمهم رشدهم واكفهم شر أعدائهم ، وخذ بأيديهم إلى ما فيه عزّهم واستعادة

مجدهم اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين .

اللهم اخذل الكفرة والظالمين ، وابطل كيدهم وأنزل الرعب في قلوبهم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . يرفع القسط ويخفضه ولا يضيع أجر المحسنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . منه المبتدأ وإليه المنتهىٰ .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الناصح الأمين .

اتللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديه ودعا بدعوته .

أما بعد . . فإن مَنْ عمل طاعة ثم حال الموت بينه وبين إتمامها يُرجىٰ له أن يكتبه الله في الآخرة من أهل ذلك العمل ، فإذا أحرم المسلم بحج أو عمرة ثم حال الموت بينه وبين إتمام نسكه فإنه يبقىٰ علىٰ إحرامه حتىٰ يلقىٰ الله يوم القيامة يلبي ، فَيُجَنَّبُ محظورات الإِحرام .

روىٰ البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : بينما رجل واقف مع رسول الله ﷺ بعرفة إذ وقع من راحلته فوقصته أو قال فأوقصته ، فقال رسول الله ﷺ اغسلوه بماءٍ وسدرٍ وكفنوه في ثوبين ، ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً . وفي رواية لمسلم «ولا تخمروا رأسه ولا وجهه» ،

وفي رواية لمسلم : «وأن يكشفوا رأسه ووجهه» (والوقص كسر العنق) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وصلوا على النبي الكريم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً (٥٦) ﴾ [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٠) (١٤١٤/٢/١٠هـ)

غزوة أحد

الحمد لله رب العالمين . هدانا للإيمان وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً ، فله المنة على هدايته ، وله الحمد على إحسانه وآلائه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأجد الكون بإرادته وسيره بمشيئته ، فكل شيء خاضع لقدرته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله منةُ الله على المؤمنين ، وفضله على الأمين ، ورحمته للعالمين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . . فإن الله تعالى أرسل الرسل ليطاعوا ، كما قال سبحانه : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [النساء : ٦٤] وكتب الله النصر والعاقبل لرسله وأتباعهم كما قال جل شأنه : ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١)** ﴾ [غافر : ٥١] . ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)** ﴾ [الروم : ٤٧] .

ولكن الله تعالى جعل أسباباً للنصر ، فإذا اختل سبب من هذه الأسباب اختل الوعد .

ويتضح ذلك بينا في غزوة أحد . روىٰ البخاري رحمه الله في الصحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة وأمَّر عليهم عبد الله (أي ابن جبير) ، وقال لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا . وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينوا ، فلما لقينا هربوا حتىٰ رأيت النساء يشتددْن في الجبل رفعن عن سوقهن ، قد بدت خلاخلهن فأخذوا (أي الرماة) يقولون الغنيمة الغنيمة ، فقال أميرهم عبد الله ابن جبير : عهد إلي النبي ألا تبرحوا فأبوا فلما أَبَوْ صُرف وجوههم، فقتل سبعون قتيلاً [1] . وقال بعض المفسرين لقد استحر القتل في المشركين حتىٰ ولَّوا الأدبار وتركوا ما وراءهم . وسقط لواء المشركين ، ولم ينقلب هزيمةً للمسلمين إلا حين ضعفت نفوس الرماة أمام حطام الدنيا وتنازعوا فيما بينهم وخالفوا أمر رسول الله ﷺ .

استمعوا قول الله تعالىٰ وهو يصور معركة أحد في آية واحدة ليست طويلة ، قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) ﴾ [آل عمران: ١٥٢] . فبين سبحانه أسباب الهزيمة والحكمة فيها ، ففر

---

(١) صحيح البخاري: ٥/ ١٢٠ـ١٢١ .

رجال الرماة يوم أحد فقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة . ووقع النزاع بينهم وبين أميرهم عبد الله بن جبير ومن ثبت معه ، وانتهىٰ الأمر بالعصيان بعدما رأوا بأعينهم طلائع النصر الذي يحبونه ، فكانوا فريقين ، بعضهم يريد الغنيمة وأيقنوا بالنصر ولم يقع في نفوسهم أن عدوهم يكرّ عليهم . وفريق يريد ثواب الآخرة فثبت ممتثلاً لأمر رسول الله ﷺ وتوزعت القلوب وتشتت الأمر وشابت المطامع جلاءَ الإخلاص .

والمعركة بيده الله ينصر من يشاء ، فلا ينصر إلا من خلصت نفوسهم لله . فما دام المسلمون يرفعون راية الإيمان والتوحيد وينتسبون إليها فإن الله لا يمنحهم النصر إلا إذا طهّرهم ومحصهم ، كي لا يكون هناك غبش ولا تمويه ، وقد ينتصر أعداء الله الذين يحملون راية الباطل في بعض المعارك لحكمة يعملها الله .

والقرآن الكريم يكشف للإنسان خفيات نفسه وخلجات ضميره في أمور لا يعرفها الإنسان من نفسه ، كما قال عبد الله بن مسعود الصحابي رضي الله عنه قال ما كنت أرىٰ أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتىٰ نزل فينا يوم أحد ﴿**منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة**﴾ .

والقرآن الكريم يضع القلوب مكشوفة بما فيها . ويُعرِّف المسلمين من أين جاءتهم الهزيمة ليتقوه مستقبلاً .

وفي الآية الكريمة يكشف الخالق تعالىٰ عن شيء من حكمته وتدبيره وراء هذه الهزيمة ، وهذه الجراح والقتل والآلام التي تعرض لها المسلمون ، فقال : ﴿**ثم صرفكم عنهم ليبتليكم**﴾ . لقد كانت إرادة الله وراء أفعال البشر ، فكان النصر والغلبة والتمكين للمسلمين أول النهار ، فلما عَصَوا أمر رسول الله ﷺ وتنازعوا صرف الله قوتهم وبأسهم وانتباههم عن المشركين . وصرف الرماة عن حماية ظهور المسلمين وصرف المقاتلين عن الميدان فلاذوا بالفرار . فالأسباب من الرماة والإرادة والتدبير من الله ، وذلك لحكمة يعلمها الله ليبتليهم بالخوف والهزيمة والقتل والقرح . فَوَرَاءَ كل حادث سبب ووراء كل سبب تدبير من اللطيف الخبير .

وعناية الله ورحمته قريب من المحسنين ـ ولقد عفا الله عنهم عفا عما وقع من نزاع وعصيان وإيثار الدنيا علىٰ الآخرة ، وعفا عن الفرار فضلاً منه ولطفاً وتجاوز عن ضعف البشر الذي لم تصاحبه نية سيئة ولا إصرار علىٰ الخطيئة ولا خلل في الإيمان والعقيدة .

وحينما يصور القرآن الصفة التي كانوا عليها الصفة الظاهرة ، والصفة الكامنة في النفوس بقوله تعالىٰ : ﴿**إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوهم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم**﴾ . فلكي تصغُر في نفوسهم الغنائم التي فاتتهم ولتعلو نفوسهم فلا تهُمُّهم الجراح والآلام التي أصابتهم . ولكي يصغر في نفوسهم هول الهزيمة وذعرها .

فلما نفذ قدر الله وانهزم جيش المسلمين ثبت رسول الله ﷺ في وجه العدو ومعه اثني عشر رجلاً . وأخذ عليه الصلاة والسلام ينادي أصحابه ليعلموا مكانه وليرد صيحة إبليس عليه لعائن الله بأن محمداً قد قتل ، وجاءت ملائكة تدافع عن رسول الله ﷺ . روى البخاري في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد)(١) .

وكان دعاء النبي ﷺ لأصحابه بعد أن صعدوا ﴿ **أي عباد الله ارجعوا** ﴾ (٢) . والصعود هو الخروج من الوادي مكان المعركة إلى سفح جبل أحد .

وكان ممن استشهد يوم أحد والد جابر بن عبد الله . وترك ديناً كبيراً وست بنات وعبد الله ، فلما حضر جذاذ النخل أخبر جابر رسول الله ﷺ ورجاه أن يحضر عند الوفاء . فقال له رسول الله ﷺ اذهب فبيدر كل تمرٍ على ناحية أي كل نوع على حدة . ففعل جابر فجاء رسول الله فطاف حول أعظمها ببدراً ثلاث مرات ثم جلس عليه وقال ادع أصحابك فما زال يكيل لهم حتى أدى جابر ما على أبيه من دين . قال وإني أنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ كأنها لم تنقص تمرة واحدة (٣) . رواه البخاري .

---

(١) البخاري : ٥/ ١٢٤ .

(٢) القرطبي : ٤/ ٢٤٠ .

(٣) البخاري : ٥/ ١٢٣ .

فاتقوا الله أيها المسلمون . فإذا كانت هذه حال الصفوة المطهرة وأصحابه يوم أحد بسبب مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ وبسبب النزاع بينهم .

فما بالكم بمن بعدهم . فعلى المسلمين في أي مكان أن يوقنوا بنصر الله ، وفي نفس الوقت يجب عليهم النظر في أعمالهم وسلوكهم وطاعتهم رسول الله ﷺ وطاعتهم لقادتهم ، فإن تأخر النصر لحكمة يعلمها الله بسبب أعمالهم وسلوكهم فليُصححوا من أنفسهم وليوقنوا بأن الله قادر على نصرهم ، والمطلوب من المسلمين في كل مكان التمسك بتعاليم الإسلام ظاهراً وباطناً ، والصبر والتقوى والثبات والطاعة ونبذ الخلاف والنزاع . ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)** ﴾ [**الأنفال** : ٤٥ ، ٤٦] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، استغفروا ربكم وتوبوا إليه ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فأوصيكم وإياي بتقوى الله . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٣ ، ٣٤] .

وأكثروا من الصلاة والتسليم على النبي الكريم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤١)

الكعبة بيت للتوحيد

الحمد لله رب العالمين . له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . خلق بقدرته وصرَّف الأمور بحكمته ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير الأنام وخير من حج البيت الحرام .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . . ففي هذه الأيام المباركة تهوي أفئدة من الناس إلى بيت الله الحرام استجابة لداع الله ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [**آل عمران** : ٩٧] وتلبيةً لنداء إبراهيم عليه السلام . ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧)** ﴾ [**الحج** : ٢٧] تهوي تلك الأفئدة المؤمنة إلى البيت الذي بُني للتوحيد ومن أجل التوحيد الموصوف بصفات الفضل والكمال كما جاء في محكم القرآن وصحيح السنة .

قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ [الحج : ٢٦] ، فالكعبة المشرفة وضعت للناس لتحقيق التوحيد ، ولهذا كان قاصد البيت الحرام يستهل نسكه بالتوحيد فيقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، وتظهر آثار الإخلاص على الملامح فيتجرد من المخيط لله ومن أجل الله .

قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية : هذا أمر بإظهار التوحيد وفي الآية توبيخ لمن أشرك عند البيت (١) .

فيجب على قاصد هذا البيت أن يخلص نيته وعمله لله وأن يقصد بمجيئه إلى البيت الحرام النسكَ المشروعَ يريد به وجه الله والدارَ الآخرة ، فأصل الدين نفي الإشراك بالله . فالبيت إذاً معلم للتوحيد والإخلاص لله .

قال جل شأنه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٦، ٩٧] ، فالكعبة المشرفة أول متعبَّد وضع للهدى وإعلان التوحيد ، فالبيت علم يُعَرِّفُ بالحسَّن على معنى الوحدانية ونفي الإشراك ، فهو جامع للدَّلائل الحنيفية ، وهو محل العناية من الله جلت عظمته فهو أفضل أماكن العبادة في جميع الأزمان والأماكن .

وقوله تعالى : ﴿ مُبَارَكًا ﴾ صفة للبيت فهو مبارك من كل وجه

---

(١) القرطبي : ٤/ ٢٤٠ .

من وجوه الدنيا والآخرة ، فداخله للعبادة مثاب ، والعاكف فيه والطائف والمصلي مثابون ، والحسنة بمائة ألف حسنة ، ورزقه ميسر يُجْبىٰ إليه ثمرات كل شيء بفضل الله وإحسانه ، وأحجار أساسه وضعتها يد إبراهيم عليه السلام ، وقرَّبها إسماعيل ، والحجر الأسود وضعه في مكانه الأمين رسول الله ﷺ ، إنها بركات متتابعة .

وقوله : ﴿هُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ فهذا البيت وضع للتوحيد والهداية، فشُهرته والتسامع به يحمل علىٰ التساؤل عن سبب وضعه ، فيُعلم أنه لتوحيد الله وتطهير النفوس ، وتطهير العبادات فيهتدي بذلك المهتدون ، ويرعوي المشككون ، ولقد كان لنقل شعائر الحج والطواف حول الكعبة وبين الصفا والمروة إلىٰ العالم رؤية وسماعاً أثر كبير في النفوس فلو صاحب المشهدَ دعوة إلىٰ توحيد الله وربط الفطرة المنحرفة بخالقها وبشعائر ربها لاعتدلت .

وقوله تعالىٰ : ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ علامات ظاهرات علىٰ قدرة الله تعالىٰ ووحدانية بالألوهية وتفرده بالأمر والنهي وتعريف الأمور فقد سخر الله الحجر الجماد ليرتفع بإبراهيم في رفع البناء وينزل لأخذ الحجر من إسماعيل . وإلانة الصخر الأصم حتىٰ غاصت فيه قدما إبراهيم إلىٰ الكعبين لتثبته عند الحركة والصعود والنزول .

وتوجه المسلمين إلىٰ الكعبة في أي مكان من المعمورة أحياء

وأمواتاً .

والطواف بالبيت وبين الصفا والمروة . والتلبية والتحميد والتهليل عند البيت ، كلها دلائل ظاهرة واضحة على وحدانية الله وتفرده بالعبادة أيا كان نوعها .

وماء زمزم الذي لا يغيض ولا يفيض طعام طعم وشفاء سقم ، ليس على صفة يستبد به الأغنياء ، ولا على صفة يمله المسلمون هذه آية على كمال حكمة الله وسعة علمه بطبائع خلقه .

وقوله سبحانه : ﴿ **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ** ﴾ والبيت في بلد أمين قد اطرد فيه الأمن في العصور التي كانت الأمور فوضى ، فضلاً عن هذا العصر المبارك الذي ضرب فيه الأمن أطنابه في جميع المملكة العربية السعودية بفضل الله ثم بفضل تحكيم شرع الله ، ومن الأمن ما يسَّره الله لجيران الكعبة والوافدين إليها من طرق الخير ، وما دفع عنهم من الشرور .

ويأمنُ مَنْ دخل عند الكعبة حتى من الحشرات المؤذية .

فيجب على جيران البيت وعلى الوافدين إليه إخلاص النية لله ، وإفراده بالعبادة ، وتحري سنة النبي ﷺ بلا زيادة بحسب المستطاع .

ومن الأمن حفظ الله لبيته ورعايته له وصد الجبابرة والمفسدين عنه ، قال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ**

بأَصْحَاب الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الفيل : ١ - ٥] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] ، لكن من خان الله عند البيت أو عمل عملاً يوجب العقوبة سلط الله عليه من يذيقه سوء العذاب ، كما حصل في فتنة القرامطة .

أو يكون إنسان فعل ما يوجب الحد أو العقوبة فيعاقب ولو كان في الحرم . لأن النبي ﷺ أمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة .

ومن خصوصيات الكعبة أنه يجب على كل مسلم حر بالغ عاقل مستطيع زيارتها في العمر مرة واحدة ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٩٧] . وقد وردت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ بأن الحج يجب على المسلم في العمرة مرة واحدة من استطاع إليه سبيلا .

ومن خصوصيات هذا البيت أن أفئدة المؤمنين تتشوق لرؤيته في حج أو عمرة استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) ﴾ [**إبراهيم** : ٣٧] .

وهذا البيت يتوجه إليه المسلمون في صلاتهم في أي جهة كانوا في المعمورة ، فاستقبال القبلة ركن من أركان الصلاة ، فلا تصح الصلاة إلا باستقبال جهة الكعبة ، قال تعالىٰ : ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** ﴾ [**البقرة** : ١٤٤] .

روىٰ ابن جرير الطبري رحمه الله عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «**البيت قبلة لأهل المسجد . والمسجد قبلة لأهل الحرم ، والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارق الأرض ومغاربها من أمتي**» .

فاتقوا الله أيها المسلمون . احفظوا لبيت الله حرمته . واحفظوا لشعائر الله قدسيتها . واحفظوا لضيوف الله حقوقهم . احفظوا لبلد الله أمنه واستقراره . واحفظوا لجيران رسول الله ﷺ وجيران بيت الله كرامتهم .

﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [**الحج** : ٣٢]

اللهم بارك لنا في القرآن . وانفعنا بما فيه من الذكر والبيان وثبتنا علىٰ الإيمان وارحمنا واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت

الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

حاضر المسلمين

الحمد لله رب العالمين . يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخليله وكليمه .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه نجومِ الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ ، ومن تبعهم بإحسان واهتدىٰ .

أما بعد . . فإن المسلم ليحزن إذا تأمل حال المسلمين . لقد تمالأت عليهم قوىٰ الكفر . وأحاطت بهم عناصر الشر ، وصال الباطل صولته تَفَرَّق المسلمون ، وحرش الأعداء بعضهم علىٰ بعض . وتخاذلوا وتدابروا وتقاطعوا . وأطمَعوا بعضهم في بعض والتخطيط واضح والهدف معروف . اليهود يخططون والنصارىٰ ينفذون ، يضربون المسلمين بعضهم ببعض فإذا ضعفوا تسلط

عليهم أعداء الدين ومثال ذلك مايقع في البوسنة والهرسك وكشمير والهند وغيرها من الأمم الإسلامية والسبب في ذلك بعد المسلمين عن حقيقة إسلامهم . وتخليهم عن منهج ربهم . واقتفائهم آثار أعدائهم . فإذا دخلت بيت المسلم فلا فرق بينه وبين بيت اليهودي أو النصراني وإذا نظرت إلى بعض موائد المسلمين فلا فرق بينها وبين موائد أعدائهم كؤوس محرمة ، ولحوم محرمة ، وإذا تأملت مجتمعاتهم فلا فرق ، اختلاط وتبرج وسفور . وإذا نظرت إلى مدارسهم فنظام أفرنجي ولد وبنت على المكتب ﴿ **نسوا الله فنسيهم** ﴾ ﴿ **نسوا الله فأنساهم أنفسهم** ﴾ إلخ الدعاء . . . .

الخطبة رقم (٤٢) (١٤١٣/٨/٢١هـ)

الساعة والنفخة الأولى

الحمد لله رب العالمين . لطيف بعباده وهو الرحيم الغفور .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . حجب عن أسماع الثقلين أصوات من في القبور .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدىٰ ودين الحق .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه . أهل الفضل والتقىٰ ومن تبعهم واهتدىٰ .

أما بعد . . فماذا أقول أيها المؤمنون حينما أتكلم عن ساعة محتومة ماذا أقول أيها الأخوة في الله حينما أتكلم عن هول عظيم محقق وقوعه تزلزل الأرض وتخرج أثقالها ، وتنشق السماء وتنفطر أرجاءها وتكون الجبال هباء منثوراً تفجَّر البحار وتسجَّر ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج : ٢] . روىٰ الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كان

النبي ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال : «**يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبَعها الرادفة جاء الموت بما فيه**» [1]. وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «**إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**» . وقال لو أكثرتم ذكر هازم اللذات الموت . فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيقول : أنا بيت الغُربة ، أنا بيت الوحدة ، أنا بيت التراب ، أنا بيت الدود[2] تذكر أخي المسلم إذا دخلت هذا البيت وإنما الدنيا متاع مسافر تمضي على ماهي عليه .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ في المسجد فاطلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلا بردة مرقوعة بفرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ بكى للذي كان فيه من النعم والذي هو فيه اليوم ، ثم قال رسول الله ﷺ كيف بكم إذا غدا أحدكم في حُلَّةٍ وراح في حُلَّةٍ ، ووُضع بين يديه صَحْفه ورفعت أخرىٰ ، وسترتم بيوتكم كما تُستر الكعبة ، فقالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نَتَفرغ للعبادة ونُكْفى المؤمنة قال عليه الصلاة والسلام لا بل أنتم اليوم خيرٌ منكم يومئذ [3] .

(١) مشكاة المصابيح : ٢/ ٦٦١ رقم ٥٣٥١/ ١٣ .
(٢) مشكاة المصابيح : ٢/ ٦٩١ رقم ٥٣٥٣/ ١٤ .
(٣) مشكاة المصابيح : ٢/ ٦٩٥ .

وكـان مـصـعب بن عـمـيـر رضي الله عنه أنعم غـلام في مكة وأجوده فَرْوَه . فلما عَلِم أهله بإسلامه أوثقوه فهرب وهاجر فلما استشهد في أحد لم يُخلف إلا ثوباً واحداً فإذا غطوا به رأسه انكشفت رجلاه . وإذا غطوا رجليه انكشف رأسه(١) رضي الله عنه وأرضاه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا كان أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤهم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها**» .

وإذا تأملنا القرآن الكريم وجدناه يسمي الساعة بعدة أسماء بحسب ما تتصف به ، مثل : ﴿**اقتربت الساعة**﴾ لأنها جزء من الزمن . ﴿**إذا وقعت ا لواقعة**﴾ لتحقق وقوعها . ﴿**الحاقة ما الحاقة**﴾ فالوعد والوعيد محقق حصوله . ﴿**والطامة**﴾ لأنها تطم كل أمر . ﴿**والصاخة**﴾ لأنها تصخ الأسماع . ﴿**والغاشية**﴾ لأنها تغشي الناس وتعمّهم . ﴿**والقارعة**﴾ لأنها تقرع القلوب بهولها وتجعل الناس في حيرة وذهول .

والموت صفة انتقالية من الدنيا إلى البرزخ ثم إلى الآخرة فقيامة

---

(١) الاصابة : ٣/ ٤٠٣ .

الفرد بموته ، وقيامة الجيل إذا مات أهل ذلك الزمان ، والقيامة العامة . فناء جميع المخلوقين .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ [**الرحمن** : ٢٦ ، ٢٧]

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر : تسألونني عن الساعة وإنما علمها عند الله وأُقسم بالله ما علىٰ الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حيَّة يومئذ . وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رجال من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسألونه عن الساعة فكان ينظر إلىٰ أصغرهم فيقول إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتىٰ تقوم عليكم ساعتكم(١) .

أيها المؤمنون إن للموت سكرات فاستعدوا لها بالأعمال الصالحات .

روىٰ البخاري رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان بين يدي رسول الله ﷺ ركوة أو عُلبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء ويمسح بهما وجهه ويقول (لا إله إلا الله إن للموت سكرات) (٢) .

---

(١) البخاري : ٨/ ١٣٣ باب سكرات الموت ، فتح الباري ١١/ ٣٦١ رقم ٦٥١١ ، ومسلم : ٤/ ٢٢٦٩ .
(٢) البخاري : ٨/ ١٣٣ .

ثم إذا مات ابن آدم فإما أن يكون مستريحاً أو مستراحاً منه . إما أن يقول قدموني وإما أن يقول أخروه فانظر أيها المسلم من أي الصنفين أنت ، ويتبع ابن آدم إذا نقل إلىٰ قبره ثلاثة ، أهله وماله وعمله ، فيرجع الأهل والمال ويبقىٰ معه عمله فيكون جليسه في قبره فليختر الإنسان جليسه في دار الوحدة والغربة .

روىٰ البخاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقىٰ معه واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقىٰ عمله . ورب ميت لا يتبعه إلا عمله والمحتسبون من المسلمين . فليس له أهل ولا مال .

وهكذا تفنىٰ الأجيال . وأما القيامة العامة فكما قال سبحانه : ﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧)** ﴾ [**النمل**: ٨٧] .

هذه نفخة الفزع يصاحبها الانقلاب الكوني العام الذي تختل فيه الأفلاك وتضطرب دورتها ، فتُكوَّر الشمس وتنكدر النجوم وتسير الجبال كأنها دخان وكأنها هاربة خائفة مذعورة من ذلك الفزع فيطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنىٰ ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون . كل الملوك والرؤساء ودعاة الخير ودعاة الضلال تحت الثرىٰ .

﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ**

نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف : ٤٥]

أخي المسلم إذا عرفت الدنيا ومصيرها وعرفت الإنسان ومآله وأنه راجع إلىٰ ربه يصاحبه عمله ، وإذا عرفت من دين الإسلام أن العمل المؤنس والسبب الموصل ، ما كان صالحاً خالصاً لله صالحاً لموافقته هدي النبي الكريم ﷺ ، وخالصاً لله لاتصال القلب بالله دون من سواه ، فاعلم أن من الأعمال الصالحة تعاطف المسلمين وتراحمهم وإن بعدت الدار وإن عاقت عوائق .

أخي المسلم لك إخوان في الله ، يدينون بدينك ويستقبلون قبلتك ، ويعملون بأركان إسلامك ، ويؤمنون بفرائض إيمانك تسلط عليهم أعداء دينك المجوس في الهند وهدموا المسجد الأثري بابري ، هدموا مسجداً ينادىٰ فيه بالأذان ، وتقام فيه الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام ، فإخوانك المسلمون في الهند في حاجة إلىٰ أخيهم المسلم في هذه البلاد وفي غيرها ، كونوا معهم بكل الإمكانيات .

ولا تنسىٰ إخواننا المسلمين في فلسطين وكشمير ويوغسلافيا ولبنان . وفي الشرق والغرب والشمال والجنوب تسلط عليهم أعداؤهم أعداء إسلامهم ، فكونوا معهم واخلصوا الدعاء لهم ، واتقوا الله أيها المؤمنون وتوبوا إليه وتوكلوا عليه واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين .

اللهم انصر أخواننا في الهند وكشمير على أعدائهم المجوس .

اللهم انصر إخواننا في البوسنة والهرسك على أعدائهم النصارى .

اللهم انصر إخواننا الفلسطينيين على أعدائهم اليهود .

اللهم انصر إخواننا المسلمين في أي بقعة من أرضك . اللهم انصرهم وأيدهم وقو شوكتهم وصوب سهامهم على أهدافهم وسدد آراءهم ، واربط على قلوبهم واجعل قتلاهم شهداء عندك في جنات النعيم .

اللهم هون علينا سكرات الموت . واجعل قبورنا روضة من رياض الجنة وآنس وحشتنا في القبور وارحم غربتنا ، وثبتنا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . له الحمد في الأولىٰ والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم علىٰ البشير النذير السراج المنير نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد . . فقد تنوع كلام الناس في تغطية كفي المرأة في الصلاة ، وأن بعض الناس يقول بوجوب كشفهما ويدعوا إليه ويحاول فيه ، فأحببت أن أنبه علىٰ ما قاله العلماء رحمهم الله ، اختلفوا في وجوب تغطية كفي المرأة في الصلاة . كما ذكر في كتب الخلافيات مثل المغني ج١ ص ٦٠١ بناء علىٰ الاختلاف هل كفا المرأة عورة يجب سترهما أم لا فمن قال بأن الكفين عورة قال بوجوب تغطيتهما في الصلاة ولا تكشف المرأة إلا وجهها فقط ما لم يكن يراها رجال أجانب فتغطيه مثل حال الإحرام .

وأما من قال بأن الكفين ليسا بعورة قال بجواز كشفها في الصلاة ولم أر قولاً بوجوب كشف الكفين ، وإنما الخلاف في جواز كشفهما . وتغطيتهما أفضل وأكمل وأتقىٰ ، فاتقوا الله أيها

المسلمون .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً (٥٦) ﴾ [الأحزاب: ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٣) (١٥/١٢/١٤١٣هـ)

الحج قاعدة من قواعد الإسلام

الحمد لله رب العالمين . ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:١] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، نزّل الذكر وحفظه من الأيدي العابثة والتصورات المنحرفة .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فأُهنئ إخوتي في الله حجاج بيت الله الحرام بما أفاض الله عليهم يوم عرفات ، اهنئي هذه الأفئدة التي دعاها ربها لحج هذا العام . وحق لهم التهنئة فقد باهى بهم الرب ملائكته وقد عملوا لسنة سيد الأولين والآخرين نبينا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم .

إن الخالق تبارك وتعالى قد أكرم أمة محمد ﷺ واختار لهم ديناً قيماً ملة سمحة شاملة كاملة قوية عزيزة تتلائم مع الفطرة السليمة وافية بمتطلبات الحياة وأساسه الإخلاص لله والحج من

شعائر الإسلام مبناة على التوحيد والإخلاص .

فالكعبة المشرفة وضعت لتحقيق التوحيد ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا** ﴾ ولهذا شُرع لقاصد بيت الله أن يستهل نسكه بالتوحيد وهي التلبية والبيت الحرام معْلم من معالم التوحيد .

والإسلام نظام تشريعي متماسك يُصَدق بعضه بعضاً ويؤيد بعضه بعضاً غير قابل للتجزئة سواء فيما يتعلق بالاعتقاد ، أو بالشعائر التعبدية أو بالآداب والسلوك ، فمخالفة قاعدة من قواعد الدين مخالفةٌ لبقيته وقد أنكر الله وذم الذين يأخذون ببعض التشريعات ويتركون بعضاً وتوعدهم فقال سبحانه ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [**البقرة** : ٨٥] .

فالحج قاعدة من قواعد الإسلام له أعمال وآداب ، فمن آدابه قوله تعالى : ﴿ **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله** ﴾ .

فالرفث معلوم ، والفسوق هو الخروج عن طاعة الإسلام . والجدال المناقشة في غير مصلحة حتى تصل إلى المخاصمة .

ومن أعمال الحج كما هو معلوم . التواجد في عرفات ساعة من ليل أو نهار يوم التاسع من ذي الحجة . والمبيت عند المشعر

الحرام في مزدلفة . ورميُ الجمرات والمبيت بمنىٰ ليالي أيام التشريق والطواف والسعي والحلق أو التقصير ، فيجب الأخذ بجميع أعمال الحج . فلا يصلح الأخذ ببعضها وترك البعض . فإذا أخذ بأعمال الحج وجب الأخذ بالآداب . فالكل من التشريع ومن أمر الله .

وكل ما يؤذي قاصدي البيت والمشاعر معصية وفسوق وكل ما يسبب الفوضىٰ ويُعوق المسئولين عن القيام بمسئولياتهم من الفسوق .

وكل أخذ ورد في غير مصلحة الحج والحجاج جدال .

والحاج في حاجة إلىٰ الهدوء والراحة والطمأنينة فإزعاجه إثم وبهتان قال سبحانه ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا** ﴾ .

يجب علىٰ الحاج أن يفرغ نفسه لأعمال الحج وأن ينتهز فرصة جواره لبيت الله فإنها فرصة قد لا يجدها كل سنة . فيجب عليه أن يستحضر عظمة الله ، وأن يتذكر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان القواعد من البيت ، وأن يذكر الرسول الكريم نبينا محمد بن عبدالله ﷺ وهو يدعو إلىٰ الله . وهو يحطم الأصنام ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** ﴾ فيقتدىٰ بهم في ملتهم ، يوحد الله في عمله كله ويعظم الله ويقدسه ويحمده ويمجده . يكثر من الصلاة في المسجد الحرام فرائض ونوافل فإن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة . والصلاة في المسجد

النبوي الشريف بألف صلاة . والعبادات في المسجدين تأخذ حكم الأصل .

لقد بينت السنة ومضىٰ التاريخ علىٰ أن الحكومات في كل بلد هي المسئولة عن نظامها وهي التي تتولىٰ ضبط الأمور في بلادها . ومن حضر إليها خضع لنظامها وامتثل أوامرها . من عهد النبي ﷺ مع كثر خصومه ومجاهرة أعدائه إلىٰ هذا التاريخ .

وهذه المملكة تسير علىٰ شريعة الله وعلىٰ وفق سنة النبي ﷺ بفضله وإحسانه وتوفيقه ورعايته ، فهي أحق بالتصرف في ضبط الأمور . وتحقيق العدل ورفع الظلم والأخذ علىٰ يد السفيه وأطره علىٰ الحق أطراً . وحكومة هذه البلاد تدفع السيئة بالتي هي أحسن وتعرض عن الجاهلين وتقابل الإساءة بالمعروف . فلما جاءها مخربون من بعض البلاد منعتهم من الفساد ومن إيذاء ضيوف الرحمن . واستضافتهم للحج علىٰ حسابها ولكن الجنون فنون فاعتبروا يا أولي الأبصار .

قال تعالىٰ : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)** ﴾ [**فصلت** : ٣٤، ٣٥] .

فإذا تمكن الإيمان من القلب سيطر علىٰ الجوارح وظهرت آثاره

عليها .

والواجب على المسلم في كل مكان وخاصة إذا حضر إلى مواقع التنزيل ومصادر التشريع أن يتصف بصفات الفضل وأن ينتهي عن الأخلاق السيئة ، وأسوُ الأخلاق الكذب والافتراء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ينبغي أن يتحلى بما أمر الله به والوقوف عند ما نهى الله عنه .

فما من خلق حسن إلا أمر الله به ، وما من خلق سيء إلا نهى الله عنه ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)** ﴾ [**النحل**] ، فآية النحل هذه جمعت ما يتصل بالتكليف فرضاً ونفلاً وما يتصل بالآداب والأخلاق عموماً وخصوصاً ، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها .

وإن أعلى مكارم الأخلاق العدل .

والعدل ضد الميل وأصله التوسط والعدل واجب في كل الأمور ولا يتأثر بتأثيرات الرغبة والهوى . قال تعالى : ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)** ﴾ [**المائدة : ٨**] . وقال جلت عظمته : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا** ﴾ [**النساء : ١٣٥**] .

والإحسان هو الإتقان ، كما في حديث جبريل المشهون «**قال فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » والأمر بما يشاء ذي القربى ، أي الأمر ببر الوالدين وصلة الأرحام وأداء الحقوق إلى أهلها** .

وأما الفحشاء فكل قبيح من الأقوال والأعمال .

والمنكر ما أنكرته الشريعة ، فيشمل النهي عن جميع المعاصي والدناءآت .

والبغي هو الظلم والكبر ، فهو ضد العدل .

فهذه ثلاثة من مكارم الأخلاق أمر الله بها .

وثلاثة من مساوءِ الأخلاق نهىٰ الله عنها .

فالواجب علىٰ المسلم امتثال أمر الله واجتناب ما نهىٰ الله عنه وأن يلتزم بنظام الإسلام . ولا يكون معه مع كل صاعق وناعق ولا يكون عميلاً فينفذ مخططات أعدائه علىٰ إِخوانه المسلمين فاتقوا الله أيها المسلمون .

اللهم بارك لنا في القرآن الكريم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن عمل بشريعته .

أما بعد فإن لهذه الأمة خصوصيات ومميزات صارت بها خير الأمم وصاروا شهداء على الناس . قال تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [**آل عمران** : ١١٠] فلا تستقيم الأمور ولا يرتدع المجرم ولا يرعوى الفاسق إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهما أداة الإصلاح ، وهما وسيلة الاستقامة ، وهما شرف الأمة وفيهما سعادتها وعزتها وصلاحها .

ولهذا أكد القرآن الكريم والسنة المطهرة على الأمر بالمعروف ولعن الله من تركه ، قال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [**آل عمران** : ١٠٤] .

وقال سبحانه : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ**

دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكنَّ الله عز وجل أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**» .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم**» .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه في سركم وعلانيتكم ولا تيأسوا من روح الله . ولا تأمنوا من مكر الله وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب: ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٤) (١٤١٣/١٠/١٧هـ)

الإيمان الصادق والمنافقين

الحمد لله رب العالمين . أمر بتقواه والاعتصام بحبله المتين .

وأشـــهـــد أن لا إله إلا الله وحـــده لا شـــريك له إلـه الأولين والآخرين وإليه مرجع الخلق أجمعين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسول نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تعبهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فإن المجتمع المسلم الحقيقي صرح شامخ كالبنيان يشد بعضه بعضاً ويحمل بعضه بعضاً ، يتراحم ويتعاطف ويتعاون ويتعاضد كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

والإيمان الصادق هو القاعدة التي يقوم عليها صرح الأمة وعزُّها والتقوى هي الوشائج التي تربط بين وحدات البناء .

وقد يكون في البناء طوبة أو أكثر لم تنضج أو حجر فيه أملاح فإذا هي ضامرة متآكلة تاركة فجوة في البناء لا تحمل مثل غيرها ،

وليس لها قوة أخواتها ، فما دامت منتظمة في صفها داخلة في البناء مُنْغمسة فيه فلا تأثير لها .

لكن لا تبعث هذه النوعية الفاسدة في أي جانب كانت خطراً علىٰ البناء ، وهكذا المنافقون في جسم الأمة المسلمة وفي صرحها ، إذا لم يكن لهم نشاط فلا خطر .

إذا كان لهم نشاطات وتحركات واجتماعات وتحزبات واتصالات ودعوة للتوسع وجمع الأتباع واتخاذ معاقل خاصة بهم واستغلال العناوين الإسلامية والمشروعات ولبس ثياب الإسلام لغدر المسلمين وهدم قواعد الإيمان والدين ومحاربة المؤمنين الصادقين ، والوقوف أمام الدعوة إلىٰ الله ، فهم خطر علىٰ الإسلام والمسلمين .

وكثيراً ما يتحدث القرآن الكريم عن المنافقين ويصف تحركاتهم ويفضح سرائرهم ويكشف نواياهم . ولقد رسم القرآن صوراً من نشاطات المنافقين لتنبيه المؤمنين وتحذيرهم من خداع أولئك الفاسقين ، وإليكم واحدة منها قال تعالىٰ : ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ**

به فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٧-١١٠] .

قال ابن كثير رحمه الله سبب نزول هذه الآيات أنه كان في المدينة قبل مقْدَم رسول الله ﷺ للهجرة رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب كان قد تنصر وله شرف كبير في قومه ، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلىٰ المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية . وأظهرهم الله يوم بدر شرق الفاسق بريقه وبارز بالعداوة وخرج إلىٰ كفار مكة يمالؤهم علىٰ حرب رسول الله ﷺ فجاءوا مع من وافقهم من العرب عام أُحُد .

فكان من أمر المؤمنين ما كان وامتحنهم الله ومهما كان الأمر فالعاقبة للمتقين فلما رأىٰ الفاسق أمر المسلمن في ارتفاع وظهور ذهب إلىٰ ملك الروم يستنصره فوعده ومناه وأقام عنده وكتب إلىٰ جماعة من قومه من أهل الريب والنفاق يَعِدهم بأنه سيقدم بحيث يقاتل رسول الله ﷺ وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم شرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد فيها فلما فرغوا منه طلبوا من رسول الله ﷺ أن يصلي فيه لِيَحْتجوا بصلاته علىٰ تقريره وإثباته وقالوا إنهم بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية ، وكان رسول الله ﷺ قد عزم علىٰ غزوة تبوك فعصم الله نبيه من الصلاة في مسجد أولئك وقال إنا

علىٰ سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله فلما قفل عليه الصلاة والسلام من تبوك وقرب من المدينة أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بِخَبَرِ ذلك المسجد وما اعتمده بانوه وأنزل الله تلك الآيات، فأمر رسول الله ﷺ بإحراقه وهدمه .

هذه قصة مسجد الضرار صورها القرآن الكريم وتلك عاقبته هدمٌ وتحريق . وأمثاله في كل زمان يُتخذ في صور شتىٰ في صورته الأولىٰ صورة مسجد أو في صور أخرىٰ وما يزال أصحاب الأغراض الخبيثة يتخذون من الإسلام ستاراً يكيدون مِنْ خَلْفِهِ للإسلام والمسلمين ولكنهم في كل مرة يبوؤن بالخيبة كأصحاب مسجد الضرار ولا يبقىٰ إلا البناء الطاهر الذي أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم .

والقرآن الكريم يرسم هنا صورة واضحة جلية يُنبئ عن مصير كل مسجد ضرار ويكشف عن كل محاولة خادعة يُخفىٰ وراءها نَّية خبيثة . وتُطمئن العاملين المتطهرين من كل كيد يُراد بهم مهما أُلبس أثواب الصالحين وسواء كانت تلك المحاولة كفراً أو نفاقاً أو كانت دون ذلك فساداً وفجوراً فحكمها حكم مسجد الضرار فقد حرق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرية بكاملها يباع فيها الخمر وحرق حانوت رويشد الثقفي وسماه فويسقاً بقي أن نعرف المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ المذكور في الآية يظهر من كلام ابن كثير الترجيح بأنه مسجد قبا لأن سياق الكلام فيه أن رسول الله

ﷺ أسسه وبناه آل لقدومه ونزوله على بني عمر بن عوف ولأن رسول الله ﷺ كان يزوره راكباً وماشياً وأنه قال في الحديث الصحيح (صلاة في مسجد قباء كعمرة) وللأحاديث الواردة بأن قوله تعالى: ﴿**فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطَّهرين**﴾ نزلت في أهل قبا، وبذلك قال جماعة من السلف. والأكثرون على أن المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى مسجد رسول الله ﷺ هذا، فقد وردت أحاديث صحيحة بأنه عليه الصلاة والسلام سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال مسجدي هذا، ولأنه بناه بأمر الله ووجَّه قبلته جبريل فبناه رسول الله على التقوى وبنى اساسه مع جماعة من أصحابه ﷺ جمعاً لكمة المسلمين ومعقلاً للإسلام وأهله ولا منافاة بين القولين فإن مسجد رسول الله ﷺ هذا قد أسس على التقوى من أول يوم، ومسجد قبا كذلك أسس على التقوى من أول يوم وكل مسجد بني لله ومن أجل الله ولصلاة المسلمين فيه فهو مؤسس على التقوى في أى مكان كان وفي الآية دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة على طاعة الله وطاعة رسوله، والصلاة مع الجماعة الصالحين.

وفيها المحافظة على طهارة الأبدان وطهارة العقيدة وصفاء الإيمان وفيها تنبيه للنفوس المؤمنة أن تكون يقظة واعية متمسكة بكتابها وسنة رسولها ملاحظة حقيقة اسلامها قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)**

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم . الخ الدعاء . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . . فأوصيكم وإياي بتقوى الله .

أيها المسلم إن الله تعالى مَنَّ عليك بهدايتك للإسلام وجعلك من أتباع سيد الأولين والآخرين ومن حزب الله المؤمنين فيجب عليك أن تلتزم بشعائر دينك على الوجه الصحيح ، وصلوا على البشير النذير ﷺ .

أيها المؤمنون : ما بال بعض الناس إذا نودي للصلاة يختفون في محلاتهم أو يتجولون في الشوارع بالقرب من المسجد ولا يحضرون جماعة المؤمنين ، إن لم يكن هذا متطهراً فليبحث عن الطهور وسيجده قريباً منه . أم أن الصلاة عليه ثقيلة فتلك من صفات المنافقين ﴿ **وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾ .

ما بال بعض الرجال يلبسون الذهب وقد وجه رسول الله ﷺ

وأنكره أشد إنكار ، أما سمعوا الوعيد الشديد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأىٰ خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال : «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها في يده**» . رواه مسلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً قدم من نجران إلىٰ رسول الله ﷺ وعليه خاتماً من ذهب فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : «**إنك جئتني وفي يدك جمرة من نار**» رواه النسائي .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**من مات من أمتي وهو يشرب الخمر حرم الله عليه شربها في الجنة ومن مات من أمتي وهو يتحلى بالذهب حرم الله عليه لباسه في الجنة**» رواه أحمد والطبراني .

والخاتم والأزرار في الصدر أو الكم من الحلية المحرمة .

فيا أخي المسلم اتق الله في نفسك واعرف شعائر إسلامك واجتنب ما حرم الله عليك وحرمه رسوله ﷺ .

أما الذين يتخذون أواني الذهب أو الفضة سواء كانت كاسات أو ملاعق أو صحون أو صنابير وسواء كانوا رجالاً أو نساء ، فليستمعوا حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «**الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم**» رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم : «**إن الذي يأكل أو يشرب في**

آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم» .

وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عند البخاري ومسلم قال سمعت رسول الله ﷺ : **«لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»** .

فاتقوا الله أيها المسلمون . المسلم يستسلم لشعائر الإسلام ولا يخالفها ، فمن خالفها فقد عرض نفسه لسخط الله وعذابه ولسخط رسوله ﷺ .

﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٥٦)** ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٥) (١٥/٨/١٤١٣هـ)

القسم والإيمان المشروعة

الحمد لله رب العالمين . حث على فعل الخير ونهى أن تمنعه اليمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . سميع عليم غفور حليم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وأسوة المهتدين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فإن الناس قد يحتاجون إلى توكيد الأقوال وتحقيق الأفعال للحث على فعل أو النهي عن عمل فشرعت اليمين ، بنص الكتاب والسنة والإجماع . قال تعالى : ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ**﴾ [المائدة : ٨٩] وأمر الله نبيه ﷺ بالحلف في ثلاثة مواضع . على المعاد والخروج من القبور وعلى أن الساعة آتية وعلى أن البعث واقع . قال تعالى : ﴿**وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ**﴾ [يونس : ٥٣] . وقال سبحانه : ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ**﴾

[سبأ : ٣] . وقال جل وعلا : ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [**التغابن** : ٧] .

وقال ﷺ : «**إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفَّرتُ عن يميني وأتيت الذي هو خير**» (١) .

وأجمعت الأمة على مشروعية اليمين وثبوت أحكامها .

وأصل اليمين في اللغة اسم لليد اليمنى ، ثم أطلقت على الحلف لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل واحد بيمين صاحبه (٢) .

وتنعقد اليمين من العاقل المختار .

ويكون الحلف بالله تعالى وبصفاته والحلف بغير الله معصية لقوله ﷺ : «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**» (٣)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» (٤) فاليمين تعظيم وتقديس للمحلوف به والتعظيم المطلق خاص لله .

وأما قسم الله تعالى ببعض المخلوقات فالله تعالى يحكم لا معقب لحكمه فله أن يُقسم بما شاء من مخلوقاته ، ولا وجه للقياس على قسم الله تعالى (١) .

---

(١) البخاري : ٨/ ١٥٩ .

(٢) بذل المجهود : ٤/ ٢١٠ .

(٣) البخاري : ٨/ ١٦٦ .

(٤) المغني : ٨/ ٦٧٦ .

ولا ينبغي الإكثار من الأيمان والحلف على كل صغيرة وكبيرة .

والخالق تعالى أجل وأعظم من أن يستشهد بأسمائه أو صفاته على شيء ، قال جلت عظمته وتقدست أسماؤه : ﴿ **وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانكُمْ** ﴾ [**البقرة** : ٢٢٤] .

والأيمان خمسة أقسام :

الأول : واجب وهي التي ينجو بها معصوم من هلكة ولو نفس الحالف ويستحب له التعريض . لما روى أبو داود رحمه الله عن سويد بن حنظلة رضي الله عنه قال خرجنا نريد رسول الله ﷺ ومعنا وائل بن حجر فأخذه عدو له فتحرَّج القوم أن يحلفوا ، وحلفت أنه أخي فخُلي سبيله فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرته فقال صدقت : المسلم أخو المسلم (٢) .

القسم الثاني : مندوب وهو الحلف لإصلاح ذات البين .

القسم الثالث : مباح مثل الحلف على فعل مباح أو تركه ومن ذلك إذا ادعى رجل بما في يد آخر بأنه ملكه خطأ فللمدعى عليه الحلف على نفي الدعوى إذا تأكد من صدقه وبطلان الدعوى لما روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحاكم هو وأَبيّ إلى زيد في نخل ادعاه أُبي فتوجهت اليمين على عمر فقال زيد :

---

(١) المغني : ٨/ ١٧٧ .

(٢) بذل المجهود : ١٤/ ٢٢٤ .

أُعف أمير المؤمنين ، فقال عمر رضي الله عنه ولم يُعف أمير المؤمنين إن عرفتُ شيئاً استحققته بيميني وإلا تركته والله الذي لا إله إلا هو إنَّ النخل لنخلي وما لأبي فيه حق .

فلما خرجا وهب عمر النخل إلىٰ أبي رضي الله عنهم . ثم قال خفت ألا أحلف فلا يحلف الناس علىٰ حقوقهم بعدي فيكون سُنَّة . قال سبحانه : ﴿ **وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [**البقرة: ٢٢٤**] أصل العُرضة في كلام العرب يرجع إلىٰ المنع(١) ، أي لا تجعلوا أيمانكم مانعة لكم من البر وفعل الخير .

كما قال ﷺ «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه**» (٢)، رواه مسلم عن أبي هريرة . ويُبين هذا قوله تعالىٰ : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [**النور: ٢٢**] . أي لا يحلف أهل الطول والصدقة والإحسان والجِدَة أن لا يصلوا أقرباءهم . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه يصل مسطح بن أثاثه ابن خالته وهو مهاجر لا مال له إلا ما يعطيه الصديق فلما اشترك في الإفك حَلف أبو بكر أن لا ينفعه أبداً . فلما نزلت

---

(١) احكام الأحكام: ١/ ١٧٤ .

(٢) مسلم: ١٢٧٣ .

البـراءة وتكذيب الإفك وأقـيم الحـد علىٰ من أقـيم عليـه . وطابت نفوس المؤمنين ونزلت هذه الآية ، قـال أبو بكر رضي الله عنه : بلىٰ والله إنا نحب أن يغفر لنا ربنا ثم رجَّع إلىٰ مسطح ما كـان يصله من النفـقـة . وكـفـر عن يمينه . ومن الحلف المكروه الحلف في البـيع والشراء علىٰ غير كذب ، فإن النبي ﷺ قال : «**الحلف مُنفق للسلعة مُمحق للبركة**»(١) رواه ابن ماجه .

القسـم الخامس : المحرم وهـو الحلف الكاذب ، قـد ذمـه الله بقـولـه : ﴿ **ويحلفـون على الكذب وهم يعلمون** ﴾ . فإن اقتطع بيمينه مـال مسلم فـهو اليمين الغمـوس التي تغـمس صاحبهـا في النار لما روىٰ مسلم رحمـه الله عن أبي أمـامة إياس بن ثـعلبة الحـارثي رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال : «**من اقتطع حق امـرئ مسلم بيـمينه فقد أوجب الله له النـار ، وحرم عليه الجنة**» فقـال رجل وإن كان شيـئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال : «**وإن كان قضيباً من أراك**» .

واليـمين المنعقـدة التي تُحل بالبر أو الكفـارة ما تـعمـدها القـلب وعقد بهـا في غير معـصية الله . وكانت بالله أو باسم مـن أسمائه أو صفـاته فـمن حلـف أن يفـعل شيـئاً فلم يفعلـه ، أو حلف ألا يفـعل فـفعل فـعليه الكفـارة لقـوله تبارك وتعـالىٰ : ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ**

(١) المغني : ٨/ ٦٨٢ .

يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ [المائدة : ٨٩] .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، احفظوا أيمانكم ، ولا تكثروا من الإيمان واحذروا اليمين الغموس فإنها من أكبر الكبائر وتوجب غضب الرب تعالىٰ .

اللهم بارك لنا في القرآن .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . يعطي الجزيل ويقبل القليل . ويغفر الذنب الكبير وهو اللطيف الخبير

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . أرحم بالناس من أنفسهم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . . فإن النذر إلزام الإنسان نفسه بعمل طاعة وهو مطلق ومقيد ، فالمطلق أن يقوله لله علي أن أصوم يوماً أو أحج أو أصلي ركعتين .

والمقيد أن يعلقه بصفة كأن يقول إن شفاني الله أو إن شفى الله مريضي أو إن ولد لي ولد أو إن حصل لي كذا فلله عليَّ أن أصلي ركعتين أو أن أنحر بدنة ونحو ذلك .

ويجب الوفاء بنذر الطاعة لقوله ﷺ مَن نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه .

فإن عجز عن الوفاء كفر كفارة يمين إطعام عشرة مساكين من غالب قوت البلد لكل واحد نصف الصاع فإن زاد الله في حسناته ، أو كسوة عشرة مساكين أو إعتاق رقبة مؤمنة ، يُخيَّر المسلم في الكفّارة بين هذه الثلاثة وكلٌّ يختار بحسب مقدرته ، فإن لم يجد ولا يستطيع أن يشتري صام ثلاثة أيام ، والنذر لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٦)

العام الهجري الجديد والخصال التي يتم بها العمل

الحمد لله رب العالمين . ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢) ﴾ [الفرقان : ٦٢] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً (١٢) ﴾ [الإسراء : ١٢] .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صدع بما يؤمر . وقام فأنذر وأُوذي فصبر تمالؤوا على قتله فحفظه الله وانتصر ، وأمكنه الله فغفر .

اللهم صل وسلم على ذي الخلق العظيم نبي الرحمة الكريم ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . . فلقد كان في تعاقب الليالي والأيام عبر ومواعظ وتنبيه لواقع الحياة . فحياة الإنسان مجموعة من الليالي والأيام وبانقضائها تنقضي الأعمار . وتنقطع الأعمال . وتحل الآجال كنا قبل خمسة أيام في آخر عام هجري والآن في أول عام آخر قضيت سنة بما فيها من أوضاع وأحداث ، وبما فيها من حزن وأفراح ،

واستقبلنا عاماً هجرياً جديداً لا ندري ما الله قاضٍ فيه وعلينا فعل الأسباب والاجتهاد فيما ينفع والابتعاد عما يضر ويخدع ، فنسأل الله أن يجعل هذا العام عام توفيق وسداد ، وهداية ورشاد وأن يعز فيه الإسلام والمسلمين وأن يلهم رشدهم وأن ينصرهم علىٰ من عاداهم أو خذلهم ، وأن يردهم إليه رداً حسناً كما أسأله أن يخذل أعداء الدين . وأن يُفرق جمعهم وأن يرد كيدهم في نحورهم وأن يحفظ المسلمين من شرورهم .

إن التاريخ الهجري منسوب إلىٰ هجرة النبي ﷺ وإن كان الرسول ﷺ وصل المدينة المنورة يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول إلا أن أصحاب رسول الله ﷺ بعد وفاته اتفقوا علىٰ أن يجعلوا أول السنة الهجرية تبدأ بالشهر المحرم ، لأنه بعد منصرف الحاج ، وهو شهر محرم يأمن فيه الناس فجرىٰ التاريخ الهجري إلىٰ هذا اليوم وإلىٰ أن تقوم الساعة إن شاء الله .

أخي في الله إن وضع المسلمين في جميع الدنيا مؤلم إذا تأمله المسلم وجد ما يسوءه تقهقر في الاختراح والصناعات وتفرق واختلاف فتسلط عليهم الأعداء يقتلون ويشردون ، وينتهكون الأعراض ويمثلون بالقتلىٰ ، عمل إرهابي وحشي ، وما هي إلا دسائس وتحريش من البيع والكنائس وبيوت النار . لأن الإسلام يزعجهم ويخيفهم . يرهبهم أن يكون للمسلمين إسلاماً حقيقياً أو إيماناً عملياً ، فهم يعرفون تاريخ الإسلام ولا ينسون المعارك

الإسلامية مع الأعداء ، يعرفون أن الإسلام الصحيح ما دخل معركة إلا انتصر ولا قابل عدواً إلا غلب، ويعرفون أن المسلم الحقيقي يكون مع الله ومن كان مع الله كان الله معه ، ولن يُغلب من كان الله معه .

فأزِمَّة الأمور بيد الله ، ولا يحصل في هذا الوجود شيء إلا بإرادة الله فمن استجار بالله أجاره ، ومن استعاذ بالله أعاذه ، ومن اعتصم بالله عصمه ، ومن لجأ إلى الله حماه . ومن طلب النجاة منه بصدق نجاه ، ومن استغفر الله غفر له ﴿ **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (٢٣) ﴾ [الأعراف : ٢٣] ﴿ **فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** (٣٧) ﴾ [البقرة : ٣٧] ﴿ **وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ** (٧٦) **وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ** (٧٧) ﴾ [الأنبياء : ٧٦ ، ٧٧] ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** (٨٣) ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ﴿ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** (٨٧) **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ** (٨٨) ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨] ﴿ **وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ** (٨٩) **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** (٩٠) ﴾ [الأنبياء : ٨٩ ، ٩٠] ﴿ **قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ** (٧٥) **أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ**

الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) ﴾ [**الشعراء**: ٧٥ - ٨٣] وقال الله تعالىٰ لنبينا محمد ﷺ : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(١٨٦)** ﴾ [**البقرة**: ١٨٦] .

واعلم أخي المسلم أن من أسباب استجابة الدعاء فعل الطاعات وترك المنكرات وأكل الحلال والبعد عن الحرام ، كما أن من أسباب رد الدعاء أكل الحرام ولبسه وغذاؤه ، كما روىٰ مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**» فقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلىٰ السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنَّىٰ يستجاب له ، وقال سعد بن أبي وقاص لرسول الله ﷺ : ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال النبي ﷺ : «**يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن العبد**

ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عملاً أربعين يوماً وأيَّما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به» [1].

وقال أبو عبد الله التاجي رحمه الله : خمس خصال بها تمام العمل :

١ ـ الإيمان بمعرفة الله .

٢ ـ ومعرفة الحق .

٣ ـ وإخلاص العمل لله .

٤ ـ والعمل على السنة .

٥ ـ وأكل الحلال فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل .

وقد أشار النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه إلى آداب الدعاء وإلى أسباب الإجابة . وإلى موانع الإجابة .

فذكر في الحديث من أسباب الإجابة أربعة : إطالة السفر والتبذل في اللباس وترك الترفع تقرباً إلى الله . ومدُّ اليد إلى السماء والإلحاح في الدعاء يا رب يا رب .

وأما أسباب منع الدعاء فهو التوسع في الحرام أكلاً وشرباً وملبساً وتغذية ، ومن أسباب منع الإجابة ترك الواجبات وفعل المنهيات روى أن موسى عليه السلام رأى رجلاً رافعاً يديه وهو

---

(١) جامع العلوم والحكم : ٧١ .

يسأل الله ويجتهد فقال موسى أي رب ما صنعت في حاجته فقال يا موسى لو رفع يديه حتى ينقطع ما نظرت في حاجته حتى ينظر في حقي .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ .

اللهم بارك لنا في القرآن وانفعنا بما فيه من الأحكام والبيان وعلمنا منه ما جهلنا وذكرنا منه ما نُسِّينا وارزقنا تلاوته كما تحب ربنا ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله العالمين ﴿ **له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير** ﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق الجن والإنس لعبادته .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة نبيه وأدىٰ أمانته ونصح لأمته .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . . فأوصي كل مسلم بالتوبة والاستغفار فلا كبيرة مع التوبة ولا صغيرة مع الاستغفار ، وأوصيه بالرجوع إلىٰ الله ، والعمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . والعمل بطاعة الله والبعد عن معاصيه ، وبأكل الحلال والبعد عن المحرمات .

أوصىٰ كل مسلم أن يكون نظام حياته علىٰ وفق الإسلام في العادات والتقاليد والمطاعم والمشارب والسلوك

فاتق الله أيها المسلم ، راقب ربك في كل أمورك فإنه يعلم ما تخفي وما تعلن .

وصلوا على البشير النذير . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً (٥٦) ﴾ [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٧)

حرمة الأشهر الحرم

الحمد لله رب العالمين . ﴿ **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد** ﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا** ﴾ .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين بعثه الله من مكة بالهدىٰ ودين الحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن اتبع سبيله .

أما بعد . . فإن الكعبة المشرفة هي منطقة الأمان يقيمها الله للبشر والأشهر الحرم أشهرأمان ، فإذا تصارع الناس علىٰ الرغائب والشهوات فإنها تضمحل عند البيت الحرام وفي الأشهر الحرم فتحل الطمأنينة مكان الخوف والسلامُ محل الخصام ، وتُرِفُّ علىٰ العالم في جوار الكعبة المحرمة والأشهر الحرم أواصر الإخاء والحب والأمن والسام ، ويأخذ الناس من هذا دروساً واقعية عملية تكون

معهم في كل حياتهم .

والحرمات والأمن تشمل الإنسان والطير وكل الحيوانات والأشهر الحرم التي حرمها الله يوم خلق السموات هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادىٰ وشعبان ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ** ﴾ [**التوبة** : ٣٦] ولقد ألقىٰ الله في قلوب العرب في الجاهلية حرمة مكة وحرمة هذه الأشهر فكانوا لا يُروَّعون فيها نفساً ولا يطلبون فيها دماً ولا يتوقعون فيها ثأراً حتىٰ أن الرجل يلقىٰ قاتل أبيه فلا يؤذيه فكانت مجالاً آمناً لكل أحد والله أراد للكعبة أن تكون مَثَابةَ أمنٍ وسلام يقيم الناس عندها آمنين من الخوف والفزع وجعل الله الأشهر الحرم زمن أمن في كل مكان .

لقد جعل الله هذه الحرمات مُنذ بُني البيت علىٰ يد إبراهيم وإسماعيل وجُعل مثابة للناس . ففي الصحيح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : إن هذا البلد حرامٌ لا يُعْضَد شجره ولا يُختلىٰ خلاه ولا ينفَّرُ صيده ولا تلتقط لقطته إلا لمعرِّف ولم يستثن ﷺ من الأحياء مما يجوز قتله في الحرم ولا شهر المحرم إلا الغراب ، والحدأة ، والعقرب والفأرة والكلب العقور لحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين أمر

رسـول الله ﷺ بقـتل خـمس فـواسق في الحل والحـرم : الغـراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور، وفي صحيح مسلم رحمه الله من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما زيادة والحية وإنما أحلت مكة للنبي ﷺ يوم الفتح ساعة من نهار .

وحرم النبي ﷺ المدينة المنورة كما حرم إبراهيم مكة فهي حرام من عَير إلى ثور لحديث علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**المدينة حرم من عير إلى ثور**» وفي الصحيحين في حديث عباد ابن تميم أن رسول الله ﷺ قال : «**إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة**» ودعا لها ﷺ .

ومن هذا نعرف أن مكة المكرمة والمدينة المنورة منطقتا أمان في الزمان والمكان ورواق الأمن الذي يشمل الإنسان والحيوان حفظ أنهما منطقة الأمان في الضمير الحي الواعي المنقاد لأوامر الله المستسلم لشرع الله ، إنهما منطقة السلام والأمان والسماحة .

إنهما منطقة المران وتدريب النفس البشرية لتصفو ولتكون مهيأة للاتصال بالملأ الأعلى وللتعامل مع الملأ الأعلى .

يجب أن يكون الحج موافقاً لهدي نبينا محمد ﷺ عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام خذوا عني مناسككم خالصاً لله مبيناً على العقيدة الصحيحة والإيمان وإفراد الله وحده بالأعمال والأقوال .

فما يفعله بعض الحجاج من المسيرات والمظاهرات والتجمعات

فهو مخالف لهدي نبينا محمد بن عبد الله ﷺ في الحج وفيه إزعاج الحجاج الآخرين والتشويش عليهم في طاعتهم لله ودعائهم والذي يظهر أن هذا العمل من تخطيط اليهود ودسائسهم الشائنة بقصد التشويش على المسلمين وإشغالهم عن عبادتهم وعن ذكر ربهم ، فإذا كانوا بعيدين عن الله لم يستجب دعوتهم ولم ينصرهم على أعدائهم فالله سبحانه يذكر من ذكره وينصر من نصره ، وقد أنزل الله في إيذاء المسلمين قوله : ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا** ﴾ .

فكيف يرضى المسلم أن يحتمل في هذه البقاع المقدسة المحرمة في الأشهر الحرم بهتاناً وإثماً مبيناً .

الحاج إذا وصل إلى هذه البلاد صار تحت إمرة أميرها فليطعه يَلْزمه السمع والطاعة ويرد ما اختلف فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عملاً بقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩)** ﴾ [**النساء** : ٥٩] .

ورُوي عن ابن سيرين عن عمران بن حصين قال للحكم الغفاري أسمعت النبي ﷺ يقول : « **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قال نعم** » .

الحج بني على الإخلاص لله وحده لا شريك له . فالتلبية كلها توحيد وطاعة لله واعتراف من العبد بوحدانية الله واستحقاقه للطاعة والانقياد . والمحرم يجتنب محظورات الإحرام طاعة لله وانقياداً له وكل أعمال الحج اقتداءٌ بالنبي ﷺ وطاعةٌ لله وانقياد له فأخلصوا له العبودية والطاعة فلا طاعة للبشر في معصية الله ولا طاعة للناس في مخالفة هدي الرسول ﷺ ، وليس من أعمال الحج المسيرات ولا المظاهرات والتجمعات إنما هي من تخطيط أعداء الإسلام لإشغال الناس عن طاعة ربهم وإشغال المسئولين عن خدمة ضيوف الله .

انظر أيها المسلم إلى التوسعة في المسجدين المطهرين والساحات حولهما تأمل اتساعهما وتكاليفهما نزع ملكية وهدمٌ وبناءٌ وتكييف كل هذا عمل لله ثم لخدمة حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسول الله ﷺ ، فاتقوا الله عباد الله . أخلصوا عملكم لله ، وتوجهوا إلى الله وحده بالدعاء وطلب قضاء الحاجات فهو القادر على إجابة طلباتكم كلها لا يشغله شأن عن شأن . ولا لغة عن لغة . ولا حاجة عن حاجة وغيره محتاج إليه ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** (١٨٦) ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

اللهم بارك لنا في القرآن . وانفعنا بما فيه من الآيات والبيان ومُنَّ علينا بتلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا . اللهم علمنا منه

ما جهلنا وذكرنا منه ما نُسينا واجعله قائداً إلىٰ رضوانك والجنة وتب علينا وتقبل منا واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد في ألوهيته وفي ربوبيته وفي أسمائه وصفاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقام قانتاً لله علىٰ قدمه الشريف حتىٰ تفطر وقال أفلا أكون عبداً شكوراً .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن آمن به واتبع سبيله .

أما بعد . . فإن الحج عبادةٌ روحيةٌ ماليةٌ بدنيةٌ ولهذا اشترطت الاستطاعة لوجوبه ، قال سبحانه ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾ والسبيل الاستطاعة بالبدن وبالزاد وبالراحلة فمن لم يستطع فلا يجب عليه الحج لكن علىٰ المسلم إذا قدر أن يتعجل ليؤدي فريضة الحج الواجبة عليه ، فإنه لا يدري ماذا يحصل له في المستقبل . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد هممت أن أبعث رجالاً إلىٰ هذه الأمصار فينظروا إلىٰ كل من كان عنده جِدَةٌ فلم يحج فيضربوا

عليهم الجزية ما هم بمسلمين .

إخواني . . يزعم اليهود بأنهم ورثة نبي الله إبراهيم عليه السلام وكانوا يحاجون فيه فحاجهم رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً . . . الآية ﴾ [آل عمران : ٩٦، ٩٧] . فقال حجوا فأبوا فخصمهم ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية يخبر تعالىٰ أن أول بيت وضع للناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده لَلَّذِي ببكة يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل من طائفتي النصارىٰ واليهود أنهم علىٰ دينه ومنهجه ولا يحجون البيت الذي بناه عن أمر الله ونادىٰ الناس إلىٰ حجه وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام ، قلت ثم أي قال المسجد الأقصىٰ قلت كم بينهما قال أربعون سنة ، قلت ثم أي قال ثم حيث أدركتك الصلاة فَصَلِّ .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه وتعاونوا علىٰ طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، ولا تعاونوا علىٰ الإثم والعدوان .

وصلوا علىٰ النبي الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في محكم التنزيل فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [الأحزاب : ٥٦] إلخ السلام والدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٨)

القرآن الكريم هو كتاب الدعوة

الحمد لله رب العالمين . أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدىٰ وأنزل الفرقان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، حفظ القرآن من الأعداء والمحرفين فلم تصل إليه يد الظالمين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أنزل الكتاب بالحق ﴿ **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ [**البقرة** : ٢] ﴿ **هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ۝٢ ﴾ [**النمل** : ٢] ﴿ **هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ** ۝٣ ﴾ [**لقمان** : ٣] .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبنيا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديه واتبع سبيله .

أما بعد . . فإن هذا القرآن هو كتاب الدعوة ، هو روحها وباعثها هو حارسها وراعيها ، هو دستورها ومنهجها ومنه يستمد الدعاة مناهج الحركة وزاد الطريق .

والقرآن أنزل ليطاع ويتبع ويتخذ منهجاً وسلوكاً في حياة الفرد والجماعة ولم يُنَزَّلِ القرآنُ لمجرد تراتيل تعبدية فحسب فآيات القرآن أنزلت لتواجه نفوساً إنسانية ووقائع وأحداثاً مهمة لها شأنها ووجه القرآن النفوس المؤمنة ، والأحداث التي تمر بهم علىٰ وحي السماء

وعلىٰ تنظيم الحكم العدل اللطيف الخبير .

وينبغي أن نستحضر في نفوسنا حياة تلك الأمة التي أنزل عليها القرآن أول ما أنزل ينبغي أن نستحضر حياة تلك النخبة النادرة التي رباها القرآن فتلقته بالقبول والعمل وهي تواجه أحداثاً متنوعة وعادات وبيئات مختلفة فصارت تتعامل مع بعضها بالقرآن وتتصارع مع الشهوات والعادات ونتأمل كيف أخذ القرآن الكريم بيدها خطوة خطوة ثم يجب أن نعلم أننا مخاطبون بالقرآن ، مثل ما خوطبت به الأمة الأولىٰ وأن الأحداث والمشاكل التي تعاصرنا والنزعات التي تراودنا لا تختلف في أصلها عن الأحداث التي كانت تواجهها الأمة الخيِّرة .

فكما أن القرآن الكريم عمله في حياة المعاصرين للنبي ﷺ والقرون المفضلة بعده فإن عمله أيضاً ماضٍ في حياة الناس المعاصرين وإنما الفرق في أسلوب الدعوة والتبليغ والنصح والإخلاص وحسن القصد إن القرآن يتفق مع هذا الكون العظيم ، فكل آية تدل علىٰ قدرة الله ووحدانيته شاهد ودليل علىٰ وجود الحي القيوم المتصف بصفات الكمال فكما أن هذا الكون لم يُؤثّرْ فيه تطاول الزمان من أداء دورة الذي من أجله خلق ، فكذلك كلام الله القرآن لا يؤثر فيه تطاول الزمان أن يؤدي دوره الذي من أجله أنزل ، فالإنسان هو الإنسان والمؤثرات هي المؤثرات والقرآن هو القرآن فكما أن القرآن أصلح الأمة الأولىٰ فهو قادر علىٰ أن يصلح الأمة

المعاصرة لكنه يحتاج إلىٰ الأسلوب الذي سلكه نبي الرحمة ﷺ .

فالقرآن وهو كلام العليم الخبير يخاطب الإنسان خطاباً لا يتغير والإنسان بفطرته وتكوينه وعقله وفهمه واتجاهاته لم يتغير فالقرآن قادر بإذن الله وإرادته قادر علىٰ التأثير في هذه الملابسات ، ويملك أن يوجه حياة اليوم والغدِ لأن القرآن كلام الله إله الأولين والآخرين وخالق الأولين والآخرين .

وإذا كان لا يليق أن يقول قائل أن الشمس كوكب قديم يجب أن يغير بكوكب عصري تقدمي ، وكذلك لا يليق أن يقول قائل أن الإنسان مخلوق قديم يجب أن يبدل بمخلوق جديد عصري تقدمي لعمارة الأرض والقيام بمتطلبات الحياة المعاصرة . ، فكذلك القرآن الكريم لا يقال أنه كتاب ونظام حياة قديم يجب أن يبدل بنظام عصري تقدمي لأن الشمس وهذا الكون خلق الله أودع فيه خصائصه والإنسان خلق الله جبله علىٰ الفطرة ، فكذلك القرآن كلام الله أنزله لإصلاح البشر في أي عصر وفي أي مكان .

إذا فهمنا هذا وتصورناه جيداً علمنا أن القرآن هو نظام الدعوة في أي زمان وفي أي مكان وأن القرآن هو نظام هذه الأمة في كل متطلبات الحياة [1]، فإن أي دعوة لم يكن القرآن نظامها ولم تعتمد علىٰ العقيدة والتوحيد لله فهي دعوة لم تجرِ علىٰ سبيل النبي ﷺ . ولم يقصد بها وجه الله ، ولا الدعوة إلىٰ الله ولا إلىٰ كتابه . وإنما هي دعوة إلىٰ الحزبية والتجمع علىٰ مبدأ غير مبدأ الإسلام .

---

(١) انظر : ظلال القرآن : ١١٨ .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . هدانا للإسلام وأنعم علينا بفضله التام

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل إلينا سيد الأنام وأكرم الكرام ، فلله الحمد والشكر على آلائه العظام .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله كان خُلقه القرآن، وأثنى الله عليه في محكم التنزيل ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ .

اللهم صل وسلم على الصفوة المختار إمام المتقين وسيد الأخيار وعلى آله وأصحابه والأمجاد الأبرار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار .

أما بعد . . فخير وصيتي لكم وصية الله لعباده ، قال سبحانه : ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [النساء : ١٣١] اجعلوا من طاعة الله وقاية تقيكم عذابه ، اجعوا من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ستراً بينكم وبين لفح جهنم ، ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن شهركم هذا ميدان سباق إلى الله ﴿ **وإن إلى ربك المنتهى** ﴾ ميدان تنافس في طاعة الله والأعمال الصالحة . فإذا رأيتم الناس يتسابقون في تنمية الأموال فتسابقوا على صراط المستقيم ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ**

إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) ﴾ [طه : ١٣١] .

والتجارة مع الله أكثر ربحاً من التجارة مع الناس فمن يربح عشرة أضعاف إلىٰ سبعمائة ضعف إلا في التجارة مع الله .

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٦٠) ﴾ [الأنعام : ١٦٠] ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة : ٢٦١] . تذكروا إخوانكم في الإيمان ، أعوانكم علىٰ الأعداء ، فإن الكفرة تعدَّوا علىٰ كرامتهم وسفكوا دماءهم ويتموا أطفالهم ورمَّلوا نساءهم ظلماً وعدواناً ، وبغضاً للإسلام والمسلمين ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) ﴾ [البروج : ٨] . أكثروا من الدعاء لإخواننا سراً وعلانية ، وامسحوا دموعهم بعطفكم وإحسانكم ، أروهم أن لهم إخوانا يفرحون لفرحهم ويتألمون لآلامهم ، اجعلوهم يحسون بأن لهم إخواناً في الله يقفون خلفهم . انصروا المظلومين بما استطعتم ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) ﴾ [محمد : ٤]

وصلوا علىٰ البشير النذير . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [الأحزاب : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الخطبة رقم (٤٩)

حديث جابر رضي الله عنه وحجة النبي ﷺ

الحمد لله رب العالمين . جعل الحج على المستطيع ركناً من أركان الدين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يجزي المحسنين ويعفو عن المسيئين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين وقائد الغر المحجلين .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد . . فإن حجة النبي ﷺ عبادة تشريعية ربط فيها ﷺ بين أصل الدين وبين الفروع تعليماً لأمته ﷺ ليقتدوا به ، كما قال ﷺ : «**خذوا عني مناسككم**» .

وإذا تأملنا حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ وجدنا فيه خيراً كثيراً ، وقد ألف فيه ابن المنذر جزءاً كبيراً ذكر فيه أكثر من مائة وخمسين مسألة علمية .

قال جابر رضي الله عنه ثم وُأذِّنَ في الناس في العاشرة (١) -

---

(١) أي في السنة العاشرة من الهجرة .

أي من الهجرة ـ أن رسول الله ﷺ حاج فقدم بَشَر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل بمثل عمله فخرجنا معه حتىٰ أتينا ذا الحليفة، وفي حديث أنس أن النبي ﷺ صلىٰ بذي الحليفة العصر ركعتين .

وما عمل به من شيء عملنا به فأهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وقد ثبت بأحاديث أخر أنه ﷺ أهل بالتوحيد وهو في مسجد ذي الحليفة بعد النية بالإحرام ، وأهل بالتوحيد حين ـ استوت راحلته وأهل ـ بالتوحيد لما استوىٰ علىٰ البيداء وهي الأرض المرتفعة المستوية الواسعة وكل واحد من الصحابة رضي الله عنهم روىٰ ما سمع .

ومعنىٰ التلبية : إجابة بعد إجابة قرباً منك وطاعة لك، وقيل معناها اتجاهي وقصدي إليك وقيل في معناها ألفاظ أخر ، وكلها ترجع إلي القرب والإخلاص فهي من اختلاف التنوع . ونقل ابن عبد البر عن جماعة من أهل العلم ، قالوا معنىٰ التلبية إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام حين أذَّن في الناس بالحج كما رُوي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قيل له أذن في الناس بالحج قال رب وما يبلغ صوتي . قال أَذِّن وعليَّ البلاغ فنادىٰ إبراهيم (يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلىٰ البيت العتيق) فسمعه مَنْ بين السماء والأرض وأجابه من

في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ، أفلا ترون أن الناس يجيئون من أقصىٰ الأرض يلبُّون . وفي رواية فأجابون بالتلبية ، فليس حاج يحج من يومئذ إلىٰ أن تقوم الساعة إلا من كان أجاب إبراهيم يومئذ .

وفي التلبية تنبيه علىٰ إكرام الله تعالىٰ لعباده بأن وفودهم إلىٰ بيته إنما كان باستدعائه سبحانه . وقوله ﷺ في التلبية «**إِنَّ الحمد**» المشهور كسر الهمزة والكسر أجود من الفتح وأعم وأكثر فائدة .

والحمد كل كلمة رضيها الله لنفسه وقيل الثنا علىٰ الله بما هو أهله بصفاته اللازمة والمتعدية وآلائه المتتابعة .

والحمد يفي بحث النِّعم لما رُوي عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال (لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمتي ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك) والحمد أفضل كلام العبد لأنه تضمن التوحيد مع الثناء وكلمة الإخلاص تقتضيه . والحمد خاص لله فلا يحمد أحد سواه لأن الملك المطلق لله والنعمة من الله . فكل ما في الوجود من نعم الله فَخَلْقُ الإنسان وهدايتُه إلىٰ الإيمان وحركاتهُ وسكناتهُ وإِعانَتُه علىٰ طاعة الله وتيسير الوصول إلىٰ بيت الله وتسخير إمام المسلمين لتوسعة وخدمة الحرمين والمشاعر المقدسة ورعاية الحاج . وتوفر المتطلبات وغير ذلك من نعم الله التي نعلمها والتي لا نعلمها كلها نعمةٌ لله ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار**﴾ .

وحكم التلبية عند الجمهور سنة من فعلها فله أجر ومن تركها فلا وزر ومن أهل بغيرها أو زاد عليها فلا بأس ويرىٰ بعض العلماء أنها واجبة . والإهلال رفع الصوت بالتوحيد وكان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أصواتهم بالتلبية حتىٰ تُبَحَّ حلوقهم .

والتلبية فيها إخلاص القصد والعمل لله بخلاف ما كان عليه أهل الجاهلية يشركون مع الله غيرَه . وكان الرسول ﷺ وأصحابه في طريقهم إلىٰ مكة يوحدون الله ويعظمونه ويقدسونه ويحمدونه فيجب علىٰ المسلم الاقتداء بالنبي ﷺ وأن يعي ما يقول ، وأن يخلص نيته وعمله وقوله لله الناس .

قال جابر رضي الله عنه : (حتىٰ إذا أتينا البيت استلم ﷺ الركن فرمل ثلاثاً ومشىٰ أربعاً) . استلام الحجر والركن اليماني سنة في الطواف ليس بواجب . ولا يجوز للمسلم أن يؤذي الناس ويؤذونه ليستلم الحجر أو ليقبله فإنه يحصل له من الإثم أكثر مما يحصل له من الأجر ، وفي مزاحمته علىٰ الحجر إيذاء للمسلمين ومزاحمة للنساء ليحصل علىٰ عمل غير واجب ومزاحمة المرأة الرجال أشد إثماً فإذا كان زحام، كبَّر وسار ومضىٰ لقول النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه : «**إذا طفت بالبيت فإذا رأيت فجوة من الحجر فادن منه وإلا فكبِّر ثم امض**» ، فالعاقل يفكر في الأمر وينظر في الثواب والعقاب ويتأمل الربح والخسارة وذكر في شأن الحجر الأسود أحاديث منها ما رواه البخاري رحمه الله عن عباس بن

ربيعة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء إلىٰ الحجر الأسود فقبله فقال : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك . قال في فتح الباري أراد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن يعلم الناس أن استلام الحجر وتقبيله اقتداء برسول الله ﷺ لالقصد آخر .

وروىٰ عن عبد الله بن عباس مرفوعاً نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم وله طريق آخر عند ابن خزيمة رحمه الله ، وعند النسائي الحجر الأسود من الجنة وإنما سودته الخطايا ولم تبيضه الطاعات لأن الله أراد هذا . وقيل في بقائه أَسودَ عبرةٌ لمن له بصيرة فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد فتأثيرها في القلب أشد .

وقيل غُيِّر بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلىٰ زينة الجنة والله أعلم فيجب علىٰ المسلم أن يخلص نيته وأقواله وأعماله لله فلا يقصد إشهار أحد من الخلق ولا تعظيمه ولا الإضرار بالناس . ولا الفخر والخيلاء ولا الظهور بمظهر العظمة والكبرياء بل يتواضع لله ومن تواضع لله رفعه . وطواف القدوم سنة غير واجب فلو خرج المحرم إلىٰ المشاعر ولم يطف للقدوم صح حجه وإنما الركن طواف الإفاضة .

قال جابر رضي الله عنه : ثم نفذ إلىٰ مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ وكان يقرأ في الركعتين قل

هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون . وهما سورتا الإخلاص وتسميان بالمقشقشتين لأنهما تبرآن من الشرك يقال قشقش إذا أزال المرض . فقراءة سورتي التوحيد في ركعتي الطواف لإظهار التوحيد لله والبراءة من الشرك وأهله .

قال جابر ثم خرج من الباب إلىٰ الصفا فلما دنا في الصفا قرأ ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** ﴾ حتىٰ رأىٰ البيت فاستقبله فوحد الله وكبَّره وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات . وقال علىٰ المروة مثل ذلك .

الشعائر أعمال الحج وكل ما جعل علماً علىٰ طاعة الله فهو من الشعائر والسعي ركن من أركان الحج والعمرة مثل الطواف . ويشترط في الطواف الطهارة . ولا تشترط في السعي لقول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها حين حاضت : «**فلتطف بالصفا والمروة**» فهذا يدل علىٰ أنه لا يشترط لشيء من أعمال الحج طهارة إلا الطواف لكن يستحب لمن قدر علىٰ الطهارة بلا مشقة أن يسعىٰ متطهراً وينبغي أن يعلم أن المسعىٰ الآن دخل في المسجد الحرام فلا يدخله من منع دخول المسجد وإذا أقيمت صلاة المكتوبة وهو يطوف أو يسعىٰ وقف مكانه وصلىٰ الجماعة ثم بعد الصلاة يمضي في

عبادته ويتم ما بقي .

وذكر جابر رضي الله عنه خروج النبي ﷺ وأصحابه إلىٰ منىٰ والمبيت بها وأداء الصلوات والدفع منها إلىٰ عرفات بعد طلوع الشمس ، أي في اليوم التاسع والنزول بنمرة ثم قال : فلما زاغت الشمس أي زالت ومالت عن كبد السماء خطب الناس وأعلن ﷺ احترام الإسلام للمرأة ومحافظته علىٰ حقوقهاوبين الحق الذي لهن والحق الذي عليهن وبين طريق معالجة المشاكل الزوجية . وبين ﷺ قاعدة بناء الأمة الإسلامية وسبب سعادتها وعزها ونصرها واستشهد الناس علىٰ البلاغ وأشهد الله .

وذكر جابر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ استقبل القبلة في وقوفه بعرفة وكان ﷺ يكثر من الدعاء والابتهال والتضرع إلىٰ الله والتهليل والتحميد وأفضل الذكر والدعاء (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو علىٰ كل شيء قدير) .

والوقوف بعرفة هو الركن الأساسي للحج .

وذكر جابر رضي الله عنه الإفاضة من عرفة والمبيت في مزدلفة والوصول إلىٰ منىٰ ورمي جمرة العقبة ونحر الهدي والإفاضة إلىٰ البيت .

فاتقوا الله أيها المسلمون كل شعائر الحج توحيد لله ونصح

للأمة واختبار للسمع والطاعة والامتثال . كانت بعيدة عن الأهداف الشخصية ، والخلافات العنصرية ، والدسائس الماسونية ﴿ **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** ﴾ . اللهم بارك لنا في القرآن الخ الدعاء . . . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . إحسانه شامل ، وفضله عام ونعمه لا تحصىٰ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا رب سواه ولا إله غيره .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله معلماً وعن الله مبلغاً .

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد . . فإن صلاة الجماعة في المساجد من سُنن الهدىٰ . ولو ترك الناس سنة نبيهم ﷺ لضلوا . والناس ولله الحمد مقبلون علىٰ صلاة الجماعة في كل الأوقات ، وبمناسبة التوسعة الكبيرة وتكاثر الحجاج . تكرر السؤال عن مسائل في الإئتمام أحببت التنبيه عليها :

١ ـ صلاة بعض المأمومين مع الإمام في مؤخرة المسجد والمسافة طويلة ولم تصل الصفوف ولا يرون بقية المؤمومين .

٢ ـ الصلاة في السطوح .

٣ ـ الصلاة خارج المسجد مع الإمام .

٤ ـ صلاة المنفرد خلف الصف .

فينبغي أن يعلم أنه إذا كان المصلي في المسجد أو السطوح من المسجد والخلوة المسماة البدروم[١] من المسجد فلا يشترط اتصال الصفوف ولا رؤية من خلف الإمام ، فتصح صلاة مجموعة في مؤخرة المسجد وإن لم تتصل الصفوف ، وتصح الصلاة في السطوح مع الإمام الذي في الأرض وإن لم تتصل الصفوف ، وتصح الصلاة في السطوح مع الإمام الذي في الأرض وإن لم تتصل الصفوف وإن لم يروا من خلف الإمام .

روىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلىٰ بصلاة الإمام علىٰ سطح المسجد .

ومع هذا فإن المصلين في سطح المسجد النبوي الشريف يرون المؤمومين في الأرض من خلال الطيق التي في أسفل القباب .

والأمور في المسجد مرتبة منظمة فلو انقطع التيار الكهربائي فناك عدد من المكائن مرتبة علىٰ الكمبيوتر تشتغل خلال جزء بسيط من الثانية كطرفة العين ولو فرض لا سمح الله انقطاع التيار كلياً فإن المبلغين مرتبين . والمسلمون عندهم وعي وإدراك يبلغون تكبير

---

(١) البدروم : ويسمىٰ في بعض البلدان القبو وهو الدور الذي يأتي تحت الدور الأرضي الأول أي تحت الأرض

الإمام . فالصلاة في السطوح صحيحة ويجب طرد الوسواس وترك الأمور لله وتجنب الفرضيات التي ما وثقت ولن تقع إن شاء الله تعالىٰ .

أما إذا كان المأموم خارج المسجد فيشترط لصحة الصلاة إما اتصال الصفوف ، وإما رؤية من خلف الإمام لإمكان الاقتداء ومعنىٰ اتصال الصفوف ألا يكون بينهما بُعْدٌ لم تَجْرِ العادة به وأما صلاة المنفرد خلف الصف فإن كان ذكراً لم تصح صلاته ويجب عليه إما أن يدخل في الصف إن وجد فرجة أو يجذب واحداً من الصف ليصطف معه أو ينتظر لا يكبر حتىٰ يأتيه آخر .

وأما المرأة فإنها تكون صفاً وحدها فتصح صلاتها خلف الصف إذا خرجت إلىٰ الصلاة ، حتىٰ لو أقيمت الصلاة ، لما روي عن رسول الله ﷺ (فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) .

وما يفضله بعض الناس من الجري والإسراع المفرط والصلاة في الطرقات والممرات ليدرك الركعة خلاف ما جاء في الحديث .

فاتقوا الله أيها المسلمون . وراقبوه واجعلوا أعمالكم موافقة لهدي النبي ﷺ .

ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه .

﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [**الأحزاب** : ٥٦] إلخ الدعاء . . .

الربا والصرف

هذه محاضرة القيت في المعهد العالي للدعوة الإسلامية يوم الأحد ١٤٠٤/٥/١٨هـ بعد المغرب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . . وبعد :

الربا : مقصور يكتب بالألف ، وبالواو ، وبالياء .

والربوا : لغة الزيادة كما قال تعالى : ﴿ ... **فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ⑤ ﴾ [**الحج** : ٥] أي زادت وعلت وارتفعت .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ** ... ﴾ [**النحل** : ٩٢] .

أي : أكثر وازيد عدداً .

وشرعاً : زيادة منهي عنها في المعاملات « كل قرض جر نفعاً فهو رباً » .

وحكم الربا : محرم بالكتاب والسنة والإجماع .

وهو كبيرة من الكبائر لأن فيه وعيداً شديداً . كما في الآية ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ [**البقرة** : ٢٧٥] .

ولقوله ﷺ : «**لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه**» ، وقال : «**هم في الإثم سواء**» .

والربا من أبشع المعاملات وأعظم الذنوب ، وأخبث النتائج . فلم يصف القرآن صاحب معصية : كما وصف به المرابي حيث قال تعالىٰ ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ..**﴾ [**البقرة** : ٢٧٥] .

وماهدد صاحب معصية كما هدد المرابي قال الله تعالىٰ : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)**﴾ [**البقرة الآيتان** :٢٧٨ ـ ٢٧٩] .

وما توعد علىٰ معصية بالتلف والخسار إلا في الربا . الربا فماله إلىٰ قلة وإن كثر وما جعل صاحب معصية محارباً لله ورسوله إلا في الربا .

وكل المعاصي أهون من الربا خطراً وأقرب للتوبة ، فإن المرابي ينبت لحمة ودمه وجمع ما يملك وأولاده وذريته من الربا أي من السحت وكل جسم نبت من سحت أي من حرام النار أولىٰ به . فالتوبة صعبة إلا علىٰ من هداه الله .

آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً يَرْجَح به بطنه فيصرع ، جزاء له علىٰ تلذذه بالربا وارتياح جسمه في هذه الدنيا بالمكسب الحرام وتركه لأمر الله من أجل تلذذه بالربا ويجمل مظهره ويقوي

جاهه بالربا . فعوقب بسوء المنظر ، وسقوط الحال وكسر النفس ، فلا يساير ركب البعث إذا خرجوا من الأجداث سراعاً .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

وفي حديث الإسراء ، مرَّ النبي ﷺ برجال بطن كل واحد منهم كالبيت الضخم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع ، فقال له جبريل عليه السلام : هؤلاء أكلة الربا .

آكل الربا من حين يفارق الدنيا وهو في عذاب البرزخ ففي حديث المنام أن النبي ﷺ رأىٰ رجلاً في نهر من دم يسبح فيه وعلىٰ حافة النهر رجلٌ عنده حجارة كبيرة ، فإذا أراد أن يخرج ذلك السابح ألقمه حجراً في فيه فيعود وهكذا . وقال : هذا آكل الربا .

آكل الربا : يعترض علىٰ حكم الله بتحريم الربا فهو يستحله .

آكل الربا : لم يرض بما قسم الله له من المكاسب الحلال ، فأخذ يعمل بالربا .

الربا : يوجب غضب الله ونقمته والمرابي عدو لله ولرسوله ألا ترونه محارباً لله ولرسوله ـ والحرب تكون بين الأعداء وما ظنكم بهزيمة من حارب الله .

انظروا إلىٰ المجتمعات التي تتعامل بالربا وليس فيها من أمر بمعروف ولا تناه عن منكر ، ولا متنكر ولا متمعر وجهه لله .

نرىٰ ونسمع المصائب والرزايا والبلايا تُصب عليهم صبا تمحق أموالهم وتسحق ديارهم . مصائب في الأخلاق ، وأمراض في الأبدان ، وانهيار في الاقتصاد . . يُضاف إلىٰ ذلك أنواع العذاب في هذه الدنيا الحر الشديد المحرق . والبرد القارص المجمد ، والفيضانات المدمرة ، وتسلط اللصوص والتأميمات عليهم .

ومن العقوبات تفلكك الاسرة وتباعد أفراد المجتمع ، ففقدوا التآخي وخسروا التعاطف ، وفقدوا لذة الحياة وراحة النفس ، فهم في قلق دائماً .

كل هذا حرب من الله تدمرهم فلا يستطيعون ردها ولا الفرار منها . إن المرابين صرعىٰ من حرب الله لهم ، فقدوا فهم النص الشرعي ، وغفلوا عن تصور الوعيد الشديد . ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ [**البقرة** : ٢٧٥] .

فلو تصور الناس معنىٰ الآية لما حاموا حول الربا .

الحكمة في تحريم الربا :

قال بعض العلماء : إنما هو الاختبار والابتلاء . فحرم الله ما حرم من البيوع ، وأحل ما أحل ليعلم من يطيع ومن يعصي ، ولا يلزم في امتثال الأمر واجتناب النهي معرفة الحكمة أو العلة . فلم يجعل الإنسان في هذه الأرض ليلعب بالمال كيف يشاء ، بل له حدود ، وشروط ، وعليه عهد وميثاق . فمن وافق الشرع فيُبشر بالخير ، ومن خالف فهو مردود معاقب عليه .

وقال بعض العلماء : إن التحريم لحكمة ظاهرة :

منها : أن الربا يسد أبواب المكاسب الواسعة ويجعل الأموال تنحصر في أعداد قليلة ، بينما ملايين الناس يُحرمون من حركة البيع والشراء .

فإذا انحصرت الأموال في عدد قليل أخذ المرابون يتحكمون في اقتصاد الناس يرفعون السعر ويخفضونه كيف شاؤوا ويلعبون بالأموال ، ويحتكرون الأرزاق .

والمشاهد أن المرابين يتحكمون حتىٰ في السياسة ونظام الحكم في بعض البلدان في الانتخابات وكراسي الحكم والرئاسة .

وأيضاً إن المرابي لا يبالي بأي وسيلة يجمع منها المال ولا يعطف علىٰ فقير ، فالمشروعات المدمرة للأخلاق ؛ مثل دور السينما والرقص ومؤسسات التمثيل الماجن ، مؤسسوها هم أَكَلَةُ الربا .

المرابون لا يريدون للإسلام قوة ولا نشاطا ولا سلطاناً ؛ لأن الإسلام يحرم معاملاتهم ، ويشجب عملهم .

المرابون يحطمون الشعوب ، ويفسدون أخلاق البشر ، لتبقىٰ الشعوب ضائعة غاطِسَة في مستنقع أسِّس من الربا وفساد الأخلاق ليبعدوهم عن مصدر قوتهم وهو الله سبحانه وتعالىٰ .

قال الدكتور (شاخت) الألماني مدير بنك الرايخ الألماني :

«إنه بعملية رياضية غير متناهية يتضح أن جميع المال في الأرض صائر إلىٰ عدد قليل جداً من المرابين . ذلك أن الدائن المرابي يربح دائماً في كل عملية ، بينما المدين معرض للربح والخسارة ، ومن ثم فإن المال في النهاية يصير إلىٰ الذي يربح دائماً» .

وقال : «إن معظم مال الأرض يملكه ملكاً حقيقياً بضعة ألوف أما جميع الملاك وأصحاب المصانع الذين يستدينون من البنوك ، والعمالُ وغيرُهم فهم أجراء يعملون لحساب أصحاب المال» .

وليس هذا وحده هو كل ما للربا من جرائر وأضرار ، بل يؤدي إلىٰ أن المرابي يحبس المال ، ويحبس الإنتاج ؛ لكي يرتفع السعر فيحصل علىٰ ربح أكبر ، والمستهلك هو الضحية في معركة الربا وهم الملايين من الناس .

الربا والصدقة متضادان . فالصدقة : إنفاق للمال ، وطاعة لله وتقرباً إليه .

والربا : تحصيل المال بمعصية وقلة خشية ، ولذلك ذكر الربا بعد الصدقة ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ**

فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) ﴾ [**البقرة** : ٢٧٤ ، ٢٧٥] .

الصدقة : لا تنقص المال بل تبارك فيه «**ما نقص مال من صدقة**» .

والربا ممحوق كَمًّا وكيفيةً وبركة (يمحق الله الربا ويربي الصدقات . فالخبيث لا يكون طيباً ، والحرام لا يكون حلالاً . وليس من ضرورة للربا لاستحلاله فلا يموت الإنسان اذا لم يرابي ، ولا تنقطع عنه أسباب الزرق إذا لم يرابي ؛ بل البيع الحلال أنفع وأعظم بركة ، وأجمل حالاً وآجلاً وإن قل الربا ممحوق وإن كثر .

فالربا خبث ، مدخله ومخرجه . ومهما طلي بطلاء براق ، ومهما أثير حوله من أعذار ، فإن الميزان هو ميزان الشريعة ، وليس للآراء والاستحسانات قول مع نصوص الشريعة لانها تنزيل من خالق الإنسان الذي يعلم سر الأمور ومراميها ، وإنَّما هو ابتلاء واختبار ينظر من الذي يقدم الرغبة في كثير المال على طاعة الله . ومن الذي يفادي بكل غال ونفيس في سبيل طاعة الله ، وفي سبيل الله .

والإنسان لم يترك في هذه الحياة مهملاً ، وإنما عليه دواوين وحفظة وكتبة والله مطلع يسمع ويرى فيعاقب العاصي ، ويثيب المطيع .

والإسلام حينما حرم الربا لم يترك الناس بدون توجيه ، بل أرشدهم إلى أفضل المكاسب وأطيب المعايش ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ**

وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وما يُثار في الأوساط الاقتصادية بقول: أنَّ الربا يقوي الاقتصاد، وأن الاقتصاد لا يصلح الآن أن يقوم على نظام الإسلام. فإنَّما هي دعايات كاذبة، وإرجافات من أعداء المسلمين، ودسائس من عدونا المبين لإيقاف النفوذ الإسلامي.

ومتى اعتمد المسلمون على ربهم، وفتحوا أبواب البيع الحلال، وطرق الكسب الطيب، وتقوية الحركة التجارية على نظام الإسلام، وترك الربا، فإن الله سيعوضها خيراً مما تركت من أجله ويعينها على أعدائها، ويبارك لها في اقتصادها، والمجال مفتوح أمام المسلمين في إقامة نظام اقتصادي إسلامي طاهر رشيد.

وحيث عرفنا حكم الربا وأضرار الربا وأخطاره، فينبغي أن نعرف المعاملات الربوية؛ لنتجنبها.

القاعدة في مسائل الربا ما روي في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: الذهب بالذهب، والورق بالورق -أي الفضة-، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح مثلاً بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى، فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد.

فكل مكيل وموزون، فهو ربوي لا يباح بجنسه إلا متساوي ويداً بيد مثل ذهب بذهب وبر ببر.

فإذا اختلف الجنس، جاز التفاضل إذا كان يدا بيد، إلا ما

يستثنىٰ من ذلك وهو مسألة السلم والعرايا .

وسواء كان المكيل والموزون قوتاً أو غير قوت ، مأكولاً أو غير مأكول .

والعبرة بالكيل والوزن ما كان في عهد رسول الله ﷺ مكيل ، أو موزون فهو ربوي ، وإن ترك وزنه الآن ، وما لم يكن كذلك فليس بربوي ككيل أووزن مثلاً البطيخ والقرع والرمان والحيوان والثياب وما أشبه ذلك لم تكن مكيلات ولا موزونات ، فليست ربوية .

والجنس اسم خاص تحته أنواع مختلفة بأنواعها .

والنوع : اسم لأشياء مختلفة بأشخاصها ، وفرع الأجناس أجناس مثل الدقيق فلا بد من التماثل . والتساوي بين أنواع الجنس الواحد في البيع واجب ، فإذا جهل التساوي فكالعلم بالتفاضل .

ولذلك حرمت المحاقلة وهي بيع الحب في سنبله في الحقل .

والمزابنة : وهي بيع الرطب في رؤوس النخل بتمر ؛ لعدم العلم بالتساوي . وبيع الرطب من التمر أو غيره بجنسه يابساً لأنه ينقص اذا يبس ، ولكن يبيع ما رغب عنه بيع آخر بجنس آخر أو بنقد ، ويشتري ما رغب مه .

بعث النبيِ عاملاً علىٰ خيبر فقد بتمر جنيب أي جيد ، فقال عليه الصلاة والسلام : «أكل تمر خيبر هكذا ؟ قال : لا والله يا رسول الله إنَّما نشتري الصاع بالصاعين من من الجمع ، فقال عليه

الصلاة والسلام : «لا تفعلوا ، ولكن مثلاً بمثل ، أو تبيعوا هذا واشتروا بثمنه من هذا وكذلك الميزان » رواه مسلم .

ولا يباع جنس بجنسه ، ومع أحدهما غيره كبيع الذهب بالفصوص لوزنه ذهبياً ؛ لعدم التماثل ، وإنَّما يباع بفضة .

والسلم مستثنىٰ من القاعدة العامة في الربا . نظر إلىٰ مسيس الحاجة إليه ، فأبيح السلم بشروط ، وهو عقد إلىٰ أجل علىٰ موصوف في الذمة بثمن مقبوض في العقد .

ويشترط للسلم ما يشترط للبيع إلا أنه يجوز علىٰ معدوم :

١ ـ أن يكون أحد العوضين نقداً .

٢ ـ أن يقبض رأس مال السلم في المجلس (أي مجلس البيع) .

٣ ـ أن يكون إلىٰ أجل له وقع في الثمن .

٤ ـ أن يكون المسلم فيه موصوفاً في الذمة ليتميز عن غيره .

٥ ـ أن يكون موجوداً وقت الحلول .

كما أبيحت العرايا مستثناة من المزابنة للحاجة بشروطها :

أ ـ أن يكون المشتري محتاجاً إلىٰ الرطب وليس عنده ما يشتري به إلا تمراً .

ب ـ أن يكون في أقل من خمسة أوسق .

جـ ـ أن يأكله رطباً فإن تركه حتىٰ ييبس لم يصح .

د ـ الحلول والقبض قبل التفرق .

وسدت الذرائع والحيل التي توصل إلىٰ الربا :

١ ـ حرمت العيبة .

٢ ـ بيع الدين بالدين ، بأن يجعل رأس مال السلم ديناً في الذمة وهو بيع الكالئ بالكالئ .

٣ ـ كل قرض جر نفعاً فهو ربا .

المصارفة : بيع نقد بنقد سواء اتحد الجنس أو اختلف ، وتصح بشروط :

١ ـ وجوب التماثل في الجنس الواحد ، ويجوز التفاضل بين جنسين بشرط التقابض .

٢ ـ الحلول والتقابض قبل التفرق . فإن تفرقا قبل القبض أو أحدهما بطل العقد ، ويجوز المصارفة لما في الذمم وهي المحاصة والله أعلم وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ونبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان .

عبدالله بن محمد بن زاحم

مشروعية الصيام

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . . وبعد :

فأقدم لك أخي القارئ الكريم هذا الحديث عن قاعدة من قواعد الإسلام وشرعة من شرائع الله . لها عمق في التاريخ ولها تأثير في إصلاح النفس والروح والبدن . . إنه «الصيام» .

إن الحديث عن الصيام يعطي النفس قوة وعزيمة ويكسبها رغبة ورهبة . ويلبسها ثوب هدى وتقوى ؛ لأن الصيام يصل بحبل الله المتين والعروة الوثقى . فما بالك أيها المسلم بالصيام وآثاره .

وسأتناول في حديثي هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ :

ـ تعريف الصيام .

ـ تاريخ الصيام .

ـ حكم الصيام في الإسلام .

ـ حكمة الصيام .

ـ فوائد الصيام .

ـ فضل شهر رمضان

ـ الأعذار المبيحة للفطر .

ـ مبطلات الصيام .

١ ـ تعريف الصيام:

الصيام لغة : مطلق الإمساك عن الشيء . وهو مصدر صام يصوم فيُقال : صام عن الكلام إذا أمسك عنه . ﴿ **فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦)** ﴾ [مريم : ٢٦] .

ويقال خيلٌ صيام : أي ممسكة عن الجري كما قال النابغة

خيل صيام وأخرى غير صائمة

تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

وأما في الشرع : فالصيام هو : الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس . قال تعالىٰ : ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

٢ ـ تاريخ الصيام:

الصيام من العبادات الأساسية في الشرائع . قد فُرِضَ علىٰ الأمم التي قبلنا من لدن آدم عليه السلام ، ثم آخرها هذه الأمة المحمدية علىٰ نبينا أفضل الصلاة والتسليم .

فلم يكن الصوم خاصاً بهذه الأمة وحدها . قال تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ**

تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

وأما صفة صوم من قبلنا ، فلم أطلع فيه على نص من الرسول ﷺ ، فإذا علم المسلم بأن الصيام فرض على من قبلنا كان أقوى لعزيمته في تحمل المشقة ومقاومة شهوات البدن والفرج في نهار الصيام طاعة لله وطاعة لرسوله ﷺ .

يضاف إلى أنه مفروض على من قبلنا أنه أيام معدودات . فليس كل العمر . ولا أكثره . وليس كل أيام السنة . بل هي أيام قليلة بالنسبة إلى أيام العام . فهو شهر واحد من اثني عشر شهراً . فذلك أدعى للانقياد والتسليم والامتثال . فضل من الله ورحمة .

وكان أول ما فرض صيام شهر رمضان لوحظ فيه التدريج تسهيلاً على النفوس ؛ لأن الصيام فيه مشقة . فالأخذ بالتدريج فيه أسهل على النفوس .

فكان أول ما فرض يخير الذي يطيق الصيام بين الصيام ، وبين الإطعام كل يوم مسكيناً ، ومن زاد فهو خير له ، مع الترغيب في الصوم وتفضيله على الفطر .

مع الرخصة للمسافر والمريض أن يفطرا ويقضيا في أيام أخر .

قال تعالى : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)﴾ [البقرة: ١٨٤].

٣ ـ أما حكم الصيام في دين الإسلام:

فهو فرض عين على كل مسلم مكلف، أي بالغ عاقل يطيقه سواء كان ذكراً أو أنثى، بل الصيام ركن من أركان الإسلام لا يتم إسلام المرء إلا بالصيام، فلا تصلح الصلاة إلا بالصيام ولا تصلح الزكاة إلا بالصلاة، ولا يصلح شيء من شرائع الإسلام إلا بالركن الأساس (**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ**). مع تحقيق ذلك.

ويستحب أن يُمرَّن الصبي - إذا راهق البلوغ وقرب من التكليف على الصيام. حتى إذا وجب عليه يكون قد تمرن فلا يشق عليه ولا يهمله.

٤ ـ أما حِكمة فريضة الصيام:

فإن الفرائض لا تعلق بما يظهر للإنسان من آثار محسوسة. ومنافع موجودة؛ إذ المقصود امتثال الأمر واجتناب النهي طاعةً لله تعالى وطاعة لرسوله ﷺ: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)**﴾ [النساء: ٦٥].

ولكن من آثار الحكمة الإلهية في الصيام : قوله تعالىٰ : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ؛ فالصيام يورث التقوىٰ ويرقق الطباع ويهذب النفوس ؛ لأنه يكسر الشهوات ويمنع الأشر والبطر والفواحش ويُهون لذات الدنيا وزخارفها ، فالصيام جامع لأسباب التقوىٰ .

والتقوىٰ هي التي تحرس القلب والجوارح من الطغيان والفساد فإذا استطاع أن يسيطر علىٰ شهوات بطنه وفرجه بالصيام فهو علىٰ باقي الشهوات أقدر .

٥ ـ أما فوائد الصيام :

فإن الصيام يصل المسلم بربه ويرفع معنويته ويطهر النفس ويزكيها ويحط الذنوب ويرفع الدرجات وثوابه لا يقدر بقدر محدود ويكسب النفس فرحة وحيوية وستراً من الآفات والآثام .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه . ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك والصيام جُنة وإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّه أحد أو قاتله أحد فليقل إني امرؤ صائم**» .

وفي الصيام فوائد صحية واجتماعية :

أما الصحية :

فله تأثير كبير في إصلاح البدن والأجهزة العاملة فيه ، فهو يعطيها إجازة لترتاح من العمل الدائب الشاق طوال السنة لستعيد قوتها ونشاطها .

وقد أثبت الطب الحديث أن الحمية لها تأثير فعال في العلاج . ألا تنظر إلى المريض يدخل المستشفى ويمنع عن كثير من المأكولات والمشروبا مدة من الزمن ، وينحصر السماح له في أنواع مخصوصة وبمقادير معلومة . والصيام يخفف الوزن ويصفي الدم وينقي الأمعاء، كما أن الإسراف في الأكل والشرب سبب للأمراض وإرهاق الجهاز الهضمي ، فإذا ضعف ضعفت جميع الأجهزة تتداعى له بالسهر والحمى .

ويقول الحكماء : المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء .

وقد نهى الله تعالى عن الإسراف وعن الشبع الذي يعود بالضرر على الإنسان فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** (٣١) ﴾ [**الأعراف** : ٣١] .

ويبين ﷺ حد الاعتدال والإسراف كما في الحديث عنه أنه قال : «**ما ملأ ابن آدم وعاد شراً من بطن . بِحَسْب ابن آدم أُكَيْلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة** ـ وفي رواية ـ : **فإن غلبت الآدميَّ**

نفسُه فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسِهِ » .

فهذا هو الحد الأعلىٰ للاعتدال ما زاد عنه فهو إسراف وبِطنة تعود علىٰ الإنسان بالضرر والأسقام .

وأما الفوائد الاجتماعية :

فإن الصيام يذكر الأغنياء بأحوال إخوانهم الفقراء والأيتام والأرامل فهو في أيام الصيام يحس بما يحسون به من الجوع والحاجة إلىٰ الطعام والشراب البارد طوال أيام السنة ، فيعطف عليهم ويواسيهم من ماله الذي آتاه الله .

وفيه أيضاً : توحيد للحالة الاجتماعية بين الناس ، فكلهم في طبقة واحدة تحتاج إلىٰ الطعام والشراب . وكلهم واحد في شرع الله . لا يتميز الشريف ولا الغني عن غيرهما من الناس فالكل عبيد لله ويطالبون بإقامة شرائع الله .

وفي الصوم كبح لشهوات النفس وكسر بشريتها ، فلا يظلم أحد أحداً . ولا يتكبر أحد علىٰ أحد . أما الشبع والإسراف فهو ضد ذلك .

روىٰ البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : «**أول بلاءٍ حدث في هذه الأمة بعد نبيها : الشبع ، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم**» .

وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال : «**من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت**» .

فالصيام إذاً يحث على الصلة وفعل الخير والبر بالأقارب والجيران والعطف على المحتاجين .

٦ ـ وأما فضل شهر رمضان :

فناهيك بشهر الصبر والمغفرة والرضوان إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصُفدت مردة الشياطين .

وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر اقصر . ولله في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار .

وهو شهر مبارك يفيض الله فيه على عباده المؤمنين من النفحات والكرامات والمغفرة والرضوان . وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم الخير الكثير ، ما يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلا استجيب له ما لم يكن إثماً أو قطعية .

جعل الله صيام رمضان فريضة ، وقيام ليلة تطوعاً . من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه .

وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة .

يُزاد فيه رزق المؤمن . من فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص أجره شيء . إنه شهر مبارك أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار . وكان ﷺ إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطىٰ كل سائل والجنة تزخرف من الحول إلىٰ الحول لشهر رمضان وفي آخر ليلة من رمضان يغفر لأمة محمد ﷺ وإنما يوفىٰ العامل أجره إذا قضىٰ عمله .

ويستحب الإكثار من نوافل الصلاة في رمضان وخاصة التراويح ، والتهجد في العشر الأواخر منه اقتداءً بالنبي ﷺ فإنه كان إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيا ليلة وأيقظ أهله .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه قال : قال ﷺ : «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » .

٧ ـ أعذار الفطر : ثلاثة ؛ السفر ، والمرض ، والحيض والنفاس.

١ ـ المسافر ـ مخير بين الطعام والفطر إذا لم يشق عليه الصيام ؛ لأنه ﷺ خير حمزة الأسلمي ، فقال : «**إن شئت فصم وإن شئت فافطر**» والأخذ بالرخصة أفضل .

أمَّا إن شق عليه الصيام، أو كان في عمل للمسلمين يتطلب القوة والعمل فليس الصيام إذاً من البر . بل الفطر هو البر؛ لقوله ﷺ: «ليس من البر الصيام في السفر» . . وقوله : «ذهب المفطرون اليوم بالأجر» . وقوله : «أولئك العصاة أولئك العصاة للذين لم يفطروا مع شدة الحر وحاجاتهم إلىٰ الفطر لانهم مقبلون علىٰ العدو ولأن النبي ﷺ أفطر وأمر بالفطر» فإذا أفطر قضىٰ عدة ما أفطر من أيام أخر ولا يشترط التتابع ولا الفور لكن لا يؤخره حتىٰ يدركه رمضان آخر . والأولىٰ أن يقضيه فور إقامته ؛ لأنه دين في ذمته ودين الله أحق بالوفاء .

ومتىٰ استقر المسافر في بلد ونوىٰ الإقامة أكثر من أربعة أيام زال عنه حكم السفر وصار مقيماً يلزمه الصوم ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ .... **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ** ... ﴾ [البقرة: ١٨٥] . قال نوىٰ الاقامة ولم يكن علىٰ سفر .

٢ ـ المريض :

وحد المرض المبيح للفطر هو الذي لا يستطيع معه الصيام أو يزيده الصيام مرضاً أو مضاعفات ، وهو نوعان :

الأول : مرض يرجىٰ برؤه كالكبير في السن والمريض مرضاً مزمناً لا يرجىٰ برؤه فيفطر ويقضي عدة ما أفطر في أيام أخر .

والثاني : مرض لا يُرجىٰ برؤه ؛ كالكبر في السن والمريض مرضاً مزمناً لا يُرجىٰ برؤه فيفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً فإن زاد في الإطعام فهو خير له والحامل والمرضع إذا خافتا علىٰ نفسيهما أفطرتا وقضتا كالمريض الذي يرجىٰ برؤه .

٣ ـ الحائض والنفساء:

لا يصح منهما الصوم ، ولا يحل لهما أن تصوما بل تفطرا وتقضيان عدة ما أفطرتا من أيام أخر .

٨ ـ مبطلات الصيام :

١ ـ من أكل أو شرب في نهار الصيام من غير عذر متعمداً ذاكراً لصومه ، أثم ولزمه الإمساك والقضاء والتوبة إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ .

٢ ـ الجماع : من جامع في نهار رمضان فسد صومه ووجب عليه القضاء والكفارة . والمرأة إذا كانت مطاوعة كذلك . والكفارة عتق رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً وفي غير رمضان لا كفارة فيه .

٣ ـ إنزال المني في غير جماع : يوجب القضاء سواء حصل بمباشرة أو تقبيل أو استمناء التي يسمونها العادة السرية وهي حرام . أما إذا احتلم وهو نائم فأنزل فصومه صحيح ولا شيء عليه .

٤ ـ القيء : وهو إخراج ما في المعدة من طريق الفهم . إذا استقاء الصائم فأقاء فسد صومه وعليه القضاء . أما إن غلبه القيء فلا شيء عليه .

هذا ما تيسر ذكره . أرجو الله أن ينفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه الفقير إلى الله

عبدالله بن محمد بن زاحم

١٤٠٢/٨/١٠هـ

فضل ليلة القدر

إن الكلام عن ليلة القدر ، تلك الليلة المباركة الموعودة المشهورة لا يعطيها حقها ولا يستطيع إنسان أن يعبر عن حقيقتها .

والقرآن الكريم ذكر تلك الليلة في موضعين فيه :

الأول : في مستهل سورة الدخان : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم حمٓ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦)** ﴾ [**الدخان** : ١ - ٦] .

والثاني : سورة كاملة هي سورة القدر ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)** ﴾ [**القدر** : ١ - ٥] .

فهذه الآيات القرآنية التي تحدثت عن ليلة القدر تبعث الفرح والغبطة في النفس المؤمنة بتلك الليلة ليلة الاتصال من الأرض والملأ الأعلىٰ . ليلة الحدث الأكبر الذي لم تشهد الأرض مثله في حياة البشر فقد أنزل فيها القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ

إلىٰ بيت العزة في السماء الدنيا وابتدأ نزوله منجماً إلىٰ الأرض علىٰ نبينا محمد ﷺ في ليلة القدر ، ثم تتابع علىٰ حسب الوقائع ومتطلبات التشريع واستعداد المؤمنين لاستقباله والعمل به، يعالج المشاكل الاجتماعية والقضايا السياسية وينظم الصفوف الحربية ويصل الإنسان بخالق الإنسان ، ويربط الإنسان بالإنسان وينظم حياة البشر في كل المجالات علىٰ مستوىٰ رفيع طاهر نظيف وفي تلك الليلة يُفْرَقُ كل أمر حكيم ، تقضي فيها الأمور وتقدر فيها الآجال والأرزاق .

وآيات القرآن الكريم في سورة القدر تشير إلىٰ الأنوار التي تختص بها تلك الليلة نور القرآن المشرق الذي نزل فيها فأضاء الوجود بالروحانية والإيمان فحجب السماء عن مسترقي السمع .

ونور الملائكة التي تنزل مع تلك الليلة تغدوا وتروح بين السماء والأرض . وتجول في أرجاء الأرض ستمعون لتلاوة القرآن وتحف حلق الذكر بأجنحتها وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات وتنشر السلام والأمن والاطمئنان في كل أطراف الأرض علىٰ المؤمنين .

وتشير سورة القدر إلىٰ أن هناك معاني خفية ومدلولات عظيمة خارجة عن إدراك البشر وعن طاقتهم ، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣**﴾ [**القدر**: ٢ - ٣] .

أي : خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وألف شهر

تقابل ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة شهور .

ذكر الإمام الحافظ بن كثير في تفسيره في سبب نزول سورة القدر عن مجاهد ـ رحمه الله ـ أن الرسول ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ .

وليلة القدر من خصوصيات هذه الأمة المحمدية تكريماً لها ولنبيها محمد ﷺ وإظهاراً لفضلها علىٰ الأمم ؛ لأن الأمم التي قبلنا أعمارهم أطول فيحصل لهم من طول العبادة خير كثير ، وأمة محمد ﷺ هي أقصر الأمم إعماراً فأعطيت تلك الليلة التي هي خير من ألف شهر لتسبق بها من قبلها . قال عليه الصلاة والسلام : «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب قبلنا**» متفق عليه .

أما وقت نزول ليلة القدر :

لقد نصت الأحاديث الصحيحة أنها في شهر رمضان ، وأنها في الوتر من العشر الأواخر : أي ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ .

وهل هي ثابتة في ليلة معينة دائماً أو أنها قد تنتقل في أوتار العشر ، لننظر في النصوص الشرعية عن المصطفىٰ ﷺ ، فقد دلَّ حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ المتفق عليه أنها حصلت في عهد رسول الله ﷺ في ليلة ٢١ حيث سجد في صبيحتها في

ماء وطين .

ودلَّ حديث عبد الله بن أنيس عند مسلم أنها حصلت في ليلة ثلاث وعشرين .

ودلَّ حديث زر بن حبيش عند مسلم أنها ليلة سبع وعشرين .

واستدلَّ عليها بطلوع شمس ذلك اليوم ولاشعاع عليها .

فهذه الأحاديث دليل لمن قال أنها تنتقل في العشر الأواخر وليست ليلة ثابتة دائماً . وليلة القدر باقية إلىٰ يوم القيامة ولكنها قد ترفع عن ليلة من أجل سبب من الأسباب يحدثه بنو آدم .

ومن فضلها :

إن من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ولا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بدعاء ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم إلا استجيب له .

عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه قال : قال ﷺ : «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» متفق عليه .

وكان ﷺ يتحرىٰ ليلة القدر ، وأوصىٰ أهله والمؤمنين بتحريها لما فيها من الخير العظيم والبركة والنفحات الربانية والإفاضات

الإلهية.

● تقدم في الجواب الأول الإشارة إلىٰ شيء من ذلك. فالقرآن نزل في شهر رمضان . علىٰ نبينا محمد ﷺ في ليلة القدر الليلة المباركة ، فقد سُئل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالىٰ : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ، وقوله : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ وقوله : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وقد أنزل في شوال ، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجة ، وفي المحرم ، فقال رضي الله عنه : «إن القرآن أنزل في شهر رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جعلة واحدة ، ثم أنزل علىٰ مواقع النجوم ترتيلاً في الشهور والأيام » .

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال : «أنزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر إلىٰ هذه السماء الدنيا جملة واحدة » . فقد أوضح ترجمان القرآن ـ رضي الله عنه ـ معنىٰ إنزال القرآن في شهر رمضان وفي ليلة مباركة . وفي ليلة القدر فلا إشكال والأمر واضح ولله الحمد والشّكر .

● إن الإسلام لا ينظر إلىٰ الشكليات المجردة من الروحانية ولا إلىٰ الأجسام الخالية من الخشوع ولا إلىٰ الأعمال المجردة من وحدانية الله فيها ولا إلىٰ العبادات التي لم تكن من هدي نبينا محمد ﷺ ولا من سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، ولذا

قال ﷺ : «**ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» .

فلا بد أن يكون القيام والعمل والقول مرتبط بالوحدانية لله في كل عبادة وقربه وإرادة وجه الله تعالىٰ بالقيام والعبادة مجردة من الشوائب مع الرغبة فيما عند الله من الأجر والثواب والإيقان بالإجابة ليجمع بين الإيمان والاحتساب ، والإسلام دائماً مرتبط في تربيته وتعليمه وتوجيهاته بين العبادة والتوحيد لله «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» .

● **ومقدماتها وآثارها في الوجود :**

فقد روىٰ أبو داود الطيالسي بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ في ليلة القدر : «**سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء أي لا شعاع لها**» .

وفي حديث ابن أبي عاصم عن جابر قال : كأن فيها قمراً لا يخرج شيطانها حتىٰ يضيء فجرها وهي من غروب الشمس تلك الليلة إلىٰ طلوع الفجر .

وقيل : إن من علامتها أنه لا يرمىٰ فيها بنجم وتتدلىٰ أغصان الشجر إلىٰ الأرض ولا ينبح فيها كلب ولعل هذا عند ساعة نزولها .

والإنسان الذي يحرص علىٰ ليلة القدر يحيي ليلتها بالهدوء والاطمئنان في النفس والراحة في الضمير والرقة في الطبع

والخشوع في العمل والحرص على طلب الخير وقابليته للعبادة وتحمله للمشقة .

● أفضل الأعمال التي تعمل فيها :

سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت : «إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال : قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فأعفو عني » ويجب الإكثار من نوافل العبادات مثل الصلاة ، والصدقة ، وتلاوة القرآن الكريم ، والذكر المأثور بأنواعه .

والتفرغ لذلك فإن النبي ﷺ : كان إذا دخل العشر جد واجتهد وشد مئزره وأحيا ليله وكان يعتكف في المسجد من أول الليلة الحادية والعشرين حتى طلوع الفجر يوم العيد لا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان ولا يشتغل بشيء من أمور الدنيا .

● الأصل في اتجاه المسلمين إلى العمرة في رمضان :

حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين وغيرهما : «أن رسول الله ﷺ قال لامرأة من الأنصار : ما منعك أن تجيئي معنا ؟ فقالت : كان لنا ناضح فركبه أبو فلان ، تريد زوجها وأمها وترك لنا ناضح ، ننضح عليه . قال عليه الصلاة والسلام : «إذا كان رمضان فاعتمري فيه فإن عمرة في رمضان تعدل حجة» . وفي رواية مسلم : « فإن عمرة في رمضان تعدل

حجة معي » .

ولأن العمل يضاعف أجره بحسب فضل الزمان والمكان وشهر رمضان شهر مبارك مفضل من أدَّىٰ فيه فريضة كان كمن أدىٰ سبعين فريضة فيما سواه ومن أدىٰ فيه نافلة كان كمن أدىٰ فريضة فيما سواه . ولم أر ما يدل علىٰ أن النبي ﷺ اعتمر في رمضان وعام الفتح دخل النبي ﷺ مكة حلالاً غير محرم ، ثم اعتمر في شهر ذي القعدة من الجعرانة .

● وهل العمرة في رمضان أفضل ؟ أم الاشتغال بالصلاة والقراءة والعبادات؟

قال بعض العلماء : العمرة أفضل وإنما لم يعتمر ﷺ في نهار رمضان تسهيلاً لأمته .

وقال آخرون : بل الاشتغال بالعبادة وما هو أكثر عملاً وأهم من العمرة أفضل ، بل إنه ﷺ لم يعتمر في رمضان ولو كانت العمرة أفضل لقدم الأفضل .

وأما تخصيص بعض الناس ليلة سبع وعشرين من رمضان بالعمرة فهو اجتهاد منهم لأن تلك الليلة مباركة في شهر مبارك وبلد مبارك .

والذي يظهر أن التفرغ للعبادة في العشر الأواخر من رمضان

بما فيها ليلة سبع وعشرين أفضل من العمرة اقتداءً بالنبي ﷺ ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام إذا دخل العشر جد واجتهد وشد المئزر وأيقظ أهله .

والعمرة تحتاج إلىٰ سفر وقد يفوته من العبادات ما هو أفضل من السفر إلىٰ العمرة ، ولأن السفر فيه مشقة فقد يكسل عن العبادة باقي تلك الليلة والمشروع قيام ليالي العشر للعبادة ومناجاة الله .

وقد يحصل من المسافر ما يخل بالآداب في العشر ، لذلك فإن التفرغ للعبادة أفضل من السفر إلىٰ العمرة في العشر الأواخر .

تتمة في الصيام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

الصيام والجهاد أخوان كلاهما يفيد تقرير منهج الله ، وتثبيت إرادته الشرعية في خلقه . فالجهاد بذل الطاقة لكف أعداء الإسلام عن طريق الدعوة وردهم إلى حكم العدل . وقتال المعاند ليخضع لحكم الله وإرادته .

والصيام جهاد النفس وكفها عن شهوات البطن والفرج المباحة في نهار الصيام طاعةً لله وانقياداً لحكمة .

ولما كان التكليف شاقاً على النفس ، والمشرع تعالى عليم بضعف الإنسان وطبيعته . جعل في فرض الصيام أسلوباً حكيماً يقود النفس المسلمة إلى القبول والانقياد والرضى والاحتساب .

وذلك واضح في نص القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ**

سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾ [البقرة].

فهذه خمسة اعتبارات نصت عليها الآيات :

١ ـ التأسي والاقتداء : فهو يقوي عزيمة الإنسان . فإذا علم المسلم أن الصيام عبادة مشروعة على الأمة التي قبل هذه الأمة فحملوها . كان ذلك حافزاً له على تلقي فريضة الصيام بالرضى والقبول .

٢ ـ ذكر الأيام التي فرض فيها الصيام ، وأنها قليلة بالنسبة لأيام السنة ، فإنما هي أيام معدودات . وليست كل أيام السنة ولا نصفها . وفي النهار دون الليل . فإذا علم المسلم أيام الصيام قليلة جزء من اثني عشر جزء من السنة . وباقي الأيام حل له ، سهل عليه الصيام .

٣ ـ التيسير في التشريع ورفع الشقة . فإذا علم المسلم أنه مرخصٌ له في الفطر إذا ضرب في الأرض ليحصل معاشه ومصالحه . ومرخص له في الوقت الذي يشق عليه الصيام لمرض ونحوه . حث نفسه لتلقي الفريضة بالرغبة والاطمئنان .

٤ ـ التدريج في فريضة الصيام . فكان أول ما فرض الصيام خيّر

القادر بين الصيام وبين إطعام مسكين عن كل يوم ، وذلك لترويض النفس ولمراعاة جانب الضعف في الإنسان . إذ صرف النفس عن طبعها أمر ليس بالهين ، فلا بد من أخذها بالحكمة ، لئلا تنفر فتهلك .

٥ ـ الترغيب في أعلىٰ صفات المسلم التقوىٰ ؛ فالصيام سبب للتقوىٰ ؛ لأنه يرقق الطبع . ويهذب النفس ، ويصفي الأخلاق ويضيق مجاري الشيطان في البدن . فإذا عرف المسلم أن الصيام يوصل للتقوىٰ أداه برغبة واقبل عليه باحتساب وللتقوىٰ نفوذ بالغ في قلب الإنسان وجوارحه فهي تحرسها من تعدي حدود الله . ومن الوقوع في معصية الله .

وكفي بالصيام فضل أن الله تعالىٰ أضافه لنفسه . فلم يتعبد أحد بالصيام غير الله . فلم يعظم الكفار والوثنيون في عصر من العصور معبوداً لهم بالصيام وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر . والذبح والنذر . وسائر القرابين المالية .

ولأن الصوم بعيد عن الرياء لخفائه فهو خفي وسر بين العبد وربه . فكان ثوابه لم يحدد بمقدار معلوم لا بعشرة أضعاف ولا بسبعمائة ضعف وإنما يتولاه الواحد الكريم سبحانه وتعالىٰ ﴿**إنما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب**﴾ روىٰ الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله قال الله

عز وجل «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به . والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يؤذ ولا يصْخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرئ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه**» . ولا يسخب فإن سابه أحد أ و قاتله فليقل إني أمرؤصائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عندالله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه .

وفي رواية عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي .

لقد أظلنا أيها القارئ الكريم خير الشهور وأفضلها واعزها علىٰ الله وأكرمها فاستقبلوه بالبشر والسرور فإنه ضيف خفيف الظل سيحل ويرحل سريعاً مثل الأعوام السابقة .

وكان السلف الصالح رضي الله عنهم يسألون ستة أشهر أن يبلغهم رمضان فإذا صاموه سألوا الله ستة أشهر أن يتقبل منهم .

تلقوا شهركم بالعزيمة والنية الصادقة علىٰ صيامه وقيام ماتيسر

من ليله فإن صيامه وقيام ليله يكفران جميع الذنوب وسبب لدخول الجنة. ففي الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (**في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون**) وفي الصحيحن أيضاً عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (**من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**).

إخواني في الله: خذوا من صحتكم لمرضكم ومن فراغكم لشغلكم ومن غناكم لفقركم ومن حياتكم لموتكم.

فكم من مسلم ادركه الاجل قبل شهر رمضان وكم من مسلم تمنى صيامه وقيامه فمنعه المرض وكم من مسلم اشغلته دنياه عن مناجاة مولاه وكم من انسان استحوذ ابليس فهو في الأرض حيران. واشكروا ربكم على نعمة الإسلام اللهم لا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك، اللهم سلمنا لرمضان وأعنا على صيامه وقيامه وتسلمه منا مقبولاً وارحمنا برحمتك واغفرلنا ذنوبنا واعتقنا من النار.. وصلى الله وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى اله وصحبة..

عبدالله بن محمد بن زاحم

عن كلمة خادم الحرمين الشريفين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد :

فقد سمعت من وسائل الإعلام . وقرأت في بعض الصحف كلمة خادم الحرمين الشريفين التي ارتجلها حفظه الله أمام المواطنين من أهالي المدينة المنورة والعلماء وطلاب العلم الحاضرين .

والحق يقال : إنها كلمة توجيهية ضافية شاملة تحمل في طياتها النصح لرعيته والتوجيه لشعبه .

وهي دليل على حرصه على قبول النصيحة والمفاهمة والمشاورة والتعاون على البر والتقوى والتمسك بتعاليم الكتاب والسنة ؛ لأن هذه البلاد حكومتها وشعبها مؤمنون بالله متمسكون بالعقيدة الصحيحة .

ولفتالأنظار حفظه الله إلى النعم الكبرى التي ترفل فيها هذه البلاد . نعمة الإسلام، ونعمة الأمن ، ونعمة التآخي بينما بعض البلدان الأخرى كما هو معلوم فيها ما فيها فهذه البلاد محسودة على نعم الله ويجب على أبناء هذه المملكة الانتباه إلى ما يراد بهم وأخذ الحذر من الدسائس والوساوس، التي يبيتها الأعداء حسداً من عند أنفسهم، وأن المنابر إنما هي لقول العدل والحق والتآلف

والتراحم والدعوة إلى جمع الكلمة وتوحيد الهدف والصف .

وحذر حفظه الله من استقلال المنابر والنوادي والتسجيلات والتجمعات لخدمة الأعداء . وإثارة الشغب والخلافات ونشر الفوضى والدعايات .

وأخبر حفظه الله أن للعلماء مكانة عالية في الدولة وأن كلمة الحق والنصح مسموعة . وأن الأبواب مفتوحة للناهجين لتحقيق المصلحة العامة والتعاون على البر والتقوى على وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما درج على ذلك أهل هذه البلاد .

وكلمة خادم الحرمين الشريفين أيده الله بتوفيقه ورعايته ، دليل على أنه مطلع على الأحوال في الداخل والخارج ، وأنه متفهم الأوضاع جيداً .

ولا غرابة في ذلك ، فإن الملك فهد بن عبد العزيز نشأ في دار عبادة وتقوى ومراقبة لله وحنكة وسياسة وتحمل أعباء عدة مناصب قيادية وجرب الأمور ومرت عليه حالات متغايرة، ودليل على القتوى . والتوكل على الله ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا . ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

اللهم احفظ علينا نعمك وزدنا من فضلك وارزقنا شكر

آلائك .

اللهم من أرادنا أو أراد ديننا أو بلادنا أو حكومتنا بسُوء فاشغله في نفسه . ورد كيده في نحره وأحرقه بغيظه ، ومزقه بحسده وسلط عليه جندك .

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين . وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عبدالله بن محمد بن زاحم

* * *

العام الهجري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد :

فسبحان مسخر الليل والنهار . وسخر الشمس والقمر .

والحمد لله الذي هدانا للإسلام . ومن علينا باتباع خير البشر محمد بن عبدا لله ﷺ .

والحمد لله الذي كرمنا وفضلنا على كثير من المخلوقات .

الحمد لله الذي جعل الدنيا مزرعة للآخرة . وجعل للأنفس آجالاً محتومة ، فلولا هذه الآجال لضاقت الأرض بسكانها .

أخي القارئ : وَدَّعنا عاماً مضى وطويت صحائفه بما فيها من أعمال بني آدم . من حسنات وسيئات . ومن حسن وقبيح . واستقبلنا عاماً جديداً لازالت صحائفه ناصعة البياض يسطر فيها أعمال كل فرد وأقواله . فتأمل أخي القارئ في أفعالك وحاسب نفسك على أقوالك : ﴿من عمل صالحا فلنفسه وما أساء فعلها وما ربك بظلام للعبيد﴾ .

سبحان الحي القيوم بمرور الليالي والأيام تنقضي الآجال . وبتعاقب الليل والنهار يسير المرء إلى الآخرة . والإنسان في هذه الحياة مسافر على مطايا الزمن يوشك أن يصل إلى المستقر .

فيجب علينا أن نأخذ من الماضي عبراً ومواعظ . وتعليماً ودروساً وترتبية .

يجب على الأمة المسلمة أن تفطن لما يراد بها وأن تقابل الأفعال بالأقوال . يجب على الأمة المسلمة أن تتلافى الأخطاء التي فرضت في عصرها .

وبهذه المناسبة : يسرني أن أتكلم عن ارتباط الأحكام الشرعية بالتاريخ الهجري بإيجاز .

إن هجرة النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة تحول كبير في الدعوة وتبليغ الرسالة وقوة ومنعة للمسلمين .

والتاريخ الهجري يمتاز بأنه يعتمد على الأشهر القمرية ولها علامات ظاهرة يعرفها كل أحد ﴿**والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم**﴾ .

وتتعلق بالتأريخ الهجرة والأشهر القمرية أحكام شرعية . مثل الصيام والحج . والعدد. والرضاعة . ومدة الإيلاء .

فارتباط المسلم بالتاريخ الهجري وثيق وعلاقته به علاقة دين ، ومهما تعلق الناس بالتاريخ الميلادي فإن المسلم لا بد له من التاريخ الهجري .

وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم والتابعون رحمهم الله

ومن بعدهم إلىٰ يومنا هذا أن السنة الهجرية تبدأ من شهر المحرم وتنتهي بنهاية شهر ذو الحجة . وإن كانوا اختلفوا في خروج النبي ﷺ من مكة إلىٰ المدينة يوم الهجرة فقد جرىٰ التأريخ الهجري علىٰ ما اتفقوا عليه .

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين .

عبدالله بن محمد بن زاحم

التكافل الاجتماعي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فإن التكافل الاجتماعي واجب من واجبات الإسلام، فقد أوجب الله على الأغنياء جزءاً من أموالهم يعطى الفقراء . حق واجب لا تطوعاً ولا تفضلاً فليس للغني حق المحابات بها ولا حق صرفها لغير مستحقها . قال تبارك وتعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (١٠٣) ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

وروى البخاري رحمه الله في الصحيح (٢ / ١٣٠) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن . فقال : «**ادعهم إلى شهادة أن لا إله الله وأنِّي رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**» .

قال ابن كثير في التفسير(١) : (وأخبر تعالى أن كل من تصدق بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه فيربيها

لصاحبها حتىٰ تصير التمرةُ مثلُ أحد ـ كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ . كما قال الثوري ووكيع كلاهما عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله يأخذ الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره وحتى إن اللقمة لتكون مثل أحد**» . وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿**ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات**﴾ . وقوله تعالىٰ : ﴿**يمحق الله الربا ويربي الصدقات**﴾ .

وذكر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : «**إن الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل**» .

وقال في التفسير الكبير : (ظاهر الآية ويأخذ الصدقات أن الله تعالىٰ هو الآخذ . وجاء في الآية الأخرىٰ ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ تدل علىٰ أن الآخذ هو رسول الله ﷺ . وجاء في حديث معاذ ما يدل علىٰ أن الآخذ معاذ. والحسُّ يشهد بأن الآخذ الفقير فكيف الجمع بينها ؟!! .

الجواب : والله أعلم أن الله سبحانه وتعالىٰ هو الآمر بأخذ الصدقة . والرسول ﷺ مبلغ عن الله . ومعاذ مبلغ عن النبي عليه الصلاة والسلام . والفقير هو المستفيد .

---

(١) تفسير : ابن كثير : ٢/ ٣٨٦ .

فالله سبحانه هو الآمر المثيب فإعطاء الصدقة امتثالاً لأمره وطاعة له فهو يتقبلها عنده ويدخر ثوابها لمعطيها . والرسول ﷺ قائم مقام أخذ الله . ومعاذ قائم مقام الرسول ﷺ ، والفقير هو المباشر للأخذ .

ونظير هذا قوله تعالىٰ : ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾ . ومثل قوله سبحانه : ﴿**قل يتوفاكم ملك الموت**﴾ مع قوله : ﴿**حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا**﴾ وقوله تعالىٰ ﴿**الله يتوفى الانفس ..**﴾ .

وفي قوله تعالىٰ ويأخذ الصدقات تشريف وتعظيم لهذه الطاعة : فرذا عرف الغني أن صدقته لا يأخذها الفقراء وإنما يأخذها الله سعد وارتاح واستبشر فمن أسعد ممن تقبل الله عطاءه !! . ومن أكثر طيباً وطمأنينة ممن يربي الله صدقته وينميها له . وهذا الفضل وهذا التشريف وتقبل الصدقة وتنميتها لا يختص بالصدقة الواجبة بل ويشمل صدقه التطوع . فقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ المتصدقين تطوعاً كما أثنىٰ علىٰ المصلين فريضة مما يدل علىٰ فضل صدقة التطوع ومنزلتها عند الله . واستثناهم سبحانه من الصفة المذمومة . فقال تبارك وتعالىٰ : ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)**﴾ [المعارج] .

فالصدقة لها تأثير بليغ في ترابط المسلمين . وتعاطفهم والتفاف بعضهم على بعض الغني يُحِسُّ بأن المحتاج أخاه في الله وإنما فضل الله بما أعطاه من المال فهو يواسيه مما في يده ، والمحتاج يحس بأن أخاه الغني ينظر إليه نظرة أخوة وشفقة وأنه يشاركه في المشاعر والأحاسيس .

والمال هو الوسيط في وصول الإنسان إلى مطالبه في هذه الحياة. ولذلك نقدم الأحوج على المحتاج فالجائع الهالك الذي يأكل في بطنه ويدفع الموت عنه أحق بالصدقة من الذي يترفه في المأكل والمشرب . والعاري المحتاج لستر عورته وتغطية بدنه أحوج من الذي يتزين بالملابس ويشتري أجودهما . والمظلوم الذي داهمه الأعداء في قعر داره وأرادوا إخراجه من بلده وماله بغير حق، أحق بالإعانة من غيره .

ومن المعلوم أن الإحسان إلى البشر يستميل هواهم. ويأخذ بقلوبهم كما قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهموا

فطال ما استعبد الإحسان إنسانا

ومع هذا فإن الإخوة الإسلامية توجب على المسلم مشاركة أخيه المسلم في آماله وآلامه ولا يرضى له بالذلة والإهانة . فقد صح الحديث عن الرسول ﷺ أنه قال : «المسلم أخو المسلم لا

يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .

وفي حديث أبي هريرة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» .

فالرابطة الإسلامية بين المسلمن أقوى من رابطة النسب والمصاهرة، فحبل الله المتين يربط بين المسلم في شرق الأرض وبين أخيه المسلم في غربيها وبين المسلم في جنوبي الأرض وبين أخيه المسلم في شماليِّها . فإذا تأثر مسلم في أي بقعة من الأرض تأثر له المسلمون في جميع أقطار الأرض .

وإذا تأملنا شرائع الإسلام وجدناها تحافظ على روابط الأُخوة الإسلامية ، فمن ذلك الاجتماعات المشروعة في الصلوات المكتوبة والجمعة والعيدين والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وزيارة المرضى وتشييع الجنائز ، وتحريم الظلم والمحافظة علي حقوق المسلم والجوار ، وستر عورات المسلمين وقضاء حوائجهم والحث على الإصلاح والشفاعة ، والصدقة بنوعيها؛ الواجبة والتطوع، والبر والصلة، وتنظيم المعاملات وترتيب صلة المسلم بالمسلم وغير ذلك من أسباب الترابط .

والمملكة العربية السعودية ، وهي الوحيدة في العالم التي

تحكم بما أنزل الله ونظامها القرآن وسنة سيد الأنام ﷺ تحرص شعباً وحكومة على المحافظة على روابط الإخوة الإسلامية أيا كان نوعها .

والسعودية في مقدمة المحسنين في كل ميدان .

وفي مجال التكافل : نجد في كل قطر من الأرض هيئة ومنظمة ورابطة تقدم المساعدات المالية والتعليمية والتربوية لإخواننا المسلمين وتدعو للإسلام .

والذي أعرف أن للملكة العربية السعودية في العالم حوالي ثمانين مكتباً لإغاثة إخواننا المسلمين في أقطار المعمورة ، وهناك مكاتب إسلامية تعلمهم شرائع الدين وترشدهم إلى العقيدة الصحيحة .

وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز أطال الله في حياته بذل مجهوداً كبيراً لإرسال الدعاة . وفتح مكاتب دعوة في كثير من البلدان كانت أثار حسنة ورابطة العالم الإسلامي لها مجهودات مفيدة لإغاثة إخواننا المسلمين اقتصادياً واجتماعياً وأدبياً .

وهناك فرق بين عطاء المبشِّرين من النصارى ـ وبين عطاء المسلمين .

فالمسلمون يعطون المساعدات المالية على أنه تكافل إسلامي واجب يقدمونه لإخوانهم لشد أزرهم وتثبيتهم على إسلامهم .

يرجون بره وثوابه من الله يطعمون الطعام بأريحة نفس ورحمة قلب وخلوص نية ، ولا يقصدون بعطائهم الاستعلاء ولا الفخر والخيلا . إنَّما هو عطاء من أجل الله .

أما المبشرون النصارىٰ فيعطون ما أعطوا لهدف استعباد المحتاجين وجذبهم إلىٰ النصرانية . أو علىٰ الأقل إخراجهم من الإسلام .

فالترابط الإسلامي والتعاطف قوة للمسلمين ترهب أعداءهم وتخيف الكافرين .

فأوصي إخواني أهل الجدة بالعطف علىٰ إخوانهم أهل الحاجة .

ثم أحذرك أخي المسلم من دسائس اليهود والنصارىٰ وأعوانهم الذين يلبسون ثياب الإسلام وهم في الواقع والحقيقة والعمل ضد الإسلام .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾ [آل عمران] .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ [**الأنفال** : ٤٦] .

والله تعالىٰ قادر علىٰ أن يجعل المسلمين أغنىٰ الناس وأقوىٰ الناس ولكن يبتلي عباده ويختبرهم . والدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة . لا تساوي جديا ميتاً أسَك . الخالق يريد رفع درجات بعض المسلمين وتقريبهم منه في جنات النعيم ، ولكن لا يصلون إلىٰ ما أعد لهم إلا بسبب الجهد والفاقة .

فأوصيكم وإياي بتقوىٰ الله ، وبالصبر ، والتوجه إلىٰ الله وحده في السراء والضراء .

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

عبدالله بن محمد بن زاحم

* * *

الحديث الأول

يوم عرفة

الحمد لله على فضله وكرمه وعلى جوده واحسانه وعلى رحمته ومغفرته واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه واحد في ذاته وفي اسمائه وصفاته وأفعاله وفي أمره ونهيه وتشريعه .

اللهم صل وسلم على النبي الكريم والرسول الأمين محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فإن يو م عرفة يوم مبارك لا يعرف قدره إلا من عرف ربه ولا يعرف فضله إلا من عرف نفسه .

وفضله مشهور لدى العارفين فهو يوم أتم الله فيه لأمة محمد ﷺ دينها وأتمت عليها نعمتي قا ل تبارك وتعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ نزلت يوم عرفة وهو عِيْد لأهل الأسلام يشرع صيامه للمقيمن ويكفر أوزار سنتين لما روى مسلم رحمه الله عن أبي قتادة رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة قال : (يكفر السنة الماضية والباقية) أما من كان بعرفة فالسنة له الفطر ليتقوى على الدعاء والذكر ولأن النبي ﷺ كان مفطراً يوم عرفة وقال «خذوا عني مناسككم» وأرسلت إليه أم الفضل بلبن فشربه .

وهو يوم أقسم الله به في كتابه فهو الشفع المذكور في سورة الفجر وأما الوتر فهو يوم النحر وقيل أنه الشاهد والمقسم به في سورة البروج ﴿وشاهد ومشهود﴾ والمشهود يوم الجمعة.

وردِ أنه أفضل الأيام وهو الحج الأكبر وهو يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عن الآثام وهو يوم المباهاة بأهل الموقف والعتق من النار.

فليحذر المسلم من الذنوب التي تمنع من المغفرة والعتق من النار أخي المسلم:

إذا كنت تطمع في العتق من النار فاشتر نفسك من الله وأتبع السيئة الحسنة تمحها ﴿إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة﴾ واشترىٰ عامر بن عبدالله بن الزبير رحمه الله نفسه من الله ست مرات يتصدق بها. وكان أبوهريرة رضي الله عنه يُسبح كل ليلة أثني عشر ألف تسبيحة يفك بذلك نفسه.

من عرف ما يطلب عليه ما يبذل وقد رضي الله تعالىٰ منك أخي المسلم بشراء نفسك بالندم ورضي منك بالتوبة ثمناً لها وفي اليوم المبارك يوم عرفة رخص السعر.

فمن ملك لسانه وسمعه وبصره غفر له روىٰ الإمام أحمد رحمه الله بسند صحيح قال سمعت عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كان يقول: فلان رِدْف رسول الله ﷺ في الحج فجعل الفتىٰ يلاحظ النساء وينظر اليهن فقال له رسول ﷺ (ابن أخي إن هذا

يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له).

فَمد إلىٰ الله يد الاعتذار وقم علىٰ بابه بالذل والانكسار وأرق دموع الندم علىٰ صفحة خدك وقل ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

قال ابن المبارك جئت إلىٰ سفيان الثوري رحمه الله عشية عرفة وهو جاثٍ علىٰ ركبتيه وعيناه تهملان فالتفت اليّ فقلت من أسوأ هذا الجمع حالاً قال الذي يظن أن الله لا يغفر له.

فيوم عرفة يوم النفحات الربانية والافاضات الالهية يتصاعد إليه أصوات المتضرعين وأنين الخائفين وبكاء النادمين وأزيز صدور التائبين فيباهي الله بأهل الموقف ملائكته يقول انظروا إلىٰ عبادي جاؤوني شُعثاً غبرا من كل فج عميق فما أراد هؤلاء فيجيب دعواتهم ويرحم انكسارهم وينزل عليهم الرحمة ويغفر الله لأهل الموقف ويعتقهم من النار.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال قال رسول ﷺ: ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء» أخرجه مسلم والنسائي.

وفي يوم عرفة يخزي الله ابليس ويد حره فيهرب هو وجنوده إلىٰ قمم الجبال لما يرىٰ من تنزل الرحمة والمغفرة لضيوف الرحمن.

روىٰ مالك عن طلحة بن عبدالله بن كريز رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال مارؤي الشيطان يوماً فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وماذاك إلا لما يرىٰ من تنزّل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام. ويباهي الخالق تعالىٰ بأهل الموقف ويفيض عليهم من رحمته ومغفرته. عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول (انظروا إلىٰ عبادي جاؤني شعثاً غبرا ضاجينَ من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يرو عذابي) فلم يُرَ يومٌ أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة». ومن فضل الله وجوده وسعة رحمته يهب المسيئين يوم عرفة للمحسنين ويعطي المحسنين ماطلبوا إلا التبعات التي بين الناس من حقوق بني آدم فيتعلق به رضاهم ومسامحتهم.

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يوم عرفة: «أيها الناس إن الله عز وجل تطوَّل عليكم في هذا اليوم فغفر لكم إلا التبعات فيما بينكم ووهب مسيئكم لمحسنكم وأعطىٰ محسنكم ماشاء الله فادفعوا باسم الله». فيا أخي الحاج هذه فرصتك فأنت في ميدان السباق إلىٰ الجنة وفي يوم ينظر الله فيه إليك وفي سوق شراء النفس واعتاقها من النار فاحرص علىٰ ضبط هذه الفرصة فَقْد لا تدركها في عام آخر واحذر من تضيع وقتك في المسليات والكسل والخمول فأنت في ساعة يجب الجد فيها

والتشمير عن السواعد مَنْ طلب الجنة بَذل ثمنها ومن خاف من النار أدلج في الهروب عنها. علق قلبك بالله واجعل لسانك دائماً رطباً من ذكر الله وانصح لله في توبتك وأكثر من الأعمال الصالحة وأكثر من الاستغفار والتحميد والتهليل والتلبية والتوحيد واستحضر عظمة ربك وتذكَّر سعة رحمته واظهر ضعفك بين يديه واطلب حاجتك منه وألحَّ في الدعاء.

وأكثرْ من قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم أجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا ويسر لي أمري وهي أفضل ما قيل في يوم عرفة. ويدعو بما أحب وبماورد أفضل ومما ورد:

اللهم أنك ترىٰ مكاني وتسمع كلامي وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفىٰ عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وابتهل إليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وذلّ لك جسده وفاضت لك عيناه ورغم لك أنفه يامن لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الأصوات يامن لا تغلبه المسائل ولا تختلف عليه اللغات أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك برحمتك ياأرحم الراحمين.

لا إله إلا الله وحده لاشريك له الملك وله الحمد اللهم أهدني بالهدىٰ وقني بالتقوىٰ وأغفر لي في الآخرة والأولىٰ .

يرفع يديه ؛ يكررها حتىٰ أفاض .

وسمع سفيان الثوري يقول :

الهي من أولىٰ بالزلل والتقصير مني وقد خلقتني ضعيفاً ومن أولىٰ بالعفو عنّي منك وعِلْمِك فيّ سابق وأمرك بي محيط ، أطعتك بإذنك والمنّة لك وعصيتك بعلمك والحجة لك فأسألك بوجوب حجتك وانقطاع حجتي وبفقري إليك وغناك عني أن تغفر لي وترحمني إلهي لم أحسن حتىٰ اعطيتني ولم أسئ حتىٰ قضيت عليّ اللهم أطعتك بنعمتك في أحب الأشياء إليك شهادة أن لا أله إلا الله ولم اعصك في أبغض الأشياء إليك الشرك بك فاغفرلي ما بينهما اللهم أنت أنيس المؤمنين لأوليائك وأقربهم بالكفاية للمتوكلين عليك تشاهد ما في ضمائرهم وتطّلع علىٰ سرائرهم وسرّي لك اللهم مكشوف وأنا إليك ملهوف ، إذا أوحشتني الغربة أنستني ذكرك وإذا صَبَبتْ اليّ الهموم لجأت إليك استجارة بك علماً أن أزمة الأمور بيديك ومصدرها عن قضائك .

وكان عمر رضي الله عنه يقول : الله اكبر الله اكبر ولله الحمد

والوقوف بعرفة هو عمدة أعمال الحج روىٰ البيهقي في السنن عن عبدالرحمن بن معمر الديلمي رضي الله عنه قال سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «الحج عرفات ثلاثاً فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك» أي أدرك الحج.

ووقت الوقوف بعرفة كما هو معمول به ولله الحمد في هذا العهد المبارك من طلوع فجر يوم عرفة إلىٰ طلوع الفجر يوم النحر فمن وقف بعرفة ساعة من ليل أو نهار في ذلك الوقت صح حجه إلا أنه إن وقف بنهار لم يدفع من عرفة حتىٰ تغرب الشمس فإن دفع قبل الغروب فعليه دم لقول جابر رضي الله عنه (ووقف صلىٰ الله عليه وسلم بعرفة حتىٰ غربت الشمس) [1] وفي حديث علي واسامة بن زيد أن النبي ﷺ دفع من عرفة حين غربت الشمس.

روىٰ البيهقي أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لامته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء فأوحىٰ الله إليه أني فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها فقال: (يارب إنك قادر علىٰ أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته وتغفر لهذا الظالم فلم يجبه تلك العشية فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابة الله أني قد غفرت لهم قال فتبسم رسول الله ﷺ فقال: بعض أصحابه يارسول الله تبسمت في ساعة لم تكن تبسم قال تبسمت من عدو الله إبليس إنه لما علم أن الله قد استجاب لي في أمتي أهوىٰ يدعو بالويل والثبور ويحثو التراب علىٰ رأسه[1].

(١) السنن الكبري للبيهقي: ٥/ ١١٤ ـ ١١٥.

قال المنذري فلما فلما كان بجمع قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل قد غفر لصاحبكم وشفع في طالحكم تنزل الرحمة فتعم ثم تفرق المغفرة في الأرض فتقع على تائب من حفظ لسانه ويده فإذا اسفر الحاج أفاض من مزدلفة إلى منى قبل طلوع الشمس والحديث الذي بعد هذا سيكون إن شاء الله في الدفع من مزدلفة إلى منى ومايفعله الحاج بعد ذلك.

فنسأل الله أن يرحمنا مع حجاج بيته وأن يشملنا بعفوه ورحمته وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) السنن الكبرىٰ للبيهقي: ٥/ ١١٨.

الحديث الثاني : عن ليلة جمع

الحمد لله رب العالمين أكرم ضيوفه ، وباهىٰ بهم ملائكته ، ويسَّر لهم أداء الركن الأعظم في الحج ، الوقوف بعرفة . فالحمد لله علىٰ لطفه وكرمه وجوده وأصلي وأسلم علىٰ نبيه وحبيبه محمد ابن عبد الله وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم وأحسن في اقتدائه .

أما بعد : فكان ضيوف الله قبل قليل في صعيد عرفات ، ضاجين لله ضاجين بالتلبية والذكر والتكبير والتوحيد . وكانوا في خارج الحرم، فلما غربت الشمس يوم التاسع من ذو الحجة دفعوا إلىٰ مزدلفة . فقربوا إلىٰ بيت الله ، ودخلوا في حدود حرم الله قد غفر الله لهم ووهب مسيئهم إلىٰ محسنهم . وخرجوا من ذنبوهم كيوم ولدتهم أمهاتهم فيا لها من فرحة ويا لها من مفخرة . وياله من حظ عظيم .

ولقد كان من خوارق العادات ومن المعجزات أن ينتقل هذا الجمع الكبير من عرفات إلىٰ مزلفة في ساعات قليلة بيسر وسهولة وراحة واطمئنان وأمن وخير وأمان . بسبب ما تفعله الدولة من مشاريع وقدرة الله تعالىٰ فوق التصور ولطفه بضيوفه فوق الإدراك .

ولو أن جيشاً مدرباً مهيئًا مستعداً يبلغ ربع العدد فصاحب به

صفارة الإنذار ما استطاع أن ينتقل من مكان إلىٰ مكان في مثل هذا الزمن القصير .

فجزىٰ الله القائمين علىٰ خدمة الحرمين وخدمة ضيوف الرحمن خير الجزاء وأدام عزهم وتوفيقهم . فقد ذللوا الصعاب وعَدَّدوا المداخل والمخارج والمسارات للركبان والمشاة ووجهوا السير ووفروا لضيوف الله كل المتطلبات الضروريات والكماليات وما ذاك إلا بتوفيق الله وإعانته وتسهيله ورعايته فلله الحمد والمنة .

وها هم ضيوف الله في مزدلفة ولها ثلاثة أسماء :

تسمىٰ ليلة جمع لاجتماع الناس فيها . وتسمىٰ مزدلفة لأن الحجاج إذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا إليها أي قربوا . وتسمىٰ بالمشعر الحرام لقوله تعالىٰ : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ** (١٩٨) ﴾ [**البقرة** : ١٩٨] .

وأول ما يبدأ به الحاج إذا وصل إلىٰ مزدلفة يصلي المغرب والعشاء جمعاً وقصراً بأذان وإقامتين . إن أدرك مع الإمام أو نائبه أمير الحج . وإلا مع الرفقة . وإلاَّ فوحده . ثم يصلح رحله وشأنه . ثم يضطجع اقتداءً بالنبي ﷺ .

والناس في ذلك الجمع مستريحون متفرغون وبعضهم يقرب من بعض والليلة مقمرة . وليس هناك خيام ولا ستور . فقد

يحصل شقاق وخلاف أو خروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بسبب المنازل . وقد يرىٰ الحاج من زوجته ما يحرك شهوته ويقول له إبليس هذه ليلة مباركة . وقد ارتاح بعد تعب السفر فيجامع زوجته طلباً لبركة الولد . فليحذر الحاج كل الحذر فإن ذلك من وسواس إبليس ليفسد عليه حجه .

وليعلم الحاج أنه حال إحرامه في عبادة يناجي ربه ويتضرع إليه . فينبغي أن يكون علىٰ أكمل الآداب وأفضل الأخلاق وأجمل الأحوال . لا سيما في المشاعر المقدسة . ملة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسنة نبينا محمد ﷺ . وليعلم الحاج أنه أحرم لله وحرَّم علىٰ نفسه محظورات الإحرام طاعة لله وتقرباً إليه . فليف بوعده مع الله وليحذر ما حذره الله منه .

قال تعالىٰ : ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ** (١٩٧) ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

فهذه اثلاثة المذكورة في الآية الكريمة هي أصول محظورات الإحرام والرفث هوالجماع ودواعيه من القبلة والمباشرة واللمس بشهوة والضم وتكرار النظر للتلذذ والتحدث بذلك في حضرة النساء والفسوق : هو الخروج عن طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ والفسوق محرم في المشاعر وغيرها حال الإحرام وغير الإحرام وفي قرب بيت الله وفي حرمه يكون تحريمه آكد . ويدخل تحت

مسمىٰ الفسوق جميع المعاصي كبيرُها وصغيرها . ومحظوراتُ الإحرام كلُها من الفسوق . ودعاء غير الله والاستعانة بغير الله وطلب الغوث والمدد من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من الفسوق المحرم .

والجدال : هو المغالبة في أمر من الأمور . فيدخل تحت الخلاف والشقاق علىٰ المنازل وعند ورود الماء وعند الجمرات وركوب السيارة كل ذلك من الجدال المحرم .

والحج المبرور هو الذي يطاع الله فيه ولا يُعصىٰ . روىٰ البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» .

وليعلم الحاج بأن الجماع حال الإحرام وقبل التحلل الأول حتىٰ بعد الوقوف بعرفة مفسد للحج . فمن جامع قبل التحلل الأول فأولج سواء أنزل أو لم ينزل فقد عصىٰ ربه واتبع هواه وترتب عليه أربعة أشياء :

فساد حجه : ويلزمه المضي في ذلك الحج الفاسد فيعمل ما يعمل الناس ويذبح بدنة . ويقضي حجه في العام القادم .

أما إن كان الجماع بعد التحلل الأول أي بعد رمي جمرة العقبة والحلق أو طواف الإفاضة فيلزمه ذبح شاة وحجه صحيح .

أما إن باشر قبل التحلل الأول أي دون الفرج فإن أنزل فعليه بدنة وجه صحيح ، وإن لم ينزل فعليه شاة .

والمباشرة بعد التحلل الأول، إن أنزل ، فعليه شاة ، وإن لم ينزل فلا شيء عليه . والتحلل الأول يكون يومَ العيد إذا رمي جمرة العقبة وحلق أو طاف طواف الإفاضة وحلق أو طاف ورمىٰ .

والتحلل الأول يُبيح المحظورات إلا النساء .

والتحلل الثاني إذا رمىٰ جمرة العقبة وطاف وحلق أو قصر حل له كل شيء حتىٰ النساء .

ومزدلفة ما بين مأزمي عرفات أي المضيق الذي بين مزدلفة وعرفات إلىٰ وادي محسر ، وهو الفاصل بينها وبين منىٰ .

ولا ينبغي لأهل القوة أن يخرجوا من مزدلفة حتىٰ يطلع الفجر . ويؤدون صلاة الفجر فيها . وحتىٰ يسفروا اقتداءً بالنبي ﷺ ولقوله : «**خذوا عني مناسككم**» . «**ومزدلفة كلها موقف**» .

وقد رخص رسول الله ﷺ ليلة جمع لضعفة الناس . وهم النساء والصبيان وكبار السن والمرضىٰ ويكون معهم من يخدمهم ويرشدهم . أن ينصرفوا من مزدلفة بعد نصف الليل ؛ لقول

عبدالله بن عباس رضي الله عنهما « أنا فيمن قدَّم رسولُ الله ﷺ ليلة المزدلفة في ضعفة أهله » متفق عليه . ومنتصف الليل تلك الليلة عند غياب القمر .

فمن أفاض من مزدلفة قبل نصف الليل فعليه دم ؛ لأنه ترك واجباً . ومن تأخر عن مزدلفة حتىٰ طلع الفجر فعليه دم لأنه فاته واجب .

فإذا صلىٰ الفجر بمزدلفة أخذ يدعو فيحمد الله ويهلله ويكبره . ويدعو ويقول : اللهم كما أوقفتنا فيه وأريتنا إياه فوفقنا لذكرك كما هديتنا . واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك : ﴿ ... **فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ** (١٩٨) ﴾ [**البقرة**: ١٩٨] .

والتلبية بمزلفة وردت بها السنة والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم وبعض الصالحين .

روىٰ مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بجمع : سمعت الذي أنزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المقام : « لبيك الهم لبيك» وفي رواية : «ثم لبَّىٰ ولبينا معه » .

قال الفريابي : كنت في مزدلفة أُحيي الليل فإذا امرأة تصلي إلىٰ الصباح ومعها شيخ سمعته يقول : اللهم إنا قد جئناك من حيث تعلم وحججنا كما أمرتنا ، ووقفنا كما دللتنا . وقد رأينا أهل الدنيا إذا شاب المملوك في خدمتهم تذمَّموا أن يبيعوه وقد شبنا في

خدمتك ، فأعتقنا .

وقال بعضهم :

إن الكرام إذا شـــــابت عبيدهـم
في رقهم عَتَقُوهم عتق أبـــــرار
وأنت أكرم أن تعْدوك مكرمــــة
قد شبت في الرق فأعتقني من النار

وفي ليلة مزدلفة استجاب الله دعاء نبينا محمد ﷺ وأعطاه ما سأل لأمته . وجزع إبليس وأخذ يحثو على نفسه التراب .

روى البيهقي أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة . فأكثر الدعاء فأوحى الله إليه أني فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها . فقال : يا رب إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته وتغفر لهذا الظالم فلم يحبه تلك العشية فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله عز وجل أني قد غفرت لهم فتبسم رسول الله ﷺ فقال بعض أصحابه يارسول الله تبسمت في ساعة لم تكن تبسم فيها قال تبسمت من عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب لي في امتي اهوى يدعو بالويل والثبوز و يحثوا التراب على رأسه .[1] قال جابر ابن عبد الله رضي الله عنه . (ووقف ﷺ بعرفة حتى غربت

(١) السنن الكبرى للبيهقي : ٥/ ١١٨ .

الشمس)[1]. وفي حديث علي وأسامة بن زيد أن النبي ﷺ دفع من عرفة حين غربت الشمس.

فمن دفع من عرفة قبل غروب الشمس فحجه صحيح وعليه دم. إلا إن رجع إليها بعد غروب الشمس ووقف ولو قليلاً، ثم دفع فلا يلزم دم.

وإن تهيأ للدفع ونقل متاعه وركب في السيارة قبل الغروب ولم يخرج من عرفات إلا بعد الغروب فلا شيء عليه.

نسأل الله أن يغفر لنا ولجميع المسلمين وأن يرحمنا برحمته وأن يعتقنا من النار. وأن يعصمنا فيما بقي من أعمارنا. وأن ييسر لحجاج بيته أداء أنساكهم في صحة وسعادة وهناء. ورحمة من الله ورضوان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛؛؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ٥/ ١١٤ـ١١٥.

الحديث الثالث : أيام منى

الحمد لله رب العالمين ، أكمل ديننا وأتم علينا نِعَمَه ورضي الإسلام لنا ديناً . وأصلىٰ وأسلم علىٰ النبي الكريم والمعلم البليغ والمُشرع الأمين وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعهم بالإحسان .

أما بعد : فكان حجاج بيت الله بالأمس في الصباح الباكر متوجهين إلىٰ عرفات وهي خارج الحرم . ثم دفعوا منها بعد غروب الشمس إلىٰ المزدلفة وباتوا فيها وفي يوم عيد الأضحىٰ أفاضوا من مزدلفة قبل طلوع الشمس إلىٰ منىٰ والبيت العتيق . إنه تنظيم وترتيب إلهي له أهداف سامية ومقاصد إسلامية عالية .

سُئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك كما أخرجه المنذري[1] رحمه الله عن أبي سليمان الدَّاراني قال : سُئل عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن الوقوف بعرفة بالجبل ولمَ لَمْ يكن في الحرم ؟ قال : لأن الكعبة بيتُ الله والحرمَ باب الله فلما قصدوه وافدين أوقفهم بالبابُ متضرعين . قيل : يا أمير المؤمنين فالوقوف بالمشعر الحرام ؟ قال : لأنه لما أذن لهم بالدخول إليه أوقفهم بالحجاب الثاني وهو المزدلفة ، فلما طال تضرعهم أذن لهم بتقريب قربانهم بمنىٰ . فلما أن قضوا تفثهم وقربوا قربانهم

---

(١) الرغيب والترهيب : ٢٠٦ .

فتطهروا بها من الذنوب التي كانت عليهم أذن لهم بالزيارة إليه على الطهارة. قيل : يا أمير المؤمنين ومن أين حُرِّمَ الصيامُ أيام التشريق ؟ قال : لأن القوم زاروا الله وهم في ضيافته ولا يجوز للضيف أن يصوم دون إذن مَنْ أضافه. قيل : يا أمير المؤمنين فتعلُّق الرجل بأستار الكعبة لأي معنىً هو ؟ قال : هو مثل الرجل بيْنه وبين صاحبه جناية فيتعلق بثوبه ويتوسل إليه ويَخْضع له ليهب له جنايته . رواه البيهقي وغيره . ورواه أيضاً عن ذي النون ، قال المنذري : وهو عندي أشبه والله أعلم .

وأمامه في هذا اليوم ثلاثة أمور :

رميُ جمرة العقبة ، وهي التي تلي مكة .

وطوافُ الإفاضة .

والحلق أو التقصير . والحلق أفضل .

فمن رمىٰ العقبة وحلق حلّ الأول . ومن طاف وحلق حلّ الأول . يباح ما كان ممنوعاً عنه من أجل الإحرام إلا النساء . ومن رمىٰ وطاف وحلق حلّ الحلَّ كله . يحل له كل شيء حتىٰ النساء .

والسنة أن يُفيض الحاج من مزدلفة يوم العيد بعد الإسفار وقبل طلوع الشمس اقتداءً بهدي النبي ﷺ . ومخالفةً لما كان عليه المشركون في الجاهلية . فكانوا لا يُفيضون من مزدلفة حتىٰ تطلع الشمس .

ففي حديث محمد بن مخرمة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنَّا لا ندفع من عرفة حتى تغرب الشمس ، وندفع من مزدلفة قبل أن تطلع الشمس ، هدينا مخالف لهدي عبدة الأوثان**» رواه البيهقي في شعب الإيمان .

قال ابن القيم رحمه الله . ثم سار رسول الله ﷺ من مزدلفة مردفاً للفضل بن عباس رضي الله عنهما وهو يلبي في مسيره .

وفي الطريق أمر ﷺ ابن عباس أن يلتقط له حصىٰ الجمار سبع حصيات . فالتقط له سبع حصيات من حصىٰ الخذف . وأخذ ﷺ ينفضهن في كفه ويقول بمثل هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين .

والخذف هو الرمي بحصاة صغيرة بين السبابتين . أكبر من الحمص ودون البندق نحو حبة الباقلاء . وإن أخذ حصىٰ الجمار كلها من مزدلفة فلا بأس .

وعددهن للمتعجل تسع وأربعون حصاة . وللمتأخر سعبون حصاة علىٰ قدر حصىٰ الخذف اقتداءً بالنبي ﷺ وأخذ النسك عنه ﷺ .

فإذا وصل الحاج إلىٰ منىٰ قصد إلىٰ جمرة العقبة فإذا وصل إلهيا قطع التلبية ورماها بسبع حصيات الواحدة تلو الأخرىٰ يكبر مع كل حصاة ، فيقول : باسم الله والله أكبر . ويحرص علىٰ أن

تقع في الحوض . وإذا كان في الطابق الثاني يلقيها في الفتحة المهيأة لها وهي تسقط على الحوض . ولا يقف عندها .

والعقبة خارج حدود منى فليست منها .

والجمرات : اسم لُمجْتَمَعِ الحصى . وقيل : لأن العرب تسمي الحصى الصغار جماراً فسميت بذلك تسمية الشيء بلازمه .

وسميت منى بهذا الاسم قيل : لكثرة ما يمنى فيها من الدماء أي يُراق . وقيل : لأن آدم عليه السلام قال له جبريل تَمَنَّ : منها تمنّ فقال : أتمنى الجنة .

ويقول بعد رمي جمرة العقبة : اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً .

ولا يجوز للمسلم أن يرمي بأكثر من سبع حصيات ، ولا أن يرمي دفعة واحدة بأكثر من حصاة . ولا أن يرمي بالشباشب والنعال ، ولا بالحجارة الكبيرة التي مثل البندق أو أكبر .

وأصل مشروعية رمي الجمرات أنه لما فرغ أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من بناء البيت أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فأراه الطواف. ثم أتى به جمرة العقبة فعرض له الشيطان . فأخذ جبريل عليه السلام سبع حصيات وأعطاها إبراهيم ، وقال له : ارم وكبِّر حتى غاب الشيطان ، ثم أتيا الجمرة الوسطى فعرض لهما الشيطان ففعلا كما تقدم . ثم أتيا الجمرة القصوى فعرض لهما

الشيطان ففعلا كذلك .

فالحكمة في مشروعية الجمرات : لإقامة ذكر الله وطاعة الرحمن ودَحْر الشيطام . روىٰ الإمام أحمد رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إنَّما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورميُ الجمار : لإقامة ذكر الله تعالى** » .

وإذا ضاقت منىٰ بالحجاج ولم يجد أحد مكاناً ينزل فيه ، جاز له أن ينزل في أي مكان يلي منىٰ . قبل مزدلفة ولا دم عليه إن شاء الله ؛ لأنه معْذُورٌ ، ثم إذا رمىٰ جمرة العقبة فإن كان معه هدي ذبح هديه أو نحره وحلقَ رأسه أو قصر ، والحلق أفضل ، وقد حل التحلل الأول فيباح له ما كان ممنوعاً منه من أجل الإحرام إلا النساء . وإن كان متمتعاً ذبح فدية التمتع . وكذلك إن كان قارناً . وإن كان مفرداً فلا دم عليه .

ثم يُفيض إلىٰ مكة المشرفة ويطوف بالبيت طواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج ويسعىٰ بين الصفا والمروة . إلا أن يكون قارناً أو مفرداً وسعىٰ مع طواف القدوم كفاه السعي الأول وبرمي جمرة العقبة ، والطواف بالبيت والسعي والحلق أو التقصير قد حلَّ الحلَّ كلَّه . ويحل له ما كان محظوراً عليه بالإحرام حتىٰ النساء . والسنة فعل النبي ﷺ : الرمي ، ثم الذبح ، ثم الحلق ، ثم الطواف ، ثم السعي . فإن قدَّم الطواف والسعي علىٰ الرمي فلا بأس أو قدم ذبح

الهـدي على الرمي والطواف فـلا بأس ؛ لقـولـه ﷺ : «**افـعل ولا حرج**» .

ثم إذا طاف بالبيت وسعى ، يرجع إلى منى ويبيت فيـها ليـالي التشريق الثلاثة إن تأخر أو ليلتين إن تعجل . فأيام منى ثلاثةٌ غير يوم العيد فمن تعجل فلا إثم عليه . وأهل منى يكبرون بعد الصلوات المكتوبة مثل أهل الأمصار . ويرمي الحاج الجمرات الثلاث كل يوم من أيام منى بعد زوال الشمس كل واحدة بسبع حصيات يكبّر مع كل حصاة يرمي الواحدة تلو الأخرى يبدأ بالجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف ؛ لحديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ . وأهل الأعذار يجوز لهم الرمي في الليل مثل السقاة والرعاة ومن في حكمهم .

وترتيب الجمرات شرط في صحة الرمي . وينتهي وقت الرمي بانتهاء اليوم الثالث من أيام منى . فمن أخر شيئاً من الرمي قضاه في وقته ، فإذا فات الوقت لزم الفداء شاة .

ويجوز لمن يشق عليه الرمي أو لا يتمكن من الرمي أن يوكل من يرمي عنه . فيرمي جمراته السبع أولاً ، ثم يرمي حصيات موكله الواحدة بعد الواحدة . ومن تعجل في يومين . ونقل رحله إلى السيارة وأدركه الليل أو حبسه الزحام قبل خروجه من منى ، استمر في تعجله . أما إن أدركه المبيت ليلة الثالث من أيام منى وهو مقيم في منى لزمه المبيت ورمي الجمرات من الغد بعد الزوال .

ويُلاحظ الحاج أن منىٰ امتازت بأمور منها أنها تتسع لمن دخل فيها من الحجاج رغم ضيقها في رأي العين . ومنها أن الحدأة لا تخطف اللحم فيها . ومنها أن الذباب لا يقع في الطعام. ومنها أن البعوض فيها قليل مع توفر أسباب تواجده ، وهذا فضل من الله ورحمة .

فإذا أراد الحاج الانصراف إلىٰ أهله ، وجب عليه طواف الوداع إلا لعذر ، فإن تركه بدون عذر فعليه دم .

أما المعذور مثل الحائض والمريض فيسقط عنهم طواف الوداع إن شاء الله .

والحمد لله أولاً وآخراً .

اللهم إنا نسألك حجاً مبروراً وعملاً صالحاً مقبولاً . ومغفرة لذنوبنا . ورحمة منك ورضواناً .

اللهم يسّر لحجاج بيتك مناسكهم ورُدهم إلىٰ أهلهم سالمين غانمين برضوانك ومغفرتك يا حي يا قيوم . وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

* * *

الحديث الرابع : تحويل القبلة

يقول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)﴾ [آل عمران] .

لما حوِّلت القبلة من بيت المقدس إلىٰ البيت الحرام في مكة المكرمة . قال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ ما ولاَّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، يقصدون بذلك التشويش علىٰ المسلمين وبلبلة الأفكار والصد عن دين الحق . وإلا فاليهود يعرفون أن الرسول ﷺ مرسل من ربه وأن ما جاء به هو الحق . قال سبحانه : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾ [البقرة] .

فردّ الله تعالىٰ علىٰ مقالتهم . وبيَّن أن الكعبة أحق بأن تجعل القبلة ؛ لأنها أول بيت وضع للناس لعبادة الخالق تعالىٰ عنده ، وهي أول بيت وضعت فيه البركة وفيه من المزايا والخصوصيات ما ليس في غيره . فليس بيت المقدس بأفضل منه ، وأيضاً الملك والأمر كله لله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم . فمقالة اليهود مردودة عليهم . وأيضاً يقول اليهود في زعمهم : أنهم علىٰ

دين إبراهيم عليه السلام ، وأنهم أولىٰ بإبراهيم ، فردَّ الله عليهم وكذّبهم وتحدّاهم ، فأخبرهم بأن الكعبة المشرفة بناها إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فإذا كان زعمهم بأنهم أولىٰ بإبراهيم صحيحاً فاتبعوا ملة إبراهيم . فكان يحج البيت الحرام فلم لا يحجونه ، ولكن اليهود طبيعتهم وصفتهم اللازمة لهم هي الكذب والافتراء والتشكيك والخداع والمراوغة والكفر والطغيان والمكر والبهتان .

ومن خصوصيات البيت الحرام وفضله علىٰ ما سواه ما يلي :

١ ـ أن الذي أمر ببنائه هو الله رب السموات والأرضين ، وأن المهندس المخطط له هو جبريل عليه السلام ، والمهندس المنفذ له هو إبراهيم الخليل عليه السلام والمهندس المساعد هو إسماعيل عليه السلام .

٢ ـ أول بيت وضع لعبادة الله تعالىٰ . وأول بيت وضعت فيه البركة .

٣ ـ فيه علامات واضحات ثابتات علىٰ فضله وقدسيته وحرمته . مقام إبراهيم الحجر الذي كان يرقىٰ عليه لبناء الكعبة . وأثار قدميه فيه ، وأثار عبادته في عرفات ومزدلفة ومنىٰ والجمار ، والمناسك كلها آيات بينات .

٤ ـ من دخله كان آمناً ، إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء ،

وحرم قتل صيدها وقطع شجرها ، ومنع الإلحاد فيها . حرمه الله يوم خلق السموات والأرض .

والحج فرض عين على كل مسلم مكلف يستطيع إليه سبيلاً في العمر مرة واحدة ، وبفريضة الحج وتطبيقه من رسول الهدي ونبي الرحمة ﷺ .أكمل الله للأمة الإسلامية دينها . وتمت عليها نعمة ربها . ﴿ ... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ... ﴾ [**المائدة** : ٣] .

والحج رُكن من أركان الإسلام وقاعدة من قواعده التي يقوم عليها . قال نبينا محمد ﷺ : «**بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة. وصوم رمضان. وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً**» والسبيل : كل ما يساعد على الوصول إلى البيت الحرام . من الزاد والراحلة . ومن الطريق ، وتزيد المرأة وجودَ المحرم الذي يصحبها في سفرها .

والاستطاعة شرط للوجوب . فمتى استطاع المسلم السبيل إلى البيت وجب عليه الحج وصار دينا في ذمته ينبغي المبادرة في قضائه، فإنه لا يدري ما يعرض له ولا يلزم الإنسان أن يستدين ليحج، ولا أن يقترض ولا أن يسأل الناس مساعدته من أموالهم ليحج . فالمسلم عزيز النفس كريم الخلق . والدَّينُ همٌّ وذلٌّ .

والمسألة مسكنة وحُقْران .

ويجب على من أراد الحج أن يختار النفقة الحلال . فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً . والمال الحرام خبيث . وسواء كان مكتسباً من الربا ، أو القمار ، أو السرقة ، أو الاختلاس ، أو الخيانة ، أو الغصب ، أو الرشوة . أو الغش ، أو البيوع المحرمة . . كل ذلك حرام وخبيث .

قال الرسول الكريم ﷺ : «**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم . وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدُون . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء : يا رب يا رب . ومطعمه حرام، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام فأنى يُستجابُ له** » . أي لا يستجاب له .

فالمال الحرام سبب لمنع استجابة الدعاء وإن توفرت أسباب الاستجابة الأخرى . فإن السفرَ وتواضع الهيئة ، ومدَّ اليد إلى السماء، والإلحاحَ في الدعاء بصفة الربوبية ، كل واحدة منها سبب لاستجابة الدعاء ، ولكن الحرامَ والكسب الخبيثَ صار سبباً لعدم الاستجابة .

فواجب على من أراد الحج أن يختار لنفقته مالاً حلالاً .

الحج إنَّما يجب في العمر مرة واحدة ، قال ﷺ : «**يا أيها الناس كتب عليكم الحج**» فقال الأقرع بن حابس : يا رسول الله : أفي كل عام ؟ فقال ﷺ : «**لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولن تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع**» . وقال ﷺ لنسائه في حجة الوداع : «**هذه ظهور الحصر** »، والحُصر : جميع حصير وهو فراش من خوص النخل تفرشه المرأة في بيتها ، أي : الزمن بيوتكن ولا تخرجن .

وفي هذا تتجلىٰ سماحة الإسلام ، ورحمة الخالق تبارك وتعالىٰ بأمة محمد ﷺ . فإن الحج هو أشد أركان الإسلام كلفة ومشقة فأوجبه عليهم في العمر مرة واحدة وبشرط الاستطاعة .

ولما كان الحج فيه مشقة الأنفس وتعب الأبدان . ونفقة المال ومفارقة الأهل والولد ، كان ثوابه جزيلاً : «**الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة**» . «**من حج فلم يرفُث ولم يفسُق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » .

ولكن اليهود يجحدون هذه الفضائل ويكابرون الحقائق ويكفرون برسالة محمد ﷺ ، وينكرون وحي السماء المطهر ، فلا يحجون بيت الله وهم بذلك إنَّما يضرون أنفسهم ويهلكون أنفسهم هم وأمثالهم ﴿ **وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾** ﴾ [**آل عمران**:٩٧] . فليس لله حاجة في إيمانهم ولا في إسلامهم ، ولا في

حجهم ، وإنَّما هم المحتاجون إليه وهم الفقراء إليه كما نزلت الآية : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (٨٥) ﴾ [**آل عمران** : ٨٥] قالت اليهود : نحن مسلمون ، فقال النبي ﷺ : «**إن الله فرض الحج على المسلمين من استطاع إليه سبيلاً** » . فقالوا : لم يفرض علينا ، وأبوا أن يحجوا فقال الله عز وجل : ﴿ **وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** (٩٧) ﴾ [**آل عمران** :٩٧] .

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

مسجد رسول الله ﷺ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . . . وبعد :

فبمناسبة الكلام عن توسعة خادم الحرمين الشريفين للمسجد النبوي الشريف ومدى اهتمامه بالمدينة المنورة وبالقضاء الشرعي .

أحببت أن أقدم بين يدي ذلك موجزاً لتطورات مسجد رسول الله ﷺ عليه أفضل الصلاة والتسليم .

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل من قباء راكباً ناقته كان يقول لمن اعترضها دعوها فإنها مأمورة حتى بركت في موضع مسجده ﷺ . وكان مِربَداً ليتيمين من بني النجار تحت ولاية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه فاشترى رسول الله ﷺ المربد وكان فيه نخل فقطعه وفيه قبور فنبشت وجعل الجذوع في مقدمة المسجد جهة بيت المقدس وجعل كتفيه بالحجارة[1] وبعد أربعة عشر شهراً من الهجرة نزل الوحي من السماء بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة كما في سورة البقرة : ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** (١٤٤) ﴾ [**البقرة**] .

فتحولت القبلة إلى البيت الحرام ، وحددت القبلة بتوقيف من

---

(١) كتفي المسجد .

النبي ﷺ لإصابة الكعبة المشرفة في الاستقبال .

وكان طوله شمالاً وجنوباً ٧٠ ذراعاً (بذراع اليد للرَّجُل المعتدل) وعرضه شرقاً وغرباً ٦٠ ذراعاً (والذراع نصف متر) تقريباً [١] وكان مكشوفاً ، فلما اشتد الحر أذن ﷺ في تظليله وقال : «عريش كعريش أخي موسىٰ » فجعلت له أعمدة من جذوع النخل وسقّف بالجريد والسعف والاذخر . فلما جاء المطر خر عليهم الماء فاستأذنوه عليه الصلاة والسلام في تطيينه فقال : لا عريش كعريش أخي موسىٰ ، والأمر أعجل من ذلك . فَجُعِل عليه شيء من الطين . وكان إذا جاء المطر خر ، وقد سجد ﷺ صبيحة ٢٧ من رمضان في ماء وطين ، فلما فتح الله خيبر زاد في المسجد فجعله ١٠٠× ١٠٠ ذراع وجعل جدراه من اللبن وكان المنبر جذع نخل فأذن ﷺ أن يعمل له منبر من أعواد الطَّرْفا بثلاث درجات بما فيها الجلسة . ذكره البخاري فلما ترك الجذع حَنَّ كحنين الطفل لأنه فقد خليل الله ﷺ وفقد الذِّكر الذي كان يُلقىٰ عليه .

ولم يزد في المسجد في ولاية الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ لأنه اشتغل بالفتح وإخماد نار الردة . ولكن لما نخرت الخشب فغيرها بمثلها .

فلما تولىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة وكثر الناس طلبوا منه زيادة المسجد فزاد فيه ، وقال بعضهم : لو

---

(١) الذراع الهاشمي= ٤٤ سنتمر كما حدده العلماء .

تركوه كما كان على عهد الرسول ﷺ؟ فقال : لولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ينبغي أن يُزاد في المسجد» ما زدت فيه . فزاد فيه وجعل الأعمدة من الخشب وجعل طوله ١٤٠ × ١٢٠ ذراعاً وقال : لو انتهى بناؤه إلى الجبَّانة [1] لكان الكل مسجد رسول الله ﷺ .

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه : «لو زيد في هذا المسجد ما زيد لكان الكل مسجدي» .

وفي السنة الرابعة من خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه نخرت الأعمدة الخشب وشكى الناس ضيقه بالمصليين فزاد فيه زيادة كثيرة .

زاد فيه من القبلة إلى الجدار الموجود اليوم وزاد من الغرب بقدر اسطوانة وزاد من الشمال ٥٠ ذراعاً وبنى المسجد فجعل جدرانه بالحجارة المنقوشة والقصَّة «الجص» وجعل أعمدته من حجارة منقوشة وسقفه بالساج » رواه البخاري .

وبقي المسجد كذلك حتى ولاية الوليد بن عبد الملك فكان أَمَّرَ على الحرمين الرجل الصالح العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأمره بزيادة المسجد فاشترى عمر الدور التي حول المسجد وزاد فيه من الغرب وأدخل فيه حجرات أهل البيت الواقعة شرقي المسجد

(١) الجبَّانة : يعني المقبرة ـ أي البقيع ـ وقد وصل إليها بتوسعته الأخيرة والحمد لله رب العالمين ا . هـ: صلاح كرنبه .

وجعل بين الحجرة الشريفة وبين الجدار الخارجي ممراً لحماية الحجرة فصار طول الجدار القبلي ١٦٧ ذراعاً والجدار الغربي ٢٠٦ ذراعاً تقريباً ، وجعل العمد من الحجارة وزخرف الحيطان بالفسيفساء واستغرت عمارته ثلاث سنوات .

ثم زاد فيه أمير المؤمنين محمد بن عبد الله بن محمد العباسي الملقب بالمهدي من جهة الشام ١٠٠ ذراع .

وفي عام ١٢٥٥هـ جدد السلطان عبد الحميد عمارة المسجد النبوي الشريف وزاد فيه من الشمال ٦٦ ذراعاً تقريباً وبناه بالحجارة والنورة والطوب والطين وجعل السقف قباباً ، والأعمدة من الحجارة الموجودة الآن فصار طول المسجد من الغرب ١٠٣ متر ومن الشرق ١٠٠ ومن القبلة ٧٠ م ومن الشمال ٦٠ م .

وفي عام ١٣٤٨هـ في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية ـ غفر الله له ـ أمر بترميم المسجد النبوي فرمم وجعلت فيه تحسينات .

وفي عام ١٣٦٨هـ أعلن الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ عزمه على زيادة المسجد النبوي الشريف وأسند ذلك لولي عده سعود بن عبد العزيز ـ غفر الله له ـ فشمّر عن ساعد الجد والإخلاص وابتدأ العمل في التوسعة عام ١٣٧٠هـ ، فَثمِّنَت البيوت المحيطة بالمسجد من أربع جهات وعوض أهلها بتقديرات

حازت رضاهم واغتباطهم وتم حفر الأساسات إلى الأرض الصلبة تحت الماء. ووضع الملك سعود ـ رحمه الله ـ حجر الأساس في الجهة الغربية من المسجد بجانب باب سعود سنة ١٣٧٣هـ .

ومساحة الزيادة طولها شمالاً وجنوباً ٢٥٦ ذراعاً تعادل ١٢٨ متراً وعرضها شرقاً وغرباً ١٨٢ ذراعاً تعادل ٩١ متراً وعُدِّل الميول الذي كان في الضلع الشرقي فصار الضلع الشرقي يوازي الضلع الغربي ، والضلع الشمالي يوازي الضلع الجنوبي وأصبح المنظر متناسقاً متعادلاً ، فصارت المساحة الإجمالية للمسجد بعد هذه التوسعة السعودية الأولى ١٦٣٢٦ متراً، والتوسعة السعودية الأولى هي أضخم توسعة شهدها المسجد في تاريخه والبناء المشيد المتين يدل بلسان الحال على الاهتمام والعناية . وأحيط المسجد بشوارع فسيحة من أربع جهات وميدان واسع من الجهة الشمالية .

وفي عهد الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله أمر بتوسعة المسجد من الجهة الغربية فهدمت البيوت الواقعة غرب المسجد بعد تعويض أهلها وأحيطت بجدار وظللت للمصلين بمظلات من نوع خاص ومساحة هذه التوسعة (٩٤) ألف متر مربع .

وفي عهد الملك خالد بن عبد العزيز غفر الله له ، نزعت ملكية عدد من الأحياء الواقعة جنوب غرب المسجد مثل سويقة وسقيفة الرصاص والشونة وجعلت ميداناً ومواقف لسيارات المصلين في المسجد النبوي الشريف هذا فيما أعتقده إن لم تخني الذاكرة .

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله وأمد في حياته لخدمة الإسلام والمسلمين أخذ يتفقد مدينة الرسول بنفسه راكباً وماشياً ويتحسس أوضاع مسجد رسول الله ﷺ وكان يتفقد أحوال حجاج بيت الله الحرام وزوّار مسجد رسول الله ﷺ فعلم أن المسجد يضيق بالمصلين في أيام الجمع والأعياد ـ فضلاً عن أيام الحج ـ ورأىٰ أنه لا بد من توسعة تمكن زوار المسجد من الصلاة فيه . واستخار الله وقرر عزمه علي توسعة المسجد النبوي الشريف وتطوير المدينة المنورة تطويراً يليق بها ، فهي دار هجرة المصطفىٰ ﷺ ومهابط الوحي ومواقع التنزيل ومنطلق الدعوة إلىٰ الله وهي مواقع أقدام المصطفىٰ ﷺ وأنصاره والمهاجرين ، تلك الصفوة التي اختارها الله لتلقىٰ وصيته وحمل أمانته وتبليغ رسالته لهداية خلقه وإصلاح أرضه وتطهير المعتقدات وبث العدل بين الناس وهي مأرز الإيمان ، فشكل لجنة ملكية برئاسته تتكون من عدد من الوزراء وأناب عنه فيها سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران والمفتش العام ؛ لما عرف عن سموه من العزم والحزم والنصح والإخلاص .

وابتدأ العمل بالمسح والتقدير والتعويض ونزع الملكية وبلغت تقييماتها ألاف الملايين من الريالات ، فهدمت حارة الأغوات ووضع خادم الحرمين الشريفين حجر الأساس في ٩/ ٢/ ١٤٠٥ هـ . وضعه بنفسه جنوب المظلات غرب باب الصديق رضي الله عنه

وحفرت الأساسات في الجهة الشرقية المحاذية لباب النساء في ١٩/ ١/ ١٤٠٦هـ ، كما حفرت الأساسات شرق شمال المظلات بتاريخ ١٠/ ٣/ ١٤٠٦هـ ، ثم هدمت السنبلية والرومية وذروان إلىٰ درب الجنائز .

ومن هنا انطلق العلم بكل القوىٰ والإمكانيات وبجد ونشاط متواصل ليل نهار خلال أربع وعشرين ساعة لا يفتر أبداً حتىٰ يوم الجمعة ولياليها ، وذلك ما قرره خادم الحرمين الشريفين حرصاً علىٰ إنجاز التوسعة وفتحها للمصلين فهو يتابع العمل بنفسه وهو في أي مكان كان ، وأسند المتابعة الفورية لأخيه الشاب الهمام أمير منطقة المدينة المنورة الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز ، فكان عند ظن أخيه وجعل له مكتباً خاصاً بجوار التوسعة شرقي المسجد النبوي الشريف وصار يتابع العمل ويشارك بنفسه .

وفي شهر الحج سنة ١٤٠٦هـ تم تسقيف بدروم نصف التوسعة الشرقية وفتحت للمصلين وظللت عن حرارة الشمس . وفي أول عام ١٤٠٧هـ هدمت المباني التي بين شارع الساحة وشارع السحيمي . وينتظر أن يتم تسقيف جميع البدروم من الجهات الثلاث الشرقية والشمالية والغربية في أشهر حج عام ١٤٠٧هـ ويفتح للمصلين إن شاء الله .

ومساحة التوسعة الحالية (٨٢٠٠٠ م٢) تحيط بالمسجد الأول من الجهة الشمالية بطول ٤٢٥ م شرقاً وغرباً وتمتد من الشمال إلىٰ

الجنوب غرباً إلى باب الرحمة بطول ١٥٠ م وتمتد من الشمال إلى الجنوب شرقاً حتى باب النساء بطول ١٥٠م. فتكون الزيادة والبناية السعودية الأولى في وسط زيادة خادم الحرمين الشريفين وتتسع الزيادة الحالية وحدها (٢٢٧ ٠٠٠) مصلياً، منها ١٣٧ ٠٠٠ مصلياً في الأرضي، و ٩٠ ٠٠٠ مصلياً في السطح، يضاف إليها ما بقي من المظلات والميادين التي حول المسجد في توسعة خادم الحرمين وتتسع لحوالي ٢٤٥ ٠٠٠ مصلياً ويضاف إليها أيضاً مساحة مبنى المسجد الأول وتتسع لحوالي ٢٨ ٠٠٠ مصلياً. فيكون المسجد بزيادة خادم الحرمين والميادين يتسع لحوالي ٥٠٠ ٠٠٠ مصلياً أي نصف مليون مسلم يؤدون الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ وساحاته.

وإذا قارنّا بين أكبر الزيادات الثلاث وهي توسعة السلطان عبدالحميد والتوسعة السعودية الأولى، وتوسعة خادم الحرمين الشريفين فإذا هي كما يلي:

مساحة المسجد بعد زيادة السلطان عبد الحميد ١٠٣٠٣ متراً مربعاً.

ومساحته بعد الزيادة السعودية الأولى ١٦٣٢٧ متراً مربعاً.

ومساحته بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين ٩٨٣٢٧ متراً مربعاً.

والحق يُقال : إن مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة المسجد النبوي الشريف مشروع عظيم كبير في سعته وضخامته وتصميمه وسرعة تنفيذه .

ذلك أن خادم الحرمين الشريفين بذل كل الطاقات البدنية والمالية واتجه الاتجاه الكامل لخدمة الحرمين الشريفين وراحة حجاج بيت الله الحرام وزائري مسجد رسول الله ﷺ . وكثير من المشاهدين لهذه العمارة من داخل البلاد وخارجها من مهندسين وفنيين يقف واحدهم متفكراً مندهشاً معجباً فرحاً مسروراً بهذا المشروع .

وإنه لمفخرة للبلاد وأهلها ، وعمل صالح وصدقة جارية وذكر حسن لخادم الحرمين . نسأل الله أن يتم هذا العمل الخير حتى يراه خادم الحرمين كما تمناه وكما خطط له يصلي فيه مع إخوانه جموع المسلمين ـ نصف مليون مسلم ـ وهو في صحة وعز وهناء .

ولا ننسى مشروع مجمع المحاكم الشرعية في المدينة المنورة فإنه منحة من الفهد خادم الحرمين الشريفين مقيم الشرع والقضاء . فقد أصدر أمره حفظه الله ببناء مجمع للمحاكم واختار بنفسه الموقع في مكان حوش النورة جهة جنوب المسجد النبوي الشريف . وتم تصميم المبنى ليتحمل سبعة أدوار . وابتدأ العمل فيه بتاريخ ٢٠/ ٣/ ١٤٠٧هـ بحفر الأساسات ودق الخوازيق ، فكان العمل فيه مثل العمل في توسعة المسجد ليل نهار . ووصل العمل الآن في

سقف البدروم ومساحة الموقع ٥٥ × ١١٠ = ٦٠٥٠ متراً مربعاً .

ويتكون المبنىٰ من بدروم وأرضي وثلاث أدوار متكررة . البدروم مخصص لمواقف السيارات ويتسع لـ (٨٧) سيارة وفيه مستودعات وغرف للعمال والحرس وفيه جميع الخدمات . والأرضي يشتمل علىٰ المدخل الرئيس والقاعة الرئيسة والمصاعد والسلالم والمداخل الفرعية . كما يشتمل الأرضي أيضاً علىٰ ثمانية أجنحة قضائية ، وأقسام الأرشيف وغرف انتظار المراجعين وخدمات . ويشتمل الدور الأول متكرر علىٰ جناح لرئيس المحاكم وجناح للمساعد وجناح للإدارة ومكاتب أخرىٰ وصالات انتظار وخدمات . ويشتمل كل واحد من الدورين المتكررين الثاني والثالث علىٰ ثمانية أجنة قضائية ومكاتب للموظفين بالإضافة إلىٰ صالات الانتظار والخدمات .

والمساحة الإجمالية للمبنىٰ ٢٦٣٥٨ متراً مربعاً . وينتظر الانتهاء من تنفيذ المجمع في آخر عام ١٤٠٨هـ ، حسب برنامج العمل الزمني وحسب ما نشاهده الآن من عمل متواصل وقوة ونشاط .

وإن أهالي المدينة المنورة وعلمائها وقضاتها وجميع المسلمين في جميع أنحاء العالم يشكرون لخادم الحرمين الشريفين الجهود المباركة والبذل الكبير لتوسعة مسجد رسول الله ﷺ ولبناء مجمع المحاكم الشرعية وغيرها من المشاريع الكبيرة لتطوير المدينة المنورة

وإظهارها بالمظهر اللائق الذي يريح المواطن والقادم والزائر . فجره الله خير ما جزىٰ إماماً عن رعيته .

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

هذا ما جرىٰ اختصاره وأرجو المعذرة عن الخطأ والتقصير . والحمد لله أولاً وآخراً .

عبدالله بن محمد بن زاحم

المواطن الصالح

الحمد لله رب العالمين ، جعل الوطن مأوىٰ للمستوطنين فيحصل التعارف والتآلف والتعاون والتكاتف . وجعل أُخُوَّةَ الإسلام فوق أُخُوَّة النسب . وفوق الوطنية والقوميات . فالإيمان عصمة المؤمنين . والصلاة والسلام علىٰ سيد الأولين والآخرين ، أبر الناس بأمته وأنصحُهم لعشيرته وأتقاهم وأخشاهم لربه .

أما بعد :

فقد طلب مني الأخوان الفاضلان الدكتور / محمد العوفي مدير المعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة والدكتور عبدالكريم المطبقاني إلقاء محاضرة تحت عنوان «المواطن الصالح» فأجبتهما لأستفيد لنفسي وأفيد من مثلي .

وأحببت أن أصدِّر ذلك بتعريف المحاضرة وتعريف الوطن تمهيداً للموضوع ، ولإتمام الفائدة .

فأما المحاضرة : فقال في لسان العرب ص ٢٠٠ / ٤ : «المحاضرة : أن يُحاضرك إنسان بحقك ، ويذهب به مغالبه أو مكابره . وحاضرته : جاثيته عند السلطان» .

وقال في القاموس ص ١٠ / ٢ : «المحاضرة المجالدة والمجاثاة عند السلطان وأن يعْدو معك وأن يغالبك علىٰ حقك فيغْلبَك

ويذهب به» .

وعلىٰ هذا ـ والله أعلم ـ، فالمحاضرة : مفاعلة من الحضور ، فالمستمعون يحضرون من أجل المتكلم . والمتكلم يحضر من أجل «المستمعين » ولا تخلو المحاضرة من المناقشة بين المتكلم والمستمعين في بعض المسائل ولا تخلو من المغالبة فهي مرتبطة بالمعنىٰ الذي ذكره القاموس ولسان العرب .

والوطن : هو المنزل يقيم به الإنسان ، وهو موطنه ومحل إقامته . قال رؤبة بن العجاج :

كيما ترىٰ أهـل العـراق أنني

أوطنت أرضاً لم تكن من وطني

والجمع أوطان [(١)] .

ومن صفات النبي ﷺ : «أنه لا يُوطِن الأماكن» أي لا يتخذ لنفسه مجلساً يعرف به[(٢)] .

والـمَوَاطن : بفتح الميم والواو : كل مقام قام به الإنسان لأمر جمع موطن ؛ فمن ذلك : ما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله : «ما من امرئ يخذل امرأً مسلماً عند مَوطن تنتهك فيه حرمته

---

(١) لسان العرب : ١٤/ ٤٥ .

(٢) النهاية : ٥/ ٢٠٤ .

وينتقص فيه من عرضه إلا أخذ له الله عز وجل في مَوْطنٍ يحب فيه نصرته وما من امرئٍ ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته .

ومن ذلك مشاهد الحج تسمىٰ مواطن تقول إذا وقفت في تلك المواطن فادعوا الله لي ولإخواني .

وتسمىٰ مشاهد الحروب مَواطنَ . قال تعالىٰ : ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ في مواطن كثيرة** ﴾ .

والـمُوَاطنُ بضم الميم وفتح الواو . قال في تاج العروس[1] : المجالس » .

والوطني نسبة إلىٰ الوطن .

وتوطين النفس علىٰ الشيء كالتمهيد . يُقال : فلان وطن نفسه علىٰ كذا فتوطنت أي : حَمَلَها عليه فتحملت وذلت له .

قال كُثيِّر عزة :

فقلت لها يا عز كلُّ مصيبة إذا وُطِّنت لها النفس ذلت

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه حينما ذكر دَيْن والده من العجوة وإصرار الغرماء علىٰ أخذ العجوة قال : وقد

---

(١) تاج العروس : ٩/ ٣٦٣ .

وطنت نفسي أن أشتري لهم من العجوة [1].

فدعى له النبي ﷺ فوفى نخابُه الغرماء وزاد.

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في شأن خروج يأجوج ومأجوج إذا أهلكهم الله وانقطعت أصواتهم طلب المسلمون من يكشف لهم الخبر. قال: فينزل رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى.

وأما ما جرى على ألسنة الناس من قولهم: (حب الوطن من الإيمان). ويعتقد بعض الناس أن ذلك من قول النبي ﷺ. فقد قال ـ المحققون ـ: ليس بحديث. وقال بعضهم: إنه موضوع، فقد قال في كشف الخفاء [2]: «قال الصاغاني [3]: موضوع». وقال في المقاصد: لم أقف عليه. وقال القاري: لا تلازم بين حب الوطن وبين الإيمان، فهناك من يحب وطنه وهو غير مؤمن. قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦)** ﴾ [النساء: ٦٦].

وقال بعض العلماء: إنه لا منافاة بين حب الوطن والإيمان فقد

---

(١) المسند: ٣/ ٣٧٣.

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس: ١/ ٤١٣ رقم الحديث ١١٠٢، وكشف الخفاء لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي.

(٣) الصاغاني حسن بن محمد الصاغاني مؤلف المشارق.

يحبه المؤمن وغير المؤمن .

وقول بعض الناس : حب الوطن قتال ، ليس بحديث ، وإنَّما هو من كلام الناس . قال في كشف الخفا [1]: قال النجم أي - محمد نجم الدين الغزي [2] - : ليس بحديث وفي معناه : ما رواه الدَّينوري في المجالسة عن الأصمعي قال : قالت الهند ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوان : الإبل تحن إلىٰ أوطانها وإن كان عهدها بعيداً ، والطير إلىٰ وكره وإن كان موضعه مجدباً ، وإنسان إلىٰ وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعاً» .

وفيها أيضاً عن الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلىٰ أوطانه وتشوقه إلىٰ إخوانه وبكائه علىٰ ما مضىٰ من زمانه . والإسلام لم يعتبر الوطنية ولا القومية رابطة بين المسلمين وانما الرابطة حبل الله المتين (لافضل لعربي علىٰ أعجمي إلا بالتقوىٰ) .

فالمواطِن الصالح هو الحكيم اللبيب الكيس الفطن الذي ينظر في عواقب الأمور ونتائجها . ويصلح ما بينه وبين ربه وما بينه وبين الناس . ويقدم المصالح العامة علىٰ المصالح الخاصة . ويحب لإخوانه ما يحب لنفسه . ويبذل الندي ويكف الأذي ، ويأمر بالمعروف ، وينهىٰ عن المنكر بالحكمة ، والموعظة الحسنة . ويصبر

---

(١) كشف الخفاء : ١/ ٤١٥ .

(٢) محمد نجم الدين الغزي في كتابه اتفاق ما يحسن من الأخبار .

ويتحمل ويدفع بالتي هي أحسن السيئة . وملاك ذلك القوة والأمانة، فبالقوة تحصل المحافظة على الحقوق والقيم . وبالأمانة تُؤدىٰ الحقوق إلىٰ أهلها .

ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «أشكو إلىٰ الله ضعف الأمين وخيانة القوي» .

وما من نبي ولا رسول إلا ويتصف بتلكم الصفتين: القوة والأمانة، ويؤمر بهما . قال الله تعالىٰ في شأن آدم عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه : ١١٥] . فلما وقع في المعصية وأناب إلىٰ الله والتجأ إليه : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه : ١٢٢] . هداه إلىٰ كل شيء فيه نجاته وطاعة ربه ومعصية عدوه . ومن ذلك القوة والأمانة .

ونوح عليه السلام من قوته قال : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [نوح : ٢٦] .

وقال ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ .

ومن أمانته : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [نوح : ٢ - ٤] .

وقال : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ [نوح : ١٠، ١١] .

وقال هود عليه السلام : ﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨)** ﴾ [**الأعراف** : ٦٨] .

وقال صالح : ﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٢)** ﴾ [**الأعراف** : ٦٢] .

ولوطٌ عليه اسلام أنكر علىٰ قومه فعل الفاحشة ووصفهم بأنهم مسرفون وأنهم مجرمون وحذرهم من عاقبة سوء فعلهم .

وقال شعيب : ﴿ **... وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣)** ﴾ [**الأعراف** : ٩٣] .

وموسىٰ عليه السلام دخل علىٰ الجبار الطاغية فرعون فقال : ﴿ **... يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥)** ﴾ [**الأعراف** : ١٠٤، ١٠٥] .

والقوة تُوطن الرجل لحمل المسئولية والنهوض بالواجب في عزم وحزم .

والأمانة أساس كل خير في أمور الدين والدنيا . في العقيدة وشرائع الدين والحقوق بجميع أنواعها : الأموال والأعراض والدماء . وإنجاز الوعد . والحب في الله ومخالقة الناس بخلق حسن .

روىٰ البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : «**المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**» فتح ١/ ٥٣ .

وروىٰ الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمِنَه الناس على دمائهم وأموالهم**» .

وروىٰ البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ أخذ أموال الناس يريد أداءها أداها الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**» .

واجتماع القوة والأمانة في الناس قليل حتىٰ في عهد الخلافة الراشدة . فقد رُوي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : (اللهم أشكو إليك جَلَد الفَاجر وعجز الثقة) . لكن يكون الصلاح بحسب ما في الشخص من خصَال الخير .

والتناصح والإخلاص من قواعد الصلاح . ومن أصول الإسلام كما قال الرسول ﷺ في حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه عند مسلم أن النبي ﷺ قال : «الدين النصحية» قلنا لمن ؟ قال (لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) [١] .

فليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح من يأتي بالمسكرات

---

(١) مسلم : ١/ ٧٤ .

والمخدرات والمحرمات يبيعها على المسلمين ويُروِّجها في أسواق المؤمنين .

وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح من يأتي بالأفلام الخليعة التي تدعو إلى الدعارة . وتهدم الأخلاق وتفسد الشباب والشابات .

وليس بمؤمن ناصح ولا بمواطن صالح الذي يعرض على المسلمين أفلاماً تُعلم الجريمة وتخطط للسرقة . وتجرئ على سفك الدماء وأخذ الأموال بالباطل . ولا التمثيليات التي فيها استهزاء أو تنقيص بنص من نصوص الشريعة ، وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح الذي يعتدي على أموال المسلمين وأعراضهم ودمائهم ظلماً وعدواناً ويخل بأمنهم ويسعى بالفساد بينهم وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن نصاح الذي يخدم أعداء الإسلام ويمهد لتنفيذ مخططاتهم في المسلمين ﴿إن الله لا يحب الخائنين ﴾ .

وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح الذي يتعامل بمعاملات محرمة تؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل (مثل الدولار الصاروخي) ومثل اليانصيب ، ومثل مسابقة (جاسابا الدولية) تدعو للاشتراك بخمسة وستين دولار وبعد ثلاث سنوات يربح سيارة قيمتها خمسة وعشرون ألف دولار . ومثل اشتر مني واربح خمسة وعشرين ألف دولار خلال ٤ ـ ٦ أسابيع مقابل دفع ٧٥ دولار وليس بمواطن صالح و ولا بمؤمن ناصح من التمس رضا

الناس بسخط الله والواجب الوقوف في جانب الحق والأخذ على يد السفيه وأطره على الحق.

وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن حقاً من يسعى بالوشاية بين الناس ليفسد القلوب ويُخبث النفوس ويستغل الموقف لنفسه يُعكر الماء ليصيد فيه .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ، ولا يخذله ، التقوى ههنا(ويشير إلى صدره ثلاث مرات). بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم علي المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**][1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس**» متفق عليه . وفي رواية لمسلم : «**الدين النصيحة (ثلاثاً). قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** »[2]. . وهذا يدل علي أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان .

والنصيحة عناية القلب للمنصوح له . وهي كلمة جامعة

---

(١) رياض الصالحين : ١١٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم : ٥٤ .

تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً .

وقال الحسن : وقال بعض أصحاب النبي ﷺ : «**والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمن لكم بالله أن أحب عباد الله إلى الله الذين يُحببون الله إلى عباده . ويُحببون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنصيحة**» .

وبالبصيرة النافذة : (العقل السليم يسير الإنسان في هذه الحياة علىٰ صراط مستقيم) . ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «**إن الله يحب البَصَر النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب العقل عند حلول الشهوات**»(١) .

وواجب المواطن الصالح مع نُصْحِهِ لإخوانه وحُبِّه لهم كما يحب لنفسه الوقوف في جانب الشرع والإعانة علىٰ إنفاذ الحق . فلا يُؤوي محدثاً ولا يدافع عن مجرم . ولا ينقصُ المكيال والميزان يُورِّدُ لبلده وإخوته ما يضرهم في دينهم ولا في دنياهم ، ولا ينقض العهد ولا يخلف الوعد ، ولا يؤذي أحداً بلا حق ، ولا يُصُّر علىٰ كبيرة ، ولا يُداوم علىٰ صغيرة .

حق المسلم علىٰ المسلم ست :

إذا لقتيه فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس وحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه .

---

(١) السياسة الشرعية / ٢٠ .

هذه الخصال من اتصف بها فهو مواطن صالح ومؤمن ناصح ، ومن رفضها أو خالفها فهو مواطن طالح ، ومسلم منافق .

تأملوا هذا الحديث ولفظه أبلغ من شرحه :

روىٰ مسلم عن عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه أن أبا سفيان أتي علىٰ سلمان وصهيب وبلال ونفر فقالوا : ما أخذت سيوفنا من عدو الله مَأْخَذَها . فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتقولون لشيخ قريش وسيدهم؟! فأتىٰ النبي ﷺ فأخبروه فقال : «**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**» فأتاهم فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : يغفر الله لك يا أخي .

هذا المواطن الصالح ، وهذه صفاته ، وهذه أعماله ، وهذا سلوكه ، فيجب علىٰ كل مواطن مسلم أن يتصف بهذه الصفات الإسلامية الخيرة ، ولا يهتم بدعايات المرجفين ، ودسائس الحاسدين ، وأقوال الكذابين الذين يفترون علىٰ علمائهم ، وينسون نعم الله عليهم ويجحدون جهود المواطن الصالح والعامل الناصح .

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

٢٢/٣/١٤١٣هـ

عبدالله بن محمد بن زاحم

صفة تغسيل الميت

١ ـ يوضع على السرير المخصص للغسل ، ولا يترك على الأرض لئلا يسرع إليه الفساد .

٢ ـ يجهز الماء فلا يكون حاراً يفسد الجثة ، ولا بارداً لا ينقي ، ويجعل في الغسلة الأولى سدر ؛ لأن السدر بارد وينظف ويعطي الجثة منعة من الفساد مدة .

٣ ـ تستر عورة الميت من السرة إلى الركبة ، ويجرد ، ولا يحضره إلا من يعاون على غسله .

٤ ـ يَلُفُ الغاسل على يده لفافة ، ويصب عليه آخر . الرجال يغسلون الرجل والنساء يغسلن المرأة .

٥ ـ ينحي الغاسل الميت وينظفه من الأذى بماء عادي ويضغط على بطنه ليخرج ما كان متهيأ للخروج وينوي الغاسل الوضوء ثم ينوي الغسل عند البدء فيه .

٦ ـ ثم يوضأ الميت وضوء الصلاة كالحي فيبل الغاسل أصبعه ويمسح بها أسنانه وشفتيه ومنخريه وإن كان هناك وسخ أزاله بخرقة، ثم غسل أعضاء الوضوء ويغير الغاسل الخرقة التي لف بها يده إذا توسخت .

٧ ـ يضرب الماء الذي فيه السدر باليد أي يخلطه جيداً حتىٰ تظهر له رغوة ، فيغسل بالرغوة الرأس والوجه ، ثم يغسل بالماء والسدر الشق الأيمن ، ثم الشق الأيسر ، ويدلك الغاسلُ بالماءِ الأعضاء وأجزاءَ الجسمِ لتنظيفها ويقلب الغاسلُ ومن يعينه الميت برفق ويغسل ظهره بغسله ثلاث غسلات ، وإذا زاد إلىٰ خمس فهو أنقىٰ وإذا لم ينظف فإلىٰ سبع ويجعل في الغسلة الأخيرة في الماء كافوراً ؛ لأنه يطيب الجسم ويشده فلا يسرع إليه الفساد .

٨ ـ إن خرج من الميت وسخ بعد الغسلة الثالثة زاد الغاسل في الغسل ويقطعه علىٰ وِتْرٍ وإن خرجت من الميت نجاسة بعد السبع حشي المخرج بقطن ، وإن لم يستمسك فيسده بطين حر .

٩ ـ يُحنَّط الميت بعد الغسل فيطيب أماكن السجود والمفاصل والمراق مثل العروس ويجعل في طبقات الكفن شيٌ من الحنوط ، ويجعل بين إليتيه .

١٠ ـ يكفن الرجل في ثلاث لفائف بثض يخالف بين أطرافها .

١١ ـ وتكفّن المرأة في خمسة أثواب : قميص ، ومئزر ، وخمار ، ولفافة تشد بها فخذيها وبلفافة يديها .

١٢ ـ يضفر شعر المرأة ثلاثة قرون وتسدل من خلفها . ولا يمشط الشعر لئلا يسقط منه شيء وإنما ينفض ويغسل .

١٣ ـ تربط اللفائف برباط من القماس ويوضع الميت علىٰ النعش ،

يرفع الغطاء عن جسمها مثل القفص .

١٤ ـ إذا كان الميت محرماً لم يتم نسكه فيجنب محظورات الإحرام. فلا يغطي رأسه ولا وجهه ولا يطيب ولا يجعل في كفنه طيباً ولا حنوطاً .

هذا ما تيسر . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآل وصحبه وسلم .

١٤١٣/١٠/١١هـ

رئيس محاكم منطقة المدنية المنورة المساعد

عبدالله بن محمد بن زاحم

حديث عن الظلم

اعطيت لمندوب عكاظ في ١٤١٣/٧/٢٣هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . . . وبعد :

فإن الظل ظلمات يوم القيامة حرمه الخالق تعالى على نفسه وحرمه على خلقه فهو محرم في شريعة الإسلام وفي الشرائع السماوية كلها .

والظلم هو الجور وضده العدل و الحكمة وهو معصية الله تعالى ومخالفة أمره سواء فيما بين العبد وبين ربه أو فيما بين خلق الله كله ظلم محرم .

قال تعالى ﴿**وأما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاب نكرا**﴾ ﴿ **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**﴾ . ﴿**لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه**﴾ .

وعن جُندب بن جنادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال : (**ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**) .

وإن شر الظلم وأقبحه بعد الشرك بالله اعتداء جار على جاره يسفك دمه و وبنهب أمواله وهتك حرماته وتشريد أطفاله ونسائه ، كما فعل صدام حاكم العراق بجارته الكويت فكان اعتداؤه مع غفلة

علىٰ غرة في ظلمة الليل رغم ما بينهما من عهود ومواثيق ورغم ما أعطىٰ من وعود فنقض الميثاق وأخلف الوعد وخان العهد. وأدعىٰ بأن الكويت جزء من العراق وهي دعوىٰ كاذبة يردها التاريخ فإن الكويت مملكة آل صباح من مئات السنين.

إن فعل صدام بالكويت ظلم كبير وعدوان سافر أغاظ قلوب المؤمنين الصادقين وجرح قلوبهم وامتدت آثاره إلىٰ البشر. كنا نعد صدام أخا في الإسلام وابن عم في اللغة وصديقاً صادقاً وجاراً أميناً فوقف معه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وأمير الكويت مواقف مشرفة في محنته مع إيران وشدا عضديه وأقاماه علىٰ ساقيه وبذلاً له متطلباته بنصح وصدق وسخاء وطيب نفس. (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان).

إلا أن صدام مع الأسف أخلف الظن وخاب فيه الأمل لقد كشف صدام نفسه بأفعاله في الكويت وحديث خادم الحرمين الشريفين مع علماء الإسلام كشف القناع عن وجه صدام وشرقه بريقه وأما خطاب الملك فهد الذي أجاب به صدا م فالقمة حجرا عض به

ومع هذا فلم يدخر الملك فهد وسعاً في إنهاء الأزمة بسلام ومطالبة صدام بسحب قواته ورد المظالم إلىٰ أهلها واعادة البلاد إلىٰ حكامها الشرعين وعلماء المسلمين الذين يعتدبهم أجمعوا علىٰ أن اعتداءه علىٰ الكويت ظلم وطالبوه وناشدوه الإنسحاب من

الكويت فأبى وبينوا له الاحكام والنصوص فرفضها .

والذي يظهر أن صدام أخذه الاعجاب بالنفس والغرور وقصر النظر ودنو التفكير فلم يستجب وبذلت هيئة الأمم جهدها لحل أزمة الخليج بسلام فأبى صدام إلا الاستمرار في الظلم والعدوان وانتهاك المواثيق والعهود واتباع نظام الغاب القوي يأكل الضعيف .

وإنما جعلت هيئة الأمم المتحدة لتمنع الظالم عن ظلمه بالقوة ولتكون في صف المظلوم حتى يعاد إليه حقه فلما أعياها صدام بالسلم لم يبق إلا الحرب فلا يمكن أن يسمح أحد لصدام أن ينفذ طيّشه وغروره وينفذ إرادته الشاذة واطماعه المتكررة فقامت الحرب بين العدل وأعوانه ضد الظلم والطغيان والذي أقام الحرب هو صدام وهو المسئول عن كل ما ينتج عنها . سياسياً وادبياً واقتصادياً واجتماعياً .

صدام هو المسئول عن كل ما ينتج عن تصرفاته ولا أرى هذه الحرب إلا عقوبة من الله على صدام فكانا عتداؤه على الكويت الساعة الثانية يوم الخميس أول الشهر .

فكان عقابه مقابلته بمثل ما عمل صارت الغارة عليه في نفس الأوقات التي اعتدى فيها على الكويت إن عاقبة الظلم وخيمة وما اسرع عقوبة الظالم فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب حتى لو كان المظلوم غير مسلم فما بالك أخى المسلم بظلم المسلم والظالم

دائماً مخذول مدحور مهزوم يبعضه الله ويبغضه عباد الله، ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع. وماللظالمين من نصير.

ولهذا حذر منه الرسول ﷺ فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)رواه مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) متفق عليه وقال لمعاذ رضي الله عنه (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) متفق عليه

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى صحبه أجمعين.

عبدالله بن محمد بن زاحم

إلى إخواني المسلمين في كل مكان

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . . . وبعد :

فقد اطلعت على نسخة من الأوراق التي توزع المشتملة على قصة مزعومة ، بأن فتاة عمرها «١٢» سنة كانت مريضة مرضاً شديداً أعيا الأطباء علاجها ، وفي ذات ليلة اشتد المرض عليها وبكت المسكينة حتى غلبها النوم ورأت وهي في منامها السيدة زينب أنها وضعت في فمها قطران ، وبعد أن استيقظت من النوم وجدت نفسها قد شفيت من مرضها تماماً ، وطلبت منها السيدة زينب : أن تكتب هذه الرواية « ١٢ » مرة وتقوم بتوزيعها على المسلمين والمسلمات لينظروا إلى قدرة الله سبحانه وتعالى ، وأن الورقة الأولى وقعت في يد فقير فكتبها ووزعها على الناس ، وبعد مضي أيام قليلة شاء الله أن يغتني هذا الفقير ، والنسخة الثانية وقعت في يد عامل أهمل كتابتها وبعد مضي اثنى عشر يوماً «١٢» فقد كل ما يملك من ثروة ، ثم دعا زاعم القصة إخوانه المسلمين إلى كتابتها «١٢» نسخة وتوزيعها على الناس لينال كلٌ ما يتمناه بإرادة

الله . أ . هـ .

وأنبه إخواني من المسلمين والمسلمات أن هذه القصة يرد آخرها على أولها ويبين أنها قصة مختلقة لا أصل لها ، ولعل المراد من اختلاق هذه وأمثالها اختبار عقول المسلمين ، وفحص إيمانهم وهل لديهم عقول واعية تدرك الحقائق وتعرف دينها وقواعده وتعرف الدسائس والخرافات والدجل والترهات ؟ وهل لديهم إيمان قوي بالله وبما جاء من عند الله على لسان رسول الله ﷺ ؟ أم أنهم أصبحوا كلهم رعاعا مع كل صاعق وناعق ، ولمناقشة القصة المزعومة وأخذ الرد عليها من بعضها ، أقول :

من هي السيدة زينب هذه رحمها الله؟ أهي بنت علي رضي الله عنهما أخت الحسين . فقد ذكر نصر الدين الزركلي أن زينب بنت علي رضي الله عنهما كانت مع أخيها الحسين حينما قتل ونقلت إلى الشام ولم يذكر في كتب التاريخ أنها جاءت إلى مصر لا في الحياة ولا بعد الممات ، وذكر في الإصابة بأن زينب بنت علي رضي الله عنهما ولدت في عهد رسو لالله ﷺ وتوفيت سنة ٦٢هـ، وأنهاكا نت مع أخيها الحسين ، ثم نقلت إلى دمشق مع أختيها فاطمة وسكينة رضي الله عنهم .

أم أن السيدة زينب المعروف قبرها في القاهرة هي زينب بنت يحيى بن زيد بن الحسين رضي الله عنه ورحم الله من بعده ، فقد ذكر خير الدين الزركلي في الأعلام أنها توفيت سنة ٢٤٠هـ ،

بعض الناس وإنَّما الدولة الفاطمية هي التي أنشأت هذا الضريح وعظمته وجعلت عليه قبة وحثَّت الناس على تقديسه كسائر الأضرحة الموجودة هناك لتعليق قلوب المؤمنين بغير الله ، فالله حسبنا وحسب كل مؤمن وهو نعم الوكيل .

وعلى كل حال تأمّل أخي المسلم هذه القصة المزعومة ليظهر لك كذبها فلا يخفى على من له عقل فطن ونظر في قواعد الشريعة لا يخفى عليه أن ذلك كذب من وحي الشيطان لما يأتي :

أولاً : من المعلوم من الشرع والعقل والعرف أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، كما قال ذلك ﷺ في الحديث الصحيح : «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» .

وأما العرف : فمن أول الدنيا إلى الآن ما عرف حقاً أن ميتاً نفع أحداً من الخلق ، وما يقال عن الأموات واتصالهم بالأحياء فإنَّما هي أوهام دعاة القبور الذين يتعلقون بغير الله لإيهام العامة وتضليلهم والسيطرة عليهم .

ثانياً : قارن بين عمر الفتاة المزعومة وعدد النسخ المطلوبة وعدد الأيام المزعومة لتعلم أنها رواية مفتعلة مكذوبة .

ثالثاً : المعروف أن القطران مادة سامة لا يؤخذ عن طريق

الفم، وإنَّما يُطلَىٰ به الجرب الذي يصيب الحيوان ويُطهَّر بها بعض الجروح وهي في يوم القيامة من أنواع العذاب . قال تعالىٰ : ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم : ٥٠] .

رابعاً : قد وصلت هذه القصة المزعومة إلىٰ أناس مزقوها وردوا عليها ولم يزدادوا إلا القوة والتوفيق والخير الكثير ، ووصلت إلىٰ آخرين سذج مخدوعين ووزعوها فلم يصبهم خير بل حصل لهم ضعف اليقين ، وتصديق الكذابين والتعلق بغيرالله .

فيا أخي المسلم : أنت في زمن قل فيه الوازع والرادع فسترىٰ من أعدائك وأعداء عقيدتك ومن دعاة الضلال اختلافاً كثيراً فعليك بكتاب الله وسنة نبيك وسنة الخلفاء الراشدين وسلف الأمة وكن ثابت الإيمان قوي الشكيمة ذكياً فطناً ولا يلدغ مؤمن من جحر مرتين .

وصلىٰ الله وسلم علىٰ البشير النذير وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

أخوكم/عبدالله بن محمد بن زاحم

من أحكام سورة النور

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

يقول الله تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) ﴾ [النور] .

هذه هي سورة النور تشتمل على كثير من الأحكام التشريعية الواضحة الجلية . ألزم المشرع سبحانه خلقه العمل بها .

إنها تشتمل على أحكام اجتماعية وتربوية لإصلاح المجتمع المسلم والفرد المسلم والأسرة المسلمة . فالإسلام يهتم كل الاهتمام بالأخلاق ونظافتها وطهارتها ؛ لأن الأخلاق الرفيعة العالية الطيبة تنير القلب وتنير الحياة وتربط بين الإنسان وبين النور الإلهي الشامل نور السموات والأرض ونور الإيمان وقلب المؤمن ، أما انحطاط الأخلاق فهو غشاوة على القلب تحجب عنه النور .

وهذه السورة الكريمة سورة النور تدور على نظام التربية

والتعليم تربية الأخلاق وتربية السلوك، وتربية التواصل . في البيت، وخارج البيت . ووضع الحلول التي تعالج الانحراف عن السلوك الصحيح . وسأشير ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ بصفة إجمالية إلىٰ هذه الأحكام ؛ تقريباً للفائدة ولعلي أتحدث عنها بالتفصيل في أحاديث أخرىٰ .

١ ـ الحكم الأول : حد الزنا في قوله تبارك وتعالىٰ ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** (٢) ﴾ [النور: ٢] .

٢ ـ الحكم الثاني : انفصال الزاني من المجتمع المسلم المؤمن وبراءة المؤمنين من حاله في قوله تعالىٰ : ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** (٣) ﴾ [النور: ٣] .

٣ ـ الحكم الثالث : حد القذف وحكم القاذف في السلوك الاجتماعي في هذه الدنيا في قوله تعالىٰ : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** (٤) **إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٥) ﴾ [النور: ٤، ٥] .

٤ ـ حكم اللعان : إذا أصر الزوج علىٰ قذف زوجته بالزنا أو

نفي الولد منها في قوله تعالىٰ : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) ﴾ [النور] .

٥ ـ الحكم الخامس : قصَّةُ الإفك ، وبيان عاقبة القاذف عند الله تعالىٰ يوم القيامة في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) ﴾ [النور] .

وما بعدها من الآيات إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) ﴾ [النور] .

٦ ـ الحكم السادس : في آداب دخول البيوت سواء كانت عمائر أو فلل أو شققأو خيام أو بيوت شعر في قوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) ﴾ [النور] .

٧ ـ الحكم السابع : بيان أسباب الوقاية من الوقوع في المحرم . وأسباب النظافة والطهارة في السلوك في قوله تعالىٰ : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾ [النور] .

٨ ـ الحكم الثامن : الحث علىٰ الزواج والترغيب فيه وبيان أنه سبب للرزق بإذن الله في قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) ﴾ [النور: ٣٢] . والآية بعدها .

ثم عقب علىٰ هذه الأحكام بتأكيد ما سبق في أول السورة بأن هذه الآيات البينات منزلة من عند الله يجب العمل بها فلا لبْسَ فيها ولا غموض . إنما أنزلت للناس لإصلاحهم وما ينتفع بها إلا المتقون . فهم الذين يهتدون بنور الله الذي أشرقت له السموات والأرض وصلح به أمر الدنيا والآخرة . واستضاء به قلب المؤمن .

أما غير المؤمنين فهم في ظلمات ومتاهات ، تحيط بهم من كل

جانب أينما توجهوا . والكل خلق لله وملك لله . وكل ما في السموات والأرض خلقه وملكه الكل يمجده ويعظمه ويقدسه أما بلسان المقال أو بلسان الحال . فمن اهتدىٰ فإنما يهتدي بفضل الله وكرمه . ومن ضل فإنما يضل بعلم الله وعدله .

ثم بين سلوك المؤمنين مع القيادة المسلمة والانقياد لأحكام الله ، وسلوك المنافقين الذين يظهرون الإيمان بألسنتهم ويكنّون الكفر في نفوسهم . وبيَّن أن العاقبة الحسنة والفعلية والتمكين تكون للمؤمنين لإقامة العدل والإصلاح لا لمجرد السلطة والقهر .

٩ ـ الحكم التاسع : في آداب الأسرة في داخل البيت وفي تواصل الأسرة والقرابة والصلة بالقيادة العامة . فالحكم السادس المتقدم في آداب دخول البيوت . وهذا الحكم في آداب دخول الحجرات في البيوت والتواصل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ** .... ﴾ [النور: ٥٨]. إلىٰ خاتمة السورة التي يختمها بالترغيب والترهيب والحث علىٰ التقوىٰ ومراقبة الله تعالىٰ في السر والعلن ، لأنه مالكهم ويطلع علىٰ ما هم فيه . ومآلهم إليه .

وإلىٰ اللقاءات في حديث آخر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

حكم الزاني

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾ [النور] .

الزنا جريمة شنيعة وفاحشة كبيرة فيها الخنا والردى ، والزنا هو أخطر المعاصي على المجتمع . وأكثرها فساداً في الأرض ، فيه جرأة على رب العالمين بانتهاك محارمه والتعدي على حدوده . وفيه خيانة للمجتمع بالتعدي على أخلاقه وفضائله وباختلاط أنسابه . وفيه خيانة للفراش والأسرة بانتهاك حرمته والتعدي على حقوقه . وفيه خيانة للمرأة وغَدْرٌ لها بإراقة ماء الحياء من وجهها وتمزيق كساء العفة عنها . وفيه هدم مستقبل المرأة والقضاءُ على حياتها الزوجية ، وفيه كسرٌ لشرف أسرتها وإرخاء لرؤوسهم وتحطيمٌ لمعنوياتهم .

والزنا جريمة على النطفة بوضعها في رحم حرام ، تنسب لغير نسبها وترِّث غير مورثها ، ويحرم عليها غير محارمها ، ويحل لها ما لا يحل لها والنطفة ما خلقت للعبث بها وما جعلت الغرائز الجنسية للّعب بها ، إنما خلقت لقصد شريف وحكمة بالغة . لتكثير النسل وإبقاء الخلافة الطيبة الطاهرة في أرض الله ، والزنا جناية على الجنين . إما أن يوأد في أول أطواره ظلماً وعدواناً أو يوضع في

دور الحضانة لا أم ولا أب . يفقد حنان الأم وعطف الأبوة، ثم يكون حسيراً في حياته لا عشيرة له ولا قرابة .

الزنا عقوبته عاجلة وآجلة ، فإن كان خفيا كانت عقوبته العاجلة حسْرة الضمير وضيق النفس . والنكد والهم . خشية أن يطلع عليه أحد ويعرف سره يسلط على نسائه من ينتهك حرمته كما انتهك حرمة الناس، وإن كان الزنا ظاهراً في المجتمع فلم ينكر سلط الله عليهم ذلاً وهواناً وابتلاهم بالأمراض والأسقام ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ونزع البركات ، والخوف والاضطراب ورفع الأمن والاستقرار . وجور السلطان ، وهذا مشاهد بالعيان ، ومن أجل ذلك حرم الإسلام الزنا وقاومه أشد مقاومة . ورتب عليه عقوبة تربوية إصلاحية رادعة .

ولعظم جريمة الزنا قرنه الخالق تبارك وتعالى بالشرك وقتل النفس فقال تعالي : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)** ﴾ [**الفرقان** : ٦٨ - ٧٠] .

إن في اتِّباع الزناة في قضاء وطر النفس ورغبتها طريقٌ شيءٌ وعَمَلُ فُحْشٍ ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢)** ﴾ [**الإسراء**] .

قال ﷺ : «**يا معشر الشباب اتقوا الزنا فإن فيه ستَّ خصال: ثلاث في الدنيا ، وثلاث في الآخرة . أما التي في الدنيا : فيذهب البهاء، ويورث الفقر وينقُص من العمر . وأما التي في الآخرة : فسخط الله سبحانه وتعالى ، وسوء السحاب ، وعذابُ النار** » .

وأما حد الزنا وعقوبته ، فإن كان الزاني بكراً لم يسبق أن تزوج في عقد صحيح فحده جلد مائة جلدة ، وتغريبُ عام وأما المحصن فحده الرجم بالحجارة حتى يموت ، وكان الحكم في أول الإسلام تعاقب المرأة الزانية بالحبس في البيت إلى الممات﴿ **اللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً** (١٥) ﴾ [النساء] .

ويعاقب الرجل الزاني بالإيذاء وبالتعيير واللوم . فنسخ ذلك بهذه الآية : ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** (٢) ﴾ [النور : ٢] .

كما روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : كنا نقرأ : (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) .

ورجم ﷺ ماعز والغامدية .

وفي قصة العسيف أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : إن ابني كان عسيفاً (أي أجيراً) عند هذا ـ رجل من

اليهود ـ وزنىٰ بامرأته فافتديت منه بوليدة ومائة شاة ، ثم أخبرني أهل العلم أن علىٰ ابني جلد مائة وتغريب عام ، وأن علىٰ امرأة هذا، الرجم فاقض بيننا ، فقال عليه الصلاة والسلام : «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله أما الغنم والوليدة فرد عليك ، وأما ابنك فإن عليه جلد مائة ، وتغريب عام . ثم قال لرجل من أسلم اغد يا أنيس إلىٰ امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها ، وروي في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله قال وهو جالس علىٰ منبر رسول الله ﷺ : إن الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق . وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشىٰ إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله .

وإن الرجم في كتاب الله حق علىٰ من زنىٰ إذا أُحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الحَبَل أو الاعتراف . وتأمَّل في المسألة قول الله تعالىٰ : ﴿ ... **وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** (٢) ﴾ [النور] .

أي لا تحملنَّكم الرحمة والشفقة إلىٰ تعطيل حدود الله إذا بلغت السلطان أي لا تساهلوا في إقامة الحدود ولا تنقصوها في العد أو الكيفية وقوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر تحريك للهمم والمشاعر للحث علىٰ إقامة حدود الله دون أخذ لومة لائم في

حق الله كما أمر باشهار الحدود وأمام طائفة من المؤمنين لأنه ابلغ في التأديب وانكىٰ في الزجر فيرتدع من تسول له نفسه الوقوع في مثل هذه الجريمة .

ويشترط في إقامة الحد : العقل والبلوغ .

وأما اللواط : وهو فعل الفاحشة بين ذكرين ، فقال بعض العلماء : إنه زنىٰ وحده حد الزنا ، وقال بعضهم : ليس بزنا وإنَّما حكم أغلظ وأشد فيفعل باللوطي كما فعل الله بقوم لوط يلقىٰ من أعلىٰ شاهق ويرجم بالحجارة . وإتيان البهائم محرم ، والمساحقة بين النساء والاستمناء باليد لا يجوز وفيه التعزيز فيجب علىٰ المسلم أن يتجنب أسباب الرذائل وأن يأخذ بأسباب العفة والكرامة فقد أمرنا إسلامنا بذلك . عِفّوا تعف نسائكم . « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء» أي وقاية . وينبغي تيسير الزواج وتسهيل تكاليفه وحفلاته«يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» . نسأل الله تعالىٰ أن يحفظنا جميعاً من كل سوء وأن يصلح بناتنا وذرياتنا وأن يصلح جميع المسلمين . إنه جواد كريم .

وإلىٰ اللقاء إن شاء الله تعالىٰ في حديث آخر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

زواج العفيفة بغير عفيف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :

قال تبارك وتعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾ [النور: ٢] .

لما كان الزنا صفة سوء وخلقاً مذموماً ممقوتاً ، فيه ما فيه من الأخطار الاجتماعية ، والدينية واختلاط الأنساب وفساد البيت والأسرة حرم على العفيف أن يتزوج بزانية ، وحرم على العفيفة أن تتزوج بزانٍ وفي اقتران الزاني والزانية بالمشرك والمشركة في هذه الآية لفتة لطيفة تدل على أن المؤمن العفيف والمؤمنة العفيفة ، لا يرتبط أحدهما مع الزاني لا في زواج ولا في وطء ولا في غيرهما وإنما ذلك من صفات الزناة والمشركين ولا يوافق عليه إلا البغايا والمشركون . فكما أنه لا يجتمع مؤمن ومشركة في نكاح ولا مؤمنةٌ مع مشرك في نكاح فكذلك لا ينكح العفيف زانية ولا تنكح العفيفة زانياً . وفيه أيضاً تقبيح للزنا وتنفير منه فالرجل المؤمن العفيف لا يرضى أن يكون فراشه قذراً موبوءاً ولا يرضى أن تشاركه في حياته وفي عاطفته امرأة لا تَرُدُّ يَدَ لامسٍ . ولا يرضى باختلاط نسله مع غيره . وكذلك المرأة المسلمة العفيفة لا ترضى أن تكون تحت رجل

زانٍ يعبث بالقيم والأخلاق . ويتجرّأ على حدود الله ومحارم الناس .

وإنَّما المؤمن العفيف والمؤمنة العفيفة يريدان حياة زوجيَّة طاهرة نظيفة متكافأة في الأخلاق والسلوك والديانة يريدان حياة زوجيّة كريمة شريفة وحياة مشتركة مبنيّة على أساس الدين والأخلاق والمشاعر الراقية .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره في سبب نزول هذه الآية :

عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال : (كان رجل يُقال له مرثد بن أبي مرثد كان يحمل الأساري من مكة يأتي بهم إلى المدينة . قال وكانت امرأة بغي بمكة يُقال لها عِنَاق وكانت صديقة له . وأنه واعد رجلاً من الأسارى في مكة يحمله . قال فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة . قال فجاءت عناق فأبصرتْ سواد ظل تحت الحائط فلما انتهت إليَّ عرفتني فقالت : مرثد . فقلت : مرثد . فقالت : مرحباً وأهلاً هلم فبت عندنا الليلة . قال : فقلت يا عناق حرم الله الزنا . فقالت : يا أهل الخيام : هذا الرجل يحمل أسراكم ، قال : فتبعني ثمانية ودخلت الحديقة فانتهيت إلى غار أو كهف فدخلت فيه فجاؤوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي فأعماهم الله عني . قال : ثم رجعوا فرجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً

ثقيلاً حتىٰ انتهيت حتىٰ انتهيت إلىٰ الإذخر . ففككت عنه حبله فجعلت أحمله ويعييني حتىٰ أتيت به المدينة فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله : أنكح عناقاً أنكح عناقاً مرتين فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد علىٰ شيئاً حتىٰ نزلت : ﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ③ ﴾ [النور] فقال رسول الله ﷺ يا مرثد : الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة فلا تنكحها . رواه الترمذي والنسائي .

فالمرأة المعروفة بالفحش والفجور لا يحل للعفيف أن يتزوجها والرجل المعروف بالخبث والبغاء لا يجوز للمرأة العفيفة أن تتزوجة ولا يفعل ذلك إلا ديوث يرضىٰ بالردىٰ والخنا في أهله .

والدياثة كبيرة من الكبائر وبليَّة من البلايا محرَّمة في دين الله . روىٰ الإمام أحمد والنسائي رحمهما الله بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق بوالديه ؛ والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال ، والديوث» .

وعن ابن عمر أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر ؛ والعاق بوالديه ، والذي يقر في أهله الخبث» .

وفي حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : قال رسول

الله ﷺ : «لا يدخل الجنة ديوث» . . ولهذا فالله سبحانه وتعالىٰ حرم ذلك علىٰ المؤمنين .

فالذين يرتكبون الزنا لا يأتونه وهم مؤمنون حقاً ، إنما يكونون في حالة شهوانية أبعدتهم عن الإيمان ومشاعر الإيمان كما قال ﷺ : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» . فالذي هذه حاله لا ترضىٰ النفس المؤمنة . أن ترتبط معه لا في نكاح ولا في وصال . حتىٰ يتوب . وهكذا الإسلام يعالج القضايا الاجتماعية ، وينظم الحياة للمجتمع ، ويحافظ علىٰ أخلاقه ومقومات عزه وكرامته .

وفيه تأديب وتربية تأديب للبغايا لعلهم يتوبون إذا عرفوا أن المجتمع المسلم يمقتهم . ولا يرتبط معهم بحال من الأحوال .

وفيه تربية للأهل العفة والحصانة وبيان أن حالهم أعلىٰ وأشرف من أن ينزلوا إلىٰ مستوىٰ أولئك الزناة الذين انحطت أخلاقهم وانحرفوا عن الصراط السوي . وانحرفوا عن النظام الإسلامي في الأخلاق والسلوك .

وهكذا يربي الإسلام الأمة المسلمة ويجعل العفة والحصانة وحسن الأخلاق هو الأساس للحياة الزوجية المسلمة . والدين هو قوام كل شيء وصلاحه ولذلك أوصىٰ النبي ﷺ أمته باختيار الزوجة الدِّينة في قوله عليه الصلاة والسلام : «تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» رواه

البخاري ومسلم .

وروىٰ ابن ماجه ، والبزار ، والبيهقي من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً : «لا تنكحوا النساء لحسنهن فلعله يُرْديهن - أي حسنهن - ، ولا لمالهن فلعله يطغيهن وانكحوهن للدين ولأمة سوداء خرقاء ذات دين أفضل» أي : أفضل من امرأة جميلة حسيبة غنية لا دين لها .

أما إذا اجتمع الدين والجمال والمال والحسب والنسب . فذلك خير وأفضل وهذه هي خير النساء .

سُئل الرسول ﷺ : أي النساء أفضل ؟ قال عليه الصلاة والسلام : «**التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره**» .

فينبغي لمن أراد أن يتزوج أن يتحرىٰ ذات الدين فالدين هو العنصر الأساس لبناء الأسرة وتنظيم الأسرة وباقي الصفات مكملات .

وعلىٰ هذا فإن الذين يذهبون إلىٰ البلاد المعروف بالفحش وعدم العفة أهلها ويتزوجون بنساء معروفات بالزنا ، قد دخلوا تحت إطار النهي المذكور في الآية قد غلبته نفسه علىٰ دينه ، وغلبته شهوته علىٰ تفكيره .

وأما الذي يذهب إلىٰ بلاد موبوءة بالأمراض الاجتماعية

والأمراض الدينية . فيتعرف على امرأة في الشارع أو في المقهى أو في غيرهما . ويتزوجها قبل أن يعرف دينها وأخلاقها الحقيقة هذا قد أخطأ وأساء التصرف . . ومثله كمثلُ مدخِلٍ يده في جحر في غابة فيها أنواع من الهوام . أو كغاطس في بحر لا يدرى ماذا يلاقيه هل يجد درا أو شاذ وبا . وبهؤلاء قد غصت المحاكم لحل منازعاتهم . وبعد هذا كله يجب أن نعلم أن التوبة النَّصوح مطهرة وماحية للآثام . ومصفيَّة لآثار الخطأ والتصرف السيء . فإذا تاب الزاني أو الزانية ، وطاب عمله وحسن سلوكه . وَطَهَّرَ أخلاقه . وأحْصَنَ فرجه . قد زال عنه وصف الزنا .

نسأل الله تعالى : أن يحفظنا وجميع المسلمين من كل سوء . وأن يحفظ مجتمعنا من جميع الشرور . وأن يفتح بصائر المسلمين للتمييز بين الحق والباطل والطيب والرديء . وأن ينصر دينه ويعلي كلمته . وإلى حديث آخر إن شاء الله تعالى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

حكم القذف

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد سبق الكلام على الحكم الأول والحكم الثاني من أحكام سورة النور المباركة . وفي هذا الحديث سأتكلم إن شاء الله تعالى عن الحكم الثالث والحكم الرابع .

حكم القذف وما يترتب عليه . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [النور: ٤، ٥] .

لما كانت سمعة الزنا جارحة مؤلمة تجرح العرض وتخدش الشعور العفيف وتثير الضغائن وتؤثر في الحالة الاجتماعية تخفض الرأس وتغمض العيون تفرق الأسرة وتشتت الشمل . فقد يتجرأ من لا خلاق له بقذف البرئاء المتعففين . ويشيعون الفاحشة في الذين آمنوا لأي سبب من الأسباب ولطمع من الأطماع . والإسلام هونظام العدالة والحماية والحصانة وهو دستور الحق لا يرضى بالفوضى والعبث . ولا يرضى أن تُخدشَ كرامة مسلم بدون حق . ولا يرضى أن يجرح عرض أحد بلا أمر ثابت شرعاً .

لذلك وضع حدا يحمي أعراض الناس ، ويمنع الألسُن من الإقدام على إلقاء التهم ضد المحصنين العفيفين .

فالرمي المذكور في الآية الكريمة : هو القذف بالزنا ، والمحصنات في هذه الآية هن العفيفات اللاتي حفظن فروجهن من الحرام . وبطلق الإحصان على ثلاثة معان :

أحدها : بمعني العفيفات كما هذا الحكم ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ**﴾ .

والثاني : بمعنى المتزوجات اللاتي في عصمة الأزواج . كما في سورة النساء ﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ .

والثالث : بمعنى الحرائر ضد الإماء المملوكات . كما في قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥)** ﴾ [النساء] .

فالقذف محرم وكبيرة من الكبائر ، قال ﷺ : «**اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا ما هنَّ يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحرُ،**

وقتل النفس التي حرم الله، والتولي يوم الزحف ، وقذفُ المحصناتِ المؤمنات الغافلات » متفق عليه .

ويترتب على القذف في هذه الدنيا ثلاث عقوبات ، عقوبة بدنية ، وعقوبة اجتماعية ، وعقوبة دينية ، جزاءً وفاقاً ، إيلام بإيلام وتشويه بتشويه، واستنقاص في الدين بمثله .

فالعقوبة البدنية يجلد القاذف إذا لم يثبت دعواه بأربعة شهود عدول ، يضرب ثمانين جلدة ، إيلاماً لجسمه مقابل ما آلم به المقذوف في نفسه وعرضه .

والعقوبة الاجتماعية ، ترد شهادته وتسقط عدالته ويلغى اعتباره فيمشي بين الناس مهيناً ذليلاً لا يوثق بقوله ولا يعتبر خبره وذلك في مقابل ما أشاع على المقذوف من بهتان وكذب .

وأما العقوبة الاجتماعية فهي اعتبار القاذف فاسقاً خارجاً عن الصراط السوي والإيمان الحقيقي مقابل قدحه في دين المقذوف .

وهكذا الإسلام ينشر العدل ويسير بالأمة المسلمة في طريق وسط قويم فكما أنه قاوم الجريمة وعاقب عليها . فهو كذلك يحفظ الحقوق ويصون الأَعراض .

ورحمة رب العالمين واسعة وأبواب التوبة مفتوحة على مصاريعها دائماً وأبداً فمن رحمته شرع الحدود : ومن رحمته جعل أنظمة لكل مرافق الحياة .

فهو سبحانه أعلم بطبائع خلقه وهو أعلم بما يصلحهم .

فليس لجاهل بشرائع الإسلام وأهدافه ومقاصده أن يقول إن الحدود فيها قسوة ، وليس لعدو حاقد أن يستنقص شرائع الله باسم الحرية والمدنية تلك الحرية الكاذبة وإنما عبودية للهوىٰ والشيطان . وتلك المدنية الماجنة فلا تعرف الفضل لمعطيه ولا الحق لمستحقه .

والتوبة هي طريق تصحيح الأخطاء وطريق الإصلاح . وهي سهلة ميسرة علىٰ أن من أراد الله به خيراً ، وشروط التوبة ثلاثة ، الندم علىٰ ما مضىٰ والإقلاع عما أتي ، والعزم علىٰ ألا يعود . وإذا كانت المعصية فيها مظلمة لا حد كالقذف فلا بد من استحلال المظلوم فإذا تاب القاذف وأصلح من شأنه وعمل صالحاً زال عنه وصف الفسق ورفع عنه الخطر في شهادته وذلك من سعة الله تعالىٰ بعباده وعظيم مغفرته لذنوبهم وأخطائهم .

أما الحكم الرابع من أحكام سورة النور فهو حكم اللعان كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)** ﴾ [النور : ٦ - ١٠] .

حكم اللعان مستثنىٰ من حكم القذف ؛ لاعتبارات خاصة وأحوال اقتضت الحكمة الإلهية استثناءه .

وسبب نزول آية اللعان يوضح ذلك .

روىٰ الإمام أحمد من طريق سعيد بن جبير . والنسائي من طريق عبد المحسن بن أبي سليمان . وروىٰ البخاري ومسلم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس . بأن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال يا رسول الله : أرأيت الرجل يرىٰ امرأته علىٰ فاحشة ؟ فإن تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت علىٰ مثل ذلك . فسكت النبي ﷺ فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتاه فقال الذي سألتك قد ابتليت به . فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ..﴾ حتي بلغ أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فبدأ بالرجل فوعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة . فقال : والذي بعثك بالحق ما كذبت ثم ثنىٰ بالمرأة فوعظها وذكرها . وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة . فقالت : والذي بعثك بالحق إنه لكاذب . قال : فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين . ثم ثنىٰ بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين .

فآية اللعان تيسر للأزواج صعوبة ما يناسب ذلك الموقف الحرج فهو قبل نزول آية اللعان في مأزق ضيق ، بين السكوت لعدم

البينة خشية من حد القذف . فبقي يتجرع آلامه ويسف مَلَّه لقبح ما رأىٰ وصعوبة ما شاهد . . وبين أن يجهر بما رأىٰ ويبوح بما يعلم فيطالب بالبينة أربعة شهداء وإلا فالحد .

فجاءت آية اللعان معالجة للموقف ، وفاتحة الطريق أمام الزوج المسكين وهناك فرق بين سكوت الإنسان علىٰ ما يراه من أجنبي فيستر عليه فإنه لا تلحقه به معرة ، وأما زوجته فيلحقه العار والنسب فالصبر صعب ولكن الله ذو فضل ورحمة واسعة والله سبحانه يعلم ما كان وما سيكون ويعلم أن قصة قذف الرجل لامرأته ستحصل ، وإنما أخر نزول الحكم ، حتىٰ وقع ليكون أمكن في النفوس فتلقاه الناس بالقبول والعمل والاشتياق .

نسأل الله تعالىٰ أن يصلح بناتنا وذرياتنا وأزواجنا ، المسلمين وأن يحفظنا وجميع المسلمين من كل سوء ومكروه ، وأن يعصمنا جميعاً بمنِّه ورحمته . وأن يجعل لنا من رحمته ما يحول بيننا وبين معصيته إنه جواد كريم .

وإلىٰ اللقاء في حديث آخر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

بسم الله الرحمن الرحيم

الناس فريقان

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فيقول الخالق تبارك وتعالىٰ :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) ﴾ [التغابن : ٢] .

الإنسان أعطي عقلاً وفهماً يميز بهما بين الطيب والخبيث . وبين النافع والضار ، وأعطي حرية الاختيار فبرغبته يختار وبإرادته يميز ، والزمن الذي يعيش فيه الإنسان إما ليل أو نهار . والطريق الذي يسير عليه ؛ إما مستقيم الاتجاه أو منحرف . والسلوك الذي يسلكه إما طيب أو خبيث . وقد بعث الله رسله يهدون عباده ويدلونهم على الطريق المستقيم النير ويوجهونهم إلىٰ عمل الخير ، ويصفون لهم طريق الإيمان ويرغبونهم فيه ، ويحذرونهم عما سواه، وكله طريق كفر وضلال .

فكل إنسان يختار بقدرته ورغبته الطريق الذي يسلكه وكل إنسان يسير على الاتجاه الذي يوافق رغبته وميوله .

وكل شيء بعلم الله واطلاعه وإرادته .

فليس أمام الإنسان إلا قاعدتان : قاعدة الخير أو قاعدة الشر .

طريق النجاة ، أو طريق الهلاك . سبيل المؤمنين ، أو غير المؤمنين ، وإذا أراد الإنسان أن يطبق الجزئيات على قواعدها فلينظر إلى الأقول، والأفعال فإنها تعبر عن سريرة المرء واتجاهه .

وقد يحاول المنافق إخفاء سريرته لأي مقصد دنيوي فيظهر الإسلام ويبطن الكفر ، ولكنه لم يخرج بنفاقه عن طريق الكافرين بل النفاق من أشد أبواب الكفر .

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) ﴾ [التوبة : ٦٧ ، ٦٨] .

هذا فريق ، وهذه صفتهم ، وهذه عاقبتهم .

أما الفريق الآخر ، فهو قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) ﴾ [التوبة : ٧١ - ٧٢] .

فريقان متغايران متباعدان ؛ (فريق في الجنة وفريق في السعير)

لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون .

وإذا تأملنا جميع العالم بكامل قواه وعقلياته، وبجميع أهدافه وغاياته وجدناه لا يخرج عن إحدىٰ القاعدتين ، ولا عن أحد الفريقين والله سبحانه بإرادته الشرعية يريد أن يكون جميع خلقه من أصحاب الجنة ويريد لهم السعادة والكرامة والنجاة . فبعث إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب . ولكن الشياطين تضلهم وتصدهم عن رسالة السماء وتؤزهم أزًّا . فالمعركة قائمة بين بني آدم وبين إبليس وجنوده . لا تنفك أبداً حتىٰ تقوم الساعة . فمن بني ادم من هو مجاهد مكافح متبصر منتصر . ومنهم من مستسلم مهزوم .

وواجب المنتصرين في المعركة أن يساعدوا المغلوبين، يساعدونهم علىٰ عدوهم المبين . إن المعركة لا تحتاج إلىٰ صواريخ وطائرات ودبابات وقوة نووية . إنما تحتاج إلىٰ إيصال رسالة السماء وهدي محمد ﷺ إلىٰ أسماع هؤلاء كما وردت نقية صافية بصورة يظهر فيها جمالها وبهاؤها ويسطع نورها .

وإن أعظم دعوة للإسلام الدعوة إليه بالعمل مع القول الصدق في المعاملات ، في الأحكام ، في السلوك . إظهار محاسن الإسلام علىٰ حقيقتها، تعاطف وتراحم وتآخي . .

وهل تظنون أن إبليس وجنوده من الجن والإنس سيفسحون الطريق أمام الدعوة ؟ لا بل سيقفون أمامها وسيسدون الطرق في وجهها بكل ما استطاعوا . ولكن واجب المسلم الصبر والجهاد والكفاح .

والمسئولية لا تقع على السلطات الرسمية وحدها . وإنما تقع على المجموعة فالأمانة محملة على الجميع والإسلام عقيدة الجميع ، والمصالح تعود على الجميع . والمضار مثل ذلك : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** (١٨٧) ﴾ [**آل عمران**] .

فإذا كان صفوة الخلق رسول الله ﷺ وجد معاندين ومكابرين للدعوة يقفون ضدها . ويعرقلون مسيرتها مع أن الوحي ينزل ، وجبريل يؤيده وجنود الله تنصره . ومع ذلك مكث ثلاثة عشر عاماً يدعو ويبشر وينذر ويكافح فلم يتسجب له إلا قليل . ولله في ذلك حكم وأسرار . يريد أن الدعوة تشق طريقها النظامي الكوني بالحجة والإقناع ؛ وأن يكون القبول لها بالاختيار والاقتناع لتكون أمكن في القلب وأثبت ، ولتكون المحبة لها والجهاد كله في سبيلها مبني على الإخلاص والاحتساب ولايتها في يد حكومة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر . وتؤمن بالثواب والعقاب . تخاف من الله وترجوه إذا قيل لها اتق الله تذكرت عظمته وقدرته ، فتقيم العدل بين الرعية وتحكم بينهم بحكم الله فيحصل التعاون على البر

والتقوىٰ ويحصل الأمن والاستقرار . ويحصل الرخاء والخيرات والبركات : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨) فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) ﴾ [البقرة] .

إن المسلم منهجُه واحد هو المنهج الموصل إلىٰ الله . فيجب عليه أن يعمل بجميع شرائع الإسلام لا يجوز له أن يأخذ بعضها ويترك بعضها الآخر .

فإذا أقام الصلاة فليؤتي الزكاة ، وإذا صام رمضان فليؤد فريضة الحج إلىٰ بيت الله الحرام ، وقد فرض في العمر مرة واحدة . وإذا أخذ بقول الله ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ فليأخذ بقوله : ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ وإذا أخذ بقوله ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ فليأخذ بقوله ، ﴿ولاتقربوا الزنا﴾ وإذا أخذ بقوله ﴿يحل لهم الطيبات﴾ . فليأخذ بقوله : ﴿ويحرم عليكم الخبائث﴾ وإذا آمن بالقرآن فليؤمن بقوله تعالىٰ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون﴾ ﴿ومن لم

يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ . . إلىٰ غير ذلك من نصوص الأمر والنهي ، والإباحة والتحريم ليس أمام المسلم طرق متعددة يختار منها ما يشاء . أو يخلط بعضها ببعض ، أو يسلك هذا زمنا ثم يتركه ويسلك آخر .

ولا أن يتأرجح بين الطريقين : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠)﴾** [**النساء** : ١٥٠] .

نسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين ، وأن ينصر دينه وأن يعلي كلمته . إنه علىٰ كل شيء قدير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

عبدالله بن محمد بن زاحم

التجارة في الإسلام

الحمد لله ، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وبعد :

تعريف التجارة في اللغة : البيع والشراء .

قال في القاموس : يقال تاجر للذي يبيع ويشتري ، والاسم تاجر ، وجمع التاجر : (تِجَارٌ) علىٰ وزن كتاب . وتُجَّار علىٰ وزن عُمَّال وتَجْر علىٰ وزن صَحْب ، وتُجُرُ علىٰ وزن كُتُب .

ويطلق اسم التاجر في اللغة أيضاً علىٰ الرجل الحاذق في الأمر .

والتجارة مصدر (تَجَرَ) علىٰ وزن دَخَل والمصدر الآخر (تَجْرَ) علىٰ وزن فجر وصحب .

وأما التجارة في اصطلاح العلماء فهي : التصرف في المال لطلب الربح الحلال كما ذكره الفخر الرازي (٧/ ١٢٦) سواء كان حاضراً أو في الذمة وسواء كانت المبايعة بدين أو بعين .

وفي عرف الناس الآن التجارة أخص من البيع والشراء . والبيع أعم ، فالتجارة لما يعد للكسب وتنمية المال ، والبيع : قد يكون للحاجة كدار للسكن .

والأموال قوة في وجه الأعداء ، تؤسس بها المصانع وتَشْترىٰ

بهـا الآليات ويواسى منهـا المحتاج ، ويشترى بهـا آلات الجهـاد .

ويتقـوى بهـا على طاعـة الله ؛ لذلك أمر الإسـلام بحفظ الأمـوال فقال تعـالى : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (٥) ﴾ [النساء] .

وقال تعـالى : ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا (٢٦) إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا (٢٧) ﴾ [الإسراء] .

وقال تعـالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (٢٩) ﴾ [الإسراء] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما (٢٩) ﴾ [النساء] .

وأمر بكتـابة الدين للندب ، وبـالإشـهـادات على البـيع ؛ من أجل حـفظ الأمـوال وسـد مـداخل الشـقـاق والخلاف ، كـمـا في آية الدين في سورة البقرة .

كـمـا أقـر بالإنفاق من المال ، فـقال تعـالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون (٢٥٤) ﴾ [البقرة] .

وقال تعـالى : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله

هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ...﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ...﴾ [محمد: ٣٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿.. وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر]

فالإسلام في التجارة وسط لا يرضىٰ بالكسل والخمول، ولا يحل المكاسب المحرمة التي تعود بالضرر ولا يرضىٰ بالتخزين والكنز والشح والبخل.

وكانت التجارة في الجاهلية الأولىٰ تبنىٰ علىٰ قاعدة واحدة هي: تكثير المال وجمعه من أي طريق دون مراعاة لقواعد التجارة الشرعية ما يحل وما يحرم، وما هو طيب وما هو خبيث وما هو نافع أو ضار. ودون مراعاة لشعور أحد. ودون لفتة إلىٰ فقير أو معسر يقولون: (إما أن تقضي وإما أن تربي). وكانوا يسلفون علىٰ الماذيانات وقبال الجداول، فجاء الإسلام فجعل لها نظاماً تسير عليه يحفظ المصالح ويدفع المفاسد.

ومن مقاصد الشريعة الأساسية إبقاء المودة بين المؤمنين والتعاطف والتراحم والتعاون. ودفع كل مايثير الشقاق والخلاف، فنهىٰ عن كل ما فيه جهالة وغرر. فنهىٰ عن الغش والغرر والجهالة في البيع وأمر بإنظار المعسر إلىٰ ميسرة.

وبالإحسان على الفقير واليتيم ومراعاة أحواله . فحثَّ على القرض والعارية وتفريج الكربات .

قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) ﴾ [البقرة : ٢٨٠] . وقال ﷺ : **«من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»** .

حكم التجارة في الإسلام :

إنها جائزة بالكتاب والسنة والإجماع :

فمن الكتاب :

قال تبارك وتعالى : ﴿ ... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ... ﴾ [**البقرة** : ٢٧٥] .

وقوال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) ﴾ [النساء] .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾ [**البقرة** : ١٩٨] .

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية . فلما جاء الإسلام تأثموا فيها ـ أي تحرجوا أن يفعلوا ما كانوا يفعلونه في الجاهلية ـ

فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ . . .** ﴾ [البقرة : ١٩٨]) يعني في موسم الحج .

وأما السنة :

فكان الناس يبيعون ويشترون ويتجرون في عهد رسول الله ﷺ فأقرَّهم علىٰ التجارة وأوصاهم بالصدق والنصح والسماحة ، والمكاسب الحلال ونهاهم عن الغش والأيمان والكذب ، والعقود الربوية والمحرمة التي تؤدي إلىٰ غرر ، وإلىٰ شقاق ونزاع .

ونهاهم أن تَشغلهم أموالهم وتجارتهم عن أداء الواجب وعن ذكر الله .

قال تعالىٰ : ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧)** ﴾ [النور : ٣٦ ، ٣٧] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **التاجر الصدوق الأمين المسلم مع الشهداء يوم القيامة** » .

وقد رخص القرآن لمن يسعىٰ في الأرض للتجارة في ترك قيام الليل ، كما رخص للمريض والمجاهد في سبيل الله وأمر بقراءة ما تيسير من القرآن ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ**

فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ﴾ [المزمل].

وقد أجمع علماء الأمة علىٰ جواز البيع والتجارة بالطرق المباحة وبالصيغ المباحة ، وفي الأوقات المباحة ، كل العقود مباحة إلا ما نصَّ الشرع علي تحريمه أو كراهيته .

وأما العقود المباحة ، فهو ما وافق الشريعة ، ولم يخالف ولم ينه عنه .

وأما الأوقات المباحة فهو ما عدا الممنوعة منها التجارة مثل بعد النداء الثاني يوم الجمعة ، فإن التجارة والبيع والشراء بعد الأذان محرمة والعقد باطل ، لقوله تبارك وتعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) ﴾ [الجمعة].

وقوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) ﴾ [المنافقون].

فالتجارة والبيع والشراء لا غنىٰ للإنسان عنها ، فلا بد له من مأكول ومشروب وملبوس ، فلا يخلو مكلف غالباً من بيع وشراء .

والواجب على المسلم أن يعرف أحكام التجارة أي : البيع والشراء لئلا يقدم على فعل لا يعرف حكمه في الشرع . فيقع في المحظور .

وكانت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبعث من يقيم من الأسواق من ليس بفقيه . ويقول : لا تفسدوا علينا معائشنا .

ومكاسب التجارة من الطيبات التي أمر الله بها المؤمنين كما أمر المرسلين فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴿٥١﴾ ﴾ [**المؤمنون**] .

وقال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴿١٧٢﴾ ﴾ [**البقرة**] .

قال مجاهد : المراد بالطيبات هنا : التجارة .

وقال قتادة : من الطيبات ، أي : من التجارة .

التجارة رزق من رزق الله حلال من حلال لمن قصدها، بصدقها وبرها .

وسئل رسول الله ﷺ : أي الكسب أطيب أو أفضل ؟ قال : «**عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور**» .

وكان الخلفاء الراشدون وأصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من المسلمين يبيعون ويشترون ما يحتاجون إليه .

هناك تجارة واضحة الصحة والإباحة .

وهناك تجارة واضحة الحرمة والمنع ، مثل : الربا والسلع المحرمة كالخمر والخنزير والميتة .

وهناك أمور مشتبهات . فالواجب على المسلم أن يسْلك الطريق الواضح وأن يتجنب الطريق الخبيث .

وأن يتحّرج من المشتبهات ، وأن يتركها ، من أجل الله لأن التمادي في المشتبهات يوقعه في المحرمات . **«الإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»** .

قال عليه الصلاة والسلام في حديث النعمان بن بشير : **«الحلال بيِّن والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه [١]، ثم إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب»** .

فإذا ترك الإنسان ما يشتبه فيه فهو لما تبين من الحرام أشد تركاً ، ومن تجرأ على ما يشك فيه يوشك أن يقع فيما استبان له . أي : استبان له أنه حرام .

---

(١) وفي روايه يوشك أن يرتع فيه ، ألا إن لكل ملك حمى .

هذه تجارة الإنسان مع الناس .

وهناك تجارة هي أربح التجارات وبيع هو أربح البيوع وهو التجارة مع رب الناس .

قال تعالىٰ : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) ﴾ [الصف]** .

وقال تعالىٰ : **﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة]** .

وقال تعالىٰ : **﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥) ﴾ [البقرة]** .

وقال تعالىٰ : **﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة : ٢٦١]** .

وأما فائدة التجارة فهي تنمية المال وحفظه من التلف بسبب النفقات ، والصدقات . روىٰ الإمام مالك رحمه الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : (اتجروا في أموال اليتامىٰ فلا تأكلها الزكاة) .

والأموال من حيث هي : محببة للنفوس بطبيعتها من أجل عمارة هذه الدنيا ومن أجل العمل وبذل الجهد في تحصيلها كما قال تعالىٰ : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** (١٤) ﴾ [**آل عمران**] .

وقال تعالىٰ : ﴿ **كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ** (١٧) **وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** (١٨) **وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا** (١٩) **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** (٢٠) ﴾ [**الفجر**] .

والإسلام ينظم حياة الناس وينظم معاملاتهم وتجاراتهم ومكاسبهم لتحقيق المصالح لجميع الطبقات ، ودفع المفاسد عن الجميع وإبقاء للإخوة والمودة بينهم . ودفع كل ما ينغص القلوب . أو يفرق الشمل ويكدر الصفو ، فجعل نظاماً للتجارة . ويعرف بنظام المعاملات ، أو البيوع .

والإنسان لا يحصل له إلا ما قدر له من المكاسب والأرزاق ، وإنَّما الأسباب مطلوب فعلها ، والعمل مطلوب قال تعالىٰ ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا** ﴾ انظر كيف فضل بعضهم علىٰ بعض ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ . « **احرص على ماينفعك ولا تعجز** » .

« **لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق**

الطير..الحديث» .

والأموال فيها قوام حياة الناس ، وفيها رفعة وعزة واستغناء بها عن حاجة الإنسان إلى الذلة والمسكنة ومسألة الناس .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التفكر في ملكوت السموات والإرض

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

فيقول الله جل شأنه ﴿**قل انظروا ماذا في السموات والأرض وماتغني الآيات والنذر عن قوم لا يوقنون**﴾ اذا سمع الناس بمتحف يعرض فيه أنواع من الصناعات وبقايا من الآثار التي لها بضعة قرون تراهم يسارعون إليه للاستطلاع والاعتبار فإذا رأوا صنعاً متقناً أو صنعاً جميلاً لطيفاً أو اثر قديماً اخذتهم الدهشة والإعجاب فيأخذون في الثناء على صانعها ويكبرونه ويعظمونه لمقدرته ومهارته وقوة صنعته ويتشوقون لرؤيته ولكنهم في الوقت نفسه يغفلون عن أعظم متحف فيه أنواع من الصناعات وأشكال من الموجودات فيه من الآثار القديمة التي يزيد تاريخ صنعتها على آلاف القرون فيه من المشاهد ما يدهش الإنسان ويذهل العقول فيه ما يسر الناظرين ويعجب المشتاقين وأبوابه مفتوحة ومالكه يدعو الناس لمشاهدته والانتفاع به لا يحتاج إلى بطاقات وليس عليه موانع أمر عظيم عجيب اشياء تعرض في الليل واشياء تعرض في النهارفتعال إيها المسلم تعال أيها الإنسان لننظر إليه ونتجول في ارجائه فسنجد كل ما يطلبه الإنسان وكل ما يحتاج إليه والأرض هذه الأرض نعيش عليها وما فيها من بحار وأنهار وجبال وأودية وسهول ورمال واشجار وما يحصل فيها من حبوب وثمار مختلفة ألوانها

واحجامها وطعمها مع أنها تسقىٰ بماء واحد وتنبت في مكان واحد. وما أودع الله فيها من كنوز الذهب والفضة والالماس والياقوت والمعادن علىٰ إختلاف طبائعها وتفاوت منافعها ومضارها كلها قد اخرجها الإنسان واستخدمها في البناء والتطوير وفي الهدم والتدمير ﴿**إن في ذلك لآيات لأولي الألباب**﴾ ثم انظر أيها الإنسان ما علىٰ الأرض من الأناسي والحيوانات والحشرات فمنهم من يمشي علىٰ بطنه ومنهم من يمشي علىٰ رجلين ومنهم من يمشي علىٰ أربع يخلق الله ما يشاء ﴿**إن الله على كل شيء قدير**﴾ منها أنيس ومنها متوحش، ومنها طيب ومنها خبيث. منها مباح كله ومنها محرم فيها عدو للإنسان وفيها صديق ثم انظر أيها الإنسان في نفسك فأنت مَعْرض متكامل لصنع الله وآية عظيمه من آيات الله ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسهم أفلا تبصرون﴾ انظر في نفسك أيها الإنسان وتأمل في ذاتك تأمل الأجهزة العاملة في جسمك أوتوماتيكياً لا تطلب منك عناءاً ولا جهداً انظر إلىٰ حركات الأعضاء الاختيارية وغير الاختيارية تأمل في اصلك تراب ثم ماء وطين ثم دم نجس ثم قطعة لحم ثم جنينا ثم طفلاً وبشراً سويا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفىٰ من قبل ومنكم يرد إلىٰ ارذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً مثلك يا ابن آدم كمثل النبات سواء بسواء يبدأ ضعيفاً ثم يقوىٰ ويثمر ثم يعود هشماً تذروه الرياح

ثم إذا شاء الله نبت مرة أخرىٰ كذلك النشور والبعث من القبور ﴿**قل يحيها الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾ .

انظر أيها الإنسان في موجودات البحار من حيوانات علىٰ اختلاف اشكالها والوانها واحجامها فمنها ما يعيش في الماء ولو خرجت لما تت كما أن الحيوانات البرية لو وقعت في الماء لغرقت ومنها ما يعيش في البحر والبر فسبحان الله خالق كل شيء ومتقنه﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**﴾ . ﴿**يخرج منها اللؤلؤ والمرجان**﴾﴿ **افلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت والسماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت والإرض كيف سطحت**﴾ ثم انظر أيها الإنسان إلىٰ السماء وما فيها من الأفلاك والكواكب لها ملايين السنين وهي مخلوقة تسير بانتظام ولم تتغير ولم تتأثر مع طول الزمن واستمرار الحركة هذه الشمس النيرة وما فيها من المنافع والمصالح للإنسان والحيوان والنبات وهذا القمر يبدأ صغيراً ثم يكبر شيئاً فشيئاً يوما بعد يوم حتي يبدو بدراً ثم يعود في النقص حتي يختفي وانبساط تلك الأفلاك وتأثيرها بإذن الله في بعض الحركات في الأرض فالبحر يمد ويجزر تبعاً لزيادة القمر ونقصانه وتأثير القمر والشمس في إنضاج الثمار والحبوب وما فيها من منافع لمعرفة الأيام والشهور والسنين إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ثم انظروا إلىٰ السحاب المسخر بين السماء والأرض كيف يتكون بمشيئة الله وقدرته ثم يتراكم كالجبال وإن شاء الله

امطر على هذا البلد وإن شاء ارسله إلى غيره وإن شاء الله أمسكه وهذا الرعد القاصف والبرق الخاطف﴿**هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشيء السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق يصيب بهامن يشاء وهم يجادلون في الله شديد المحال**﴾ .

انظر أيها الإنسان إلى الطائر يحلق في جو السماء سواء كان حيواناً أو صناعياً ما يمسكهن الإ الرحمن بقدرته وإرادته ولو امسك عنها الطبقة الهوائية لسقطت ولو شاء الله أمرها فهوت .

فيا أيها الإنسان أيها المسلم تفكر في خلق السموات والأرض وماتراه من مخلوقات الله وتأمل فيها فبذلك تحيا القلوب وبه تستنير البصائر وتعرف الحق من الباطل وتعترف بالحق الواجب عليها لله تعالى .

اللهم نور قلوبنا بالإيمان وافتح بصائرنا للتفكر في مخلوقاتك وانفعنا بما وهبتنا من عقول ومدارك وأحينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين وصلى الله وسلم على نبينا محمداً وعلى آله وصحبه وسلم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تسهيل المهور

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

فإنه من نعم الله على البلاد وأهلها أن تكون ولايتهم في إمام عادل يخاف الله ويرجوه ويتأثر بتأثرات رعيته يتحسس مشاكلهم الاجتماعية ويعيش في الجو الذي يعيشون فيه. ويعمل على حل المشاكل التي تواجه رعيته سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة.

وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله حينما يوجه عنايته لحل المشاكل التي تواجه هذا الشعب المؤمن السامع المطيع فإنما هو بدافع الإيمان بقواعد شريعة الإسلام التي تحث على الإخاء والتعاطف والتراحم وبعاطفة الأبوّة والنصح والإخلاص لرعيته. أثابه الله وأدام توفيقه.

والدور الكبير والجهد العظيم الذي يقوم به أميرنا المحبوب أمير منطقة المدينة المنورة الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز والعمل المتواصل لرفع مستوى هذا البلد المقدس والتماس الحلول المناسبة للمشاكل التي تواجه المواطنين في هذه المنطقة، إنَّما يدفعه إلى ذلك الإحساس بالمسئولية وبعظم الأمانة التي حمَّله إياها خادم الحرمين الشريفين. والشعور بحق المواطنين. ومصدر ذلك كله القلب

الطيب الناصح والحيوية المتحركة والرغبة في الخير والإصلاح .

وإلا فنحن نعرف أنه ليس له من ذلك إلا التعب النفسي والبدني وصرف الطاقة الفكرية والزمنية . ومع هذا فهو يراها راحة له وأنساً ، فجزاه الله عن الجميع خيراً .

وإن هذا الاجتماع المبارك الذي ضم تحته خيرة من المسئولين والمواطنين في هذه المنطقة نموذجاً لما أشرت إليه .

والشريعة الإسلامية حثت علىٰ الزواج وإحصان الفرج وتكثير النسل ورغبت في ذلك وجعلته عمل خير يثاب عليه . ولكن هناك مشكلة تقف أمام كثير من راغبي الزواج وهي مشكلة المغالاة في المهور والحفلات . فهي لازالت تتصاعد وتتعقد ، ولا زالت تتشعب وتتنوع . فبعض الناس إذا كانت عنده مناسبة انتفخت رئته وأراد أن يأتي بشيء لم يسبق إليه ، وأن يكسب ثناء المدعوين . وأن يكون حفله أحسن من فلان وفلان . والواقع بالعكس يحصل علىٰ ذم العقلاء من الناس .

ولكي نعرف الوجهة الشرعية في المهور والحفلات . ينبغي أن نعرف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

فقد روىٰ الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كان صداق رسول الله لأزواجه اثني عشر أوقية ونَشًّا ، أي نصفاً .

وروىٰ النسائي عنها أيضاً أنها قالت : ما أصدق رسول الله ﷺ أحداً من نسائه ولا بناته فوق اثني عشر أوقية .

وذكر الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تزوج امرأة من الأنصار وأصدقها وزن نواة من ذهب .

وتزوج علي رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأصدقها درعاً قديماً من حديد .

وزوج النبي ﷺ امرأة من رجل علىٰ ما معه من القرآن . وتزوجت امرأة مسلمة رجلاً علىٰ أن يسلم . فأسلم فتزوجته .

وروىٰ البيهقي عن أم العجفاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إياكم والمغالات في مهور النساء، فإنها لو كانت تقوىٰ عند الله أو مكرمة عند الناس لكان رسول الله ﷺ أولاكم بها . ما نكح رسول الله ﷺ شيئاً من نسائه ولا أنكح واحدة من بناته بأكثر من اثني عشر أوقية . وهي أربعمائة درهم وثمانون درهماً .

وإن أحدكم ليغالي بمهر امرأته حتىٰ تبقىٰ عداوة في نفسه فيقول لقد كلفت لك علق القربة .

وجاء أبو حدرد يستعين النبي ﷺ في مهر زوجته فقال : كم أصدقتها ؟ قال : مائتي درهم . فغضب عليه الصلاة والسلام وقال : كأنكم تقطعون الذهب والفضة من عُرض الحرة أو جبل .

ذكره القرطبي . وفي رواية للنسائي : «لو كنتم تغرفون من بطحان ما زدتم» .

وحث رسول الله ﷺ على القصد في الصداق . فروى النسائي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «من أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً» . وفي رواية : «أيسرهن مؤنة» .

وعنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «من يُمن المرأة أن تتيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحمها» . وقال الراوي عروة ابن الزبير وعندي من أول شؤمها أن يكثر صداقها .

وقد أجمع العلماء على أن يستحب القصد في الصداق وتخفيفه؛ للأحاديث المتقدمة . وكره بعض العلماء الزيادة على صداق النبي ﷺ لأزواجه أربعمائة إلى خمسمائة درهم أي : اثني عشر أوقية ونصف ، وإنما الخلاف بينهم : هل تجوز المغالاة أو لا تجوز؟

فقال القرطبي والرازي في تفسيريهما عن بعض العلماء أنه لا يجوز المغالاة ، وليس على جوازها دليل .

وآية النساء : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) ﴾ [النساء] . قالوا : ليس فيها دليل على الجواز؛ لأنه لا يلزم من جعل

الشيء شرطاً لشيء آخر كون ذلك الشرط في نفسه جائز الوقوع ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ فلا يدل علىٰ حصول الآلهة . وقوله ﷺ : «**من قتل له قتيل فأهله بين خيرتين**» . ولا يلزم منه جواز القتل . وقوله ﷺ : «**من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة**» . لا يلزم منه جواز بناء مسجد كمحفص قطاة ، وإنَّما هذه عادة العرب في كلامها . تضرب المثل بالكثرة والقلة ولا يلزم من ذلك جوازه .

وإذا تأملنا حال الناس الآن، نجد كل واحد متذمر من الوضع ولا نجد أحداً مسروراً بالحالة الراهنة .

لكن الناس يحتاجون إلىٰ قيادة يتبعونها ويقتدون بها . وإلىٰ نظام يسيرون عليه . فلو اتفق كل أهل بلد علىٰ جعل عرف بينهم يبنىٰ علىٰ اليسر والسماحة في المهور والحفلات ويلتزمون باتباعه ويعيبون من يخالفه .

وأرجو أن تكون هذه الدعوة التي وجهها الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة بناء علىٰ توجيهات خادم الحرمين الشريفين إلىٰ عقد هذا الاجتماع وأمثاله فيها خير وسداد .

وأن يوفق الإخوة الحضور إلىٰ اتخاذ حلول مناسبة للحد من هذا التصاعد والمباهاة والمغالاة ، وإعادة الأمور إلىٰ ما كا نت عليه من السماحة واليسر .

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبدالله بن محمد بن زاحم

الهجرة النبوية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد :

بمناسبة العام الهجري ، يطيب الكلام عن التاريخ الهجري وأسبابه وهجرة النبي ﷺ وأسبابها :

لم يكن للعرب قبل الهجرة النبوية تاريخ ثابت يتحدون عليه ، فكانت كل قبيلة ، وكل أهل جهة يؤرخون بأهم الأحداث الطارئة على حياتهم مثل الخصب والجدب والحروب المشهورة وتحوّلهم من جهة إلى أخرى ، وبناء الكعبة ، فكان بنو إسماعيل يؤرخون بنار إبراهيم عليه السلام التي نجاه الله منها ، حتى بنى إبراهيم وإسماعيل البيت فكانوا يؤرخون به ، حتى عام الفيل فكانوا يؤرخون بعام الفيل ، حتى بنت قريش الكعبة فكانوا يؤرخون به ، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة ، فكانوا يؤرخون بالهجرة .

وكان خروج رسول الله ﷺ على ما ذكره المؤرخون من مكة إلى المدينة في شهر ربيع الأول ، ووصل المدينة في يوم الاثنين الثاني عشر خلت من الشهر المذكور . فلما أحس المسلمون بحاجتهم إلى تاريخ رسائلهم وكتاباتهم جمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس ، وتشاوروا فاتفقوا على أن يكون التاريخ بمهاجر رسول الله ﷺ ؛ لأنه كان فرقاً بين الحق والباطل

وتحولاً كبيراً في الدعوة الإسلامية وتبليغ الرسالة .

ولما كانت الشهور اثني عشر شهراً كما قال سبحانه : ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)** ﴾ [التوبة : ٣٦] . فكل السنين في جميع التواريخ اثنا عشر شهراً وإن اختلفت في عدد الأيام .

والأشهر العربية لها علامة واضحة وهي الأهلة وأيامها ، إمَّا تسع وعشرون يوماً أو ثلاثون يوماً . كما قال ﷺ : «الشهر هكذا وهكذا يشير بيديه مرة تسعا وعشرين ومرة ثلاثين يوماً . كما الواقع المحسوس .

فتشاور المسلمون بأي الشهور يبدؤن ، ثم اتفقوا على أن يكون شهر المحرم هو أول السنة الهجرية ؛ لأنه منصرف الناس من حجِّهم ، وهو شهر حرام يأمن فيه الناس تأكيداً لحرمته ومخالفة لمن كان يُحلّه من المشريكن . وعلى هذا أدرج تاريخ المسلمين .

أما هجرة النبي ﷺ وسببها :

فمن المعلوم لدى كل مسلم من واقع دراسات السيرة النبوية المقررة في المدارس الإسلامية . ما جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي رواه البخاري رحمه الله : «أنه لما جاء جبريل إلى النبي ﷺ بأول الوحي فقال له : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ .

إلىٰ المرة الثالثة . قال له جبريل ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق : ١ - ٥] ﴿ فجاء إلىٰ زوجته خديجة بنت خويلد بن أسد ترجف بوادره ، فقال : زملوني ، فلما ذهب عنه الروع أخبرها الخبر ، فقال : وخشيت علىٰ نفسي ، قالت : لا والله لا يخزيك الله أبداً ، فو الله إنك لتصل الرحم وتصدق الكلام وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقْري الضيف وتعين علىٰ نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة رضي الله عنها إلىٰ ورقة بن نوفل بن أسد فقصَّت عليه الخبر ، فقال : هذا هو الناموس الذي أُنزل علىٰ موسىٰ ، ليتني كنت فيها جذعاً ، ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أومخرجي هم ؟ قال ورقة : نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلاَّ أوذي ، وإن يدركني يومك حيا أنصرك نصراً مؤزراً ، ولم يلبث ورقة أن توفي » .

وكما قال ورقة بن نوفل ، لما أُمر رسول الله ﷺ بتبليغ الدعوة وإظهارها بقوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) ﴾ [المدثر : ١ ، ٢] . . . . ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ وأخذ يدعو قومه ، فلم يستجب له إلا أفراد علىٰ خوف من ملائهم فكانوا يخفون إسلامهم ، فلما أيس من عشيرته ذهب إلىٰ ثقيف فأنكروه وآذوه وسلطوا عليه سفهاءهم فرجموه بالحجارة . وأخذ يعرض نفسه علىٰ القبائل في مواسم الحج . فيقف علىٰ القبيلة فيقول يا بني فلان : إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً

وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من الأنداد . فهل لكم أن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتىٰ أبيِّن عن الله ما بعثني به ؟

فعادته قريش ورموه بالسحر والجنون ، وأتو إلىٰ عمه أبي طالب وكلموه فيه ، فدعاه عمه وأخبره بخبر قريش ، فقال عليه الصلاة والسلام : «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي علىٰ أن أدع هذا الأمر ما تركته حتىٰ يظهره الله أو أهلك دونه » . وكأنه ظن أن عمه سيتخلىٰ عنه وعَبَر رسول الله ﷺ ، فناداه عمه فقال : يا ابن أخي افعل ما شئت فوالله لا يخلص أحد إليك . ووجد ﷺ وأصحابه من المشركين أذىٰ ومضايقة ، فوضعوا سلا الناقة علىٰ ظهره وهو ساجد ولم يتحرك عند القوم ساكن ولم يجرؤ أحد علىٰ إزالة الأذىٰ عن رسول الله ﷺ حتىٰ جاءت فاطمة الزهراء رضي الله عنها فأزالت الأذىٰ عن أبيها ﷺ وأخذ المشركون يؤذون المستضعفين من المسلمن فوثبت كل قبيلة علىٰ من أسلم منها يعذبونهم بالضرب والحبس والجوع والعطش وتجريدهم في الرمضاء إذا اشتد الحر ، وبالحجارة الحامية من الشمس ، يريدون أن يفتنوهم عن دينهم . وأخذ أبو بكر رضي الله عنه يشتري الارقاء من المسلمين الذين كانوا يستعبدون ويخلصهم من العذاب فأعتق قبل الهجرة ست رقاب فأنزل الله فيه : ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى**﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿**وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى**﴾ .

فلما رأىٰ رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية والمنعة من الله ، ثم من عمه أبي طالب ، قال لهم : لو خرجتم إلىٰ الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد . فتتابع المهاجرون إلىٰ الحبشة . فأرسلت قريش إلىٰ النجاشي ملك الحبشة تؤلبه علىٰ المسلمين المهاجرين إليه ، فلم يقبل منهم قولاً ولم يعط قريشاً شيئاً مما طمعت فيه .

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا فيه أمناً ومنعة عند النجاشي . وقد أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما . وجعل الإسلام ينتشر في القبائل اجتمعت قريش وائتمروا ضد بني هاشم عشيرة النبي ﷺ الأقربين وكتبوا بينهم صحيفة علىٰ ألا يناكحوهم ولا يبايعونهم ولا يبتاعون منهم شيئاً . واشتدَّ أذىٰ المشركين لرسول الله ﷺ يهمزونه ويستهزؤن به ويخاصمونه ويضعون عليه القذر ، وفي طريقه الشوك . كما قص تعالىٰ عن أبي لهب وهو عبد العزىٰ بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وزوجته أم جميل بنت حرب .

مثل قوله تبارك وتعالىٰ : ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب**﴾ وقوله : ﴿وقالوا أساطير الأولين ﴾ وقوله عز وجل﴿ **ن والقلم ومايسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون**﴾ . وقوله تبارك وتعالىٰ : ﴿**أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا إني معكم من المتربصين**﴾ . وقوله : ﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا

ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ﴾ . وقوله : ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ . وقوله : ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ .

ولم يؤثر ما لقيه عليه الصلاة والسالم من قومه في دعوته ولم يُثنيه عن عزمه ، فواصل دعوته ليل نهار سراً وجهراً مبادئاً بأمر الله لا يخاف فيه لومة لائم . وسعى بعض العقلاء من قريش في نقض الصحيفة ، فلما أخرجوها وجدوا دابة الأرض أكلتها إلا (باسمك اللهم) . أما كاتب الصحيفة فشلّت يده .

فلما أراد الله إعزاز نبيه وإنجاز وعده له ، وأراد للإسلام عزاً وتمكيناً وبالخزرج والأوس خيراً وتآلفاً وبالمدينة عزا ومجداً لقي ﷺ نفراً من الخزرج في موسم الحج فسألهم فأخبروه عن شأنهم وكان بين الخزرج واليهود شقاق وكثير ما تتوعدهم اليهود بالنبي الذي قرُب زمان خروجه وأنهم سيومنون به ويقاتلونهم معه، فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن ، قالوا : هذا هو النبي الذي كان يهود يتوعدوننا به فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه وصدقوه وأسلموا ، وقالوا : سنقدم علي قومنا وندعوهم إلى أمرك وعسى الله أن يجمعهم بك ، فإن جمعهم الله إليك فلا رجل أعزّ منك .

فأخبروا قومهم وانتشر خبر الإسلام ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر لرسول الله ﷺ . وفي العام القادم قابل

رسول الله ﷺ عدداً من الأنصار فبايعوه بيعة النساء وهي العقبة الأولىٰ علىٰ ترك الشرك واجتناب الزنا والسرقة ولا يقتلوا أولادهم فإذا وفوا فلهم الجنة ، وبعث معهم مصعب بن عمير يقرؤهم القرآن . وفي السنة التي تليها وفد إلىٰ رسول الله ﷺ عدد من الأنصار واجتمعوا عند العقبة وأخذ رسول الله ﷺ لنفسه وأخذ الأنصار لأنفسهم وبايعوه علىٰ أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وهي العقبة الثانية .

واشتد أذىٰ المشركين للمستضعفين من المسلمين ، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : إن الله جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها فالحقوا بإخوانكم الأنصار فخرجوا إرسالاً ولم يؤذن لرسول الله ﷺ بالهجرة . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كثيراً ما يستأذن النبي ﷺ في الهجرة ، فيقول له : انتظر لعل الله أن يجعل لك صاحباً فطمع أن يكون هو الرسول عليه الصلاة والسلام فاشترىٰ أبو بكر بعيرين وأعدهما للهجرة ، فلما رأت قريش أن الرسول ﷺ صار له أنصار وصار للإسلام قوة في المدينة خافوا خروجه إليهم فيمتنع بهم ، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في حبسه أو إخراجه أو قتله وحضر معهم إبليس في صورة رجل من أهل الدهاء والحنكة ، واتفقوا علىٰ أن يأخذوا من كل قبيلة شاباً جلداً يضربون رسول الله ﷺ بالسيوف ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوىٰ بنو هاشم علىٰ قتالهم ويرضون بالدية . فجاء الخبر من السماء بما بيَّت المشركون وأنزل الله علىٰ نبيه : ﴿ وَإِذْ

يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠] . وقال له جبريل : لا تنم في فراشك الليلة وأذن الله عز وجل له بالهجرة ، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب أن ينام في فراشه ويتغطى ببرده ، فاجتمعت عصابة الطغيان والظلم والكفر عند بابه ينتظرون خروجه ، ويرون عليا نائماً فيظنونه النبي ﷺ وخرج عليه الصلاة من بينهم وهو يقرأ أول سورة يس إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [يس] .

وأعمى الله أبصارهم عنه ، وأخذ حفنة من تراب وذرّها على رؤسهم وذهب حيث شاء الله ، ثم اختفى نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام وصاحبه أبو بكر في غار في جبل النور ، فلحقتهم قريش حتى وصلوا إلى الغار فصرف الله أبصارهم عنه ، وقال أبو بكر : لو أن أحدهم نظر موضع قدميه لأبصرنا ، فقال نبي الله : ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا ، وأخرجت قريش مائة ناقة لمن يرد النبي ﷺ إليهم ، وبقي عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار ثلاث ليال يأتيهما عبد الله بن أبي بكر بالأخيار وأخته أسماء بالطعام ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر بالغنم ليشربا من ألبانها وليمسح أثر عبد الله وأسماء ، فلما كفّ الطلب ، أحضر عبد الله ابن أريقط راحلتيهما ، فأبى الرسول ﷺ أن يركب إلا بالثمن ، واشترى راحلته من أبي بكر ، وهاجرا إلى المدينة معهما الخادم والدليل ، فأخبر بهما سراقة بن مالك فطمع في المائة الناقة التي

أخرجتها قريش فلحق بهما فلما رآهما عثرت فرسه وذهبت يداها في الأرض وسقط عنها فأصلح شأنه ولحق بهما فحال دونه إعصار من دخان فعرف أن النبي ﷺ معصوم منه فنادىٰ سراقة النبي ﷺ وطلب منه منه كتاباً يكون آية بينهما فأعطاه أبو بكر كتاباً .

ولم تعلم قريش بوجهة رسول الله ﷺ حتىٰ أقبل رجل من الجن في أسواق مكة يسمع صوته ولا يرىٰ يقول :

جزىٰ الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلاّ خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروّحا فأفلح من أمسىٰ رفيق محمد
ليهن بني كعب مكانُ فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد

فعلموا وجهة رسول الله ﷺ . ولم يجد النبي ﷺ عند أم معبد طعاماً ؛ لأن السنة كانت مجدبة فرأىٰ شاة أقعدها الهزال عن الغنم فاستأذنها في حلبها فمسح بيده المباركة ضرعها وسمىٰ الله تعالىٰ ودعىٰ فدرَّت واخترّت فطلب إناء يكفي الرهط فحلب فيه حتىٰ ملأه فأسقىٰ أم معبد وصاحبه ومن معه ، وشرب هو آخرهم عليه الصلاة والسلام وكان الأنصار لما سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ يخرجون كل يوم لاستقباله فإذا اشتد الحر دخلوا فقدم عليه الصلاة والسلام وقد دخل الأنصار منازلهم في الظهيرة فرآه رجل يهودي فصاح بالأنصار جاء جدّكم فوجدوه في ظل نخلة مع أبي بكر ولم يعرفوه حتىٰ انقطع الظل وأخذ أبو بكر يظلله بردائه وكان ذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وأسس عليه

الصُلاة والسلام مسجد قباء . وفي يوم الجمعة أمر بالرحيل إلى المدينة فكلما مرَّ بحي من الأنصار طلبوا منه النزول عندهم ويأخذون بزمام ناقته فيقول : دعوها فإنها مأمورة ، وصلى الجمعة في بني سالم بن عوف من بني النجار ، وهي أول جمعة صلاها عليه الصلاة والسلام في المدينة ، فانطلقت الناقة برسول الله فبركت في مكان مسجده ، وكان يومئذ مربداً ليتيمين من بني النجار فاشتراه من وليهما وبنى فيه المسجد ، عمل فيه بيده ومعه المهاجرون والأنصار، ونزل عند أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري حتى بنى مساكنه .

ثم آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، فقال : تآخوا في الله أخوين أخوين ، فآخى كل رجل من المهاجرين أخا له من الأنصار .

وكتب عليه الصلاة عهداً بين المهاجرين والأنصار ووادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم فلما اطمأن رسول الله بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار استحكم أمر الإسلام فقامت الصلاة وشرع الأذان وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتتابع التشريع وفرض الجهاد وتتابعت الغزوات والسرايا والفتوحات .

فبلغ رسول الله ﷺ رسالة ربه وهيأ أصحابه لتحمل أمانتها وتبليغها للخلق في جميع المعمورة ثم اختاره الله إلى الرفيق

الأعلىٰ بعد أن مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً وفي المدينة عشرة أعوام كلها دعوة وتبليغ وجد وجهاد وصبر وكفاح استمرت فيها الصلة بين الأرض والسماء وبين التصورات الصاعدة وبين الرسالة النازلة بين البشر وبين الملأ الأعلىٰ تحولت فيها تصورات البشر وعاداتهم وعباداتهم وكون أمة في أعلىٰ المستويات مهيأة لقبض زمام القيادة وصالحة لأن تكون خير أمة أخرجت للناس أمة وسطاً شهداً علىٰ الناس في تلك الفترة القصيرة بثلاث وعشرين عاماً ما كان ذلك إلا بالرسالة التي تحيطها عناية الله وتمدها قدرة الله وترعاها عن الله وتحركها يد الله فكان دستورهم القرآن وأخلاقهم وسلوكهم هدي محمد ﷺ يستمدون نظم حياتهم من الوحي لا من الهوىٰ وساروا علىٰ نظام السماء لا علىٰ نظام الجاهلية والغوىٰ فقامت المعالم في الأرض واضحة جلية لا يغطيها هوىٰ ولا ينقصها طول زمان ولا يعظمها طغيان والحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا ونبينا محمد واله وصحبه وسلم أجمعين.

عبدالله بن محمد بن زاحم

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة

بعون الله تبارك وتعالىٰ ثم بمنه وكرمه وتوفيقه كان الفراغ من تصحيح المجلد السادس من كتاب: خطب الجمع والأعياد القيت علىٰ منبر خير العباد ﷺ وذلك في المدنية النبوية المنورة في يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر الله المحرم من العام التاسع عشر بعد الأربعمائة وألف من هجرة نبينا المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وسلم وبه تمت كتب الخطب والحمد لله رب العالمين علىٰ ما وفق ويسر ونسأله حسن الختام لنا وللمسلمين[1].

وكتب

عبدالله بن محمد بن زاحم

---

(١) صححه صلاح بن محمد كرنبه وكان الفراغ من تصحيحه النهائي يوم الأحد الموافق الخامس عشر من شهر جمادىٰ الأولىٰ من العام التاسع عشر بعد الأربعمائة والألف من هجرته صلىٰ الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

نص كلمة فضيلة الشيخ محمد بن عبدالرحمن الأمين العام لجمعية أهل الحديث ببنغلاديش التي يرحب فيها بسماحة الشيخ عبد الله بن محمد الزاحم إمام المسجد النبوي، ورئيس المحاكم الشرعية المساعد بالمدينة المنورة [1] بمناسبة زيارته للمدرسة المحمدية العربية بداكا، التابعة لجمعية أهل الحديث ببنغلاديش .

كلمة الترحيب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

فيسعدني كثيراً أن أرحب في هذه المناسبة الطيبة بضيفنا الكريم الفاضل على ما تجشم من مشاق السفر وأتاح لنا هذه الفرصة المباركة، وأشكره شكراً جزيلاً مضاعفاً بالإخلاص والتقدير على ما تكرم به من تلبية دعوتنا الودية ، وتحقيق رغبتنا الصادقة في إطار الأخوة الإسلامية التي جاء بها نبينا محمد ﷺ ، وذلك مني ومن رئيس جمعية أهل الحديث وجميع المسئولين ورجالها ، فأهلاً وسهلاً ومرحباً بكم !

ضيفنا الكريم :

---

(١) وهذه قبل أن يصبح الشيخ عبدالله رئيساً لمحاكم منطقة المدينة المنورة . ا . هـ صلاح

إن بنغلاديش أكبر دولة باعتبار عدد المسلمين بعد أندونيسيا ولكن كثيراً من الناس يتخبطون في متاهات الإلحاد والإباحية، ويتردون إلىٰ مهاوي الزيغ والضلال ويبتعدون عن تعاليم الكتاب والسنة وينخدعون بالآراء والأقوال ، فمعظمهم يشد الرحال إلىٰ القبور ويستعينها ويستمد من أهلها ، ويقدم إليها الهدايا والنذور ، ويقيم عليها الحفلات والأعياد بمناسبة المولد والممات ، وأن سياسة الحكومة لا تتعرض بهم في عقيدتهم وعباداتهم ، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ قد قيض لها رجالاً من أهل الحديث الذين بذلوا جهودهم المشكورة في الذب عن السنة النبوية وبقمع البدع والخرافات ضد المنحرفين الذين انحرفوا عن ديننا الحنيف .

ضيفنا الفاضل :

إن تاريخ أهل الحديث في شبه القارة الهندية من الناحية الدينية والثقافية تاريخ طويل مشرق، فهم منذ أن وجدوا في هذه البقعة حافظوا علىٰ تراثهم الديني العلمي وسجلت هذه الجمعية أحسن الخدمات في صفحات التاريخ عبر القرون الماضية، ولست أنا في هذه العجالة في مقام من يستقصي الدروس في خدمات هذه الجمعية وتاريخهم ، ولكن يجدر بي أن أذكر نبذة من أحوال الجمعية ، فإن أهل الحديث قد بدءوا دورهم في تنظيم هذه الجمعية أول مرة عام ١٩٠٦م باسم «آل انديا أهل الحديث كانفرس» ، وبعد ذلك بذلوا جهودهم في مجال الدعوة والتعليم في أقطار الهند

ونشروا عقيدة سلفنا بمنهجهم كما قام الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب في زمانه ، ثم قام بعد ذلك بعض رجال أهل الحديث ، وذلك عام ١٩١٥م ونظموا تنظيم أهل الحديث باسم «بنغله وآسام انجمن أهل الحديث» . . فأمكن لهذا التنظيم نشر الكتب الدينية وإصدار جريدة شهرية اسمها «ماسيك أهل الحديث» كما صدر منها جريدة أسبوعية باسم «أهل الحديث» . وكل ذلك باللغة البنغالية ، وأهداف الجريدتين دفاع عن السنة النبوية وبث العقيدة الصحيحة الخالصة من شوائب البدع والخرافات ، وبعد ذلك جاء العلامة المحدث عبد الله الكافي القريشي وطلب مؤتمراً عام ١٩٤٦م بمدينة رنعفور، وحضر فيه كبار علماء أهل الحديث من جميع أنحاء الهند، وأخص بالذكر المحدث الكبير الشيخ أبا القاسم البنارسي، والشيخ إبراهيم السيالكوتي وأمثال هؤلاء. وذلك في أيام استعمار بريطانيا في القارة الهندية حتى يومنا هذا ، وبالحقيقة هذه الجمعية عبارة عن جهود هؤلاء العلماء الذين نافحوا عن الإسلام ، وألَّفوا كتباً كثيرة لنشر العقيدة السلفية، وقد كان المكتب الرئيسي للجمعية قبل استقلال الهند في كلكتا عاصمة ولاية البنغال ، ثم انتقل مكتبها بعد انقسام الهند بالباكستان إلى «فابنا» لعدم الاتصال مباشرة، وأصدرت الجمعية مجلة شهرية باسم «ترجمان الحديث» باللغة البنغالية ، وكذلك تنشر كتباً كثيرة تخص بالعقيدة السلفية، ثم انتقل مكتبها الرئيسي من «فابنا» إلى مدينة «داكا» عام ١٩٥٦م

وذلك لاتساع نطاق عمل الجمعية ، وبعد انتقال مكتب الجمعية من «فابنا» إلىٰ «داكا» بدأ العلامة الشيخ عبد الله الكافي القريشي يلعب دوراً هاماً في خدمة الإسلام والمسلمين وقضىٰ قسطاً كبيراً من حياته في التأليف والتصنيف ، وأضاف العلامة القريشي إصدار مجلة أسبوعية باسم «عرفات» وهي لا تزال تخدم الأمة الإسلامية باللغة البنغالية مع غيرتها على العقيدة الصحيحة وذلك إلىٰ عام ١٩٦٠م، ثم انتقلت مسئولية هذا الأمر الجليل بعد أن توفي العلامة الشيخ عبد الله الكافي القريشي (تغمده الله بشآبيب رحمته) إلىٰ ابن أخيه سعادة الدكتور عبد الباري ابن العلامة عبد الله الباقي ، وإلىٰ يومنا هذا تتقدم الجمعية بإشراف الدكتور رويداً رويداً .

ضيفنا الأماثل :

إن جمعية أهل الحديث ببنغلاديش تهتم بأمورٍ أربعة : تنظيم وتبليغ وتصنيف وتدريس :

١ ـ فالتنظيم : يكون بدايته من المساجد ، ثم علىٰ مستوىٰ المنطقة ، ثم علىٰ مستوىٰ المديرية . والرابطة وثيقة فيما بينها ، وقد أمكن للأمين العام ومساعديه جولة خاصة حول التنظيم إلىٰ مديريات ومناطق، فبمعظم المديريات يوجد هناك تنظيم خاص يرأس تنظيمات أخرىٰ في مناطق مختلفة حسب اللائحة التنفيذية من قبل الجمعية .

٢ ـ التبليغ : ولا شك أن الحاجة إلىٰ الدعوة والإرشاد وتعريف الناس بما يتضمنه الدين الإسلامي من الخير والصلاح للبشرية وخاصة في العصر الذي طغت فيه المادية علىٰ الروحية وانتشرت الإباحية والفوضىٰ بسبب الحضارة الغربية [١] وأن عامة المسلمين يجهلون العقيدة الصحيحة للإسلام ، وكذلك تعاليمه الحقة . فنظراً إلىٰ هذه الظروف قررت الجمعية اهتماماً عظيماً نحو الدعوة والتبليغ بالعلماء الأكفاء الذين يمكن لهم تعريف الناس بتعاليم الإسلام الصحيحة بطريقة ملائمة ومؤثرة في النفوس حتي يخرجوا من ظلمات البدع والأهواء إلىٰ نور الشريعة السمحة الغراء ويتمسكوا بمبادئ التوحيد والسنة في الحياة . وهكذا علماء المدارس لأهل الحديث معظمها يقومون بأمور الدعوة والتوجيه فهم يمارسون في مسئولياتهم ووظائفهم ويرشدون الناس إلىٰ تعاليم الدين ، والجمعية عينت عدة من الدعاة الذين يتمكنون من مواصلة العمل حسب الظروف والبيئات .

٣ ـ التصنيف : وكذلك للجمعية شعبة خاصة حول تصنيف الكتب الدينية ، وقد تمكنت الجمعية بإصدار كتب دينية ولا تزال مستمرة بإصدارها . كما هي تهتم بترجمة كتب دينية تركها سلفنا حول العقيدة ، وللجمعية آلة مطبعية خاصة تصدر بها حوالي عشرة كتب في كل عام ، وأمامنا خطوة جادة بطبع تفسير القرآن الكريم

---

(١) الأولىٰ أن يقال المدنية الغربية .

باللغة البنغالية والتي تصدرها مجلة «عرفات» في عددها، كما صدر فيها ترجمة بلوغ المرام وتفسير سورة الفاتحة للعلامة عبد الله الكافي القرشي الذي يبلغ عدد صفحاتها حوالي ١٥٠٠ صفحة، وكذلك ترجمة صحيح البخاري التي تصدرها مجلة «عرفات» وكذا تاريخ أهل الحديث، علماً بأن الجمعية سبق لها طبع كتاب «الكلمة الطيبة» و «نبوة محمدي» و «مبادي السياسة الإسلامية» و«القوانين السياسية في الإسلام» لعلاملة القريشي، ولهذه الكتب أبلغ الأثر في تصحيح العقيدة بتوحيد الألوهية وبرسالة سيدنا محمد ﷺ أنه خاتم المرسلين.

٤ ـ التدريس: رأت الجمعية ببصرتها النافذة ونظراتها الثاقبة أن خير وسيلة لمواجهة الظروف الجديدة، ولصد الهجمات الضاربة هو العناية بالتدريس والتوجيه حتىٰ يمكن أعداد العلماء المضطلعين بالعلوم والمعارف اللازمة والمتمسكين بمبادئ الإسلام وعقائده الصافية ومن هنا بدأت حركة قوية لإنشاء المدارس الإسلامية في أقطار بنغلاديش علىٰ مختلف المستويات ونظمت فيها الدراسة وبما أن هذه المدارس كانت تعمل علىٰ مختلف المستويات ولم تكن فيها رابطة قوية وتنسيق تام، فلذا فكرت الجمعية مرة أخرىٰ بإنشاء مجلس تعليمي للمدارس حتىٰ يمكن توحيد صفوف المدارس علىٰ منهج واحد مع التعاون والتكاتف وشكلت لأجلها لجنة خاصة تدرس فيها حول إعداد المنهج الدراسي وهذه اللجنة من العلماء

المفكرين الذين لهم تجربة خاصة في حقل التعليم حتىٰ يمكن لهم إعداد المنهج الدراسي بالمواد الدينية الأساسية من التفسير والحديث والعقيدة والتاريخ واللغة العربية، كما يمكن لهم إعداد جيل مزود بكل ما يحتاج إليه الداعية في هذا العصر مع التمسك التام بالكتاب والسنة والاستناد إلىٰ عقيدة السلف الصالح .

والجمعية تشعر منذ سنوات بضرورة إنشاء جامعة ممثلة في تجسيم هذه الفكرة ولكن مشكلة حصول الأراضي في المكان المناسب لم تحل إلا في الأيام الأخيرة ، فنحمد الله تعالىٰ علىٰ أنه يسَّر لنا شراء أرض كبيرة تبلغ مساحتها حوالي ثمان وخمسين ألف متر مربع (أعني : أربعة عشر فدانا) علىٰ مسافة عشرين ميلاً من مدينة داكا ، علىٰ الشارع العام قرب جا معة جهانغير نغر الحكومية، وفيها يتم بناء الكليات وقاعة المحاضرات والمكتبة العامة وإدارة البحوث العلمية والمسجد الجامع ومساكن الأساتذة ومساكن الطلاب ، والمكاتب الإدارية مع الملعب الرياضي والحديقة وغير ذلك من المشروعات .

والمدرسة التي ترونها هذه هي علىٰ مستوىٰ الثانوية في بداية مراحلها تمهيداً للجامعة ، وقد ساعد في إنشائها رجال من المخلصين العاملين في سبيل الله من أهل داكا ، ولا تزال الجمعية تمارس نشاطها متقدمة بعون الله تعالىٰ وتوفيقه وبمساهمة المخلصين الذين يؤثرون الآخرة علىٰ الدنيا .

ونحن بإذن الله تعالىٰ سنواصل مع إخواننا في الخارج ومع الجامعات الإسلامية في أنحاء العالم حول تعديل المجلس التعليمي للجمعية والجامعة التي نحن بوشيك افتتاحها .

وأخيراً ، لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل الوافر إلىٰ فضيلتكم ؛ لما تبذلونه من جهود نحو الدعوة والإرشاد ونشر الثقافة الإسلامية ، من مهبط الوحي ومن جوار الحرمين الشريفين ، وما تقومون به من دوركم القيادي والإرشادي للعالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها ، وهو عمل جاد تشكرون عليه ، ونرجو الله المزيد من التوفيق والشرف لكم ولحكومتكم الرشيدة لخدمة الحرمين الشريفين ، ويجزيكم جزاء حسناً .

ومرة أخرىٰ أكرر ترحيبي الحار وتمنياتي الطيبة والشكر الوافر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ ؛ ؛

أخوكم

محمد عبدالرحمن حرر في ١٤٠٤/٦/٣هـ

الأمين العام لجمعية أهل الحديث ببنغلاديش

«مهدات»

إلىٰ سماحة الشيخ الفاضل عبد الله بن محمد بن زاحم
الموقر . سلمه الله

يا قاضيَ القضاة يا شيخَ الحرمْ ... يا حاكماً بالشرعِ يا راعي الذِمَمْ
في طيبةٍ تسعىٰ لإنقاذِ الأُمْ ... وَعْظاً وإرشاداً بعزٍّ لم يُضَمْ
ورثتَ «عبد الله»[1] مجداً وشيم ... وصِرتَ في دارِ القضاءِ في القِمَمْ
وهكذا الإخلاصُ والعدلُ لَهُ ... رايات عزٍ وإباءٍ وشَمَمْ
يا سائراً في دَربِ حقٍّ بيِّنٍ ... وللقِرىٰ للضَّيفِ تَسْعىٰ في كَرَمْ
كتبتَ في العلمِ وفي القضاء[2] ما ... يدعو إلىٰ فخرٍ ويَشْحَذُ الهِمَمْ
وخُطبُ المِنْبَرِ نبراسٌ لَهُ ... نورٌ يضيء في دياجيرِ الظُّلَمْ
يا لَيتَنِي ممن يكونُ دائماً ... مجاوراً في طيبةٍ وفي الحرمْ
يَدعو إلىٰ الله بصدقٍ راجياً ... منهُ النجاةَ من مُذلاتِ النِّقَمْ
ويحفظُ العَهدَ بدارِ المصطفىٰ ... وشاكراً لله واهب النِّعم

---

(١) هو سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة وإمام وخطيب المسجد النبوي الشريف ورئيس مجلس الإشراف الديني على التدريس في المسجد النبوي الشريف.

(٢) من مؤلفاته الشيخ عبدالله: (كتاب فضل العلم والقضاء، وكتاب قضاة المدينة المنورة من عام ٩٦٣هـ-١٤١٨هـ وخطب الجمع والأعياد وهذا هو المجلد السادس الذي نقوم بتصحيحه ولله الحمد والمنة. ا.هـ. صلاح

يَهنيكمـوا في الدارِ والإيمانِ مـا قـد كـانَ من دعـوة سيِّـدِ الأمْ

حـيـاتُنا فـيـهـا حـيـاةُ عـزةٍ وأَهلُهـا الإيثـارُ عِنـدَهُم شِـيَمْ

لأنَّ رَبي في كــتــابٍ صــادقٍ بالحب والإيثارِ جَمْعَهُم وصَمْ

وفي الختــام للرســول المصطفى صــلاتنا مع الســلام يُنْتَظَمْ

المدينة المنورة

حرر في ١٥/ ٧/ ١٤١٧هـ

كتبه/صلاح بن محمد بن محمد بن إبراهيم كرنبة

الدمشقي – العربيلي– ثم المدني إمام مسجد الهداية والكاتب لدى
رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة وبعد استقالته أيضاً

وبهذا المجلد تم الكتاب
والحمد لله رب العالمين

أحييت شرع الله

أحـيـيت شـرع الله يا بن زاحم ... ورفـعت صـرح مآثر ، ومكارم
وغـدوت رمـزاً للعـدالة والتـقىٰ ... بجليل أعـمال، وصـدق عزائم
ومنار إرشــاد ، يشع بلاغــة ... في كل ليل مكفــهـرٍّ، فــاحم
فـيـحيله فـجـراً، ترفّ به الـنهىٰ ... نشوىٰ ، وتنهل من شذاه الفاغم
للّه أنـت ، ففي جـبـينك ومـضـةٌ ... غـراء، تشرق كـالصباح الباسم
مُـزجَ الوقــارُ بهــا ، فكانت آيةً ... للعـبـقـرية في الأديب العــالم
إني لأصـغىٰ والجـلال يـحيط بي ... لمفــوَّهٍ كــالعــيْلم المتــلاطم
يهـتـزُّ منبـر أحـمـد الهـادي علىٰ ... نبــضــاته، وحــديثــه المتناغم
فـيـعـود أدراج القـرون ويرتوي ... بعـبيـر تبـيان، وفـيض مـلاحم
ومعـالم للمـجـمد والعلياء، لم ... تبرح مدىٰ الأزمان خير معـالم
وتضوعُ في المحراب آيات الهدىٰ ... مـتـألقـاتٍ بالخــشــوع الحــالم
تَنْدَىٰ رحـاب الطهـر في نفحاتها ... بصُــــــداح أواب، وآهة نـادم
فـترفـرفُ الأمـلاك في جنباتهـا ... سبحاتِ أشواق، وسربَ حمائم
ومعـارجاً قدسـية لأولي التـقىٰ ... تسمو بهم نحو النعيم الدائم!
لله أنت، وأسـرة قـد زاحــمت ... بالعلْم والآدابِ كلَّ مــزاحم
كــالنخلة المعطاء : أصـل ثابتٌ ... مــتــمكنٌ يُروَىٰ بنبع ســاجم

وفروعها الشماء تحتضن الجنى ... كنزاً لمشتار ، وطمعة طاعم
عرفتْ على مَرِّ العصوري بأنجم ... وضاءة بين الورى وضراغم
فبكل كفٍّ ، مشعلٌ، متوهج ... تزري أشعته بوقع الصارم
فإذا سَرَتْ بين الجوانحِ أصبحت ... همساتِ مشتاق، ولمسة راحم
حتى تألق فجر (عبد الله) في ... افق الفخار، فكان أعدل حاكم
ومفجرَ العبرات في حرم الهدى ... ببلاغة، تهمى انسكابَ غمائم
تُروى القلوب بفيضها فتحيلها ... بعد اللظى والجدب حقل براعم
فاقبل مخدرة «أتتك حييَّةً ... وعلى محياها مشاعر (هاشم)
عجزت عن الإفصاح وهي فصيحة ... لكنَّ قدرك فوق شأو الناظم
ولتبق للإسلام ، صرحاً شامخاً ... ومنار إرشاد، لكل العالم

محمد هاشم رشيد

رئيس النادي الأدبي في المدينة المنورة

تم الكتاب

وصلى الله علي سيدنا ونبينا محمد وعلى
آله وصحبه والحمد لله رب العالمين ،،،

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة :	٥
التعريف بالمولف :	٦
الخطبة رقم (١) تفسير قوله تعالى (يأأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم) :	٢٢
الخطبة رقم (٢) الإيمان والأخوة :	٣١
الخطبة رقم (٣) موسى والخضر عليهما السلام والخضر نبي يوحى إليه :	٣٨
الخطبة رقم (٤) الحج ـ المقارنة بين الحاضر والماضي :	٤٦
الخطبة رقم (٥) الدعوة إلى الإسلام بالعمل والخلق الكريم :	٥٥
الخطبة رقم (٦) الأعمال الصالحة هي الوسيلة :	٦٣
الخطبة رقم (٧) الإنسان لم يخلق عبثاً :	٦٩
الخطبة رقم (٨) منطلق البشر :	٧٨
الخطبة رقم (٩) الصلاة تؤثر في السلوك :	٨٦
الخطبة رقم (١٠) الزواج :	٩٤
الخطبة رقم (١١) كل من الجنسين موافق للآخر :	١٠١
الخطبة رقم (١٢) عناية الإسلام بالمرأة :	١٠٩
الخطبة رقم (١٣) أخذ الحذر من فتنة النساء :	١١٦
الخطبة رقم (١٤) الحدود :	١٢٣

الموضوع	الصفحة
الخطبة رقم (١٥) خطبة عيد الأضحى :	١٣٣
الخطبة رقم (١٦) خطبة عيد الفطر :	١٣٨
الخطبة رقم (١٧) تذكر الموت والبلى :	١٥٤
الخطبة رقم (١٨) الإيمان بالقدر :	١٦٠
الخطبة رقم (١٩) مسائل الصيام :	١٦٧
الخطبة رقم (٢٠) الصيام :	١٧٦
الخطبة رقم (٢١) تسبيح الله وذكره :	١٨١
الخطبة رقم (٢٢) الحقوق في الشريعة الإسلامية :	١٨٩
الخطبة رقم (٢٣) تفطر السموات واستغفار الملائكة لمن في الأرض :	٢٠٠
الخطبة رقم (٢٤) الإيمان والاستقامة :	٢٠٨
الخطبة رقم (٢٥) القرآن ينظم حياة الناس :	٢١٥
الخطبة رقم (٢٦) الاستسقاء :	٢٢٢
الخطبة رقم (٢٧) إنما الحياة الدنيا لعب ولهو :	٢٢٩
الخطبة رقم (٢٨) القيام للقادم :	٢٣٧
الخطبة رقم (٢٩) وأما بنعمة ربك فحدث :	٢٤٤
الخطبة رقم (٣٠) يحصل بالرفق ما لا يحصل بالعنف :	٢٥١
الخطبة رقم رقم (٣١) حكم المطلقة إذا مات زوجها وهي في العدة :	٢٦٠
الخطبة رقم (٣٢) وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون :	٢٦٨

الموضوع	الصفحة
الخطبة رقم (٣٣) المحرمات في النكاح :	٢٧٨
الخطبة رقم (٣٤) حفظ الحقوق وضمان المصالح في الإسلام :	
الخطبة رقم (٣٥) عناية الإسلام بالإنسان :	٢٩٦
الخطبة رقم (٣٦) نعمة الإسلام وخطط الاعداء لمقاومتها :	٣٠٥
الخطبة رقم (٣٧) صلح الحديبية	٣١٤
الخطبة رقم (٣٨) صلح الحديبة والفتح المبين :	٣٢٣
الخطبة رقم (٣٩) الإسلام وتنظيم الاسرة :	٣٣٢
الخطبة رقم (٤٠) غزوة أحد :	٣٤٠
الخطبة رقم (٤١) الكعبة بنيت للتوحيد وحاضر المسلمين :	٣٤٧
الخطبة رقم (٤٢) الساعة والنفخة الأولى :	٣٥٥
الخطبة رقم (٤٣) الحج قاعدة من قواعدالإسلام :	٣٦٤
الخطبة رقم (٤٤) الإيمان الصادق والمنافقين :	٣٧٢
الخطبة رقم (٤٥) القَسَمْ والايمان المشروعة :	٣٨١
الخطبة رقم (٤٦) العام الهجري والخصال يتم التي بها العمل :	٣٨٩
الخطبة رقم (٤٧) حرمة الأشهر الحرم :	٣٩٧
الخطبة رقم (٤٨) القرآن الكريم هو كتاب الدعوة :	٤٠٥
الخطبة رقم (٤٩) حديث جابر رضي الله وحجة النبي ﷺ :	٤١٠
محاضرة في المعهد العالي للدعوة (الربا والصرف :	٤٢١
مشروعة الصيام :	٤٣٢
فضل ليلة القدر :	٤٤٤

الموضوع	الصفحة
تتمة في الصيام :	٤٥٣
حديث عن كلمة خادم الحرمين الشريفين :	٤٥٨
العام الهجري :	٤٦١
التكافل الاجتماعي :	٤٦٤
الحديث الأول يوم عرفة :	٤٧٢
الحديث الثاني عن ليلة جمع :	٤٨٠
الحديث الثالث أيام منى :	٤٨٨
الحديث الرابع تحويل القبلة :	٤٩٥
مسجد رسول الله ﷺ :	٥٠١
المواطن الصالح :	٥١٢
صفة تغسيل الميت :	٥٢٤
حديث عن الظلم :	٥٢٧
إلى إخواني المسلمين في كل مكان :	٥٣١
من أحكام سورة النور :	٥٣٥
حكم الزاني :	٥٤٠
زواج العفيفة بغير عفيف :	٥٤٥
حكم القذف :	٥٥١
الناس فريقان :	٥٥٧
التجارة في الإسلام :	٥٦٣
التفكير في ملكوت السموات والأرض :	٥٧٤

الموضوع	الصفحة
تسهيل المهور :	٥٧٨
الهجرة النبوية :	٥٨٤
خاتمة :	٥٩٥
كلمة ترحيب بالشيخ عبدالله الزاحم ألقاها محمد عبدالرحمن الأمين العام لجمعية أهل الحديث ببنغلاديش عند زيارة الشخ لها :	٥٩٦
قصيدة شعرية ـ صلاح محمد كرنبه :	٦٠٤
(أحببت شرع الله) قصيدة شعرية ـ محمد هاشم رشيد ؛	٦٠٦